

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن

[مقدمة المؤلف]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب و لم يجعل له عوجا، و صلواته التامات الزاكيات على محمد المبعوث على العالمين صلى الله عليه و على آله الطاهرين و صحبه الميامين.

و بعد فـ "إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَ يُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا" (١٧: ٩).
لقد عمل الاستعمار غاية الشيطنة لحد فصل المسلمين عن حق القرآن و حاققه، بل و عن ترجمته البسيطة تطبيقا فضلا عن معانيه العالية تحقيقا، فأصبحوا بين يديه أيادى سبا، فعزلهم عن كونهم عواما فضلا عن كيانهم أن يصبحوا على ضوء القرآن من الخواص أو الأولياء فى معارف القرآن الكريم، و قد يروى عن الإمام على عليه السلام:

«إن كتاب الله - القرآن - على أربعة أشياء: على العبارة والإشارة واللطف والحقائق، فالعبارة للعوام والإشارة للخواص واللطف للأولياء والحقائق للأنبياء» والعبارة هي الألفاظ المعبرة عن معانيها الأولية، و«لمكان» الإشارة وهي بعد المعنى. ثم الإشارة هي ناتجة عن العبارة، واللطف عن الإشارة، والحقائق عن اللطف.

ولقد وفقني ربي لتأليف "الفرقان": في تفسير القرآن بالقرآن والسنة، ببصائر إسلامية سليمة يفرضها القرآن المتحللة عن الطائفيات والتحميلات التي يفرضها القرآن، وهي في ثلاثين مجلداً، أصبحت حقلاً موسعاً معمقاً للأخصاء، والذين يهدفون إلى تفهم القرآن لحد بالغ، ثم طلب مني - وكما أنا نويت وحويت - تأليف ترجمة تفسيرية عن القرآن اختصاراً عن "الفرقان" ولكي يكفي لإيصال المسلمين إلى حد العوام والخواص في حديث الإمام على عليه السلام، ولكي يكون نبراساً ينير الدرب على سالكي قبسات النور، ومتراساً يعنى احتجاجاً بالقرآن على من يحتاجه في حق الإسلام وحاقه، ومما لا بد من ذكره هنا باختصار يناسب تلك الترجمة البسيطة، أن أقوى التواترات المقبولة للمسلمين كافة هو المتواتر القرآني السامي، دون أن يساميه فضلاً عن أن يساويه أو يعارضه سائر القراءات والروايات، فإن ما بين أيدي المسلمين من القرآن العظيم هو أروى الروايات وأقوى التواترات المصدقة على راويه العظيم محمد الرسول صلى الله عليه وآله فلا يصدق على هذا القرآن إلا نفسه تفسيراً أو نسخاً وما أشبهه فإذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن، فإنه شافع مشفع، وما حل مصدق، من جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار، وهو الدليل يدل على خير سبيل، وهو كتاب فيه تفصيل وبيان وتحصيل، وهو الفصل ليس بالهزل .. ظاهره أنيق وباطنه عميق، له نجوم ﴿تخوم﴾ وعلى نجومه ﴿تخومه﴾ نجوم ﴿تخوم﴾ لا تحصى عجائبه ولا تحصى غرائب، فيه مصابيح الهدى ومنار الحكمة، ودليل المعرفة لمن عرف الصفة، فليجل جال بصره، وليبلغ الصفة نظره ينج من عطب، ويتخلص من نشب، فإن التفكير حياة قلب البصير، كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور، فعليكم بحسن التخلص، وقلعة التبرص^١

"فإن هذا القرآن هو النور المبين، والحبل المتين، والعروة الوثقى، والدرجة العليا، والشفاء الأشفي، والفضيلة الكبرى، والسعادة العظمى، من استضاء به نوره، ومن عقد به أموره عصمه الله، ومن تمسك به أنقذه الله، ومن لم يفارق أحكامه رفعه الله، ومن استشفى به شفاه الله، ومن أثره على سواه هذاه الله، ومن طلب الهدى في غيره أضله الله، ومن جعله شعاره وداره أسعده الله، ومن جعله إمامه الذي يقتدى به، وموئله الذي ينتهي إليه أداه الله إلى جنات النعيم والعيش السليم".^٢

وهو "نور لا تطفأ مصابيح، وسراج لا يخيب توقده، وبحر لا يدرك عمقه، ومنهاج لا يضل نهجه، وشعاع لا يظلم ضوءه، وفرقان لا يخمد برهانه، وبيان لا تهدم أركانه، وشفاء لا تخشى أسقامه، وعز لا تهدم أنصاره، وحق لا تخذل أعوانه، فهو معدن الإيمان وبحبوحته، وينايع العلم وبحوره، ورياض العدل و غدرانه، وأثا في الإسلام و بنيانه، وأودية الحق و غيطانه، وبحر لا ينزفه المنتزفون، و عيون لا ينضبها الماتحون، و مناهل لا يفيضها الواردون، و منازل لا يضل نهجها المسافرون، و أعلام لا يعمي عنها السائرون، و أكام لا يجوز عنها القاصدون، جعله الله رياء لعطش العلماء، و ربيعا لقلوب الفقهاء، و محاجا لطرق الصلحاء، و دواء ليس بعده داء، و نورا ليس معه ظلمة، و حبلا وثيقا عروته، و معقلا منيعا ذروته، و عزا لمن تولاه، و سلما لمن دخله، و هدى لمن اتهم به، و عذرا لمن انتحل به، و برهانا لمن تكلم به، و شاهدا لمن خاصم به، و فلجا لمن حاج به، و حاملا لمن حمله، و آية لمن توسم، و جنة لمن استلأم، و علما لمن وعى، و حديثا لمن روى، و حكما لمن قضى"^٣

^١ . عن الكافي (٢: ٥٥٢) عن الامام الصادق عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

^٢ . تفسير الإمام الحسن العسكري (ع) عن الرسول (ص).

^٣ . نهج البلاغة عن الإمام أمير المؤمنين على عليه السلام.

" بقية استخلفها عليكم كتاب الله الناطق، و القرآن الصادق، و النور الساطع، و الضياء اللامع، بينة بصائره، منكشفة سرائره، متجلية ظواهره، مغتبط به أشياعه، قائد إلى الرضوان إتباعه، مؤد إلى النجاة استماعه، به تنل حجج الله المنورة، و عزائمه المفسرة، و محارمه المخدرة، و بيناته الجالية، و براهينه الكافية، و فضائله المندوبة، و رخصه الموهوبة، و شرايعه المكتوبة"^٤

ف" من قرأ القرآن و لم يخضع له، و لم يرق قلبه عليه، و لم يغش حزنًا أو وجلًا في سره، فقد استهان بعظم شأن الله، و خسر خسارًا مبینًا، فقارئ القرآن يحتاج إلى ثلاثة أشياء: قلب خاشع، و بدن فارغ، و موضع خال، فإذا خشع لله قلبه فر منه الشيطان الرجيم، و إذا تفرغ نفسه من الأسباب تجرد قلبه للقراءة، فلا يعترضه عارض فيحرمه نور القرآن و فوائده، و إذا اتخذ مجلسًا خاليًا، و اعتزل من الخلق بعد أن أتى بالخصلتين الأوليين استأنس روحه و سره بالله، و وجد حلاوة مخاطبات الله عباد الصالحين، و علم لطفه بهم، و مقام اختصاصه لهم، بقبول كراماته، و بدائع إشاراته، فإذا شرب كأسًا من هذا المشرب، فحينئذ لا يختار على ذلك الحال حالًا، و على ذلك الوقت وقتًا، بل يؤثره على كل طاعة و عبادة، لأن فيه المناجاة مع الرب بلا واسطة، فانظر كيف تقرأ كتاب ربك، و منشور ولايتك، و كيف تجيب أوامره و نواهيه، و كيف تمتثل حدوده، "و إِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ"، فرتله ترتيلاً، وقف عند وعده و وعيده، و تفكر في أمثاله و مواعظه، و احذر أن تقع من إقامتك حروفه في إضاعة حدوده".

بلى" و الَّذِينَ يَمْسُكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ" (٧: ١٧) فالكتاب: القرآن، هو الذي تمسك به كافة النواميس، كأصل أصيل يرجع إليه كل وارد و شارد، و يميز به كل غث عن سمين، و كل خائن عن أمين، حتى يعرف الأصيل عن الفصيل.

يجد القارئ في هذا "البلاغ" ترجمة تفسيرية عن الذكر الحكيم، و هى على اختصارها بيان عن تفاصيل معانيه، محكمات جميلة، فاصحة واضحة، دون تحميل على القرآن، و لا تجميل أو توجيه، فإنه بنفسه جميل وجيه، تجد فيها مختصرًا غير مختصر عما فصلناه في "تفسير الفرقان" إضافة إلى استدراكات، ثم لا تجد فيها أى تفسير للقرآن إلا بالقرآن، لغات و كلمات و جمالات، مما يدل على أن فيه نفسه كفاية لمن ألقى السمع و هو شهيد، فالحق أقول: إن القرآن لأنه بيان و نور و تبيان لا يحتاج في نفسه إلى تفسير من غيره، اللهم إلا أن نفس أنفسنا، كشفا عن غشاوات فطرية- عقلية- علمية- اجتهدية- تقليدية، أماهيه من عوامل داخلية أو خارجية، نفس أنفسنا لنستفسر القرآن، بما يستكشف معانيه و مغازيه، من لغة و أدب و تدبر صالح في آياته البينات، نظرا في الآية نفسها، كما تهدي إليه لغتها المستفادة من القرآن نفسه، ثم إلى آيات قبلها و بعدها، حيث التأليف مقصود رباني من الله بوحيه، ثم إلى سائر الآيات التي تنحوا منحاهما، و إلى سبج طويل بصالح التقوى، بعيدا عن كل طغوى، متوسلا بوسائل و صائل، استنباطا لمعانيه كما يريد الله، و الله هو الهادي إلى سبيله، نعم المولى و نعم النصير، لكل بصير حسير غير حسير.

قم المشرقة: محمد الصادق الطهراني.

تليفون - ٩٣٤٤٢٥

^٤ . من خطبة الصديقة الزهراء بنت الرسول (ص) على حشد من المسلمين بمسجد النبي (ص).

^٥ . مصباح الشريعة عن الإمام الصادق عليه السلام.

^٦ . رقم السورة.

^٧ . رقم الآية.

سورة الفاتحة

سورة هي صورة مصغرة عن تفصيل الكتاب لا ريب فيه من ربّ العالمين، و قد افتتح بها القرآن تنزيلا و تأليفا، و هي سبع من المثاني أمام القرآن العظيم، فالبسملة آية منها و من القرآن كله، إلا البرائة حيث تفقدها، و إلا النمل فإنها بعض آية منها، مما يدل على أنها من القرآن ككل، أو أن الفاتحة هي ستّ من المثاني لو لم تكن البسملة منها!

١ / ١

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ﴾: الاسم الأعظم الظاهر، كما أن "هو" هو الاسم الأعظم الباطن ﴿الرَّحْمَنُ﴾ هي أعمّ الصفات الفعلية مطلقا و ﴿الرَّحِيمُ﴾:

بعدها إذ تخص بعض الخلق مهما شملتا النشأت الثلاث و هما تعمّان كافة صفاته تعالى

٢ / ١

٢- ﴿الْحَمْدُ﴾: كله مستغرقة ﴿لِلَّهِ﴾ لا سواه، و لأنه ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ جمع العالم العاقل، فهو جمع ذوى العقول من الإنس و الجن و الملائكة و من لا نعرفهم، ف"وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ" (٤٢: ٢٩) لمكان "هم" فيها.

٣ / ١

٣- ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾: قد تعنيانهما في الأخرى كما هما الأوليان في الأولى، أو أن لكلّ حقله، لاستقلال كلّ أمام الآخر، فالبسملة بسملة و الحمد حمد على أية حال.

٤ / ١

٤- ﴿مَالِكٍ﴾: دون ملك، حسب نصّ المتواترة القرآنية العليا ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾: الطاعة، إذ تبرز فيها صورة و سيرة حزاء وفاقا، و هو مالك يوم الدنيا دون بروز للكل.

٥ / ١

٥- ﴿إِيَّاكَ﴾: لا سواك ﴿نَعْبُدُ﴾ عبادة و عبودة ﴿وَإِيَّاكَ﴾ لا سواك ﴿نَسْتَعِينُ﴾ فأنت أنت المعبود المستعان، مهما يستعان إليك بمن ترضاه و ما ترضاه: "وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ" (٥: ٣٥) "أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ." (١٧: ٥٧).

و هنا "إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ" تعنى أولا إعانتة فى "كيف نعبد" تشريعا، ثم توفيقنا فيها تكوينيا و من ثم سائر الإعانات، و الأوليان تخصصانه حصرا، و الأخيرة كما يرضاها من وسائل اليه سبحانه

٦ / ١

٦- ﴿اهْدِنَا﴾: دلالة و إيصالا بتوفيقك ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ دون "إلى" أو "ل" بل نفس "الصراط المستقيم" لتشمل كافة المستهدين و دون صراط الجحيم، و لا متفرق السبل: "وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَ لَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ" (٦: ١٥٣).

٧ / ١

٧- ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾: من "النَّبِيِّينَ وَ الصَّادِقِينَ وَ الشُّهَدَاءِ وَ الصَّالِحِينَ وَ حَسَنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا" (٤: ٦٩) ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ المضلين: مشركين أو هودا أو نصارى أو مسلمين ﴿وَ لَا الضَّالِّينَ﴾ المضلين الذين ضلوا عن صراطك، فهم بعد المغضوب عليهم، أيا كانوا، فالصراط ثلاثة: صراط المنعم عليهم، و يقابله صراط المغضوب عليهم، و بينهما صراط الضالين

الذين ليس لهم صراط إلا الحيرة، ذلك، و هذه السورة لا تنوب عنها سورة أخرى فى الصلاة، فهى كلها تأتى بعدها إلا ما فيها السجدة، و لكى يجمع فى الصلاة بين مختصر القرآن و مفصله، و لأنها عمود الدين و عماد اليقين، فالصلاة: الصلّات، هى عبادة و قرآن، قرآن و عبادة.

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾: من الحروف الرمزية بين الله و رسوله، و هى مفاتيح كنوز القرآن، مهما كانت لها إشارات أخرى بدلالاتها كتابا و سنة، و هى بمفاتيح مدنيات خمس و مكيات فى ثلاث و عشرين سورة، مما يطرد احتمال أنها لإسكات و ما أشبهه، بين احتمالات عشر.

٢- ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾: مبتدأ بخبره، أو إشاره بمشار إليه و ما أشبهه، و الكتاب هو القرآن ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾: شكا مسنودا إلى برهان، مهما شك فيه دون برهان بما يريهم، دون ريب و ارتياب "إِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ" * (٥٤: ٣٤) "بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ" (٤٤: ٩) .. و لا ريب فيه أنه ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ مهما لا يهتدى به الطاغون، فهم من إذا وقى قبل الوقاية، متقين المحاذير مهما كانوا فى شك مقدس متحيز عن الحق المرام، و التقوى درجات، كما الطغوى دركات.

٣- ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾: كأولى خطوة إلى الحق قضية تقوى ما، دون إخلاد إلى المحسوس ﴿و﴾ من ثم ﴿يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ لله الغيب، ثم ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ صلة بخلق الله بعد صلاتهم بالله، و "ما رزقناهم" تعم كافة النعم الربانية الممكنة الإنفاق، كما الإنفاق هو أن لا تبغى فيه إلا مرضات الله، و مما ينفقون أعضاء من أبدانهم وصية لما بعد موتهم للمحتاجين إليها لحياة سليمة، أو ذودا عن الممات.

ذلك، و من الإنفاق "مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ" هو أنفسهم بدمائهم جهادا فى سبيل الله، فإنها من عطياته تعالى: الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى" (٢٠: ٥٠) و كما عليهم الإنفاق من هداهم قدر الحل المستطاع.

٤- ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾: كتابا و سنة ﴿و﴾ كذلك ﴿مَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ إيمانا بوحيه، مهما نسخ منه ما نسخ ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ﴾ لا سواهم ﴿يُوقِنُونَ﴾ فلا يؤمن بها إلا الدارج هذه الدرجات، فهم يوقنون على درجاته قضية هذه الدرجات.

٥- ﴿أُولَئِكَ﴾ لا سواهم ﴿عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ﴾ حيث يهديهم الله كما اهتدوا و زيادة، مسيطرين على هداه ﴿وَأُولَئِكَ﴾ لا سواهم ﴿هُمْ الْمُفْلِحُونَ﴾ حيث يفلحون المعارك الحيوية، فيفلحون عراقيلها بتلك الهدى، و هذه أبواب ثمان - كما الجنة - جنة التقوى عن الطغوى، و التقوى درجات كما الطغوى دركات، على مراحلهما.

و هنا ندرس أصل التقوى بأصالتها، محلقة على كافة التكليف، سلبية و إيجابية فى كافة الحقول الحيوية، فى مثلث: قبول الحق على بيناته تفتيشا عنه، ثم وصولا إليه عند حصولهم عليه، و من ثم الانسلاخ فى درجاته، و ذلك فى كافة النواميس الخمس، خروجاً عن كافة العراقيل: عنصرية - قومية - طائفية أماهيمه من موانع تقبل الحق، حيث الحق واحد من إله واحد مهما اختلفت طقوس للوصول إليه، ف "لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَ مِنْهَاجاً ... لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ" (٤٨: ٥).

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٣

٦- و يتلوها ثالث الكفر الساحق الماحق ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بما يؤمن به المتقون، حيث ستروا أنفسهم عن الحق كما ستروه عنها، فسدت عنهم منافذ الهدى، ثم هم لا يؤمنون، ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾ لا عليك، فأنت فى القمة من "عُذْرًا أَوْ نَذْرًا" (٧٢: ٦) ﴿أ﴾

أَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿﴾ رغم إمكانيته لهم، و لكنهم عمدوا إلى تركه، و الله يخبر به عنهم كملحمة غيبية، و لو أنهم يؤمنون قبل موتهم لأخبر به دون عدمه، و الامتناع بالاختيار لا ينافي الإختيار، و قد اختاروا عدم الإيمان حتى موتهم فامتنع إيمانهم باختيارهم فأخبر عن عدمه.

٧ / ٢

٧- ذَلِكَ لِأَنَّهُ ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ بما ختموا عليها" فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ" (٥: ٦١) ﴿وَلَا يَسْمَعُونَ﴾ عَلَى أَسْمَاعِهِمْ سَمْعًا ﴿وَلَا يَبْصُرُونَ﴾ بِمَا غَشَوْا عَلَيْهِمَا فَعَشَتْ عَلَى قُلُوبِهِمْ، فَإِنَّهُمَا بَابَانِ لِلْقُلُوبِ فِي حَقِّ أَوْ بَاطِلٍ: "وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ" (١٠: ٦٧) ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ عظم ما غشوا و ختموا جزاء وفاقا.

٨ / ٢

٨- و من ثم مواصفات سبع للمنافقين كدركات الجحيم السبع:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ﴿أَمَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ مَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ بقلوبهم، قضية نفاقهم العارم، مهما أضافوا إلى قول الإيمان عمله.

٩ / ٢

٩- ﴿يَخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ بفارق أن الله لن يخدع مهما خدع بعض المؤمنين ﴿وَلَكِنْ﴾ ﴿مَا يَخْدَعُونَ﴾ كواقع منه ضار ﴿إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾ حيث يقعون في فخهم أنفسهم مطلقا، مهما انضروا به بعض المؤمنين هنا ﴿وَلَكِنْ﴾ ﴿مَا يَشْعُرُونَ﴾ خلفية خداعهم، تقصيرا منهم في هذه اللاشعورية.

١٠ / ٢

١٠- ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾: الكفر المنافق لألسنتهم ﴿فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ على مرضهم في نشأتهم" فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ" (٥: ٦١) ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ بما كانوا يكذبون ﴿نَفَاقًا عَارِمًا﴾ على مضاعف كفرهم.

١١ / ٢

١١- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بالنفاق المخادع الخالغ ﴿قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ مصلحة الحفاظ على الحياة الدنيا، إذ يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا و هم عن الآخرة هم غافلون" (٧: ٣٠) لذلك يحصرون الإصلاح في أنفسهم المفسدة، غفلة معمدة.

١٢ / ٢

١٢- ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: إفسادهم و كأنه إصلاحهم: "قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يَحْسِنُونَ صُنْعًا" (١٨: ١٠٣) فكأنما انحصر الإفساد فيهم لمضاعف كفرهم.

١٣ / ٢

١٣- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا﴾ حقا ﴿كَمَا آمَنَ النَّاسُ﴾ دون النسناس المتخلفين عن شرعة الناس ﴿قَالُوا أَوْ نُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾:

أخفة العقول إذ آمنوا ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَ لَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ إذ مسخت عقولهم فانقلبت عليهم أمورهم.

١٤ / ٢

١٤- ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا﴾: بما أمتتم به بل و زيادة ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ﴾ كافرين و منافقين، تخفياً عن المؤمنين ﴿قَالُوا﴾ لهم ﴿إِنَّا مَعَكُمْ﴾ في الكفر، و ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤْنَ﴾ بهم في لقاءهم ليظنوا أننا معهم.

١٥ / ٢

١٥- ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾: جزاء وفاقاً ﴿و﴾ هكذا ﴿يَمْدُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ و كأنهم على شيء مما كسبوا، مدا بمدّ "جَزَاءً وَفَاقًا" و في الآخرة أنكى.

١٦ / ٢

١٦- ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ﴾: البعيدة عن فطرتهم و عقولهم كما خلقنا ﴿بِالْهُدَى﴾ المنذمة فيهما، المهدية بشرعة الله ﴿فَمَا رِبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ﴾ بل هي خاسرة حاسرة متحسرة ﴿وَمَا كُنَّا مُهْتَدِينَ﴾ إلى صراط الحياة الحقبة بما قصروا.
البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤

١٧ / ٢

١٧- ﴿مَثَلُهُمْ﴾ الواقع مثال حق واقع ﴿كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ استنارة بها و إحراقا فإنه مثل النفاق ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ﴾ بغية النفاق ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ من تلك النار ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ﴾ باقية من نارهم ﴿لَا يَبْصِرُونَ﴾ بغيتهم، فهم في جحيم النار دون نور، و هكذا نار النفاق، فهم في النار في دار الفرار و دار القرار.

١٨ / ٢

١٨- ﴿صُمُّ﴾ لا يتكلمون ﴿بُكْمٌ﴾ لا يسمعون ﴿عُمًى﴾ لا يبصرون ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ إلى الحق المرام، إذ سدوا على أنفسهم منافذ البصيرة.

١٩ / ٢

١٩- ﴿أَوْ كَصَيْبٍ﴾ يصيبهم ﴿مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ﴾ كذلك النار النور، و لكنهم ﴿يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حُدُرَ الْمَوْتِ﴾ بذلك الصيب ﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ لا يذرهم كما يعنون إلا عناء.

٢٠ / ٢

٢٠- ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾ الكليلة الحيوانية، ﴿وَكُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ﴾ إلى بغيتهم ﴿وَإِذَا أَنْظَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ عنه، كما المنافق المستفيد من ضوء الإسلام، المدبر عن مشاقه ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ﴾ حتى لا يستفيدوا من ضوءه، تاركا إياهم في مقام الظلام دون أى ضوء، و لكنه لليوم الآخر الجزاء، و هنا الابتلاء ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

٢١ / ٢

٢١- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ كأصل في الخطاب، و معكم سائر المكلفين ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ حيث يريكم بخلق و تكميل، فإنه ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ اعبدوا "لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ" و "خَلَقَكُمْ .." لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ "فالتقوى هي غاية العبادة و الخلق، أضلاع ثلاثة لهندسة الإنسانية العليا، فالعبادة هي قاعدة الحياة الإيمانية غاية لخلقكم، تنتج تقوى قدرها، فأنتم المحتاجون إليها دون الله.

٢٢ / ٢

٢٢- ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾ على حراكها المعتدلة المعدلة، إذ "جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا" (٦٧: ١٥) بعد شماس ﴿و﴾ جعل لكم ﴿السَّمَاءَ بِنَاءً﴾ لا تسقط عليكم، فهما مأمن لكم أمين "رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرْوْنَهَا" (١٣: ٢) فثمّ عمد و لكن لا ترونها ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ قدر الحاجة الأرضية مهما يتداول من الأرض إليها و منها إليها ﴿فَخَرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ بعضا، و كلها في الجنة ﴿رِزْقًا لَكُمْ﴾ في الحياة الدنيا البلية ﴿ف﴾ بعد هذه النعم الناعمة ﴿لَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لَهُ أَضْدَادًا﴾

العبودية و سائر شئون الألوهية ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه - فقط - ربكم " وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ (٢٩: ٦١).

٢٣ / ٢

٢٣- ثم ﴿و﴾ بعد هذه البراهين التوحيدية، و برهنة القرآن نفسه على نزوله منه ﴿إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ في الخطوة الأخيرة من خطا التبيين عن كونه وحيا من الله، فإن القرآن نفسه و كتب الوحي قبله، و رسول القرآن نفسه، شهود ثلاثة قبلها، دليلا على وحيه: "أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَ رَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ .. (١١: ١٧) ﴿فَاتُوا بِسُورَةٍ﴾ كلمة تامة طامة ﴿مِنْ مِثْلِهِ﴾: مثل ما نزلنا من سائر الوحي، و مثل عبدنا من سائر العباد، ثم ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في تكذيبكم وحيه، ريبتكم فيه.

٢٤ / ٢

٢٤- ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾ كما لم تفعلوا ﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ تحديا يحيل أن تفعلوا حتى القيامة الكبرى ﴿فَاتُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ﴾ المكذبون لناصع الوحي ﴿وَالْحِجَارَةُ﴾ التي يعبدونها ﴿أَعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ من أمثالكم: إِنْكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ (٢١: ٩٨).

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٥

٢٥ / ٢

٢٥- ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ التي تصالح الايمان حيث تصلح له ﴿أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ﴾ بساتين بالتفاف أشجارها حيث تجن بعضها البعض ﴿تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ و هو أرضها ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا﴾ لأرواحهم و أجسامهم ﴿قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ إذ وعدناه من قبل، كما خلفنا فيه لما بعد، و بثالث تشابها بينهما مهما اختلفا في درجاتهما ﴿وَأُتُوا بِهِ﴾ رزقا هناك ﴿مُتَشَابِهًا﴾ مع ما هنا، كما و هى متشابهة مع بعضها البعض من حيث الجودة ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾ من أدناس الدنيا، للذكور مطهرة الإناث و للإناث مطهرة الذكور، و لكن الحور هى فقط للذكور ﴿وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ "عطاء غير مجدود".

٢٦ / ٢

٢٦- ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي﴾ من الحق ك ﴿أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا﴾ أيا كان ما هو حق ﴿بِعُوضَةٍ﴾ فى الصغر ﴿فَمَا فَوْقَهَا﴾ فيه أو فى الكبر ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ (٢٦)﴾ أيا كان لتشابه المغزى ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا﴾ على صغره إذ لا يروونه ببصائرهم، بل هى بأبصارهم الحيوانية الكليية، و هو ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾ لكن ﴿مَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ عن طورهم " فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم" (٥: ٦١).

٢٧ / ٢

٢٧- و هم هنا ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ فى فطرتهم و عقولهم و شرايعهم ﴿و﴾ لذلك ﴿يَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ كما و يصلون ما أمر الله به أن يقطع ﴿وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ بما يقطعون أو يوصلون ﴿أُولَئِكَ﴾ دون سواهم ﴿هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ أنفسهم و نفائسهم فى متجر الدنيا، مهما خسر من دونهم من الفاسقين.

٢٨ / ٢

٢٨- ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾ كفرا أو كفرانا، فكفروا بالله إذ تجعلونه سبب كفركم، حيث تكفرون أنفسكم عن الله، و تكفرون الله سترا هنالك عن أنفسكم ﴿وَالْحَالِ أَنْكُمْ﴾ كُنْتُمْ أَمْوَاتًا ﴿قَبْلَ أَنْ يَنْشِئَ مِنْكُمْ أَرْوَاحَكُمْ﴾: ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ .. (٢٣: ١٤) ﴿فَأَحْيَاكُمْ﴾ إِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةُ فِي بَطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا (٥٣: ٣٢) إِلَى أَنْ أَوْلَدَكُمْ مِنْهُمْ ثُمَّ بَلَّغَكُمْ لِحْدِ التَّكْلِيفِ ﴿ثُمَّ﴾ بعد فصل فاصل من زمن التكليف ﴿يَمِيتُكُمْ﴾ عن الحياة الدنيا إلى حياة برزخية ﴿ثُمَّ﴾ بعد فاصل البرزخ ﴿يُحْيِيكُمْ﴾ للحياة الآخرة ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ للحساب و خلفياته، فالحياة البرزخية تزول عند قيامة الإحياء صعقة: "وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ فِي قِيَامٍ يَنْظُرُونَ" (٣٩: ٦٨) فلا تزول عن بكرتها هناك، و إنما تصعق الأرواح باقية في أصل حياتها.

٢٩ / ٢

٢٩- ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ ضابطة الحل في كافة الأقوال و الاعمال: "خلق لكم جميعا" ما في الأرض جميعا" ﴿ثُمَّ﴾ بعد ذلك ﴿أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ وَ هِيَ دُخَانٌ ﴿فَسَوَّاهُنَّ﴾: السماء باعتبار مستقبلها: ﴿سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ دونما استثناء: "قُلْ أَيْنَ كُنْتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَ تَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ .. ثُمَّ أَسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَ هِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَ لِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ. فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَ أَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَ زِينَا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَ حِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ" (٤١: ١٢). ذلك، فلا أصل لأصالة الحظر، بل الأصالة إنما هي للحل إلا بدليل الحظر" وَ قَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ" (٦: ١١٩) فلا أصالة- إذا- لحظر أخباري او سلفي و هابي و من أشبهه.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٦

٣٠ / ٢

٣٠- ﴿وَ﴾ اذكر أنت يا رسول الهدى و سائر المخاطبين بالقرآن بداية خلقتكم ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ﴾ أنت بكامل التربية و شاملها القمة ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ﴾ هذه، أم و سائر الأرضين ﴿خَلِيفَةً﴾ تخلف أناسي و من أشبهه، منقرضين ﴿قَالُوا﴾ إِذْ فَهَمُوا معنى الخليفة أنها ليست خليفة الله نفسه و عودا بالله، بل خليفة المفسدين السافكين ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَ يَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ كما كان المستخلف عنهم ﴿وَ﴾ الحال أننا ﴿نَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَ نُقَدِّسُ لَكَ﴾ دونهم ﴿قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ﴾ من هذه الخليفة ﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ فالخلافة عن الله نفسه مستحيلة، و عن الجن و الملائكة غير موجودة.

٣١ / ٢

٣١- فلكي يعلموا من ذلك ﴿وَ عَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ و هي ككل كل ما دل على الله، و لكن ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ فرجوع ضمير العاقل إلى الأسماء، تدل على أنها الذوات العاقلة القمة ﴿فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ﴾ الأكارم لحد يبين لكم علما بها شبحا، دونهم كذواتهم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في تقدمكم بتقدسكم على هذه الخليفة، خلاف ما زعمتم.

٣٢ / ٢

٣٢- ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ﴾ من أن تجعل خليفة خليفة كمن انقضوا و أن نعلم ما لم تعلمنا، ف ﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ عليما و حكيما بما تفعل دون سواك، فهم بين قاصر او و مقصر.

٣٣ / ٢

٣٣- ﴿قَالَ يَا آدَمُ﴾ حيث علمناك الأسماء كلها ف ﴿أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ﴾ دون ذواتهم فإن لك حظوة منها دونهم ﴿فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ﴾ و منه العلم بكيان هذه الخليفة التي بقمته محمد و المحمديون

عليهم السّلام ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾ مما سألتهم ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ من تخيل فضلكم على هذه الخليفة جهلا و ما أشبهه، و أكرم الكتمان هنا ما كتبه إبليس عنهم من تكبره على الله، قياسا ضد حكم الله، فقد كان مخاطبا بينهم بظاهر أعماله الملائكية.

٣٤ / ٢

٣٤- ﴿وَأَذْكُرْ فِي شَأْنِ هَذِهِ الْخَلِيفَةِ وَأَنْتَ بِقَمَّتِهَا﴾ إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ ﴿سجدة الشكر لله لما جعله لكم معلما و قد علمناه أسماءنا كلها﴾ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ ﴿حيث كان بينهم بدليل: "ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك" (٧: ١٢)﴾ أَبِي ﴿عن السجود﴾ وَاسْتَكْبَرَ ﴿على آدم بل و على الله﴾ وَكَانَ ﴿قبلئذ و لما يستكبروا يأب﴾ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿ف عند الامتحان يكرم المرء أو يهان﴾.

٣٥ / ٢

٣٥- ﴿وَقُلْنَا﴾ بَلِيَّةٌ صَالِحَةٌ ﴿يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ قَبْلَ الْبَرْزَخِ وَالْآخِرَةِ، فَهِيَ مِنَ الْجَنَّةِ الدُّنْيَا السَّمَاوِيَّةِ ﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا﴾ وَاسْعَا ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا وَ﴾ لَكِنْ ﴿لَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ أَيَا كَانَتْ فَإِنَّمَا هِيَ الْمَنْهِيَّةُ، وَ لَا نَهَى مُطْلَقًا كَمَا لَا أَمْرٌ فِي جَنَّةِ الْبَرْزَخِ وَالْآخِرَةِ لَا تَقْرَبَا دَنَا فَأَكَلَا مِنْهَا ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ أَنْفُسَكُمَا.

٣٦ / ٢

٣٦- ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا﴾: الْجَنَّةُ ﴿فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ فِيهَا ﴿وَقُلْنَا﴾ لَهُمَا وَ لِلشَّيْطَانِ ﴿اهْبِطُوا مِنْهَا﴾ مَكَانًا وَ مَكَانَةً، حَالٌ أَنْ ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ مِبَاغُضَةٌ مِثْلَةٌ مَهْمَا كَانَتْ الْأَصْلُ بَيْنَكُمَا وَ بَيْنَ الشَّيْطَانِ، ثُمَّ ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ هَذِهِ الَّتِي تَهْبِطُونَ إِلَيْهَا مِنْ تِلْكَ الْجَنَّةِ ﴿مُسْتَقَرٌّ وَ مَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ الْمَوْتُ مُحَنَةٌ وَ إِبْتِلَاءٌ.

٣٧ / ٢

٣٧- ﴿فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ﴾ لِمَكَانِ رَبُّوبِيَّتِهِ الطَّلِيقَةِ، وَ هُنَا الْخَاصَّةُ ﴿كَلِمَاتٍ﴾ دَالَاتٌ عَلَى صَالِحِ التَّوْبَةِ ﴿فَتَابَ﴾ اللَّهُ ﴿عَلَيْهِ﴾ بِمَا تَلَقَّى ف ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ﴾ عَلَى عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ ﴿الرَّحِيمُ﴾ بِهِمْ، فَتَوْبَةُ الْعَبْدِ هِيَ بَعْدُ تَوْبَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ لِيَتُوبَ "ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا" (٩: ١١٨).

و الأسماء التي علمها آدم هي الذوات القدسية فوقه و فوق كافة القديسين، فهم محمد و المحمديون المعصومون، أشباحا قبل أن يخلقوا، كما و أن كلمات التوبة قد تكون أسماءهم أن تاب الله عليه بهم عليهم السلام، بعد أسماء الله و دعاء.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٧

٣٨ / ٢

٣٨- وَ كَانَهُمْ لَمَّا يَهْبِطُوا، أَمْ غَيْرِ الْهَابِطِ الْخَابِطِ هُوَ الشَّيْطَانُ ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ دُونَ الْبَعْضِ مِنْكُمْ فَقَطْ ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنْهُ هُدًى﴾ رِسَالِيَّةٌ يَحْمِلُهَا آدَمُ ﴿فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ﴾ هُنَا ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ مِنَ الْمُسْتَقْبَلِ ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ مِنَ الْمَاضِي "فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَ لَا يَشْقَى" (٢٠: ١٢٣).

٣٩ / ٢

٣٩- ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بِهَدَايَ ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ أَنْفُسِيَّةٌ وَ آفَاقِيَّةٌ ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ عَلَى طَوْلِ الْخَطِّ ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ مَا هُمْ خَالِدُونَ مَا خَلَدُوا فِي كُفْرِهِمْ وَ تَكْذِيبِهِمْ، جَزَاءً وَفَاقًا.

٤٠ / ٢

٤٠- و من هؤلاء الكفار المكذبين رغم ما أتاهم هداى، هؤلاء المخاطبون: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ و هو يعقوب النبى رأس السلسلة الإسرائيلية ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ سلبا لنعم و إيجابا لنعم من السلطة الفرعونية ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ فى فطركم و عقولكم و شرعنا، حتى ﴿أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ﴾ الذى عهدت لكم من جزاء وفاق ﴿وَأَيُّ﴾ لا سواى ﴿فَارْهَبُونِ﴾.

٤١ / ٢

٤١- ﴿و﴾ من عهد الشريعة البالغة ﴿أَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ﴾ قرأنا ﴿مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾ صدقه النازل إليكم ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ و عليكم لمعرفة الوحي أن تكونوا أول مؤمن به ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي﴾ القرآنية، ثم و التوراتية و ما أشبه حيث تدلكم على صدق الوحي القرآنى " لا تشتروا" بها ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ و كل ثمن بديلها قليل ﴿وَأَيُّ﴾ فقط ﴿فَاتَّقُونِ﴾.

٤٢ / ٢

٤٢- ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ لبسا على المجاهيل ﴿و﴾ لا ﴿تَكْتُمُوا الْحَقَّ﴾ هنا و هناك ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ إياه، بنفسه و بكتبكم.

٤٣ / ٢

٤٣- ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ كفر عين أصيلين من شريعة الله بعد إيمانهم بالله ﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ صلاة جماعة هى بعد فريضة فى شريعة القرآن، فلم يقل " اسجدوا .." لأنها تعم الصلاة إلى غيرها، بل " اركعوا" إذ يختص بها، و المعية الواجبة هى الجماعة فيها.

٤٤ / ٢

٤٤- ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ﴾ كالإيمان بالنبى الخاتم حسب البشائر التوراتية و ما أشبه ﴿وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾ فى تحقيقه و الالتزام به، جمعا بين ترك البر و الأمر به مما هو هزة بشرعة الله ﴿وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ فى ذلك البر و واجب الالتزام به ثم الامر به ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ الكتاب، و أن ذلك الأمر قد يكون أشد من النهى عنه، و لكن التأم و التناهى مفروض غير مفروض " كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه".

٤٥ / ٢

٤٥- ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ﴾ صمودا فى طريق الحق على عقباتها ﴿وَالصَّلَاةِ﴾ استقامة فى ذكر الله بمخلفاته ﴿وَأَنَّهُ﴾ الاستعانة بهما، و كما الإستغاثة بالصلاة ﴿لَكَبِيرَةٍ﴾ هى ثقيلة و عتب ﴿إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ بقلوبهم لله، حيث تخلف الصالح منهما و الاستعانة بهما.

٤٦ / ٢

٤٦- و هم ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ﴾ فى قلوبهم، و هو من مراقى علم العقل، أن يترجح الحق عند قلوبهم، فيتأرجح الباطل عندها، فأولئك هم المستعينون بهما، فلا يعنى الظن هنا علما حتى يخلط بينهما، بل هو ظن القلب بقرينة "الخاصين" حيث الخشوع هو فى القلب كما الخضوع للقلب، و قليل من العالمين بعقولهم، هم خاشعون بقلوبهم ﴿وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾.

٤٧ / ٢

٤٧- ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَ﴾ من أبرزها الحاضر ﴿أَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ طول زمن الوحي معكم و السابق عليكم، دون الوحي القرآنى السامى، حيث القرآن و محمد صلى الله عليه و آله هما آخر الفضل و أفضله من الله.

٤٨ / ٢

٤٨- ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي﴾ كفاية ﴿نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يَقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةً﴾ عن نفسها بشافع إلا ما يأذن الله و يرضى ﴿وَلَا يُوْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ بديل عنها، ثم ﴿وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ إذ لا يصلون بذات أنفسهم لنصرة ربانية فضلا عن غيرها.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٨

٤٩ / ٢

٤٩- ﴿وَاذْكُرُوا﴾ إِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ ﴿وَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجَلَّوْزَتُهُ وَاتَّبَاعُهُ، حَالُ أَنَّهُمْ﴾ يَسُومُونَكُمْ ﴿إِلْجَاءُ﴾ سُوءِ الْعَذَابِ ﴿وَمِنْهُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا﴾ يَذْبَحُونَ أَبْنَاءَكُمْ ﴿ذَبَحًا بِمَادَتِهِ وَمدته بكثرة حتى لا يولد فيكم موسى كجبهة معارضة﴾ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ﴿بذبحين آخرين هما إبقائهن أحياء خادمتان، وإزالة الحياء منهن جنسيات﴾ ﴿وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ﴾ إبتلاء الامتحان ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ حيث يربيككم ببلائه، لم يسدهم عنكم ﴿عَظِيمٌ﴾.

٥٠ / ٢

٥٠- ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ﴾ بواسطة الرحمة عليكم إنجاء من آل فرعون ﴿الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَاعْرِفْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَ أَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ إلى نجاتكم و غرقهم في ذلك البحر و هم أقوى منكم و أغوى.

٥١ / ٢

٥١- ﴿وَإِذْ وَاْعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ متلفعة من ثلاثين ثم عشا: "وَ وَاْعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَ أَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ" (٧: ١٤٢) ﴿ثُمَّ﴾ بين هذه الأربعين و هو بعد الثلاثين إذ تأخر موسى عن رجوعه ﴿اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ إلها تعبدونه ﴿وَالْحَالُ﴾ أَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿أنفسكم و شرعة الله بعد هذه النعم الخارقة لعادتها.

٥٢ / ٢

٥٢- ﴿ثُمَّ﴾ بعد اتخاذكم العجل ﴿عَفَوْنَا عَنْكُمْ﴾ بَأْن "فَأَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ" ﴿من بعد ذلك﴾ "التخلف العارم" ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ إياه، عفوا عنكم، رجعا إلى شرعتكم، فإن المرتد عن فطرة قد يقتل دون بديل و قد أمرتم بديله أن تقتلوا أنفسكم.

٥٣ / ٢

٥٣- ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَ الْفُرْقَانَ﴾ الفارق بين وحى الرحمن و وحى الشيطان ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ إلى الرحمان، و لكن القرآن مجمع الكتاب و الفرقان لأنه بنفسه فرقان أقوى و أبقي من سائر الفرقان.

٥٤ / ٢

٥٤- ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ بأمرنا ﴿يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا﴾ رجوعا ﴿إِلَى بَارِئِكُمْ﴾ حيث برأكم خلقا من تراب دون شريك، فبرأكم فطرة و عقلية و شرعة عن أى إشراك بتوحيده، أن ﴿فَأَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ إياكم و من هو كأنفسكم دون مهابة و لا محابة ﴿ذَلِكُمْ﴾ القتل القاتل ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾ من أن تظلوا منحرفين بما عبدتم العجل "خير لكم" ﴿عِنْدَ بَارِئِكُمْ﴾ فقتلتهم أنفسكم كما أمرتم ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ بما تبتنم - كما أمر - إلى بارئكم ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ﴾ كثير الرجوع على عبيده الراجعين إليه ﴿الرَّحِيمُ﴾ فى ذلك بهم.

٥٥ / ٢

٥٥- ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ﴾ إحالة عملية ﴿حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً﴾ أنه الموحى إليك بما تدعيه ﴿فَأَخَذْتَكُمْ الصَّاعِقَةَ﴾ تأديبا أرييا ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ إلى تلك الأخذة الربابية حتى صعقتهم: فَقَالُوا أَرَنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمْ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ .. (٤: ١٥٣).

٥٦ / ٢

٥٦- ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ بالصعقة ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ رحمته المتواترة و ذلك البعث مما يدل على إمكانية و بأحرى ليوم الجزاء.

٥٧ / ٢

٥٧- ﴿وَ﴾ ثم فى التيه ﴿ظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ﴾ حفاظا لكم عن الشمس غماما ﴿وَ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ﴾ ما يمن به من رزق ﴿وَ السَّلْوَى﴾ ما يسليكم عن الاضطراب، قائلين بما أوحى إلى موسى ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ رزقا طيبا لا خبث فيه ﴿وَ مَا ظَلَمُونَا﴾ فى افتعالاتهم إذ لا ينتقص منا أبدا ﴿وَ لَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ فى النشأت الثلاث فى ثلوثه بأنفسهم و سواهم، و بشرة الله حيث هى لصالحهم ذلك، فالأكل المسموح، تصرفا فى رزق الله ككل، ليس ألا من الطيبات دون الخبائث، كأصل فى كل تصرف مما فى الأرض.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٩

٥٨ / ٢

٥٨- ﴿وَ إِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾: القدس و فيها العمالقة المشركون حيث احتلوها، و ذلك بعد اختتام تيههم فى التيه ﴿فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾ كثيرا طيبا ﴿وَ ادْخُلُوا الْبَابَ﴾ للقدس ﴿سُجَّدًا﴾ لله خضعا ﴿وَ قُولُوا حِطَّةٌ﴾: رب حطأ عنا خطايانا، ف ﴿نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَ سَنَزِيدُكُمْ غَفْرًا﴾ ﴿الْمُحْسِنِينَ﴾ ما أحسنوا فى حطتهم و سواها علما و معرفة و عملا صالحا.

٥٩ / ٢

٥٩- ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا﴾ أمرناهم به و هو "حِطَّةٌ" ﴿غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ إذ غايته معنويا بلى فى التعبير كحنطة و ما أشبه ﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ منكم، لا كلكم ﴿رِجْزًا﴾ عذابا ثقيلا رجسا ﴿مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا﴾ على طول الخط ﴿يَفْسُقُونَ﴾ قولا و عملا.

٦٠ / ٢

٦٠- ﴿وَ إِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ فى تيه التيه ﴿فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ المعين فضربه بها ﴿فَانفَجَرَتْ مِنْهُ﴾: الحجر ﴿اِثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ﴾ من الأسباط ﴿مَشْرَبَهُمْ﴾ الخاص بهم بما قرر، و قيل لهم ﴿كُلُوا وَ اشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ﴾ منا و ماء ﴿وَ لَا تَعْتَوُوا﴾ ساعين ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ التى تسكنونها حالكونكم ﴿مُفْسِدِينَ﴾ فيها بعد تواتر هذه النعم بآياتها الخارقة للعادة.

٦١ / ٢

٦١- ﴿وَ إِذْ قُلْتُمْ﴾ فى التيه ﴿يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ﴾ فيه منا و ماء ﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ كأنه ليس ربهم بل هو- فقط- ربه، و لهم رب آخر، أوهم أرباب لأنفسهم، فلما ذا- إذا- يطلبون إليه أن ﴿يَخْرِجَ لَنَا مِمَّا تُنْتَبِئُ الْأَرْضُ﴾ بطبيعة حالها الزراعية فى المعمورات ﴿مِنْ بَقْلِهَا وَ فِثَائِهَا وَ قُومِهَا وَ عَدْسِهَا وَ بَصِلِهَا﴾ و ما أشبه ﴿قَالَ أ تَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى﴾ كما ذكرتم على صعوبته و هو أدنى ﴿بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ بسهولة و طهارته، إذا ف ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ﴾ فيه ﴿مَا سَأَلْتُمْ وَ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ وَ الْمَسْكَنَةُ وَ بَاؤُوا﴾ رجعوا ﴿بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾ ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ﴿مِثْلَ مَا ذَكَرُوا﴾ و ما أشبه، كما ﴿و يَقْتُلُونَ النَّبِيَّاتِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ تأكيداً لظلمهم فى قتلهم، سابقين و حاضرين و لاحقين، قتلا لأبدانهم أو رسالاتهم و هو أقتل و أعتل، ﴿ذَلِكَ﴾ الضرب فى الذلة و المسكنة عليهم ﴿بِمَا عَصَوْا وَ كَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ فقد تشملمان كافة العصاة المعتدين، كما و تزولان عنهم إذ تركوها: "ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنَ مَا تُقَفُّوا" وجدوا ملاحقين "إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ" إيماننا صالحا بالله و حبل من

الناس "توحيدا بينهم وإياهم" و بَأُوْ يُغَضِبُ مِنَ اللَّهِ وَ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ مُطلقاً ذلكَ بَأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَ يَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَ كَانُوا يَعْتَدُونَ" (١١٢: ٣)

إذا فالذلة و المسكنة المضروبين على اليهود لا تخصهم لأنهم هود، كما "الصَّالِّينَ" فى "وَلَا الضَّالِّينَ" ف "لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَ هُمْ يَسْجُدُونَ. يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ يسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَ أُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ. وَ مَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يَكْفُرُوهُ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ" (١١٥: ٣).

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ١٠

٦٢ / ٢

٦٢- ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالرسالة القرآنية ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾: رجوعا إلى الحق و الحرية عن أسر فرعون، ثم رجوعا إلى الباطل كأكثرهم و هم- ككل- اليهود ﴿وَالنَّصَارَى﴾ " قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ " (١٤: ٦١) و قد لحقهم النصارى أجمع ﴿وَالصَّابِئِينَ﴾ حيث خلطوا بين حق الوحى و باطل ﴿مَنْ آمَنَ﴾ منهم و سواهم حيث آمنوا: ﴿بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ مهما كانت له درجات ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ لإيمانه ﴿فَلَهُمْ﴾ كلهم دون اختصاص بالأولين ﴿أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ مما بعد موتهم ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على ما حرموا عنه إذ آمنوا، مما يدل على أن الأصل الأصيل هو الإيمان و عمل الصالحات مهما اختلفت درجاته.

٦٣ / ٢

٦٣- ﴿وَ إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ على شرعة التوراة ﴿وَوَعَدْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ﴾ النازل فيه على موسى التوراة، قائلين ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ كما نحن أخذون الطور بقوة، خذوه بقواتكم قدر المستطاع ﴿وَ اذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ علميا فعقيدا فعلميا ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ محاذير التغافل عنها.

٦٤ / ٢

٦٤- ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ بعد اللتيا و التى ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ التذكر برفع الطور ﴿فَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ﴾ أن أبقاكم برحمته و لطفه ﴿لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ " الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَ أَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " (١٥: ٣٩)

٦٥ / ٢

٦٥- ﴿وَ لَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ﴾ حيث احتالوا فى صيد حيتانهم، حيلة على الله! ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ﴾ قول تكوين ﴿كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ بعيدين عن رحمة الله بأبدانكم، و أرواحكم إنسانية، حيث المخلوق بجزئية أو المتحول فيهما قرده غير خاصة.

٦٦ / ٢

٦٦- ﴿فَجَعَلْنَاهَا﴾: قردتهم الخاصة ﴿نَكَالًا﴾ و منعة ناكلة حاجزة ﴿لَمَّا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾ من المحتالين الحاضرين ﴿وَ مَا خَلْفَهَا﴾ المستقبلين منهما حيث يخلفون خلفهم، ثم ﴿وَ مَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ الجيل، اتعاضا لهم حتى يواصلوا فى تقواهم، خروجا عن طغواهم.

٦٧ / ٢

٦٧- ﴿وَ﴾ اذكروا ليذكروا أجمع بذكريات أصلية و فرعية ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ المتدارئين فى قصة القتل المتردد بينهم ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ أية بقرة كانت، و لأنهم "أَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ" (٩٣: ٢) و لأنه لا صلة ظاهرة بين قتل بقرة و تبين القاتل، لهذه و تلك انبروا و ﴿قَالُوا أ تَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ﴾ الذى أمرنى بذلك أ ﴿نَ أَكُونُ﴾ كرسول

﴿مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ حيث الاستهزاء الخاوى هو من شيمة الجاهلين، فقد حسبوا وحى الله إلى موسى لصالحهم استهزاء، فما لهم أين يذهبون.

٦٨ / ٢

٦٨- و لو قتلوا بقرة لكانت هي المبتناة و لكنهم لجؤا فزادها الله قيودا إذ ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ كأنه ليس ربهم ﴿يَبِينُ لَنَا مَا هِيَ﴾ ماهية بخاصة تجاهلهم عن كونها بقرة ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ﴾ فرضا و قطعاً لعمره لكبره ﴿وَلَا يَكُرُّ﴾ في العمر، و عن الحرث و عن الفحل ﴿عَوَانُ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾ دون تسائل عن قيود غير معينة، فليذهب المطلق مذهبه الطليق دون نظرة قيده.

٦٩ / ٢

٦٩- ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ و هو بعد كأنه ليس ربهم ﴿يَبِينُ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفَرَاءُ فَاقِعُ لَوْنُهَا﴾ صادق الصفرة و معها لحد ﴿تَسْرُّ النَّاطِرِينَ﴾ مما يشهد لرجاحة الصفر للنظر، فالبقرة الصفراء، فاقع اللون، هي تسر الناظرين، مهما كان الأخضر أسراً للبصر في دوامته كما في النباتات و في إطلاق "بقرة" و وحى الله، بيان لا حول عنه و دليل على عدم انتظار لقيود و لا احتياط فانه تعالى أحوط على حكمه منا، و لان القرآن "بيان للناس" فكل مطلقاته و عموماته في مقام البيان، فلا تقيد الا بنص من القرآن نفسه.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ١١

٧٠ / ٢

٧٠- ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يَبِينُ لَنَا مَا هِيَ﴾ في كل القيود، ف ﴿إِنَّ الْبَقَرَ﴾ جنسه المطلوب قد ﴿تَشَابَهَ عَلَيْنَا﴾ ويكأن الله يجعل تشابها فيما يريد ﴿وَأَنَا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ إلى مشيئة الله، و كأنهم أحوط من الله في تحقيق مراده، فيطلبون قيودا تركه الله غفلة أو جهلا أو تسامحا!.

٧١ / ٢

٧١- ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ﴾ من الذل أمام الشمس ﴿تُثِيرُ الْأَرْضَ وَ لَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلِّمَةٌ﴾ عن كافة العيوب، جميلة ﴿لَا شِيَةَ فِيهَا﴾: لا تشوبها علامة ﴿قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾ فما قبل الآن جئت بباطل ﴿فَذَبْحُوهَا وَ مَا كَادُوا يَعْلَمُونَ﴾ بما قدمناه من نحوستهم، لثاوث بخوستهم، حبا للعجل، و بخلا عن تضحية، و استبعادا لصلة بينه و بين تبين القاتل.

٧٢ / ٢

٧٢- ﴿وَ﴾ بعد ما ذبحوه ﴿إِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ﴾ دافعتم فيما بينكم اختلافا ﴿فِيهَا وَ اللَّهُ مُخْرِجُ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ هكذا الذي تستجهلون حيث:

٧٣ / ٢

٧٣- ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ﴾ القتل المدارأ فيه ﴿بِبَعْضِهَا﴾ الذبيحة، و اعلموا أنه ﴿كَذَلِكَ﴾ البعيد عنكم القريب عند الله ﴿يَحْيَى اللَّهُ الْمَوْتَى﴾ في الأخرى كما هنا ﴿وَ يَرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ هنا في أصول و فروع ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ شهود العيان بعد كامل البيان، فقد أراد الله في ذلك الذبح- فيما أراد- ليروا حياة ميت بمس ميت آخر فلا يستبعدوها، و هنا أن علينا تعريف الحق لمنكره بوسيلة وصيلة هو يحتاجها بجهة أخرى، اجتياحا لنكرانه بما يحتاجه، احتياجا لعرفانه بما يجتاحه، خرقا لما تعودوا عليه من نكران الإحياء يوم الأخرى.

٧٤ / ٢

٧٤- ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ أقسى مما كانت، إذا ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ منها، إذ ﴿وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ﴾ دون قلوبهم الفاجرة غير المتفجرة بالإيمان، كما ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْفَقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ﴾ كما ﴿وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ و أنتم أشد قسوة منها كلها حيث لا تلين قلوبكم كإحدى هذه ﴿وَ مَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ من تحجراتكم القاسية الراسية.

٧٥ / ٢

٧٥- ﴿أ﴾ بعد كل هذه القساوة العاصية ﴿فَتَطْمَعُونَ﴾ أنتم المسلمين ﴿أَنْ يُؤْمِنُوا﴾ هؤلاء الأنكاد البعاد ﴿لَكُمْ﴾ لصالحكم، دون نفاق، و بكل وفاق، و هم لم يؤمنوا بشرعتهم أنفسهم: ﴿وَ قَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ تورا ﴿ثُمَّ يَحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ﴾ تحريفهم فتخريفهم، إذ إن أتباعهم كانوا يتابعونهم فيما هم فيه، قسوة قسوة.

٧٦ / ٢

٧٦- ثم و هم ينافقون كتابيا: ﴿وَ إِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالقرآن ﴿قَالُوا آمَنَّا﴾ بما فتح الله علينا فى بشارات، و لكنهم ﴿وَ إِذَا خَلَا بِضَعْثُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ منهم أولاء الأنكاد الأغباش ﴿قَالُوا﴾ لهم البعض الآخر، كما قال لهم البعض الأول ﴿أُتُحَدَّثُونَهُمُ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ فى بشارات محمدية، إذ كانوا "يعرفونه كما يعرفون أبناءهم" (٢: ١٤٦) تحدثونهم ﴿لِيَحْجُوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ هنا و فى الأخرى فأنتم - إذا- محجوجون به ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ سياسة الحقائق، فإن الغاية تبرر الوسيلة! فتلك هى حسيطة كل وسيلة و منها نكران "بما فتح الله عليكم".

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ١٢

٧٧ / ٢

٧٧- ﴿أ﴾ لا يعلمون ان منهم عالمين بما فتح الله به عليكم ﴿وَ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ﴾ من بشارات و سواها ﴿وَ مَا يُعْلِنُونَ﴾ منها، و كما "يعلم ما يسرون" من كفر و نكران" و ما يعلنون" من ظاهر الإيمان.

٧٨ / ٢

٧٨- ﴿وَ مِنْهُمْ أُمِّيُونَ﴾ عن كتاب الشرعة الربانية ف: ﴿لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي﴾: أمنيات و تخيلات كاذبة لهم و من علمائهم الخونة العملاء ﴿وَ إِنْ هُمْ﴾ من علم الكتاب ﴿إِلَّا﴾ أنهم فقط ﴿يُظُنُّونَ﴾ تلك الظنون الكاذبة المأمولة، المتهوسة فى هذا البين عالما و معلما.

٧٩ / ٢

٧٩- ﴿قَوْلِ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ﴾ كأنهم كتاب وحي ﴿بِأَيْدِيهِمْ﴾ من عند أنفسهم و أياديهم تحريفا و تجديفا، دون أيدى الوحي الرسولى أو الرسالى ﴿ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا﴾ الذى هم كاتبوه هو ﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ و كل ما هو غير كتاب الله بديله ثمن قليل ﴿قَوْلِ لَهُمْ مِمَّا كَتَبْتُ أَيْدِيهِمْ﴾ تخويلا ﴿وَ وَيْلٌ لَهُمْ﴾ بعد ﴿مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ به فى تجارتهم الخاسرة فحياتهم هى حياة ويلات و نكبات.

ذلك، فكافة الايدى و الايادى و القوات الكاتبة، المنفصلة عن الوحي، هى غير حجة، و كما نسبتها الى الوحي تدجيل و إدغال، و الوحي الخالص هو كتاب الله و سنة رسول الله صلى الله عليه و آله فحسب.

٨٠ / ٢

٨٠- ﴿وَقَالُوا﴾ فيما قالوه بأفواههم ﴿لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ﴾ إن مستنا ﴿إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾ عدد الأيام التي عبدنا العجل و ما أشبهه، عديد بعيد رغم عمق أثامهم حيث تقتضى الخلود ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا﴾ بتلك المساواة غير العادلة ﴿فَلَنْ يَخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ﴾ كلا ﴿أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أمانى و إن أنتم إلا نزنون.

٨١ / ٢

٨١- ﴿بَلَى﴾ تلك المساواة العددية باطلة، إذ ﴿مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ بطبيعة الحال ﴿أَحَاطَتْ بِهَا خَطِيئَتُهُ﴾ دون توبة، بل و فى قوله غولة مغرورة تثبت عليها ﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ هنا و فى البرزخ و القيامة ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ خلود سيئتهم المحاطة بخطيئتهم دون لا نهاية كما تزعم، فإن "جزاء سيئة بمثلها" (٤٢: ٤) و لا مماثلة بين السيئة المحدودة بطبيعة الحال و العقوبة اللانهائية.

٨٢ / ٢

٨٢- ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ لإيمانهم ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ خلودا كخلودهم فى إيمانهم و عمل الصالحات "لهم ما يشاؤون فيها و لدينا مزيد" (٥٠: ٣٥) عطاء غير مجذوذ (١١: ١٠٨) حيث الفضل هو فوق العدل، و زيادة الجزاء على السيئة هى دون العدل.

٨٣ / ٢

٨٣- ﴿وَأَذْكُرْ﴾ و ليذكر من سواك ﴿إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ﴾ و هو رأس زاويته، و من زواياه ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ قدر ما لا يسىء إلى الحق و أهله، كما ﴿وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ كما تحسنون عمليا، أم و لأقل تقدير قولوا لهم حسنا، و الإنفاق بمنّ أو أذى إساءة ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ حفاظا على الرباطين ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ﴾ فـ "مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ" (٧: ١٥٩) ﴿وَأَنْتُمْ﴾ الأكثرية ﴿مُعْرِضُونَ﴾ عن تطبيق عهد الله، بل و عن الإقرار و الإيمان و الوصية به.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ١٣

٨٤ / ٢

٨٤- ﴿وَأَذْكُرُوا أَنْتُمْ الْإِسْرَائِيلِيُونَ﴾ طائفة مختلفة ﴿إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ سلبيا و إيجابيا على عشرة كاملة هى ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾ أنفسكم انتحارا تسببيا لقتلكم، أو أنفسا كأمثالكم ﴿وَلَا تَخْرُجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ﴾ كما السفك ﴿ثُمَّ أَقَرَرْتُمْ﴾ ميثاقكم ﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ كلا الميثاق و الإقرار.

٨٥ / ٢

٨٥- ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ﴾ فأنتم الحاضرون كهؤلاء الغائبين ﴿تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ كما كانوا يقتلون ﴿وَتَخْرُجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ كما كانوا يخرجون، حال أنكم ﴿تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ معتدين بمراحله ﴿وَإِنْ يَأْتُواكُمُ أُسَارَىٰ﴾ فى هذه المظاهرة ﴿تُفَادُوهُمْ﴾ بمال بدل الأسر ﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾ عن بيوتهم دون مبرر فضلا عن أسرهم فمفاداتهم ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ﴾ مثل حق المفادة ﴿وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضِ﴾ آخر، كالمظاهرة الظالمة ﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ قضية ظلم بعضكم بعضا ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَرَدُّونَ﴾ من ذلك الخزي ﴿إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾ و ما الله بغافل عما تعملون ﴿حيث الغفلة كتغافل عن الظلم تخلف عدم الجزاء.

٨٦ / ٢

٨٦- ﴿أُولَئِكَ﴾ الأنكاد هم ﴿الَّذِينَ اشْتَرَوْا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ و كلها دنيا ﴿بِالْآخِرَةِ﴾ اشتراء الحياة الدنيا بنكران بعض الكتاب، فهم لا يتبعون - إذا - إلا أهوائهم ﴿فَلَا يَخَفُّ عَنْهُمْ الْعَذَابُ﴾ إذ أثقلوا سببه ﴿وَلَا هُمْ يَنْصُرُونَ﴾ إذ ما نصرُوا الحق بل خالفوه، و إنما يجزون جزاء وفاقا دون أى إرفاق.

٨٧ / ٢

٨٧- ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَ قَفَيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ﴾ الإسرائيليين، قضية ﴿وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ﴾ و هو خاتمهم ﴿وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَ فَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ﴾ كالْمَسِيح (ع) و هو من الرسل الإسرائيليين فضلا عن محمد (ص) الإسماعيلي ﴿اسْتَكْبَرْتُمْ﴾ على حق الرسالة ﴿فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ﴾ فيما مضى كما و تكذبون محمدا ﴿وَفَرِيقًا﴾ كنتم ﴿تَقْتُلُونَ﴾ و كما أنتم تقتلون رسالاتهم بعد ارتحالهم.

٨٨ / ٢

٨٨- ﴿وَقَالُوا﴾ فيما قالوه، ضد الرسائل التي لا تهواها أنفسهم ﴿قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ لا تحوى ما تقولون، فنحن إذا معذورون ﴿بَلْ﴾ ليس ذلك غلف العذر بل هو غلف الغدر إذ ﴿لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ طبعاً على قلوبهم ﴿فَقَلِيلًا﴾ ما يؤمنون ﴿قدر غير المطبوع من قلوبهم﴾.

و ذلك هو العذر الغادر بعد تمام الحجة و بلوغ المحجة، و كما "قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ" (٩١: ١١) بالرغم من أن فقه القول الرسولى و الرسالى هو أفضقه الأقوال فى كل مجال، حيث الرسائل الربانية هى بينات لا خفاء فيها، و إلا كانت لجة بدل كونها حجة، و قد أبتلى جمع من المسلمين المتظاهرين بالعلم و الفقه بالقول: أننا لا نفقه القرآن، لأنه فوق عقولنا، بالرغم من أنه أبين البينات: "هذا بيان للناس و هدى و موعظة للمتقين" (٣: ١٣٨) فاعتبار خفاءه إخفاء و إضلال و طغوى و كتمان لما أنزل الله، "إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَ يَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ" (٢: ١٥٩).
البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ١٤

٨٩ / ٢

٨٩- ذلك! ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾: القرآن ﴿مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾ من صادق الوحي فيه و بشائره بحق محمد و القرآن ﴿وَالْحَالِ أَنَّهُمْ﴾ كانوا من قبل ﴿أَنْ يَجِئَهُمْ ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ يستفتحون على الذين كفروا: المشركين و الملحدين و الموحدين غير الكتابيين، استفتاحاً باستمرارية الوحي إلى وحي القرآن ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾: "الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ" (٦: ٢٠ و ٢: ١٤٦) ﴿فَلَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ كفرا بالحق، و كفرانا بنعمته و عندهم حجة الايمان بالحق.

٩٠ / ٢

٩٠- ﴿يُسَمَّا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾ حيث اشتروها بثمان بخس هو الدنيا بشهواتها ﴿أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ و هم متصلبون على استمرارية الرسالة الإسرائيلية ﴿فَبَاؤُا﴾ راجعين ﴿بِغَضَبٍ﴾ نكرانا لما استفتحوها به من بشائر التوراة ﴿عَلَى غَضَبٍ﴾ هو نكران هذه الرسالة المبشر بها حسدا من عند أنفسهم ﴿وَاللَّكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ و كما أهانوا الحق، جزاء وفاقا.

٩١ / ٢

٩١- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ قرأنا ذا دليلين لوجيه ﴿قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنزَلَ عَلَيْنَا﴾ كما نهواه، دون النازل علينا من هذه الرسالة المحمدية الإسماعيلية، الخارجة عن قوميتنا ﴿وَ﴾ الحال أنهم ﴿يَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ﴾: القرآن المهيمن عليه ﴿وَ هُوَ الْحَقُّ﴾ كله بعده، حقيقا بالاتباع مهما كان ما أنزل من قبله أيضا حقا من الله، و لكنه بعضه كما يناسب الشرعة الإسرائيلية المحدودة بزمن "هُوَ الْحَقُّ" كله، حال كونه ﴿مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ﴾ من بشائره، و لسائر وحيه الربانية، مهما يكذب دخيلاته ﴿قُلْ﴾ إن تؤمنوا بما أنزل عليكم ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ﴾ و هو مستمر فى قتل نبواتهم، و صمام الإرادة فى قتلهم إن كانوا ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ كما تدعون بوحي الله و رسالاته.

٩٢ / ٢

٩٢- ﴿وَ لَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ﴾ المتنوعة ﴿ثُمَّ﴾ بعدها ﴿اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ إذ تأخر عن الطور ﴿وَ أَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ أنفسكم و الحق و أهليه، رغم كافة الآيات و الكرامات الربانية.

٩٣ / ٢

٩٣- ﴿وَ﴾ اذكروا كسائر المكلفين ﴿إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ على التوراة ﴿وَ رَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ﴾ تخويفا أن ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ الأرواح و الأبدان، كما رفعنا فوقكم الطور بقوة ربانية ﴿وَ اسْمَعُوا﴾ ما فيه سمع تفهم و طاعة و تطبيق، و لكنهم ﴿قَالُوا سَمِعْنَا﴾ بأذاننا ﴿وَ عَصَيْنَا﴾ بقلوبنا و أعمالنا ﴿وَ أَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ﴾ و كما عبده و ما كانوا يذبجونه فى حاجتهم، و منها "إِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا" و أشربوا "يَكْفُرِهِمْ" تخييرا دون تسيير ﴿قُلْ يَسْمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيْمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ بالله حيث تخالفون صالح الإيمان إلى طالح هو قضية الكفر، فايما نكم- إذا- كفر، كإيمان النفاق لذلك، فكافة القوات المعطاة، و التى بالإمكان الحصول عليها، لا بد من استخدامها للحفاظ على المعطيات الربانية فى شرعته، و "بِقُوَّةٍ"- تنكيها- تستوعب كافة القوات و منها الحياة بأصلها، جهادا فى سبيل الحفاظ على شرعة الله، علما- عقيدة- عملا و نشرا قدر الإمكان، و الله هو المستعان.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ١٥

٩٤ / ٢

٩٤- ﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ﴾ كما تدعون و تهوون، مطمئنين على هذه الأدنى بغية خير الأخرى، على صعوبات الأولى، إذا ﴿فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ﴾ تخلصا عن الأدنى إلى الأعلى ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيما تدعون.

٩٥ / ٢

٩٥- ﴿وَ لَنْ يَتَمَنَّوَهُ﴾ إحالة باختيار ﴿أَبَدًا﴾ ما هم أحياء ﴿بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ من هادم لذات الأخرى ﴿وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ فى أعمالهم و أقوالهم الخواء الجوفاء، و كما هم يعلمون، و تمنى الموت لا يعنى فعله بما يسببه فإنه انتحار و قتل نفس لا يبرئه شىء. و إنما هو ترجيح لذلك الموت الذى بعده حياة طيبة، حيث تخلص لهم الدار الآخرة أو هى لهم دون عذاب، و مما يقتضيه ذلك التمنى المسارعة فى الخيرات ما دامت الحياة، بل و استمرارية الحياة التى تقدم لهم حسنى الحياة الأخرى.

٩٦ / ٢

٩٦- ﴿وَ لَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ﴾ مطلقا ﴿عَلَى حَيَاةٍ﴾ ما مهما كانت دنيئة، و أحرص ﴿وَ مِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ بفارق أنهم يعتقدون الأخرى دون المشركين ﴿يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يَعْمُرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ تأخيرا عن عذاب الأخرى ﴿وَ مَا هُوَ﴾ ذلك التعمير ﴿بِمُزْجِجِهِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ الحادق عليه ﴿أَنْ يَعْمَرَ﴾ ألفا أو يزيد ﴿وَ اللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ مهما عمروا قصيرا أو طويلا و كما يهوون.

٩٧- ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾ النازل بهذه البينات عليك يا محمد و هم منزعون ﴿فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ دون هواه ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من كتب الوحي، في أصله و تبشيره بهذا القرآن ﴿وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ بالله، فعداوة لجبريل النازل بوحي الله بإذنه عداوة لله! و:

٩٨- ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ﴾ يعاديه على علم أو جهل مقصر بعداء وجوده أو توحيده أو أفعالا منه ﴿وَمَلَائِكَتِهِ﴾ الرسل إلى المرسلين أو الموكلين لأوامر الله ﴿وَرُسُلِهِ﴾ من ملائكة أو البشر ﴿وَلَا سِيْمَا﴾ جِبْرِيلَ وَ مِيكَالَ ﴿لَأَنَّهُمَا أَعْظَمُ مَلَائِكَةَ اللَّهِ، مَرْسَلِينَ بِرِسَالَاتٍ مِنَ اللَّهِ﴾ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لَـ ﴿الْكَافِرِينَ﴾ عداة بعداء.

٩٩- ﴿وَلَقَدْ﴾ بتأكيدين ﴿أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ لا غبار عليها دلاليا و مدلوليا ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾ حيث فسقوا عن الحق، و انقلبوا عن حكم الفطرة و العقلية السليمة و الشرعة الربانية.

١٠٠- ﴿أُ﴾ يكفرون بها ضدها، ثم ﴿وَكَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ﴾ رفضا أعمى ﴿فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ رغم وجود دلائل الايمان، و أقل يؤمنون بها، و الأكثرية بين جموع المكلفين، هي فاسقة كافرة، و هي بين المؤمنين أيضا لا يعتمد عليها لأن العدول قلة قليلة.

١٠١- ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ ببراھين الصدق، و الحال كونه ﴿مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾ مما نزل من عند الله دون ما اختلقوه ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ رغم علمهم بوحي الكتاب ﴿كِتَابَ اللَّهِ﴾ الأصيل: القرآن، و الدليل عليه وحيا و هو سائر الكتب السماوية ﴿وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ طردا له ﴿كَانَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن القرآن وحى و هم عشيرو الوحي الأدنى منه.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ١٦

١٠٢- ﴿وَاتَّبَعُوا﴾ هؤلاء النابذون كتاب الله ﴿مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكٍ سُلَيْمَانَ﴾ من سحر و كفر ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ خلاف ما تلوه على ملكه ﴿وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ بتلك التلاوة الكافرة، حال أنهم ﴿يَعْلَمُونَ النَّاسَ السَّحَرَ﴾ و هو محرم مطلقا ﴿وَمَا أَنْزَلَ﴾ من السحر ﴿عَلَى الْمَلَائِكِينَ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَ مَارُوتَ﴾ يعلمونه لمصلحة خاصة هي مقابلة باطل السحر بإبطاله، كما ﴿وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ بتعليم سحر ﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾ به صرفا في فساد، و لكن هؤلاء الأنكاد ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَ زَوْجِهِ﴾ تعلموا باطلا بدل أن يقربوا بينهما إذ فصل باطل السحر بينهما ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ تكويننا في تحقيق ضرر بسحر دون تشريع إذ لن يحصل أمر- أخيرا- إلا بإذن الله، مهما كانت مقدماته باختيار العاملين، ف" لا جبر و لا تفويض بل أمر بين أمرين" ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ﴾ أولاء و من يسحرونهم به، إذ لا يستفيدون منه لإبطال سحر باطل ﴿وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَ لَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ﴾ ضرا ﴿مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾ نصيب الرحمة ﴿وَلَيْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾ فاشتروا بها ما يضرهم ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ و لكنهم لن يعلموا تقصيرا بما ختم على قلوبهم بما كانوا يفسقون.

١٠٣- ﴿وَلَوْ﴾ مستحيلا باختيارهم ﴿أَنَّهُمْ آمَنُوا﴾ صدقا ﴿وَاتَّقُوا﴾ الله ﴿لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ﴾ لهم مما يظنون ﴿لَوْ﴾ كانوا يَعْلَمُونَ ﴿خَيْرًا مِنْ شَرِّ﴾.

١٠٤ / ٢

١٠٤- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾ حيث يحرفها اليهود "لَا بِالسِّنِّهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ" ﴿وَقُولُوا انظُرْنَا﴾ ابتعادا عن مادة التحريف واللى ﴿وَأَسْمَعُوا﴾ وحى الله ﴿وَلِلْكَافِرِينَ﴾ ليا و سواه ﴿عَذَابُ أَلِيمٌ﴾ فى الدنيا و الآخرة ف" مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يَحْرِفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَ أَسْمَعَ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَ رَاعِنَا لِيَا بِالسِّنِّهِمْ وَ طَعْنَا فِي الدِّينِ وَ لَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَ أَسْمَعَ وَ انظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَ أَقْوَمَ وَ لَكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (٤: ٤٦).

١٠٥ / ٢

١٠٥- ﴿مَا يَوْذُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بحق الوحى و الوحى الحق ﴿مِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ وَ لَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ كما نزل عليهم و ما رعوه حق رعايته ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ كما اختص الرسالة المحمدية بأفضل الوحى ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ دون ضنة و لا بخل و لا إتباع لهؤلاء الكتابيين و المشركين النكدين.

هنا ندرس أن كلاما أو عملا صالحا يتدفع به الكافر و من أشبه إلى غير صالح، لا بد أن يبدل إلى غيره، ف" راعنا" حيث يقصد به المسلم معناه الصالح: "انظُرْنَا" لا بد أن يحول إلى غيره، حين يبدله اليهود ليا ك" راعنا" إلى معنى غير صالح، فهى ضابطة ثابتة من الضوابط الفقهية القرآنية، طول الزمان و عرض المكان، دون جمود على حرفية المقام، فالتجمد على الموارد يجمد القرآن على حرفيات، فتقديم الأهم فى الدوران بينه و بين المهم لا حول عنه، لا سيما و أن للمهم كما هنا مندوحة هى غيار اللفظ مع الحفاظ على المعنى.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ١٧

١٠٦ / ٢

١٠٦- ﴿مَا نَنْسَخْ﴾ كلا او بعضا ﴿مِنْ﴾ آية ﴿آيَةٍ﴾ تشريعية، فى شرعة واحدة أو شرعة بعد شرعة، أو تكوينية من رسول أو آية رسالية ﴿أَوْ نُنسِهَا﴾ عن متشرعين حتى لا يبغوها ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا﴾ تشريعا أو تكوينا ﴿أَوْ مِثْلَهَا﴾ كذلك ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ﴾ الله عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿بحكمته الربانية، و قد أنسى ربنا سائر الآيات المعجزات السالفة فى شرعة القرآن لأنها خير منها كلها فى كمالها و شمولها و أبديتها، كما أنسى كافة الرسل بمحمد (ص) حيث هو هم و زيادة.

١٠٧ / ٢

١٠٧- ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾ بين تنديد و تسديد ﴿أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ﴾ ملكا و مالكا ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ الواحد، و هم خلقه مطلقا ﴿مِنْ وَلِيٍّ﴾ يلى أموركم ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ ينصركم.

١٠٨ / ٢

١٠٨- أ تريدون الكفر و النكران ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ﴾ فى باطل السؤال كأصل: "يَسْأَلُ أَهْلَ الْكِتَابِ أَنْ تَنْزَلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً" (٤: ١٥٣) بل "لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً" (٢: ٥٥) ﴿وَمَنْ يَتَّبِدَلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ﴾ تفعلا و تقبلا لغريب الكفر بقريب الإيمان ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ هو الإيمان، فهنا إرادة السؤال اللامحة من حالهم و قالهم، و هناك أصل السؤال.

١٠٩ / ٢

١٠٩- ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ هُودًا أَوْ نَصَارَى، مَغْضُوبًا عَلَيْهِمْ أَوْ ضَالِّينَ﴾ ﴿لَوْ﴾ استطاعوا أن ﴿يُرْذَوْنَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا﴾ و لن يستطيعوا ما ركز الإيمان في قلوبكم بيناته، و لكنهم يودونه ﴿حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتُوا وَ اصْفَحُوا﴾ موقتا كصلحة وقتية ﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ كـ "أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَ إِنْ اللَّهُ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ" (٣٢: ٣٩) ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ و لكنه يقدره لوقته الصالح في حكمته الربانية في تعجيل و تأجيل.

١١٠ / ٢

١١٠- ﴿وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ رباطا حكيما بينكم و بين الله ﴿وَ اتُوا الزَّكَاةَ﴾ رباطا بينكم و بين محاييج خلق الله و تثبيتا من أنفسكم ﴿وَ مَا تَقَدَّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ﴾ منهما و ما أشبه ﴿تَجِدُوهُ﴾ أكثر مما قدمتم ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿فَ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ بعدل في سيئة و فضل في حسنة. ذلك، و مما يقدم للأنفس نفس الأنفس، فـ "إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ ... " (٩: ١١١) و كذلك كل نفيس يقدم في سبيل الله.

١١١ / ٢

١١١- ﴿وَ قَالُوا﴾ أهل الكتاب ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ و كل يجر النار إلى قرصته ﴿تِلْكَ﴾ البعيدة ﴿أَمَانِيَهُمْ﴾: الباطلة اختصاصا للجنة بأنفسهم لأنهم حسب زعمهم أبناء الله و أحبائه ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ على ذلك الإختصاص الامتصاص ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أمانيتكم.

١١٢ / ٢

١١٢- لا خير في أمانيتهم أبدا ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ﴾ إيمانا و عملا صالحا في الاتجاه إلى الله ﴿وَ﴾ الحال ﴿هُوَ مُحْسِنٌ﴾ في إيمانه تطبيقا عمليا، فإنه دون عمل إساءة ﴿فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ مما يأتيهم ﴿وَ لَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ مما مضى.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ١٨

١١٣ / ٢

١١٣- ﴿وَ قَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ﴾ من الحق ﴿وَ قَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ﴾ من الحق ﴿وَ﴾ الحال ﴿هُمْ﴾ جميعا ﴿يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ حيث يركز على إسلام الوجه لله، دون جنسية و صبغة خاصة ﴿كَذَلِكَ﴾ البعيد عن الحق ﴿قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ من المشركين إذ ليس عندهم كتاب ﴿مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ " وَ هُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ ا فلا يعقلون " ﴿قَالَ لَهُ يُحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ بما بين لهم في الكتاب ﴿فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ و شرعة الله هي عاملة الائتلاف لا الإختلاف فلا إختلاف فيه و لا تخلف عنه.

١١٤ / ٢

١١٤- ﴿وَ مَنْ أَظْلَمُ﴾ بالحق بقمة الظلم ﴿مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ ملحدين أو مشركين أو كتابيين ﴿وَ سَعَى فِي خُرَابِهَا﴾ منعا لذكر اسم الله فيها أو تهديما لبنانياتها ﴿أُولَئِكَ﴾ الأظلمون ﴿مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾ من الله و من أهل الله ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ أمام الموحدين ﴿وَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ما أعظمه، عظم الاستحقاق العادل، فهو لاء الظالمون هم مع غيرهم من الأظلمين على دركة واحدة.

١١٥ / ٢

١١٥- ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ كجهتين أصيلتين معهما الشمال و الجنوب ﴿فَأَيَّمَا تَوَلَّوْا فَثَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾ جهة و مكانا كالمساجد ﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ﴾ فى اتجاهكم إليه ﴿عَلَيْكُمْ﴾ بنياتكم و طوياتكم.

١١٦ / ٢

١١٦- ﴿وَقَالُوا﴾ هودا للعزير و نصارى للمسيح ﴿اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ﴾ عن ذلك الاتخاذ الوخاز، اتخاذا عن الوحشة و الوحدة ﴿بَلْ لَهُ مَا فِى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ و هما كل الكون ملكا و ملكا، و ﴿كُلُّ﴾ ممن اتخذ ولدا و سواه، ممن يشعر أو لا يشعر ﴿لَهُ﴾ لا لسواه ﴿قَاتِنُونَ﴾ مطيعون خاضعون، فلما ذا الاتخاذ، فانه ليس إلا لمن لا يملك ما يتخذه ولدا أو ظهيرا أو أنيسا، فاتخاذ الولد له مستحيل ذاتيا و فى الحكمة الربانية، إذ لا يعنى إلا ضعفه و حاجته تعالى.

١١٧ / ٢

١١٧- ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ما لم يكن لهما مثال يحتذى ﴿وَإِذَا قُضِيَ أَمْرٌ﴾ تكويننا بأسره أو تحويلا عنه إلى غيره ﴿فَأَيَّمَا﴾ ليس إلا أن ﴿يَقُولُ لَهُ﴾ و قوله فعله ﴿كُنْ﴾ مجرد الإرادة الماضية ﴿فَيَكُونُ﴾ دون محاولة أخرى.

١١٨ / ٢

١١٨- ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ غير الكتابيين إذ لا يعرفون وحى الله و موضعه و موقعه ﴿لَوْ لَا يَكَلِّمُنَا اللَّهُ﴾ و حيا خاصا بشرعته، أو و حيا برسالة لغيرهم كما يشتهون ﴿أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ﴾ محسوسة بنعيمها لأقل تقدير " كما أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ " ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من " الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ " ﴿مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ المقلوبة عن الحق ﴿قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ الدَّالَّةَ عَلَى الرِّسَالَاتِ وَمِنْهَا الْقُرْآنُ نَفْسُهُ فِى هَذِهِ ﴿لَقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ بآيات الله دون تطلُّب لما ليس لهم من " يَكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ " و " كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ " .

١١٩ / ٢

١١٩- ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ كله، إرسالا و رسالة و آية خالدة ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَ لَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ حيث يدخلونها مقصرين متعنتين، فهم المسئولون دونك. أجل، و هذه الرسالة الأخيرة، هى الرسائل كلها و زيادة، فهى الحق كله، و ما سبقتها هى محدودات و تقدمات لهذه الرسالة السامية.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ١٩

١٢٠ / ٢

١٢٠- ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ كما يهوون ﴿قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهَدَى﴾ دون أهواءهم ﴿وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِى جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ و حيا بالقرآن ﴿مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلَى وَ لَا نَصِيرٍ﴾ فلا يجوز أبدا إتباع أهواء من يرغب فى هداهم، فإن هداهم هى هداهم.

١٢١ / ٢

١٢١- ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ﴾ علما و عقيدة و عملا صالحا ﴿حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ لربانية آياته البينات و للبشارات الموجودة فيه بحق هذه الرسالة ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ أكثر من المشركين: " الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَهُمْ فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا " (١٨: ١٠٤).

١٢٢ / ٢

١٢٢- ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ بشرف الرسالات و براهينها ﴿و﴾ منها ﴿أَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ زمنكم و قبله، دون المسلمين المفضلين على العالمين أجمعين.

١٢٣ / ٢

١٢٣- ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا﴾ برزخا و أخرى ﴿لَا تَجْزَى﴾ كفاية ﴿نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ مما يثاب به أو يرد به عقاب ﴿وَلَا يَقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ بديل ﴿وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ﴾ كفيل غير رباني ﴿وَلَا هُمْ يَنْصُرُونَ﴾ بغير هذه و تلك.

١٢٤ / ٢

١٢٤- ﴿و﴾ اذكر ﴿إِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ﴾ بلاء تربويا ﴿بِكَلِمَاتٍ﴾ تدل على غاية عبوديته فهي أعمال صعبة ملتوية كذب إسماعيل و ما أشبه ﴿فَاتَّمَّهْن﴾ كما شاءه ربه، ف ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلٌ لِلنَّاسِ﴾ كلهم رسلا و مرسلا إليهم قبل الشريعة الموسوية ﴿إِمَامًا﴾ يؤم المرسلين و سواهم، مما يدل على أن جعل الإمامة خاص بالله دون سواه حتى أنبياء الأئمة ﴿قَالَ وَ﴾ اجعل إماما بعضا ﴿مِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ لا فقط رسولا، إذ أرسل آدم و قد ظلم نفسه قبلها ﴿قَالَ﴾ نعم و لكن ﴿لَا يِنَالُ عَهْدِي﴾ هذا ﴿الظَّالِمِينَ﴾ فإمامة الرسولية العليا و خلافتها كإمامة الأئمة عليهم السلام لا تنال "الظَّالِمِينَ" مهما كان الظلم صغيرا تابوا عنها، اللهم إلا رسالة مختصرة كما لآدم، إذ لا تنافي عصيانه قبلها، فهذه العصمة العليا تختص بغير الظالمين مهما كان ظلمهم صغيرا معفوا.

١٢٥ / ٢

١٢٥- ﴿و﴾ اذكر بعد ذكر إبراهيم بنى البيت ﴿إِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾: مقاما- مرجعا- مجتمعا- ممثلا- ملجأ- مأثيا- متواترا- مقبلا- متابا- محل ثواب- منتهى- مستقى- مجتمع ماء ﴿وَأَمَّا وَ اتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ لا فيه و لا إليه، بل المقام هو مبتدأ لصلاة الطواف إلى آخر المسجد الحرام مهما كان درجات حسب الإمكانات ﴿وَعَهْدُنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهْرًا بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ عبادات ثلاث فيه و حوله.

١٢٦ / ٢

١٢٦- ﴿و إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْمَكَانَ ﴿بَلَدًا آمِنًا وَ ارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ كلها ﴿مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ لا اختصاص بمن آمن، بل ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا﴾ فإن متاع الدنيا كلها قليل، مهما كثر ﴿ثُمَّ أَصْطَرَّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَ بَشِّرِ الْمَصِيرُ﴾.

هنا "هذا بلد آمنا" و لما يرفع قواعده" و إذ يرفع .." و فى الأخرى "هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا" بعد ما رفع قواعده: و إذ قال إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا .." (١٤: ٣٥) ثم و قد كان بلدا قبل رفع قواعده أيضا لمكان البيت، ثم يدعوا ربه أن يزيده سعة و أمنا.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٢٠

١٢٧ / ٢

١٢٧- ﴿و﴾ اذكر ﴿إِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ﴾ المقررة من الله ﴿مِنَ الْبَيْتِ وَ إِسْمَاعِيلُ﴾ معه مساعد الرفعة قائلين ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ﴾ كل مقال ﴿الْعَلِيمُ﴾ بكل حال و قال.

١٢٨ / ٢

١٢٨- ﴿رَبَّنَا وَ اجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ﴾ بعد كامل درجات الإيمان مسلمين إسلاما لوجهك بقلوبنا و كل كيانتنا، و اجعل بعضا ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا﴾ أنا و إسماعيل ﴿أُمَّةً﴾ جماعة ملتقة ﴿مُسْلِمَةً لَكَ﴾ بذلك الإسلام الخاص المتراص، و هم محمد و عترته المعصومون لا سواهم، فإنهم الذرية المسلمة لإسلام إبراهيم و فوقه "مَلَّةٌ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ" هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَ فِي هَذَا

لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَ تَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ " (٢٣: ٨٧) وَ كَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا بينَ الرِّسُولِ وَ الْأُمَّةِ لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَ يَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً .. " (٢: ١٤٣) ﴿وَ أَرِنَا مَنَاسِكَنَا﴾ كما يناسب إسلامنا القمّة ﴿وَ تَبَّ عَلَيْنَا﴾ ترفيعاً لدرجاتنا دفعا لنقصان، لا رفعا لعصيان ﴿إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ على من يتوب إليك.

١٢٩ / ٢

١٢٩- ﴿رَبَّنَا وَ ابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ أولاء الذرية المسلمة ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ﴾ كلها، هي القرآنية المهيمنة على الوحي كله ﴿وَ يَعْلَمُهُمُ الْكِتَابَ﴾ و حيا منفصلا ﴿وَ الْحِكْمَةَ﴾ متصلا حتى يعي و يوعى الوحي كله، ثم ﴿وَ يَرْكَبُهُمُ﴾ بحق التلاوة و التعليم ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ فهنا تقدم التعليم على التزكية، و فى ثلاث أخرى التزكية على التعليم، مما يدل على أنها القاعدة الأصلية للرسالات الربانية و قد نجد فى التوراة تلك الدعاء عنه (ع) بحق ذريته من إسماعيل و هم محمد (ص) و عترته المعصومون، فصلناها فى الفرقان.

١٣٠ / ٢

١٣٠- ﴿وَ مَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾: استخفافا مقصرا لفطرته و عقليته ﴿وَ لَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ﴾ على غيره ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ على كافة المرسل إليهم زمنه إلى موسى (ع) ﴿وَ إِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ لما اصطفيناه من قمة الصلاح و الإصلاح.

١٣١ / ٢

١٣١- "اصْطَفَيْنَاهُ" ﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ﴾ لى ككل كيائك، بعد إسلامك الأول ﴿قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إسلاما عاليا بعد كامل الإيمان.

١٣٢ / ٢

١٣٢- ﴿وَ وَصَّى بِهَا﴾ ملته التوحيدية الخالصة الراسخة ﴿إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَ يَعْقُوبَ﴾ من بعده قائلين ﴿يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ لوجهه الكريم كما أسلمنا حفاظا على إسلامكم من طوارئ الحدثنان و النقصان، و مهما لم يكن الموت فى أصله باختيارنا، فالحفاظ على الإسلام حاله مختار لنا.

١٣٣ / ٢

١٣٣- أسمعتم ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ﴾ حضورا ﴿إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَ إِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ وَ إِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَ نَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ بعد كامل الإيمان.

١٣٤ / ٢

١٣٤- ﴿تِلْكَ الْأُمَّةُ الْمَذْكُورَةُ﴾ أمة ﴿تَوْحِيدِيَّةٌ﴾ ﴿قَدْ خَلَتْ﴾ مضت بخيرها و شرها ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَ لَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ﴾ إذ "لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى" ﴿وَ لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من سوء، ف"هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ" (٢٧: ٩) و "لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَ لَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَ لَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَ لَا نَصِيرًا" (٤: ١٣٢).

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٢١

١٣٥ / ٢

١٣٥- ﴿وَ قَالُوا﴾ اليهود و النصارى ﴿كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾ على انحرافاتهم عن شرعة التوحيد ﴿قُلْ﴾ لا هذا و لا ذاك ﴿بَلْ﴾ التزموا ﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ التوحيدية حال كونه ﴿حَنِيفًا﴾ عما يخالفها ﴿وَ مَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ كما أنتم مشركون مهما لم تكونوا وثنيين.

١٣٦ / ٢

١٣٦- ﴿قُولُوا﴾ أُنْتُمْ الْمُسْلِمِينَ ﴿أَمَّا بِاللَّهِ وَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ قَرَأْنَا كَرَأْسِ زَاوِيَةِ الْوَحْيِ ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ وَ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْبَاطِ وَ مَا أُوتِيَ مُوسَى وَ عِيسَى وَ مَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ وَ الْكُلُّ هُوَ شَرْعَةُ التَّوْحِيدِ، وَ ﴿قُولُوا﴾ ﴿لَا نَفَرُّ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ وَ الْآخِرِينَ - رَسُولِيْنَ وَ رَسَالِيْنَ - تَوْحِيدًا، وَ لَا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَ الْإِلَهِ الْوَاحِدِ ﴿وَنَحْنُ لَهُ﴾ لَا سِوَاهُ ﴿مُسْلِمُونَ﴾ دُونَ أَى إِشْرَاقٍ وَثْنَى وَ لَا كِتَابِيَّ مُنْحَرَفٍ مُنْحَرَفٍ.

١٣٧ / ٢

١٣٧- ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ﴾ دُونَ نَفْسِهِ فَقَطْ، فَهُوَ أَدْنَى الْإِيمَانِ وَ بَدَايَتُهُ أَنْ يُؤْمِنُوا بِوَحْيِ السَّمَاءِ كَكُلِّ دُونَ تَعْصِبٍ، وَ كَذَلِكَ الْإِيمَانُ بِمَا آمَنْتُمْ بِهِ ﴿فَقَدْ اهْتَدَوْا﴾ كَمَا اهْتَدَيْتُمْ ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عَنْ مِثْلِهِ تَعْصِبًا عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ ﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ مَعَكُمْ فِي صَالِحِ الْإِيمَانِ، إِذَا فَلَا تَخَفَهُمْ إِذْ ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾ عَمَّا تَخَافُونَ ﴿وَ﴾ الْحَالُ أَنَّهُ ﴿هُوَ السَّمِيعُ﴾ مَقَالَاتِهِمْ وَ إِيَاكُمُ ﴿الْعَلِيمُ﴾ بِمَصَالِحِكُمْ وَ إِيَاهُمْ.

١٣٨ / ٢

١٣٨- فَالْزَمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ دُونَ صِبْغَةٍ أُخْرَى مِنْ تَعْصِبٍ أَحْمَقَ لِغَيْرِ اللَّهِ، وَ لَا - وَ عَوْدًا بِاللَّهِ - صِبْغَةً لِلَّهِ نَفْسُهُ: إِذَا لَيْسَتْ لَهُ صِبْغَةٌ، أَوْ - أَنَّهُا بِوَجْهِ - صِبْغَةُ التَّوْحِيدِ، ثُمَّ صِبْغَةُ صَبْغِكُمْ بِهَا اللَّهُ فَطَرَةً فَعْقَلِيَّةً فَشَرْعَةً ﴿وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَ نَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ فِي صِبْغَتِهِ، دُونَ سَائِرِ الصَّبْغَةِ.

١٣٩ / ٢

١٣٩- ﴿قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ﴾ إِنْ نَقَلَ شَرْعَتَهُ إِلَى غَيْرِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ ﴿وَ هُوَ رَبُّنَا وَ رَبُّكُمْ﴾ دُونَ انْحِيَاظٍ إِلَى أَحَدٍ، ثُمَّ ﴿وَ لَنَا أَعْمَالُنَا وَ لَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ دُونَ مَخَالِطَةٍ ﴿وَ نَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ دُونَ سِوَاهُ، إِخْلَاصًا فِي تَوْحِيدِهِ وَ عِبَادَتِهِ عَلَى ضَوْءِ شَرْعَتِهِ.

١٤٠ / ٢

١٤٠- هَلْ تَقُولُونَ إِنْ التَّهْجُودُ وَ التَّنَصُّرُ هُمَا حَقٌّ دُونَ مِلَّةِ الرِّسَالِ ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ وَ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى﴾ فَإِنْ قَالُوا نَعَمْ وَ هُمْ قَبْلَهُمْ ف ﴿قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ وَ هِيَ عِنْدَكُمْ الْكِتَابِيْنَ شَهَادَةُ التَّوْحِيدِ وَ الرِّسَالَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ الْآخِرَةُ فِي بَشَارَاتِ ﴿وَ مَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

١٤١ / ٢

١٤١- ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ﴾ إِسْرَائِيلِيَّةٌ ﴿قَدْ خَلَتْ﴾ بِخَتَامِ شَرْعَتِهَا ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَ لَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ﴾ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ ﴿وَ لَا تَسْتَلُونْ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ كَمَا أَنَّهُمْ لَا يَسْأَلُونَ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ، ف ﴿قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا﴾ (١٧: ٨٤).

وَ "لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ" أَنْتُمْ الْمُسْلِمِينَ "وَ لَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ" هُودًا وَ نَصَارَى وَ مَا أَشْبَهَ "مَنْ يَعْمَلُ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَ لَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَ لَا نَصِيرًا" (٤: ١٢٣) ف "إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ الَّذِينَ هَادُوا وَ النَّصَارَى وَ الصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ عَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لَا هُمْ يَحْزَنُونَ" (٦٢: ٢).

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٢٢

١٤٢ / ٢

١٤٢- ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ﴾ هودا أو نصارى و ... ﴿مَا وَلَّهُمْ﴾ المسلمين ﴿عَنْ قِبَلَتِهِمْ﴾: المسجد الحرام ﴿الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ منذ بداية الإسلام، إذ تولوا عنها إلى قبله اليهود فترة مدنية لما دخلوها ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ أى الجهات كلها ف" .. فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ " (٢: ١١٥) ﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ لأية قبله كانت كعبة و سواها، مهما كان الأصل هو المسجد الحرام إذ: "جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْآبِيَةَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ" (٥: ٩٧) و كما نرى قبور الأنبياء وجاه الكعبة البارة، فليس القدس أولى القبلتين و ثانى الحرمين، بل هو قبله ثانية ابتلائية، و حرم ثالث بعد حرم النبى (ص).

١٤٣/٢

١٤٣- ﴿وَكَذَلِكَ﴾ الجعل العالى بهذه الشرعة العليا ﴿جَعَلْنَاكُمْ﴾ ذرية من إبراهيم: "مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ .. لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَ تَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ" (٢٢: ٧٨) ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ بين الرسول و بين الناس، و هم العترة المعصومون عليهم السلام ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَ يَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَ مَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا﴾ موقته و هى قبله القدس لأشهر بداية العهد المدنى ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ علما نجعل علامة على ﴿مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ﴾ فى هذه القبلة المؤقتة الابتلائية ﴿مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَ إِنْ كَانَتْ﴾ هذه الابتلائية ﴿لَكَبِيرَةً﴾ ثقيلة ﴿إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى﴾ هم ﴿اللَّهُ﴾ تسليما لله، ثم ﴿وَ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ بذلك الاتجاه المؤقت ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ و قد كانت القبلة الثانية إبتلاء للمسلمين و جذبا لليهود، ثم الرجوع إلى الأولى إبتلاء لليهود و بهجة للمسلمين، فالتحويلان هذان هما إبتلاءان اثنان، و لواسع الإيقان أن القدس هو ثانى القبلتين يراجع إلى تفسير "الفرقان".

١٤٤/٢

١٤٤- ﴿قَدْ نَرَى﴾ حين قلب هذه القبلة إلى الكعبة ﴿تَقَلَّبَ وَجْهَكَ فِي السَّمَاءِ﴾ ترقبا لذلك التقلب ترغبا ﴿فَلَنُؤَلِّقَنَّ قَبْلَكَ تَرَاضَاهَا﴾ هى السابقة على هذه و اللاحقة لها، و رضاك رضا الله، إذ كانت القبلة الأولى هى المرضاة الأصلية لله "و ما تشاؤون إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ" (٧٤: ٣٠) ﴿قَوْلٌ﴾ الآن ﴿وَجْهَكَ شَطْرَ﴾ جانب ﴿الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَ حَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَ إِنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ﴾ هذا التوجه الثانى ﴿الْحَقُّ﴾ كله على مدار الزمن الرسالى، الثابت أبدا، لا حق من الحق كقبلة القدس المؤقتة الابتلائية ﴿مِنْ رَبِّهِمْ﴾ كأصل الشرعة القرآنية على ضوء بشارات ﴿وَ مَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ هؤلاء السفهاء و سواهم.

١٤٥/٢

١٤٥- ﴿وَ لَئِنْ آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ هودا أو نصارى ﴿بِكُلِّ آيَةٍ﴾ تدل على هذا الحق المبين ﴿مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَ مَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتِهِمْ﴾ قدسا و سواه ﴿وَ مَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾ و ليست التبعية الحققة إلا لما قال الله فى كل شرعة ﴿وَ لَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ فى إتباع قبلتهم حتى يؤمنوا أو يتبعوا قبلك ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ بشرعة الله، انتقاصا لها، فأخبرا "لَكُمْ دِينُكُمْ وَ لِي دِينٌ".

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٢٣

١٤٦/٢

١٤٦- ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ﴾: محمدا بالقرآن ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ آبْنَاءَهُمْ﴾ حيث البشارات المتكررة فى كتابات الوحي عندهم ﴿وَ إِنْ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾ المعروف المبشر به عندهم ﴿وَ هُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنه الحق من ربهم: "و لَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَ كَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ" (٢: ٨٩).

١٤٧ / ٢

١٤٧- ﴿الْحَقُّ﴾ كله فضلا عن ذلك الحق هو ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾ الذى رباك برسالة الحق كله دون سواه كتابيين و سواهم ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُتَمَتِّينَ﴾ أيها المخاطب، فلا تذهب بك كثرة الأقاويل إلى ارتياب.

١٤٨ / ٢

١٤٨- ﴿لِكُلِّ﴾ من الأمم الرسالية ﴿وَجْهَةٌ﴾ قبله و سواها ﴿هُوَ مُؤَلِّيُهَا﴾ دون التعصبات الخاوية ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ ككل أيتها الأمم الكتابية على أية حال ﴿إِنَّمَا تَكُونُونَ﴾ فى المكنات و الأمكنة و الجهات كلها ﴿يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ يوم القيامة ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

١٤٩ / ٢

١٤٩- ﴿وَمِنْ حَيْثُ﴾ من مكة المكرمة ﴿خَرَجْتَ﴾ أينما خرجت و إلى أين ﴿قَوْلَ وَجْهِكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ﴾ المسجد الحرام ﴿لَلْحَقِّ﴾ الثابت على طول خط الرسالات ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾ على ضوء تربيته الأخيرة الفارقة ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

١٥٠ / ٢

١٥٠- ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ قَوْلَ وَجْهِكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ رسولا و قائدا ﴿وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ﴾ مرسلا إليهم مقودين ﴿فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِنَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ﴾ السفهاء ﴿عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ فى استمرارية قبلة القدس ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ حيث يحتجون بالفترة المتوسطة تحولا إلى القدس ثم رجوعا إلى المسجد الحرام إذ كنتم و تكونون متجهين إليه ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾ لأهدىكم صراطى المستقيم ﴿وَلَا تَمَنَّيْ عَلَى مَنْ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ إلى الصراط المستقيم.

١٥١ / ٢

١٥١- لقد فضلناكم بقبلة المسجد الحرام ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا﴾ كلها، حيث القرآن المهيم على ما بين يديه هو آيات الله كلها ﴿وَيَزَكِّيَكُمْ وَ يَعْلَمُكُمْ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ﴾ و فى أخرى يتقدم التعليم على التزكية، مسامة بينهما بأفضليتها عليه ﴿وَعَلَّامُ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾.

١٥٢ / ٢

١٥٢- ﴿فَاذْكُرُونِي﴾ قولا و قلبا و فعلا ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ رحمة ﴿وَ أَشْكُرُوا لِي وَ لَا تَكْفُرُونِ﴾ كفرانا أو كفرا.

١٥٣ / ٢

١٥٣- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ﴾ سلبيا أمام كوارث ﴿وَ الصَّلَاةِ﴾ إيجابيا لتقدم الإيمان بكل البواعث ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ سلبيا و إيجابيا، هما كلمة "لا إله إلا الله" فأعلم أنه لا إله إلا الله (٤٧: ١٩).

ذلك، و "وَجْهِكَ" و هو كثلث الدائرة، يسمح بانحراف النقطة الوسطى عن شطر المسجد الحرام على أية حال، ف "شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ" هو سمتة و ناحيته، مما يوسع القبلة أكثر من ثلث الدائرة، فقد نصدق الحديث: "بين المشرق و المغرب قبلة" و هى طبعاً و جاه شطر المسجد الحرام، كما "وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَ الْمَغْرِبُ فَإِنَّمَا تَوَلَّوْا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ" (٢: ١١٥) مما يوسع القبلة، إلا عند العلم بها فهى - إذا - شطر المسجد الحرام بالسعة الأضيق، فلك أن تصلى أينما وجهت وجهك عند الجهل بذلك الوجه المضيق.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٢٤

١٥٤ / ٢

١٥٤- ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ هم ﴿أَمْوَاتٌ﴾: فنت أو صعقت أرواحهم ﴿بَلْ أحياء﴾ أحيى من الدنيا ﴿وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ حياتهم ككل، و عقيديا كما يصلح، و هذا رد على من كان يمنع عن الجهاد أنه فوت، دون تخصيص للحياة البرزخية بالشهداء لآيات أخرى.

١٥٥ / ٢

١٥٥- ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ﴾ نفسيا ﴿وَالْجُوعِ﴾ جسديا ﴿وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ﴾ بهما ﴿وَبَشِيرٍ الصَّابِرِينَ﴾ عندها لله، و تلك البلوى المؤكدة تعيشنا طول خط حياة التكليف.

١٥٦ / ٢

١٥٦- ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ﴾ من هذه و ما أشبه ﴿قَالُوا﴾ قولا و عملا و عقيدة ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ فما بالناس نعترض فلا نصير بما جاء من الله.

١٥٧ / ٢

١٥٧- ﴿أُولَئِكَ﴾ الأكارم ﴿عَلَيْهِمْ صَلَوَاتُ﴾ رحمت ﴿مِنْ رَبِّهِمْ﴾ حيث رباهم كما تحق لهم صلواته ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ منه خاصة بهم بما صبروا ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْتَخُونَ﴾ حقه.

١٥٨ / ٢

١٥٨- ﴿إِنَّ﴾ جبل ﴿الصَّفَا وَ﴾ جبل ﴿الْمَرْوَةِ﴾ هما ﴿مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾ إذ يشعر الطواف بهما كإذاعة أن الطائف هو من عباد الله، و أن شرعة الإسلام هي شرعة الدعوة و الدعاية الجماعية، شعارا بشعور و دقة "وَمَنْ يَعْظُمُ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ" (١٥٨: ٢) فتركه إذا- من طغوى القلوب، فهو فريضة ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾، و نفى الجناح لما قد حصل من اجتناح من لم يسع بينهما في عمرة القضاء حتى أرجعت أصنام إليها، ثم جناح على من يسعى بينهما في غير حج أو عمرة ﴿وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ تكلفا فيه فريضة كما هنا و مندوبا مطلقا كصوم المطيع إياه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ فالإتيان بخير محرجا مشكور على أية حال، فحج المحرج المتسكع غير المستطيع مشكور يفي بواجبه إذا استطاع بل و أوفى من واجبه لمكان تكلفه، و أفضل الأعمال أحمرها.

١٥٩ / ٢

١٥٩- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى﴾ كتماننا لأصلها، أو لكونها بينات: لا تفهم ﴿مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَ يَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ فكثير هؤلاء الملعونون الكاتمون لبينات القرآن "يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ" إذ كتموا بيناته عن أهلها "وَلْيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ" إذ صدوهم عن الهدى بعد إذ أتتهم، و هلا تكون ظنية القرآن دلالة، كتماننا لبيناته القمة، أية قطعية لربانية آياته.

١٦٠ / ٢

١٦٠- ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ عن كتمانهم و سواه من تضليل و ما أشبه ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ ما أفسدوا بكتمانهم أو سواه ﴿وَيَبْنُوا﴾ أنهم كتموا، و أنها بينات، و بينوا لهم ما خفى عنهم منها بعلات ﴿فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ برحمتي ﴿وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.

١٦١ / ٢

١٦١- ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بما يجب الإيمان به عامدين ﴿وَمَاتُوا وَ﴾ الحال أن ﴿هُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ و قرنهم بهؤلاء الكاتمين مما يدل أنهم معهم و عودا بالله.

١٦٢ / ٢

١٦٢- ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾: اللعنة المثلثة ﴿لَا يَخَفُّ عَنْهُمْ﴾ مستحق ﴿الْعَذَابُ﴾ دون أبدية لا نهائية لا يستحقونها، فإن "جزاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا" (٢٧١: ١٠) و لا مماثلة بين العصيان المحدود و العذاب اللامحدود، ﴿وَلَا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾ إمهالا عما يستحقونه.
١٦٣/٢

١٦٣- ﴿وَالِهَكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ فى كافة الأمور الإلهية و الربانية ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ إذ تجمعان كافة الربوبيات الإلهية.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٢٥

١٦٤ /٢

١٦٤- ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ و هما الكون المخلوق كله، بما فيهما من إختلاف الصنع دون تفاوت ﴿وَوَ﴾ فى ﴿اِخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ يأتیان بعضهما خلف بعض دون أى تخلف ﴿وَوَ﴾ فى ﴿الْفُلْكِ الَّتِي تَجْرَى فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَ﴾ فى ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَ﴾ ما ﴿بَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَ﴾ فى ﴿تَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَ﴾ فى ﴿السَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ على وحدة الاتساق و إختلاف الأفعال ﴿لآيَاتٍ﴾ على خالقية واحدة قاصدة ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ حقائق الكون عقلا صالحا.

هنا "وَبَثَّ فِيهَا" قد تعنى كلا السماوات و الأرض "كما فى اخرى" و من آياته خلق السماوات و الأرض و ما بث فيهما من دابة و هو على جمعهم إذا يشاء قدير (٤٢: ٢٩).

١٦٥ /٢

١٦٥- ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ النسناس حيث لا يعقلون ﴿مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ خلقا فقيرا فقيرا ﴿أَنْدَادًا﴾ كأنهم أمثال له أزداد ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ كأنهم أمثاله و شركائه ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ حبا أصيلا لا يحبون سواه إلا فى سبيله، دون حب يستقل عن حبه، ثم هم أشد حبا لله من حبيبهم- أولئك الحمقى- أندادا من دون الله، فهو أشد فى بعدين إثنين ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أنفسهم و ظلموا الحق ﴿إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ فأصل الحب- إذا- لله جميعا ﴿وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ عليهم بما ظلموا.

١٦٦ /٢

١٦٦- و ذلك ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ خلاف ما كانوا يعدونهم فـ "الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ" (٤٣: ٦٧) ﴿وَوَرَأَوْا﴾ التابعون مع المتبوعين ﴿الْعَذَابَ﴾ لأهله، كل قدر ما يستحقه "وَلَا يَظْلَمُونَ فَتِيلًا" ﴿وَوَقَطَعْتَ بِهِمُ﴾ بسببهم ﴿الْأَسْبَابُ﴾ التى كانوا يتسببون بها أو يتخيلونها، حين لا تتقطع الأسباب الصالحة بين المتقين بسبب الإيمان الذى يربطهم جميعا.

١٦٧ /٢

١٦٧- ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾ إلى الدنيا ﴿فَنَتَّبَرَأَ مِنْهُمْ﴾ هناك ﴿كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا﴾ هنا ﴿كَذَلِكَ﴾ البعيد ﴿يُرِيهِمُ اللَّهُ﴾ كليهما ﴿أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَ مَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ إلى الجنة مهما فنوا بفناء النار بعد جزاءهم الوفاق، فلا ينفى عدم خروجهم عن النار بقاء فيها إلى غير النهاية، و إنما ينفى خروجهم عنها مع بقاءها و هم يستحقون الخلود فيها ما دامت.

١٦٨ /٢

١٦٨- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا﴾ حلا دون قيد إلا ﴿طَيِّبًا﴾ دون الخبيث و هو المحرم كله، و كالأكل بالباطل ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ فى أكل و سواه و قد يخطوا من صغيرة إلى كبيرة، ف ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ عداوته فى خطواته لمن يبصر إليها و لا يعمى عنها، بل يبصر بها إلى ما وراءها مبدأ و منتهى، ف "إِنَّا لِلَّهِ و إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ".

١٦٩/٢

١٦٩- ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِ﴾ ثالث: ﴿السَّوِّءِ﴾ ككل المعاصى المأسى ﴿وَالْفَحْشَاءِ﴾ و هى المعصية الفاحشة حدها، أو إلى الغير فهى أسوء السوء، ثم ﴿وَالْوَحْشِ﴾ من الفحشاء كراس زاويتها ﴿أَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ كقوله الإشرار بالله و كل ما لم يأذن به الله، و قد جمعت هذه الثلاث بين كافة المحظورات عقيدية و عملية و قولية، كما تشير إليها "إنما" و يشرحها ذلك الثالث المنحوس.

ذلك، و "خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ" فى "كُلُوا" كعامة التصرفات، تعنى التحرز عن كافة المحرمات على أية حال.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٢٦

١٧٠/٢

١٧٠- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ هؤلاء المثلثين فى مساوئهم ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ و حيا إلى أنبيائه، و كافة آيات الله آفاقية و أنفسية ﴿قَالُوا﴾ لا ﴿بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَفْقَيْنَا﴾ وجدنا ﴿عَلَيْهِ آبَاءُنَا﴾ رفضا لإجتهد أو تقليد صالح و فرضا لتقليد أعمى طالح ﴿أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾.

١٧١/٢

١٧١- ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بذلك الثالث، بالله و فى عبادة الحيوان ﴿كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا﴾ حيوان كما الآباء القدامى الأموات ﴿لَا يَسْمَعُ﴾ سمع الإنسان ﴿إِلَّا دُعَاءً وَ نِدَاءً﴾ دون تفهّم، كما لا يسمع الطاغوت إلا مثله، فهم الناعقون بما ينعقون به ﴿صُمُّ بَكْمُ عُمَى فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ ضبطا للحقائق.

١٧٢/٢

١٧٢- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ تصرفا و تحصيلًا و مصرفًا، مادة و كيفية، دون غير الطيبات ﴿وَاشْكُرُوا لِلَّهِ﴾ لا سواه إذ هو الذى رزقكم إياه ﴿إِنْ كُنْتُمْ إِياهُ تَعْبُدُونَ﴾ فليس خالص الشكر إلا من خلفيات العبادة.

١٧٣/٢

١٧٣- و فى حقل الأنعام كلها طيبات و ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾ دون ذبح أو نحر أو صيد حسب شرعة الله، فإن المقتول دون الشروط الشرعية ميت، بحكم ما مات حتف أنفه ﴿وَالْدَّمَ﴾ المسفوح: "أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا" (٦: ١٤٥) فالألف و اللام هنا و فى غيرهما- و الكل بعد آية الأنعام- هى لعهد الذكر هناك ﴿وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ﴾ مما يدل على أنه أيضا من الأنعام ﴿وَمَا أَهْلًا بِهِ﴾ إهلالا بالذبح و سواه ﴿لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ﴾ دون إختيار ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ طالبا ظلما ﴿وَلَا عَادٍ﴾ متجاوزا عن حد الاضطرار، أو راجعا إلى أكلها باختيار ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُضْطَرِّينَ﴾ المضطرين ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم عند الاضطرار دون إختيار.

١٧٤/٢

١٧٤- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ﴾ أيا كان الكتمان كما سلف ﴿وَيَشْتَرُونَ بِهِ﴾: دافعين الكتاب، و آخذين ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ و كل متاع الدنيا بجنب ما أنزل الله قليل ﴿أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾ فان أصل ذلك الثمن نار يظهر يوم الجزاء بملكوته و هو جزاءه "هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ" (٣٧: ٩٠) فالعمل هناك بملكوته هو الجزاء، كما "إِنَّ

الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَ سَيَصْلُونَ سَعِيرًا ﴿٤: ١٠﴾ ﴿وَلَا يَكْلَمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ كلاما برحمة ﴿وَلَا يَزَكِّيهِمْ﴾ عن كفرهم هناك حتى يرحمهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ و كما ألموا الحق و أهليه "جزاء وفاقا".

١٧٥ / ٢

١٧٥- ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالََةَ﴾ الكفر بثمان قليل ﴿بِالْهُدَى﴾ فطريا و عقليا و شرعيا إذ بادلو بها إياها كما ﴿وَاشْتَرَوْا﴾ الْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿فَإِنَّهَا عَجَابٌ مِمَّنْ يَحْصِلُهَا لِدَارِ الْقَرَارِ﴾.

١٧٦ / ٢

١٧٦- ﴿ذَلِكَ﴾ العذاب الأليم ﴿بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ لا باطل و لا زائل، بقصد الحق مع رسول الحق حقا مطلقا لا يحول و لا يزول، بخلاف سائر الحق قبل القرآن ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ﴾ بين إنكار لوحيه و تصديق، ثم بين كتمان له و إظهاره، اختلافا مقصرا في تخلف عن الحق، إنهم ﴿لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ عن الوفاق دنيا و عقبا، أن لنا شقا و لله شق آخر، و بكانهم آلهة كما الله إله.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٢٧

١٧٧ / ٢

١٧٧- ﴿لَيْسَ الْبِرُّ﴾ كله أو جله ﴿أَنْ تُؤَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ﴾ تولية ظاهرة دون تولية قلبية ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ﴾ الْأَصِيلُ هُوَ ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ﴾ ذائبا في إيمانهم بالله كأنهم هم الإيمان بالله كزيد عدل ﴿وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ إذ آمنوا أنفسهم من الأخطار، بالمبدئ و المعاد ﴿وَآمَنَ ب﴾ ﴿الْمَلَائِكَةِ﴾ النازلين بوحيه، و العمال في خلقه ﴿وَالْكِتَابِ﴾ الوحي ﴿وَ﴾ حملته ﴿النَّبِيِّينَ﴾ و هم رسل الوحي الذين لهم نبوة و رفعة، و منها أن لهم كتب الوحي، مهما كانت أصلية أو فرعية، و هذه هي أصول الدين رابطا بينهم و بين الله، ثم بين خلقه ﴿وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ﴾ حب المال، و حب الله ﴿ذَوِي الْقُرْبَى وَ الْيَتَامَى وَ الْمَسَاكِينَ﴾ و أسكنهم الفقراء ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ سبيل الله أيا كان ﴿وَالسَّائِلِينَ﴾ بالكف إن لم يكن إبطالا لحركة ممكنة، فيستمرروا بطالين ﴿وَ﴾ صرفا ﴿فِي الرِّقَابِ﴾ المعقودة رقبيا ككل، أو ماليا لأنهم مديونون برقابهم ﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَ الْمُؤَفُّونَ بَعْدَهُمْ إِذَا عَاهَدُوا وَ﴾ أخص هنا ﴿الصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسِ وَ الضَّرَاءِ وَ حِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ حيث يتقون بذلك السلب و الإيجاب عما يصطدم حياتهم الإيمانية و هنا "الصَّابِرِينَ" المخصوصين لهم ركن الإيمان الركين المكين، إذ لا يتفلت عنهم عند كوارثه.

١٧٨ / ٢

١٧٨- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ﴾ و هو الملاحقة الحقة، في أنفس كأصل، ثم في أموال كديات حسب شرعة الله ﴿فِي الْقَتْلِ﴾ عمدا دون حق ﴿الْحَرْبِ بِالْحَرْبِ وَ الْعَبْدِ بِالْعَبْدِ وَ الْأَنْثَى بِالْأَنْثَى﴾ فلا يقتل الذكر بالأنثى و لا الحر بالعبد و إنما عليهما الدية ﴿فَمَنْ عَفَى لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾ من القصاص، أو من الدية عفوا عنه ﴿ف﴾ عليه إذا ﴿إِتْبَاعَ الْمَعْرُوفِ﴾ عند أهل المعرفة، فيما عفى ﴿وَ أَدَاءُ إِلَيْهِ﴾ ما تبقى من الدية ﴿بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ رَحْمَةٌ فَمَنْ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ الْعَفْوِ فَقَتَلَ مَرَّةً أُخْرَى، أَوْ تَعَدَّى عَنْ طَوْرِهِ فِي "أَدَاءِ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ" ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ و إحسان الأداء هو الإقبال فيه بكل حنان، فالتعدى عن طور القصاص فيه أليم العذاب، سواء ممن يقاص منه أو المقاص.

١٧٩ / ٢

١٧٩- ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ من كل الجهات، حياة و حيوية و أمانا ﴿يَا أُولَى الْأَلْبَابِ﴾ خارجين عن قشور العقول إلى أبوابها ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ القتل و محاولته، فالتقوى فى حقل الدم تقتضى كأصل و ضابطة قصاصا، اللهم إلا استثناء صالحا و إلا فطنوى.

١٨٠ / ٢

١٨٠- ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ بأماراته ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾ حقا أو مالا حاللا يزيد عن الميراث الحق المحتاج إليه للوارثين، و إلا لا خير فيه، "كُتِبَ ..." ﴿الْوَصِيَّةُ لِلْوَالدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ﴾ دون منكر من الوصية بإفراط أو تفريط، أو إسراف أو تبذير ﴿حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ فلا يتركها إلا الطاغون، و "الْأَقْرَبِينَ" تشمل النسب و السبب، و الأقرب حاجة أو مودة إيمانيه، و كما كان ذلك مكتوبا فى حياتك، كذلك يستمر بالوصية لهم لما بعد مماتك، و ليست تلك الوصية- فقط- لأصل الحاجة، بل و القرابة و الوالدية.

١٨١ / ٢

١٨١- ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ﴾ عن أصله أو عن معروفه، عن كمه أو عن كيفه، و منه تبديل وجوبه إلى غيره كما فعله كثير ﴿بَعْدَ مَا سَمِعَهُ﴾ وجوبا أو مادة و كيفية ﴿فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ مقالات خلاف الحق العادل ﴿عَلَيْهِمْ﴾ بحالاتكم و فعالاتكم.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٢٨

١٨٢ / ٢

١٨٢- ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مُّوْسَى جَنَفًا﴾: ظلما ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ هو ما يبطل عن الواجب ﴿فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ﴾ و هم الموصى و الموصى لهم و الورثة، أوهم بعد موت الموصى ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ خلاف ما يظن أن تبديل الوصية إثم مطلقا ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ عما يتقول خلاف الحق، و ما يوصى خلاف العدل بعد تبديله إلى الحق ﴿رَحِيمٌ﴾ بمن استغفر و من أزيل جنفه أو إثمه.

١٨٣ / ٢

١٨٣- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ﴾ فرضا ثابتا ﴿عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ أن تصوموا عن هامة الشهوات فيصومكم تركها عن الطغوى ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ مهما اختلفا مادة و مدة و كيفية ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ محاذير الجسم و الروح، فرديا و جماعيا، فلا صوم فيما يضر بالجسم فانه خلاف طليق التقوى، كما لا صوم إذا أضر بالروحية الإسلامية.

١٨٤ / ٢

١٨٤- و ذلك ﴿أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ﴾ محدودات ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ فيعسر عليه الصيام فيهما ﴿ف﴾ كتب عليه ﴿عدة﴾ عديدها ﴿مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ فلا يجوز لهما، و كذا لا يجب الصيام ما هما مطيقان ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يَطِيقُونَهُ﴾ حرجا غير معسر حيث تستأصل طاقاتهم بالصيام ﴿فِدْيَةٌ﴾ عن كل يوم هو ﴿طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ و لكنّه يجوز لهم راجحا، و إنما لا يجب لمكان الإطاقة المخرجة: ﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ﴾ تكلف طاعة هى هنا غير مفروضة ﴿خَيْرًا﴾ و من أفضله الصيام ﴿فَهُوَ خَيْرٌ﴾ له من الإفطار و الفدية ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾ من تركه هنا ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ و لا تختص الإطاقة بالهرم، و حين لا يجب على المطيق بل يرجح فهل يحرم على غير المطيق مريضا أو مسافرا، فما هما إلا مصداقين للعسر حيث يحرم الصيام، ففى اليسر يجب الصيام، و فى العسر يحرم، و بينهما عوان الحرج فراجع.

١٨٥ / ٢

١٨٥- و" أَيَّاماً مَّعْدُودَاتٍ" هـ ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ جملة فى ليلة القدر مجملا و محكما، حال كونه بتفصيله ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ عالية غالبية إذ هـ ﴿وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ فالقرآن هو الوحيد بين كتابة الوحي جمعا بين شرعة الله و فرقانه ﴿فَمَنْ شَهِدَ﴾: حضر ﴿مِنكُمُ الشَّهْرُ﴾ أن كان حاضرا فى رمضان فى أى يوم منه حيث إن مرجع الضمير هنا هو ما صدق "الشَّهْرُ" رمضان، و إلا فالمعنى: من شهد كل رمضان فليصمه بعد شهوده، أى عليه صوم رمضان بعد مضيه كله! فهنا استخدام للضمير الغائب ﴿فَلْيَصُمْهُ﴾ كله، فلا يسمح له بما ينقض صومه كمرض أو سفر أو إطاقة باختياريه ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ مرضا و سفرا معسرين، إذ ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ و العسر هو فوق الحرج، فهل إن الأسفار غير المعسرة للصيام و لا سيما كهذه التى نعيشها تفطر الصيام، و بعضها أيسر من الحضور، فإنما رفض الصوم و فرض عدة من أيام اخر على المعسرين "لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ" ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ﴾ المكتوبة عليكم ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ﴾ بالقرآن ككل و بالصيام، لعلكم تتقون ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعماءه كما تستطيعون.

١٨٦ / ٢

١٨٦- شهر رمضان هو منزل القرآن و الدعاء، ف ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي﴾ قربا و إجابة ﴿ف﴾ الجواب ﴿إِنِّي قَرِيبٌ﴾ إليهم، و أقرب منهم إليهم مكانة لا مكانا "وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ" (١٦: ٥٠) علما و قدرتا، إذ ﴿أُجِيبُ﴾ كما يصلح ﴿دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ دون تجربة أو قال دون حال و أعمال، إذا ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾ دعوتى للدعاء، و دعاءهم توحيدا كما يصلح ﴿وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾ أنى أجيبهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ إلى مصالح دعواتهم، و صالح الدعاء له صالح الإجابة فى الدنيا و الآخرة.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٢٩

١٨٧ / ٢

١٨٧- ﴿أَحِلَّ لَكُمْ﴾ بعد ما حرم بين الإفطار و السحر كالنهار ﴿لَيْلَةَ الصَّيَّامِ﴾ طوله حتى آخر لحظة منها ﴿الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ﴾ إلا ما حرم لأمر أخرى ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ﴾ تلبسونهن ﴿وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ يلبسنكم سترا من الجانبين، إذ ﴿عَلِمَ اللَّهُ﴾ من ذى قبل ﴿أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ بالرفث إلى نسائكم ليلا من ذى قبل ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ رجوعا برحمة التوسعة عليكم ﴿وَعَفَا عَنْكُمْ﴾ محظور الرفث ليلة الصيام ﴿فَالآنَ بَاشِرُوهُمْ﴾ جنسيا ﴿وَأَبْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ مما يدل على اختصاص حل مباشرتهن بموضع الاستيلاد و الإنجاب دون أعجازهن ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ و كل هذه الثلاثة و أهمها المباشرة ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ فكما يحل الأكل و الشرب ليلة الصيام حتى الفجر، كذلك و بأحرى الرفث إلى نسائكم، فلا يحرم الدخول جنبا فى الفجر و لا سيما بالمجامعة قبيله ﴿ثُمَّ أَتَمُّوا الصِّيَامَ﴾ عن هذه الثلاث ﴿إِلَىٰ اللَّيْلِ﴾ لا فقط الغروب، فلا يصدق الليل إلا بداية ظلامه و هى بعد غروب القرص بدقائق ﴿وَلَا تَبَاشِرُوهُمْ﴾ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ و كما لا يجوز دخولها للجنب حتى يغتسل ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ فى حقل الصيام و سواه ﴿فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾ دنوا إليها تركا لإقامتها ﴿كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ المحاذير "وَاللَّهُ الْغَنَىٰ" وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ.

١٨٨ / ٢

١٨٨- ﴿وَلَا تَأْكُلُوا﴾ أكلا و سائر التصرفات ﴿أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾ عقليا و شرعيا دون سعى له ثمن شرعيا ﴿وَلَا تُدْخِلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ﴾ و هو من أنحس الباطل ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ إدلاءه و بطلانه.

١٨٩ / ٢

١٨٩- ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ حاليا و مستقبليا، لمكان استقبال الفعل ﴿عَنِ الْأَهْلِ﴾ عن تكرارها بمختلف أشكالها ﴿قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ﴾ مطلقا ﴿وَك﴾ ك ﴿الْحَجَّ﴾ إجابة عن الحالة الشرعية فقط فإنها المحتاج إليها في ذلك السؤال ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ﴾ مهما حقت لكم ﴿مِنْ ظُهُورِهَا﴾ كبيت الرسالة الواجب إتيانه ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى﴾ إتيانها من ظهورها، فضلا عن ترك إتيان البيوت المعرفية ﴿وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ كإتيان بيت الرسالة المحمدية من باب على و هو بابها ف" أنا مدينة العلم و على بابها" و كذلك كل بيت يؤتى من أبوابها ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ﴾ في كل إتيان و تركه ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾ في إتيان البيوت ظاهرة و معرفية.

١٩٠ / ٢

١٩٠- ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَقَاتِلُونَكُمْ وَ لَا تَعْتَدُوا﴾ أن تقتلوا الذين لا يقاتلونكم، أو تقتلونهم أكثر مما يقتلونكم، و إنما عدلا في القتال ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ الحق على أية حال، بل ييغضهم و منه قتال من لا يقاتل حارة أو باردة، قتالا هجوميا، فلا يعنى القتال إسلاميا إلا دفاعا، عن نفس أو نفيس، شخصي، و بأحرى جماعي.

و هناك ندرس أن مفطرات الصوم ثلاث: هى الأكل و الشرب و الجماع، ما صدقت، فهى حلّ ككلّ قبل طلوع الفجر، دون نهار الصيام، و متعارض الروايات فى خصوص الجنابة دخولا فى الفجر، معروضة على نص الآية فى حلّه، ثم الأكل بالباطل - عرفيا أو شرعيا أو هما معا- يخلق على كافة التصرفات المحرمة، سرقة- بخس مكيال- ربا، و ما أشبهه، و الإجابة عن سؤال الأهلة بما يحتاج إليه شرعيا، تدل على أن الأصل فى شرعة الله بيان أحكام الله.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٣٠

١٩١ / ٢

١٩١- ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ﴾: الذين يقاتلونكم ﴿حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ﴾ دركا دقيقا محيطا شاطرا حيث يقاتلونكم على أية حال ﴿وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجْتُمُوهُمْ﴾ فكما أخرجوكم من مكة أخرجوهم منها ﴿وَالْفِتْنَةُ﴾ العقيدية و ما أشبهه ﴿أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ فلتقاتلوا المفتنين أشد من غيرهم ﴿وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يَقَاتِلُوكُمْ فِيهِ﴾ استثناء ل " حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ" حيث المقاتل يقاتل فى أى مكان ﴿فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فِيهِ﴾ فيه ﴿فَأَقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ المقاتلين عند المسجد الحرام.

١٩٢ / ٢

١٩٢- ﴿فَإِنْ أَنْتَهُوا﴾ قتالكم فيه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ فى ذلك الجزاء هنا مهما لم يؤمنوا فاتركوا قتالهم لحرمة المسجد الحرام.

١٩٣ / ٢

١٩٣- ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ مطلقا سلبيا ﴿وَيَكُونَ الدِّينُ﴾ الطاعة ﴿لِلَّهِ﴾ بل " وَ يَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ " (٣٩: ٨) إيجابيا، و ذلك أمر للجماعة المسلمة حتى يظهر صاحب الأمر (ع) دون خصوص المخاطبين، إذ تستحيل عليهم ﴿فَإِنْ أَنْتَهُوا فَلَا عُدْوَانَ﴾ عليهم انتقاما، حيث القصد هو الانتهاء ﴿إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ المستمرين فى قتالكم، أو التاركين لها برهة و الفاعلين أخرى، مواصلة فى ظلمهم، و من أنحس قتالهم فنتنتهم.

١٩٤ / ٢

١٩٤- ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ﴾: أربعة حرم ﴿بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ مقاتلة القاتلين فيه، فإنه من الحرمات ثم ﴿وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ﴾ من حرمة النفس و المال و ما أشبهه، فإنها تلاحق مهما اختلفت الملاحقات، اعتداء بالمثل، أو عقوبة أخرى كالزنا و اللواط و ما أشبهه

^٨ . و ليست اقاتلوا انما قاتلوا بداية منهم.

﴿فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ في أى من النواميس الخمسة ﴿فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ كمية و كيفية دون أية زيادة، مهما كانت النقيصة مسموحة ﴿وَ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ في زيادة اعتداء ﴿وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ فمن الزيادة أن تقتل جماعة قتلوا واحدا برد زائد الدية، ثم و لا يجوز الاعتداء بالمثل و ما أشبه فيما يكون محرما في أصله ككل، مثل الزنا و اللواط و الفرية حسب المقرر المسرود في شرعة الله.

١٩٥ / ٢

١٩٥- ﴿وَ اتَّقُوا اللَّهَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ لَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ﴾ أنفسكم و غيركم ﴿إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ في أى من النواميس الخمسة، بإفراط في إنفاقكم أو تفريط أو عدم الإنفاق و ما أشبه، تهلكة في سائر النواميس ﴿وَ أَحْسِنُوا﴾ إنفاقا و سواه ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ و حرمة الإلقاء إلى التهلكة اختياريا ضابطة ثابتة، إلا في دوران الأمر بين الأهم منه حين يكون هلاك النفس أدنى منه كالجهاد.

١٩٦ / ٢

١٩٦- ﴿وَ اتَّمُوا الْحَجَّ وَ الْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ إتماما حتى آخر المناسك إذا فرضتموهما بإحرام مهما كانا مستحبين، و إتماما حسب شرعة الله دون نقصان، و العمرة واجبة كالحج لذكرهما في حقل الوجوب معا ﴿فَإِنْ أَحْصَرْتُمْ﴾ عنهما بعد إحرام، و إلا فلا دور لإحصار، ثم يعم الإحصار المحصرات الداخلية كمرض أو الخارجية كعدو ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ مهما كان صغيرا، أو ثمنه إن لم يكن فقير يأكله، فمستيسر الهدى يربطه بالمستطاع منه للمهدين، و ليس من الهدى المستيسر إسلاميا أن تذبح فتهدر لحومها، بإحراقها أو دفنها، ثم بديل ثمن بخس دراهم معدودة للبائس الفقير ﴿وَ لَا تَحْلِقُوا رُؤُسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ﴾ مكانا و زمانا و مصرفا ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ﴾ يمنعانه عن الحلق ﴿ف﴾ عليه ﴿فَدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسْكَ﴾ ما صدقت دون حدكما في ميسور الهدى ﴿فَإِذَا أَمِنتُمْ﴾ من الحصر ﴿فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ﴾ كالثائين عن مكة فهو حج التمتع ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ كما تقدم ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾ لا أصله و لا ثمنه ﴿ف﴾ عليه ﴿صِيَامٌ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَ سَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ قدر المقدور، و إلا فلا صيام، أو لا يجب كله ﴿تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ و هم الناءون عنه ﴿وَ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ عن أية مخالفة أو مسامحة عن المناسك و سواها ﴿وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ و لا سيما على الذين يبتدعون كمن حرم متعة الحج و ما أشبه، ذلك فحج التمتع حسب هذا النص واجب على الثائين، دون القاطنين بتوطن و سواه.

١٩٧ / ٢

١٩٧- ﴿الْحَجُّ﴾ دون العمرة غير المقيدة بزمان، إلا عمرة التمتع فإنها من حجه ﴿أَشْهُرُ مَعْلُومَاتُ﴾ شوال و ذو القعدة و ذو الحجة، اختصاصا لخصوص الحج بالعشرة الأولى من ذى الحجة ﴿فَمَنْ فَرَضَ﴾ على نفسه ﴿فِيهِنَّ الْحَجَّ﴾ بالإحرام، فرضا ما فرضه الله أو ندب إليه، عمليا بالإحرام، فالإحرام يفرض الحج مطلقا ﴿فَلَا رَفْتٌ وَ لَا فُسُوقٌ وَ لَا جِدَالٌ فِي الْحَجِّ﴾ و هذه الثلاثة تشمل محرمات الإحرام كلها و لكن " في الحج " تشمل ما بعد الإحرام أيضا، فالرفث هو كافة العمليات الجنسية الشهوانية مهما كانت حلا في غير الحج، و بأحرى محرما، و الفسوق يختص بالمحرمات، و الجدال يعمها ﴿وَ مَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ﴾ علانية و سرا ﴿وَ تَزَوَّدُوا﴾ حجا و سواه ﴿فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ مطلقا ﴿وَ اتَّقُوا يَا أُولَى الْأَلْبَابِ﴾ لا سوى.

١٩٨ / ٢

١٩٨- ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾ مطلقا حيث لا ينافى شعائر الحج، مهما كان الفضل تجاريا و سواه ﴿فَإِذَا أَفْضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ﴾ عند وقتها ﴿فَادْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾ ذكرا دقيقا عميقا هو غربة لذكركم في عرفات، دقة بعد

معرفة ﴿وَأَذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ﴾ لا كما تهبون، أو كما فى عرفات، بل فوقها ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ﴾ عن ذكر الله كما هداكم، حتى حال العمرة التى قبله.

١٩٩ / ٢

١٩٩- ﴿ثُمَّ﴾ بعد ربح من الزمن حتى طلوع الشمس ﴿أَفِيضُوا﴾ من المشعر الحرام جميعا ﴿مِنْ حَيْثُ﴾ مكانا و زمانا ﴿أَفَاضَ النَّاسُ﴾ مشركين من ذى قبل، و بأحرى مسلمين حاليا، فلا بد للأقليات المسلمة متابعة الأكثرية فى الإفاضة رمزا لوحدة شاملة ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾ عن كل تقصير و قصور مضى أو يأتى ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ و منه الإفاضات المتخلفة، فلا بد هنا و على طول الخط رعاية الأهم فى شرعة الله و منه تقديم إفاضة الأكثرية على الأقلية، فلا يراعى الوقت- إذا- ثم و رؤية الهلال بمكة المكرمة ليست فوضى جزاف، فإن لإخواننا فيها دقة بكل رقة و رعاية، إضافة إلى إختلاف فى الآفاق، فما بال جمع من أصحابنا الشيعة الإمامية يؤخرون عرفات و المشعر و منى خفية و تقية، يتخيل خلاف فى رؤية الهلال! تخلفا عن ثابت الهلال بأمر القرى، و عن إفاضة الناس، و هم الأكثرية الساحقة المسلمة.

٢٠٠ / ٢

٢٠٠- ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ﴾ حتى المشعر الحرام ﴿فَادْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ﴾ توحيدا لذكره تعالى كما كنتم موحدين فى ذكركم آبائكم ﴿أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ قضية التوحيد الربانى ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا﴾ ما نحظو به فيها ﴿وَمَا لَهُ﴾ إذا ﴿فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾ نصيب، إذ لم يطلب الأخرى و كانت همته الدنيا يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا و هم عن الآخرة هم غافلون.

٢٠١ / ٢

٢٠١- ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا﴾ حياة ﴿حَسَنَةً﴾ هى مزرعة الآخرة و ليست مزرعة الآخرة ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ حياة ﴿حَسَنَةً﴾ جمعا بين الحسنيتين ﴿وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ فيهما، ذودا عنها فى الحياة كلها.

٢٠٢ / ٢

٢٠٢- ﴿أُولَئِكَ﴾ الأكارم ﴿لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا﴾ فى الدنيا خيرا فى الأخرى ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ حسنات الدنيا فى الآخرة لها، و على أية حال، لطليق علمه و قدرته.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٣٣

٢٠٣ / ٢

٢٠٣- ﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ﴾ أيها المفيضون من المشعر الحرام إلى منى ﴿فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾ فيها، بيتوته و رميا و ذبحا أو نحرا و حلقا أو تقصيرا، فهى أيام التشريق، عاشرا حتى الاثنى عشر من ذى الحجة ﴿فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ خروجا يوم الثانى عشر ﴿وَمَنْ تَأَخَّرَ﴾ إلى الثالث عشر ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى﴾ كل رقت أو فسوق أو جدال حتى يوم نفره، و أما من لم يتق فعليه إثم إن تعجل، فهو- إذا- سبحانه الله تطهيرا عن إثمه فى حجه ﴿وَأَتَّقُوا اللَّهَ﴾ هنا عما نهيتهم و مطلقا ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَكُمْ﴾ جميعا ﴿إِلَيْهِ﴾ لا سواه ﴿تُحْشَرُونَ﴾.

٢٠٤ / ٢

٢٠٤- ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ بعضا ﴿مَنْ يَعْجِبُكَ﴾ يروفك و يسرك ﴿قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ قوله فيها، الراجع إليها، المتظاهر أنه مؤمن، زاهدا متحمسا نقيًا مخلصا ﴿وَيَشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ﴾ أنه يوافق قوله ﴿وَالْحَالُ﴾ هو آلد الخِصام ﴿أَشَدَّ الْمُخَاصِمِينَ﴾ و المنازعين لجذبها إليه نكرانا للأخرى.

٢٠٥ / ٢

٢٠٥- ﴿وَ﴾ يظهر نفاقه في قوله ﴿إِذَا تَوَلَّى﴾ تكلف أخذ القيادة لنفسه ﴿سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا﴾ على ساكنيها ﴿وَ﴾ من ذلك أنه ﴿يَهْلِكُ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يَحِبُّ الْفُسَادَ﴾ و في هلاكها هلاك الحياة كلها، إذ يعيش الإنسان في نسل سليم و حرث عادل، و هما يشملان النواميس الخمسة.

٢٠٦ / ٢

٢٠٦- ﴿وَ إِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ﴾ في توليك ﴿أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ﴾ الحاصلة ﴿بِالْإِثْمِ﴾ كما "أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ ب" سبب "الإثم" ﴿فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْمِهَادُ﴾ لهؤلاء الأنكاد.

٢٠٧ / ٢

٢٠٧- ﴿وَ﴾ يقابلهم ﴿مِنَ النَّاسِ﴾ الثلاثة، بعض هم القلة ﴿مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ﴾ تضحية إياها ﴿ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبَادِ﴾ كعلی عليه السلام إذ شری نفسه ليلة المبيت بتعريضها إلى خطر القتل حفاظا عن قتل الرسول صلى الله عليه و آله.

٢٠٨ / ٢

٢٠٨- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أنفسهم عن خطراتها بالله ﴿ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ﴾ في أنفسكم و لله ﴿كَافَّةً﴾ كفا كافيا ذلك الدخول عما تحذرون جميعا و فرادى ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ﴾ في سياسته الخطوة إلى ما يريد ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ عداوته في خطواته البينة الخطاء، فليس الشيطان ليخطأ في شيطنته، فيحمل زاهدا إلى شهوات، اللهم إلا من خطوة قريبة قد يصورها بصورة حسنة، و من ثم إلى سائر الخطوات المتسلسلات، و إلى الإشرار بالله، أو الحاد في الله. فهنا شرط أصيل للدخول في السلم كافة، أن "لا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ" فإنه يعارض بخطواته السلم و كافته، و التحذر عنه تحذر عن النفس الامارة بالسوء، حيث العقل الايماني بنفسه كافة.

٢٠٩ / ٢

٢٠٩- ﴿فَإِنْ زَلَلْتُمْ﴾ في خطواته عن الهدى ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾ فطريا و عقليا و شرعيا، آفاقيا و أنفسيا ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ يأخذكم بعزة ﴿حَكِيمٌ﴾ في أخذه أو عفوه إن تبتم إليه.

٢١٠ / ٢

٢١٠- ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ انتظارا غالطا في أمر من أمور الوحي ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ نفسه ﴿فِي ظُلُمٍ مِنَ الْغَمَامِ وَ﴾ يأتيهم ﴿الْمَلَائِكَةُ﴾ قبل وقته ﴿وَ﴾ عند إتيانهم ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ إذ يأتون في ختام الأمر ﴿وَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ على أية حال في الأولى و الأخرى، و لا سيما إياها، فما ذا يفعلون عند انقضاء الأمر و قضاء الله فيه.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٣٣

٢١١ / ٢

٢١١- ﴿سَلِّ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ﴾ ربانية خوفا و طمعا، و هم يبدلون نعمة الله نقمة ﴿وَ مَنْ يبدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ﴾ آيات بينات إلى غيرها ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ﴾ بينة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

٢١٢ / ٢

٢١٢- ﴿زَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ تزيينا رحمانيا إبتلاء: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زِينًا لَهُمْ أَعْمَالُهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ (٢٧: ٤) و شيطانيا بلاء: ﴿فَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمْ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١٦: ٢٣) ﴿وَ﴾ الحال أنهم ﴿يَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ كيف يتركونها أو يحدّدونها إلى الأخرى ﴿وَ﴾

الَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿۝﴾ مَهْمَا كَانُوا هُمْ فَوْقَ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الدُّنْيَا ﴿۝﴾ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿۝﴾ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ ﴿۝﴾ اللَّهُ رَزَقَهُ وَ يَشَاوُهُ أَصْحَابُهُ ﴿۝﴾ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿۝﴾ حَيْثُ آمَنُوا بِهِ وَ اتَّقَوْهُ بِغَيْرِ حِسَابٍ.

٢١٣ / ٢

٢١٣- ﴿كَانَ النَّاسُ﴾ بطبيعة الحال دون اتصال بالوحي ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ ضلّالا على دركاتها ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ﴾ منذ كان الناس، أو "كان الناس" لفترة من الزمن الأول بعد آدم حتى حين "فَبَعَثَ .." ﴿مُبَشِّرِينَ﴾ إياهم بنتائج شرعة الله في الأولى و الأخرى ﴿وَمُنْذِرِينَ﴾ إياهم من خلفيات تخلفاتهم السيئة فيها و "النَّبِيِّينَ" هم أعظم الرسل لمكان ﴿وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ و ليس كل رسول ذا كتاب ألهم إلا تبع لمن أنزل عليه ﴿بِالْحَقِّ﴾ نزولا و منزلا و غاية ﴿لِيُحْكُمَ﴾ الله به أو الكتاب بمن أنزل إليه ﴿بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ اختلافا قبله في ضلالاتهم، و اختلافا بعده في الكتاب ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ﴾ ثانيا ﴿إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾ الدالة على حق الكتاب ﴿بَغْيًا﴾ على الحق ﴿بَيْنَهُمْ﴾ أنفسهم ﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالكتاب حقا ﴿لَمَّا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ﴾ فرقانا بين الحق تصديقا و الباطل تكذيبا ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ الهدى فيشأها الله ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ لا ينزلون عنه، ففي أجواء التحريفات الكتابية، و لا سيما فترة الرسل كما بين المسيح و محمد عليهما السلام، إنما شملت هدى الله "الَّذِينَ آمَنُوا" حقا، على صعوبتها عليهم في "ظلماتٍ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ" و الالتزام بهدى الله في تلكم الظرف هي أعلى و أغلى عند الله.

٢١٤ / ٢

٢١٤- أ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ دُونَ شَرْطٍ ﴿۝﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ ﴿۝﴾ مِنْ ابْتِلَاءَاتِ إِذْ ﴿۝﴾ مَسَّتْهُمْ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَ زَلْزَلُوا ﴿۝﴾ فِي الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَ الْاطْمِينَانِ بِهِ ﴿۝﴾ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ﴿۝﴾ صَدَقَا ﴿۝﴾ مَتَى نَصَرَ اللَّهُ ﴿۝﴾ نَظْرَةَ نَصْرِهِ فِي هَذِهِ الْبَلَايَا الْمَلْتَوِيَةِ لِمَنْ زَلْزَلُوا ﴿۝﴾ إِلَّا إِنْ نَصَرَ اللَّهُ قَرِيبٌ ﴿۝﴾ كَيَانَا مُتَحَقِّقًا مَهْمَا كَانَ بَعِيدًا زَمَنًا، فَكُلَّ آتٍ قَرِيبٍ.

٢١٥ / ٢

٢١٥- ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يَنْفَعُونَكُمْ قُلْ مَا أَنْفَعْتُكُمْ مِنْ خَيْرٍ﴾ حلّ زائد عن حاجيات ضرورية ف "خَيْرٍ" إجابة ضمنية و الأصل هنا مورد الإنفاق ﴿فَلِلَّوَالِدَيْنِ﴾ مَهْمَا عَلُوا جَدُودًا وَ جَدَاتٍ ﴿وَالْأَقْرَبِينَ﴾ غيرهما نَسَبًا، أو سببا كما الزوجين و الأصهار، أو إيمانًا و هو أعلى القرب ﴿وَالْيَتَامَى﴾ المنقطعين عن آبائهم ﴿وَالْمَسَاكِينَ﴾ الذين أسكنهم العدم ﴿وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾ و هو سبيل الله، دون سبيل الشيطان و هو المحرم فقط ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ إنفاقا في مادته و مورده و نيته، أم سواه من خير ﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ على أية حال، فلا يهد رهباء مهما ينفق دون مقابل ظاهر.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٣٤

٢١٦ / ٢

٢١٦- ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾: مقاتلة من يقاتلكم دون بدء فيه ﴿وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ﴾ مخافة على الأخطار ﴿وَوُكِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾ عسى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا ﴿بَغْضًا﴾ وَ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ﴿وَأَنْتُمْ تَحْسِبُونَهُ شَرًّا لَكُمْ﴾ وَ عسى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَ هُوَ شَرٌّ لَكُمْ ﴿مَعَاكِسَةَ الْكُرْهِ وَ الْحُبِّ قَضِيَّةَ جَهْلِكُمْ﴾ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿فَلَا بَدَّ أَنْ نَجْهَلَ أَنْفُسَنَا أَمَامَ مَا أَمَرَ اللَّهُ أَوْ نَهَى عَنْهُ بِصُورَةٍ مُطْلَقَةٍ، وَ لُغَةٍ الْكُرْهِ فِي الْقُرْآنِ كُلِّهِ تَعْنِي حَرَمَةَ مَغْلَظَةِ كُونِيَا أَوْ شَرْعِيَا، كَمَا أَنَّ "كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا" (١٧: ٣٨) تَدُلُّ عَلَيْهَا، حَيْثُ الْمَشَارُ إِلَيْهَا مُحَرَّمَاتٌ مَغْلَظَةٌ كَالْإِشْرَاقِ بِاللَّهِ وَ قَتْلِ النَّفْسِ وَ الزَّنا وَ قَفْوِ غَيْرِ الْعِلْمِ وَ مَا أَشْبَهَهُ.

٢١٧ / ٢

٢١٧- ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ على طول الخط سؤالا عن مهبط الوحي ﴿عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ عن ﴿قِتَالٍ فِيهِ﴾ و هو "أَرْبَعَةُ حُرُمٍ" ﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ من البادئ فيه دون المدافع، ثم ﴿وَ﴾ هو ﴿صَدُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الحج ﴿وَ كُفْرٌ بِهِ﴾ الله و سبيله ﴿وَ﴾ بـ ﴿الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ حيث يهتك بالقتال ﴿وَ إِخْرَاجُ أَهْلِهِ﴾ المسجد الحرام: مكة- الحرم كله ﴿مِنْهُ أَكْبَرُ﴾ من قتال فيه ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ بقتال و سواه، فإنه فتنة عقيدية ﴿وَ الْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ و "أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ" (٢: ١٩١) فإنه قتل للجسم و هى قتل الروحانية و قد تعم "الْفِتْنَةُ" العقيدة الصالحة إلى العلم و الأخلاق و العمل، و العرض و العقل و الحال، مهما كانت درجات، و لذلك يجوز أو يجب القتال لحفظ المال إذا كان كثيرا ﴿وَ﴾ هم ﴿لَا يَزَالُونَ يَقَاتِلُونَكُمْ﴾ فيه و فى سواه مكانا و زمانا ﴿حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ﴾ و هو الفتنة الأكبر من القتل ﴿إِنْ اسْتَطَاعُوا﴾ و عليكم ألا تخرجوا عن دينكم على أية حال ﴿وَ مَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾ بقتال و سواه ﴿فَيَمُتْ وَ هُوَ كَافِرٌ﴾ دون من يؤمن بعد ﴿فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾ كأن لم يعملوا صالحا ﴿وَ الْآخِرَةُ﴾ حيث يردونها فاشلين عن كل خير ﴿وَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ أبديا و سواه، حسب دركات ارتدادهم.

٢١٨ / ٢

٢١٨- ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ حقا ﴿وَ الَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ بإيمانهم مخافة ارتدادهم و مغبة الدعوة إلى الله ثم ﴿وَ جَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أينما كانوا مواطنين و مهاجرين ﴿أُولَئِكَ﴾ الأكارم ﴿يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾ حقا صادقا لا سواهم، مهما اختلفت درجاتهم ﴿وَ اللَّهُ غَفُورٌ﴾ من يخطأ ثم يتوب، أو يقصر عما يتوجب عليه و لأنه ﴿رَحِيمٌ﴾ فى موضع العفو و الرحمة.

٢١٩ / ٢

٢١٩- ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَ الْمَيْسِرِ﴾ سؤالا عن كافة المحاولات فيهما، و هى الآية قبل الأخيرة المدنية فى حرمتها، فالخمر هى كل ما يخمر العقل خمرا و سواها، و الميسر هو ما ييسر أكلا بباطل، و عداوة و بغضاء و صدا عن ذكر الله و عن الصلاة كما فى آية المائدة ﴿قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ و قد حرم الإثم فى مكة و المدينة مطلقا فى (٤٨) آية، و هما من الكبير فحرمة كبيرة، ثم ﴿وَ مَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ خيالية و سواها ﴿وَ﴾ لكن ﴿إِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ فهذه ضابطة ثابتة أن كلما إثم أكبر من نفعه محرم، فضلا عن خالص الإثم و الضر فإثم أكبر من ذلك الأكبر ﴿وَ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ مالا أو حالا أو علما و ما أشبه مما يحل إنفاقه ﴿قُلِ الْعَفْوَ﴾: الزائد عن الحاجة العادية، ثم الوسط، ثم الغفر و إمحاء الأثر السىء ﴿كَذَلِكَ﴾ البين البين ﴿يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ الآيات الدالة على ربانيتها و تربيتها ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ فى هذه الآيات البينات.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٣٥

٢٢٠ / ٢

٢٢٠- "تَتَفَكَّرُونَ" على أية حال ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ ماهية ﴿وَ﴾ فى ﴿الْآخِرَةِ﴾ ماهية، فلا تعتبروا الدنيا إلا مزرعة للآخرة لا مزرعة للآخرة ﴿وَ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى﴾ ما هو الواجب أمامهم ﴿قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ﴾ قدر المقدور حالا و مالا و مالا ﴿خَيْرٌ﴾ فغيره شرمهما لم يكن إفسادا عليهم ﴿وَ إِنْ تَخَالَطَوْهُمُ﴾ فى العيشة مغبة إصلاح لهم ﴿ف﴾ هم ﴿إِخْوَانُكُمْ﴾ فى الإنسانية المؤانسة السليمة، ف" فى الدين" إنما هو بين المكلفين: "فَإِنْ تَابُوا وَ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَ آتَوْا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ" (٩: ١١) فلا بد من إصلاحهم ﴿وَ اللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ و من لا يصلح و لا يفسد هو من زمرة المفسد ﴿وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ﴾ فأعيانكم أمامهم ألا تخالطوهم على ما عليكم من إصلاح لهم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ فبعزته يفرض عليكم إصلاحا لهم ﴿حَكِيمٌ﴾ فبحكمته يسمح لكم مخالطتهم دون دقيق المحاسبة.

٢٢١ / ٢

٢٢١- ﴿وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ﴾ و بأحرى المحدثات ﴿حَتَّى يُؤْمِنَ﴾ بالله عن إشراكهن مهما كان توحيدا كتابيا، أو بأحرى إسلاميا، فالمحرم منهن فقط غير الكتابيات إذ حللهن آية المائدة "وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ" ﴿وَلَأَمَّةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَا أُعْجِبَتْكُمْ﴾ مشركة ﴿وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ مؤمنات ﴿حَتَّى يُؤْمِنُوا﴾ إسلاميا، فغيره محرم عليهن إذ "فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ" (٦٠: ١٠) فالكافر مشركا و سواء لا يحل لمؤمنة، مهما حلت الكتابية للمؤمن لآية المائدة، ذلك ﴿وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَا أُعْجِبَكُمْ﴾ حيث إن ﴿أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ وهذه الدعوة النارية هي أكثرية في غير الإيمان و هي قضية سيطرة البعولة على النساء، ثم إذا مسلم أو مسلمة دعى إلى النار حرم نكاحه، بل و كل نكاح فيه تخلف عن حدود الله باطل بداية و زائل نهاية، و قد يحل و لا سيما في الدعوة إلى الجنة، مشركة لمسلم، دون كافر لمسلمة للنص على تأمل فيهما ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ﴾ بنكاح صالح و سواء من رباطات و سواها ﴿وَيَبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ حق الدعوة الفطرية و العقلية و الشرعية.

٢٢٢ / ٢

٢٢٢- ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾ و هو مسيل دم خاص من فرج امرأة، سؤالا عن إتيانها قبلًا حال حيضها، أو و عن هذه الحالة لها، و الجواب يشملهما ﴿قُلْ هُوَ أَذَى﴾ حالة لها و عليه، و هي ضرر دون المرض، إذا ﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ زمانه بمكانه، لا فحسب اعتزال المقاربة في مكان الحيض، بل ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ﴾ مقاربة، و قربا هو من مقدماتها، قبلًا أو دبرا فان "لا تَقْرَبُوهُنَّ" حظر عام لا يناسب جواز إتيانهن من أدبارهن، و لا قربهن في مقارب إتيانهن، و أقله بين السرة و الركبة، اعتزالا عاما عن أصل مقاربتهم مطلقا و عما يقرب إليها، كملا مستهن بين السرة و الركبة، حتى متى ﴿حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾ عن سيل دمأهن، فتجوز- إذا- قربهن فمقاربتهم في قبلهن فقط بمقدماتها ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ من الحيض غسلا عنه ﴿فَأَتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ سماحا لأنه أمر عقيب خطر ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ التَّوَّابِينَ وَ يَحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾.

٢٢٣ / ٢

٢٢٣- ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ﴾ و لا حرث إلا من القبل ﴿فَاتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ متى شئتم و أينما شئتم إلا ما أستثنى كأدبارهن أصالة إذ ليست حرثا حتى تسمح، أو حالة كما الصوم و الإحرام و النفاس ﴿وَقَدِّمُوا لِنَفْسِكُمْ﴾ من حرثكم ﴿وَأَتَّقُوا اللَّهَ﴾ عن أدبارهن و سواها من محظور ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَ بَشَرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بالله حيث يتقون الله.

٢٢٤ / ٢

٢٢٤- ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِإِيمَانِكُمْ﴾ معرضا عريضا دون ضرورة، لـ ﴿أَنْ تَبْرُوا وَ تَتَّقُوا وَ تَصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ﴾ أو مخافة "أَنْ تَبْرُوا..." ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ أيما نكم ﴿عَلَيْمٌ﴾ بمواضعها محظورا و مجبورا.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٣٦

٢٢٥ / ٢

٢٢٥- ﴿لَا يُوَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ أيما نا لاغية غير قاصدة، أو لاغية غير صالحة، أو منقوضة بالحنث فيها ... مؤاخذه أصيلة ﴿وَلَكِنْ يُوَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ بذلك اللغو، فلا لغو مطلقا في حقل الأيمان ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ أخطاكم ﴿حَلِيمٌ﴾ بكم إن تبتهم.

٢٢٦ / ٢

٢٢٦- ﴿لِلَّذِينَ يُؤْثِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ﴾ حلفا بترك مباضعتهم ﴿تَرْبُصُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ هي منتهى الغاية المسموحة في ترك وطئهن ﴿فَإِنْ فَأَوْا﴾ رجعوا عما حلفوا به ففعلوا فيهن ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ عن أيما نهم المتخلفة ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم.

٢٢٧- ﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ﴾ قبل الأربعة أو بعدها ﴿فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ طلاقهم، فهو بحاجة إلى صيغة لفظية لمكان سميع ﴿عَلِيمٌ﴾ بما يقصدون و يفعلون من صالح الطلاق و طالحه، و هنا يشترط دوام النكاح لمكان "الطلاق".

٢٢٨- ﴿وَالْمُطَلَّاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ جمعا بين ثلاثة حيض و ثلاثة أطهار أولاهن طهر غير الواقعة الذى فيه الطلاق، قضية جمعية القرء لكلا الطهر و الحيض، و أن "قروء" جمع كثرة لا قلة، و هنا تخصص الصغيرة و غير المدخول بها و اليائسة و التى لن تحمل قطعيا، فإنما العدة من الماء لآيات أخرى و روايات ﴿وَلَا يَحِلُّ لِهِنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ﴾ خلال عدتهن فرارا بتمامها عن رجوعهم إليهن، إلا أن عدة الحامل هى وضع الحمل ﴿إِنْ كُنَّ يَوْمَئِذٍ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ الحمل متأكدا أو محتملا ﴿إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا﴾ بذلك الرد، ما أفسدوه فطلقوهن، و إلا فلا حق لهم فى ردهن إلى الزواج، و لا سيما مضارة: ﴿وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ﴾ (٦: ٦٥) ﴿وَلَهُنَّ﴾ المطلقات فضلا عن غيرهن ﴿مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ بينهما ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَ دَرَجَةٌ﴾ الرجولة لا الفضيلة، و منها حق الطلاق لهم دونهن، و ما أشبهه، اللهم إلا فيما يحق لهن كخرج أو عسر أو خوف من ترك حدود الله فضلا عن حتمه أو واقعه ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ كطلاق بعزته، و وفاق بحكمته.

٢٢٩- ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ﴾ حيث بعدهما الرجعة ثم ﴿فَإِمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ﴾ رجوعا ﴿أَوْ تَسْرِيحُ بِإِحْسَانٍ﴾ تركا ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا﴾ صداقا أو هبة أو - بأحرى - نفقة ﴿إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يَقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ فطلاق مباراة إن كان الخوف منهما أصالة، أو خلع إن كان منها فخوف منه - إذا - تبعاً، فلكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا ككل فى الأول إلا النفقة، و بعض فى الثانى، دون ما لم تؤتوهن ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يَقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾ مما آتيتموهن ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا﴾ و منه الاعتداء عما آتيتموهن ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ الحق و أهليه، كأن لا ظالم إلا هم، فإنه محادة الله.

٢٣٠- ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾ بعد المرتين، فهى مرأت ثلاث، فالمرّة الواحدة بلفظة الثلاث ليست بمرأت ﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ﴾ لا رجوعه و لا رجع بعقد جديد ﴿حَتَّى تَنْكِحَ﴾ هى وطأ ﴿زَوْجًا غَيْرَهُ﴾ فان نكاح الزوج وطئ و ليس عقدا فانه تحصيل الحاصل ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾ زوج غيره، فنكاحها إذا دائم لمكان الطلاق، و لا بد للمحلل نية الدوام لصيغته، و إلا فهو سفاح إذ لا وقت معينا حتى يكون منقطعا مهما لا يفيد، و لا نية دوام حتى يكون دائما يفيد" فَإِنْ طَلَّقَهَا" بعد نكاح هكذا ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا﴾ بعقد جديد ﴿إِنْ ظَنَّا أَنْ يَقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾ فان لم يظنا فلا تراجع، كما لا رجعة فى الأولين إلا بإرادة الإصلاح ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يَبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ واجب الإتيان لشرعة الله.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٣٧

٢٣١- ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَّغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ هو تمام ثلاثة قروء ﴿فَإِمْسَاكُهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ إرادة الإصلاح رجوعا قبل تمام الأجل ﴿أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ تركا لهن حتى يتم الأجل ﴿وَلَا تُمَسِّكُوهُنَّ ضِرَارًا لَتَعْتَدُوا﴾ عليهن، أن ترجعوا إليهن فى الأولين قبل تمام العدة ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ بما ظلمهن فإنهن كأنفسهم "هُنَّ لِبَاسُ لَكُمْ وَ أَنْتُمْ لِبَاسُ لَهُنَّ" و "بَعْضُكُمْ مِنْ

بَعْضٍ" و من ثم ظلم الظالم راجع إليه نفسه بتبعته ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا﴾ كأن ترجعوا إليهن ضرارا أو دون إصلاح مغبة الضغط عليهن حتى لا يتزوجن لفترة أو مطلقا، أو يهين صدقاتهن ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ و منها السماح فى ردهن إلى الزواج ﴿وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ مهما أخفيتن نياتكم السيئة.

٢٣٢ / ٢

٢٣٢- ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ قَبْلَ أَنْ أَجْلَهُنَّ﴾ قرب وصوله أو تمامه ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ منعا ﴿أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾ الأولين ردا لهن إلى أزواجهن، أو الآخرين بعد تمام أجلهن أن ينكحن أنفسهن لهن، تعصبا جاهليا ﴿إِذَا تَرَاصُوا بَيْنَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ إرادة الإصلاح للأولين، و صالح الزواج للآخرين ﴿ذَلِكَ يَوْعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ من خلافه، فإنه دنس ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ مصالحكم فى الأولى و الأخرى، فعليكم إيمانا بالله أن تتبعوا أحكامه لصالح حياتكم.

٢٣٣ / ٢

٢٣٣- ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ﴾ وجوبا ﴿أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنَ كَامِلَيْنَ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ يرضعن حولين بذلك الشرط و دونهما دون شرط ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ﴾ الوالد ﴿رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ فى عرف الشرع، و هو وسعهم، مهما كان بعد طلاق، فضلا عما قبله ف ﴿لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ إرضاعا من والدته و رزقهن من والد ﴿لَا تُضَارُّ وَالِدَةُ بَوْلِهَا﴾ أن تضار والده بسبب ولدها ﴿وَلَا﴾ يضار ﴿مَوْلُودُهُ بَوْلِهِ﴾ فلا يجعل الولد بينهما سببا لمضارة بينهما، بل هو أمانة عندهما إرضاعا و رزقا ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ﴾ للوالد ﴿مِثْلُ ذَلِكَ﴾ الذى على الوالد من أجره الرضاعة و رزقهن و كسوتهن بالمعروف دون مضارة ﴿فَإِنْ أَرَادَا الْوَالِدَانِ فَصَالًا عَنْ تَرْضَاعٍ مِنْهُمَا﴾ مصلحة للولد و لهما حسب شرعة الله ﴿وَتَشَاوُرٍ﴾ صالح فى الفصال ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ﴾ بإرضاع أمهاتهم ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ﴾ و إلا فلا استرضاع كواجب ثان، مهما وجب كأصل و ضابطة ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ بحق الأولاد و الوالدات ﴿وَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ و من تقوى الله اتقاء الأمهات عن ألا يرضعن أولادهن، و اتقاء الآباء عن ألا يدفعوا لهن أجورهن إذا طلبن ذلك، و خير الألبان هى ألبان الأمهات شرعيا و طبيئا، و هى حق للأولاد على أية حال، إلا عند الضرر أو الاضطراب، فالإرضاع واجب الأمهات كأصل، و واجب ثان عند ما يدفع أجرهن له، فإن لم يكن أجر قصورا أو تقصيرا لم يسمح للوالدة ألا ترضع إلا لضرورة، إلا تمام الحولين الكاملين "لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ" فدونهما مطلق فى الوجوب، فالإرضاع قبل الحولين واجب عليها مطلق، و إلى الحولين "لِمَنْ أَرَادَ" مهما كان الأجر واجبا عليه قبلهما أيضا و لكنه واجب عليها و إن لم تعط أجرا بمطالبتها.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٣٨

٢٣٤ / ٢

٢٣٤- ﴿وَالَّذِينَ يَتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾ دون المطلقات و حتى الرجعيات منهن خارجات هنا عن "أزواجا" إذ لا يمكن الرجوع إليهن و لا يشترط فى عدة الوفاة أى شرط هو فى سائر العدد ﴿يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ﴾ عن زواج آخر ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَ عَشْرًا﴾ لىالى تناسب تسعة أنهار لمكان "عشرا" ابتداء من يوم الوفاة، إلى نفس اليوم من الشهر الاتى إلى آخر الأربعة ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجْلَهُنَّ﴾ هذا ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ زواجا معروفا ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ منعا لزواجهن بعد أجلهن، صالحا أو طالحا، و تجب نفقاتهن إلى الحول غير إخراج: "وَالَّذِينَ يَتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ" (٢: ٢٤) و ذلك المتاع هو من أصل التركة.

٢٣٥- ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾ ثيبات و أبكارا، مطلقات و سواهن ﴿أَوْ أَكُنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ دون تعريض ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾ خطبة ﴿وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ دون خطبته، أو خطبته قبل تمام العدة ﴿إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ مهما كان خطبته فى عدة عناية لما بعدها ﴿وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ﴾ عدة ﴿أَجَلُهُ﴾ فتجوز الخطبة إذا دون عزم لعقدة النكاح حالها ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ من خير أو شر ﴿فَأَحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ عما سلف بتوبة ﴿حَلِيمٌ﴾ فى غفره.

٢٣٦- ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمْ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ﴾ إذ ليس مسهن واجبا قبل طلاقهن ﴿أَوْ﴾ لم ﴿تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ حيث تنتقل إلى مهر المثل ﴿وَمَتَّعُوهُنَّ﴾ مع صداق مقرر أو مثلى ﴿عَلَى الْمَوْسِعِ قَدْرُهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدْرُهُ﴾ لا على الغنى أو الفقير، بل الذى يوسع فى الإنفاق أو يقتصر مهما كان الثانى غنيا و الأول فقيرا أو هما مثلان ﴿مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ حتى تمتع المطلقة معروفا ينسى صعوبة طلاقها، إضافة إلى صداقاتهن، كهدية الفراق، كما يهدى إليهن للوفاق، بداية و بعدها.

٢٣٧- ﴿وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً ف﴾ ضابطة صداقاتهن ﴿نِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ و إلا فنصف مهر المثل ﴿إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ﴾ عن هذا النصف فلا يأخذن ﴿أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ﴾ و هو الزوج فقط إذ بيده عقدة النكاح فى كلا الإيجاب المشترك بينهما، و السلب الخاص به، فعفوهم ليس إلا عن النصف المعفو أن يدفع كله، و لا دور لوالدها هنا، إذ ليس بيده هذه العقدة المزدوجة ﴿وَأَنْ تَعْفُوا﴾ أيها الأزواج هو ﴿أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ عن خلفيات الطلاق، فأنتم أخرى بذلك العفو منهن قضية عقدة النكاح و رجولتكم ثم ﴿وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ طيلة العشرة الزوجية ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

ذلك، و لو كان "عقدة النكاح" مختصة بوالدها إيجابيا، لم يكن للزوجين - إذا- دخل فيها، و لو كانت هى العقدة الإيجابية فقط لم تختص بالزوج، فهى العقدة المطلقة، سلبية بطلاق كإيجابية العقد، و تلك العقدة الكاملة هى التى تستوجب عفو الزوج عن النصف الآخر فليدفع كل الصداق، إضافة إلى رجولته، و تقدم عفوهم عن نصف الصداق فى الذكر، فهم أخرى به، ثم "لا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ" تشجيع لهما على ذلك العفو، و من ثم "وَأَنْ تَعْفُوا" أيها الأزواج، هو "أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى" عن مخلفات الطلاق، حيث الخسران فيه راجع إلى الزوجة أكثر من الزوج.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٣٩

٢٣٨- ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ﴾ كلها ﴿وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾ نهاريها هى الظهر، أو يوميا هى الفجر، فهما من الصلاة الوسطى، كما الجمعة إضافة إلى كونها ظهرا هى منها، و هكذا سنويا هى صلاة العيدين للكل، و صلاة الآيات و الطواف للبعض، و مما يدل على أن صلاة الفجر من الوسطى، بل فى قمتها: "أَقِمِ الصَّلَاةَ لَدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَ قُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا" (١٧: ٧٨) ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ خاضعين فى صلواتكم و غيرها.

٢٣٩- ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ من عدو أو سبع يلاحقكم إذا قمتم فيها ﴿فَرَجَالًا﴾ راجلين ﴿أَوْ رُكْبَانًا﴾ راكبين ﴿فَإِذَا أَمِتُمْ﴾ عما خفتم ﴿فَادْكُرُوا اللَّهَ﴾ فى صلواتكم ﴿كَمَا عَلَّمَكُمُ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ دون إعادة لما صليتم فى وقتها، و كذلك كل ما علمكم من أحكامه، و هذا قصر عن كيفية الصلاة عند الخوف، و كما قد يقصر عن كيفيتها عند الخوف، "و إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ" كيفاً "إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا" (٤: ١٠١) و من القصر كيفاً - إذا- "و إِذَا كُنْتُمْ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ" (١٠٢) حيث الجماعة الجامعة حالة الحرب تسبب خوفاً من الذين كفروا، إذا فلا قصر كيفاً إلّا عند الخوف على النفس و ما أشبهه.

٢٤٠ / ٢

٢٤٠- ﴿وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْكُمُ وَ يَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً﴾ نوصى لهم وصية، و عليكم وصية من الله، أو توصون وصية ﴿لأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ﴾ بعد وفاتهم ﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ إياهن ﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾ من عند أنفسهن ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ﴾ زواجا و سواه ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ يحكم بما يزيد عن ميراثهن ﴿حَكِيمٌ﴾ فى ذلك و سواه.

٢٤١ / ٢

٢٤١- ﴿وَالْمُطَلَّاتِ﴾ مطلقا ﴿مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ﴾ زيادة صدقاتهن ﴿حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ اللهم إلا فى خلع أو مبارات، بل و فيهما ايضا لإطلاق المطلقات، فهو- إذا- بحكمة الطلاق.

٢٤٢ / ٢

٢٤٢- ﴿كَذَلِكَ﴾ الذى مضى ﴿يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ و تأخذونها رابطتين إياها بحياتكم.

٢٤٣ / ٢

٢٤٣- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَ هُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾ إذ فرّوا من الموت فأماهم الله، مما يدل على أنه بيد الله، مهما يجب الفرار عن مظاهره ﴿فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا﴾ حيث أماتهم فى مفرهم ﴿ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ دليلا واقعا على إمكانية الحياة بعد الموت، هنا رجعة زمن صاحب الأمر عليه السلام و يوم القيامة لحياة الحساب ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾.

٢٤٤ / ٢

٢٤٤- ﴿وَ قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ الذين يقاتلونكم ﴿وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ مقالاتكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بحالاتكم.

٢٤٥ / ٢

٢٤٥- ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يقرضُ اللَّهَ قَرْضًا و قطعاً للنفس و المال و كل نفيس﴾ ﴿قرضاً حسناً﴾ دون رءاء، و إنما يقرض الله ﴿فَيضاعِفُهُ لَهُ أَضعافاً كثيرة﴾ بعضا هنا و تماما فى الأخرى ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ﴾ عمن يشاء ﴿وَيَبْصِطُ﴾ لمن يشاء، دون أن ينافيا سعيه صالحا أو طالحا ﴿وَالِلَّهِ﴾ لا سواه ﴿تَرْجِعُونَ﴾ فى الدنيا و الآخرة مهما اختلفا مادة و شاكلة و قدرا.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤٠

٢٤٦ / ٢

٢٤٦- ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ بوحينا ﴿إِلَى الْمَلَأِ﴾ جماعة تما لا العيون ﴿مَنْ بَنَى إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا﴾ إذ لم يجدوا فيه مؤهلات السلطة الزمية رغم كمال الجمع بينهما، أم "ملكاً" ينوبه فى السلطة العسكرية و هو قائد كافة القوات الروحية و الزمنية ﴿نُقَاتِلُ﴾ على ضوء قيادته الملكية ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فهو السلطة العسكرية دون ما سواها من سلطات هى برمتها حق الأنبياء ﴿قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا﴾ حيث يصعب عليكم بعد طلبه ﴿قَالُوا وَ مَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ﴾

فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴿وَقَدْ أَخْرَجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَانَنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا﴾ عَنْهُ جَمِيعًا ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾.

٢٤٧ / ٢

٢٤٧- ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ حَيْثُ يَحِقُّ لِلْمَلِكِ عِنْدَ اللَّهِ ﴿قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ﴾ كَلْنَا، لِأَنَّهُ أَوْفَرُ حَالًا وَ مَالًا مِنَّا ﴿وَلَمْ يُوْتِ سَعَةً مِنَ الْمَالِ﴾ حَيْثُ هُوَ الَّذِي يَحَقُّ الْمَلِكُ بِالْمَالِ ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ﴾ فِيمَا يَحِقُّ لِلْمَلِكِيَّةِ وَ كَمَا تَطَلَّبْتُمْ بَعَثَهُ مِنِّي مِنَ اللَّهِ، ثُمَّ ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ وَ هُمَا الْأَصْلِيَّتَانِ مِنَ الْقَوَاتِ الْمَلِكِيَّةِ ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ فِي رَحْمَتِهِ ﴿عَلِيمٌ﴾ بِمَوَارِدِهَا، فَلَيْسَتْ جِدَارَةُ الْمَلِكِ كَمَا تَزْعُمُونَ بَلْ هِيَ مَرْبُوطَةٌ بِمَنْ اصْطَفَاهُ اللَّهُ، وَ "زَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ" مَلِكِيَا كَكُلِّ وَ فِي "الْجِسْمِ" رَهْبَةً فِي صُدُورِ الْكَفَّارِ حَتَّى يَهَابُوهُ.

٢٤٨ / ٢

٢٤٨- ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ﴾ إِضَافَةٌ إِلَى آيَةِ وَحْيِهِ تَعَالَى لِمَلِكِهِ ﴿أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ﴾ لَعَلَّهُ صَنْدُوقُ الْحِفَافِ لِمُوسَى الْوَلِيدِ فِي الْيَمِّ وَ عَصَا هَارُونَ وَ الْمَنْ وَ لُوحِي الْعَهْدِ ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ﴾ لَكُمْ ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ كَمَا كَانَ لِمُوسَى (ع) كَمَا ﴿وَو﴾ فِيهِ ﴿بَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَ آلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ ﴿التَّابُوتَ﴾ مَعَ آيَةِ الْوَحْيِ ﴿آيَةً﴾ وَاحِدَةً فِيمَا بَعَثْنَا مِنْ مَلِكٍ ﴿لَكُمْ﴾ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿بَآيَاتِ اللَّهِ﴾.

أَجَلْ، فَكَمَا أَنَّ الْمَلِكِيَّةَ الرُّوحِيَّةَ عَنِ اللَّهِ، هِيَ مِمَّا يَصْطَفِيهَا اللَّهُ، وَ كَذَلِكَ الْمَلِكِيَّةُ الزَّمْنِيَّةُ، حَيْثُ تَدِيرُ شُؤْنَ عِبَادِ اللَّهِ، وَ لَا بَدَّ مِنْ جَمْعِهِمَا فِي الدَّعَاةِ إِلَى اللَّهِ، أَمْ وَ إِذَا انفَصَلَا عَنْ بَعْضِهِمَا الْبَعْضُ، فَالْمَفْرُوضُ تَرَابُطُ رَبَانِي عَلَى ضَوْءِ شَرْعَةِ اللَّهِ بِاصْطِفَائِهِ بَيْنَهُمَا، وَ كَمَا كَانَ دَاوُدُ وَ سُلَيْمَانُ مَلِكَيْنِ نَبِيِّنَ، وَ نَبِيَّيْنِ مَلِكَيْنِ، وَ لَا بَدَّ أَنْ يَتَصَادَقَا فِي هَذَا الْبَيْنِ، فَلَا الزُّهْوَةَ الْمَلِكِيَّةَ تَكْدُرُ جُودَ الْقِيَادَةِ الرُّوحِيَّةِ، وَ لَا الْقِيَادَةَ الرُّوحِيَّةَ تَنْقُصُ مِنَ الْقِيَادَةِ الْمَلِكِيَّةِ.

فِي زَمَنِ الْوَحْيِ لَا بَدَّ- إِذَا انفَصَلَتَا- أَنْ يَكُونَ الْمَلِكُ الزَّمْنِي تَحْتَ قِيَادَةِ الْمَلِكِ الرُّوحِيِّ مُطْلَقًا، وَ فِي تَغْيِبِ الْعَصْمَةِ الطَّاهِرَةِ نَسْبِيًا- إِذَا- ف" الْعُلَمَاءُ حَكَامٌ عَلَى الْمُلُوكِ، وَ الْمُلُوكُ حَكَامٌ عَلَى النَّاسِ " وَ "السُّلْطَانُ ظِلُّ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ يَأْوِي إِلَيْهِ كُلُّ مَظْلُومٍ" لِأَنَّهُ سُلْطَانٌ عَلَى النَّاسِ فِي سِيَاسَتِهِ الْعَادِلَةِ، كَمَا الْعُلَمَاءُ سُلَاطِينٌ عَلَيْهِمْ فِي الْقِيَادَةِ الرُّوحِيَّةِ، وَ كِلَاهُمَا مِنَ اللَّهِ.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤١

٢٤٩ / ٢

٢٤٩- ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ الْمَلِكَ عَنْهُمْ﴾ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ ﴿فِي تِلْكَ الْحَرْبِ﴾ ﴿بَنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي﴾ رَغْمَ عَطَشِ الطَّرِيقِ ﴿وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ﴾ لَا شَرِبَا وَ لَا ذُوقَا ﴿فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ﴾ وَ لَمْ يَطْعَمْهُ فَضْلًا عَنْ شَرِبِهِ ﴿فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ بَيْنَ مَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَهُمْ الْأَصْلَحُونَ، وَ مَنْ طَعَمْهُ فَهُمْ- إِذَا- بَعْدَهُمْ، فَالْصَّفُ الْأَوَّلُ إِذَا لِلأَوَّلِينَ ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ إِلَّا مَنْ شَرَبُوا مِنْهُ ﴿قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَ جُنُودِهِ﴾ وَ هُمُ الَّذِينَ طَعَمُوا مِنْهُ وَ ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ﴾ وَ هُمْ مِنْ لَمْ يَطْعَمْهُ ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ وَ كَمَا أَدْنَى لَنَا اللَّهُ بِمَا بَعَثَ طَالُوتَ مَلِكًا ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ فِي الْبَأْسَاءِ وَ الضَّرَاءِ دُونَ تَقَلُّتٍ عَنْ إِيْمَانِهِمْ فِيهِمَا إِلَّا صَمُودًا.

٢٥٠ / ٢

٢٥٠- ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَ جُنُودِهِ قَالُوا﴾ هَؤُلَاءِ الْأَكَارِمُ غَيْرُ الطَّاعِمِينَ ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ حَيْثُ غَمَسْنَا الْخَطَرَ بِقَلَّتْنَا وَ كَثُرَتْهُمْ ﴿وَوُتِّبَتْ أَقْدَامُنَا﴾ عَلَى الْإِيْمَانِ مُحَارِبِينَ ﴿وَوُتِّبَتْ أَقْدَامُنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

٢٥١- ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ و العدد هو عدد الهازمين في حرب بدر، دون طاقتهم على قتلهم بل بخارقة ربانية ﴿وَقَتْلَ دَاوُدَ﴾ و هو من أفضل المؤمنين غير الطاعمين ﴿جَالُوتَ﴾ فلما سقط قائد الكفر سقطوا عن آخرهم ﴿وَأَتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ روحيا و زمنيا ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ في ملكه ﴿وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ الله بما يشاء لباقة ﴿وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾ كما هنا و كضابطة شرعية ﴿لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ على ساكنيها في نواميسهم ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ حيث يفرض عليهم الدفاع عن بأس الكافرين، ثم قد ينصرهم إذا يشاء.

٢٥٢- ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ﴾ تشريعية و تكوينية ﴿نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ تمشى ممشاهم و تنحو منحاهم بزيادة هي قضية الشريعة الأخيرة حيث تشمل كلها و زيادة. و هنا ندرس من "لَمْ يَطْعَمُهُ" أن الماء هو من طعام كما هو شراب، فـ "طَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ" تشمل الشراب إلى سواه مما يطعم و يؤكل، و أن المطعوم هو أعم من المأكول، فلم يقل "و مأكول" بل "و طَعَامٌ". ثم "يَطْنُونَ" تعنى ظن القلب، فان ظن العقل بقاء الله هو أدنى من الإيمان الصالح، و كما "الَّذِينَ يَطْنُونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ" (٢: ٤٦) بيانا للخاصين، يعنى ظن القلب، حيث الخشوع هو للقلب و الخضوع للقلب. و "فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ" عدة و عدة، هي الكثيرة إيمانا بالله و اطمئنانا بإذن الله، فهي الغالبة - إذا - على أية حال، و كما في حرب بدر و ما أشبه، ثم دفع الله الناس بعضهم ببعض، يعم تشريعه إلى تكوينه، أن أمرهم بالدفاع عن نواميسهم بشرعتهم، و عند صالح تطبيقه يؤيدهم في دفاعهم، و لا سيما في خصوص ما أذن به فيه. ذلك، فالفتنة المحاربة عدتها الايمانية أقوى من عدتها، لا سيما إذا كانت من عدتهم دخلاء يسيبون فشلا و انهزاما في المؤمنين، فلا بد لقائد القوات المسلحة من تسليحات إيمانية صامدة، قبل عدة العدد بأسلحتها الظاهرة.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤٢

٢٥٣- ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ﴾ على درجاتهم حيث ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ بالوحي، فالرسالة مادة و مدة، فـ ﴿مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾ كموسى (ع) ﴿وَوَفَّعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾ على كلهم كما أنت يا محمد (ص) ﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ﴾ المعروفة في كتابات الوحي و في القرآن ﴿وَإِذْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ في نفسه عصمة داخلية، و غيرها بملك الوحي ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ﴾ في شرائعهم تسييرا لهم أن يتركوه، فقد جعلهم مختارين ﴿مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾ لرسالاتهم و في كتاباتهم ﴿وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا﴾ رغم بيناتهم ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ﴾ بها ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ﴾ كفرا أو كفرانا ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ تكوينيا ﴿مَا أَفْتَتَلُوا﴾ حيث يشاء عدمه تشريعا مطلقا ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ حسب الحكمة العالية الربانية: "لا يسئل عما يفعل و هم يسئلون" (٢١: ٢٣).

٢٥٤- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا﴾ في سبيل الله ﴿مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾ من حال و مال يصح و يرجح أو يجب إنفاقه، مما يدل على حق الزكاة في كافة الأرزاق، دون اختصاص بالتسعة المفتراة على شريعة الله، ﴿مِن قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ﴾ برزخا و أخرى ﴿لَا يَبِيعُ فِيهِ وَ لَا خَلَّةٌ وَ لَا شَفَاعَةٌ﴾ فإنها تختص بيوم التكليف حيث تنتج ليوم الجزاء، فشفاعة الشافعين المأذونين من الله تنفع من استعد لها هنا ﴿وَالْكَافِرُونَ﴾ حتى موتهم كافرين ﴿هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ أنفسهم و سواهم.

٢٥٥- ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ في كافة ميزات الألوهية ﴿الْحَيُّ﴾ بذاته سرمديا ﴿الْقَيُّومُ﴾ لنفسه و لما سواه من المربوبين، فحياته تعم صفات ذاته، و قيموميته تعم صفات فعله رحمانية و رحيمية ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ﴾ قد تأخذ غيره دون نوم ﴿وَلَا نَوْمٌ﴾ قد يأخذ غيره دون سنة أو معها، فكلا السنة و النوم هما من رخوة الأعصاب و عى الأشغال و هو "الْحَيُّ الْقَيُّومُ" فقط ﴿لَهُ﴾ لا سواه ﴿مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ و هما كل الكون، ملكية و ملكية لا حول عنهما إلى من سواه ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ﴾ و الكائنات برمتها عنده ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ دون تحويل و لا توكيل، بل عند الشفاعة خصوصا، و بشروطهما عموما ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ﴾ علما و قضاء ﴿السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الكون كله ﴿وَلَا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾^٩.

٢٥٦- ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ طاعة قلبية دون تبين، إذ ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ فعنده يلزم من تبين له الرشد على تطبيقه، فلا ينافى عدم الإكراه في الدين الحمل على فعل المعروف و ترك المنكر، المقبولين بحجتهم أصليا و فرعيا ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾ لتبين غيه ﴿وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ لتبين رشده ﴿فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا﴾ اللهم إلا الذين "جحدوا بها و استيقنتها أنفسهم ظلماً و علواً" (٢٧: ١٤) فهم يكرهون على لفظة الإيمان و عمله بحجة تبين أصل الدين و فرعه ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ مقالاتكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بحالاتكم.

و هنا ندرس أن قبول الحق لا يقبل الإكراه، و إنما يكره من تقبله، أو يجب عليه قبوله بينات حجته، يكره على العمل به، فالعقائد العقلية و القلبية غير قابلة لإكراه بعد تبينها إذ هي مقبولة مهما جحدت و آية الكرسي هي هذه وحدها، لمكان تاء الوحدة "آية" ثم "كرسيه" فيها و قد عدت في حديث الرسول صلى الله عليه و آله و سلم بخمسين كلمة "الا الواو"

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤٣

٢٥٧- ﴿اللَّهُ﴾ لا سواه ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ يلي أمرهم توفيقا و تأييدا فتواها، و من ولايته عليهم ﴿يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ و هي الظلمات العلمية و المعرفية و العقيدية بعد إيمان مأ، فالؤمن أيا كان يعيش ظلمات لا تزول إلا بولاية الله قدر سعيه في الاتجاه إلى الله "وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ" (٤٧: ١٧) ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ﴾ من يطغى على الله و على عبده و على الحق حيث ﴿يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ﴾ فطريا و عقليا يدعون إلى إيمان داخلها، و شرعا بحججه البينة ﴿إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ في هذه المراحل الجاذبة إلى إيمان ﴿أُولَٰئِكَ﴾ اللثام ﴿أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ على دركات خلودهم، فلا تعنى أبديتها إلا موتا فوتا مع فناء النار قضية عدل الله "جَزَاءٌ وَفَاقًا" و "جَزَاءٌ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا" (٤٢: ٤٠) و لا مماثلة بين الأبدية اللانهائية و المعاصي، و هي ككل محدودة عاصيا و عصيانا و أثرا و زمانا.

٢٥٨- ﴿لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ رب إبراهيم و رب محابه و هو نمرود ﴿أَنْ آتَاهُ اللَّهُ﴾ إبراهيم كما أتى نمرود ﴿الْمُلْكُ﴾ مهما اختلف ملك عن ملك، فملكه زمني باطل، و ملك إبراهيم كلا الروحي و الزمني ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ عناية إلى واقعهما المحال على غير الله ﴿قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ﴾ ليا فيهما أننى أعفوا عمن يستحق عندي

^٩ . بحار الأنوار، ج ٩٠، ص ٣٥٠ الطبعة اللبنانية.

الموت، و أميت من لا يستحقه عندي، فانتقل إبراهيم إلى حجة لا لى فيها، مما شاة للغاوة النمرودية ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ أن لم يبق له لى فى هذه حجة مهما نسب فى الأولى الإحياء و الإمامة إلى نفسه، و هما فى ليه جانب منهما فى ملكه لردح من الزمن ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ بحق الحق و بحق أنفسهم و أهليهم.

٢٥٩ / ٢

٢٥٩- ﴿أَوْ﴾ لم تر إلى من هو ﴿كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَ هِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ و هو عزيز ﴿قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ دون "كيف" فلم ينكر أصله و إنما تحير من وقته المجهول لديه ﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ ثم ﴿قَالَ﴾ له ﴿كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ ترددنا منه أنه لبث بداية يومه أو نصفه ﴿قَالَ﴾ لا يوما و لا بعض يوم ﴿بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ﴾ و إذا شئت برهانا مملوسا على ذلك اللبث ﴿فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَ شَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ تعبرا، دليلا عيانا بعد حجة رسولية لبعثك بعد مماتك ﴿وَ أَنْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ المنكرين حياة بعد موت متبينا ﴿وَ أَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ﴾ لحمارك ﴿كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوها لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ﴾ " أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا" بعد ما كان له أصل الحياة بعد الموت ﴿قَالَ﴾ أَعْلَمُ لا علمت الآن ﴿أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ و إنما أردت العيان بعد البيان، و هنا بعد تقدير عدم التسننه لطعامه و شرابه بعد مضى مائة سنة، قد تضاعف عمر طعامه التين .. ٣٥٥ ضعفا، فقد يتضاعف عمر صاحب (ع) الأمر إلى ... ٣٥٥ سنة قدر ذلك الضعف، و إلى المزيد كما يأتي فى آية يونس.

و ترى أن مضاعفة عمر صاحب الأمر (ع) أهم عند الله، حيث ينفع العالمين كلهم، أو مضاعفة فى طعام و شراب للعزيز (ع)، تبينا عمليا لإمكانية الحياة بعد الموت.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤٤

٢٦٠ / ٢

٢٦٠- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ لا كيف تحيى الموتى، فقد تطلب إراءة من ملكوت الإحياء الخاص بالله، و أهل الله الخصوص، و لما يصل قبل إلى تلك الأهلية، اللهم إلا حال سؤاله تلك الكيفية الملكوتية الربانية، قدر الإمكان لغير الله، ﴿قَالَ أَوْ لَمْ تُؤْمِنُ﴾ أننى أحيى الموتى، نظرة جوابه للناس الزاعمين أن سؤاله كان عن أصل الإحياء ﴿قَالَ﴾ بلى ﴿أَوْ مِنْ﴾ و لكن ﴿أُرِيدُ بِذَلِكَ﴾ ليطمئن قلبي ﴿بِرُؤْيَا ملكوت الإحياء الخاص بالله و أهليه الخصوص﴾ ﴿قَالَ﴾ إذا فإليك رؤية ما لما تطلب بيدك ﴿فَخَذَ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصَرَّهُنَّ﴾ أملهن ﴿إِلَيْكَ ثُمَّ﴾ يعد تقطيعها و خلطها ﴿اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ﴾ حواليك ﴿مِنْهُنَّ﴾ جميعا بخلطها ﴿جُزْءًا﴾ لا واحدا أو أكثر، مما يدل على أنها جزءها قبل ﴿ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِيَنَّكَ﴾ بإذن الله ﴿سَعْيًا﴾ إليك لتميلهن إليك، فالحالة نفس الحالة و الحياة نفس الحياة رغم الموت و الخلط ﴿وَ اعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ غالب على أمره ﴿حَكِيمٌ﴾ فى عزته، فقد كان أصل الإحياء من الله بيده (ع) دون أن يعرف ملكوته الخاص بالله، اللهم إلا ما يليق به، و قد يعرفه من هو فوقه كالنبي محمد (ص) و كما وصل ليلة المعراج إلى " دَنَا فَتَدَلَّى. فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى " (٥٣: ٩).

٢٦١ / ٢

٢٦١- ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دون إفراط و لا تفريط ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ﴾ فهذه سبعمائة، حاصلة على قلتها فى بعض المحاصيل ﴿وَ اللَّهُ يُضَاعِفُ﴾ على ذلك ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ فمن "عشر أمثالها" و إلى سبعمائة أو ما يزيد كما يشاء الله ﴿وَ اللَّهُ وَاسِعٌ﴾ لا يتضيق و لا يضيق ﴿عَلِيمٌ﴾ بأقدار السعة حكمة ربانية عليما، و علما حكيما.

٢٦٢- و هؤلاء هم ﴿الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنْ﴾ على المنفق عليهم ﴿وَلَا أَدَى﴾ مطلقاً في مثلث الزمان ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ مما يأتي ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على ما مضى، فما مضى - أيا كان صعباً - كان لما يأتي بمرضات الله سهلاً كما أن ما يأتي ليس إلا في مرضاته و رحمته لما مضى.

٢٦٣- ﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾ للمحاييج ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ في عدم الإنفاق أو قليل منه لهم ثم غفرهم ﴿خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا﴾ أذى مهما كانت كثيرة، فإنه شر لا خير فيه ﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ﴾ عن إنفاقكم كما أمر فإنه "هو الذي يأخذُ الصَّدَقَاتِ" (٩: ١٠٤) للمحاييج و لكنه غنى عنها بنفسه ﴿حَلِيمٌ﴾ لمن ينفق بأذى هنا دون تعجيل في عذابه ثم يعذبه يوم الأخرى إن لم يتب، فإن إيذاء المؤمن محرم في شرعة الله، ثم، و "حَلِيمٌ" بمن يستغفر ربه عن الأذى في إنفاقه و ما أشبهه.

٢٦٤- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ تركا لواجب الصدقات أو راجحها إلى محرمها حيث تبطل و فيها وزر المن و الأذى ﴿كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ صادقا مهما آمن ظاهريا، حيث الرثاء شرك خفى ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾ حجر صلب صلد ﴿عَلَيْهِ تَرَابٌ فَأَصَابُهُ وَابِلٌ﴾ مطر غزير ﴿فَتَرَكَهُ﴾ الصفوان ﴿صَلْدًا﴾ لا غبار عليه ﴿لَا يَقْدِرُونَ﴾ هؤلاء المنفقون رثاء ﴿عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا﴾ بإنفاقهم كما يزعمون ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ كفرا و كفرانا.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤٥

٢٦٥- ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ من ناحية أصلية ﴿وَتَثْبِيْتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ على ضوئها أن يثبتوها على حالة الإنفاق لمرضات الله، و ألا يهاجموا من قبل المحتاجين، و ان يلحّموا المجتمع بعضه ببعض إزالة لفواصل مادية قدر الإمكان، مثلهم ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ﴾ في أرضها و ثمراتها ﴿أَصَابَهَا وَابِلٌ﴾ غزير المطر حيث يناسبها ﴿فَاتَتْ أَكْلَهَا ضِعْفَيْنِ﴾ لإصابة الوابل ﴿فَإِنْ لَمْ يَصْبِهَا وَابِلٌ فَطَلٌ﴾ و هو أقل من الوابل ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ يبصر أعمالكم فيجازيكم قدرها وابلًا أو طلا، ثوبا، أو "صلداً" عقابا.

٢٦٦- ﴿أَيُّدٌ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ﴾ تجن الأرض بأشجارها الملتفة ﴿مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ السطح الأرضية حيث جنت عليها أشجارها ﴿لَهُ فِيهَا﴾ بين النخيل و الأعناب ﴿مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ بعضها منها تناسبها خلالها ﴿وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ﴾ فلا يقدر على رعايتها بنفسه ﴿وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ﴾ لا يستطيعون القيام بأنفسهم ماليا لضعف عمرا أو جسما أو خبرة ﴿فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ﴾ ضغط جوى ﴿فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾ فهذه حال الذين ينفقون مختلف الأموال منا أو أذى أو رثاء ﴿كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ فيما تعلمون أو تعتقدون أو تعملون.

٢٦٧- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا﴾ زكاتا واجبة و خمسا و ما أشبه ﴿مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ تجارة أو عملا، طيبات شرعيا حلا و نفسيا لا تستحبونه ف "لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ" فمنه زكاة أموال التجارة ﴿وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ شاملة كافة النباتات دون اختصاص بالغلات الأربع، و كذلك الحيوان ككل دون الأنعام الثلاث فقط ﴿وَلَا تَيْمَمُوا﴾ قصدا

﴿الْحَبِيثَ مِنْهُ﴾ محرماً أو ما تستقذرونه ﴿تُنْفِقُونَ وَ لَسْتُمْ بِأَخْذِيهِ﴾ أبداً ﴿إِلَّا أَنْ تُعْمِضُوا فِيهِ﴾ أعينكم ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنَى﴾ عن إنفاقكم ﴿حَمِيدٌ﴾ فيما يأمر بإنفاق الطيبات، و هى كلها من الله و ليس منكم إلا نزر قليل، و لا سيما فى الخارج من الأرض.

٢٦٨ / ٢

٢٦٨- ﴿الشَّيْطَانُ﴾ نفسياً و جنياً و إنسياً ﴿يَعِدُّكُمْ الْفَقْرَ﴾ إن أنفقتم و ما أشبه فى سبيل الله ﴿وَأَمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾ تجاوزاً فى كمّ المعصية و كيفها العادة، و تجاوزاً إلى الآخرين ﴿وَاللَّهُ يَعِدُّكُمْ﴾ فى إنفاقكم و سواه ﴿مَغْفِرَةً مِنْهُ﴾ لسيئاتكم ﴿وَفَضْلاً﴾ عما أنفقتم، هنا و فى الأخرى ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ غفراً و فضلاً ﴿عَلَيْمٌ﴾ فيهما و فى كل شىء.

٢٦٩ / ٢

٢٦٩- ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾ رسولية أو رسالية أو إيمانية ككل "مَنْ يَشَاءُ" ها، و يعمل لها فيشاءها الله كما يعلم ﴿وَمَنْ يُوْتِ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَ مَا يَذْكُرُ﴾ ذلك ﴿إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ الخارجة عقولهم عن قشورها فعقولهم خالصة غير خليطة.

و هذه الحكمة الربانية هى ما تحكّم عرى العلم و العقيدة و العمل، تحكيما لها عن فواصلها التى تفصل بين الإنسان و صالح الحياة الإيمانية، إلى فواصلها و لها درجات حسب الدرجات، ف "هُمْ دَرَجَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَ اللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ" (١٦٣: ٣).

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤٦

٢٧٠ / ٢

٢٧٠- ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ﴾ خير أو سواه ﴿أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ﴾ كذلك ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ إذ لا ينظر إلى صوركم بل ينظر إلى قلوبكم ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾ فى إنفاقاتهم و تركها و سواهما من ظلم ﴿مِنْ أَنْصَارٍ﴾. و هنا فى "أَنْفَقْتُمْ" واجبا أو راجحا شرعياً، ثم نَذَرْتُمْ تعهداً فى كافة الإلزامات المالية أو العملية، فرق فارق بينهما، على وحدتهما فى الله.

٢٧١ / ٢

٢٧١- ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾ هذه الصدقات إظهاراً للمجتمع تشجيعاً لآخرين و تثبيتاً لأداء التكليف ﴿وَأِنْ تُخْفَوْهَا وَ تُؤْتَوْهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ شخصياً ذلك الإخفاء ابتعاداً عن رثاء الناس ﴿وَيَكْفُرُ﴾ الله ﴿عَنْكُمْ﴾ بكلا الإبداء و الإخفاء بعضاً ﴿مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ نية حسنة أو سيئة.

فالصدقات المرضية لله دون رثاء تختلف درجاتها إبداء و إخفاء، فَنِعِمَّا هِيَ "الصدقات التى تبدى حملاً لآخرين عليها، إذا كانت دون رثاء، ثم عند الخوف عن رثاء "فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ" أن تخفى، و هى على أية حال لا تخفى على الله.

٢٧٢ / ٢

٢٧٢- ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾ إيصالاً إليها فإنه من الله، و إنما عليك هدى رسولياً ف "إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ" ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (٢٨: ٥٦) وَ لَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ الهدى فيشاءها الله له ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَأَنْفُسِكُمْ﴾ شخصياً و جميعاً فى الدارين ﴿وَمَا تُنْفِقُونَ﴾ نفقة مرضية ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ و إلا فلا إنفاق بل هو هدر ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ﴾ "وَأَنْ سَعِيهِ سَوْفَ يَرَى. ثُمَّ يَجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوَّلَى" ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَظْلُمُونَ﴾.

٢٧٣ / ٢

٢٧٣- "وَمَا تُنْفِقُونَ ... " و ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ و هم أسوء حالا من المساكين حيث أفقرهم العدم و هم أسكنهم ﴿الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قتالا و سواه و ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ﴾ لتحصيل المعاش ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ﴾ بحالهم ﴿أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ﴾ أنت و من معك ﴿بِسَيِّمَاهُمْ﴾ لا يسئلون النَّاسَ إِحْفَافًا ﴿إِسْرَارًا عَلَى فَقْرِهِمْ لِحَدِّ يَحْسِبُونَ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ﴾ و مَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ لا سيما لهؤلاء الفقراء ﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ دون حاجة إلى أن يعلمه غيره فهو المبدأ و إليه المصير.

٢٧٤ / ٢

٢٧٤- ﴿الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا﴾ " فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ " و ﴿وَعَلَانِيَةً﴾ " فَنِعْمًا هِيَ " ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ هنا قليلا و بعد الموت وفيا و أوفى ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ مما يأتي ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على ما مضى، فهم عامرو الدارين فى نفسياتهم.

ذلك، و لا يختص الإنفاق بالمال، بل قد يكون غيره أولى و أوجب، فهنا " مِنْ نَفَقَةٍ " تعم كلما يمكن و يصح إنفاقه فى سبيل الله، عقليا، علميا و معرفيا و من أية طاقة تنفع الآخرين فى سبيل الله، كما " وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ " يفسر بـ " مما علمناهم يبتون " أو ينبئون كمصدق خفى أعلى.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤٧

٢٧٥ / ٢

٢٧٥- ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا﴾ زيادة عن حقهم فى أية معاملة " وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى " فكلما جر نفعا دون عمل فهو ربا، اعتبارا بزيادة السعر، كأصل، دون وزن أو مساحة أو عدد، و الأولان اعتبرا أصلا مهما اختلف السعر، و الأكل تعم كافة التصرفات فى هذه الزيادة ﴿لَا يَقُومُونَ﴾ فى الحياة الدنيا و لا فى الأخرى ﴿إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ مسّا اقتصاديا و آخر نفسيا، تبطلًا عن شغل إلا الأكل من أتعاب الناس، و مسّا لصالح الإقتصاد فرديا و جماعيا، و مسّا من روح السماح و التعطف، فمسا ككل الإنسانية الصالحة إلى مص الدماء و ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ﴾ دون ربا ﴿مِثْلُ الرِّبَا﴾ فلما ذا الاختلاف بينهما أن ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ فحل البيع كحل الأكل به هو بمساع دون الربا، فالبيع كله حل إلا ما ليس فيه شروط مسرودة فى القرآن و السنة، و الربا محرمه دونما استثناء لأنه من أنحس الأكل بالباطل ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ فى أصل الحرمة، أو عظة تكفى للاتعاظ فى تركه ﴿فَانْتَهَى﴾ عن أكل الربا ﴿فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾ ما ليس عنده الآن لا أصلا و لا فرعا و أمره إلى الله أن يتوب عليه كما يرى ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ بعد الموعظة ﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ شرط أن يقولوا " إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا " و أما من يأكله دون بدعة فأخف من ذلك الخلود.

٢٧٦ / ٢

٢٧٦- ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا﴾ هنا و فى الأخرى ﴿وَيَرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾ هبة و صدقة و قرضا ﴿وَاللَّهُ لَا يَجِبُ كُلَّ كَفَّارٍ﴾ كفرا أو كفرانا ﴿أَتَيْمٍ﴾ يبطئ عن الصواب كما يبطئ الربا عن صواب روحيا و اقتصاديا.

٢٧٧ / ٢

٢٧٧- ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أنفسهم عن المكاره بالله ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ لإيمانهم، كأصل، ثم ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ﴾ لهم أجرهم عند ربهم ﴿هنا و أخرى فى الأخرى﴾ ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ عما يأتي يوم الجزاء ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على ما مضى.

٢٧٨ / ٢

٢٧٨- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ﴾ لكم ﴿مِنَ الرِّبَا﴾ بعد التوبة عنها مما لكم على دافعيتها" إلا ما سلف" كما سلف، فليس لكم غيره في مثلث: لما يدفع إليكم، أو هو عندكم أصلاً أو بدلاً، و أمركم إلى الله ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ بالله.

٢٧٩ / ٢

٢٧٩- ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾ تركا لأصل الربا أو ما بقى منه بعد الموعظة ﴿فَأَذْنُوا﴾ إعلاناً صارخاً ﴿بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ﴾ يحاربكم به الله ﴿وَرَسُولِهِ﴾ و إن تبتُّم فلَكُمْ رؤسُ أموالكم ﴿أولاً﴾، ثم ما سلف فأمره إلى الله ﴿لَا تَظْلُمُونَ﴾ في أكل الربا الحاضرة ﴿وَلَا تَظْلُمُونَ﴾ في محاسبة رؤوس أموالكم عوضاً عما أكلتم من ذى قبل، سماحاً لمن تاب، و استسماحاً ممن دفع، حرمة للتوبة.

٢٨٠ / ٢

٢٨٠- ﴿وَإِنْ كَانَ﴾ أي كان فإنها تامة غير ناقصة ﴿ذُو عُسْرَةٍ﴾ في حقل الربا و سواه ﴿ف﴾ الواجب ﴿نَظْرَةٍ﴾ له ﴿إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾ مهما كان في دينه عاصياً، لأنه تاب، و الضرورات الحيوية من بيت سكن و ما أشبهه خارج عن ميسرة، فهي دون عسر و لا حرج ﴿وَأَنْ تَصَدَّقُوا﴾ على ذى عسرة كلاً أو بعضاً فهو ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ سماحاً كريماً و تشجيعاً على ترك المحرم ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ خيريته.

٢٨١ / ٢

٢٨١- ﴿وَأَتَّقُوا يَوْمًا﴾ برزخاً ثم أخرى ﴿تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ حساباً و جزاء ﴿ثُمَّ تَوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ﴾ خيراً أو شراً ﴿وَهُمْ لَا يَظْلُمُونَ﴾ و منه العقوبة اللانهاية بعصيان محدود، كما منه جزاء أقل من العمل خيراً أو أكثر منه شراً.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤٨

٢٨٢ / ٢

٢٨٢- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ﴾ أي كان، مستقلاً أو في معاملة ﴿إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ فإنه دون أجل مسمى خارج عن قضية الإيمان لأنه - إذا - غرر في المال بالمال، لا يدرى الدائن متى يصله ماله، و لعله يصبح قبل قبضه أحوج من المدين، كما و أن من شروط الدين - الأصيلة - نية أدائه لوقته، و إمكانيته له، و إلا فهو خيانة مالية، و شرط ثالث في الدين الحاجة مدقعة، و إلا فلما ذا الاستدانة، و هى سؤال لا يصح إلا عند الضرورة، و إذا ﴿فَاكْتُبُوهُ﴾ تسجيلاً تعتمدون عليه ﴿وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾ إن لم تكونوا كاتبين، أو لم يكن كاتبكم عدلاً ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ﴾ ذلك الدين ﴿كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ﴾ واجبا عليه حين يدعى إليه مهما كان له أجر مسمى أو سواه ﴿وَلْيَمْلِكْ﴾ إملاء ﴿الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلِيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾ في إملائه ﴿وَلَا يَبْخَسُ مِنْهُ شَيْئًا﴾ أصلاً و أجلاً ﴿فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا﴾ خفيف العقل مالياً أو شرعياً لعدم عدله ﴿أَوْ ضَعِيفًا﴾ لعدم الإفصاح كما يصح ﴿أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَمْلَأَ هُوَ﴾ بسبب عجز و ما أشبهه ﴿فَلْيَمْلِكْ وَلِيَهُ بِالْعَدْلِ﴾ فإن ذلك كله تطلب الولاية في الإملا، و كما السفاهة أيضاً تطلبها ﴿وَأَشْهَدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ على ذلك الإملا، ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ﴾ فقط ﴿مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾ ثقة صالحة مخافة ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ و لا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا أن يشهدوا بما تلقوه ﴿وَلَا تَسْمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ﴾ الدين ﴿صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ﴾ دليل آخر على شرطية الأجل ﴿ذَلِكَمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَ أَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا﴾ تحكيماً لعري، و الوثوق بالحفاظ على دينكم، دليلاً على وجوب ائتمان ثان في الدين ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ﴾ المعاملة ﴿تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَ أَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ توثيقاً لإثبات التبائع اللهم إلا إذا لم يكن فيها ارتياب ﴿وَلَا يَضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ أحداً من طرفى الدين و

التجارة ﴿وَإِنْ تَفْعَلُوا﴾ مضارة ﴿فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ﴾ تخلفا بسببكم ﴿وَآتَقُوا اللَّهَ﴾ على كل حال ﴿وَيَعْلَمُكُمْ اللَّهُ﴾ ما لم تكونوا تعلمون بتقوى الله ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

فأية الدين هذه- و هي أطول آية في القرآن كله- تفرض الحفاظ على أموالكم بكافة الوسائل الممكنة- كما و آية النساء ترفض التهدير فيها، فإنها التي "جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا" فكما على الإنسان القيام لصالح الحياة نفسيا و ما أشبه، كذلك عليه القيام بماله على أية حال، حتى و أموال السفهاء اقتصاديا أو دينيا، لا تبقى بأيديهم يتصرفون فيها كما يشاءون: "وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا" (٤: ٥) مهما كانت سفاهة عقلية أو شرعية، قصورا أو تقصيرا.

ذلك، و يجب الحفاظ على النواميس الخمسة إيمانا و عقلا و نفسا و عرضا و مالا، بل و تزييدها و تزويدها، فالانتقاص عنها- فضلا عن إحداثها- محرم، و إبقائها على حالها ترك لواجب الإزدياد فيها، فالإسلام شرعة حركية في استمرارية هذه النواميس و الإزدياد فيها، شخصيا و جماعيا.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤٩

٢٨٣ / ٢

٢٨٣- ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا﴾ تتقون به ﴿ف﴾ قد ينوب عنه ﴿رَهَانٌ مَقْبُوضَةٌ﴾ اعتمادا ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمُ الدَّائِنَ﴾ المديون، دون كاتب و لا رهان و لا شاهد ﴿فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمَانَتَهُ﴾ فلا دور للرهان المقبوضة إلا الوثوق بالدين، ثم لا دور له لأمر آخر كرهان البيوت للسكنى ﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾ في الرهان أمانة مردودة عند الائتمان ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ﴾ على الدين عندها ﴿وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾ حيث القلب هو الشاهد و كتمانها نفاق ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من خير أو شر ﴿عَلِيمٌ﴾ صحيح أنك لست لتدين من لا تأتمنه إذ يشرط هو في أصل الدين، و لكنك بحاجة بعد إلى ائتمان آخر حذرا عن موت المدين، أو نسيان بينكما، أو نكران، إذ قد يزول أمنه، فالأصل هنا هو الكتابة العادلة حفاظا على أصل الدين و قدره، اللهم إلا إذا أمن بعضكم بعضا يكفي عن كتابة "فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمَانَتَهُ" التي عنده، و لا يجوز انتفاع المؤتمن في الأمانة أبدا مهما جاز للمالك إن لم يضر بالرهن.

٢٨٤ / ٢

٢٨٤- ﴿لِلَّهِ﴾ لا سواه ﴿مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ من كائن سوى الله، ملكية و ملكية حقيقية عليمه قديرة مطلقة، و ﴿وَإِنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ لغيركم جهارا ﴿أَوْ تَخْفَوْهُ﴾ عندكم عملا ﴿يَحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ و ليست نية الشر دون عمل إخفاء له إذ هي خفية دون إخفاء ﴿فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ بحساب عادل ﴿وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ بنفس الحساب، مهما كان الغفر أوسع من العذاب ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ لا يعييه أمر، اللهم إلا حكمة عادلة تمنع عن ظلم.

٢٨٥ / ٢

٢٨٥- ﴿أَمِنَ الرَّسُولُ﴾ نفسه برسالته عن كافة المحاذير ﴿بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾ بخاصة تربيته ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ بالله و رسوله و اليوم الآخر ﴿كُلُّ أَمِنٍ بِاللَّهِ وَ مَلَائِكَتِهِ﴾ الحاملين لوحيه و العاملين بإذنه ﴿وَمَنْ آمَنَ بِ﴾ ﴿كُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ﴾ قائلين معتقدين ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ فيما بينهم، كما لا نفرق بينهم و بين الله فإنهم كلهم رسل الله، و لا بينهم و بين المرسل إليهم ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا وَحَى اللَّهُ﴾ و أحى الله ﴿وَأَطَعْنَا﴾ ه فيه، نطلب ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ فذلك المسير الإيماني السليم يتطلب ذلك المصير، أن يؤمن المكلف نفسه عن المحاذير بربه و ربانياته ككل.

٢٨٦ / ٢

٢٨٦- ﴿لَا يَكْلَفُ اللَّهُ﴾ إيجاباً و لا تحريماً ﴿نَفْسًا﴾ مكلفة ﴿إِلَّا وَسْعَهَا﴾ دون إخراج و لا إضرار و لا إفسار" يريدُ اللهُ بِكُمْ الْيُسْرَ و لا يريدُ بِكُمْ الْعُسْرَ" (٢: ١٨٥) و ما جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ" (٢٢: ٧٨) ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ من خير ﴿و عَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ من شر، و من قاله الإيمان رسولاً و مرسلًا إليهم ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا﴾ قاصرين، أو تناسيا و نحن تائبون، و كذلك: ﴿أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ دون تقصير، أم بعد توبة ﴿رَبَّنَا وَ لَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا﴾ و ثقلاً من التكليف، أو العقوبة ﴿كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَ لَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ مهما قصّرنا في أمرنا، من تكليف هنا أو عذاب في الأخرى ﴿وَ اعْفُ عَنَّا﴾ ما قصّرنا إن تبنا، أو تقبل الشفاعة فينا ﴿وَ اغْفِرْ لَنَا وَ ارْحَمْنَا﴾ كذلك ﴿أَنْتَ مَوْلَانَا﴾ لا سواك ﴿فَأَنْصُرْنَا﴾ في حياة الإيمان ﴿عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ فلا تخجلنا أمامهم.

هذه دعاء الإيمان، و هو بنفسه اعتذار و استغفار، مهما كان الخطأ و النسيان و ما أشبه عن تقصير.

(سورة آل عمران)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

١ / ٣

١- ﴿الْم﴾ من برقيات الوحي الخاصة بحملته، فلا نفهم منها إلا ما يفهمنا رسول الوحي، أو آياته، فليست من "بيان للناس" إلا بالرسول صلى الله عليه وآله.

٢ / ٣

٢- ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ فى ميزات الألوهية كلها و لا سيما الْحَيُّ الْقَيُّومُ حيث يعينان كافة الصفات ذاتية و فعلية.

٣ / ٣

٣- ﴿نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ القرآن تدريجيا مفصلا طوال البعثة، و دفعيا بدايته محكما ﴿بِالْحَقِّ﴾ كتابا نازلا و نزولا و منزلا، مصاحبا و سببا حالكونه ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من كل كتابات الوحي و هى بين يدي القرآن، إقبالا إليها دون إدبار، فإنها من إله واحد برسالة واحدة ﴿وَ أَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَ الْإِنْجِيلَ﴾ من بينها و هما نقطتان رئيسيتان فيها بعد القرآن.

٤ / ٣

٤- أنزلهما ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ القرآن كما أنزل ما قبلهما و ما بينهما ﴿هُدًى﴾ موقته ﴿لِلنَّاسِ وَ أَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ و هو القرآن فرقانا بين الحق و الباطل، آية ربانية لنفسه، و كتاب شرعة خالدة ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ رسولا و كتابا و آيات رسولية و سائر الآيات أنفسية و آفاقية ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَ اللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾ يعذب من يشاء كما يستحقه.

٥ / ٣

٥- ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَ لَا فِي السَّمَاءِ﴾ ككل الكون حيث خلقها فهو يعلمها، و كيف يخفى عليه ما خلقه و قدره.

٦ / ٣

٦- ﴿هُوَ الَّذِي يَصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ﴾ منذ الجرثومة الأولى إلى تمام الجنين و إلى نفخ الروح صورة روحية إلى بدنية ﴿كَيْفَ يَشَاءُ﴾ فى كافة الصور النفسية و البدنية و الجنسية، فى كم و كيف ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ﴾ غالبا بذاته ﴿الْحَكِيمُ﴾ فى عزته، دون العزة الجاهلة أو الظالمة أو القاصرة، عزيز لا يغلب، و حكيم لا يؤلَّب.

٧ / ٣

٧- ﴿هُوَ﴾ الله ﴿الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ محكما كله ليلة القدر و مفصلا طوال البعثة ﴿مِنْهُ﴾ بعضا ﴿آيَاتُ مُحْكَمَاتُ﴾ مدلوليا كما هى دلاليا ﴿هُنَّ أَمْ الْكِتَابُ﴾ مرجعا لما تشابه منه ﴿وَ أُخْرُ﴾ قسم آخر ﴿مُتَشَابِهَاتُ﴾ مدلوليا لا دلاليا، كما فى الأسماء و الصفات و الأفعال المشتركة الاستعمال لفظيا بين الله و خلقه، فليجرد المشترك عما للخلق فهو- إذا- محكم فى نفسه ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ انحرافا عن الحق ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾ على تشابهها حملا لما يريدون عليها من مغازى باطلة لـ ﴿ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾ العقيدية و المعرفية بين المجاهيل ﴿وَ ابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ إلى مرجعه الربانى بداية و نهاية و هم عنه غافلون ﴿وَ مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ﴾ ما تشابه، و محكمه أيضا، فالمعلوم من القرآن هو ظاهره و إلى إشاراته و لطائفه دون حقائقه المختصة بأصحاب الوحي ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ كلا ﴿وَ﴾ إلا ﴿الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ بعضا يعلمهم الله، فالواو عاطفة و استينافية ﴿يَقُولُونَ﴾ فيما

يعلمون من تأويله و ما لا يعلمون ﴿أَمَّا بِهِ﴾ كله ف ﴿كُلُّ مَنْ عِنْدَ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ﴾ هذه الحقيقة ﴿إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ دون قشور على عقولهم إنسانية و إيمانية.

٨ / ٣

٨- و يقولون ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ﴾ تضييقا ﴿قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ أن توفقنا لإدامة الهدى فلا تستحق ربنا ﴿وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾ على رحمة، و استدامة لرحماتك كلها حتى لا تضيق قلوبنا ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ تطلبا لمن لا يستحق، و إنما هو لمن يحق

٩ / ٣

٩- و يقولون ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ و هو الأخرى، فليس فى تحققه وعدا صادقا أية ريبة مهما شك فيها شاكون، حيث الريب هو الشك المسنود إلى دليل ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ فى المعاد و سواه.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٥١

١٠ / ٣

١٠- ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بآيات الله ﴿لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنْ بَأْسِ﴾ الله شيئا أن تدفع عنه، لا قوة و لا شفاعة و لا توبة إلى الله بعد ما ماتوا كافرين ﴿وَأُولَئِكَ﴾ اللثام و هم رءوس الكفر ﴿هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾ يتقد و يحرق سائر أهل النار بهم بأنهم فروعهم فى الضلالة و هم أصولها جزاء وفاقا.

١١ / ٣

١١- فدأبهم سيرا مستمرا فى الحياة كلها ﴿كَدَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ و هم الفرعونيون و هو أصل زاوية الضلالة ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من فراعنة التاريخ، إذ ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ كلها ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾ أخذًا عادلا يوم الدنيا إلى الأخرى ﴿وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ حسب شديد الذنوب.

١٢ / ٣

١٢- ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ كالمغالبيين فى أحد بقدر ﴿سُتَغْلَبُونَ﴾ فى بدر ثم ﴿وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ﴾ حشركم إليها ﴿الْمِهَادُ﴾ الممهد لكم بما مهدتموه بكفركم، ثم "الذين كفروا" عامة تحلق على قبيل الكفر أنهم مغلوبون هنا أحيانا و فى الأخرى حتما مهما غلبوا هنا سجالا.

١٣ / ٣

١٣- ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ﴾ ربانية ﴿فِي فِتْنَةِ التَّقَاتِ فِتْنَةً﴾ مؤمنة ﴿تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ﴾ فتنة ﴿أُخْرَى كَافِرَةٌ﴾ و الآية هى أن الكافرة ﴿يُرَوْنَهُمْ﴾ المؤمنة ﴿مِثْلِهِمْ رَأَى الْعَيْنُ﴾ فيها بونهم، حال أنهم ثلثهم كما فى بدر ﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ نصره فيشاهه الله ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً﴾ ربانية ﴿لِأُولَى الْأَبْصَارِ﴾ بصيرة إلى الحقائق، إبطارا بالدنيا وراءها.

١٤ / ٣

١٤- ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾ ربانيا فإنها من الله قدرها: "كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ .." (٦: ١٠٨) "إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيْنًا لَهُمْ أَعْمَالُهُمْ" (٢٧: ٤) و شيطانيا حيث يزينها أكثر مما هى، مانعة عن حب الأخرى: "وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ" (٦: ٤٣) "وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَفْتَدُونَ" (٢٧: ٢٤) ﴿مِنَ النَّسَاءِ وَ الْبَنِينَ وَ الْقَنَاطِيرِ﴾ قطارات الإبل ﴿الْمُقَنْطَرَةِ﴾ المحمولة ﴿مِنَ الذَّهَبِ وَ الْفِضَّةِ وَ الْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ﴾ المعلمة الحسان ﴿وَ الْأَنْعَامِ وَ الْحَرْثِ﴾ و ما أشبه ﴿ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ الدانية و الأدنى، متاع الغرور لأهلها، و متاع لإشتراء الآخرة لأهلها ﴿وَاللَّهُ

عِنْدَهُ ﴿ لَا سِوَاهُ ﴾ ﴿ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾ المرجع على كل حال، حسنا للذين آمنوا ف" عندنا مزيد": عطاءً غيرَ مَجْدُودٍ و لغيرهم عدلا في جزاءهم بتخفيف ما لم يخالفه.

١٥ / ٣

١٥- ﴿ قُلْ أَ أُنبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ ﴾ متاعا مهما كان لا اشتراء الآخرة فضلا عن الدنيا نفسها ﴿ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا ﴾ سخط الله على كل حال، و لا سيما مع غزير المتاع هنا ﴿ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ بعد الموت عندية القرب و الثواب ﴿ جَنَّاتُ ﴾ أشجار ملتفة برءوسها ﴿ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا ﴾ السطح الأرضية ﴿ الْأَنْهَارُ ﴾ المختلفة ماء و لبنا و عسلا مصفى و .. ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ دون فوت " عطاءً غيرَ مَجْدُودٍ " ﴿ وَ أَزْوَاجٌ ﴾ إناث للذكران و ذكران لإناث ﴿ مُطَهَّرَةٌ ﴾ من أدران الدنيا ﴿ وَ ﴾ فوق هذه الجنة الجسمانية ﴿ رِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ ﴾ هو أصل الجنات ﴿ وَ اللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ استحقاقا كلاً منها على أقدارهم فى تقواهم، و جنة الرضوان هى فوق جنة الجثمان: " وَ جَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ. فَبِأَى آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ " (٥٥: ٥٤): " وَ مَسَاكِينَ طَيِّبَةً فِى جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَ رِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ " (٩: ٧٢).

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٥٢

١٦ / ٣

١٦- و هم ﴿ الَّذِينَ يَقُولُونَ ﴾ طول حياط التكليف ﴿ رَبَّنَا إِنَّا أَمْنَا فَاغْفِرْ ﴾ دفعا أو رفعا ﴿ لَنَا ذُنُوبًا وَ قِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ بذلك الغفر.

١٧ / ٣

١٧- أخص من بينهم ﴿ الصَّابِرِينَ ﴾ على ما أصابهم فى سبيل الله دون تزعزع و انهزام ﴿ وَ الصَّادِقِينَ ﴾ فى تقواهم و صبرهم ﴿ وَ الْقَانِتِينَ ﴾ خضوعا لله كما يسطعون ﴿ وَ الْمُتَّقِينَ ﴾ فى سبيل الله كلما يصح إنفاقه ﴿ وَ الْمُسْتَغْفِرِينَ بِالسَّحَرِ ﴾ فإنه خير استغفار، لهم و لمن سواهم.

١٨ / ٣

١٨- ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ باسمه: الله " هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا " (١٩: ٦٥) و بألوهيته اللامحدودة فإنها لا تتعدد، فلا تعدد فى اللامحدود مهما كان تسببا كالخلق، فضلا عن الخالق، حيث الحد هو الذى يعدد، و بالفطرة و العقلية السليمة، و بخلقه" ما ترى فى خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ " ﴿ وَ ﴾ شهد ﴿ الْمَلَائِكَةُ ﴾ بوجيه إذ هم من إله واحد، و المدبرات أمرا لوحدة تدبيرهم ﴿ وَ ﴾ شهد ﴿ أُولُو الْعِلْمِ ﴾ من خلقه علم الوحي رسلا، و سائر العلم حيث تثبت وحدانيته " شَهِدَ اللَّهُ " ﴿ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ﴾ فى شهادته و كل أفعاله ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ فالكون برمته دليل وجوده و وحدته مهما تشكك فيه المتشككون، و القسط هو فوق العدل.

١٩ / ٣

١٩- ﴿ إِنَّ الدِّينَ ﴾: الطاعة الصالحة الربانية ﴿ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ هو ﴿ الْإِسْلَامُ ﴾ لله فى أية شرعة محكمة لزمناها، فالإسلام فى الشرعة الأخيرة هو هذا الإسلام، و قبلها ما قبلها إسلاما فى الطاعة لله ﴿ وَ مَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ﴾ فى إسلامهم قبل هذا و فى هذا ﴿ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ ﴾ بحق الإسلام ﴿ بَغْيًا ﴾ تجاوزا عن الحق و ظلما به ﴿ بَيْنَهُمْ وَ مَنْ يَكْفُرُ بِآيَاتِ اللَّهِ ﴾ على أية حال ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ فالكافر بآيات الإسلام الأخير كافر بآيات الله كلها مهما آمن بسائر الآيات ادعاء، و هذه الأخيرة أقوى أية و دلالة، فلا بد من إيمان أقوى فيها.

٢٠ / ٣

٢٠- ﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ ﴾ يا محمد فى إسلامك ﴿ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ ﴾ بكل وجوهه و واجهاته ﴿ لِلَّهِ وَ ﴾ و أسلم ﴿ مَنْ اتَّبَعَ ﴾ بآياته البينات ﴿ وَ قُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَ الْأُمِّيِّينَ ﴾ و هم غير الذين أوتوا الكتاب ﴿ أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا ﴾ كما أسلمتم ﴿ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَ إِنْ تَوَلَّوْا ﴾ عنه ﴿ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ ﴾ المبين كما أمرت، دون أن تحملهم عليه أو تجازيهم به ﴿ وَ اللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾

على مختلف درجاتهم و دركاتهم، و لست أنت بصيرا بهم إلا قدر معرفتك، و لا مجازيهم بأعمالهم، كما لست تملك هداهم" فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَ عَلَيْنَا الْحِسَابُ" (١٣: ٤٠).

٢١ / ٣

٢١- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ كتابيين و سواهم ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ لهم عليهم يحق قتلهم، إلا النبوة الربانية ﴿وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ﴾ فقد يجوز أو يجب الأمر بالقسط في خطر القتل كحين القتل يكون القسط أعلى من النفس ﴿فَبَشِّرْهُمْ﴾ فضلا عن إنذارهم ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

٢٢ / ٣

٢٢- ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ الخيرة ﴿فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ﴾ كأن لم يعملوها ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ في الآخرة، خلاف ما كانوا يزعمون.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٥٣

٢٣ / ٣

٢٣- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ﴾ تورا و إنجيلا، حيث الكتاب كله هو القرآن، فغيره نصيب منه و مقدمة له ﴿يَدْعُونَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ في إختلاف بينهم في حكم كتابي، أو تخلف عنه و هنا كتاب الله يعم نصيبا من الكتاب، و كله: القرآن ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ عن كتاب الله ﴿وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ عن حكمه.

٢٤ / ٣

٢٤- ﴿ذَلِكَ﴾ التولى و الإعراض ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّ النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ﴾ كالأيام التي عبدوا فيها العجل و ما أشبه ﴿وَاغْرَهُمْ فِي دِينِهِمْ﴾ الذي دانوا به ﴿مَا كَانُوا يَقْتَرُونَ﴾ به على الله، في دعوى الأيام المعدودة، و أنهم أبناء الله و أحباءه، أو أنهم لا يعذبون كما في تخيل و تخيل النصارى و اليهود.

٢٥ / ٣

٢٥- ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ و هو الآخرة لوقت الحساب ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ﴾ دون سماح بهذه الادعاءات الجوفاء ﴿وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ﴾ في تلك التوفية الأوفى: "وَأَنْ سَعِيهِ سَوْفَ يَرَى" برزخا "ثُمَّ يَجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى" (٥٣: ٤١) قيامة.

٢٦ / ٣

٢٦- ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ﴾ كله، ملكه و ملك كل ملك، روحيا أو زمنيا، خيرا أو شريرا ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ﴾ مطلقا ﴿مَنْ تَشَاءُ﴾ تكوينا أو تشريعا ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كذلك ﴿تَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ﴾ كما ﴿وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَ تَذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾ و كل شيء منك خير مهما كان عذابا مستحقا هنا و في الأخرى، و الشر ليس إليك ﴿إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ علما و قدرة، فالملك التشريعي ليس إلا من قبل الله مهما اغتصب فلم يحصل في التكوين، ثم التكوين أيضا هو من الله، سواء أوافق تشريعه كما في مثل داود و سليمان، أم خالف كما في الفراعنة، إذ لا تسيير فيه، و من ذلك أنك:

٢٧ / ٣

٢٧- ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾ نقصا من الليل إضافة إلى النهار ﴿وَوَعَكْسَا﴾ عكسا ﴿تُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ حسب مختلف الفصول و الآفاق، حكمة ربانية تدل على أنك قاصد مختار ﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ﴾ روحيا و جسديا ﴿مِنَ الْمَيِّتِ وَ تُخْرِجُ الْمَيِّتَ﴾ كذلك ﴿مِنَ الْحَيِّ وَ تَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ يوازي عمله هنا، أو يحاسب قدره بقدر المثوبة هناك.

٢٨- ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾ حبا و سلطة ﴿مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فيهما ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ البعيد عن شيمة الإيمان ﴿فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾ من ولايته هنا و فى الأخرى ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾ على ناموس هو أولى من ولايتهم، تقية من ظاهر الولاية ﴿وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ أن تعصوه فى ولاية كافرة و سواها ﴿وَالِلَّهِ الْمَصِيرُ﴾ لا سواه. ذلك، و لا سيما بطانة" يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ" (٣: ١١٨).

٢٩- ﴿قُلْ إِنْ تَخْشَوْنَ مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾ من ولاية كافرة حبا و سواها من نية و إرادة سرية ﴿أَوْ تَبْذُوهُ﴾ كذلك ﴿يَعْلَمُهُ اللَّهُ﴾ على أية حال ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ بما هما الكون المخلوق كله ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ علما و قيومية.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٥٤

٣٠- "قَدِيرٌ" هنا مهما يخفى علينا، و قدیر فى الأخرى حيث يظهر لنا: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ مكلفة ﴿مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ﴾ باطنيا و ظاهريا، قولاً أو فعلاً ﴿مُحْضَرًا﴾ بسيرته و صوته و صورته كما استنسخها الله ﴿وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ﴾ تجده كذلك و لكنها ﴿تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ عملا و جزاء به ﴿وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ حيث لا يخلو اى عمل يتفلت هباء ﴿وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾ حيث يرحمهم أكثر مما يصيبون، و يعفو عنهم فيما يخطئون، أو يعذبهم أدنى مما يستحقون، قضية الرحمة فى القيامة.

٣١- ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ﴾ كما تدعون ﴿تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾ حقا ﴿فَاتَّبِعُونِي يَحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ ف" مَنْ يَطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ" ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ قضية ذلك الإلتباع كخطة حيوية أصلية ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ ما يصح غفره ﴿رَحِيمٌ﴾ فى موضع الرحمة و المغفرة.

٣٢- ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ﴾ أصالة فى كتابه ﴿وَالرَّسُولَ﴾ رسالة فى سنته ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عن طاعة الله أو رسوله فإنه كفر بالله أو كفران ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ فيبغضهم، إذ لا وسيط بينهما عنده.

٣٣- ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ﴾ بين المكلفين من الجنة و زوجته حواء زمن رسالته، إذ" وَ عَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى. ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَ هَدَى" (٢٠: ١٢١) ﴿وَنُوحًا﴾ بعده بولاية العزم كخطوة أولى فيها ﴿وَالْإِبْرَاهِيمَ﴾ و هم الرسل الإبراهيميون يرأسهم إبراهيم نفسه، إلا آله المحمديين فإنهم أصفى العالمين ﴿وَالْأَلِ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ كلا على عالمى زمنه الرسالى إلا المحمديين فإنهم مصطفىون على جميع العالمين فإنه (ص) رسول إلى النبيين قبل مبعثهم" و إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَ حِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَ لَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَ أَقْرَرْتُمْ وَ أَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَ أَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ" (٣: ٨١).

٣٤- أعنى منهم و من الال ﴿ذُرِّيَّةَ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾ فى الاصطفاء الرسالى مهما اختلفت درجاتهم ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ ما يقولون ﴿عَلِيمٌ﴾ بما يعملون، و كذلك اصطفاهم:

٣٥ / ٣

٣٥- ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ أَبُو مَرْيَمَ لَا أَبُو مُوسَى﴾ ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي﴾ من جنين ﴿مُحَرَّرًا﴾ فى خدمة بيتك و عبادك فيه ﴿فَتَقَبَّلْ مِنِّي﴾ ذلك النذر المحرر ﴿إِنَّكَ أَنْتَ﴾ لا سواك ﴿السَّمِيعُ﴾ كل مسموع ﴿الْعَلِيمُ﴾ كل كائن و حادث فإنها من فعلك.

٣٦ / ٣

٣٦- ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ﴾ و إنما عرضت حالها خلاف المترقب من نذرها ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ﴾ المحرر فى بيتك دون عذر ﴿كَأَلْأُنْثَىٰ﴾ غير الحرة فيها عند أذارها، و لكنها الأنثى منذورة محررة حسب ما فى بطنى" مهما رغبت ذكوره ﴿وَأِنِّي سَمِيتُهَا مَرْيَمَ﴾: غالبية على أهواءها فغلبها ﴿وَإِنِّي أُعِيدُهَا بَكَ﴾ أعيد ﴿ذُرِّيَّتَهَا مِنْ﴾ الشيطان الرجيم ﴿متحررة لك عن كافة الأهواء و الأعار، مختصة بك فى كل حياتها بكافة حيوياتها عند بيتك، دون بيت الأزواج.

٣٧ / ٣

٣٧- ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا﴾ مريم معاذة و ذريتها ﴿بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾ من ذلك أنه ﴿أَنْبَتَهَا﴾ تربية محررة ﴿نَبَاتًا حَسَنًا﴾ من ذلك أنه ﴿كَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾ أن يربيه و إضافة إلى تكفلها ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾ ما كان يعلمه خلاف تكفلها ف ﴿قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكَ هَذَا﴾ و لم أعلمه ﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ دون وسائل ظاهرية ف ﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ﴾ بِغَيْرِ حِسَابٍ عاды معمول.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٥٥

٣٨ / ٣

٣٨- ﴿هُنَالِكَ﴾ حيث رأى هذه الذرية الطيبة ﴿دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ﴾ ف ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ﴾ خرقا لدنيا خاصا لعادة الولادة ظاهرا و باطنا ﴿ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ كما وهبت مريم لإمرأة عمران ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾ إذا صلح من صالح، و أنت تجيب دعوة الداع إذا دعاك.

٣٩ / ٣

٣٩- ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ المؤمنون بتلك النداء ﴿وَالْحَالُ﴾ هو قائم يصلّى فى المحراب أن الله يشرك بيحيى مُصَدَّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ عيسى بن مريم، كلمة إذ تكلم من ذى قبل أنه سوف يأتى رسولا، ثم ولادته دون والد آية من الله تكوينية، كما و هو كلمة فى المهد دودا عن أمه، ثم رسالته من الله كلمة تشريعية ﴿وَسَيِّدًا﴾ بين الصالحين ﴿وَحَصُورًا﴾ شهواته لعصمة عالية كما فىمن أشبه ﴿وَنَبِيًّا﴾ بين الرسل متميزا عنهم إلا أولى العزم: ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ لهذه القمة العالية النبوية، فهنا الصالحون هم أولو العزم من النبيين و من هم تلوهم كىحيى.

٤٠ / ٣

٤٠- ﴿قَالَ﴾ عن نفسه حسب العادة الجارية ﴿رَبِّ﴾ حسب خاصة الربوبية ﴿أَنَّى﴾ أى زمان ﴿يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾ و الحال ﴿قَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ﴾ عقمأ منى ﴿وَأَمْرَانِي عَاقِرٌ﴾ عقمأ منها، عجبأ لنا، ربوبية لك هينة ﴿قَالَ كَذَلِكَ﴾ العظيم الخارق للعادة ﴿اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾.

٤١- ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾ لزمه حيث الأصل مصدق منك ﴿قَالَ آيَتِكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ (١٩: ١٠) ﴿إِلَّا رَمَزًا﴾ دون خرس و لا مرض، و أنك تكلم الله لمكان "الناس" فقد تكلم الجن و الملائكة و من أشبهه ايضاً ﴿وَ اذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا﴾ بلسان الحال و القال و الأعمال ﴿وَ سَبِّحْ﴾ ربك ﴿بِالْعَشِيِّ وَ الْإِبْكَارِ﴾ فى صلاة و سواها من أذكار.

٤٢- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ﴾ بوحى غير رسالى ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ﴾ بين النساء و غير هن لخدمة البيت و لهذه الولادة الميمونة ﴿وَ طَهَّرَكِ﴾ عن الأرجاس كلها بعد اصطفاؤه الأول ﴿وَ اصْطَفَاكِ﴾ بعدهما اصطفاء بعد اصطفاء و تطهير، مثلاً من رحمت ربانية خاصة راصة ﴿عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ منذ حواء إليك و إلى القيامة دون البتولة الزهراء (عليها السلام)، فإنها مصطفاة على كافة النبيين إلا محمد و محمديين المعصومين عليهم السلام لآية التطهير فضلاً عن النساء.

٤٣- ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي﴾ تخضعا ﴿لِرَبِّكِ﴾ على أية حال ﴿وَ﴾ لا سيما الصلاة، ف ﴿اسْجُدِي وَ ارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ معية فيها فهي- إذا- صلاة الجماعة، فهي واجبة بذلك النص و ما أشبهه كـ "وَ ارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ" و آية صلاة الخوف" و إذا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ...".

٤٤- ﴿ذَلِكَ﴾ النبأ العظيم هو ﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَ﴾ الحال أنك ﴿مَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ﴾ هؤلاء المتنازعين فى كفالتهما ﴿إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ﴾ أقلام كتابة الوحي يلقونها فى نهر الأردن لكى يعلم ﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ بتلك القرعة الربانية القارعة البارعة، حيث قامت قلم الوحي لذكريا ﴿وَ مَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ فى كفالتهما، و هذا مما يثبت موضوع القرعة، أنها لكل أمر مشكل لا سبيل إلى حله إلا هى.

٤٥- "ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ" و اذكر ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يَبْشُرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ﴾ مضت فى كلمات ﴿اسْمُهُ الْمَسِيحُ﴾ عيسى ابن مريم ﴿وَ هِيَ أَنتَ، حَالُكَ وَ وَجْهًا فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ﴾ عند الله و بين الوجهاء ﴿وَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ الخمس إلى الله زلفى، و من السابقين المصطفين.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٥٦

٤٦- ﴿وَ يَكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ﴾ آية لبراءته و براءة أمه و يراعتهم، و بشارة لنبوته ﴿وَ كَهَلًا﴾ تكليماً رسولياً دونما بينهما إذ لم يكن فيه رسولاً بالفعل و إلا فلما ذا فقط "فى المهد و كهلاً؟" ﴿وَ﴾ هو ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ لذلك التكليم الخارق العادة طفولياً و رسولياً، و الصالحين القمة و هم أولوا العزم من الرسل.

٤٧- ﴿قَالَتْ﴾ متحيرة ﴿رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَ لَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ﴾ مما يدل على أن الولد ليس إلا من مس بشر أنثى جنسيا دون سواه، مهما كان من جذب منيه، و لم يكن لها ﴿قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ﴾ دون سواه ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ فـ ﴿إِذَا قَضَى أَمْرًا﴾

ليكون ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ﴾ و قوله فعله إرادة لكونه ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ كما قضى، و هو هنا تكوينيا فى المادة الأولى إيجاد لما لم يكن، و فى فروعها تحويل لها إلى ما يريد الله من أشكال.

٤٨ / ٣

٤٨- ﴿وَيَعْلَمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ كهلا، و كما يؤكده مستقبل "وَيَعْلَمُهُ" فلا يعنى "آتانى الكتابَ وَ جَعَلَنِي نَبِيًّا" (١٩: ٣٠) فى مهده، أنه تعالى آتاه إياهما فيه، "وَيَعْلَمُهُ" ككل ما يحتاجه رسول ﴿و﴾ كخاصة ﴿التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ وحيا، حين يكلم الناس كهلا رسولا.

٤٩ / ٣

٤٩- ﴿و﴾ أبعثه ﴿رَسُولًا﴾ دعوة أولى ﴿إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ ثم دعوة عامة قضية ولاية عزمه فى رسالته ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ كما جاءتكم آيات موسوية و سواها ﴿أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُمْ﴾ ظاهرا و باطنه من الله ﴿مِنَ الطَّيْنِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾ دون جسم و روح، و إنما هيئته ﴿فَاتَفَخَّ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ فى ذلك التكون البار، فالخلق أولا و النفخ ثانيا، منى بإذنه، ثم تكونه طيرا فقط بإذن الله ﴿وَأُبرئُ الْأَكْمَهَ﴾ المولود المطموس العين ﴿وَالْأَبْرَصَ﴾ بياضا متفرقا فى الجلد ﴿وَأُحْيِ الْمَوْتَى﴾ و كل ذلك ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ و فعله دون تحويل إلا من إذنه ﴿وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَ مَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ بإذن الله ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ واحدة على جمعيتهما ﴿لَكُمْ﴾ لرسالتى الربانية ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ بالآيات الرسولية دون تخصيص ببعضها: "وَ إِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطَّيْنِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَ تُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَ الْأَبْرَصَ بِإِذْنِي" (١١٠: ٥).

٥٠ / ٣

٥٠- ﴿و﴾ حال كونى ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيِ مِنَ التَّوْرَةِ﴾ الأصلية الموحاة إلى موسى ﴿و﴾ لا أبدل لكم حكما و إنما ﴿لِأَحِلِّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ امتهانا و امتحانا مؤقتا ﴿وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ﴾ رسولية كما بينت ﴿مِنَ رَبِّكُمْ﴾ الذى أرسل موسى و من بعده بآياته مهما اختلفت صورها لوحدة سيرها ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا﴾ فيما أرسلت به إليكم.

٥١ / ٣

٥١- و من الآيات الرسولية ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَ رَبُّكُمْ﴾ دون تخيلات و تخبيلات أخرى ﴿فَاعْبُدُوهُ﴾ لا سواه ﴿هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ دون السبل الأخرى المتخلفة عن توحيده تعالى: "وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَ لَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ" (١٥٣: ٦).

٥٢ / ٣

٥٢- ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ﴾ بنى إسرائيل المدعويين ﴿الْكُفْرَ﴾ بهذه الرسالة ﴿قَالَ مَنْ أَنْصَارِي﴾ فى سبيلى الرسالى ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ إذ هموا أن يغتالوه أو يقتلوه أو يرفضوه بخشونة ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ معك إلى الله، حفاظا عليك و على رسالتك الربانية ﴿أَمَنَّا بِاللَّهِ﴾ كما تؤمن ﴿وَأَشْهَدُ﴾ عند الله و عند عباده ﴿بِأَنَا مُسْلِمُونَ﴾ لهذه الرسالة أمام الله. فـ"إلى" هنا و فى "لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ" بمعناها، دون "مع" فالى الله هناك ثم و "إلى" كفاية من أموالهم كأنها من أموالكم.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٥٧

٥٣ / ٣

٥٣- ﴿رَبَّنَا آمَنَّا﴾ أنفسنا عن أخطارها و أخطاءها ﴿بِمَا أَنْزَلْتَ﴾ من الإنجيل و سواه ﴿وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ﴾ الجائى به فى سنته ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ معه بهذه الرسالة، شهادة بآياته الربانية.

٥٤- ﴿وَمَكْرُؤًا﴾ أن شروه بثمن بخس دراهم معدودة ﴿وَمَكْرَ اللَّهِ﴾ أن شبه المسيح لهم بمن شراه ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ إذ ليس مكروه عن عجز أو جهل أو ظلم بل هو جزاء وفاق.

٥٥- "مَكْرُؤًا" ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِي مَتْوَفَيْكَ﴾ أخذًا وافيًا دون قتل أو صلب ﴿وَرَافِعُكَ إِلَى﴾ بيدتك وروحك بعد أن رفعتك شرفًا و محتدا ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بك، من يهوذا الأسخر يوطى حيث باعك، و من الذين عزموا على قتلك، و من هؤلاء الذين ظنوا أنك صلبت فلعت و ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ﴾ صدقا، لا تخيلا و تخيلا ﴿فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بك ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ ما كان كافرون بك إلى القيامة مهما يقلون زمن المهدي (ع) ﴿ثُمَّ﴾ بعد هذا اليوم بداية ﴿إِلَى﴾ لا سوى ﴿مَرْجِعُكُمْ﴾ سؤالا و حكما ﴿فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ و تتخلفون مقصرين، "جزاء وفاقاً".

٥٦- ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بك مقصرين ﴿فَاعَذِّبْهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ هودا أو نصارى، خلاف الذين آمنوا بك منهما ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ كل حسب ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ فيهما.

٥٧- ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بك ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ لإيمانهم ﴿فَيُوفِّيهِمْ أَجُورَهُمْ﴾ فى الدارين ﴿وَاللَّهُ لَا يَحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ بحق الحق و أهله

٥٨- ﴿ذَلِكَ﴾ الوحي العظيم هو مما ﴿تَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ﴾ الربانية ﴿وَالذِّكْرِ﴾ القرآن حيث يذكركم ﴿الْحَكِيمِ﴾ إذ لا مدخل فيه.

٥٩- ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ﴾ نموذجاً ﴿كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾ و قد خلق عيسى من أم دون أب فهو أدنى منه خلقاً غير متعود ﴿ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ﴾ آدم ﴿فَيَكُونُ﴾ ما قال له، كن كما كان آدم، و منه المسيح، فكيف يؤله المسيح أو يتبنى لله لأنه دون أب! فآدم دون أبوين.

٦٠- ﴿الْحَقُّ﴾ كله ﴿مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ بحق المسيح و كونه و كيانه و بسائر الحق.

٦١- ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ﴾ حق المسيح (ع) ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ بحقه ﴿فَقُلْ﴾ للمحاجين ﴿تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا﴾ و هما الحسنان عليهما السلام ﴿وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ أيا كانوا من المسيحيين ﴿وَنِسَاءَنَا﴾ هن فاطمة الزهراء سلام الله عليها بوحديثها ﴿وَنِسَاءَكُمْ وَ أَنْفُسَنَا﴾ من هو كنفس النبی و هو على عليه السلام ﴿وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِّلُ﴾ إلى الله فى الدعاء على المبطل ﴿فَنَجْعَلُ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ فقد ابتهل النبی (ص) و هم فروا عنه مخافة العذاب إذ رأوه بادئا. هنا نعرف- رغم الجاهلية- أن أبناء هم بناتك هم أبنائك، كما و ان ذرية رسول الله (ص) كلهم منها، فهم كلهم سادة دون ريب.

كما أن "نساءنا" هنا لا تعنى الزوجات و قد تواتر النقل بين الفريقين أن لم يكن معه (ص) فى مباہلته إلا فاطمته، مما يبين فضلها على كافة النساء من أهل البيت الرسالة القدسية، كما و أن "أنفسنا" الخاصة هنا بعلى (ع) تدل على أنه (ع) كان نفسه (ص) كما و أن الإنسان لا يدعوا نفسه، اللهم إلا من هو كنفسه، فلو كان للرسول (ص) أنفس لكانت نفس على (ع).

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٥٨

٦٢ / ٣

٦٢- ﴿إِنَّ هَذَا﴾ الذى قصصنا عليك ﴿لَهُوَ الْقَصَصُ﴾ المقصوص من عمق التاريخ ﴿الْحَقُّ﴾ كله، دون قصصيات لا تحمل حقا فضلا عن "الحق" و دون ما يختلقون و هم فيه يختلفون ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾ رغم ما يتخيلون من تثليث أو تثنية بطوارهما ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ غالبا على كل شىء فكيف يتخذ أو يولد ولدا ﴿الْحَكِيمُ﴾ فى عزته: "وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ" (١٢: ٢١).

٦٣ / ٣

٦٣- ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ عقيدا بالثالث و الصلب، و عمليا بحل الحرمت بتخيل و تخيل الفداء الصليبي.

٦٤ / ٣

٦٤- ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ﴾ علمية- عقيدية فعلية هى ﴿سَوَاءٌ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ فى الأصل الكتابى الربانى توحيدا ﴿إِلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ﴾ دون المسيح أو سواه ﴿وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا﴾ فى عبادة، أو طاعة، أن: ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ كما اتخذتم المسيح و ربانيين كأنهم أرباب من دون الله و هم أمثالكم ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عن ذلك الحق ﴿فَقُولُوا﴾ اشهدوا بأننا مسلمون ﴿لِلَّهِ﴾ لا نشرك به سواه، شهادة فطرية، عقلية و شرعية بكافة درجات الوحي على رسل الله.

٦٥ / ٣

٦٥- ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَحَاجُّونَ﴾ نا ﴿فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ أن كان يهوديا أو نصرانيا ﴿وَالْحَالُ أَنَّهُ﴾ ما أنزلت التوراة و الإنجيل إلا من بعده أ فلا تعقلون ﴿حتى الحقائق الثابتة التاريخية﴾.

٦٦ / ٣

٦٦- ﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ﴾ المتحاجون ﴿حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ كما تدعون ﴿فَلِمَ تَحَاجُّونَ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ كما تعترفون ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

٦٧ / ٣

٦٧- ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾ إشراكا فيهما، و انحرافا عن حق التوحيد ﴿وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا﴾ معرضا عما يخالف الحق ﴿مُسْلِمًا﴾ وجهه للحق ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ كما أنتم، إشراكا بالله عن حق التوحيد، مهما لستم وثنيين.

٦٨ / ٣

٦٨- ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ قراء إليه أم غرباء عنه نسبيا ﴿وَهَذَا النَّبِيُّ﴾ و هو أقرب الناس إليه و أولاهم و إياه فى حنافته، ثم ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالله حقا ﴿وَاللَّهُ وَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ أيا كانوا، و عدو الكافرين أيا كانوا.

٦٩ / ٣

٦٩- ﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ﴾ أملا مستحيلا واقعه ﴿يُضِلُّوكُمْ﴾ جميعا عما أنتم عليه من الحق ﴿وَمَا يَضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾ و إن أضلوكم وزرا على وزر، و إلا فدعوة إلى باطل دون تأثر و هم على أية حال "ما يضلون إلا أنفسهم" ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ تقصيرا فى اللاشعورية، أن إضلالهم راجع إليهم.

٧٠- ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ التي تتلى عليكم، قرأنا هو أقوى مما عندكم، و رسولا هو أقوى من رسلكم ﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ أنها آيات الله استئناسا بالوحي، و نسبة إلى سائر ما عندكم.
 هنا فى هذه الظروف الخليفة يتوجب على المؤمنين الوقاية الإيمانية حتى لا ينصدم إيمانهم بما يوده أهل الكتاب، لو يردونكم من بعد إيمانكم، فأصل الإيمان فرض، و الاستمرار فيه قبال الكفار فرض آخر، ثم تكميله فرض ثالث.
 البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٥٩

٧١- ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبُسُونَ الْحَقَّ بِ﴾ لبس ﴿الباطل﴾ فتلبسون على المجاهيل حقا بباطل ﴿وَالْحَالُ أَنْكُمْ تَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾ بلباس الباطل، أم كتماننا آخر ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الحق و لباسه الباطل.

٧٢- ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ لأهلهم نفاقا ﴿آمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجَهَ النَّهَارِ﴾ بدايته ﴿وَوَكْفُرُوا﴾ به ﴿آخِرَهُ﴾ تدجيلا عليهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عن إيمانهم بذلك الرجوع أن لو كان حقا ما رجعنا عنه، فذلك الارتداد الظلم ردّ لمجاهيل المسلمين عن الإسلام، أو ترديد لهم فيه.

٧٣- ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا﴾ إيمانا دون نفاق، أن تؤمنوا أنفسكم ﴿إِلَّا لِمَنْ تَبَعَ دِينَكُمْ﴾ الكتابي، دون القرآن ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَى﴾ الحق هى ﴿هُدَى اللَّهِ﴾ و ذلك النفاق، ابتعادا عن ﴿أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ﴾ من الوحي ﴿مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ﴾ مماثلة فى أصل الوحي الرسولى، كما انتقلت الرسالة من بنى إسرائيل إلى محمد الإسماعيلي ﴿أَوْ﴾ مخافة عن أن ﴿يَحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ و هو عليهم بكل شىء ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ﴾ و حيا و سواه ﴿يَبْدِ اللَّهُ﴾ لا سواه حيث ﴿يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ دون اتباع لأهواء ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ لا يضيق فى فضله ﴿عَلَيْكُمْ﴾ بما يؤتيه و من يؤتيه من فضله فـ "اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ" (١٢٤: ٦) "أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ... وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ" (٤٣: ٣٢).

٧٤- إذا فـ ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ﴾ ككل، و هذه الأخيرة من الوحي الرسالى ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ هو، لا من تشاءون أنتم، و لا من يشاؤها من خلقه ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ فليس صغيرا يختص بالسرعة الإسرائيلية، غير الكافية للخلود.

٧٥- ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُودِّهِ إِلَيْكَ﴾ كمن أؤتمن بقنطار البشائر المحمدية فأمن بها و نشرها و هم قلة ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ﴾ كمن أؤتمن بقليل منها و هم ثلة ﴿لَا يُودِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ فلا يستطيع إنكاره، كمن يقوم عليهم بدلائل البشارات كما هم ينقلونها فى الكتب المقدسة، و قد أوردنا شطرا منها فى "رسول الإسلام فى الكتاب السماوة" ﴿ذَلِكَ﴾ التخلف العارم من هؤلاء الثلة ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ﴾ المشركين إذ لم يكونوا كتابيين ﴿سَبِيلُ﴾ أن يبعث بينهم نبي غير إسرائيلى ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذْبُ﴾ كخاتمية الوحي الإسرائيلى ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ كذبه، و أن النبوة انتقلت إلى محمد الإسماعيلي، حسب نصوص كتابية، فمهما كان المؤمنون الأولون من المشركين، و لكن لهم شرف الإيمان على كتابيين لم يؤمنوا، و هذه هى السبيل.

٧٦- ﴿بَلَىٰ﴾ ذلك هو الحق أن ﴿مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ﴾ كعهد البشائر المحمدية ﴿وَأَتَقَى﴾ الله عن خيانة فيها ولى ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ أيا كانت عنصريتهم و قوميتهم و غيرهما من حواجز "إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ".

٧٧ / ٣

٧٧- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ و كل أثمان الدنيا بجنبه قليل ﴿أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ﴾ نصيبا حقا ﴿فِي الْآخِرَةِ﴾ من ثواب الله ﴿وَلَا يَكْلَمُهُمُ اللَّهُ﴾ فيها كلام الحب و الحنان ﴿وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ﴾ نظر الرحمة ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ لَا يَزَكِّيهِمْ﴾ شفاعة و سواها، بل ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ بما اشتروا، فإنه ذنب لا يغفر.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٦٠

٧٨ / ٣

٧٨- ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ﴾ أهل الكتاب ﴿لَفَرِيقًا﴾ دجالين ﴿يَلُؤُونَ أَلْسِنَتَهُمْ﴾ ردا لها إلى الاعوجاج "لَيَا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَ طَعْنًا فِي الدِّينِ" (٤: ٤٦) ﴿بِالْكِتَابِ﴾ الربانى ﴿لِتَحْسِبُوهُ﴾ أنتم المجاهيل به ﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾ لبس الباطل بلباس الحق ﴿وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ كلا أو بعضا، أو تحريفا لكلمة الكتاب فتجديفا ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ تأكيدا ليهيهم أنه الحق ﴿وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ يَقُولُونَ﴾ هكذا و ما أشبه ﴿عَلَى اللَّهِ الْكَذِبُ وَ هُمْ يَعْلَمُونَ﴾ كذبه.

٧٩ / ٣

٧٩- ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ﴾ وحيا ﴿وَ الْحُكْمَ﴾ بين خلقه بوحى ﴿وَ النُّبُوَّةَ﴾ رفعة بين المرسلين اصطفاء بين هؤلاء الصالحين بأمانة وحيه ﴿ثُمَّ﴾ بعد كل هذه العطيات الخاصة الأمانية يخالف أصل الرسالة و ﴿يَقُولُ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ كما تقولوه على المسيح (ع) ﴿وَ لَكِنْ﴾ حسب رسالته، يقول: ﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾ فى دينكم موحدين على ضوء التربية الربانية ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ﴾ من لا يعلمه ﴿وَ بِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ إياه، حتى تعلموه فتعلموه.

٨٠ / ٣

٨٠- ﴿وَ لَا﴾ أن ﴿يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا﴾ من دون الله عبادة أو طاعة أصلية ﴿أَيَأْمُرُكُمْ﴾ الله بذلك الإرسال ﴿بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ برسالات الله فطرة و عقلية فى شرعته.

٨١ / ٣

٨١- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾ أولى الدرجات العليا بين المرسلين، و هم- كلهم- أصحاب كتب الوحي، ولاية عزم، أو تبعاً لهم مثل داود و سليمان و أضرابه، و لهم كتب فرعية على ضوء الأصلية: ﴿لَمَّا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابِ الْوَحْيِ﴾ و حِكْمَةٍ فيه، المتميزة ﴿ثُمَّ﴾ بعد زمن بعيد، فى الرسالة الأخيرة ﴿جَاءَكُمْ﴾ مجيئاً رسولياً إليكم قبل مبعثه الرسمى ﴿رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ﴾ أخذ ميثاقكم له ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ﴾ عند إيتاء الكتاب و الحكمة و لمّا يجيئ ظاهرياً، فهو إيمان به قبل مجيئه، فهو فوق الإيمان به عند مجيئه، و هو أيضاً ليس من رسول برسول أبداً، مهما كان "له: فَأَمَنْ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّى" (٢٩: ٢٦) إيمانا لصالح إبراهيم بالله، أو "معه" كما فى أخرى، فهو (ص) إذا رسول إليهم قبل مبعثه ﴿وَ لَتَنْصُرُنَّهُ﴾ ببشائركم، عند مبعثكم، ثم عند رجوعكم إيماناً به و بالمهدى من آله عليهم السلام ﴿قَالَ أَ أَقَرَّرْتُمْ﴾ بذلك الميثاق ﴿وَ أَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ﴾ العظيم من ميثاقه ﴿إِصْرِي﴾ عبثاً إيماناً رسولياً ﴿قَالُوا أَقَرَّرْنَا﴾ به ﴿قَالَ فَاشْهَدُوا﴾ بإقراركم، كل الرسل، و الأمم اللاحقين إياكم ﴿وَ أَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ شهادة بالبشارات له فى كتبهم، و آيات الرسالة فى محمد و قرآنه "قُلْ أَى شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدُ بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ" (١٩: ٦).

٨٢- ﴿فَمَنْ تَوَلَّى﴾ عن هذه الرسالة الأخيرة ﴿بَعْدَ ذَلِكَ﴾ الميثاق المحكم على النبيين ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ عن الحق المرام، كأن ليس غيرهم فاسق لكثرتهم فيهم، وعمقه بحمقه عندهم، فإنه نكران للرسالات كلها، وابتغاء لغير دين الله و طاعته:

٨٣- ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ﴾ أيا كان، فإنه إشارة و بشارة و تصريحه بهذه الرسالة ﴿وَالْحَالُ أَنَّ﴾ ﴿لَهُ﴾ لا لسواه ﴿أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا﴾ تخييرا ﴿وَكَرْهًا﴾ تسييرا "وَأِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبَحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ" (١٧: ٤٤) ﴿وَالِيهِ يَرْجِعُونَ﴾ لا إلى سواه.

و آية الميثاق هذه هي منقطعة النظير لهذا النذير البشير من جوانب، كخاتمته، و عظمتها الرسالية لحد أصبح التصديق به قبل ولادة شرطا لكافة الرسالات و الكتب.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٦١

٨٤- ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا﴾ كتابا و سنة ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ صحفا ﴿وَعَلَىٰ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ﴾ من شرعة الوحي فرعا على الصحف ﴿وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ﴾ تورا ﴿وَعِيسَىٰ﴾ إنجيلا ﴿وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ﴾ أصحاب كتب الوحي بين أولى العزم ﴿مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ أنفسهم فكل صادر عن الله، و لا بينهم أنفسهم و لا بينهم و بين المرسل إليهم ﴿وَنَحْنُ لَهُ﴾ لله في وحيه كله ﴿مُسْلِمُونَ﴾ في كل أدواره.

٨٥- ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ﴾ لله ﴿دِينًا﴾ طاعة ﴿فَلَنْ يَقْبَلَ مِنْهُ﴾ في شرعة هي من الإسلام، و لا إسلام أخيرا إلا شرعة الإسلام ﴿وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ فانه ابتغاء غير الإسلام المرضي عند الله.

٨٦- ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا﴾ بالله ﴿بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾ به تعصبا على السابق، كفرا باللاحق ﴿وَشَهِدُوا﴾ بشارة سابعة و حضورا سابغا ﴿أَنَّ﴾ هذا ﴿الرَّسُولَ﴾ كسائر الرسل ﴿حَقٌّ وَ﴾ الحال أنه ﴿جَاءَهُمْ﴾ بالآيات ﴿الْبَيِّنَاتُ﴾ و الله لا يهدي ﴿تَوْفِيقًا﴾ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ حيث ظلموا بآيات الله فظلموا أنفسهم بذلك الظلم.

٨٧- ﴿أُولَئِكَ﴾ الكفار ﴿جَزَاؤُهُمْ أَنْ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ﴾ أن يذرهم إلى أنفسهم في طغيانهم يعمهون، و يختم على قلوبهم فهم لا يعمون ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ دعاء عليهم، و تركا لتنزلهم رحمة عليهم ﴿وَالنَّاسُ أَجْمَعِينَ﴾ الذين أضلوه، أوهم مهتدون مهما اختلفت لعنة عن لعنة، و الله يلعن هؤلاء تحقيقا لها إبعادا لهم عن هداة و ثوابه، و خلقه دعاء و استدعاء، باختيار أو واقعا، لأنهم أضلوه عن الحق، فحق عليهم أن يبعدوا عن رحمة الله بذلك الإضلال.

٨٨- ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ هذه اللعنة قدر استحقاقهم و آخره أن يموتوا مع خمود النار و موتها ﴿لَا يَخَفُّ عَنْهُمْ الْعَذَابُ﴾ و هو قدر ما يستحقون ﴿وَلَا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾ إمهالا عن عذابهم فلا زيادة لعذاب عما يستحقونه "جزاء وفاقا" محدودا بمحدود.

9. / 3

91/3

95/3

93/3

98/3

90/3

97/3

97/3

٩٧- ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ ربانيات و منها ﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ و منه مقامه الذى عليه أثر رجله ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ شرعياً ككل و كونياً أكثر من الكل ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ﴾ المكلفين ﴿حِجٌّ﴾ الزيارة المقصودة لـ ﴿الْبَيْتِ﴾ على ﴿مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ دون عسر و لا حرج، فالاستطاعة الطليقة تشمل الكثير من المكلفين، إذ لا تختص بوجود زاد و راحلة و سواهما، بل الأصل هو القدرة على تحصيل سبيل إليه عرفياً و شرعياً كما "وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ" (٢٢: ٢٧) إذ تقدم فى ذلك الأمر "رِجَالًا": راجلين، على سواهم، و كان أكثر من حج معه (ص) فى حجة الوداع مشاة، فمستطيع الحج مشياً، أو بأية طريقة دون عسر و لا حرج، عليه الحج ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ بذلك الفرض عقيدياً أو عملياً ﴿فَإِنَّ اللَّهَ﴾ غَنَى عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿فى كفر لهم أو كفران

٩٨ / ٣

٩٨- ... ١٠

٩٩ / ٣

٩٩- ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ﴾ بالله، عن سبيله، حيث ﴿تَبْغُونَهَا﴾ طلباً و فحصاً ﴿عِوَجًا﴾ عنه و هو صراط مستقيم ﴿وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ﴾ على حق السبيل ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ من صدّ عن سبيل الله أو دفع إليها.

١٠٠ / ٣

١٠٠- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ و هم يصدون عن سبيل الله ييغونها عوجاً ﴿يُرْدُّكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ كفراً أو كفراناً

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٦٣

١٠١ / ٣

١٠١- ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾ بآيات الله ﴿وَالْحَالِ﴾ ﴿أَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ﴾ آيات كآيات كتبكم، بل هى أدل و تلك أقل، ثم ﴿وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾ حيث يبينها لكم حجة على حجة ﴿وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ﴾ آية و رسالة و عملاً صالحاً ﴿فَقَدْ هَدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ من الله.

١٠٢ / ٣

١٠٢- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ تحذراً عن معاصيه "وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي" (٢٠: ٨١) ﴿حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ و هو المستطاع لكل مهماً اختلفت الدرجات: "فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ" (٦٤: ١٦) ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ رقابة على أنفسكم أن تستمروا- ما دامت حياة التكليف- على إسلامكم لله، تحصيلاً على معرفة تسد عنكم الأضاليل الأباطيل، حسب مختلف الأجواء و الظروف التى تعيشونها.

١٠٣ / ٣

١٠٣- ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ﴾ و هو القرآن طليقاً، و هو الرسول و أهله المعصومون ما داموا، ثم هو سنته صلى الله عليه و آله المعروفة بموافقة القرآن، ﴿جَمِيعًا﴾ اعتصموا جميعاً، بحبل الله جميعاً ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ عن حبل الله، و لا فيما بينكم فى اعتصامكم ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ الوحيدة ﴿إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً﴾ فيما بينكم، و أعداء للحق ﴿فَأَلَفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ بنعمة

... ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ﴾.

الإسلام و هو جبل الله ﴿فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ﴾ تلك ﴿إِخْوَانًا وَ كُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ﴾ مشارف ﴿مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾ بنعمته ﴿كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ﴾ ناصعة ناصحة ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ إلى الله بواضح سبيله.

١٠٤ / ٣

١٠٤- ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ﴾ جماعة ملتفة بعضها مع بعض ﴿يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ﴾ علما و عقيدة و عملا، ثم ﴿وَلْيَأْمُرُوا بِالْمَعْرُوفِ﴾ لديهم و لدى التاركين إياه و هم يعرفونه ﴿وَلْيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ لدى الناهي و المقترف ﴿وَأُولَئِكَ﴾ الأكارم فى ذلك المثلث البارع ﴿هُمْ الْمُفْلِحُونَ﴾ حيث يشقون أموال الفتن بسفن النجاة إذ يقيمون هذين الركبين الركبين فى جمعية الإسلام، و هنا "المعروف" و "المنكر" دون الواجب و الحرام، مما يدل على اشتراط وجوب الواجب و نكر المنكر إسلاميا لدى الطرفين.

١٠٥ / ٣

١٠٥- ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا﴾ عن الحق، أو فيما بينهم فى الحق، أو عن الاعتصام به جميعا فى مرحلتيه ﴿وَوَاحِدًا﴾ هكذا ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ من الآيات ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ قدر عظم تفرقهم و اختلافهم عن الحق و فيه مقصرين.

١٠٦ / ٣

١٠٦- ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ﴾ روحيا و جسميا ﴿وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ هكذا ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ بسواد احتجاجاتهم يقال لهم ﴿أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ ارتدادا عنه، أو تركا لآية فطرية و عقلية و رسالية ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ بالله و آياته.

١٠٧ / ٣

١٠٧- ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ﴾ هم ﴿فِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ "عطاءً غير مجذوذ" قضية الرحمة غير المحدودة.

١٠٨ / ٣

١٠٨- ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾ سببا و مصاحبة و غاية، تحليقا للحق عليها مطلقا ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ﴾ ألا يتلوا عليهم آيات الرحمة، أو يتلوها دون بيان هو حجة عليهم، أو لا يعدل بين المؤمن و الكافر. ذلك، فليس للأمر و النهى دور إسلاميا إلا بعد الدعوة الصالحة إلى الخير، من الأحكام الربانية بحيث يقنع به، ثم المأمور به هو "المعروف" حسب الكتاب و السنة، و كذلك المنكر حسبهما، دونما هو واجب عند الأمر دون المأمور، أو محرم عند دونه، أو لما يقتنع به المأمور و المنهى، اللهم إلا أن يبين له بحجة أنه واجب أو حرام، فهو داخل - إذا - فى "يدعون إلى الخير" و من ثم الأمر و النهى عند الإصرار.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٦٤

١٠٩ / ٣

١٠٩- ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ و هما الكون كله، فإنه ملكه ذاتيا لا حول لها عنه، تكوينا و تشريعا ﴿وَالِلَّهِ﴾ لا سواه ﴿تَرْجِعُ الْأُمُورُ﴾ الأشياء و الافعال فيهما، ف "إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ".

١١٠ / ٣

١١٠- ﴿كُنْتُمْ﴾ أنتم الداعون إلى الخير الأمرون الناهون، المسلمون ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ فى هذه الثلاثة، بين هذه الأمم الرسالية ﴿أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ المدعويين المأمورين المنهيين ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ تَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ لأنكم تحملون خير شرعة ربانية و

منها شرعة الأمر و النهى بما هما أفضل من كل شرعة ربانية ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ أفضل و أكمل مما آمن به سائر الرساليين ﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ كما أمنتكم ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ لا لكم أو لله، فإنهم هم المنتفعون به، و لكن ﴿مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَ أَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ تخلفا عن امر الله فالأمر و النهى، المعروضان على كافة الأمم، هما أقوى فى الأمة الإسلامية مادة و مدة، و حملا لما هو أوجب، مهما كان أصعب.

١١١ / ٣

١١١- ﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ﴾ أنتم المؤمنين الحاصلين على هذه الشروط الإيمانية، دون كافة المسلمين، فالإضرار إلا أذى منفى عنكم الخصوص، مثبت فيمن لا يأتى بهذه الشروط الماضية فـ " لَنْ يَضُرُّوكُمْ " هؤلاء الكفرة من أهل الكتاب و سواهم ﴿إِلَّا أذى﴾ تتحمل دون اجتثاث لجذوركم ﴿وَإِنْ يَقَاتِلُوكُمْ﴾ أنتم المتقين لله حق تقاته، المعتصمين بحبل الله جميعا، و فيكم أمة داعية إلى الخير أمة بالمعروف ناهية عن المنكر، غير متفرقين و لا مختلفين بينكم و عن حبل الله ... إذا، و بهذه الشروط ﴿يُولُوكُمُ الْأَذْبَارَ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ﴾ دون أن تتركوها اكتفاء باسم الإسلام!

١١٢ / ٣

١١٢- ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ﴾ كتابيين و لا سيما اليهود كافرين ﴿الذِّلَّةُ﴾ عند الله ﴿أَيْنَ مَا تُقِفُوا﴾ وجدوا حيث تذلونهم أنتم المؤمنون ﴿إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ﴾ اعتصاما به جميعا ﴿وَ حَبْلٍ مِنَ النَّاسِ﴾ وحدة بينهم أنفسهم ﴿وَ بَاءُوا﴾ رجعوا هؤلاء الأنكاد ﴿بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ﴾ مطلقا و ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ كفرا أو كفرانا ﴿وَ يَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ﴾ دعوة أو أنفسا، بأنفسهم أو مرضاتهم ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ لهم عليهم ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَ كَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ و هكذا تكون كل أمة فى ضرب الذلة و المسكنة حسب كفرهم بحذافيره.

١١٣ / ٣

١١٣- فـ ﴿لَيْسُوا﴾ أهل الكتاب ﴿سَوَاءً﴾ لعدم إسلامهم، فقد يكونون قاصرين أو مقصرين دون عناد، فـ ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ هودا أو نصارى ﴿أُمَّةٌ﴾ جماعة ملتفة ﴿قَائِمَةٌ﴾ بالحق حال أنهم ﴿يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ﴾ تورا أو إنجيلا ﴿أَنَاءَ اللَّيْلِ وَ هُمْ يَسْجُدُونَ﴾ لله لا لسواه، مهما لم يصلهم حق الإسلام الأخير، أم لا يعاندونه و إن لم يفتشوا عنه اعتمادا على شرعهم الكتابية.

١١٤ / ٣

١١٤- ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ دون تعصب فى الإيمان الكتابى السالف ﴿وَ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ كما يعرفون حقا ﴿وَ يَسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَ أُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ و إن ظلوا دون تعصب و عناد كتابيين.

١١٥ / ٣

١١٥- ﴿وَ مَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ كتابى ﴿فَلَنْ يَكْفُرُوهُ﴾ إن لم يسلموا ﴿وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ الذين إذا وقوا عن الباطل اتقوا، حسب معرفتهم، مهما لم يصلوا إلى الحق الأخير و هم يبغونه و لا يرفضونه.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٦٥

١١٦ / ٣

١١٦- ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ " وَ مَاتُوا وَ هُمْ كُفَّارٌ " (٩١: ٣) ﴿لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ﴾ فداء ﴿أَمْوَالُهُمْ وَ لَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾: " وَ لَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ " (٥٤: ١٠) ﴿وَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ قدر كفرهم و آخره هو خمودهم بخمود النار. ذلك، و أما الذين ماتوا مسلمين - مهما كانوا كفارا قبله - فهم من أصحاب الجنة، مهما اختلفت درجاتهم قدر مادة الإيمان و مدته.

١١٧- ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ إنفاقاً لها و إليها لمن دون الله إذ يبصرون إليها، لا بها، حيث "يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ" (٧: ٣٠) هؤلاء مثلهم: ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌ﴾ سرعة و شدة تصحبها لهيب نار، برودة ثلجية لا تبقى للحرث باقية ﴿أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾ فيه، عذاباً وفاقاً ﴿فَاهْلَكْتَهُ وَ مَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَ لَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ فليس الله ليظلم او يظلم، فإنه انتقاص ليس في الله أو من الله.

١١٨- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً﴾ لأسراركم ﴿مِنْ دُونِكُمْ﴾ المؤمنين ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ﴾ تقصيرا، فهم مصرون ﴿خَبَالًا﴾ فسادا يضطركم، فهم يفسدون عليكم كما يقدررون متظاهرين أنهم يساعدونكم ﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾ تعبتم ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ﴾ عليكم ﴿مِنْ أَقْوَاهِهِمْ﴾ تغلثا منها دون تقصد ظاهر ﴿وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ مما تخفي ألسنتهم و أعمالهم من بغضاءهم ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ التي ترشدكم إلى الحق ابتعادا عن الباطل ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ عقلا و ربطا لحقائق تصلحكم، ذلك و قد حرمت ولاية الكافرين على المؤمنين بصورة طليقة فضلا عن اتخاذهم بطانة من دونهم: "وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا" (٤: ٨٩) "وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا" (٤: ١١٩) "لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ.. (٥٨: ٢٢).

١١٩- ﴿هَا أَنتُمْ﴾ المؤمنون ﴿أَوْلَاءُ﴾ المتخذون بطانة من دونكم ﴿تُحِبُّونَهُمْ﴾ زعم أنهم يساعدونكم ﴿وَالْحَالُ أَنَّهُمْ﴾ لا يحبونكم و تؤمنون بالكتاب كله ﴿مَا هُوَ فِيهِ، قَرَأْنَا وَ سِوَاهُ﴾ ﴿وَ إِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا﴾ نفاقا ﴿وَ إِذَا خَلَوْا﴾ "إِلَى شِبَاطِينِهِمْ" ﴿عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغِیْظِ﴾ عليكم ﴿قُلْ مَوْتُوْا بِغِیْظِكُمْ﴾ إذ لا يأمنكم المؤمنون ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ فيعلم المؤمنين بعضها، و بأحرى الرسول "وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ" (٤٧: ٣٠).

١٢٠- ﴿إِنْ تَمَسَّسْكُمُ﴾ إصابة حالة ﴿حَسَنَةً﴾ على آية حال ﴿تَسُوَّهُمْ وَ إِنْ تُصِيبْكُمْ﴾ إصابة ﴿سَيِّئَةً يَفْرَحُوا بِهَا وَ إِنْ تَصِيرُوا﴾ على الحق ضد الباطل دون تغلث عن الحق أو إلى الباطل ﴿وَ تَتَّقُوا﴾ خبالا من دونكم و سواه من باطل ﴿لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ ما أنتم صابرون متقون ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾.

١٢١- ﴿وَ إِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ خرجت غداة في المدينة إلى خارجها: أحد، حال أنك ﴿تُبَوِّئُ﴾ إيواء لبواء الحرب الدفاعية ﴿الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ المفروضة عليهم ﴿وَ اللَّهُ سَمِيعٌ﴾ أقوالكم ﴿عَلِيمٌ﴾ بأحوالكم.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٦٦

١٢٢- ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا﴾ في القتال مخافة العدو ﴿وَ﴾ الحال أن ﴿اللَّهُ وَلِيَهُمَا﴾ توفيقا رفيقا فيما أمروا به ﴿وَ عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ بالله دون فشل و لا كسل و لا اتكال بلا عمل.

١٢٣- ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِدَرٍّ وَ أَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ ذلا خضوعا لله تحت ظله، و ذلا مستضعفين عند خلقه ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أن تفشلوا ما دام الله ناصركم ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الله بتقواكم.

١٢٤ / ٣

١٢٤- ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ بيدر ﴿أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ﴾ نصرا ﴿أَنْ يَمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ﴾ حال كونهم ﴿مُنْزِلِينَ﴾ عليكم مناصرين، مهما كانت نصرتهم تشجيعا دون خوض في الحرب معكم.

١٢٥ / ٣

١٢٥- ﴿بَلَى﴾ يكفكم ربكم ﴿إِنْ تَصْبِرُوا﴾ على بأسائه و ضراءه ﴿وَتَتَّقُوا﴾ موانع تلك الكفافة ﴿وَيَأْتُوَكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا﴾ أولئك الكفار ﴿يَمِدُّكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ﴾ بدل ثلاثة آلاف ﴿مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ بدل المنزلين، فهم المعلمون علامة النصر الرباني.

١٢٦ / ٣

١٢٦- ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ﴾ ذلك الإمداد الملائكى ﴿إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ﴾ أنكم تغلبون، دون أن يشاركوكم في الحرب، فقد تلوا روحياتكم الجهادية برويتهم: ﴿وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ﴾ فى قتالكم، دون اختصاص فى نصركم بذلك الإمداد الظاهر ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ و إن لم يمددكم بملائكة، فإنه هو الأصل الأصيل، مهما كان نصره بفصيل وصيل.

١٢٧ / ٣

١٢٧- و ذلك الإمداد الربانى ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا﴾ طريفا قويا ﴿مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فيها بوكم ﴿أَوْ يَكْبِتَهُمْ﴾ يصرعهم كلهم ﴿فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ﴾ آيسين لا ياملون رجوعا إلى قوة و سودد، ف" و أعدوا لهم ما استطعتم من قوة و من رباط الخيل ترهبون به عدو الله و عدوكم" (٨: ٦٠).

١٢٨ / ٣

١٢٨- ﴿لَيْسَ لَكَ﴾ يا محمد ﴿مِنَ الْأَمْرِ﴾ الواقع أو الذى يقع نصرة خارقة العادة ﴿شَيْءٌ﴾ من حول و لا قوة، و لا من توبتهم أو عذابهم شىء، بل " لِيَقْطَعَ .. أَوْ يَكْبِتَهُمْ" ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ فلا دخل لك فى أى من هذه الأمور، فإنما أنت رسول.

١٢٩ / ٣

١٢٩- ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ دون سواه، فلا أمر فيهما إلا لله ﴿يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ الغفر فيشاءه الله ﴿وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ العذاب فيشاءه الله، حسب حكمته على عزته ﴿وَالأصل أن﴾ ﴿اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ فى موضع العفو و الرحمة، يرحم من يستحق العذاب قدر ما ليس ظلما بآخرين.

١٣٠ / ٣

١٣٠- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً﴾ على رءوس أموالكم و على الربا كما كان فى الجاهلية، فإنه محرم أضعافا مضاعفة، و هو حرام دون أضعاف إذ" الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ .." (٢: ٢٧٥) أضعافا مضاعفة أم أقل مهما كان درهما، فالنهى هنا عن الأضعاف المضاعفة، نهى لمضاعفة الحرمة كما كانوا عليها متعودين ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فى الربا بأضعافه أو أقل منه ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾ فى الحياة، فلا تفلحون و لا تفلحون.

١٣١ / ٣

١٣١- ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ إذ تحرق معهم المرابين و كأنه كفر ككفرهم.

١٣٢ / ٣

١٣٢- ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَ الرَّسُولَ﴾ فى كل ما يأمر و يقول ﴿لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ﴾ فلا ترجمون.

١٣٣ / ٣

١٣٣- ﴿وَسَارِعُوا﴾ سباقا مع الرفاق ﴿إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ طاعة لله و الرسول كأصل، و استغفار عن ذنوبكم المتفلتة أو العائدة و لا سمح الله ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا﴾ سعتها ﴿السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ " كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ " (٥٧: ٢١) كليهما لأنها فوق السماء السابعة، محيطة على السماوات و الأرض " عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى. عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى " (٥٣: ١٤) ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ كأصل، مهما دخلها القاصرون غير المكلفين لأنهم لا يستحقون نارا، و تبجيلا للمتقين، كما و " جَنَّاتٌ عِدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَ مَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَ أَزْوَاجِهِمْ وَ ذُرِّيَّتِهِمْ " (١٣: ٢٣) و المتقون هم:

١٣٤ / ٣

١٣٤- ﴿الَّذِينَ يَنْفِقُونَ﴾ أموالهم ﴿فِي السَّرَّاءِ﴾ الحياة السارة ﴿وَالضَّرَّاءِ﴾ الحياة الضارة، فلا يتركون الإنفاق في الله على أية حال ﴿وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ﴾ عليهم من المجاهيل، إذا كان في كظمه و هضمه إصلاح لهم، و إلا فقصاص عدل ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ كأصل كظما و عفوا إلا فيما يفسدان كما في سائر القرآن، و هذا الأصل كظما و عفوا هو إحسان ﴿وَاللَّهُ يَجِبُ الْمُحْسِنِينَ﴾.

١٣٥ / ٣

١٣٥- ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا﴾ معصية ﴿فَاحِشَةً﴾ حدّها، أو إلى غيرهم ظلما متعديا، أو أدنى منها: ﴿أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ فقط عصيانا غير متجاوز ﴿ذَكَرُوا اللَّهَ﴾ بعد ما نسوه بما فعلوا ﴿فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَ مَنْ يَغْفِرِ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ ثم ﴿وَلَمْ يَصِرُوا عَلَى مَا فَعَلُوا﴾ من فاحشة أو ظلم ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ حرمة الفاحشة و ظلم النفس إذ ينسيان الله، و وجوب ذكره و استغفاره، فإن الإصرار لا يناسب صادق الإيمان.

١٣٦ / ٣

١٣٦- ﴿أُولَئِكَ﴾ الأكارم ﴿جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ فيما قصروا، ثم ﴿وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ حال كونهم ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ إلى غير النهاية: " عطاءً غير مجدود " ﴿وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ بهذه الشروط المفلحة، العاملين الصالحات المناسبة لصادق الإيمان.

١٣٧ / ٣

١٣٧- ﴿قَدْ خَلَتْ﴾ مضت ﴿مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾ سيئة و حسنة ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ تأريخيا و جغرافيا و أفضله أرض القرآن إذ يعرض بكمال الصدق ما ينظر إليه ﴿فَانظُرُوا﴾ نظر البصر إلى البصيرة ﴿كَيْفَ كَانَ﴾ حياة ﴿عَاقِبَةُ﴾ هنا و في الأخرى لـ ﴿الْمُكْذِبِينَ﴾ في سنتهم.

١٣٨ / ٣

١٣٨- ﴿هَذَا﴾ القرآن ﴿بَيَانٌ﴾ منقطع النظير ﴿لِلنَّاسِ﴾ المكلفين البالغين ﴿وَهُدًى﴾ إليه ﴿وَمَوْعِظَةٌ﴾ عن تكذيب إلى تصديق ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ الذين يتقون المحاذير إذا وقوا عنها، فما اعتذار الذين يقولون " إن القرآن ظنى الدلالة " إلا تكذيبا لكونه بيانا للناس، أو هم ليسوا من الناس المكلفين بشرعة الناس بل هم من النسناس.

١٣٩ / ٣

١٣٩- ﴿وَلَا تَهِنُوا﴾ في القتال و سواه من تكليف ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ على ما فاتكم فيه ﴿وَالْحَالُ﴾ أنتم الأعلون ﴿على مقاتليكم و كل مناوئكم﴾ ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ بالله " نِعَمَ الْمَوْلَى وَ نِعَمَ النَّصِيرِ " (٨: ٤٠).

١٤٠- ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ﴾ و جرح ﴿فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ﴾ قضية القتال فإنه سجل، فإيمانكم ينسى قرحكم أنتم الأعلون ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ﴾ في دولة الحق للناس و دولة الباطل للنساس، فالدول هو النقل، و هو هنا انتقال الغلبة من ناس إلى ناس، ﴿نُداوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ لحكم ربانية ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ﴾ علما و علامة لا علما ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بصمودهم فيها غالبين و مغلوبين ﴿وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ﴾ مؤمنين ﴿شُهَدَاءَ﴾ الحق حيث يشهدونه فيتبعونه، أو و يستشهدون في سبيل الله ﴿وَاللَّهُ لَا يَجِبُ الظَّالِمِينَ﴾ بل يبغضهم إذ لا يخلوا- على علمه المحيط- من بغض أو حب.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٦٨

١٤١- ﴿وَلِيَمَحْصَ اللَّهُ﴾ تخليصا من الشوائب و النوائب ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ نورا على نور ﴿وَلِيَمَحَقَّ﴾ سحقا ﴿الْكَافِرِينَ﴾ حيث يتفلتون عن الحق أكثر "ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها" (٢٤: ٤٠)

١٤٢- أ حسبتم أن تدخلوا الجنة دون تمحيص ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ﴾ علامة ﴿الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾ ممن لم يجاهد، ﴿وَلَمَّا يَعْلَمِ﴾ علامة ﴿الصَّابِرِينَ﴾ في جهادهم في سبيل الله ممن لم يصبر، فواقع الجهاد و الصبر في سبيل الله هو علامة الإيمان الصالح.

١٤٣- ﴿وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ﴾ في سبيل الله تحقيقا لأمره في حقل الجهاد ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ﴾ في الجهاد ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ﴾ الآن في أحد ﴿وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ موتكم و موت الآخرين تحقيقا لمناكم.

١٤٤- و قد فشلتم زاحفين أن سمعتم أن محمدا قتل ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ و لم يمت المرسل و لا الرسالة ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ زحفا من الحرب أو عن الإيمان بمحمد (ص) ﴿وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبِهِ﴾ ارتجاعا إلى الجاهلية ﴿فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا﴾ إذ لا ينتفع الله من صادق الإيمان، و لا ينضر بالكفر ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ بإيمانهم الشاكر، دون كفر و لا كفران "فبأي آلاء ربكم تكذبان".

١٤٥- ثم أين تفرون ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ﴾ بأى سبب ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ إذ كتبه ﴿كِتَابًا مُؤَجَّلًا﴾ مؤقتا لوقت خاص ﴿وَمَنْ يَرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ فقط ﴿نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ لا كلها: "مَنْ كَانَ يَرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَ زِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَ هُمْ فِيهَا لَا يَبْخَسُونَ" (١١: ١٥) "مَنْ كَانَ يَرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا" (١٧: ١٨) ﴿وَمَنْ يَرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ كما عمل لها و زيادة ﴿وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ جزاء الضعف.

١٤٦- ﴿وَكَايْنٍ﴾ كثيرا ﴿مِنْ نَبِيٍّ﴾ له نبوة الرسالة و رفعتها ﴿قَاتِلَ مَعَهُ﴾ بصفه ﴿رَبِّيُونَ﴾ علماء ربانيون ﴿كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا﴾ لما أصابهم في سبيل الله ﴿أَيَا كَانَتْ إصَابَاتُهُمْ﴾ و ما ضَعُفُوا عن القتال، ثم ﴿وَمَا اسْتَكُنُوا﴾ تطلبا للسكون أمام العدو يفعل بهم ما يشاء، بل صمدوا حركين، صبرا مضاعفا ﴿وَاللَّهُ يَجِبُ الصَّابِرِينَ﴾ في سبيله، تقدما في سبيل الله، أو صمودا حتى لا ينفلتوا عنها.

١٤٧ / ٣

١٤٧- ﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ﴾ في تلکم المعارك الضارية ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ رغم كافة الإصابات في سبيل الله ﴿وَوَسِّرْنَا فِي أَمْرِنَا﴾ حيث أمرنا بفرطنا ﴿وَوَثِّبْتَ أَقْدَامَنَا﴾ في نضالنا على ضوء الإيمان الصامد بالله ﴿وَوَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ وإن هزمنا، فإن أداء التكليف نصرة مهما غلبنا في الظاهر، فإننا نحن الغالبون بما اتتمرنا في سبيله.

١٤٨ / ٣

١٤٨- ﴿فَاتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ كما يناسبها ﴿وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ﴾ فإنها دار الجزاء الأوفى ﴿وَاللَّهُ يَحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ في الله، و من ثواب الله مزيد الإيمان بالله مهما حرموا عن لذات فيها: "إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَ الَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ" (٥١: ٤٠) كما و من ثوابها النصرة الظاهرة على العدو مع الباطنة.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٦٩

١٤٩ / ٣

١٤٩- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالإيمان مليا أو فطريا، أو كفروا بالفطرة الإيمانية و لا يؤمنون أو لا يأمنوكم ﴿يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ الكافرة ﴿فَتَنقَلِبُوا﴾ عن إيمانكم ﴿خَاسِرِينَ﴾ فنفس طاعة الكافرين تجذب المؤمن إلى الكفر، فإن للشيطان خطوات.

١٥٠ / ٣

١٥٠- ليس كما يزعم من أنصاف حلول أن يطاعوا لمصلحة الإيمان ﴿بَلِ اللَّهُ﴾ لا سواء هو ﴿مَوْلَاكُمْ وَهُوَ﴾ لا سواء ﴿خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾ فلا تبتغوا عندهم العزة "أَيَّبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا" (١٣٩: ٤) و لله العزة و لرسوله و للمؤمنين و لكن المنافقين لا يعلمون" (٦٣: ٨).

١٥١ / ٣

١٥١- و من نصرتنا لكم أننا ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ منكم على قتلکم عددا و عددا، و كثرتهم فيهما ﴿بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ و أنتم آمنتم به ﴿وَوَاوَاهُمْ﴾ أينما حلوا ﴿النَّارُ﴾ هنا و في دار القرار ﴿وَبَشِّرِ مَثْوًى الظَّالِمِينَ﴾ في هذه الدار و لا سيما في عقبى الدار "جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَ بَشِّرِ الْقَرَارُ" (٢٩: ١٤) فالؤمن يربع بإيمانه، و الكافر يربع بكفره، إذ لا يرى المؤمن في حياته إلا إحدى الحسينين، و الكافر يحافظ على دنيا الحياة إذ ينكر عقباها، أو يرى عذابه فيها.

١٥٢ / ٣

١٥٢- ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ لنصرتكم ﴿إِذْ تَحْسُونَهُمْ﴾ إصابة الحس كثيرهم قليلا ﴿يَاذُنْهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ﴾ عن الحرب تخلفا عن قواعدكم لرميهم ثم ﴿وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ قياما و مقاما ﴿وَوَعَصَيْتُمْ﴾ أمر الرسول في مقامكم ﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ﴾ من الانتصار بعد الانتظار ﴿مِنْكُمْ مَنْ يَرِيدُ الدُّنْيَا﴾ كالرّمات الخمسين حيث تركوا قواعدهم مغبة الغنيمة ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يَرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ كالصامدين في قتالهم ﴿ثُمَّ﴾ بعد ثلوث الفشل و التنازع و العصيان ﴿صَرَفَكُمُ عَنْهُمْ﴾ بما انصرفتم عنهم منهزمين ﴿لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾ بتلك الهزيمة العظيمة ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ﴾ بعد تمردكم ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ مهما تمردوا ما هم مؤمنون.

و هنا نرى التربية الفائقة الإسلامية أن الله يأمر الرسول أن يشاورهم بعد غفرهم و هم متخلفون في خضم الحرب: "فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ وَ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَ اسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَ شَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ" (٣: ١٥٩).

١٥٣- ﴿ذُو فَضْلٍ﴾ ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾ انصرفا عن الحرب ﴿وَلَا تُلَوْنُ﴾ التفاتا ﴿عَلَى أَحَدٍ﴾ من المشركين مواصلة لحربهم ﴿وَالْحَالُ أَنَّ﴾ ﴿الرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَاكُمْ﴾ إِذْ لَا حَقَّكُمْ مِنْهَا أَنَّى حَى فَقَاتِلُوا ﴿فَأَتَابَكُمْ﴾ ثوابا ﴿عَمَّا﴾ هزيمة ﴿بِعَمٍّ﴾ ترك قواعدكم ﴿لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾ لأنه منكم ﴿وَلَا مَا أَصَابَكُمْ﴾ من غلبة فإنها من الله ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من خير أو شر، فيجازيكم بما تعملون دون ما تعلمون بلا عمل، اللهم إلا نية صادقة و أنتم لا تقدرون. وهذه ضابطة ثابتة أن الحزن على ما فات مذموم إلا ما فاتكم تقصيرا منكم فتجبرونه: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ (٥٧: ٢٣).

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٧٠

١٥٤- ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾ هو بين اليقظة و النوم ﴿يَغْشَى طَائِفَةً مِّنْكُمْ﴾ مطاوعة ﴿وَوَطِئَةً﴾ أخرى عاصية ﴿قَدْ أَهْمَتُهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ لا سواها رغم إيمانهم، إذ كان ضعيفا فاشلا ﴿يُظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ كأنه خالف وعد النصر و ما أشبه من غير الحق ﴿ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةُ﴾ و هم في جمع المؤمنين، و من ظنهم غير الحق جاهلية ﴿يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ﴾ كأمر الغلبة بعد إذ غلبوا ﴿قُلْ إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ نصره و سواها و أى أمر من تكوين أو تشريع ﴿يَخْشَوْنَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يَبْدُونَ لَكَ﴾ إذ ﴿يَقُولُونَ لَوْ﴾ استحالة ﴿كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ﴾ غلبة ﴿شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾ قتلا لجماعة و انتقلا لآخرين منهزمين ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ لا في المعركة ﴿لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ﴾ تقديرا ربانيا ﴿إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾ ميتين، ليفعل الله ما يشاء ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾ ما كنتم تخفون فيها ﴿وَلِيَمَحَّصَ﴾ تخلصا ﴿مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿وَالْقُلُوبُ، صَدَقَا وَ كَذَبَا ف: "مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنَّ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ" (٣٢: ١٥). فحسن الظن بالله هو من الإيمان بالله، إذ لا يعلم الإنسان الذى ينتظر من ربه خيرا يريده، أنه يؤتبه أولا، و ظاهر الخير يبعث المؤمن على الظن بأنه يؤتبه، و قد لا يؤتبه، إذ عسى أن تحبوا شيئا و هو شر لكم و الله يعلم و أنتم لا تعلمون" (٢: ٢١٦)

١٥٥- ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ﴾ فى احد و هم الرماة الخمسون ﴿يَوْمَ اتَّقَى الْجَمْعَانِ﴾ مسلمين و كافرين ﴿إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ كجمع الغنيمة تناسيا موقفهم عما أمرهم به الرسول (ص) و ما أشبه، و هنا استزلال الشيطان، دون دفع من الرحيم الرحمن، ليس إلا "جزاء وفاقاً" بل و فوق ذلك قد يقبض الله شيطانا إلى من ختم على قلبه: "وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ" (٤٣: ٣٦) ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ لما تابوا ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ فى موضع الغفر و الحلم.

١٥٦- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ نفاقا و سواه من كفر أو كفران ﴿وَقَالُوا لِلْإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ﴾ سفرا ﴿أَوْ كَانُوا غَزَى﴾ مقاتلين ﴿لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا﴾ سفرا تحسبا أن الموت بأيديهم ﴿وَمَا قَتَلُوا﴾ غزى ﴿لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ﴾ التَّقْوَلِ التحمل ﴿حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ بما كفروا ﴿وَاللَّهُ﴾ لا سواه ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

١٥٧- ﴿وَلَيْنَ فُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قتالا و سواه ﴿أَوْ مِتُّمْ﴾ دون قتال و سواه ﴿لَمَغْفِرَةً مِنَ اللَّهِ﴾ عن ذنوبكم ﴿وَرَحْمَةً﴾ من مزيد الثواب ﴿خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ أهل الدنيا من زخارفها، حيث الحياة و الموت في سبيل الله هما الحسنيان، و هما في غير سبيله السوءتان.

فكلا الحياة و الممات في سبيل الله "خير مما يجمعون" للحياة الدنيا، فالحياة الإيمانية، هي "إحدى الحسنين" و ما سواها قبيحة.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٧١

١٥٨ / ٣

١٥٨- ثم لا يختلف في سبيل الله قتل عن موت ﴿وَلَيْنَ مِتُّمْ﴾ في سبيل الله ﴿أَوْ فُتِلْتُمْ﴾ فيها ﴿لِإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾ و إنما الدرجات فيهما للنيات و الطوبات، فقد يفضل ميت على قتيل كما يفضل قتيل على ميت.

١٥٩ / ٣

١٥٩- ﴿فِيمَا رَحْمَةٍ﴾ عظيمة ﴿مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾ هؤلاء الرماة العصاة، رغم استحقاقهم للتأديب ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظًا الْقَلْبَ﴾ عليهم بما عصوا ﴿لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ و لا يجوز، ما أمكن جذبهم إلى ما حول الرسالة السامية مهما عصوا ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾ ما عصوا كقائد رسولى و فى القيادة الحربية ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ الله أن يغفرهم عما عصوا ربهم فى تخلفهم، لا فحسب بل ﴿وَشَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ القيادى الحربى تشويقا لهم إلى الحق كأنهم على شىء، دون حاجة لك إليهم ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾ على أمر، لا "عزم أكثرهم" ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ الذى أراك عزم الحق ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ على الله فى الأمور كلها، على سعيهم الصالح، فهذه مشاورة لإفادة، دون استفادة، اللهم إلا جذبا لهؤلاء المتفلتين، كما و أن "أمرهم شورى بينهم" إفادة لكل المتشاورين، تخص غيره (ص) فإن أمرهم له (ص) وحى ليس إلا "إِنْ أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ" (١٠: ١٥).

١٦٠ / ٣

١٦٠- ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ﴾ حربا و سواها ﴿فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ و الله غالب على أمره ﴿وَأِنْ يَخْذَلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ﴾ إذ خذلكم ﴿وَعَلَى اللَّهِ﴾ لا سواه ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ بالله لا سواه: "وَأِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضَرْفٍ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَ إِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" (٦: ١٧) و هنا "لكم" دون "عليكم" لأن عدم نصرته كنصرته- هي "لكم" امتحانا و بلوى صالحة كانهزامكم فى أحد مهما اختلفت بلوى عن بلوى.

١٦١ / ٣

١٦١- ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ﴾ على مدار زمن النبوات ﴿أَنْ يَغْلَى﴾ تذرعا لخيانة ﴿وَمَنْ يَغْلُ﴾ و لو كان نبيا ﴿يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ و قد نسب إلى الرسول (ص) أنه غل فى غنائم الحرب تقسيما غير عادل ﴿ثُمَّ﴾ بعد ذلك ﴿تُوفَىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ﴾ من صالح أو طالح ﴿وَهُمْ لَا يظْلَمُونَ﴾ ففى صالحه "عطاء غير مجذوذ" و فى طالحه "جزاء وفاقا" بل و أقل كما يناسب عدله و فضله.

١٦٢ / ٣

١٦٢- ﴿أَفَمَنْ أَتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ﴾ كالنبي و الذين معه ﴿كَمَنْ بَاءَ﴾ راجعا إلى الله ﴿بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ﴾ و الحال أن ﴿وَمَا وَاوَاهُ جَهَنَّمَ وَ يَتَّبِعُ الْمَصِيرُ﴾ يتبع المصير فالمصير، و إتباع رضوان الله يعم كل سلبية و إيجابية حيوية، ظاهرا و باطنا، فرديا و جماعيا.

١٦٣ / ٣

١٦٣- ﴿هُمْ﴾ المتبعون رضوان الله ﴿دَرَجَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ بدرجات اتباعاتهم ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ﴾ لا تخفى عليه خافية ﴿بِمَا يَعْمَلُونَ﴾.

١٦٤ / ٣

١٦٤- ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ بهذا الرسول لله ﴿إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ و هو رغم كونه بشرا مثلهم أنفسهم ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾ القرآنية، آيات ربانية خالدة على مر الزمن ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ بها ﴿وَيَعْلَمُهُمُ الْكِتَابَ﴾ بما يزكيهم ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ المناسبة للتعليم و التزكية ﴿وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ﴾ هذه البعثة الغالية ﴿لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ضلالة تبين، غارقين فيه لمكان" في".

١٦٥ / ٣

١٦٥- ﴿أَلَمْ تَظُنُّوا بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ ﴿وَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ﴾ الهزيمة في أحد و ﴿قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلِهَا﴾ في بدر من قبل و في أحد قبل الهزيمة ﴿قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا﴾ الذى أصابنا، هل هو من عند الله على المؤمنين بالله ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنفُسِكُمْ﴾ حيث ترك الرماة الخمسون قواعدهم المقررة ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ من نصركم و أنتم متخلفون، و لكنه "إِنْ تَنصَرُوا" الله يَنْصُرْكُمْ وَ يَثْبِتْ أَقْدَامَكُمْ" (٧: ٤٧) في كل إقدامكم.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٧٢

١٦٦ / ٣

١٦٦- ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّقَى الْجَمْعَانِ﴾ بأحد ﴿فَيَاذُنِ اللَّهِ﴾ مما ترك الرماة مقاعدهم "جَزَاءً وَفَاقًا" ﴿وَلِيَعْلَمَ﴾ علامة ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ الصادقين بالله إذ لم يظنوا بالله ظن السوء.

١٦٧ / ٣

١٦٧- ﴿وَلِيَعْلَمَ﴾ علامة من العلم لا العلم، كما فيما أشبه ﴿الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ و هم جماعة ابن سلول ﴿وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ تقدما على الكفار ﴿أَوْ ادْفَعُوا﴾ عن أنفسكم بأسهم ﴿قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ﴾ نعرف ﴿قِتَالًا لَّاتَّبِعْنَاكُمْ﴾ نفاقا عارما و ﴿هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ إذ ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ من كفرهم.

١٦٨ / ٣

١٦٨- ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِلْإِخْوَانِهِمْ﴾ نظراءهم في النفاق ﴿وَقَعَدُوا﴾ هم أنفسهم عن القتال ﴿لَوْ أَطَاعُونَا﴾ فى العقود ﴿مَا قُتِلُوا قُلُوبًا﴾ إذا كان الحياة بأيديكم ﴿فَادْرَوْا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ﴾ أينما كنتم آمنين ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فى قولتكم.

١٦٩ / ٣

١٦٩- ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾ فائتين ليست لهم حياة بعد قتلهم ﴿بَلْ﴾ هم ﴿أَحْيَاءُ﴾ لا كسائر الأحياء بعد موتهم لا فى سبيل الله، بل ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْزُقُونَ﴾ فهل هى بعد حياة الذكر و هم ليسوا بأحياء؟ و لا يعنى تخصيص هذه الحياة بالذين قتلوا فى سبيل الله، أن الحياة بعد الموت مختصة بالقتلى فى سبيل الله، بل هذا رد على مقالة أن الموت فوت، فلما ذا القتال فى سبيل الله، ثم "يَرْزُقُونَ" فَرَحِين" و ما أشبه، هى خاصة بالذين ضحوا بحياتهم فى سبيل الله، فقد تشمل من مات إلى من قتل فى سبيل الله: "وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا" (٥٨: ٢٢) بل و الذين هم بعد أحياء: "رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا" (٢٣: ٣٣) ف "قَضَىٰ نَحْبَهُ" هو القتل أو الموت فى سبيل الله، ثم "مَنْ يَنْتَظِرُ" هو الحى - بعد- فى سبيل الله.

١٧٠ / ٣

١٧٠- حال كونهم هناك ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ قبل الموت و بعده ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ﴾ فيما بينهم ﴿بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ من المقاتلين فى سبيل الله ﴿أَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ هم و الذين لم يلحقوهم بعد قتلهم ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على ما سبقهم من قتل و سواه فى سبيل الله.

١٧١ / ٣

١٧١- ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ﴾ جزاء وفاقا لإستشهادهم ﴿وَفَضْلٍ﴾ زيادة عما لهم ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أن يفوتهم موتا دون نعمة و فضل، فمن أجرهم المتواصل تواصل حياتهم- و أحيى مما كانوا- برزخا و أخرى و هما أخرى.

١٧٢ / ٣

١٧٢- ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ﴾ أصالة ﴿وَالرَّسُولِ﴾ رسالة ﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾ جراحا فى أبدانهم و آخر فى نفوسهم أن انهزموا فى أحد ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ﴾ المستجيبين ﴿وَاتَّقُوا﴾ التخلّف عن الله و الرسول ﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ ماتوا أو قتلوا، قتلوا أم لم يقتلوا.

١٧٣ / ٣

١٧٣- ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾ المتظاهرون بالإيمان ﴿إِنَّ النَّاسَ﴾ الكافرين ﴿قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾ قوة قاهرة ﴿فَاخْشَوْهُمْ﴾ فزادهم ﴿هَذَا الْقَوْلُ﴾ إيمانا ﴿بَدَلُ أَنْ يَنْقُصَهُمْ﴾ و قَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ لا فقط قواتنا ﴿وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ حيث توكلنا عليه لا سواه.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٧٣

١٧٤ / ٣

١٧٤- ﴿فَانْقَلَبُوا﴾ عما لديهم من حياة عارية إلى حياة باقية عند ربهم ﴿بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ﴾ سببا و مصاحبة يعيشان معهم طول الحياة الانقلابية إذ ﴿لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾ انقلبا عن الله بل ﴿وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَ اللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ انقلبا إلى الله.

١٧٥ / ٣

١٧٥- ﴿إِنَّمَا﴾ ليس إلا ﴿ذَلِكَ﴾ البعيد عن الحق ﴿الشَّيْطَانُ﴾ فى خطواته ﴿يَخَوْفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ عن سبيل الله ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾ و أنتم أولياء الرحيم الرحمن ﴿وَأَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ بى: الله، و لا يعنى الخوف عن الله، إلا عن عدله و جاه عبيده، و كذلك خوف السطوة و الهيبة و هو الخشية من الله، لا خوفا من ظلمه و عودا بالله!

١٧٦ / ٣

١٧٦- ﴿وَلَا يَحْزَنُكَ الَّذِينَ يَسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ بعد إذ سارعت فى هديهم فلم يقبلوا، لـ ﴿إِنَّهُمْ لَنُيْضِرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾ بتلك السرعة الكافرة، بل أنفسهم يظلمون، ثم ﴿يُرِيدُ اللَّهُ﴾ بما سارعوا ﴿أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ﴾ كما لكم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

و هنا، أن يختم على قلوبهم، و يقيض لهم شيطانا، و فى الآخرة عذاب النار و يئس المصير*.

١٧٧ / ٣

١٧٧- ﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوْا الْكُفْرَ﴾ من بايعه الشياطين إنسانا أو جانا، "اشْتَرَوْا" ﴿بِالْإِيمَانِ﴾ و هو قضية الفطرة و العقلية و الشريعة المبينة لهم ﴿لَنُيْضِرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ و إنما ضروا أنفسهم و أضرابهم.

١٧٨ / ٣

١٧٨- ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي﴾ نمهل و نمد ﴿لَهُمْ﴾ نفسا و نفيسا هو ﴿خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا﴾
 إِنَّمَا﴿ " وَ أُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ " (٦٨: ٤٥) ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ كما أهانوا الحق و أهليه بإملائهم: " جَزَاءٌ وَفَاقًا " وَ لَا
 يَظْلَمُونَ نَقِيرًا " ف " جَزَاءٌ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةً مِّثْلُهَا " .

١٧٩ / ٣

١٧٩- ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ فى ظاهر الأمر و أنتم منافقون أو كفار ﴿حَتَّى يَمِيزَ الْخَيْثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾
 علما لكل فى الابتلاءات ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ لا كما تشاءون، أو لا
 يجتبي ﴿فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ حتى تطيبوا ﴿وَإِنْ تَوَمَّنُوا﴾ بالله ﴿وَتَتَّقُوا﴾ معصية الله ﴿فَلََكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ عند الله.

١٨٠ / ٣

١٨٠- ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ إنفاقا فى سبيل الله نفسا أو نفيسا ﴿هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ﴾ إذ يملكونه و
 لا يصرفونه فى سبيله بل هو شرُّ لَهُمْ ﴿سَيَطُوفُونَ﴾ طوقا عليهم ﴿مَا بَخَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ حيث يرجع عليهم شرا رغم ما
 حسبوه خيرا لهم ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ بقاء بعد فناءهم، فهما عارية مضمونة لا يملكونها ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾
 من خير و شر ﴿خَبِيرٌ﴾ فسينبئكم بما كنتم تعملون، فالعمل السوء طوق على رقاب العاملين، و سيبدل إلى ملكوته يوم القيامة:
 الَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَ لَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ- يَوْمَ يَحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا
 جِبَاهُهُمْ وَ جُنُوبُهُمْ وَ ظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ (٩: ٣٥).

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٧٤

١٨١ / ٣

١٨١- ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ﴾ حيطة علمية ﴿قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ﴾ يأمر بالإنفاق و لا ينفق بنفسه ﴿وَ نَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ إذ
 قالوا: ما بال الله يطلب إلينا أن نقرضه من أموالنا فيضاعفه لنا و هو ربنا، شدد النهى عنها و النكير عليها ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا﴾ " إِنَّا
 كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ " (٤٥: ٢٩) فعليه الاستنساخ و مستقبلية رؤيتهم مكتوبة عليهم، سنكتبه ﴿وَ قَتَلَهُمُ الْآنبيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَ
 نَقُولُ﴾ إذا فى المرحلة الآتية يوم القيامة ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾.

ذلك القول البعيد عن العقلية الإيمانية، فإن الله يأمرنا بالإنفاق " وَ كَآيُنُ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ " (٢٩: ٦٠)
 يأمرنا لكى يدربنا و يجربنا على الإنفاق، فهو الذى يرزقنا حتى نعيش و نعيش الآخرين، و ذلك قضية دار الامتحان و البلية.

١٨٢ / ٣

١٨٢- ﴿ذَلِكَ﴾ العذاب العظيم ليس إلا ﴿بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ أن يسيرهم إلى " ما قدمت أيديهم"
 ثم يعذبهم عليه ظلما مضاعفا كما يقول المجبرة، و إنما يحتاج إلى الظلم الضعيف، و يخاف الفوت.

١٨٣ / ٣

١٨٣- ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ﴾ ائتماننا لرسالته الربانية ﴿حَتَّى يَأْتِيَنا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ﴾ كما حصل لبعض
 الرسل اقتراحا من جماعة ﴿قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ﴾ و هى الآيات البينات الدالة على رسالتهم ﴿وَ بِالَّذِي قُلْتُمْ﴾
 و أنتم أمامهم على سواء ﴿فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فى اختصاص الآية الرسولية بالذى قلتهم.

١٨٤ / ٣

١٨٤- ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ﴾ إذ لم تأت بالذى قالوه ﴿فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا﴾ بالذى قالوا هامشيا و اقتراحا و ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الرسولية ﴿وَالزُّبُرِ﴾ من الزبر و هو الزجر بحكمة و موعظة و تخويف ﴿وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ كالكتب الأصلية من وحى الشريعة، على الخمسة من أولى العزم من الرسل.

١٨٥ / ٣

١٨٥- ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ إنسانية و جنية و ملكية و سواها من الأحياء ﴿ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ دون أن تفوت، فليس الموت من الحياة الدنيا إلا خروج النفس عن البدن ذوقا لذلك الموت، و لكنها لا تموت بذاتها فوتا عن أصل الحياة بذلك الموت ﴿وَأِنَّمَا تُوَفَّقُونَ﴾ الجزاء الأوفى ﴿أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ﴾ إزالة عن معرة فيها بعد دخولها: "إِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا. ثُمَّ نُنْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَ نَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا" (١٩: ٧٢) ﴿وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ﴾ بعد ذلك الزحزاح ﴿فَقَدْ فَازَ﴾ ناجيا إلى الجنة ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ فإنها متاع لا ابتغاء الآخرة و لكنها تضر من أبصر إليها دون من أبصر بها.

١٨٦ / ٣

١٨٦- ﴿تَتَّبِلُونَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ﴾ فإنها من متاع الغرور ﴿وَلَتَسْمَعَنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ هودا او نصارى ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ و من الملحدين ﴿أَذَى كَثِيرًا وَ إِنْ تَصْبِرُوا﴾ صمودا على الإيمان فى الهزاهز ﴿وَتَتَّقُوا﴾ ما يخالف الإيمان من اللذائذ ﴿فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ و ثباتها الصالح، إذ يبقى عند الله ليوم الحساب و الثواب " و مَا تَقْدُمُوا لَأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ " (٢: ١١٠).

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٧٥

١٨٧ / ٣

١٨٧- ﴿وَ﴾ اذكروا ﴿إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ و هم مدراء الشريعة الكتابية، حيث يعلمون الكتاب، إذ أوتوه بعد حملته الرسل ﴿لَتُبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ﴾ كما يحق ﴿وَ لَا تَكْتُمُونَهُ﴾ أصله أو معناه، أو إمكانية تفهمه ﴿فَتُبَدِّوهُ﴾: الكتاب ﴿وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ إذ كتموه ﴿وَ اشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ و كل أثمان الدنيا بجنبه قليل ﴿فَبُئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ " إِنْ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَ أَلْهَدَىٰ مِنْ بَيِّنَةٍ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَ يَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ " (٢: ١٥٩).

١٨٨ / ٣

١٨٨- ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا﴾ من نكر القول و الفعل إذ " زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ " (٢٧: ٢٤) ثم ﴿وَ يَحِبُّونَ أَنْ يَحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ حمدا فاضيا عما يحمد به ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مضاعفا بضعف العصيان و ضعف الإيمان.

١٨٩ / ٣

١٨٩- ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ﴾ و هما الكون كله ﴿وَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾ منها، و ما يشاء تكوينه ﴿قَدِيرٌ﴾ لا يحده حاد، و لا يمدّه ماد، إلا إذا لم يكن شيئا ممكنا فى ذاته فمستحيل لا يقبل قدرة.

١٩٠ / ٣

١٩٠- ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ﴾ إذ تدلان على أنهما مخلوقان، و هما مختلفان متناسقان ﴿وَ اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ﴾ حيث يأتى كل خلف الآخر و هو مختلف عنه ﴿لآيَاتٍ﴾ على وجود الله و وحدته و القيامة الكبرى ﴿لأولى الألباب﴾ الذين زالت قشور عقولهم.

١٩١ / ٣

١٩١- ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ﴾ على أية حال ﴿قِيَامًا وَ قُعُودًا وَ عَلَى جُنُوبِهِمْ﴾ ذكرا بالقال و الحال و الأعمال قدر المستطاع ﴿وَ يَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ﴾ و من حصائل تفكراتهم ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا﴾ الخلق العظيم ﴿بَاطِلًا﴾ دون هدف صالح، و لو لا يوم الحساب لكان باطلا ﴿سُبْحَانَكَ﴾ من خلق الباطل ﴿فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ من يوم الفرار إلى يوم القرار، وقاية بما نعمل في حياة الإيمان، و عفوا عما نتلفت فیتلفت منا من عصيان.

١٩٢ / ٣

١٩٢- ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ﴾ " ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَ أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ " (٢٢: ١٠) ﴿وَ مَا لِلظَّالِمِينَ﴾ الداخلين النار ﴿مِنْ أَنْصَارٍ﴾ يخرجونهم عنها أو يخفونها لهم، فهناك لا مناص، إذ فات يوم الخلاص.

١٩٣ / ٣

١٩٣- ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا﴾ رسوليا أو رساليا ﴿يُنَادِي لِلْإِيمَانِ﴾ الذى أمرتنا به بكل آيات صدقه فتصديقه ﴿أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ﴾ كما رباكم ﴿فَأَمَّا﴾ بتلك النداء الصادق الأمين بآياتها الربانية ﴿رَبَّنَا فَاعْفُ رُ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ دفعا و رفعا ﴿وَ كَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا﴾ صغائر الذنوب " إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نَكْفُرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَ نُدْخِلْكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا " (٤: ٣١) ﴿وَ تَوْفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾ المعصومين الأخيار، توفية فيها توفية لنا معهم إلى دار الأبرار و نعم القرار.

١٩٤ / ٣

١٩٤- ﴿رَبَّنَا وَ آتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى﴾ السنة ﴿رُسُلِكَ وَ لَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ بإدخال النار ﴿إِنَّكَ لَا تَخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ لنا برسلك، حيث الخلف هو من مخلفات الجهل و العجز و الخيانة.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٧٦

١٩٥ / ٣

١٩٥- ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ بشروط ﴿أَنْى لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ﴾ صالحا ﴿مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى﴾ دون فارق إذ ﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ الذكر من الأنثى و الأنثى من الذكر، تكويننا و فى التشريع، فالأصل هو صالح العمل من أى كان ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ ديارهم و أموالهم و أشغالهم و .. حفاظا على صالح الإيمان و العمل به ﴿وَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَ أُودُوا فِي سَبِيلِ﴾ صابرين ﴿وَ قَاتَلُوا﴾ فقتلوا، أو ﴿وَ قُتِلُوا﴾ أو جمعا بينهما ﴿لَا كُفْرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ بذلك الإيمان الصامد ﴿وَ لَا دُخْلَ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ اللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ فالمجاهد فى سبيل الله ناج عند الله على أية حال، ما طبق واجبه فى هذه السبيل، ف" مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَ مَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا " (٣٣: ٢٣) فالأصل هو قضاء النحب و التكليف، قتل أو قتل أو ينتظر جهادا فيه أحدهما أو كلاهما، أو أن يبقى حيا دون أن يقتل أو يقتل.

١٩٦ / ٣

١٩٦- ﴿لَا يَغُرُّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾ تنقلا فيها لمتاع الحياة الدنيا، تغلبا فيه على الذين آمنوا، فإن ظاهره يغر فينغر به.

١٩٧ / ٣

١٩٧- ﴿مَتَاعٌ﴾ يشتري به الآخرة ﴿قَلِيلٌ﴾ أمام الآخرة، فى عدة و عدة و مدة ﴿ثُمَّ مَا وَاهُمْ جَهَنَّمَ﴾ إذ لم يشتروا بها الجنة، بل استقلوا فيها مستغلين إياها لشهواتهم ﴿وَ يَسْأَلُ الْمِهَادُ﴾ للذين مهوده لأنفسهم بما قدمت أيديهم.

١٩٨ / ٣

١٩٨- ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ فِي ذَلِكَ الْمَتَاعِ الْقَلِيلِ﴾ ﴿لَهُمْ جَنَّاتُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ "عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ" إلى غير حد ﴿نُزُلًا﴾ مضيئاً ﴿مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ يناسب ذلك المضيئ ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ﴾ من سواه ﴿لِلْأَبْرَارِ﴾ المستحقين خيره، ف"ما عندكم ينفد و ما عند الله باقٍ" (١٦: ٩٦).

١٩٩ / ٣

١٩٩- ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ فيما أنزل إليهم من قبل ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ﴾ حال كونهم ﴿خَاشِعِينَ لِلَّهِ﴾ في كل ما أنزله ﴿لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ خلاف من يشتريه بها من الدجالين ﴿أُولَئِكَ﴾ الأكارم ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ حسب إيمانهم ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ بعد موتهم ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ دون إبطاء و لا فوضى جزاف.

٢٠٠ / ٣

٢٠٠- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا﴾ على إيمانكم في الأفراح و الأتراح، في البأساء و الضراء ﴿وَ صَابِرُوا﴾ مع بعض البعض أمام النوازل ﴿وَ رَابِطُوا﴾ رباطاً فيما بينكم تعاضداً في طاقاتكم في كل حقول الإيمان و عمل الصالحات ﴿وَ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ فردياً و جميعاً في الإيمان و الصبر و المصابرة و المراقبة ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾ في مزرعة الدنيا للآخرة، إفلاجا لما يضاد الإيمان بإفلاح، حيث تشقون أمواج البلاء بسفن النجاة.

و هذه ضابطة ثابتة للإفلاح، فالنقطة الأولى هي الإيمان، ثم الصبر و المصابرة على كافة المعارضات السلبية ألا تفلت عن إيمانك أن تضعف فيه، ثم المراقبة في هذه، على ضوء تقوى الله على أية حال.

١- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ كل الناس ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ كلكم ﴿مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾: آدم ﴿وَوَلَدَ﴾ الحال في خلقكم منه أنه ﴿خَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ حواء ﴿وَبَثَّ﴾ فرق في كل أنحاء العالم الإنساني إلى يوم القيامة ﴿مِنْهُمَا﴾ دون سواهما من جنية و حورية أمامية ﴿رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾: كثيرة، هم كل الناس المخلوقين من هذه النفس الواحدة و زوجها، إذا فالناس كلهم منتسلون من هذين الزوجين، أن كان التناسل بين أخ و اخت في البداية حلا، ثم حرم إلى يوم القيامة، و ليس انتهاء هما إلى صلب و رحم واحد، اقرب من اتصال حواء إلى آدم حيث خلقت منه، فذلك الزواج في البداية لم يكن من المحرمات الأصيلة، بل حل مؤقت و حرمة على طول الخط ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ﴾ مسألة مسئولية التقوى ﴿وَوَلَدَ﴾ تساءلون بـ ﴿الْأَرْحَامِ﴾ حيث الكل راجعون إلى رحم واحد و صلب واحد ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ﴾ مذ كنتم و تكونون ﴿عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ رقابة الحفاظ عليكم و رقابة تقواكم و الحساب يوم الحساب.

٢ / ٤

٢- ﴿وَأَتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ﴾ إياهم بعد إذ أنستم منهم رشدًا ﴿وَلَا تَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ﴾ من أموالكم ﴿بِالطَّيِّبِ﴾ من أموالهم ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ﴾ معتبرين إياها من أموالكم قضية الخلط منهما ف" إلى " هي بمعنى المنتهى أن تأكلوا أموالهم كأنها أموالكم ﴿إِنَّهُ﴾ ذلك الأكل " إلى " ﴿كَانَ﴾ في كل زمن التكليف ﴿حُبًّا﴾ إثمًا موجعا ﴿كَبِيرًا﴾ إذ يوجع اليتامى كبيرا.

٣ / ٤

٣- ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ﴾ يتامى النساء، و القسط فوق العدل ﴿فَأَنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنْهُنَّ﴾ هؤلاء ﴿النِّسَاءُ﴾ حتى يزول يثمنهن و يبقى واجب العدالة بعده، أو من غيرهن، فهن " يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن و ترغبن أن تنكحوهن " فأنكحوا ما طاب لكم " منهن بإيتاء أجورهن إزالة ليثمنهن، أو غيرهن فرارا عن نكاحهن، و هنا " فأنكحوا " في يتامى النساء فرض لواجب الولاية عليهن، ثم في سائر النساء سماح شرط العدل ﴿مَثْنَىٰ﴾ جمعا لجمع: لكل ثنتين ﴿وَوَاحِدَةً﴾ و الرباع هو العدد الآخر من سماح الزواج الدائم حيث الأمر هنا سماح لأنه بعد حظر أو توهمه، فلا سماح - إذا - في الزيادة نكاحا دائما ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا﴾ بينهم، أو في المجتمع لقلة عددهن، أوفيككم لعدم العدل بالنسبة لكم ﴿فَوَاحِدَةً أَوْ﴾ إلا تعدلوا في واحدة أيضا فـ ﴿مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾: قدراتكم وراء الزواج الدائم: ملك يمين أو عقدا مؤقتا أو تصبرا على العزوبة تخفيفا عن شبق الجنس ﴿ذَلِكَ﴾ العلاج الصارم الحازم ﴿أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾: تميلوا عن واجب العدل، فخوف عدم القسط في اليتامى يفرض تعدد الزواج منهن، ثم يجب طليق العدل في حقل الزواج، و من ثم تركه دائما إلى " ما مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ " حتى العزوبة و " ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا " ميلا عن العدل.

٤ / ٤

٤- ﴿وَأَتُوا النَّسَاءَ﴾ يتيمات و سواهن ﴿صَدَقَاتِهِنَّ﴾ جمع صدقة و هي الصداق دون الصدقة ﴿نِحْلَةً﴾: كرامة الزوجية، دون صدقة مجانية ﴿فَإِنْ طِبَّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ﴾ دون كله ﴿نَفْسًا﴾ دون خداع أو إكراه أو التماس ﴿فَكُلُّهُ هَنِئًا مَرِيئًا﴾ هنا الماء للعطاش.

٥ / ٤

٥- ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ﴾ نساءكم و سواهن، عقليا فى حقل الإقتصاد، أو شرعيا فيه ألا يراعوا الحل ﴿أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ﴾ فيها ﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ لا خشنا.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٧٨

٦ / ٤

٦- ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى﴾ ولاية لكم عليهم ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾ إذا كانت أمانة فى ولاية ﴿وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا﴾ زيادة عن حق مالى أو أكلا مسرفا بباطل ﴿وَبِدَارًا﴾ تسرعا عن ﴿أَنْ يَكْبَرُوا﴾ بفتح الباء، بمعنى كبر السن و هو بلوغ النكاح حتى الرشد، ثم حقا ماليا بدل الولاية ﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا﴾ لا يحتاج فى تلك الولاية إلى عوض ﴿فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾ و هو وجوب العفاف عن أى أكل من أموالهم ﴿وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ﴾ سماحا ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ كما تتحمله أموال اليتامى ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ﴾ فى دفعها إليهم ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ لما تعملون.

٧ / ٤

٧- ﴿لِلرِّجَالِ﴾ الذكران مطلقا ﴿نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ﴾ لهم ﴿وَالْأَقْرَبُونَ﴾ نسبا أو سببا ﴿وَاللِّسَاءِ﴾ الإناث مطلقا ﴿نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ﴾ لهن ﴿وَالْأَقْرَبُونَ﴾ نسبا أو سببا ﴿مِمَّا قَلَّ مِنْهُ﴾ ما ترك ﴿أَوْ كَثُرَ﴾ شرعنا ﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ لا حول عنه.

٨ / ٤

٨- و نصيب آخر بعد الأول ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ﴾ لما ترك ﴿أُولُو الْقُرْبَى﴾ بعد الوالدين و الأقربين، و هم الطبقة الأخرى بعد الورثة ﴿وَالْيَتَامَى﴾ قربى و سواها ﴿وَالْمَسَاكِينُ﴾ من القرباء و الغرباء ﴿فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ﴾ من أنصبتكم حسب وسعكم، دون قولة فارغة أن ليس لكم نصيب فيه، بل ﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ فى كثير مما ترزقونهم أو قليل.

٩ / ٤

٩- ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ﴾ حيث لا يرثون على ضعفهم إذ لا نصيب لهم ضابطيا ﴿فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ﴾ فى رزق حاضرى القسمة ﴿وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ يسد بغضاءهم فيما ترزقونهم، و يسد ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ ف" كما تدين تدان فذلك فرض ثان فى الميراث، لم يعمل به إلا قليل.

١٠ / ٤

١٠- و لا تأكلوا أموال اليتامى استغلا لا ليتمهم ف ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا﴾ دونما استحقاق و منهم أوليائهم الأغنياء فى أجر الولاية كما يزعم ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ يوم الفرار و هى تظهر يوم القرار ﴿وَيَسِيلُونَ﴾ يوقدون ﴿سَعِيرًا﴾ نارا شديدة التاجج، فإنهم وقود النار كسائر رءوس الضلالة.

١١ / ٤

١١- ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ أحياء، و من ثم أمواتا فى الأنصبة، استمرارا لوصية الحياة، فلا نصيب أحياء خلاف ذلك الحظ، و لا وصية فيه لما بعد الموت، بل ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ مِثْلِ الْأُنثَيَيْنِ﴾ مطلقا، أولادا أو أحفادا، كل فى طبقته ﴿فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً﴾ إناثا ﴿فَوْقَ اثْنَتَيْنِ﴾: اثنتين و ما فوق ﴿فَلَهُنَّ ثُلُثًا مِمَّا تَرَكَ﴾ فرضا ﴿وَأِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً﴾ دون وارث آخر فى الطبقة ﴿فَلَهَا النِّصْفُ﴾ فرضا، و إن لم يكن وارث آخر فى الطبقة فالباقية رد على أخذه الفرض إذ ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ دون العصبية ﴿وَلِأَبَوَيْهِ﴾ الولد ذكرا أو أنثى ﴿لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ﴾ مهما

كان له وارث آخر ﴿وَوَرِثَهُ آبَاؤُهُ﴾ دون ما لا يرثان لحجب ﴿فَلِأَمِّهِ الثُّلُثُ﴾ ولأبيه نفس السدس ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ﴾ ثنتين و ما فوق، ذكورا و إناثا أو هما معا ﴿فَلِأَمِّهِ السُّدُسُ﴾ كما لأبيه كالأول، و كل ذلك ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا﴾ المورث ﴿أَوْ دَيْنٍ﴾ ثابت ﴿آبَاؤُكُمْ وَ أَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾ فلا تحرموا آبائكم و هم الوالدان كما لا يحرم أبناءكم و قد شرع الله ذلك ﴿فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ فى حكمه ﴿حَكِيمًا﴾ فى علمه.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٧٩

١٢ / ٤

١٢- ﴿وَلَكُمْ﴾ أيها الأزواج ﴿نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ﴾ زوجاتكم دواما و انقطاعا ﴿إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ﴾ منكم أو من غيركم ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ﴾ مطلقا ﴿فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ﴾ مطلقا، و لكن ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِيَنَّ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ ثم ﴿وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ﴾ مطلقا كما لكم ﴿إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ﴾ منهن أو من سواهن ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمْنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ﴾ ككل دون استثناء، كما يقال أنها لا تترث من الأرض مطلقا و من عين البناء، إلا ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ فلو كان عليهن، استثناء ما يستثنى من غير المنقول فلما ذا لم يذكر فى عداد الاستثناء، و قد كرر ذكر الوصية و الدين و هما معلومان، و لما ذا اختص الاستثناء بهما، و هو نص فى عموم الباقي مما ترك ﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً﴾ من الكل حيث لا أولاد و لا والدين ﴿أَوْ﴾ كان ﴿امْرَأَةً وَ لَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتُ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ﴾ سوية ﴿فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ﴾ إثنين و ما فوق ﴿فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ شرط أن يكون المورث ﴿غَيْرَ مُضَارٍّ﴾ فى وصيته، و قد شرع هذه ﴿وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾.

١٣ / ٤

١٣- ﴿تِلْكَ﴾ الأحكام المذكورة فى الموارث و سواها، هى ﴿حُدُودُ اللَّهِ﴾ فيها ﴿وَ مَنْ يَطِيعِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ﴾ فى حدود الشريعة ﴿يَدْخُلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أبدا "عطاءً غير مجدود" ﴿وَ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾

١٤ / ٤

١٤- ﴿وَ مَنْ يَعْصِ اللَّهَ﴾ فى كتابه ﴿وَ رَسُولَهُ﴾ فى سنته، و كلاهما حدود الله ﴿وَ يَتَعَدَّ حُدُودَهُ﴾ مطلقا ﴿يَدْخُلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا﴾ مكوئا قدر عصيانه، أبدا كمرحلة أخيرة و له نهاية هى نهاية النار، و إذا فلا نار و لا أهل نار، أو قبلها حيث يخرج إلى الجنة بعد ما ذاق و بال أمره ﴿وَ لَهُ﴾ على أية حال ﴿عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ كما أهان الله و حدوده، و أهان أهل الله.

و نرى النساء ظلمن فى عديد من الحقوق، اتباعا لشهرة الفتوى، الخالية عن دليل صالح، و كما فى ميراثهن، فالقرآن يثبت لهن كل ما ترك أزواجهن كما لهن كل "ما تركن" و لا استثناء إلا "وصية أو دين" ف"ما ترك" يصبح بذلك الاستثناء نسا فى غيرهما، فقد كان الثالث، و هو ما استثنوه عن ميراثهن - على ظلمه بحقهن - كان أحق بالاستثناء لو كان، و الأحاديث بشأنه مخالفة للقرآن، و مخالفة فى نفسها مع براهينها: أن لو ورثت من البيت، فقد تتزوج و تأتى معه إلى ذلك البيت تضييقا للأولاد؟ و تزوج الرجل الذى ماتت زوجته أقوى و اغتصابه أغوى! أم إنها لم تدخل فى نسب زوجها إذا تزوجت فلا تترث من أصل التركة؟ و هل إنه دخل فى نسبها حتى يرث من الأصل! ثم لكل من الزوجين حق الميراث فى الانقطاع كما فى الدوام، إلا أن المنقطعة لا تترث مع الدائمة إذ "و أولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض" فى كتاب الله و الأحاديث المتضاربة تعرض على القرآن، فتضرب المخالفة عرض الحائط مهما أفتى بها من أفتى، فإن فتوى الله أفتى، و القرآن مع كونه الدليل الأول عند المسلمين أجمع، كيف يعارض برواية هى فى نفسها غالطة خالطة، و معارضة بأخرى، و أقوى منهما غيا هى المعارضة لنص القرآن، و أما كون نصيب الأنثى

نصف الذكر، فلأن تكاليفها أقل بكثير منه في كل حقول الحياة المعيشية، فهي تأخذ على أية حال و هو يعطى، إلا قليلا يجبره الوصية بالثلث كما في غيرها من الورثة و سواهم.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٨٠

١٥ / ٤

١٥- ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ﴾ زنا و مساحقة ﴿مِنْ نِسَائِكُمْ﴾ إذا ثبت عندكم حكما شرعيين ﴿فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً﴾ رجال ﴿مِنْكُمْ﴾ مسلمين يوثق بهم بسائر شروط الشهادة ﴿فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ﴾ المحفوظة عن فاحشة ﴿حَتَّى يَتَوَقَّاهُنَّ الْمَوْتَ أَوْ يُجْعَلَ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ من توبة، أوحد غير ذلك كما في آية النور: الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ (٢: ٢٤).

١٦ / ٤

١٦- ﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَانِيهَا﴾ الفاحشة الجنسية ﴿مِنْكُمْ﴾ و هى هنا بمناسبة الرجولة لواط إلى الزنا كما هناك المساحقة مع الزنا ﴿فَادُوهُمَا﴾ دون إمساك فى البيوت، و إنما إيذاء يصد عن الفاحشة حسب ما يراه الحاكم صدا عن الزنا ﴿فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا﴾ ما أفسدا ﴿فَاعْرِضُوا عَنْهُمَا﴾ بعد إيذاءهما، أو قبله إن كانت التوبة قبله ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ﴾ ما كانت معصية ﴿تَوَّابًا رَحِيمًا﴾.

١٧ / ٤

١٧- ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ﴾ فرض ﴿عَلَى اللَّهِ﴾ بما فرض على نفسه إذ ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ (٦: ١٢) و قبول التوبة منها ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ﴾ أيا كان ﴿بِجَهَالَةٍ﴾ دون تعمد و عناد ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

١٨ / ٤

١٨- ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ﴾ مطلقا: على الله و لا لله ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ فلا يتوبون من قريب و لا من بعيد، و لا أنهم على جهالة ﴿قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ﴾ و لما يتب إلا قولاً، وإنما قال خوف العذاب "إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ لَمَا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ غَافِلَ الْخَزْيِ" (١٠: ٩٨) فالتوبة الخاوية عن الصدق خوفا من العذاب لا تقبل ﴿وَالَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ و بينهما الذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من بعيد، و من أشبهه، فقد يجوز أن يتوب الله عليهم كما فى قوم يونس مهما لم تكن على الله، بل هى لله، فهم عوان بين "على الله" و ما ليس "على الله".

١٩ / ٤

١٩- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا﴾ إرثا لإماء الآباء و أزواجهم أو و أموالهن كما فى الجاهلية، أو إرثا من أزواجهم غير المرغوبات لديهم حيث لا يسرحونهن لعدم تكليفهن أو تطليقهن، و مكر الرجوع إليهن حتى لا يتزوجن فيرثوهن عن كره، أو أن يرثوهن بعد تمام عدتهن بفصلهن عن زواج آخر، فكما لا يجوز أكل مال لهن دون إذنهن كذلك إرثهن دون زواج صالح ﴿وَلَا﴾ يحل لكم أن ﴿تَعْضُلُوهُنَّ﴾ عن زواج ثان ﴿لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾ بفدية و لا خلع أو مبارات ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ﴾ يسمح لكم أن تأخذوا بعض ما آتيتموهن ﴿وَالضَّابِطَةُ الثَّابِتَةُ﴾ عاشرهن بالمعروف من معاشرتهن ﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ﴾ فصبوا ﴿فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَ يُجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ اللهم إلا أن يأتين بفاحشة مبينة دون توبة، أو خوف ترك لحدود إلهية، يفرضان تطليقهن، فإرث أموال الزوجات كرها، حيث يكرهن دوام الزوجية إضافة إلى ترك إقامة حدود الله فيه، ذلك محرم على الأزواج، و كذلك العكس.

فلا حيلة شرعية! فى أن تظلموهن فى أنفسهن أو أموالهن، خلاف ما يزعمه زاعمون، فشرعة الله لا تقبل غيلة و لا حيلة، و سورة النساء- هذه- ثورة على من يهضم حقوقا لهن فى الحقول الجاهلية الأولى و المتحضرة، فهن مظلومات على طول الخط، بين إفراط و تفريط، و حكم القرآن لهن عوان بينهما، عدلا و فضلا.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٨١

٢٠ / ٤

٢٠- ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ آخَرَ ﴿مَكَانَ زَوْجٍ﴾ كَمْ ﴿وَالْحَالُ أَنْكُمْ ﴿آتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ﴾ الْمَرَادِ اسْتِبْدَالِهَا ﴿قِنْطَارًا﴾ حَمَلٌ بِعِيرٍ ذَهَبًا ﴿فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ﴾ لِهَذَا الْاسْتِبْدَالِ ﴿شَيْئًا﴾ "إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ أَوْ خِفْتُمْ أَلَّا يَفِيكُمَا حَدُّوَدَ اللَّهِ" و أما أن تكرهوهن لغيرهما فلا يحق لكم أن تأخذوا منهن شيئا، و هنا يعرف حل هذا المقدار من الصداق ﴿أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا﴾ بزنا و سواهما لحل أخذ مال ﴿وَإِثْمًا﴾ يبطل عن الخيرات ﴿مُبَيَّنًا﴾ نفسه بما تأخذونه إذ لا يجوز إلا بفاحشة مبينة أم خلع أو مبارات و ليس هنا إلا استبدال.

٢١ / ٤

٢١- ﴿وَكَيفَ تَأْخُذُونَهُ﴾ شيئا باطل ﴿وَالْحَالُ أَنَّهُ ﴿قَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ خُلُوهُ و مباشرة و معايشة ودية محللة ﴿وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ﴾ فى ذلك الإفضاء ﴿مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ على دوام النكاح، فتطليقهن دون سبب إثم، و أخذ شيء منهن، إثم على إثم.

٢٢ / ٤

٢٢- ﴿وَلَا تَنْكِحُوا﴾ مباشرة أو عقدا أو هما معا ﴿مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ﴾ نكاحهم المحرم لموصوفية "ما" و اللاتى كانوا ينكحونهن مطلقا لمصدريتها ﴿مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ على إسلامكم، فإن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف ﴿إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً﴾ معصية متجاوزة حدها ﴿وَمَقْتًا﴾ غضبا ﴿وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ فى حقل النكاح، و قد كانوا يرثون آباءهم- فيما يرثونهم- إماءهم و سائر نساءهم، كما و كانوا ينكحونهن و هن أزواجهن عند موتهم، أو مطلقات، و قد حرمت "ما نَكَحَ آبَاؤُكُمْ" لا فقط "نساء آبَاؤُكُمْ" مما يدل على أن الزانيات بهم حرام على أبناءهم، كأزواجهم، لطريق "ما نَكَحَ" و "مِنَ النِّسَاءِ" دون "الأزواج".

٢٣ / ٤

٢٣- ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ﴾ اتصالات أنثوية مطلقا و بقمته الاستيلاد و إن بزرق النطف ﴿أُمَّهَاتُكُمْ﴾ بفصل إلى ما دون فصل ﴿وَوَنَاتُكُمْ﴾ مطلقا ﴿وَوَنَاتُكُمْ﴾ من أبوين أو من أحدهما ﴿وَوَنَاتُكُمْ﴾ أخوات آبائكم أو جدودكم ﴿وَوَنَاتُكُمْ﴾ أخوات أمهاتكم و أمهاتهن ﴿وَوَنَاتُ الْآخِ﴾ صاعدة و نازلة ﴿وَوَنَاتُ الْآخِ﴾ كذلك، و هذه محرمات نسبية، فلا عشرة معهن جنسية حتى زرق النطفة، ثم رضاعيتين فقط هما: ﴿وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ﴾ وَ أَخَوَاتُكُمُ مِنَ الرِّضَاعَةِ دون سواهما، و لو كان القصد الاختصار لم يكن هنا محله، ثم الأخصر الأشمل "و هن من الرِّضَاعَةِ" ثم حرمت سببيات: ﴿وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ﴾ كالربائب فى شرط المدخول ﴿وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ﴾ لا و بناتهن مطلقا إذ لسن بربائبكُم ﴿مِنَ نِسَائِكُمْ﴾ دائمات أو منقطعات أو مملوكات ﴿اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾ لا حالا و لا حراما كحالات الحيض و النفاس و الصيام و الإتيان من أدبارهن ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ أن تنكحوهن و إن قبل طلاق أمهاتهن و لكنهن ينطلقن إذا دون طلاق منذ صدقت عليهن أمهات نِسَائِكُمْ ﴿وَوَنَاتُكُمْ﴾ دائمات و منقطعات و إماء ﴿الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾ دون حلائل الأدياء و الرضاعيين، ثم لا ابن رضاعيا حيث الرضاة إنما تحرم النكاح و لا مجال لحرمة بين ذكرين أو أنثيين مطلقا، كرضيع زوجته ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْاُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ و من الجمع بينهما الجمع بين زوجة مطلقة رجعية و أختها، و أما البائنة خلعا و مباراة فلا، فضلا عن

المنقطعة في عدتها لكامل البيئونة دون إمكانية رجوع كما فيهما ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا﴾ عما سلف لمكان الإيمان الحالي ﴿رَحِيمًا﴾ لا يأخذكم بما سلف، وبذلك الاختصار الاحتصار بين الله ما حرم من النساء نسبيًا أو سببيًا أو رضاعيًا، و الزيادة عليهن زيادة في شرعة الله، إلا ما حرمه الله وراءها، كالمشركة و الزانية.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٨٢

٢٤ / ٤

٢٤- ﴿و﴾ حرمت عليكم ﴿الْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ و هن ممنوعات الزواج بكم، و منهن ذوات الأزواج ﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ كالمشركات المسييات، و بأحرى المؤمنات المهاجرات عن أزواجهن الكافرين، و المشركات اللاتي آمن و أزواجهن كافرون و من أشبهه، فإنهن حل لكم بعد استبرائهن، ألزمو ﴿كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ أَحْلَلْ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ﴾ في زواجكم، فالزانيات خارجات عن حل الزواج بغير الزانين لعدم إحصان في زواجهن إلا أن يتبن، ثم وهن من الممنوعات الزواج بآية النور " وَ حُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ " فداخلات في هذه " الْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ " ﴿غَيْرَ مُسَافِحِينَ﴾ و منها الزواج بالزانيات غير التائبات ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ﴾ وهن " مَا وَرَاءَ ذَلِكَ " ككل إلا ما استثنى، و هى متعة النساء نكاحا مؤقتا، إذ لم تأت المتعة إلا هنا إضافة إلى ﴿فَاتَوْهُنَّ أَجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ مما يفرض الأجر الفريضة بديل الاستماع و لا يشترطان و لا سيما التمتع جنسيا فى الدائمات ﴿وَ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ﴾ تصاعدا أو تنازلا، و لكن الدائم لا يشترط فيه فريضة معينة قبل التراضى ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بنياتكم و حاجياتكم ﴿حَكِيمًا﴾ فيما يحكم لكم و عليكم.

٢٥ / ٤

٢٥- ﴿وَ مَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ﴾ دوما أو انقطاعا ﴿الْمُحْصَنَاتِ﴾ العفيفات، مما يدل على شرط عفافهن و أقله عدم ثبوت زناهن ﴿الْمُؤْمِنَاتِ﴾ دليل أوليتهن فى النكاح، و إلا فالكتابيات حل بدليل آية المائدة: " وَ الْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ " ﴿فَمَنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ زواجا، فإن الإماء غير مشروطات بالإيمان ﴿وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ﴾ فإن ﴿بَعْضُكُمْ﴾ الحرائر ﴿مِنْ بَعْضِ﴾ الإماء ﴿فَأَنْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ﴾ من يملكن، و آباءهن ﴿وَ أَتَوْهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾ صدقاتهن ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ من حقوقهن، دون كسر لكسر كيانهن أنهن إماء، لأنهن مؤمنات " وَ لَأَمَّةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَ لَوْ أَعْجَبَتْكُمْ " ﴿مُحْصَنَاتٍ﴾ فى الزواج بهن ﴿غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَ لَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَ﴾ بالزواج ﴿فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ و هن الحرائر غير ذوات الأزواج، و هو نصف المائة الجلدة، إذ لا نصف للرجم ﴿ذَلِكَ﴾ الزواج بالفتيات المؤمنات ﴿لَمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ﴾ التعب ﴿مِنْكُمْ وَ أَنْ تَصْبِرُوا﴾ إلى نكاح غير الإماء ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾ حيث الإماء مهما كن مؤمنات لسن بحريات للزواج إلا عنتا ﴿وَ اللَّهُ غَفُورٌ﴾ عنكم زواج الفتيات المؤمنات بعنت ﴿رَحِيمٌ﴾ بكم فيه.

٢٦ / ٤

٢٦- ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ أحكامه ﴿وَ يَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ من خطاياكم ﴿وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾. و هنا ندرس على ضوء مختلف " الْمُحْصَنَاتِ " ذوات الأزواج، و " مُحْصِنِينَ " حفظا عن التخلف الجنسي، و " الْمُحْصَنَاتُ " العفيفات، و هن من لم يثبت عليهن تخلف جنسى، ندرس أن الإحصان مراحل تجمع بينها الحفاظ عن الزنا، فذات البعل محصنة ببعلها، و العفيفة بعفتها، فلا يجوز نكاح غير العفيفة دوما أو انقطاعا أو ملكا، فمن يملك أمة زانية ليس له أن يواقعها مهما كانت مملوكة ثم آية التمتع فى دلالات فى نفسها، و إطباق المسلمين دون خلاف من عنايتها للنكاح المنقطع، تقطع حليتها، ثم لا ناسخ لها فى القرآن، و الرواية لا تنسخ الآية، فحديث " أنا أحرمتها " مختلق حفظا على اسلام الخليفة، أو أنها تخرجه عن إسلامه، تصريحاً من آيات ثلاث فى المائدة ان عدم الحكم بما أنزل الله كفر و ظلم و فسق، و لو كان - و عودا بالله - من رسول الله.

٢٧ / ٤

٢٧- ﴿وَاللَّهُ يَرِيدُ أَنْ يُتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ إِذْ تَتُوبُونَ إِلَيْهِ وَ تَتُوبُونَ ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا﴾ عَنْ اللَّهِ ﴿مِيلًا عَظِيمًا﴾ وَ مِنْ عَظَمِهِ عَدَمُ التَّوْبَةِ بَعْدَ عَصْيَانٍ، فَضْلًا عَنْ اسْتِمْرَارِيَّتِهِ.

٢٨ / ٤

٢٨- ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾ أَعْيَاءَكُمْ ﴿وَوَلَّخِ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا﴾ لَا يَتَحَمَّلُ أَعْيَاءَ إِلَّا قَدْرَ الْمُسْتَطَاعِ.

٢٩ / ٤

٢٩- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ دُونَ حَقِّ شَرْعِيٍّ فِيمَا لَكُمْ وَ لِمَنْ سِوَاكُمْ ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ﴾ " أَمْوَالُكُمْ بَيْنَكُمْ " ﴿تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾ اسْتِثْنَاءٌ مَنْقُطِعٌ، يَقْطَعُ أَى اسْتِثْنَاءٌ لِلْأَكْلِ بِالْبَاطِلِ، ثُمَّ وَ هِيَ تَعْمُ كَافَةَ الْمَعَامَلَاتِ الْمَالِيَةِ، وَ مِنْ أَهْمِهَا النِّكَاحُ قَضِيَّةُ الصَّدَقَاتِ، ثُمَّ سَائِرُ الْعَطِيَّاتِ وَ الْإِنْفَاقَاتِ الْمَأْمُورُ بِهَا غَيْرُ دَاخِلَاتٍ فِى الْبَاطِلِ مَهْمَا لَا تَكُونُ تِجَارَةً دُنْيَوِيَّةً ﴿وَ لَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ انْتِحَارًا أَوْ تَسْبِيحًا لِقَتْلِ أَوْ قَتْلِ الْآخَرِينَ فِى حَقْلِ أَكْلِ مَالٍ بِبَاطِلٍ أَوْ بِحَقِّ ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ يَحَافِظُ عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ وَ نَفَائِسَكُمْ.

٣٠ / ٤

٣٠- ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ الْأَكْلَ أَوْ الْقَتْلَ ﴿عُدُوًّا وَ ظُلْمًا﴾ دُونَ خَطَاٍ ﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ﴾ نَوَقْدَهُ ﴿نَارًا﴾ فَأُولَئِكَ هُمُ مِنْ وَقُودِ النَّارِ ﴿وَ كَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ﴾ يَسِيرًا مَهْمَا كَانَ كَثِيرًا.

٣١ / ٤

٣١- ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ وَ هِيَ غَيْرُ الْكَبَائِرِ، دُونَ اسْتِغْفَارِ شَرْطِ النَّدَمِ وَ إِلَّا لَمْ يَكُنْ إِيمَانًا ﴿وَ نَدْخِلْكُمْ﴾ إِضَافَةً إِلَى ذَلِكَ التَّكْفِيرِ ﴿مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ كَمَا " إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ " (١١: ١١٤) وَ مِنْهَا الْوَاجِبَاتُ الصَّغِيرَةُ الْمَتْرُوكَةُ، وَ الْإِصْرَارُ عَلَى فِعْلِ الصَّغَائِرِ، أَوْ تَرْكُ صَغَائِرِ الْحَسَنَاتِ، يَجْعَلُهَا مِنَ الْكَبَائِرِ، وَ هِيَ دُونَ إِصْرَارِ مَكْفَرَةٍ بَتَرَكِ الْكَبَائِرِ.

٣٢ / ٤

٣٢- ﴿وَ لَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ حَسَبَ الْحِكْمَةِ الرَّبَّانِيَّةِ، تَطَاوُلًا عَلَى اللَّهِ، ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا﴾ مَا قَلَّ مِنْهُ أَوْ أَكْثَرَ ﴿وَ لِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ﴾ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ أَكْثَرَ، فَلَا فَضْلَ لِلرَّجُلَةِ عَلَى الْأُنْثَى فِى حَقْلِ الْاِكْتِسَابِ ﴿وَ سَأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ بِمَا تَكْتَسِبُونَ وَ فَضْلًا دُونَ تَمَنِّيَاتٍ فَارِغَةٍ ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ وَ مِنْهُ أَنْصِبَةُ الرِّجَالِ وَ النِّسَاءِ أَحْيَاءَ وَ أَمْوَاتًا.

٣٣ / ٤

٣٣- ﴿وَ لِكُلٍّ﴾ مِنَ الرِّجَالِ وَ النِّسَاءِ ﴿جَعَلْنَا مَوَالِي﴾ لَهُمْ أَوْلِيَّاتٍ مِيرَاثِيَّةً ﴿مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَ الْأَقْرَبُونَ وَ الَّذِينَ عَقَدْتُمْ أَيْمَانَكُمْ﴾ بَعْدَ الزَّوْجِ، أَوْ الْمَوْصَى لَهُمْ، أَوْ عَقْدُ الْأَخُوَّةِ الْإِيمَانِيَّةِ، وَ بِالْمَهَاجِرَةِ، ثُمَّ عَقْدُ ضَمَانِ الْجَرِيرَةِ، وَ قَدْ نَسَخَتْ فِى الثَّلَاثَةِ الْآخِرَةِ بَأْيَاتِ الْمِيرَاثِ ﴿فَأَتَوْهُمْ نَصِيْبُهُمْ﴾ مَعَ مَا عَلَيْكُمْ لِلَّذِينَ حَضَرُوا الْقِسْمَةَ مِنْ أَوْلَى الْقَرَبَى وَ الْيَتَامَى وَ الْمَسَاكِينِ مَهْمَا اخْتَلَفَ نَصِيبٌ عَنْ نَصِيبِ ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ فَقَدْ كَانَتِ الْوَرَاثَةُ فِى الْبَدَايَةِ بِالْإِيمَانِ فَقَطْ، ثُمَّ بِالْمَهَاجِرَةِ الْإِيمَانِيَّةِ بَعْدَ الْهَجْرَةِ، وَ مِنْ ثُمَّ النِّسْبِ وَ السَّبَبِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ، أَوْ إِيمَانِ الْوَرَاثَةِ إِذْ يَرِثُونَ مِنْ ذَوَى النِّسْبِ وَ السَّبَبِ الْكَافِرِينَ دُونَ عَكْسٍ.

و موالى الميراث كأصل هم موالى النفقات الواجبة ما دتم أحياء، ثم تستمر هذه النفقات واجبة أو مستحبة لما بعد الممات، يارث ضابطى، أو وصية صالحة، حتى تنضم حالة الممات بحالة الحياة، فيصبح موته حياة فى واجب الإنفاق على الموالى الأقربين أولى الأرحام نسبا أو سببا.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٨٤

٣٤ / ٤

٣٤- ﴿الرَّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ﴾ قياما بدنيا و عقليا و معرفيا و ماليا، فهم الحافظون إياهن فرضا ﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ مباحضة فى الإنسانية، فالبعض الرجال قوامون بما فضلوا بأمور، و البعض النساء فضلن بأمور أخرى، تفضيلا فى الإمكانية، دون استحقاق ثواب عند الله إلا إذا عملوا واجباتهم التى فضلوا بإمكانياتها، فيبينهما متفاضلات و مشتركات خلقيا لا تمتّ بصلة فى مفاضلات الدرجات عند الله ﴿وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ للنساء، فلهن حق القيام عليهن أنفسا و نفائس ﴿فَالصَّالِحَاتُ﴾ منهن ﴿قَانِتَاتٌ﴾ مطيعات لله، و لكم بما أمر الله ﴿حَافِظَاتٌ﴾ لما يجب حفظه من أنوثتهن ﴿لِلْغَيْبِ﴾ ربانيا لأنه غيب، و من رجالهن ﴿بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾ تحجبا عليهن و حكما بالحفاظ فى الحقوق الأنثوية لصالح رجالهن ﴿وَالنِّسَاءُ﴾ اللاتى تخافون نشوزهن و هو النشوز المخيف على الحياة الزوجية مطلقا، دون أى نشوز، فضلا عن خوفه و لما يحصل ﴿فَعِظُوهُنَّ﴾ لترك نشوزهن، و إن لم تؤثر العظة: ﴿وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ﴾ فإنها محال الجاذبية الجنسية القريبة، فهجرهن فيها عظة عملية ﴿وَلَا يَضْرِبُوهُنَّ﴾ ضربا خفيفا هو الحد الأخير من صدهن عن النشوز المخيف، فهذه الثلاثة هى طرق النهى عن المنكر دعوة ثم صدا عمليا، سلبيا ثم إيجابيا ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾ بعد طاعتهم، إذ لم تكن الثلاثة إلا صدا لا انتقاما ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ عن انتقام و عن ضرر بنشوزهن المخيف ﴿كَبِيرًا﴾ دون صغير يتطلب انتقاما.

٣٥ / ٤

٣٥- ثم بعد هذه إن لم تؤثر، فلما يصل الدور إلى الطلاق، بل ينتقل من جو العائلة إلى الخارج منه ﴿وَأِنْ خِفْتُمْ﴾ أنتم المولون على الحقوق العائلية ﴿شِقَاقَ بَيْنِهِمَا﴾ حيث يصل النشوز المخيف إلى شقاق دون أى وفاق ﴿فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ﴾ الزوج ﴿وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا﴾: الزوجة ف ﴿إِنْ يَرِيدَا﴾ الحكمان و الزوجان ﴿إِصْلَاحًا﴾ خارجا عما بينهما فهنا إصلاح خارجى ﴿يُوفِّقَ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ إزالة لشقاق ثم نشوز مخيف سببه ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بأحوالكم ﴿خَبِيرًا﴾ بما يصلحكم من أعمالكم.

٣٦ / ٤

٣٦- ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ من غير الله فى شىء من ألوهيته الربوبية و المعبودية، فالزوج ليس من شركاء الله حتى يطاع فى معصية الله فلا يشترط إذنه إلا فيما فيه هضم لحق له قابل السماح، أو هضم لأنوثتها و عفافها، أو إيمانها و أخلاقها و لهن مثل الذى عليهن بالمعروف و للرجال عليهن درجة هى قواميتهم عليهن حفاظا لحقوقهم و ما يجب عليهن، كذلك بعد عبادة الله لا عبادة لسواه و إنما إحسان و طاعة ليس فيهما لله عصيان ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ لا فقط ترك إساءة ﴿وَكَذَلِكَ بَعْدَهُمَا﴾ بذى القربى و الأيتامى و المساكين مطلقا، و بأحرى ذى القربى ﴿وَالْجَارِ ذِى الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنْبِ﴾ مطلقا ﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ و هى سبيل الله ألا يكون محتاجا فى سبيل الباطل ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ من نساء و عبيد و إماء و عمال و من أشبه ممن هم تحت إمركم قرباء و غرباء، و بما تقدرون على الإحسان بأى كان ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَجِبُ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا﴾ بخيلا ذا ترفع ﴿فَخُورًا﴾ يفتخر بما عنده.

٣٧ / ٤

٣٧- ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ﴾ مختالين ﴿وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ فخورين، ثم ﴿و﴾ فى الحالين ﴿يَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ حتى لا يرغب فى إنفاقهم ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ﴾ كفرا و كفرانا ﴿عَذَاباً مُهِيناً﴾ كلاً قدر مهانته وإهانته بحكم الله.
البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٨٥

٣٨ / ٤

٣٨- ﴿وَالَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ﴾ من دون الله، أولهما فإشراكا بالله و هو فوق الرئاء ﴿وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا﴾ يواليه ﴿فَسَاءَ قَرِينًا﴾: "أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَضُّعُهُمْ أَزَّاءً" (١٩: ٨٣) "وَقَيْضُنَا لَهُمْ قُرْنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ" (٤١: ٢٥).

٣٩ / ٤

٣٩- ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ كأصليين أصيلين تقتضيها الأدلة كلها ﴿وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾ كفرع اقتصادى جماعى من فروع الدين تبيننا لأصل الإيمان بالله، و الرزق أيا كان هو رزق الله فكيف لا يدفع منها لله ﴿وَوَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيماً﴾ أن نياتهم عارمة أو صارمة فى سبيل الله.

٤٠ / ٤

٤٠- ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ بل هو عدل فضل ﴿وَأِنْ تَكُ ذَرَّةٌ﴾ حَسَنَةً يضاعفها ﴿أضعافاً من عنده زيادة عليها﴾ حيث ﴿وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهِ أَجْراً عَظِيماً﴾ و نفس التعبير بالأجر مضاعفة.

٤١ / ٤

٤١- ﴿فَكَيْفَ﴾ يفعلون ﴿إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ﴾ رسالى ﴿بَشَهِيدٍ﴾ رسولى هو رأس زاوية الدعوة ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ﴾ الشهداء و الأمم و على أمتك ﴿شَهِيداً﴾ فأنت شهيد الشهداء و المشهود عليهم، كما و أنت رسول الرسل: "ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ.." (٣: ٩٥).

٤٢ / ٤

٤٢- ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ عَصَوْا الرَّسُولَ﴾ رسولهم و أى رسول ﴿لَوْ﴾ تحسرا ﴿تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ﴾ انمحاء مع تسوية الأرض دون إحياء ﴿و﴾ لكنهم رغم أمنيتهم ﴿لَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثاً﴾ حيث تشهد عليهم الشهود دون إبقاء، و لا يستطيعون ترك الشهادة.

٤٣ / ٤

٤٣- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ﴾ قربا إلى نفسها و مكانها المسجد فليس فقط "لا تصلوا" ﴿و﴾ الحال ﴿أَنْتُمْ﴾ سُكَارَى ﴿بَخْمَرٍ وَ سَوَاهَا، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى غِلْظِ حَرَمَةِ السَّكْرِ لِحَدِّ يَحْرَمُ أَهْمُ الْوَاجِبَاتِ﴾ حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴿أَنَّهُ مِنْ أَقْوَالِ الصَّلَاةِ مَهْمَا لَا تَعْرِفُونَ مَعَانِيهَا، فَلَيْسَ السَّكْرُ حَدَثًا إِلَّا مَوْقَتًا يَزُولُ: حَتَّى تَعْلَمُوا﴾ ﴿وَلَا﴾ تقربوا الصلاة ﴿جُنُبًا﴾ بعيدين عنها بما يوجب الغسل إذ "جُنُبًا" هنا يعنى: بعيدين عن الصلاة، عرف من ذلك البعيد جنابة جنسية حسب القرآن، ثم جنابة الحيض و النفاس و مس الأموات و ما أشبه، حسب السنة ﴿إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾ المسجد مكانا للصلاة إذ لا سبيل للصلاة تعبر ﴿حَتَّى تَغْتَسِلُوا﴾ فلا يكفى التيمم - إذا - لدخول المساجد و إنما لأصل الصلاة عند الضروريات و ضرورة دخول المسجد ﴿وَأِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى﴾ يضرركم الماء ﴿أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ لا تجدون ماءكم ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً﴾ عند حدث أصغر أو أكبر وجدانا شرعيا رغم وجوده أحيانا عندكم ﴿فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً﴾ لا فقط طاهرا بل غير خبيث و هو كل طاهر نظيف من الأرض أيا كان ﴿فَامْسَحُوا﴾ أيديكم المضروبة على الصعيد الطيب ﴿بِوُجْهِكُمْ﴾ بعضها و هو الناصية ثم ﴿وَأَيْدِيَكُمْ﴾ بعضا

لمكان الجر و هي ظهورهما إلى الزندين بترتيب الوضوء ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا﴾ عنكم الطهارة المائية إن لم تجدوها ﴿عَفُورًا﴾ يستتر عنكم.

٤٤ / ٤

٤٤- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِنَ الْكِتَابِ﴾ الوحي توراة أو إنجيلا، و ليس الكل منهما فإنه القرآن العظيم ﴿يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ﴾ بالهدى، بل ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾ الحق، إرادة في صميم التصميم و بكافة المحاولات دعائية و عملية. البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٨٦

٤٥ / ٤

٤٥- ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ﴾ منكم و أنتم لا تعلمونهم ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا﴾ لكم عليهم ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾ لكم.

٤٦ / ٤

٤٦- ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾: اليهود بعضا، علما و عملا ﴿يَحْرَفُونَ الْكَلِمَ﴾ لفظيا أو معنويا ﴿عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ التي قرررها الله ﴿وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَ أَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَ﴾ بلفظة ﴿رَاعِنَا لِيَا﴾ ميلا عما يراد ﴿بِالْسِّنَةِ﴾ وَ طَعْنًا ﴿بِهِ﴾ فِي الدِّينِ ﴿فَ﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَ قُولُوا انظُرْنَا ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَ أَسْمَعُ﴾ كلامنا ﴿وَوَ انظُرْنَا﴾ رحمة ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ من ليهم الكافر ﴿وَأَقْوَمَ﴾ لكيانهم ﴿وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ منهم، و قليلا من الإيمان.

٤٧ / ٤

٤٧- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ بوحي الله إلى رسلكم ﴿آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا﴾ من الكتاب القرآن و هو أعلى من كل كتاب، حالكونه ﴿مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾ من وحي الكتاب في ربانية النزول، و من بشارات فيها لهذا الكتاب و نبيه ﴿مَنْ قَبْلُ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا﴾ منكم و أضرابكم ﴿فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا﴾ كما رددتم وجوهكم عن كتاب الله إلى أدبارها يادبارها ﴿أَوْ نُلْعَنَهُمْ﴾ لعنا آخر ﴿كَمَا لَعْنَا أَصْحَابَ السَّبْتِ﴾ أَنْ "كُونُوا قِرْدَةً خَاسِئِينَ" ﴿وَ كَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ لا مرد له، هذا أو ذاك.

٤٨ / ٤

٤٨- ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ﴾ بعد الموت ﴿أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ قبله حتى الموت ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾ من الذنوب ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ الله غفره و يشاؤه هو أن يغفره الله بشروط مسرودة في القرآن كضابطة لإمكانية الغفر حتى عن كبائر، ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾ على الله أنه اتخذ شريكا، أو ولده أو شاركه غيره مستقلا و ما أشبه حيث الشرك بالله- أيا كان شركه- يشرك به غيره و هو معترف بألوهيته الأصيلة، تسوية لخلق على خالقه: "تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ. إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ" أم و ترجيحاً له على خالقه و كما نرى المشركين الرسميين يعبدون شركاءهم من دون الله، إذا فقد يأتي المشرك أضل من الملحد، و لذلك نرى وفيما من التنديد في كتاب الله في الإشراك بالله، لا نجد في الإلحاد إلا قليلا، و لقلة الملحد.

٤٩ / ٤

٤٩- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ كاذبين أم و صادقين فيها و ناسبين إياها إلى أنفسهم ﴿بَلِ اللَّهُ يَزَكِي مَنْ يَشَاءُ﴾ في الأولى و الأخرى ﴿وَلَا يَظْلُمُونَ فِتْيَالًا﴾ في التزكية و سواها، "وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى" تزكى كلا قدر ما يسعى.

٥٠ / ٤

٥٠- ﴿انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ أنه يزكى المشركين يوم القيامة، أم هم مزكوها هنا أو في الأخرى ﴿وَكَفَى بِهِ﴾ الافتراء على الله الكذب ﴿إِثْمًا﴾ يبطئ عن كل خير ﴿مُبِينًا﴾.

٥١ / ٤

٥١- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا﴾ ما ﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾ الإلهى و هم ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ﴾ وثن غير عاقل ﴿وَالطَّاغُوتِ﴾ ذى عقل طاعة عمياء لعلماء عملاء محرفين كتاب الله ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مشركين ﴿هُؤُلَاءِ﴾ المشركون ﴿أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾ ترجيحاً للمشركين على الموحدين تعصبا على مذهبهم، و كما نسمع بعض المسلمين يفضلون الكتابيين على الشيعة الإمامية، و ما أشبه مما لشيعة على غيره و عودا بالله من تعصبات زور و غرور، تناسيا بين فرق المسلمين لواجب الاعتصام بحبل الله جميعا، و هو القرآن الهادى إلى كل خير، الحاوى كلما يوصل المهتدين إلى كل خير، تركا لفواصل عواضل هى مرفوضة فى شرعة الله.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٨٧

٥٢ / ٤

٥٢- ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ فى الدنيا و الآخرة ﴿وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ﴾ ﴿فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾ سواه، لا فى الدنيا و لا فى الآخرة.

٥٣ / ٤

٥٣- ألهم ملك الربوبية كلها ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ﴾ الربانى بعثا لرسول ﴿فَإِذَا لَا يَأْتُونَ النَّاسَ﴾ غير الإسرائيليين ﴿نَقِيرًا﴾ من نصيب الرسالة على قلته، و هو- إذا- ألا تتجاوز رسالة الله إلى غير الإسرائيليين.

٥٤ / ٤

٥٤- ﴿أَمْ﴾ لا هذا و لا ذاك بل ﴿يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾ غير الإسرائيليين ﴿عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ رسالة، و كأنه يختص بهم كإسرائيليين ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ﴾ الإبراهيميين سابقا قبل إسرائيل و لاحقا لهذا النبى ﴿الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ آتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ أم هم الإبراهيميون كلهم بمن فيهم الإسرائيليون فلما ذا تحسب الرسالة ميزة الإسرائيلية، لا تعدوهم إلى محمد الإسماعيلى الإبراهيمى.

٥٥ / ٤

٥٥- ﴿فَمِنْهُمْ﴾ كتابيين ﴿مَنْ آمَنَ بِهِ وَ مِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ﴾ كهؤلاء المتعصبين ﴿وَ كَفَىٰ بِهِمْ سَعِيرًا﴾ شديدة التأجج للصادين عن الحق كثيرا، متأججة ضد الحق المبين، تأججا بتأجج و لا يظلمون نقيرا.

٥٦ / ٤

٥٦- ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا﴾ مهما ادعوا إيمانهم ببعضها كآيات التوراتية و الإنجيلية بأنبيائها، أو بعض الآيات القرآنية الموافقة لما يرومون: "نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَ نَكْفُرُ بِبَعْضٍ" ﴿سَوْفَ نُصْلِيهِمْ﴾ نوقدهم، ف " أُولَٰئِكَ هُمُ وَقُودُ النَّارِ " ﴿نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ﴾ و هم هنا الأرواح حيث لبست جلود الأبدان، فالنضج يشمل كلها ظاهرا و باطنا ﴿بَدَلْنَاهُمْ﴾: أجسادهم الجلود المنضوجة ﴿جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ رجعا إلى حالتها الأولى، فهى هى و هى غيرها، تواردا للحالتين على بدن واحد ﴿لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ المستحق خلودا حسب كفرهم الخالد ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا﴾ غالبا على أمره لا يعجزه شىء ﴿حَكِيمًا﴾ فى عزته، عزيزا فى حكمته.

٥٧ / ٤

٥٧- ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ لإيمانهم ﴿سَنَدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ " عطاء غير مجذوذ " ﴿لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾ رجالا و نساء حيث " الَّذِينَ آمَنُوا " نعمها، فللذكور إناث و لهن ذكور " مُّطَهَّرَةٌ " من خباثات

الذكورة أو الأنوثة ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ " لا يروْنَ فِيهَا شَمْسًا وَ لَا زَمْهَرِيرًا " (٧٦: ١٣) فهناك شمس كما فيه زمهرير، و لكنهم لا يرونهما عذابا.

٥٨ / ٤

٥٨- ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ﴾ كلها مالا و منالا و بشارات و سواها ﴿إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾ و هم أصحابها الأهلون لها ﴿وَ إِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا﴾ لأقوالكم ﴿بَصِيرًا﴾ لأحوالكم و أعمالكم.

٥٩ / ٤

٥٩- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ﴾ فى محكم كتابه ﴿وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ فى سنته الجامعة غير المفارقة الموافقة لكتابه ﴿وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ المؤمرين من قبل الله كالرسول، و هم أئمة أهل البيت عليهم السلام ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ﴾ كولاية الأمر و ما أشبه ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ﴾ كتابا ﴿وَ﴾ إلى ﴿الرَّسُولِ﴾ سنة ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ الموحى فى كتابه و سنته ﴿وَ الْيَوْمَ الْآخِرِ﴾ و فيه حساب و جزاء ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ يقابله شر ﴿وَ أَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ مبدأ و نتيجة، يقابله الأسوء و السيئ حين لا يطاع الله فى كتابه و سنة نبيه.

فقد نرى هنا فى البداية فرض الطاعات الثلاث: "الله- الرسول- أولى الامر" ثم ثنتين "إلى الله و الرسول" فى: من هم أولوا الامر، و ما أشبه من الأحكام الأصلية أو الفرعية، و من ثم "الله- و اليوم الآخر- إن كنتم تؤمنون بالله و اليوم الآخر-" ذلك الإيمان الموحد "خير" من مختلفه "و أحسن تأويلاً" إرجاعا لحكم الرسول و أولى الأمر إلى الله وحده لا شريك له.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٨٨

٦٠ / ٤

٦٠- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ قرآنا ﴿وَ مَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ من سائر كتب الوحى و هم منافقون ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ﴾ حيث يطغى على الله و على عباد الله ﴿وَ قَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾: الطاغوت ﴿وَ يَرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ﴾ كما شاءوا و هياؤا له ﴿ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ عن الحق المرام ف" إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ" فالكفار الرسميون أقل منهم ضلالا.

٦١ / ٤

٦١- ﴿وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ قرآنا ﴿وَ إِلَى الرَّسُولِ﴾ سنة ﴿رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾: عدة، بكل قوة و عدة، منعنا للناس أن يراجعوا الرسول نفسه، حتى يظلوا على ضلالهم، أو هم يضلونهم عن السبيل، "ظلمات بعضها فوق بعض".

٦٢ / ٤

٦٢- ﴿فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ قالوا و حالا و أعمالا ﴿ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا﴾ إلى أهله ﴿وَ تَوْفِيقًا﴾ بين المتخلفين، و هما لا يحتاجان إلى حلف، و لا سيما أمام الرسول.

٦٣ / ٤

٦٣- ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ﴾ علما و علما ﴿مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من كفروهم يتظاهرون بالإيمان ﴿فَاعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ دون اعتماد عليهم فلا تقبل منهم ما يدعون ﴿وَ عَظِّمُهُمْ﴾ بليغ الموعظة ﴿وَ قُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ لا فقط فى أذانهم ﴿قَوْلًا بَلِيغًا﴾ يبلغ إلى قلوبهم، و هكذا يجب أن يكون القول الرسولى و الرسالى أن يبلغ القلوب مهما أمكن.

٦٤ / ٤

٦٤- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ تشريعيا في رسالاتهم، و تكوينيا في تحقيق الإيمان لمن يؤمن، فطاعة الرسول هي طاعة لرسالة الله "مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ" فليست لرسول طاعة خاصة من دون الله، لأنه- فقط- أمين الله في وحيه، دون أن يقول- أو يأذن أن يقول- من عند نفسه دون وحي من الله، ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ﴾ منافقين و سواهم ﴿إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بنفاق و سواه ﴿جَاؤُكَ﴾ حيا أن يحضروك، و ميتا أن يزوروك، إذ تشهد مقامهم و تسمع كلامهم مهما بعد زمان و مكان ﴿فَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾ لذنوبهم ثم ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوْجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ و ذلك ترتيب ثنائي أن تستغفر الله بمحضر رسول الله حتى يغفر لك الله بيمين ذلك المحضر، ثم إكمالاً لتوبة من الله بعد توبتك، ترجوا أن يستغفر لك الرسول صلى الله عليه و آله و هنا تكملة التوبة و ذلك خلاف المتعود من الاستغفارات أن يطلب من الرسول أو ذويه، ثم من الله، أو لا يطلب إلا من رسول الله!.

٦٥ / ٤

٦٥- ﴿فَلَا﴾ رجاء فيهم ﴿وَلَوْ﴾ قسما بـ ﴿رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يَحْكُمُوا بِمَا شَآءَ رَبُّهُمْ﴾ حتى تحكم بينهم بالحق كخطوة أولى لصادق الإيمان ﴿ثُمَّ﴾ ثانية حتى ﴿لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا﴾ تضيقا شديدا لا يبقى إرادة صالحة ﴿مِمَّا قُضِيَتْ﴾ حقا ﴿وَلَوْ﴾ حتى ﴿يَسْلَمُوا﴾ لله و للرسول ﴿تَسْلِيمًا﴾ صالحا، لا عوج له، و لا حول عنه، بل خالصا لا ريب فيه، و لا عيب يعتريه. ذلك، و ليست أفضية الرسول (ص) إلا من قضاء الله، ف" ما ينطقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنَّهُ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ" حيث تحصر تنطقه الرسولي بوحي الله، كما و "إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَ لَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا" إذ تختص حاكميته بما أراه الله، في كتابه أو سنته الجامعة، غير المفرقة، إذا فحاكميته السياسية هي كحاكميته الأحكامية، هما مما أراه الله، دون استثناء. فلا يحق لأي رسول أن يحكم إلا بوحي الله، و هو أعقل العالمين، فضلا عن غيره من علماء الدين.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٨٩

٦٦ / ٤

٦٦- ﴿وَلَوْ﴾ مستحيلا في الحكمة ﴿أَنَا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ كما كتبنا على اليهود إذ عبدوا العجل ﴿أَوْ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ﴾ كخروجهم إلى التيه ﴿مَا فَعَلُوهُ﴾ ما كتبناه ﴿إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ﴾ و هم مؤمنوهم ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ من تركه فإنه شر و أشد تضييعة على إيمانهم.

٦٧ / ٤

٦٧- ﴿وَإِذَا لَأَتَيْنَاهُمُ مِنْ لَدُنَّا﴾ خاصا متميزا ﴿أَجْرًا﴾ لا عاديا كما لسائر المأجورين، بل ﴿عَظِيمًا﴾ ما أعظمه، حيث هو عظيم عند الله.

٦٨ / ٤

٦٨- ﴿وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا﴾ من صراط الطعام إذا ابتلعه فلا ينحرف. و من عوج الصراط أن يحول الإنسان حول نفسه مهما كان مؤمنا بالله، بل عليه أن يمشى في حياته سويا إلى الله و لو على نفسه، و هو الصراط المستقيم الذي لا عوج له، ثم ﴿مُسْتَقِيمًا﴾ تأكيداً لإستقامته، قواما على قوام.

٦٩ / ٤

٦٩- ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ﴾ في قرآنه أصالة ﴿وَالرَّسُولَ﴾ في سنته رسالة ﴿فَأُولَٰئِكَ﴾ الأكارم ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ فهو "صِرَاطُ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ" على درجاتهم ﴿مِنَ النَّبِيِّينَ﴾ و هم نبلاء الرسل من النبوة الرسولية ﴿وَالصَّادِقِينَ﴾ و هم خلفائهم

الأولين ﴿وَالشُّهَدَاءُ﴾ لله و في الله ﴿وَالصَّالِحِينَ﴾ و هم سائر الصالحين من عباد الله، و معية كل تناسب محتد الطاعة لله و الرسول، و لأن رسولنا هو خير المنعم عليهم، فهو الأصل و غيره معه. ﴿وَحَسَنَ أَوْلَئِكَ رَفِيقًا﴾ ٧٠ / ٤

٧٠- ﴿ذَلِكَ الْفَضْلُ﴾ طاعة و معية، نبوة و صديقية و شهادة و صلاحا هو ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ لا سواه ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ عَليماً﴾ كل قابلية و فاعلية و رحمة ربانية، و "الفضل" مستغرقة، دون "فضل" تدل على قمة الفضيلة من الله على أهلها. ٧١ / ٤

٧١- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ ما يحذركم عن غيركم طول خط الحياة، و لا سيما في الحرب ﴿فَانْفِرُوا﴾ هاجموا ﴿ثَبَاتٍ﴾ جمع ثبة: مجموعة، أى جماعات تترى ﴿أَوْ انْفِرُوا جَمِيعًا﴾ جمعا واحدا، حسب التليكات الصالحة الحربية، الواردة من قيادة القوات المسلحة، رسولية و رسالية، دون استقلال و لا استغلال، حيث الحرب هى لصالح المجموعة المسلمة. ٧٢ / ٤

٧٢- ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيَبْطِئَنَّ﴾ إبطاء كثيرا متواترا، عن النفارين جميعا ﴿فَإِنْ أَصَابَكُمْ مُصِيبَةٌ﴾ بذلك التبطؤ و ما أشبهه ﴿قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا﴾ حضورا للحرب، مجروحا فيها أو مستشهدا، فإنه هباء و خواء! و الله منهم براء. ٧٣ / ٤

٧٣- ﴿وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ﴾ غلبة و غنيمة ﴿لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُ مَوَدَّةٌ﴾ تجذبكم إلى القتال، فهم- إذا- معكم سواء ﴿يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ﴾ فى هذه الحرب الفائزة ﴿فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ فقد استهدفوا معية فائزة مالية دون الإيمانية التى هى الفوز نفسه مهما غلبوا أو غلبوا، و الحق فى "يا لَيْتَنِي" هو الحظوة الروحانية، مهما قتل المترجى أو جرح: "وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ". ٧٤ / ٤

٧٤- ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ تحقيقا حقيقا ﴿الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ بزخارفها ﴿بِالْآخِرَةِ وَ مَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ﴾ قاتلا، او لا قاتل و لا مقتول بل غالب ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾، و المقتول فى سبيل الله غالب حقا على أية حال: "ف" مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رَجُلٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَ مَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا" (٢٣: ٣٣) فقضاء النحب هو تحقيق صادق الإيمان عند مختبره جهادا و سواه، مهما لم يقتل، ثم انتظار لوصوله إلى جوه فيحققه. ٩٠

٧٥- ﴿وَ مَا لَكُمْ﴾ من عذر أو غدر، و ما هو السبب العاذر إذ ﴿لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ صدا عن هجمات عليها، و فتحا لها إلى المكلفين بها ﴿وَ﴾ منها سبيل ﴿الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾ اللاجئيين إلى من يقاتل عنهم مساعدة سعيدة حيث ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ مكة المستحوذ عليها قوات الإشرار ﴿الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَ اجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًا وَ اجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ ربانيا يخرجنا منها، و هكذا الأمر فى نصره لمستضعفين مسلمين و سواهم قتالا دفاعيا، على طول خط التكليف. ٧٦ / ٤

٧٦- ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالله أنفسهم و سائر المستضعفين، هم ﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ سلبا و إيجابا انتقasha لكلمة "لا إله إلا الله" انتقاضا لكلمة الكفر ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾ الطاغى على الله و على عباده ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ

الشَّيْطَانِ ﴿ طَاغُوتًا وَمُقَاتِلِينَ فِي سَبِيلِهِ ﴾ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿ إذ لا حجة له إلا لجة غامرة، و لكم الحجة البالغة العامة.

٧٧ / ٤

٧٧- ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ ﴾ وحيًا رساليًا ﴿ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ ﴾ عن القتال حين لا يصلح إذ لا قوة لكم بها لفترة ﴿ وَاقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ فهما- إذا- جهادكم ﴿ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ ﴾ النسناس ﴿ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ﴾ إذ يتقون الناس تقواهم الله أو أشد تقوى و ﴿ قَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ ﴾ حال أنهم أرادوا القتال في غير حينه من ذى قبل، فهنا ﴿ لَوْ لَا أَخَّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ ﴾ تمتعا بمتاع الدنيا ﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ ﴾ مهما كان كثيرا ﴿ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى ﴾ الله في ذلك المتاع القليل ﴿ وَ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ حملا لأوامر الله هنا، و ثوبا عند الله هو في الأخرى ﴿ فَتِيلًا ﴾ قليلا.

٧٨ / ٤

٧٨- ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا ﴾ في جبهات القتال و سواها ﴿ يَدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ ﴾ المقرر لكم ﴿ وَ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ ﴾ تشيدكم عن الموت ﴿ وَ ﴾ لكن ﴿ إِنْ تُصِيبْهُمْ ﴾ حالة ﴿ حَسَنَةٌ ﴾ في حياتهم المرغوبة ﴿ يَقُولُوا هَذِهِ ﴾ الحسنة هي ﴿ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَ ﴾ لكن ﴿ إِنْ تُصِيبْهُمْ ﴾ حالة ﴿ سَيِّئَةٌ ﴾ تسيئهم ﴿ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ ﴾ تطيرا إذ دعوتنا إلى القتال ﴿ قُلْ كُلُّ ﴾ منهما ﴿ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴾ حسنة أو سيئة مهما كانت السيئة بسببنا كما و ما كان لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا ﴿ فَمَا لَهُؤُلَاءِ الْقَوْمِ ﴾ الحماقى ﴿ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾ ربانيا، و هذا " من عند " صدورا بإذنه و أما " من " فسببا له:

٧٩ / ٤

٧٩- ﴿ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ كما هي من عند الله، فمن نفسك ضئيل أمام " مِنْ عِنْدِ اللَّهِ " ﴿ وَ مَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ ﴾ سببا مهما كان من عند الله إذا بذلك السبب استحقاقا، فمن الله سيئة لا يحسب بشيء أمام سببك حيث الخير كله بيديه و الشر ليس إليه " بِيَدِكَ الْخَيْرُ " و إنما يأذن لشر بعد كل أسبابه المختارة لفاعله ﴿ وَ أَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ﴾ لا ربا من عنده سيئة أو حسنة و لا رسولا و ربا له تدخل في الإذن الربوبى ﴿ وَ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ على كل شيء فلا كفاية فيها إلا الله. إذا فـ " كل " من الحسنه و السيئة " مِنْ عِنْدِ اللَّهِ " إذ لا مؤثر في الوجود إلا الله، قضية توحيد التأثير الأصيل، مهما كانت السيئة " فَمِنْ نَفْسِكَ " أنت أو أنفوس الآخرين ظلما و سواه، و لا يظلم ربك أحداً و إنما يحتاج إلى الظلم الضعيف، و من كمال العدل إصابة السيئة ممن هو السبب لها على أية حال.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٩١

٨٠ / ٤

٨٠- ثم لا مفاصلة بين طاعة الله و رسوله فـ ﴿ مَنْ يَطِيعِ الرَّسُولَ ﴾ رسالة ﴿ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ أصالة بتلك الطاعة الرسالية ﴿ وَ مَنْ تَوَلَّى ﴾ عن طاعته ﴿ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا ﴾ تحملهم عليها.

٨١ / ٤

٨١- ﴿ وَ يَقُولُونَ ﴾ منافقون، نطيعك بل نحن ككل لك ﴿ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا ﴾ عن تخفيهم ﴿ مِنْ عِنْدِكَ ﴾ في غيابك ﴿ بَيْتَ ﴾ دبر ليلا باثنا ثابتا خفيا ﴿ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ ﴾ لا كلهم حيث البقية الباقية باغية على حوامشهم " بيت " ﴿ غَيْرِ الَّذِي تَقُولُ ﴾ مغايرين قولك إلى ضده و هو عصيانك لأنه فقط ترك الطاعة ﴿ وَ اللَّهُ يَكْتُبُ ﴾ تسجيلا سجلا ﴿ مَا يَبْتَغُونَ ﴾ في مسجلات دخلاية و برانية ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾ أن تقبل قولهم المناقفة ﴿ وَ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾ لا سواه ﴿ وَ كَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾.

٨٢ / ٤

٨٢- ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ حيث يدل على ربانية آياته بنفسه بدبر كل كلمة و كل آية بمثلها، على ضوء الفطرة و العقلية السليمة، تفكيراً صالحاً يبين ربانية آياته البينات ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ أو يسيراً، فأصل الإختلاف منفي عنه فضلاً عن كثيره، ثم كثيره لازم جهل غير الله، أن ما هو من عند غير الله فيه إختلاف كثير، أبغضه مع بعض البعض، و هي مع الفطرة و العقلية و الواقعية، و ذلك إختلاف كثير.

٨٣ / ٤

٨٣- ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ﴾ عن العدو ﴿أَوْ الْخَوْفِ﴾ منه ﴿أَذَاعُوا بِهِ﴾ و هما من الرموز التكتيكية الحربية الخفية ﴿وَلَوْ رَدُّهُ﴾ أمراً منهم ﴿إِلَى الرَّسُولِ وَ إِلَى أُولَى الْأَمْرِ﴾ الكائنين ﴿مِنْهُمْ﴾ حيث أمرهم الرسول صلى الله عليه و آله للقيادات الحربية ﴿لَعَلِمَهُ﴾: الأمر، هل يذاع أو يخفى ﴿الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ فان أمور الحرب مما تستنبط، و هكذا كافة الأمور غير الظاهرة حيث تحتاج إلى استنباط يناسبها ﴿وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ﴾ بتلك الإذاعة الإضاعة ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ منكم حيث تتبعونه إذ لا تستحقون فضل الله و رحمته و "قليلًا" من إتباعه.

٨٤ / ٤

٨٤- ﴿فَقَاتِلْ﴾ أنت ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ إذ ﴿لَا تُكَلَّفُ﴾ عملياً بعد العلم و العقيدة ﴿إِلَّا نَفْسَكَ﴾ دون تحميل لمقاتلة من لا يتحملها لنفاق دون وفاق، ثم ﴿وَ حَرَّضَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بالله، المؤمنين دعوة مبينة دون تحمل ﴿عَسَى اللَّهُ﴾ إذ عسى ان يتحرضوا ﴿أَنْ يَكْفُ﴾ عنكم ﴿بِأَسْ أَلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في قتال صالح في سبيل الله و نصر صالح من الله ﴿وَ اللَّهُ أَشَدُّ بِأَسًا﴾ منهم على العصاة ﴿وَ أَشَدُّ تَنْكِيلًا﴾ تعذيباً منهم.

٨٥ / ٤

٨٥- ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً﴾ أن يشفع من نفسه غير البالغ في فاعليته، سواء في أصل الفعل أو مقدماته، منه أو من سواه ﴿يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا﴾ قدر شفاعته ﴿وَ مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا﴾ قسم منها أصيل ﴿وَ كَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتِيًا﴾ من الإقانة، و هي تقرير وقت للأفعال أصلاً و مقدمة و نتيجة هنا و في الأخرى، فلا يحرم شفيع حسنة و لا يتخلص شفيع سيئة، فمقدمات الواجب واجبة و مقدمات المحرم محرمة لأنهما من شفاعته حسنة أو سيئة، كما و فعل مقدمة للحرام، أو ترك مقدمة للواجب إثم و هو محرم.

٨٦ / ٤

٨٦- ﴿وَ إِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَةٍ﴾ إهداء أدبياً لحيوية لكم، لفظياً أو عملياً، بسلام و سواه ﴿فَحَيَّوْا بِأَحْسَنَ مِنْهَا﴾ تحية ﴿أَوْ رُدُّوْهَا﴾ كما حييتهم، و هذا هو الواجب و يكتفى به في الصلاة ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ من تحية و سواها، ردها أو أحسن منها ﴿حَسِيبًا﴾ لا يعزب عنه شيء، فرد التحية مثلها واجب، لفظياً كلفظها و عملياً و كتبياً و ما أشبه كذلك، فلا تخص سلاماً و سواه من تحية لفظية، بل و عملية مطلقاً.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٩٢

٨٧ / ٤

٨٧- ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ محتوماً مختوماً من الموت و البرزخ ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ حيث ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ مهما تشكك فيه شكاً كون، حيث الريب هو شك مريب، دون الذي لا يريب، فإنه - إذا - شك مقصر ﴿وَ مَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ حيث لا حول عنه إلى كذب أو مماراة أو حيلة، كما و أن حديث الله مقرون بكافة البراهين القاطعة.

٨٨ / ٤

٨٨- ﴿فَمَا لَكُمْ﴾ صبر عن قضاء صارم ﴿فِي الْمُنَافِقِينَ﴾ حالكونهم ﴿فَتَتَيْنَ﴾ أو ما لكم نفع فيهم ﴿وَالْحَالُ أَنَّ﴾ الله أَرْكَسَهُمْ ﴿نَكَسَا إِلَى أَدْبَارِهِمُ الْكَافِرَةَ﴾ حيث فضحهم فلم يستفيدوا من ظاهر إيمانهم ﴿بِمَا كَسَبُوا﴾ من كفر جاهر ﴿أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا﴾ إيصالا إلى الهدى ﴿مَنْ أَضَلَّ﴾ هـ ﴿اللَّهُ﴾ عنها بما كسب ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ ﴿وَمَنْ يَضِلَّ﴾ هـ الله ﴿فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ إلى الله، و إلى أية مصلحة في الحياة.

٨٩ / ٤

٨٩- ﴿وَدُّوا لَوْ﴾ تمنيا فارغا ﴿تَكْفُرُونَ﴾ و لن ﴿كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ في الكفر ﴿فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ مخافة أن يضلوكم فلا تتخذوا دخلاء بينكم ما هم منافقون ﴿حَتَّى يَهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ برهانا عمليا على إيمان مدعى ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عن تلك المهاجرة ﴿فَخَذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ إذ ليسوا إذا إلا منافقين مشاغبين ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا﴾ تحبونهم فضلا عن أن يتولوا من أموركم أو يكونوا دخلا بينكم ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ ينصرونكم، مهما تظاهروا بهما.

٩٠ / ٤

٩٠- "فَخَذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ" ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ﴾ وصلة أو توصلا ﴿إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ و هم كفار بينكم و بينهم ميثاق الحياض ﴿أَوْ جَاءُوكُمْ﴾ على نفاقهم حال أنهم ﴿حَصَرْتُمْ صُدُورَهُمْ أَنْ يَقَاتِلُوكُمْ أَوْ يَقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ﴾ بينكم، فلا تقتلوه هنا و هناك حيث استسلموا ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ﴾ بلية ﴿فَلَقَاتِلُوكُمْ﴾ إذا ﴿فَإِنْ اعْتَزَلُوكُمْ﴾ دون قتال حار أو بارد فلم يقتلواكم ﴿وَأَلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ﴾ على أية حال ﴿فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ قتلا أو تشريدا و ما أشبه.

٩١ / ٤

٩١- ﴿سَتَجِدُونَ آخَرِينَ﴾ منهم ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُامِنُوكُمْ وَيَأْمِنُوا قَوْمَهُمْ﴾ و لكن ﴿كُلٌّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ﴾ ضدكم تضليلا و تدجيلا ﴿أُرْكَسُوا فِيهَا﴾ انقلبا إلى أعقابهم المناقفة خلافا لإرادة الأمن لكم و لقومهم ﴿فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ﴾ لحالكم دون حرب باردة ﴿وَلَمْ يَلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ﴾ لم ﴿يَكْفُوا أَيْدِيَهُمْ﴾ عنكم، في حرب حارة أو باردة ﴿فَخَذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ﴾: ملاقة حاذقة ﴿وَأُولَئِكَ﴾ المحاربون ﴿جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ في شرعتنا ﴿سُلْطَانًا﴾ تتسلطون عليهم ﴿مُيْنًا﴾ حقكم و سلطتكم.

هنا نعرف أن ملاحقة العدو لقتله ليس إلا مرحلة أخيرة من مجابته، حين لا يوجد لبقائهم إلا خطر حادق على المؤمنين قتلا أو إضلالا، فليس من المؤمنين في معارك الشرف و الكرامة إلا دفاع عن نواميسهم من نفس و عقيدة و ما أشبه. لذلك "وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا" (٨: ٦١) مع أخذ الحذر عنهم، فإن رجعوا إلى حربهم دمويا أو دعائيا فارجعوا، فلا سمة للقتال - إسلاميا - إلا الدفاع عن العقيدة و النفس، دون تفتح للبلاد و العباد، اللهم إلا تفتحا لقلوب مقلوبة، إلى الهدى.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٩٣

٩٢ / ٤

٩٢- ﴿وَمَا كَانَ﴾ أبدا و لا يكون ﴿لِلْمُؤْمِنِ﴾ سماح ﴿أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا﴾ اللهم ﴿إِلَّا خَطَأً﴾ خالصا، فلا بد أن يتجنب مواضع الخطأ حتى لا يقع في فحه ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً﴾ عليه نفسه ﴿تَحْرِيرَ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ ذكرا أو أنثى، و عند عدم وجودها أو إمكانية الحصول عليها، فتحرير مؤمن مقيد بدينه أداء له قدر الإمكان، حيث الرقبة لا تختص بالعبيد و الإماء الرسميين، أو أن التحرير الثاني مرحلة ثانية للتحرير الأول، بل الثاني هو الأول لدوامته طول التاريخ الإسلامي، دون الأول حيث قضى عليه منذ زمن بعيد، و لا قضاء على حكم إسلامي بزوال موضوع له غير ثابت، ثم ﴿وَدِيَّةٌ مُسَلَّمَةٌ﴾ حيث تسلم و لا تتسلم ﴿إِلَى أَهْلِهِ﴾: القتل الوارثين إياه ﴿إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا﴾ الدية حيث تخصصهم، دون تحرير رقبة غير المرتبطة بهم فانه راجع إلى المدعى العام

الإسلامي، لأن في ذلك التحرير نفعا جماعيا إسلاميا، أن يحرر الإنسان مؤمنا عن قيده بدل الخطأ في قتل مؤمن ﴿فَإِنْ كَانَ﴾ القتل ﴿مِنْ قَوْمٍ عَدُوِّكُمْ﴾ والحال ﴿هُوَ مُؤْمِنٌ فَ﴾ عليه ﴿تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ دون دية مسلمة الى أهله ﴿وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ على عداوتهم ﴿فَ﴾ على القاتل ﴿دِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ فالدية على أية حال على القاتل دون العاقلة، و كون الدية على العاقلة دية غير عاقلة ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾ أيا من الدية و التحرير ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾ عما لم يجد مطلقا ﴿تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ﴾ على القاتل ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ بأحوالكم ﴿حَكِيمًا﴾ بكم، فمن لم يجد التحرير و الدية يصوم، و كذلك من لم يجد أحدهما، و هل إن الصيام على العاقلة، كالدية فيما يزعم، أو أن "توبة من الله" كذلك على العاقلة و الخاطئ هو القاتل دون العاقلة! ف"الدية على العاقلة" كما يطلقونها، هي دية غير عاقلة، اللهم إلا على من عليه الحفاظ على الجاني فتركه فجنى، كالمجنون و الطفل، إذ لم يجر عليهما قلم التكليف، و دم المسلم لا يهدر، و إنما القتل هنا لإهمال العاقلة.

٩٣ / ٤

٩٣- ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا﴾ أن يقتله لإيمانه دون سائر العمد فلا دية عليه و لا تحرير إذ لا يطهرانه، بل يقتل هنا لإرتداده، بل و إن لم يرتد حيث قتل لإيمانه، ثم في الآخرة ﴿فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾ دون خروج عنها ﴿وَوَضِعَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ كسائر المغضوب عليهم ﴿وَلَعَنَهُ وَآمَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ فذلك مربع من عذابه، و أما القاتل عمدا لا لإيمان المقتول، فعليه قصاص الدم، إذ "النفس بالنفس" إلا أن يصدقوا، أو يرضوا بدية مالية، تماما أو بعضا، و لا فرق في هذه الدية بين العمد و الخطأ.

٩٤ / ٤

٩٤- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قتالا، فحتى لا تخطأوا في قتل ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ عن كفر من يخيل إليكم كفره ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ﴾ كافيا في إيمانه كبدية ﴿لَسْتُ مُؤْمِنًا﴾ كما اتفق أن قتل من ألقى سلاما، حال أنكم ﴿تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أخذًا لغنيمة ﴿فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ﴾ حيث ألقيت سلاما فتقبل منكم مؤمنين ﴿فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ بذلك التقبل ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ إذا ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ تبينا و سواه، ابتغاء عرض و سواه. و إلقاء السلام يعم الإسلام و التسليم: "وإن جنحوا للسلم فاجنح لها" (٨: ٦١) "فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم و ألقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا" (٤: ٩٠).

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٩٤

٩٥ / ٤

٩٥- ﴿لَا يَسْتَوِي﴾ عند الله ﴿الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ عن الجهاد ﴿غَيْرُ أُولَى الضَّرَرِ﴾ سلبا لتركهم جهادا، أو إيجابا إضرارا بالمجاهدين و كذلك غير أولى الأعذار، فمثلث الضرر منفي عن هؤلاء القاعدين غير أولى الضرر ﴿وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ حسب المستطاع، إذ ﴿فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ﴾ من هؤلاء المؤمنين ﴿دَرَجَةً﴾ فالمجاهد بهما مفضل على المجاهد بأحدهما، و هو مفضل على القاعد عنهما، و هما في غير ضرر على حقل الجهاد ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحَيَاةَ﴾ الحسنى ﴿فِي الْآخِرَةِ وَالْأُولَى﴾ ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ﴾ مطلقا ﴿عَلَى الْقَاعِدِينَ﴾ مطلقا ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ تفضيلا على ميزان العدل و الفضل.

٩٦ / ٤

٩٦- ﴿دَرَجَاتٍ مِنْهُ﴾ لهم حسب درجاتهم ﴿وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً﴾ بنفس الحساب ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ لهؤلاء القاعدين دون أولى الضرر منهم ﴿رَحِيمًا﴾ بهم أن تركوا الأفضل، ما هم لم يقتروا ضررا في دور الجهاد.

٩٧- ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمْ﴾ أخذوا عن الحياة الدنيا وافيًا ﴿الْمَلَائِكَةُ﴾ و هم ملائكة الإمامة، حال كونهم هؤلاء المتوفون ﴿ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ حيث يتركون الجهاد في سبيل الله و هم أولوا ضرر و من أشبه من الظالمين المستحقين العذاب ﴿قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ التي كنا فيها، استضعفنا العدو تضعيفا أو إمحاء لإيماننا ﴿قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾ فرارا عن استضعاف ﴿فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَ سَاءَتْ مَصِيرًا﴾ فإنهم مقصرون في قصورهم، و هنا التناول بعد التوفى دليل حياة بعده، و هي الحياة البرزخية كما في عشرات الآيات.

٩٨- ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ أمام المستكبرين ﴿مِنَ الرِّجَالِ وَ النِّسَاءِ وَ الْوِلْدَانِ﴾ حيث ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ بدء و ختما ﴿حِيلَةً﴾ للفرار عن بأس الاستكبار ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ للحفاظ على صالح الإيمان، مهما كان لهم تقصير في استضعافهم ضعيف.

٩٩- ﴿فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ﴾ رجاء إذ إن لهم مراحل مختلفة، فقد يستضعفون اضطرابا باختيارهم كونهم مع المستكبرين ﴿أَنْ يَغْفُو عَنْهُمْ وَ كَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ في موضع العفو ﴿غَفُورًا﴾ في موضع الغفر، و قد لا يغفون إذا كان استضعافهم عن كامل التقصير أو لهم حيلة الفرار.

١٠٠- ﴿وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ كضابطة عامة، سلبا عن حرج الاستضعاف، و إيجابا للدعوة إلى الله ﴿يَجِدْ فِي الْأَرْضِ﴾ التي يهاجر إليه ﴿مُرَاعِمًا﴾ ترغم أمامه الصعاب متذلة عنده ﴿كَثِيرًا وَ سَعَةً﴾ في حياته لخروجه عن استضعاف، و دعوة إلى الله و عيشة صالحة ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ﴾ الذي يبيت فيه راحة بدنية إلى غيرها ﴿مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ﴾ أصالة ﴿و﴾ إلى ﴿رَسُولِهِ﴾ رسالة، و هي هجرة ثانية إلى الله ﴿ثُمَّ يَدْرِكُهُ الْمَوْتُ﴾ في هذه السبيل قتلا و سواه ﴿فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ مهما لم تتحقق آمال له بهجرته، و هكذا الخارج لحج بيت الله حيث يوجر بنفس خروجه، مهما وجبت النيابة عنه قبل إحرامه، أو دخوله الحرم ﴿و﴾ كان الله غفورا ﴿عَمَّا لَمْ يَحْقُقْهُ قُصُورًا﴾ ﴿رَحِيمًا﴾ به إذ يوجره بما لم يفعل، و ليس وجوب نيابة الحج عمن مات قبل إحرامه خلاف الغفر و الرحمة، إذ يقبل منه أصالة، ثم النيابة تكملة.

١٠١- ﴿وَ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ خروجا عن مأمن البيت، لجهاد و سواه من مسموح ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾ كيف قدر الضرورة و حسبها ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ فلا قصر - إذا - إلا لذلك الخوف، فكيف يلحق به سفر دون خوف، أن يجب فيه تقصير، و الخوف هنا يشمل النفس إلى النفس.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٩٥

١٠٢- ﴿وَ إِذَا كُنْتَ فِيهِمْ﴾ رسولا كما أنت، أو رساليا كسائر من يصح الائتمام به ﴿فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾ عند ذلك الخوف ﴿فَلَتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ﴾ في جماعة الصلاة معك ﴿وَلْيَأْخُذُوا﴾ الطائفة الأخرى ﴿أَسْلِحَتَهُمْ﴾ معهم، و كذلك المصلون ﴿فَإِذَا سَجَدُوا﴾ الطائفة المصلية ﴿فَلْيَكُونُوا﴾ الطائفة الأخرى ﴿مِنْ وَرَائِكُمْ﴾ أنتم المصلين، فانتبهت جماعتهم بذلك السجود ثم ﴿وَلَتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَ لْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ﴾ من العدو ﴿وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ كالأول، فإذا سجدوا و هكذا الأمر إذ ﴿وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَ أَمَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مِيلَةً وَاحِدَةً﴾ لكن ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أذى

مِنْ مَطَرٍ و سواه ﴿أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى﴾ إِذْ يَحْرَجْ عَلَيْكُمْ أَخَذَ السِّلَاحَ ﴿أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ﴾ حَالُ الصَّلَاةِ مُصَلِّينَ أَوْ مُرَاقِبِينَ ﴿وَلَكِنْ خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ مِنْ عَدُوِّكُمْ حَتَّى لَا يَغْتَنِمُوا فُرْصَةً عَلَيْكُمْ ﴿إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ وَ لَيْسَ "لَا جُنَاحَ" إِلَّا مِظَنَّةُ جُنَاحِ الْقَصْرِ مِنَ الصَّلَاةِ حَالَةِ الْخَوْفِ، تَقْدِيمًا لِلأَهَمِّ عَلَى الْمَهْمِ، وَ لَا هَكَذَا غَيْرَ مَوْقِفِ الْخَوْفِ كَمَا فِي الْقَصْرِ مِنْ كَيْفِيَّةِ الصَّلَاةِ: "فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَدْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ" (٢: ٢٣٩)

١٠٣ / ٤

١٠٣- ﴿فَإِذَا قُضِيَتْهُمُ﴾ الصَّلُوةُ الْاضْطِرَّارِيَّةُ ﴿فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَ قُعُودًا وَ عَلَى جُنُوبِكُمْ﴾ جَبْرًا لِكِسْرِهَا الْمَضْطَرِ إِلَى اللَّهِ ﴿فَإِذَا أَطْمَأْنَنْتُمْ﴾ عَنْ ذَلِكَ الْخَوْفِ ﴿فَاقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ الْآتِيَةَ بَعْدَهَا دُونَ قَصْرِ مِنْهَا، حَالِ السَّفَرِ وَ غَيْرِهِ ف ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ﴾ مَا كَانَتْ ﴿عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا﴾ مَفْرُوضًا ﴿مَوْقُوتًا﴾ فَلَيْسَ لَكُمْ أَنْ تَتْرَكُوهَا لَوْ قَتَلَتْهَا قَضِيَّةُ اضْطِرَّارٍ يَقْتَضِي قَصْرًا مِنْهَا، وَ لَا عَلَيْكُمْ أَنْ تَعِيدُوهَا بَعْدَ وَقْتِهَا إِذْ لَمْ تَقِيمُوهَا كَامِلَةً مِنْ ذِي قَبْلٍ، وَ هَكَذَا نَعْرِفُ مَدَى أَهْمِيَّةِ الصَّلَاةِ جَمَاعَةً وَ هِيَ حَالَةُ الْحَرْبِ وَ الْمَوَاجَهَةِ، أَنْ يَقْصُرَ مِنْ كَيْفِيَّتِهَا حِفَظًا عَلَى النَّفْسِ أَنْ يَهَاجِمَهَا الْعَدُوُّ، فَهَلْ يَلْحَقُ قَصْرٌ مِنْ كَيْفِيَّتِهَا فِي غَيْرِ خَوْفٍ، كَالْأَسْفَارِ مَهْمَا كَانَتْ طَائِلَةً، وَ لَا يَتَصَوَّرُ حَرْجٌ وَ لَا عَسْرٌ يَزِيلَانِ وَجُوبَ الْإِتِمَامِ فِي كَمِيَّةِ الصَّلَاةِ، اللَّهُمَّ إِلَّا عَنْ كَيْفِهَا وَ الْكَمِّ بَاقٍ، وَ أَحَادِيثُ الْقَصْرِ مِنْ رَكَعَاتِ الصَّلُوةِ، هِيَ بَيْنَ مَحْمُولَةٍ عَلَى الْخَوْفِ، أَوْ مُرَدُّةٍ بِمُخَالَفَةِ الْقُرْآنِ، إِذَا فَلَا قَصْرَ مِنْ رَكَعَاتِ الصَّلَاةِ عَلَى آيَةٍ حَالٍ حَتَّى فِي حَرْبِ الْمَوَاجَهَةِ فِي جَمَاعَةِ الصَّلَاةِ، وَ لَا مِنْ كَيْفِيَّتِهَا إِلَّا فِي مَوَاجَهَةِ الْأَهَمِّ، وَ نَفَى الْجُنَاحِ هُنَا رَدَّ عَلَى تَخِيلِ الْجُنَاحِ لِمَكَانَةِ الصَّلَاةِ عِنْدَهُمْ، بِحَيْثُ كَانُوا يَجْتَنِحُونَ قَصْرًا مِنْهَا حَتَّى عِنْدَ الْخَوْفِ.

١٠٤ / ٤

١٠٤- ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ﴾ الْمَعَادَى الْمُقَاتِلِ لِإِقَامِ الصَّلَاةِ وَ غَيْرِهَا وَ إِنَّمَا قَصْرًا مِنْهَا قَدْرُ الضَّرُورَةِ وَ حَسْبِهَا ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ﴾ فِي قِتَالِهِمْ ﴿فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ﴾ حَيْثُ الْقِتَالُ سَجَاحٌ مُتَقَابِلِ الْأَلَمِ، ثُمَّ ﴿وَلَا تَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ وَ ذَلِكَ يَفُوقُكُمْ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ الرَّجَاءِ ﴿وَ كَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ بِكُمْ ﴿حَكِيمًا﴾ لَكُمْ فِي كُلِّ حَلٍّ وَ تَرَحُّالٍ.

١٠٥ / ٤

١٠٥- ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ كِتَابًا وَ أَنْزَلَا وَ مَنْزَلًا ﴿بِالْحَقِّ﴾ الثَّابِتِ حَتَّى الْقِيَامَةِ الْكُبْرَى ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ كِتَابًا وَ سُنَّةً ﴿وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ﴾ كِتَابًا أَوْ سُنَّةً أَوْ بِالْمُؤْمِنِينَ بِهِمَا ﴿خَصِيمًا﴾ مُدَافِعًا عَمَّا يَدْعُونَ أَوْ يَدْعُونَ، بَلْ كُنْ مُدَافِعًا خَصِيمًا لِلْمُحَقِّقِينَ، وَ هُنَا "بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ" دُونَ "بِهِ" يَعْمَمُ حُكْمَهُ بَارَاءَةُ اللَّهِ مِنَ الْكِتَابِ إِلَى سُنَّتِهِ (ص) وَ أَظْهَرَ أَحْكَامَهُ هِيَ الْأَحْكَامُ السِّيَاسِيَّةُ وَ الْحَرْبِيَّةُ وَ الْقَضَائِيَّةُ، ثُمَّ الْأَحْكَامُ الْأُخْرَى، فَلَا حُكْمَ لِلرَّسُولِ (ص) إِلَّا "بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ" إِذْ "مَا يُنْطَلِقُ عَنِ الْهَوَى".
إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى" (٥٣: ٤).

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٩٦

١٠٦ / ٤

١٠٦- ﴿وَ اسْتَغْفِرِ اللَّهَ﴾ طَلِبًا لِعَفْوِهِ لَكَ دَفْعًا عَنْ هَوَاجِسٍ، وَ لِلْمُؤْمِنِينَ دَفْعًا وَ رَفْعًا ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا﴾ دَفْعًا وَ رَفْعًا لِمَنْ يَسْتَغْفِرُهُ صَالِحًا بِشُرُوطِهِ ﴿رَحِيمًا﴾ بِالْمُسْتَغْفِرِينَ إِيَّاهُ، بِحَالٍ وَ فَعَالٍ مَهْمَا لَمْ يَكُنْ قَالَ.

١٠٧ / ٤

١٠٧- ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ تَحْمَلًا لِخِيَانَتِهَا عَنْهُمْ وَ عَمَّنْ سِوَاهُمْ فَإِنَّهَا مَعَ خِيَانَةِ أَنْفُسِهِمْ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَحِبُّ﴾ بَلْ يَبْغِضُ ﴿مَنْ كَانَ خَوَانًا﴾ لِنَفْسِهِ وَ لِآخَرِينَ ﴿أَثِيمًا﴾ يَعْمَلُ مَا يَبْغِي عَنْ الْخَيْرِ كَثِيرًا، فَلَا إِلَٰهَ هُوَ مَا يَبْغِي عَنْ الْوَاجِبِ، وَ أَثَمَ مِنْهُ مَا يَمْنَعُ عَنْهُ.

١٠٨- و هؤلاء الخوانون ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ﴾ إظهارا لإيمان ﴿وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ﴾ إبطانا لكفر، كأن الله لا يعلمهم ﴿وَهُوَ مَعَهُمْ﴾ بقيموميته علميا وعمليا ﴿إِذْ يَبْتَئُونَ مَا لَا يَرْضَى﴾ بل يبغيض ﴿مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ﴾ منذ كانوا وقبله ﴿بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ نفاقا ﴿مُحِيطًا﴾ لا يعزب عنه شيء من مثقال ذرة، إحاطة قيومية، علمية و في القدرة.

١٠٩- ﴿هَا أَنْتُمْ﴾ أعني ﴿هَؤُلَاءِ﴾ الخوانين أنفسهم ﴿جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ حتى يخيل إلى الناس أنهم صالحون ﴿فَمَنْ يَجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ و لا مجادل عنهم حينئذ ﴿أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ في الدارين إلا الله، و هو لا يجادل عنهم، و لا هو عليهم وكيل يحافظ عليهم.

١١٠- ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا﴾ أيا كان ﴿أَوْ﴾ بصورة عامة ﴿يُظْلِمُ نَفْسَهُ﴾ و من هو كنفسه ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ﴾ بشروطه ﴿يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا﴾ عن سوءه و ظلمه ﴿رَحِيمًا﴾ به شرط إيمانه و عدم تأجيله حتى الموت بما يرى من أماراته ف ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ. وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ .. (٤: ١٨)﴾ اللهم إلا توبة حقيقية كتوبة قوم يونس "لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ" (١٠: ٩٨).

١١١- ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا﴾ سوء أو ظلما ﴿فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ لا على ربه و لا عباده الذين ظلموهم إذ يقتص منهم الله ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ كل كسب ﴿حَكِيمًا﴾ فيما يكسب، جزاء وفاقا في السيئات، و "لَدَيْنَا مَزِيدٌ" في الحسنات.

١١٢- ثم ﴿وَلَوْ﴾ فوفقه ﴿مَنْ يَكْسِبُ خَطِيئَةً﴾ محرما ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ ما يبيطئه عن خير واجب ﴿ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدْ احْتَمَلَ﴾ على نفسه ﴿بُهْتَانًا﴾ على برىء ﴿وَأِثْمًا مُبِينًا﴾ حيث يبين إثمه و هو برىء، و كذلك من يرمى بريئا.

١١٣- ﴿وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ﴾ منافقين ﴿أَنْ يَضِلُّوكَ﴾ حيث لا تعلمهم، نحن نعرفهم لك بفضلنا و رحمتنا ﴿وَمَا يَضِلُّونَ﴾ إذا أضلوا ﴿إِلَّا أَنْفُسَهُمْ﴾ حيث يرجع إضلالهم إليهم ﴿وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ﴾ حتى إن أضلوك في ظاهر الحال، إذ لن يضلوك عن دينك ﴿وَوَالْحَالُ أَنْ﴾ أنزل الله عليك الكتاب و الحكمة ﴿فَلَا يَضُرُّونَكَ مَهْمَا حَاولُوا﴾ و علمك ما لم تكن تعلم و منه تعريف المنافقين لك ﴿وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ﴾ مذ كنت ﴿عَظِيمًا﴾ أعظم من كل من فضله الله.

هنا أوامر و نواهي موجهة إلى الرسول (ص)، رسولا في حد نفسه، لا بمعنى أنه كان تاركا لمفروض أو مقترفا لمفروض، و إنما بداية تبينها أو تأكيدا فيها، و رسالة ليعرف المرسل إليهم هذه الأحكام.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٩٧

١١٤- ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ فذلك المثلث خير سره و علنه ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ الثلاث لـ ﴿إِتِّعَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ في كافة النشآت مهما تدرجت، و لا سيما في الأخرى

لمكان" سوف" الشاملة للأوليان هامشيا" وَ تَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَ التَّقْوَى وَ اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ. إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا ... (٥٨: ١٠).

١١٥ / ٤

١١٥- ﴿وَ مَنْ يَشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى﴾ فيه و فى دعوته، فيجعل لنفسه شقا من الأمر غير ما أمر به الرسول ﴿وَ﴾ بالنتيجة ﴿يَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فى إتباع الرسول ﴿نُؤْلِهِ مَا تُوَلَّى﴾ جزاء وفاقا، تولية عن الحق المرام ﴿وَ نُصْلِهِ﴾ إيقاد نار ﴿جَهَنَّمَ﴾ شديدة التأجج ﴿وَ سَاءَتْ مَصِيرًا﴾ للمشاقين، فسبيل المؤمنين هى سبيل الله فسلوكهم غير سبيل الله، و حتى العلماء منهم، يضاد سبيل المؤمنين بالله، فلا تدل هذه الآية- خلاف ما يزعم- على وجوب إتباع شهرة أو إجماع، أو و حتى ضرورة بين علماء الإسلام، ما يخالف دلالة ظاهرة من الكتاب و السنة.

١١٦ / ٤

١١٦- ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ حيث يموت مشركا، إذ لا قصور فيه و كله تقصير ﴿وَ يَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾ البعيد البعيد من إشراكه، من سائر الكفر و العصيان ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ غفره، فيعمل لغفره فيشاء الله غفره حسب شروطه المسرودة فى شرعته ﴿وَ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ عن أى غفر، دون سائر الضلال فإنه غير بعيد.

١١٧ / ٤

١١٧- ﴿إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ المشركون ﴿إِلَّا إِنَانَا﴾ اسمية أو رسمية أو فى كيانها حيث الأثنى هى المنفعة، و كل ما دون الله منفعل أيا كان ﴿وَ إِنْ يَدْعُونَ﴾ فى دعوتهم الإشرائية فى أصلها ﴿إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا﴾ طريدا من الله، بعيدا عن شرعة الله.

١١٨ / ٤

١١٨- ﴿لَعَنَهُ اللَّهُ﴾ كما طرده و دحره عن رحماته ﴿وَ﴾ الحال أنه ﴿قَالَ لَاتَّخِذَنَّ﴾ قسما أو بعضا ﴿مِنْ عِبَادِكَ نَصِيْبًا﴾ لى ﴿مَفْرُوضًا﴾ مقطوعا عنك، لا نصيب لك فى عبادتهم إياك أو إشراكا فى ذلك النصيب.

١١٩ / ٤

١١٩- ﴿وَ لَأُضِلَّنَّهُمْ﴾ إضافة إلى ما ضلوا ﴿وَ لَأَمْنِيَنَّهُمْ﴾ بأمنيات كاذبة فارعة فى ضلالهم حتى يزدادوا ضلالا ﴿وَ لَأَمُرَّنَّهُمْ﴾ فليبتكن آذان الأنعام ﴿قطعا إياها علامة التحريم و الله أحلها﴾ ﴿وَ لَأَمُرَّنَّهُمْ﴾ فليغيرن خلق الله الذى لا حول عنه و هو الفطرة، غيارا بغبار عليها و هو رأس المشاكل فى كل حقول الضلالة، و قد ذكرت الفطرة باسم خلق الله: "فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ .. لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ" ﴿وَ مَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا﴾ فى هذه الضلالات ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ فى هدايات ﴿فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا﴾ مُبِينًا فى الأولى و الأخرى، حيث يعيش منقطع الصلة عن الله، و إبانة خسارته معلومة من أصل ولاية الشيطان، حيث:

١٢٠ / ٤

١٢٠- ﴿يَعِدُهُمُ﴾ الشيطان غرورا ﴿وَ يَمْنِيَنَّهُمْ﴾ لوعوده الكاذبة ﴿وَ مَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ و حيلة لاحق فيها.

١٢١ / ٤

١٢١- ﴿أُولَئِكَ﴾ اللثام ﴿مَأْوَاهُمْ﴾ فى كل النشآت الثلاث ﴿جَهَنَّمَ وَ لَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾ و مخلصا، مهما انخدوا بخمود النار فى الأخرى، بعد ما ذاقوا و بال أمرهم جزاء وفاقا، فإنه ليس لهم محيصا عن مستحق العذاب و قد كمل عليهم، ثم فنوا بفناء النار.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٩٨

١٢٢ / ٤

١٢٢- ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ لإيمانهم الصالح ﴿سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ حالكونهم ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ "عطاءً غير مجذوذٍ" جنات ﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾ حيث وعدها الله لهم ﴿حَقًّا﴾ لا حول عنه ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ لعلمه و قدرته و حكمته و رحمته.

١٢٣ / ٤

١٢٣- ﴿لَيْسَ﴾ ذلك الإدخال ﴿بِأَمَانِيكُمْ﴾ مسلمين للجنسية الإسلامية فحسب ﴿وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ كما قالوا "لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ .." بل ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ مسلمين أو كتابيين ﴿وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ و قضية العدل في الجزاء مساواته مع السيئة، فكما أنها محدودة، كذلك جزاءها، مهما كان خلودا أبديا ما دام الحياة، أن يموت مع خمود النار، فلا نار و لا أهل نار، ف" مَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَ هُمْ لَا يَظْلَمُونَ " (٦: ١٦٠) و لا نهائية الجزاء على محدودية السيئة ظلم" و مَا اللَّهُ يَرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ " (٤٠: ٣١).

١٢٤ / ٤

١٢٤- ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَ هُوَ مُؤْمِنٌ﴾ فلا يفيد العمل الصالح دون إيمان و لا إيمان دون عمل صالح ﴿فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾ لمثني الإيمان و العمل الصالح ﴿وَلَا يَظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ قليلا ذرة مثقال و من الظلم تقديم عمل الذكر على الأنثى و هما سواء، فضلا عما كان عمل الأنثى أفضل، ف" إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَاكُمْ" لا سواها من ميزات متخيلة.

١٢٥ / ٤

١٢٥- ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ﴾ في كافة الوجهات الحيوية ﴿لِلَّهِ وَ﴾ الحال ﴿هُوَ مُحْسِنٌ﴾ في إسلامه إيمانا و عملا صالحا ﴿وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ التوحيدية ﴿حَنِيفًا﴾ معرضا عن الإشراك بالله ﴿و﴾ الحال أَنْ ﴿اتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ و هكذا كل من اتبعه قدره.

١٢٦ / ٤

١٢٦- ﴿وَلِلَّهِ﴾ لا سواه ﴿مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ و هما الكون المخلوق كله ﴿وَكَانَ اللَّهُ﴾ منذ بداية الخلق الأول بالفعل، و أزليا بشأنه ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا﴾ قبل خلقه و بعده، إحاطة حقيقية علما و قدرة و قيومية مطلقة دون استثناء.

١٢٧ / ٤

١٢٧- ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ﴾ رأيا فتيا لا حول عنه تشريعا ﴿قُلِ اللَّهُ يَفْتِيكُمْ﴾ لا أنا ﴿فِيهِنَّ﴾ بصورة مطلقة ولاية عليهن و موارِيثهن و سائر المواجهات معهن، أن تكون قسطا و عدلا ﴿و﴾ في ﴿مَا يَتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾ كما تلى، في "و إِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ .." و كذلك التسوية عدلا بينهن و غيرهن ﴿فِي يَتَامَى النِّسَاءِ﴾: النساء اليتامى إذ لا آباء لهن و لا أزواج مهما كن بالغات ﴿اللَّاتِي لَا تُؤْنُوْنُهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ﴾ من صدقات و نفقات إذ هن يتامى ﴿و﴾ الحال أنكم ﴿تَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَ﴾ في ﴿الْمُسْتَضْعِفِينَ مِنَ الْوِلْدَانِ﴾ و هم يتامى الذكران قبل البلوغ ﴿و﴾ بصورة عامة ﴿أَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَى بِالْقِسْطِ﴾ و هو فوق العدل، و منه الصدقات العادلة ليتامى النساء، بل و أكثر من غيرهن و إن نكحتموهن فعدل لزوال يتمهن ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ في اليتامى و سواهم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾ لا يعزب عنه مثقال ذرة، و لذلك القسط المفروض بحق اليتامى نؤمر بنكاحهن إزالة ليتهم "و إِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَ ثَلَاثَ وَ رُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ" (٤: ٣).

فاليتميم: المنقطع عن يصلح حاله، يحافظ عليه مددا مديدا، يحق قسطا فوق العدل أيا كان، لا سيما اليتيمات.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٩٩

١٢٨- ﴿وَإِنْ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا﴾ ترفعا عن واجبات الزوجية مخيفا عليها ﴿أَوْ إِعْرَاضًا﴾ بتمامه أن يذرها كالمعلقة فلا هي أيم ولا ذات بعل ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ خلاف ما قد يزعم، بل يجب كما وجب منه إليها في نشوزها المخيف ﴿أَنْ يَصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾ مهما كان إصلاحه بما ذكر في نشوزها عظة و هجرا في المضجع و ضربا ﴿وَ الصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ ما أمكن بأية وسيلة صالحة، و إلا فطلاق ﴿وَ أَحْضَرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾: الحرص، حيث يمنع عن صلح ﴿وَ إِنْ تَحْسَبُوا﴾ بينكما ﴿وَ تَتَّقُوا﴾ النشوز عن حقوقكما ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ من صلح و سواه.

١٢٩- ﴿وَ لَنْ﴾ استحالة ﴿تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ﴾ كل العدل كالمحبة و ما أشبه، إضافة إلى عادل القسم ﴿وَ لَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا﴾ عنهن ﴿كُلَّ الْمِيلِ﴾ ميلا إلى بعض عن بعض ككل ﴿فَتَذَرُوهَا﴾ المائلين عنها ﴿كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ لا ذات زوج و لا أيماء، فعليكم واجب العدل بينهن قسما، دون العدل في المحبة ﴿وَ إِنْ تَصْلِحُوا﴾ بين النساء عدلا بينهن ﴿وَ تَتَّقُوا﴾ أن تذروها كالمعلقة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا﴾ عما يتفقت منكم ﴿رَحِيمًا﴾ بكم.

١٣٠- ﴿وَ إِنْ يَتَفَرَّقَا﴾ المتنازعان، نشوزا مخيفا منهما أو من أحدهما دون إصلاح، أو تخلفا عن العدل الواجب بينهن ﴿يَغْنِ اللَّهُ كُلًّا﴾ منهما ﴿مِنْ سَعَتِهِ﴾ الزوج بزوجة أخرى و الزوجة بزوج آخر و ما أشبه من حياة حيث يطبقان واجباتهما ﴿وَ كَانَ اللَّهُ وَاسِعًا﴾ غير قتيب و لا فقير ﴿حَكِيمًا﴾ في سعته، فلا ضيق على فراق مفروض، بل دوام نكاحه مرفوض، فراجع النكاح، بل و واجبه، مرفوض إذا ترك فيه واجب في راجحه، أو أوجب في واجبه، ففي الدوران يرجح الأهم عند الله مطلقا.

١٣١- ﴿وَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ﴾ و هما الكون كله ﴿وَ لَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ مسلمين ﴿أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ في شرعته ﴿وَ إِنْ تَكْفُرُوا﴾ كفرا أو كفرانا ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ﴾ لا يحتاج إلى إيمانكم ﴿وَ كَانَ اللَّهُ غَنِيًّا﴾ عنكم ﴿حَمِيدًا﴾ في غناه، حيث الغنى قد يظلم، و الحميد قد يفتقر فيضطر إلى أمر غير محمود.

١٣٢- ﴿وَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ وَ كَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ ربانيا عنكم، فهو الذي يغني و يقنى و له كل شيء.

١٣٣- و من غناه عنكم ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ﴾ النسناس الكافرون ﴿وَ يَأْتِ بِآخَرِينَ﴾ من خليفة صالحة ﴿وَ كَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا﴾ لا يعجزه من سواه، و كما أفنى ناسا قبلكم- هم كانوا نسناسا- و خلقكم، و أغرق الكافرين بنوح عن بكرتهم و أبقي نوحا و المؤمنين به، فبالجملة "إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَ يَسْتَخْلِفُ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ" (١٣٣: ٦) "إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَ يَأْتِ بِخَلْفٍ جَدِيدٍ وَ مَا ذَلِكَ الْعَزِيزُ عِنْدَكُمْ" عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ (١٤: ٢٠).

١٣٤- ﴿مَنْ كَانَ يَرِيدُ﴾ طول حياته الدنيا ﴿ثَوَابَ الدُّنْيَا﴾ فقط دون الآخرة ﴿فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ﴾ كل بيده و في ملكته دون الأمانى الفارغة ﴿وَ كَانَ اللَّهُ سَمِيعًا﴾ قالات الكافرين ﴿بَصِيرًا﴾ بحالاتهم، يصنع معهم بحكمته و علمه دون إلجاء، فحين يختص ثواب الدنيا و الآخرة بالله، فلما ذا إرادة ثواب الدنيا فقط دون الآخرة!! "وَ رَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ اطْمَأْنَنُوا بِهَا" (١٠: ٧) "وَ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ هُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ" (٣٠: ٧).

١٣٥- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أنفسهم بالله ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ﴾ كثيرون القيام ﴿بِالْقِسْطِ﴾ عدلا و فوقه و منه أن تكونوا ﴿شُهَدَاءَ لِلَّهِ﴾ في كل مشهد تلقيا ما يشهد، و إلقاء له في محالته، إقرارا، أو شهادة بين الأربع و ما أشبه حسب قرارات الشهادات و الإقرارات ﴿وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ إلا ما لا يجوز كالإقرار على تخلفات جنسية فسييل التخلص عنها الاستغفار، و لا شهادة غير كاملة كالأقل من الأربعة و ما أشبه من مرفض ﴿أَوْ﴾ على ﴿الْوَالِدَيْنِ﴾ شهادة دون إقرار فإنه نافذ فقط على أنفسهم لا سواهم، و ثم هي شهادة مفروضة عند تلقى صالح لتخلف جنسى و سواه، خلافا لمن يقول بعدم تقبل شهادة على والد ﴿و﴾ كذلك بأحرى على ﴿الْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ﴾ المشهود عليه ﴿غَنِيًّا﴾ فلا يخفف ﴿أَوْ فَقِيرًا﴾ فلا يرحم ﴿فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾ رعاية و سواها، فموقف الشهادة الصالحة لا يعرف غنى و لا فقرا ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ﴾ مطلقا و فى شهادة على .. و منها هوى رواية مختلفة بعدم تقبل شهادة على والد "فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ" عن ﴿أَنْ تَعْدِلُوا﴾ فى الشهادة تلقيا أو إلقاء دون أى إلقاء لفقر أو غنى أو قرابة ﴿وَإِنْ تَلَوُّوا﴾ ليا عن الشهادة ﴿أَوْ تُعْرَضُوا﴾ عنها تلقيا أو إلقاء ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من شر كما هنا، أو من خير ﴿خَبِيرًا﴾ لا تخفى عليه خافية.

١٣٦- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالله و رسوله فى شرعة سابقة أو حالية ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ مزيد الإيمان سابقا إصلاحا له، و لا حقا تلجيقا للإسلام فى أصل الإيمان، أو أمنتهم قلبيا آمنوا عمليا، أو .. ﴿و﴾ آمنوا بـ ﴿الْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ﴾ محمد(ص) كأنه هو فقط رسوله، كما أن القرآن كأنه هو كتابه فقط، هيمنة على الرسائل و الكتب كلها ﴿و﴾ آمنوا بـ ﴿الْكِتَابِ﴾ ككل ﴿الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ يَكْفُرُ بِاللَّهِ وَ مَلَائِكَتِهِ وَ كُتُبِهِ وَ رَسُولِهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ فى آية شرعة ﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ و الكفر بأى رسول كفر بالرسالات كلها، كما الكفر بأى وحى كفر بالوحى كله، و هكذا ملائكة الله و كافة الإلهيات، مهما كان الكفر دركات، كما أن الإيمان درجات "و لا يظلمون نقيرا" (٤: ١٢٤).

١٣٧- ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فترة ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾ بما آمنوا فترة أخرى ﴿ثُمَّ آمَنُوا﴾ ثانية ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾ مرة أخرى ﴿ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا﴾ معاندين حيث يفشلون إيمان الآخرين ﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغَيِّرْ لَهُمْ﴾ فإن إيمانهم - إذا - نفاق دون وفاق ﴿و لا يلهيهم سبيلا﴾ إلى إيمان أو غفر.

١٣٨- بل ﴿بَشَرٍ﴾ هؤلاء ﴿الْمُنَافِقِينَ﴾ و من أشبه ﴿بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ كما ألموا المستضعفين و أضلوهم بدركات الارتدادات.

١٣٩- و هم ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾ حبا و سلطة ﴿مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ترجيحاً لهم عليهم ﴿أَيُّ يَتَّبِعُونَ عَنْدَهُمُ الْعِزَّةَ﴾ المرغوبة و هى غرة ﴿فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ "تَعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَ تَذِلُّ مَنْ تَشَاءُ .." (٣: ٣٦).

١٤٠- ﴿و﴾ الحال أنه ﴿فَدُ نَزَلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يَكْفُرُ بِهَا وَ يَسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾: غير الكفر و الهزاء ﴿إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلَهُمْ﴾ مماثلة فى المجلس دون تأنيب و لا تكذيب، بل مراقبة

منافقة ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ لوحدة المسير فالمصير، بل "إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ" والآية المنزلة في الكتاب المشابهة لهذه هي: "وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ.." (٦: ٦٨).

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ١٠١

١٤١ / ٤

١٤١- و المنافقون هم ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ بِكُفْرِهِمْ﴾ سجال الحرب ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ﴾ و كل فتح منه لا سواه ﴿قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾ في إسلامنا، أو في نفس المعركة إذ كانوا يخرجون إليها تخلصاً ﴿وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحِذْكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ حفاظاً عليكم حيث ﴿وَنَمْنَعُكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ حيث أزرناكم و أزرناكم، أخذنا للعصا من الجانبين ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ حكماً فصلاً جزاء ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ هنا و بعد الموت، من طريق الحجة و لا أية محجة، و ليس الغلب السجال لهم على المؤمنين سبيلاً لهم عليهم، بل هو محنة في دار التكليف، أم هو رגיע تقصيرهم، و السبيل المنفية هنا هي سبيل الكفر على الإيمان، فليس للكافر بكفره غلب و سبيل على مؤمن، في حجة و سواها من غلب، و أما سبيل الحق فهي مفتوحة بمصراعيها مطلقاً، أن للكافر الدائن سبيل على المؤمن المديون أن يأخذ منه دينه و ما أشبهه، و أما سبيل الولاية أبا كافراً على ابن مؤمن أو زوجاً كافراً على زوجة مؤمنة فلا، حيث الزواج هنا و الولاية هناك باطلة عن بكرتها.

١٤٢ / ٤

١٤٢- ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾ و كأنه يخادع، بل ﴿وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ عن قوة، و من خداعهم ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى﴾ كسلانيين إذ لا يؤمنون، بل هم ﴿يُرَاوُنَ النَّاسَ﴾ لكي يحسبهم منهم دون أن يراعوا الله ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ﴾ على أية حال ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ في قال، فإنه قليل مهما طال ما ليس معه عمل و حال، و "إِلَّا قَلِيلًا" منهم حين يفرض عليهم مجال الذكر حفاظاً على ظاهر إيمانهم.

١٤٣ / ٤

١٤٣- ﴿مُذَبِّبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ الإيمان و الكفر، فهم ﴿لَا إِلَى هُوَ﴾ المؤمنين إذ لم يؤمنوا بقلوبهم ﴿وَلَا إِلَى هُوَ﴾ الكافرين، إذ ليسوا معهم في الظاهر ﴿وَمَنْ يَضِلِّ﴾ ه الله ﴿فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ إلى الحق "جزاءً وفاقاً" فلماً زاعوا أزاع الله قلوبهم.

١٤٤ / ٤

١٤٤- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وفاقاً دون نفاق ﴿لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ﴾ ظاهراً، أو باطناً كالمنافقين ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ لكم أحياء دخلاء أمناء بينكم ﴿مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ طرداً لهم و جذبا للكافرين ﴿أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا﴾ حجة ﴿مُبِينًا﴾ حيث يحتج عليكم - إذا - ببيانات تبين أنكم في لجة، فالحجة السلطان، و لا سيما بينة، هي التي يحتج به على تاركى شرعة الله، دون سواها.

١٤٥ / ٤

١٤٥- ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ إذ يضررون المؤمنين أكثر من الكافرين ﴿وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾ مهما وجد نصير لبعض الكافرين كالقاصرين من الكتابيين أم و المقصرين أحياناً بشروطه.

١٤٦ / ٤

١٤٦- ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ عن نفاقهم ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ ما أفسدوه به قدر المستطاع، ثم ﴿وَأَعْتَصَمُوا بِاللَّهِ﴾ بدليل اعتصامهم بغير الله، ثم ﴿وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ﴾ طاعتهم ﴿لِلَّهِ﴾ دون ما سواه ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بدرجاتهم على أضواءهم ﴿وَسَوْفَ يُوْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الذين لم ينافقوا ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ مهما يؤتى التائبين من المنافقين معهم أجرا دونهم.

١٤٧ / ٤

١٤٧- ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ﴾ و لا تضره معصية من عصاه و لا تنفعه طاعة من أطاعه ﴿إِنْ شَكَرْتُمْ وَ أَمَنْتُمْ﴾ حيث يفيدكم دونه ﴿وَ كَانَ اللَّهُ﴾ مذ كنتم شاكرين ﴿شَاكِرًا﴾ من شكره ﴿عَلِيمًا﴾ به، فليس عذابه انتقاما و تشفيا، بل هو عدل ما أعدله بما أعد الكافر له.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ١٠٢

١٤٨ / ٤

١٤٨- ﴿لَا يَجِبُ اللَّهُ﴾ بل يبيغض، فقضية علمه المحيط أن يجب أو يبيغض ﴿الْجَهَرَ بِالسُّوءِ مِنْ الْقَوْلِ﴾ أن يذاع سوء من شيء ﴿إِلَّا﴾ من ﴿مَنْ ظَلَمَ﴾ بسوء، فإنه أقل شيء أمام الظالم نصحا إياه، أو انتصارا عليه ﴿وَ كَانَ اللَّهُ سَمِيعًا﴾ الأقوال السوء ﴿عَلِيمًا﴾ أنه ممن ظلم أو سواه، فاستغابة الظالم راجحة أو واجبة، إذا كان فيه انتصار على الباطل أو شفاء صدر، ثم الثانى جهر قدر جهر الظالم فى ظلمه، أو قدر ظلمه، أو ليعرف بظلمه.

١٤٩ / ٤

١٤٩- ﴿إِنْ تَبُدُّوا خَيْرًا﴾ منكم أو من سواكم ﴿أَوْ تَخْفَوْهُ﴾ كذلك ﴿أَوْ تَغْفُوا عَنْ سُوءٍ﴾ بكم إذا كان صالحا يصلح الظالم، أو لا يزيده ظلما، فإنه عفو صالح ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا﴾ على كونه ﴿قَدِيرًا﴾ فالعفو على قدرة الانتقام هو العفو الصالح، إذا أصلح المعفو، لا أن يشجعه على ظلم.

١٥٠ / ٤

١٥٠- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾ أصالة ﴿وَ﴾ بـ ﴿رُسُلِهِ﴾ رسالة ﴿وَ﴾ منه أنهم ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَ﴾ بين ﴿رُسُلِهِ﴾ أو و بين رسله أنفسهم، و هم كلهم رسل الله دون تفرق مطلقا ف "لا نُفَرِّقُ" ﴿وَ﴾ من تفريقهم أنهم ﴿يَقُولُونَ نُوْمِنُ بِبَعْضٍ﴾ من قول الله و رسله ﴿وَ نَكْفُرُ بِبَعْضٍ﴾ منه، أو نوْمِن بقول بعض الرسل دون بعض، أو ببعض قول الرسول دون بعض ﴿وَ﴾ على الجملة ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ التقاطا من قول الله و رسله و أقوالهم و أنفسهم، فهمم التقاطيون.

١٥١ / ٤

١٥١- ﴿أُولَئِكَ﴾ الالتقاطيون ﴿هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ كفرا بحاقه ﴿وَ أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ﴾ رسميين و التقاطيين ﴿عَذَابًا مُهِينًا﴾ كما أهانوا الإيمان بذلك التفریق الحقيق العميق، حيث يضرون كتلة الإيمان بعد ما انضروا أنفسهم، "عَذَابًا مُهِينًا" وجهوه إلى رعييل الإيمان.

١٥٢ / ٤

١٥٢- ﴿وَ﴾ يقابلهم ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ﴾ حقا ﴿وَ لَمْ يَفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ خلاف تفریق الكافرين ﴿أُولَئِكَ﴾ الأكارم ﴿سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجُورَهُمْ﴾ قدر إيمانهم ﴿وَ كَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ من عصاه ﴿رَحِيمًا﴾ به، ما عصاه من ذى قبل، فإن الإيمان السليم كفارة عما يتفَلَّت من عصيان، ثم "لَهُمْ ما يَشَاوُنَ فِيهَا وَ لَدَيْنَا مَزِيدٌ" (٣٥: ٥٠) و كل أجور الله مزيد، إذ لا ينفع المؤمن ربه بإيمان و عمل صالح.

١٥٣ / ٤

١٥٣- ﴿يَسْأَلُ أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ غير الأهلين ﴿أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ﴾ من الله ﴿كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ﴾. ويكأن الله هو ما كن السماء حتى ينزل عليهم كتابا منها ﴿فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ﴾ تعنتا و تعندا ﴿فَقَالُوا﴾ فيما غالوا ﴿أَرَنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾ على الحق و أهليه فى سؤالهم ﴿ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ﴾ معبودا لهم ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ﴾ الآيات ﴿الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ﴾ لا عنهم، بل أجلناهم إذ قلنا لهم "اقتلوا أنفسكم" توبة إلينا ﴿وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ هو آياته الرسولية، القاضية على كل تفلّت عن الحق المرام.

١٥٤ / ٤

١٥٤- ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمْ﴾ جبل ﴿الطُّورَ بَ﴾ سبب ﴿مِثَاقِهِمْ﴾ حيث نقضوه ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ﴾ باب القدس و هو محل للزنادقة، أدخلوها ﴿سُجْدًا﴾ لله ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ﴾ جهارا و حيلة ﴿وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِثَاقًا غَلِيظًا﴾ ألا يخالفوا الحق.

ذلك، و قد اعتدوا على حكم الله فى السبت أن احتالوا فى صيد الحيتان "فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ" (٢: ٦٥) فهلا يكون محتالون من المسلمين حيلة شرعية! فرارا عن حرام، هم من "قِرَدَةً خَاسِئِينَ" مهما لم يمسخوا فى ظاهر الحال، و لكنهم أخسأ فتوى بالسماح لحيلة شرعية! و عملا بها، اللهم إلا جهلا قاصرا تقليديا، و هل يقلد قاصر فى شرعة الله!

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ١٠٣

١٥٥ / ٤

١٥٥- ﴿فِيمَا نَقُضُهُمْ مِثَاقَهُمْ﴾ الذى أخذناه عليهم فوائقه ﴿وَكُفِّرْهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ البينات ﴿وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ﴾ بغير حق نفسيا أو وحيا أو هما معا، الفاعل منهم سابقا، و الراضى منهم لاحقا ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ لا نفقه ما يقوله الرسل ﴿بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ منهم أو قليلا من الإيمان، و هو الإيمان باللسان، أو شىء من أعمال الإيمان دون القلب، قَلَّتْ ثلاث هى علّت نفاقية ثلاث.

١٥٦ / ٤

١٥٦- ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾ أنها جاءت بالمسيح زنا و كما سجلوه فى كتابات الوحي، أو أنها ولدت ببعل، نكرانا لآية الولادة.

١٥٧ / ٤

١٥٧- ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ﴾ حيث اشتروه بثمان بخس دراهم معدودة من يهوذا الأسخر يوطى ﴿وَالْحَالِ أَنَّهُمْ﴾ ما قتلوه ﴿كَيْفَ كَانَ﴾ و ما صلبوه ﴿قَتَلَا﴾ و لكن شبه لهم المقتول بالمسيح ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ أنه قتل أو صلب ﴿لَفِي شَكٍّ مِنْهُ﴾ دون علم ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ﴾ شكا غير مسنود إلى دليل ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ بأى قتل، "يقيناً" فى الواقع، و لا "يقيناً" منهم، إذ لم يكن لهم يقين بقتله كما اختلفوا فيه أصلا و شكلية و ما أشبه.

١٥٨ / ٤

١٥٨- ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾ من بأسهم سليما حيا و ذلك هو التوفى الكافى، توقيا عما أرادوا به، و علّه الجنة التى كان فيها آدم و زوجه ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا﴾ فى حكمه ﴿حَكِيمًا﴾ فى عزه.

١٥٩ / ٤

١٥٩- ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ هودا أو نصارى أو سواهما ﴿إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ﴾: المسيح ﴿قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ حيث يموت فيما بعد، و لو كان ميتا لآمن به أهل الكتاب جميعا، و لمّا يؤمن به حتى أمته! ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ حيث يشهد عليهم بما

قالوه و ما فعلوه، و هنا "لَيُؤْمِنَنَّ" تثبت لهم إيماننا مؤكدا به قبل موته، و لم يؤمن به حتى الآن حتى أمته، إذ يعيشون اختلافات عليه و على شرعته، فقد يصدق أنه يأتي في دولة المهدي عليه السلام، إذ يروونه نازلا من السماء بآيات صدقه، مصليا وراء المهدي عليه السلام فيؤمنون بإمامه المهدي و إمامهما محمد صلى الله عليه و آله و هنا يفسر آيات توقيه، أنه ليس إمامته، بل أخذه كله سليما من بينهم إلى السماء.

١٦٠ / ٤

١٦٠- ﴿فَظَلَمُوا﴾ فاحش ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ﴾ ككل ﴿طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ تحريما تأديبيا ﴿وَصَدَّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ من الصد، و كثيرا من الناس، و كثيرا مما يصد عن سبيل الله، ثالث سالوس في حياتهم ضد الحق الحقيقي بالاتباع.

١٦١ / ٤

١٦١- ﴿وَ أَخَذِهِمُ الرُّبُوبُ وَ قَدْ نُهُوا عَنْهُ﴾ مهما كان احتيالا، بل هو أغلظ حرمة ﴿وَ أَكَلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ ككل، ربا و سواها ﴿وَ أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ﴾ كفرا، دون الكافرين منهم كفرا ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

١٦٢ / ٤

١٦٢- ﴿لَكِنَّ الرَّاْسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾: الإيمان ﴿مِنْهُمْ وَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ بالإسلام، كلهم ﴿يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ قرآنا ﴿وَ مَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ سائر كتب الوحي ﴿وَ﴾ أخص بالذكر ﴿الْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ﴾ ثم ﴿وَ الْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ الْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ مهما كان لإقامتهم الصلاة أفضل الأجر في فرعية الأحكام، و بعدها الزكاة، تأشيراً من "المُقِيمِينَ" اختصاصاً و "الْمُؤْتُونَ" دونه.

و هنا "الرَّاْسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ" هم علماء كتابيون صادقون، فهم على مشارف الإيمان بالإسلام، فلا يختص ذلك الرسوخ بالمعصومين عليهم السلام، بل هم أفضلهم علما و إيماناً و بعدهم درجات تشمل الراسخين كلهم.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ١٠٤

١٦٣ / ٤

١٦٣- ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَ النَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ﴾ مهما اختلفت درجاته بدرجاتهم ﴿وَ أَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ وَ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْبَاطِ وَ عِيسَى وَ أَيُّوبَ وَ يُونُسَ وَ هَارُونَ وَ سُلَيْمَانَ وَ آتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ يختصون بالذكر لأنهم أعظم الرسل و النبيين عليهم السلام.

١٦٤ / ٤

١٦٤- ﴿وَ رُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ﴾ مِنْ قَبْلُ هُنَا وَ فِي غَيْرِهِ وَ رُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ بِأَسْمَائِهِمْ وَ هُمْ أَكْثَرُهُمْ ﴿وَ كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ ميزة له بين الرسل إلا محمد صلى الله عليه و آله إذ "فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى" حين "دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى" (٥٣: ٨) فإنه وحى بلا أى حجاب.

١٦٥ / ٤

١٦٥- ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ﴾ داعين إليه هدى و رحمة لقوم يؤمنون و ﴿لِنَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ " أن يقولوا ربنا لو لا أرسلت إلينا رسولا .." ﴿وَ كَانَ اللَّهُ عَزِيزًا﴾ غالبا كريما ﴿حَكِيمًا﴾ فى عزته.

١٦٦ / ٤

١٦٦- ﴿لَكِنَّ اللَّهَ﴾ رغم ما يتقولون عليك "لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ" (٦: ١٢٤) "لَكِنَّ اللَّهَ" ﴿يَشْهَدُ﴾ لرسالتك العليا ﴿بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ حيث القرآن شاهد عال على ربانية آياته، حيث ﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ﴾ آيات بينات ربانية ﴿وَ﴾

الحال أن ﴿الْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾ أنها ربانيات ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ على رسالتك العليا بما أنزل اليك، فهو هو شهيد لك بكتابه" أَوْ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ" (٢٩: ٥١).

١٦٧ / ٤

١٦٧- ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بهذه الرسالة ﴿وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ المفصلة فيها ﴿قَدْ ضَلُّوا﴾ متأكدا عن حق الهدى ﴿ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ لأنها أقرب الرسالات إلى التصديق، و لا سيما لأهل الكتاب لأنفسهم بوحى الكتاب، و البشائر المودوعة فيه بحقه (ص).

١٦٨ / ٤

١٦٨- ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ ظَلَمُوا﴾ على كفرهم بما يضلون المستضعفين ﴿لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرَ لَهُمْ وَ لَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾ إذا ماتوا على كفرهم، أم ظلوا ضالين ظالمين فى الحياة الدنيا، بل "خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَ عَلَى سَمْعِهِمْ وَ عَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً" (٣: ٧).

١٦٩ / ٤

١٦٩- ﴿إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ ما داموا أحياء و النار باقية ﴿وَ كَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ غير عسير رغم قواتهم عددا أو عددا.

١٧٠ / ٤

١٧٠- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ﴾ هذا ﴿الرَّسُولُ بِالْحَقِّ﴾ كله ﴿مِنْ رَبِّكُمْ فَأَمِنُوا﴾ به يك ﴿خَيْرًا لَكُمْ وَ إِن تَكْفُرُوا﴾ فلا يضره كفركم ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ كَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ "إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنَى عَنْكُمْ وَ لَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ" (٣٩: ٧).

هنا ندرس على ضوء مثل "وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ" أن ليس عدم قص رسول منهم مما يخرجهم عن رسالته، مهما كان القص أحيانا دليلا على أولويته، و أخرى غيره فقد ذكر من هو أدنى كمرهم عليها السلام حيث ذكرت مرارا ذودا عما مساو من كرامتها، و لم تذكر فاطمة بنت محمد صلى الله عليه و آله و هى أعلى منها، إذ اتفق العدو و الصديق على قمة طهارتها، و كذلك يذكر "زَيْدٌ" كمؤمن عادى بيانا للحكم، و لا يذكر على عليه السلام، على علو محتده، لمصالح، مهما ذكر فى آيات كآية "أَنْفُسَنَا" * و ما أشبه دون اسم، ثم الاسم قد يحرف معنويا و لكن السمة الحقيقية ليست لتحرف.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ١٠٥

١٧١ / ٤

١٧١- ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ هودا و نصارى و سواهما ﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ "غَيْرَ الْحَقِّ" غلوا إيجابيا زيادة، أو سلبيا نقیصة عنه ﴿وَ لَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ توحيدا بعيدا عن التجسد و الثالوث و ما أشبه ﴿إِنَّمَا﴾ ليس إلا ﴿الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ لا ابن الله، هو ﴿رَسُولُ اللَّهِ﴾ و ليس هو الله، أو ابنا لله أو أقنوما منه ﴿وَ كَلِمَتُهُ﴾: قولا حيث وعد، و كونا إذ كونه دون أب ﴿أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾ فازدوجت نطفتها مع التى ألقاها الله خلقا فى رحمها ﴿وَ رُوحٌ﴾ مخلوق ﴿مِنْهُ﴾ متميزا عن سائر الأرواح إلا من هو مثله، أو أعلى منه كمحمد (ص) ﴿فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ﴾ و منهم المسيح، و هم جميعا للدعوة للتوحيدية ﴿وَ لَا تَقُولُوا﴾ إن الله ذو أقانيم: ﴿ثَلَاثَةٌ﴾: الأب، الابن، و روح القدس ﴿أَنْتَهُوا﴾ عن هذا الغلو الكافر، يكون ﴿خَيْرًا لَكُمْ﴾ من ذلك الشر ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ مجرد عن الجسم، غير متبعض و لا حالاً فى خلق ﴿سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾ تحولا أو ولادة أو تشريفا، فإن ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ﴾ فلا يحتاج إلى والد أيا كان و لو أمكن ﴿وَ كَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ لعباده دون حاجة إلى من يرثه.

١٧٢- ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ﴾ و كما فى ثمانين موضعا من الأناجيل ﴿وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ بقربهم ﴿وَمَنْ يَسْتَنْكِفَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ﴾ عنها ﴿فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ فى دار الحساب، فيجازيهم بما استنكفوا مهما كانوا مقربين، بل هم أكبر منهم فى ربانية المسئوليات، دون أن ينفعهم قربهم لو استنكفوا عن عبوديته!

١٧٣- ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ لصحيح الإيمان ﴿فَيُوفِّيهِمْ أَجْرَهُمْ﴾ كما آمنوا و عملوا ﴿وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ كما أن أصل أجرهم من فضله ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا﴾ عن عبادته ﴿وَأَسْتَكْبَرُوا فَيَعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ و لا يجدون لهم من دون الله ﴿و لو كانوا من أولياء الله﴾ ﴿وَلِيًّا﴾ يلى أمورهم ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ ينصرهم من بأس الله و ما للظالمين من نصير" (٢٢: ٧١).

١٧٤- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ كأنه هو البرهان لا سواه ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ تبين نفسها أنها من قبل الله، و كما تبين غيرها من حق و باطل مختلطين و ما أشبهه، فالبرهان الجائى من الله هو محمد القرآن، و النور المبين هو قرآن محمد فهما هما معا.

١٧٥- ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ﴾ اعتصاما بحبل الله ﴿فَسَيَدْخُلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ﴾ أجرا ﴿وَفَضْلٍ﴾ زيادة عليه ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا﴾ لا عوج له و لا حول عنه.

و هنا اعتصام ربانى فى درجات: بالله و بالقرآن و رسول القرآن، و الأوسط هو الوسيط بين الله و رسوله، "تَبَيَّنَّا لِكُلِّ شَيْءٍ" فما ذا بعد هذا النور البرهان من نور و برهان "فَمَا ذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ" (١٠: ٣٢) و الغلو فى الدين، المنهى عنه فى شرعة الله، هو بين إفراط و تفريط، فعلى المكلفين أن يمشوا وسطا بينهما على ضوء شرعة الله.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ١٠٦

١٧٦- ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ عن الكلالة و هم غير الأزواج و الأولاد و والدين ﴿قُلِ اللَّهُ يَفْتِيكُمْ فِي الْكَالَةِ﴾ إن امرؤ هلك ﴿موتا، أو قتلا أو ارتدادا، و﴾ ﴿لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ﴾ و لا غيره من الطبقة الأولى ﴿وَلَهُ أُخْتٌ﴾ فقط ﴿فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ﴾ فرضا ﴿وَهُوَ يَرِثُهَا﴾ إن لم يكن لها ولد ﴿و لا غيره من الطبقة الأولى﴾ ﴿فَإِنْ كَانَتْ﴾ الأختان ﴿اِثْنَتَيْنِ﴾ فقط ﴿فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ﴾ فرضا ﴿وَإِنْ كَانُوا﴾ هم ﴿إِخْوَةً رَجَالًا وَ نِسَاءً﴾ مهما كانوا أبا و أختا ﴿فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ بين الله لكم ﴿أحكامه عن﴾ ﴿أَنْ تَضِلُّوا﴾ و الله بكل شىء عليم و لكن ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ تقدم كلاله الأبوين على كلاله أحدهما، و تسوى بين كلاله الأب و كلاله الأم.

(سورة المائدة)

بسم الله الرحمن الرحيم

١- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾: القرارات كلها ما كانت صالحة ربانية إليكم، أو منكم مع الله، أو بعضكم مع بعض، إيجابية أو سلبية، و من العقود السلبية ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ﴾ و هى النعم الحيوانية، غير النقم منها و هى المفترسة، و

تحليلها هو من "العقود" حيث قرر الله حلها لعباده بعد ما حرم بعضها منها المشركون ﴿إِلَّا مَا يَتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ في القرآن، و منها الصيد، و لكن ﴿غَيْرُ مُحَلَّىٰ الصَّيْدِ وَ أَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ لا ما تريدون، فـ "إِنَّ الْحُكْمُ لِلَّهِ" فالصيد من الأنعام دون اختصاص بأنعام خاصة كما يزعم، بل كل نعمة حيوانية، برية و جوية و بحرية هي حل إلا ما يتلى كالصيد حالة الإحرام و في الحرم، فالحيوان المفترسة مطلقا، و التي هي غير نعمة أم هي نعمة مهما لا تفترس، إنها غير محللة، فما لم يتل علينا من مثلث الأنعام، هي حل لا يحرمه حديث و سواه.

٢ / ٥

٢- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ فتكا أو هتكا إياها و هي العبادات الجمعية التي تشعر بالإيمان الصامد بالله، و هي شعائر الحج و العمرة ﴿وَلَا﴾ تحلوا منها ﴿الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ و هو "أَرْبَعَةُ حُرْمٌ فَلَا تَطْلُمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ" فلا تقتاتوا فيها إلا إذا قوتلتهم ﴿وَلَا الْهَدْيَ﴾ لحج التمتع ﴿وَلَا الْقَلَائِدَ﴾ لحج القران، ألا تضحوها في الحج، أو لا تأتوا بشروطها ﴿وَلَا﴾ تحلوا شعائر الله ﴿أَمِينَ﴾: قاصدين ﴿الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ و هي عند الإحرام، فلا يجوز قصد المسجد الحرام إلا محرما إلا ما استثنى، كما و لا تحلوا حرم الأمين المسجد الحرام أن تصدوهم أو تؤذوهم، حيث ﴿يَتَتَوَّعُونَ﴾ هؤلاء ﴿فَضْلًا مِنْ رَبِّهِمْ وَ رِضْوَانًا﴾ فكيف تحلوهم، أو يحلوا شعيرة الإحرام بأنفسهم، ﴿وَ إِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا﴾ حلا بعد حرمة لأنه أمر بعد نهى، فلا يعنى إلا زوال النهى ﴿وَ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ﴾ و هو عداؤهم ﴿أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا﴾ عليهم إضافة إلى عداوتهم ﴿وَ تَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَ التَّقْوَىٰ﴾ أصلا و مقدمات ﴿وَ لَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ﴾ ما يبطل عن الخير ﴿وَ الْعُدُوَانِ﴾ أصلا و مقدمات كبيع العنب لمن يعمل خمرًا و ما أشبه ﴿وَ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ في كافة الحالات و المجالات ﴿إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ و التعاون في البر و الإثم تشمل التفاعل في أصلهما، أو مقدمات لهما، أو بين مقدمة و أصلها المقصود منها، فكلها تعاون فرضا أو رفضا، كما و آيات "شفاعة حسنة- أو- سيئة" و "الإثم" و ما أشبه تدل على وجوب مقدمات الواجبات و حرمة مقدمات المحرمات، و من أبر البر و أتقى التقوى هو الوفاء بالعقود الربانية الأصلية، كولاية الله و الرسول و الخلافة المعصومة، و من أشر الشر و أظنى الطغوى خلافها.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ١٠٧

٣ / ٥

٣- و من العقود الربانية عليكم أنه ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ من بهيمة الأنعام فضلا عما سواها ﴿وَ الدَّمُ﴾ " مسفوحا": قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا" فـ "الدَّمُ" معرفاً في آيات ثلاث أخرى، النازلة بعدها، تعنى المسفوح منه، دونما يبقى فيها بعد ذبح أو نحر أو صيد، أو دماء غير الحيوان ﴿وَ لَحْمُ الْخِنْزِيرِ﴾ مما يدل على أنه من بهيمة الأنعام ﴿وَ مَا أَهْلٌ لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ ذكر الاسم غير الله مهما ذكر معه اسم الله حين التذكية ﴿وَ الْمُنْحَقَةُ﴾ تخنيقا و خنقا مهما ذكر عليه اسم الله ﴿وَ الْمَوْفُودَةُ﴾ و هي المقتولة بضرب حتى تموت ﴿وَ الْمُتَرَدِّدَةُ﴾ و هي الملقاة من عل حتى تموت ﴿وَ النَّطِيحَةُ﴾ و هي الميتة بنطح ﴿وَ مَا أَكَلَ﴾ هـ ﴿السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ أدركتم حياته و لمّا يمّت، فذبحتموه أو نحرتموه أو صدتموه، مهما كانت من هذه المذكورات، و لا يشترط في التذكية و ما أشبه من تحليل بإزهاق روح، إسلام و سواه، إلا ذكر اسم الله كما في نص القرآن، و فرى الأوداج و التوجيه إلى القبلة ﴿وَ مَا ذُبِحَ عَلَى النَّصْبِ﴾: الأحجار و مثلها المنصوبة للعبادة، مهما ذكر اسم الله ﴿وَ أَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ﴾ محرما مضاعفا، ميسرا و قتلا غير مشروع بأزلام مهما ذكر اسم الله عليه ﴿ذَلِكُمْ﴾ البعيد البعيد ﴿فَسُقُ﴾ خروجا عن عقد الله حيث حرم ما حرم، و ﴿الْيَوْمَ﴾ يوم بلاغ هام عام لإستمرارية الرسالة، و هي من العقود الربانية على ضوء عقد الرسالة و الولاية الربانية و المعاد، و ما دونها من عقود الفروع الأحكامية ﴿يَسُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ﴾ إذ عرفوا ببلاغ إستمرارية الرسالة بعلى و سائر المعصومين عليهم السلام، عرفوا أنها لا تزول بموت الرسول، يأسا عن زوال دينكم

بزواله(ص) ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ لكثرتهم و قلتكم، و بموت رسولكم ﴿وَ اخْشَوْنَ﴾ لا سواى أن تخالفوا عقوده ﴿الْيَوْمَ﴾ و هو نفس هذا اليوم ﴿أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ باستمرارية من يحمله من المحمدين الرساليين ﴿وَ أَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ و هى الرسالة الإسلامية، إكمالا زنيا و إتماما رسوليا ﴿وَ رَضِيتُ لَكُمْ﴾ ذلك ﴿الْإِسْلَامَ﴾ أمام هذه الرسالة المستمرة ﴿دِينًا﴾ طاعة ربانية معصومة غير منقطعة ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ﴾ دون اختياره فى نقض أو انتقاص عقود أصلية كهذه، أو فرعية كاضطرار فى أكل ميتة أماهيم ﴿فِي مَخْمَصَةٍ﴾ ضرورة خماص و خلاء، فى أصل عقيدى أو فرع أحكامى ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ﴾ تجاوبا مع ما يبطل عن واجب، كالتجاوب مع ناقضى البيعة العلوية و ما أشبه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

٤ / ٥

٤- ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ على طول خط هذه الرسالة ﴿مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ﴾ قالا و حالا و أعمالا، دون الخبائث و هى التى يستخبثها الإنسان بإنسانيته ﴿وَ﴾ منها فى حقل الأكل ﴿مَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ﴾ كلابا معلمة و سواها كالبارى جوا، و النمر برا و ما أشبه حالكونكم ﴿مُكَلَّبِينَ﴾ تدفعونها إلى الكلب حال أنكم ﴿تَعْلَمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ﴾ من الكلب، دون ما لا يمكن بحقها، إذا ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ مهما أكلت المتعود أكله ﴿وَ اذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾: على ما أمسكن عليكم عند إرسالها، أو إمساكها و لما تمت ﴿وَ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ أن تخالفوا حدوده ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.

٥ / ٥

٥- ﴿الْيَوْمَ﴾: يوم الإسلام ﴿أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَ﴾ منها ﴿طَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ فإنه ﴿حِلٌّ لَكُمْ﴾ و لو أن الكفر الكتابى ينجس فكيف يكون طعامه حلالا لنا، فهم- إذا- طاهرون، و أكثر الطعام هو المرطوب المتناول بالأيدى، اللهم إلا المحرم منه ﴿وَ طَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَ﴾ كذلك ﴿الْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَ الْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَ لَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَ مَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَ هُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ فنكاح الكتابيات العفيفات حل.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ١٠٨

٦ / ٥

٦- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ لا فيها، بل قياما إليها لإقامتها ﴿فَاغْسِلُوا﴾ و ضوء إن كنتم محدثين ﴿وُجُوهَكُمْ﴾ للصلاة بأية كيفية حصلت ﴿وَ﴾ اغسلوا ﴿أَيْدِيَكُمْ﴾ الكائنة ﴿إِلَى الْمِرْفَقِ﴾ فـ "إلى" غاية للمغسل دون الغسل حتى تكون المرافق منتهى كيفية الغسل، و المرافق هى ثلاث تغسل كلها، و البدء بها أفضل ﴿وَ امْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾ بعضها لمكان الباء ﴿وَ﴾ امسحوا ﴿أَرْجُلَكُمْ﴾ نصبا، فمسحها يحلق على ظواهرها ﴿إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ ظرف متعلق بمثل "كائن" غاية للممسوح لا المسح كما فى الأيدى، فلا بد من استيعاب مسحهما ظاهرا إلى الكعبين الأولين، لأن للأرجل كعاب، و عطف "أَرْجُلَكُمْ" إلى "وُجُوهَكُمْ" غير عطيف، و لا سيما فى أفصح كلام و أبغاه، مع وجود فعلين مختلفين، كأن يقال: ضربت زيدا و عمرا و أكرمت خالدا و بكرا، فإن "بكرا" لا يعطف على "زيدا" حتى يكون مضروبا معه، فليضرب ذلك العطف عرض الجدار، و لقد كان حكم الرجلين غسلهما قبل آية المائدة، بتواتر السنة الإسلامية، ثم تحول إلى مسحهما، و القول: إن الغسل أنظف، جوابه: أن الله أعرف، ثم لا يصح مسحهما إلا على طهارتهما و طيبهما، فليس المسح تنظيفا، إلا مسحاً على نظيف ﴿وَ إِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا﴾ بعيدين عن الصلاة أن لامستم النساء أو أمنيتن، أم بحيض أو نفاس و ما أشبه حسب السنة القطعية ﴿فَاطَّهَرُوا﴾ فليس الاطهار الغسل إلا عن جنابة، كما الوضوء ليس إلا عن حدث أصغر ﴿وَ إِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ عذرا لمرض أو عدم الماء سفرا ﴿أَوْ جَاءَ

أَحَدُ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ ﴿١﴾ محل الحديث ﴿أَوْ لَمْ تَسْتُمْ النَّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً﴾ وجدانا على أية حال ألا تجدوا مرضا حيث يضرهم، أو لا يمضيه الشرع أم هو حرج، أو سفرا حيث لم يكن وقتند ماء في السفر ﴿فَتَيَمَّمُوا﴾ اقصدوا بجد ﴿صَعِيداً﴾ صاعدا من الأرض لأنه طاهر ﴿طَبِيباً﴾ لا تستقذره الطباع، فلا تكفى الطهارة فقط، و الصعيد هو مطلق الأشياء الطيبة، صاعدة و نازلة، ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ﴾ بعضها و هو الناصية ﴿و﴾ بـ ﴿أَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾ بعضا منهما و هما ظاهر الكفين كترتيب اليدين في الوضوء قضية البدلية ﴿مَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾ فالطهارة الحرجية غير واجبة مهما كانت راجحة ﴿وَلَكِنْ يَرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ بِهِ﴾ بما ذكرنا من الطهارة مائية و سواها ﴿وَلِيَتِمَّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ إذا فالتيمم بالصعيد غير الطيب محظور و إن كان طاهرا، ثم يتيمم بكل طاهر طيب.

٧ / ٥

٧- ﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ و هى الشرعة الإسلامية ﴿و﴾ اذكروا ﴿مِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ﴾ فطريا و سواها ﴿إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ و إذ " قالوا بلى " فى تكلم الفطرة الذاتية ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ على أية حال ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ و هى محافظا المعارف و النيات.

٨ / ٥

٨- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ﴾ فى حياتكم و قدراتكم كلها ﴿شُهَدَاءَ﴾ لِلَّهِ ﴿بِالْقِسْطِ﴾ قسطا لله فيها كما لكم قسط و لكنه ايضا قسط العبودية لله ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ﴾ عداوة ﴿قَوْمٍ عَلَىٰ﴾ أَلَّا تَعْدِلُوا ﴿فِيهِمْ﴾ بل ﴿اعْدِلُوا﴾ لكل برّ و فاجر ﴿هُوَ أَقْرَبُ﴾ من تركه ﴿لِلتَّقْوَىٰ﴾ من بأس الظلم مهما كان على قوم بينكم و بينه شَنَاٰنُ، فهو- إذا- أبعد عن التقوى ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ جهارا أو إسرا، دون تجدد علم أو تكامل فيه، لأن كل معلوم هو من فعله على علم و قدرة غير محدودين.

٩ / ٥

٩- ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ لإيمانهم ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ عما قصروا أو قصرُوا، ثم ﴿وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ بما آمنوا و عملوا الصالحات، و هنا " الصَّالِحَاتِ " تعم كلها دون نقص و لا نقض، ف " مَغْفِرَةٌ " هى غفر و ستر عن ذنب فلا يحصل، أو عفو عما حصل.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ١٠٩

١٠ / ٥

١٠- ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بِاللَّهِ ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ الرسولية و سواها و هو تكذيب بالله ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ قدر مصاحبتهم لكفرهم، و نهايته نهاية الكفر، موتا بموت النار كما و هم يوم الدنيا من أصحاب النار كفرا و تكديبا.

١١ / ٥

١١- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ﴾ من الكفرة المكذبين ﴿أَنْ يُسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ فى حرب حارة أو باردة و ما أشبه من اعتداء عليكم ﴿فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾ برحمته ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ على أية حال حتى يكف الله عنكم ﴿وَعَلَى اللَّهِ﴾ لا سواه ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ بالله دون استقلالية فى أفعالهم أو تكلان و خمول، بل عوان بينهما هو التوكل على الله و التكتل فى شرعة الله، اعتصاما بحبل الله دون تفرق.

١٢ / ٥

١٢- ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ على الإيمان و العمل الصالح ﴿وَوَعَثْنَا﴾ بجمعية الصفات الربانية ﴿مِنْهُمْ اثْنَى عَشَرَ نَقِيبًا﴾ نقيبا لوحى الرسول علما و عملا، و نقيبا فى المرسل إليهم دعوة إليهما و رقابة، فالنقباء- إذا- هم الرقباء على الإيمان و العمل، خلافة عن رسول الوحي الأصيل، مهما كانوا هم أيضا رسلا ﴿وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ﴾ معية رحيمة خاصة، إضافة إلى الرحمانية العامة، و لكن ﴿لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ﴾ كما أمرتم ﴿وَوَاتَيْتُمُ الزَّكَاةَ﴾ مالا و حالا ﴿وَوَآمَنْتُم بِرُسُلِي﴾ إيمانا صالحا دون تفريق بينهم ﴿وَوَعَزَّزْتُمُوهُمْ﴾ تعزيزا و احتراما ﴿وَوَافَرْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ من أنفسكم و أموالكم ﴿لَا تُكْفِرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ و هى اللوم المتفلتة منكم ﴿وَلَا دُخِلْنَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ كفرا أو كفرانا ﴿مِنْكُمْ﴾ مع تلك الرسالة و النقاية الرقابة ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ المدلول عليها بهذه الرسالة ف" إِنْ تَجْتَنِبُوا كِبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَ نُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا" (٤: ٣١) كما " إِنْ الْحَسَنَاتِ يَذْهَبْنَ السَّيِّئَاتِ" (١١: ١١٤) دفعا و رفعا.

١٣ / ٥

١٣- ﴿فِيمَا نَقُضِيهِمْ﴾ بنى إسرائيل دون نقباءهم ﴿مِيثَاقَهُمْ﴾ الذى أوتقناه عليهم ﴿لَعْنَاهُمْ﴾ عن المعية الرحيمة ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ بعد رخوتها" فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ" حال أنهم ﴿يَحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾ الوحي ﴿عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ لفظا أو معنى أو عملا ﴿وَوَسَّوْا حَظًّا مِمَّا دُكِّرُوا بِهِ﴾ كذكرى الرسالة المحمدية حيث كانوا يستفتحون بها على المشركين قبل مجيئه" و لَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَ كَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ" (٢: ٨٩) ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلُعُ عَلَى﴾ حالة ﴿خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ غير خائنين، أو قليلا من الخيانة المتروكة عندهم ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ﴾ سماحا مؤقتا لا عفوا عما يخونون ﴿وَوَاصْفَحْ﴾ إعراضا بصفحة وجهك إذ لا يؤمنون ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ فى مكانه اللائق، عليهم ينتبهون، ام و يزدادون كفرا أو كفرانا.

هنا ندرس درجات من المعية الربانية، أن يكف أيدى متطاولة عن المؤمنين بإيمانهم و أعمالهم الصالحة، و معيات أخرى رحيمة، على أضواء درجات إيمانية صالحة" وَ أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى" " إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَ الَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ" (٤٠: ٥١) " وَ لَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ. وَ إِنْ جُنَدْنَا لَهُمُ الْعَالِيُونَ" (٣٧: ١٧٣).

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ١١٠

١٤ / ٥

١٤- ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾ للمسيح (ع) و رسالته ﴿أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ﴾ على قولهم ﴿فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا دُكِّرُوا بِهِ﴾ إيمانا ككل و بالرسالة المحمدية بخصوصها ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمْ﴾ أنفسهم ﴿الْعَدَاوَةَ وَ الْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ مهما حلقت الدولة المهدوية عالم التكليف كله و لكن تخمد نيرانهم ضدها و يستسلمون و إن لم يسلم قليل منهم، كما ألقيناه على اليهود: " وَ قَالَتِ الْيَهُودُ .. وَ أَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَ الْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ" (٥: ٦٤) ﴿وَ سَوْفَ﴾ يوم المهدى (ع) و البرزخ و القيامة ﴿يَنْبِئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ من نقضهم ميثاقهم، و لات حين مناص.

١٥ / ٥

١٥- ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ﴾ مع سائر المكلفين ﴿رُسُولُنَا﴾ بجمعية الصفات الرسالية فعنده (ص) ما عندهم و زيادة هو أصل الخلود الرسالى للطول التأريخي و العرض الجغرافى، فكأنه هو الرسول فقط، كما أن الوحي الرسولى كأنه يخصه: " شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَ الَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَ مَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَ مُوسَى وَ عِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَ لَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ .." (٤٢: ١٣) إذ قابل " أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَصَى" أو " وَصَّيْنَا" لسائر أولى العزم من الرسل ﴿يَبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ﴾ وحي ﴿الْكِتَابِ﴾ تحريفا و تجديفا ﴿وَ يَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ تركا لبيانه الفصل فى هذه الرسالة الأخيرة و قد تبين بضوابط فيها ﴿قَدْ

جاءكم من الله نورٌ رسولٌ ﴿وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ كلما يجب أن بيان، فقد يبين القرآن بآياته الربانية وجود الله و توحيده، و رسالة رسوله و سائر الرسل و ما أشبه من مجهول، و هنا "نورٌ و كِتَابٌ مُبِينٌ" قد تعينان محمدا صلى الله عليه و آله و القرآن، يفسر كل زميله، فمحمدا رسول و ذكر و قرآن: "و ما علمناه الشعرَ و ما ينبغى له إن هو إلا ذكرٌ و قرآنٌ مبينٌ" (٣٦: ٦٩) فلا ترجع هو هنا إلا إلى الرسول حيث ينفي عنه تعلم الشعر.

١٦ / ٥

١٦- ﴿يَهْدِي بِهِ﴾ بما جاءكم ﴿اللَّهُ مِنْ أَتْبَعَ رِضْوَانَهُ﴾ فى نوره و كتابه ﴿سُبُلَ السَّلَامِ وَ يَخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ العديدة المديدة الكتابية المحرفة ﴿إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ﴾ و هى سبل السلام، ثم ﴿و يَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ بين هذه السبل السلام، مستقيما لا يزل قاصده ما هو يتبع متابعا نور القرآن، و رضوان الله: "و أن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه و لا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله" (٦: ١٥٣).

١٧ / ٥

١٧- ﴿لَقَدْ كَفَرَ﴾ عن التوحيد الحق ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ فهى أمه جسديا و هو أبوه روحيا أن حل فى جسده فهو- إذا- إله و إنسان و كما "لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثٌ ثَلَاثَةٌ" (٥: ٧٣) فالله هو أول الأقانيم الثلاثة، ثم حل أقنوم الأب فى أقنوم الابن، فلا إله- إذا- إلا المسيح! ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَ أُمَّهُ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ إلا الله، فهل المسيح بعد هو الله ﴿وَ﴾ الحال أن ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ دون أن يلد أو يحل فى المسيح أو سواه أو يتخذ ولدا ﴿وَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ و هو كل ممكن فى ذاته، فإن المستحيل ذاتيا ليس بشىء حتى تشمله القدرة الربانية، فإن شملته القدرة يبين أنه شىء ممكن دون استحالة ذاتية، و لقد تقولوا عليه أنه صلب، و كيف يصلب الله بأيدى خلقه.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ١١١

١٨ / ٥

١٨- ﴿وَ قَالَتِ الْيَهُودُ وَ النَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ﴾ حيث اتخذنا أبناءه ﴿وَ أَحِبَّاءُهُ﴾ اتخذوا كالبنوة، أو أننا أناسى، و سائر الناس خدامنا، و إنما خلقوا بصورة إنسانية ليصلحوا لخدمتنا ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾ هنا كما هو بين ثم فى الأخرى كما وعد المذنبين، فأنتم و سواكم سواء دون ميزة متخذة ﴿بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ﴾ من البشر، لا وسطاء بينهم و بين الله، أخصاء بالله ﴿يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ منكم ﴿وَ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ دون فارق إلا باستحقاق هنا و هناك ﴿وَ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا﴾ دون حاجة إلى اتخاذ ابن أو حبيب ﴿وَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ لا سواه.

١٩ / ٥

١٩- ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ﴾ الوحي بين الرسل ﴿عَلَى فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ﴾ أنفسهم، لا فترة من الرسالات، فإنها خالدة خلود التكليف، فتلك الفترة الرسولية بين المسيح و محمد عليهما السلام هى مما جعل الناس لدا لا يحنون إلى شرعة ربانية "جاءكم" ابتعادا عن ﴿أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَ لَا نَذِيرٍ﴾ بعد هذه الفترة ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَ نَذِيرٌ﴾ يبين لكم بعد تلك الفترة ﴿وَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ما هو صالح من رحمته.

٢٠ / ٥

٢٠- ﴿وَ إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ رسالة ﴿إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ﴾ كثيرا فالأكثرية المطلقة من رسل الله و أنبياءه هم من آل إسرائيل ﴿وَ جَعَلَكُمْ﴾ كلهم ﴿مُلُوكًا﴾ لا ملكية جماعية مصطلحة، حيث الملوك فيهم قلة، فضلا عن

جميعهم بل "جَعَلَكُمْ مُلُوكًا" تملكون أنفسكم بعد أن ملككم فرعون كأنكم عبيده، نعم جعلكم ملوكا روحيا، أن جعل فيكم أنبياء، و حيويا أخرى أن جعلكم كلكم ملوكا بعد أسر فرعوني دائب ﴿وَأَتَاكُمْ مَا لَمْ يُوْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ من آيات رسولية و رسالية و حريات على أضوائهم، و رسالات تترى، اللهم إلا عالمي الرسالة المحمدية (ص) ف"الْعَالَمِينَ" هم العالمون قبل الرسالة المحمدية، التي حَلَقَتْ على العالمين، من الأولين و الآخرين، حتى و أنه صلى الله عليه و آله بعث رسولا إلى النبيين: "وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَ حِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَ لَتَنْصُرُنَّهُ .." (٩٥: ٣).

٢١ / ٥

٢١- ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ﴾ بلدة القدس ﴿الَّتِي كَتَبَ﴾ ها ﴿اللَّهُ لَكُمْ﴾ ما بقيت شرعتكم ﴿وَ لَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ﴾ ارتدادا عنها تخوفا عن محتليها ﴿فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ إياها، و نعمة الدخول فيها بإذن الله، بما أنها عاصمة رسالات عِدة.

٢٢ / ٥

٢٢- ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ كانه و ربه لا يعلمانه ﴿وَ إِنَّا لَنَدْخُلُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا﴾ بأنفسهم دون ضغط عليهم ﴿فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ تمطلا و تعطلا إسرائيليا، اتكالا على الله دون عمل منهم و كأنهم جماد لا حيلة لهم إلا غيلة.

٢٣ / ٥

٢٣- ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ﴾ الله، و يخافون هؤلاء الجبارين و لكن ﴿أَنعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا﴾ أن قدموا الخوف من الله على الخوف منهم ﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ﴾ هجمة قوية واحدة ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ﴾ هكذا ﴿فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ﴾ عليهم، تكتيكة هجومية على من هو أقوى فإنه يضعف بتلك الجرأة الجريئة ﴿وَ عَلَى اللَّهِ﴾ حيث أمركم بدخولها ﴿فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ به فيما أمركم به، إذ لم يأمركم إلا لغلبكم عليهم، و هذه الجرأة الإيمانية، و لا سيما التي كانت بأمر خاص من الله، هي التي تغلب الجريئين مهما كانت عدتهم و عدتهم أقل من المهاجم عليهم، سواء في الحرب الحارة قتالا، أم الباردة دعائية و حجاجا.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ١١٢

٢٤ / ٥

٢٤- ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَنَدْخُلُهَا أَبَدًا﴾ رغم أمر الله بهذين التوجيهين لغلبهم ﴿مَا دَامُوا فِيهَا﴾ إذا ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَ رَبُّكَ﴾ كانه ليس ربهم ﴿فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ حتى يغلبوا فندخلها دون صعوبة، ويكأن الرب يعاضده إنسان إذا أراد غلبا، فلا يقوى وحده!

٢٥ / ٥

٢٥- ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ﴾ رسوليا ﴿إِلَّا نَفْسِي﴾ رسولا أصيلا ﴿وَ أَخِي﴾ وزيرا فيها، دون تأثير في هؤلاء النحسين الصلدين، مهما آمن بناقلة صالحة ﴿فَأَفَرُّ بَيْنَنَا وَ بَيْنَ﴾ هؤلاء ﴿الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ حيث خرجوا عن دعوتك الرحيمة إلى حالة رحيمة، فهو فرق نتيجة ذلك الفرق في تيه، و فيه ما فيه، ثم فارق الموت، و كما فرق الله بينه و بينهم قبله إذ مات جمع منهم في التيه، و استمر آخرون تيههم فيه حتى نجوا مما فيه.

٢٦ / ٥

٢٦- ﴿قَالَ فَإِنَّهَا﴾ القدس ﴿مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ﴾ بما حرموا أنفسهم منها ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ التيه تائهين ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى﴾ هؤلاء ﴿الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ إذ تاهوا بما فسقوا عن معرفة الله و شرعته.

٢٧- ﴿وَآتِلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَى آدَمَ﴾ كفر يقين منهم عادلا و فاسقا ﴿بِالْحَقِّ﴾ دون قصص باطلة حولهما ﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾ صراع مبارات بينهما زواجا، أو أخذ وصية أمأهيه مما يحتاج إلى قربان ﴿فَتَقَبَّلَ﴾ قربان ﴿مِنْ أَحَدِهِمَا﴾ و هو هابيل ﴿وَلَمْ يَتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ﴾ و هو قابيل ﴿قَالَ﴾ غير المتقبل منه للآخر ﴿لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ بذلك التقبل، و هو قتال مع الله الذى تقبل منه ﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ فليس القبول جبرا على الله، فالتقوى تقبل و الطغوى تعضل، دون فوضى جزاف فى فرضه و رفضه و كلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ (١٣: ٨).

٢٨- ﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَى يَدِكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ﴾ مهما أبسطها للدفاع عنى و هو غير البسط للقتل ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ أن أقتل، و لكن أدافع، فالمدافع عن قتله ليس ليقتل المهاجم فى دفاعه، إلا إذا انتقل فيه فلا محذور.

٢٩- ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ﴾ ترجع إلى الله ﴿بِإِثْمِي﴾ إذا قتلتنى مظلوما، حيث يحمل الظالم إثم المظلوم، أم "إثمي" قتلك إياى إذ لا إثم لى ﴿وَإِثْمِكَ﴾ لقتلى ظلما و لسائر ظلمك، و كما يريد الله فى شرعته لظالم و مظلوم ﴿فَتَكُونُ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ حيث تبوء بمثلث الإثم و لا سيما إثمك ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ بحق الحق و بحق الآخرين، فإنه قتل بسبب إيمان المقتول و تقواه.

٣٠- ﴿فَطَوَّعَتْ﴾ بصعوبة ﴿لَهُ نَفْسُهُ﴾ الأمانة بالسوء الحاسدة ﴿قَتَلَ أَخِيهِ﴾ فلم يصغ إلى نصحه ﴿فَقَتَلَهُ﴾ كما أوعده، مباغته أو بدفاع من أخيه غير منج ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ دنياه و أخراه بما خسر أخاه، و أصبح حائرا كيف يواريه.

٣١- ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ﴾ لكى يدفن شيئا ﴿لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْآتِهِ﴾: جثمان ﴿أَخِيهِ﴾ لكى لا يعفن و لا يعرف أنه قتله، سواتان منه عليه لا من أخيه ﴿قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ﴾ حيوانا و أنا إنسان ﴿فَأُوَارِي سَوْآتَةَ أَخِي﴾ فكيف أنجح فى مباراتى معه بقتله ﴿فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ إذ لم ير نجاحا فى قتله أخاه. ذلك، و القتل بين خطأ محض فلا محذور، بدية، أو عمد فقصاص إلا أن أن يصدقوا، أم لإيمان المقتول: "وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا" (٤: ٩٣).

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ١١٣

٣٢- ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ﴾ الظلم جزاء فى الدنيا ﴿كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ كما كتبنا على بنى آدم منذ الجريمة ﴿أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ﴾ نفسيا و ما أشبه ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ إذ قد ينسل نفس واحدة ناسا جميعا ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا﴾ لم يقتلها ﴿فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ بنفس السند ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا﴾ الإسرائيليون ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ آيات ربانية بينات ﴿ثُمَّ إِنْ كَثِيرٌ مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ المجيء الرسالى البين ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ ظرفا للتكليف ﴿لَمُسْرِفُونَ﴾ فى طغيانهم، و قليل هم مؤمنون "وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ" (٧: ١٥٩).

٣٣- ﴿إِنَّمَا﴾ ليس إلا ﴿جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ﴾ دعاية أو دعوة ضده أو ضد شرعته ألوهية ﴿وَالَّذِينَ يُحَارِبُونَ﴾ رسولهُ ﴿رَسُولَهُ﴾ رسالة، لا فقط عصيانا لله ورسوله بل محاربة ما صدقت ﴿وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ لا دون سعى، سواء أ كان السعى فى فساد عقيدى أو سائر النواميس ﴿أَنْ يَقْتُلُوا أَوْ يَصْلُبُوا أَوْ تَقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ﴾ حسب الجريمة ﴿أَوْ يَنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾ نحو الجريمة، نفيا من الأرض الحياة أو الحرية سجنًا، أو نفيا عن البلد الاسلامى أو ما أشبه مما يسد عن سعيه، فليس التقتيل و الصلب و التقطيع و النفى، بمراحلہ إلا حسب الجريمة، سدا بحسابها عن محاربة الله ورسوله و السعى فى الإفساد فى الأرض ﴿ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا﴾ جزاء لخزيهم، عدلا ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ قدر عظم السعى للإفساد فى الأرض، و محاربة الله ورسوله.

٣٤ / ٥

٣٤- ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا﴾ من هؤلاء ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ﴾ لا فقط أن تلقوا عليهم القبض ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ عنهم خزي الدنيا و عذاب الآخرة ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم فيهما، فقول التوبة و أعمالها مصدقة إن لم يرجع إلى ما اقترف، و إلا فكذب.

٣٥ / ٥

٣٥- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ على أية حال ﴿وَابْتَغُوا إِلَيْهِ﴾ إلى معرفته و عبادته و مرضاته لا إلى غيره ﴿الْوَسِيلَةَ﴾ المقررة منه سبحانه ﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ﴾ وسيلة و سواها ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾ حيث تفلحون الخصوم ضد سبيله.

٣٦ / ٥

٣٦- ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ﴾ مستحيلا ﴿أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ فى الأخرى و لا يملكون فيها شيئا ﴿وَمِثْلَهُ مَعَهُ﴾ أو ما يزيد ﴿لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ المستحق عليهم ﴿مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ﴾ ذلك الافتداء ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مهما تقبلت شفاعة فيها من أهلها لأهلها إن أذن الله: ﴿فَلَنْ يَقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلَّةٌ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ﴾ (٣: ٩١) بل و "يُودُ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِنَبِيهِ. وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ. وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ. وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يَنْجِيهِ" (٧٠: ١٤). و هنا ندرس على ضوء الآية الأولى، أن الإحياء روحيا لنفس أو إمامتها، كأنه إحياء روحى للناس جميعا أو إمامتهم، و هكذا جسميا، فكما أن إنسانا واحدا بإمكانه تناسليا أن ينسل منه عالم من الناس، كذلك و أخرى منه أن بإمكان إنسان مهتد أن يسعى فى هداية ناس قد تعم العالمين.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ١١٤

٣٧ / ٥

٣٧- ﴿يُرِيدُونَ﴾ هؤلاء المخلدون فى النار أبدا ﴿أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النَّارِ﴾ إلى الجنة أو إلى مكان لا جنة و لا نار، أو إلى موت قبل موت النار ﴿وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا﴾ مهما ماتوا بموت النار فإنه ليس خروجا منها ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ ما قامت النار و لما يخلص جزاءهم.

٣٨ / ٥

٣٨- ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ﴾ الثابت سرقتهما حسب المقرر فى السنة ﴿فَأَقْطَعُ أَيْدِيَهُمَا﴾^{١١} السارقة و هى أصابع أربع ﴿جَزَاءً بِمَا كَسَبَا﴾ من هتك جاهر لأموال محترمة ﴿نَكَالًا مِنَ اللَّهِ﴾ حتى لا يكررا ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ هنا جزاء قليلا و هناك فى الأخرى الجزاء الأوفى.

٣٩ / ٥

^{١١} . و من أيديهما جمعا- لا يديهما- يعنى: قدراتها، قطعا لكافة الامكانيات لكافة السرقات.

٣٩- ﴿فَمَنْ تَابَ﴾ إلى الله ﴿مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَاصْلَحَ﴾ ما أفسد في سرقته ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ﴾ في الأخرى توبة في الدنيا، و في الأولى "مَنْ قَبْلَ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ" دونما بعده، إلا توبة من الله من عذاب الأخرى دون الأولى ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

٤٠ / ٥

٤٠- ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ و هما الكون المخلوق كله، "أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ" و من أمره ﴿يَعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ غفره و هو من يشاء أن يغفر بما قدم له، ﴿وَوَ﴾ كذلك ﴿يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ دون فوضى جزاف ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ مهما لا يحكم بظلم على قدرته و "كُلُّ شَيْءٍ" هي الممكن تعلق القدرة عليه، دون المحال الذاتي.

٤١ / ٥

٤١- ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يَسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ فإنهم لا يضررون الله و إنما يضررون أنفسهم ثم "إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ .." ﴿مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَهِهِمْ وَ لَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ﴾ نفاقا، و سرعتهم في الكفر أسرع من الكفار الرسميين ﴿وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ منهم و قد أتوك و ﴿سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ﴾ من المنافقين و ﴿لَمْ يَأْتُوكَ﴾ أو آخرين من كفار رسميين ﴿يَحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾ الربانية ﴿مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا﴾ الذي تهوون من الحكم الظالم ﴿فَخُذُوهُ وَ إِنْ لَمْ تُؤْتُوهُ فَاذْرُوهُ﴾ إياه، و هكذا سبيل المنافقين منكم، كما المنافقون من الذين هادوا إذ يتحاكمون إليك كأنهم مسلمون، ثم لا يرضون حكمك و لا حكم التوراة فيما خالف أهواءهم، فهم- إذا- لا مسلمون و لا هود، بل نفاق مزدوج هرج مرج ﴿وَمَنْ يَرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ﴾ " فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ" ﴿فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا﴾ من الهدى و ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يَرِدِ اللَّهُ أَنْ يَطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾ منافقين مسارعين في الكفر ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ عند الله و عند أهل الله ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ما أعظمه.

هنا على ضوء آية "السَّارِقُ" بما أن قطع اليد نكال من الله، نعرف الأنكال و قطع عند الاضرار قدره، بل تجب السرقة المحافظة على حياة، كما أن "أيديهما" تخص الأصابع الأربع دون اليد كلها، إذ "وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا" (٢٣: ١٨) و من "الْمَسَاجِدِ" الأكف فإنها من مواضع السجود في الصلاة، كما و أن السرقة لا تختص بسرقة المال، بل سرقة الإنسان أسرق منه كما أَيْتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ" (١٢: ٧٠) إذ سرقوا يوسف من أبيه، ثم قطع الأيدي السارقة تختلف حسب إختلاف السرقة كما فصلناه في "تبصرة الفقهاء" أنه يجب إيجاد موانع من السرقات، تعليمًا و تركية، و خلق جو الاضطرورة إلى سرقة، تهيئة لأشغال تغنى عن جوع، حتى لا يضطر إلى أية سرقة، و إلا فلا قطع قطعًا إذ لا نكال على المضطرين.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ١١٥

٤٢ / ٥

٤٢- أولئك المنافقون الكتابيون هم ﴿سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ سمع الكذب و سمعا للكذب حيث يهونه كثيرا ﴿أَكَالُونَ لِلْسُّخْتِ﴾ المحرم و منه الرشا ﴿فَإِنْ جَاءُوكَ﴾ لتحكم بينهم فيما يحاكمونك ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُمْ﴾ بالحق إن قبلوه ﴿أَوْ﴾ إن لم قبلوه ﴿أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَ إِنْ تَعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا﴾ إذ أنت حاكم بالحق و ساكت بالحق ﴿وَ إِنْ حَكَمْتَ﴾ بينهم ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾ عند الله ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ و يبغض الظالمين القاسطين.

٤٣ / ٥

٤٣- ﴿وَ كَيْفَ يَحْكُمُونَكَ﴾ و هم غير مسلمين ﴿وَ﴾ الحال أن ﴿عِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ﴾ إن حكمت بالحق ﴿يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ الحكم الحق ﴿وَ مَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ بحكمك فضلا عن شرعتك.

٤٤ / ٥

٤٤- ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى﴾ إلى الله، لا كلها ﴿وَنُورٌ﴾ ينير الدرب لطالبي الحق ﴿يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾
لوحى التوراة دون مدعى النبوة كذبا غير مسلمين لها ﴿لِلَّذِينَ هَادُوا﴾ إلى الحق أو عن الحق ﴿و﴾ يحكم بها على أضواءهم
﴿الرَّبَّانِيُونَ﴾ علماء اليهود ﴿وَالْأَحْبَارُ﴾ علماء النصارى ﴿بِمَا اسْتَحْفَظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾ علميا وعقيدا وعمليا ودعائيا ﴿و﴾
الحال أنهم ﴿كَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ شهادة على كتاب الله بالحق ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ﴾ فيما يخالفون كتاب الله أو يهجون خلافه
﴿وَآخِشُونَ﴾ فقط لا سوى في سبيلي ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ و كل الأثمان بجنبتها قليل ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ
اللَّهُ﴾ و هو في مقام الحكم به أو هو مسئول عنه ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ أنفسهم و الحق المطلوب منهم، فمن حكم- إذا-
بغير ما أنزل الله فأولئك هم الكافرون.

٤٥ / ٥

٤٥- ﴿وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ اعتداء بالمثل، فلا أكثر من واحدة بواحدة ﴿وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ
بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ﴾ فيها و في غيرها من الأعضاء ﴿قِصَاصٌ﴾ قدرها، رجلا حده و أنثى حدها، دون مماثلة في
بعض و مضاعفة في أخرى ﴿فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ﴾ بما ذكر دون قصاص أو دون دية أو بعض الدية أو بعض القصاص إن أمكن
﴿فَهُوَ﴾ ما تصدق به ﴿كَفَّارَةٌ لَهُ﴾ عن ذنوب له، ثم ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ الحق و أنفسهم،
فكيف إذا حكم بضد ما أنزل الله.

هنا في الآيات: "مَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ" و "الظَّالِمُونَ" و "الْفَاسِقُونَ" و الأصيل فيما أنزل الله هو القرآن و
على ضوءه السنة القطعية، فالذى هو في موقف الحكم بما أنزل الله، لأنه من رباني الأمة، إذا لم يحكم بما أنزل الله حكم عليه
بالكفر و الظلم و الفسق، حيث الساكت عن الحق شيطان أخرس، فضلا عمن يحكم بخلاف ما أنزل الله، حيث يضاد كتاب الله و
عوذا بالله، فإنه- إذا- أكفر و أظلم و أفسق، فوا ويلاه من أحكام فقهية شيعية أو سنية تخالف كتاب الله، ثم "وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ"
تعنى لكل من الذكر و الأنثى قصاصه نسبة إلى دية نفسه، فلا خلط بين الذكر و الأنثى فيها، خلاف ما يقال: أن دية أنامل المرأة
كالذكر إلى ثلاث أصابع، ثم الأربع نصف الذكر، و هو يعنى أن الأربع أقل من الثلاث عددا و ثمنا، تهمة و قحة على سيدنا الامام
الصّادق عليه السّلام

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ١١٦

٤٦ / ٥

٤٦- ﴿وَقَفَّيْنَا﴾ إخلافا لهؤلاء الرسل الإسرائيليين ﴿عَلَى آثَارِهِمْ﴾ شرعة تورانية ﴿بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ كخاتمهم، و ليست في
شرعته زيادة إلا تحليل لبعض ما حرم على اليهود تأديبا، قَفَّيْنَا .. حالكون المسيح ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ﴾ و مطبقا
إياه ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى﴾ لا كلها ﴿وَنُورٌ﴾ لا كلها ﴿و﴾ حالكون الإنجيل ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ﴾
الأصلية ككل، كما صدق المسيح ما بين يديه منها ﴿وَهُدًى وَ مَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ الله.

٤٧ / ٥

٤٧- ﴿وَلِيَحْكُمُ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ﴾ من بقاء شرعة التوراة و بشائر بحق رسول القرآن و سائر الوحي الحاكم فيه ﴿و﴾
مَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ في أية شرعة ربانية ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ عن شرعته، فضلا عمن يحكم خلاف ما أنزل الله،
أم دونهما عوان أن يحكم عن الله دون علم أنه من الله، فالحكم بما لم ينزل الله فسق، و بما أنزل الله خلافه أفسق.

٤٨ / ٥

٤٨- ﴿وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿بِالْحَقِّ﴾ سببا و غاية و مصاحبة بكل الحق حالكونه ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ الْكِتَابِ﴾ الوحي ﴿و مُهِمِّنًا﴾ محيطا مراقبا حافظا ﴿عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ لكل بشرعته، إضافة إلى شرعة الحق: القرآن ﴿و لَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ حيث يهونون حكما خلاف ما أنزل الله، تجاوزا ﴿عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ﴾ من الأمم الرسالية ﴿جَعَلْنَا مِنْكُمْ﴾ أيها الرساليون ﴿شُرْعَةً﴾ إلى الدين الطاعة الربانية ﴿و مِنْهَا جَاءَ﴾ للوصول إلى نهج الحق ﴿و لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ﴾ أيتها الأمم الرسالية ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ على طول خط التكليف ﴿و لَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ هل تتعصبون لشرعة واحدة أو تتحللون إلى شرعة حاضرة ربانية ﴿فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ من شرعة سابقة إلى لاحقة و في كل إلى ما هو خير إيمانا و عملا صالحا ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ أيتها الأمم، فكل أمة واحدة ﴿فَيَنْبِئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾: "يا أيها الرسل كلوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَ اعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ. إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَ أَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ. فَتَقَطُّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ" (٢٣: ٥٢). إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَ أَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ. وَ تَقَطُّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلُّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ" (٢١: ٩٣).

٤٩ / ٥

٤٩- ﴿و﴾ مما أنزلنا إليك في الكتاب ﴿أَنْ احْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ عليك كتابا أو سنة ﴿و لَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ ابتغاء إيمانهم ﴿و أَحْذَرُهُمْ أَنْ يَفْتَنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ و ذلك تأييس لهم عن ذلك فإنه لم يكن ليفتن عما أنزل الله إليه ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عن حكم الله ﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ جزاء وفاقا ﴿و إِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾ عن حكم الله كفرا أو كفرانا، فالكثير - و يقابله القليل - فاسقون، كما الأكثر " لا يشكرون " لا يعلمون " لا يؤمنون " لَمُسْرِفُونَ و ...

٥٠ / ٥

٥٠- ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ دون الربانية ﴿يُبْعَثُونَ﴾ و كل حكم بغير ما أنزل الله هو من حكم الجاهلية مهما اختلفت دركاته ﴿و مَنْ أَحْسَنَ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ بالله، فالأحكام المستفادة من غير ما أنزل الله، هي من أحكام الجاهلية، مهما كانت على أضواء إجماعات أو إطباقات، فضلا عن شهرات و قياسات و استحسانات و استصلاحات، أما هو آت من غير كتاب الله أو سنة رسول الله (ص)، تخيلا و تخيلا أنه من حكم الله.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ١١٧

٥١ / ٥

٥١- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَ النَّصَارَى أَوْلِيَاءَ﴾ توليا حبا أو حكما منهم عليكم، أو دخلا بينكم ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ دونكم ﴿و مَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ مهما كان مسلما فإن توليهم تهود أو تنصر في التولي ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ كتابيين أو مسلمين يتولونهم، بل يضلهم كما ضلوا و أضلوا بولاية و ما أشبه.

٥٢ / ٥

٥٢- ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ النفاق أو ضعف الإيمان: "وَ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَ رَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا" (٢٣: ١٢) ﴿يَسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾ توليا ﴿يَقُولُونَ نَخْشَى﴾ إن لم نتولهم ﴿أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾: حالة مائرة تدبر حياتنا إلى غير الحسنى ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ﴾ ما أشبه من ﴿أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾ يسد عن كل دائرة متخيلة ﴿فَيَصْبِحُوا﴾ هؤلاء المنافقون و ضعفاء الإيمان ﴿عَلَى مَا أَسْرَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ من كفر و تول ﴿نَادِمِينَ﴾.

٥٣ / ٥

٥٣- ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقُونَ﴾ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ ﴿أَيْمَانِهِمْ﴾ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ﴿فِي قُلُوبِهِمْ﴾، كما في ظواهرهم و لكن ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ بنفاقهم ﴿فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ﴾ أخرهم إلى أولاهم.

٥٤ / ٥

٥٤- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾ إلى كفر أو نفاق هو أنحس من كفر، فلا يضرركم شيئاً كما لا يضررون الله ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ﴾ الله ﴿وَيُحِبُّونَهُ﴾: الله ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ ذلاً غير شماس، أو ذلاً تخضعاً لديهم ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ دون هؤلاء المنافقين الذين يتولونهم ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دون مهادة ﴿وَلَا يَخَافُونَ﴾ في الله ﴿لَوْ مَكَانَهُمْ﴾ إياهم و ﴿ذَلِكَ﴾ العظيم ﴿فَضَّلَ اللَّهُ يَوْمَئِذٍ مَنِ يَشَاءُ﴾ الله، و بما يشاء هو فضل الله ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ فضلاً ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أين يضعه على وسعته.

٥٥ / ٥

٥٥- ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ﴾ المخصوص بولاية الأمر الجماعية الأصيلة، لكم المؤمنين ككل ﴿اللَّهُ﴾ لا سواه ولاية إلهية ﴿وَرَسُولُهُ﴾ رسولياً ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ رساليا بخلافة معصومة، حيث المؤمنون ككل هنا هم المولى عليهم، فهل هم أولياء على أنفسهم بل ﴿الَّذِينَ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ لا كلهم بنفس الحيثية إذ لا يليق غير المعصوم لحمل ولاية الرسول ثم ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ و الحال أن ﴿هُمْ رَاكِعُونَ﴾ فذلك عنوان يشير إلى بعض المؤمنين المصلين المزيكين، أن لهم ولاية رسالية عليهم بعد الرسول، و قد تصافق النقل أنه كان عليا (ع) إذ كان حاضراً فهو تنزيل هذه الولاية، ثم سائر الأمة المعصومين عليهم السلام هم تأويلها، ثم ولاية الله هي مطلقة، و ولاية الرسول هي شرعية مطلقة رسولية و ولاية الأئمة شرعية رسالية مطلقة، ثم ليس لغيرهم نصيب منها مهما كان "المؤمنون و المؤمنات بعضهم أولياء بعض" .. "ف" إنما "أولا لحصر الولاية على المؤمنين، دون بعضهم على بعض"، و الَّذِينَ آمَنُوا ثانياً، إذ يجب أن يكون فوق إيمان الكل، و "وليكُم" ثالثاً، إذ نزلهم منزلة الرسول في ولايتهم، ثم الذين يقيمون الصلاة و يؤتون الزكاة و هم راعون رابعاً، إذ ليس هكذا كل المؤمنين، و هذا المربع من صرح الأدلة يوجهنا إلى ولاية مطلقة معصومة عاصمة للمؤمنين ككل، دون غير المعصومة إذ فيها خطأ فكيف يرضى بها الله.

٥٦ / ٥

٥٦- ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَهُوَ﴾ هَؤُلَاءِ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ فغيرهم - إذا - هم حزب الشيطان فهم فالجون.

٥٧ / ٥

٥٧- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَ لَعِبًا﴾ كفاراً أو منافقين ﴿مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَ الْكُفَّارَ﴾ المشركين أو الملحدين ﴿أُولَئِكَ﴾ لا هكذا و لا ولاية الإيمان ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أن توالوا غير أولياء الله ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ بالله.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ١١٨

٥٨ / ٥

٥٨- ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾ أذاناً و إقامة إذ لا نداء إسلامياً للصلاة إلا الحيعلات فيهما ﴿اتَّخِذُوهَا﴾ تلك النداء و صلاتها ﴿هُزُؤًا وَ لَعِبًا﴾ ذَلِكَ بَانَهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿فَإِنْ الْهَزْءُ وَ اللَّعِبُ بِالنِّدَاءِ إِلَى الصَّلَاةِ خِلَافَ الْعَقْلِ السَّلِيمِ﴾ فضلاً عن إيمان مهما كان قليلاً قليلاً.

٥٩ / ٥

٥٩- ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَتَّقُمُونَ مِنَّا﴾ نعمة عداء ﴿إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ﴾ و أنتم به مؤمنون! ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ كما أنتم مؤمنون بما أنزل إليكم ﴿وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ﴾ و أنتم كافرون بما أنزل من بعد ﴿و﴾ ب ﴿أَنْ أَكْثَرُكُمْ فَاسِقُونَ﴾ عن الإيمان بالله كفرا أو كفرانا، إذ المؤمن بالله مؤمن برسالات الله ككل، و لا سيما التي تجمع بين الرسالات و آياتها ككل.

٦٠ / ٥

٦٠- ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ﴾ الفسق بثالوثه ﴿مَثُوبَةً﴾ رجوعا إلى الفسق نتيجة ﴿عِنْدَ اللَّهِ مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ﴾ و أبعدته عن رحمته، لا فحسب بل ﴿وَوَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ﴾ كاليهود المحتاجين في الصيد يوم السبت ﴿وَالْخَنَازِيرَ﴾ و عله جمع من النصارى كما تلمح "قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين" و جعل الخنازير منقطع الأثر في غيرهم، "من لعنه الله" ﴿و﴾ الحال أنه ﴿عَبْدُ الطَّاغُوتِ﴾ فمثوبته ثالوث اللعن و الغضب و جعلهم خنازير ﴿أُولَئِكَ﴾ اللثام ﴿شَرُّ مَكَانًا﴾ و مكانة عند الله ﴿وَأَصْلُ﴾ من غيرهم ﴿عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ من الله.

٦١ / ٥

٦١- ﴿وَإِذَا جَاءُوكُمْ﴾ أنتم المسلمين ﴿قَالُوا آمَنَّا﴾ بما أنتم ﴿وَقَدْ دَخَلُوا﴾ في ظاهر الإيمان ﴿بِالْكَفْرِ﴾ باطنيا نفاقا عارما ﴿وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا﴾ من هذا الإيمان الظاهري أيضا ﴿بِهِ﴾ الكفر الذي دخلوا به ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ﴾ من كفرهم المنافق، "لا تعلمهم نحن نعلمهم" (٩: ١٠١) "لو نشاء لآريناكمهم فلعرفتهم بسيماهم و لتعرفنهم في لحن القول" (٤٧: ٣٠).

٦٢ / ٥

٦٢- ﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ﴾: ما يبطئ عن الخير الواجب ﴿وَالْعُدُوَانِ﴾ اعتداء على الحق و أهليه ﴿وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ﴾ و الباطل من مختلف موارده ﴿لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

٦٣ / ٥

٦٣- ﴿لَوْ لَا يَنْهَاهُمُ﴾ هودا ﴿الرَّبَّانِيُّونَ وَ الْأَخْبَارُ﴾ نصارى ﴿عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَ أَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ مما يدل على واجب النهى عن المنكر في كل إثم و سحت.

٦٤ / ٥

٦٤- ﴿وَكَأَنَّ الْيَهُودَ يَدُ اللَّهِ﴾ سلطته ﴿مَغْلُوبَةٌ﴾ إذ لا ينفق على الفقراء المسلمين فهذا "الله" عندكم، فليس هو إلهها، و إنما الله إلهنا و نحن أغنياء، أم إن الله يده مغلوبة على أية حال! ﴿عُلْتُ أَيْدِيَهُمْ﴾ بل هم مغلولو الأيدي عن الإنفاق إذ هم بخلاء، و مغلولون في أيدي المعرفة بتقولهم الجاهل ﴿وَلَعِنُوا﴾ عن رحمة الله ﴿بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ﴾ بسطا و قبضا، رحمة و عذابا و ما أشبه من طليق قدرته ﴿مَبْسُوطَتَانِ﴾ و من ذلك أنه ﴿يَنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ لا كما تشاءون ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا﴾ على الحق و عليك ﴿وَكُفْرًا﴾ بالحق و بك ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ﴾ أنفسهم ﴿الْعُدَاوَةَ وَ الْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ كما أغرينا بين النصارى "وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى .. فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعُدَاوَةَ وَ الْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَ سَوْفَ يَنْبِئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ" (٥: ١٤) مما يدل على بقاءهم إلى القيامة مهما يضعف ساعدهم يوم المهدي (ع) ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ﴾ ضد المسلمين المستسلمين للحق ﴿أُطْفِئَهَا اللَّهُ وَ يَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ في كافة النواميس الخمسة ﴿وَاللَّهُ لَا يَحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ بل يبغضهم، فليست حربهم، قاضية- ككل- على المسلمين مهما أرعدوا و أبرقوا، و لكن الحرب الأخيرة الإسلامية تحت رؤية الإمام المهدي (ع) هي حرب قاضية على السلطات الكافرة ككل.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ١١٩

٦٥ / ٥

٦٥- ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا﴾ بِاللَّهِ ﴿وَاتَّقَوْا﴾ اللَّهَ، مَهْمَا ظَلَمُوا كِتَابِيْنَ قُصُورًا عَنِ الْإِسْلَامِ ﴿لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ بِإِيمَانِهِمْ وَتَقْوَاهُمْ ﴿وَلَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ "إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ" (٥: ٦٩) ف"لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ. يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ. وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ" (٣: ١١٥) فَلَنْ يَكْفُرَ إِيْمَانُ بِاللَّهِ وَاعْمَالُ صَالِحٍ لَهُ أَيَا كَانَ.

٦٦ / ٥

٦٦- ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ وَهُمَا يَقِيمَانِ الْقُرْآنَ ﴿وَمَا أَنزَلْ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ قَرَأْنَا بِمَا بَشَرْنَاهُ فِي كِتَابِهِمْ بِالْقُرْآنِ ﴿لَا كُلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ بَرَكَاتِ سَمَاوِيَّةٍ ﴿وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ بَرَكَاتِ أَرْضِيَّةٍ، وَ مِنْ الْأَرْضِيَّةِ بَرَكَاتٍ فِي أَعْمَالِهِمْ ﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ﴾ كَهَؤُلَاءِ ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ كَتَكْذِيبِ هَذِهِ الرِّسَالَةِ وَ تَحْرِيفِ الْكَلِمِ عَنْ مَوَاضِعِهِ.

٦٧ / ٥

٦٧- ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ﴾ النَّاسَ مُؤَكَّدًا ﴿مَا أَنزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ مِنْ وَلايَةِ خَاصَّةٍ رِسَالِيَّةٍ تَحَافِظُ عَلَى اسْتِمْرَارِيَّةِ رِسَالَتِكَ ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ كَكُلِّ، دُونَ نَفْسٍ مَا أَنزَلَ إِلَيْكَ فَإِنَّهُ هَرَاءٌ فَلْيَكُنْ "مَا أَنزَلَ حَفِظًا عَلَى" رِسَالَتِهِ فَلَيْسَ إِلَّا الْخِلَافَةُ الْمَعْصُومَةُ الْمُسْتَمْرَّةُ بِهَا هَذِهِ الرِّسَالَةُ السَّامِيَّةُ، وَلِئِنْ تَخَافُ تَكْذِيبًا، وَلَمْ يَكْ يَخَفْ أَى بَلَاغٍ ف ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ النَّاسُ عَنْ تَكْذِيبِهِمْ مَهْمَا خَالَفُوا فِي تَحْقِيقِهِ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ كَفَرُوا أَوْ كَفَرْنَا، وَ قَدْ تَصَافَقْتَ أَحَادِيثَ الْفَرِيقَيْنِ أَنَّ "مَا أَنزَلَ" هُنَا هُوَ هَامَةُ الْغَدِيرِ كَمَا بَلَّغَهَا بِمَا تَقَدَّمَ: "الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ..".

٦٨ / ٥

٦٨- ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾ مِنَ الْحَقِّ ﴿حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَ مَا أَنزَلَ إِلَيْكُمُ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ مِنَ الْقُرْآنِ الْمُبَشِّرِ بِهِ فِيهِمَا ﴿وَلِيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أَنزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا﴾ تَعْصَبَا عَلَى شَرْعَتِهِمَا الْإِسْرَائِيلِيَّةِ ﴿وَكَفَرًا﴾ بِاللَّهِ وَ بِمَا آمَنُوا بِهِ مِنْ ذِي قَبْلِ حَيْثُ "كَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا" ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ فَإِنَّ أَنْتَ إِلَّا رَسُولٌ، لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُصِيطِرٍ وَ بِصُورَةٍ عَامَةٍ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ الرَّبَّانِيِّ شَيْءٌ" (٣: ١٢٨) فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ" (١٦: ٨٢).

٦٩ / ٥

٦٩- ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بِهَذَا الْإِسْلَامِ ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ﴾ عَطَفَا عَلَى مُحَلِّ "الَّذِينَ آمَنُوا" عُنَابَةً إِلَيْهِمْ، إِذْ لَيْسُوا كِتَابِيَيْنِ رَسْمِيَيْنِ، إِذْ صَبَّوْا إِلَى غَيْرِ الْوَحْيِ خَلَطُوا لَهُ بغيره ﴿وَالنَّصَارَى﴾ وَ عَلَى آيَةِ حَالٍ ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ لِإِيمَانِهِمْ، هَؤُلَاءِ الْأَرْبَعُ وَ سَوَاهُمْ ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ يَوْمَ الدُّنْيَا، فَالْأَصْلُ هُوَ الْإِيمَانُ وَ الْعَمَلُ الصَّالِحُ مَهْمَا كَانُوا قَاصِرِينَ عَنْ هَذَا الْإِسْلَامِ، أَوْ مَقْصَرِينَ غَيْرِ مُعَانِدِينَ.

٧٠ / ٥

٧٠- ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ عَلَى التَّوْحِيدِ الْحَقِّ وَ رِسَالَتِهِ ﴿وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا﴾ وَ لَكُنْهُمْ ﴿كَلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا﴾ مِنْهُمْ ﴿كَذَّبُوا﴾ هُمْ ﴿وَ فَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ بِأَنْفُسِهِمْ أَوْ رِضَاهُمْ بِقَتْلِهِمْ، ثُمَّ قَتَلُوا لِرِسَالَاتِهِمْ عَلَى آيَةِ حَالٍ.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ١٢٠

٧١ / ٥

٧١- ﴿وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً﴾ لأنهم - على حد تقوّلهم - أبناء الله وأحبّاءه، و الدنيا دار فتنة! ﴿فَعَمُوا﴾ عن رؤية الحق ﴿وَصَمُّوا﴾ عن سماعه ﴿ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ أن أبصروا و اسمعوا و لكن ﴿ثُمَّ عَمُوا وَ صَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾ إلا القليل ممن وفى لرعاية الحق ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ و علّ العمى و الصمم الأوليين هما قبل الإسلام، و الثانيتين هما بعده و هما أصم و أعمى.

٧٢ / ٥

٧٢- ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ أن حلّ بلاهوته فى ناسوت جسم المسيح ﴿وَوَ﴾ الحال أنه ﴿قَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَ رَبَّكُمْ﴾ و كما فى ثمانين تصريحاً فى الأناجيل كـ "إن الحياة الأبدية معرفة الله بالوحدانية و أن المسيح رسوله" (يوحنا ١٧: ٣) و يندد ببطرس إذ قال له: حاشاك يا رب. فالتفت إليه و قال: اذهب عنى يا شيطان أنت معثرة لى ... (٢٢: ١٢) ﴿إِنَّهُ مَنْ يَشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ إن مات مشركاً بالله ﴿وَوَ مَا وَاهُ النَّارُ وَ مَا لَ﴾ هؤلاء ﴿الظالمين مِنْ أَنْصَارٍ﴾ إذ لا ناصر إلا الله و هم أشركوا بالله فـ "إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَ يَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ" (٤: ٤٨).

٧٣ / ٥

٧٣- ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ﴾ و هو المسيح الابن و الأول هو الأب و الثانى روح القدس، فقد تخطّوا عن ذلك الثالوث بتوحيد الله فى المسيح أن حلّ فيه، فلا أب - إذا - إلا فيه، ثم لا حاجة إلى روح القدس إذ كان وسيطاً عند الانفصال، ﴿وَوَ مَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ لا ثلاثة و لا ثالثهم ﴿وَوَ إِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ﴾ بتوحيد الله ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

٧٤ / ٥

٧٤- ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ﴾ من الإشرار به و الإلحاد فيه ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَهُ﴾ مما فعلوا، فلا بد من استغفار بعد التوبة ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ فى موضع الغفر و الرحمة، إذا كان قبل الموت، و إلا فلات حين مناص، إذ مضى يوم خلاص، اللهم إلا عن سيئات إن تركوا الكبائر.

٧٥ / ٥

٧٥- ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ﴾ من الله و ليس بدعا من الرسل إذ ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ كما هو ﴿وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ تصدّق بأنها امه دون أب فلا زوج لها لا بشريا و لا إلهيا! ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ فكيف يكونان إلهين أو هو إله ﴿انْظُرْ كَيْفَ نَبِّينَ لَهُمُ الْآيَاتِ﴾ تبيننا للحق ﴿ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ صرفاً عن الحق، و قد أفكهم و أدخلهم فى الكذب الشيطان إذ "يضاهون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون" (٩: ٣٠) فأكذوبة الثالوث بمختلف أباطيله ليست إلا مضاهاتاً للذين كفروا من قبلهم، مشركين ثالوثيين، كما نجدهم فى الديانات الوثنية من قبل.

٧٦ / ٥

٧٦- ﴿قُلْ﴾ لهؤلاء الأغنياء ﴿أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ مسيحا و سواه ﴿مَا﴾ عاقلاً أو حيواناً أو سواهما ﴿لَا يَمْلِكُ لَكُمْ﴾ و لا لأنفسهم ﴿ضَرًّا﴾ حتى تخافوهم ﴿وَوَ لَا نَفْعًا﴾ حتى تنتفعوا منهم ﴿وَوَ اللَّهُ هُوَ﴾ لا سواه ﴿السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ حيطة علمية لا قبل لها و لا حد، فهنا لك كفر عميق حميق "إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ" لا "أن المسيح هو الله" كفر أن الله تنزل إلى رحم مريم و حل فى جسم المسيح، فهو إله فى روحه، لا إله إلا هو، و بشر فى جسمه، فلا بشر مثله، و هذا هو الثالث من ثلاثة أقانيم، أن "الله ثالث ثلاثة".

٧٧- ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ حيث يدلکم إلى الحق ﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾ إفراطاً و لا تفريطاً ﴿غَيْرَ الْحَقِّ﴾ المبین فی الكتاب ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ﴾ كالمشركين الثالوثيين، و الذين يضاهئونهم من مبتدعی الثالوث من المسيحيين الأوائل ﴿وَأَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ كما ﴿وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ نسخة طبق الأصل.

٧٨- ﴿لَعْنُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ عن التوحيد الحق ﴿مَنْ بَنَى إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ﴾ كما فی زبوره ﴿وَعَلَى لِسَانِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ كما فی الأنجيل و منها: قال يسوع ما ذا تعتقدون فی (٥) قال بطرس حقا أنت ابن الله (٦) فغضب يسوع من قوله قائلاً: ادحر عني يا شيطان إذ تريد الإساءة بي (إنجيل متى ٤: ٧) ﴿ذَلِكَ﴾ اللعن ﴿بِمَا عَصَوْا﴾ الله ﴿وَوَكانُوا يَعْتَدُونَ﴾ على أهل الله و حق الله، و كما نجد ذلك اللعن فی الزبور و الأنجيل، و قد فصلناه فی " عقائدنا".

٧٩- لا فقط أنهم كانوا عصاة معتدين، بل و ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ فالنهي عن المنكر هو لمن انتهى بنفسه عنه، ثم التناهي هو بين مقترفيه إذا انتهوا بالتناهي، دون عزم على فعل المنكر فإنه- إذا- هزء بشريعة الله و ما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت .. " لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ " أ تَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَ تَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ و هذه الآيات إنما تنهى عن أمر أو نهى في غير التناهي، كما لا ائتمار و لا تأمر ﴿لَيْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾.

٨٠- لا فحسب عصيانا و اعتداء و تركا للتناهي، بل و ﴿تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ﴾ أولاً ﴿يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ محبة و استعانة أو تسليطاً ﴿لَيْسَ مَا قَدَّمْتَ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ من ثالوثهم عملياً و عقيدياً ﴿أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ به ﴿وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ نحو الجريمة و قدرها، خلوداً بخلودها دون زيادة فإنها ظلم، ف" هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ " (٢٧: ٩٠) "فَلَا يَجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا" (٦: ١٦٠).

٨١- ﴿وَلَوْ كُنَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ﴾ إيماناً مثلثاً ﴿مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَ لَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ عن مثلث الايمان، و أقلهم مؤمنون، فيؤمنون بما أنزل إليهم و ما أنزل إليك، إذ الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به" (٢: ١٢١).

٨٢- ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالشرعة الأخيرة ﴿الْيَهُودَ﴾ العنود اللدود ﴿وَكذلك﴾ الَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴿بِاللَّهِ﴾ فقد شاركوا المشركين في ذلك العداء العارم: و يَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا (٤: ٥١) ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾ نصرته للسيد المسيح و منها المودة و الرحمة ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيِينَ وَ رُهْبَانًا﴾ صالحين ﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ فليسوا هم بصامدين على شرعتهم، فاليهود لا يدعون إلى شرعتهم، اختصاصاً للنبوّة الإلهية المزعومة بأنفسهم و كما لا يؤمنون، بخلاف النصارى فيهما، اللهم إلا صليبيين صلتين فما هم- إذا- من النصارى، فالطبيعة اليهودية هي طبيعة العناد للذين آمنوا إلا شذراً، كما الطبيعة النصرانية هي طبيعة الود إلا شذراً، مهما اختلف شذر عن شذر.

فالليونة النصرانية كأصل، و حسب الأناجيل، و الشقاوة اليهودية كأصل، و حسب هذه التوراة، إضافة إلى متخيلات متصلبات عاتية فى اليهود، هى مما فرق بين الفريقين عداوة و محبة للذين آمنوا، اللهم إلا سياسات خارجة عنهما.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ١٢٢

٨٣ / ٥

٨٣- ﴿وَ إِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ﴾ قرأنا حيث يدل على ربانية آياته و أنه مبشّر به فى أنجيلهم ﴿تَرَى أَعْيَنَهُمْ﴾ هؤلاء الذين قالوا إنا نصارى صادقين فى قولهم ﴿تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾ تشوّقا إلى الله بكلامه و تحزّنا على ما فاتهم من ذى قبل ﴿مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾ و هم كانوا يتعرفون إليه غير متصّلين على شرعتهم ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا﴾ بما أنزلت قرآنا ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ لهذه الرسالة، إذ شهدناها بعد ما غبنا عنها، و منهم نصارى الحبشة حين الهجرة المؤقتة لجمع من المسلمين بأمر الرسول (ص).

٨٤ / ٥

٨٤- ﴿وَ مَا لَنَا﴾ من برهان أن ﴿لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾ إسلاميا ﴿وَ مَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ﴾ المطلق مهما كان عندنا حقّ منه ﴿وَ﴾ الحال أننا ﴿نَطْمَعُ أَنْ يَدْخِلَنَا رَبَّنَا﴾ فى رحمته و جنته ﴿مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾.

٨٥ / ٥

٨٥- ﴿فَأَتَاهُمُ اللَّهُ﴾ جزاء وفاقا ﴿بِمَا قَالُوا﴾ و آمنوا به و عملوا ﴿جَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ ماء و عسلا و لبنا و .. ﴿وَ﴾ ذلك العظيم العظيم ﴿جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ قولا و إيمانا و عملا صالحا.

٨٦ / ٥

٨٦- ﴿وَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالله ﴿وَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ آفاقية و أنفسية كونية و شرعية ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ النار الشديدة التأجج قدر كفرهم و تكذيبهم، خلودا قد خلودهم فى كفرهم و تكذيبهم " جزاء وفاقاً".

٨٧ / ٥

٨٧- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ﴾ بتعصّب جاهلى مترسّب أو تحسّب إيمانى متقشّف ﴿وَ لَا تَعْتَدُوا﴾ تحليللا و لا تحريما، إفراطا أو تفريطا ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ على أية حال " وَ مَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ (٦٥: ١)" .. فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ" (٢: ٢٢٩) سواء أ كان تعديا عمليا، أو و أعدى منه تشريعا " وَ مَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ" (٥: ٤٤) و بينهما عنوان هو الفتوى بغير مصدره الأصيل.

٨٨ / ٥

٨٨- ﴿وَ كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ أكلا و رزقا حالكونه ﴿حَلَالًا﴾ أحله الله ﴿طَيِّبًا﴾ تستطيبه الطباع السليمة المؤمنة ﴿وَ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ الذى أنتم به مؤمنون فى كل أكل بمثل الرزق الحلال الطيب دون إسراف أو تبذير.

٨٩ / ٥

٨٩- ﴿لَا يُوَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ مثل الحلف بترك واجب أو فعل محرم، تحريما لطيب أو تحليللا لخبيث، و ما أشبه من لغو واجب النقص ﴿وَ لَكِنْ يُوَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمْ﴾ هذه ﴿الْأَيْمَانَ﴾ اللاغية ﴿فَكَفَّارَتُهُ﴾ لغوا، مفروضا، و كما فى اللغو المفروض ﴿إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ وسطا عادلا بين رخيص و غال ﴿أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ مطلقا، إذا يعطف إلى .. ما تُطْعَمُونَ ﴿أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ أفضلها مؤمنة، و إلا كافرة تصلح لتحرير، و إن لم تكن رقبة مصطلحة فرقة أخرى معقودة بدين ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾ شيئا من هذه الثلاثة ﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ﴾ اللاغية المفروضة النقص، و

الصالحة المنقوضة المفروضة الحفظ ﴿إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ عن لغوها، و نقضها في غير لغو ﴿كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الله.

و لنعرف ألا يمين إلا بالله، و لا يجوز إلا لإثبات حق أو سلب باطل، لا يحصلان إلا به، أم لتثبيت عمل راجح أو واجب، أم ترك عمل مرجوح أو محرم، دونما سواها من أيمان لاغية، ثم نقض اليمين هو بين مفروض كاليمين اللاغية، أو مفروض كالصالحة، فكفارة لغوها أيا كانت هي ما ذكرت.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ١٢٣

٩٠ / ٥

٩٠- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ﴾ و هي كل ما يخمر العقل خمرا مصطلحة و سواها ﴿وَالْمَيْسِرُ﴾ ما ييسر المحرم أكلا بباطل أو لهوا يلهي عن واجب، أو يدفع إلى محرم ﴿وَالْأَنْصَابُ﴾ ما يذبح على النصب المعبودة ﴿وَالْأَزْلَامُ﴾ ما يستقسم بها من حيوان كميسر خاص، كل ذلك ﴿رَجْسٌ﴾ عملي عملا و أكلا و تحضيرا لها ﴿مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ فلا تعنى "رَجْسٌ" هنا رجاسة موادها، بل عمليا، مهما كان المذبح دون شروط شرعية نجسة، و لكن مادة الميسر ليست نجسة، و صريح قرابة عشرين حديثا دليل طهارة الخمر و ظاهر أقل منها خلافها ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾ الرجس، هذه و سواها ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾ في معارك و منخيات الحياة فتفلجون أضدادها، و حرمة الخمر و ما بعدها شرعة دائمة ربانية.

٩١ / ٥

٩١- ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ فليس أكل مال هنا بالباطل له الدور الأصيل فيهما، و لا سيما الخمر، بل العداوة و البغضاء ﴿وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ﴾ و ذلك الدفع و هذا الصد هما رأس الزاوية في حرمتها ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ و قد يروى عن الخليفة عمر عند نزولها "انتهينا انتهينا و كأن الآيات الأخرى التي تحرم الخمر ما بينت حرمتها من" قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ و "تَتَخَذُونَ مِنْهُ سَكْرًا.." و "لا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى"!!!

٩٢ / ٥

٩٢- ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ﴾ في محكم كتابه أصالة ﴿وَاطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ في سنته رسالة ﴿وَاحْذَرُوا﴾ توليا عن الله أو عن رسوله ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ عن الطاعة ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا﴾ فقط ﴿عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ يبين بلاغ الله كأبين ما يمكن، حجة بالغة، ثم و "عَلَيْنَا الْحِسَابُ".

٩٣ / ٥

٩٣- ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ إيمانا و عملا صالحا ﴿إِذَا مَا اتَّقَوْا﴾ المحرمات ﴿وَآمَنُوا وَاعْمَلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ ثانية ﴿ثُمَّ اتَّقَوْا﴾ المحرمات ﴿وَآمَنُوا﴾ ثالثة ﴿ثُمَّ اتَّقَوْا وَاحْسَنُوا﴾ التقوى خيرا مما مضى، فلا جناح عليهم في ذلك الجو الإيماني الصالح و التقوى و الإحسان فيما طعموا بعد ذلك، و لا ما طعموا قبله محرما فإن ذلك توبة إلى الله ﴿وَاللَّهُ يَجِبُ الْمُحْسِنِينَ﴾ فما طعموه من ذى قبل محرما يعفى عنه بإيمانهم بعده: "قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ.." (٨: ٣٨) و ما يطعمونه محرما بعد إيمانهم لمما و تفلنا يغفر بصلاح إيمانهم: "إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ.." (٤: ٣١) و أما الذين يأكلون الربا و أموال اليتامى و ما أشبه، دون توبة و لا جبران، فلا ينفعهم إيمانهم عنها، و لهم عذاب أليم "فَأَذْنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ".

٩٤ / ٥

٩٤- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيُبْلُوَنَّكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ﴾ حيث ﴿تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾ إذ الصيد في أصله محرم إلا لحاجة ﴿لِيَعْلَمَ اللَّهُ﴾ علماً أن يجعله علامة لـ ﴿مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنْ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ الابتلاء أو الإنذار فصاد ﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

٩٤ / ٥

٩٥- ثم خصوص صيد الحرم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾ محرمون أو في داخلون الحرم و لا سيما محرمين في الحرم ﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمَّداً﴾ قتله ﴿فَجَزَاءٌ﴾ عليه هو ﴿مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ﴾ مثلاً ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ يهديه ﴿هَدِيًّا بِالْكَعْبَةِ﴾ ذبحاً أو نحراً عندها خارج المسجد الحرام ﴿أَوْ﴾ إن لم يستطع على المثل فـ ﴿كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ﴾ قدر ما يقدر ﴿أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ﴾ عدلاً لكفارته ﴿صِيَاماً﴾ قدر المقدور ﴿لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ﴾ عفاً الله عما سلفَ بتلك الكفارة و التوبة ﴿وَمَنْ عَادَ﴾ إلى قتل الصيد حرماً ﴿فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ﴾ أكثر من الكفارة عذاباً بعد موته ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾ في موضع النكال النعمة، و كما هو أرحم الراحمين في موضع العفو و الرحمة.

٩٦ / ٥

٩٦- ﴿أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ﴾ بعد ما حرم الصيد كأصل و ضابطة ﴿وَوَطْءُهُ﴾ مأكولاً لحمه، يكون ﴿مَتَاعاً لَكُمْ﴾ دون إسراف ﴿وَلِلسَّيَّارَةِ﴾ سفراً ﴿وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ مطلقاً ﴿صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ محرمين أو داخلين في الحرم، إضافة إلى حرمة أصله لهما ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ صيدا و سواه.

٩٧ / ٥

٩٧- ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ﴾ المشرفة و هي ﴿الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ محترماً فوق كل بيت، محرماً هتكه ﴿قِيَاماً لِلنَّاسِ﴾ في الله، و في المصالح الجمعية للمسلمين ﴿وَكذلك جعل الله قِيَاماً﴾ ﴿الشَّهْرَ الْحَرَامَ﴾: " تلك أربعة حُرْمٌ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ" ﴿وَكذلك﴾ ﴿الْهَدْيِ﴾ في حج التمتع ﴿وَالْقُلَائِدِ﴾ في القران هما هدى في الله للمحتاجين من زوار بيت الله، كما و هما " قِيَاماً لِلنَّاسِ"، فهدرهما دون إشباع لبطون الجياع قعود للناس قِيَاماً للنسناس في الهزء منا بهذر التبذير الهدير، و ﴿ذَلِكَ﴾ جعل الصالح ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ من خير أو شر ﴿وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ﴾ منهما ﴿عَلِيمٌ﴾.

٩٨ / ٥

٩٨- و كضابطة ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ في موضع النكال و النعمة ﴿وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ في موضع العفو و الرحمة.

٩٩ / ٥

٩٩- ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ المأمور به رسوليًا، ثم " لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ" ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾ من صالح أو طالح ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ منهما: " وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى" (٢: ٢٠) من السر و منه النية المستقبلية المجهولة.

١٠٠ / ٥

١٠٠- ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي﴾ عند الله و في ميزان الحق ﴿الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ﴾ أقوالاً و أحوالاً و أعمالاً ﴿وَلَوْ﴾ ممتنعاً ﴿أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾ حيث الكثرة تعجب ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ أن تعصوه خبثاً ﴿يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ حيث لا تعجبكم كثرة و لا تفشلكم قلة في الله ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾ في معتركات الحياة فتفلجون معارككم فيها.

١٠١ / ٥

١٠١- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ﴾ خفية لكم ﴿إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ﴾ فإن صالح السؤال هو ما يزين الإنسان و لا يشين ﴿وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنْزَلُ الْقُرْآنُ﴾ بيانا لما تسألون ﴿تُبْدَ لَكُمْ عَقَا اللَّهُ عَنْهَا﴾ هذه الأشياء المستورة الواجبة الستر حين تستغفرون ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ و ليس الرسول ليحيب عن سؤال إلا بوحى فصبرا حتى ينزل فيه قرآن.

١٠٢/٥

١٠٢- ﴿قَدْ سَأَلَهَا﴾ الأسئلة المحظورة ﴿قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ كسؤال البقرة من بنى إسرائيل، و"اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ.." فأتينا بما تعدنا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ" و كسؤال قوم موسى "أَرْنَا اللَّهَ جَهْرَةً.." و ما أشبه ﴿ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ﴾.

١٠٣/٥

١٠٣- ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ﴾ و قرر ﴿مِنْ بَحِيرَةٍ﴾ ناقة ولدت عشرة أبطن فيعلمونها فلا تركب و لا تحمل ﴿وَلَا سَابِغَةٍ﴾ إذا ولدت خمسة فما فوق ﴿وَلَا وَصِيلَةٍ﴾: الشاة التوأمة بأختها فلا تذبح حرمة لها ﴿وَلَا حَامٍ﴾ من الإبل إذا أدرك له عشرة من صلبه كلها يضرب حمى ظهره فلا ينتفع به ﴿وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالله ﴿يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ أنه حرمة ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ اتباعا للقلة العاقلة المبتدعة، ثم المفترى الكذب على الله و هو يعقل الحق هو أكفر" و جحدوا بها و استيقنتها أنفسهم" (٣٧: ١٤).

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ١٢٥

١٠٤/٥

١٠٤- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ غير المسلمين و لا سيما المشركين ﴿تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ قرآنا ﴿وَإِلَى الرَّسُولِ﴾ من سنة الوحى، حجتان باهترتان بأنفسهما ﴿قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ تقليدا أعمى ﴿أ﴾ إذا مضى دوره و لو كان حقا، ثم ﴿وَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ﴾ كما هم ﴿لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ من وحى الله ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ إليه، تقليدا مضاعفا متضاعفا فى العمى، فالتقليد البصير- إذا لزم- هو الجدير، و ذلك خارج عنه بكثير، كما الاجتهاد الأعمى أعمى و أضل سبيلا.

١٠٥/٥

١٠٥- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ﴾ إصلاح ﴿أَنْفُسِكُمْ﴾ على ضوء شرعة الله، و فى هذا الدور الأول الأولى ﴿لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ﴾ حين لا يهتدى بهديكم أو و يريد ضلالكم ﴿إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ فلا يجوز ضلال لإهداء الغير، و كما ليس عدم اهتدائه بإهدائكم ضلالا لكم ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا﴾ مؤمنين و كافرين ﴿فَيَنْبِتُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من ضلال و لو فى سبيل الإهداء، أو هدى، فليس هنا دلالة أو لمحة إلى التغاضى عن الدعوة إلى الله و الأمر و النهى أبدا، و إنما هنا فرض الضابطة الأولى "إِذَا اهْتَدَيْتُمْ" كما و من ذلك الاهتداء إهداء الغير إن أمكن، و إنما الواجب الأول أن تهتدى، و من ثم- إن أمكن- أن تهدى.

١٠٦/٥

١٠٦- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةٌ بَيْنَكُمْ﴾ الصالحة المقبولة و هى مفروضة ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ﴾ بحضور أماراته ﴿حِينَ الْوَصِيَّةِ﴾ "إِنْ تَرَكَ خَيْرًا" ﴿أَثَانِ ذَوَا عَدْلٍ﴾ و لا سيما فى حقل الحفاظ على الأموال ﴿مِنْكُمْ﴾ فى أى من المذاهب الإيمانية دون أى نفاق ﴿أَوْ﴾ عدلان ﴿آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ﴾ من الكتابيين ﴿إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ جهادا و سواه ﴿فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ﴾ حضورا بأماراته ﴿تَحْسِبُونَهُمَا﴾ عندكم ﴿مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ﴾ التى هم مصدقوها ﴿فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ﴾ حيث تصدقونه ﴿إِنْ ارْتَبْتُمْ﴾ فى الوصية بعد الموت فهم الورثة ﴿لَا نَشْتَرِي بِهِ﴾ المرتاب فيه ﴿ثَمَنًا﴾ تحولا عن الحق ﴿وَلَوْ

كانَ ﴿المشترى له﴾ ﴿ذا قُرْبَى﴾ للشاهدين، ثم ﴿وَ لَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ﴾ التى تلقيناها ﴿إِنَّا إِذَا لَمِنَ الْآثِمِينَ﴾ رغم عدلنا عندكم، ثم و كتابة الوصية مما تحافظ على حق الوصية، بل قد يكتفى بها إذا لم يوجد نقضها، إلا إذا شهد على النقض.

١٠٧ / ٥

١٠٧- ﴿فَإِنْ عَثَرَ﴾ بعد فحص لائق ﴿عَلَى أَنَّهُمَا﴾ مسلمين أو كافرين ﴿اسْتَحَقَّا إِنَّمَا﴾ لإثم من شهادتهما ﴿فَأَخْرَانِ﴾ من غيركم عدلين ﴿يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾ ممن شهد الوصية، و إلا فأين شهادة، و هما ﴿مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ﴾ فى إثم الوصية و هما ﴿الْأُولَيَانِ﴾ بالوصية، موصى لهما أم سواهما، و الأصل المعتمد عليهما و قد شهدا الوصية مسلمين، و إنما لم يستشهدا لأنهما ممن له الحق، و ضابطة الشهادة من ليس عليه و لا له حق، فهما- إذا- بدل اضطرار ﴿فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا﴾ بحق "الْأُولَيَانِ" ﴿أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا﴾ الآثمين ﴿وَ مَا اعْتَدِينَا إِنَّا إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ و لأن "كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ.." تفرضها مطلقا عند حضور الموت، فهنا مثلث من الشهادة على الترتب، و إطلاق الوصية تشمل - و بأحرى- كتابتها، فالشهادة تعم - إذا- كلا الكتابة و اللفظ.

١٠٨ / ٥

١٠٨- ﴿ذَلِكَ﴾ الإحكام فى حقل الوصية ﴿أَدْنَى أَنْ يَأْتُوا﴾ الموصون و الشاهدون ﴿بِالشَّهَادَةِ﴾ إلقاء و تلقيا ﴿عَلَى وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا﴾ الشهداء ﴿أَنْ تَرَدَّ أَيْمَانُ﴾ أخرى ﴿بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ فلا تؤثر يمين خلاف صالح الوصية، إلا إذا ثبت إثم الشاهدين ﴿وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ اسْمَعُوا﴾ كلام الله، و الشهادة بحقها سمع الأذن و الكتب ﴿وَ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ عن حكم الله فى وصية و سواها، فتوى و عقيدة و عملا.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ١٢٦

١٠٩ / ٥

١٠٩- ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ﴾ ليوم الجمع اختصاصا بهم دون سواهم ﴿فَيَقُولُ﴾ سؤال تكريم و تقرير ﴿مَاذَا أُجِيتُمْ﴾ ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَ لَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٧: ٦) ﴿قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا﴾ بكل ما أجابوا سرا و إعلانا إلا ما علمتنا ﴿إِنَّكَ أَنْتَ﴾ لا سواك ﴿عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ إذ قد تكون الإجابة مناققة أو فى غياب، ف "لا عِلْمَ لَنَا" تنفى علم الغيب، و كل علم لو لا علمتنا إياه، و كذلك مستقبلات هذه العلوم دنيى و عقبى، و قد أشهدهم ما غاب عنهم من الجواب إشهادا يوم القيامة.

١١٠ / ٥

١١٠- و منه و كما فى الدنيا ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾ و لم ينسب نبى إلى أب أو أم إلا عيسى تدليلا على أنه وليد إنسان ﴿ادْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَ عَلَى وَالِدَتِكَ﴾ و هى ﴿إِذْ أَيْدَتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ يجعلك ﴿تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ﴾ ذودا عنك و عن أمك، و بشارة برسالتك الآتية ﴿وَ كَهَلًا﴾ تكلموا رسوليا، فليس بينهما أى منهما إلا تكلم بشرى، و اذكر من هذه النعمة حين كونك كهلا رسوليا ﴿وَ إِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ﴾ كتاب الوحي ككل ﴿وَ الْحِكْمَةَ﴾ فى الكتاب و حكما به ﴿وَ﴾ لا سيما ﴿التَّوْرَةَ وَ الْإِنْجِيلَ﴾ كملا دون تحرف ﴿وَ إِذْ تَخْلُقُ﴾ ظاهرة الخلق دون أصله ﴿مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ﴾ الطير جسما ﴿يَاذْنِي﴾ فتنفخ فيها فتكون طيرا يا ذنى ﴿طيرا حقيقيا يا ذنى دون تخويل، و إنما مقارنة إذنه تعالى فعلك، فخلق جسمه منك و جعله طيرا جسما و روحا يا ذنى ﴿وَ تَبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَ الْابْرَصَ يَاذْنِي وَ إِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى﴾ إلى حياة ﴿يَاذْنِي﴾ و إِذْ كَفَفْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ﴾ أن يصلوك، يا ذنى، و كل ذلك ﴿إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ من الآيات أنفسية و آفاقية ﴿فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ﴾ بالله و آياته ﴿إِنْ هَذَا﴾ الذى جئت به ﴿إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ سحره، حال أنه مبين ربانيته، حيث السحر يفنى بنفسه أو بسحر يغلبه، و الآية الربانية لا

تفنى بأى شىء، اللهم إلا بقوة غائلة ك" إن هذا إلا سحرٌ يؤثرُ (٧٤: ٢٤) فإن كان سحرا فكيف يؤثر!

١١١ / ٥

١١١- ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ﴾ الحائرين حولك، و هم المؤمنون الأولون بك، وحيا إيمانيا لا رسوليا إذ ينافيه "هل يستطيع" و ما أشبه ﴿أَنْ آمَنُوا بِي﴾ ألوهية وحيدة ﴿وَبِرَسُولِي﴾ رسالة عنى، إذ لم يكن إلا رسولا لا إلها و لا مزيجا بينهما ﴿قَالُوا آمَنَّا﴾ بهما ﴿وَأَشْهَدُ﴾ بإيماننا ﴿بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ لك و لرسولك، شهادة عند الله و عند خلقه، هنا و يوم الأخرى.

١١٢ / ٥

١١٢- و لقد كان فى إيمانهم خلل و علل ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ﴾ لا رب العالمين، كأنهم لما يؤمنوا به، كما أن "هل يستطيع" تشكك فى تلك الاستطاعة ﴿أَنْ يَنْزِلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ دليلا على أنهم لما يؤمنوا بقدرته ﴿قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ عن أمثال هذا السؤال الجاهل ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ بالله القادر المتعال.

١١٣ / ٥

١١٣- ﴿قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا﴾ كأن لا أكل لهم سواها ﴿وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُنَا﴾ و لما تطمئن ﴿وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَّقْتَنَا﴾ و لما يعلموا صدقه ﴿وَنَكُونَ عَلَيْهَا﴾ هذه المائدة السماوية ﴿مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ لمن لم يشهدها، كأن لا تكفيهم شهادات بسائر الآيات المسيحية، مما يدل على أنهم لم يكونوا مؤمنين إيمانا كاملا صادقا، فضلا عن رسالة الوحي، و عمن سواهم.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ١٢٧

١١٤ / ٥

١١٤- ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ إجابة عن سؤالهم الجاهل المتعنت تثبيتا لإيمانهم ﴿اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ لا لثاوث "أن نأكل منها" و تطمئن قلوبنا" و نكون من المؤمنين" كما تقولوه، بل لكى ﴿تَكُونُ لَنَا عِيدًا﴾ إذ كرمتنا بها ﴿لَاوَلْنَا وَ آخِرْنَا﴾ ثم ﴿وَأَيَّةٍ مِنْكَ﴾ إضافة إلى سائرها ﴿وَأَرْزُقْنَا﴾ بها كما ترزقنا بغيرها ﴿وَالْحَالُ أَنْكَ﴾ أنت خير الرازقين" بل و رزقهم منك و هم وسطاء، فلا رازق إلا أنت.

١١٥ / ٥

١١٥- ﴿قَالَ اللَّهُ إِنِّي مَرْسَلْتُ إِلَيْكَ﴾ رسولا كما دعى و مرسلًا إليهم كما تعنتوا ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ﴾ ذلك ﴿مِنْكُمْ﴾ بى و برسالتى ﴿فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ كمن جعل منهم الخنازير إذ لم يسبق لأحد من العالمين، أم سواه من عذاب منقطع النظير.

١١٦ / ٥

١١٦- ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَ أُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ ثالوثا مريميا: الأب و الأم و الابن، و هو ليس سؤال استفهام بل هو استفحام لمن تقولوا عليه (ع) كما تصرح الكنيسة الكاثوليكية: "كما أن المسيح لم يبق بشرا كذلك مريم أمه لم تبق من النساء بل انقلبت و بنوسة" آلهة" و من تقولهم "احمدوا مريم يا أولاد" ﴿قَالَ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ﴾ و لن أكون ﴿فَقَدْ عَلِمْتَهُ﴾ دون مسألة إلا تبكيها على من يتقولونه على ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَ لَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ و النفس بإضافة تطلق على الله كما تطلق على غير الله حيث تعنى أصل الوجود، و هى دون إضافة لا تطلق على الله، إذ ليست له نفس: روح أو جسم و ما أشبه، مهما أطلق على الجن و الملائكة و من أشبه مع الإنس.

١١٧ / ٥

١١٧- ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ دون ربوبية لسواه ﴿وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ بما شهدت و أشهدتني ﴿مَا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ بينهم حاضرا ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ أن رفعتني إلى سماءك و لما تمتنى ﴿كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ لا سواك، و أنا غائب عنهم ﴿وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ على أية حال، فاشهد إذا أن قولهم فرية على و قحة، ثم " و يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا" فيها التعريف له بما غاب عنه دون زمن حياته.

١١٨ / ٥

١١٨- ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ﴾ هؤلاء الثالوثيين ﴿فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ دون من دونك، مهما أخطأوا ﴿وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ عصيانهم الخاطئ ﴿فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ﴾ الغالب ﴿الْحَكِيمُ﴾ فى عزتك، و هم ليسوا بوثنين رسميين، و أنت القائل: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَ يَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ" و لعلمهم- و لا سيما القاصرين منهم- ممن تشاء غفره، اللهم إلا رءوس الضلالة المتعمدين، فعليهم ما عليهم، إضافة إلى إختلاف دركات منحرفيهم عن حق التوحيد، بين مغفور و موقوف.

١١٩ / ٥

١١٩- ﴿قَالَ اللَّهُ﴾ جوابا و كضابطة عامة ﴿هَذَا﴾ اليوم الآخر ﴿يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ﴾ بدرجاتهم ﴿صِدْقُهُمْ﴾ إذ آمنوا بالله و اليوم الآخر و عملوا صالحا ﴿لَهُمْ جَنَّاتُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾: "عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُودٍ" ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ هؤلاء الصادقين قدر صدقهم ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ قدره ﴿ذَلِكَ﴾ العظيم العظيم هو ﴿الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

١٢٠ / ٥

١٢٠- ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا فِيهِنَّ﴾ حق الملك ملكا و مالكا للكون كله ﴿وَهُوَ﴾ لطيق ملكه ﴿عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ و هو الممكن إيجاد، فالممتنع ذاتيا ليس شيئا، لكى تتعلق به القدرة، لا لنقص فيها، و إنما للامتناع الذاتى، و إلا كان ممكنا.

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ و هما الكون كله، ثم ﴿وَجَعَلَ﴾ فيهما كل ﴿الظُّلُمَاتِ﴾ بعديدها ﴿و﴾ كل ﴿النُّورِ﴾ بوحدها ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بذلك الرب الوحيد هم ﴿بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ يردفون به غيره في ربوبيته أصالة أو اتخاذا، من العدل الند، لا العدل، و لا سيما عدلا في العبودية، بل توحيدا في عبودية عدله المزعوم، و هنا دور تنديد شديد على تصديقهم بربوبيته المطلقة، و هم مع ذلك يعدلون به خلقا له.

٢- ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ ككل: روحا و بدنا ﴿مِنْ طِينٍ﴾ إذ "ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ" مما يدل على طينية الأرواح كالأجساد ﴿ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا﴾ مطلقا ﴿وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾ لا حول عنه، دون المعلق الذي له حول بحولكم ﴿ثُمَّ﴾ بعد ذلك الخلق، و جعل الظلمات و النور، و قضاء الأجل ﴿أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ﴾ شكا في ربوبيته الوحيدة.

٣- ﴿وَهُوَ اللَّهُ﴾ مكانة لا مكانا لألوهيته ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ داخلا فيهما لا بالمازجة بل دخول قيومية، و خارجا عنهما دون انعزال، بل هو فيهما قيومية و لذلك ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ﴾ فهما له جهر على سواء ماضيا و حالا ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ استقبالا، فلا يعزب عن علمه شيء فـ "وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ" (٨٤: ٤٣) فعلمه و حكمته نافذتان في الكون كله، خلاف إله المسيحيين فإنه ساكن السماء و ما كنها كما في صلاة لهم "أبانا الذي في السماء .."

٤- ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ ربوبية: آفاقية و أنفسية، رسولية و رسالية ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ دون استدلال بها على ربوبيته الوحيدة، بل و على ضدها، أم تعاميا عنها فلا لها و لا على ضدها، فهم - إذا - شاكون.

٥- ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ﴾ آيات ربانية ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ طول خط التكليف ﴿فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ﴾ في النشأت الثلاث ﴿أَنْبَاءٌ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ من الحق بآياته حيث تبدل النعمة نقمة جزاء وفاقا، فهذه الأنباء هي واقعات الآيات الحق حيث كانوا بها يستهزون.

٦- ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ حسية أو تاريخية ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ جماعة ملتفة مع بعضهم البعض، ﴿مَكَانَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ دولة حال و دولة مال ﴿مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَ أَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَ جَعَلْنَا الْأَنْهَارَ﴾ من مدارار السماء و سواه ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ﴾ نعمة تعمهم من فوقهم و من تحت أرجلهم، و لكن لما جعلوها نعمة و نقمة ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾ كقوم نوح و عاد و ثمود و قرونا أمثالهم، ثم ﴿وَأَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ﴾ فما كانت تنفعهم مكنتهم عن بأس الله شيئا.

٧- ﴿وَلَوْ﴾ مستحيلا في الحكمة ﴿نَزَّلْنَا عَلَيْكَ﴾ من السماء ﴿كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ﴾ كما تطلبوه متعنتين ﴿فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ لمس الحس، و الكتاب الوحى فى غير قرطاس ملموس لعقولهم ﴿لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ كما قالوا بحق

الوحى فى غير قرطاس، و هو أقوى، فهم أغوى، فإذا هم ينكرون آية محسوسة فهم - إذا - أغوى فى آية غير محسوسة، فهم - إذا - أضل سبيلا من الحيوان.

٨ / ٦

٨- ﴿وَقَالُوا﴾ فيما تقولوا متعتين ﴿لَوْ لَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَ لَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ إن كذبوه لزوال الامتحان إذا، و كذلك إن صدقوه إذ لا تنزل الملائكة إلا يوم الموت أو القيامة و لات حين مناص ﴿ثُمَّ لَا يَنْظُرُونَ﴾.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ١٢٩

٩ / ٦

٩- ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكَ لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا﴾ حتى يروه ﴿وَلَلْبَسْنَا عَلَيْهِمْ﴾ بذلك الجعل ﴿مَا يَلْبَسُونَ﴾ ه على أنفسهم، رجوعا إلى ما كانوا عليه.

١٠ / ٦

١٠- ﴿وَلَقَدْ﴾ بتأكيدين إثنيين ﴿اسْتَهْزَيْ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ فلست بدعا منهم فى الهزء بهم ﴿فَحَاقَ﴾ إحاطة ﴿بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ﴾ هنا و بالأحرى الأخرى ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ فنفس الاستهزاء يظهر بملكوته محيطا عليهم، كما أحاطوا باستهزائهم على الرسل و الرساليين.

١١ / ٦

١١- ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ تأريخيا و جغرافيا، و أفضله القرآن الناطق بالحق فإنه معرض الحق كله ﴿ثُمَّ أَنْظِرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ بآيات الله يوم الدنيا فضلا عن الأخرى.

١٢ / ٦

١٢- ﴿قُلْ﴾ للمشركين ﴿لَمَنْ﴾ ملكا و ملكا ﴿مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ﴾ عنهم كما يصدقون و إن كانوا لا يلفظون ﴿لِلَّهِ﴾ ككل لا سواه ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ حسب الاستحقاق و زيادة، و منها ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ حيث الرحمة يوم الدنيا مزاحمة فمضيقة و خليطة ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بنواميسها بكفرهم ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بموقف الرحمة ممن كتبها على نفسه.

١٣ / ٦

١٣- ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ مرثيا، و إلا فالكون كله حركة، و قد يعنى " ما سَكَنَ " ما مَكَّنَ " و الله جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا " من أى كائن ساكن أو متحرك، أو إذا كان الساكن له فبأحرى المتحرك لحاجة ثانية فى الحركة المحسوسة، و من السكن الراحة مكانا و مكانة ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ قالات القائلين الماكين ﴿الْعَلِيمُ﴾ بحالاتهم و قالاتهم.

١٤ / ٦

١٤- ﴿قُلْ أَعْيَرَ اللَّهُ اتَّخَذُ وَلِيًا﴾ بكل ما لها من معنى ﴿فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ و منهما نحن حيث فطرنا بمعرفته واحدا لا مثل له، ثم ﴿وَهُوَ يَطْعِمُ وَ لَا يَطْعَمُ﴾ غنى مطلق و غيره فقير إليه ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ﴾ كما فطرني ربي ﴿أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾ زمانا فى هذا الإسلام، و كيانا فى أى اسلام إذ سبقه مسلمون كثير ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ﴾ لا تكونن من المشركين به خلاف الفطرة و العقلية الإنسانية و الوحى و كافة الآيات أنفسية و آفاقية، فليحافظ كل مكلف على نفسه لكيلا يؤفك إلى شرك.

١٥ / ٦

١٥- ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ﴾ عذاب ربى و مقامه ﴿إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ و إن صغيرا على محتدى الرسولى القمّة ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ فضلا عن سواى أن يخيل إليه زوال عذاب بولايتى كما يزعمون، فكيف لا يخاف عذابه من يتولاك و هو عاصٍ "تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى".

١٦ / ٦

١٦- ﴿مَنْ يَصْرِفْ عَنْهُ﴾ عذابه ﴿يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ﴾ هنا أن صده عن عصيانه، و هناك أن تاب عليه إن كان فيه شروطه، أو تقبل شفاعته بإذنه ﴿وَذَلِكَ﴾ الصرف هو ﴿الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾، و إنما يصرف عنه يومئذ بشفاعة صالحة، أو ترك الكبائر و ما أشبهه.

١٧ / ٦

١٧- ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾ بعدله ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ قضية توحيد كشف الضر فيه ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ﴾ استحقاقا أو ابتلاء عدلا ﴿فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ و لا رادٌ لخيره إلا هو "وَأِنْ يَرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ" (١٠: ١٠٧).

١٨ / ٦

١٨- ﴿وَ هُوَ﴾ لا سواه ﴿الْقَاهِرُ﴾ كل قهر ﴿فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ علما و قدرة ﴿وَ هُوَ الْحَكِيمُ﴾ فى قهره ﴿الْخَبِيرُ﴾ بقدر المصلحة فى قهره، توحيدا أفعاليا ليس على بعد فى أى فعل أو ترك، و لكنه باختيارك.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ١٣٠

١٩ / ٦

١٩- ﴿قُلْ أَى شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً﴾ لله على خلقه، إذ يشهد بنفسه لنفسه، و هو شىء لا كالأشياء، "بائن عن خلقه و خلقه بائن عنه" ﴿قُلِ اللَّهُ شَهِيدُ بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ﴾ بكتابه أن لو أراكم نفسه ما زادتكم معرفة به من كتابه ﴿وَ أَوْحَى إِلَى هَذَا الْقُرْآنِ لِأَنَّكُمْ بِهِ وَ مَنْ بَلَغَ﴾ إياه، هذا القرآن و "وَ مَنْ بَلَغَ" مبلغ التكليف به، و هو- فقط- بلوغ العقل إلى شرعة الله فليبلغ هذا القرآن بمن بلغ و بلغه مبلغ الإهداء ﴿أَإِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ﴾ شهادة رؤية أو فطرية أو عقلية أو علمية أو سمعية ﴿أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى﴾ و لا شهادة إلا ضدها و لذلك ﴿قُلْ لَا أَشْهَدُ﴾ ولى كمال الوحى و العقل و الفطرة، بل ﴿قُلْ﴾ بشهادتك التوحيدية أنفسية و آفاقية ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَ إِنِّى بَرِئٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ به فى كل دركات الإشراف فعدم شهادة الرسول بالإشراك شهادة على عدمه فضلا عن أنه "بَرِئٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ".

٢٠ / ٦

٢٠- ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ "يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ" ﴿يَعْرِفُونَهُ﴾: هذا القرآن و رسوله ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ آبْنَاءَهُمْ﴾ فكما أنهم منهم فهم يعرفونهم منهم، كذلك القرآن و نبيه فإنه منهم كتابا ربانيا، ببشارات و بربانية آياته، و لكن ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ تجاهلا عن بصائرهم ﴿فَهُمْ﴾ الذين ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ به، بل و يفترون على الله غيره أو أنه غير الوحى.

٢١ / ٦

٢١- ﴿وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ على علمه بفريته ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ فى الأولى و الأخرى.

٢٢ / ٦

٢٢- ﴿وَ يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ هو يوم الجمع ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ بالله ما لم ينزل به سلطانا ﴿أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ فإنهم بين صالحين ملائكة أو نبين ف "إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ" و هم ينكرون شركهم، و طالحين هم معهم أولاء مشتركون فى النار و بسى القرار، مهما تغيبوا عن ألوهتهم المدعاة.

٢٣ / ٦

٢٣- ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتَهُمْ﴾ خلاف الحق ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ بهم إذ وجدوا باطل زعمهم.

٢٤ / ٦

٢٤- ﴿انْظُرْ﴾ يا ناظرا إلى الحق المرام ﴿كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ كما ﴿وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ من زعم الإشراك، وإنما يؤذن لهم في ذلك اليوم العسيب بالكذب فضحا لهم على رءوس الأشهاد.

٢٥ / ٦

٢٥- ﴿وَمِنْهُمْ﴾ أولئك الكاذبين المشركين ﴿مَنْ يَسْتَمِعْ إِلَيْكَ﴾ وحيك هزاء أو تكذيبا و خوضا في آيات الله ﴿وَلَكِنْ جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ عن ﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾: "فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ" ﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ أن يسمعوا إنسانيا متفقهها، فالنتيجة ﴿وَأِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ﴾ ربانية ﴿لَا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾ ولكنَّ و الوقر ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ﴾ بعد ذلك الاستماع ﴿يَجَادِلُونَكَ﴾ في الحق بعد إذ جاءهم، و منها ﴿يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ منهم ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ من أصحاب الأباطيل، دون برهان على قالتهم إلا قوله "أساطير".

٢٦ / ٦

٢٦- ﴿وَهُمْ﴾ أولاء الأنكاد ﴿يَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ مخافة الذكرى لمن يستمع، كما ﴿وَيَنَاقُونَ عَنْهُ﴾ بأنفسهم نأى الاستماع الصالح ﴿وَأِنْ يَهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ﴾ مضاعفا ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ و من هؤلاء، المتسترون بقداسة علم الوحي حيث هم يناون عنه و ينهون عنه و ما يشعرون أن الوحي لم ينزل إلا للهدى نفسيا و غيريا، مهما عاشوا في الحوزات العلمية!.

٢٧ / ٦

٢٧- ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ﴾ في الأخرى كما وقفوا عليها في الأولى ﴿فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ﴾ إلى الدنيا ﴿وَلَا نُكَذَّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا﴾ و لات حين مناص و قد فات يوم خلاص ﴿وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بالله كسائر المؤمنين.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ١٣١

٢٨ / ٦

٢٨- ليس كما يتمنون ﴿بَلْ بَدَأَ لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ﴾ من نفاقهم منافقين، و من سائر كفرهم إخفاء عن مؤمنين، أو تخيلا لخفاء ما كانوا يعملون إذ تهدر و لم يبق، رغم "إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ" و ثالث ثلوثهم أنهم لو بقوا في الحياة لظلوا كافرين ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ في "يا لَيْتَنَا نُرَدُّ و لَا نُكَذَّبَ" فهم- إذا- خالدون فيما كانوا من كفرهم "جزاء وفاقا" و لا يظلمون نقيرا.

٢٩ / ٦

٢٩- ﴿وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ كأن حياة الإيمان ممات، و "الدنيا" هي أدنى حياة عقلية و هي لهم دانية ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ بعد الدنيا لحياة الحساب.

٣٠ / ٦

٣٠- ﴿وَلَوْ تَرَىٰ﴾ تمنيا له (ص) واقعا يوم الأخرى، معلوما له في الأولى ﴿إِذْ وَقَفُوا عَلَى رَبِّهِمْ﴾ الذي رباهم بفطر و عقول تدل على ربوبيته ﴿قَالَ﴾ الله حينئذ ﴿أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ﴾ الذي سبق نبأه ببراهينه ﴿قَالُوا بَلَىٰ وَ﴾ قسما بـ ﴿رَبَّنَا﴾ حلفا بربوبيته الدالة على ذلك الحق ﴿قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ الموعود ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ بذلك الحق "جزاء وفاقا".

٣١ / ٦

٣١- ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾ لقاء معرفيا هنا و لقاء الجزاء الحساب هناك، خسروا ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ﴾ برزخا ثم قيامة ﴿بَغْتَةً﴾ دون إخبار و إمهال، ف﴿قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا﴾ قَصَرْنَا ﴿فِيهَا﴾: الساعة، إذ قصرنا الحياة في هذه الدنيا ﴿وَالْحَالُ أَنَّهُمْ يُحْمَلُونَ﴾ هناك ﴿أَوْزَارُهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾ أقوالا و أفعالا و أحوالا إذ هي ثابتة في سجلات الشهادات الربانية حيث استنسخها الله ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾ وزرا عليهم، و أزرا لآخرين.

٣٢ / ٦

٣٢- ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ الدنية حسب ما يعاملونها ﴿إِلَّا لَعِبٌ وَ لَهْوٌ﴾ في ظاهرها إذ أبصروا إليها كأنها الحياة فقط ﴿وَلَلْآخِرَةُ﴾ الْآخِرَةُ ﴿الْمُنْتَجَةُ﴾ من مزرعة الدنيا لمن أبصر بها ﴿خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ اللعب و اللهو، إلى مرضات الله ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ و تأخذون الحقائق البينة من مأخذها.

٣٣ / ٦

٣٣- ﴿قَدْ نَعْلَمُ﴾ حقا ﴿إِنَّهُ لِيَحْزُنَكَ الَّذِي يَقُولُونَ﴾ من تكذيب لشريعة الله، و لكن لا تحزن لنفسك ﴿فَإِنَّهُمْ﴾ في الحق ﴿لَا يَكْذِبُونَكَ﴾ كمحمد ﴿وَلَكِنَّ﴾ هَؤُلَاءِ ﴿الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ و أنت منها رسولا كسائر الآيات الإلهية.

٣٤ / ٦

٣٤- ثم لست بدعا من الرسل في تكذيبك ﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبْرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا﴾ لا تخاذلا دون حجاج، بل تصبرا على صامد الدعوة المستمرة ﴿وَأُودُوا﴾ بسائر الأذى و مختلف اللظى في سبيل الله ﴿حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا﴾ غلبا على المكذبين، بحججهم البالغة و تدميرهم يوم الدنيا و عذابا في الآخرة "وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ وَ إِنَّا جُنْدُنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ" ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ كما في نصره أنبياء الله و المؤمنين بالله شرط تصبرهم على أذاهم و صمودهم في دعوهم ﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَّبِيِّ الْمُرْسَلِينَ﴾ بعضا هاما فيه النبهة و الطمأنة، نبأ فيه إنباء لمن ألقى السمع و هو شهيد، أو هو حجة على المكذبين.

٣٥ / ٦

٣٥- ﴿وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾ عن الله و حق لك ذلك الحزن، و لكن ليس لك من الأمر شيء، إذ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴿فَإِنْ اسْتَطَعْتَ﴾ كرسول ﴿أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ﴾ أرضية أو سماوية كما يقترحون، فافعل و لكن ﴿إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ تكوينيا تسييرا ﴿لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهَدْيِ﴾ التي يشاؤها منهم تشريعيا ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ بأمر الله أن ليس لك جمعهم على الهدى، و لا عليك، و لا أن الله يشاؤه، و لا تحزن كأن الله ينصر بكفرهم.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ١٣٢

٣٦ / ٦

٣٦- ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ﴾ لله برسالاته ﴿الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ الحق إنسانيا بفطرة و عقلية سليمة ﴿وَهُمْ﴾ ﴿الْمَوْتَى﴾ ككل إنسانيا ﴿يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾ يوم البعث، مهما لم ينبعثوا هنا بالذكريات ﴿ثُمَّ﴾ بعد بعثهم ﴿إِلَيْهِ يَرْجَعُونَ﴾ حسابا و جزاء وفاقا.

٣٧ / ٦

٣٧- ﴿وَقَالُوا﴾ هؤلاء الموتى: الكفار ﴿لَوْ لَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ كما أنزلت على رسل الله من قبل: ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ﴾ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ" أم و آيات مقترحة جاهلة ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَنْزِلَ آيَةً﴾ كما يريدون ﴿وَلَا تَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُونَ﴾

لَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿﴾ أنه قادر رغم أنه أنزل كل آيات الرسالات، فأية القرآن هي أم الآيات الخالدة لأُم الرسالات، فما ينتظر بعدها، وهذه مستمرة خالدة و تلك فانية.

٣٨ /٦

٣٨- ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ﴾ تدب عليها أو في ماءها ﴿وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ في السماء أو الأرض، و قد تشمل "دابة" في ذلك الاستغراق كل ذى نفس حتى الملائكة ﴿إِلَّا أُمُّهُ﴾ مترابطة ﴿أَمْثَالُكُمْ﴾ في الأممية ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ﴾ تكويننا و لا تشريعا ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ صالح في الحكمة العالية ﴿ثُمَّ﴾ بعد موتهم ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ ربوبية الحساب و الجزاء ﴿يَحْشُرُونَ﴾ و يجمعون، فكما للإنسان و شبهه حساب و جزاء قدر عقليته، كذلك لكل دابة حسب شعوره، مهما اختلفت أُماد الحساب و الجزاء و أبادهما.

٣٩ /٦

٣٩- ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ هم ﴿صُومُ﴾ إذ لا يسمعونها إنسانيا ﴿وَبُكْمُ﴾ إذ لا ينطقون بها فهم ﴿فِي الظُّلُمَاتِ﴾ تلقيا و إلقاء لآيات الله هنا و في الأخرى ﴿مَنْ يَشَأِ اللَّهُ﴾ أن يضلّه بما ضلّ ﴿يُضِلُّهُ﴾ ﴿وَمَنْ يَشَأِ﴾ هداه بما يشاؤها ﴿يَجْعَلُهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ بين السبل "وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ" (١٥٣:٦).

٤٠ /٦

٤٠- ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ أنتم المكذبين بآيات الله ﴿إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ﴾ في الأولى أو البرزخ ﴿أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ﴾ القيامة ﴿غَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ﴾ لكشف الضر عنكم كما تدعون هنا مشركين ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أن لكم شركاء تدعونهم؟ و هم كلهم مخلوقون، ما جعل الله لهم من سلطان.

٤١ /٦

٤١- ﴿بَلْ إِيَّاهُ﴾ فقط ﴿تَدْعُونَ﴾ رجوعا إلى فطرة و عقلية و شرعة سليمة ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ﴾ و صح كشفه ﴿وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾ و هنا "إِنْ شَاءَ" تحليق لمشيئته أنه لو كان هناك كشف لم يكن إلا منه تعالى، ثم هنا كشف أحيانا إبتلاء لأنه دون التكليف، و لذلك ل "إِنْ" هنا دور دائر.

٤٢ /٦

٤٢- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ بولاية عزم و سواها: "وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا" (١٦:٣٦) ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَ الضَّرَاءِ﴾ أحوالا و أموالا إبتلاء ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ إلى الله إيقاظا للفطرة و العقلية المحجوبة بطوع الهوى، كحجة أخيرة على الماكرين المكذبين.

٤٣ /٦

٤٣- ﴿فَلَوْ لَا إِذْ جَاءَهُمْ﴾ أولاء المكذبين ﴿بَأْسُنَا﴾ "لو لا" ﴿تَضَرَّعُوا﴾ و هو طبيعة الحال فيمن تأخذه البأساء حتى يكشف ما يدعون، و لا كاشف إلا هو، فليس أن الفطرة لا تستيقظ في هذه الأخيرة ﴿وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ بما زاغوا فصمدت على النكران ﴿وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ كأنها خير: "قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ هُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا" (١٠٣:١٨).

٤٤ /٦

٤٤- ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا دُكِّرُوا بِهِ﴾ تناسيا معمدا عن حجة أخيرة ﴿فَتَحْنَاهُمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يحسبونه نعمة و هم يبدلونها نعمة و نعمة، بلاء شر "ظلمات بعضها فوق بعض" ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا﴾ كأنهم أوتوها بجدارة ﴿أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ حائرون منقطعوا الرجاء عن كل خير.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ١٣٣

٤٥ / ٦

٤٥- ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ قطعاً فى النشأت كلها، يوم الدنيا إذ لا يبقى ملك على ظلم، و قطعاً يوم المهدي (ع) عن بكرتهم، و قطعاً يوم البرزخ و الأخرى عن كل خير "إنه لا يفلح الظالمون" مهما طالت أماده و أعماده ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ على كل حال.

٤٦ / ٦

٤٦- ﴿قُلْ﴾ لهؤلاء الظالمين ﴿أَرَأَيْتُمْ إِن أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَ أَبْصَارَكُمْ﴾ إنسانيا إذ لا تسمعون و لا تبصرون على سمعكم و أبصاركم ﴿وَ خَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾ "ختم الله على قلوبهم و على سمعهم و على أبصارهم غشاوة و لهم عذاب عظيم" (٢: ٧) و كما تعلمون أن الفتح و الختم هما بيد الله لا سواه، إذا ﴿مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ﴾ يغيره فى الالهوية، غالبا عليه حتى ﴿يَأْتِيَكُمْ بِهِ﴾: ما ختم ﴿انْظُرْ كَيْفَ نَصَرَفُ الْآيَاتِ﴾ الربانية بكافة الأشكال حيث يأتيكم الله بكل صنوفها لمختلف الصنوف و الظروف ﴿ثُمَّ﴾ بعد ذلك كله ﴿هُمْ يَصْدِفُونَ﴾ عن الحق المدلول عليه بها.

٤٧ / ٦

٤٧- ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِن أَنَا كُنتُمُ اللَّهُ بَغْتَةً﴾ دون تحضر له مطلقا ﴿أَوْ جَهْرَةً﴾ إخبارا به مطلقا، ف ﴿هَلْ يَهْلِكُ﴾ به ﴿إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ﴾ حيث الهلاك يخصهم دون من لا يظلم مهما كان كافرا لا يكذب بآيات الله و رسالاته، أو كان معذبا بعد الموت.

٤٨ / ٦

٤٨- ﴿وَ مَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ﴾ لآى أمر ﴿إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾ بوعد الله ﴿وَ مُنذِرِينَ﴾ عن وعيد الله، فليس لهم إلا هذان، دون ولاية تكوينية أو تشريعية، اللهم إلا شرعية فى التبشير و الإنذار ﴿فَمَنْ أَمَنَ﴾ بالله ﴿وَ أَصْلَحَ﴾ ما بينه و بين الله ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ لما يأتى ﴿وَ لَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على ما مضى.

٤٩ / ٦

٤٩- ﴿وَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ ظلما بحق الحق كله ﴿يَمَسُّهُمْ الْعَذَابُ﴾ المعد لهم فى مثلث النشأت بمختلف مسه حسب نشأته ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ عن الإيمان بالله و صالح الأعمال "و لا يظلمون نقيرا"، و مس العذاب يعم دركاته حسب دركات تكذيبهم.

٥٠ / ٦

٥٠- ﴿قُلْ﴾ لهؤلاء المكذبين بآيات الله ﴿لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾ لا أصلا و لا تخويلا ﴿وَ لَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ المختص بالله أبدا اللهم إلا غيب الوحي الرسالى، قضية صالح الرسالة المعصومة ﴿وَ لَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾ لا أكل و لا أنكح و لا ... بل و أنا فوق كل ملك ﴿إِنِ اتَّبَعَ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ﴾ دون إتباع لعقليتى العالية فضلا عن غيرى ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ﴾ عن وحي الله ﴿وَ الْبَصِيرُ﴾ فى وحيه، كما الأعمى و البصير فى كل بصر أو بصيرة أ فلا تتفكرون فيما تقولون أو تعتقدون أو تفعلون.

٥١- ﴿وَ أَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ﴾ حيث يؤثر فيهم إنذارك، و أما غير الخائفين فلا يؤثر فيهم مهما وجب إنذارهم، حيث الرسالة ليست إلا "عذراً أو نذراً" ﴿لَيْسَ لَهُمْ﴾ هؤلاء الخائفين حشرهم ﴿مِنْ دُونِهِ﴾: الله، ﴿وَلَى﴾ يلي أمرهم في أمرهم ﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾ يشفع لهم، رغم زعمهم "هؤلاء شفعوا عند الله" أنذرهم به ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الله، فإنها لهم ظرف ظريف حيث يخافون الآخرة.

٥٢- ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ في صلاة و سواها، تطلبها من أغنياء أغنياء أن أطردهم حتى يؤمن هؤلاء "وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ" (٢٩: ١١) "وَلَا تَطْرُدِ.." و هم ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ مهما أخطأوا قاصرين، أو خطأهم هؤلاء المكذوبون، إذ ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ "إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ" (١١٣: ٢٦) ﴿فَتَطْرُدْهُمْ فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ "وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ" (١١٤: ١٦) .. أَنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ * (٢٩: ١١).

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ١٣٤

٥٣- ﴿وَ كَذَلِكَ﴾ الذي ترون ﴿فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ مباحضة الافتتان ﴿لِيَقُولُوا﴾ هؤلاء الظالمون ﴿أَ هَؤُلَاءِ﴾ الفقراء المظلومون ﴿مَنْ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ برحماته ﴿مِنْ بَيْنِنَا﴾ و نحن أحق بها، و رحمت الله خاصة بالشاكركين مهما كانوا فقراء ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ﴾ من غيره ﴿بِالشَّاكِرِينَ﴾ مهما كانوا فقراء، فلا يمن الله على غير الشاكركين، كما هو أعلم بهم من غيرهم.

٥٤- ﴿وَ إِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا﴾ حيث هم في سبيل الإيمان بها، مؤمنين حالياً أو لما يؤمنوا ﴿فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ مما يفرض السلام على من يتبع الهدى مهما كان كافراً ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ الربانية في مواردنا ﴿أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءاً بِجَهَالَةٍ﴾ دون عناد أو تساهل معاند ﴿ثُمَّ تَابَ﴾ إلى الله ﴿مِنْ بَعْدِهِ وَ أَصْلَحَ﴾ ما أفسده قدر المقدور ﴿فَإِنَّهُ غَفُورٌ﴾ سواهم بجهالة، و لا فحسب بل و ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم يثيبهم كأن "يبدل الله سيئاتهم حسنات" و "ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ" في مكية مضيق لا تنافى "مِنْ بَعْدِهِ" هنا، الشامل لبعيد مدنية لاختلاف ظرفى المدنية و المكية، و أن آيتنا قد تخص "الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا" و لما يؤمنوا.

٥٥- ﴿وَ كَذَلِكَ﴾ التصريف الشامل ﴿نُفَصِّلُ﴾ كل ﴿الآيَاتِ﴾ الربانية، ليؤمنوا بالله، لتستبين سبيل المؤمنين ﴿وَ لَتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ﴾ لهم و للمؤمنين، فلا تخفى خافية في هذا البين غرراً أو غروراً.

٥٦- ﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ﴾ بعد نهى الفطرة و العقلية السليمتين، و الآيات الربانية، "نُهَيْتُ" بالوحى الرسولى ﴿أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ مهما تحبون أن أتبع أهواءكم، أخذاً للعصا من الجانبين، و جعل البلد شطرين، عليكم تؤمنون بما تؤمن ﴿قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ﴾ فى عبادة غير الله مهما كانت ذريعة لأن تعبدوا الله، و هى هوى مضلة ﴿فَدَ ضَلَلْتُ إِذَا﴾ و أنا رسول ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ حتى أهدى، و الغاية الصالحة لا تبرر الوسيلة الطالحة: "وَلَوْ اتَّبَعَ أَحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَ الْأَرْضُ وَ مَنْ فِيهِنَّ" (٢٣: ٧١).

٥٧- ﴿قُلْ إِنِّي﴾ مسيطر ﴿عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي﴾ رسوليا و رساليا و بشارة ﴿وَالْحَالِ أَنْكُمْ﴾ كَذَّبْتُمْ بِهِ ﴿بِرَبِّي﴾ المبينة ربوبيته الإرسالية في ﴿مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ﴾ من آية مقترحة عاجلة أو عذاب عاجل، بل الكل عند الله، و لست مأذونا- فضلا عن أصيل- أمام الله ﴿إِنَّ الْحُكْمَ﴾ تكوينا أو تشريعا ﴿إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ بين عباده، و بين حق الحكم و باطله.

٥٨ / ٦

٥٨- ﴿قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ﴾ ذاتية أو مخولة مأذونة ﴿لَقَضَى الْأَمْرَ﴾ رسالة: تبشيرا و إنذارا ﴿بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ إن كنت محققا ما تستعجلون ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾ المستعجلين المتعنتين أمام آيات الله، رسولية و رسالية.

٥٩ / ٦

٥٩- ﴿وَعِنْدَهُ﴾ لا سواه ﴿مَفَاتِحُ﴾ جمع مفتاح: الباب، و هي هنا الخزينة "وَأِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ" (٢١: ١٥) ﴿الْغَيْبِ﴾ كله نسبة إلى غيره، فحسب الأصل ﴿لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ لا ذاتيا و لا تخويليا، إذ إن ما يفتحه ليس ليخوله أحدا كآيات النبوات و الوحي و ما أشبه ﴿وَعَلَّمَ مَا فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ﴾ و هما الكون كله، إذ لا يخرج منهما علما و قدرة، و هذه عبارة ثانية عن اختصاص علم الغيب به ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ﴾ كيفما و أينما كانت ﴿إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾ كما و هو الذي يسقطها ﴿وَلَا حَبَّةٌ﴾ معدنية نباتية حيوانية إنسانية و ما أشبه ﴿فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ﴾ المغيبة ﴿وَلَا رَطْبٌ وَ لَا يَابِسٌ﴾ و هما الكون كله تكوينا و تشريعا قضاء و تقديرا ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ لأهليه، بعضا، و هو كتاب العلم الرباني، نازلا كما يمكن في القرآن، و غير نازل يختص به تعالى ألوهيا و ربوبيا.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ١٣٥

٦٠ / ٦

٦٠- ﴿وَهُوَ﴾ الله ﴿الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ﴾ أخذا وافييا يناسب المنام فالماخوذ فيه هو الروح الإنسانية ﴿بِاللَّيْلِ وَ﴾ الحال انه ﴿يَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ﴾ عملتم، بجارحة داخلية أو ظاهرية ﴿بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ﴾ رجعا إلى حياة اليقظة، فالنوم- إذا- أخ الموت، في أصل التوفى، و "اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَ الَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَ يَرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" (٣٩: ٤٢) "يَبْعَثُكُمْ فِيهِ" ﴿لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ عند الله المقرر لكل نفس محتوما أو معلقا ﴿ثُمَّ﴾ بعد التوفى الثاني و هو الموت يقظة و مناما ﴿إِلَيْهِ﴾ لا سواه ﴿مَرْجِعُكُمْ﴾ "كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ" ﴿ثُمَّ﴾ لوقت الحساب ﴿يَنْبِئُكُمْ﴾ أقوالا و أفعالا و أحوالا ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ككل، باطنا و ظاهرا.

٦١ / ٦

٦١- ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ﴾ قيومية علما و قدرة ﴿فَوْقَ﴾ مكانة لا مكانا ﴿عِبَادِهِ﴾ و "إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا" (١٩: ٩٣) و لكن العبودية تعم الكائنات كلها "إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبَحُ بِحَمْدِهِ وَ لَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ" (١٧: ٤٤) ﴿وَيَرْسِلُ عَلَيْكُمْ﴾: العباد قوأت و ملائكة ﴿حَفَظَةً﴾ عليكم من نوازل لستم لتحفظون أنفسكم عنها "لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ" صادرين "من أمر الله" دون استقلال، بل كأسباب مسيرة مصيرة و ذلك الإرسال حفظا عن بواعث الموت و ما أشبه ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ﴾ فابتعدت الحفظة و ﴿تَوَفَّاهُ﴾ توفى الموت ﴿رُسُلَنَا﴾ الأعوان لملك الموت ﴿وَهُمْ لَا يَفْرَطُونَ﴾ تفريطا، ألا يتوفوا بعضا، و إنما هم مؤمرون يعملون ما يؤمرون.

٦٢ / ٦

٦٢- ﴿ثُمَّ﴾ بعد فصل البرزخ ﴿رُدُّوْا﴾ بكماله ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ و هو ﴿مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ﴾ كلا، دون سواء ﴿أَلَا﴾ نبهة ﴿لَهُ الْحُكْمُ﴾ تكويناً و تشريعاً لا لسواء ﴿وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾.

٦٣ / ٦

٦٣- ﴿قُلْ مَنْ يَنْجِيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ ليلاً، و من ظلمات أو ظلام ليل نهار ﴿تَدْعُوْنَهُ﴾ بتيقض الفطرة ﴿تَضَرَّعاً﴾ ظاهراً إليه ﴿وَوَخْفِيَّةً﴾ من الظلمات، غير ظاهرة قائلين ﴿لَئِنْ أَتَجَنَّبْنَا مِنْ هَذِهِ الظُّلُمَاتِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ الموحدين عقيدياً و عملياً.

٦٤ / ٦

٦٤- ﴿قُلِ اللَّهُ يَنْجِيكُمْ مِنْهَا﴾ حين تنجون دون أسباب ظاهرة ﴿وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ﴾ لا منجى عنها بأسباب ظاهرة و دونها ﴿ثُمَّ﴾ حين ينجيكم منها ﴿أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ به و هذه حجة دونما إختيار كآخر الدواء.

٦٥ / ٦

٦٥- ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِنْ فَوْقِكُمْ﴾ إليها أو بشريا ياذنه ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ كذلك ﴿أَوْ يُلْسِكُمْ﴾ شيعاً عذاباً داخلياً تختلفون فيما بينكم فتتجاربون ﴿وَيَذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾: تباءسا ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ نَصَرَفُ الْآيَاتِ﴾ بمختلف صروفها، آيات بينات لقوم يعقلون ﴿لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ الحق المرام من هذه الآيات.

٦٦ / ٦

٦٦- ﴿وَكَذَّبَ بِهِ﴾: القرآن ﴿قَوْمُكَ﴾ و هم أقرب إليك حيث يعرفونك بالصدق قبله، و أقرب إليه نزولاً و لغة ﴿وَالْحَالِ أَنَّهُ﴾ هو الحق المطلق لا حول عنه حتى القيامة الكبرى ففيه كافة البينات، الصادقة الصادعة، ﴿قُلْ﴾ لمن يتقول أن كيف لا تحملهم على ذلك الحق ﴿لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ رباني و لا هو تعالى يحملكم على الحق.

٦٧ / ٦

٦٧- ﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ﴾ رباني ﴿مُسْتَقَرٌّ﴾ في النشأت الثلاث ﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ مستقراتها.

٦٨ / ٦

٦٨- ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ غير الحق تكذيباً و تشكيكاً ﴿فَاعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ لا تقعد معهم إلا نهياً أو تنج عنهم ﴿حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ دون إضلال مهما لم يكن في هدى ﴿وَأِمَّا يَنْسِئَكَ الشَّيْطَانُ﴾ و لن ينسه هو(ص) ﴿فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ حيث القعود معهم ظلم لأنه مسامرة مع الظالمين:

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ١٣٦

"وَقَدْ نَزَلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يَكْفُرُ بِهَا وَيَسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ" (٤: ١٤٠) مما يبرهن على أن "رأيت لا تقعد .." هي من باب "إياك أعنى و اسمعى يا جاره" و أن القعود المحذور معهم هو قعود النفاق إظهاراً للوفاق.

٦٩ / ٦

٦٩- ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ ذلك الخوض ﴿مِنْ حِسَابِهِمْ﴾ أولاء الخائضين ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ إذ ليسوا إذا منافقين، و لا من حسابهم أنفسهم من شيء حين لا يقعدون بعد الذكرى معهم، حيث "إِنْ تَجَنَّبُوا كِبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نَكْفُرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ" فمن تكون حياته حياة التقوى لا يحاسب بما يتفلت منه من قعود مع الظالمين و ليس هو منهم و لكن ذكرى لهم ألا يقعدوا معهم

بعدئذ كيلا يتأثروا بهم أو يؤيدوهم في خوضهم لعلهم يتقون ذلك الخوض و تأييده و مسيرته، ﴿وَلَكِنْ ذَكِّرْ﴾ "للخائضين من واجبهم" ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ "و بصورة عامة" و ما على الَّذِينَ يَتَّقُونَ كَأَصْل في حياتهم حساب جاسم، بل شفاعة و مغفرة.

٧٠ / ٦

٧٠- ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ طَاعَتَهُمْ وَ دِينَهُمْ لِعِبَادِ كَالْأَطْفَالِ﴾ ﴿وَلَهُوَ﴾ إعراضا عن الحق بمتاع الحياة الدنيا ﴿وَوَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ بما انغروا بها ﴿وَذَكَّرَ بِهِ﴾: القرآن، عن ﴿أَنْ تُبْسَلَ﴾: تحرم و تقطع ﴿نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ﴾ فالذكريات الربانية مانعة عن كل بسل ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ﴾ يلى أمرهم ﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾ يشفع لهم ﴿وَأِنْ تَعَدَّلْ كُلُّ عَدْلٍ﴾ و فداء ﴿لَا يُوْخَذُ مِنْهَا﴾ و قد فات يوم خلاص و لات حين مناص ﴿أُولَئِكَ﴾ الأنكاد هم ﴿الَّذِينَ أُبْسِلُوا﴾ قطعا عن الحق ﴿بِمَا كَسَبُوا﴾ ف ﴿لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ﴾ يوم الجحيم كما شربوا حميم الكفر هنا ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ بكل صنوفه ﴿بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ بآيات الله.

٧١ / ٦

٧١- ﴿قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ خلقه ﴿مَا لَا يَنْفَعُنَا﴾ دعوة الطمع ﴿وَلَا يَضُرُّنَا﴾ دعوة الخوف ﴿وَنُرْدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا﴾ ارتجاعا جاهليا إلى الإشرار بالله تقليدا أعمى ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ فطرية و عقلية و رسولية و رسالية بآياته البينات ﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ هَوَا وَ هَوَى الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ﴾ هنا ﴿حَيْرَانَ﴾ بذلك الاستهواء و ﴿لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى﴾ ببيناتها و براهينها قائلين ﴿أَتَيْنَا﴾ تركا للاستهواء ﴿قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى﴾ الحق، لا الأهواء الهاوية الخاوية ﴿وَأْمُرْنَا﴾ فطريا و عقليا و شرعيا ﴿لِنُسَلِّمَ﴾ أنفسنا و غيرنا عن كافة الضلالات ﴿لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

٧٢ / ٦

٧٢- ﴿وَقَائِلِينَ أَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ لله، التي هي صلات بينكم و بين الله ﴿وَأَتَّقُوهُ﴾ لا سواء ﴿وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ﴾ لا إلى سواء ﴿تُحْشَرُونَ﴾ تجمعون حياتا أخرى فحسابا و جزاء وفاقا.

٧٣ / ٦

٧٣- ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ خلقا بالحق لا باطلا، و بالحكمة الحققة و النشأت الحققة، دونما لغو و فوضى جزاف ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ﴾ للكائنات المهدومة الميته ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾ تكوينا ثانيا رجعا إلى مثل الكون الأول، و بالنسبة لخصوص المكلفين رجعا لأرواحهم إلى أمثالهم في أجسادهم الأصلية التي عاشوها زمن التكليف ﴿قَوْلُهُ﴾ هنا و هناك ﴿الْحَقُّ﴾ كله، لا فقط "حق" ﴿وَلَهُ الْمُلْكُ﴾ كله و لا سيما ﴿يَوْمَ يَنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ الناقور، نفخة الإماتة ثم الإحياء "وَنَفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نَفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ" (٢٩: ٦٨) ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ وَ هُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ١٣٧

٧٤ / ٦

٧٤- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَرَزَّرَ﴾ و هو برغمه أبا في التربية منذ ولادة حيث فقد والده تارخ، أو جده من أمه، و لم يأت "أَرَزَّرَ" إلا هذه المرة "إلا" والدى "حيث تنقض والديته له" ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا﴾ تصنعونها ﴿إِلَهَةً﴾ و تتركون رب العالمين و قد خلقكم و إياهن ﴿إِنِّي أَرَاكَ وَ قَوْمَكَ﴾ فطريا و عقليا ﴿فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ أنه ضلال.

٧٥ / ٦

٧٥- ﴿وَكَذَلِكَ﴾ العظيم العميم ﴿نُرَى﴾ إراءة معصومة ﴿إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ﴾: حقيقة ملك ﴿السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الكون كله، أنه حادث بحاجة إلى خالق، ليرى الناس ذلك الملكوت ﴿وَلِيَكُونَ﴾ هو نفسه ﴿مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ المعصومين فوق اليقين، المكلف به لكافة المرسل إليهم، فهو- إذا- ملكوت يناسب عصمة ربانية على درجاتها.

٧٦ / ٦

٧٦- و من تلك الإراءة الملكوتية ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ﴾ مظلما ﴿رَأَى كَوْكَبًا﴾ هو الظاهرة الأولى من الكواكب، فعلها الزهرة ﴿قَالَ﴾ أمام أبيه و قومه ﴿هَذَا رَبِّي﴾ على الإنكار و الاستخبار، فقد ندّد بأزر من قبل كما مضى، مجارة في الحجة، إيقاعا للخصم في اللجة، أن كيف كانوا يعبدون الكواكب ﴿فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ﴾ مثله في زعم الربوبية، و إنما الحب الأصل لألوهية غير الآفلين.

٧٧ / ٦

٧٧- ثم خطوة ثانية إلى كوكب أظهر و أعظم: ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي﴾ مجارة ثانية مع عبدة القمر لأنه أكبر، حجة عليهم يجعلهم بأفوله في لجة: ﴿فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي﴾ بأفوله كأفول الكوكب، دليلا على حدوثه ﴿لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ و هذه هداية أفاقية بآيات حدوث الكون بعد الأنفسية، فطرية و عقلية و رسولية.

٧٨ / ٦

٧٨- ثم خطوة الثالثة هي الأخيرة هنا ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ﴾ كما قال من ذى قبل و هنا أظهر ﴿هَذَا رَبِّي﴾ هذا أكبر منها، و الكبر كونا و كيانا هو المطلوب في الألوهة ﴿فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ لا إننى أبرء الآن، بل على طول الخط "إِنِّي بَرِيءٌ".

٧٩ / ٦

٧٩- ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ﴾ منذ عقلت ﴿وَجْهِيَ﴾ بكل وجوهه ﴿لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ و كلتاها آفتان بأحرى من كوكب و قمر و شمس هي أزهرو و أظهر من كل شيء فيهما ﴿حَنِيفًا﴾ معرضا عن سوى الفاطر ﴿وَمَا أَنَا﴾ أبدا و قبل هذا ﴿مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

٨٠ / ٦

٨٠- ﴿وَوَجَّهْتُ قَوْمَهُ﴾ بعد مثلث حجاجه القاطع القامع، فما حجاجهم- إذا- إلا لجاجا لا يحمل أية حجة ﴿قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ﴾ بما أرانى من ملكوت السماوات و الأرض، و لم يهدنى الأوثان و لن ﴿وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ﴾ ربي من أصنام، قضية الحاجة المطلقة، و إنما الخوف من خالقها ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا﴾ أخافه فهو أيضا يذنه ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ فقدره و قيومية، فكيف أخاف غيره فأشركه به ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ فطريا و عقليا بتوحيد الحق و حق التوحيد.

٨١ / ٦

٨١- و مما شاتا في الإشراك ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ﴾ دون ربي ﴿وَلَا تَخَافُونَ﴾ أنتم ﴿أَنْتُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ﴾ ألوهيات مدعات ﴿مَا لَمْ يَنْزَلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا﴾ في أى حقل من حقول البراهين ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ﴾ من الخوف ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ حق الأمن و سبب الخوف، فهل يأمن من يخالف فيما أشرك كافة البراهين، ثم يخاف المؤمن بالله على ضوء كافة البراهين.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ١٣٨

٨٢ / ٦

٨٢- ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بِاللَّهِ ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ بحق الحق و أظلمه الإشراك بالله "وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ" (١٢: ١٠٦) ﴿أُولَئِكَ﴾ الأكارم ﴿لَهُمُ الْأَمْنُ﴾ كله حيث لهم الإيمان كله، مهما كان درجات، كما الإشراك درجات ﴿وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ إلى حق التوحيد.

٨٣ / ٦

٨٣- ﴿وَتِلْكَ﴾ العميقة الأنيقة ﴿حُجَّتُنَا﴾ الربانية الرسولية ﴿آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾ إِذْ ﴿تَرْفَعُ دَرَجَاتٍ﴾ فى الإيقان ﴿مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ﴾ يا محمد (ص) ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما يؤتیه ﴿عَلِيمٌ﴾ أين يضعه، كم و كيف.

٨٤ / ٦

٨٤- ﴿وَهُوَ﴾ من هباتنا الرسولية، المستمرة بها رسالته التوحيدية، أنه ﴿وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ﴾ عرضا لموكب رسولى إسرائيلى و هو أكبره حجما و أكثره عددا، و لذلك يتأخر إسماعيل و محمد (ص) ﴿وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ و هو قبل الكل و أهم من غير إبراهيم فهو مما يدل على عدم ترتيب فى المكانة إلا بعضا ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَ سُلَيْمَانَ وَ أَيُّوبَ وَ يُونُسَ وَ مُوسَى وَ هَارُونَ وَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ فى رسالاتهم.

٨٥ / ٦

٨٥- ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَ عِيسَى وَ إِبْرَاهِيمَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ فى رسالاتهم، و كون "عيسى" من ذرية نوح دون أب دليل عدم اشتراطه فيها.

٨٦ / ٦

٨٦- ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَ يُونُسَ وَ لُوطًا وَ كَلًّا﴾ من هؤلاء و هؤلاء ﴿فَضَّلْنَا﴾ هم ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ كلا على الكل إلا من لم يذكر من المرسلين، إذ لم تذكر إلا ثمانية عشر من ستة و عشرين رسولا.

٨٧ / ٦

٨٧- ﴿وَمِنْ آبَائِهِمْ﴾ أولاء بعضا ﴿وَمِنْ﴾ من ﴿ذُرِّيَّاتِهِمْ وَ إِخْوَانِهِمْ وَ اجْتَبَيْنَاهُمْ﴾ على غيرهم ﴿وَ هَدَيْنَاهُمْ﴾ عصمة ربانية رسولية ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ فلا يخطئون فيما أرسلوا به، إذ لا عوج له.

٨٨ / ٦

٨٨- ﴿ذَلِكَ﴾ العظيم ﴿هُدًى لِلَّهِ﴾ الرسولية ﴿يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ قدر اللازم فى الدعوة الرسولية ﴿وَهُوَ﴾ هم على محتدهم الرسولى ﴿لَوْ﴾ مستحيلا ﴿أَشْرَكُوا﴾ بالله ﴿لَحَبِطَ عَنْهُمْ﴾ كل ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ على صراطهم المستقيم، فضلا عن سواهم، فالإشراك و ما أشبهه من خطأ، هو من الصالحين أخطأ من غيرهم، إذ يرجى منهم ما لا يرجى من غيرهم.

٨٩ / ٦

٨٩- ﴿أُولَئِكَ﴾ الرسل، المذكورين و سواهم، و محمد (ص) هو رأس الزاوية منهم ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ و حيا للدعوة الرسولية بولاية عزم و سواها ﴿وَ الْحُكْمَ﴾ بين الناس بما أراهم الله ﴿وَ النَّبُوَّةَ﴾: رفعة فى الرسالة، فإنهم نبوة بين المرسلين ﴿فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا﴾ كتابا و حكما و نبوة ﴿هَؤُلَاءِ﴾ المكذبون ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا﴾ إيمانا ﴿قَوْمًا لَيْسُوا بِكَافِرِينَ﴾ كجموع من المهاجرين و الأنصار و من الفرس، فلا موقع لأية قومية أو عنصرية أممية فى أصل الإيمان.

٩٠ / ٦

٩٠- ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ إلى الصراط المستقيم رسوليا و رساليا فى مختلف درجاتهم و حقولهما ﴿فَبَهْدَاهُمُ أَقْتَدَهُ﴾ فى ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ فالرسالات هى سلسلة واحدة موصولة فى جناحى الوحي و عدم سؤال

الأجر، مهما اختلفت درجاتهم: "قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَاٍ مِنَ الرُّسُلِ .." فهو (ص) معهم مهما كان إمامهم حيث الخط واحد و الاقتداء بهم اقتداء بالله، و هو كالإيمان بالله درجات أعلاها له (ص).

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ١٣٩

٩١ / ٦

٩١- ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ و منه المقتضى رسالة البشر إلى البشر وحيًا ﴿إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ مهما أنزل على ملك و لكنه لم يصلنا ﴿قُلْ﴾ لهؤلاء الناكرين و منهم اليهود ﴿مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ﴾ البشر ﴿نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَارِيسَ﴾ و قد كانت ألواحاً نزلت عليه (ع) و أنتم نقلتموها إلى قراطيس كما تشاءون ﴿تَبْدُونَهَا﴾ قراطيس كأنها التوراة كلها ﴿وَ﴾ الحال أنكم ﴿تُخَفُّونَ كَثِيرًا﴾ منها، لفظياً أولياً فيه أو معنوياً ﴿وَ﴾ الحال أنكم ﴿عَلِمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾ من التوراة ﴿أَنْتُمْ وَ لَا آبَاؤُكُمْ﴾ الذين تتابعون خطيئتهم الخاطئة ﴿قُلِ اللَّهُ﴾ لا سواه، هو الرب الموحى إلى رسله ﴿ثُمَّ ذَرَهُمْ فِي خَوْضِهِمْ﴾ فى آيات الله ﴿يَلْعَبُونَ﴾ كالأطفال، ويكأنهم لا يعقلون، أجل "قُلِ اللَّهُ" ثم "ذَرَهُمْ" فى خَوْضِهِمْ "يَلْعَبُونَ" قواعد أربع فى الحيوية الإيمانية، تلو بعض البعض.

٩٢ / ٦

٩٢- ﴿وَ هَذَا﴾ القرآن ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾ فيه بركات الوحي كلها ﴿مُصَدِّقٌ لِّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الوحي كله، فإنه يستقبلها دون استدبار، حيث الكل وحى الله متضامنة ﴿وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ﴾ مكة المكرمة و هى منطق الوحي و رأس الزاوية فى دعوته، و "القرى" هى كافة المكلفين فى العالم كله من السماوات و الأرضين، فـ ﴿وَ مِنْ حَوْلِهَا﴾ هم كافة القرى دونما استثناء ﴿وَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ هم و لا بد ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ فإن الإيمان بها يطلب الإيمان بخالص الوحي، و ليس هكذا سائر كتب الوحي، و من أهم النتائج العملية لذلك الإيمان ﴿وَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ فإنها صلات و وقودات النور بينهم و بين الله، فإنها عمود الدين و عماد اليقين، فلا مظهر للإيمان بالله و اليوم الآخر أظهر من الصلاة المحافظ عليها

٩٣ / ٦

٩٣- ﴿وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ افتراء على وحى القرآن أو غيره أنه كذب ﴿أَوْ قَالَ أُوْحِىَ إِلَيَّ وَ لَمْ يُوْحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ كافتراء على محمد (ص) أنه لم يوح إليه بشيء، و كذلك المتحدى: ﴿وَ مَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ مساواة و مساماتا لله، ثالثاً سالوساً نحساً كما قاله مشركون: "لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ" (٣١: ٨) ﴿وَ لَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ أَعْمَاقٍ مَّظْلَمَةٍ لِّلْمَوْتِ وَ﴾ الحال أن ﴿الْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ﴾ لقبض أرواحهم قائلين لهم ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ المخلدة إلى أرض أبدانكم و الحياة الدنيا ككل، إلى البرزخ ﴿الْيَوْمَ﴾ بعد موتكم ﴿تَجْزُونَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ كما أهنتهم الله و أهل الله ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ افتراء عليه ﴿وَ كُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ﴾ استدلالاً بها فاعتباراً ﴿تَسْتَكْبِرُونَ﴾ معاندين، استصغاراً لها فإعراضاً عنها.

٩٤ / ٦

٩٤- ﴿وَ﴾ هنا يقال لهم ﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا﴾ فى نشأة الجزاء ﴿فُرَادَى﴾ فرداً عربان و أجرد غلبان ﴿كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ و هذا ثانياً مرة ﴿وَ تَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ دون أن تقدموا بها لأنفسكم نفيساً إلا نحيساً ﴿وَ مَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ﴾ الله، إذ ليسوا هنا بشفعاء ﴿لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ بعد الصلة المزعومة ﴿وَ ضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ من شركاء و شفعاء: "وَ ضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ" (٢٨: ٧٥) "ضَلَّ" عن كونها آلهة" وَ ضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ" (٤١: ٤٨).

٩٥- ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى﴾ معدنيا و نباتيا و حيوانيا و إنسانيا و ما أشبه من خلق، و بذلك الفلق ﴿يَخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ على طول خط الحياة و الموت، و كما يخرج الروح من الجسم فينفخه فيه: "ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ" ﴿وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾ دائما و كما هو مشاهد، و هذان يعلمان الحياة الجسمية و الروحية ﴿ذَلِكُمْ﴾ العظيم ﴿اللَّهُ﴾ الواحد الخالق ﴿فَأَنى تُوَفَّقُونَ﴾ تجرّون إلى إفك و كذب.

٩٦- ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ و هو من جملة فلقه حيث يفلق ظهور النور عن الظلام ﴿وَجَعَلَ اللَّيْلَ﴾ المفلوق منه الإصباح ﴿سَكَنًا﴾ فإن سكنه أفضل و أسكن من سكن النهار ﴿وَجَعَلَ﴾ الشمس و القمر حُسبانًا ﴿سنويا و شهريا﴾ ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ﴾ الغالب على أمره ﴿الْعَلِيمِ﴾ فى أمره.

٩٧- ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ﴾ و مما لكم إضافة إلى سائر الفوائد لغيركم: ﴿لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ اهتداء إلى مقاصدكم سفرا و حضرا ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ﴾ الدالات على ربانيته الوحيدة ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ دون القصر الذين ليسوا ليعلموا، بل الذين عليهم أن يعلموا مجهولات، مهما لم يعلموا مقصرين متجاهلين، أفلا يجعل لكم - بعد - نجوم الهداية نفسيا.

٩٨- ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ﴾ جميعا ﴿مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ آدم "وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا" (٤: ١) مما يدل على أن ليس فى ذلك الإنشاء مدخل لغير الإنسان ﴿فَ﴾ منكم ﴿مستقر و﴾ منكم ﴿مُتَوَدِّعٌ﴾ زمانا و مكانا و مكانة و أجلا مسمى و معلقا ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾ و الفقه هو التوصل بمعلوم إلى مجهول، و هو فى القصور و التقصير كـ "يعلمون" فالذين لا يعلمون و لا يفقهون قصورا لا تفيدهم الآيات، ثم و تقصيرا لا يستفيدون منها، و إنما التفصيل المؤثر "لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ" و "يَفْقَهُونَ".

٩٩- ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ "يَقْدِرُ فَاسْكَنَاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لِقَادِرُونَ" (٣٣: ١٨) فهو نصيب أرضنا من ماء السماء على طول خط الحياة الأرضية ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ نابت به، و منه ﴿فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا﴾ نباتا مطلقا ﴿نُخْرِجُ مِنْهُ﴾ النبات ﴿حَبًّا مُتَرَاكِبًا﴾ منظما منصدا يركب بعضها بعضا نسجا منظوما ﴿وَجَعَلَ﴾ منه ﴿مِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ﴾ أول طالع كعناقيد الأعناب ﴿دَانِيَةً﴾ بعضها إلى بعض، و الكل مع أوراقها و سوقها ﴿وَجَنَاتٍ﴾ أشجار تجن و تستر الأرض عن الشمس، كما تجن بعضها بعضا ﴿مِنَ الْأَعْنَابِ وَالزَّيْتُونِ وَالرَّمَّانِ مُشْتَبِهًا﴾ بعضها ببعض ﴿وَعَبَّيرَ مُتَشَابِهٍ﴾ انظروا إلى ثمره ﴿ما أَخْرَجْنَا هُنَا وَ هُنَاكَ﴾ إذا اثمر و ﴿إِلَى﴾ ينبعه ﴿نَضْجِهِ﴾ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ﴾ ربانية ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ بالله.

١٠٠- ﴿وَجَعَلُوا﴾ هؤلاء المشركون ﴿لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ﴾ يشاركونه فى ربوبيته ﴿وَجَعَلُوا﴾ الحال أنه ﴿خَلَقَهُمْ﴾ فكيف أشركهم بنفسه و لا حاجة له إليهم، ثم ﴿وَحَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَ بَنَاتٍ﴾ إذ ﴿جَعَلُوا بَيْنَهُ وَ بَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا﴾ (١٥٨: ٣٧) ولاديا ذكورا و إناثا ﴿بَغَيْرِ عِلْمٍ﴾ و هو الجهل القاحل المقصر إذ يغير العلم فى كل حقوله ﴿سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ﴾ من شركاء مطلقا، و لا سيما من الولائد الربانية، و كما "جَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا" (١٥: ٤٣) و جزء من معناها أنهم من أجزاءه.

١٠١- ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ خلقا أوليا دون سابقة و مثال ﴿أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ﴾ و هو لمن يحتاج إلى ولد، ثم ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً﴾ مهما أمكن الولد من أنثى- دون صاحب كمریم (ع) خرقا للعادة- حكمة ربانية، و لكن الولد من ذكر دون صاحبة محال فى الحكمة ثم ﴿وَوَلَدَ كُلُّ شَيْءٍ﴾ تحسبونه ولدا له سواء، فلا يحتاج إلى ولادة و لو أمكنت دون صاحبتة ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ فعلى كل شىء- إذا- قدير، فأين الحاجة إلى ولد و لو أمكن.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ١٤١

١٠٢/٦

١٠٢- ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ﴾ العظيم العليم فى ربوبيته هو ﴿رَبُّكُمْ﴾ لا سواه ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ ألوهية فى كافة لوازمها و منها المعبودية ﴿إِلَّا هُوَ﴾ فإنه ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ ما صدق أنه شىء روحا و جسما، إذا ﴿فَاعْبُدُوهُ﴾ لا سواه ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ خَلِيقٌ﴾ و﴿كَوَيْلٌ﴾ فلا وكيل له على شىء لأن التوكيل ضعف فى علم أو قوة.

١٠٣/٦

١٠٣- ﴿لَا تُدْرِكُهُ﴾ وصولا إليه و إحاطة عليه ﴿الْأَبْصَارُ﴾ من خلقه، و هى كافة الإدراكات الظاهرية و النفسية بصورة مطلقة، و إلا لم تكن من ميزاته الإلهية ﴿وَهُوَ يَدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ بمبصراتها لأنه خالق كل مدرك و مدرك ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ﴾ ذاتيا عن الإبصار، و صفاتيا و أفعاليا عن معرفة حقائقها، و لا سيما الصفات الذاتية ﴿الْخَبِيرُ﴾ بكل حالة لكل شىء.

١٠٤/٦

١٠٤- ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بِصَافِرٍ﴾ تبصركم ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ قضية ربوبيته الحكيمة ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ﴾ بها و بصرته، ﴿فَلِنَفْسِهِ وَ مَنْ عَمِيَ﴾ عنها حيث أبصر إليها فأعمته ﴿فَعَلَيْهَا وَ مَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ من عماكم، و عن عذابه الموجه إليكم، و لا حفيظ عن ضلالكم حين لا تريدون هدى حيث تتعمدون العمى.

١٠٥/٦

١٠٥- ﴿وَكَذَلِكَ﴾ الواسع الفاسح الناصح ﴿نُصِرَفُ﴾ جميع ﴿الْآيَاتِ﴾ الربانية، فذرهم ليقولوا: "أساطير الأولين اكتتبها" أو هى من عقليته البشرية أو .. ﴿وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ﴾ إياها من أهل الكتاب، و أين وحى سائر كتب الوحى و القرآن، و إن لم يكن فيها دخیل "نُصِرَفُ" ﴿وَلِنَبِيْنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ بالفعل أو بامكانهم أن يعلموا الحق من هذه الآيات.

١٠٦/٦

١٠٦- فأعرض عنهم و ﴿اتَّبِعْ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ بتربية قمة عليا، لا مثيل لها، دون إتباع لسواه حتى عقليتك المحمدية بعصمة بشرية، ثم و ربانية دون وحى، ف ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ يوحى إليك ﴿وَاعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ لا دعوة، و إنما اتباعا انغارا بغرورهم فاتباعا لهم بغية أن يتبعوك.

١٠٧/٦

١٠٧- ﴿وَلَوْ﴾ مستحيلا فى الحكمة الابتلائية ﴿شَاءَ اللَّهُ﴾ تكوينية تسييرية ﴿مَا أَشْرَكُوا﴾ فلم يشأ تسييرا لإشراكهم و لا تركه، و إنما شاء تشريعا و هديا بآيات أفاقية و أنفسية ﴿وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ على فطرهم و عقولهم ف "ما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ" (٣: ١٤٤) لا حفيظا عليهم عن كفرهم و مخلفاته ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ فى الحفاظ عليهم و إنما هو الوكيل لا سواه.

١٠٨/٦

١٠٨- ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ حيث البرهان هو السنة السنية لمن يدعون إلى الله، اللهم إلا تبكيتنا لألوهة ما دون الله ببرهان و هو ليس سباً، وإلا لكانت الدعوة الربانية ببراهينها سباباً، سلباً لآلهة وإثباتاً لله، ثم ﴿فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدَاءً سُرْعَا﴾ بغير علم ﴿فَسَبَّهِمْ عَابِدِينَ وَمَعْبُودِينَ ظَلَمَاتٍ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ﴾ كذلك المتفاوتات المتهافتات ﴿زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ خيرة أو شريعة ﴿عَمَلُهُمْ﴾ جزاء بما كانوا يعملون ﴿ثُمَّ﴾ بعد موتهم ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ دون سواه ﴿مَرْجِعُهُمْ﴾ كما هو مبدؤهم ﴿فَيَنْبِئُهُمْ﴾ علماً و جزاء ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ مهما نبأهم هنا "وَجَدُّوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا".

١٠٩ / ٦

١٠٩- ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ﴾ حيث يصدقونه مشركين كإله الآلهة ﴿جَهْدَ﴾ غاية ﴿أَيْمَانِهِمْ﴾ بالله أو سواه كما يصدقون ﴿لَنْ﴾ جاءتهم آية ﴿رَبَّانِيَّةٌ عَلَىٰ هَذِهِ الرَّسَالَةِ﴾ ليؤمنن بها ﴿وَقَدْ جَاءَتْهُمْ آيَاتٌ مِنْ قَبْلِ وَ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَا﴾ ثم إذا أرادوا آيات كما سلف لسالفة الرسالات ف﴿قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ﴾ علماً و تطبيقاً ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ ف"ما عندي ما تستعجلون به" ما عندي آية رسولية لا أصلية و لا تخويلية، ف"إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ" ﴿وَمَا يَشْعُرُكُمْ أَنَّهُ﴾ كما يريدونها ﴿إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بها كما لم يؤمنوا بسائر الآيات الرسولية من قبل، و لا آية القرآن التي هي قمتها و آخرتها.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ١٤٢

١١٠ / ٦

١١٠- ﴿وَقَلْبٌ أَفْئِدَتُهُمْ وَ أَبْصَارُهُمْ﴾ عن إنسانيتها ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ﴾ ما جاءت من الآيات ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ "جَزَاءً وَفَاءً" فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ﴿وَوَدَّعَاهُمْ﴾ هملاً دون تأييد ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ غارقين ﴿يَعْمَهُونَ﴾ حائرين.

١١١ / ٦

١١١- ثم إن أتتهم متطلباتهم من مقترحات الآيات لا يؤمنون ﴿وَلَوْ أَنَّا﴾ مستحيلاً في الحكمة ﴿نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ﴾ رسلاً أو مصدقين لرسلنا، ثم ﴿وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى﴾ كما يقترحون أن يخبروهم عن حياة الحساب، أو ﴿وَحْشَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ شهوداً حاضرة بالغة ﴿كُلَّ شَيْءٍ قُبْلًا﴾ تواجههم ﴿مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ إيمانهم، و لا يشاء إلا إذا شاءوه، أو يحملهم على إيمان و ليس به ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ هذه الحقيقة، و أقلهم: "وَجَدُّوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا".

١١٢ / ٦

١١٢- ﴿وَكَذَلِكَ﴾ البعيد المدى ﴿جَعَلْنَا﴾ تكويناً ﴿لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ هم ﴿شِيَاطِينُ الْإِنْسِ وَ الْجِنِّ﴾ يعادونهم حيث ﴿يُوحَى﴾ يرمز ﴿بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ إنس إلى جن أو جن إلى إنس أو كل إلى مثله ﴿زُخْرُفُ الْقَوْلِ﴾ الباطل المزين بحق ﴿غُرُورًا﴾ يغر بعضهم بعضاً و يغر الآخرين عليهم يبطلوا دعوات النبيين ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ﴾ - و لن - تكويناً و تسييراً ﴿مَا فَعَلُوهُ﴾ ف"وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ" (٢١: ١٢) ﴿فَذَرَهُمْ﴾ "فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ" ﴿وَمَا يَقْتُرُونَ﴾ على النبوات، إذ لا يضرون الله شيئاً و لا رسلاً و إنما هو ابتلاء لمن ينغر بغرورهم، ليستحكم إيمان المؤمنين إذ لا يصغون إلى وحيهم.

١١٣ / ٦

١١٣- ﴿وَلِتَصْنَعِيَ إِلَيْهِ أَفْئِدَةً﴾ قلوب متفردة بنار الضلالة لـ ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَ لِيرْضَوْهُ﴾ كأنه حق ﴿وَلِيَقْتَرِفُوا﴾ يعملوا ﴿مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾ من ضلالات، بما ضلوا من قبل و أضلوا كثيراً.

١١٤ / ٦

١١٤- قل لهؤلاء الأنكاد ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ ابْتِغَىٰ حَكَمًا﴾ بين المحق والمبطل ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ﴾ مرسلا إليهم ﴿الْكِتَابَ﴾: القرآن ﴿مُفَصَّلًا﴾ فيه تفصيل كل شيء، فهو الحكم الحق بين الحق والباطل ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ من قبل ﴿يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ كله، تعرفوا بالكتاب الوحي، وأن القرآن هو أعلاه المهيمن عليه ﴿فَلَا تَكُونُوا﴾ أنت رسولا و لن، و المرسل إليهم يشاهد الحق ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الشاكنين المحترمين.

١١٥ / ٦

١١٥- ﴿وَ﴾ هنا بالقرآن ﴿تَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ حيث ربك بأعلى قمم التربية، مشمولة لكلمته الأخيرة ﴿صِدْقًا﴾ لا كذب فيه ﴿وَعَدْلًا﴾ لا ظلم فيه، فكل كلمة سواه كذب و ظلم، وهذه من آيات الخاتمية، إذ تمت كلماته الربانية، الصالحة لهدى المكلفين إلى يوم الدين، فما ذا بعد التمام إلا كذب، ثم و ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ خلقيا بنسخ أو تحريف، و لا إلهيا، لأنه لا يبدل بها شرعة أخرى قضية خاتمتها ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ قالت المصدقين و المكذبين ﴿الْعَلِيمُ﴾ بحالاتهم و مصالحهم.

١١٦ / ٦

١١٦- ﴿وَإِنْ تُطِيعُوا أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ﴾ بغية أن يطيعوك ﴿يَضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وهذه ضابطة الأكثرية، و إن كان في إتباع الأقلية أيضا ضلال ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ دون الوحي الرباني، فكل ما سوى الوحي ظن و باطل، ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ يبطلون، فقد قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ (٥١: ١٠).

١١٧ / ٦

١١٧- ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ﴾ لا سواه ﴿أَعْلَمُ﴾ و سواه لا يعلم ﴿مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ﴾ لا سواه ﴿أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ القابلين الهدى، مهما كانوا في ضلال حائر غير عامد أو عاند.

١١٨ / ٦

١١٨- ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ من الأنعام ذبحا أو نحرا أو صيدا، مهما كان ذاكره غير مسلم ما هو يعترف بالله ﴿إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ و اسم الله هو من أعظم آياته، و أمره بذلك الأكل هو آية حلّه، و قد كان المشركون يعافون عن أكل ما ذكر اسم الله عليه بتخيل الاحترام، ثم و هذه ضابطة عامة لحل الأكل مما ذكر اسم الله عليه، فمن يتجنب عن أكله، مهما كان ذاكره غير مسلم، و لكنه يعترف بالله، و شروط الذبح الأخرى حاصلة، فقد ترك أمر الله و عودا بالله.

١١٩ / ٦

١١٩- ﴿وَ مَا لَكُمْ﴾ ما داءكم و ما دواءكم ﴿إِلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ و أنتم تأكلون ما ذكر اسم غير الله عليه أو لم يذكر عليه أى اسم ﴿وَ﴾ الحال أنه ﴿قَدْ فَصَّلَ لَكُمْ﴾ فى القرآن دون إبقاء ﴿مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ﴾ اللهم ﴿إِلَّا مَا اضْطَرَرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ دون إختيار لمكان مجهولية الفعل ﴿وَإِنْ كَثِيرًا لَّيْضُلُونَ﴾ الناس ﴿بَاهْوَائِهِمْ﴾ الطائشة مهما كانت أهواء عقلية فضلا عن الشيطانية ﴿بَغَيْرِ عِلْمٍ﴾ من كتاب أو أثارة من علم ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ﴾ لا سواه ﴿أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾ على الحق ممن سواه، مهما تظاهروا بالحق، فالأكل قدر الضرورة، باضطرار دون إختيار، مسموح مفروض، حفاظا على الأهم، و هو باختيار محرم، باضطرار إختياري، و واجب حفاظا على الأهم، فى اضطرار دون إختيار.

١٢٠ / ٦

١٢٠- ﴿وَ دَرُّوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَ بَاطِنَهُ﴾ و الإثم هو ما يبطئ عن الواجب، ظاهرا بين الناس أو خفيا، أو ظاهرا يرى أو باطنا خفيا لا يرى، فالإثم أيا كان مرفوض فى شرعة الله ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ﴾ ظاهرا أو باطنا ﴿سَيَجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾ إثما و بمخلفاته.

١٢١- ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرِ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ عمداً، سواء أذكر عليه اسم غير الله أو لم يذكر عليه اسم الله بوحده، أن يشرك به في ذكر اسمه، أم ذبح دون أى ذكر حقا أو باطلا ﴿وَإِنَّهُ﴾ عدم ذكر اسم الله، و الأكل منه ﴿لَفِسْقٌ﴾ خروج عن طوق العبودية ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ﴾ حيث يلون ضلالهم ﴿لِيَجَادِلُوكُمْ﴾ فى الله ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴾ فى ذلك الوحي ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ بالله حيث أطمعتموهم فى ذلك الإشرار، حقيقيا أو لفظيا أن يذكر مع من سواه.

١٢٢- ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا﴾ فى عقيدته و عمله ﴿فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ بهدينا ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشَى بِهِ فِي النَّاسِ﴾ حيث يميز الحق عن الباطل بنور الوحي ﴿كَمَنْ مِثْلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ﴾ منفصلا عن نور الوحي فـ ﴿لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾ أن لا يقبل إلى نور الوحي و لا يقبله ﴿كَذَلِكَ زَيْنٌ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ "وَزَيْنٌ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَ كَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ" (٢٩: ٣٨) كما و "إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيْنًا لَهُمْ أَعْمَالُهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ" (٣٧: ٤).

١٢٣- ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا﴾ تكويننا ﴿فِي كُلِّ قَرْيَةٍ﴾ مجتمع ﴿أَكَابِرَ﴾ دولة و دولة ﴿مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا﴾ كرهوس المكر بلاء لهم و ابتلاء لغيرهم بما هم أهلون له ﴿وَ مَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ فإن الله لا يمكر و كذلك المؤمنون به حقا، إلا الذين فى قلوبهم مرض فمكرهم - إذا- راجع إليهم فيما يؤثر أو لا يؤثر ﴿وَ مَا يَشْعُرُونَ﴾ تقصيرا و تجاهلا ظنا، فهل إنهم يضررون الله و أهل الله.

١٢٤- ﴿وَ إِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ﴾ كالقرآن و هو أعظم الآيات الربانية ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾ السابقون من آيات مبصرة ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ بآيته المناسبة لها، و لا تناسب هذه الرسالة الخالدة إلا آية خالدة ﴿سَيَصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ قطفوا ثمارا قبل إيناعها، و دخلوا أبوابا من ظهورها ﴿صَغَارُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ حيث استصغروا كبار آيات الله ﴿وَ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾ فالآية الربانية هى دالة بنفسها، أفلا تدل إذا كانت أكبر مما قبلها و أدوم، و لو أن هذه الرسالة الخالدة كانت مع آية غير خالدة، لكانت باطلة بفناء آيتها، فتراهم كيف لا يقبلون نور الشمس بديلة عن أدنى منها كسائر الأنجم!

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ١٤٤

١٢٥- ﴿فَمَنْ يَرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ﴾ و هو الذى يريد الهدى بمطلباتها ﴿يُشْرَحْ﴾ فتحا و توفيقا بتقبل ﴿صَدْرَهُ﴾ صدر روحه ﴿لِلْإِسْلَامِ﴾ لله، حيث يزيده هدى "وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَ آتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ" (٤٧: ١٧) ﴿وَ مَنْ يَرِدْ أَنْ يَضِلَّهُ﴾: فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴿يَجْعَلُ صَدْرَهُ ضِيقًا حَرَجًا﴾ لا يبقى فيه منفذ هدى ﴿كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ﴾ متحرجا تعبانا ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ حيث لا يتنفس فيه إذ ضاق صدره عن النفس و ضاقت السماء عن المتنفس، مما يدل على أن لا منفس خارج الفضاء الأرضية، و كما أثبتته العلم قدره ﴿كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرَّجْسَ﴾ و الضلال بما ضل ﴿عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ و هم غرقى فى آيات الإيمان.

١٢٦- ﴿وَ هَذَا صِرَاطٌ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا﴾ لا عوج له، صراطه فى ربوبيته فاعلية، و صراطه المقرر لمن يمشى عليه مربوبية ﴿قَدْ فَصَّلْنَا﴾ كل ﴿الْآيَاتِ﴾ تصريفا شاملا كاملا ﴿لِقَوْمٍ يَذْكُرُونَ﴾ بها، حيث يبصرون بها فيبصرهم، دون أن يبصروا إليها فيعميهم.

١٢٧- ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ فى الأولى خليطا، و فى الأخرى خليصا، عندية ربانية لا حول عنها ﴿وَهُوَ وَلِيَهُمْ﴾ يلى أمرهم فى دار سلامه لا سواه ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من صالحات دون فوضى جزاف.

١٢٨ / ٦

١٢٨- ﴿وَيَوْمَ يُخْشَرُهُمْ جَمِيعًا﴾ جميعا إنسا و جنا و سائر المكلفين قائلين لهم ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ﴾ الضالين ﴿قَدْ اسْتَكْرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾ الذين استكثروا فى إضلالهم ﴿وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ متعة الحياة الدنيا دون هدى ﴿وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا﴾ من الحياة الدنيا محتوما أو معلقا ﴿الَّذِى أَجَلْتُمْ لَنَا﴾ منهما ﴿قَالَ﴾ الله ﴿النَّارُ مَثْوَاكُمْ﴾ يوم القيامة كما كانت يوم الدنيا باستمتاعكم ﴿خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ حيث الخلود فيها مقدر قدر العصيان و غايته خمود النار بخمود من فى النار ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ بما يفعل بكم "جزاء وفاقا" ﴿عَلِيمٌ﴾ بما فعلتم و تستحقون.

١٢٩ / ٦

١٢٩- ﴿وَكَذَلِكَ نُؤَلِّى بَعْضَ الظَّالِمِينَ﴾ جنا و إنسا ﴿بَعْضًا﴾ يوم القيامة تولية العذاب ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ يوم التكليف.

١٣٠ / ٦

١٣٠- و نقول لهم جميعا ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾ كلاً منكم ﴿رَسُولٌ مِنْكُمْ﴾ مما تدل على الرسالة الجنية إلى الجن و الإنسية إلى الإنس، مهما كانت الإنسية أصلا، ثم الجنية متفرعة على الرسالة الإنسية، فرسل الجن - إذا - خلفاءهم فى بلاغها إلى ذوى جنسهم، كما و هى منقطعة بالرسالة الأخيرة إلى خلفاء من الجن لمحمد (ص) دون أن يوحى إليهم: "قُلْ أُوْحِىَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا" (١: ٧٢) و ذلك قضية واجب المساخنة بين الرسل و المرسل إليهم ﴿يَقْضُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي﴾ آفاقية و أنفسية، رسولية و رسالية ﴿وَيَنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا﴾ و الحال أنهم هنا ﴿غَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ أو و شهدوا بذلك الغرور هناك ﴿وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ شهادة باختيار من أنفسهم، و شهادات أخرى من أعضاءهم و سائر الشهود مطلقا، فهم - إذا - غريقون فى خضم الشهادات أعضاء و أجواء و ملائكة و معصومين آخرين.

١٣١ / ٦

١٣١- ﴿ذَلِكَ﴾ ب ﴿أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ﴾ هاتك فاتك، من المضللين و المضللين ﴿وَالْحَالُ أَنْ أَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾ عن ذكريات ربانية، أهلا كما هنا بظلم، و آخر هناك بما ظلموا "و لا يظلمون فتيلًا".

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ١٤٥

١٣٢ / ٦

١٣٢- ﴿وَلِكُلٍّ﴾ من الصالحين و الطالحين ﴿دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا﴾ استحقاقا فقط بأعمالهم دون آمالهم اللهم إلا للصالحين، فإنها لهم "عطاء غير مجذوذ" من رحمة الله، و للطالحين "جزاء وفاقا" ف "هَلْ تَجْزُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ" ثم الأعمال تتبع الإيمان و النية ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ عقيدا و عمليا: أ فَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَ مَاوَاهُ جَهَنَّمَ وَ يَبْسُ الْمَصِيرُ. هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَ اللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ" (١٦٣: ٣).

١٣٣ / ٦

١٣٣- ﴿وَرَبُّكَ الْغَنَى﴾ كل الغنى ﴿ذُو الرَّحْمَةِ﴾ كل رحمة "وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ" ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ على ظلمكم ﴿وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ﴾ كما استخلفكم كلكم بعد الأنسال الإنسانية المتخلفة قبل آدم و ﴿كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾ و هم الناجون مع نوح فى فلكه المشحون.

١٣٤ / ٦

١٣٤- ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ﴾ من العذاب ﴿لَآتٍ﴾ هنا بعضا و فى الأخرى كلا ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ إياى فى عصيانكم إذ لا تضررونى، و لا فى بقاءكم إذ قد يستخلف غيركم، و لا عذابكم ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾ و الدنيا هى دار بلاء و الآخرة دار جزاء.

١٣٥ / ٦

١٣٥- ﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَاتِكُمْ﴾: و إمكانيتكم، تخلفا عن شرعة الله، و هذا أمر هو أنهى من النهى تحديا أو تألفا بشرعة الله تشجيعا فـ "كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ" (٨٤: ١٧) ﴿إِنِّى عَامِلٌ﴾ على مكاتى فى الله و لله، و فيما توعدون وعدا من ربى دعاء و استدعاء ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ أنى هكذا عامل، و أنه ﴿مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ﴾ هذه ﴿الدَّارِ﴾ صالحة أو طالحة، و العاقبة هى الحياة العاقبة لهذه المزيجة الظالمة فى مثلث عاقبة زمن المهدي (ع) و البرزخ و القيامة ﴿إِنَّهُ لَا يَفْلَحُ الظَّالِمُونَ﴾ فى أية عاقبة أو حاضرة.

١٣٦ / ٦

١٣٦- ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ﴾ ه الله ﴿مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا﴾ و لشركائهم نصيب و الكل لله ﴿فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَ هَذَا لِشُرَكَائِنَا﴾ تخيلا و تخيلا، إذ لا شريك له فيما ذرأ، ثم ﴿فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ﴾ بل هو فقط لشركائهم قربانا و سواه ﴿وَمَا كَانَ لِلَّهِ﴾ فلا يصل إلى الله بل ﴿فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ فى إشراكهم الموحد لألوهية غير الله "و تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى" (٥٣: ٢٢) "أَنْ جَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا" (٤٣: ١٥) قليلا، جعلوا جاهلا قاحلا، إذ جعلوا قليلا أيضا لشركائهم "إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ" (٤٣: ١٥) كفرا بالله فى عبوديته و طاعته و جعل نصيب له، و هم معترفون به، و مقترفون رحماته.

١٣٧ / ٦

١٣٧- ﴿وَكَذَلِكَ﴾ البعيد عن الحق ﴿زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ﴾ قربانا لهم أو خشية إملاق، ذكورا و إناثا ﴿شُرَكَائِهِمْ﴾ العقلاء إضلالا، و غير العقلاء تخيلا لمرضاتها ﴿لِيُرْدُوهُمْ﴾ إهلاكا جسميا إلى نفسى و فردى إلى جماعى، و دنيوى إلى أخروى ﴿وَلِيَلْبِسُوا﴾ شركاءهم ﴿عَلَيْهِمْ﴾ هؤلاء المشركين ﴿دِينَهُمْ﴾ و طاعتهم العمياء الهباء الخواء: ضلالات يخيّل بها إليهم هدايات ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ مستحيلا فى حكمة الابتلاء ﴿مَا فَعَلُوهُ﴾ تسييرا على تركها ﴿فَذَرَهُمْ﴾ "فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ" (٦: ٩١) ﴿وَمَا يَفْقَرُونَ﴾ فـ "إِنَّمَا تُنذِرُ مَنْ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَ أَجْرٍ كَرِيمٍ" (٣٦: ١١).

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ١٤٦

١٣٨ / ٦

١٣٨- ﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَ حَرْثٌ حِجْرٌ﴾ محجور عليها و "مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَ لَا سَائِبَةٍ وَ لَا وَصِيلَةٍ وَ لَا حَامٍ" (١٠٣: ٥) ﴿لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ﴾ دون الكل ﴿بِزَعْمِهِمْ﴾ أنه حكم الله افتراء عليه ﴿وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا﴾ على الركب ﴿وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾ ذبحا أو نحرا أو صيدا ﴿افْتِرَاءٌ عَلَيْهِ﴾ أنه إذا يحرم أكلها حرمة لله ﴿سَيَجْزِيهِمُ﴾ الله ﴿بِمَا كَانُوا يَفْقَرُونَ﴾ على الله، دون "كتاب أو أثارة من علم".

١٣٩ / ٦

١٣٩- ﴿وَقَالُوا﴾ فيما افتروا على الله ﴿مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ﴾ من أجنة ﴿خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَ مُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا﴾: زوجاتنا، تخصيصاً لإحياءها بهم ﴿وَإِنْ يَكُنْ﴾ الجنين ﴿مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ﴾ في هذه التفرقة المفتراة على الله ﴿إِنَّهُ حَكِيمٌ﴾ في حكمه عليهم بصالح الحكم عن طالحه.

١٤٠ / ٦

١٤٠- ﴿قَدْ خَسِرَ﴾ هنا و بعد الموت ﴿الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا﴾ لشركائهم نذراً أو قرباناً ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ رباني، جاهلية عمياء ﴿وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ﴾ كأنه حرّمها ﴿قَدْ ضَلُّوا﴾ عن الحق ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ إلى الحق بسوء اختيارهم في اختبارهم.

١٤١ / ٦

١٤١- ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ﴾ بساتين تجنّ أشجارها الأرض و بعضها بعضاً ﴿مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ﴾ تحليقاً على كافة الجنات ﴿وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ﴾ في جنات و سواها ﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَنًا﴾ كما و كيفاً و طعماً ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَانَ﴾ كأمثل مصاديق النبات في هذه الأربع ﴿مُتَشَابِهًا﴾ بعضها مع بعض ﴿وَالَّذِينَ قَتَلُوا مِنْ ثَمَرِهِ﴾ ثمر المنشأ ككل ﴿إِذَا أَثْمَرَ وَآتَوْا حَقَّهُ﴾ لأهليه ﴿يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ و هو الزكاة الواجبة، أو أيا كان اسمه، فإنه حق واجب ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾ لا في الأكل منه و لا في حقه لأهليه، إفراطاً أو تفريطاً ﴿إِنَّهُ لَا يَحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ بل يبغضهم، و هنا الزيتون و الرمان خصوصاً، و الزرع و الجنات عموماً، هما دليل عمومية الزكاة لكل نابت، دون اختصاص بالتسعة المشهورة، ثم "في أموالهم حق معلوم، للسائل و المحروم" (٧٠: ٢٥) تعمم الزكاة إلى كافة الأموال، و مدنية فرض الزكاة تبطلها مكية زهاء النصف من آياتها الثلاثين، و الروايات معروضة على الآيات، مائة توافقها في شمولية الزكاة، و قليلة تخالفها إذ تختصها بهذه التسعة أن "عفى رسول الله عما سوى ذلك" و كيف يعفوا الرسول حق الفقراء لصالح الأغنياء، تخلفاً عما قرره الله، و كيف تختص الزكاة من التسعة - فقط - للأكثرية الساحقة من فقراء المسلمين، ثم يعم الخمس لأقليتهم من عامة الأموال.

١٤٢ / ٦

١٤٢- ﴿وَالَّذِينَ أَنْشَأُوا مِنَ الْأَنْعَامِ﴾ بعضاً ﴿حَمُولَةً﴾ لأثقالكم ﴿وَفَرَشَاءُ﴾ لركوبكم ﴿كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ ككل، أنعاماً و جنات و زرعاً و سواها ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ﴾ تحصيلاً و مصرفاً، تبذيراً أو إسرافاً ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ عداوته في خطواته التي يخطو بكم إلى دركات.

و من خطوات الشيطان ذلك الاختصاص الامتصاص "قِسْمَةٌ ضِيزَى" لبيت مال المسلمين، بين فريقى الفقراء، رغم عمومية الزكاة كتاباً و سنة على ضوءه، و كذلك عمومية الخمس كما يأتي في آيته لكافة الفقراء، دون اختصاص بذرية الرسول صلى الله عليه و آله.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ١٤٧

١٤٣ / ٦

١٤٣- نخص بالذكر من الأنعام ﴿ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ الأربعة المزدوجة ذكورا أو إناثاً بدل البعض من الكل، و هى أهم الأنعام دون اختصاص، فإنها كافة الحيوان النعمة غير المفترسة كما قدمناه في المائدة ﴿مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَ مِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ الذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ﴾ كما افتروا تحريمها على الله كما سبق ﴿نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ﴾ وحياً من الله ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فى دعواكم.

١٤٤ / ٦

١٤٤- ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ النَّهَارِ اثْنَيْنِ﴾ ذكرين أو اثنين ﴿قُلِ الذَّكْرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْاُنْثَيْنِ أَمْ اسْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْاُنْثَيْنِ﴾ فلا هذا ولا ذاك، أسمعتم وحى الله إليكم أنفسكم ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ﴾ الوحي على نبي ﴿إِذْ وَصَّاهُ اللَّهُ بِهَذَا﴾ بوحيه إلى نبي لكم ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ وهو جهل بغير أى علم، من "كتاب أو أثارة من علم" ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ بل يضلهم كما ضلوا، فكل حكم من غير الله جاهلية و ضلالة، مهما كان من أعقل العقلاء حتى الأنبياء، حيث الحكم شرعيا خاص بالله دون سواه.

١٤٥ / ٦

١٤٥- ﴿قُلِ﴾ للكل ﴿لَا أُجِدُّ﴾ فليس أبدا، قضية مستقبل الفعل، كما يقتضى مضيه لزاما، وإلا كان يجد ما مضى حاليا كما مضى ﴿فِي مَا أَوْحَى إِلَيَّ﴾ طول الرسالة ﴿مُحَرَّمًا﴾ من الأنعام ﴿عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِيتَةً﴾ منها، وهى محلله فى الأصل ﴿أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا﴾ منها دون سائر الدم المتبقى فى الذبيحة أى كان، ف"الدم" فى ثلاث أخرى تشير إلى "مسفوحا" دون ريب، ثم الدماء غير الحيوانية حل كغير المسفوح من الأنعام، ولا يعد من الخبائث كمثلته سواه ﴿أَوْ لَحْمَ خَنزِيرٍ﴾ كأصل، مما يدل على أن الخنزير أيضا من الأنعام ﴿فَإِنَّهُ رَجَسٌ﴾ أصلا و أكلا ﴿أَوْ فَسَقًا﴾ تخلفا عما فرضه الله ﴿أَهْلٍ لِّغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ حيث لم يذكر اسم الله عليه أو ذكر اسم غير الله، أو ذكرا معا، أو لم يذكر عليه أى اسم ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ﴾ دون إختياره قضية مجهولية الفعل ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ يبتغى أكل الحرام بما يضطر نفسه باختيار ﴿وَلَا عَادٍ﴾ عاديا عاصيا فى أكله أكثر من قدر الاضطرار، أو راجعا إلى ما فيه اضطرار دون إختيار ﴿فَإِنْ رَبَّكَ غَفُورٌ﴾ عما أكل ﴿رَحِيمٌ﴾ به فى أكله المضطر غير باغ ولا عاد.

١٤٦ / ٦

١٤٦- ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا﴾ أنفسهم إلى ظاهر الحق، و هادوا عن باطنه تخلفا عن شريعة الله ﴿حَرَمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ﴾ من الأنعام و قد كانت محللة ﴿وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ شَحُومَهُمَا﴾ وهى من ألد أجزاءهما ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾ شحوما غير مرغوبة ﴿أَوْ﴾ حملت ﴿الْحَوَايَا﴾ شحوما جانبية غير مرغوبة ﴿أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ من الشحوم، وهذه الثلاثة هى من أردء الشحوم ﴿ذَلِكَ﴾ التحريم ﴿جَزَيْنَاهُمْ﴾ به ﴿بِغْيِهِمْ﴾ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ فى ذلك التحريم المجازى، فهذه من التحريمات المؤقتة الجزائية و قد رفعت بالشريعة العيسوية "فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَ بَصَدَهُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا" (٤: ١٦٠) ثم من شريعة الإنجيل "وَلِأَحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ" (٣: ٥).

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ١٤٨

١٤٧ / ٦

١٤٧- ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ﴾ فى ذلك التحريم و سواه من تحليل بوحى ﴿فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾: "وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَاكُنْهَا لِلَّذِينَ آمَنُوا وَ كَانُوا يَتَّقُونَ" (٧: ١٥٦) ﴿وَلَا يَرُدُّ بَأْسَهُ﴾ هنا و بعد الموت ﴿عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ و هم القاطعون الثمرات قبل إيناعها، قطعاً للفطرة و العقلية عن متطلباتهما فى شريعة الله، و قطعاً لثمرات الوحي التقاطيا أو فرية و ذلك قدر إجرامهم.

١٤٨ / ٦

١٤٨- ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ بتوحيد الله ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ توحيدنا ﴿مَا أَشْرَكْنَا وَلَا أَبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ﴾ خطأ للمشية التكوينية بالتشريعية، فأشراكنا و أباءنا و تحريمنا كلها بمشية الله، فهم مجبرة- إذا- فى هذه التخلفات، فتوحيدنا- إذا- خلاف مشيئته، و نقد ثان عليهم أن كيف شاء التوحيد من جماعة و شاء ضده من آخرين؟ ﴿كَذَلِكَ﴾ البعيد البعيد ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ و فى التوحيد المؤيد بالفطرة و العقلية التوحيدية و سائر بيناته ﴿حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا﴾ و أخيرا ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ

عَلِمَ ﴿بِمَا تَفْتَرُونَ﴾ ﴿فَتُخْرِجُوهُ لَنَا﴾ "من علم أو أثارة من علم الوحي إذ لا نجد علما بما تقولون إلا أن تخرجوه من غيبه لنا! ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ و هو ما سوى علم الوحي مهما ادعى أنه علم، فهو الظن الخاوي عن أى برهان ﴿وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ و تكذبون: قَتَلَ الْخَرَّاصُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ .." (٥١: ١٠).

١٤٩ / ٦

١٤٩- ﴿قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ﴾ لإثبات الحق ﴿الْبَالِغَةُ﴾ إلى كل متبَلِّغ عنها دون فرار، فلا خفاء لأية حجة ربانية على أحد من المكلفين بها، فليس كفر من يكفر هو لعدم بلوغ حجة الله، وإنما هو الاختيار الاختبار ﴿فَلَوْ شَاءَ﴾ تسييرا ﴿لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ دون إبقاء تسييرا ليس من حكمته، و من بلوغ حجة الله وصوله لمن يتحرى عنها بعلم.

١٥٠ / ٦

١٥٠- ﴿قُلْ هَلَمْ شَهِدَاءُ كُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ﴾ بحق الوحي من الله ﴿أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا﴾ التوحيد إذ لم يشأه بما أشركنا به فلم يصدنا عنه، و ما أشبه من فرية على الله فى أحكام ﴿فَإِنْ شَهِدُوا﴾ فهى شهادة زور و غرور إذ لا تستند إلى علم ﴿فَلَا تَشْهَدُ مَعَهُمْ﴾ بما يشهدون ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾ مهما كانت أهواء عقلية كما يزعمون ﴿وَلَا أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ تحررا عن حساباتها و جزاءاتها ﴿وَلَا الْحَالِ أَنْ﴾ ﴿هُم بِرَبِّهِمْ﴾ الوحيد الذى رباهم ﴿يَعْدِلُونَ﴾ غيره من خلقه "الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَ هُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ" (٦: ١٥٠) "أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا قَوْمٌ يَعْدِلُونَ" (٢٧: ٦٠).

١٥١ / ٦

١٥١- ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ﴾ لا سواه ﴿عَلَيْكُمْ﴾ كرهوس المحرمات التى حللتموها أنتم افتراء على الله ﴿أَلَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ فقد حرم الإشراف به مطلقا ﴿وَالَّذِينَ إِحْسَانًا﴾ فتركه محرم مهما لم يكن إحسانا و لا إساءة، بل و ترك الإحسان إليهما من الإساءة ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ﴾ أبدا كما ﴿مِنْ إِمْلَاقٍ﴾: إفقار بواسطتهم ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَ إِيَاهُمْ﴾ و ما أنتم لهم برازقين كما لستم بخالقين ﴿وَلَا تَقْرَبُوا﴾ المعاصى ﴿الْفَوَاحِشَ﴾ تجاوزا عن حدودها أو إلى غيركم، و أنحسها هما معا، و قربها هو محاولة الوصول إليها بمقدمات أو ترك ما يمنعكم عنها ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ بظاهر الفواحش أم عند آخرين ﴿وَمَا بَطْنُ﴾ بباطنها أم عن آخرين ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا قَتْلًا﴾ ﴿بِالْحَقِّ﴾ الثابت عند الله فإنه - إذا - قتل حق مفروض، و غيره مرفوض ﴿ذَلِكَ﴾ العظيم مما أتلوا عليكم ﴿وَصَاكُم بِهِ﴾ ربكم ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ تقوى و عقالا عن حرية الشهوات إلى حرية العبوديات.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ١٤٩

١٥٢ / ٦

١٥٢- ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ﴾ لا ألا تأكلوه فقط، بل و لا تدنوا ما يقدمكم إلى أكله أو يهونه عليكم ﴿إِلَّا بِ﴾ الطريقة التى هى أحسن من كل الطرق، فعلى أولياء اليتامى أن ينفعوهم بأموالهم كأحسن ما يستطيع، فلا يقتضوا من أموالهم إلا أن يدفعا إليهم أحسن فائدة محللة، و لا أجرة على عمل الولاية إلا ما يستلزم أخذ أجير، إلا إذا كان فقيرا فقدر الضرورة ﴿حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ إيناسا لرشده بعد بلوغه النكاح و هنا يزول يتمه فلا يحرم القرب إلى ماله إلا كما يحرم بالنسبة لأموال سائر البالغين ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَ الْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾ عدلا و زيادة هى بالنسبة لمال اليتيم ﴿لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ فى كافة التكاليف ﴿وَلَا إِذَا قُلْتُمْ قَوْلًا إِخْبَارًا أَوْ إِنْشَاءً أَوْ وَعْدًا﴾ ﴿فَاعْدِلُوا﴾ دون إفراط و لا تفريط ﴿وَلَوْ كَانَتْ﴾ من تقولون له أو عليه ﴿ذَا قُرْبَى وَ بَعِيدٍ﴾ الله عليكم فطرة و عقلية، و شرعة أصلية أو ما عاهدتم الله عليه أو عاهدتم عباد الله كما يرضاها الله ﴿أَوْفُوا﴾ دون نقض و لا

نقص ﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ﴾ ربكم ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ما فى كتاب الفطرة و العقلية السليمة من واجب عبادة الله، المشروحة فى شرعة الله.

١٥٣ / ٦

١٥٣- ﴿وَ أَنْ هَذَا﴾ الذى ﴿وصَّاكُم بِهِ﴾ صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾ إلى مرضاته دون عوج و لا حرج ﴿فَاتَّبِعُوهُ وَ لَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ الأخرى غير " صِرَاطِي " ﴿فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ الخاصة و هى " صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا " ﴿ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ سائر السبل إلى صراط الله.

١٥٤ / ٦

١٥٤- فهذه نوااميس عشرة فى شرايع الله فصلت فى القرآن أكثر من غيره ﴿ثُمَّ﴾ فى درجة ثانية من تفاصيلها ﴿آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا﴾ لتمام حكمه الزمنى المؤقت ﴿عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ﴾ الله من رسالته التوراتية ﴿وَ تَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ نسبة إلى ذلك الوقت المحدد، فأكثر من الشرايع السابقة عليها ﴿وَ هُدًى﴾ للعالمين ﴿وَ رَحْمَةً﴾ لهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَلْقَاءَ رَبَّهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾ هنا فى دور التكليف، و هناك لعالم الحساب و الجزاء لعلهم يتقون.

١٥٥ / ٦

١٥٥- ﴿وَ هَذَا﴾ القرآن ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾: تعم بركاته طول الزمان و عرض المكان، دون اختصاص بوقت خاص، فإنه " عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ " الله لمحمد (ص) و أحسن محمد كما يحق لهذه الشرعة الأخيرة ﴿فَاتَّبِعُوهُ﴾ دونما استثناء ﴿وَ اتَّقُوا﴾ أن تخالفوه إلى كتب سلفت، أو إلى ترك الوحي كله، أو التقاطات أو تشريعات من عندكم ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ على ضوء اتباعكم إياه و قدره، و إلا فأنتم ترجمون.

١٥٦ / ٦

١٥٦- " أنزلناه .. " و عن ﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ﴾ هودا و نصارى ﴿مِنْ قَبْلِنَا وَ إِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ﴾ أيضا كتابهم ﴿لَعَافِلِينَ﴾ صالحة و طالحة، فحتى إن تعرفنا إلى دراستهم فهى محرقة لا تنفعنا حجة.

١٥٧ / ٦

١٥٧- ﴿أَوْ﴾ عن أن ﴿تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أَنْزَلْ عَلَيْنَا الْكِتَابُ﴾ الوحي إن اختص بغير العرب ﴿لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ﴾ " وَ لَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْ لَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَعْجَمِي وَ عَرَبِي .. " (٣٦: ١٩٨) ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ﴾ عظيمة تامة طامة ﴿مِنْ رَبِّكُمْ وَ هُدًى وَ رَحْمَةً﴾ خالدة ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بَايَاتِ اللَّهِ﴾ بينة ﴿وَ صَدَفَ عَنْهَا﴾ صرفا غيرهم: " وَ هُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَ يَنَافُونَ عَنْهُ " (٦: ٢٦) ﴿سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ﴾ " جزاء وفاقا " ﴿بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾ من صدف تكذيبا بها و كتمانا إياها.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ١٥٠

١٥٨ / ٦

١٥٨- ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ انتظار لأمر ﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ رسلا أو مصدقين لرسالة الإنسان ﴿أَوْ يَأْتِي رَبُّكَ﴾ بنفسه فيرونه و يسمعونهم يصدقهم أو يوحى إليهم مواجهة ﴿أَوْ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ عذابا و يستأصلهم دليلا على حق الرسالة، فالنظرة الأولى مهمة إذ " لَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَ لَلْبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ " (٦: ٩) و الثانية مستحيلة، و الثالثة لا تنفع إذ ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا﴾ خوف العذاب ﴿لَمْ تَكُنْ أَمِنَتْ مِنْ قَبْلُ﴾: " فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ... فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَ خَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ " (٨٥: ٤٠) .. إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ .. وَ مَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ " (١٠: ٩٨) ﴿أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا﴾ فالإيمان السابق على العذاب

دون أن يكسب به خير لا ينفع عند رؤية العذاب ﴿قُلِ انتَظِرُوا﴾ ممكنة الآيات مهما لا تنفع عندها إيمان ﴿إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ حتى تأتي في زمنها فتهلكوا.

١٥٩ / ٦

١٥٩- ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾: طاعتهم بين آلهة عدة مهما كان منهم الله، أو اختصوا طاعتهم ببعض الرسالات دون بعض كاليهود والنصارى الذين لم يسلموا ﴿وَكَانُوا شِيعًا﴾ متفرقين أيادي سبا ﴿لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ لأنك رسول كلمة التوحيد ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ﴾ يوم الحساب ﴿ثُمَّ يَنْبِئُهُمْ﴾ خبرة وجزاء ﴿بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾.

١٦٠ / ٦

١٦٠- ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ﴾: حياة إيمانية ﴿فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ "وَلَدِينَا مَزِيدٌ" (٥٠: ٣٥) ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ﴾: حياة لا إيمانية ﴿فَلَا يَجْزِي إِلَّا مِثْلُهَا وَهُمْ لَا يَظْلُمُونَ﴾ ألا يجزوا بالحسنة أو يجزوا بنية السيئة أو زيادة على سيئة إذ لا مماثلة بينهما.

١٦١ / ٦

١٦١- ﴿قُلِ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ هو أفضل صراط بين المقربين، أعني ﴿دِينًا قِيمًا﴾ إما جمع لقيمة أنه يجمع كافة القيم، أو مخفف "قيام" حيث الدين كله قيام، قائما على أساس الفطرة والعقلية السليمة، و قائما بكل حاجيات المكلفين، و قائما إلى يوم الدين لا يعود له و لا عوج ﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ و هي ملة التوحيد مهما كانت لمحمد (ص) أعلاها ﴿حَنِيفًا﴾ معرضا عما ينافي التوحيد ﴿وَمَا كَانَ﴾ و لو لحظة ﴿مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

١٦٢ / ٦

١٦٢- ﴿قُلِ إِن صَّلَاتِي﴾ خاصة ﴿وَنُسُكِي﴾ عباداتي عامة ﴿وَمَحْيَايَ﴾ حياة و زمانها و مكانها و مكاتها ﴿وَوَعْدِي﴾ كذلك ﴿مِمَّا يَلِيهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

١٦٣ / ٦

١٦٣- ﴿لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ أبدا ﴿وَبِذَلِكَ﴾ الإخلاص لله ﴿أُمِرْتُ وَ أَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ كيانا و درجة، لا زمانا إذ عاش قبلي مسلمون كثير.

١٦٤ / ٦

١٦٤- ﴿قُلِ﴾ إذا ﴿أَغْيَرَ اللَّهُ أَبْيَغِي﴾ أطلب ﴿رَبًّا﴾ سواه ﴿وَوَالْحَالُ أَنَّهُ﴾ هو رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ (٢٠: ٥٠) ﴿وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ إنسي أو جنى أو ملكي أم سواهم ﴿إِلَّا عَلَيْهَا﴾ نفسها، خيرا أو شرا ﴿وَوَالْحَالُ أَنَّهُ﴾ لا تَزِرُ ﴿نَفْسٌ﴾ وازرة ﴿حَمَلًا مِنَ الْمَعَاصِي﴾ ووزر ﴿نَفْسٍ﴾ أخرى ﴿كضابطة ثابتة﴾ ثم ﴿بَعْدَ كُلِّ خَيْرٍ أَوْ شَرٍ﴾ إلى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ ﴿حَسَابًا وَ جَزَاءً﴾ كما هو مبدؤكم ﴿فَيَنْبِئُكُمْ﴾ علما و عملا ﴿بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ اختلافا عن الحق أو اختلافا مقصرا في الحق.

١٦٥ / ٦

١٦٥- ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾ يخلف بعضكم بعضا ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ بمساعي و حكم ﴿لِيَلْوَكُمُ فِي مَا آتَاكُمْ﴾ من درجات مطلقا، فحياة التكليف كلها ابتلاء و إمتحان ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ يوم الحساب ﴿وَوَالْحَالُ أَنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ في موضع العفو و الرحمة.

١- ٢- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ من الحروف المقطعة رمزا بين الله و رسوله، برباط شامل للسورة التي تليها ﴿كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ﴾ " قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ " ﴿فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ﴾ لا في أصله فإنه شرح لصدرك: " أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ " بل في الإنذار به ﴿لِتُنذِرَ بِهِ﴾ كافة المكلفين ﴿وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ كل قضايا الفطرة و العقلية السليمة الشاملة لكافة عهود الله، إذا فقد " أَنْزَلَ إِلَيْكَ " للإنذار و الذكرى " فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ " لأنه يواجه الجاهليات بألوانها مما تحرّج تلك الدعوة العالية من الداعية المحمدية صلى الله عليه و آله.

٣- ﴿اتَّبِعُوا﴾ عقيديا و عمليا أيها المكلفون عامة ﴿مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ﴾ بوسيط الوحي المحمدي (ص) ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ ليربيكم به أحسن ما يرام ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ﴾: الله، و كتاب الله ﴿أُولَئِكَ﴾ فكما هو ولى في ألوهيته، كذلك كتابه ولى في شرعته ﴿فَلْيَلْأَمَّا تَذَكَّرُونَ﴾: تذكركم، و ما تذكرونه، عناية إلى مصدرية ما و موصوليته، فقليلًا تذكركم بالقرآن و ما تذكرون به، كما و قليل منكم هكذا.

٤- ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ﴾ مجتمع من المكلفين ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ بما ظلموا، و من إهلاكها ﴿فَجَاءَهَا بَأْسُنَا﴾ بما أردناه ﴿بَيِّنَاتٍ﴾ ليلًا ﴿أَوْ﴾ جاءها و الحال ﴿هُمْ قَاتِلُونَ﴾ نائمون نصف النهار برياحة.

٥- ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ﴾ أمام بَأْسَنَا ﴿إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ أنفسنا بما ظلمنا رسالات الله، و لات حين مناص.

٦- ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ و هم كافة المكلفين " فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ " (٩٣: ١٥) و ذلك سؤال تبيكت أو تقرير ﴿وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ ملائكية و إنسية و جنية، سؤال تقرير و تعزيز: " يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ " (١٠٩: ٥).

٧- ﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ﴾ رسلا و مرسلا إليهم ﴿بِعِلْمٍ﴾ خالص محيط ﴿وَمَا كُنَّا﴾ عما عملوا جميعا ﴿غَائِبِينَ﴾ بل " و نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ " و هو بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ.

٨- ﴿وَالْوِزْنَ﴾ للعقائد و الأعمال ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ هو ﴿الْحَقُّ﴾ لا " حق " بل الحق المطلق و هو الله بشرعته هو الوزن ﴿فَمَنْ تَقَلَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ معرفة و عقيدة و عملا ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ هناك، حيث ينجون عن كافة المهالك، فالحسنات هي ثقل الموازين و السيئات خفتها إذ لا وزن لها.

٩- ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ ككل ﴿فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ ككل ﴿بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا﴾ آفاقية و أنفسية ﴿يُظْلَمُونَ﴾ ثم العوان بينهما في الموازين عوان بينهما " و لا يظلمون نقيراً".

١٠ / ٧

١٠- ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ و "لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَ مَتَاعٌ إِلَى حِينٍ" (٣٦: ٢) ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾ بمختلف صنوفها نفسيا و بدنيا ف" هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً" (٢: ٢٩) ﴿قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ من تمكينه و معاشه، موصولة، و قليلا شكركم ككل موصوفة.

١١ / ٧

١١- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ﴾ بما خلقنا آدم (ع) إذ كنتم ذرية في صلبه: "وَأَيُّ لَهِمَّ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ" (٣٦: ٤٠) من إضافة الشيء إلى نفسه باعتبارين: حملناهم و هم ذرية، كما "إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ" (٦٩: ١١) ﴿ثُمَّ﴾ بعد ذلك الخلق ﴿صَوَّرْنَاكُمْ﴾ صورة إنسانية نفسية بعد الجسدية ﴿ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ سجدة الشكر و المسجود له هو الله، لا احتراماً لآدم فضلا عن عبودية، بل شكرا لنعمة الإنسانية على الملائكة، تعليما من آدم و من فوقه من المحمدين ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ و قد كان مأمورا به بينهم عموما، لأعماله الملائكية كأنه منهم و إلا "كَانَ مِنَ الْجِنَّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ" (١٨: ٥٠) و كذلك خصوصا إذ:

١٢ / ٧

١٢- ﴿قَالَ مَا مَنَّكَ﴾ عن السجدة ﴿إِلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ فقد كان مأمورا و هو من الجن، أمرا خاصا، أو وفي الملائكة ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ لأنك ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ و النار أفضل من الطين قياسا إلى أصله، دون حالته الحاضرة، و لو أن دلالة الأمر على الوجوب مرددة لما التجأ إبليس إلى ذلك القياس الفضيح.

١٣ / ٧

١٣- ﴿قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا﴾: الجنة التي كان فيها أبوانا ﴿فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾ مهما تتكبر في غيرها ﴿فَأَخْرَجُ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ أمامي بما تكبرت على و صغرتنى، إذ نقضت حكمى بقياسك، فلم يكن تركه لذلك السجود سببا لذلك الدحر بل هو تكبره في قياسه كأنه أعلم من رب العالمين، و ذلك كان أمرا تشريعا دون تكوين، و لذلك عصى و لم يخرج حتى أزلهما فيها.

١٤ / ٧

١٤- ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يَبْعُثُونَ﴾ دون إماتة، و لكن "كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ" * ثم "وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ" (٣٩: ٦٨):

١٥ / ٧

١٥- ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ كسائر الشياطين من ذريتك "إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ" * (١٥: ٣٨) و عله يوم قيامة الإماتة قبل البعث، أم قبله يوم المهدي حيث يضعف ساعده و يقل مساعدته.

١٦ / ٧

١٦- ﴿قَالَ فِيمَا أُغْوِيْتَنِي﴾ دحرا و اهباطا إلى الأرض، و إنظارا لتخلفات إبليسية و هى كلها منه لعنه الله لا من الله إلا جزاء وفاقا ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ﴾ بنى آدم ككل، و على هامشهم الجان و أمثالهما ﴿صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ قعودا على شفيرة الصراط بكل الوسائل و الحبال.

١٧ / ٧

١٧- ﴿ثُمَّ﴾ بعد تمرکز ذلك القعود ﴿لَأَتَيْنَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾: إتيانا مربعة الجهات و الوجهاً، فمما بين أيديهم: البرزخ و القيامة إضلالاً عنهما، كما قبلهما من آمال و أعمال و آيات آفاقية و أنفسية هي كلها بين أيديهم فطرة و عقلا و حسا ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ من خالق خلقهم، واحداً أو متعدداً، و من عالم يجعلونه خلفهم من شهوات و أموال و بنين ﴿وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ﴾ تجاوزاً عن فطرتهم و عقولهم و أديانهم ﴿وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾ عن شهواتهم و أمنياتهم، و لعل الفارق بين "عن" فيهما و "من" فيما قبلهما، أن الأخيرين هما في المكلفين أنفسهم عقلا و نفساً، و الأولين هما الخارج عنهما دني و عقبى، و هذه الجهات الأربع تكفى لكامل الإضلال ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ فالأقلية هي الناجحة المفلحة حيث لا تدخل في حبال الشيطان.

١٨ / ٧

١٨- ﴿قَالَ أَخْرِجْ مِنْهَا﴾ أمر ثان تشريعاً و لما يحن تكوينه، فإنه بعد إغواءه آدم و زوجه و هم في تلك الجنة ﴿مَذْمُومًا مَذْحُورًا﴾ و قسماً بى ﴿لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

١٩ / ٧

١٩- ﴿وَايَا آدَمَ اسْكُنْ أَنْتَ وَ زَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ و لما يعصيا ﴿فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ مكاناً و زماناً و أشياء ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ لا ألا تأكلا منها فقط ﴿فَتَكُونَا﴾ إن قربتماها فأكلتما منها ﴿مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ أنفسكم و حكم الله.

٢٠ / ٧

٢٠- ﴿فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ﴾ يظهر ﴿لَهُمَا مَا وَوَرَى﴾ ستر ﴿عَنْهُمَا مِنْ سَوَاتِهِمَا﴾ ظاهرياً في عورتيهما المستورتين بلباس الجنة، و باطنياً في التخلف نفسياً ﴿وَقَالَ﴾ فى وسوستهما ﴿مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا﴾ عن ﴿أَنْ تَكُونَا مَلَائِكَةً﴾ بالأكل منها ﴿أَوْ﴾ عن أن ﴿تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ فقد أتاها عن إيمانها.

٢١ / ٧

٢١- ﴿وَوَقَّاسَهُمَا﴾ بالله ﴿إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ و لما يكونا يسمعان قسماً بالله كذبا.

٢٢ / ٧

٢٢- ﴿فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ﴾ جعلهما دلوين بحبل الغرور كالأرشية فى هذه الطوى البعيدة ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوَاتُهُمَا﴾ الظاهرتين إذ نزع الله عنهما لباسهما به ﴿وَوَطَّقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ ستر لِعوراتهما الظاهرتين، و لكن كيف يستتران الباطنة إلا باستغفار كما استغفرا ﴿وَوَدَّاهُمَا رَبَّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ﴾ التى نهيتكما عنها ﴿وَوَلَمْ أَلَمْ أَقُلْ﴾ لكم إن الشيطان لكم عدو مبين ﴿كَمَا أَبَانَ عِدَاوَتَهُ فِي تَرْكِ السُّجْدَةِ﴾ و هنا أبان فى اختلاق حكمة خلاف حكم الله و حكمته.

٢٣ / ٧

٢٣- ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا﴾ إبداء لعورة نفسية أن عصيانك ﴿وَلَا إِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَ تَرْحَمْنَا﴾ إعادة لنا إلى الحالة الأولى ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ أنفسنا، و نعمة سكون جنتك و دار كرامتك.

٢٤ / ٧

٢٤- ﴿قَالَ﴾ الله لآدم و زوجه و إبليس ﴿اهْبِطُوا﴾: أمر أول لجمعهم، يجمع التشريع إلى التكوين، و لكن هبوطه حابط خابط، و هبوطهما غير حابط، بل إلى دار البلية و الامتحان: ﴿فَأَمَّا يَأْتِينَكُمُ مِّنْى هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَاى فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٢: ٣٨) ثم فى الأرض مما يدل على هبوطهم إليها من عل هو جنة فى السماء ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ ثابتاً بين الشيطان و الإنسان، و بين كل مع قبيله ﴿وَلَكُمْ﴾ جميعاً ﴿فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ﴾ زماناً و مكاناً و استقراراً ﴿وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾ الموت برزخاً ثم حين القيامة، و الأول هو البداية.

٢٥- ﴿قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ﴾ حياة التكليف ﴿وَفِيهَا تَمُوتُونَ﴾ عنها إلى حياة البرزخ ﴿وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾ إلى حياة القيامة.

٢٦- ﴿يَا بَنَى آدَمَ﴾ كرأس زاوية التكليف ﴿قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا﴾ تلبسونه و هو ﴿يُورِي سَوَاتِكُمْ﴾ لباس الستر الملائق ﴿وَرِيشًا﴾ فوقه و هو لباس الزينة ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى﴾ فى مرحلتيه ﴿ذَلِكَ﴾ العظيم فإنه لباس الروح ﴿خَيْرٌ﴾ من لباس الجسم، خيرية الروح من الجسم ﴿ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ تكوينية فى سائر الجسم، و تشريعية فى سائر عورات الروح ﴿لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ قضايا الفطرة و العقلية السليمة.

٢٧- ﴿يَا بَنَى آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمُ مِنَ الْجَنَّةِ﴾ أن يخرجكم منها و أين جنة من جنة، فلآدم جبره فى دار التكليف البلية، و ليس لبنيه جبره فإنها بعد الموت برزخا و قيامة، حال أنه ﴿يَنْزَعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا﴾ بدنا و نفسا ﴿لِيُرِيَهُمَا سَوَاتِهِمَا﴾ فيهما ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ﴾ من ذريته أو من الإنس ﴿مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ حيث يريكم شيطان الإنس أنه يهديكم بما يضلكم، فليس رؤية الشخص له الدور المهم، و انما رؤية الشخصية الشيطانية فى قبلى الشيطان ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ﴾ ككل ﴿أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ حيث سكرؤا على أنفسهم منافذ الإيمان، فلا منفذ إليها إلا للشيطان، فهذا الجعل يعنى عدم المنع، خلاف ما يمنعهم عن المؤمنين قدر إيمانهم، أم و "أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَّزَّهُمْ أَزًّا" (١٩: ٨٣).

٢٨- ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾ فسلؤا عنها ﴿قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا﴾ فنتبعهم كما ﴿وَاللَّهُ أَمَرَنَا﴾ بها تشريعا، أو أنه أرادها منا تسيرا، و لو لاها لما قدرنا عليها، فكرة جبرية و هما افتراء على الله ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ تشريعا و لا تكوينيا ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ علما صالحا من كتاب أو إثارة من علم الوحي.

٢٩- ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾: العدل و فوقه ﴿وَوَ﴾ أن ﴿أَقِيمُوا وَجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ لله ﴿وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾: العقيدة و الطاعة ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ فـ "ما خَلَقَكُمْ و لا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ" (٣١: ٢٨) بل "و هو أَهْوَنُ عَلَيْهِ" (٢٨: ٣٠) نسبة إلى قدراتنا، و إلا فهما عليه سواء.

٣٠- ﴿فَرِيقًا هَدَى﴾ بما حاولوا أو لم يعاندوا ﴿وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ﴾ " فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ" (٥: ١٦) ﴿إِنَّهُمْ أَتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ١٥٤

٣١- ﴿يَا بَنَى آدَمَ﴾ و آدم معهم ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ﴾ الصالحة للصلاة معكم، و غير الصالحة عنكم ﴿عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ و من الزينة الصالحة الأهل و المال فـ "الْمَالُ وَ الْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا .." (١٨: ٤٦) تدريبا للأهل على جماعات الصلاة، و إنفاقا للمال ﴿وَكُلُوا وَ اشْرَبُوا وَ لَا تُسْرِفُوا﴾ إفراطا و لا تفريطا، فضلا عن أن تبذروا ﴿إِنَّهُ لَا يَحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ بل يبغضهم فى أكل أو شرب أو قال أو فعال، و إنما هى حياة معتدلة عادلة دون إسراف و لا تبذير.

٣٢- ذلك واجب أخذ الزينة إيجاباً و سلباً، ثم راجعها ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾ استنكاراً على من يحرمها عقيدياً أو عملياً ﴿وَكَذَلِكَ الطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ و هي حلها غير المستحبة ﴿قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ دون الذين كفروا مهما كانت خليطة بينهما، و لكنها ﴿خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ حيث يحرم عنها الذين كفروا، فزينة الله - إذا - هي حق عباد الله و غيرهم مغتصبون إذ لا يعبدون الله ﴿كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ﴾ الربانية الدالات ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾.

٣٣ / ٧

٣٣- ذلك الحلال، و أما الحرام عند الله فأصولها الضابطية: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ﴾ المعاصي المتجاوزة الحد، أو إلى الغير ظلماً ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ عند آخرين أو بعملية ظاهرة ﴿وَمَا بَطَّنَ﴾ عن الناس أو عملية باطنة ﴿وَالْإِثْمَ﴾ و هو كل ما يبطئ عن الواجب فعلاً أو تركاً ﴿وَالْبَغْيَ﴾ المتجاوز إلى الغير ﴿بِغْيَرِ الْحَقِّ﴾ فالاعتداء بالمثل بغى بالحق ﴿وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ حجة أو سلطة ربانية ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ بعلم الوحي، فهذه الخمس هي أصول المحرمات عقيدية و عملية ظاهرية و باطنية، مقدمة و ذى المقدمة، فهي تحلق على كافة المحظورات فى شرعة الله.

٣٤ / ٧

٣٤- ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ جماعة رسالية ذات مقصد واحد ﴿أَجَلٌ﴾ وقت محدد و هم الأمم الخمس لأولى العزم من الرسل، ثم أجل الأمة الإسلامية هو يوم القيامة الكبرى ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ﴾ الكيان الرسالى بمجيئ شرعة أخرى برسول آخر، أم الآخرة ﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً﴾ مهما كانت أنا واحداً كما ﴿وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ أن يستقدم لهم ذلك الأجل أن تأتى شرعة لاحقة قبل وقتها.

٣٥ / ٧

٣٥- ﴿يَا بَنَى آدَمَ إِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ﴾ منذ آدم كرسل و إلى محمد (ص) خاتم المرسلين النبیین ﴿مِنْكُمْ﴾ من بنى آدم، كما أن رسل الجن من الجن مهما كانوا فروعا على رسالة الإنس "يا معشرَ الجنِّ و الإنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي .." (٦: ١٣) ﴿يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي﴾ آفاقية و أنفسية، و آيات الشرعة ﴿فَمَنْ أَتَقَى﴾ المحظورات ﴿وَأَصْلَحَ﴾ بالمحجورات ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ مما يستقبلون من مخاوف ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على ما فات عنهم من منافع و متاحف فى سبيل الله.

٣٦ / ٧

٣٦- ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ لا فقط بل ﴿وَأَسْتَكْبَرُوا عَنْهَا﴾ أن يبصروا بها ﴿أُولَئِكَ﴾ اللثام هم ﴿أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ما دامت النار.

٣٧ / ٧

٣٧- ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ إذ علم أنه ليس من الله، أم لم يعلم أنه من الله، فكلاهما من افتراء الكذب على الله ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ افترى أو لم يفتر و الجمع مضاعف الظلم ﴿أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ﴾ ما كتب عليهم من افتراءهم و تكذيبهم قبل موتهم، بدليل ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾ أخذوا وافيًا لجزئهم عن الحياة الدنيا ﴿قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ﴾ إياه ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ من أصنام و أوثان و طواغيت ﴿قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا﴾ ضلالاً عن كيانه شركاء، و إلا فهم يحرقون معهم: "إِنَّكُمْ وَ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ" (٢١: ٩٨) حتى يحرقوا بحرقهم أكثر مما يحرقون ﴿وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ بالله.

٣٨ / ٧

٣٨- ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ﴾ دون فصل بعد موتهم و هي النار البرزخية ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ﴾ كافرة ﴿لَعَنَتْ أَخْتَهَا﴾ السابقة و اللاحقة ﴿حَتَّى إِذَا آدَرَكُوهَا فِيهَا جَمِيعًا﴾ عند اختتام الحياة الدنيا و البرزخية ﴿قَالَتْ أَخْرَاهُمُ﴾ المصلّون ﴿لأولاهم﴾ فهنا الأخرى و الأولى تعنيان في الضلالة، فهذه قولة كل مصلّل مهما تقدموا في موتهم أو تأخروا ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ﴾ ضعفا لضلّالهم و إضلالهم ﴿قَالَ لِكُلِّ﴾ من الأخرى و الأولى ﴿ضِعْفٌ﴾ مهما اختلفا في قدر العذاب، فللمصلّل ضعف أن قبل الضلال و ضلّ، كما للمصلّل ضعف أن ضلّ و أضلّ ﴿وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ إذ يخيل إليكم أن الضعف يختص بالمصلّلين.

٣٩ / ٧

٣٩- ﴿وَقَالَتْ﴾ حينئذ ﴿أُولَاهُمْ لِأَخْرَاهُمْ﴾ فما كان لكم علينا من فضل ﴿في ضعف العذاب، فعلينا ضلال و إضلال و عليكم ضلال بانضلال، مهما اختلفنا في قدر العذاب ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ معنا ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ في قبولكم ضلالنا، أو هو أمر من الله للفرقيين و "بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ" تحديد لقدّر العذاب مهما كان لكل ضعف، كما و أن المصلّلين أيضا دركات كالمصلّلين.

٤٠ / ٧

٤٠- ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا﴾ جمعا بين الكافرين ﴿لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ إلى جنة الله و هي فوق السماء السابعة ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ﴾ الحبل الذي يجربه الجمل ﴿فِي سَمٍّ﴾ ثقب ﴿الْخِيَاطِ﴾ ما يخاط به، فأين الجمل نفسه بكبره من سم الخياط، مهما جر جمل الجمل المنجر به- مستحيلا- إلى سم الخياط، فإنه مقبول مثلا، و كذلك الذين استكبروا عن آيات الله ليسوا ليدخلوا الجنة ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾ الذين أجرموا و قطعوا ثمار الحياة قبل إيناعها.

٤١ / ٧

٤١- ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾ مهدها في الحياة الدنيا، مستروحين مستريحين فيها ﴿وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ حيث تغشاهم عذابا على مهادهم: "يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَ يَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ" (٢٩: ٥٥) فمهادهم هو غاشية العذاب، كما أن فوقهم غاشية: "ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدُهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا" (٢٤: ٤٠) ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾.

٤٢ / ٧

٤٢- ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ قدر وسعهم و سعيهم إذ ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ﴾ الأكارم ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ حيث ينتقلون من الجنة البرزخية إلى جنة القيامة، مهما كانت بينهما لهم صعقة إلا لمن شاء الله.

٤٣ / ٧

٤٣- ﴿وَنَزَعْنَا﴾ ماض يعنى مستقبلا، تأكيدا لحصول النزع ﴿مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ﴾ لأنه في الجنة عذاب في صدورهم و قد تطلبوا نزعهم أو عدم جعله: "وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ" (٥٩: ١٠) و ذلك الغل المنزوع هناك من صدورهم هو بين خاطئ بجهل، أو صادق ببغى عليهم منهم، و لكنهم الآن استحقوا الجنة مع بعض البعض، "نَزَعْنَا" إخواناً على سررٍ متقابلين (١٥: ٤٧) حال أنهم ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَ قَالُوا﴾: يقولون كلهم ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا﴾ أن وفقنا للهدى حيث رغبناها و عملنا لها ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْ لَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ توفيقا ﴿لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبَّنَا بِالْحَقِّ وَ نُودُوا أَنْ تَتْلُوا الْجَنَّةَ﴾ البعيدة المدى أورتتموها بما كنتم تعملون صالحا لها بإيمان.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ١٥٦

٤٤ / ٧

٤٤- ﴿وَ نَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ﴾ في منادات بين فريقى الجنة و النار، مسرة لأهل الجنة و حسرة على أهل النار ﴿أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا﴾ جنة كما صدقناه من قبل ﴿فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا﴾ نارا و قد كذبتموها من قبل ﴿قَالُوا نَعَمْ﴾ إجابة عن السؤالين ﴿فَإِنَّ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ﴾ من مذياع الحق بالحق، و قد أصفق الفريقان أن المؤذن هناك على عليه السلام ﴿أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ خلافة و نيابة عن الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه و آله كما هنا "نور على نور".

٤٥ / ٧

٤٥- ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ علما و عقيدة و عملا ﴿وَ يَغُونَهَا إِذَا عَجَازًا﴾ بغيا عليها، و ابتغاء أنها عوج لا تسلك، حيث يظهرونها عوجا ﴿وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾ كالمبوء.

٤٦ / ٧

٤٦- ﴿وَ بَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَ عَلَى الْأَعْرَافِ﴾ المرتفعات بين الجنة و النار ﴿رِجَالٌ﴾ هم الرفيق الأعلى المحمديون (ص) "رجال" بأعلى الرجولات المعرفية و الإيمانية ﴿يَعْرِفُونَ كُلًّا﴾ من أهل الجنة و النار ﴿بِسِيمَاهُمْ﴾ معرفة خاصة لهؤلاء الرجال الحاكمين المتسائلين هناك من قبل الله، فالمؤمنون: "سيماهم في وجوههم من أثر السجود" (٤٨: ٢٩) و المجرمون: "يعرف المجرمون بسيماهم" (٥٥: ٤١) ﴿وَ نَادَاؤُا﴾ هؤلاء الرجال ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ "سلام قولا من رب رحيمة" (٣٦: ٥٨) ﴿لَمْ يَدْخُلُوهَا﴾ أصحاب الجنة ﴿وَ هُمْ يَطْمَعُونَ﴾ دخولها: "ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود" (٥٠: ٣٤).

٤٧ / ٧

٤٧- ﴿وَ إِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ لا أنهم صرفوها إليهم لبغضهم إياهم ﴿قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا و سائر أصحاب الجنة مع هؤلاء﴾ ﴿الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ لا معية المكان و لا فى المكانة، حيث اختلفنا عنهم فى الكيان.

٤٨ / ٧

٤٨- ﴿وَ نَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رَجَالًا﴾ من أهل النار ﴿يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا﴾ لهم ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ﴾ أموالا و أولادا و سائر الزينة الدانية ﴿وَ﴾ لا ﴿مَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ به: موصولا، أو استكباركم ككل، موصوفا.

٤٩ / ٧

٤٩- ﴿أَ هَؤُلَاءِ﴾ الأكارم من أصحاب الجنة هم ﴿الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ﴾ بما أقسمتم، بالله أو بشركائكم أن ﴿لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ﴾ خلاف و عود الله، إذا ف ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ﴾ مستقبلا ﴿وَ لَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ مما مضى، أمرا تشريفا من قبل الله.

٥٠ / ٧

٥٠- ﴿وَ نَادَىٰ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ الداخلون فيها ﴿أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ الداخلين فيها ﴿أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ﴾ فقط ﴿أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ ككل ﴿قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ و كما فى حوار آخر: "يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَ الْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَ ظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ" (٥٧: ١٣).

٥١ / ٧

٥١- ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا﴾ يلهمهم عن الله ﴿وَ لَعِبًا﴾ كالأطافيل لا يعنون أمرا صالحا بناء ﴿وَ غَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ بما انغروا بها إذ أبصروا إليها و لم يبصروا بها ﴿فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ﴾ عامدين أن نجعلهم كالمنسيين من رحمتنا الواسعة ﴿كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾ عامدين ﴿وَ﴾ ب ﴿مَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾: "وَ جَحَدُوا بِهَا وَ اسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَ عُلُوًّا" (٣٧: ١٤) و ما يجحد بآياتنا إلا كل ختار كفور" (٣١: ٣٢).

٥٢ / ٧

٥٢- و من هذه الآيات و هى الاخيرة المهيمنة على الآيات كلها ﴿وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ﴾ كأننا هنا جئناهم بأنفسنا لمكانة الكتاب ﴿بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ﴾ كما يحق ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ كما يمكن و يصلح لتمام الهدى ﴿هُدًى﴾ للذين يهتدون ﴿وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ " وَ نُزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَ رَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَ لَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا " (١٧: ٨٢).

٥٣ / ٧

٥٣- ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ نظرا انتظارا ﴿إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾ مرجعه و ماله و هو منذ يوم الموت ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ﴾ هذا ﴿يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ﴾ الكتاب و يوم تأويله ﴿مِن قَبْلُ﴾ زمن التكليف ﴿قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ دون خفاء و لا إخفاء لحجة ﴿فَهَلْ لَنَا مِن شُفْعَاءَ﴾ كما كنا نزعم ﴿فَيُشْفَعُوا لَنَا﴾ فى هذا اليوم ﴿أَوْ﴾ هل لنا أن ﴿نُرَدُّ﴾ إلى ما كنا من عالم التكليف ﴿فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ من صالح الإيمان و صالحات الاعمال: " وَ هُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوْ لَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَ جَاءَكُمْ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ " (٣٧: ٣٥) ﴿قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾ بنفائسهم مقصرين ﴿وَ ضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ إذ كان كله كذبا لا واقع له، فظلوا فى ضلال عنهم.

٥٤ / ٧

٥٤- ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ﴾ لا فقط هو الله ثم الخالق سواه بل ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾: أوقات مهما اختلفت فى طولها و قصرها و قد فصلت فى " فصلت " ﴿ثُمَّ﴾ بعد ذلك الخلق ﴿اَسْتَوَى﴾ مستوليا ﴿عَلَى الْعَرْشِ﴾ مدبرا، و منه ﴿يَغْشَى﴾ يستر ﴿اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾ حال أنه ﴿يَطْلُبُهُ حَثِيثًا﴾ تدريجيا، فذلك الإغشاء ليس دفعا فى كرتنا بل تدريجى يدل على كرويتها و إلا لما صح الحث، و كما " يَكُورُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ " (٥: ٣٩) و ما أشبه ﴿وَ﴾ خلق ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومَ﴾ كلها حالكونها ﴿مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ﴾ و تدبيره ﴿أَلَا لَهُ﴾ لا سواه، كلا ﴿الْخَلْقُ﴾ لكل مخلوق ﴿وَ الْأَمْرُ﴾ أمر الخلق و تدبيره " وَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ تَقْدِيرًا " (٢٥: ٢) فـ " من زعم أن الله جعل للعباد من الأمر شيئا فقد كفر بما أنزل الله على أنبياءه لقوله: ألا له الخلق والأمر ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ الجامع لنفسه جميع الخلق و الأمر و التدبير.

٥٥ / ٧

٥٥- ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ﴾ دعوة توحيدية و دعاء ﴿تَضَرُّعًا﴾ إليه ﴿وَ خُفْيَةً﴾ لأنها ضراعة و تذلل ﴿إِنَّهُ لَا يَجِبُ الْمُعْتَدِينَ﴾ اعتداء على ساحة الربوبية الوحيدة بالدعوة الإشرائية، أو اعتداء على ربوبيته تركا لدعاء استدعاء: " قُلْ مَا يَعْْبُؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْ لَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا " (٢٥: ٧٧) و " لَا يَجِبُ " تعنى: يبغيض.

٥٦ / ٧

٥٦- ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بترك الدعوة و الدعاء و ما أشبه من صالح التوحيد ﴿بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ من الله تكويننا و تشريعا، و من رسل الله شرعيا دعوة و دعاية و من ساير الربانيين ﴿وَ ادْعُوهُ خَوْفًا﴾ من أنفسكم قضية ذنوبكم ﴿وَ طَمَعًا﴾ فى رحمة الله، دعاء بين خوف و رجاء ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ فى إيمانهم و دعاءهم و أعمالهم مهما أساء و أطول أعمارهم، و لكنهم بدءوا بالإحسان فـ " يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا " (٣٩: ٥٣).

٥٧ / ٧

٥٧- ﴿وَ هُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ﴾ المريحة بنوازلها الرحيمية ﴿بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ مطرا و بردا ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ﴾ حملت ﴿سَحَابًا ثِقَالًا﴾ تسحب من أبخرة أرضية كما تسحب بعضها بريح و سواها ﴿سُقْنَاهُ﴾ السحاب ﴿لِبَلَدٍ مَّيْتٍ﴾ و اللام هنا

للانتفاع ﴿فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ المناسبة لبلد ميت قضية "من" التبعية ﴿كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى﴾ كما نخرج حياة الثمرات من ميتات الماء و الأرض و البذر ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ الحياة بعد الممات من هذه الإخراجات الإفراجات.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ١٥٨

٥٨ / ٧

٥٨- ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ طيبا، و هكذا القلوب الطيبة إذ تنبت طبيبات ﴿وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرِجُ﴾ نباته ﴿إِلَّا نَكِدًا﴾ كما هو نكد، و هكذا القلوب النكدة ﴿كَذَلِكَ نُصَرِّفُ﴾ غيارا صالحا، و الأصل هو التدليل بمختلف الصروف و الظروف ﴿الآيَاتِ﴾ الدالات على ربانية التكليف و الجزاء، و لكنها لا تؤثر إلا ﴿لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ الله فى مصرفة الآيات، مهما كانت لكافة المكلفين، و لكنها "عذراً أو نذراً".

٥٩ / ٧

٥٩- ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ﴾ الرساليين، و هم كافة المكلفين فإن قوم كل رسول هم المكلفون برسالته، و هم لأولى العزم من الرسل كنوح، كافة المكلفين ﴿فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وحده لا سواه ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ﴾ فى أية ألوهية ﴿غَيْرُهُ﴾ يغيره فى حقيقة الألوهية ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ فى شطرى البرزخ و القيامة.

٦٠ / ٧

٦٠- ﴿قَالَ الْمَلَأُ﴾: الجمع الكثير الذى يملأ العيون عدّة و عدّة ﴿مِنْ قَوْمِهِ﴾ المرسل إليهم ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ ضلالة بتلك الدعوة التوحيدية المعارضة للإشراك!

٦١ / ٧

٦١- ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي﴾ أية ﴿ضَلَالَةٌ﴾ عن الحق المرام ﴿وَلَكِنِّي﴾ رغم كل ضلالة ﴿رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إلا أن تحسبوا الرسالة الربانية ضلالة، فلم يقل إنكم أنتم الضالون مجابهة السوء بالسوء، و إنما دفع عن نفسه ضلالة يستلزم أنهم هم الضالون.

٦٢ / ٧

٦٢- ﴿أُبَلِّغُكُمْ﴾ إيصالا بالغاً بكمال الحجة فى المحجة ﴿رِسَالَاتِ رَبِّي﴾ دون أى قصور أو تقصير، لا أن أدعيها فحسب دون تبليغ، ثم ﴿وَأَنْصَحُ لَكُمْ﴾ لصالحكم ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ﴾ وحيا رسوليا ﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ منقطعين عن ذلك الوحي، مهما تدلكم فطركم و عقولكم على توحيده.

٦٣ / ٧

٦٣- ﴿أُ﴾ عجبتم سائر العجائب ﴿وَعَجِبْتُمْ﴾ تحيرا مباغتاً ﴿أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ و خلافه عجاب ﴿عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ﴾ و خلافه عجاب ثان ﴿لِيُنذِرَكُمْ﴾ و خلافه ثالث ﴿وَلِتَتَّقُوا﴾ و خلافه رابع ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ﴾ و خلافه خامس، أ فهذا المخمس من رحمة الله عجب؟! ممن يعجبون عن الحق المخالف لأهواءهم.

٦٤ / ٧

٦٤- ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ فى رسالته البليغة بحججها ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ﴾ من بأسهم و تعسهم ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ فى رسالته ﴿فَالْفُلْكَ وَ أَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ كما أغرقوا أنفسهم فى متاهات الضلالة غرقا بغرق ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾ تقصيرا، و الله خلقهم مبصرين: " وَ جَحَدُوا بِهَا وَ اسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَ عُلُوًّا " (٢٧: ١٤).

٦٥ / ٧

٦٥- ﴿وَ﴾ لقد أرسلنا ﴿إِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ﴾ ﴿هُودًا قَالَ﴾ مثل ما قال نوح و المرسلون من ربهم ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ﴾ كلمة واحدة متواصلة فى كافة الرسالات الربانية ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ الله فى الإشراف به غيره.

٦٦ / ٧

٦٦- ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ﴾ فقد آمن بعض الملاء من قومه و هم أقل قليل ﴿إِنَّا لَنَرَاكَ﴾ غارقا ﴿فِي سَفَاهَةٍ﴾: خفة عقل، هى عبارة أخرى عن ضلال مبين ﴿وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ فى دعواك رسالة الله، و "نَظُنُّ" هنا أخف من "نراك" هناك، إضافة إلى أن "فِي سَفَاهَةٍ" هنا أيضا أخف من "ضَلَالٍ مُّبِينٍ" هناك لأن هجوم الكفرة على نوح كان أكثر من هجومهم على هود.

٦٧ / ٧

٦٧- ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ﴾ بل لى عقلية قوية و فوقها عقلية الوحى ﴿وَ لَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ بكافة الحج الرسولية.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ١٥٩

٦٨ / ٧

٦٨- ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي﴾ بلاغا عاليا كما "و قُلْ لَهُمْ فى أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا" (٤: ٦٣) الَّذِينَ يَبْلُغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَ يَخْشَوْنَ اللَّهَ وَ لَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَ كَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا" (٣٣: ٣٩) كسائر الرسل ﴿وَ أَنَا لَكُمْ﴾ لصالحكم ﴿نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ كما هما ظاهران على مثل رسالتى بتبليغها، كسائر الرسل الأمانة الناصحين: "وَ لَا يَنْفَعُكُمْ نَصْحِي إِنِ ارَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ" (١١: ٣٤) "وَ نَصَحْتُ لَكُمْ وَ لَكِن لَّا تَحِبُّونَ النَّاصِحِينَ" (٧: ٧٩).

٦٩ / ٧

٦٩- ﴿أ﴾ عجبتم من أصل الرسالة ﴿وَ عَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ﴾ و إنما العجب من ترك رسالات الله أن يذكركم فى طغيانكم تعمهون ﴿وَ أَذْكُرُوا﴾ فى ذكريات تاريخية معروفة لدى الكل ﴿إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ حيث أغرقهم و أنتم خلفاء هم تناسلا من الذين نجوا معه، ثم ﴿وَ زَادَكُمْ فى الْخَلْقِ بَصَاطَةً﴾ فى خلقكم و رزقكم و كل بصطة فى بساط الأرض ﴿فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ﴾ السابقة السابعة لكم ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ﴾ و لا تغفلون كقوم نوح، فإن الذكرى تنفعكم فى الإيمان، و البصطة بالصاد و السين بمعنى واحد.

٧٠ / ٧

٧٠- ﴿قَالُوا أَوْ جِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ﴾ لأنك تدعو إليه وحدك و لنا آلهة كثيرة: "أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ" (٣٨: ٥) ﴿وَ نَذَرَ﴾ نترك وراءنا ﴿مَا كَانَ﴾ على طول الزمن ﴿يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ تركا للكثرة الأبوية لك وحدك، و الكثرة الألوهية لإله واحد لا نراه ﴿فَأَتَيْنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ من العذاب ﴿إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ فى دعواك، ويكأن الإتيان بالوعد أجلا دليل كذبه، اللهم إلا عاجلا، و فيه هلاك بانقضاء التكليف.

٧١ / ٧

٧١- ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رَغْمٌ أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَرِيكُمْ﴾ عذاب كضلالكم بما ضللتهم: "فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ" ﴿وَ غَضَبُ﴾ يسببه عذاب الضلال، هنا و فى الأخرى ﴿أَتَجَادِلُونَنِي فى أَسْمَاءٍ﴾ دون مسميات ألوهة ﴿سَمِيتُوهَا أَنْتُمْ وَ آبَاؤُكُمْ﴾ من دون الله إذ ﴿مَا نَزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ و برهان لا فطرى و لا عقلى و لا وحيا ﴿فَأَنْتَظِرُوا﴾ رجسا و غضبا من الله ﴿إِنِّى مَعَكُمْ مِنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾ إذ ليسا منى فإن أنا إلا رسول.

٧٢- ﴿فَاتَّخَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ من قومه ﴿بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾ رحيمية للذين آمنوا ﴿وَقَطَعْنَا دَابِرَ﴾ أصل و نسل ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَ مَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ أبدا لا هم و لا أنسالهم، و كما فى قوم نوح.

٧٣- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ إلى ثمود أخاهم صالحاً ﴿فِي مَوَاصِلِ الرِّسَالَاتِ﴾ قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيرهُ ﴿صِغَةِ رِسَالِيَةِ كَسَائِرِ الرِّسَالَاتِ﴾ قَدْ جَاءَتْكُمْ آيَةٌ ﴿بَيْنَةُ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ و هى ﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ﴾ ربانية رحمة من جهات: خروجها من الجبل دون ولادة، و عظمة جسمها، و كثرة شربها، ثم آية عذاب إن مستتموها بسوء ﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ﴾ و تشرب منها، أن لها شرب و لكم شرب يوم معلوم (٢٦: ١٥٥) ﴿وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ كما أخذهم: و أما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون (١٧: ٤١).

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ١٦٠

٧٤- ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ﴾ إذ أبادهم و خلفكم عنهم لتنظروا ما ذا تعلمون ﴿وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ بواء واسعا طيبا إذ ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْ سَهْلِهَا قُصُورًا﴾ لا فحسب، بل ﴿وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا﴾ جبلية قواما و نضرة و اتقاء .. ﴿وَلَا تَعْتَوُوا﴾ تسعوا ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ حالكونكم ﴿مُفْسِدِينَ﴾ فى النواميس الخمسة الحيوية الصالحة، و هى محال أحكام الله.

٧٥- ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ فهم بعضهم كما فى عاد، و هنا استكبار زائدا على كفر ﴿لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا﴾ منهم لا كلهم، بل ﴿لِمَنْ أَمِنَ مِنْهُمْ﴾ فالمستضعفون الآخرون هم سائر الكفرة من قومه إذ تابعوهم فى ضلالهم ﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسِلٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ على عجب و حيرة ﴿قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾ قضية البينات الرسولية فيه و فى آياته.

٧٦- ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ﴾ من رسالته ككل ﴿كَافِرُونَ﴾ دون أية حجة إلا الاستكبار أمام بينات الله، حيث يستبعدون رسالة بشر إلى بشر، لا سيما الذى ليس عنده مال و منال فى الدنيا، ويكأن الرسالة الربانية تلازم وفيرا من القوات الدنيوية: ﴿وَقَالُوا لَوْ لَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْفَرِثِيِّينَ عَظِيمٍ، أَمْ هُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ رَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا وَ رَحِمْتَ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (٤٣: ٣٢): و إذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتى رسل الله أعلم حيث يجعل رسالته (٦: ١٢٤).

٧٧- ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ﴾ حيث اجتمعوا على عقره تصميما و رضى و لم يعقروها إلا واحد: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا، إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾ ﴿وَعَتَوْا﴾ تخلفوا ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَ قَالُوا يَا صَالِحُ أَتِنَّا بِمَا تَعِدُنَا﴾ ممن أرسلك ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ تحديا ساخرا كأن الله عاجز عن الإتيان بما يوعدون، أو أنهم يفضلون عذاب الله على الإيمان بالله و عودا بالله.

٧٨- ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ القاصدة إياهم ﴿فَصَبَّحُوا فِي دَارِهِمْ﴾ عن قرارهم ﴿جَائِمِينَ﴾: متينين لإحراك لهم: ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَبِيًّا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَبِيًّا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ﴾ (٧: ٩٢) و هو أخو المرسلين أجمع كصالح عليهم السلام.

٧٩- ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ﴾ على جثومهم و جسومهم إذ يسمعون برزخيا مهما هم عمى هنا أو قال مقالته حين أخذهم العذاب ﴿لَقَدْ أبلغتكم رسالة ربِّي﴾ بلاغا شاملا عاذرا ﴿وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ فى بلاغى الرسالى كاملا ﴿وَلَكِنْ﴾ كنتم ﴿لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ﴾ بل تبغضونهم مجادلين.

٨٠ / ٧

٨٠- ﴿وَلَوْ طَأَّ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾ المرسل إليهم ﴿أَتَأْتُونَ﴾ العملية ﴿الْفَاحِشَةَ﴾ المتجاوزة حد العصيان، المتجاوزة عن واجب الإيلاد ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا﴾ هكذا ﴿مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ فيما سبق، فأنتم بدع فى هذه البدعة الجارفة.

٨١ / ٧

٨١- ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً﴾ جنسية ﴿مِنْ دُونِ النِّسَاءِ﴾ و هن معدّات لها و للإيلاد، و لستم بحاجة جنسى إلى الرجال ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ فى الشهوات تجاوزا عما حدّد لكم- و هو لكم كاف- إلى ما هدّد عنه.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ١٦١

٨٢ / ٧

٨٢- ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ جوابا صالحا ﴿إِلَّا﴾ تصميما وحشيا بحقه طالحا ﴿أَنْ قَالُوا﴾ فيما بينهم ﴿أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ﴾ حيث ﴿إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ هزء بهم، إذ يمنعون هؤلاء الأنكاد عن أزدل الأعمال، تطهرا فى خيالهم بخبالهم، و كما أن ذلك دأب الكافرين المعاندين، أنهم لا يكتفون بكفرهم، بل و يستهزئون بالذين آمنوا ليردوهم عن دينهم إن استطاعوا: "إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ... قَالِ يَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ" (٨٣: ٣٠) "فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ" (٤٧: ٣).

٨٣ / ٧

٨٣- ﴿فَأَنجَيْنَاهُ﴾ فى ذلك الإخراج الإخراج ﴿وَأَهْلَهُ﴾ الأهلين للنجاة ﴿إِلَّا امْرَأَتَهُ﴾ إذ ﴿كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ المغبرين القذرين، فلم تكن من أهله، كما أن ابن نوح "إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ .." (١١: ٤٦).

٨٤ / ٧

٨٤- ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾ من العذاب شديدا غزيرا: "فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَ أَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنُصُودٍ. مُّسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَ مَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ" (١١: ٨٢) "حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنُصُودٍ مُّسَوِّمَةً .." ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ﴾ حياة ﴿عَاقِبَةُ﴾ هنا فى الأخرى لـ ﴿الْمُجْرِمِينَ﴾ الذين قطعوا ثمرات الحياة قبل إيناعها فأفسدوها عن بكرتها.

٨٥ / ٧

٨٥- ﴿وَإِلَى مَدِينٍ﴾ أهليه، أرسلنا ﴿أَخَاهُمْ﴾ الوليد بينهم، الأنيس بهم، المواطن إياهم ﴿شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ﴾ المرسل إليهم المواطنين ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ لا سواه ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ أصيل أم متخذ ﴿قَدْ جَاءَتْكُمْ﴾ برسالات الله و هذه، آية ﴿بَيْنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ حيث يريكم بينة إلى هدى ﴿فَأَوْفُوا الْكَيْلَ﴾ حيث تكيلون به دون تخسير ﴿وَ﴾ كذلك ﴿الْمِيزَانَ﴾ حيث تزنون به ﴿وَ لَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ بأشياءهم أيا كانت من أحوال و أموال و ما أشبهه من النواميس الخمسة ﴿وَ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أرض التكليف المعيشى ﴿بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ تكوينيا و تشريعا من الله، و ربانيا و شرعيا إيمانيا من الله ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ و غيره شر عليكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ بحق فى الحياة، فطريا و عقليا يدفعانكم إلى إيمان بالله و بشرعته.

٨٦ / ٧

٨٦- ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ جَادَةٍ ظَاهِرَةٍ أَوْ مَعْنُويَةٍ حَالِ أَنْكُمْ﴾ ﴿تُوعِدُونَ﴾ سَالِكِيهَا بِأَخْطَارٍ وَأَهْمُهَا أَنْكُمْ ﴿وَلَا تَصْدُونَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ﴾ بِمَخْتَلَفِ الصَّدُودِ ﴿وَالْحَالِ أَنْكُمْ﴾ ﴿تَبْغُونَهَا﴾ طَلِبًا ﴿عِوَجًا﴾ عَمَّا سَبَلَهُ اللَّهُ، إِظْهَارًا لِلْحَقِّ بِمُظْهِرِ الْبَاطِلِ وَالْبَاطِلِ بِمُظْهِرِ الْحَقِّ ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا﴾ عِدَّةٌ وَ عِدَّةٌ ﴿فَكَثَرَكُمْ﴾ فِيهِمَا ﴿وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ﴾ حَيَاةُ ﴿عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا، نَظَرًا هُنَا إِلَى آثَارِهِمْ سِيرًا تَارِيخِيًّا وَ آخِرَ جُغْرَافِيًّا، سَمْعِيًّا أَوْ بَصْرِيًّا أَوْ فِكْرِيًّا وَ مَا أَشْبَهَ مِنْ سِيرٍ.

٨٧ / ٧

٨٧- ﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ﴾ وَ قَدْ آمَنْتَ ﴿وَ طَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا﴾ مُؤْمِنِينَ وَ كَافِرِينَ، أحيانًا هُنَا وَ تَمَامًا يَوْمَ الْبَرَزِ وَ الْآخِرَى ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ وَ غَيْرِهِ شَرِّ الْحَاكِمِينَ إِذْ لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَوْ لِأَهْلِيهِ حَيْثُ يَحْكُمُونَ بِحُكْمِ اللَّهِ، فَحُكْمُهُمْ - إِذَا - حُكْمُ اللَّهِ "أَفَحُكْمُ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ" (٥٠: ٥) ذَلِكَ، وَ أَتْبَاعَ حُكْمِ الْجَاهِلِيَّةِ قَدْ يَتَجَاوَزُونَهَا إِلَى كُلِّ صَدٍّ عَنْ كُلِّ سَبِيلٍ رَبَّانِي.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ١٦٢

٨٨ / ٧

٨٨- ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ عَلَى اللَّهِ وَ رِسَالَاتِهِ ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ﴾ بِاللَّهِ ﴿مِنْ قَرْيَتِنَا﴾ هَذِهِ ﴿أَوْ لَتَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ كَمَا كُنْتُمْ، أَنْتُمْ الْمُؤْمِنُونَ بِشُعَيْبٍ، وَ كَذَلِكَ شُعَيْبٌ قَبْلَ رِسَالَتِهِ حَيْثُ كَانَ دُونَ دَعْوَةِ مِثْلًا مَعَهُمْ حَسَبَ الظَّاهِرِ ﴿قَالَ أَوْ لَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾ وَ "لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ" حَقًّا وَ بَاطِلًا، وَ كَمَا "قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ" (١٤: ١٣).

٨٩ / ٧

٨٩- ﴿قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا﴾ وَ هُمْ قَوْمُهُ دُونَهُ إِذْ لَمْ يَكُنْ أَبَدًا فِي مِلَّتِهِمْ، وَ الْعُودُ فِي مِلَّةِ الشَّرِّ افْتِرَاءٌ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبُ كَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي أَمَرْنَا بِهِ، ثُمَّ ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا﴾ فَلَوْ شَاءَ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ سُلْطَوِيًّا أَوْ وَ عَقِيدِيًّا وَ لَنْ ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ وَ لَا يَأْمُرُ أَوْ يَنْهَى إِلَّا فِي سَعَةِ عِلْمِهِ وَ رَحْمَتِهِ ﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾ فِي الْخُرُوجِ عَنْ مِلَّةِ الشَّرِّ ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَ بَيْنَ قَوْمِنَا﴾ الْكَافِرِينَ فَتَحًا ﴿بِالْحَقِّ﴾ الَّذِي يَحِقُّ الْحَقُّ وَ يَبْطُلُ الْبَاطِلُ "وَ لَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ" ﴿وَ أَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾.

٩٠ / ٧

٩٠- ﴿وَ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، كَمَا قَالُوا لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿لَئِنْ أَتَيْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ﴾ حَيَاةَ الْحَرِيَّةِ وَ الْأَرِيحِيَّةِ، إِلَى إِسَارَةٍ.

٩١ / ٧

٩١- ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ الزَّلْزَالُ ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ﴾ الْأَمْنَةُ ﴿جَائِئِينَ﴾ جَامِدِينَ دُونَ أَى حَرَكَاتٍ.

٩٢ / ٧

٩٢- ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا﴾ هُمْ الْآنَ ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾ وَ يَعْمُرُوا طِيلَةَ حَيَاتِهِمْ ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ﴾ هُنَا وَ فِي الْآخِرَى، دُونَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ أَوْ عَدُوَّهُمْ بِالْخَسَارِ.

٩٣ / ٧

٩٣- ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ﴾ إعراضاً إذ قد جثموا بعد أن لم يتأثروا بعظته الرسالية ﴿وَقَالَ يَا قَوْمِ﴾ و هم يسمعون بعد جنومهم في برزخهم ﴿لَقَدْ أبلغتكم رسالات ربِّي﴾ أصولاً و فروعاً ﴿وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ جثموا بعذاب الله بكفرهم المعاند، أم و قبيل عذابهم تولوا و إعراضاً عن عظمتهم إذ ثبت عذابهم بوحى الله، فهم من الذين "سواءٌ عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرتهم لا يؤمنون" لا فحسب إذ يبقى الإنذار على أية حال عذراً أو نذراً و لكن الإعراض له مجال فى بعض الأحوال كما "وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فأعرض عنهم" (٦: ٦٨) يا إبراهيم أعرض عن هذا إنه قد جاء أمر ربك" (١١: ٧٦) فأعرض عن من تولى عن ذكرنا و لم يرد إلّا الحياة الدنيا" (٥٣: ٣٩)، إعراضاً فيه إيعاظ، أو عن تفشلوا فى دعوتكم، أو أن يؤثروا فيكم ضعفاً فى إيمان.

٩٤ / ٧

٩٤- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ﴾ مجتمع قلّ أو كثر ﴿مِّنْ نَّبِيٍّ﴾ هو رأس الزاوية الرسولية فإن النبوة نبوة فى الرسالة ﴿إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ﴾: البؤس و الضر الشديدين ﴿لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ﴾ فيرجعون إلى الحق.

٩٥ / ٧

٩٥- ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ﴾: البأساء و الضراء ﴿الْحَسَنَةَ﴾ رباحة فى العيشة ﴿حَتَّىٰ عَفَوا﴾ زادوا و غنوا فيها، كأنها حق لهم مهما ظلوا فى ضلال ﴿وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ﴾ دوننا ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً﴾ و هم فى الحسنة، مباغطة ﴿وَالْحَالِ أَنَّهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ حقا مقصرين، و لا يشعرون حاضر أخذ الله إذ كانوا فى رحمته، و لا يشعرون أنه حق عليهم.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ١٦٣

٩٦ / ٧

٩٦- ﴿وَلَوْ﴾ مستجيلاً باختيار اللاإيمان إلا بعضاً ﴿أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى﴾ المجتمعات المكلفة كلهم ﴿آمَنُوا﴾ بالله و رسالاته ﴿وَاتَّقُوا﴾ الله فيما أمر أو نهى، لم تختص بركاته لهم بالآخرة، بل ﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَ لَكِن كَذَّبُوا﴾ أكثرهم ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ فلم يبق مجال لتلك البركات، فالإيمان الجماعى هو الذى يتطلب تلك البركات الجماعية، و كما فى زمن الإمام المهدي عليه السلام إذ تخرج له الأرض أقاليد كبدها، فتجتمع لهم بركات الآخرة إلى الدنيا.

٩٧ / ٧

٩٧- ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَ هُمْ نَائِمُونَ﴾ بأس لا يعرف نوما عن يقظة، و لا قوة أو ضعفا.

٩٨ / ٧

٩٨- ﴿أَوْ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى﴾ وسط النهار ﴿وَالْحَالِ أَنَّهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ ف"اعلموا أنما الحياة الدنيا لعبٌ و لهوٌ و زينةٌ و تفاخرٌ بينكم و تكاثُرٌ فى الأموالِ و الأولادِ .." (٥٧: ٢٠).

٩٩ / ٧

٩٩- ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾ بمن يمكر، و أين مكر من مكر، فمكر الله هو مفاجئ العذاب "جزاءً وفاقاً" كما يفاجئون أهل الله بعذابهم، ثم مكرهم عجز و جهالة و خيانة ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ الذين خسروا فطرتهم و عقولهم و شرعة الله، فخسروا فى متجر الدنيا كلا الدنيا و الآخرة.

١٠٠ / ٧

١٠٠- ﴿أَوْ لَمْ يَهْدِ﴾ إلى الحق ﴿لِلَّذِينَ يَرْتُونَ الْأَرْضَ﴾ سلطة و مالا ﴿مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا﴾ فيهما ﴿أَنْ لَوْ نَشَاءُ﴾ و لن، حيث اليوم عمل و لا حساب ﴿أَصْبَنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾ إصابة تامة ﴿و﴾ لكن هنا ﴿نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ السامعة ﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ أبدا أى حق "جزاء وفاقاً" فلما زاغوا أزاع الله قلوبهم.

١٠١ / ٧

١٠١- ﴿تِلْكَ الْقُرَى نَقِصُ عَلَيْكَ﴾ بعضا ﴿مِنْ أَنْبَائِهَا﴾ الأخبار الهامة العظيمة دون تحليق على كل أخبارها، حيث القرآن ليس كتابا قصصيا، بل هو عبرة و ذكرى لأولى الألباب، فإنما يقص رءوس الزوايا من هامة القصص تذكيرا لنا ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ آيات و دلالات ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ﴾ حيث كان تكذيبهم عن عناد، فطبع إذا على قلوبهم فهم لا يفقهون ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾ المعاندين فى كفرهم حيث "جحدوا بها و استيقنتها أنفسهم ظلماً و علواً".

١٠٢ / ٧

١٠٢- ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ﴾ عاهدهم الله عليه فى فطرة و عقلية و شرعة إذ تحجبوا عنها عامدين، و كذلك سائر العهود الصالحة، التى عاهدوا الله عليها، أو تعاهدوا فيما بينهم ﴿وَأِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ﴾ محققا ﴿لِفَاسِقِينَ﴾ خارجين عن العهود الصالحة.

١٠٣ / ٧

١٠٣- ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا﴾ المناسبة للمرسل إليهم فى رسالته ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَ مَلَأْتَهُ﴾ إرسالاً لدفع الظلم، ثم الإيمان بالله، مما يدل على عدم اختصاصها بالإسرائيليين ﴿فَطَلَمُوا بِهَا﴾ حيث كذبوا ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ فى الأرض بتكذيب الآيات الرسالية.

١٠٤ / ٧

١٠٤- ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولُ﴾ إليكم جميعا ﴿مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ حيث أحمل تربية رسالية عالمية، و هذه دلالة ثانية على عالمية الرسالة الموسوية.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ١٦٤

١٠٥ / ٧

١٠٥- ﴿حَقِيقٌ عَلَى﴾ أنا بهذه الرسالة المصحوبة بآياتها ﴿أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ الذى أرسلت به إليكم ﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ﴾ رسولية ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ حيث يريكم بها ﴿فَارْسِلْ مَعِ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ صدا عن استمرارية ظلم، و كنقطة أولى لهذه الرسالة دون اختصاص بها.

١٠٦ / ٧

١٠٦- ﴿قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ﴾ رسولية ﴿فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ فى دعواك، و هذه بعد أن ألقى عصاه فتحول حية تسعى.

١٠٧ / ٧

١٠٧- ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا﴾ بغتة ﴿هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾ كونه ثعبانا، متحولا عن عصى، و أنه آية ربانية لقوم يعلمون رسولية تصف موسى (ع) بعيدة عن كافة ألوان السحر.

١٠٨ / ٧

١٠٨- ثم ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ﴾ عن ثوبه ﴿فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾ و لم يكن بيضاء مشرقة، و إنما لِلنَّاظِرِينَ حتى يؤمنوا بهذه الرسالة، بذلك الحدث الجلل، كما لم تكن عصاه ثعبانا، و إنما تحولت إليه آية بينة.

١٠٩ / ٧

١٠٩- ﴿قَالَ أَمْلَأْ﴾ الخاص حيث كانوا يملئون العيون عدّة و عدّة في البلاط الفرعوني: ﴿مِنْ قَوْمٍ فِرْعَوْنَ﴾ الفرعونيون ﴿إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ أعلم منا، تسوية في أصل السحر بينه و بينهم.

١١٠ / ٧

١١٠- ﴿يُرِيدُ أَنْ يَخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ﴾ و عرضكم: سلطة زمنية و روحية ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ نا، تأمرا بيننا ضد موسى (ع).

١١١ / ٧

١١١- ﴿قَالُوا﴾ المستشارون لفرعون ﴿أَرْجِهْ﴾ أمهله ﴿وَأَخَاهُ﴾ حيث أخاه في رسالته المزعومة ﴿وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ﴾ الفرعونية كلها ﴿حَاشِرِينَ﴾ يجمعون السحرة.

١١٢ / ٧

١١٢- ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾ كما أن موسى عليم، و لكن أين عليم من عليم.

١١٣ / ٧

١١٣- ﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ﴾ المحشورون ﴿فِرْعَوْنَ﴾ كما دعاهم، و ﴿قَالُوا إِنَّا لَأَجْرَاءُ﴾ يسوى ما نعمله ﴿إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ في مبارات السحر، و هنا "نحن" تؤكد غلبتهم المزعومة.

١١٤ / ٧

١١٤- ﴿قَالَ نَعَمْ﴾ مزيدا عليه ﴿إِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ إلى أكثر مما كنتم.

١١٥ / ٧

١١٥- ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى﴾ أنت عصاك سحرا ﴿وَأِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُغْلِبِينَ﴾ قبلك.

١١٦ / ٧

١١٦- ﴿قَالَ أَلْقُوا﴾ تكتيكة في هذه المباراة أن يقدم أهل الباطل حتى يجتث بالحق باطلهم، كما و أن نظرة الحاضرين كانت إلى السحرة حيث تعودوهم، ثم ينظرون بطبيعة الحال إلى الطرف الثاني ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ﴾ دون قلوبهم و عقولهم مهما كانتا مغلوبة لأعينهم، ثم ﴿وَأَسْتَرْهَبُوهُمْ﴾ بسحرهم ﴿وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ﴾ أعظم مما كانوا يجيئون به قضية المباراة الحاضرة.

١١٧ / ٧

١١٧- ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ فألقاها بالوحي فألقى سحرهم عن بكرته ﴿فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ﴾ تبتلع ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾ كذبا حيث السحر لا حقيقة له.

١١٨ / ٧

١١٨- ﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ﴾ موقعه الرباني ﴿وَبَطَلَ﴾ في الحق ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من سحر و شرعته الفرعونية.

١١٩ / ٧

١١٩- ﴿فَعَلَبُوا هُنَالِكَ﴾ في مباراتهم ﴿وَأَنقَلَبُوا﴾ عن باطلهم إلى الحق ﴿صَاغِرِينَ﴾ أمام الحق بعد أن كانوا كابرين.

١٢٠ / ٧

١٢٠- ﴿وَالْقَى﴾ أوتوماتيكيا كأن لا خيار لهم ﴿السَّحَرَةُ﴾ بجملة ﴿سَاجِدِينَ﴾ خاضعين تمام الخضوع لله.
البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ١٦٥

١٢١ / ٧

١٢١- و ﴿قَالُوا﴾ يعد ما سجدوا ﴿أَمَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ دون الفرعونية الجبارة، و لا تملك إلا أمة مستخفة مستعمرة.

١٢٢ / ٧

١٢٢- ﴿رَبِّ مُوسَى وَ هَارُونَ﴾ حيث يدعوان إلى الله، دون الربوبية المزعومة الفرعونية.

١٢٣ / ٧

١٢٣- ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ أَمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ﴾ ويكأن الإيمان بحاجة إلى إذن، و هو يحلق على شغاف القلوب، و قد تعود الطاغية أن إذنه فقط هو الذى يسمح لأى أمر فى سلطته، لحد ما كان لأحد حتى الإيمان بما يتقبله العقلية الإنسانية ﴿إِنَّ هَذَا﴾ الإيمان ﴿لَمَكْرٌ مَكْرَتُمُوهُ فِي﴾ هذه ﴿الْمَدِينَةِ لَتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا﴾ عن السلطة الحاكمة عليه ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ خلفية مكرهم، تهديدا حديدا لا قبل له.

١٢٤ / ٧

١٢٤- ﴿لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَ أَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ﴾ كأشد تعذيب ﴿ثُمَّ لَأَصْلَبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ كأشد قتل " فى جُدوع النخل".

١٢٥ / ٧

١٢٥- ﴿قَالُوا إِنَّا﴾ بصورة محققة ﴿إِلَى رَبِّنَا﴾ رب العالمين ﴿مُنْقَلِبُونَ﴾ عن الباطل إلى ذلك الحق.

١٢٦ / ٧

١٢٦- ﴿وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا﴾ نعمة نستحقها إلا رغم ﴿أَنْ آمَنَّا﴾ برنا ﴿بِ﴾ سبب ﴿آيَاتِ رَبَّنَا﴾ الدالة على ربوبيته الوحيدة، غير الوهيدة ﴿لَمَّا جَاءَتْنَا﴾ بمن يحمل رسالته الربانية، آفاقية و أنفسية، و لا نقول إذا إلا ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ﴾ بغزارة شاملة ﴿عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ فى محتنتنا كما أفرغت علينا غزير الإيمان ثم ﴿وَتَوْفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ لك بعد إيماننا، و الإسلام بعد الإيمان أرقى من الإسلام قبله، فإنه فقط بلسان و ذلك بجنان فى كامل التسليم و بينهما إيمان.

١٢٧ / ٧

١٢٧- ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ﴾ غير السحرة ﴿أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ﴾ القدامى و الجدد و هم السحرة المنقلبون ﴿لِيُفْسِدُوا﴾ فى ﴿هَذِهِ الْأَرْضِ﴾ الفرعونية ﴿وَيَذَرَكَ﴾ ربا أعلى ﴿وَالْهَتَكَ﴾ منفين عن الألوهية و السلطة زمنية و روحية ﴿قَالَ سَنَقْتُلُ أَبْنَاءَهُمْ﴾ جميعا اجتثاتا عن بكرتهم خطوة خطوة ﴿وَنَسْتَحْيِي﴾ حياة خدامات، و حياء عن كونهن عفيفات ﴿نِسَاءَهُمْ وَ إِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ عدة و عدة، حيث السلطة الزمنية بقواتها لا تدع مجالا للسلطة الروحية دون قوات.

١٢٨ / ٧

١٢٨- ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ المؤمنين، إسرائيليين و سحرة مؤمنين ﴿اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ﴾ الذى أمتهم به ﴿وَ اصْبِرُوا﴾ فى الله على الإيمان بالله ﴿إِنَّ الْأَرْضَ﴾ كلها ﴿لِلَّهِ﴾ دونهم ﴿يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ بعد أن يغنى غيرهم عن سلطتهم أو عن حياتهم ﴿وَالْحَيَاةَ الْعَاقِبَةَ﴾ فى الدنيا عند ظهور المهدى عليه السلام تماما و قبله بعضا ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ الذين إذا وقوا عن الباطل قبلوا الوقاية و ذلك زمن المهدى عليه السلام.

١٢٩ / ٧

١٢٩- ﴿قَالُوا﴾ و هم بنو إسرائيل ﴿أُؤْذِنَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا﴾ فى السلطة الفرعونية ﴿وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ حيث نهّد بالوان العذاب ﴿قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَهْلِكَ عِدْوُكُمْ﴾ الفرعونى ﴿وَيَسْتَخْلِفُكُمْ﴾ بديله ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ خارجين عن سلطته ﴿فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ فى نعمة الله، نظر الابتلاء و الامتحان، دون استعلام، كما "وَجَعَلَكُمْ مَلُوكًا" تملكون أنفسكم بعد أسركم بأسركم.

١٣٠ / ٧

١٣٠- ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ﴾ سنى الجذب و الدم و القمل و الضفادع و الطوفان و ما أشبه ﴿وَنَقَصِ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ نعم الله عليهم إذ أنجاهم من آل فرعون يسومونهم سوء العذاب و يذبحون أبناءهم.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ١٦٦

١٣١ / ٧

١٣١- و لكنهم ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمْ﴾ الحياة المريحة ﴿الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ﴾ بما نستحقها، كأنهم يملكونها ﴿وَأِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا﴾ يتشاءموا ﴿بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ﴾ كأنه هو معهم بطائرهم ﴿أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ﴾ شؤمهم ملأهم كما يستحقون ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ لا سواه ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ هذه الحقيقة، أجل "طائرهم" عملهم الذى يطير إلى الأثير فى زعمهم، هو عند الله، باقيا عنده بما يستنسخها، و كذلك ما كتب عليهم هنا بسوء أعمالهم، فلا طائر كهذين و ما أشبه عند غير الله، موسى و من معه و سواهما: "وَكُلِّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ" (١٧: ١٣).

١٣٢ / ٧

١٣٢- ﴿وَقَالُوا مَهْمَا﴾ كيف كانت ﴿تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ﴾ ربانية ﴿لَتَسْحَرَنَا بِهَا﴾ عما نحن عليه من دين فرعون ﴿فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ إذ نحن آمنّا بفرعون و سحرته، ويلهم و هم قد آمنوا برب موسى و هارون و هم مهرة الفن، تلك إذا قسمة ضيزى! حيث "جحدوا بها و استيقنتها أنفسهم ظلماً و علواً" (٢٧: ١٤).

١٣٣ / ٧

١٣٣- ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَ الْجَرَادَ وَ الْقُمَّلَ وَ الضَّفَادِعَ وَ الدَّمَ﴾ حيث حول النيل لهم دما يشربونه على بؤس ﴿آيَاتٍ مُّصَلَّاتٍ﴾ يفصل بها بين باطلهم و حق موسى ﴿فَاسْتَكْبَرُوا وَ كَانُوا﴾ على طول الخط ﴿قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾.

١٣٤ / ٧

١٣٤- ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ﴾ ما أرسل الله عليهم من عذاب ﴿الرَّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ لا رب العالمين و هم مضطرون - إذا- إليه، فما أحمقهم و أنكاهم "أدع" ﴿بِمَا عَاهَدَ عِنْدَكَ﴾ من صالح الدعاء المستجاب ﴿لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرَّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ﴾ لصالحك، بالله ﴿وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾.

١٣٥ / ٧

١٣٥- ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرَّجْزَ﴾ فالكاشف هو الله دون موسى إلا بدعائه بإذنه تعالى ﴿إِلَى أَجَلٍ هُمْ بِالْغُوهِ﴾ أمة من الزمن المقررة لذلك الكشف ﴿إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ﴾ عهد الإيمان إلى مهد الكفر.

١٣٦ / ٧

١٣٦- ﴿فَاتَّقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ إذا ﴿فَاغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ و هم يلاحقون موسى و الذين معه ﴿بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا﴾ كثيرا ﴿بِآيَاتِنَا وَ كَانُوا﴾ منذ كانوا ﴿عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ عن عناد و عتاد.

١٣٧ / ٧

١٣٧- ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ﴾ بديلهم في السلطة الحرة ﴿مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا﴾ فلسطين و ما حولها من الأراضي الفرعونية ﴿الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ سوريا و معنويا ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا﴾ على الضغوط الفرعونية على توحيدهم ﴿وَدَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ و يبنون من عوالى القصور و غوالى التقصير.

أجل، هناك " إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ" إزالة لكافة السلطات الظالمة، و هى ككل تتحقق فى الدولة الخاتمة الربانية بالقائم المهدى من آل محمد (ص) و هنا "أَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا" بعضا فى أرض التكليف، مما يدل على أن التقوى كلما تقوى، تخلف سلطة هنا قدرها، حتى تحلق على أرض التكليف فى الدولة المهدوية، حيث يرجع فيها كافة المرسلين و سائر المعصومين، و عباد الله الصالحين الذين محضوا الإيمان محضا، اللهم عجل فرجه، و سهل مخرجه، و اجعلنا من أعوانه و أنصاره.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ١٦٧

١٣٨ / ٧

١٣٨- ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ﴾ عند انتقامنا من فرعون و ملته ﴿فَاتَوَا عَلَى قَوْمٍ﴾ مشركين ﴿يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ﴾ و حينئذ ﴿قَالُوا﴾ هؤلاء الناجون الإسرائيلون ﴿يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا﴾ غير الله نعكف عليه ﴿كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ تعودا على المادية الحمقاء حتى وصلت إلى ترك عبادة الله إلى عبادة أصنام و طواغيت ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ على علم لكم بالتوحيد الحق، و أن الله نجاكم من آل فرعون.

١٣٩ / ٧

١٣٩- ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ﴾ الحماقى الأنكاد ﴿مُتَّبِرٌ﴾ منقطع ﴿مَا هُمْ فِيهِ﴾ مشركين كأصل، و أنتم الإسرائيلون كتهوس أحمق ﴿وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من عكوف على أصنام.

١٤٠ / ٧

١٤٠- ﴿قَالَ﴾ لهم ﴿أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ﴾ أطلب لكم ﴿إِلَهًا﴾ يعبد ﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ إذ أتبعتم فيكم رسلا دون سواكم.

١٤١ / ٧

١٤١- ﴿وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ حال أنهم ﴿يُسُومُونَكُمْ﴾ يضطرونكم ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ حيث ﴿يَقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ اجتثاتا إياكم ﴿وَيَسْتَحْيُونَ﴾ إحياء لخدمات بيتية، و إزالة لحياء جنسيا ﴿نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكَمُ﴾ العذاب المزرى ﴿بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ إذ لم يصده عنكم لفترة ابتلائية، ابتلاء فى كل نوااميسكم دون إبقاء.

١٤٢ / ٧

١٤٢- ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَى﴾ للمكث فى الطور مواعدة أولى هى ﴿ثَلَاثِينَ لَيْلَةً﴾ ثم ﴿وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ﴾ مما يدل على أن أصل المواعدة كان أربعين ليلة، و كما "وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً" (٥١: ٢) و الثلاثون هى من ضمن الأربعين: ﴿فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ لما فى هذا العدد من عدد الكمال و الجمال ﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ﴾ قبل ذهابه إلى الطور ﴿اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي﴾ بما أرسلت به و كلفت رسولا بينهم ﴿وَأَصْلِحْ﴾ بينهم عند خلافات ﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ منهم و من غيرهم.

١٤٣ / ٧

١٤٣- ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا﴾ جانب الطور الأيمن ﴿وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ من الشجرة المباركة ﴿قَالَ رَبِّ ارْنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ كما تطلبه بنوا إسرائيل "قالوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً" وقد استأذن الله في ذلك السؤال فأذن له حتى يظهر لهم الجواب، و من ناحية أخرى تطلب النظر الأعلى معرفياً لنفسه كما نظر محمد (ص) إليه تعالى ليلة المعراج "وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى" و الجواب كلمة واحدة عنهما ﴿قَالَ لَنْ تَرَانِي﴾ مستحيلاً ذاتياً كالأول، و مصلحياً كالثاني ﴿وَلَكِنْ﴾ لكى تعرف عدم إمكانية ما تطلبه ﴿انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ﴾ الطور ﴿فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانُهُ﴾ جبلاً ﴿فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾ لا فى الجبل حلولا! وإنما للجبل تجلياً بقدرة لا يطيقها الجبل ﴿جَعَلَهُ دَكًّا﴾ متفرقاً إذ لم يتحمل ذلك الحمل ﴿وَوَخَّرَ مُوسَى صَعْقًا﴾ مغشياً عليه ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ ثَبَّتْ إِلَيْكَ﴾ من ذلك السؤال ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بك قبل كل أحد فيمن أرسلت إليه، لا "أنا أمنت بك" بل ذلك السؤال فى مرحلتيه كان قضية إيمانه بالله.

و هنا "خَرَّ مُوسَى صَعْقًا" دون موت، إلا الذين كانوا معه فى تطلب الرؤية: "وَ اخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَ إِيَّائِي أَتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا" (٧: ١٥٥) و إذا كان اختيار موسى دون وحى هكذا، فما ذا يكون إختيار السقيفة؟! و أين موسى من رجال السقيفة! فأفوض ما أنت قاضٍ.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ١٦٨

١٤٤ / ٧

١٤٤- عندئذ ﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ﴾ أجمعين ﴿بِرِسَالَتِي وَ بِكَلَامِي﴾ معك ﴿فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ﴾ من رسالات و كلام دون استزادة هى خاصة بالقمة العليا المحمدية كالرؤية المعرفية فى "تدل" ﴿وَ كُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ لما آتيتك، و لو كان سؤال الرؤية خطأ لما اصطفى.

١٤٥ / ٧

١٤٥- ﴿وَ كَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ﴾ التوراتية ﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ بعضاً من الكل، ثم الكل هو لخاتم الرسل ﴿مَوْعِظَةً﴾ للأمة التوراتية ﴿وَ تَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ تحتاج إليه فى الزمن المحدد لهذه الشريعة، و ليس تفصيل كل شىء، و إنما تفصيلاً يعنى بعضاً من الكل حسب الحاجة الموقته ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ﴾ و صمود من كافة الجهات المحافظة على الشريعة التوراتية علماً و تعليماً و تطبيقاً ﴿وَ أَمْرَ قَوْمِكَ﴾ الأول و هم إسرائيليون كرأس الزاوية الرسالية، و الثانى و هم كافة المكلفين ﴿يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ قوة و أخذاً ﴿سَارِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ هنا و يوم الدين، إراءة البصر و البصيرة.

١٤٦ / ٧

١٤٦- ﴿سَاصْرِفْ﴾ إعراضاً ﴿عَنْ آيَاتِي﴾ المعروضة عليهم حتى لا يعتبروا بها ﴿الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ و التكبر فى نفسه مرفوض، و هو بغير الحق ظلمات بعضها فوق بعض، و من نتائج ذلك الصرف ﴿وَ إِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ﴾ بينة ربانية ﴿لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَ إِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ﴾ المدلول عليها بآياتنا ﴿لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَ إِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَى يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ﴾ البعيد عن الحق ﴿بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ رغم دلالاتها ﴿وَ كَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ تغافلاً معمداً.

١٤٧ / ٧

١٤٧- ﴿وَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَ﴾ بـ ﴿لِقَاءِ الْآخِرَةِ﴾ المعنية فى شريعة الله، أولئك ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ الصالحة دون إيمان، فإنها- إذا- طالحة مهما صلحت فى مظاهرها ﴿هَلْ يَجْزُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من طالح، أو صالح حابط، فهم- إذا- حابطون لأنهم كانوا خابطين على أية حال، و لأن العمل محدود زمناً و أثراً، فليكن العذاب بطالحه محدوداً، آخره فناءهم بفناء النار، فتبقى دار القرار للأخير "عطاءً غير مجذوذ" بفضلته تعالى غير المحدود، كما تنفى النار بفناء من فيها بعدله تعالى.

١٤٨- ﴿وَ اتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ﴾ إذ ذهب إلى ميعاد الطور و آخر عن الثلاثين ليلة ﴿مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا﴾ لا روح له و لكنه ﴿لَهُ خُورٌ﴾ لدخول الريح من طرف منه و خروجها من طرف آخر، و ذلك بما أخر الله لذلك الجسد، إبتلاء بعد تواتر الآيات ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يَكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ﴾ لو كلمهم ﴿سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ﴾ إلها يعبد ﴿وَ كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ فى هذه الأخذة الوخزة.

١٤٩- ﴿وَ لَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾ بما حرقه الله و نسفه بين أيديهم فى اليم: "وَ انْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا" (٩٧: ٢٠) ﴿وَ رَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا﴾ بسوء اختيارهم ﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَ يَغْفِرْ لَنَا لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ حياتنا نفسا و نفيسا هنا و فى الأخرى.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ١٦٩

١٥٠- ﴿وَ لَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ حالكونه ﴿غَضَبَانَ أَسیفًا﴾ على ضلالهم العاجل ﴿قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي﴾ لما غبت عنكم لأخذ التوراة مواعدة من ربى ﴿أَعْجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ﴾ و هو كما: .. قال يا قوم أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَ فَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي" (٨٦: ٢٠) أمران اثنان وعدا و وعيدا ﴿وَ أَلْقَىٰ﴾ من يديه ﴿الْأَلْوَحَ﴾ التوراتية ﴿وَ أَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾ ليعلموا بأحرى أنه يأخذهم بوخزة ﴿قَالَ﴾ هارون ﴿يَا بَنَ أُمِّ﴾ إما لإختلاف أبويهما، أو تحريكا بعطوفة أمية ﴿إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّفُونِي﴾ فى تعيبك، لحد ﴿وَ كَادُوا يَقْتُلُونَنِي﴾ إذ نهيتهم عن ضلالهم، و لم يكن فى قتلى فى هذه الدعوة ما يبررها ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ﴾ بذلك الجرّ حيث يشتمونى به ﴿وَ لَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ و أنا خليفتك القائم بأمرك بعدك، و ما كنت معهم فى ضلالهم، مهما لم أتركهم إليك سفرا إلى الطور.

١٥١- ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي﴾ عما فعلت بأخى ﴿وَ لِأَخِي﴾ حيث لم يستطع أن ينهاهم انتهاء ﴿وَ أَدْخِلْنَا﴾ أنا و أخى ﴿فِي رَحْمَتِكَ وَ أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ لحدّ ما ابتلينا بزحمة و بلية.

١٥٢- ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ﴾ يعبدونه ﴿سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَ ذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ و منه " .. فَتَوْبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ" (٥٤: ٢) كما " وَ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَ الْمَسْكَنَةُ" (٢: ٦١) و بصورة مستمرة" إذ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ" (١٦٧: ٧) ﴿وَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتِرِينَ﴾ على الله هودا أو نصارى أو مسلمين، غضبا و ذلة بدركاتهما حسب دركات العصيان.

١٥٣- ﴿وَ الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ﴾ كلها ما استطاعوا ﴿ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا﴾ توبة صالحة ﴿وَ آمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾ التوبة بعد السيئة ﴿لَعَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ مهما اختلف الغفر حسب إختلاف التوبة من قريب أو بعيد.

١٥٤- ﴿وَ لَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ﴾ الذى حلق عليه دون إختياره ﴿أَخَذَ الْأَلْوَحَ﴾ التى ألقاها ﴿وَ﴾ الحال أن ﴿فِي نُحُوتِهَا هُدًى وَ رَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ لا سواه.

١٥٥- ﴿وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا﴾ و هؤلاء المختارون موسويا دون وحى ضلوا بسؤال الرؤية، إذا فما هي حال المختارين غير المرسلين من المسلمين بعد الرسول (ص)؟ فى السقيفة و ما أشبهه، إن هو إلا أضل سبيلا فى إختيار الخليفة بعده بالشورى ﴿فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ فأرجفوا ﴿قَالَ﴾ موسى يا ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ﴾ اختيارى ﴿وَأَيُّ﴾ لا فى هذا الموقف الحرج المرج حيث يضل البسطاء ﴿أ تَهْلِكُنَا﴾ هنا ﴿بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾ من عبادة العجل، و هى أسفه من سؤال الرؤية حيث لا تستحق به الرجفة ﴿إِنْ هِيَ﴾ عبادة العجل ﴿إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ امتحانك ﴿تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ﴾ مشيئة باختيار كل منهما للضال و المهتدى ﴿أَنْتَ وَلِينَا﴾ لا سواك ﴿فَاغْفِرْ لَنَا﴾ ذنوبنا ﴿وَ أَرْحَمْنَا وَ﴾ الحال ﴿أَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾.

و البليات الصعبة المتوية ليست إلا على المتخلفين عن شرعة الله: "و بَلَّوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَ السَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ" (١٦٨: ٧) "و نَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَ الْخَيْرِ فِتْنَةً وَ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ" (٣٥: ٢١) و "كَذَلِكَ نَبْلُوكُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ" (١٦٣: ٧) ذلك بلاء سىء بفسقهم جزاء وفاقاً ثم "و لِيَبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا" (١٧: ٨).

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ١٧٠

١٥٦- ﴿وَ اكْتُبْنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَ فِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُنَا إِلَيْكَ قَالٌ﴾ الله ﴿عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ﴾ عدلا و منه بلاء سيئ ﴿وَ رَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ لو لا موانع عنها، فقد يحرم عنها لزوما، و قد تنال بغفران، و ثالثة ﴿فَسَاكُنْتُمُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَ يُوْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ فروعاً شرعية، ثم أصولاً ﴿وَ الَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ بالعقل، أو هم فى سبيل الإيمان بها.

١٥٧- ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ﴾ رسالة من الله ﴿النَّبِيَّ﴾ رفيع الدرجة بين المرسلين، فالنبوة نبوة و رفعة فى الرسالة، كما النبوة قبل الرسالة درجات ثلاث تلو بعض البعض ﴿الْأُمِّيَّ﴾ حيث لم يدرس عند أحد إلا الله ﴿الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ﴾ كـ "محمد لكسفام"^{١٢} محمد لفضتهم، حيث يأخذ منهم الجزية" بمئد مئد شنيم عاسار نسييم إم"^{١٣} بمحمد و اثنى عشر إماما .. و ما أشبه ﴿وَ الْإِنْجِيلِ﴾ كـ "بريكليطوس يأتى"^{١٤} "أحمد (ص) يأتى" مكتوبا" حال أنه ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ أصولاً و فروعاً فى الشرعة القرآنية .. ﴿وَ يَحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ ككل، كلا فى مواردنا، أكلا أو لبسا أو سكونة أو نكاحا و ما أشبه ﴿وَ يَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ﴾ ثقلهم الذى كان يثقل عليهم شرعة أو بدعة ﴿وَ الْأَغْلَالِ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ من أنفسهم ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَ عَزَّوهُ﴾ دافعوا عنه ﴿وَ نَصَرُوهُ﴾ فى دعوته ﴿وَ اتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ﴾ القرآن ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ مزرعة الحياة حيث يشقونها إلى النجاة.

١٥٨- قُلْ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ ككل ﴿إِنِّى رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ دونما استثناء فى الطول التاريخى و العرض الجغرافى ﴿الَّذِى لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ﴾ و كذلك هذه الرسالة تشمل ملك التكليف فيهما ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ فلا شرعة إلا هى ﴿يَحْيَى﴾

^{١٢} . نقل هذه البشارة عن كتاب هو شيع النبى عليه السلام (الفصل ٩: الآية ٦) عن التورات العبرانية.

^{١٣} . تجد هذه البشارة فى سفر التكوين (الفصل ١٧: الآية ٢٠) عن التورات العبرانية

^{١٤} . هى لغة يونانية تعنى أحمد و محمداً. و قد حرفت بعد الإسلام إلى: "باركليطوس" بمعنى المسلى و لكنه أيضا ليس إلا محمدا حسب المواصفات المسرودة فى آياتها، فصلناها فى كتابنا "رسول الإسلام فى الكتب السماوية" فيه قرابة ستين بشارة، نقلها بلغاتها الأصلية، عن "العهدين" و ما معهما من كتب الوحى و ما أشبهه، محلقة على اسمه و رسمه و وصفه و دعوته و مولده و مبعثه، كما و فى كتابنا "بشارات عهدين" باللغة الفارسية، حيث ألف قبله بسنين.

كما تحيى ميت الناس ﴿وَيَمِيتُ﴾ كما تميت الكافرين بها ﴿فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبَى الْأُمِّى الَّذِى يُوْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبَعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ إلى الحق المرام بذلك المرام.

١٥٩ / ٧

١٥٩- ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى﴾ بعضا ﴿أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ﴾ الحق ﴿يَعْدِلُونَ﴾ عن الباطل، و يعدلون فى حياة التكليف، و عدل الإنسان ليس عدلا لعدل الرحيم الرحمن "فَبِأَى آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ".

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ١٧١

١٦٠ / ٧

١٦٠- ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ﴾ جميعا ﴿اِثْنَتَى عَشْرَةَ أَسْبَاطًا﴾ ذرارى ذكورا و إناثا، مما يدل على عدم اختصاص السبت بآبن البنت ﴿أُمَّمًا﴾ اثنى عشر ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ المعلوم المقرر، دون "حجرا" ﴿فَأَنْبَجَسَتْ مِنْهُ اِثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ لكل منها عين ﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ﴾ الخاص، دون تنازع فيها و لا احتراض ﴿وَوَضَعْنَا عَلَىٰ رِجْلَيْهِ سُدًّا﴾ ضللا عن نور الشمس و حرها ﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ﴾ ما يمن به ﴿وَوَسَّوْا﴾ ما يتسلى به ﴿كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ دون خبيثات منه ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ انتقاصا إذ لا يظلم الله أبدا بأى ظلم ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ فإن الظلم بالحق و أهليه راجع بالمآل إلى الظالم، فالحق لا ينتقص منه، و ظلم أهليه مؤقت راجع بجزائه إلى الظالم بالمآل، فى كل حل و ترحال، و مهما يظلم المضلل بما يضلونه، و لكن ظلمه الأصيل راجع إلى من أضل، ثم الذى ينضل هو أيضا ظالم نفسه.

ذلك، و قد ربطت آية "الرَّسُولَ النَّبَى الْأُمِّى" أومية هذه الرسالة السامية بملكية الله للكون كله، مما يؤشر إلى أنها تشمل كافة المكلفين فى السماوات و الأرض، مهما ذكر لها رأس الزاوية، الإنسانية، و كما صرحت بأنه مكتوب عندهم فى الكتابين - على تحرفهما- باسمه و رسمه و سماته، و كما خرجناه فى كتابنا "رسول الإسلام فى الكتب السماوية" عربيا و "بشارات عهدين" فارسيا، و فى "الفرقان" حسب عديد المناسبات فى خاصة الآيات.

١٦١ / ٧

١٦١- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾: القدس المحتل بالعمالة المشركين ﴿وَكُلُّوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ﴾ من طيباته ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ﴾ حطأ عنا خطايانا ﴿وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا﴾ خضعا لله ﴿نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ﴾ أنتم المسيئين ﴿وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ غفرانا و كرامة.

١٦٢ / ٧

١٦٢- ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِى قِيلَ لَهُمْ﴾ ك "حنطة" و ما أشبه فى صيغة التعبير استهزاء بكلام الله ﴿فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْرًا﴾ عذابا ﴿مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ الحق و أهليه.

١٦٣ / ٧

١٦٣- ﴿وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾ إيلة أو طبرية أو مدين ﴿إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ﴾ المنقطع فيه العمل صيدا و سواه ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا﴾ بكثرة، حيث كان الصيد فيه ممنوعا، فأخذت حريتها فى إتيانها ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ﴾ إذ كانوا يصيدون فيه ﴿كَذَلِكَ﴾ كنا ﴿نَبْلُوهُمْ﴾ امتحانا صعبا ﴿بِمَا كَانُوا﴾ على طول الخط ﴿يَفْسُقُونَ﴾ تخلفا عن أحكام الله، و عدوهم فى السبت بين صيدهم فيه جهرا، أو أنحس منه الحيلة أن سدوا بينها و بين رجوعها يوم السبت ثم صادوها بعده، و ما أشبه، و منه عدم النهى عن ذلك المكر، بل و النهى عن ذلك النهى.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ١٧٢

١٦٤- ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَةٌ مِنْهُمْ﴾ لمن كان يعظهم ﴿لَمْ تَعْظُونِ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ حيث لا يؤثر نهيكهم، وكأنه - إذا - غير واجب أم هو محرم ﴿قَالُوا مَعَذَرَةَ إِلَى رَبِّكُمْ﴾ لوجوب أصل النهي وإن لم يؤثر ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ مهما لا يتقون بحسابنا و حسابنا، و لكن الواقع أوسع مما نحاسبه، مما يدل على وجوب الأمر و النهي مهما نقطع بعدم تأثيرهما، فقد يجب النهي عن المنكر مع العلم أنه لا يؤثر، فإن فيه مزيد الحجة و تواترها لأقل تقدير، أم يؤثر و نحن لا نعلم، و كما يجب عند الضرر إن كان أخف من ضرر ترك النهي، و كما قال لقمان لابنه: " وَ أَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ اصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ " (٣١: ١٧) "وَ إِنْ تَصَبَّرُوا وَ اتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ" (٣: ١٨٦) و كما تحرم الحيلة المسماة بالشرعية، و هى غيلة على الشرع و أهليه، فالحرام لا يبرره أية حيلة، و لا سيما مثل الربا و قد يحتال فيها كثير.

١٦٥- ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ من ترك الصيد و الاحتيال فيه و النهي عنه ﴿أَنْجَيْنَا﴾ فقط ﴿الَّذِينَ﴾ كانوا ﴿يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ﴾ دون سواهم ﴿وَ أَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ ساكتين أو ناهين الناهين أو مقتربين، على دركاتهم ﴿بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ عن طاعة الله.

١٦٦- ﴿فَلَمَّا عَتَوْا﴾ الفرقة الثالثة ﴿عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ﴾ من الصيد أو الاحتيال فيه ﴿قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ بعيدين عن رحمة الله، قردة فى أبدانهم و الأرواح نفس الأرواح، و إلا فلا عذاب إلا تحوّلهم إلى قردة، و ليس إلا مثل الموت، و هو لقبلى الكفر و الإيمان.

١٦٧- ﴿وَ إِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ﴾ تكلفا فى الإعلام الإعلان بكثرتهم و التأكيد فيهما، و لا تكلف لله ﴿لِيُبَعِثَنَّ عَلَيْهِمُ﴾ اليهود الفاسقين ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ﴾ يضطربهم ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ و هم العباد الصالحون المجاهدون فى سبيل الله و لا سيما عند تشكّل الدولة الإسرائيلية، حيث يواصلون ضربات عليهم داخل البلدة المحتلة و خارجها ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ لمن يستحقه ﴿وَ إِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ فى موضع الغفر و الرحمة.

١٦٨- ﴿وَ قَطَعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ بفلسطين ﴿أُمَمًا﴾ متقطعة ﴿مِنْهُمْ الصَّالِحُونَ﴾ منقطعين عن الطالحين أو مفرقين فيهم ﴿وَ مِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ﴾ و كذلك الأمر، و عله تقطيع كما كان بالتّيه ﴿وَ بَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ﴾ و هى أبلى، و بـ ﴿السَّيِّئَاتِ﴾ و هى بلاء يذكر ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ إلى الحق.

١٦٩- ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ أمثالهم فى التخلف حيث ﴿وَرِثُوا الْكِتَابَ﴾ تكليفا حال كونهم ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى﴾: حاضر الحياة الدنيا ﴿وَ يَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ و هم متعمدون فى ذلك الأخذ الوخز ﴿وَ إِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ﴾ بديل الكتاب الذى ورثوه، فهم كانوا مستمرين فى ذلك الأخذ الوخز ﴿أَلَمْ يُوْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ المذكور فى الكتاب ﴿وَ﴾ الحال أنهم ﴿دَرَسُوا مَا فِيهِ﴾ و لكن فيه ما فيه، إذ خالفوه إلى غير ما فيه ﴿وَ الدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ﴾ من هذا الأدنى ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ و هى شر للذين لا يتقون ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ عقال الباطل عن الحق و الحق عن الباطل و أنتم عقلاء لا تستفيدون بعقولكم.

١٧٠- ﴿وَالَّذِينَ يَمَسُكُونَ﴾ تمسكوا قويا لا قبل له ولا حول عنه، يمسكون أنفسهم بنواميسها الواجبة الحفاظ ﴿بِالْكِتَابِ﴾ و هنا فى الشرعة الأخيرة هو القرآن و على ضوءه السنة المحمدية، حيث التمسك بها تمسك بالكتاب الأمر باتباعها ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ كأبرز صلة و وقود نور بينهم و بين ربهم ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ فغيرهم من المسكين بغير الكتاب، أو به و ما يضاده، أو لا يمسكون بشيء منهما إلا جاهلية فيعشون هملا، هؤلاء الثالث هم غير مصلحين، فهم مفسدون " فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ".

١٧١- ﴿وَ﴾ اذكر و ليذكروا ﴿إِذْ تَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ﴾ "وَ إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَ رَفَعْنَا فَوْقَكُمْ الطُّورَ .." (٢: ٦٣) ﴿وَ ظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾ بسببهم، إذ لم يكن وقوعه عليهم إلا بهم، عصيانا لله، و قلنا لهم ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ﴾ من شرعة التوراة ﴿بِقُوَّةٍ﴾ العلم و الإيمان فالعمل و الدعوة إليه ﴿وَ أَذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ فإنه ذكرى لمن أراد أن يتذكر ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ على ضوء هذه الأخذة الربية كل المحاذير قدر أخذكم.

١٧٢- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ﴾ زمانا متلاحقا حسب تلاحق الذريات ﴿مِنْ بَنَى آدَمَ﴾: آدم و بنيه، لا آدم نفسه إلا مفهومها من أصل الأخذ ﴿مِنْ طُغُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ أخذهم و هم ذرية، و هى هنا ذرية الأرواح: الفطر لمكان الحوار ﴿وَ أَشْهَدُهُمْ﴾ بنى آدم ﴿عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ حيث عرفهم، إياها بأصل الفطر، حيث هى ذريات الأرواح، و قال دون لفظة بل هو عرض لما حصل بسيرة التكوين، بصورة القول ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾ فهذه شهادة فطرية لا حول عنها: "فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ وَ لَكِنَ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ" (٣٠: ٣٠) "وَ أَشْهَدُهُمْ" عن ﴿أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا﴾ الإقرار الفطرى ﴿غَافِلِينَ﴾ فليس هناك غفلة قاصرة، إنما هى مقصرة.

١٧٣- ﴿أَوْ﴾ أن ﴿تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ﴾ فإنكم و آباءكم شرع سواء فى ذلك التخلف عن الإقرار الفطرى مهما كنتم بين تابعين و متبوعين، فلا عذر فى ﴿وَ كُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ نقلدهم ﴿أَفْتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ لحكم الله، و كلكم مبطلون.

١٧٤- ﴿وَ كَذَلِكَ﴾ العظيم العريق ﴿نُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾ الربانية، لعلهم يغلبون أو ينتبهون ﴿وَ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

١٧٥- ﴿وَ أَنْتَ عَلَيهِمْ نَبَأٌ﴾ خبرا ذا فائدة مهمة لـ ﴿الَّذِى آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا﴾ خاصة كإجابة الدعوة، دون الآيات الرسولية حيث تخص المعصومين ﴿فَأَنْسَلَخَ مِنْهَا﴾ إذ عاملها معاملة الكفران و النكران ﴿فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾ لنفسه فصار من أتباعه ﴿فَكَانَ﴾ إذا ﴿مِنَ الْغَاوِينَ﴾ الذين وعد الشيطان أن يضلهم "فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ" (٣٨: ٨٣).

١٧٦- ﴿وَ لَوْ﴾ مستحيلا ﴿شِئْنَا﴾ تسييرا بتكوين ﴿لَرَفَعْنَاهُ بِهَا﴾ أكثر مما كان قبل انسلاخه ﴿وَ لَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ﴾ شهوة و حيونة و أنانية من أرضيات تافهة ﴿وَ اتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ حيث ترك هداة ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ﴾ فى اللهث و التعطش ﴿إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ﴾ كلبا ﴿أَوْ تَتْرُكْهُ﴾ لحاله ﴿يَلْهَثْ﴾ بإخراج لسانه كالعطشان ﴿ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ بعد إذ

أَتَتْهُمْ بَيْنَهُ ﴿فَاقْصُصْ﴾ بوحى الله تلك ﴿الْقَصَصَ﴾ المقصودة عن ملابس التاريخ ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ بذكريات هذه القصص المذكورة.

١٧٧ / ٧

١٧٧- ﴿سَاءَ مَثَلًا﴾ فى حياة التكليف ﴿الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾ إيانا، حيث أرسلناها إليهم " فى الأفاق و فى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق " .. ﴿وَأَنفُسَهُمْ﴾ لا سواهم ﴿كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ مهما ظلمت جماعة ظالمين أنفسهم كأمثالهم أو مظلومين، و لكن الظلم راجع إلى أصول الظلم كأكثر ما يكون.

١٧٨ / ٧

١٧٨- ﴿مَنْ يَهْدِ﴾ إياه ﴿اللَّهُ﴾ بما أراد الهدى و حاول لها ﴿فَهُوَ الْمُهْتَدَى﴾ لأن هدى الله هى الهدى، فلا تخطأ، و ليس لغير الله يهدى أحدا إلا رسالة رسولية و سواها إراءة لسبيل الله، ثم التوفيق بيد الله ﴿وَمَنْ يَضِلَّ﴾ إياه، بأن ضل فى نفسه فوكله الله إلى نفسه، ثم جزاه ضلالا على ضلال: " فلما زاغوا أزاع الله قلوبهم " ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ " أنفسهم و أهلبيهم يوم القيامة ".

١٧٩ / ٧

١٧٩- ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا﴾ إظهارا لما خلقنا بمظهر الأعمال صالحة و طالحة، فلا تعنى " خلقنا " حتى تطارد خلقنا للرحمة غاية غاية " و لَذَلِكَ خَلَقَهُمْ " و لما ذا " ذَرَأْنَا " ﴿لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ﴾ إذ ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ و قد خلقها الله لهم للفقه و هو التوصل بحاضر إلى غائب ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ و قد خلقت للإبصار بها إنسانيا فإيمانيا ﴿وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ سمع الإنسان الإيمان، و ليس كل ذلك من خلق الله تسييرا، بل ذراه كما تقدم، ف﴿أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ﴾ من حيث فقدان الفقه و العين و الأذن إنسانيا، بفارق أنه فى الإنسان تقصير و فى الأنعام قصور، إذا ف ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ لأن ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ عما توجب عليهم: " أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل " (٢٥: ٤٤) ثم ذلك ذرء حيلة علمية منه تعالى إضافة إلى تهيئة عملية بما " زاغوا " ف " أزاع الله قلوبهم ".

١٨٠ / ٧

١٨٠- ﴿وَلِلَّهِ﴾ لا سواه ﴿الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ لفظيا و عينيا، ذاتيا و صفاتيا و أفعاليا ﴿فَادْعُوهُ بِهَا﴾ لا سواها ﴿وَالَّذِينَ يَلْحَدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ زيادة عليها أو نقصانا عنها، أو تغييرا لها ﴿سَيَجْزَوْنَ﴾ نفس ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ حيث الجزاء هو نفس العمل ظهورا لملكوته يوم الجزاء مهما كانت زيادة فى الحسنات " عطاء غير مجذوذ " و لكنها فى السيئات " جزاء سيئة سيئة مثلها " دون زيادة لأكثر تقدير، أم نقيصة عنها بعطف و رحمة.

١٨١ / ٧

١٨١- ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا﴾ هم من المكلفين إنسا وجنا و سواهما من ملائكة و من أشبه ﴿أُمَّةٌ﴾ جماعة ذات قصد واحد ﴿يَهْدُونَ﴾ غيرهم ﴿بِالْحَقِّ﴾ لا سواه ﴿وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ عدلا فيهم و عدلا بين المتعادلين فى ميزان الله.

١٨٢ / ٧

١٨٢- ﴿وَالَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾ كلها ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ﴾ طلبا لدرجهم فى حزب الشيطان إضلالا فوق ضلالهم جزاء وفاقا، ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ و من ظروفه:

١٨٣ / ٧

١٨٣- ﴿وَأَمْلَى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ و " أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَضَّعُوا لَنَا " (١٩: ٨٣) بل قد يحسبونه رحمة " هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا و هم يحسبون أنهم يحسنون صنعا " (١٨: ١٠٤).

١٨٤- أَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَىٰ عَقْلِيَّتِهِ الْبَارِعَةِ ﴿أَوْ لَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ﴾ الذى صاحبهم عمرا من قبله: "فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَ فَلَا تَعْقِلُونَ" (١٠: ١٦) ﴿مِنْ جَنَّةٍ﴾ إِذْ كَانَ قَبْلَهُ عِنْدَهُمْ أَعْقَلَ الْعُقَلَاءِ فَلَمَّا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَا لَا يَشْتَهُونَ أَصْبَحَ ذَا جَنَّةٍ ﴿إِنْ هُوَ﴾ بصورة عامة للمكلفين ﴿إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ إنذاره ببراهينه الساطعة.

١٨٥- ذَرُونَا مِنْ "بِصَاحِبِهِمْ" عَقْلًا أَوْ جَنُونًا ﴿أَوْ لَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ﴾ حقيقة كونية لـ ﴿السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَ﴾ كُلِّ ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ فِيهَا وَ بَيْنَهَا، حَتَّى يَعْرِفُوا أَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ لِأَلِهٍ وَاحِدٍ، فَكَيْفَ بِهِ جَنَّةٌ إِذْ يَدْعُوا إِلَىٰ وَحْدَتِهِ، ثُمَّ ﴿وَأَنْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَدْ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾ فَالَى أَجَلِهِمُ الْوَفَاقُ ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ﴾: اللَّهُ وَ كِتَابِهِ وَ رَسُولِهِ بِمَا أُرْسِلَ بِهِ ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ حَالٌ أَنَّهُ قَبْلَ كُلِّ مَا يَصِحُّ أَنْ يُؤْمِنَ بِهِ مِنْ حِسِّيَّاتٍ وَ عَقْلِيَّاتٍ، فَالْقُرْآنُ وَ رَسُولُهُ حَدِيثٌ، بَلِ اللَّهُ بِتَوْحِيدِهِ أَيْضًا حَدِيثٌ، حَيْثُ تَحَدَّثُ هَذِهِ الْمَعْرِفَةُ بِنَظَرٍ فِي آيَاتٍ آفَاقِيَّةٍ وَ أَنْفُسِيَّةٍ مَهْمَا خَفِيَتْ تَحْتَ سِتَارِ الْغَفَلَاتِ وَ الْهَوَسَاتِ: "فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَ آيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ" (٤٥: ٦٠).

١٨٦- ﴿مَنْ يَضِلَّ﴾ هـ ﴿اللَّهُ﴾ بِمَا ضَلَّ، أَنْ وَ كُلَّهُ إِلَىٰ نَفْسِهِ أَوَّلًا، وَ أَنْ أَزَاغَهُ بِمَا زَاغَ ثَانِيًا ﴿فَلَا هَادِيَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾ مِنْ إِضْلَالِهِ أَنْ ﴿يَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ وَ فِي رِيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ.
البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ١٧٥

١٨٧- ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ﴾ زَمَنًا ﴿مُرْسَاهَا﴾ ثَبَاتُهَا، وَ هِيَ الْحَرَكَةُ الدَّيْنِيَّةُ إِذْ تَقِفُ إِلَىٰ حَرَكَاتٍ أُخْرَوِيَّةٍ ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي﴾ لَا سَوَاءَ، بَلِ ﴿لَا يَجْلِيهَا﴾ إِظْهَارًا بِآيَاتِهَا ﴿لَوْفَتْهَا﴾ الْمَقَرَّرُ عَهْدُهُ ﴿إِلَّا هُوَ﴾ بَلِ وَ ﴿تَقُلْتُ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ﴾ عِلْمًا وَ وَاقِعًا، وَ ﴿لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً﴾ دُونَ إِخْبَارٍ ﴿يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا﴾ أَنْ تَعْلَمَهَا أَوْ بِإمكانِكَ أَنْ تَتَعَرَّفَ إِلَيْهَا وَ لَكِنَّا بَخِيلٌ عَنِ الْإِخْبَارِ بِهَا ﴿قُلْ﴾ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴿إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذَلِكَ الْإِخْتِصَاصُ.

١٨٨- ﴿قُلْ﴾ لَهُؤُلَاءِ الْمَجَاهِيلِ ﴿لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي﴾ لَا بِنَفْسِي وَ لَا بِمَا هَبَاهُ اللَّهُ ﴿نَفْعًا وَ لَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ مِنْ نَفْعٍ أَوْ ضَرَرٍ ﴿وَلَوْ﴾ مُسْتَحِيلًا بِصُورَةٍ مُطْلَقَةٍ كُنْتُ ﴿أَعْلَمُ الْغَيْبِ﴾ مُلْكًا عِلْمِيًّا بِمَا يَنْفَعُنِي أَوْ يَضُرُّنِي مَهْمَا كَانَ تَعْلِيمًا مِنَ اللَّهِ وَ هُوَ غَيْبٌ عِنْدَ اللَّهِ ﴿لَأَسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ﴾ جَلْبًا لِنَفْعٍ وَ دَفْعًا لَضَرٍّ ﴿وَ﴾ جُمْلَةً ﴿مَا مَسْنَى السُّوءِ﴾ أَبَدًا ﴿إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ﴾ لِلْكُلِّ ﴿وَ﴾ بَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ فالنذارة عامة و البشارة خاصة.

١٨٩- ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ يَا بَنَىٰ آدَمَ كَكُلِّ ﴿مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ آدَمُ الْأَوَّلُ، أَوْ كُلًّا مِنْكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ هِيَ وَالِدُهُ ﴿وَ﴾ الْحَالُ أَنَّهُ ﴿جَعَلَ مِنْهَا﴾ نَفْسَ وَاحِدَةٍ ﴿زَوْجَهَا﴾ جَعَلًا خَلْقِيًّا كَمَا حَوَّاهُ مِنْ آدَمَ، أَوْ زَوْجِيًّا كَسَائِرِ الْأَزْوَاجِ لِسَائِرِ الْبَعُولَةِ ﴿لَيْسَكُنْ﴾ نَفْسٌ وَاحِدَةٌ أَوْ وَ كُلِّ ﴿إِلَيْهَا﴾ زَوْجَهَا ﴿فَلَمَّا تَعَشَّاهَا﴾ كُلُّ نَفْسٍ زَوْجَهَا، انْقِطَاعًا عَنْ خُصُوصِ "نَفْسٍ وَاحِدَةٍ" آدَمَ، إِلَىٰ عُمُومِ الْأَزْوَاجِ، أَوْ اسْتِمْرَارًا لِلْإِحْتِمَالِ الثَّانِي ﴿حَمَلَتْ﴾ زَوْجَهَا بِطَبِيعَةِ الْحَالِ ﴿حَمَلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ﴾ بِذَلِكَ الْحَمْلِ زَمَنًا لِحَمْلِهِ ﴿فَلَمَّا أَثْقَلَتْ﴾ زَوْجَهَا ﴿دَعَا اللَّهُ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْنَا صَالِحًا﴾ مِنَ الْوَلِيدِ ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ فِي عِبَادَتِكَ بِنِعْمِكَ.

١٩٠- ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا﴾ كما دعوا ﴿جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾ كسائر العلل المصلحية للحمل ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ هؤلاء الزوجان ككل.

١٩١ / ٧

١٩١- ﴿أَيُّ شُرِكُونِ﴾ ككل، دون والدين أولين فحسب، أو أى والدين إلا عاما إلا من رحم الله ﴿مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَ﴾ الحال أن ﴿هُمْ﴾ شركاء و الذين أشركوا بهم ﴿يَخْلُقُونَ﴾ بما يخلق الله.

١٩٢ / ٧

١٩٢- ثم ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا﴾ من دون الله، حتى ﴿وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾ فكيف ينصرون عبدتهم.

١٩٣ / ٧

١٩٣- ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ﴾ هؤلاء المشركين ﴿إِلَى الْهُدَى﴾ ببيناتها ﴿لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ﴾ فى حقل التأثير ﴿أَدَعَوْتُمُوهُمْ﴾ أم أنتم صامتون و لكن عليك البلاغ مهما صمدوا على الكفر.

١٩٤ / ٧

١٩٤- ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ هم ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ شركاء لله، هم ﴿عِبَادُ﴾ لله ﴿أَمْثَالُكُمْ﴾ أصناما أو طواغيت، و إلا ﴿فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ لو كانوا آلهة من دون الله ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فى أنهم شركاء الله.

١٩٥ / ٧

١٩٥- ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا﴾ و هى الأصنام ﴿أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا﴾ حملة مدافعة عن أنفسهم ﴿أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يَبْصُرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾ الذين تزعمونهم من دون الله شركاء لله ﴿ثُمَّ كِيدُونَ﴾ بأى كيد فى هذه المعركة الصاخبة بين توحيد و إشراك ﴿فَلَا تُنْظَرُونَ﴾ إياى إمهالا، ذلك و ضمائر الجمع فى "يُشْرِكُونَ" أ "يُشْرِكُونَ" لهم "تَدْعُوهُمْ" لا يبتعونكم" و ما أشبه مما تدل إضافة إلى ما سلف أن ذلك الاشراك لا يشرك أبونا الأولين مع ساير الوالدين المشركين، مهما ظهر فى بادئ النظر غير الدقيق، أن أبونا الأولين أشركا بالله، كما فى رواية إسرائيلية مختلفة، و لئن احتملت هذه الآيات تلك الوصمة الشريكة عليها، لفسرت بمحكمات تدل على عصمة آدم (ع) ك" إِنْ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَ نُوحًا .." و لكنها لفظية أدبية، و معنوية أدبية، لا تمس من كرامته (ع) و من الأولى "لَيْسَ كُنْ" تغشاها" فلو كانا راجعين إلى: "نَفْسٍ وَاحِدَةٍ" * "لَكَانَا" لتسكن" تغشيتها" مؤنثين.

١٩٦ / ٧

١٩٦- ﴿إِنَّ وَلِيَّ﴾ بكافة معانى الولاية الربانية هو ﴿اللَّهُ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ وَ هُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ ف" اللَّهُ وَلَى الَّذِينَ آمَنُوا .." يلى أمورهم توفيقا و ترفيعا، فالولاية الربانية، تكوينية و تشريعية، تختص بالله دون سواه، مهما كان تخويلا.

١٩٧ / ٧

١٩٧- ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ هم ﴿مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ﴾ فى خير أو شر ﴿وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾ مهما كانوا من العقلاء فضلا عن الجماد و الحيوان.

١٩٨ / ٧

١٩٨- ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا﴾ إذ ليس لهم سمع ﴿وَوَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ بعيون منحومة ﴿وَالْحَالُ أَنْ﴾ ﴿هُمْ لَا يَبْصُرُونَ﴾ أو أن عبدتهم ينظرون إليك دون بصيرة فهم لا يبصرون.

١٩٩ / ٧

١٩٩- ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ بكل معانيها عشرة حيوية هنا، عفوا عمن ظلمك إن صلح، و قصدا صالحا، و زائد عن حاجتك أن تأخذها سنة الإنفاق فيه، أو زائدا عن حاجيات الناس زكاة: " خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَ تُزَكِّيهِمْ بِهَا .. (٩: ١٠٣) ثم العفو في حياتك و هو الوسط بين إفراط و تفريط ﴿وَ أَمْرٌ بِالْعُرْفِ﴾ كما يصلح ﴿وَ أَعْرَضُ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ فى حقلى الأخذ بالعفو و الأمر بالعرف، و كل إعراض يصلح عنهم حتى العقوبة، حيث هى من الله فى الآخرة، اللهم إلا ما أمر الله حدا أو تعزيرا أو جهادا فى سبيله.

٢٠٠ / ٧

٢٠٠- ﴿وَ إِمَّا﴾ مستحيلا ﴿يَنْزَغَنَّكَ﴾ محملا عليك بمحاولة مؤكدة ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ﴾ و هو دخول فى أمر لإفساده، تحويلا للصالح إلى طالح، و للفاقد إلى أفسد ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ إضافة إلى محاولة الفرار عنه، طلبا للعود بالله عمليا بعد العقيدية و النية ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ﴾ مقاتلك ﴿عَلِيمٌ﴾ حالتك، يدلك عند استعاذتك.

٢٠١ / ٧

٢٠١- ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الله على كل حال ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ﴾ من جان أو إنسان حيث يعمى على الممسوس طريقه ﴿تَذَكَّرُوا﴾ أن يستعينوا بالله منه ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ صراط الله، حيث يزول عنهم مس الشيطان.

٢٠٢ / ٧

٢٠٢- ﴿وَ إِخْوَانُهُمْ﴾ الشياطين و هم أتباعهم فى الضلالة ﴿يَمْدُونَهُمْ فِي الْغَى﴾ بمس دائم حتى يدخلونهم فيه ﴿ثُمَّ لَا يَقْصِرُونَ﴾ على المس فقط، و لا إدخالهم، بل لهم خطوات إلى أضل ضلال.

٢٠٣ / ٧

٢٠٣- ﴿وَ إِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ﴾ يقترحونها كما يشتهون، متعنتين على ما تعودوا عليها من آيات بصرية مؤقتة ﴿قَالُوا لَوْ لَا اجْتَبَيْتَهَا﴾ انتجابا كما نرومها، كأنه هو الذى يأتى بآية كما يريد بما يريدون ﴿قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يوحى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي﴾ دون استحياء، أو إحياء لنفسى ﴿هَذَا﴾ الذى يوحى إلى ربي قرآنا هو كاف آية، و ﴿بَصَائِرُ﴾ تبصر مصرفة بكافة ألوان الإبصار ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ إذ يريد أن يريكم أحسن تربية أبصر آياتها إلى أبصر غاياتها ﴿وَ هُدًى وَ رَحْمَةٌ﴾ بالفعل ﴿لَقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ مهما كان خسارا على الذين لا يؤمنون " قَدْ جَاءَكُمْ بِصَائِرٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَ مَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا " (١٠٤: ١٠٤).

٢٠٤ / ٧

٢٠٤- ﴿وَ إِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ﴾ من أى كانت، أو بمسجلات أو مذياعات ما صدق القرآن ﴿فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾ لا اليه فقط بل خاصا له، ثم ﴿وَ أَنْصِتُوا﴾ و ليس انصتوا لأنه لا يكفى الاستماع له، فمحضوا أنتم الاستماع له و غيركم ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ إذا ﴿تُرْحَمُونَ﴾ و الا فأنتم ترجمون، و هذه طبيعة الحال فى الاستماع له و تركه، احتراما لكلام الله أو اختراما له و عودا بالله.

٢٠٥ / ٧

٢٠٥- ﴿وَ اذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾ بكل دواخلها ﴿تَضَرَّعًا﴾ إليه ﴿وَ خِيفَةً وَ دُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ فى صلاة و سواها فإنه سميع لكل ذكر ﴿بِالْعُدُوِّ وَ الْأَصَالِ﴾ وصالا بينهما دون فصال ﴿وَ لَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾.

٢٠٦ / ٧

٢٠٦- ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ بل ﴿وَ يَسْبَحُونَهُ وَ لَهُ يُسْجُدُونَ﴾ (هنا تجب السجدة) تمام الخضوع.

سورة الأنفال

١ / ٨

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ لمن هي؟ و هي النوافل، الزوائد من الأموال عن المساعي ككل الأموال العامة من البحار و الأنهار و الغابات و ما أشبه حيث لم يحصل بسعى و إلا فلكل ساع قدر سعيه ﴿قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ﴾ مصلحة بعد الأصالة، أن تصرف في الدعوة التوحيدية ﴿وَ﴾ لـ ﴿الرَّسُولِ﴾ مصلحة الرسالة الهامشية و هي على ضوء شرعة الله صرفا في حاجات الدعوة الرسولية و إشباع الجيع و المحاويع في الأمة الإسلامية ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فيها و على أية حال ﴿وَ أَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ فيما تتنازعون بحقل الأنفال و في كل حال ﴿وَ أَطِيعُوا اللَّهَ﴾ في كتابه ﴿وَ رَسُولَهُ﴾ في سنته ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ بالله و الرسول، و لا تعتدوا في الأنفال المقررة لله و للرسول، ثم خلفاء الرسول الخصوص، و من ثم العموم عند تعيب العصمة الطاهرة.

٢ / ٨

٢- ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ هم ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ مهما تطمئن بذكره حيث الوجل لا يعنى اضطرابا بل تخضعا من عظم الموقف و قصر الواقف ﴿وَ إِذَا تَلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ الْقُرْآنِ﴾ زادتهم إيمانا ﴿حَيْثُ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْهِ وَ لَهُ يَنْصَتُونَ﴾ ﴿وَ عَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ في كل ما يكل فيه أمرهم، فالمؤمن الماكن يزداد إيمانا بوسائله الوسائل مهما كانت من عرقلات و ملتويات في سبيله: ﴿وَ لَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ صَدَقَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ مَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيْمَانًا وَ تَسْلِيمًا﴾ (٣٣: ٢٢) فضلا عن وسائل الإيمان الدافعة إليه.

٣ / ٨

٣- ﴿الَّذِينَ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ إقامة إياها عما ينافيها ﴿وَ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ كما يمكن ﴿يَنْفِقُونَ﴾ دون اختصاص بمال، بل أفضله العلم و المعرفة و أية قوة بالإمكان إنفاقها في سبيل الله.

٤ / ٨

٤- ﴿أُولَئِكَ﴾ الأكارم في ذلك الخمس المجيد ﴿هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ محضا و هو حقه ﴿لَهُمْ دَرَجَاتُ﴾ حسب درجات إيمانهم ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ مَغْفِرَةٌ﴾ عما قصروا أو قصروا ﴿وَ رِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ واسع أكثر مما يسحقون، كما و ﴿هُمُ دَرَجَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَ اللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ (١٦٣: ٣).

٥ / ٨

٥- و الإيمان حقا لأعلى قمة ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾ من مكة إلى المدينة مهاجرا، و من المدينة لحرب بدر ﴿وَ﴾ الحال ﴿إِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ﴾ خروجك.

٦ / ٨

٦- ﴿يَجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ﴾ فيما لهم و عليهم، و لا سيما في الإخراج الثاني زعم الإخراج ﴿بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ﴾ حقه في ذلك الخروج ﴿كَأَنَّمَا يَسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ﴾ إذ يرونهم قلة مهاجمين و الكفار كثرة مهاجمين ﴿وَ﴾ الحال أن ﴿هُمُ يَنْظُرُونَ﴾ مستقبلهم بما أراهم الله، و هنا نعرف أنه لا دور أصيلا للشور و سواه له (ص) فيما يفعله لأنه كله بوحى الله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ..﴾ (٤: ١٠٥) و الأوامر الحربية هي قطعا مما أراه الله ليحكم بين الناس فيما هم فيه يختلفون.

٧- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا﴾ تكون ﴿لَكُمْ﴾ و هما العير و النغير، من الشام إلى مكة أولا، و من مكة إلى المدينة ثانيا، متلاحقين بحرب الرسول صلى الله عليه و آله ﴿وَ﴾ الحال أنكم ﴿تَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ و هى الشوكة الحربية عدة و عدة، خوفا من قوتهم أولا و رغبة إلى أموالهم هؤلاء ﴿وَ﴾ الحال أنه ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يَحِقَّ الْحَقُّ﴾ لشرعته ﴿بِكَلِمَاتِهِ﴾ تغلبا على النغير دون العير ﴿وَ يَقْطَعُ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ بتلك الهزيمة العظيمة ببدر و لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَ أَنْتُمْ أَذِلَّةٌ .. (٣: ١٢).

٨- أجل ﴿لِيَحِقَّ الْحَقُّ﴾ بذلك ﴿وَ يَبْطِلَ الْبَاطِلُ﴾ به ﴿وَ لَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ١٧٨

٩- ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ فى هذه الحرب غير المكافحة ﴿فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ فى غلبكم عليهم و هم كثرة ﴿أَنَّى مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ﴾ حالكونهم ﴿مُرْدِفِينَ﴾ منظمين جيش الإسلام عدة و عدة.

١٠- ﴿وَ مَا جَعَلَهُ﴾ الإمداد ﴿اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى﴾ دون خوض فى الحرب منهم ﴿وَ لِيَتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ﴾ و كان بالإمكان أن ينصركم دون ذلك الإمداد، إذ ﴿وَ مَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ بإمداد ملائكى أو سواهم ف ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ غالب على أمره ﴿حَكِيمٌ﴾ فى عزمه، فاقتضت حكمته أن يمدكم بصورة ظاهرة.

١١- ﴿إِذْ يَغْشِيكُمْ﴾ محلقا عليكم بنوم كامل ﴿النُّعَاسُ﴾ حيث حول إلى النوم ﴿أَمَنَةً مِنْهُ﴾ و تغشية النعاس حدث كيفما كانت بنوم و سواه، كغشية شاملة، فكل ما يغشى الإنسان، حيث يتغشى روحه و قلبه، هو حدث أصغر، نعاسا كان أو غشية، أو سكرا شاملا، أو تخدرا بتبجح و ما أشبه، و هنا النوم هو رأس الزاوية فى ذكرى حديثه "يَغْشِيكُمْ" ﴿وَ يَنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءٌ لِّيَطَهِّرَكُمْ بِهِ﴾ عن حدث النعاس المغشى إذ لم يسبق إلا هو دون حدث آخر أو خبث ﴿وَ﴾ لكى ﴿يَذْهَبَ عَنْكُمْ رِجْزُ الشَّيْطَانِ﴾ و هو التشكك، و رجز الجنابة لبعضهم ﴿وَ لِيُرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾ برباط واثق الإيمان ﴿وَ يَثْبِتَ بِهِ الْأَقْدَامُ﴾ فى ذلك الإقدام، إذ كانوا مرملين على ضعفهم فى عدة و عدة فثبتت بذلك الماء أقدامهم، و استقر إقدامهم.

١٢- ﴿إِذْ يُوْحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ المردفين لنصرهم ﴿أَنَّى مَعَكُمْ﴾ أنصركم ﴿فَتَبَتُّوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بنصرى ﴿سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبَ﴾ منكم بظاهر النصر و واقعه ﴿فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ﴾ و هى الرعوس، تعبيرا بما يتناكر أنها رعوس إنسانية ﴿وَ اضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ لا- فقط- أصابع، إذ البنان هى ما يبين بها و يستمد صلاح الأحوال، بظاهر الأصابع و سائر القوات عدة و عدة.

١٣- ﴿ذَلِكَ﴾ النصر للمؤمنين ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ الكافرين ﴿شَاقُوا اللَّهَ﴾ إذ جعلوه فى شق و هم فى شق آخر، و كأنهم آلهة أخرى ﴿وَ﴾ شاقوا ﴿رَسُولَهُ﴾ مشقين رسولا و غيره ﴿وَ مَنْ يَشَاقِقِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ﴾ كلاً فى دوره، أصالة و رسالة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لأية مشاقة.

١٤ / ٨

١٤- ﴿ذَلِكُمْ﴾ الانهزام العظيم ﴿فَذَوْقُوهُ﴾ هنا ﴿وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ﴾ بعد الدنيا ﴿عَذَابَ النَّارِ﴾ و لات حين مناص إذ فات يوم خلاص، في كافة الحقول الحيوية.

١٥ / ٨

١٥- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ كمقاتلين ﴿إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا﴾ و هو الدنو رويدا على مهل في قتال شرعى محسوب على الإسلام بكل صلاحيات الحرب ﴿فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ﴾ أبدا فإنها نكسة على الإسلام.

١٦ / ٨

١٦- ﴿وَمَنْ يُولِهِمْ يُؤَمِّدْ دُبْرَهُ﴾ على أية حال ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ﴾ متطردا يريد كرة عليهم إلى قتال أمكن و أقوى ﴿أَوْ مُتَحِيزًا إِلَى فِتْنَةٍ﴾ من المؤمنين، ضما إليهم لحملة أقوى، و هما تولية فيهما تقوية، و إلا ﴿فَقَدْ بَاءَ﴾: رجع عن قتالهم ﴿بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾ فرارا عن الزحف فإنه من الموبات ﴿وَمَا وَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ في مسير الزحف.
البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ١٧٩

١٧ / ٨

١٧- و هنا في حرب بدر ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ﴾ بعدتكم و عدتكم ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ بما نصركم بملائكة مردفين، و إلقاء الرعب في قلوب الكافرين ﴿وَمَا رَمَيْتَ﴾ ترابا على وجوههم أن شأته الوجوه فعملت عمل الرمي القوى ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾ " ما رميت " ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ فعملت هذه الرمية ما عملت، إلى سائر الرمي هنا لقائد القوات المسلحة الرسول، و ذلك ليقطع دابر الكافرين ﴿وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ﴾ قتلا جماعيا و رميا منه ﴿بَلَاءً حَسَنًا﴾ حيث حسنهم في بلاءهم به ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ القالات ﴿عَلِيمٌ﴾ بكل الفعالات.

١٨ / ٨

١٨- ﴿ذَلِكُمْ﴾ العظيم بلاء حسنا ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَيْدَ الْكَافِرِينَ﴾ في ذلك الملتقى الماكر.

١٩ / ٨

١٩- ﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا﴾ طالبين فتحا من الله لأهل الحق بين الفريقين ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ﴾ من الله ﴿الْفَتْحُ﴾ المطلوب ما يفتح أبصاركم ترون فيه الحق للمؤمنين، إذا ﴿وَأِنْ تَنْتَهُوا﴾ عن الكفر و الحرب ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ لا لنا إذ لا ننتفع بإيمانكم، و لا بانتهاكم عن شركم و حربكم ﴿وَأِنْ تَعُدُّوا﴾ إلى حرب المؤمنين ﴿نَعُدُّ﴾ إلى نصرهم عليكم ﴿وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ﴾ عدة و عدة ﴿شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ﴾ كما جربتموه ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ كضابطة.

٢٠ / ٨

٢٠- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالله و رسوله ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ﴾ ألوهية ﴿وَرَسُولَهُ﴾ رسالة ﴿وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ﴾: الله، و لا عن رسوله، وحدة لوحدة الاتجاه ﴿وَالْحَالُ﴾ أنتم تسمعون أنباء الكفر و الإيمان، و تسمعون كتاب الله و سنة رسوله صلى الله عليه و آله.

٢١ / ٨

٢١- ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا﴾ بأفواههم ﴿سَمِعْنَا وَ﴾ الحال أن ﴿هُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ بأذان قلوبهم.

٢٢ / ٨

٢٢- ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ﴾ الحيوان التي تدب حيوانا ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ و في حسابه هم ﴿الصُّمُّ﴾ حيث لا يسمعون الحق ﴿الْبُكْمُ﴾ حيث لا يتكلمون بالحق ﴿الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ الحقائق المقصودة، فإنارة عقلهم مكسوفة بطوع الهوى، فهم صم بكم عن الهدى.

٢٣ / ٨

٢٣- ﴿وَلَوْ﴾ مستحيلا ﴿عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ و لن، إذ ليس فيهم خير حتى يعلمه الله، و لن يجهل الله كائنا أيا كان ﴿لَأَسْمَعَهُمْ﴾ الحق، هدى بهداهم " و الَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَ آتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ " (٤٧: ١٧) ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾ الحق أن فتح سمعهم رغم تعنتهم ﴿لَتَوَلَّوْا﴾ عن الحق المسموع ﴿وَالْحَالُ أَنَّ﴾ هُمْ مُعْرِضُونَ.

٢٤ / ٨

٢٤- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ﴾ أصالة ﴿وَلِلرَّسُولِ﴾ رسالة ﴿إِذَا دَعَاكُمْ﴾ الله، فإن دعوة الرسول هي دعوة الله و " مَنْ يَطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ " دَعَاكُمْ ﴿لَمَّا يَخِييْكُمْ﴾ حياة طيبة ربانية " مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً .. " (١٦: ٩٧) ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ﴾ بحوله و قوته ﴿بَيْنَ الْمَرْءِ وَ قَلْبِهِ﴾ حيولة صالحة لمن يستحقها بتلك الإستجابة، و أخرى كالحة جزاء وفاقا " فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ " فهو يحول بين المؤمن و الكفر و بين الكافر و الهدى ﴿وَأَنَّهُ إِلَيْهِ﴾ لا سواه ﴿تُحْشَرُونَ﴾ جمعا ليوم الحساب و الجزاء.

٢٥ / ٨

٢٥- ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً﴾ شاملة ﴿لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ فهي فتنة خير للذين آمنوا أن اتقوا شرها و السقوط فيها، و فتنة شر للذين ظلموا أصولا و فروعا ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ للذين ظلموا، هنا بتلك الفتنة، و بعد الموت بالعقاب الحساب، و من هذه الفتن فتنة الخلافة و فتنة الجمل و ما أشبه من فتن تترى، يا أيها الناس شقوا أمواج الفتن بسفن النجاة.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ١٨٠

٢٦ / ٨

٢٦- ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ﴾ في عدة و عدة ﴿مُسْتَضَعْفُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ الوطن تجاه مستكبرين، كما في العهد المكي ﴿تَخَافُونَ أَنَّ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ﴾ النسناس، نعمة إيمانكم و نعمة كفرهم ﴿فَأَوَّاكُمْ﴾ الله إليه مأمونين و أَيْدَكُمْ ﴿بِنَصْرِهِ﴾ بدر و سواها منذ الهجرة ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ في مأمونكم جمعا بين الصحة و الأمان ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الله بآيائه و تأييده بنصره و رزقه الطيبات.

٢٧ / ٨

٢٧- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ﴾ في أماناته الربانية ﴿وَالرَّسُولَ﴾ في أماناته الرسولية ﴿وَلَا﴾ لا ﴿تَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَ﴾ الحال ﴿أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الأمانة و الخيانة، و السلب الثاني هو قضية الجزم.

٢٨ / ٨

٢٨- ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا﴾ حصرا ﴿أَمْوَالُكُمْ وَ أَوْلَادُكُمْ﴾ خيرا و شرا ﴿فِتْنَةً﴾ خير لكم أو شر، فلا تسقطوا في محتكم فيهما، و لا تتساقطوا عليها ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ للذين هم ناجحون في كل فتنة: " أَيْحُسِبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَ بَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ " (٢٣: ٥٥) " بَلْ لَتَبْلُونَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ " (٣: ١٨٦) " وَ نَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَ الْخَيْرِ فِتْنَةً " (٢١: ٣٥).

٢٩ / ٨

٢٩- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ﴾ فيما أمر و نهى: علميا و عقيديا، و معرفيا و عمليا، فرديا و جماعيا ﴿يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ بين كل حق و باطل قدر تقواكم ﴿وَيَكْفُرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ ككل بوسيط التقوى و شفاعتها ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ ذنوبكم كذلك ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ أن يمحور تقواه فى هذه الثلاث، تقوى ككل طول الحياة الإيمانية ففرقان، و تكفير سيئات و غفران فَبِأَىٰ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ.

٣٠ / ٨

٣٠- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ يَمْكُرُ بِكَ﴾ يا محمد ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فى دار الندوة و هم زهاء أربعين رجلا من صناديدهم، و ثالث مكرهم إبطالا لدعوتك: ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾ ما دمت حيا كما أثبتوك ردحا فى شعب أبى طالب ﴿أَوْ يَقْتُلُوكَ﴾ إذ ليس سجنك بدنيا مما يسجن دعوتك فى مكة فـ "يَقْتُلُوكَ" و لكن فى قتلك ملاحظات عليهم ﴿أَوْ يَخْرِجُوكَ﴾ من مكة المكرمة كأسهل طريقة و هو يشابه سجنك مهما كان أبعد لدعوتك ﴿وَيَمْكُرُونَ﴾ بك هكذا و ما أشبه ﴿وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَ اللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ إذ أخرجك ليلة الغار فوسَّع دعوتك به، كما:

٣١ / ٨

٣١- ﴿وَ إِذَا تَتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾ القرآنية ﴿قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا﴾ إياها، متحققين لها و لكن ﴿لَوْ﴾ مستحيلا ﴿نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾ و لكن لا نشاءه منصرفين عن معارضته لتفاهته! و هذا دليل استحالة المماثلة فإنها تبطل - إذا - وحي القرآن و هو بغيتهم، و لكنهم يتفوهون دعاية دون دليل ﴿إِنْ هَذَا﴾ القرآن ﴿إِلَّا أَصَاطِيرُ﴾ قصص ﴿الْأَوَّلِينَ﴾ رغم أن ادعاءهم الأجوف هو من أساطير الأولين، فإنه حجاج فى لجاج عليل لا يملك أى دليل.

٣٢ / ٨

٣٢- ﴿وَ﴾ اذكر من عمق عنادهم للحق ﴿إِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ﴾ بتمامه دون بطلان، أو هو ناقض فى حقه حقا آخر ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ أُنْتِنَا يُعَذِّبُ أَلِيمٍ﴾ كيفما كان، من عند أنفسهم، و نقمة على الحق المبين.

٣٣ / ٨

٣٣- ﴿وَ مَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَ﴾ الحال ﴿أَنْتَ فِيهِمْ﴾ حى، ثم ﴿وَ مَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ﴾ أبدا ﴿وَ﴾ الحال أن ﴿هُمْ﴾ يستغفرون ﴿اللَّهُ عَنْ كُفْرِهِمْ، وَ لَكِنَّهُمْ بَعْدَ﴾ و هم لا يستغفرون!

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ١٨١

٣٤ / ٨

٣٤- ﴿وَ مَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ﴾ بعذاب منفى لأحد الأمرين ﴿وَ﴾ الحال أن ﴿هُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾: آمين البيت الحرام إذ فيه البيت العتيق، لا يختص بقوم خاص، سدة و سواهم ﴿وَ﴾ الحال أنهم ﴿مَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ﴾: الله، و المسجد الحرام ﴿إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ﴾ فلهم - إذا - أن يصدوا المشركين عن المسجد الحرام و كما أمر الله: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ (٢٨: ٩) و ذلك بعد فتح مكة ﴿وَ لَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

٣٥ / ٨

٣٥- ﴿وَ مَا كَانَ صَلَاتُهُمْ﴾ أولاء المشركين عِنْدَ الْبَيْتِ ﴿إِلَّا مُكَاءً﴾: تصفيرا يصوتون و يعربدون شلائط ﴿وَ تَصْدِيَةً﴾: تصفيقا، المناسبين لحفلات الشهوات و اللهوات، إذا ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ هنا و فى الأخرى ﴿بِمَا كُنتُمْ﴾ على طول الأمد ﴿تَكْفُرُونَ﴾ بالله و بآياته.

٣٦ / ٨

٣٦- ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ صامدين فى كفرهم ﴿يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ رغم واجب صرفها فى سبيل الله، أم لأقل تقدير لا هذا ولا ذاك ﴿فَسَيَنْفِقُونَهَا﴾ فى صدهم ﴿ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً﴾ إذ لم يغلبوا على الله وأهليه، بل و ﴿ثُمَّ يَغْلِبُونَ﴾ كما غلبوا فى فتح مكة، ثم ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بعد موتهم، و يوم القيامة ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ يَخْشَرُونَ﴾: يجمعون للحساب والعقاب.

٣٧ / ٨

٣٧- و ذلك فى النهاية تماما، مهما حصل هنا بعضا ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ بما يعملون، بين الخبيثاء والطيبين لأنفسهم وللآخرين ﴿وَيَجْعَلُ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ منه ﴿فَيَرْكُمُهُ جَمِيعًا﴾: الخبيث أن يجعله ركاما كركام الحطب للحرق ﴿فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ﴾ فإنهم "وقود النار" و "حصب جهنم" ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ الأضلاء، مهما خسر آخرون بهم، فإن لهم مفازا، أو هم أقل منهم تبعة.

٣٨ / ٨

٣٨- ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بهذا الإسلام ارتدادا عنه أو كفرا به لما جاء ﴿إِنْ يَنْتَهُوا﴾ عن كفرهم ﴿يَغْفِرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ من حقوق الله، دون حقوق الناس إلا باحتمال أن عليهم أن يغفروهم عن حقوقهم جلبا إلى الإيمان، و أن التقوى الكاملة تسبب عفرا كاملا ﴿وَإِنْ يَعُودُوا﴾ بعد انتهائهم عامدين ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنْتُ الْأَوَّلِينَ﴾ فى كفرهم من دمار و بوار، و هذه أفصح و أوضح من قاعدة الغفر فى حديث غير ثابت الصدور سندا: "الإسلام يجب ما قبله" و لكنه يقبل قدر موافقته للآية.

٣٩ / ٨

٣٩- ﴿وَ قَاتِلُوهُمْ﴾^{١٥} أيها المؤمنون، الكفار على طول الخط، ﴿حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ و هو غير ميسور للحاضرين زمن الخطاب، و هكذا بعده إلا زمن صاحب الأمر، فكل المؤمنين مأمورون بذلك الأمر قدر استطاعتهم لسلبية الكفر على طول خط الإسلام، ثم إيجابية: ﴿وَ يَكُونُ الدِّينُ﴾ الطاعة ﴿كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنْ انتهوا﴾ عن الفتنة و طاعة غير الله و كما قد يتحقق زمن صاحب الأمر عليه السلام ﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ لا يعزب عنه عازب، فيه يملأ الله الأرض قسطا و عدلا بعد ما ملئت ظلما و جورا، كما تملأ أقل منه قبله: "وَ يَكُونُ الدِّينُ لِلَّهِ" (٢: ١٩٣) دون "كله".

٤٠ / ٨

٤٠- ﴿وَ إِنْ تَوَلَّوْا﴾ عن الإيمان ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ﴾ لا يضركم عصيان من عصاه ﴿نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَ نِعْمَ النَّصِيرُ﴾ فى ولايته.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ١٨٢

٤١ / ٨

٤١- ﴿وَ اعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ﴾ أفدتم ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ مال أو حق مالى، فى حرب و سواها، حيث الغنيمة تعمها و سواها: "فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ" (٤: ٩٤) فهل هى أيضا غنائم الحرب؟ ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾ كله صرفا فى سبيل توحيدهِ ﴿وَ لِلرَّسُولِ﴾ فى سبيل رسالته ﴿وَ لِذِي الْقُرْبَىٰ﴾ و هم أقرب الخلق إلى الرسول حملا لرسالته، و كذلك ذريته فى النسب، الأقربون، و قد جمعا فى الأئمة الاثني عشر و فاطمة (ع) فلمهم حق ثالث من الخمس لأنهم القربى مطلقا لا غيرهم، ثم ليس لسائر الذرية حق خاص، إذ ليسوا هم من القربى مطلقا، ثم ﴿وَ الْيَتَامَىٰ وَ الْمَسَاكِينَ وَ ابْنِ السَّبِيلِ﴾ يعم الكل دون اختصاص بالذرية و كما فى سائر القرآن، حيث يذكرون دون اختصاص و لا سيما فى الفىء: "وَالْيَتَامَىٰ وَ الْمَسَاكِينَ وَ ابْنِ السَّبِيلِ كَى لَا يَكُونَ دَوْلَةٌ بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ .."

^{١٥} " قَاتِلُوهُمْ " لا اقتلوهم دليل على عدم القتل البدائى ما لم يسبق الكفار.

(٨: ١) ﴿إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَىٰ الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ و آية الخمس - هذه - وحيدة مدنية بين أى الزكاة الثلاثين مكية و مدنية، و كأنها تبصرة للزكاة، مزيدة عليها، مضافة إليها فى مصارفها، و كما فصلناها فى "الفرقان" و كيف يختص الخمس بالسادة، و لا سيما من طريق الآباء، كلاً أو نصفاً، و هم كعشر من الفقراء، ثم الزكاة بين ٢/٥ و ٥ و ١٠ فى المائة من التسعة الشهيرة، على أظافير فيها تنقص منها أو تنقصها، تعم الموارد الثمانية "تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى" ثم "خُمُسُهُ" هو خمس كل "ما غنمتم" لا الزائد عن مؤنة السنة!

٤٢ / ٨

٤٢- و مما غنمتم حربياً و غنائم بصورة خارقة ﴿إِذْ أَنْتُمْ﴾ القلة عددا و عددا ﴿بِالْعُدُوَّةِ الدُّنْيَا﴾ شفير الوادى بين جذب الأرض و رخوته ﴿وَهُمْ﴾ الكثرة عددا و عددا ﴿بِالْعُدُوَّةِ الْقُصْوَى﴾ عليا الشفير و فيها الماء و الأرض الصلبة ﴿وَالْحَالُ أَنْ﴾ الركب العير الذى كان عليه أبو سفيان، هم ﴿أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ فأنتم محاصرون بينهما دنيا و قصوى ﴿وَلَوْ﴾ مستحيلا فى تكتيكة الحرب ﴿تَوَاعَدْتُمْ﴾ هكذا بين الفريقين ﴿لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ﴾ لأنه خلاف رسم الحرب ﴿وَلَكِنْ﴾ هنا خارق ربانى و هو أنه ﴿لِيَقْضِيَ اللَّهُ﴾ قضاء ﴿أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ بإذن الله أن تغلبوا عليهم و ليس عندكم ظاهريا إلا بواعث هزيمة عظيمة، ذلك ﴿لِيَهْلِكَ﴾ قتلا أو موتا، و بعدهما برزخا و قيامة أو هو حى بعد هلاك نفسيا ﴿مَنْ هَلَكَ﴾ فى حرب و سواها ﴿عَنْ﴾ آية ﴿بَيْنَةٍ﴾ على آية حال ﴿وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيٍّ﴾ فى نفسه مطلقا، مهما مات أو قتل ﴿عَنْ﴾ آية ﴿بَيْنَةٍ وَ إِنْ اللَّهَ لَسَمِيعٌ﴾ كل مقال ﴿عَلَيْمٌ﴾ بكل حال.

٤٣ / ٨

٤٣- و تلك الغلبة المعجزة الخارقة العادة ﴿إِذْ يَرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا﴾ تهيئة لقائد القوات المسمى ﴿وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا﴾ كما هم كثير ﴿لَفَشَلْتُمْ﴾ بتلك الكثرة على قلتكم ﴿وَلَتَنَازَعْتُمْ﴾ فى الأمر خروجا إلى العدو لعدم المكافحة، و هو خلاف التكتيكة الحربية ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ﴾ ذلك الظرف العجيب لأمره الخارق و لصمودكم الخارق ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.

٤٤ / ٨

٤٤- ﴿وَإِذْ يَرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّفَيُّتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ﴾ لا واقعا ﴿قَلِيلًا﴾ حتى تشجعوا على حربهم ﴿وَيَقْلَلُكُمُ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾ حتى لا يستعدوا لعدوات حربية متعودة حين يرونكم لا شىء، و هذا لا ينافى "يرونهم مثليهم رأى العين" (٣: ١٣) حيث التقليل كان بداية المواجهة و الآخر بعدها ﴿لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ بإرادته ﴿وَوَالِ اللَّهِ﴾ لا سواه ﴿تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾.

٤٥ / ٨

٤٥- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رُسُولِهِ وَ الْيَوْمَ الْآخِرِ﴾ إذا لقيتم فئة ﴿فِي حَرْبٍ إِسْلَامِيَّةٍ﴾ فاثبتوا ﴿دُونَ فَشَلٍ وَ لَا زَحْفٍ﴾ و ادكروا الله ﴿بِقُلُوبِكُمْ وَ قَوْلَابِكُمْ﴾ كثيرا ﴿أَكْثَرَ مِنْ سَائِرِ الْحَالَاتِ﴾ لعلكم تفلحون ﴿فِيهَا فَتَفْلِحُونَ﴾.

٤٦ / ٨

٤٦- ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ﴾ ألوهية ربانية فى كتابه ﴿وَ رَسُولَهُ﴾ رسالة فى سنته ﴿وَ لَا تَنَازَعُوا﴾ أن ينزع كل ما عند غيره فى أموركم، مهما اختلفتم حسب ما عندكم من برهان ﴿فَتَفْشَلُوا﴾ فى سواعدكم بينكم و ضد مناوئكم ﴿وَ تَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ إسلاميا أخويا ﴿وَ اصْبِرُوا﴾ أمام الأعداء و على السراء و الضراء حتى لا يفلت عنكم إيمان و تصميم عليه ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ فى سبيله، حفاظا فى كل العراقيل على الإيمان.

٤٧ / ٨

٤٧- ﴿وَلَا تَكُونُوا﴾ أيها المؤمنون ﴿كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ للقتال في ثلوث منحوس: ﴿بَطْرًا﴾ طغيانا في النعمة تفرحا و تفرجا ﴿وَرِثَاءَ النَّاسِ﴾ كأنهم مؤمنون و ليسوا منهم ﴿وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ حربا و سواها حال أنهم يخرجون محاربين ﴿وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ من بطرهم و رثاءهم و صدهم ﴿مُحِيطٌ﴾ و أنحس الصد عن سبيل الله الدعاية المفتنة ضد الله "الْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ" (٢: ١٩١) و "أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ" (٢: ٢١٧).

٤٨ / ٨

٤٨- ﴿وَاذْكُرْ﴾ اذكر ﴿إِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ كهذه ﴿وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ﴾ يغلب ﴿مِنَ النَّاسِ﴾ المؤمنين، خلاف ما أرى رسول الله نوما و يقظة ﴿وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ﴾ في غلبكم عليهم ﴿فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِتْنَانِ﴾ في مواجهة الحرب ببدر ﴿نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ﴾ إذ رأى أنهم غلبوا خلاف ما قال لهم ﴿وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ﴾ و ويلهم حيث يبرء عنهم الشيطان فضلا عن الرحمن ﴿إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ﴾ من عديد المسلمين ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ﴾ أن أكون معكم ﴿وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

٤٩ / ٨

٤٩- ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَ﴾ جميع ﴿الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ كافرين أو مسلمين و لما يؤمنوا حتى يطمئنا ﴿غَرَّ هَؤُلَاءِ﴾ المؤمنين ﴿دِينُهُمْ﴾ إذ يحاربون أكثر منهم عدة و عدة ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ كما المؤمنون ببدر هذه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ غالب على أمره ﴿حَكِيمٌ﴾ في عزته.

٥٠ / ٨

٥٠- ﴿وَلَوْ﴾ ليتك ﴿تَرَى﴾ و كما يريك الله تعالى ﴿إِذْ يَتَوَفَّى﴾ أخذا وافيًا إماتة ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةَ﴾ حال أنهم ﴿يُضْرَبُونَ وَجُوهَهُمْ وَ أَدْبَارَهُمْ﴾ " فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يُضْرَبُونَ وَجُوهَهُمْ وَ أَدْبَارَهُمْ. ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَ كَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَاحْبُطْ أَعْمَالَهُمْ" (٤٧: ٢٨) و هنا ضرب الوجوه استقبال لهم بذوق من عذاب البرزخ، و ضرب أَدْبَارَهُمْ ضغطا عليهم أن يخرجوا أنفسهم الملاصقة بالأرذل الأدنى ﴿و﴾ يقولون لهم أو يقال ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ ثم المسوه و أدخلوه.

٥١ / ٨

٥١- ﴿ذَلِكَ﴾ العذاب ﴿بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ﴾ قواتكم ظاهريا و باطنيا إلى عالم الحساب ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ أن يعذبهم بما لم يفعلوا، أم بما أجبرهم عليه، أو يزيدهم عذابا إلى غير حد و عصيانهم محدود، و ما أشبه من خلاف العدل، و هم عبيده المحتاجون إليه، و هو ربهم الغنى ذو الرحمة، القدير على كل شيء، و إنما يحتاج إلى الظلم الضعيف، فخلاف العدل منه ظلمية على غناه و قدرته و علمه و رحمته، و لا سيما إذا أجبر العصاة ثم عذبهم، أو أجبر المطيعين ثم أثابهم.

٥٢ / ٨

٥٢- و دأبهم عادة و سيرة ﴿كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ في ما قدمت أيديهم و ما يعذبون به ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من كفره التاريخ، حيث ﴿كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ معاندين ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾ أخذا عادلا في نساتهم الثلاث: هنا و برزخا و يوم القيامة ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ﴾ فيما يريد ﴿شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ حسب شدة العصيان.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ١٨٤

٥٣ / ٨

٥٣- ﴿ذَلِكَ﴾ العذاب العادل ﴿بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ﴾ تغييرا إلى نعمة و نعمة دون سبب منهم ﴿حَتَّىٰ يَغْيِرُوا مَا بَنَافْسِهِمْ﴾ غيارا لتلك النعمة كأن يبذلوا نعمة الله كفرا "أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا" (١٤: ٢٨) ﴿وَأَنَّ اللَّهَ

سَمِيعٌ ﴿مَقَالِهِمْ﴾ بِحَالِهِمْ، و بصورة عامة تعم الخير " .. إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ إِلَى شَرٍّ أَوْ خَيْرٍ حَتَّى يَغْيُرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ .. " (١٣: ١١) غيارا بغير " وَلَا يَظْلَمُونَ نَفِيرًا .

٥٤ / ٨

٥٤- ﴿كَذَابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ إِذْ ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ خَلاَفَ مَا رَباَهُم بِهَا ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾ هَنا و بَعد المَوت، و مَما هَنا ﴿وَ أَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَ كُلُّ﴾ مَن هَؤُلاءِ وَ هَؤُلاءِ ﴿كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ أَنفُسَهُم و سَواهُم مَن حَقَّ و أَهْلِيهِ.

٥٥ / ٨

٥٥- ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ﴾ بَين شَرِّيرِها قَصورا أَوْ تَقْصِيرَا ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ بِحِسابِهِ العادِل، هُم ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بِنِعْمِ اللَّهِ ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بِاللَّهِ، بَل يَكْفُرُونَ بِهِ بِنِعْمَتِهِ، وَ ذَلِكَ مَن تَغْيِيرُهُ تَعَالَى نِعْمَةً بِما غَيَّرُوا ما بِأَنْفُسِهِم، نِعْمَةً وَ نِقْمَةً.

٥٦ / ٨

٥٦- وَ مِنْهُم ﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ﴾ تَجَاوَزَا عَن نَقْضِ عَهْدِ اللَّهِ إِلى نَقْضِ عَهْدِكُمْ ﴿ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ﴾ مِنْهُ مَتَكَرَرَا ﴿وَ هُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ اللَّهُ نَقْضَا لِعَهْدِ مَن اللَّهُ أَوْ مَن النَّاسِ.

٥٧ / ٨

٥٧- ﴿فَإِذَا تَفَقَّهْتُمْ فِي الْحَرْبِ﴾ تَضْيِيقًا لِكُلِّ مَجالاتِها بِحَذَقٍ وَ مَلاحِقَةٍ ﴿فَشَرَّدَ بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ كَما تَشَرَّدَهُم تَشْرِيدًا مَضاعِفا حَتَّى يَفْلُتُوا عَن بَكَرَتِهِم عَن حَرْبِكُمْ ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ هُم بِمَن خَلَفَهُم ﴿يَذْكُرُونَ﴾ الحَقَّ، أَوْ لَأَقَلِّ تَقْدِيرَ يَذْكُرُونَ قَواتِكُم المَشَرَّدَةَ فَلَا يَحارِبُوكُم.

٥٨ / ٨

٥٨- ﴿وَ إِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً﴾ وَ لَما يَنْقُضُوا عَهْدَكُم ﴿فَأَنْبِذْ إِلَيْهِمْ﴾ عَهْدَهُم نَقْضًا كَما هُم فَاعِلُونَ قَبْلَ أَنْ يَبَاغِتُوكُم بِنَقْضِ عَهْدِهِم ﴿عَلَى سِوَاءٍ﴾ نَبْذا بِنَبْذٍ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَحِبُّ﴾ فَهُوَ يَبْغِضُ ﴿الْخَائِنِينَ﴾ خَانُوا أَوْ لَما يَخُونُوا حِينَ تَتَأَكَّدُ خِيانتَهُم حَيْثُ "تَخَافَنَّ" مِنْهُم، فَقَدْ يَجُوزُ نَبْذُ عَهْدٍ عِنْدَ خَوْفِ نَبْذٍ عَلَى سِوَاءٍ، أَوْ يَجِبُ حِفاظًا عَلَى الواجِبِ.

٥٩ / ٨

٥٩- ﴿وَ لَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أَنَّهُمْ ﴿سَبَقُوا﴾ الَّذِينَ آمَنُوا فِي مِياذِينِ الحِياةِ، فَ ﴿إِنَّهُمْ لَا يَعْزُونَ﴾ اللَّهُ وَ لَا الْمُؤْمِنِينَ بِاللَّهِ "أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ ما يَحْكُمُونَ" (٢٩: ٤) فَلَا هُم سَابقُونَ مَشِيتَةَ اللَّهِ وَ لَا شَرعَةَ اللَّهِ مَهَما أَرَعَدُوا هَنا وَ أَبْرَقُوا بِظاهِرِ مَن الحِياةِ الدُّنيا.

٦٠ / ٨

٦٠- أَجَلُ إِنْهُمْ لَا يَسْبِقُونَ الْمُؤْمِنِينَ شَرطَ إِيْمانِهِم الصامِدِ وَ مِنْهُ ﴿وَ أَعِدُوا لَهُمْ﴾ أَمامَهُم اسْتعدادا ﴿مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ حَرْبِيَّةَ حارَةٍ أَوْ بارَةٍ، وَ فِي كافَةِ القَواتِ الحِويَّةِ: عَقيدِيَّةَ وَ عِلْمِيَّةَ وَ سِياسِيَّةَ وَ اقْتِصادِيَّةَ وَ ما أَشَبَهُ ﴿وَ مِنْ رِباطِ الْخَيْلِ﴾ كَعَدَاتِ حَرْبِيَّةَ وَ هِيَ الآنَ مَن رِباطِ الأَسلِحَةِ الأَوْتِوماتِيكِيَّةِ المَكافِحَةِ المَتَغَلِّبَةِ ﴿تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَ عَدُوَّكُمْ﴾ فَهِيَ قَواتُ إِرْهابيَّةِ مَعْدَةِ أَمامِهِم ﴿وَ﴾ كَما تَرْهَبُونَ ﴿آخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ﴾ حَتَّى لَا يَطْمَعُوا فِي مَواجِهِتِكُم ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمْ﴾ أَنْتُمْ، بَلِ ﴿اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَ ما تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ﴾ فِي مَواجِهةِ الأَعْداءِ وَ سَواهِم ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَوْفَ إِلَيْكُمْ﴾ وَ زِياذَةَ ﴿وَ﴾ أَقَلِّ ما فِيهِ ﴿أَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ مَن قَبْلَ اللَّهِ "وَ أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا ما سَعَى".

٦١ / ٨

٦١- ذلك ﴿وَ﴾ على لؤمهم و خيانتهم ﴿إِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ﴾ لا فقط لفظوا به، بل طاروا له عمليا أن ألقوا أسلحتهم و ما أشبه من جنح ﴿فَاجْنَحْ لَهَا﴾ جنحا بجنح دونما اضطراب، فلو كان صدقا فهو، و إن كان خداعا فلا يفلت منه شيء فحرب كحرب ﴿وَ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ فى جنحك بجنحهم ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ مقالكم و مقالهم ﴿الْعَلِيمُ﴾ بحالكم و حالهم، ف لا ترفعن صلحا دعاك إليه عدوك و لله فيه رضى فإن فى الصلح دعة لجنودك و راحة من همومك و أمنا لبلادك و لكن الحذر كل الحذر من عدوك بعد صلحه فإن العدو ربما قارب ليتغفل، فخذ بالحزم و اتهم فى ذلك الظن. نهج البلاغة عن الامام على أمير المؤمنين عليه السلام

٦٢ / ٨

٦٢- ﴿وَ إِنْ يَرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ﴾ بجنح لسلم ﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ﴾ حيث تتوكل على الله، فإنه ﴿هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِنَصْرِهِ﴾ تأييده فى بدر و سواها ﴿وَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ بالله لك و معك إيمانيا.

٦٣ / ٨

٦٣- ﴿وَ أَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ بعد نفار و نقار: ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ لو كان لك إنفاقا ﴿مَا أَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَ لَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ﴾ قلوبا بما عرفهم شرعته، و هداهم و أيدهم تأليفا إيمانيا ﴿إِنَّهُ عَزِيزٌ﴾ غالب على أمره ﴿حَكِيمٌ﴾ فى عزته.

٦٤ / ٨

٦٤- ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾: رفيعا فى رسالته، من النبوة الرسالية ﴿حَسْبُكَ اللَّهُ﴾ إلهاء، ثم خلقا فى سبيله: ﴿وَ مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ حيث ينصرك الله بهم فى سبيله اتباعا إيمانيا.

٦٥ / ٨

٦٥- لذلك ف﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضْ﴾ هؤلاء ﴿الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾ ضد من يقاتلونك، تحريضا يجعل قواتهم أضعافا أو ضعفا، ف﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ﴾ فى القتال، على قتل أو جرح، فعليهم أن ﴿يَغْلِبُوا مِائَتِينَ﴾ منهم ﴿وَ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ﴾ صابرة ﴿يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ و ذلك المعشار منا ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ وصولا إلى علم غائب بعلم حاضر، فلا يفتحون إذا بكل طاقاتهم.

٦٦ / ٨

٦٦- ﴿الْآنَ﴾ بعد ربح من الزمن و قد عملتم بما أمرتم، و زدتم عددا و عددا ﴿خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَ﴾ الحال أنه ﴿عَلِمَ﴾ دون جهل سابق أو لاحق ﴿أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ عن ذلك الضعف ﴿فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ﴾ على ناسهم فعليهم أن ﴿يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ﴾ صابرة عليهم أن ﴿يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ ثم على طول الخط ﴿وَ اللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ و هذه التكتيكة الحربية متواصلة مع الزمن، مختلفة حسب إختلاف العدات و العدات، بين عشرة أضعاف من العدو و ضعف، و ذلك للصابرين من المؤمنين، و بأن الكافرين لا يفقهون، فقرة الإيمان الفقيه تضاعف الصبر و الغلبة، فعلى المؤمن الاستقامة المضاعفة لحد العشرة و ما دونها إلى ضعف دون أى ضعف، و ضعف الكفر السفيه يضعفهما، حيث الكافر بين منكر لحياة الحساب بعد الموت، فلما ذا يستमित، أو عارف بخلفيات كفره بعد الموت، فلما ذا يستعجل العذاب.

٦٧ / ٨

٦٧- ﴿مَا كَانَ﴾ على مر الزمن النبوى ﴿لِنَبِيِّ﴾ قبل محمد (ص) فضلا عنه ﴿أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يَتَخَنَ فِي الْأَرْضِ﴾ إغلاظا على العدو فى أرض المعركة: "فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْنَتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ" (٤٧: ٤) و لكنكم

﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا﴾ مستعجلين غنائم نفسية و مالية قبل الإثخان خلاف الحرب الصالحة ﴿وَاللَّهُ يَرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ لكم كأصل مهما كانت في الحرب غنائم، و لكنها على هامش الآخرة ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

٦٨ / ٨

٦٨- ﴿لَوْ لَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ﴾ لغلبكم بأحد في النهاية ﴿لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَخَذْتُمْ﴾ من غنائم و أسرى قبل الإثخان ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ أن تغلبوا بعد غلبكم دون أن تغلبوا بعده.

٦٩ / ٨

٦٩- ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا﴾ في حرب صالحة و سواها ﴿طَيِّبًا﴾ دون استخباث، حيث الغنيمة الإيمانية حلال طيب، و دونها حرام خبيث ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في أكلكم و غنيمتكم بحلها و طيبها ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ ما أخطأتم كما في غنائم أحد، إذ كانت حلًا كأصل مهما كانت محرمة الأخذ لعدم الإثخان ﴿رَحِيمٌ﴾ بكم.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ١٨٦

٧٠ / ٨

٧٠- ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى﴾ الحرية ﴿إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا﴾ هو مستقبل الإيمان ﴿يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ﴾ هدى و حرية و مالا و منالا، ثم ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ سالف كفرهم ف" قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ" (٨: ٣٨) حيث الأسر إسلاميا كمدرسة داخلية تربوية للكافرين عليهم يؤمنون، و إلا فلا يزيدوا كفرا أو عملية كافرة ضد المسلمين إن كانوا أحرارا ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ بعباده، مهما كانوا كفارا إن كانوا في قلوبهم خير أن إذا هدوا اهتدوا.

٧١ / ٨

٧١- ذلك إن أراد الأسرى إيمانا، ثم ﴿وَأِنْ يَرِيدُوا خِيَانَتَكَ﴾ فلست أنت الوحيد فيها ﴿فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ﴾ كم ﴿مِنْهُمْ﴾ تغلبا عليهم برد الخيانة إليهم ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بمن يريد الخيانة ﴿حَكِيمٌ﴾ في إمكانه من الخونة، ردا لها إلى أنفسهم الخائنة.

٧٢ / ٨

٧٢- ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إسلاميا ﴿وَهَاجَرُوا﴾ به ﴿وَجَاهَدُوا﴾ له ﴿بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ حفاظا عليه و طردا للكفر، و هم المهاجرون له هنا من مكة إلى المدينة، و معهم سائر المهاجرين في الله، في سائر التاريخ الإسلامي، و بصورة عامة على حد قول الرسول (ص) المؤمن مهاجر إذ يعيش هجرة عما ينافي إيمانه من وطن و مواطن و مال و أهليين و منال على أية حال ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ هم ﴿وَنَصَرُوا﴾ هم ﴿أُولَئِكَ﴾ الأكارم ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ يرثون بعضهم بعضا، مهما نسخ الميراث بالمهاجرة الإيمانية بآيات الميراث لأولى الأرحام، بعد ما تحكمت الهجرة و تركزت دولة الإسلام فيها، فهناك ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَ لَمْ يَهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ﴾ هذه ﴿مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يَهَاجِرُوا﴾ لكن يبقى ولاية المحبة و المناصرة بحالها، إذ ﴿وَأِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ﴾ أجل ﴿إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ إلا إذا كانت استمرارية ذلك الميثاق خطرا أو ضررا على المستنصرين أو على الدين ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

٧٣ / ٨

٧٣- هذه ولاية إيمانية مقتسمة ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ ف ﴿إِلَّا تَقْلُوهُ﴾ النصر ولاية ﴿تَكُنْ فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَ فَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ ضد المؤمنين غير المهاجرين.

٧٤ / ٨

٧٤- ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا﴾ بإيمانهم ﴿وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا﴾ هم ﴿وَنَصَرُوا﴾ هم ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ دون من لم يهاجر بإيمانهم رغم إمكانها، و من لم يؤو أو ينصرهم، إذ ليس لهم حق الإيمان ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ أولئك الأكارم دون هؤلاء.

٧٥ / ٨

٧٥- ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ﴾ تلك المهاجرة الإيمانية ﴿وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ﴾ أنتم المؤمنين حقا ﴿فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ﴾ ثم الآن و على طول الخط ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ في الموارث و قد نسخ الميراث بالمهاجرة الإيمانية و قبلها الميراث بالإيمان ﴿إِنَّ اللَّهَ يَكُلُّ شَيْءٍ عَالِمٌ﴾ ابتداء بالموارثة بين المؤمنين و بين المهاجرين المؤمنين و المناصرين، ثم بين أولى الأرحام شرط الإيمان، ف" أولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين و المهاجرين إلا أن تفعّلوا إلى أوليائكم معروفًا" (٦: ٣٣) من هدية أو وصية من ثلث، و ما أشبه.

١- ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ﴾ أُنْتَمِ الْمُسْلِمِينَ ﴿مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ إِذْ نَقَضُوا عَهْدَهُمْ، وَ قَدْ أَخْرَجَ ثَلَاثَ وَ سَبْعُونَ مِنْ أُمَّةٍ الْحَدِيثُ أَنَّ عَلِيًّا (ع) هُوَ الْمَبْعُوثُ بِسُورَةِ الْبَرَاءَةِ لِيَقْرَأَهَا عَلَى الْمَشْرِكِينَ حَيْثُ أَمَرَهُ الرَّسُولُ (ص) أَنْ أَدْرِكَ أَبَا بَكْرٍ فِي الطَّرِيقِ، فَلَتَكُنْ أَنْتَ الْمَبْعُوثُ بِهَا لَا هُوَ، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى إِبْجَابِيَّةِ عَلَى (ع) لِخِلَافَتِهِ بَعْدَ سُلَيْبَةِ أَبِي بَكْرٍ، وَ لِأَنَّ رِسَالَةَ عَلَى (ع) فِي حَمْلِ آيَاتِ مِنَ الْبَرَاءَةِ كَانَتْ لِيَقْرَأَهَا أَمَامَ جَمَاهِيرِ الْمَشْرِكِينَ فِي حَرَمِ التَّوْحِيدِ، ثُمَّ وَ لَمْ تَكْرُرْ بَعْدَ خُرُوجِهِمْ عَنْهُ حَتَّى زَمَنَ الْأُتَمَّةِ الْمَعْصُومِينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامَ، فَلَا يَصِحُّ اسْتِمْرَارُهَا وَ الْحَرَمُ غَاصٌ بِالْمُوحِدِينَ مِنْ مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَ مَغَارِبِهَا، مَهْمَا اسْتَمَرَّتْ أَوَّلُ الْبَرَاءَةِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَ مَكَانٍ عَنِ الْمَشْرِكِينَ فِي الطُّولِ التَّارِيخِيِّ وَ الْعَرْضِ الْجُغْرَافِيِّ "فَأَقْضَى مَا أَنْتَ قَاضٍ".

٢- ﴿فَسِيحُوا﴾ أَيُّهَا الْمَشْرِكُونَ النَّاقِضُونَ ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ الْحَرَمِ ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ مِنْذُ هَذَا الْبَلَاغِ ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ﴾ بِصُودِكُمْ عَلَى الْإِشْرَاقِ بِاللَّهِ ﴿وَ أَنَّ اللَّهَ﴾ بِالتَّالِيِ ﴿مُخْزِي الْكَافِرِينَ﴾.

٣- ﴿وَ أَذَانٌ﴾ إِعْلَانُ إِعْلَامِ ﴿مِنَ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ﴾ مُوحِدِينَ وَ مُشْرِكِينَ ﴿يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾ وَ هُوَ الَّذِي بَعْدَ الْعِمْرَةِ وَ فِيهِ عَرَفَةُ وَ الْمَشْعَرُ وَ مِنَى .. ﴿أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَ﴾ كَذَلِكَ ﴿رَسُولُهُ﴾ بَرَاءَةُ الْإِخْرَاجِ مِنَ الْحَرَامِ بَعْدَ الْبَرَاءَةِ عَنْهُمْ لِإِشْرَاقِهِمْ بِاللَّهِ ﴿فَإِنْ تَبَتُّمْ فَهَوْ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ إِذْ تَأْخُذُونَ حَرِيَّتَكُمْ هُنَا وَ لَكُمْ فِي الْآخِرَةِ الْجَنَّةُ ﴿وَ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ﴾ بِتَوَلِّيَتِكُمْ ﴿وَ بَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ وَ هُوَ إِذْ نَارُ مَغْلَظٍ أَنْ لَيْسَتْ لَهُمْ بَشَارَةٌ إِلَّا أَلِيمُ الْعَذَابِ.

٤- ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا﴾ مِنْ مَعَاهِدَتِكُمْ ﴿وَ لَمْ يَظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا﴾ مُنَاصِرَةً عَلَيْكُمْ فِي حَرْبٍ حَارَةٍ أَوْ بَارِدَةٍ دَعَائِيَّةٍ ﴿فَاتَّبَعُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ﴾ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ إِيَّاهُ وَ عَنْ نَقْضِ الْعَهْدِ، فَيَبْغِضُ نَاقِضِي الْعَهْدِ.

٥- ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ﴾ الْمَحْرَمُ فِيهَا الْقِتَالُ وَ سَائِرُ الْحَرَامِ فِيهَا، مَكَانًا: الْحَرَمُ، وَ مَكَانَةً: حَالَةُ الْإِحْرَامِ ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ مُطْلَقًا ﴿حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَ خَذُوهُمْ وَ أَحْصُرُوهُمْ وَ اقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ سِوَاهُ أَمْ كَانُوا مُعَاهِدِينَ غَيْرِ نَاقِضِينَ أَوْ غَيْرِ مُعَاهِدِينَ، لِمَكَانٍ ﴿فَإِنْ تَابُوا وَ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَ آتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ دُونَ مَلَا حَقَّةٍ بِمَا كَانُوا مُشْرِكِينَ، فَ ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ مَا سَلَفَ مِنْ كُفْرِهِمْ ﴿رَحِيمٌ﴾ بِهِمْ، ذَلِكَ، وَ مِنْذُ انْسِلَاخِ الْأَشْهُرِ الْحُرُمِ، أَوْ وَ إِتِمَامِ الْعَهْدِ، فَحُكْمُ صَارِمٍ عَلَيْهِمْ لَا حَوْلَ عَنْهُ وَ لَا قَبْلَ لَهُ "إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا ... (٩: ٢٨) وَ ذَلِكَ نَجَسٌ الْعَقِيدَةِ وَ الطَّوِيلَةِ وَ الْعَمَلِيَّةِ، بَعْدَ تَبْيِينِ الْحُجَّةِ، فَكَيْفَ يُسَمَحُ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوا عَاصِمَةَ لِتَوْحِيدِ الْمَوْحَدِ، هُزْءٌ مِمَّا سَا بِالْمُوحِدِينَ، أَوْ دَعَايَةً ضِدَّ التَّوْحِيدِ فِي مَدَارِهِ أَمَامَ جَمَاهِيرِ الْمُسْلِمِينَ، ذَلِكَ، وَ لَيْسَ كَذَلِكَ الْحُكْمُ لِغَيْرِ الْمَشْرِكِينَ الرَّسْمِيِّينَ، كَتَابِيِّينَ كَانُوا أَمْ سَائِرِ الْمُوحِدِينَ الرَّسْمِيِّينَ، مَهْمَا كَانَتْ فِي شَرْعِهِمُ التَّوْحِيدِيَّةُ مَا لَا يَنَاسِبُ شَرْعَةَ التَّوْحِيدِ السَّلِيمِ.

٦- ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ لَجُنُودًا إِلَيْكَ، طَلَبًا لِلْهَدْيِ ﴿فَأَجِرْهُ﴾ إِلَيْكَ ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ اتَّجَاهًا إِلَى اللَّهِ ﴿ثُمَّ أَلْبَغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ لَا مَعْسِرَهُ، إِذْ لَيْسَ لَهُ بَعْدَ مَأْمَنِهِ لِمَكَانٍ لَجُوءُهُ إِلَيْكَ فِرَارًا عَنْ مَعْسَرِ الْكُفْرِ ﴿ذَلِكَ﴾ الْإِجَارَةُ وَالْإِبْلَاجُ وَلَمَّا يَظْهَرُ مِنْهُ قَصْدُ الْإِهْتِدَاءِ ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وَ لِذَلِكَ يُحَارِبُونَ الْحَقَّ عَنْ جَهَالَةٍ، وَ حَقَّ الْإِجَارَةُ يَعْمُ كَافَّةُ الْمُؤْمِنِينَ كَمَا عَنْهُ (ص) مِنْ اسْتِجَارَتِهِمْ فَأُجِيرُوهُ وَ يُجِيرُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ أَدْنَاهُمْ حَتَّى النِّسَاءِ وَ الْعَبِيدِ.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ١٨٨

٧ / ٩

٧- ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ﴾ وَاجِبُ الرِّعَايَةِ ﴿عِنْدَ اللَّهِ وَ عِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ حَيْثُ يَظْهَرُ أَنَّهُ عَهْدُ صَالِحٍ ﴿فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ﴾ فِي عَهْدِهِمْ ﴿فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾ عَهْدًا بِعَهْدٍ إِلَّا تَخَوُّفُ النِّقْضِ فَنَبَذًا بِهِ كَمَا مَضَى ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ كَمَا يَبْغِضُ سَوَاهِمَ، فَنَقُضُ عَهْدَهُمْ دُونَ مَبْرَرٍ طُغْوَى وَ هُمْ مُشْرِكُونَ، كَمَا الْإِسْتِقَامَةُ فِيهِ مَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ تَقْوَى، فَضْلًا عَنْ نَقْضِ عَهْدِ صَالِحٍ مَعَ الْمُسْلِمِينَ، فَهُوَ طُغْوَى عَلَى طُغْوَى، دُونَ أَنْ يَبْرِرَهُ مَصْلَحِيَّةٌ مُطْلَقًا، اللَّهُمَّ إِلَّا إِذَا كَانَ عَهْدًا غَيْرَ صَالِحٍ إِسْلَامِيًّا، فَهُوَ مَنْقُوضٌ مِنْذُ بَدَايَتِهِ.

٨ / ٩

٨- ﴿كَيْفَ﴾ يَكُونُ لَهُمْ عَهْدُ كِضَابَةِ ﴿وَ﴾ الْحَالُ أَنَّهُمْ ﴿إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا﴾: تَحْدِيدًا مُطْلَقًا، وَ لَا صِفَاءَ إِنْسَانِيًّا، وَ لَا جَوَارًا أَوْ قَرَابَةً ﴿وَ لَا ذِمَّةً﴾ بِمُعَاهَدَةٍ وَ ذِمَامٍ، فَهُمْ خَوَاءٌ وَ بَوَاءٌ عَنْ أَيْةٍ مُرَاقَبَةٍ ﴿يَرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَ تَأْبَى قُلُوبُهُمْ﴾ عَنْ إِرْضَائِكُمْ ﴿وَ أَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾ عَنْ إِلٍّ أَوْ ذِمَّةٍ، مَهْمَا كَانَ كُلُّهُمْ فَاسِقِينَ بِالْفِعْلِ عَنْ شَرْعَةِ اللَّهِ، وَ أَقْلَهُمْ غَيْرَ فَاسِقِينَ فِي التَّعَاهُدِ إِذْ يَسْتَقِيمُونَ عَلَى عَهْدِهِمْ، أَمْ وَ يُؤْمِنُونَ.

٩ / ٩

٩- ﴿اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ الْمَعْرُوضَةَ عَلَيْهِمْ ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ وَ كُلُّ ثَمَنٍ أَمَامَهَا قَلِيلٌ ﴿فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ﴾ كَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿إِنَّهُمْ﴾ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿فِي ذَلِكَ الْاِشْتِرَاءِ وَ الصَّدِّ.

١٠ / ٩

١٠- لِذَلِكَ ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَ لَا ذِمَّةً﴾ كِضَابَةُ فِيهِمْ ﴿وَ أُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾ عَلَى الْحَقِّ وَ أَهْلِيهِ، بَلْ وَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ إِذْ جَحَدُوا بِهَا وَ اسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَ عُلُوًّا.

١١ / ٩

١١- ذَلِكَ، وَ خِلَافًا لِسِيرَتِهِمْ ﴿فَإِنْ تَابُوا﴾ عَنْ إِشْرَاكِهِمْ كَأَصْلٍ فِي شَرْعَةِ اللَّهِ ﴿وَ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَ آتَوْا الزَّكَاةَ﴾ كَأَهْمِ فَرْعٍ مِنْ فُرُوعِ الشَّرْعَةِ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ اللَّهِ صَلَاةً، وَ بَيْنَ خَلْقِهِ زَكَاةً ﴿فَ﴾ هُمْ إِذَا ﴿إِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾ أَيَا كَانَ مَذْهَبُهُمْ بَيْنَ الْمَذَاهِبِ الْإِسْلَامِيَّةِ، لِذَلِكَ يُحْرَمُ عَلَى أَهْلِ كُلِّ مَذْهَبٍ اسْتِغَابَةُ غَيْرِهِ لِأَصَالَةِ الْأَخُوَّةِ الدِّينِيَّةِ بَيْنَهُمْ حَسَبَ نصوصٍ قُرْآنِيَّةٍ وَ نُفُصَلُ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ

١٢ / ٩

١٢- ﴿وَ إِنْ نَكُنْثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ﴾ عَلَى أَيْمَانِهِمْ، ثُمَّ ﴿وَ طَعَنُوا فِي دِينِكُمْ﴾ دَعَايَةً ضَدَّهُ، كَمَا هُمْ يَنْكُثُونَ قِتَالًا عَلَيْهِمْ، جَمْعًا بَيْنَ الْفِتْنَتَيْنِ ﴿فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ﴾ وَ هَؤُلَاءِ أَوْلَاءُ الْكَافِرِينَ ب- ﴿إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ﴾ حَقِيقِيًّا مَهْمَا لَفَظُوا بِهَا، وَ لَا تَعْنَى مُقَاتَلَتِهِمْ انْتِقَامًا مِنْهُمْ بَلْ ﴿لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾ عَنْ كُفْرِهِمْ أَوْ نَكْثِهِمْ أَوْ طَعْنِهِمْ.

١٣ / ٩

١٣- ﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَتُوا أَيْمَانَهُمْ﴾ متجاهرين، ثم ﴿وَهُمُوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ﴾ مرات كأيام الشعب و الندوة و ليلة المبيت ﴿وَالْحَالُ أَنَّ﴾ هُمْ بِدَوْنِكُمْ بالنكت و القتال ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ دونكم ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ﴾ فى قتالهم ﴿فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ﴾ فلتقاتلوهم ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ به.

ذلك، و لا نجد فى آيات قتل المشركين إلا صيغة القتال "قاتلوا.." و ما أشبهه، مما يبرهن على ألا قتل هجوميا فى الإسلام، و إنما هو دفاع عن النوااميس الإسلامية المهاجمة أم هى فى خطر، و القتال هى مقاتلة بين فريقين بداية من إحداهما، و دفاعا من أخرى، و المسلمون هم الآخرون "فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ" (٢: ١٩٤).

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ١٨٩

١٤ / ٩

١٤- ﴿قَاتِلُوهُمْ يَعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ و من عذابهم أن يقتلوا أو ينهزموا هنا، ثم أن يعذبوا بعد موتهم أو قتلهم ﴿وَيَخْزِهِمْ﴾ هنا و فى الأخرى ﴿وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَ يَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾ قد ظلموا من قبل، و هنا "يَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ" وعدا من الله، هى تحقيقه أنيقة لنصرهم على قتلهم.

١٥ / ٩

١٥- ﴿وَ يَذْهَبْ غِيظَ قُلُوبِهِمْ﴾ إذ غاظت بما ظلمت، ثم غاظت بما انهزم الغائظون ﴿وَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ الله و يشاء هو أن يتوب عليه الله: "وَ أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى" ﴿وَ اللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بأحوالكم ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما يفعل بكم.

١٦ / ٩

١٦- أ فَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَ أَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ" (١١٥: ٢٣) ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا﴾ دون إبتلاء ﴿وَ لَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ﴾ علما فيما بينكم علامة الإيمان ﴿الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾ ممن لم يجاهد ﴿وَ لَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ لَا رَسُولِهِ وَ لَا الْمُؤْمِنِينَ وَ لِيَجْزِيَ﴾ ربانية و رسولية و رسالية إيمانية فى مثلث الدرجات، كما لكل درجات ﴿وَ اللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من وليجة و قدرها.

١٧ / ٩

١٧- ﴿مَا كَانَ﴾ منذ التكليف عامة ﴿لِلْمُشْرِكِينَ﴾ كأنحس مصداق ﴿أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾ عمراننا لبناياتها أو حضورا فيها لعبادتهم المشتركة، حال كونهم ﴿شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ﴾ فـ "لِلْمُشْرِكِينَ" قد تعم الكافرين هنا لمكان "بِالْكَفْرِ" أو أنه كفر الإشرار و هو أظهر لمكان عهد الذكر حيث يختص "الكفر" بالإشرار ﴿أُولَئِكَ﴾ اللثام ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ هنا و فى الأخرى، فلا وزن لها، بل هى محظورة كلها مهما كانت محبورة بصورة العبادة إذ تفقد سيرتها الصالحة ﴿وَ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾ قدر إشراكهم، حدا بحد و لا يظلمون قتيلاً.

١٨ / ٩

١٨- ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾ سماحا و رجحانا أو وجوبا ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ﴾ دون إشراك ﴿وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ كما يصح ﴿وَ أَقَامَ الصَّلَاةَ وَ آتَى الزَّكَاةَ﴾ لا فحسب، بل ﴿وَ لَمْ يَخْشَ﴾ فى توحيده و أعماله الصالحة و ترك الإشراك و الأعمال الطالحة ﴿إِلَّا اللَّهَ﴾ فَعَسَى أُولَئِكَ الْأَكَارِمُ ﴿أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ إلى الله جميعا، كما هم مؤمنون فرادى، حيث الإيمان درجات كما الكفر درجات، و من الإيمان هنا الإيمان الكتابى قصورا أو دون عمد.

١٩ / ٩

١٩- فالإيمان هو الأصل ﴿أَجَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَ عِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ لساقى و عامر ﴿كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ وَ جَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ و قد نزلت فى الامام على(ع) فى حوار بينه و بين عباس و شيبه فى هذه الثلاث، أن عليا بإيمانه القويم أفضل منهما مهما آمنا بالله العظيم فضلا عما قبل إيمانهما ﴿لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ المسوين بين هؤلاء الثلاثة و سواهم ممن يظلم بمختلف الكفر و الكفران.

٢٠ / ٩

٢٠- ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَ هَاجَرُوا﴾ بإيمانهم ﴿وَ جَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ﴾ أولئك ﴿أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ﴾ ممن سواهم أن آمن و لم يهاجر أو و هاجر و لم يجاهد ﴿وَ أُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ فى حياتهم برضوان الله، فهم "هُم دَرَجَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَ اللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ" (٣: ١٦٣) "دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَ مَغْفِرَةٌ وَ رَحْمَةٌ وَ كَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا" (٤: ٩٦) وَ لِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا وَ مَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ" (٦: ١٣٢) ذلك، و كما الكافرون دركات حسب دركات عقائدهم و أعمالهم الكافرة" وَ لَا يَظْلَمُونَ نَفِيرًا" فليس فى حساب الله أية فوزى جزاف، إلا "جَزَاءً وَفَاقًا".

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ١٩٠

٢١ / ٩

٢١- ﴿يَبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ﴾ حسب وعيهم و سعيهم ﴿وَ رِضْوَانٍ﴾ هو أفضل من كل رحمة ﴿وَ جَنَّاتٍ﴾ مادية و معنوية ﴿لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ﴾ كما أقاموا حياتهم على أسس مرضات الله: "وَ مَسَاكِينَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَ رِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ" (٩: ٧٢).

٢٢ / ٩

٢٢- ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ دون انقطاع عطاء غير مجذوذ ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ دون مساوات بين أجر و عمل.

٢٣ / ٩

٢٣- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَ إِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ من دون الله أو مع الله ﴿إِنْ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ﴾ بالله ﴿وَ مَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ تقديمهم لهم على الله أو تسوية بالله، بل و حتى المؤمنين منهم بالله، اللهم إلا فى سبيل الله و مرضات الله.

٢٤ / ٩

٢٤- و هنا رغبات ثمان هى فى الميزان بينها و بين الله ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ﴾ شمولاً للأمهات و الجدود و الجدات، بل و الأعمام و الأخوال ﴿وَ أَبْنَاؤُكُمْ﴾ شمولاً للأحفاد ﴿وَ إِخْوَانُكُمْ﴾ شمولاً للأخوات ﴿وَ أَزْوَاجُكُمْ﴾ شمولاً للمقطعات و الإماء نساء، و للبعولة ككل رجالا، حيث الخطاب لا يختص بالرجال ﴿وَ عَشِيرَتُكُمْ﴾ نسبياً و سببياً فإنهم من تعاشرهم فيها أقرباء و أغرباء ﴿وَ أَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا﴾ كيفما كانت ﴿وَ تِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا﴾ فتحافظون عليها كيلا تكسد ﴿وَ مَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا﴾ إن كانت ﴿أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ جِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا﴾ خلفية ذلك الحب الكافر هنا و فى الأخرى ﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ الإمر لمن هى أحب عنده من الله، ثم من يحبها كما يحب الله، و من ثم من يحب الله أكثر ممن سواه، و الحب الصالح هو حب الله وحده لا شريك له، ثم حب غيره فى سبيله كما أمر، فليس الحب إلا للكمال النافع، كما الأحب هو الأكمل الأنفع، و لا كمال و لا نفع أمام الله إلا منه، حيث الكل أقله إلا الله: "إِنِّى لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ" (٧٦: ٧٦) بجنب الله، مهما كان الحب و الإتياع فى الله حبا لله: "قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَ يُغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ" ف"إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ" كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَ تَذَرُونَ الْآخِرَةَ" (٧٥: ٢١) الآجلة ﴿وَ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

٢٥- ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ﴾ و هي ثمانون موطناً و لكن لا تدل على أنها ثمانين مطلقاً، فإن ظروف الكثرة مختلفة ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾ واد بين مكة و الطائف، حيث انهزموا بداية و هم أكثر، ثم هزموا نهائية و هم زهاء ثمانين على هؤلاء الكثرة ﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً﴾ فإنما يغنى التوكل على الله دون إعجاب ﴿وَصَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمُ مُدْبِرِينَ﴾ في البداية، فلا استقلالية، و لا اتكالية في الحياة بل العوان بينهما و هو أن تعمل غاية جهدك متوكلاً على الله، مبتغياً مرضات الله على أية حال في كل حلّ و ترحال، فهنا لا إعجاب بوفرة و كثرة و لا يأس عند قلة و كسرة، ثم عليك أن تستسلم لمرضات الله في كل نفع أو ضرر، فإنه هو النفع كله.

٢٦- ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ خروجاً من اليأس على تخوف، و لكنه لم ينزلها على صاحبه في الغار "فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ" و هو كان بحاجة ماسة إليها، و قد يدل ذلك السلب على سلبية إيمانه الصالح مهما كان من المؤمنين ﴿وَأَنْزَلَ جُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا﴾ و لكنهم قد رأوها فانهزموا ﴿وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بانهزامهم ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ كفراً أو كفراناً على دركاتهما.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ١٩١

٢٧- ﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ النصر ﴿عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ ممن تركوا جديد القتال الهازم للمؤمنين، و الكفار الذين انهزموا إذ آمن جمع منهم ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ في موضع الغفر و الرحمة، كما هو أشد المعاقبين في موضع النكال و النعمة.

٢٨- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ﴾ الوثنيون ﴿نَجَسٌ﴾ نفسياً، لا و بدنياً، لأن الإشراك و هو موضوع النجس ليس إلا من النفس دون البدن ﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ و هو هنا مكة كلها أو الحرم كله، فإنهما هما قرب المسجد الحرام، و إلا لكان النص: فلا يدخلوا المسجد الحرام ﴿بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾ و مما يدل على عناية مكة كلها ثانية: ﴿وَأِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيَكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ فإن خوف العيلة ليس إلا لترك المتاجرة بينهما في مكة أو الحرم كله دون خصوص المسجد الحرام، و لو كان دخول عين النجاسة في مكة محظوراً، فالمواطنون و المسافرين إليها يحظر عليهم ككل الكون فيها لنجاسات منهم عينية بولا و غائطا و منيا و دما و ما أشبه، فلا تدل هذه الآية على نجاسة أبدان المشركين فضلا عن الكتابيين، مع أن نص المائدة يطهرهم: "وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلَلٌ لَكُمْ وَ طَعَامُكُمْ حَلَلٌ لَهُمْ .." كما و أن إثبات طهارة الكتابيين هنا لا ينفيها عن المشركين، ثم و أحاديث طهارة الكتابيين كلها نصوص عليها على كثرتها، و موافقتها لنص المائدة، ثم أحاديث نجاستهم هي لأكثر تقدير ظاهرة في نجاستهم، فمحمولة على عرضيتها و من ثم لم يأت "النجس و الرجس و الرجز" في القرآن بمعنى النجاسة الجسمية، فلا دليل - إذا - مقبولا على نجاسة المشركين بدنياً فضلا عن الكتابيين، ثم و النجاسة العينية لا تزول إلا بزوال العين أو انقلاها، و الإسلام عن الكفر ليس منهما فكيف يطهر به.

٢٩- ﴿قَاتِلُوا﴾ من يقاتلونكم و منهم ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ لَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ كتابيا، مهما آمنوا بهما تخيلاً غالطاً هابطاً، ثم ﴿وَلَا يَحْرَمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ﴾ في الكتاب تحريفاً و تجديفاً ﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ﴾ كتابيا مطلقاً فضلا عن دين

الإسلام ﴿مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ﴾ و لكنهم لم يتعاطوه، وإنما يسمّون كتابيين " قَاتِلُوا .. " ﴿حَتَّىٰ يَعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ﴾ منهم، إيتاء بأنفسهم ﴿وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ أمام السلطة الإيمانية لصغارهم عند الله.

٣٠ / ٩

٣٠- ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ﴾ بعضا ﴿عَزِيزُ ابْنُ اللَّهِ﴾ اتخاذا وخآزا و هم عزيزيون ﴿وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ ولادة أو تحولا لللاهوت الألوهية إلى ناسوت الجسم، أو اتخاذا كما عند اليهود ﴿ذَلِكَ﴾ البعيد عن الحق ﴿قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ دون قلوبهم إذ لا يوقنونها، ثم و ليسوا هم مختلقوها، و إنما ﴿يُضَاهَوْنَ﴾ تشابها ﴿قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾ كعشرات من المشركين الثالوثيين، المتبنين ﴿قَاتِلَهُمُ اللَّهُ﴾ فى ذلك التقليد الأعمى ﴿أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ يصرفون كذبا عن الحق.

٣١ / ٩

٣١- و من انحرافهم عن التوحيد الحق ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمُ﴾ اليهود ﴿وَرُهْبَانَهُمُ﴾ النصارى ﴿أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ فالأولان ربوبية الطاعة و الآخر إضافة إليها ربوبية العبودية و الألوهية المزعومة ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا﴾ عبادة و طاعة ﴿إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ عبادة و طاعة، أم و ألوهة، فإنها ثالث الانحراف عن حقل التوحيد.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ١٩٢

٣٢ / ٩

٣٢- ﴿يُرِيدُونَ﴾ هؤلاء ﴿أَنْ يُطْفِئُوا نَوْرَ اللَّهِ﴾ و هدها المتمثل فى القرآن بمحمد (ص) و أهليه ﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ فإن قالتهم الباطلة هى بأفواههم دون قلوبهم، مهما شملت الأفواه ظواهر أعمالهم ككل ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ﴾ عقيدا و عمليا و بكل تطبيق، بعد ما أتمها تنزيلا على أهليه ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ إذ لا يؤثر كرههم فى إرادة الله، أجل، و قد تعنى " أفواههم " كل طاقاتهم المتظاهرة: " يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نَوْرَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَ اللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ " (٦١: ٨).

٣٣ / ٩

٣٣- ف ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ﴾ كأنه هو رسوله لا سواه ﴿بِالْهُدَى﴾ كلها ﴿وَدِينِ الْحَقِّ﴾ لا فقط الدين الحق، أو " دين حق " حيث الدين الربانى كله حق، و لكن الحق الذى لا يحرف و لا يزول ليس إلا قرآن محمد و محمد القرآن، فإنه الحق كله، و هو لا يزول و لو كان جزءه فكما " الحق " هو كل الحق، ف " دِينِ الْحَقِّ " هو طاعته كلها دون إبقاء إلا بقاء إلى يوم البقاء ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ﴾ حقا و باطلا ﴿كُلَّهُ﴾ و ذلك زمن المهدي عليه السلام حيث يغلب الإسلام على كافة الأديان ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾: " هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَ دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ " (٦١: ٩).

٣٤ / ٩

٣٤- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن كَثِيرًا مِنَ الْآخِبَارِ﴾ هودا ﴿وَالرُّهْبَانِ﴾ نصارى ﴿لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾ إذ يشرون الحق بالباطل ﴿وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ التى سبيلها للناس ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ﴾ ركاذا ﴿الذَّهَبَ وَ الْفِضَّةَ﴾ مالا واقفا لا يستفاد منه مهما أدت حقوقه المرسومة الخاصة ﴿وَلَا يَنْفِقُونَهَا﴾ أصلا أو استيفاء للمعدين ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشَّرَهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ إذ هى " أَمْوَالُكُمْ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا " (٤: ٥) ففعود الأموال دون فائدة و لا ضرر محظور، و قيامها بضرر محظور، فلا بد من قيامها " لَكُمْ " كمؤمنين نفعا لكم محتاجين، أو لآخرين حيث لا تحتاجون إليها أو لا تستطيعون، فكما أن سائر القوّات التى هبها الله لكم، لا بد من قيامها لصالحكم، كذلك " أَمْوَالُكُمْ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا " إذا فكنز الذهب و الفضة كرعوس أموالكم، شمولاً لكافة الأموال، هو قعود لما جعل الله لكم قياما، و لأن كنزها دليل عدم حاجتكم، فلا بد من إنفاقها أصولا أم و لأقل تقدير انتفاعا منها قرضا حسنا، و لا ثالث إلا كنزا محظورا.

٣٥- ﴿يَوْمَ يَحْمَى عَلَيْهِ﴾ ذهاباً وفضة أو تبديلاً إليهما أم أصولهما ﴿فِي نَارٍ جَهَنَّمَ فَتَكْوَى﴾ کیا إحراقاً بشدة ﴿بِهَا جِبَاهُهُمْ﴾ إذ كانوا يسجدون لها وعليها ﴿وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾ إذ كانوا يعتمدون عليها، و يقال: ﴿هَذَا مَا كُنْتُمْ لَأَنْفُسِكُمْ﴾ في ملكوته، الظاهر يوم الدين، إذ جعله الله لكم قياماً و هذا قعود ﴿فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْذِبُونَ﴾ حيث ظهر بمظهر الحق جزاء.

٣٦- ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ﴾ سنوياً ﴿عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ تكويناً و تشريعاً ﴿يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ و هو في التقسيم "سِتَّةَ أَيَّامٍ" ﴿مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ يحرم فيها القتال و هي: رجب - شوال - ذو القعدة - ذو الحجة، أو المحرم بديل شوال ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ لا حول عنه ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾ أن تقاتلوا عندها ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾ كفاً عن بأسهم ﴿كَمَا يَقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾ كفاً عن بأسكم، مهما كان في تلك الأشهر الحرم و عند الحرم المحترم فإنه دفاع لا يحرم أبداً ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ حين يتقون الله بقتالهم، و أى فعالهم.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ١٩٣

٣٧- ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ﴾ و هو الشهر المنسأ المؤخر إنساء للأشهر الحرم حللاً للقتال فيها، أو إنساء للحج إلى شهر أنسب هواء، إنه ﴿زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ بالله ﴿يُضِلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ على ضلالهم حيث ﴿يَحِلُّونَهُ عَامًا وَ يَحَرِّمُونَهُ عَامًا﴾ كما يشتهون ﴿لِيُؤْطُوا﴾ سحفاً ﴿عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾ من القتال فيه ﴿زَيْنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ﴾ بما زين لهم الشيطان ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ تعنتاً و تقصيراً.

٣٨- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ؟﴾ من مرض أن ﴿إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قتالاً و ما أشبهه من سبله ﴿اثْقَلْتُمْ﴾ تناقلاً ﴿إِلَى الْأَرْضِ﴾ حياة أريحية ﴿أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ حيث اثقَلْتُمْ إليها ﴿مِنَ الْآخِرَةِ﴾ نفرا في سبيل الله و قالوا لا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا (٩: ٨١) و ذلك في استنفار لقتال الروم ﴿أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ﴾ رضواناً نكداً خاسراً ﴿فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ﴾ نسبة إليها لو كان فيها ﴿إِلَّا قَلِيلٌ﴾ كما و أن متاعها الصالح فيها قليل و رحمة الله كثيرة.

٣٩- ﴿إِلَّا تَنْفِرُوا يَعْذِبْكُمُ اللَّهُ﴾ عذاباً أليماً ﴿فِي الْحَيَاتِينَ﴾ و هنا ﴿يَسْتَبْدِلُ﴾ بكم ﴿قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ من غير العرب ﴿وَلَا تَضُرُّوهُ﴾ إذا ﴿شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ و أنتم ضعفاء.

٤٠- ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ﴾ محمداً في ذلك الاستنفار ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ عن اغتيال المشركين ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من مولده و موطنه و عاصمة رسالته، حال كونه ﴿ثَانِي اثْنَيْنِ﴾ أولهما أبو بكر إذ لحق الرسول فراراً إلى الغار، و مقدمة إليه حفاظاً عليه أما ذا ﴿إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ بغية الفرار ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ﴾ في الغار، لا صحابة طليقة حتى تكون افتخاراً لصاحب الغار ﴿لَا تَحْزَنْ﴾ و قد حزن لحد كان يصيح فيعرف المفتشون عنه (ص) ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ معية الحفاظ، و أصله هو (ص) و رغم أن صاحبه كان أحوج إلى سكينه الله لحزنه الفاضح، كما و هو مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ لا تثبت إلا معية القيومية على الأنفس، علماً و قدرة ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ

سَكِينَتُهُ عَلَيْهِ: محمد صلى الله عليه و آله لا عليهما أو على صاحبه "هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ" (٤: ٤٨) "فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ" (٩: ٢٦) أو لم يكن "صاحبه" مؤمنا يستحق نزول السكينة عليه؟ و هو بأمر الحاجة إليها في غار الفرار؟ أو كان مؤمنا بسيطا لما يستحقها؟ ويكأنه الثاني حيث الأول لن يستحق السكينة عند حزنه، ذلك ﴿وَ أَيْدُهُ﴾ محمدا ﴿بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾ لا و صاحبه في الغار و إلا لم يحزن ﴿وَ جَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى﴾ كما هم السفلى ﴿وَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. أجل إن آية الغار ليست افتخارا لصاحب الغار، إن لم تكن له فيها من عار، ف"صاحبه" لا تشهد لصحابته الرسالية، و إنما هي لصحابته في الغار، و كما "قال له صاحبه و هو يحاوره أَ كَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ .. ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا" (١٨: ٣٧) إذ جعل الموحد صاحبا للكافر، كما "أ و لَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ" (٧: ١٨٤) و كما صاحب الله بين كافر و كافر: "فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ" (٥٤: ٢٩) أو بين مؤمنين: "وَ الصَّاحِبُ بِالْجَنبِ" (٤: ٣٦) فلا تدل لفظة الصحابة على صحابة في كفر أو إيمان، و قد تدل آية الغار على صحابته له صلى الله عليه و آله فقط في الغار، دون صحابة الرسالة كأصل، و إلا فلما ذا لم تشمل السكينة و التأييد! فأقل تقدير في آية الغار أنها لا تدل على صحابة الإيمان الرسالي الخاص، كما ظنوا بها أنه صاحبه الخاص، و لا العام، إذ الصحابة أعم من الرسالي و سواه، راجع "الفرقان" تجد تفصيل البحث الحر حول آية الغار.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ١٩٤

٤١ / ٩

٤١- ﴿انْفِرُوا﴾ في ذلك الاستنفار العام لحرب هام ضد الروم الجامع عليكم كل قواته ﴿خِفَافًا﴾ عن أثقال الأموال و الأولاد و غيرهما ﴿وَ ثِقَالًا﴾ بها ﴿وَ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ﴾ مهما كانت ثقالا و أنفسكم ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ من تتأقلمكم إلى الأرض و من كل حياتكم دون نفر في سبيل الله، حيث يحافظ على كيانتكم الإسلامى السامى ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ تمييزا للخير عن الشر.

٤٢ / ٩

٤٢- ﴿لَوْ كَانَ﴾ ما أمرناهم به ﴿عَرَضًا قَرِيْبًا﴾ تناوله ﴿وَ سَفَرًا قَاصِدًا﴾ قريبا مريحا كأنه يقصد بنفسه ما تبغونه ﴿لَاتَّبَعُوكَ﴾ فيه ﴿وَ لَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ﴾ من مشقة البعد مكانا و الصعوبة المشقة نفسا و نفيسا ﴿وَ سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوْ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ﴾ رغم واقع استطاعتهم خلاف ما يدعون ﴿يَهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ بعد اتباعهم إياك ظاهريا بما يكذبون ﴿وَ اللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ أن "لو .." فقد كانوا مستطيعين، و لو لم يكونوا لم يكن ذلك الهدف الأسمى.

٤٣ / ٩

٤٣- ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ﴾ أن أذنت لهم و لكن ﴿لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾ إذ لم يستعفوا عن النفر ﴿وَ تَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴾ المستعفين دون عذر، و "فَإِذْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ" سماح لإذنه مطلقا، و هذا منه مهما لم يك يعلم واقع القضية، ثم "وَ لَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُوا لَهُ عِدَّةً وَ لَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَ قِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ" تبرر إذنه في ظاهر الحال، ف"لِمَ أَذْنَتْ" ناظرة إلى واقع الحال المجهولة لديه، ف"لم .." حتى يظهر لنا أنه (ص) لا يعلم الغيب، اللهم إلا بما يعلمه الله، و قد علمه هنا بعد إذنه، و قد برر ذلك الإذن أيضا بما تبين، فإذنه بين محذور و محبور، محذور في واقع الحال دون علمه بها لأنهم كانوا كاذبين، و محبور إذ "لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَ لَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ" كما "فَإِذْ لِمَنْ شِئْتَ" تسمح له أن يأذن كما تحكم به ظاهر الحال على آية حال، فليس "لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ" تأنيبا عليه.

٤٤ / ٩

٤٤- ﴿لَا يَسْتَأْذِنُكَ﴾ دون مبرر ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ لا استئذان للبقاء و لا عذر و لا للخروج، و لا استئذان دون عذر ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ محاذيره.

٤٥ / ٩

٤٥- ﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ﴾ هنا أو هناك و لا سيما للبقاء ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ كأصل و هم منافقون ﴿وَأَرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ فى الحق ﴿فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾.

٤٦ / ٩

٤٦- ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ﴾ معك ﴿لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً﴾ و لم يعدوا، مما يدل على عدم إرادتهم للخروج أبدا ﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ﴾ للقتال ﴿فَتَبَطَّهْمُ﴾ تثبينا على القعود كما أرادوه إذ أرادوه "فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ" ﴿وَقِيلَ اقْعُدُوا﴾ أنتم دون عذر ﴿مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ لعذر، قيلة من رءوس النفاق حيلة، و قيلة من الشيطان الرجيم غيلة، فـ "أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَضَّعُوا لَهُمْ أَوَّا" (١٩: ٨٣) "وَقِيضْنَا لَهُمْ قُرْنَاءَ فَزَيْنَا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ" و ما خَلَفَهُمْ (٤١: ٢٥) و قولنا تكوينيا من الله أن أقعدهم، و شرعيا لأنهم كانوا يضررون بخروجهم و لا ينفعون.

٤٧ / ٩

٤٧- و ذلك لأنه ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾ فسادا و اضطراب رأى ﴿وَلَا وَضَعُوا﴾ إيذاء، إسراعا إليها وضيعة فضيحة ﴿خِلَالَكُمْ﴾ تفريقا و تمزيقا بين صفوفكم، و بينكم و بين أنفسكم، و بين أعداءكم، حال أنهم ﴿يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ﴾ دون إصلاح و لا دون إفساد و لا إصلاح ﴿وَالْحَالُ أَنْ فِيكُمْ﴾ من هم ﴿سَمَاعُونَ لَهُمْ﴾ اغترارا بهم ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ١٩٥

٤٨ / ٩

٤٨- ﴿لَقَدْ ابْتَغُوا الْفِتْنَةَ﴾ من انكسار يوم احد و ما أشبه ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ أن تكسرهم ﴿وَقَالُوا لَكَ الْأُمُورُ﴾ خلافا لما يرجى من فتح كان فى البداية ﴿حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ﴾ من قبل الحق أن غلبت عليهم أخيرا ﴿وَوَضَّعَ اللَّهُ فِيهِمْ﴾ الحال ﴿وَالْحَالُ﴾ لهم كارهون ﴿ظَهَرَ أَمْرُهُ﴾.

٤٩ / ٩

٤٩- ﴿وَمِنْهُمْ﴾ هؤلاء المنافقين ﴿مَنْ يَقُولُ أَئِذْنَ لِي وَ لَا تَفْتِنَنِي﴾ بالحرب ﴿أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا﴾ حيث يريدون فتنة الرسول و المؤمنين ﴿وَأَنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ غدا، كما هى محيطة بهم اليوم بفتنهم، فالمنافقون هم من الكافرين، بل "إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ" (٤: ١٤٥) مهما كانوا على ظاهر إسلامهم محكومين لهم و عليهم بحكم الإسلام، اللهم إلا إذ أظهروا النفاق فكفر مطلق لا حول عنه ظاهرا و باطنا، إلا إذا تابوا توبة نصوحا.

٥٠ / ٩

٥٠- ﴿إِنْ تُصِيبَكَ﴾ حالة ﴿حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَ إِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ﴾ من انهزام و سواه و ما أشبه ﴿يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ﴾ إذ لم نخرج للحرب المصيبة ف ﴿وَيَتَوَلَّوْا﴾ عن الحرب، إذا ﴿وَهُمْ فَرِحُونَ﴾ بتلك المصيبة التى لم يكونوا فيها.

٥١ / ٩

٥١- ﴿قُلْ لَنْ يَصِيْبَنَا﴾ إذا خرجنا للحرب أو أى عمل يأذن الله ﴿إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ مؤجلا أو معلقا، ما كان قتالنا بأمر الله، سواء أوافق أجلنا المحتوم أم لا، فإن كلا يأذن الله، لأنه ﴿هُوَ مَوْلَانَا وَ عَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ حين يحملون مشيئة الله فى حلهم و ترحالهم شرعيا و كما يكونه الله.

٥٢- ﴿قُلْ﴾ لهؤلاء الناكرين الحق ﴿هَلْ تَرَبُّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ﴾ و هما الحياتان الحسنيان، حياة بإمامة الكفار، و حياة أن نقتل في سبيل قتلهم، فكلاهما حسنيان ﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ﴾ على أية حال ﴿أَنْ يَصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾ يوم الدنيا و الآخرة ﴿أَوْ بِأَيْدِينَا﴾ أو نغلبكم ﴿فَتَرَبَّصُوا﴾ ذلك العذاب ﴿إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴾ إياه عليكم، و إحدى الحسينين لنا، و إذا فلن نبالي أ غلبنا أم غلبنا، انهزمنا أو هزمنا، ما دمنا نقدم واجبا.

٥٣- ﴿قُلْ﴾ لهؤلاء المنافقين ﴿انْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ فعلى الحاليين ﴿لَنْ يَتَقَبَّلَ مِنْكُمْ﴾ إذ ﴿إِنَّكُمْ كُنْتُمْ﴾ على أية حال ﴿قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ مترفعين عن طاعة الله.

٥٤- ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ﴾ شيء ﴿إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ في باطن الأمر مهما تظاهروا بالإيمان، كما ﴿وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ﴾ دون إقامة لها ﴿إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى﴾ عنها إذ لا يؤمنون بها ﴿وَلَا يَنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ بل و لو أنفقوا طوعا لن تقبل لفسقهم و كفرهم، فإن طوعهم كره حيث يعنى رغبتهم في غلب و غنيمة دون مرضات الله. ذلك، فـ ﴿إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ﴾: الحياتين الحسينيين، هي حياة الإيمان على أية حال، حياتا في سبيل الله، و موتا في سبيل الله، و هو حياة لعلها أحيى من تلك الحياة: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْزُقُونَ﴾ (٣: ١٦٩) و كما أن المؤمن مهاجر في حياته في سبيل الله.

ذلك، و كما أن الكافر يتربص به إحدى السوءتين، فإن حياته و ماته هما في سبيل الشيطان.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ١٩٦

٥٥- ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ﴾ الطائلة ﴿وَلَا أَوْلَادُهُمْ﴾ الغائلة، فليس فيهما رحمة لهم، ف ﴿إِنَّمَا﴾ ليس إلا ﴿يُرِيدُ اللَّهُ﴾ ليعذبهم بها في الحياة الدنيا ﴿انْشَغَلَا بِهِمَا وَابْتَلَا وَعَذَابًا لَهُمَا، وَ تَهِيئَةً لَهُ بِهِمَا، ثُمَّ وَ تَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ﴾ حال التهاهم بهما ﴿وَالْحَالُ أَنْ﴾ هم كافرون ﴿بِاللَّهِ﴾.

٥٦- ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ﴾ إيماننا صالحا ﴿وَمَا هُمْ مِنْكُمْ﴾ بل هم من الكفار ﴿وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ﴾ بين المؤمنين بظاهر الإيمان و باطن الكفر ﴿وَإِذَا لُقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤُنَ﴾ (٢: ١٤).

٥٧- ﴿لَوْ﴾ تمنيا ﴿يَجِدُونَ مَلَجًا﴾ يلجئون إليه من أعباء ظاهر الإيمان ﴿أَوْ مَغَارَاتٍ﴾ بمدخل الجبال حتى يغوروا فيها ﴿أَوْ مُدْخَلًا﴾ متدخلا يتدخلون فيه بتكلف ﴿لَوْلَا إِلَهِه﴾ معرضين عن جو الإيمان ﴿وَالْحَالُ أَنْ﴾ هم يجمحون ﴿مسرعين بوجه لا يردهم شيء﴾.

٥٨- ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ﴾ تعيبا ﴿فِي الصَّدَقَاتِ﴾ حيث توزعها على أهلها الأهلين لها بعدل و شفقة، و تحرمهم أولاً المنافقين، أو تدفع إليهم أقل منهم عليهم يتوبون، أو يخفوا عن نفاقهم ﴿فَإِنْ أَعْطُوا مِنْهَا﴾ كما يشتهون ﴿رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ عليك، و على شرعة الله.

٥٩ / ٩

٥٩- ﴿وَلَوْ﴾ ليتهم ﴿أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ﴾ ألوهية ﴿وَرَسُولُهُ﴾ رسالة ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ﴾ فيما يؤتينا ﴿سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ﴾ من فضل الله ﴿إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ لكانوا مؤمنين، فابتغاء مرضات الله على أية حال هو الإيمان الصادق، حيث تتقدم على مرضات الآخرين، و هي درجات، كما أن السخط دركات.

٦٠ / ٩

٦٠- و ليست الصدقات كما يهون، بل ﴿إِنَّمَا﴾ ليس إلا ﴿الصَّدَقَاتُ﴾ و هي الأموال التي يجافى بها المؤمن عن حقه في سبيل الله، كالزكاة، و قد عبر عنها في سائر القرآن بالإنفاق و الإيتاء و الإعطاء و الصدقة و الزكاة و القرض و ما أشبه، ف" الصدقات" على أية حال هي التي تؤتى و تعطى و تنفق زكاة للحال و المال، للفرد و المجتمع، صدقا دون من و لا أذى، و هي- حسب زهاء ثلاثين آية- مكية و مدنية، لا تختص بنوع خاص، بل هي صريحة و ظاهرة في شمولها لكافة المحاصيل المالية، كما و أن زهاء مائة رواية تدل على فرضها في أرباح التجارات، و على أية حال " إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ " ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ و هم من أفقرهم العدم ضربا في فقارهم، فهم أسوأ حالا من المساكين ﴿وَالْمَسَاكِينَ﴾ و هم من أسكنهم العدم دون إفقار ﴿وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا﴾ سعيًا في أخذها و جمعها ﴿وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ إلى الإيمان بالفعل إذ آمنوا و لمّا يدخل الإيمان في قلوبهم، أو دخل و لما يتم و يطم، فلهم حق منها لتأليف أكثر، دون أن يدفع نصيب من الزكاة لكي يؤمن الكافر، فالتأليف بين قلوب نافرة عن الإيمان أو عن الوحدة فيه، ليس بالإمكان أن يحصل بمال: "وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" (٨: ٦٣) ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾ لا لهم، بل في تحريرهم ﴿وَالْغَارِمِينَ﴾ حيث غرموا حالا، أم تابوا عما قصروا في غرمهم ﴿وَالضَّابِطَةَ﴾ في سبيل الله ﴿كُلُّ هَذِهِ الْمَوَارِدِ﴾ ما أشبه ﴿وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾ حيث يعيش في سبيل الله، فلا يحصل له شيء يكفيه قضية تكاليف هذه السبيل ﴿فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ﴾ فوق الوجوب ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بموارد الحاجة و واجب الصدقة ﴿حَكِيمٌ﴾ على علمه، و من علمه و حكمته أنه فرض الزكاة في الأموال كلها دون اختصاص بالتسعة حيث تخالف الكتاب و السنة، أجل، و إن ذلك الإختصاص الامتصاص بلاء في الفقه عظيم، خلافا للعدل و النصفة و للكتاب و السنة، وفاقا للأغنياء حيث يعذرون عن زكاة ما سوى التسعة الشهيرة القليلة، ثم التقسيم الثماني ليس على سواء، بل حسب الحاجة و قدرها.

٦١ / ٩

٦١- ﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ﴾ بأذيات، منها ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ أَذْنٌ﴾ لا رأى له، فإنما يسمع الوحي ﴿قُلْ﴾ هو ﴿أَذْنٌ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ فإنه اذن الوحي لصالحكم إذ يصلحكم به، و أذن لما تقولون حتى يميز لكم حقه عن باطله حيث ﴿يُؤْمِنُ﴾ نفسه و إياكم عن الشرور ﴿بِاللَّهِ﴾ تكويننا بتوفيق الله، و تشريعا بوحيه ﴿وَيُؤْمِنُ لَ﴾ صالح ﴿المؤمنين﴾ بما هو أذن ﴿وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾ كما هو زحمة على الذين كفروا ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الدنيا و الآخرة، كالذين اتخذوا هذا القرآن مهجورا.

٦٢ / ٩

٦٢- ﴿يَجْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ﴾ حلفا كاذبا فيما يسخط الله و أهل الله ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ﴾ منكم ﴿أَنْ يَرْضَوْهُ﴾ دون حاجة إلى حلف، لو كان رضاكم من دون الله حقا ﴿إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ بالله و برسوله، و لكنهم كفار منافقون.

٦٣- و كل هذه محادة الله و رسوله فيما يختص بالله ألوهية و بالرسول رسالة ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ﴾ أن يجعل لنفسه حدا بنفسه كما لله و رسوله حد ﴿فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ حالكونه ﴿خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ﴾ البعيد البعيد هو ﴿الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾.

٦٤- ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنْزَلَ عَلَيْهِمْ﴾ بشأنهم الشائن ﴿سُورَةٌ﴾ مجموعة من الآيات كثلثى هذه السورة، أو مجموعات من سور أخرى، أو سورة مستقلة كالمنافقين ﴿تَنْبِئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ فتفضحهم عند أنفسهم و عند المؤمنين و غيرهم، فلذلك يستهزئون بنزول السور ﴿قُلْ اسْتَهِزُّوا﴾ أمرا مهذبا ﴿إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ﴾ عن قلوبكم ﴿مَا تَحْذَرُونَ﴾ من فضحكم بما ينبئكم.

٦٥- ﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ﴾ عما يحذرون بعد ما فضحوا ﴿لَيَقُولَنَّ إِنَّمَا﴾ ليس إلا ﴿كُنَّا نَخُوضُ﴾ في بعض الأمور دون قصد لسوء ﴿وَنَلْعَبُ﴾ بما كنا نفعل ﴿قُلْ أَلَا بِاللَّهِ وَ آيَاتِهِ﴾ النازلة عليكم حيث تنبئكم ﴿وَرَسُولِهِ﴾ حيث أرسل بها عليكم ﴿كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ و هو تجهيل لله و رسالته، أن تعتبر أحكامه مهزأة و ملعبة.

٦٦- ﴿لَا تَعْتَذِرُوا﴾ اليوم بما يعذر، إذ ﴿قَدْ كَفَرْتُمْ﴾ واقعيا ﴿بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ ظاهريا ﴿إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ﴾ أن تابوا عما فعلوا ﴿نُعَذِّبُ طَائِفَةً﴾ منكم ﴿بِأَنَّهُمْ كَانُوا﴾ على طول الخط ﴿مُجْرِمِينَ﴾ دون توبة و أوبة.

٦٧- ﴿الْمُنَافِقُونَ وَ الْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ نفاقا عارما، حيث ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾ خلاف ما "المؤمنون و المؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر" (٩: ٧١) ﴿و يَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ قواتهم ظاهرية و باطنية، متصلة و منفصلة، نفسا و نفيسا و ما أشبه من قواتهم و إمكانياتهم، يقبضونها عن كل خير لقبيل الإيمان و "إِنْ يَتَقَفَوْكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَ يَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ .. وَ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ" (٦٠: ٢) ﴿نَسُوا اللَّهَ﴾ فيما يعتقدون أو يعملون ﴿فَنَسِيَهُمْ﴾ عاملهم معاملة المنسى عن رحمته: "فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا" (٧: ٥١) "قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَتْهَا وَ كَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى" (٢٠: ١٢٦) "وَ لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ" (٥٩: ١٩) ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ و أفسق من الكفار حيث "إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ" (٤: ١٤٥).

٦٨- ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَ الْمُنَافِقَاتِ﴾ ثم ﴿وَوَ﴾ سائر ﴿الْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ حالكونهم ﴿خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ﴾ في دار القرار إذ لا يستحقون إلا النار كما كان النفاق حسبهم في دار الفرار ﴿وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ عن كل رحماته ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ ما قاموا في حياة، ثم يزولون و تزول معهم النار في دار القرار، حسب كفرهم المحدود في دار الفرار.

٦٩- هؤلاء المنافقون هم ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ منافقين و كافرين ﴿كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً﴾ في أسلحة و أبدان ﴿وَ أَكْثَرَ أَمْوَالاً وَ أَوْلَاداً فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَائِقِهِمْ﴾ قوات و أموالا و أولادا ﴿فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَائِقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَائِقِهِمْ﴾ و هو النصيب المكتسب ﴿وَ خُضْتُمْ كَ﴾ الخوض ﴿الَّذِي خَاضُوا﴾ فيه، خوضا في الحق لتزييفه ﴿أُولَئِكَ﴾ جميعا ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

٧٠- ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ﴾ خبر ذو فائدة عظيمة من ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ ك ﴿قَوْمِ نُوحٍ﴾ غرقا ﴿وَعَادٍ﴾ و هم قوم هود حيث "فَأَهْلَكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ" ﴿وَتَمُودَ﴾ و هم قوم صالح حيث "أَخَذَتْهُمْ الرَّجْفَةُ" ﴿وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ﴾ حيث "فَعَلَبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ" ﴿وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ﴾ إذ أهلكوا "بِعَذَابٍ يَوْمِ الظُّلَّةِ" و بصورة عامة ﴿وَالْمُؤْتَفِكَاتِ﴾ و هى الطوائف المنقلبات بقرائها حيث جعلت أعاليتها أسافلها كقوم لوط ﴿أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْآيَاتِ﴾ البينات فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ ﴿أَبَدًا﴾ ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ حيث الظلم بالحق و أهليه راجع إلى نفس الظالم ثم المظلوم ينتقم له من الظالم.

٧١- تلك هى الضَّعة الكافرة ثم الضَّعة المؤمنة: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ يلى بعضهم أمر بعض إكمالا بعد نقص، ف ﴿يَأْمُرُونَ﴾ بعضهم الأولياء المولى عليهم ﴿بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ﴾ كذلك ﴿عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيَطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ فى كل ذلك، ف ﴿أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾ رحمة تامة بعد زحمة هنا تامة ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

٧٢- ﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾ هؤلاء ﴿الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ ماء و لبنا و عسلا مصفى، حالكونهم ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ دون خروج أو ختام "عطاءً غير مجذوذ" ﴿وَمَسَاكِينَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ﴾ أبدية ﴿وَالأهم منهما﴾ ﴿رِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ﴾ فإنه ﴿أَكْبَرُ﴾ منهما و من كل نعمة ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

هنا من "بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ" ندرس الموالاة العامة بين المؤمنين ككل، أنها ليست إلا لجبر نقص قاصر أو مقصر، و من الثانى موارد الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر، و كذلك كافة القصورات و التقصيرات الممكن إزالتها، أو تخفيفها، علميا، عقديا، عمليا، سياسيا، اقتصاديا و ما أشبه، لإختلاف القابليات و الفاعليات، فكما أن على كل مؤمن صناعة نفسه فى كافة النواميس الخمسة إيمانيا، كذلك عليه أن يصنع الآخرين، قاصرين و مقصرين، فلا تعنى الولاية الإيمانية سلطة جاهلية ضاغطة لبعض على بعض بحساب القدرة عليه، فإنها ولاية فاسقة أو كافرة، بل هى أن يلى كل من عنده مكنة، الناقص عنها، كما عليه أن يلى الكامل فيها، تواليا شاملا كاملا، دون امتياز لذكر على أنثى و لا أنثى على ذكر، حيث الأصل هى الولاية الإيمانية، على ضوء شرعة الله، فالإسلام هو شريعة الولاية النصرة المعاونة، بجدارة إيمانية، دون ضغط و استبداد خاو عن المصلحة المصلحة.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ١٩٩

٧٣- ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ﴾ الرسميين ﴿وَالْمُنَافِقِينَ﴾ المتظاهرين بالإسلام و هم أكفر من الكفار، مهما اختلف الجهادان قضية ظاهر الإيمان فى المنافقين دون الكفار، فكلّ يجاهد قدر دفع ضره و شره ﴿وَأَغْلَطْ عَلَيْهِمْ﴾ فى جهادهم دون تهاون صدا عن شرهم، بل الغلظة على المنافقين أكثر لأنهم أخطر ﴿وَمَا وَاهُمْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾.

٧٤- ﴿يُحْلِفُونَ بِاللَّهِ﴾ أنهم ﴿مَا قَالُوا﴾ كلمة الكفر ﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا﴾ ظاهريا إلى باطنية ﴿بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ ظاهريا ﴿وَهُمُوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾ إياه من اغتيال النبى صلى الله عليه و آله و قد سماهم الله له (ص) و عرفهم له ﴿وَمَا نَقَمُوا﴾ منه (ص) و الذين معه انتقاما ﴿إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ من غنائم و ما أشبه، أ فهذه سنة إسلامية و هم ينقمون منها ﴿فَإِنْ يَتُوبُوا﴾ عما فعلوا ﴿يَكْ خَيْرًا لَهُمْ﴾ فقط لا لنا ﴿وَأِنْ يَتَوَلَّوْا﴾ دون توبة ﴿يَعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا﴾

فضحا إياهم أمام المؤمنين ﴿وَالْآخِرَةَ﴾ عذاباً أليماً ﴿وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ هنا و هناك ﴿مِنْ وَلِيٍّ﴾ يلي أمورهم ﴿وَلَا نَصِيرٌ﴾ ينصرهم.

٧٥ / ٩

٧٥- ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ﴾ بعضاً، و هو الفضل المادى سعة عيش و غنيمة ﴿لَنَصَّدَّقَنَّ﴾ دينه ﴿وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ و هم كاذبون.

٧٦ / ٩

٧٦- ﴿فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ كما طلبوا ﴿بَخِلُوا بِهِ﴾ نقضا لما عاهدوا، و لم ينفقوا منه فى سبيل الله ثم و عكس ما عاهدوا ﴿وَتَوَلَّوْا﴾ عنه ﴿وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ عن دينه.

٧٧ / ٩

٧٧- و لذلك النفاق العارم ﴿فَاعْقَبَهُمْ نِفَاقًا﴾ مستمرا جزاء وفاقا ﴿فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْتَهُ﴾ و أوله يوم موتهم فإنه يوم كشف الغطاء، ثم لا يفيدهم وفاق فقد فات يوم خلاص و لات حين مناص، و ذلك ﴿بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ﴾ من تصديق و إصلاح " لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ " ﴿وَبِمَا كَانُوا﴾ على طول الخط ﴿يَكْذِبُونَ﴾.

٧٨ / ٩

٧٨- ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾ كما يعلم ظاهريهم على سواء، بل و يعلم الأخرى من سرهم: "وَإِنْ تَجَهَّرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى" (٧: ٢٠) ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾.

٧٩ / ٩

٧٩- و هم ﴿الَّذِينَ يَلْمُزُونَ﴾ تعيبا ﴿الْمُطَّوِّعِينَ﴾ و هم المطوعون لله ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ﴾ أن ينفقوا زيادة على واجبهم و هم أولاء الإنكاد يبخلون عن واجبهم خلاف عهدهم ﴿وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ "وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ" (٩: ٥٩) ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾ فى لمزهم ﴿سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾ فى الدنيا و الآخرة أن يريهم رحمة ثم يعذبهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ على أية حال.

هنا "سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ" ليست دعاء من الله عليهم أن يسخر هو منهم، فهل يطلب فى دعاءه من إله آخر أو من نفسه أو من عباده، بل هو إخبار أنه سخر منهم كما سخروا "جَزَاءً وَفَاقًا" و كما فيما أشبهه، كـ "تَبَّتْ يُدَا أَبَى لَهَبٍ وَ تَبَّتْ".

و صحيح أن الله يسخر من المنافقين و يعذبهم هنا و هناك، و لكننا لا بد علينا من الرقابة التامة عليهم كيلا نخسر حياتنا بإيماننا على حين غفلة.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٢٠٠

٨٠ / ٩

٨٠- ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ أمرا ناهيا ﴿أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ نهيا أمرا، فهما على سواء، إلا أن استغفارك لهم وزر و عودا بالله إذ لن تستغفر لهم، فعلى أية حال ﴿إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ رمزا للكثرة الكثيرة ﴿فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ فـ "لن" هنا تحرر "سَبْعِينَ" عن حده إلى غير حده، إحالة لغفرهم ﴿ذَلِكَ﴾ الصد عن غفرهم ﴿بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ معاندين دون توبة ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ خروجاً عن طوع العبودية عامدين.

٨١ / ٩

٨١- ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ﴾ الذين خَلَفُوا عن الجهاد ﴿بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرَهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا﴾ لِإِخْوَانِهِمُ الْقَاعِدِينَ الْمُخَلَّفِينَ الْفَارِحِينَ ﴿لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ﴾ إِذْ كَانَ الْاسْتِنْفَارُ الْعَامُ فِي حَرْبِ الرُّومِ فِي الْحَرِّ ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا﴾ مِنْ هَذَا الْحَرِّ ﴿لَوْ كُنَّا نَفْقَهُونَ﴾ وَهُوَ مُسْتَحِيلٌ لَهُمْ بِاخْتِيَارِهِمْ، وَالامْتِنَاعُ بِالْاخْتِيَارِ لَا يَنَافِي الْإِخْتِيَارَ.

٨٢ / ٩

٨٢- أَمَّا هَؤُلَاءِ الْفَارِحُونَ الْمَارِحُونَ ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا﴾ لِقَلِيلٍ مَا يَضْحَكُهُمْ مِنْ مَتَاعِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَإِنَّهُ بِجَنبِ الْآخِرَةِ قَلِيلٌ ﴿وَلَا يُبْكُوا كَثِيرًا﴾ هُنَا عَلَى مَا قَدِمْتَ أَيْدِيَهُمْ "وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَسَ بِظُلَامٍ لِلْعَبِيدِ" وَهَنَّاكَ إِذْ لَا ضَحْكَ فِيهِ إِلَّا الْبُكَاءُ ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ فَذَلِكَ لَيْسَ إِلَّا عَلَيْهِمْ دُونَ الْمُؤْمِنِينَ، وَلِئِنْ بَكَوْا هُنَا فَإِنَّمَا هُوَ عَلَى مَا يَظْلِمُ الْحَقُّ وَ أَهْلُوهُ.

٨٣ / ٩

٨٣- ﴿فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ﴾ مِنَ الْحَرْبِ ﴿إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذِنُواكَ لِلْخُرُوجِ﴾ إِلَى الْحَرْبِ بِمَا رَأَوْا مِنْ هَزِيمَةِ الْكُفَّارِ وَ غَنِيمَةِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا﴾ فَأَنْتُمْ كَاذِبُونَ فِي ذَلِكَ الْإِذْنِ ﴿وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا﴾ لـ ﴿إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّكُمْ قَاعِدُونَ عَنْ كُلِّ قِتَالٍ، إِذَا ﴿فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾ الْمُقَصِّرِينَ الَّذِينَ يَخَالِفُونَ الْإِسْلَامَ "رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَ طُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ.." (٩: ٨٧) وَكَذَلِكَ الْخَالِفِينَ الْقَاصِرِينَ وَ هُمُ الْقَصْرُ نِسَاءً وَ رَجَالًا وَ أَطْفَالًا.

٨٤ / ٩

٨٤- ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا﴾ لَا صَلَاةَ الْأَمْوَاتِ وَ لَا صَلَاةَ الْاسْتِغْفَارِ، فَهَذِهِ تَصْرِيحَةٌ عَلَى حُرْمَةِ الصَّلَاةِ عَلَى مَيِّتِ الْمُنَافِقِينَ ﴿وَلَا تُقِمَّ عَلَى قَبْرِهِ﴾ مُصَلِّيًا وَ لَا مُسْتَغْفِرًا، لـ ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ مَاتُوا وَ هُمْ فَاسِقُونَ﴾ عَنْ الْإِيمَانِ، فَكَيْفَ يَصَلَّى عَلَيْهِمْ، وَ مَا صَلَاةُ الْمَيِّتِ إِلَّا الْاسْتِغْفَارُ لَهُ، اللَّهُمَّ إِذَا لَمْ يَظْهَرْ الْمُنَافِقُ كُفْرًا، فَكَمَا يَرَوِي عَنْهُ (ص): نَحْنُ نَحْكُمُ بِالظَّاهِرِ وَ اللَّهُ تَعَالَى يَتَوَلَّى السِّرَّ وَ لَا تَدْعُوا أَحَدًا مِنْ أُمَّتِي بِمَا لَا صَلَاةَ.

٨٥ / ٩

٨٥- ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَ أَوْلَادُهُمْ﴾ الْكَثِيرَةُ الْوَفِيرَةُ، فَ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا﴾ حَيْثُ يَعْصُونَ اللَّهَ بِهَا أَكْثَرَ مِمَّنْ لَيْسَتْ لَهُمْ ﴿وَلَا تَزْهَقْ أَنْفُسُهُمْ﴾ انْزِعَاجًا عِنْدَ النِّزَعِ ﴿وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ بِاللَّهِ أَكْثَرَ مِمَّنْ سَوَاهُمْ "جَزَاءً وَفَاقًا".

٨٦ / ٩

٨٦- ﴿وَإِذَا أَنْزَلْتُ سُورَةً﴾ مَجْمُوعَةُ آيَاتٍ بِصَدَدِ إِيْمَانِهِمْ ﴿أَنْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ﴾ عَلَى ضَوْءِهِ ﴿جَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ﴾ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴿اسْتَأْذِنَكَ أُولُو الطُّوْلِ﴾ قُوَّةً فِي بَدَنِ وَ مَالٍ وَ أَوْلَادٍ ﴿مِنْهُمْ وَ قَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ الْمُخَالِفِينَ، أَوِ النِّسَاءَ وَ الرِّجَالَ الْمَعْذُورِينَ الْخَالِفِينَ.

هُنَا وَ هَنَّاكَ نَتَأَكَّدُ أَنَّ الصَّلَاةَ عَلَى مَيِّتِ الْمُنَافِقِينَ مُحَرَّمٌ، كَمَا هِيَ عَلَى غَيْرِهِمْ وَاجِبٌ مَا تَظَاهَرُوا بِالْإِسْلَامِ وَ لَا يَعْرِفُ لَهُمْ نِفَاقٌ كَافِرٌ، كَمَا أَنَّ "أَبَدًا" هُنَا مِمَّا تَوْيِدُ أَنَّهُ لَا يَرَادُ مِنْهَا لِغَيْرِ اللَّهِ الْإِلَهَائِيَّةِ، فَلَا بُدَّ لِلْبَعْضِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَا تَعْنِي إِلَّا مَا دَامَتْ النَّارُ، إِذَا فَلَا نَارَ وَ لَا أَهْلَ النَّارِ، قَضِيَّةُ عَدْلِ اللَّهِ.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٢٠١

٨٧ / ٩

٨٧- ﴿رَضُوا﴾ هَؤُلَاءِ مِنْ أَوْلَى الطُّوْلِ وَ السَّعَةِ ﴿بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾ قَاصِرِينَ وَ مُقَصِّرِينَ وَ الْأَصْلُ فِيهِنَّ النِّسَاءُ فَإِنَّهُنَّ كُلُّهُنَّ خَوَالِفُ فِي الْحُرُوبِ، لَا تَجِبُ عَلَيْهِنَّ اللَّهُمَّ إِلَّا تَجْرِيجٌ وَ سِوَاهُ مِنْ مُسَاعَدَاتٍ، ﴿وَوُ طُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ "فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ" ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ الْحَقُّ بِمَا قَصَرُوا فِي جَنْبِهِ.

٨٨- ﴿لَكِنَّ الرُّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ بالله و كتابه ﴿جَاهِدُوا﴾ فى الله ﴿بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ﴾ لا سواهم ﴿لَهُمُ الْخَيْرَاتُ﴾ الربانية كلها ﴿وَأُولَئِكَ﴾ الأكارم ﴿هُمْ الْمُفْلِحُونَ﴾ طرق النجاة.

٨٩- ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ﴾ لما بعد موتهم ﴿جَنَّتِ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ ماء و لبنا و عسلا مصفى حالكونهم ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ "عطاءً غير مجدود" ﴿ذَلِكَ﴾ العظيم من خير و إفلاح هو ﴿الْفَوْزُ﴾ النيل إلى خيرات ﴿الْعَظِيمُ﴾ حيث لا يساوى و لا يسامى، و هنا نعرف ألا فلاح و لا فوز عظيما لمن آمن بالله، دون جهاد بنفس أو نفيس عند فرضه، فإنه من أصلح الأعمال الإيمانية فى حقول الدفاع عن بيضة الإسلام و نواميسه.

٩٠- ﴿وَجَاءَ الْمُعَذَّرُونَ﴾ لأنفسهم و لآخرين دون عذر ﴿مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ و هم البعيدون عن المعرفة الإيمانية ﴿لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَ قَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَ رَسُولَهُ﴾ دون استئذان ﴿سَيَصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ﴾ من منافقين عامدين ﴿عَذَابُ أَلِيمٌ﴾ هنا و فى الآخرة، و الكفر هنا يعم العقيدى إلى العملى لمكان التعذير الخاوى عن سبب شرعى، فإنه نفاق عارم بين الإيمان و العمل الصالح الذى يستلزمه، مهما كان خاصا دون تعميم، فالنفاق دركات، كما الإيمان درجات.

٩١- ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ﴾ بدنيا أو نفسيا أو ماليا ما هم معذورون شرعيا ككل ﴿وَ لَا عَلَى الْمَرْضَى﴾ حيث لا يستطيعون الحرب ﴿وَ لَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ﴾ فى الحرب لأنفسهم و لا لآخرين متطوعين ﴿حَرْجٌ﴾ فى قعودهم، و لكن ﴿إِذَا نَصَحُوا﴾ قدر إمكانيتهم ﴿لِلَّهِ وَ رَسُولِهِ﴾ دعوة لجهاد فى سبيله، و بصورة عامة ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَ اللَّهُ غَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم، و منهم المؤمنون على أموال، فما لم يقصروا لا يضمنون عند ضياع الأمانات، فالمحسنون- كضابطة إسلامية- ليس عليهم سبيل لملاحقة، فى نفس أو حال أو مال و على أية حال، فالمحسن فى أمانة، مجانية أم سواها، أو على نفس و ما أشبه، لا سبيل عليه إذا تلفت أو نقصت دون تقصير و لا إهمال و لا إخلال، و لكن الذى يؤتمن على شىء و ليس من أهله معرفة و استطاعة، نفس قبوله للأمانة إساءة أم- لأقل تقدير- ليس إحسانا، فهو- إذا- مضمّن ما ضمنه، و لعلّ من سبيل استغراقا، تعم ما إذا قبلوا ضمنا على إحسانهم، فإنه لا يقبل منهم.

٩٢- ﴿وَ لَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا اتَّوَكَّلْتُمْ لَهُمْ﴾ إذ لا يجدون ما يحملهم ﴿قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ فإن حقل الجهاد بحاجة إلى حمل السلاح، فإذا ﴿تَوَلَّوْا﴾ عن الحرب ﴿وَ﴾ الحال أن ﴿أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا﴾ عندهم و لا عندك ﴿مَا يَنْفِقُونَ﴾ فى الجهاد، فهؤلاء كلهم ليس عليهم حرج ألا يخرجوا للجهاد "إذا نصحوا لله و رسوله" و هم محسنون، قدر طاقتهم و إمكانيتهم.

٩٣- ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَ﴾ الحال أن ﴿هُمْ أَغْنَاءُ﴾ بدنيا أو ماليا ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ بما زاغوا ﴿فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الخير من الشر تقصيرا.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٢٠٢

٩٤- ﴿يَعْتَذِرُونَ﴾ هؤلاء الأغنياء الأغنياء ﴿إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ أن لم يخرجوا معكم ﴿قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ﴾ فيما تعتذرون ائتماننا لعذرهم أنكم صادقون فيه، إذ ﴿قَدْ بَيَّنَّا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ﴾ المتخلفة المناققة ﴿وَسِيرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾ منذ موتكم وأنتم ترون، مهما يرى الله هنا ولكنكم أنتم لا تصدقون، وخلفية تلك الرؤية بعد الموت أنه يريكم إياه فيجازيكم به "جزاءً وفاقاً" إذ ﴿ثُمَّ﴾ بعد تلك الرؤية ﴿تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ على طول الخط وعلى سواء. فعلم الغيب لله من نفاقكم العارم، هنا مستور عنكم بكفرهم، فلا ترون - إذا - أن الله يرى عملكم - علما - ورسوله بما علمه الله، ثم رؤية ثانية بعد موتكم هي رؤية تلكم الأعمال حيث أبقاها الله إذ استسخها ليوم الجزاء، فترونها - إذا - بما يريكم الله إياها: "لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ" (٥٠٩: ٢٢) وروية ثالثة هي رؤية الجزاء عليها وهي هي نفسها بملكوتهما ﴿فَيَنْبِئُكُمْ﴾ علما وجزاء ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

٩٥ / ٩

٩٥- ﴿سَيُحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ من الحرب ﴿لَتُعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ تساءلا و تنديدا ﴿فَاعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ لـ ﴿إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾ باطنيا وعمليا، ثم ﴿وَمَا وَاهُمْ جَهَنَّمَ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

٩٦ / ٩

٩٦- ﴿يُحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ بالله و هم به كافرون ﴿لَتَرْضَوْا عَنْهُمْ﴾ في قعودهم ﴿فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ﴾ دغلا منهم و دخلا ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ الخارجين عن طور العبودية الفطرية والعقلية "يُحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ" (٩: ٦٢).

٩٧ / ٩

٩٧- ﴿الْأَعْرَابُ﴾ الآتية في عشر آيات و هم البعاد بطبيعة المناخ الصحراوي و البعد عن الثقافة الإسلامية، عن صالح المعرفة و الإيمان إلا نزر منهم قليل، فليسوا هم الأمة العربية ككل، بل هم هؤلاء البعيدون عن صالح الإيمان مهما كانوا من العرب أو العجم، أم و الذين يسكنون مدنا بعيدة عن الإيمان، فهم ككل دونما اختصاص بلغة أو قومية أو عنصرية أو طائفية، هم ﴿أَشَدُّ كُفْرًا وَ نِفَاقًا وَ أَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ﴾ ثالث منحوس قضية ذلك البعد ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بهم و سواهم ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما يفعل بهم و بمن سواهم.

٩٨ / ٩

٩٨- ﴿وَمِنْ﴾ هؤلاء ﴿الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يَنْفِقُ مَغْرَمًا﴾ تالفا و خسارا ﴿وَيَتَرَبَّصُّ بِكُمْ الدَّوَائِرَ﴾ السيئة أن تدور بكم فتدوركم و تحوركم، و لكن ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أنفسهم ﴿دَائِرَةُ السَّوءِ﴾ إذ يرجع إنفاقهم النفاق عليهم وزرا دون أزر ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ مقالهم ﴿عَلِيمٌ﴾ بحالهم، و بكل مقال و حال، في كل حل و ترحال.

٩٩ / ٩

٩٩- ﴿وَمِنْ الْأَعْرَابِ﴾ خلافا لما تقتضيه الطبيعة الصحراوية و البعد عن الثقافة الإسلامية ﴿مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ كأصل العقيدة، ثم ﴿وَيَتَّخِذُ مَا يَنْفِقُ قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أصالة ﴿وَصَلَوَاتٍ﴾ تطلبات الرحمة من ﴿الرَّسُولِ﴾ رسالة و كما أمر "وَصَلِّ عَلَيْهِمْ" ﴿أَلَا إِنَّهَا﴾ هذه القربات ﴿قُرْبَةٌ لَهُمْ﴾ لصالحهم، و منه أن ﴿سَيَدْخُلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ﴾ بعد زحمة في هذه الدنيا ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ دفعا و رفعا ﴿رَحِيمٌ﴾ بمن يستحق الرحمة.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٢٠٣

١٠٠ / ٩

١٠٠- ﴿وَالسَّابِقُونَ﴾ إيماناً و عملاً صالحاً ﴿الْأُولُونَ﴾ فيهما، و المهم فيهما سابق الدرجة دون مجرد سابق الزمان ﴿مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ﴾ فقد يسبق أنصاري على مهاجر أو مهاجر على أنصاري، أو يتمثالان رغم توالى الزمان ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾ فهنا متبوع و تابع مهما سبق الزمان أو تأخر، فقد يكون السابق زماناً تابعا و اللاحق متبوعاً، أو عكسه، أو هما مثلاً، حيث المدار على درجة الإيمان و الجهاد لأجله. فأولئك الأكارم ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ وَ أَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ حالكونهم ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ دون نهاية عطاءً غير مجذوذ ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ﴾ النيل ﴿الْعَظِيمُ﴾ بمقاصد عالية غالية، و هنا خلطة و سقطلة من الخليفة عمر، إذ تلى على المنير ﴿الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ﴾ بحذف الواو، لكى تعنى أن الأنصار هم تابعوا المهاجرين، فقام قائم قائلاً: أين الواو يا خليفة رسول الله (ص) فأضافها قائلاً ما قاله، يعنى أن أعرابيا هو أفقه من عمر، و لعله يتبع فى هذه النصفة مهما كانت مصلحية.

١٠١ / ٩

١٠١- ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمُ﴾ يا مؤمنى المدينة ﴿مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ﴾ كما هو طبيعة حالهم ﴿و﴾ كذلك ﴿مِنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ﴾ حيث يشبهونهم من هم ﴿مَرَدُّوا عَلَى النَّفَاقِ﴾ تجرداً متأصلاً فى أى نفاق، مستأصلاً أى وفاق ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ﴾ معرفة بهم ﴿نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ إذ نعرفهم و قد نعرفهم لك لتعرفهم ﴿سُعِدْبَهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾ مرة لأصل نفاقهم و أخرى أن مردوا على النفاق، أو لكفرهم و نفاقهم فيه، أم هما معاً، مرتين ثم ﴿يَرُدُّونَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ و هذه ثالثة فعليهم ثالث العذاب.

١٠٢ / ٩

١٠٢- ﴿وَآخَرُونَ﴾ من المنافقين من الأعراب و من أهل المدينة ﴿اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ﴾ و قد ﴿خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَ آخَرَ سَيِّئًا﴾ فهنا رجاء لهم إذ ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ بعد توبتهم باعترافهم ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ شرط أن يتوبوا إلى الله نصوحاً، و كما "الْمُسْتَضْعِفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَ النِّسَاءِ وَ الْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَ لَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا. فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَغْفِرَ عَنْهُمْ وَ كَانَ اللَّهُ غَفُورًا غَفُورًا" (٩٩: ٤).

١٠٣ / ٩

١٠٣- ﴿خُذْ مِنْ﴾ بعض ﴿أَمْوَالِهِمْ﴾ كلها ﴿صَدَقَةً﴾ زكاة، مما يدل على واجب الزكاة فى كافة الأموال، و لا دور لـ "من" أمام "أَمْوَالِهِمْ" إلا أن المأخوذ ليس كل أموالهم بل بعض منها، و ليس "من بعض أموالهم" حتى تختص الزكاة ببعض الأموال كالتسعة الشهيرة ﴿تُطَهَّرُهُمْ وَ تَزَكِّيَهُمْ﴾ نفسياً و مالياً، فردياً و جماعياً ﴿بِهَا﴾ ثم ﴿وَ صَلَّ عَلَيْهِمْ﴾ استرحاماً لهم من الله ﴿إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ عن الهزاهز و منها واجب الزكاة، ثم سكن للمعدمين عن الهجمة على أصحاب الأموال، و على الجملة سكن لهم عن كل حركة غير صالحة ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

١٠٤ / ٩

١٠٤- ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ﴾ لا سواه ﴿يَقْبَلُ التَّوْبَةَ﴾ إليه فيتوب إذا عليه ﴿عَنْ عِبَادِهِ﴾ التائبين ﴿وَ يَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ﴾ للمحاويج من عباده، فلا تناقل و رعونة- إذا- فى دفع الصدقات ﴿وَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ﴾ حيث يتوب على من تاب ﴿الرَّحِيمُ﴾ حيث يرحم من تاب.

١٠٥ / ٩

١٠٥- ﴿وَ قُلْ أَعْمَلُوا﴾ صالحاً أو طالحاً حيث "هَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ" ﴿فَسِيرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾ بعد الموت مهما يراه قبله و لكنها مغفول عنكم، ثم تلك هى رؤية الحساب و الجزاء إلى رؤية العلم لله، ثم ﴿وَ رَسُولُهُ﴾ علماً بما يعلمه الله ﴿و﴾ من ثم

﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾ حيث يرون الأعمال على رءوس الأشهاد ﴿و﴾ متى يرى ...؟ إذ ﴿سَتَرْدُونَ﴾ بعد الموت من حياة التكليف ﴿إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ مطلقا هنا وهناك ﴿فَيَنْبِئُكُمْ﴾ إعلاما فجزاء فحسابا ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

١٠٦ / ٩

١٠٦- ﴿وَأَخْرُونَ﴾ ممن هم عوان بين إيمان و كفر، و هم أبعد ممن هم ﴿مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ﴾ كما يشاء حكمة ﴿إِمَّا يَعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بهم ﴿حَكِيمٌ﴾ بحقهم، فما لم يكن ترك العذاب ظلما بحق الحق و بحق أهليه فقد يتوب الله.

١٠٧ / ٩

١٠٧- ﴿وَالَّذِينَ﴾ نافقوا و ﴿اتَّخَذُوا مَسْجِدًا﴾ أمام مسجد النبي ﴿ضِرَارًا﴾ هو مسجد ضرار الذى لم يبق له قرار و لحد الآن لا نجد لمحلّه عمارا و قد اتخذه ضرارا بين قبيلى الإيمان و الكفر، و كما قد تتخذ متاريس لكل فرقة إسلامية باسم الإسلام فيتنازعون بها، سواء أ كانت مساجد أو حسينيات أو مدارس و ما أشبه، دون حاجة إليها، حيث الكفاية حاصلة بما أسس من ذى قبل، أو يراد به الضرار و المناوئة، حيث الوحدة الإيمانية هى الأصلية على كل حال، فنقضها "ضرارا" ﴿وَكُفْرًا﴾ بالله فى ذلك الاتخاذ المناق الوخاز ﴿وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ هنا وهناك ﴿وَارْصَادًا﴾ متراسا ﴿لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ مثل أبى عامر الراهب و رهطه ﴿وَلِيَحْلِفْنَ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا﴾ النية و العملية ﴿الْحُسْنَى﴾ زيادة لمسجد على مسجد فخيرا على خير ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ حيث أرادوا السوء.

١٠٨ / ٩

١٠٨- ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ مصليا ما دمت حيا، إذ ﴿لِمَسْجِدٍ﴾ أيا كان و أيا ن ﴿أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى﴾ لا الطغوى، و منه مسجد قبا، أول مسجد بنى فى الإسلام، أو مسجد النبي (ص) أم هما و أمثالهما ﴿مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ هو ﴿أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾ مصليا إذ ﴿فِيهِ رِجَالٌ يَحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يَحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ و لكن مسجد ضرار فيه رجال منافقون يحبون أن يتدنسوا و يدنسوا.

١٠٩ / ٩

١٠٩- ﴿أَفَمَنْ أُسِّسَ بُنْيَانُهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أُسِّسَ بُنْيَانُهُ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ﴾ قائما على شفا: شفير- جرف: منهار ﴿فَإَنْهَارَ بِهِ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ﴾ و هم بناءة مسجد ضرار، أهم خير ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ فمسجد التقوى أحق أن تقوم فيه بانيا و مكانة، دون مسجد الطغوى.

١١٠ / ٩

١١٠- ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا﴾ ضرارا ﴿رِبِيَّةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ مربية لمن سواهم، فلا يزال - إذا - منهما كما هدمه الرسول (ص) ﴿إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾ كما تقطع مسجد ضرار لحد الآن، فلا يوجد فى محله بانيان إلا و قد يتهدم، و أنا رأيته بعينى أمام "قبا" مقهى خربة، حال أن مكانه أفضل مكان! ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بحالهم ﴿حَكِيمٌ﴾ بما يفعل بهم.

١١١ / ٩

١١١- ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ جهادا فى سبيله بشرعته ﴿أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوَالَهُمْ﴾ التى هباهم إياها، و يا لذلك الاشتراء من حنان و رحمة أن يشتري الله ما هو أعطاهم: ﴿بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ حال أن جهادهم بهما هو لصالحهم دون حاجة لله فيه، حال أنهم فى ذلك الاشتراء ﴿يَقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ بهما ﴿فَيَقْتُلُونَ﴾ كاصل ﴿وَيُقْتَلُونَ﴾ فى طريقهم إلى قتل الكافرين، و ذلك ﴿وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ بما كتب على نفسه ﴿فِي التَّوْرَةِ وَ الْإِنْجِيلِ وَ الْقُرْآنِ﴾ كأصول الكتب السماوية ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾ فى ذلك الاشتراء تحقيقا لذلك الجهاد ﴿فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ﴾ أنفسكم و أموالكم ﴿وَالَّذِي هُوَ الْفَوْزُ﴾

النيل ﴿الْعَظِيمُ﴾ دون سائر التجارة مهما كانت صالحة، ف" يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ. تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ" (١١: ٦١) "لَكِنَّ الرَّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ" (٩: ٨٨).

و أفضل الجهاد هو الجهاد في الله لأنه الله: " وَ جَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ" (٢٢: ٧٨) ثم في سبيل الله بالأنفس و الأموال، و الأموال و الأنفس، حسب مختلف التعبير في آيات الجهاد.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٢٠٥

١١٢ / ٩

١١٢- و هم ﴿التَّائِبُونَ﴾ إلى الله ﴿الْعَابِدُونَ﴾ الله ﴿الْحَامِدُونَ﴾ إياه كما حمد نفسه، ﴿السَّائِحُونَ﴾ نفسيا كالصيام و جهاديا و سائر السباحة في سبيل الله، حياة حركية مباركة ﴿الرَّاكِعُونَ﴾ صلاة ﴿السَّاجِدُونَ﴾ فيها و في غيرها لله ﴿الَّامِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ النَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ حسب شروطهما، و على الجملة ﴿وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ﴾ إيجابية و سلبية، فردية و جماعية ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ في هذه الحقول الإيمانية.

١١٣ / ٩

١١٣- ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ﴾ طول الزمان بمثلته، و كذلك النبيون من قبل ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ معه بالله و رسالات الله ﴿أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلَىٰ قُرْبَىٰ﴾ و هم أقرب القرباء إليهم فضلا عما سواهم ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾.

١١٤ / ٩

١١٤- إذا فما هو دور استغفار إبراهيم لأبيه! ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ﴾ و هو أزر، عمه أو جده لأمه دون والده، و كما دعى لهما في آخر أمره و عمره " رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ " و قد تبين أنه عدو لله، فلم يكن أزر والده و إلا لخالف العصمة الربوبية و الرسولية، أجل ﴿مَا كَانَ ... إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا﴾ أبوه ﴿إِيَّاهُ﴾ إبراهيم، إذ قال " لَأَرْجُمَنَّكَ وَ أَهْجُرْنِي مَلِيًّا" (٤٦: ١٩) إذ حسب من "مَلِيًّا" أنه في سبيله إلى الحق و إلا لم يكن دور ل "مَلِيًّا" و لذلك وعده أن يستغفر له: " سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا" (٤٧: ١٩) ثم حققه " وَ اغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ" (٨٢: ٢٦) سابقا لا " أنه من الضالين" حاليا، مما يوجه استغفاره أنه لما تبين أنه عدو لله ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ﴾ كثير الرجوع إلى الله ﴿حَلِيمٌ﴾ بعباد الله، و قد ظهر تبرؤه منه حين دعى لوالديه دون أبويه لكيلا يشمل أزر أب، فإنه بطبيعة الحال لم يكن والدًا، و إلا كان تخلفا عن " تَبَرَّأَ مِنْهُ" تكذيبا لكلام الله.

ذلك، فإبراهيم أسوة مطلقة إلا في بعض الموضوعات كاستغفاره لأبيه: " قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَ الَّذِينَ مَعَهُ .. إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ .." (٦٠: ٤) و لكن الرسول محمدا (ص) أسوة مطلقة في موضوعات كما الأحكام: " لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَ الْيَوْمَ الْآخِرَ وَ ذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا" (٣٣: ٢١) و هذه- دون تلك- بلا استثناء.

١١٥ / ٩

١١٥- ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ﴾ إذ لا يهديهم إلا باستحقاق ﴿حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ﴾ فإن ضلوا- إذا- أضلهم باستحقاق ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

١١٦ / ٩

١١٦- ﴿إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ﴾ و هما الكون كله ﴿يُحْيِي وَ يَمِيتُ﴾ من يشاء ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ يلي أموركم ﴿وَلَا نَصِيرٌ﴾ ينصركم.

١١٧- ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ﴾ إذ يتوب إلى الله على أية حال، توبة لدفع عن معاص دون رفع لها لمكان عصمته العليا، كما هي قضية تعلقه بالله، و عصمته من الله ﴿و﴾ لقد تاب على ﴿الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ في توبته و كل رسالته ﴿فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾ إذ تستتبع بعض العصيان أو التزعزع ﴿مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ﴾: المؤمنين، فلم يزعج قلوب آخرين منهم فضلا عن النبي (ص) فتوبة الله على من كاد يزيغ قلبه، فهناك توبة رفع و هنا توبة دفع ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ جميعا نصرا لهم بعد ساعة العسرة ﴿إِنَّهُمْ بِهِمْ رَوْفٌ رَحِيمٌ﴾ في كافة درجات التوبة عليهم، فالتوبة الصالحة درجات ثلاث: توبة الله على عبده، ليتوب إليه، ثم توبته إلى الله، و من ثم ليتوب الله عليه قبولاً لتوبته: "ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ" (٩: ١١٨) - "ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَ هَدَى" (٢٠: ١٢٢).

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٢٠٦

١١٨- و في مرحلة رابعة بعد توبة الله على النبي، و المؤمنين الذين لم يكذب ليزيغ قلوبهم، و الذين كاد أن تزيغ قلوبهم ﴿و عَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَقُوا﴾ إذا زاعت قلوبهم فخلقوا، و هم لم يكونوا من المنافقين، و إنما "خلقوا" بما خلفتهم أموالهم و أهلهم لقلّة الإيمان، خلفتهم عن الحقوق بالرسول في غزوة تبوك ﴿حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَ ضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ بذلك التخلف ﴿وَ ظَنُّوا﴾ ظن الخير ﴿أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنْ﴾ بأس ﴿اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾ أن وفقهم لتوبة إليه بعد إياسهم ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ ما وجد للتوبة و الرحمة سبيل.

١١٩- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ في كل شيء ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ علما و عقيدة و قولا و عملا، إذ لا يختص الصدق بالقول، بل هو إذاعة لصدق القلب و العمل ف "مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَ مَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا" (٣٣: ٢٣).

١٢٠- ﴿مَا كَانَ لِلْأَهْلِ الْمَدِينَةِ﴾ عاصمة رسولية ﴿وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ سكنة البوادي ﴿أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَ لَا أَنْ يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ﴾ النفيسة الرسولية، و ﴿ذَلِكَ﴾ النهى الصارم ﴿بِأَنَّهُمْ لَا يَصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَ لَا نَصَبٌ﴾ تعب ﴿و لَا مَخْمَصَةٌ﴾ جوع ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ لَا يَطْؤُنَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَ لَا يِنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نِيلاً﴾ نفسيا أو ماليا ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ذلك، مهما كان في التخلفين بون المدينة الإسلامية و أعرابيتها لمكان البعد عن المعارف الإسلامية، ف إنما يداق الله العباد على قدر عقولهم.

١٢١- ﴿وَلَا يَنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَ لَا كَبِيرَةً وَ لَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا﴾ في سبيل الله ﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ﴾ عمل صالح ﴿لِيَجْزِيَهمُ اللَّهُ﴾ بذلك ﴿أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ حيث العمل هو الجزاء أيا كان، ظهورا يوم الجزاء بملكوته، ف "هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ" و لكن لدى الله مزيد بفضله حيث يجزي المؤمنين "بأحسن" أو "أحسن" ما كانوا يعملون.

١٢٢- ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا﴾ كلهم نفرة ﴿كَافَّةً﴾ تكف بأس الكافرين بهم كلهم، إذ فيهم أصحاب أعداء، و منها وجوب تعلم الدين في مركز الثقافة الرسولية أو الرسالية ﴿فَلَوْ لَا﴾ نفرَ لحرب الأعداء ﴿مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ﴾ غير معذورة

﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾ المؤمنون الباقون في المدينة ﴿وَلِيُنذِرُوا﴾ هؤلاء الباقون المتفقهون ﴿قَوْمَهُمْ﴾ النافرين ﴿إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾ من الحرب ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ المحاذير، و بما في الحرب الإسلامية أيضا تفقه معرفى عملى فهؤلاء أيضا يندرون المتفقهين الباقين، إنذارا من الجانبين، لكل حده و مداه، إذا "لِيَتَفَقَّهُوا" تشمل تفقه النافرين إلى تفقه الباقين، ازدواجية المتفقهين لكل المؤمنين، و هذه ضابطة عامة لهم أن يجب تقسيم الواجبات فيما بينهم حتى يحظوا الكل منها، اللهم إلا الواجبات العينية. ذلك، و لا يستلزم "لِيُنذِرُوا" وجوب تقبل ما تفقهوا، إن لم يكن علميا، قضية "وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ.." (١٧: ٣٦) فإنها بعد عديد من الفروع الأحكامية، فكيف تختص بأصول العقائد، كما فعله البعيد عن القرآن، أيا كان، و مستند العلم إسلاميا هو كتاب الله، و سنة رسول الله صلى الله عليه و آله على هامشه.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٢٠٧

١٢٣ / ٩

١٢٣- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾ قبل من لا يلونكم، حتى لا يطمعوا في قتالكم ﴿وَلِيَجِدُوا﴾ القريبون منهم ﴿فِيكُمْ غِلْظَةً﴾ لى يهابكم معهم البعيدون، قتالا إرهابيا كما "وَلِيَجِدُوا" البعيدون "فِيكُمْ غِلْظَةً" فيها بؤس فلا يحاربوكم ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ إياه في قتال و سواه، كما "وَأَعْدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَ مِنْ رِباطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَ عَدُوَّكُمْ وَ آخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ.." (٨: ٦٠).

١٢٤ / ٩

١٢٤- ﴿وَ إِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ﴾ مصطلحة أو مجموعة آيات لمزيد الإيمان ﴿فَمِنْهُمْ﴾ المنافقين و أضرابهم ﴿مَنْ يَقُولُ أَيْكُمُ زَادَتْهُ هَذِهِ﴾ السورة ﴿إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ من ذى قبل ﴿فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ إلى إيمانهم ﴿وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ بعضهم بعضا بمزيد الإيمان.

١٢٥ / ٩

١٢٥- ﴿وَ أَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ النفاق رسميا و سواه ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾ "وَنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ لَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا" (١٧: ٨٢) ﴿وَ مَا تَوْأَمُ﴾ الحال أن ﴿هُمْ كَافِرُونَ﴾ خلفية مزيد الكفر، رغم مزيد الإيمان قضية آياته.

١٢٦ / ٩

١٢٦- ألا يرون الحق ناصحا باضجا تترى عليهم آياته ﴿أَوْ لَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾ و هى الحروب المستجدة سنويا ﴿ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ﴾ عن كفرهم النفاق ﴿وَ لَا هُمْ يَذْكُرُونَ﴾ الحق حتى يقدمهم لتوبة و أوبة إلى الله.

١٢٧ / ٩

١٢٧- ﴿وَ إِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ﴾ مجموعة آيات ﴿نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ قائلين مع بعض البعض ﴿هَلْ يَرَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ﴾ حتى نفر عن سماع القرآن ﴿ثُمَّ أَنْصَرَفُوا﴾ عنه إذ ﴿صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ عن استماع عنه "جَزَاءً وَفَاءً" ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ القرآن لأنهم أغلقوا أبواب قلوبهم بذات أنفسهم فأغلقها الله حتى إذا أرادوا فتحها لم تفتح: "فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ".

١٢٨ / ٩

١٢٨- ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ﴾ أيها المكلفون ﴿رَسُولٌ﴾ هو ﴿مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ بنى آدم مهما كان من أنفسكم مَعَشَرَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَ يَنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا .. (٧: ١٣٠) مما يدل على واقع و حق و حجة بينة فى مجانسة الرسل و المرسل إليهم، مهما كانت رسل الجن إليهم رسلا على هوامش رسل الإنس، و لكن مواجهة الرسول ليست إلا

من الإنس للأنس و من الجن للجن ﴿عَزِيزٌ﴾ ثَقِيلٌ ﴿عَلَيْهِ مَا عَنَّتُمْ﴾ تَعَبْتُمْ ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ أَنْ تَوَافِقُوا، وَ بِصُورَةٍ خَاصَّةٍ ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَوْفٌ رَحِيمٌ﴾ وَ هُمُ الَّذِينَ آمَنُوا أَمْ هُمْ فِي طَرِيقِ الْإِيمَانِ أَمْ لَا يَعَارِضُونَهُ.

١٢٩ / ٩

١٢٩- ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ دُونَكُمْ إِذْ لَا أُرِيدُكُمْ مَنَاصِرِي اللَّهِ وَ رَسُولُهُ ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ﴾ لَا سِوَاهُ ﴿تَوَكَّلْتُ وَ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ وَ هُوَ مَصْدَرُ الْأَوَامِرِ الرَّبَّانِيَّةِ.

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ التي نتلوها عليك للناس هي ﴿آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ عند الله: "وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلَى حَكِيمٍ" وهذه آياته المفصلات "كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ" (١١: ١) أو هي هو و هو هيه إن عني من "الحكيم" الآيات المفصلات أنفسها مع محكماتها، و "الر" هي من الحروف الرمزية بين الله و رسوله، و هي من "مفاتيح كنوز القرآن" كما قاله كنز من كنوز القرآن^{١٦}

٢- ﴿أَ كَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ﴾ لا امرأة، و لا رجل من الجن فإنه ليس منكم و كذلك الملائكة، مبشرين في رسالاتهم إلى البشر المرسل إليهم، و طبيعة الحال الرسالية هي المجانسة مع المرسل إليهم: "يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ.." و كونه رجلا هو لأصل صالح المجابهة و القوة ﴿أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ﴾ كبنء أول للرسالة ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ كمرحلة ثانية تخص من أثرت فيهم النذارة ﴿أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ﴾ في كل إقدام ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ عنده منهم في كل إقدام، و عنده منه في كل جزاء، و عنده من الرسل و الرساليين لصدقهم فيما يحملون عنه تعالى و لكن ﴿قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّا هَذَا لَسَاحِرٌ مُبِينٌ﴾ سحره حيث يؤثر في جموع، و لكن السحر لا يؤثر مهما أثر لردح من الزمن: "فَقَالَ إِنَّا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ" (٧٤: ٢٤) و تراه- بعد- إن كان آية ربانية- لا سحرا- كيف كان ليس هو الآن، و من ميزات السحر أنه لا يؤثر و لكنه يتأثر.

٣- ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ﴾ خالفا مربيا هو ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ و هما الكون كله ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أوقات و أدوار مهما اختلفت زما أو اختلفت ﴿ثُمَّ﴾ تدبيرا بعد الخلق ﴿اسْتَوَى﴾ استيلاء تدبيرا فعليا ﴿عَلَى الْعَرْشِ يَدْبِرُ الْأَمْرَ﴾ تدبيرا دون شيء يتكئ عليه فإنه خالق كل شيء ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ﴾ يشفع في تدبيره ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَلِكَ﴾ العظيم هو ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ لا سواه في شامل الربوبية ﴿فَاعْبُدُوهُ﴾ لا سواه ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ حق العبودية للمعبود الحق.

٤- ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ لا إلى سواه، سؤالا حسابا و جزاء ﴿جَمِيعًا﴾ يوم الجمع و منذ البرزخ دونما استثناء، فلا يصح ما في الجامعة و إياب الخلق إليكم و حسابهم عليكم ﴿وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾ لا حول عنه ألا يرجعوا أو يرجعوا إلى غيره لـ ﴿إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ﴾ ثُمَّ يَعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴿لَا يَمَانِهِمْ﴾ بِالْقِسْطِ و هو فوق العدل حيث يثيب أهله أكثر مما يستحقون ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ﴾ حار حارق ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ آخر ﴿بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ جزاء وفاقا.

٥- ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ﴾ هذه، و كل الشموس ﴿ضِيَاءً﴾ و هو أكثر من النور ﴿وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ أقل من الضياء ﴿وَقَدَرَهُ﴾ القمر ﴿مَنَازِلَ﴾ متعددة من صغر إلى كبر إلى انحاء ﴿لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ بين أيام و أشهر و فصول السنين ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ و منه ما ذكرناه ﴿يَفْصَلُ الْآيَاتِ﴾ الربانية ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ بما يتدبرون دون من يتجاهلون.

^{١٦} . و هو الإمام على عليه السلام في تعريفه بالحروف المقطعة القرآنية.

٦- ﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ أن يأتي كل خلف الآخر، و أنهما مختلفان ظلمة و نورا، و طولا و قصرا ﴿وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ من شيء، في نفسها و اختلافاتها المختلفة ﴿لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ الله، أن يعبدوا أو يطيعوا غيره.
البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٢٠٩

٧ / ١٠

٧- ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ معرفيا في الأولى، و في الأخرى عطاء غير مجذوذ في جنتيها بعد الحساب ﴿وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ و هي أدنى الحياة قضية عدم رجاء ذلك اللقاء ﴿وَأَطْمَأْنَوْا بِهَا﴾ "و لكنه أخلد إلى الأرض و اتبع هواه و كان أمره فرطا" ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾ غفلة مقصرة، و الأولون تغافلا عن علم "و جحدوا بها و استيقنتها أنفسهم ظلما و علوا" ف "يا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ" إلى الله صالحا، و إلى غيره طالحا "ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ" عن دنيا الحياة إلى عقباها، كما كنت عنده، "إِنَّا لِلَّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ" أو عن الإخلاق إلى الأرض رجوعا في الأولى ثم إلى الأخرى "راضية مرضية فادخلي في عبادي و ادخلي جنتي" (٢٨: ٨٩).

٨ / ١٠

٨- ﴿أُولَئِكَ مَاوَاهُمُ النَّارُ﴾ في كافة النشآت إذ أووا و اطمأنوا إلى أسبابها ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ من طالحات.

٩ / ١٠

٩- ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ لإيمانهم ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ﴾ الذي رباهم ﴿بِإِيمَانِهِمْ﴾ هنا إلى زيادة: "الَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَ آتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ" (٤٧: ١٧) و في الأخرى ﴿تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ جسما و روحا "و رِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ".

١٠ / ١٠

١٠- ﴿دَعَوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ﴾ تنزيها لك عما لا يليق بك ﴿اللَّهُمَّ﴾ ربنا ﴿وَوَحْيُهُمْ فِيهَا﴾ بعضهم على بعض ﴿سَلَامٌ﴾ مما يدل على أنها تحية أهل الجنة، فهي - إذا - خير التحيات، و لكنها لا تختص بتحية القول، بل الأول و الأولى هي تحية القلب و العمل، فأهل الجنة هم بكل كيانهم تحيات مع بعضهم البعض، لا يحجب بينهم أي حجاب، الخير الذي يستعجلونه، أو يستعجله الله ﴿وَأَخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

١١ / ١٠

١١- ﴿وَلَوْ﴾ مستحيلا في الحكمة الربانية ﴿يَعَجَلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ﴾ جزاء عدلا على الشر ﴿اسْتَعْجَالُهُمُ بِالْخَيْرِ﴾ حيث سبقت رحمته غضبه ﴿لَقَضَى إِلَيْهِمْ أَجْلَهُمْ﴾ من جزاء الشر العاجل، و لكنه آجل ﴿فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ عمين بما سكرُوا منافذ الإبصار للحقائق.

١٢ / ١٠

١٢- ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ﴾ الذي يستحقونه بشرهم ﴿دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا﴾ و في كافة الأحوال ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ غُضْرَهُ﴾ فقط، أم و إلى خير ﴿مَرًّا﴾ في ممرات الحياة متغافلا ﴿كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ مَسِّهِ﴾ فكشفنا عنه ضره ﴿كَذَلِكَ﴾ البعيد البعيد ﴿زَيْنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ ما كانوا يعملون ﴿إِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَ كَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ و لم يكن الله ليدافع عنهم بل قد يدفع الشياطين عليهم "أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَّزَّهُمْ أَزًّا" (١٩: ٨٣) بما كانوا يعملون.

١٣ / ١٠

١٣- ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ﴾ الأنسال المستحقة للإهلاك ﴿مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَا ظَلَمُوا﴾ الحال أن ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ كلها كما هو حق الإهداء حسب الظروف ﴿وَالْحَالِ أَنَّهُمْ﴾ ما كانوا ليؤمنوا ﴿على تواتر البينات﴾ كذلك نجزي القوم المجرمين ﴿ككل حسب إجماعاتهم﴾.

١٤ / ١٠

١٤- ﴿ثُمَّ﴾ بعد إهلاكهم ﴿جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ يخلف كل حاضر غابرا في حياة التكليف ﴿لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ امتحانا عمليا لا إطلاعا ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٢١٠

١٥ / ١٠

١٥- ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾ حال كونها ﴿بَيِّنَاتٍ قَالِ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ حيث يخالف هذا القرآن شهواتهم و رغباتهم ﴿أَنْتَ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا﴾ كما نشاء مغايرا إياه في هداه إلى رده ﴿أَوْ بَدَلَهُ﴾ بعضا لأقل تقدير ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبْدَلَهُ﴾ فضلا عن قرآن غيره ﴿مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي﴾ فإن أنا إلا رسول ﴿إِنْ أَتَيْعَ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ﴾ إني أخاف إن عصيت ربي ﴿في رسالتي﴾ عذاب يوم عظيم ﴿فلا تعنى الرسالة الإلهية إلا إذاعة لوحى الله كما يستداع، دون تدخل في وحي الله﴾.

١٦ / ١٠

١٦- ﴿قُلْ لَوْ﴾ مستحيلا في الحكمة الربانية ﴿شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ﴾ بعد نزوله على رسولا و هو خيانة رسولية ﴿وَلَا أَدْرَاكُمْ﴾ الله ﴿بِهِ﴾ إعلاما لمعامله، فما هذا القرآن إلا كتاب ربي دون أى تدخل منى فيه ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا﴾ أربعين سنة ﴿مِنْ قَبْلِهِ﴾ و لما ينزل على ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أنه ليس منى حتى أتى بغيره أو أبدله كما تستهون.

١٧ / ١٠

١٧- إني لن أفتري على ربي ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ في آيات مقححات مختلقات ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ إيتاء بغيرها أو تبديلا إياها ﴿إِنَّهُ لَا يَفْلَحُ الْمُجْرِمُونَ﴾ بل و يفلجون و لا سيما في حقل افتراء رسالية إلهية: " و لو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين. ثم لقطعنا منه الوتين. فما منكم من أحد عنه حاجزين" (٦٩: ٤٧).

١٨ / ١٠

١٨- ﴿وَالْعِبَادُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ﴾ حتى تكون عبادة الخوف ﴿وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ عبادة الرجاء، فكيف يعبد ما لا يضر و لا ينفع، و ليست العبادة إلا لأحدهما أولهما، اللهم إلا عبادة الخلاء، إذ يعبدون الله لأنه الله، و لكنه أيضا لنفعها مهما كانت أعمق من تلك و هو الاتجاه إلى الكمال المطلق فطريا و عقليا و شرعيا دونما ابتغاء أجر و لا شكور، نفعا ذاتيا لا يعلل بغرض و هدف خارج عن نفس ذات المعبود للعابد و لو أحرقه بالنار ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ دون أى سلطان ﴿قُلْ أَتَنْبِئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ، وَ لَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ به سبحانه.

١٩ / ١٠

١٩- ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ ضللا بالطبيعة الإنسانية، ثم و في الفترة الرسولية ﴿فَاخْتَلَفُوا﴾ بعد الرسالات فمنهم من آمن و منهم من كفر ﴿وَلَوْ لَا كَلِمَةُ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ و هى كلمة الإمهال زمن التكليف دون إهمال الزمن الحساب ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ محقا و مبطلا ﴿فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ و هى كلمة الفصل كما هى يوم الفصل: " كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فِي الضلالة" فبعث الله النبيين مبشرين و منذرين و أنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه توحيدا لكلمة الحق فيهم، عما

اختلفوا فيه من الحق " و مَا اختلفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اختلفُوا فِيهِ مِنْ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ " (٢: ٢١٣).

٢٠ / ١٠

٢٠- ﴿وَيَقُولُونَ﴾ فيما يقولون ﴿لَوْ لَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ﴾ بصرية حسية كما كانت طيلة الرسالات ﴿مِنْ رَبِّهِ﴾ إن هو ربه برسالته، فإن تلك الآية هي قضية ربوبيته للرسول والمرسل إليهم ﴿فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ﴾ والآيات الرسولية والرسالية هي غيب لا تدخل للرسول فيها ﴿فَانْتَظِرُوا﴾ حكم الله لزمه الآتى ﴿إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾ لا فرق بينى وبينكم فى الجهل بزمه وعدم القدرة على الإتيان به، أجل، إنها غيب لله لا سواه " قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ " (٢٩: ٥٠).

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٢١١

٢١ / ١٠

٢١- ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَاءَ مَسَتْهُمْ﴾ و كلاهما منا امتحانا ﴿إِذَا﴾ فجأة ﴿لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا﴾ قوليا فى تهم و أكاذيب و عمليا حيث يعاملونها ماكرين ﴿قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾ منكم مادة و مدة لـ ﴿إِنْ رُسُلُنَا يَكْتُوبُونَ مَا تَمَكُرُونَ﴾ و " إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ " (٤٥: ٢٩) كما الشهود الرساليون و الكرام الكاتبون و الأعضاء و الأرض.

٢٢ / ١٠

٢٢- ﴿هُوَ الَّذِى يَسِيرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ بما خلق الوسائل إلى سيركم، و الطاقات التى خلقها لكم تخترعون بها البترول و الكهرباء و ما أشبه ﴿حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ﴾ السفينة التى تحملكم ﴿وَجَرَيْنَ الْفُلِكِ﴾ بهم بريح طيبة ﴿تَجْرَى بِكُمْ مَعَ الْفُلِكِ وَفَرَحُوا بِهَا﴾ جاءتها ريح عاصف ﴿غَيْرَ طَيِّبَةٍ﴾ و جاءهم الموج من كل مكان ﴿مِنَ الْجَوَانِبِ الْخَمْسِ﴾ و ظنوا أنهم أحيط بهم ﴿بِالْعَاصِفِ الْمَزْمَجِرِ الْمَدْمَرِ، فَلَا مَلْجَأَ وَ لَا مَنَجَى إِلَّا هُوَ﴾ دعوا الله مخلصين له الدين ﴿لَا نَقْطَعُ الْأَسْبَابَ الظَّاهِرَةَ كُلَّهَا، فَنَاعُطِفُ الْفُطْرَةَ الْمَحْجُوبَةَ بِهَا إِلَى اللَّهِ قَائِلِينَ﴾ لئن أنجيتنا من هذه البلوى ﴿لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ لك، موحدين فى عبادتك، غير منحازين إلى غيرك.

٢٣ / ١٠

٢٣- ﴿فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ﴾ إلى البر امتحانا ثانيا ﴿إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ طلبا و ظلما ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ حيث الحق ليس ظلما و لا طلبه ظلم ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ حيث يرجع إليكم على أية حال ثم المبنى عليه الحق لا يزول و أهله ينتقم لهم منكم، و هذا ﴿مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ﴾ بعدها ﴿إِلَيْنَا﴾ بجمعية الحساب و العقاب إذ نسيركم إليها ﴿مَرْجِعُكُمْ﴾ دون من سوى الله ﴿فَنُنَبِّئُكُمْ﴾ علميا و حسابا و جزاء و فاقا ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ و " إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ " (٥٢: ١٦) " هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ " (١٠: ٥٢) فلجزاء السوء نهاية، كما للسوء نهاية.

٢٤ / ١٠

٢٤- ﴿إِنَّمَا﴾ ليس إلا ﴿مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ طاهرا فى أصله غير خليط ﴿فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَ الْأَنْعَامُ﴾ بدء و ختام ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا﴾ المؤقتة الخاصة بها ﴿وَأَزْيَنْتَ وَ ظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا﴾ حفاظا و استمرارا ﴿أَتَاهَا أَمْرُنَا﴾ تدميرها لها ﴿لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا﴾ كعصف مأكول ﴿كَأَن لَّمْ تَغْنِ﴾ تحي ﴿بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيها، و كذلك الروحية الإنسانية النازلة على أبدانها من سماء الرحمة حذو النعل بالنعل.

٢٥ / ١٠

٢٥- ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾ من مزرعة الدنيا و قنطرتها إليها "لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ هُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ" (١٢٧: ٦) "لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَ لَا تَأْتِيماً. إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا" (٥٦: ٢٦) ﴿وَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ الهدى، فيشاء الله أن يهديه ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ هنا و فى الأخرى "جَزَاءً وَفَاقًا".

ذلك، و الله هو السلام "السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهِيمِنُ" (٥٩: ٢٣) و منه السلام "سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ" (٣٦: ٥٨) و إليه يعود كل سلم و سلام و إسلام، و لو أسلم من فى الأرض لصارت الحياة هنا أيضا سلاما، و كما فى يوم المهدى عليه السلام.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٢١٢

٢٦ / ١٠

٢٦- ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ فى الحياة الدنيا حتى أصبحت حسنى ﴿الْحُسْنَى﴾ كلها، و هى الحياة الحسنى نفسها ﴿وَ زِيَادَةٌ﴾ من فضله تعالى ﴿وَ لَا يَرْهَقُ﴾ غاشيا ﴿وُجُوهُهُمْ قَتَرٌ﴾ غبار و سواد و كدرة من الحزن و الضيق ﴿وَ لَا ذِلَّةٌ﴾ أبدا ﴿أُولَئِكَ﴾ الأكارم هم ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ "عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ" و هو من الزيادة حيث يزدادون فى الأخرى مادة و مدة.

٢٧ / ١٠

٢٧- ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ﴾ دون من نواها فحسب أو أتاها دون كسب و إختيار، أو كسبوا بعضها، أو رجحت حسناتهم على سيئاتهم ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ﴾ مكتسبة ﴿سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا﴾ دون زيادة عليها، فلأن السيئات محدودة كيفما كانت فجزاؤها أيضا محدودة، فقد تفنى النار و يفنى من فى النار معها بعد ما ذاقوا و بال أمرهم، إذا لم يكن لهم ما يؤهلهم بعد للجنة ﴿وَ تَرَهَّقَهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا﴾ فلا نور لهم أبدا ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ما خلدت النار، و مهما يخلد فيها جماعة كافرة باقية و لكن عذابهم ليس إلا كعصيانهم، لاختلاف دركات النار و عذاباته، باختلافهم فى دركات عصيانهم "وَ لَا يَظْلَمُونَ نَفِيرًا".

٢٨ / ١٠

٢٨- ﴿وَ يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ صالحين و طالحين ﴿ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ أثبتوا ﴿مَكَانَكُمْ﴾ دون حراك ﴿أَنْتُمْ وَ شُرَكَاءُكُمْ﴾ فلا يقدرّون إذا على حراك لا هم و لا شركاءهم الذين اتخذوهم شركاء لله ﴿فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ عابدين و معبودين، غشاوات الأوهام و قذارات الأفهام ﴿وَ قَالَ شُرَكَاءُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيانَا تَعْبُدُونَ﴾ "فَالْقُوا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ" (١٦: ٨٦) إذ كنتم تعبدون أهواءكم كأصل، و من مخلقاتها هى زعم عبادتكم إيانا، فهذه الشركاء هى الأوثان حيث لا تعقل.

٢٩ / ١٠

٢٩- ﴿فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ﴾ إيانا ﴿لَغَافِلِينَ﴾ غفلة طبيعية غير مدعوة من قبلنا، ف "إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبَحُ بِحَمْدِهِ وَ لَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا" (١٧: ٤٤) "أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْبَحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ الطَّيْرِ صَافَاتٍ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَ تَسْبِيحَهُ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ" (٢٤: ٤١).

٣٠ / ١٠

٣٠- ﴿هُنَالِكَ تَبْلُو﴾ بلوى الاختبار ﴿كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ﴾ نفسه، فتعرف أنها ماهية ﴿وَ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقُّ﴾ معرفة و حسابا و جزاء، بعد انفصال يوم الدنيا ﴿وَ ضَلَّ عَنْهُمْ﴾ إذ تزيل بينهم ﴿مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ من شركاءهم على الله.

٣١ / ١٠

٣١- ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ﴾ إِلَّا اللَّهُ ﴿أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصَارَ﴾ إِلَّا اللَّهُ ﴿وَ مَنْ يَخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَ يَخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ إِلَّا اللَّهُ ﴿وَ مَنْ يَدْبُرُ الْأَمْرَ﴾ إِلَّا اللَّهُ ﴿فَسَيَقُولُونَ﴾ بعد تأمل ﴿اللَّهُ فَقُلْ أ فَلَا تَتَّقُونَ﴾ اللَّهُ فِي عِبَادَتِكُمْ غَيْرَ اللَّهِ.

٣٢ / ١٠

٣٢- ﴿فَذَلِكُمْ﴾ الْعَظِيمُ الْعَظِيمُ ﴿اللَّهُ﴾ هُوَ ﴿رَبُّكُمْ الْحَقُّ﴾ كُلُّهُ دُونَ سِوَاهُ فَإِنَّهُ الْبَاطِلُ ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرِفُونَ﴾ عَنِ الْحَقِّ إِلَّا إِلَى الْبَاطِلِ.

٣٣ / ١٠

٣٣- ﴿كَذَلِكَ﴾ الْوَاضِحُ النَّاصِحُ ﴿حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ الْحَسَنُ الْبَيَانُ ﴿عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا﴾ عَنِ عِبَادَتِهِ وَ طَاعَتِهِ ﴿أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بِاخْتِيَارِهِمْ، فَقَدْ "حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ" بِمَا تَحَقَّقَ عَدَمُ إِيمَانِهِمْ بِاخْتِيَارِهِمْ، فَلَيْسَتْ هِيَ كَلِمَةُ الْإِرَادَةِ الرَّبَّانِيَةِ تَسْيِيرًا، وَ لَا كَلِمَةُ الْعِلْمِ أَبَدًا فَإِنَّهُ لَا يَسْبَبُ عَمَلًا.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٢١٣

٣٤ / ١٠

٣٤- ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ﴾ "الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ" لِلَّهِ ﴿مَنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ وَ هُمْ مِمَّنْ يَبْدَأُ اللَّهُ خَلْقَهُ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴿قُلْ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ كَمَا تَنْطِقُ بِهِ فِطْرُهُمْ وَ عَقُولُهُمْ وَ لَوْ أَنَّهُمْ يَتَفَوَّهُونَ بِهِ ﴿فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾.

٣٥ / ١٠

٣٥- ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾ كَمَا يَحِقُّ دُونَ خَطَأٍ أَصَالَةٍ دُونَ رِسَالَةٍ ﴿قُلْ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ﴾ دُونَ "إِلَى الْحَقِّ" فَقَطْ، فَإِنَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَ مَا يَقُولُهُ هُوَ الْحَقُّ الْمَطْلُوقُ، فَهُوَ الْهَادِي لِلْحَقِّ أَصَالَةٍ وَ رِسْلُهُ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ رِسَالَةً فَ"لِلْحَقِّ" هُنَا تَوْحَى لِهَدْيٍ مِمَّاسَةٍ دَلَالَةٍ وَ إِيصَالًا رَبُّوبِيًّا، وَ "إِلَى الْحَقِّ" حَقًّا دَلَالَةً فَقَطْ رِسَالَةً ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾ اللَّهُ أَصَالَةً لِلْحَقِّ، وَ رِسْلُهُ رِسَالَةً إِلَى الْحَقِّ، وَ يَجْمَعُهَا "إِلَى الْحَقِّ" هَلْ هُوَ ﴿أَحَقُّ أَنْ يَتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي﴾ اهْتِدَاءٌ ﴿إِلَّا أَنْ يَهْدِي﴾ بِمَا يَهْدِيهِ اللَّهُ وَ رِسْلُهُ ﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ مَعَاكِسًا أَنْ يَعْبُدَ غَيْرَ اللَّهِ فَقَطْ أَوْ مَعَهُ "سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ".

٣٦ / ١٠

٣٦- ﴿وَ مَا يَتَّبِعْ أَكْثَرُهُمْ﴾ مِنَ الْمَكْلُفِينَ ﴿إِلَّا ظَنًّا﴾ وَ حَسْبَانَا دُونَ سَنَادٍ إِلَى كِتَابٍ رَبَّانِيٍّ أَوْ أَثَارَةٍ مِنْهُ، فَحَتَّى الْعِلْمُ الْحَاصِلُ مِنْ دُونِهِمَا فِي شَرَعِيَّاتٍ ظَنٌّ لَا يَعْتَمِدُ عَلَيْهِ فَضْلًا عَنْ ظَنِّهِ ﴿إِنَّ الظَّنَّ﴾ عَلَى أَيْةٍ حَالٍ فِي أَصُولٍ أَوْ فُرُوعٍ ﴿لَا يَغْنِي مِنَ الْحَقِّ﴾ الْوَاجِبِ إِتِّبَاعَهُ ﴿شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ مِمَّا يَسْتَنْدِ إِلَى ظَنِّهِ، فَعَدَمُ إِغْنَاءِ الظَّنِّ هُوَ مِنَ الْقَضَايَا الَّتِي قِيَاسُهَا مَعَهَا، فَلَا يَقْبَلُ تَقْيِيدًا بِالْأَصُولِ الْمَعْرِفِيَّةِ، وَ لَا سِيَّمَا أَنْ مِثْلُ "لَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ.." فِي الْأَسْرَى لَيْسَتْ إِلَّا بَعْدَ فُرُوعٍ كَحَرَمَةِ الزَّانَا وَ الْقَتْلِ وَ مَا أَشْبَهَ مَهْمَا كَانَ مَعَهَا أَصُولٌ!

٣٧ / ١٠

٣٧- ﴿وَ مَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ﴾ مِنْذُ نَزُولِهِ حَتَّى الْقِيَامَةِ الْكُبْرَى ﴿أَنْ يَفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ فَإِنْ آيَاتُهُ تَشْهَدُ بِرَبَّانِيَّةِ نَزُولِهَا، مَعَ أَنْ حَامِلَهُ الرِّسُولُ إِنَّمَا تَكَلَّمَ بِهِ بَعْدَ عَمَلٍ لَمْ يَشْهَدْ دَرَأَةً وَ لَمْ يَكْتُبْ ﴿وَ لَكِنْ﴾ كَانَ ﴿تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ مِنْ كِتَابٍ رَبَّانِيٍّ، أَنَّهُ نَازِلٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، دُونَ مُحَرَّفَاتٍ مُخْتَلَفَاتٍ فِيهِ ﴿وَ تَفْصِيلَ الْكِتَابِ﴾ الَّذِي عِنْدَ اللَّهِ حَكِيمًا ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ تَفْصِيلًا وَ لَا كَوْنَهُ رَبَّانِيًّا لَا يَفْتَرَى ﴿مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فَفِيهِ رَبُّوبِيَّتُهُ الْعَالَمِيَّةُ دُونَ أَى نَقْصَانٍ.

٣٨ / ١٠

٣٨- أ يصدقونه و هم له منكرون ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ على الله ﴿قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾: القرآن و إن كان سورة فقايسوا بينهما ﴿وَ ادْعُوا﴾ فى ذلك الإتيان المباركة ﴿مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ من العباقرة فصاحة و بلاغة، لفظا و معنا ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فى قوله الافتراء و لو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين. ثم لقطعنا منه الوتين (٤٦: ٤٦).

٣٩ / ١٠

٣٩- ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾ و لهم أن يحيطوا بعلمه قدر الاطمئنان بأنه وحى الرحيم الرحمن "فَبِأَىٰ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ" ثم ﴿وَلَمَّا يَأْتِيهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ حقيقته فى أخباره و قد تأتاهم يوم الدين، فقد كذبوا جهلا بما يكذبون، و كلا التصديق و التكذيب هما بحاجة إلى علم الصدق و الكذب ﴿كَذَلِكَ﴾ البعيد عن معيار الحق ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ كتابات الله و رسله ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ بحق الحق و أهليه، أن نستعجل لهم عذاب الدمار و البوار هنا و فى عقبى الدار: "فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا".

٤٠ / ١٠

٤٠- ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾ بتدبر صالح ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ﴾ يادبار كالح ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ إذ لا يؤمنون به، بل و يكذبونه على جهل معمد عاند.

٤١ / ١٠

٤١- ﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ﴾ فى وحى الرسالة القرآنية ﴿فَقُلْ لِي عَمَلٍ وَ لَكُمْ عَمَلُكُمْ﴾ لكل ما يعمله خيرا أو شرا، فلا أنا أضركم إن كذبت و لا أنتم تضروننى إن كذبت ﴿أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ﴾ إذ تكذبوننى ﴿وَ أَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ إن كذبت، مفاصلة تامة بين الرسول و المكذبين حين لا تنفع حجة.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٢١٤

٤٢ / ١٠

٤٢- ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ دون لك - أو - يستمعونك على تكذبيهم الهازئ، و لعلهم ينقضون رسالتك ﴿أَفَأَنْتَ تَسْمِعُ الصُّمَّ﴾ إنسانيا فإيمانيا ﴿وَ لَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ﴾ رغم أنهم عقلاء نحن أعلم بما يستمعون به إذ يستمعون إليك و إذ هم نجوى إذ يقول الظالمون إن تتبعون إلّا رجلا مسحورا (١٧: ٤٧).

٤٣ / ١٠

٤٣- ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ﴾ ك يستمعون إليك نظرا إليك بصرا ظاهرا ﴿أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْى﴾ عن بصائرهم عامدين ﴿وَ لَوْ كَانُوا لَا يَبْصُرُونَ﴾ و إنما ينظرون إليك ظاهريا.

٤٤ / ١٠

٤٤- ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾ حين يعميهم هنا بما يعمون فيعمهون، و هناك جزاء وفاقا ﴿وَ لَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ على طول الخط و ليست عماهم هنا و عذابهم هناك إلا نتيجة ظلمهم.

٤٥ / ١٠

٤٥- ﴿وَ يَوْمَ يُحْشَرُهُمْ﴾ جميعا جمعا بينهم حشرا ﴿كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا﴾ دنيا أو برزخا أو هما معا ﴿إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ﴾ تخيلا منهم تخبلا و كما يتقولون أيضا فوقها، يوما أو بعض يوم أو عشر ليال و الصحيح "إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ" (١١٤: ٢٣) و هو اللبث إلى "يَوْمِ الْبَعْثِ" (٥٧: ٣٠) و هكذا يخيل إليهم اللبث بعد الموت أم و قبله زهيدا بجنب الآخرة و لكنه ليس كما

يتخيلون و يتخبلون فهم عند بعثهم ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ كما كانوا يوم الدنيا و لكن ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَ مَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾.

٤٦ / ١٠

٤٦- ﴿وَ إِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ من عذاب الدنيا ﴿أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ فلا تراه، فعلى أية حال ﴿فَالْيَا نَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ﴾ فى كافة النشآت ﴿عَلَى مَا يَفْعُلُونَ﴾ فى الدنيا.

٤٧ / ١٠

٤٧- ﴿وَ لِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ﴾ فلا تخلوا أمة عن رسول، ولى عزم أم سواه، و أما الفترات الرسولية، فالرسالات فيها قائمة فى تغيب الرسل ﴿فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ﴾ إليهم ﴿قُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ به ﴿بِالْقِسْطِ﴾ و هو فوق العدل لأهل الثواب، و العدل لغيرهم و جمعها قسط ﴿وَ هُمْ لَا يظْلُمُونَ﴾ أبدا.

٤٨ / ١٠

٤٨- ﴿وَ يَقُولُونَ﴾ فيما يقولون ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ الحساب و الجزاء ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ و صدق الوعد لا يستلزم العلم بوقته.

٤٩ / ١٠

٤٩- ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَ لَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ سلبا أو إيجابا، فضلا عنكم فلا أعلم وقت الوعد، و إنما أعلم بما أوحى إلى ربي أنه ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ كما أن لكل شخص أجل، فأجال الأمم قد تعنى أجل الكيان الرسالى بمجىء رسول آخر، أو عذاب الاستئصال كما لبعض، أو انتهاء السودة و ما أشبه ﴿إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ﴾ وقته ﴿فَلَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً﴾ زمانا ما إذ لا يستطيعون تأخيرها عنها، كما ﴿وَ لَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ تحقيقه قبل وقته، فمجىء أجلهم إذا وقته الثابت عند الله لا يستأخر كما لا يستقدم، ثم أجل الأمة الإسلامية هو يوم القيامة.

٥٠ / ١٠

٥٠- و من ذلك ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا﴾ عند بينوتتكم ﴿أَوْ نَهَارًا﴾ و أنتم أيقاظ ﴿مَا ذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾ أ استعجالا لنفس العذاب و قد حصل، أم استعجالا قبل وقته "وَ لَا يَسْتَقْدِمُونَ".

٥١ / ١٠

٥١- ﴿أَ تُمْ إِذَا مَا وَقَعَ﴾ عذابه ﴿أَمَنْتُمْ بِهِ﴾ إذ شرطتم الإيمان به ﴿أَلَا نَ﴾ و قد مضى يوم خلاص و لات حين مناص ﴿وَ قَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ "يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَ لَنْ يَخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ" (٤٧: ٢٢).

٥٢ / ١٠

٥٢- ﴿ثُمَّ﴾ بعد عذاب الاستئصال هنا ﴿قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ عقيدا و عمليا و ماتوا و هم ظالمون ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ﴾ الدوام ما دام الاستحقاق برزخيا و فى الآخرة ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ دون زيادة، فكما الأعمال السيئة محدودة كذلك الجزاء عليها.

٥٣ / ١٠

٥٣- ﴿وَ يَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ﴾ طلبا لإنباءهم بحق الجزاء ﴿قُلْ إِي وَ رَبِّ﴾ قسما بدليل الربوبية المصدقة عندهم مهما كانوا مشركين ﴿إِنَّهُ لَحَقُّ وَ مَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ الله و لا إياى، بحق الحساب و الجزاء بهذه السخریات.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٢١٥

٥٤- ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ﴾ هكذا المستحق لعذاب الخلود، كل ﴿مَا فِي الْأَرْضِ﴾ على فرض المحال قضية "لو" ﴿لَافْتَدَتْ﴾ إذا ﴿بِهِ﴾ عن العذاب، ولكن لا تقبل منه أية فدية ﴿وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ﴾ عما فعلوا ﴿لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾ وهو فوق العدل، أن ينقص من عذابهم المستحق شيء إذا لم يخالف العدل ﴿وَهُمْ لَا يظْلَمُونَ﴾ أن يزداد عذابهم عما عملوا، ومنه اللانهاية في العذاب وهي فوق المستحق، أجل "فَلَنْ يَقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ" (٣: ٩١) "لَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ" (٣٩: ٤٧) "يُودُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ. وَصَاحِبَتُهُ وَأَخِيهِ. وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ. وَ مِنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يَنْجِيهِ" (٧٠: ١٤).

٥٥- ثم إعلاما وإعلانا عاما ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وهما الكون كله، وليس لأحد ملكا أو ملكا إلا الله ﴿أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ في وحى الفطر والعقول و شرايع الوحي ﴿حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ تقصيرا، وأقلهم يعلمون ثم ومنهم من "وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا" (٢٧: ١٤) ثم الباقون هم المؤمنون.

٥٦- ﴿هُوَ﴾ لا سواه ﴿يَحْيِي وَيَمِيتُ﴾ دون سواه ﴿وَالِيهِ﴾ لا إلى سواه ﴿تُرْجَعُونَ﴾ حسابا و جزاء لا إختيار لكم خيرا أو شرا.

٥٧- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ كراس زاوية التكليف، ثم معهم كافة العقلاء من العالمين و كما في آيات العالمين و سواها ﴿قَدْ﴾ محققا بكل المثبتات ﴿جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ﴾ عظيمة ما أعظمها ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ ففيها كافة الربوبيات الربانية التي كتبها على نفسه ﴿وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾ من أمراض و كدورات و مضايقات ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ بها، مواصفات أربع للقرآن، الأوليان لكل المكلفين و الآخرين للمؤمنين منهم، إذ لا دور لهما تماما إلا بعد تأثير الموعظة و فاعلية الشفاء، فهما للتخلية و غيرهما للتخلية، فـ "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ" تخلية و تحلية.

٥٨- ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ﴾ لا سواه، موعظة و شفاء و هدى ﴿وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ﴾ فضله و رحمته ﴿خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ من متاع الحياة الدنيا، لو كان خيرا بجنب فضله الخاص "قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ" (٧: ٣٢).

٥٩- ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ﴾ أنه عطية الله و فضله ﴿فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا﴾ مشرعين دونه ﴿قُلْ اللَّهُ أَدْنَى لَكُمْ﴾ في ذلك التشريع و لا يأذن أحدا فيه، ثم أنتم لا يوحى إليكم ﴿أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ أنه الذي جعل منه حراما و حلالا.

٦٠- ﴿وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ في أحكام الشرعة ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ حيث يعذبهم بما يفترون، كما يرحم المؤمنين ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ كأصل و دون استحقاق إذا لم يستحقوا العذاب ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ الله على فضله، فكيف يحرمون ما أحله الله و يحللون ما حرمه.

٦١- ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ﴾ من شئونك ظاهريا و باطنيا ﴿وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ﴾ الوحي ﴿مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ كما و "إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ" (٢٩: ٤٥) ﴿وَمَا يَعْزُبُ﴾ بعدا علميا أو واقعا ﴿عَنْ رَبِّكَ﴾ حيث ربك بكل تربية تفوق العالمين ﴿مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ﴾ أصغر ما يرى و يدرك ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ﴾ ما لا يرى أو يدرك ما له ثقل ﴿وَلَا أَكْبَرَ﴾ بطبيعة الحال ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ علمي رباني ﴿مُبِينٍ﴾ يبين كل ذلك لوقته يوم القيامة، كما يبين لأهليه يوم الدنيا بإذن الله.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٢١٦

٦٢- ﴿أَلَا﴾ نبهة واسعة فاصحة ﴿إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ﴾ حيث يلون الله طاعة و عبادة فيليهم الله توفيقا و تسديدا ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ مما يأتي يوم الجزاء ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على ما فات عنهم يوم الدنيا في سبيل الله، فهنا مولات بين الله و المؤمنين على درجاتهم، هم يلونه عبادة و طاعة و توكلوا عليه، و هو يليهم قيومية و وكالة "وَهُوَ وَلِيَهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ" (٦: ١٢٧).

٦٣- ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالله و رسالاته ﴿وَوَكُنَّا يَتَقُونَ﴾ الله فيها: "إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَابْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ" (٤١: ٣٠) "اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَائُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ" (٢: ٢٥٧).

٦٤- ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى﴾ الربانية الرحيمة ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ حيث حياتهم فيها عليا أن يعيشوا على مرضات الله ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ و أين بشرى من بشرى ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ و حتى من الله ألا يفى ببشره و عودا بالله ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾: "نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ فِي الْآخِرَةِ وَ لَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَ لَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ" (٤١: ٣١).

٦٥- ﴿وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ﴾ الهازئ الماقت الساقط حيث يستذلونكم ف ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ و ليست العزة الظاهرة هنا إلا فانية خواء، فهي ذلة يظهر في الحق أنها عزة ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ قالاتهم ﴿الْعَلِيمُ﴾ بحالاتهم.

٦٦- ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ فلا يملك أحد أحدا إلا الله الذي يملكهم جميعا ﴿وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ﴾ سلبا لإتباعهم إياهم إلا أهواءهم، في وجه النفي، و استفهاما في استفحام في وجه الإثبات موصولا ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ و لا واقع لمظنونهم ﴿وَلَا يَخْرُصُونَ﴾ كذا في إتباعهم بظنهم.

٦٧- ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ فبطبيعة الليل هي السكن ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ للحركة ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ الحق حقه، ففي كل نور رباني و ظلام حكمة حكيمة من الرحيم الرحمان "فَبَايَ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ".

٦٨- ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ دون ولادة ﴿سُبْحَانَهُ﴾ من ذلك الاتخاذ الوخاز، فإنه ﴿هُوَ الْغَنَى﴾ دون سواه فكيف يحتاج إلى ولد لو صح ذلك الاتخاذ كما لسواه، ثم المجاز إنما يجوز عند جواز الحقيقة، فاتخاذ الولد منه مستحيل كما يستحيل أصله الحقيقي ولادة ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أصالة دون اتخاذ، فمن له كل شيء حقيقة، كيف يتخذ لنفسه ولدا مجازيا؟ ﴿إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾ فطرى أو عقلى أو حسى أو وحى ﴿بِهَذَا﴾ الاتخاذ الوخاز ﴿أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ و هو محظور على أية حال، فضلا عما تعلمون بطلانه.

٦٩ / ١٠

٦٩- ﴿قُلْ إِنْ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ كاتخاذ الولد ﴿لَا يَفْلَحُونَ﴾ أبدا بغريتهم الكذب على الله.

٧٠ / ١٠

٧٠- و كل ما فى الأمر هو ﴿مَتَاعٌ﴾ قليل ﴿فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ فنحاسيهم ﴿ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ﴾ حسب شديد فريتهم ﴿بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ بالله فرية على الله.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٢١٧

٧١ / ١٠

٧١- ﴿وَآتَىٰ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾ و هم المكلفون أجمع لا سيما البشرية، فإن قوم كل رسول هم المرسل إليهم، لا فقط أقاربه أو مواطنوه: "وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ" (٤٧: ١٠) ﴿يَا قَوْمِ إِنْ كَانُ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي﴾ بينكم مكانا و زمانا و كيانا رسوليا ﴿وَتَذِكْرِي﴾ إياكم ﴿بِآيَاتِ اللَّهِ فَاعْلَى اللَّهُ تَوَكَّلْتُ﴾ أمام كل ما تعملون ضدى ﴿فَاجْمَعُوا أَمْرَكُمْ﴾ بكل إمره و إمكانياته فرديا و جميعا على ﴿و﴾ كذلك أجمعوا ﴿شُرَكَاءُكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرَكُمْ﴾ جميعا ﴿عَلَيْكُمْ غَمَةً﴾ من الغمام الستر و الحيرة و الجهالة بل فكروا شورى فى أمركم على باستئصال أفكاركم و طاقاتكم ضدى ﴿ثُمَّ افْضُوا﴾ حكمكم ﴿إِلَى﴾ إرسالا قويا نحوى ﴿وَلَا تَنْظُرُونَ﴾ فى إمهالا، و هذه غاية التحدى من صاحب الدعوة فى قلة مناصرين ضد الكثرة القوية المعارضة، الغوية.

٧٢ / ١٠

٧٢- ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ عن رسالتى، و عن القضاء إلى ﴿فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ﴾ دليلا على أن دعوتى ليست مادية، على هداى الظاهرة الباهرة ﴿إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَ أَمْرٌ﴾ بوحى الله ﴿أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ لله دون أى تززع و تلكؤ، بل "أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ" (٣٩: ١٢).

٧٣ / ١٠

٧٣- ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ بعد هذه الحجج البالغة ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ﴾ فى رسالته ﴿فِي الْفُلْكِ﴾ المشحون ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ﴾ يخلفون الغارقين، و كما يخلف بعضهم بعضا ﴿وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذَرِينَ﴾ غرقا و ما أشبه.

٧٤ / ١٠

٧٤- ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ﴾ نوح ﴿رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ﴾ كلا إلى قومه الرسالى إلا أولى العزم منهم فإن قومهم المكلفون أجمعون كإبراهيم هنا ﴿فَجَاءَهُمْ بِ﴾ الآيات ﴿الْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾ إذ مارسوا التكذيب ﴿كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾ على الحق و أهليه، حيث يطبع عليها بكفرهم: "فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ".

٧٥ / ١٠

٧٥- ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ كَاسِلًا ﴿وَهَارُونَ﴾ كَفَرَعُ لَهُ ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَ مَلَأْتَهُ﴾ كَمَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى شمولية رسالته ﴿بِآيَاتِنَا﴾ الدالات على حق الرسالة الربانية ﴿فَاسْتَكْبَرُوا﴾ عنها ﴿وَ كَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾.

٧٦ / ١٠

٧٦- ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾ بِآيَاتِهِ ﴿مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا﴾ هَؤُلَاءِ الْمُتَعَوِّدُونَ عَلَىٰ تَكْذِيبِ الرِّسَالَاتِ ﴿إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ خَاوِيَا عَنْ آيَةِ حَقِيقَةِ "سحر" لَا وَاقِعَ لَهُ، وَ قَدْ وَقَعَ، وَ "مُبِينٌ" سَحْرُهُ، وَ لَا يَبِينُ إِلَّا كَوْنُهُ آيَةً رَبَّانِيَّةً.

٧٧ / ١٠

٧٧- ﴿قَالَ مُوسَىٰ أَ تَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أ سِحْرٌ هَذَا﴾ تَشْكِيكًا رَكِيكًا دُونَ أَى سُلْطَانٍ إِلَّا ضَدَّهُ ﴿وَ لَا يَفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾ لِأَن فَوْقَ كُلِّ سَحَرٍ سَحَرٌ يَبْطِلُهُ، ثُمَّ وَ لَا يَبْقَى مَفْعُولُ السَّحَرِ كَوَاقِعَ حَتَّى يَدْعَى صَاحِبُهُ وَاقِعًا يَثْبِتُ بِخَارِقَةِ رَبَّانِيَّةٍ.

٧٨ / ١٠

٧٨- ﴿قَالُوا﴾ الْفِرْعَوْنِيُّونَ ﴿أَ جِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا﴾ إِعْرَاضًا ﴿عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ وَ هُوَ الْحَقُّ لِأَنَّهُمْ آبَاءُنَا ثُمَّ ﴿وَ تَكُونُ لَكُمْ﴾ الْكِبْرِيَاءُ فِي سُلْطَةِ رُوحِيَّةٍ وَ زَمْنِيَّةٍ ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ الَّتِي لَنَا فِيهَا الْكِبْرِيَاءُ ﴿وَ مَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ أَبَدًا، إِيْمَانَنَا بِاللَّهِ "لَكُمْ" لِصَالِحِكُمَا، حَيْثُ تَدْعُونَ إِلَيْهِ، فَتَحَوَّلَ حَوْلَكُمَا مُؤْمِنِينَ بِمَا أَنتُمَا بِهِ مُؤْمِنَانِ.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٢١٨

٧٩ / ١٠

٧٩- ﴿وَ قَالَ فِرْعَوْنُ﴾ فِيمَا غَالَ ﴿أَتُؤْتُونِي﴾ يَا أَصْحَابَ الْمَلِكِيَّةِ الْفِرْعَوْنِيَّةِ ﴿بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾ بِسَحْرِهِ، حَتَّى نَعَارِضَ مُوسَى فِي سَحْرِهِ.

٨٠ / ١٠

٨٠- ﴿فَلَمَّا جَاءَ﴾ هَؤُلَاءِ ﴿السَّحَرَةُ﴾ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلقُونَ ﴿بَعْدَ مَا خَيْرُوهُ﴾ قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَ إِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ. قَالَ أَلْقُوا .. (٧: ١١٥) وَ هَذِهِ تَكْتِيكَةُ الْمُبَارَاةِ بَيْنَ أَهْلِ الْحَقِّ وَ الْبَاطِلِ، أَنْ يَقْدَمَ الْمَبْطَلُ بِمَا يَأْتِي بِهِ حَتَّى يَبْطُلَ بِآيَةِ الْحَقِّ عَنْ بَكْرَتِهِ.

٨١ / ١٠

٨١- ﴿فَلَمَّا أَلْقُوا﴾ قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السَّحْرُ ﴿لَا وَاقِعَ لَهُ﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ سَيَبْطِلُهُ﴾ وَ لَا يَبْطُلُ الْمَعْجِزَةُ بِسَحَرٍ أَوْ مَعْجِزَةُ أُخْرَى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ وَ هُنَا إِفْسَادُ مَعْجِزَةِ بِسَحَرٍ!

٨٢ / ١٠

٨٢- ﴿وَ يَحِقُّ لِلَّهِ الْحَقُّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ آيَاتٍ عَيْنِيَّةٍ أَوْ كَلَامِيَّةٍ ﴿وَ لَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ وَ حِينَ يَبْطُلُ سَحَرُ السَّحَرَةِ وَ هُوَ أَقْوَى مِمَّا سِوَاهُ مِنْ سَحَرٍ، بَعْضًا مُوسَى الْآيَةِ، وَ هِيَ أَدْنَى مِنْ مَعْجِزَةِ الْقُرْآنِ، فَبَاحْرَى يَبْطُلُ الْقُرْآنُ أَى سَحَرُ كَانِ، وَ فِي حَدِيثٍ: إِذَا تَلَوْتَ مِائَةَ آيَةٍ عَلَى سَحَرٍ بَطُلَ وَ قَدْ جَرَّبَ مَرَارًا، شَرْطَ النِّيَّةِ الصَّالِحَةِ، وَ قَدْ أَمِنَ السَّحَرَةُ كُلَّهُمْ، ثُمَّ مِنْ قَوْمِهِ:

٨٣ / ١٠

٨٣- ﴿فَمَا أَمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ﴾ لَا كُلَّهُمْ، وَ هُوَ صَالِحُ الْإِيْمَانِ دُونَ كَالِحِهِ الَّذِي كَانَ مِنْ ذِي قَبْلِ ﴿عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَ مَلَأْتَهُمْ أَنْ يَفْتَنَهُمْ وَ إِنْ فِرْعَوْنٌ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَ إِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ وَ هُنَا الْكَلَامُ حَوْلَ "قَوْمِهِ" بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَلَا يَنَافِي إِيْمَانُ السَّحَرَةِ بِجَمْلَتِهِمْ قَوِيًا صَامِدًا كَمَا فِي آيَاتٍ:

٨٤ / ١٠

٨٤- ﴿وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ﴾ و هم " ذُرِّيَّةُ مِنْ قَوْمِهِ " ﴿إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ﴾ سليما ﴿فَعَلَيْهِ﴾ لا على سواه ﴿تَوَكَّلُوا﴾ فى هذه المعركة المصيرية: الموسوية الفرعونية ﴿إِنْ كُنْتُمْ﴾ بعد إيمانكم بالله ﴿مُسْلِمِينَ﴾ لله، حيث الإسلام بعد الإيمان هو إسلام الإيمان فهو أسلم من الإيمان تبلورا له فى القلب و القلب.

٨٥ / ١٠

٨٥- ﴿فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً﴾ محل بلايا و رزايا ﴿لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ بحقنا و بحق الحق، و هى فتنة شر و ابتلاء.

٨٦ / ١٠

٨٦- ﴿وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ﴾ الخاصة ﴿مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ بالله و برسالته.

٨٧ / ١٠

٨٧- ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَ أَخِيهِ﴾ هارون ﴿أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا﴾ مما يدل على أنهم كانت لهم بمصر بيوت، عائشين فى بيوت الفرعونيين على هامشهم ثم خرجوا و لا بواء لهم ﴿وَ اجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ قبال بعض البعض التفافا مناصرا حتى تستعدوا للدفاع الجماعى، أو قبله الصلاة فيها دون تظاهر خارجها قضية التقية النقية حفاظا على أنفسكم، و هما لكافة البيوت الإسرائيلية، أو بيوت موسى و هارون أن تكون قبله يتجه إليها هؤلاء فى كافة الحاجات الشرعية، و هكذا يجدر بالقواد الروحانيين أن يكونوا قبله للمراجعين، دون بوابين و أوقات خاصة، أو تغيبا عن الأمة، و يروى أن عليا (ع) لما حكم- رابعا- أمر أن يقلع باب بيته قائلا: لا أريد بعد بابا و لا بوابا. ﴿وَ اقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بالله.

٨٨ / ١٠

٨٨- ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَ مَلَأَهُ زِينَةً وَ أَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوهُ عَنْ سَبِيلِكَ﴾ و لكن إضلالهم ليس غاية ربانية، بل الزينة و الأموال إهمال و إملال، و هم يزدادون فيها كفرا و عتوا كما " فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَ حَزَنًا " (٢٨: ٨) فالغاية هنا و هناك واقعية تحصل بعلم الله، دون أن يريده الله تسييرا، أو يريده فرعون و ملأه، و إنما بيانا لواقع العداء و الحزن و هم يريدون خلافهما ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَ اشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ زيفا كجزاء يزيغهم العامد العاند ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ كما آمنوا عند غرقهم و لكن لم يفدهم إيمانهم " الْآنَ وَ قَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَ كُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ " (١٠: ٩١) " فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَ كَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ. فَلَمْ يَكْ يَنْفَعَهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا .. " (٤٠: ٨٥).

٨٩ / ١٠

٨٩- ﴿قَالَ﴾ الله لهما ﴿قَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا﴾ فى الدعوة الرسولية بتلك الإجابة الربانية ﴿وَ لَا تَتَّبِعَنَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ عامدين عاندين، ملحدين أو مشركين أو كتابيين، و قد أخذت هذه الإجابة منذ: " لَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَ نَقْصِ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ .. فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَ الْجَرَادَ وَ الْقُمَّلَ وَ الضَّفَادِعَ وَ الدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ " (٧: ١٣٠) إلى أن " أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ .. ".

٩٠ / ١٠

٩٠- حيث ﴿وَ جَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ﴾ إذ جعلنا لهم " طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا .. " ﴿فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَ جُنُودُهُ بَغْيًا وَ عَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ﴾ مع من معه ﴿قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَ أَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ لله، و كما آمن ذرية منهم فأسلمت.

٩١ / ١٠

٩١- ﴿الْآنَ﴾ و لات حين مناص و قد فات يوم خلاص ﴿وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾ طول حياتك قبل بأسك ﴿وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ فلا بد من إمعاء العصيان و رجع الإفساد إلى إصلاح قدر الإمكان.

٩٢ / ١٠

٩٢- ﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّكَ بِبَدَنِكَ﴾ حيث يبقى ﴿لَتَكُونَ﴾ أنت ببदनك ﴿لَمَنْ خَلَقَ آيَةً﴾ كما و أن بدنه الموميا باق حتى الآن بمعرض الآثار العتيقة المصرية بالقاهرة و أنا شاهدته و قلت لإنجليزى كان يراه معى إن الله أخبر بذلك فى القرآن فبهت ﴿وَأَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾ و هى بمعرضهم على طول الخط.

٩٣ / ١٠

٩٣- ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ بَوَاءَ وَإِيَّاءَ ﴿مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾ روحيا و ماديا ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا﴾ فى شرعة الله ﴿حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ بها فاختلفوا فيها، كما و ما كان النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَخْتَلَفُوا" (١٠: ١٩) إذ كان ائتلافهم فى ضلالة ثم اختلفوا بعد الهدى و علمهم بها ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ﴾ حسابا و جزاء وفاقا ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ فيما كانوا فيه يَخْتَلِفُونَ قضاء حاسما جاثما بين أيديهم، إعلاما بما عملوا صورة و صوتا، و إعلانا بالحق الذى أنكروه عمدا، و جزاء وفاقا.

٩٤ / ١٠

٩٤- و بعد كل أدلة الحق و براهينه ﴿فَإِنْ كُنْتَ﴾ و لن تكون ﴿فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ قرأنا ﴿فَسَلِّ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ﴾ الوحي قراءة متفهمة ﴿مِنْ قَبْلِكَ﴾ هودا و نصارى، فإنهم يشهدون لحق ما أنزلنا إليك، و ﴿لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ فلا تكونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ و ليس هنا حق الخطاب لرسول الهدى (ص) بل هو من باب إياك اعنى و اسمعى يا جاره و لئن أمكن ارتيابه فى المنزل إليه، فهذه الآية أيضا مما أنزل إليه، ثم الوحي بنفسه دليل نفسه دون شاهد آخر، أو أن الخطاب يعم المتشككين فليسألوا تالى الكتاب من قبله، ثم ليسألوا صاحب الوحي بوحيه، و قد يروى عنه (ص) لا أشك و لا أسأل.

٩٥ / ١٠

٩٥- كذلك ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ الدالات على الحق من الله ﴿فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ أنفسهم و أهليهم يوم القيامة.

٩٦ / ١٠

٩٦- ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَفَّتْ﴾ ثبتت حقا ﴿عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ هنا ختم على قلوبهم بما ختموا و هناك عذاب أليم ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ فما حقت عليهم "كَلِمَةُ رَبِّكَ" هنا و هناك، إلا بما حققوه فى أنفسهم عدوانا علميا أن الله يعلم ما هم صائرون إليه، و عمليا أنه يجازيهم هنا و هناك.

٩٧ / ١٠

٩٧- حتى ﴿وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ﴾ ربانية بينة ﴿حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ و قد مضى وقت الإيمان " فَلَمَّا رَأَوْا بَاسَنَا قَالُوا أَمَّا .. فَلَمْ يَكْ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَاسَنَا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ .. " (٤٠: ٨٥).

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٢٢٠

٩٨ / ١٠

٩٨- ﴿فَلَوْ لَا كَانَتْ قَرِيبَةً أَمَنَتْ﴾ عند رؤية البأس ﴿فَنَفَعَهَا إِيْمَانُهَا﴾ إذ لم يكن إيمانا صالحا أو لم تعمل فى إيمانها خيرا ﴿إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا﴾ عند مشارف العذاب ﴿كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ قضية إيمانهم الصالح فيها ﴿وَلَوْ

مَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴿الموت، فإن ثبتوا على إيمانهم و إلا فالعذاب، ف" يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا .." (١٥٨: ٦) فلقوم يونس أن تكسب في إيمانها خيرا و إلا ..

٩٩ / ١٠

٩٩- ﴿وَلَوْ﴾ مستحيلا في الحكمة الربانية ﴿شَاءَ رَبُّكَ﴾ تكويننا تسييرا ﴿لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ﴾ أرض التكليف ﴿كُلَّهُمْ جَمِيعًا﴾ دونما استثناء، و لكنه لا يكرههم على ربوبيته ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ و ليس لك ذلك و لو استطعت عليه.

١٠٠ / ١٠

١٠٠- ثم ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ مما يدل على التوحيد الأفعالي، لا بمعنى الجبر، بل إن في كل فعل مشيئة ربانية تنضم إلى مشيئة المكلفين، كمقدمة أخيرة من الله بعد اختيارهم خيرا أو شرا ﴿وَيَجْعَلُ الرَّجْسَ﴾ الختم اللإيمان ﴿عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ إذ لا يستعملون عقولهم لعقل الحقائق و أخذها من مأخذها، فقد يأذن بالإيمان لأهليته، و لا يأذن به أو يأذن للكفر لمن لا يؤمن معمدا.

١٠١ / ١٠

١٠١- ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ و أقرب النظر فيها أقربه بأسفار جوية، إشارة إلى أن غزو الفضاء محبور لهذه الغاية الإيمانية ﴿وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ﴾ آفاقية و أنفسية ﴿وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ كهؤلاء الذين غزوا القمر فتساءلوا أين الله و لا نجده عليه " و كَأَيُّ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ" (١٢: ١٠٥) و المرور على آيات سماوية، كالأرضية، بحاجة إلى أسفار سماوية، أو عيون مسلحة كتلسكوبات و أشباهها من وسائل المرور البصرى على الأجرام البعيدة، و هما كلتاها مما لم تكن أو تتصور عند نزول القرآن "فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ".

١٠٢ / ١٠

١٠٢- ﴿فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ﴾ من الله ﴿إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ دمارا و بوارا ﴿قُلْ فَاَنْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنتَظِرِينَ﴾ إذ لا أملك لكم عذابا.

١٠٣ / ١٠

١٠٣- ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ فى الأولى و الأخرى من العذاب ﴿كَذَلِكَ﴾ قررنا ﴿حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

١٠٤ / ١٠

١٠٤- ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي﴾ و لا ريب فيه ﴿فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ مهما حاولتموه، أو وعدتموني بإيمان التوحيد لو أعبد ما تعبدون ﴿وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ﴾ نوما و موتا، ثم حسابا و جزاء ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ به وحيا رسوليا بعد وحى الفطرة و العقلية الإنسانية.

١٠٥ / ١٠

١٠٥- ﴿وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ﴾ فطرتك، و كل الوجوه الإنسانية ﴿لِلَّذِينَ حَنِفُوا﴾ معرضا عما يخالف الحق "فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا" و ذلك الوجه هو "فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا .." ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ سنادا إلى فطرة التوحيد و عقلية و شرعية، حيث تتبناها كأصل.

١٠٦ / ١٠

١٠٦- ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ و هو الكون كله ﴿فَإِنْ فَعَلْتَ﴾ دعوة من دون الله ﴿فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ﴾ الحق و أهله و نفسك.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٢٢١

١٠٧ / ١٠

١٠٧- ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾ تستحقه أو يظلم عليك من ظالم و الله لا يردع عنه تكويننا ﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ الذى مسك به ﴿وَإِنْ يَرِدْكَ بَخِيرٌ﴾ فاضل ﴿فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ أبدا إلا هو و لا يرد فضله إلا بحق ﴿يَصِيبُ بِهِ﴾ ضرا أو خيرا و كلاهما إمتحان، فتنة شر أو فتنة خير ﴿مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ كأصل فى موضع الغفر و الرحمة.

١٠٨ / ١٠

١٠٨- ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ﴾ كله ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ لأعلى درجات الربوبية ﴿فَمَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدَى لِنَفْسِهِ﴾ فى نشأت الحياة العاقلة، لا لله أو لآخرين ﴿وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ لا على الله و لا على آخرين ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾ بل هو الوكيل لا وكيل إلا هو: " عَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ".

١٠٩ / ١٠

١٠٩- ﴿وَاتَّبِعْ مَا يوحى إِلَيْكَ﴾ فقط دون ما يوحى إليك عقليتك أو عقليات الآخرين شورى بينكم، و إنما المتبع هو عقلية الوحي الربانى ﴿وَاصْبِرْ﴾ على وحيه أمام الناكرين ﴿حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾.

سورة هود

١ / ١١

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ الر من الحروف الرمزية القرآنية التى لا يعرف معانيها إلا الرسول (ص) و ذوده ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾ إحكاما فى مثل " الر " لرسول الهدى، أم ما أنزل عليه ليلة القدر و علّه نفس هذه الحروف التلغرافية ﴿ثُمَّ﴾ طوال البعثة ﴿فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ إحكاما بحكمة، و تفصيلا بخبرة.

٢ / ١١

٢- و كلا الإحكام و التفصيل يرتكزان على ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ سلبا لكل محظور أصلها المعبودون و المطاعون من دون الله، و إيجابا لكل مجبور أصلها أن توحدا العباد و الطاعة لله ﴿إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ وَ بَشِيرٌ﴾ بكلمة الإخلاص، نذارة للكل و بشارة لمن آمن.

٣ / ١١

٣- و من ثم ﴿وَ أَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ دفعا و رفعا لما لا يناسب التوحيد الحق ﴿ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ﴾ منه رجوعا إليه بعد ابتعاد عنه ﴿يَمْتَعُكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ و كل متع الدنيا حسنة للموحدين ﴿وَايُوتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾ فى الدنيا و البرزخ و القيامة ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عن ذلك الإنذار و التبشير ﴿فَأَنى أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ هو القيامة الكبرى و على هامشها البرزخ.

٤ / ١١

٤- ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ لا سواه ﴿مَرْجِعُكُمْ﴾ على طول خط الحياة، مهما اختلفت حياة عن حياة ﴿وَ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ و لكنه إنما يريد ما يصلح حسب الحكمة العالية.

٥- ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَنْتُونُ صُدُورَهُمْ﴾ ثنيا و تسترا ﴿لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ﴾: القرآن و رسول القرآن ﴿أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ﴾ على أعينهم و آذانهم ﴿يَعْلَمُ مَا يَسِرُّونَ﴾ فى ثنى و استغشاء ﴿وَمَا يَعْلَنُونَ﴾ فيهما ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ و من ثنى صدور المنافقين أنهم كانوا إذا اجتمعوا مع بعضهم البعض تخافتوا بينهم فى الكلام و حنوا ظهورهم تطامنا عند الحوار.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٢٢٢

٦- ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ﴾ تدب على أرض أو ماء أو هواء، و هى عبارة أخرى عن أى حيوان، و الأرض هنا مثال عن حاضر للكل ﴿إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ "وَكَايُنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ" (٢٩: ٦٠) "وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ" (٤٢: ٢٩) ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ منذ الأرحام إلى الموت ﴿كُلُّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ و هو كتاب العلم الربانى، و ليس "عَلَى اللَّهِ" فيمن يقدر على تحصيل رزقه تعطيلاً لسعيه، و إنما الله يرزق الدواب بسعى إن أمكن، قدره و ما يشاء الله.

٧- ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ سماوات و أرضا و هما الكون الثانى كله ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أوقات مهما اختلفت طولاً و قصرها فهى أدوار ستة ﴿وَكَانَ﴾ قبل خلقهما ﴿عَرْشُهُ﴾ سلطته خلقاً و تدبيراً ﴿عَلَى الْمَاءِ﴾ الكائن الأول و هو المادة الأولية، عبر عنها بالماء لمشابهة الأجزاء، و أنه بمعرض الكل، فما هنا كسواها من المواد السماوية و الأرضية هى من مواليد ذلك "الماء" و "خَلَقَ" أصلاً و مدة ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيَكُمُ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ فى أصل الخلق مادة و مدة ﴿وَلَتُنْ قُلْتُ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ﴾ حساباً و جزاء ﴿لِيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا﴾ البعث بالقول فيه ﴿إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ قوله فاضية عن أى دليل، فائضة بكل كذب عليل.

٨- ﴿وَلَتُنْ أَخَرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ﴾ من الزمن ﴿مَعْدُودَةٍ﴾ متعودة محسوبة ﴿لِيَقُولَنَّ مَا يَجْهِسُهُ﴾ تحدياً لنزوله معجلاً ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ﴾ كما يشاء الله ﴿لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ﴾ إلقاء محيطاً، نفس ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ من العذاب الموعود.

٩- ﴿وَلَتُنْ أَدَقَّنَا الْإِنْسَانَ﴾: النسيان ﴿مِنَّا رَحْمَةً﴾ لا يستحقها، فإنه "منا" لا "منه" صدورا و لا سببا ﴿ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ﴾ حيث هو مكب عليها كأنها له ﴿إِنَّهُ لَيُؤْسُ﴾ من رحمتنا ﴿كَفُورٌ﴾ كفرانا و كفرا بنا.

١٠- ﴿وَلَتُنْ أَدَقَّنَاهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُ لِيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي﴾ و كأن نعماءه تعالى هى فقط لذهاب السيئات، فالأبساء - إذا- لبقاءها، و كلاهما بلاء ﴿إِنَّهُ لَفَرِحٌ﴾ بنعماءه أمام الغابرين مهما كانوا مؤمنين ﴿فَخُورٌ﴾ بها و كأنها باستحقاق له: "فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَ نَعَمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِي. وَ أَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ. كَلَّا .." (٨٩: ١٥).

١١- ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على النعماء والضراء، فالدهر لك يومان يوم لك و يوم عليك، فإذا كان لك فلا تبطر، وإذا كان عليك فاصبر فبكلاهما ستختبر ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ لصبرهم إيماناً ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ عن سيئات لهم، ثم ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ على اصطبارهم و صالحاتهم.

١٢ / ١١

١٢- ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ﴾ رسولياً ﴿بَعْضَ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ﴾ ألا تظهره للنافرين مخافة تكذيبهم ﴿وَصَائِقُ بِهِ صَدْرُكَ﴾ ضيق الإيمان الرسولى دون ضيق اللإيمان، فهو ترك و ضيق محتملين حفاظاً على مادة الرسالة حتى يأتى أمر الله، "صائِقٌ" من ﴿أَنْ يَقُولُوا لَوْ لَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ كُتُبٌ﴾ كأن المال هو الذى يجدر بصاحب الرسالة ﴿أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ﴾ يصدقه "وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلِيسُونَ" (٦: ٩) ﴿إِنَّمَا﴾ ليس إلا ﴿أَنْتَ نَذِيرٌ﴾ لكافة المكلفين، دون أصالة و لا وكالة فى أى من الأمور ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ لا سواه. أجل، ليس على النذير البشير رسولا، ربوبية تكوين و لا تشريع، و لا استقلالية أو شركة أو وكالة أو تخويل، أو إذن أن يعمل عملاً ربوبياً، ف"إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ" و ما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ (٣: ١٤٤) ما عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ (٥: ٩٩) بلاغا رسولياً بإنذار و تبشير و لا يَشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٢٢٣

١٣ / ١١

١٣- أ يقولون إنه مما تعلمه من بشر ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ فيما يقولون ﴿افْتَرَاهُ﴾ على الله و ليس منه بل هو من نفسه أو من آخرين ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ﴾ مجموعات من الآيات التى تنحوا منحى واحدا كسور البلد، فلا تختص "سور" بالمعروفة ﴿مِثْلَهُ﴾: القرآن، عشرين عشر ﴿مُفْتَرِيَاتٍ﴾ على الله و هى من غيره، تحدّ جامع يشمل كافة الطاقات الكلامية و العلمية على طول الخط، إذ ﴿وَأَدْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ فى مبارات الإتيان بـ "عَشْرِ سُورٍ" ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أنه افتراه، ثم هذا خلاف العقل أن يفترى على الله ما لا يمكن إلا من الله، فليدع المفتري لنفسه - إذا - الربوبية بدل ذلك الافتراء الامتراء.

١٤ / ١١

١٤- ﴿فَالَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ و "لن يفعلوا" ﴿فَاعْلَمُوا﴾ إذا ﴿أَنَّمَا أَنْزَلَ﴾ هذا القرآن ﴿يَعْلَمُ اللَّهُ﴾ دون سواه، فإن ربانية آياته برهنة باهرة على نزولها منه تعالى ﴿وَأَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ فالوحيد فى ألوهيته هو الوحيد فى كلامه ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ﴾ إذا ﴿مُسْلِمُونَ﴾ لربانيتها الرسولية، و قد يعرف كافة الأصول المعرفية من القرآن نفسه.

١٥ / ١١

١٥- فيسلم لها من أراد الآخرة، ف ﴿مَنْ كَانَ يَرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ على كول خط الحياة ﴿وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا﴾ قدر الحكمة الحكيمة: "مَنْ كَانَ يَرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ" (١٧: ١٨) ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يَبْخَسُونَ﴾ و ينقصون، و هذه ضابطة ثابتة تحلّق على هؤلاء الذين لا يريدون إلا الحياة الدنيا و زينتها، و لكن:

١٦ / ١١

١٦- ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ﴾ إن لم يقدموا شيئاً لدار القرار، إذ اختصت إرادتهم بدار الفرار ﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا﴾ بالنسبة لهذه الدار ﴿وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ زائلاً مع زوال دار الفرار.

١٧ / ١١

١٧- ﴿أَفَمَنْ كَانَ﴾ على طول خط الرسالة و هو هنا محمد(ص) ﴿عَلَى بَيِّنَةٍ﴾ محيطاً عليها نفسية و كتابية ﴿مِنْ رَبِّهِ﴾ إذ رباه رسولا و رباه بكتابة القرآن العظيم ﴿وَيَتْلُوهُ﴾ فى "كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ" تربياً عنده بإذن ربه ﴿شَاهِدٌ﴾ على رسالته و هو

﴿ مِنْهُ ﴾ إِذْ اصْطَنَعَهُ كَمَا اصْطَنَعَهُ رَبُّهُ حَتَّى يَحِقَّ خَلِيفَةٌ لَهُ كَعَلَى (ع)، ثُمَّ ﴿ وَ مِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى ﴾ شَاهِدُ ثَالِثُ بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ ﴿ إِمَامًا ﴾ لِلتَّوْرَاتِيِّينَ ﴿ وَ رَحْمَةً ﴾ لَهُمْ وَ كَمَا يَعْمُ بِرَحْمَتِهِ كَافَّةَ الْمُكَلَّفِينَ فِي حَمَلِهِ بِشَارَاتٍ بِحَقِّ هَذَا النَّبِيِّ وَ كِتَابِهِ، فَهِنَا شَهَادَتَانِ مَعَهُ: نَفْسُهُ النَّفِيسَةُ وَ كِتَابُهُ، وَ شَاهِدٌ يَتْلُوهُ هُوَ عَلَى (ع) وَ قَدْ تَظَافَرَتْ أَحَادِيثُنَا الْإِسْلَامِيَّةُ أَنَّ " شَاهِدُ مِنْهُ " هُوَ الْإِمَامُ عَلَى (ع) وَ شَاهِدُ رَابِعٍ هُوَ " كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَ رَحْمَةً " ﴿ أُولَئِكَ ﴾ الْمُشْرِكُونَ وَ الْكُتَّابِيُّونَ ﴿ يَوْمُنُونَ بِهِ ﴾ وَ عَلَيْهِمُ الْإِيمَانُ بِهِ لَشَهَادَاتِهِ الرَّبَّانِيَّةِ ﴿ وَ مَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنْ الْأَحْزَابِ ﴾ الشَّرِكِيَّةِ وَ الْكُتَّابِيَّةِ ﴿ فَالْنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِي مَرِيَّةٍ مِنْهُ ﴾ وَ لَنْ يَكُونَ، لَـ ﴿ إِنَّهُ الْحَقُّ ﴾ كُلُّهُ، لَا " حَقٌّ " ﴿ مِنْ رَبِّكَ ﴾ الَّذِي رَبَّكَ بَتْلَكَ التَّرْبِيَةَ الْقَمَّةَ الْمَرْمُوقَةَ ﴿ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ ذَلِكَ " الْحَقُّ " تَجَاهِلًا أَوْ جَهْلًا مَقْصَرًا.

١٨ / ١١

١٨- ﴿ وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ فَهَلْ مُحَمَّدٌ (ص) الْمُحْفُوفُ بِشُهُودٍ ثَلَاثَةٍ عَلَى رِسَالَتِهِ مَفْتَرٍ فِيهَا عَلَى رَبِّهِ، وَ ﴿ أُولَئِكَ يَعْزُضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ ﴾ هُنَا وَ فِي الْآخَرَى فَمَا هُنَا عَلَى مَدْعَى الرِّسَالَةِ فَرِيَّةٌ وَ لَوْ تَقَوْلُ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ. لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ. ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ .. " (٦٩: ٤٦) قَضِيَّةٌ وَاجِبُ الْحِفَافِ عَلَى السَّفَارَةِ الْإِلَهِيَّةِ ﴿ وَ يَقُولُ الْأَشْهَادُ ﴾ فِي فَرِيَّةِ الْكَذْبِ عَلَى اللَّهِ ﴿ هَؤُلَاءِ ﴾ هُمُ ﴿ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ ﴾ وَ يَقُولُونَ مَا يَقُولُ اللَّهُ ﴿ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾.

١٩ / ١١

١٩- ﴿ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ بِافْتِرَاءِ الْكَذْبِ عَلَى اللَّهِ ﴿ وَ يَبْغُونَهَا ﴾: سَبِيلُ اللَّهِ ﴿ عِوَجًا ﴾ عَمَّا سَبَلَهُ اللَّهُ، لِبَسَا لِلْبَاطِلِ بِالْحَقِّ ﴿ وَ هُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٢٢٤

٢٠ / ١١

٢٠- ﴿ أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ ﴾ اللَّهِ وَ لَا أَهْلَ اللَّهِ ﴿ فِي الْأَرْضِ ﴾ إِذْ لَا تَقْبَلُ فَرِيَّتَهُمُ الْكَذْبِ عَلَى اللَّهِ بِمَا يَأْخُذُ اللَّهُ مِنْهُمْ بِالْيَمِينِ وَ يَقْطَعُ مِنْهُمْ الْوَتِينَ، فَيُنَاقِضُونَ فِي أَقْوَالِهِمْ وَ أَفْعَالِهِمْ، ثُمَّ الْمُؤْمِنُونَ يَعْرِفُونَ بَنُورَ اللَّهِ كَذِبَهُمْ بِتَأْيِيدِ اللَّهِ ﴿ وَ مَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ﴾ هُنَا وَ فِي الْآخَرَى ﴿ يَضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ ﴾ ضَلَالًا وَ إِضْلَالًا قَدَرَهُمَا ﴿ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَ مَا كَانُوا يَبْصُرُونَ ﴾ بِمَا " خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَ عَلَى سَمْعِهِمْ وَ عَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً: " فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ".

٢١ / ١١

٢١- ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ ﴾ إِذْ تَحْجَبُوا عَنْ فَطَرِهِمْ وَ عَقُولِهِمْ فَعَن رِسَالَاتِ اللَّهِ، وَ يَتَبَيَّنُ ذَلِكَ الْخَسِرَانِ يَوْمَ الْآخِرَةِ، حَيْثُ ﴿ وَ ضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ مِنْ شُرَكَاءِ اللَّهِ.

٢٢ / ١١

٢٢- ﴿ لَا جَرَمَ ﴾ دُونَ مَنَاصٍ وَ خَلَاصٍ ﴿ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ مِنْ كُلِّ الْخَاسِرِينَ، لِأَنَّهُمْ رَعَوْسُ الضَّلَالَةِ بِمَا يَضِلُّونَ.

٢٣ / ١١

٢٣- وَ يَقَابِلُكُمْ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا ﴾ الْأَقْوَالَ وَ الْأَعْمَالَ وَ الْحَالَاتِ ﴿ الصَّالِحَاتِ ﴾ لِإِيمَانِهِمْ ﴿ وَ اخْتَبَتُوا ﴾ ضَرَبُوا أَنْوْفَهُمْ عَلَى أَرْضِ الدَّلِّ ﴿ إِلَى رَبِّهِمْ أُولَئِكَ ﴾ الْأَكَارِمُ هُمُ ﴿ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ " عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُودٍ " دُونَ الْكَفَارِ فَإِنَّ قَضِيَّةَ الْجَزَاءِ الْوَفَاقُ أَنْ يَمُوتُوا بِمَوْتِ النَّارِ.

٢٤ / ١١

٢٤- ﴿ مَثَلُ ﴾ هَذَيْنِ ﴿ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَ الْأَصْمَى ﴾ كَفَرَا ﴿ وَ الْبَصِيرِ وَ السَّمِيعِ ﴾ إِيْمَانًا، فَأُولَئِكَ عَمُوا وَ صَمُوا بِسُوءِ اخْتِيَارِهِمْ، وَ هَؤُلَاءِ سَمِعُوا وَ أَبْصَرُوا بِحَسَنِهِ ﴿ هَلْ يَسْتَوِيَانِ ﴾ فِي مُحْكَمَةِ الْعَقْلِ وَ الْعَدْلِ ﴿ مَثَلًا أَوْ لَا تَذَكَّرُونَ ﴾ الْحَقَائِقُ الْبَيِّنَةُ.

٢٥- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ القوم الرسالي و هم لولى عزم كنوح (ع) كافة الناس و سواهم من المكلفين، قائلا ﴿إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ إنذارى و حجة الحق فى ذلك الإنذار الرسولى، "نَذِيرٌ":

٢٦- ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ﴾ واقعيا ببرهان ﴿عَلَيْكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ "يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ".

٢٧- ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالله ﴿مِنْ قَوْمِهِ﴾ و هم الذين ملأوا العيون عدّة و عدّة ﴿مَا نَرَاكَ﴾ رؤية البصر الظاهر ﴿إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا﴾ دون ميزة لك علينا ﴿وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ﴾ من الناس ﴿إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا﴾ دون عدّة و لا عدّة ﴿بَادِي الرَّأْيِ﴾ و هم يرتأون ثانيا أنهم هم أفاضلنا، و لكن بادی الرأى و لا سيما لغير أهل الحق خطأ بادی، لأنهم لا ينتقلون إلى ثانى الرأى، فيأديه لمن أبصر إليها- الدنيا- فأعمته، و ثانيه لمن أبصر بها فبصرته، و لكنهم "يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ هُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ" (٧: ٣٠) ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾ فى الحقول الظاهرة المادية البادية ﴿بَلْ﴾ بالمآل ﴿نُظَنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾.

٢٨- ﴿قَالَ﴾ دون ردّ لهذا الثالث المنحوس عليهم سلبيا، قال "بصورة إيجابية: ﴿يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ﴾ محيطا ﴿عَلَى﴾ آية ﴿بَيِّنَةٍ﴾ لرسالتى ﴿مِنْ رَبِّى وَآتَانِى رَحْمَةً﴾ خاصة ﴿مِنْ عِنْدِهِ﴾ على مماثلتنا فى البشرية، مما يجب إتباعه إنسانيا ﴿فَعُمِّتْ عَلَيْكُمْ﴾ تلك البينة و الرحمة بتأويلات و تسويلات شيطانية ﴿أَتَلْزِمُكُمْوهَا﴾ إكراما على تصديق البينة الرسولية ﴿وَالْحَالِ﴾ أنتم لها كارهون ﴿إِذْ فَعُمِّتْ عَلَيْكُمْ﴾ فليس الحجاب على الحق المتبع إلا من عندكم تعمية عن الحق المرام، فهذه رؤية صالحة بعين البصيرة، و تلك رؤية طالحة بتعمية عن بصيرة.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٢٢٥

٢٩- فتلك هى جناح المعرفة بحجة، خروجا عن كل لجة، ثم من الناحية المادية ﴿وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا﴾ رغم كافة العراقيل فى هذه السبيل ﴿إِنْ أَجْرِى إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ و حين تريدون منى طرد المؤمنين الذين هم أرادلكم بادی الرأى ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ فإنه طرد لإيمانهم نظرا إلى فقرهم، ثم ليس جزاءهم إلا على ربي ﴿إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ﴾ فيجازيهم كما يستحقون، و ما أنا بجازيهم لو كانوا ضالين ﴿وَلَكِنِّى أَرَاكُمْ﴾ رؤية صالحة من أقاويلكم و أعمالكم ﴿قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ تجاهلا.

٣٠- ﴿وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِى مِنَ﴾ بأس ﴿اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ الحق فى طردهم: "وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشَىٰ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَ مَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ" (٥٢: ٦).

٣١- ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ﴾ ما تنتظرون منى برسالتى أن ﴿عِنْدِى خَزَائِنُ اللَّهِ﴾ و إنما خزائنه عنده دون أى تخويل ﴿وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ لا أقوله و لا هو واقع فإنما الغيب لله ﴿وَلَا أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ﴾ كما تشتهون الرسالة فيه، بل و أنا فوق الملك ﴿وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِى﴾ تنتقص ﴿أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا﴾ أن تختصوا الخير بالمادة و القوة الظاهرة ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِى أَنْفُسِهِمْ﴾ دون سواه ﴿إِنِّى إِذَا﴾ فى تخلفات كهذه و ما أشبه ﴿لِمَنِ الظَّالِمِينَ﴾ بحق الحق و أهليه: هذا لنوح، و كذلك لسائر

أولى العزم من الرسل حتى خاتم النبيين: "قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ" (٧: ١٨٨) وبصورة عامة هو "عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يَظْهَرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا. إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا. لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ .." (٧٢: ٢٨) فهو - فقط - الغيب الرسولي وحيا لأحكامه.

٣٢ / ١١

٣٢- ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا﴾ دون أن يتقولوا أنك ما جئت ببرهان ﴿فَاتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ من عذاب الله ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في دعوى رسالة الله.

٣٣ / ١١

٣٣- ﴿قَالَ إِنَّمَا﴾ ليس إلا ﴿يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ﴾ دوني أنا و ليس لى ان أتساءله فى إنزال عذاب ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ الله و لا رسالته بحجة أو قوة، و لا معجزيه إذا جاء عذابه هنا و لا يوم القيامة.

٣٤ / ١١

٣٤- ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أُنْصَحَ لَكُمْ﴾ إيصالا إلى نتاجه بما أريده أنا ﴿إِنْ كَانَ اللَّهُ يَرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾ فلا يريد أن ينفعكم نصحي فيما أنتم زائعون فيزيغ الله قلوبكم ﴿هُوَ رَبُّكُمْ﴾ دوني أنا و لا سواى ﴿وَالِيهِ﴾ لا إلى سواه ﴿تَرْجِعُونَ﴾ و إنما أنا رسول أهدى بما يدلنى ربى، و أما نفعها فهو راجع إلى ربى.

٣٥ / ١١

٣٥- ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ على الله ﴿قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَىٰ إِجْرَامِي﴾ فى الدنيا إذ "لَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ. ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ" (٦٩: ٤٥) ﴿وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ﴾.

٣٦ / ١١

٣٦- ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ﴾ فى ختام دعوته إياهم ﴿أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ﴾ فلا تفيد دعوتهم فى أنفسهم و لا فى أنسالهم إن بقوا أحياء ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ و قد كان لهم أن يؤمنوا و لو واحد منهم تكذيبا لمن أوحى إليه و لكنهم لم يؤمنوا و لن.

٣٧ / ١١

٣٧- ﴿وَأَصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ رقابة فى صناعته بوحى متواتر ﴿وَوَحِينَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بالبقاء على الكفر عمدا و عنادا كابنك ﴿إِنَّهُمْ﴾ لا محالة ﴿مُغْرَقُونَ﴾.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٢٢٦

٣٨ / ١١

٣٨- ﴿وَأَصْنَعِ الْفُلْكَ﴾ بعد أمرنا ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ﴾ الكافرين ﴿سَخَرُوا مِنْهُ﴾ إذ لم يكن على شاطئ بحر و لا قربه، يقولون: تعمل سفينة فى البر و كيف تجرى؟ ﴿قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا﴾ جهلا ﴿فَإِنَّا﴾ سوف ﴿نَسْخَرُ مِنْكُمْ﴾ علما و جزاء وفاقا، حينما تأخذكم أمواج الطوفان الموعود ﴿كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ و لكن أين سخرية من سخرية، هزء بالحق، فسخرية، ثم جزاء بالحق كما تسخرون.

٣٩ / ١١

٣٩- ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ أنتم حيث تغرقون أم نحن حيث تستهزءون بنا ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ ما قامت حياة لهؤلاء الأنكاد، و عذاب السخرية مهما كانت واقعة لا يقيم إلى غير حد، ف" جزاء سيئة سيئة مثلها".

٤٠ / ١١

٤٠- ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ بالطوفان الشامل ﴿وَفَارَ التَّنُّورُ﴾ كآية من آيات أمر الله، و" التَّنُّورُ" معرفة تشير إلى أنه كان معروفا لدى نوح بوحي من الله، من تنور النار آية خارقة، أو و تنور النور: طلوع الشمس، أم و تنور الغضب الرباني ﴿قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ﴾ من الدواب البرية المحتاجة إلى بر ﴿زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ﴾ الأهلين للنجاة ﴿إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ﴾ ضده ﴿الْقَوْلُ﴾ كلمة العذاب، و هم الكافرون منهم كزوجته و ابنه ﴿وَمَنْ آمَنَ﴾ منهم احملهم مع أهلك الأهلين ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ﴾ بالله ﴿إِلَّا قَلِيلٌ﴾ على طول الأمد.

٤١ / ١١

٤١- ﴿وَقَالَ﴾ بأمر الله لأهل النجاة منهم ﴿ارْكَبُوا فِيهَا﴾ فإنه ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا﴾ حيث تجرى ﴿وَمُرْسَاهَا﴾ حيث ترسوا، و كما صنع باسم الله، فينجى باسم الله ﴿إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

٤٢ / ١١

٤٢- ذلك ﴿وَالْحَالِ﴾ هي تجرى بهم ﴿الراكبين﴾ في موج كالجبال المتوجة في سيرها ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ﴾ عنه مكانا كمعزل مكانة إيمانية ﴿يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا﴾ إيماننا بالله ﴿وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ دون " من الكافرين" مما يشي بتخيله (ع) أنه كان في تردد بين الإيمان و الكفر تأشيراً لقوله تعالى "أَهْلَكَ إِلَّا .." و لم يستثن من قبل إلا امرأته، مما يخيل أن ابنه قد يؤمن فيركب معه، و كما خيل إلى إبراهيم (ع) من قول آزر " وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا" انه لترو نحو الإيمان فوعده أن يستغفر له ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾.

٤٣ / ١١

٤٣- ﴿قَالَ سَاوِيَ إِلَىٰ جِبَلٍ﴾ عال ﴿يُعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾ و قد تبين له أن الطوفان من أمر الله و لكن استمر على علمه في كفره بالله ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾ الله، و هو المؤمن بالله، دون حمية أو أية قرابة أخرى ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ﴾ الهائج فكان من المغرقين بأمر الله.

٤٤ / ١١

٤٤- ﴿وَقِيلَ﴾ و القائل هو الله و قوله فعله ﴿يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ﴾ بعد ما أظهرت ماءها للطوفان ﴿وَيَا سَّمَاءُ اقْلَعِي﴾ ماءك مما يدل على تدخل ماء من السماء في ذلك الطوفان، و النتيجة أنه ﴿وَغِيضَ الْمَاءِ﴾ أرضا و سماء كل إلى معدنه و قضى الأمر ﴿وَأَسْتَوَتْ﴾: استقرت سليمة هذا الفلك ﴿عَلَى الْجُودَى﴾ و علّه جبل في " نخجوان" كما فصلناه في " الفرقان" ﴿وَقِيلَ بَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

٤٥ / ١١

٤٥- ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ﴾ استعلما باستفهام دون استفحام ﴿رَبِّ إِنِّي ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ و قد قلت " وَأَهْلَكَ" ﴿وَأَنَّ وَعَدَكَ الْحَقُّ﴾ إذ وعدت أن تنجيهم ﴿وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ و لكنه كان بعد الطوفان حيث غرق ابنه مع سائر الكافرين، و لم يسبق القول: "إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ" إلا على امرأتى، و أنا غير متأكد أن ابني كافر فليس - إذا- من أهلى.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٢٢٧

٤٦ / ١١

٤٦- ﴿قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ الأهلين للنجاة، إذ لا تنفع أهلية النسب و السبب إلا أهلية الإيمان، و لا أعتنى من "إلا أهلك" إلا الأهلين لمكان "إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ" نصا فى امرأته و تأشيراً عشيراً فى ابنه، حيث المدار فى قرار النجاة كان للمؤمنين فقط، و ﴿إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾: ابنك الكافر و إنجاءه من الغرق، و طلب إنجاءه منه ﴿فَلَا تَسْتُلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ و لم يسأل ربه أن ينجيه بل السؤال كان استفهماً عن غرقه، و لم يكن له به علم أنه ثابت على كفره، و لكن غرقه دليل ذلك الثبات ﴿إِنِّى أَعْظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ فى سؤالك، و لم يكن منهم إذ لم يسأله تعنتاً و تساءلاً، بل و سؤاله الاستفهام كان بعد غرقه، مما يدل واضحة على عدم تعنته فى سؤاله هذا.

٤٧ / ١١

٤٧- لذلك ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾ لا أن سألتك، مما يدل على أنه لما يسئل ﴿وَاللَّهِ تَعَفَّرُ لِي﴾ إشرافى على ذلك السؤال الجاهل العضال ﴿وَتَرْحَمْنِي﴾ بعد ذلك الغفران ﴿أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ذلك، و قوله "إن ابني من أهلى .." ليس من السؤال بل هو من عرض الحال كما عرضها أيوب: "إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّى مَسْنِىَ الشَّيْطَانُ بِنَصْبٍ وَ عَذَابٍ .." (٤١: ٣٨).

٤٨ / ١١

٤٨- ﴿قِيلَ﴾ و الله هو القائل ﴿يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا﴾ سلم الحياة الدنيا التى تسلم الحياة العليا ﴿وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ﴾ و من الأمم، هم الذين نجوا معه، كما قال "وَمَنْ آمَنَ" ثم من أنسال هؤلاء أمم حتى القيامة الكبرى، حيث يعيشون بسلام من الله و بركات ف" من" لمن ركبوا معه بيانية، و لأنسال منهم نشوية، و من ثم و أمم حتى القيامة الكبرى، حيث يعيشون بسلام من الله و بركات ف" من" لمن ركبوا معه بيانية، و لأنسال منهم نشوية، و من ثم ﴿وَأُمَمٌ﴾ منهم أنسالا ﴿سَنَمَتَّعُهُمْ ثُمَّ يَمْسُهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ دون سلام و بركات من الله، بل سأم و دركات.

٤٩ / ١١

٤٩- ﴿تِلْكَ﴾ التى تلونها و تتلوها عليك هى ﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ﴾ لا يجدها سليمة تاريخية أحد دون وحى، و نحن ﴿نُوحِيهَا إِلَيْكَ﴾ حال أنك ﴿مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَ لَا قَوْمُكَ﴾ الرساليون و سواهم ﴿مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ الوحى ﴿فَاصْبِرْ﴾ لتكملة الأنباء، و على نشوز هؤلاء المكذبين دون تأخر و لا سكون عن رسالتك و لا يأس من رحمة الله فيها ﴿إِنَّ﴾ الحياة ﴿الْعَاقِبَةَ﴾ هنا و بعد الموت ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾.

٥٠ / ١١

٥٠- ﴿وَأَرْسَلْنَا﴾ إلى قوم ﴿عَادٍ أَخَاهُمْ﴾ فى البشرية و المواطنة ﴿هُودًا قَالَ﴾ كما قال الرسل ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ﴾ فى دعوى الشركاء له ﴿إِلَّا مَفْتَرُونَ﴾ عليه، دون أى سلطان حق.

٥١ / ١١

٥١- ﴿يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ كشاهد ثان بعد الحجة الربانية الروحية ﴿إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي﴾ على فطرة التوحيد ثم الفطرة الرسولية ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ و تأخذون الحق المبرهن من عند الله.

٥٢ / ١١

٥٢- ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ حيث يريبيكم كما تسعون ﴿ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ﴾ راجعين عن كفركم ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَ يَزِدْكُمْ قُوَّةً﴾ بشرية و إيمانية ﴿إِلَى قُوَّتِكُمْ﴾ البشرية ﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا﴾ عن الحق حالكونكم ﴿مُجْرِمِينَ﴾ "وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ .." (٧: ٩٦) منحة جماعية.

٥٣- ﴿قَالُوا يَا هُوْدُ مَا جِئْتَنَا بِآيَةٍ﴾ آية ﴿بينه﴾ على دعواك، ادعاء جوفاء إلا عن نفسك افتراء ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا﴾ متأثرين ﴿عَنْ قَوْلِكَ﴾ أبدا حتى إذا جئنا ببينة كما نريد، بل ﴿وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ أبدا، مهما جئت بآية بينة: "وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا" (٢٧: ١٤).

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٢٢٨

٥٤- ﴿إِنْ نَقُولُ﴾ عنك ﴿إِلَّا﴾ أنه ﴿اعْتَرَاكَ﴾ أصابك عربة لك عن عقليتك الإنسانية ﴿بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ﴾ ربى و ربكم كما ﴿وَأَشْهَدُوا﴾ بآيات رسالتى ﴿أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ بالله دون سلبية لما افتروا عليه، إلا سلب الإشراف بالله، حيث يضمن سلبية ذلك الاعتراف و الافتراء.

٥٥- ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ و هم خلقه ﴿فَكَيْدُونِي جَمِيعًا﴾ كما تستطيعون ﴿ثُمَّ لَا تَنْظُرُونَ﴾ كبرهان آخر على رسالته الصادقة، إذ لا يقدرون على اعترائى بسوء فى رسالتى حتى يقضى أمرى و أذهب إلى ربى، تحديا قاهرا عليهم بشركائهم.

٥٦- ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ﴾ إنسانيا و رسوليا ﴿عَلَى اللَّهِ رَبِّى وَ رَبِّكُمْ﴾ مهما تفارقنا فى أن له شريكا أم لا، فقولك إنه اثنان دليل على أنه واحد لأنك لا تدعوا الثانى إلا بعد إثباتك الواحد، و الواحد متفق عليه و الثانى مختلف فيه ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ أرضية و جوية و بحرية ﴿إِلَّا هُوَ أَخَذَ بِنَاصِيَتِهَا﴾ كونا و كيانا ﴿إِنَّ رَبِّى عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ فى ربوبيته، لا يشرك فيه معه أحدا كما هو أحد فى كافة شئون ربوبيته، فهو على صراط مستقيم فى ربوبيته، لا يعوج عنه، و لا يستمد بغيره، و لا يؤتیه أو يعطيه لغيره فى شىء أبدا: "وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَكِّرُونَ" (٦: ١٢٦) ثم يدعوا المكلفين إلى صراط مستقيم إلى مرضاته: "إِنَّ اللَّهَ رَبِّى وَ رَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطُ مُسْتَقِيمٍ" (١٩: ٣٦) "إِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ" (٢٣: ٧٣) إذ إنك "على صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ" (٤: ٣٦).

٥٧- ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ هؤلاء الأنكاد المكذبون ﴿فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ﴾ جميعا جمعا ﴿مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَ يَسْتَخْلِفُ رَبِّى قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ حيث يبيدكم و يخلف عنكم آخرين ﴿وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا﴾ على أية حال، و لو أبقاكم مكذبين ﴿إِنَّ رَبِّى عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ﴾ لا يفلت أى شىء عن علمه و قدرته "وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ".

٥٨- ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ بعذابهم ﴿نَجَّيْنَا هُودًا وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ بنا ﴿بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَ نَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ هنا و فى الأخرى.

٥٩- ﴿وَتِلْكَ﴾ الجماعة ﴿عَادُ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ الدالة على حق التوحيد و الرسالة الربانية ﴿وَ عَصَوْا رُسُلَهُ وَ اتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ و خالفوا كل داع إلى الله عتيد.

٦٠- ﴿وَ اتَّبِعُوا﴾ بأعمالهم ﴿فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ كما ﴿وَ اتَّبِعُوا﴾ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿لَعْنَةً رَبَّانِيَةً﴾ ﴿أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾ عن فطرهم و عقولهم ﴿أَلَا بَعْدًا لِعَادٍ قَوْمٍ هُودٍ﴾.

٦١ / ١١

٦١- ﴿وَ إِلَى تَمُودَ أَخَاهُمُ صَالِحًا قَالَ﴾ كما قال إخوته في رسالاتهم ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ خلقا من طين، مما يدل على طينية الأرواح كالأبدان لمكان "كم" الشاملة بأحرى للأرواح، و هكذا كافة الآيات في خلق الإنسان من تراب أو طين و ما أشبه ﴿وَ اسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ إذ طلب منكم عمارها الصالح لحياتكم العادلة ﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ﴾ "دَعْوَةُ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ".

٦٢ / ١١

٦٢- ﴿قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا﴾ لشأن عال من الشؤون الاجتماعية ﴿قَبْلَ هَذَا﴾ الأمر الجديد، فليتك تتركه مصلحيا للحفاظ على تلك الرجاء ﴿أَمْ تَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ حجة اعتبارية تقليدية عمياء ﴿وَ إِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ شك مسنود إلى برهان! و هو تقليد الاباء القدامى، لأنه الأصل عندنا: "أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ" (٣٨: ٥).

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٢٢٩

٦٣ / ١١

٦٣- ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ﴾ احتراما لما يرتأون ﴿إِنْ كُنْتُ عَلَى آيَةٍ﴾ آية ﴿يَبِيْنَةٍ مِنْ رَبِّي﴾ حيث رباني، بينة تدل على صدقي الرسولي الرباني، ثم ﴿وَ أَنَانِي مِنْهُ﴾ اختصاصا بينكم ﴿رَحْمَةً﴾ رسولية ﴿فَمَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ﴾ رسوليا و رساليا ﴿فَمَا تَزِيدُونَنِي﴾ في ترك واجبي ﴿غَيْرَ تَخْسِيرٍ﴾ فتحسير ضرير.

٦٤ / ١١

٦٤- ﴿وَ يَا قَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ﴾ إذ أخرجه من الجبل دون ولادة عادية فهي - إذا - خارقة ربانية ﴿لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ﴾ ناقة الله في أرض الله دون تخسير لكم ﴿وَ لَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ﴾ أيا كان فإنه إساءة بآية ربانية ﴿فَيَأْخُذْكُمْ﴾ إذا ﴿عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾ هنا و في الآخرة عذاب أليم.

٦٥ / ١١

٦٥- ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ مهما عقرها واحد منهم إذ "فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ" (٥٤: ٢٩) و كل من رضى بفعال قوم و عمل لهم كان له كمثل مما عملوا: "مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا" ﴿فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ﴾ بلدكم في دوره لكم ﴿ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ فقط و ﴿ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾ إذ لا يكذبه ربي و لا أكذبه عليه و لا عليكم، فلا حول عنه مهما كان لوعده العذاب على قوم يونس حول بما تابوا، إذ كان في الحق مشروطا بعدم توبتهم.

٦٦ / ١١

٦٦- ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ بعذابهم ﴿نَجَّيْنَا صَالِحًا وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾ كما رحمناهم بإيمان و عمل صالح ﴿وَ مِنْ خِزْيٍ يَوْمَئِذٍ﴾ إذ كان عذابا مخزيا و في الأخرى أخزى ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ قوى في عزته، عزيز في قوته.

٦٧ / ١١

٦٧- ﴿وَ أَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾ المدمرة المزمجرة ﴿فَاصْبَحُوا﴾ تحولوا ﴿فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ واقعين على وجوههم صرعى: "فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنِ بِالْأَمْسِ .." (١٠: ٢٤).

٦٨- ﴿كَانَ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾ إقامة أبدا، إذ لم يبق لهم أثر بعد ﴿أَلَا إِنَّ تَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾ عن أنفسهم، فكفروا به ﴿أَلَا بُعْدًا لَتَمُودَ﴾ هنا وفي الأخرى و هي عليهم أخزى.

٦٩- ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى﴾ الأصلحة و هي بشرى ولادة إسحاق من سارة بعد إياسهما، و فرعية هي عذاب قوم لوط ﴿قَالُوا﴾ قولا ﴿سَلَامًا﴾ كالسلام عليكم و ما زاد ﴿قَالَ﴾ كذلك الذى قدمتم ﴿سَلَامٌ﴾ عليكم، و دون زيادة من تعرف عليهم و إنما إكراما لواردين عليه ﴿فَمَا لَبِثَ﴾ بعيدا إلى ﴿أَنْ جَاءَ﴾ إبراهيم ﴿بِعِجْلٍ حَنِيزٍ﴾: سمين مشوى على حجارة الرصف المحماة، عجل مشوى على عجل! فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين " (٥١: ٢٦).

٧٠- ﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ﴾ رغم أدب الضيف، إذ عليه لأقل تقدير أن تصل يده إلى طعام المضيف مهما كان شعبانا أو معذورا ﴿نَكَرَهُمْ﴾ كما نكروه ﴿وَأَوْجَسَ﴾ أخفى ﴿مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ فإن ذلك كان مما يخيف، و لكنه أوجسه عليهم معذورون، و لكنهم عرفوا و ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾ بعذاب ربانى موعوظ موعود.

٧١- ﴿وَالْحَالِ﴾ الحال ﴿أَمْرَاتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ﴾ ببشرى العذاب ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ﴾ منها به ﴿وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ رأس السلسلة الإسرائيلية.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٢٣٠

٧٢- ﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ﴾ كمنعة أولى ﴿وَهَذَا بَعْلَى شَيْخًا﴾ ثانية، و النتيجة ﴿إِنَّ هَذَا﴾ الأمر ﴿لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ خلاف المتعود، فهو- إذا- أمر عجاب.

٧٣- ﴿قَالُوا أَمْ تَجْبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ هذا و ما أشبهه، إذ يخالف العادة المستمرة ﴿رَحِمَتُ اللَّهُ وَ بَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ الإبراهيمى ﴿إِنَّهُ حَمِيدٌ﴾ فيما يأمر ﴿مَجِيدٌ﴾ كيفما يأمر.

٧٤- ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ﴾ الخوف من المبشرين " ذهب " بعد إذ جاءه، دون ارتياح من عند نفسه أن لم يعرفهم ﴿وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى﴾ كما بيناه، أخذ ﴿يَجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾ ذودا عنهم العذاب الموعود، استرحام الاستعفاء و عليهم يتوبون.

٧٥- ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ﴾ متحملا أسباب الغضب ﴿أَوَاهُ﴾ متضرع فى دعائه و استدعائه ﴿مُنِيبٌ﴾ كثير الرجوع أوها و أها إلى ربه، مختجلا من نفسه أمام ربه، ف " يجادلنا " هو ذلك المثلث، مجادلة مؤدبة دون مجابهة، و لكن أين حلیم من حلیم.

٧٦- ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ الجدال المسترحم ﴿إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ محتوما لا حول عنه ﴿وَأَنَّهُمْ أَتَيْهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾ إذ لا يرد بأسه عن القوم المجرمين " (٦: ١٤٧).

٧٧- ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سَيِّئَ بِهِمْ﴾: إذ ظنهم بشرا ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ حيث ضاق عليه المجال في مجال الفضيحة من قومه الهارعين إليه، فلم يستطع ذرع المقياس لما حصل ﴿وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ دون رقيب حسيب إلا الله.

٧٨ / ١١

٧٨- ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يَهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾ سوقا بعنف و تخويف كما سيئ بهم و ضاق بهم ذرعا ﴿وَمِنْ قَبْلُ﴾ هذا ﴿كَانُوا﴾ على طول الخط ﴿يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ الهاتكة مثل هذا ﴿قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي﴾ صالحة لزواج ﴿هِنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ فيما تقصدون مهما كان اللواط في رأيكم طاهرا، حيث الحالة و الهيئة الجنسية للرجال هي فقط إلى النساء أو هن أخرى منهم ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ الذي أنتم به مؤمنون، مهما كنتم به مشركين، و لكنه إله الآلهة في ظنكم ﴿وَلَا تُخْزَوْنَ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾ رشد الإنسانية العاقلة و الرجولية الفاعلة مهما كان مشركا.

٧٩ / ١١

٧٩- ﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾ سلبا لحق قبل الزواج بهن، أو بزواج لمفاصلة العقيدة و أنكم أناس تطهرون، فقد يمنع بناتك عما نريد تطهرا أو بعده إذ نريد الذكور دون الإناث، أو إيجابا أنه إن كان لنا في بناتك من حق و لكن ﴿وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ رجالا عندك وجهاء، فما جئنا عندك خاطبين بناتك، بل هاربين إلى رجال عندك.

٨٠ / ١١

٨٠- و لما وصلت الحالة إلى هذه المزرية الهابطة ﴿قَالَ﴾ فيما قال ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً﴾ أَدافع بها عنكم دفعا عنهم ﴿أَوْ أَوْى﴾ أخيرا ﴿إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ هو الله و كما عن رسول الله (ص): رحم الله لوطا كان يأوى إلى ركن شديد يعنى الله تعالى. و من هنا ندرس أن التوكل على الله لا يعنى تعطيل الأسباب إليه: "وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ" التى قررها و قدرها لكم.

٨١ / ١١

٨١- ﴿قَالُوا﴾ الملائكة المبشرون ﴿يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ﴾ و من رسالتنا أنهم ﴿لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ﴾ سيرا بالليل ﴿يَاهْلِكَ﴾ الأهلين لنجاة ﴿بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَ لَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾ إلى وراءه ﴿إِلَّا امْرَأَتُكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٢٣١

٨٢ / ١١

٨٢- ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ صباحا ﴿جَعَلْنَا﴾ به ﴿عَالِيَهَا﴾ القرية ﴿سَافِلَهَا﴾ تقلبنا إياها ظهر بطن ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا﴾ من السماء ﴿حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾: سنگ گل، و هى الحجر الطينى و الطين الحجرى ﴿مَنْضُودٍ﴾ منظم نضدها الله لذلك الإمطار.

٨٣ / ١١

٨٣- ﴿مُسَوَّمَةً﴾ معلمة عليهم ﴿عِنْدَ رَبِّكَ وَ مَا هِيَ﴾ كضابطة ﴿مِنَ الظَّالِمِينَ بَعِيدٍ﴾ و إن لم يمتطروا بها أو لمّا، فإن عذاب الله إليهم قريب استحقاقا، مهما أجل عنهم دون عجال.

٨٤ / ١١

٨٤- ﴿وَوَعَدْنَا﴾ إلى مدين أخاهم ﴿مَوَاطِنَا﴾ شعبيا قال ﴿كَمَا قَالَ إِخْوَانُهُ الْمُرْسَلُونَ﴾ يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيرة ﴿كَمَا تَزْعُمُونَ﴾ و لا تنقصوا المكيال و الميزان ﴿إِذْ كَانَ هُوَ الْعَادَةُ السَّيِّئَةُ الْأُولَى عِنْدَهُمْ فَرَعِيًا﴾ كما كانت العادة فى أهل سدوم لوط لواط، و الرسل يمنعون عن كل محذور تقدما للأكثر عملا، المتعود عند المرسل إليهم ﴿إِنِّى أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ﴾ فى الحالة الاقتصادية و رخص الأثمان، فلا حاجة إلى نقص المكيال و الميزان، كما و فى عقليتكم، تشويقا لهم إلى تعقل ﴿وَإِنِّى أَخَافُ﴾

عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿﴾ بكم هنا من المبخسين أن يفوروا و يثوروا ضدكم، ثم جزاء العاجل من الله استئصالا إياكم، و من ثم العذاب الآجل برزخا و قيامة كبرى.

٨٥ / ١١

٨٥- ﴿وَ يَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَ الْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ﴿﴾ راحة فوق العدل الواجب ﴿وَ لَا تَبْخَسُوا النَّاسَ﴾ نقصا فى إضرار ﴿أَشْيَاءَهُمْ﴾ لا فقط" أموالهم" مما يمشى بكلية و عمومية الأشياء نفسا و نفسيا ﴿وَ لَا تَعْتُوا﴾ سعيًا ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ الحيوية حالكونكم ﴿مُفْسِدِينَ﴾ إياها، الشامل للنواميس الخمسة، فالبخس فيها محرم كما" و لا تَنْقُصُوا .." و القسط فيها راجح، و منها عوان العدل الواجب، مفهوما مما بينهما.

٨٦ / ١١

٨٦- ﴿بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ و هى الحالة البقية على ضوء رسالة الله، دون بقية اللهو البغية، فخير" بَقِيَّةُ اللَّهِ" يشمل كل رسالات الله، ثم من باب الجرى و التطبيق" بَقِيَّةُ اللَّهِ" من رسالاته المعصومة، و هى الرسالة المحمدية، و من ثم" بَقِيَّةُ اللَّهِ" فى الدعوة المعصومة: القائم المهدى (ع) إذ ليس بعده معصوم، إنه ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ بالله، رغم إشراككم به ﴿وَ مَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ عما ينزله الله من عذاب، بقية على حياتكم و حيويتكم.

٨٧ / ١١

٨٧- ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ﴾ و هى عبادة شخصية لا ترتبط بأحوال الآخرين، استهزاء به أنه لا يخصك فىنا أمر أو نهى ﴿أَنْ نَّتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ القدامى ﴿أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾ و لكن" إِنْ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَ الْمُنْكَرِ" و ترك الأمر و النهى هو منهما على شروطهما الحاصلة عند نبي الله ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ﴾ بنا الرشيء فىنا، و هذه الدعوة المزعجة هى خلاف الحلم و الرشء، إذ هما يدعوان إلى السماح" لَكُمْ دِينُكُمْ وَ لِي دِينٌ".

٨٨ / ١١

٨٨- ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى﴾ آية و حجة ﴿بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي﴾ حيث ربانى رسولا بآيات رسالته ﴿وَ رَزَقْنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ أحسن من كل رزق هو الرسالة، مع ذلك تستهزءون بى و تريدون أن أعتزل عنكم ﴿وَ مَا أُرِيدُ أَنْ أَخَالِفَكُمْ﴾ فيما أدعوكم إليه ﴿إِلَى مَا أَنهَاكُمْ عَنْهُ﴾ مما يدل على أن النهى عن شىء مع اقترافه للنهى بتصميم دون تناه، محرم ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾ فإرادة المخالفة فيما أنهى عنه إفساد ﴿وَ مَا تَوْفِيقِي﴾ فى هذه السبيل ﴿إِلَّا بِاللَّهِ﴾ الذى أرسلنى ﴿عَلَيْهِ﴾ لا سواه ﴿تَوَكَّلْتُ وَ إِلَيْهِ﴾ لا سواه ﴿أُنِيبُ﴾ رجوعا إليه صالحا.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٢٣٢

٨٩ / ١١

٨٩- ﴿وَ يَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ﴾ قطعاً قاطعا لثمرة الحياة الإنسانية ﴿شِقَاقِي﴾ جعلى فى شق غير شقكم، و من الجرم المحتوم- إذا- ﴿أَنْ يَصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ﴾ غرقا ﴿أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ﴾ قبلكم من عذاب الاستئصال ﴿وَ مَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ﴾ إذ أهلكوا قريبتكم.

٩٠ / ١١

٩٠- ﴿وَ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ رفعاً لما سلف و دفعا عما يأتى ﴿ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ﴾ لهما ﴿إِنْ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾.

٩١ / ١١

٩١- ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ﴾ و هذه شيمة الناكرين الشنيعة أنهم بعد حجاج قاطع من الرسل يتجاهلون أقوالهم كأنهم قاصرون. أو أن الحجة قاصرة لا تفهم، رغم أنها بالغة تفهم، عذر غادر، غير عاذر، بعد تمام الحجة و وضوح المحجة، فالرسالات كلها فقاها: "وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلِي" (٢٠: ٢٨) "قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ" (٦: ٩٨) و لكن من الكافرين من يعتمد البقاء على الكفر و التكذيب فيختم الله على قلبه فلا يفقه، امتناعا بالاختيار، و منهم الذين يعتذرون "ما نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ" ﴿وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾ لا قوة بك علينا ﴿وَلَوْ لَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ﴾ و هو شر العقوبات ﴿وَ مَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعِزِيزٍ﴾ قوة و حرمة فو الله الذي لا إله إلا هو ما هابوا جلال ربهم ما هابوا إلا العشيبة.

٩٢ / ١١

٩٢- لذلك ينبرى شعيب بالغيرة الرسولية لجلال ربه إذ ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَ الْحَالِ أَنْكُمْ﴾ اتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا ﴿دُونَ أَيْ إِقْبَالَ عَلَيْهِ﴾ ﴿إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ "لَا يُعْزَبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَ لَا فِي الْأَرْضِ" (٣: ٣٤).

٩٣ / ١١

٩٣- ﴿وَ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَاتَتِكُمْ﴾ إمكانية دون ترحم و بكل تقحّم ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾ في دعوتي الرسولى دون فتور فيه لتهديدكم و ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ علم الواقع ﴿مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ كما تخزوننى ﴿وَ مَنْ هُوَ كَاذِبٌ﴾ كما تكذبوننى ﴿وَ ارْتَقِبُوا﴾ عذاب النخزى ﴿إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ عذاب الله عليكم.

٩٤ / ١١

٩٤- ﴿وَ لَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ بالعذاب واقعا بعد تقدير ﴿نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ بالله ﴿بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾ تخص المؤمنين ﴿وَ أَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ﴾ المدمرة المزمجرة ﴿فَأَصْبَحُوا﴾ انقلبوا ﴿فِي دِيَارِهِمْ جَائِمِينَ﴾ كما يلزق الطائر بالأرض ساقطا بصيده إذ صادهم ربهم بعذابه بعد ما يصطادون بدعوته جاثمين على كفرهم دون جثوم على هدى الله.

٩٥ / ١١

٩٥- ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا﴾ سكونا أبدا ﴿أَلَا بُعْدًا لِمَدِينٍ﴾ قوم شعيب ﴿كَمَا بَعَدَتْ ثَمُودُ﴾ قوم هود.

٩٦ / ١١

٩٦- ﴿وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا﴾ المناسبة لهذه الرسالة جوا و زما ﴿وَ سُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ بينها، و عله شعبان العصا، اختص بالذكر لأن حاجتها أبلغ من غيرها.

٩٧ / ١١

٩٧- ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَ مَلَأَهُ﴾ الفرعونيين ﴿فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ﴾ إلا السحرة إذ آمنوا فى آخر الأمر ﴿وَ مَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ إذ كان خاليا عن أى برهان و رشد.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٢٣٣

٩٨ / ١١

٩٨- ﴿يَقْدُمُ﴾ إماما و أماما ﴿قَوْمَهُ﴾ المتبعين أمره حيث كانوا يلحقونه متابعة متواترة ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ﴾ يوم الدنيا ﴿النَّارَ﴾ فيوردهم يوم القيامة طبقا عن طبق ﴿وَ بَشَّسَ الْوَرْدُ﴾ الماء الذى يرده العطاش ﴿الْمُورُودُ﴾ لهم يوم القيامة "جزاء وفاقاً".

٩٩ / ١١

٩٩- ﴿وَ اتَّبِعُوا﴾ كما اتبعوه ﴿فِي هَذِهِ الدُّنْيَا﴾ ﴿لَعْنَةً﴾ من الله في حياة لعينة و غرق لعين ﴿وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَبْسُ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ﴾ و هو العطية المعطاة، لعنة بديل رحمة.

١٠٠ / ١١

١٠٠- ﴿ذَلِكَ﴾ العظيم المنبّه هو ﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى﴾ المكلفة المتخلفة ﴿نَقَصُهُ عَلَيْكَ﴾ قصاً تاريخياً دون تحليق، حيث القرآن ليس كتاباً قصصياً، بل إن قصصه ذكرى ﴿مِنْهَا قَائِمٌ﴾ لم يحصد ﴿و﴾ منها ﴿حَصِيدٌ﴾ و كلاهما زرع لحصاد مهما اختلفت ألوانه هنا و هناك، حيث القائم بائد عن أهله كما الحصيد، و كلاهما ذكرى لأولى الألباب.

١٠١ / ١١

١٠١- ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾ بما استأصلناهم بعذاب ﴿وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ فانعكس ظلمهم البادى إلى جزاء وفاق، هنا و إلى جهنم و بسئ المصير ثم ﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ﴾ فيما أصبناهم ﴿الْإِهْتِهَامُ﴾ التى ألهمتهم ﴿الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَ مَا زَادُوهُمْ﴾ عند أمره و قبله ﴿غَيْرَ تَتَّبِيبٍ﴾ تقطيع عن الله ثم عن الحياة السليمة.

١٠٢ / ١١

١٠٢- ﴿وَ كَذَلِكَ﴾ يكون ﴿أَخَذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى﴾ دون إهمال و لا إمهال ﴿و﴾ الحال ﴿هِيَ ظَالِمَةٌ﴾ أنفسيها و أنفس الآخرين ﴿إِنْ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ فإنه أرحم الراحمين فى موضع العفو و الرحمة و أشد المعاقبين فى موضع النكال و النقمة.

١٠٣ / ١١

١٠٣- ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ بينة ربانية ﴿لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ﴾ دون سواه، إذ لا يكفى التوحيد ما لم يعتقد عذاب الآخرة، فإن ﴿ذَلِكَ﴾ اليوم ﴿يَوْمَ مَجْمُوعٍ لَهُ النَّاسُ﴾ ككل حساباً و جزاء ﴿وَ ذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ﴾ للكل، بنفسه و بالأحوال و الأعمال فى ذلك الحشد المحشور.

١٠٤ / ١١

١٠٤- ﴿وَ مَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ﴾ عندنا ﴿مَعْدُودٍ﴾ لدينا، دون عجز أو خوف أو غفلة.

١٠٥ / ١١

١٠٥- ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ أَبَدًا﴾ ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ إذ فات يوم التكليف الاختيار و جاء يوم الأمر الاضطرار ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَ﴾ منهم ﴿سَعِيدٌ﴾ فى ذلك اليوم بما قدموا من شقاوة و سعادة، و ذلك اليوم يعم يومى البرزخ و القيامة الكبرى.

١٠٦ / ١١

١٠٦- ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُّوا فِي النَّارِ﴾ نارا جزاء نار فى دار القرار ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ﴾ صوت شديد ﴿وَ شَهيقٌ﴾ صوت خفى، متموجاً يؤذى بقسميه، أو كلٍّ لمستحقه جزاء وفاقاً.

١٠٧ / ١١

١٠٧- ﴿خَالِدِينَ﴾ باقين ﴿فِيهَا﴾ النار ﴿مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَ الْأَرْضُ﴾ عمرهما هنا فى البرزخ حيث لا تزولان إلا عند القيامة، أو قدر عمرهما فى الآخرة، أو إشارة إلى طول خلودهم فيها ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ لمن يستحق الخلاص منها برزخاً أو أخرى ﴿إِنْ رَبُّكَ فَاعِلٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ فليست النار - إذا - هى اللامحدودة فى خلودها حيث المعاصى محدودة، ثم الجنة:

١٠٨ / ١١

١٠٨- ﴿وَ أَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا﴾ مجهولة الفاعل حيث إن أصل السعادة من الله، فالخير كله بيدك و الشر ليس إليك ﴿فَفِي الْجَنَّةِ﴾ برزخاً و أخرى ﴿خَالِدِينَ﴾ فيها ما دامت السماوات و الأرض إلا ما شاء ربك ﴿استثناء بمشيئته الربانية أن له ذلك حيث

الجنة من فضله و النار من عدله ﴿عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُودٍ﴾ فَإِنْ جَدَّ بِفَصْلِ بَيْنِ الْبَرَزَخِ وَ الْقِيَامَةِ فَهُوَ مُتَّصِلٌ بَعْدَ هَنِيئَةٍ، وَ لَيْسَ بَيْنَهُمَا عَذَابٌ، فَالْجَنَّةُ عَطَاءٌ غَيْرٌ مَجْذُودٌ بِفَضْلِ اللَّهِ وَ النَّارُ جَزَاءٌ مَجْذُودٌ بِعَدْلِ اللَّهِ.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٢٣٤

١٠٩ / ١١

١٠٩- ﴿فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ﴾ وَ تَرَدَّدَ، كَخَطَابِ عام، ثُمَّ فِي خُصُوصِهِ (ص) هُوَ مِنْ بَابِ "إِيَّاكَ أَعْنَى وَ اسْمَعِ يَا جَارَةَ" ﴿مِمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ﴾ الْإِنْكَادُ ﴿مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ﴾ هَذَا تَقْلِيدًا أَعْمَى دُونَ بَرَهَانٍ وَ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ ﴿وَ إِنَّا لَمَوْفُونَ بِنَصِيْبِهِمْ﴾ بَعْدَ مَوْتِهِمْ ﴿غَيْرَ مَنْقُوصٍ﴾ عَمَّا يَسْتَحِقُّونَ، مَهْمَا كَانَتِ الْجَنَّةُ فِيهَا مَزِيدًا عَلَى اسْتِحْقَاقِهَا لِأَنْهَا "عَطَاءٌ غَيْرٌ مَجْذُودٌ".

١١٠ / ١١

١١٠- ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾: التَّوْرَةُ ﴿فَاخْتَلَفَ فِيهِ﴾ مُخْتَلَفَ الْاِخْتِلَافَاتِ ﴿وَلَوْ لَا كَلِمَةُ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ أَنْ يُؤْجَلَهُمْ إِلَى أَمَدٍ "مَتَاعٌ إِلَى حِينٍ" (٣٦: ٢) ﴿لَقَضَى بَيْنَهُمْ﴾ قِضَاءَ الْحَقِّ جِزَاءً وَفَاقًا ﴿وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ﴾ رَغْمَ أَنَّهُ "لَا رَيْبَ فِيهِ" وَ لَكِنَّهُمْ يَتَظَاهَرُونَ لِمَرْبِيهِ حَتَّى يَضِلُّوا الْبَسْطَاءَ.

١١١ / ١١

١١١- ﴿وَإِنَّ كُلًّا﴾ مِنْهُمْ صَالِحِينَ وَ طَالِحِينَ ﴿لَمَّا﴾ تَقُومُ الْقِيَامَةُ ﴿لِيُوفَيْنَهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ﴾ إِذْ هِيَ الْجِزَاءُ بِمَلَكُوتِهَا، وَ مِنْ تَوْفِيقِهَا إِظْهَارُهَا بِنَفْسِهَا لِيَعْلَمُوا أَنَّهُمْ عَمَلُوهَا ﴿إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

١١٢ / ١١

١١٢- ﴿فَاسْتَقِمْ﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿كَمَا أُمِرْتَ﴾ فِي هَذِهِ الشَّرْعَةِ الْآخِرَةِ ﴿وَ﴾ لِيَسْتَقِمَّ بِمَا تَدْعُوهُ ﴿مَنْ تَابَ﴾ إِلَى اللَّهِ ﴿مَعَكَ﴾ وَ هَذِهِ الْآيَةُ مِمَّا شَبَّهَتْهُ إِذْ أَمَرَ أَنْ يَقُومَ التَّائِبِينَ مَعَهُ كَمَا هُوَ قَائِمٌ لَا يَنْكَسِرُ ﴿وَ لَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

١١٣ / ١١

١١٣- ﴿وَ لَا تَرْكُوتُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أَيَا كَانَ، فِي ظُلْمِهِمْ وَ سِوَاهُ، مَا صَدَّقَ الرُّكُونَ إِلَيْهِمْ فِي حَيَاةِ إِيْمَانِيَّةٍ ﴿فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ الَّتِي تَمْسَهُمْ، ثُمَّ ﴿وَ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ تَظُنُّونَهُمْ أَوْلِيَاءَ ﴿ثُمَّ لَا تَنْصُرُونَ﴾ مِنَ اللَّهِ، كَمَا لَا يَنْصُرُكُمْ سِوَاهُ، وَ الرُّكُونَ "إِلَى" اعْتِمَادٍ، وَ لَا يَعْتَمِدُ إِلَّا الْعَادِلُ.

١١٤ / ١١

١١٤- ﴿وَ أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَى النَّهَارِ﴾ عَلَيْهِمَا الصُّبْحُ وَ الْعَصْرُ، وَ عَلَيْهِمَا مَعَ الظُّهْرِ اعْتِبَارًا بِالطَّرَفَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ: الْفَجْرِ وَ الظُّهْرِ وَ الْآخِرَيْنِ: الظُّهْرِ وَ الْعَصْرَ، لِأَنَّ الظُّهْرَ مِنَ الصَّلَاةِ الْوَسْطَى وَ كَمَا "أَقِمِ الصَّلَاةَ لِلدُّلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَ قُرْآنَ الْفَجْرِ" (١٧: ٧٨) ﴿وَ زُلْفَا﴾ قِطْعَاتُ ﴿مِنَ اللَّيْلِ﴾ هِيَ الْعِشَاءُ وَ تَهْجِدُ اللَّيْلِ حَيْثُ الرَّسُولُ (ص) هُوَ الْمُخَاطَبُ هُنَا، وَ الثَّلَاثَةُ هِيَ أَوَّلُ الْجَمْعِ الْمَتَعَوِّذِ ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ﴾ مِثْلُ الصَّلَاةِ وَ هِيَ عَمُودُ الدِّينِ وَ عِمَادُ الْيَقِينِ ﴿يَذْهَبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ وَ هِيَ الصَّغَائِرُ، كَمَا "إِنْ تَجْتَنَّبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نَكُفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَ نُدْخِلْكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا.." (٤: ٣١) ﴿ذَلِكَ﴾ الْأَمْرُ فِي ذَلِكَ الْإِذْهَابِ ﴿ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾ اللَّهُ، فَ"إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَ الْمُنْكَرِ وَ لَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ..".

١١٥ / ١١

١١٥- ﴿وَ اصْبِرْ﴾ عَلَى مَا أَصَابَكَ فِي سَبِيلِ رَبِّكَ دُونَ تَأَخُّرٍ عَمَّا يَجِبُ عَلَيْكَ، بَلْ تَزِيدُ قُوَّةَ عَلَى قُوَّةٍ فِيهَا ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ وَ الصَّبْرُ فِي اللَّهِ إِحْسَانٌ فِي الْإِيْمَانِ.

١١٦ / ١١

١١٦- ﴿فَلَوْ لَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ﴾ و هم أصحاب الحالات الصالحات الباقية يدعون إلى الله و يأمرون و ﴿يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ من مهالك الجحود ﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ﴾ ظالمين أصولا لم ينهوا و لم ينتهوا عن الفساد في الأرض، ثم فروعا لم ينتهوا ﴿وَكَانُوا﴾ كل ﴿مُجْرِمِينَ﴾ مهما اختلفت دركاتهم.

١١٧ / ١١

١١٧- ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ﴾ أبدا ﴿لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ﴾ منها ﴿وَأَهْلُهَا﴾ الأهلون لإصلاح ﴿مُصْلِحُونَ﴾ و أما الظالمون منها حيث لا ينهاهم العادلون إصلاحا فربك مهلكهم أجمعين.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٢٣٥

١١٨ / ١١

١١٨- ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ﴾ تكويننا مسيرا ﴿لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ في الهدى ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ في الحق المرام قضية التكليف المختار.

١١٩ / ١١

١١٩- ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾ فلا يختلف في الحق بل هو مؤتلف فيه، اللهم إلا اختلافا لقصور كما هو قضية عدم العصمة ﴿وَلِذَلِكَ﴾ العظيم العظيم من رحمهم ﴿خَلَقَهُمْ﴾ كغاية أصلية ف" يا أيها الناس أعبُدوا ربَّكم الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ" (٢: ٢١) ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ في وعيده ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ فريق للمكوث فيها و آخر للمرور عليها ف" إِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا. ثُمَّ نُنْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا" (١٩: ٧١).

١٢٠ / ١١

١٢٠- ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ﴾ إليهم و عليهم ﴿مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ على ذلك الحق الأخير، فإنك أنت كل الرسل فلا بد أن يثبت فؤادك: قلبك المتفئد بالنور، ككلهم جميعا ﴿وَالْحَالُ أَنْ﴾ جاءك في هذه القصص و الآيات و الشريعة الأخيرة ﴿الْحَقُّ﴾ كله، لا حق تشارك فيه سائر الشرايع ﴿وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى﴾ هما الخاتمة لكل خاتمة و ذكرى ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ بهذه الرسالة.

١٢١ / ١١

١٢١- ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ ضدى و ضد هذه الرسالة الأخيرة فإن الله هو الذى يحفظها عن الضياع ﴿إِنَّا عَامِلُونَ﴾ على مكانتنا، فلننظر أى الفريقين أحق بالأمن إن كنتم مؤمنين.

١٢٢ / ١١

١٢٢- ﴿وَأَنْتَظِرُوا﴾ العاقبة الناتجة هنا و فى الأخرى ﴿إِنَّا﴾ معكم ﴿مُنْتَظِرُونَ﴾ و اين انتظار من انتظار، انتحار من انتصار.

١٢٣ / ١١

١٢٣- ﴿وَلِلَّهِ﴾ لا سواه ﴿غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ﴾ لا إلى سواه ﴿يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ بكل معانيه ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَما رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾.

سورة يوسف

١ / ١٢

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ من الحروف التلغرافية القرآنية، و هي بطبيعة الحال الواقعة بداية السورة، لها رباط وثيق بها كتأويلات لها خفية عن سائر الناس، و منها بظاهر المفهوم لهم ﴿تِلْكَ﴾ التى تتلوها عليك ﴿آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ و هو ما أوحاه إليه ليلة القدر حيث يبين حقائق ربانية لمن أنزل عليه.

٢ / ١٢

٢- ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ بعد ما "إِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلَى حَكِيمٍ" (٤٣: ٤) و بعد ما "أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ" و جعلناه ﴿قُرْآنًا﴾ يقرأ و ما كان مقروا ﴿عَرَبِيًّا﴾ واضحا لا تعقيد فيه و لا ريب يعتريه. و لم يكن واضحا كأصل لغير الرسول، و لا تفصيلا للرسول "قُرْآنًا عَرَبِيًّا" ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ الحقائق المعنية به بدلالة عربية: بينة، لا تعقيد فيه، و لا عوج يعتريه.

٣ / ١٢

٣- ﴿نَحْنُ﴾ بجمعية الصفات الربانية ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ قصا تاريخيا منبها ﴿أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ مهما كان معه قصص أخرى هي مثله، و القصص القرآنية كلها أحسن القصص: "اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا.." (٣٩: ٢٣) و إن أحسن القصص و أبلغ الموعظة و أنفع الذكر كتاب الله عز ذكره ﴿بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾ فكله أحسن القصص ﴿وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ﴾ فـ "ما كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَ لَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا" (١١: ٤٩) "ما كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَ لَا الْإِيمَانُ" (٤٢: ٥٢).

٤- ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ﴾ خفاء عن إخوته ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ﴾ إذ عنى منها إخوته الأحد عشر و أبواه: "الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ" ﴿لِي سَاجِدِينَ﴾ سجودا لله عبودية ولى حرمة لله أن أكرمنى بينهم كما فى "اسْجُدُوا لِأَدَمَ".

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٢٣٦

٥ / ١٢

٥- ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ﴾: الابن الصغير ﴿لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ لا قبل له إلا أن يشاء الله ربى شيئا ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ عداؤه، و شيطنة الحسد تعادى المحسود بصورة مبينة.

٦ / ١٢

٦- ﴿وَكَذَلِكَ﴾ المقام العظيم ﴿يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ﴾ من بين الطاهرين ﴿وَ يَعْلَمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ و هي أحداث الروى و سواها من طعام كما علمه، و سائر الوحي أحكاميا برسالة ﴿وَ يَتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾ شخصا ﴿وَ عَلَى آلٍ يَعْقُوبَ﴾ الرساليين عموما ﴿كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْحَاقَ﴾ حيث اجتباهما كما اجتباك مهما اختلفت درجاتهما ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ فيما يفعل، فإتمام النعمة هنا و هناك نسبى حسب دور الرسالة و زمانها.

٧ / ١٢

٧- ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَ إِخْوَتِهِ﴾ الأحد عشر ﴿آيَاتٌ﴾ على الحق المرام ﴿لِلسَّائِلِينَ﴾ عنه.

٨ / ١٢

٨- ﴿إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَ أَخُوهُ﴾ بن يامين ﴿أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنَّا﴾ كما يظهر من عشرته معهما دوننا ﴿وَ﴾ الحال أننا ﴿نَحْنُ عَصَبَةُ﴾ جماعة متعصبة بعضها ببعض و نحن كبار و أقوياء، فكيف يحبهما أكثر منا ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ﴾ فى عشرته ﴿مُبِينٍ﴾ ضلاله بذلك الحب الأكثرى الفاضى، فإنه حب أكثر مما تقتضيه الطفولة.

٩ / ١٢

٩- و لأن يوسف هو بالفعل أحب من أخيه إلى أبينا ﴿افْتُلُوا يُوسُفُ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾ بعيدة يضل عنه أبوه، حتى ﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾ انحسارا عنه فانحصارا فيكم ﴿وَ﴾ حتى ﴿تَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ فالحين لحياة عائلية حبيبة، لا صالحين

بتوبة، إذ ليست هي من نتائج قتله أو طرحه شرطا، بل هو من الواجبات عليهم بعد، فليس "كونوا" أمرا مصلحا، بل "تَكُونُوا" جزاء ثانيا لشرط "إن تقتلوه يخل .. و تكونوا" أتوماتيكيا.

١٠ / ١٢

١٠- ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ﴾ و هو أعقلهم و أصلحهم إيمانا و أحوطهم فيما يعتزمون ﴿لَا تَقْتُلُوا يَوْسُفَ﴾ كأصل، و لا تطرحوه أرضا بسبب موته، بل ﴿وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ﴾ المعروف بتعريف اللام و له غيابة، و هو بطبيعة الحالة الحافظة على حياته، الحائطة عليه، بئر فيه ماء قريب ترده السيارة متعودين، إذا فغيابته مكان قبل ماءه، غائب عن الرواية، يمكن المكوث في خلاله، فإذا ألقيتموه في غيابة الجب ﴿يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ﴾ السائرة المارة عليها ﴿إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ فعلا لإبعاده عن أبيه، ففاعلين ذلك الإلقاء بديل إلغاء قتلا أو طرحا في أرض، ثم إلقاءه في غيابة الجب حفاظا عليه هو اقتراح بالفعل يبعدهم عن قتله، فقد يقصد جعله فيها دون إلقاء فيه إلغاء، و كما "أَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ" إذ أصلحوا رأيهم بما أشار إليهم في "يَلْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ" مهما لم يصرح بجعله بداية، و كما أن إلقاءه يعم إلى إلغاءه إبقاءه.

١١ / ١٢

١١- و هنا يحتالون لأخذه من أبيه إذ ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يَوْسُفَ﴾ مما يدل على استمرارية الحائطة عليه من أبيه ﴿وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ﴾ نصح الكبير للصغير الغالي الحبيب.

١٢ / ١٢

١٢- ﴿أَرْسَلْنَاهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعُ﴾ في مراتع ﴿وَيَلْعَبُ﴾ فيها، و كما هي قضية الطفولة ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ عن أية إصابة و نحن عُسْبَةٌ تعصبًا و تجمعا مع بعضنا البعض.

١٣ / ١٢

١٣- ﴿قَالَ﴾ يعقوب ﴿إِنِّي لَيَحْزَنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ﴾ فأتحسر من فراقه، ثم ﴿وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ﴾ و الذئب لا يأكل الإنسان، و إنما عرضه لكي يتحولوا عن قتله إلى مثل هذا الكذب حيلة، بديل غيلة ﴿وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ فمهما لم يكن تعمد في ذلك، و لكن الغفلة قد تعمل عمله.

١٤ / ١٢

١٤- ﴿قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَ﴾ الحال أننا ﴿نَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ قوية قوة و رقابة ﴿إِنَّا إِذَا لَخَاسِرُونَ﴾ كل قواتنا، فنحن - إذا - ضعفاء لحد لا نقدر على الحفاظ عليه، أو أقوياء أغوياء نتعمد في هدر أخينا الصغير، و أنت لا ترضى خسارنا على قوتنا.

١٥ / ١٢

١٥- ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ﴾ حيلة، و قد اضطر أبوه أن يأمنهم فيه، حيث الإصرار على عدمه كان فيه ما كان و أخطر مما صمموه فيه ﴿وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ﴾ دون أن يلقوه ﴿فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ﴾ المعروف بين كنعان و مصر، و إلا لكان "جب" منكرا ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا﴾ فيما بعد ﴿وَالْحَالُ أَنْ﴾ ﴿هُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بك فضلا عما فعلوا بك، إذ قالوا: "أَ إِنَّكَ لَأَنْتَ يَوْسُفُ؟" ثم ذلك كان إنباء، دون رسالة و لا نبوة و لَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَ عِلْمًا وَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ" (٢٢) و هو حينئذ في القصر الملكي الفرعوني قبل أن تراوده امرأة العزيز عن نفسه.

١٦ / ١٢

١٦- ﴿وَجَاءُوا﴾ من سفرهم مع يوسف ﴿أَبَاهُمْ عِشَاءً﴾ لا نهارا حتى لا يبعثهم تحسسا عنه فيه، حال أنهم ﴿يَكُونُونَ﴾ ليروا عدم عمدهم في ترك يوسف، فلا هم عامدون فيه و لا قادرون أن يتحسسوا عنه عشاء، كيدا على كيدا.

١٧- ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾ بعضنا بعضا فى سباق، و يوسف طفل لا يقدر على إستباق ﴿وَوَلَّوْنَا يَوْسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا﴾ حتى يحافظ عليه ﴿فَأَكَلَهُ الذَّبُّ﴾ كما حذرنا عنه ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ فيما نقول، إذ سبق منا ظاهر الحسد، ثم كيف يأكله الذب و أنتم أخوة عصبية قوية محافظة على تلك الأمانة ﴿وَلَوْ﴾ مستحيلا ﴿كُنَّا﴾ هنا ﴿صَادِقِينَ﴾ فيما نقول، فإن أمارات الكذب لا تـُحـَـثـَـة.

١٨- ثم ﴿وَجَاءُوا﴾ بعد ما جاءوه ﴿عَلَى قَمِيصِهِ﴾ عاليا معهم كعلم لصدقهم ﴿بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ نفس الدم عليه لم يكن من إنسان، ثم القميص لم يكن ممزقا أكل صاحبه، فالكاذب ناس يخطأ و يبرز كذبه من حيث لا يريد ﴿قَالَ﴾ لا يدل هذا القميص بدم كذب إلا على كذبكم ﴿بَلْ سَوَّلَتْ﴾ زينت إغواء ﴿لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ﴾ الأمانة بالسوء ﴿أَمْراً﴾ تخفونه عنا و نحن عارفون بما سولت لكم أنفسكم ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ أمام هذه الواقعة، دون جزع و فزع عند غير الله، و لا سوء ظن بالله، و لا انظلام أمام الظلم الواقع، بل نـَـمـَا أَشْكُوا بَنَى وَ حَزَنَى إِلَى اللَّهِ وَ أَعْلَمَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿وَاللَّهُ﴾ لا سواه هو ﴿الْمُسْتَعَانُ﴾ لى ﴿عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ من أمركم الإمر الكذب.

١٩- ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ﴾ إذ كان الجب على طريق القوافل ﴿فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ﴾ و هو قاصد الماء بينهم حتى يرد الماء من قريب أو بعيد كالجب ﴿فَادَّلَى دَلْوَهُ﴾ فتعلق به يوسف و هو على غيابه فصعد معه ﴿قَالَ﴾ واردهم ﴿يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ﴾ صعدناه بديل الماء ﴿وَأَسْرُوهُ﴾ عمن سواهم مخافة أن يؤخذ ﴿بِضَاعَةٍ﴾ عالية ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ ه بضاعة، ما هو مستقبل هذه البضاعة، مهما جهلها غير الله.

٢٠- ﴿وَوَسَّوْهُ بِثَمَنِ بَخْسٍ﴾ إذ لم يعرفوا قدره ﴿دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ إذ لم يحصلوا عليه بكد ﴿وَوَكُنَّا فِيهِ﴾ يوسف ﴿مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ المقلين ثمننا، و هذه مرحلة ثانية تـَـمـْضـى على يوسف (ع) بعد أن ألقوه فى غيابة الجب.

٢١- ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ﴾ و هو العزيز ﴿لِامْرَأَتِهِ﴾ زليخا ﴿أَكْرَمِي مَثْوَاهُ﴾ مكانا و مكانة، إذ عرفها من وجنات وجهه ﴿عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا﴾ نفعا عاليا ﴿أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ لنا إذ لم يولد لنا ولد و ﴿كَذَلِكَ﴾ العظيم ﴿مَكْنَأُ﴾ مكانة عالية ﴿لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾ الملكى الفرعونى، لكى نرفع من مكانته ﴿وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ نوما و يقظة بغيب الوحى ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾ الذى يريدہ ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ جهلا أو تجاهلا.

٢٢- ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ و أقلها شدات ثلاث: جسما و عقلا و رشدا، كما يليق بالرسالة الربانية ﴿آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَ عِلْمًا﴾ بوحى ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ بدرجاتهم.

٢٣- ﴿وَرَاودَتْهُ الْيَتَّى هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾ و هى زليخا امرأة العزيز، و المراودة هى من الرود: التردد فى طلب شىء برفق و لينة، بكل سعى و إصرار و حيلة ﴿وَوَلَّغَتْ الْأَبْوَابَ﴾ الظاهرية حتى لا يفر منها، و كذلك أبواب العذر حتى لا يعتذر ﴿وَوَقَّالَتْ﴾

له ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ و يلاك، ما ذا يمنعك عن حظوة الجنس معي ﴿قَالَ مَعَادُ اللَّهِ﴾ و هو العذر ﴿إِنَّهُ رَبِّي﴾ و قد رباني طاهرا نقياً ﴿أَحْسَنَ مَتَوَايَ﴾ منذ ولادى ﴿إِنَّهُ لَا يَفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾.

٢٤ / ١٢

٢٤- ﴿وَلَقَدْ﴾ فى تأكيدين اثنين ﴿هَمَّتْ بِهِ﴾ كما كانت تستطيع و لما ﴿وَهَمَّ﴾ بها يوسف دون تأكيد، بطبيعة الحال البشرية و لكن ﴿لَوْ لَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ و هو برهان العصمة ببصيرته، إذ كَلَّتْ سائر البراهين، فلم يهَمَّ بها أبداً ﴿كَذَلِكَ﴾ أريناه برهاننا العصمة الربانية التى أوتيتها ﴿لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ﴾ هما بها ﴿وَالْفَحْشَاءَ﴾ عملا معها ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ " و لَأَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ. إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ " (٤٠: ١٥) و الهَمُّ بالأجنبية فضلا عن مراودتها غواية.

٢٥ / ١٢

٢٥- ﴿وَأَسْتَبَقَا﴾ فى مراودتها إياه ﴿الْبَابَ﴾ الممكن خروجه منها بين الأبواب المغلقة، بعد أن " غَلَقَتِ الْأَبْوَابَ " ﴿وَقَدَّتْ﴾ شقت طولاً ﴿قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ﴾ مما يدل على ملاحظتها إياه ﴿وَأَلْفَيَا﴾ فجأة ﴿سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ﴾ فسبقت فى إبراء نفسها بعد ما استبقت و ﴿قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾ و قد ترى ذلك الاستباق، ناسية أنها هى قدت قميصه من دبر ﴿إِلَّا أَنْ يَسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ أكثر منه.

٢٦ / ١٢

٢٦- ﴿قَالَ﴾ يوسف ﴿هِيَ رَاوَدَّتْنِي عَنْ نَفْسِي﴾ بشهادة القميص المقدود من دبر، كما ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا﴾ شهد المعركة، أو نظر إلى قميصه المقدود، و ردد الأمر بين أمرين: ﴿إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ أن شقّه من قبلها لما راودها بإصرار!

٢٧ / ١٢

٢٧- ﴿وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ﴾ هى ﴿وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ و قد كانت شهادة بالواقع المغفول عنه عند هياجه.

٢٨ / ١٢

٢٨- ﴿فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ﴾ و لم يكن قبل الشهادة يراه ﴿قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ﴾ أنتن النساء ﴿إِنَّ كَيْدَكُمْ عَظِيمٌ﴾.

٢٩ / ١٢

٢٩- هنا العزيز حفاظا على كيانه العزيز قال ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ دون إذاعة إفضاعه ﴿وَأَسْتَغْفِرِي﴾ أنت طلبا لستر ﴿لَذَنْبِكَ﴾ عن سائر الناس، حفاظا على كيان القصر ﴿إِنَّكَ كُنْتَ﴾ هنا و قبله ﴿مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ إذ كان يرى منها ملامح المراودة و لما يستبقا، ثم فى ذكورة "الْخَاطِئِينَ" لمحة إلى رجولة الخطأ منها إذ راودتها عن نفسه، و الرجل هو الذى يراود المرأة عن نفسها، إضافة إلى شمولها للذكران.

٣٠ / ١٢

٣٠- ﴿وَقَالَ﴾ مذكرة لهن، لرجولة القول على البلاط الملكى ﴿نِسْؤُهُ﴾ و هن من الطبقة العليا ﴿فِي الْمَدِينَةِ﴾ العاصمة ﴿أَمْرًا﴾ العَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ ﴿دون﴾ راودت" مما تلمح لإستمراريتها ﴿قَدْ شَغَفَهَا﴾ فتاه ﴿حُبًّا﴾ إذ دخل فى شغاف قلبها و هو أبْلَغُ الحب، و لقد تسرّب نبأ هذه المراودة لأنهن كن عشيراتها فكن يعرفنها من غنجاتها و أطوارها ﴿إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ﴾ المراودة ﴿مُبِينٍ﴾ إياها، إذ ظهر لنا، و كأنه من زليخا نفسها، و من "شاهدٍ مِنْ أَهْلِهَا".

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٢٣٩

٣١ / ١٢

٣١- فهنا تنبرى العزيزة على ما تروم بما تصانعهن حتى يعرفن جو المراودة ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾ حيث ماكرنها فى هذه القيلة الباهرة و أنها فى ضلال مبين ﴿أُرْسِلَتْ إِلَيْهِنَّ﴾ كعزيمة ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً﴾ واحدا يجمعهن، فليست هى الفاكهة كما قد يقال، و فى نفس الوقت هى حاضرة فى البلاط الملكى، و إنما "مُتَّكَأً" يتكئن عليه كنفس واحدة برياحة واحدة ﴿وَأَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا﴾ لقطع الفواكه كظاهر الأمر ﴿وَقَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيْنَ﴾ دون "ادخل إليهن" مما يلمح بانه كان فى مخبأ لا يخرج منه إلا إذا أخرج ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ﴾ رغم ما كنَّ يرين من الشباب ذوى الجمال العال ﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ بديل الفواكه التى كن يقطعنها قبل خروجه عليهن ﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ﴾ متحيرات ﴿ما هذا بشرًا﴾ فيما نعلم ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ عال فى الملائكة.

٣٢ / ١٢

٣٢- هنا حصلت العزيزة على ما تروم إذارا لنفسها أمامهن ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ﴾ العظيم العظيم هو ﴿الَّذِى لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾ و لا لوم كما عرفتن ﴿وَلَقَدْ رَاودَتْهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾ شغفا بالغا هو طبيعة الحال الأنثوية أمام مثله ﴿وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا أَمَرُهُ﴾ من حظوة الجنس ﴿لَيَسْجَنَنَّ وَ لَيَكُونَا مِنَ الصَّغِيرِينَ﴾ أمامى، و هو الآن من الكابرين المكابرين حيث لا ينزل إلى طلبى.

٣٣ / ١٢

٣٣- يرى يوسف نفسه الآن بين سجن و صغار، و لكنه يرجح سجن الجسم صغارا له على سجن الروح بصغاره ف ﴿قَالَ رَبِّ السَّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ كلهن و على رأسهن العزيزة، حيث زدن عليه بلاء فوق بلاءها، فطلب سجنا إلى حين، مهما كانت فيه عليه فرية المراودة، و لكن أين هى من النزول إلى طلبها مراودة تصل إلى الفاحشة ﴿وَالَا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ﴾ أنثوية الشهوة الشاغفة ﴿أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾ إذ لا تكفى - إذا- عصمة بشرية و لا أصل الرسالة لمكان الاضطرار ﴿وَوَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ إذ لا أستطيع بعد على مبارزتهن دون صرفك.

٣٤ / ١٢

٣٤- ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ﴾ هنا، كما استجاب له عند مراودة العزيزة إذ "هَمَّ بِهَا لَوْ لَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ" و هنا يحتاج إلى برهان ثان أقوى من الأول حيث الطرف أغوى من الأول ﴿فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ﴾ بما سجن ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ الدعاء ﴿الْعَلِيمُ﴾ بحال الداعى.

٣٥ / ١٢

٣٥- ﴿ثُمَّ﴾ بعد فصل بعيد مكيد ﴿بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ﴾ الدالة على براءته و كيدهن مع العزيزة ﴿لَيَسْجَنَنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ تخمد نيران الدعاية الجنسية ضد البلاط الملكى، ثم يروا رأيهم فيه.

٣٦ / ١٢

٣٦- ﴿وَوَدَّخَلَ مَعَهُ السَّجْنَ فَتَيَانٍ﴾ فرعونيان، ف ﴿قَالَ﴾ له ﴿أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي﴾ أرى نفسى فى الرؤيا ﴿أَعْصِرُ خُمْرًا﴾ وَ قَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبَثًا بِتَأْوِيلِهِ﴾ نتيجته الواقعية ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ حيث العشرة معه فى السجن دلهم على إحسانه لحد معرفة تأويل الروئى.

٣٧ / ١٢

٣٧- و هنا يوسف الرسول يغتنم تلك الفرصة القائمة لدعوة رسالته، و هكذا يجب على الدعاة إلى الله أن يغتنموا فرص الدعوة ف ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ﴾ هنا ﴿إِلَّا نَبَأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ﴾ مأخذا و نتيجة ﴿قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا﴾ إنباء بأصل الطعام قبل إتيانه، و بتأويل ككل ﴿ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾ الله، فليس لأحد أن يعلم مثل هذه الغيوب، إلا من الله إذ ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ﴾ طريقة و

سنة ﴿قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ إذ المؤمن بالله لا يكفر بالآخرة، هذا، و من تأويله تأويل روثيهم كما يأتي.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٢٤٠

٣٨ / ١٢

٣٨- ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي﴾ الموحدين ﴿إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ﴾ جدّي، مما يدل على عناية الجدّ من الأب دون الوالد ﴿وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا﴾ أبدا ﴿أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ أبدا ﴿ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ﴾ حيث ندعوهم إلى ما علمنا ربنا ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ الله على هذه المنحة الربانية.

٣٩ / ١٢

٣٩- ﴿يَا صَاحِبِ السِّجْنِ﴾ معي حيث صاحبتماني و عرفتmani بالإحسان ﴿أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ﴾ أيادي سبا ﴿خَيْرٌ﴾ حيث اتخذتموهم أربابا من دون الله ﴿أَمْ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارُ﴾ حيث يقهر الخلائق و أربابكم بقهره، وحيدا في ربوبيته.

٤٠ / ١٢

٤٠- ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ﴾: غيره، و أدنى منه دنو الخلق عن الخالق ﴿إِلَّا أَسمَاءً﴾ لا واقع و لا معنى لها، بل ﴿سَمِيتُوهَا أَنْتُمْ وَ آبَاؤُكُمْ﴾ إذ ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾ و حجة ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾ دون سواه فكيف تحكمون بعبادة غير الله دون سلطان، و قد ﴿أَمَرَ آلًا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ فطريا و عقليا و شرعيا ﴿ذَلِكَ﴾ العظيم هو ﴿الَّذِينَ الْقِيمُ﴾ بكل قيمة و قوامة ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ بما يجهلون مقصرين و يتجاهلون.

٤١ / ١٢

٤١- و لما يتم الحجة الرسولية مختصرة وافية يجيب عن متطلّبات لصاحبيه قائلا ﴿يَا صَاحِبِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا﴾ و هو الأول ﴿فَيَسْقَى رَبَّهُ خَمْرًا وَ أَمَّا الْآخَرُ فَيُصَلِّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ﴾ تأويلا بما علمني ربي و لا حول عنه، فقد ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ بقضاء الله.

٤٢ / ١٢

٤٢- و ذلك ظرف ثان لإظهار الحق و أنه مظلوم لا ذنب له، فليذكر الملك بالقضية، لا طلبا لنجاته عن السجن كسجن البدن، بل عن الفرية التي طالت منذ سنين كسجن للروح، لذلك ﴿وَقَالَ﴾ يوسف ﴿لِلَّذِي ظَنَّ﴾ و هو السجين الأول ﴿أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا﴾ و يوسف عالم بنجاته بما علمه ربه الرؤيا إذ ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ قال ﴿اذْكُرْنِي﴾ جئ بذكرى أننى فى السجن ﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾ الملك و لا يعنى "اذْكُرْنِي" هنا أنه نسى ربه تعالى، و إنما كان على يوسف محاولة سليمة لبراءته إذ "وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ" و ذلك الذكر وسيلة ربانية هى وصيلة لخروجه عن التهمة التى دخل بها السجن، "اذْكُرْنِي .." حتى يعرف أننى يوسف، عارف بتأويل الرؤيا و هو بحاجة إلى حتى حين، و كل ذلك خلافا لروايات من الفريقين مختلقة إسرائيلية! كما أول رؤياهما، فبذلك ينجوا من التهمة فى سجنه، ثم يملك أمر مصر رسولا ملكا ﴿فَأَنْسَاهُ﴾ الناجى ﴿الشَّيْطَانُ﴾ بعد ما قاله يوسف "اذْكُرْنِي .." ﴿ذِكْرَ رَبِّهِ﴾ أن يذكره عند ربه، فلو كان نسيان يوسف ربه فليقدم "فَأَنْسَاهُ" على "اذْكُرْنِي" ﴿فَلَبِثْتُ﴾ يوسف ﴿فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ ثم "اذْكُرْ" ما نسيه صاحبه عند ما رأى الملك رؤياه "وَ اذْكُرْ بَعْدَ أُمَّةٍ .." ثم نسيان الرب هو مفتاح كل عصيان، و لم ينس يوسف ذكر ربه عند ما راودته فى زناه و عودا بالله فكيف ينساه فى السجن الذى دخله بالتماسه و عون ربه "رَبِّ السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ" إذ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ" و ما أشبه من شهود تأتى لبراءته عن نسيان ذكر ربه! فهل إن نسيانه ذكر ربه أخرجه من سجنه، خلطا هنا الشيطان بالرحمن!.

٤٣- بعد بضع سنين من تناسبه عند الملك و الذى نجى منهما ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ﴾ فى المنام ﴿سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ﴾ أرى ﴿سَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ﴾ المعبرون الرؤيا ﴿أَفْتُونِي فِي رُءْيَايَ إِن كُنْتُمْ﴾ كما تدعون ﴿لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ عبورا عنها إلى حقائق تدل عليها.
البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٢٤١

٤٤- و لكنهم لم يعرفوا تأويلا لرؤياه، مهما تلمحوا أنها تعنى أزمة عليه، ف ﴿قَالُوا﴾ هذه ﴿أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ﴾ كخلائط من الحشيش التى لا تصلح لأمر ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ﴾ هذه ﴿الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ﴾ إذ لا تأويل لها، فليسكن و يطمئن خاطر الملك أن لا شىء يخيفه بهذه الأحلام.

٤٥- هنا ينبى الذى نجا منهما بما قاله و عمله يوسف ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ من الزمان و هى "بُضْعَ سِنِينَ" إذ "فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ" و ادَّكَرَ قوله (ع): "ادَّكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ" و أنه أول رؤياهما ﴿أَنَا أَنْبِئُكُمْ﴾ يا أصحاب البلاط الملكى ﴿بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ﴾ إلى من يعلمه، و لا موقع هنا ل "ادَّكَرَ" إلا أنه "فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ".

٤٦- فأرسلوه بما أمر الملك و بكل بدّ فقال ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾ حيث صدقتنا فى تأويل رؤيانا، و أنك سوف تأول رؤيا أخرى و قد نسيناك ﴿أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَ سَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى﴾ هؤلاء ﴿النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ تأويلها، و يعلمون أيضا براءتك.

٤٧- ﴿قَالَ﴾ من فوره، دون أن يتطلّب خلاصا من سجنه ﴿تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا﴾ استمرارا بتعب متواصل فى الحركة الزراعية ﴿فَمَا حَصَدْتُمْ﴾ منها ﴿فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ﴾ حتى لا يفسد فى أمة من الزمن الآتى ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ﴾ دون تبذير و لا إسراف، بل فى قناعة.

٤٨- ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ الزرع و الحصد و الحفاظ فى السنبيل، سنون ﴿سَبْعُ شِدَادٍ﴾ دون زرع و لا حصاد، بل بقحط و جذب ﴿يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾ ككل ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَحْصِنُونَ﴾ به جوعتكم التى لعلها تأتى بعد السبع الثانى.

٤٩- ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ القحط ﴿عَامٌ فِيهِ يَغَاثُ النَّاسُ﴾ غوثا و بغيث ﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ عبا و فواكه من كثرة الزرع.
الرابع.

٥٠- رجع الرسول و أخبرهم بالقصة ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتُونِي بِهِ﴾ لعظم محتده ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ﴾ حتى يأتى به، لم يقبل، فلو كان قوله "ادَّكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ" نسيانا لله و ذكرا لاجئا إلى الملك، لخرج مع رسوله من فوره، و لكنه ﴿قَالَ﴾ له ﴿أَرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ﴾ لا "ربنا" حيث ينكر ربوبيته الفرعونية له و هو فى سجنه ﴿فَسَلِّهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ لما رأينى فأكبرنى من ذى قبل ﴿إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ لتكمل الحجة له عليهم و عليهن فيخرج من سجنه بريئا، و هكذا كتبت أنا إلى

الملك السعود حين كنت سجيناً عنده بتهمة التهريج و لم يكن منى إلا دعايات ضد الشاه عليه لعنة الله، أننى أتبع أخى الأكبر يوسف الصديق، فلا أخرج من سجنك حتى تعترف ببراءتى فحصل ما طلبت بحمد الله.

٥١ / ١٢

٥١- ﴿قَالَ﴾ لهن الملك ﴿مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾ مرادة له إيانا، فقد راودناه شغفا، فانبرت ف ﴿قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ﴾ ظهورا لا يحتمل أو يتحمل أى خفاء مهما أخفيناه من ذى قبل ﴿أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ حقا.

٥٢ / ١٢

٥٢- ﴿ذَلِكَ﴾ الحق المحصص منى أنا يوسف ﴿لِيَعْلَمَ﴾ العزيز ﴿أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾ و كما اتهمونى رغم الآيات الشاهدة لبراءتى ﴿وَ أَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْخَائِنِينَ﴾ مهما كانوا أقوياء فإنهم أغوياء، فلم يهد ربي كيد العريضة و من معها، بل هدى إلى براءتى حيث اتقيت.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٢٤٢

٥٣ / ١٢

٥٣- ﴿وَ مَا أُبْرِئُ نَفْسِي﴾ الإنسانية بطبيعة حالها البالغة لعصمتها غير الربانية، لـ ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ و لا سيما مثل هذه الظروف المحرجة المغلطة ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ كما رحمى عند مراودتها أن أرانى برهانه، و عند كيدهن إذ صرف عنى كيدهن ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

٥٤ / ١٢

٥٤- ﴿وَ قَالَ الْمَلِكُ﴾ مرة ثانية ﴿أَتُتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي﴾ لا فقط لأخلصه من سجنه، و عن تهمته الداخل بها فيه، و هذه مرحلة ثانية كما عناه يوسف من "اذكرنى عند ربك" فقد كان واجبا عليه رسولا فى تبرئة نفسه أولا، فإن بقاءه فى السجن كان بقاء التهمة و قد مضى دور محنة سجنه المستدعى، و ثانيا أن يملك أمرا ربانيا فى بلد فرعونى لبيت دعوته الربانية كأحسن ما يمكن، و كما يجب استفتاح مجالات لأصحاب الدعوة الربانية لتحقيقها ما أمكن ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ﴾ إذ أتى به ﴿قَالَ﴾ الملك له ﴿إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ رغم ما مضى من ذل و تخيل خيانة.

٥٥ / ١٢

٥٥- ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾ الاقتصادية، و ذلك المطلب عند ذلك المطلب فريضة عليه رسالية لكى يمكن حق الدعوة فى الأرض الفرعونية بوسيط اقتصادى عادل ﴿إِنِّي حَفِيزٌ﴾ كما حفظت العريضة فى تغيب العزيز، و حفظت كرامتى فى السجن و خارجه ﴿عَلَيْمٌ﴾ كيف أتصرف فى "خزائن الأرض".

٥٦ / ١٢

٥٦- ﴿وَ كَذَلِكَ﴾ العظيم ﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾ الفرعونى، رغم ما حوله إخوته الحاسدون، و السيارة الزاهدون فيه، و العزيز القاصد نفعه أو تنبيهه، و العريضة المراودة إياه، و نسوة فى المدينة التابعة إياها، و السجن الذى تطلبه هو بديلا من أن يصبوا إليهن، و ناجى السجن الناسى، حتى تطلبه الملك أن يكون على خزائن الأرض ﴿يَتَّبِعُوا مِنْهَا﴾ بواء لنفسه و لآخرين ﴿حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَ لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ هنا مهما حرموا و أودوا لردح من الزمن.

٥٧ / ١٢

٥٧- ﴿وَلَا جُزْءَ الْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾ من أجر الدنيا ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ و قد نؤجرهم فقط فى الآخرة، مهما كان تقدمهم فى الدعوة أيضا من أجر الآخرة ولا يظلمون قتيلاً.

٥٨ / ١٢

٥٨- ثم السنة هى من سنَى الجذب ﴿وَ جَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ﴾ من كنعان إلى مصر ﴿فَدَخَلُوا عَلَيْهِ﴾ إذ كانت بيده خزائن الأرض ﴿فَعَرَفَهُمْ وَ هُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ إذ لا يحسبون أنه بعد حى فضلا عن أن يكون بهذه المنزلة الرفيعة فى الأرض الفرعونية.

٥٩ / ١٢

٥٩- ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ﴾ المحتاج إليه لهم ﴿قَالَ﴾ يوسف ﴿اِئْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ﴾ و كأنه عرفه حيث سأل عنهم كم عديدهم، و كيف الإخوة، و لما ذا لم يأت أخوه بن يامين، ﴿أَ لَا تَرَوْنَ أَنَّى أُوْفَى الْكَيْلِ﴾ بيعا ثم ﴿وَ أَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ المضيفين، إضافة لكيل مع إضافة الضيافة الخيرة، و هذا ترغيب، و من ثم تهيب:

٦٠ / ١٢

٦٠- ﴿فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي﴾ مهما كثر الثمن ﴿وَ لَا تَقْرَبُونِ﴾ لى لأية طلبه أو ضيافة، و هذا من أحسن الطرق للوصول إلى مطلوب لا يحصل دون جو صالح، و هنا هم ملجأون ليكونوا عند طلبه.

٦١ / ١٢

٦١- ﴿قَالُوا سَرَاوُدُ عَنْهُ أَبَاهُ﴾ كما راودوا عن يوسف نفسه أباه ﴿وَ إِنَّا لَفَاعِلُونَ﴾ حتما حيث الحاجة المدفوعة تسمح له سماحا و أكثر من سماحه لمراودة يوسف عن أبيه، خطورة نفسية.

٦٢ / ١٢

٦٢- ﴿وَ﴾ لى يشجعهم أكثر مما صمّموا عليه ﴿قَالَ لِفَتْيَانِهِ﴾ و هم عماله ﴿اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ﴾ الثمن ﴿فِي رِحَالِهِمْ﴾ التى فيها سلعتهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا﴾ راجعة إليهم ﴿إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ﴾ إذا و بكل بد ﴿يَرْجِعُونَ﴾ مع بن يامين إلينا.

٦٣ / ١٢

٦٣- ﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا﴾ فور وصولهم إليه ﴿يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ﴾ كتحذير فيما هم بحاجة حيوية إليه، و أما الحل ﴿فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا﴾ لى ﴿نَكْتَلُ﴾ كما قرر علينا لمرة أخرى ﴿وَ إِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ إياه عن كل حادثة و كارثة، دون تكرار لما سبق فى يوسف.

٦٤ / ١٢

٦٤- و من طبع الجواب هنا بعد ما فعلوا بيوسف من قبل أن ﴿قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ﴾ إذ فللتموه من يدى ﴿قَالَ اللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا﴾ دونكم أنتم الخونة و لا غيركم ﴿وَ هُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ فى موضع العفو و الرحمة.

٦٥ / ١٢

٦٥- و حتى الآن لا يسمح لذهاب أخيهم معهم ﴿وَ لَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ﴾ فتعجبوا من ذلك اللطف و العطف العظيم، ف ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي﴾ من صاحب خزائن الأرض ف ﴿هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾ فإن أرسلت معنا أخانا ﴿وَ نَمِيرُ أَهْلَنَا﴾ ميزة الزاد، فلا يظلمون جياعا بائسين ﴿وَ نَحْفَظُ أَخَانَا﴾ من الجوع و من أية كارثة، ثم ﴿وَ نَزِدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾ لأخيها و هو المطلوب هنا لإيفاء الكيل و الإضافة الخيرة أكثر مما كان، و ﴿ذَلِكَ﴾ الذى معنا بجنبه ﴿كَيْلُ يَسِيرٍ﴾ بجنب الموعود الكثير الكثير، فهل أنت تمانعنا عن ذلك الكثير.

٦٦ / ١٢

٦٦- هذه مؤكّادات من ناحية الميرة الاقتصادية الضرورية، و لكن نفس أخيهم أولى منها، و لذلك ﴿قَالَ﴾ في جوابهم ﴿لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ﴾ أبداً ﴿حَتَّى تُوْتُونَ﴾ ي ﴿مَوْتَقًا﴾ يوثق به ﴿مِنْ اللَّهِ﴾ لا منكم، كما كان في يوسف ﴿لَتَأْتُنَّنِي بِهِ﴾ دون معاذير كما سبق في أخيه ﴿إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ﴾ دون تقصير منكم كما قصّرتُم ﴿فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْتَقُهُمْ﴾ من الله، حلفا بالله أو عهدا، ثم استحقاقا بالله دون سابق قولهم "إِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ" فيه، و في يوسف من ذى قبل، كما و هو يعلم أن يوسف حى بعد و سيصل إليه، فلا خطر - إذا- في بعث أخيه ﴿قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ﴾ أنا و أنتم في هذا الموقف الرهيب ﴿وَكَيْلُ﴾ دون سواه، و هنا سمح لهم بأخذه معهم، رعاية لظاهر حالهم، و وقاية لظاهر مطلوبهم، و وصولا إلى يوسف.

٦٧ / ١٢

٦٧- ﴿وَقَالَ﴾ فيما قال مما يؤكّد على حفظه و عدم التساهل و التغافل في أمره ﴿يَا بَنِي لَا تَدْخُلُوا﴾ إذا دخلتم على صاحب الخزائن ﴿مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ﴾ من قصره حتى لا تأخذكم عين و لا شين، و لا "باب واحد" من أبواب الدخول مدخل المطلوب منه و منكم حتى تفلّوا عما يراد بكم من الإبقاء عليه ﴿وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ﴾ و هذه تكتيكة احتياطية لكل من يدق بابا لمقصده و مقصوده، حيث الأبواب المتفرقة أنجح للوصول إلى المقصود، ثم ﴿وَمَا أَغْنَى عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ قدر أن يحصل، فإن هذه أسباب ظاهرة قد يعارضها سبب ربانى ليس فى وسع أحد أن يعالجه ﴿إِنَّ الْحُكْمَ﴾ مطلقا و فى التكوين و التوفيق و الحفظ ﴿إِلَّا لِلَّهِ﴾ و طبعا بعد تقديم كافة المساعى الممكنة الصالحة ﴿عَلَيْهِ﴾ لا سواه من أسباب ﴿تَوَكَّلْتُ وَ عَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ فتوكلا عليه امضوا لحاجتكم و عين الله يراكم، فلا يتحقق سلب و لا إيجاب من أى سالب أو موجب إلا بإذن الله كتابا مسطورا، مهما كان لهما اختيارات و محاولات فى مقدمات.

٦٨ / ١٢

٦٨- ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا﴾ على يوسف ﴿مِنْ حَيْثُ﴾ مكان و مكانة ﴿أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ﴾ ذلك الاحتياط ﴿يَغْنَى عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ حيث يريد غيرهم ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ من رده إلى أبيه ﴿إِلَّا حَاجَةً﴾ حفاظية ظاهرية ﴿فِي نَفْسٍ يَعْقُوبَ قَضَاهَا﴾ هو بما أمرهم، مما يدل على أن السعى وراء المسموح لا ينافى أن الله يريد سواه، إذ لا يعلم الغيب إلا الله "وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ" (٧: ١٨٨) فعليك الحركة و على الله البركة ﴿وَأَنَّهُ لَذُو عِلْمٍ﴾ بما حصل و يحصل فى أمر ابنه ﴿لَمَّا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فيخيل إليهم أن الأخذ بالحائطة يحتم الوصول إلى المقصود، و أن يعقوب ليس بذى علم بما علمناه.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٢٤٤

٦٩ / ١٢

٦٩- ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ﴾ مدخلهم ﴿أَوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾ من أبويه و هم من أبيه ثم ﴿قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ﴾ الذى افتقدته ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ بى و بك، و قد حصلنا على بغيتنا الغالية، فقد أرادوا بنا شرا فحوّله الله لنا خيرا.

٧٠ / ١٢

٧٠- و صحيح أنه كان من عزمه (ع) إبقاء أخيه عنده، و لكن حبه الزائد الخفى ليس حجة له، فلجأ إلى عملية شرعية أخرى موضوعية، ترجيحاً للأهم على المهم، و كما هى القاعدة السائدة فى الدوران و كما احتالوا، تهاترا فيها يحصل بها على أخيه ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ﴾ المتعود و زيادة موعودة ﴿جَعَلَ السَّاقِيَةَ﴾ المشربة ﴿فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾ إذ كان لكل رحل فيه زاده، و ليس فيه ذلك الجعل أية تهمة تمس من كرامته، و لا سيما أنها حيلة بحيلة، و ليست غيلة، حيازة لأخيه بمراضات ربه، حيث الجهار هو خلاف الوعد ﴿ثُمَّ أَذْنٌ مُؤَدِّنٌ﴾ من فتياه إذ افتقدوا السقاية ﴿أَيُّهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ لا "أنتم سرقتم سواع الملك" و مهما

كان ذلك الأذان بإذن يوسف أو بأمره، فقد عني من السرقة أنهم سرقوا يوسف من أبيه، و هي أسرق من سرقة المال، ف "أنتم سارقون".

٧١ / ١٢

٧١- ﴿قَالُوا وَ﴾ الحال أنهم ﴿أَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ﴾ لا "ما ذا سرق منكم" تبرئة لساحتهم عن سرقة.

٧٢ / ١٢

٧٢- ﴿قَالُوا نَفَقْدُ صَوَاعَ الْمَلِكِ﴾ دون "سرق منا" لأنه لم يسرق مهما كانوا هم سارقى يوسف، و صواعه هو سقايته الغالية الملكية ﴿وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا الْمُوَذِّنُ﴾ به زعيم دون زعم لكذب و تخلف عن الوعد، و هنا نجد تحول "لسارقون" إلى "نَفَقْدُ" و إلى جمالة: "وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ" تصريحاً أنه غير مسروق مهما كان مفقوداً.

٧٣ / ١٢

٧٣- ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ﴾ من سيرتنا فسيرتنا أننا ﴿مَا جِئْنَا﴾ هنا ﴿لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ﴾ سرقة، بتصميم جديد، و إنما لطلب القوت، ثم ﴿وَمَا كُنَّا﴾ أبداً ﴿سَارِقِينَ﴾.

٧٤ / ١٢

٧٤- ﴿قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ﴾ "مَنْ وَجِدَ فِي رَحْلِهِ" ﴿إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ﴾ فى "ما كُنَّا سَارِقِينَ" و قد كنتم سارقين أن سرقتم يوسف من أبيه، و هنا "وجِدَ" تبرئة أخرى لسرقة صاحب الرحل.

٧٥ / ١٢

٧٥- ﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ﴾ نفس ﴿مَنْ وَجِدَ﴾ سواع الملك ﴿فِي رَحْلِهِ﴾ أن يؤخذ بديله ﴿فَهُوَ﴾ هو بنفسه ﴿جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ مطلقاً، دون الموجود فى رحله ف "الظَّالِمِينَ" هنا تورية يقصد منها جزاء الإخوة.

٧٦ / ١٢

٧٦- ﴿فَبَدَأَ﴾ يوسف بنفسه ﴿بِأَوْعِيَّتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ﴾ حتى لا يتهم أنه جريان مدروس لأخذ أخيه، و هكذا يجب الوصول إلى ما تفقده بين ناكرين، و أنت تعلم أنه عند بعضهم، أن تبدأ بغيره منهم ﴿ثُمَّ﴾ بعد أوعيتهم ختم بوعاء أخيه ف ﴿اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ كيدا بكيد دون كذب و لا ظلم، إذ ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ تشريعية فى هذه المكيدة، و تكوينية أن حصل بها ليوسف ما يريد ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ كما تفوق علم يوسف بتلك المكيدة الربانية حتى يأخذ أخاه، و هذه الفوقية مطلقة، كما أن فوق كل ذى علم هو الله الذى ليس فوقه أحد و لا يساميه.

٧٧ / ١٢

٧٧- ﴿قَالُوا﴾ إخوته ﴿إِنْ يَسْرِقْ﴾ دون "سَرَقَ" حتى لا تحتّم سرقته ﴿فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ و ليسا من أمنا، و للأمم دور عظيم فى تربية الولد ﴿فَأَسْرَاهَا﴾ السرقة المظنونة، و الحيلة الواقعة الربانية ﴿يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَ لَمْ يَبْدِهِا لَهُمْ﴾ و إنما ﴿قَالَ﴾ أَنْتُمْ شَرُّ مَكَانٍ من هذه السرقة المظنونة، بل و من أصل السرقة المالية حيث سرقتم يوسف عن أبيه ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ انه "إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ" و ما كانت إلا كما يروى صنما ذهبيا أو فضيا من أبى أمه فكسره و ألقاه فى الطريق فبيره بذلك إخوته" و على كل حال فهذه المكيدة" مهما اتهم بنيامين بالسرقة، و لكن فيها نجاح يوسف فى رؤية أبويه فقد "أَبْيَضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ" ثم عادت بعد رؤيته، فنسبة السرقة إلى الإخوة تورية صالحة، ثم لمحتها بالنسبة لبن يامين مصلحة له و للعائلة الرسولية.

٧٨- فهنا لك و جموا و ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ﴾ مما يدل على أنه أصبح مكان العزيز الأول الخائن ﴿إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا﴾ فارحمهما ﴿فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

٧٩- ﴿قَالَ﴾ العزيز يوسف ﴿مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ﴾ لا من سرقه ﴿إِنَّا إِذَا﴾ إن أخذنا أحدكم مكانه ﴿لَطَالُمُونَ﴾ في الحكم إذ لا عدل في مكافات إن كانت.

٨٠- ﴿فَلَمَّا اسْتِأْذَنُوا مِنْهُ﴾ أن يسلم أخاهم، ثم خافوا على أنفسهم لما ذا أخذتموه معكم ﴿خَلَّصُوا نَجْيًا﴾ عن عقوبات محتملة ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ﴾ و هو الذى أشار إليهم منذ البداية أن " لا تَقْتُلُوا يَوْسُفَ " ﴿أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ﴾ "لَتَأْتِنَنِي بِهِ" ﴿وَلَمْ تَعْلَمُوا﴾ من قَبْلُ مَا فَرَّطْتُمْ فِي يَوْسُفَ ﴿تَقْصِيرًا بِحَقِّهِ﴾ ﴿فَلَنْ أُبْرَحَ الْأَرْضَ﴾ إلى كنعان ﴿حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي﴾ إذ أَسْتَحْيَ مِنْهُ ﴿أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي﴾ ببراءتى أو بموتى ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾.

٨١- ﴿ارْجِعُوا إِلَى آبَائِكُمْ﴾ دونى أنا تغيباً لأبوتيه له، إذ شاركتكم فى خيانة ﴿فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ﴾ و هو شهادة منهم عليه ﴿وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمَنَا﴾ رؤية بأم أعيننا ﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ﴾ أنه سيسرق و يؤخذ بذنبه ﴿حَافِظِينَ﴾ فما لنا من تقصير بجنبه، و لكنه شهادة ناقصة لثبوتية صالحة فى بيت الرسالة فإن مجرد وجدان شيء لأحد عند إنسان، لا يحتم أنه هو سارقه، و لا تكفى شهادة جماعة هم حسب الظاهر مشركون، حتى و لو شهد عدول، فليست شهادة صالحة اللهم بوجدان السقاية عنده، فلعل أحدهم أولاء، أو واحد من الحاشية الملكية، جعلها فى رحله، بغية أخذه، فتلك إذا- شهادة غير شاهدة لأصل السرقة.

٨٢- ﴿وَسَأَلَ الْقُرْبَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ معه لأخذ المتاع ﴿وَالْعِيرَ﴾ القافلة ﴿الَّتِي أَقْبَلْنَا﴾ إليك ﴿فِيهَا وَ إِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ فى شهادتنا و عدم تقصيرنا.

٨٣- ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً﴾ كما سولت من ذى قبل " سَوَّلَتْ " فى تهمة السرقة بلا شهادة صالحة، كما سولت فى استلاب يوسف و أنه أكله الذئب، و ما أشبه من تسويل " ظَلُمَاتُ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْذِبْ " و من لم يجعل الله له نورا فما له من نور " (٢٤: ٤٠) ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ كما كان من ذى قبل و على أية حال ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ﴾ الإخوة ﴿جَمِيعًا﴾ كبيرهم و الأخوين ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾.

٨٤- ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ﴾ إدباراً عن صحبتهم ﴿وَقَالَ يَا أَسْفَى عَلَى يَوْسُفَ وَ ابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ﴾ و منه بكاء عليه و سائر الحزن ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ يكظم غيظه عنهم.

٨٥- ﴿قَالُوا﴾ هؤلاء الإخوة الخونة ﴿تَاللَّهِ تَفْتَنُوا﴾ بحذف اللاء: لا تنقطع، أو دونه أنك تنقطع عن الحياة إذ ﴿تَذَكَّرُ يَوْسُفَ﴾ بعد ربح طويل من الزمن و إياس من وجوده ﴿حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا﴾ مشرفاً على هلاك لا خير فيه ﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾ فى خضم حزنك.

٨٦- ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَثِّي﴾ تفرق حالي ﴿وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ لا سواه ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من غيب قد يوحى إلى، و أنا أعلم بأنه حى يرزق، ف " عسى الله أن يأتيني بهم جميعا" دونما استثناء.
البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٢٤٦

٨٧- ف ﴿يَا بَنِي أَذْهَبُوا﴾ عنى إلى مظان وجده ﴿فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ تجسسا دون شر و لا ضر، و التجسس تعمهما و الخير ﴿وَلَا تَيَاسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ﴾ و رحمته المريحة، إذ إن وراء ما تظنون واقعا بروح من الله ﴿إِنَّهُ لَا يَبِاسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ بالله، و أن له روحا، و أنتم غير متأكدين من قتل يوسف أو موته، و البعيد عندكم قريب عند الله.

٨٨- ذهبوا بأمره فتحسسوا المرحلة أولى عن أخى يوسف حيث تركوه بظنة عنده، حتى يتحسسوا بعده من يوسف، و هذه تكتيكة جيدة فى التحسسات ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْنَا وَ أَهْلْنَا الضُّرُّ﴾ اقتصاديا و نفسيا ﴿وَ جِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ﴾ إزجاجا فى إزجاج كل ما لدى أهلنا، فلم نبق عندهم شيئا لمرة أخرى ﴿فَأَوْفٍ لَنَا الْكَيْلُ﴾ كما كنت دون نظرة إلى مزجاة بضاعتنا ﴿وَ تَصَدَّقْ عَلَيْنَا﴾ فيه و زيادة علها رجع أخيههم ﴿إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ و ما بعثهم الله على ما مضى من سرقة ظاهرة، إلا أنهم رأوه من المحسنين.

٨٩- ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ من تحسد بلا تحسب، و من مراودة إياهما من أبيهما دون رجع ﴿إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ تجاهلا عن محتدهما، و بمدى العصيان فيهما، و جاهلين بمستقبلهما و إياكم.

٩٠- و لأنه ليس ذلك الإطلاع إلا ليوسف فقط، و لكنه بعيد كل البعد سألوا حائرين و ﴿قَالُوا أ إِنَّكَ لَأَنْتَ﴾ نفسك ﴿يُوسُفُ﴾ قال أنا يوسف و هذا أخى قَدْ مَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا بما لا ترون ظاهريا و بما ترون باطنيا من الوحي على و الحفاظ علينا سالمين ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ﴾ الله ﴿وَ يَصْبِرْ﴾ فى الله ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ مهما قرب أو بعد، أو و تحول إلى ما بعد الموت.

٩١- ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ أَثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ بما أثر خلاف ما كنا نحاول أن نوثر أنفسنا عليك ﴿وَ إِنْ﴾ مؤكدا كتأكيد إثارة علينا ﴿كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾ بحقك، اعترافا بالخطأ الفادح الكادح، خلافا لما تخيلنا و تخيلناه و تَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ لاختصاص الوجاهة عند أبيكم، و خلافا لحكم الله فى يوسف الحبيب بحكم الله.

٩٢- ﴿قَالَ لَا تَتْرِبَ﴾ تفضيحا منى ﴿عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ﴾ فلا نريد انتقاما منكم بفضيحة عليكم، إذ ﴿يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ إذ تستغفرونه- خيرا لمكان الرفع- مما يدل على أن خيانة على النبى قد تغفر حين يستغفر ﴿وَ﴾ الحال أنه ﴿هُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ فى موضع العفو و الرحمة.

٩٣- و بالفعل ﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا﴾ الذى كان على شعارا لا دثارا إذ ذهب به الإخوة عشاء ليكون و عليه دم كذب ﴿فَأَلْقَوْهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا﴾ مما يعلم أنه كان على علم بعمى أبيه، من فقده، و ارتداده بصيرا بألقائه على وجهه ﴿وَأَتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ فقد مضى يوم الفراق و أتى يوم الوفاق، و قد "حَصَّصَ الْحَقُّ" و "خَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ".

٩٤ / ١٢

٩٤- ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ﴾ من يوسف إلى يعقوب و بينها ليالٍ عشر ﴿قَالَ أَبُوهُمْ﴾ لمن كان عنده منهم، إذ لم يتحسس عنه إلا بعضهم و فيهم بشيرهم الحامل لقميصه ﴿إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يَوْسُفَ لَوْ لَا أَن تَفَنَّدُونَ﴾ تنسبونى إلى ضعف الرأى و السفاهة، كما سبق منكم من ذى قبل: "قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَنُوا تَذْكُرُ يَوْسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ".

٩٥ / ١٢

٩٥- ﴿قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾ فى يوسف و أخيه حيث ترجوهم، بل و أنت الآن تجد ريح يوسف من قميصه، و ضلالا قبله: "لِيُوسُفُ وَ أَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى آبَيْنَا مِنَّا وَ نَحْنُ عَصَبَةٌ إِنَّا أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ".

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٢٤٧

٩٦ / ١٢

٩٦- ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ﴾ له بيوسف و أخيه ﴿أَلْقَاهُ﴾ فور وصوله ﴿عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بِصِيرًا﴾ كما قاله يوسف و رجاه أبوه، ثم ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ﴾ و أنتم تؤنّبونى بحقه و حياته ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ﴾ بحقنا ﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ إذ أوحى إلينا دونكم.

٩٧ / ١٢

٩٧- مضى أن يوسف استغفر لهم الله عما ظلموه، و هنا يبقى يعقوب حيث ظلم بما استرقوه منه، ف ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ إذ نعيّا عن أن نستغفر نحن، ثم ذلك حق لك، فحق لنا أن نستدعى الرسول المظلوم أن يستغفر لنا نحن الظالمين لعظم الذنب ﴿إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ أخطاء عدة.

٩٨ / ١٢

٩٨- ﴿قَالَ سَوْفَ اسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾ بعد ما غفرت أنا و يوسف عنكم، فإن هنا حق الله مع حقنا و قبلهما، و لذلك الاستغفار موقعه المناسب، و من مقدماته أن تظلوا مستغفرين حتى يأتى موعد شفاعة الاستغفار منى ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾.

٩٩ / ١٢

٩٩- ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ﴾ مكانا عرشيا كما كان عليه ﴿آبَوَيْهِ وَ قَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ دون الدخولات السابقة غير الآمنة مما فعله إخوتى.

١٠٠ / ١٢

١٠٠- ﴿وَ﴾ بعد ذلك الإيواء ﴿رَفَعَ آبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾ حيث كان عليه جالسا ﴿وَ خَرُّوا لَهُ﴾ للقائه حيا رفيعا ﴿سُجَّدًا﴾ لله، و كما أمر الملائكة أن يسجدوا لآدم، فاللام لغير الله لانتفاع كما لآدم و يوسف، و لله اختصاص العبودية و الحرمة و الشكر، إذ "لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَ لَا لِلْقَمَرِ وَ اسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ" (٣٧: ٤١) فالسجدة هى من لوازم العبودية الموحدة للخالق المعبود فتحرم لغير الله، إلا شكرا لله لما رزقكم إياه كيوسف لأبويه، و آدم المعلم للملائكة سجدة الشكر ﴿وَ قَالَ يَا أَبَتِ هَذَا الَّذِي تَرَاهُ هُوَ ﴿تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ﴾ كما أولتها لى من قبل ﴿قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ أن حققها واقعا ﴿وَ قَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾ و خرجت عنه بما ذكر الذى ظن أنه ناج منها أن "اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ" فهو- إذا- منه بإذن الله" إذ

أَخْرَجَنِي مِنَ السَّجْنِ" ﴿وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ﴾ الصحراء القاحلة ﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ﴾ و بزغ ﴿الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَ بَيْنَ إِخْوَتِي﴾ و بيني و أختي، حيث النزغ هو الدخول في أمر لإفساده ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ﴾ بكل لطف و لطافة ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾.
١٠١ / ١٢

١٠١- ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ﴾ روحيا و زمنيا ﴿وَعَلَّمَتْنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ و قد فطرتني خير فطر كما فطرتهما ﴿أَنْتَ﴾ لا سواك ﴿وَلِيٌّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ حيث تلى أمرى فيهما دون سواك ﴿تَوَفَّنِي﴾ خذني وافيا حياة و موتا و نشورا ﴿مُسْلِمًا﴾ أستسلم لك بعد الإيمان ﴿وَالْحَقِّنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ الخصوص إذ أنا من المرسلين.
١٠٢ / ١٢

١٠٢- ﴿ذَلِكَ﴾ الذي أنبأناه هو ﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿وَمَا كُنْتُ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ﴾ الحال أن ﴿هُمْ يَمْكُرُونَ﴾ ييوسف و أبيه، و ما كان عندك عنهم نبأ صادق، إذ "ما كُنْتُ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ" (٥٢: ٥٢) ثم و العهدان محرфан لا تجد فيهما صحيح القصة.
١٠٣ / ١٢

١٠٣- ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ﴾ يقابلهم أقلهم ﴿وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ و لن تحرص إذ لا يفيد ف "إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَ لَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ" (٢٨: ٥٦).
١٠٤ / ١٢

١٠٤- ﴿وَالْحَالِ أَنْكَ﴾ ما تَسَلَّلُهُمْ عَلَيْهِ ﴿الْإِيمَانِ﴾ حيث دللتهم إليه ﴿مِنْ أَجْرِ﴾ كما هو سيرة الرسالات كلها ﴿إِنْ هُوَ﴾ القرآن و نبيه ﴿إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ دون تحميل بدليل، أو عودا بالله دون دليل، ذكر لهم بما تدل عليه فطرتهم و عقولهم كضوابط عامة و "العالمين" جمعا تدل على جمعية المكلفين، فلا أقل من أنهم أكثر من الجن و الإنس.
البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٢٤٨

١٠٥ / ١٢
١٠٥- ﴿وَكَايْنُ﴾ كثيرة و فيرة في أمكنة ﴿مِنْ آيَةٍ﴾ تدل عليه ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا﴾ بصرا بعيون مجردة أو مسلحة أو غزوة فضائي ﴿وَالْحَالِ أَنْ﴾ ﴿هُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ حيث يبصرون إليها فتعميهم، و لا يبصرون بها فتذكرهم "قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَ مَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَ النَّذْرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ" (١٠: ١٠١) و حق المرور هو بغزو أو عيون مسلحة.

١٠٦ / ١٢
١٠٦- ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ﴾ أولاء المكلفون، أو من الأقلية المؤمنة، إذ "وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ" ﴿إِلَّا وَ﴾ الحال أن ﴿هُمْ مُشْرِكُونَ﴾ في بقايا الإشرار بالله رثاء أو توسلا بغير الله مع الله أو قبله أو بعده، أم أنهم يرون تأثيرا قاطعا لغير الله، فأخلص التوحيد ليس إلا لعباد الله المخلصين و المخلصين.

١٠٧ / ١٢
١٠٧- ﴿أَفَأَمِنُوا﴾ في إشراكهم الغاشي ﴿أَنْ تَأْتِيَهُمْ﴾ عقوبة ﴿غَاشِيَةٌ﴾ تغشاهم عن بكرتهم جوية أو برية أو بحرية ﴿مِنْ عَذَابِ اللَّهِ﴾ هنا ﴿أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ﴾ موتا أو قيامة ﴿بَغْتَةً وَ﴾ الحال أن ﴿هُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بها، إذ لا تأتيكم إلا بغتة، كما لا يشعرون واجبههم أمام الله مقصرين.
١٠٨ / ١٢

١٠٨- ﴿قُلْ﴾ لهم قولا و عملا أو أيا كان من بيان أو تبيان و بلاغ ﴿هذه﴾ السنة التوحيدية هي فقط ﴿سبيلي﴾ إلى الله تطبيقا و توجيهها أن ﴿أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا﴾ رسولا ﴿وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ مرسلإ إليهم مؤمنين ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾ تسبيحا عن التخلف عن هذه السبيل، أو أن يسمح لى ربي بغيرها ﴿و﴾ بصورة قاطعة و سيرة ثابتة لا حول عنها ﴿ما أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ فى أية دركات الإشراف.

١٠٩ / ١٢

١٠٩- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾ رسلا منذ آدم إلى عيسى بن مريم، كسنة إرسالية إليكم ﴿إِلَّا رِجَالًا﴾ ذكرانا، مهما أرسل بعضهم عند صبا هم كيحيى، دون نساء أو خنائى ﴿نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ الأرضية البشرية ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أرض التكليف سيرا تاريخيا و جغرافيا، ﴿فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ﴾ حياة ﴿عَاقِبَةُ﴾ هنا على ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ حيث كذبوا الرسل، ثم ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ من الدار الأولى التى هى أيضا لهم خير، و لكن أين خير من خير، و لأولاء شر هنا و هناك، و أين شر من شر ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ الحقائق البينة، إذ لم تتبينتموها.

١١٠ / ١٢

١١٠- و لقد تواتر تكذيب الرسل من قبل هؤلاء المكذبين ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ﴾ من إيمانهم ﴿وَوَظَنُوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا﴾ ظن المرسل إليهم أنهم كذبوا فى النصر على الكفار، كما و ظن الرسل أنهم كذبوا فى حقول الدعوة الرسالية، فلا منفذ لنور الإيمان: "أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَ لَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْزِئِينَ الْبَاسَاءُ وَ الضَّرَاءُ وَ زُلْزَلُوا" هؤلاء المؤمنون " حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ" من كثرة تضايقهم من تواتر الكفر "أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ" (٢: ٢١٤) و كما وعد الله: "إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَ الَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ" (٤٠: ٥١) ﴿جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ الموعود لهم ﴿فَنَجَّى مِنْ نَشَاءٍ﴾ من ورطات الحياة ﴿وَلَا يَرُدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾.

١١١ / ١٢

١١١- ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ﴾ هؤلاء ﴿عِبْرَةٌ﴾ يعبر بها إلى الحق ﴿لِأُولَى الْأَلْبَابِ﴾ إذ لا غطاء على عقولهم ﴿ما كَانَ﴾ قصصهم ﴿حَدِيثًا يُفْتَرَى﴾ على الله ﴿وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من نبي و كتاب ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ تحتاج إليه الأمة الإسلامية ﴿وَهُدًى وَ رَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ بهذه الرسالة القدسية.

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ المرء من الحروف الرمزية، يخاطب بها صاحب الوحي المسمى و المحمدين من عترته المعصومين عليهم السلام ﴿تِلْكَ﴾ الآيات المفصلات تفصيلا، و "تِلْكَ" الحروف الرمزية إجمالا هي ﴿آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ فـ "وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلَى حَكِيمٌ" (٤: ٤٣) ﴿وَالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ و هو محكم الكتاب ثم تفصيله ﴿الْحَقُّ﴾ كله، الثابت الذي لا حول عنه، دون "حق" فإن الكتب الربانية كلها حق ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ هذه الحقائق، أنه "حق" فضلا عن أنه "الحق" فلا حق بعده إلى يوم الدين.

٢- ﴿اللَّهُ﴾ هو ﴿الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ﴾ السبع، من دخان التفجرة الأولى من المادة الأولى ﴿بَغَيْرِ عَمَدٍ تَرْوْنَهَا﴾ "فثم عمد و لكن لا ترونها" كالجاذبية و ما أشبه ﴿ثُمَّ﴾ بعد ذلك الرفع و خلق الأرض قبله ﴿أَسْتَوَى﴾ استيلاء ﴿عَلَى الْعَرْشِ﴾ تدبيرا "ألا لَهُ الْخَلْقُ وَ الْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ" (٧: ٥٤) فكما لا خلق فيهما لغيره كذلك لا أمر فيهما لغيره، و من استيلاء العرشى ﴿وَ سَخَّرَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ﴾ كما خلقهما، فـ ﴿كُلُّ يَجْرِى﴾ جريه الخاص ﴿لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ متواترا حيويًا "لَتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَ الْحِسَابِ" (١٠: ٥) و أخيرا "وَ جُمِعَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ" (٧٥: ٨) عن جريهما الحيوى إلى مماتهما "إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ .." (٨١: ١) "وَ الْقَمَرُ إِذَا اتَّسَقَ" (٨٤: ١٧) هكذا ﴿يَدْبِرُ الْأَمْرُ﴾ كما خلق ﴿يَفْصَلُ الْآيَاتِ﴾ تكوينية و تشريعية ﴿لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ هنا توحيد الله، و هناك جزاء فى يوم الله.

٣- ﴿وَ هُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ﴾ بسطا بعد انقباضها، ثم ﴿وَ جَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ﴾ موطدة على الأرض، و شامخة إلى السماء، ثم ﴿وَ أَنْهَاراً﴾ فـ ﴿وَ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ بعضا، مادة و كيفية، دون كلها، فإن ثمرات الجنة أكثر مادة و كيفية و مدة، و لكن لا ثمرة مطلقا إلا و فى الأرض منها ﴿جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ فإن كل كائن مخلوق زوج فى ذاته تركبا، و زوج لمثيله خارجا، و اثنيانية الزوجية هى الخطوة الأولى من تركيب المادة و إلى سائر الأزواج ﴿يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارُ﴾ حيث الظلمة تغشى النور كالعكس، مما يدل على كروية الأرض، حيث الآفاق المختلفة هى التى تخلف ذلك الإغشاء ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ التدبير ﴿لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيتذكرون، كمال القدرة الوحيدة و علمها و حكمتها، و أن الخلق كله زوج لكل مثل فى ذاته و خارجه لضرورة المادية فى الكل "وَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ. فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ" (٥١: ٤٩).

٤- ﴿وَ فِي﴾ هذه ﴿الْأَرْضِ قِطْعٌ﴾ مختلفات ﴿مُتَجَاوِرَاتُ﴾ كل يثمر غير الآخر، أو يثمر بعض دون بعض، و كلها من هذه الأرض ﴿وَ جَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَ زُرْعٍ وَ نَخِيلٍ صِنْوَانُ﴾: متمائلان ﴿وَ غَيْرُ صِنْوَانٍ﴾ دون تماثل على وحدة الأرض، و ﴿يَسْقَى﴾ صنوان و غير صنوان ﴿بِمَاءٍ وَاحِدٍ﴾ كما ﴿وَ نَفْضُلُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ﴾ بوحدة الجنس و اختلافه ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ الغيار ﴿لآيَاتٍ﴾ تدل على إرادة وحيدة حكيمة ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ أخذا لدلالات الآيات.

٥- ﴿وَ إِنْ تَعْجَبْ﴾ أيها العاقل فضلا عن أعقل العقلاء ﴿فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ﴾ بعد هذه الآيات البينات بدء، فكيف يقولون بالنسبة إلى العود ﴿أَ إِذَا كُنَّا تُرَاباً﴾ بعد الموت ﴿أَ إِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ و "هُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ" (٣٠: ٢٧) من الخلق الأول فى نفسه أ فَعَيِينَا

بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ" (٥٠: ١٥) ﴿أُولَئِكَ﴾ هم ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ﴾ رغم ظاهر ربوبيته و باهرها ﴿وَأُولَئِكَ الْأَغَالِلُ﴾ عن تفتّحات الفطر و العقول و الشرايع ﴿فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾ بما جعلوها ﴿وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ما خلدوا في الكفر جزاء وفاقا، دون اللانهائية المزعومة.

٦ / ١٣

٦- ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ الْمُوَعَدَةِ لَهُمْ بِكَفْرِهِمْ﴾ ﴿قَبْلَ﴾ استعجالهم بـ ﴿الْحَسَنَةِ﴾ بإيمان، أو بحياة التكليف و فيها فسحة لإيمان، فقد "يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا.." (١٨: ٤٢) ﴿وَوَالْحَالُ أَنَّهُ﴾ ﴿قَدْ خَلَتْ﴾ مضت بدلاتها ﴿مِنْ قَبْلِهِمُ الْمُثَلَاتُ﴾ النقمات النازلة بمن قبلهم حيث تجعل مثالا يرتدع به غيرهم، فهي أمثولات متمثلة تأريخيا لهم عليهم يتذكرون ﴿وَإِنْ رَبُّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾ دائمة أو مؤقتة في زمن التكليف ﴿لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾ أنفسهم و بالحق و أهليه ﴿وَإِنْ رَبُّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ و كلاهما من قضايا الربوبية العادلة الحكيمة.

٧ / ١٣

٧- ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ برسالات الله ﴿لَوْ لَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ واحدة، مثل ما سلفت، حيث تعودنا عليها، و هي الحسية لرسل الله من قبل ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ﴾ "مَنْ يَخْشَاهَا" و "لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ" حتى تأتيهم بأية كما يشتهون، ثم القرآن آية خالدة مرّ الدهور إلى يوم النشور، فكيف يستبدلونها بآيات عابرة حسية لا تناسب الشريعة الخالدة ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ إلى الحق، يثبت رسالته بآيات تناسبها، و لا تناسب رسالتك إلا آية "القرآن".

٨ / ١٣

٨- ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى﴾ إنسانيا أو حيوانيا أو نباتيا و ما أشبهه، و لكل مواليد تناسبها ﴿وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ﴾ ابتلاعا للنطف كلها، أو بعضها، إبقاء لواحدة ﴿وَمَا تَزْدَادُ﴾ عن الواحدة، فبقدرته على علمه يغيض الأرحام أو يزيد فيها ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ﴾ علما و قدرة و حكمة ﴿بِمِقْدَارٍ﴾ دون فوضى جزاف.

٩ / ١٣

٩- ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ﴾ على سواء ﴿الْكَبِيرُ﴾ دون مثيل ﴿الْمُتَعَالِ﴾ على خلقه بعلو عال، ذاتيا إذ لم يحصله، و دون أن يحوله أو يخوله، فإنه من ميزات ألوهيته.

١٠ / ١٣

١٠- ﴿سَوَاءٌ﴾ في علم الله ﴿مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلُ﴾ مع أحد دون آخرين، أوفى نفسه ﴿وَمَنْ جَهَرَ بِهِ﴾ كذلك ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٌ﴾ عن آخرين ﴿بِاللَّيْلِ وَ سَارِبٌ﴾ ذاهب عيانا ﴿بِالنَّهَارِ﴾.

١١ / ١٣

١١- و ليس أنه يعلم كل سر و جهر بل و ﴿لَهُ﴾ لكل إنسان و سواء ﴿مُعَقَّبَاتُ﴾ تعقبه دون أن تذر وحده هباء هملا ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ أماما ﴿وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ خلفا، في أي زمان أو مكان، و أمام أي جن أو إنسان و أمثالهما أو خلفه ﴿يَحْفَظُونَهُ﴾ عن الطوارئ و الحوادث، و يحفظون أعماله و أحواله، صادرين في حفظهم ﴿مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ دون استقلال و استغلال، ف ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ﴾ من خير أو شر ﴿حَتَّى يَغْيُرُوا مَا بَانْفُسِهِمْ﴾ منهما، فكل خير أو شر يصيبك إنما هو من نفسك مهما كان من عند الله "قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ.." (٤: ٧٨) ما أصابك من حسنة فمن الله و ما أصابك من سيئة فمن نفسك" (٤: ٧٩) ﴿وإذا أراد الله بقوم سوءاً﴾ بما قدموا له ﴿فَلَا مَرَدَّ لَهُ﴾ من غير الله ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾ يلي أمرهم إصلاحا دونه.

١٢ / ١٣

١٢- ﴿هُوَ الَّذِي يَرْبِكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا﴾ من غرق أو حرق ﴿وَوَطَمَعًا﴾ في رزق ﴿وَيَنْشِئُ السَّحَابَ الثَّقَالَ﴾ "أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا .." (٢٤: ٤٣).

١٣ / ١٣

١٣- ﴿وَيَسْبِغُ الرِّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾ كوني و عن شعور فـ"إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبِغُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ" (١٧: ٤٤) فلا تخلف لرعد و سواه عن مشيئته فيهما و هو من تسبيحه بحمده، يسبح ﴿وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾ قدر معرفتهم إياه ﴿وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ﴾ عذابا و سواه ﴿وَالْحَالُ أَنْ هُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ﴾ هل معه آلهة و أعوان ﴿وَالْحَالُ أَنْ هُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ المماكرة بعلم و قوة، مهما كان مكرهم بجهل و عجز "وَمَكُرُوا وَ مَكَرَ اللَّهُ وَ اللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ".

١٤ / ١٣

١٤- ﴿لَهُ﴾ لا سواه ﴿دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ لأنه - فقط - هو الحق يدعوا إلى حقه، نفسه و سواها من خليفة، و غيره باطل إلا إذا حمل دعوته و عمل بها ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾: غيره و هم ككل دونه، لا تساويه و لا تساميه ﴿لَا يَسْتَجِيبُونَ﴾ هؤلاء المدعوون ﴿لَهُمْ بَشَاءٌ﴾ إذا هم أحياء محتاجون كما الدعوان، فضلا عن غيرهم من أوثان ﴿إِلَّا كِبَاسُطٍ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ﴾ دون أن يأخذه و يبلغه إياه ﴿وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ﴾ فإنه دعوة غالبة كدعوة المشركين ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ شركاءهم ﴿إِلَّا﴾ غارقا ﴿فِي ضَلَالٍ﴾ مهما كان بدلال.

١٥ / ١٣

١٥- ﴿وَلِلَّهِ﴾ لا سواه ﴿يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ تخضعا لإرادته ﴿طَوْعًا﴾ كالمطيعين مطلقا ﴿وَكَرْهًا﴾ من الله كالعاصين إذ لا يقدر أن يتخلفوا عن إرادته المحتومة - و هذه من موارد فرض السجدة لله - اللهم إلا في التكاليف المختارة، و فيها أيضا (لا جبر و لا تفويض بل أمر بين أمرين) و لا هم فقط بل ﴿وَوَلَّاهُمْ بِالْغُدُوِّ﴾ إقبالا ﴿وَالْأَصَالِ﴾ إدبارا، فكما أن الظل ساجد خاضع لصاحبه، كذلك على المكلفين أن يكون كالظلال أمام الله، أن يختاروا ما يرضاه الله قدر المستطاع.

١٦ / ١٣

١٦- ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ خالقا و مدبرا ﴿قُلِ اللَّهُ﴾ دون ما يتخيل أن لغيره تدبيرا مخولا، حيث الربوبية هي من ميزات الألوهية، فلا تخول ﴿قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ غيره و دونه ﴿أَوْلِيَاءَ﴾ لكم، و هم ﴿لَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ نَفْعًا وَ لَا ضَرًّا﴾ فضلا عن غيرهم ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى رَبًّا وَ مَرْبُوبًا﴾ ﴿وَالْبَصِيرُ رَبًّا وَ مَرْبُوبًا﴾ أم هل تستوى الظلمات مختلف السبل ﴿وَالنُّورُ﴾: سبيل الله "وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَ لَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ" (٦: ١٥٣) هل يستويان مثلا أ فلا تذكرن (١١: ٢٤) ﴿أَمْ﴾ فوق إشراكهم بالله في التدبير ﴿جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾ في الخلق أن ﴿خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ﴾ أنه منهم أو من الله ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ و منها الأعمال إذ له دخل فيها قضية (أمر بين أمرين) و من "شَيْءٍ" الأرواح، التي تحسبها الفلسفة البشرية مجردات، فتخرجها عن الخلق إلى الأمر، زعما أن الأمر هو إيجاد المجردات، تخيلا من "أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَ الْأَمْرُ" رغم أن الأمر هنا هو التدبير بعد الخلق ﴿وَهُوَ الْوَاحِدُ﴾ في كافة الوحدات الحقيقية ألوهية و ربوبية ﴿الْقَهَّارُ﴾ في وحدته.

١٧ / ١٣

١٧- ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾: "يَقْدِرُ فَاسْكَنَاهُ فِي الْأَرْضِ وَ إِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لِقَادِرُونَ" (٢٣: ١٨) ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ﴾ حملا قويا ﴿السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا﴾ مرتفعا عليه ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ﴾ ككل وقود ﴿إِثْنَاءَ حَلِيقَةٍ﴾ تحرق بها ﴿أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ﴾

مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ﴿١٨﴾ مِثْلًا كَمَا نَقِذُفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَعُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴿٢١: ١٨﴾ ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ﴾
الرابى ظاهريا ﴿فَيَذْهَبُ جُفَاءً﴾ هدرًا ﴿وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ و هو السافل فى الموج ﴿كَذَلِكَ﴾ الواقع
الصالح ﴿يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾ تقريبا للحقائق غير المحسوسة للمكلفين.

١٨ / ١٣

١٨- ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾ ربوبياته علما و عقيدة و عملا، لهم الحياة ﴿الْحُسْنَى﴾ هنا و فى الأخرى ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا﴾
لَهُ لَوْ﴿ مَسْتَحِيلًا ﴾ ﴿أَنْ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ﴾ مضاعفة الزيادة دون حدها، فلو كان لهم ما لا يتناهى أيضا و تقبل
منهم ﴿لَافْتَدَوْا بِهِ﴾ من سوء العذاب " إِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنْ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ
مَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦: ٥﴾ ف ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ﴾ " فَحَاسِبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا ﴿٨: ٦٥﴾ و هو العذاب السوء
دون تخفيف و بكل دقة فى حساب، و هو عدله ﴿وَمَا وَاهُمْ جَهَنَّمَ وَ بئْسَ الْمِهَادُ﴾ و كما تمهدوا الكفر يوم الدنيا كذلك يتمهدون
نتاجه يوم الأخرى: (ربنا عاملنا بفضلك و لا تعاملنا بعدلك).

١٩ / ١٣

١٩- ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ﴾ إيماننا صالحا ﴿أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ﴾ كله، لا حق فقط، ﴿كَمَنْ هُوَ أَعْمَى﴾ البصيرة ﴿إِنَّمَا
يَتَذَكَّرُ﴾ الحقائق المعنية ﴿أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ الذين زالت أقشار عقولهم.

٢٠ / ١٣

٢٠- ﴿الَّذِينَ يُوَفُّونَ﴾ بكل درجاته ﴿بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ فطريا و عقليا و شرعيا ﴿وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾ المعهود عليهم تكوينيا و
تشريعا.

٢١ / ١٣

٢١- ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يوصَلَ﴾ و كذلك الأمر ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ بهيبة الربوبية، ﴿وَيَخَافُونَ سُوءَ
الْحِسَابِ﴾ و هو للكافرين، و أما المؤمن فقد لا يكون له حساب، أوله حساب يسير " فَسَوْفَ يَحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا. وَ يَنْقَلِبُ إِلَى
أَهْلِهِ مُسْرُورًا ﴿٨١: ٩﴾.

٢٢ / ١٣

٢٢- ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا﴾ فى كافة الهزاهز على إيمانهم ﴿ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ و هو رضاه ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ كما أمر الله ﴿وَوَ
أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ قالا و حالا و أعمالا ﴿سِرًّا﴾ عن آخرين ﴿وَعَلَانِيَةً﴾ لهم دون رثاء ﴿وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ﴾ قالة و فعالة و
حالة ﴿السَّيِّئَةِ﴾ ما أمكن درءها، و أما التصبر عليها دون أن تدرء فلا ﴿أُولَئِكَ﴾ الأكارم ﴿لَهُمْ عَقْبَى الدَّارِ﴾ هنا و فى الآخرة،
أن تتعقبهم حياة طيبة فيها، و الآخرة خير لك من الأولى.

٢٣ / ١٣

٢٣- و من عقبى الدار ﴿جَنَّاتٌ عَدْنٍ﴾ دائم ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ هم كأصول لأهلها، ثم ﴿وَمَنْ صَلَحَ﴾ لها ﴿مِنْ آبَائِهِمْ﴾ الصالحين
﴿وَأَزْوَاجِهِمْ﴾ نساء و رجالا فإن الزوج هو المتابع ﴿وَوُزَّيَاتِهِمْ﴾ الذين يعيشون على هوامشهم ﴿وَوَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ
كُلِّ بَابٍ﴾ تكريما و احترامًا: الَّذِينَ آمَنُوا وَ اتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَ مَا أَلْتَنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ
بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٥٢: ٢١﴾.

٢٤ / ١٣

٢٤- و يقولون ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ من الله و منا، إذ ليس هنا إلا سلم و حسن ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ على الإيمان بالله ﴿فَنِعْمَ عُقْبَىٰ﴾ هذه ﴿الدَّارِ﴾ و لا سيما "جَنَاتُ عَدْنٍ".

٢٥ / ١٣

٢٥- ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ﴾ ككل ﴿مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ معهم، أو ما أوتقوها معه كالعهود و الأيمان و النذور الفرعية منهم معه ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ أصلاً أو فرعاً ﴿وَيَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ ضد النواميس عقيدة و عقلاً و نفساً و مالا و عرضاً ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ﴾ الربانية ﴿وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ هنا و فى الأخرى.

٢٦ / ١٣

٢٦- ﴿اللَّهُ﴾ لا سواه ﴿يُسِطُ الرِّزْقَ﴾ بمختلف ألوانه و درجاته ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ بسطه و يشاء الله أن يبسط له ﴿وَيَقْدِرُ﴾ يضيق لمن يشاء قدره و يشاء الله أن يقدر له، فليس البسط و القدر - فقط - نتيجة السعى أصله و قدره، بل لله المشية فى كل شئ، فـ "مَنْ كَانَ يَرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ" (١٧: ١٨) ﴿وَالْحَالُ أَنَّهُمْ﴾ ﴿فَرَحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ببسطها و كأنه حقهم ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ﴾ أمامها، بل و هى بما عملت فيها تنسحب إلى الآخرة، و ليست فيها ﴿إِلَّا مَتَاعٌ﴾ تشتري بها الآخرة: "إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ .." (٩: ١١١).

٢٧ / ١٣

٢٧- ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بهذه الرسالة ﴿لَوْ لَا أَنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ﴾ كما سبقت على رسل الله من قبل ﴿مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ﴾ يَضِلُّ مَنْ يَشَاءُ ﴿الضَّلَالَةَ﴾ فيشاء الله له ﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنْابَ﴾ إليه، و آيات الله على رسله بمختلف أشكالها هى حجب و ابتلاءات، فحق الإيمان و مستقره يقتضى تقبلها كلها، و مستودعه الظاهر يصمد لما تعودها منها.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٢٥٣

٢٨ / ١٣

٢٨- و المنيبون هم ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَ تَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ فى نفوسهم أو بألسنتهم و أعمالهم أو بما يذكرهم الله من آياته كيفما كانت دون تمييز أو تبعيض ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ﴾ ككل ﴿تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ فإنها محال ذكره و مهابطه، فيه - كأصل - تحيى القلوب و كافة الأعمال.

٢٩ / ١٣

٢٩- ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالله ﴿وَعَمِلُوا﴾ القالات و الحالات و الفعالات: ﴿الصَّالِحَاتِ﴾ لإيمانهم بالله، و هى الاستفادة من رسالات الله، فحياة ﴿طُوبَىٰ لَهُمْ﴾ طيبة، فـ "مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً .." (١٦: ٩٧) هنا و فى الأخرى ﴿وَحَسَنُ مَا بَ﴾ إذ يرجعون إلى الله كما يصلح مآباً.

٣٠ / ١٣

٣٠- ﴿كَذَٰلِكَ﴾ الإرسال العظيم ﴿أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ﴾ و هم كافة المكلفين إلى يوم الدين ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ﴾ رسالية، فلكل رسول ﴿لَتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَ﴾ الحال أن ﴿هُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ فى عامة رحمته، فلنا أن لهم آلهة أخرى مخولة فى رحمت، فضلاً عن إيمانهم برسالات ﴿قُلْ هُوَ﴾ الرحمن لا شريك له، الرحيم، حيث يبعث أنبياء يربون ﴿رَبِّى لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ ألوهية و ربوبية ﴿عَلَيْهِ﴾ لا سواه ﴿تَوَكَّلْتُ﴾ فى أمورى كلها ﴿وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ ى، رجوعاً إليه فى كل كبيرة و صغيرة، فما أنا إلا رسول.

٣١ / ١٣

٣١- ﴿وَلَوْ﴾ مستحيلا في الحكمة الربانية ﴿أَنْ قُرْأْنَا﴾ فيه إضافة إلى آياته بصيرة عقلية و علمية، لو أن فيه مثلثا من الخوارق البصرية، أن: ﴿سِيرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾ ليروه معها ﴿أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ﴾ قطعا ﴿أَوْ كَلَّمَ بِهِ الْمَوْتَى﴾ لم يكونوا ليؤمنوا به "لو أننا نزلنا إليهم الملائكة و كلمهم الموتى و حشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله" تكويننا دون إختيار، فإنهم لن يختاروا الإيمان باختيارهم ﴿بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ و ليس لرسول الله أن يأتوكم بآيات كما تحبون و تقترحون ﴿أَفَلَمْ يَبْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ على إيمانهم ﴿أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهْدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾ مجبرين ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا﴾ من كفرهم ﴿قَارِعَةً﴾ تفرعهم حجة و لجة ﴿أَوْ تَحُلْ﴾ قارعة ﴿قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ﴾ ليتحذروا ﴿حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ﴾ موتا فقيامة كبرى فجزاء حسابا ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾.

٣٢ / ١٣

٣٢- ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ فلست بدعا من الرسل يا صاحب الرسالة العظمى "وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ" ﴿فَأَمَلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إمهالا ﴿ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ﴾ هؤلاء الهازئين بعقاب هنا و بعد موتهم ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ ى هؤلاء.

٣٣ / ١٣

٣٣- ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ﴾ قيام العلم و القدرة ﴿عَلَى كُلِّ نَفْسٍ﴾ ملائكى أو جنى أو إنسانى و من أشبه ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾ و من قيامه عليها استنساخها "إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ" أهو الحقيق بأن يعبد و يتقى أم سواه ﴿وَالْحَالِ أَنَّهُمْ﴾ الحال أنهم ﴿جَعَلُوا﴾ تخيلا و تخبلا ﴿لِلَّهِ شُرَكَاءَ﴾ فى ربوبيته ﴿قُلْ سَمُوهُمْ﴾ فحتى اسم "الله" لا يحملونه "هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا" فلا واقع لهذه الأسماء المختلفة ﴿أَمْ﴾ هناك آلهة لا يعلمها فأنتم ﴿تُبَيِّنُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ﴾ و هى آلهة أرضية، و لا يعزب عن علمه مثقال ذرة فكيف عزب عنه ما جعله لنفسه شريكا ﴿أَمْ بَظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ﴾ فلا باطن له ﴿بَلْ﴾ هكذا ﴿زَيْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ﴾ فإن اتخاذ آلهة من دون الله هو مكر و خداع على أية حال ﴿وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ﴾ الربانية، فقد أضلهم الله كما ضلوا و أضلهم الشيطان ﴿وَمَنْ يَضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾.

٣٤ / ١٣

٣٤- ﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ كما يناسبها بمعيشة ضنك: "وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَ نَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى .." ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾ عن عذابه هنا و بأحرى فى الأخرى.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٢٥٤

٣٥ / ١٣

٣٥- ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ﴾ ها ﴿الْمُتَّقُونَ﴾ من الله، هى التى ﴿تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ ماء فراتا و عسلا مصفى و لبنا خالصا و ما أشبه و ﴿أَكْلُهَا دَائِمٌ﴾ لا أكلها، و إنما يؤكل فيها، تأكله متى شئت كيفما شئت ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كذلك ﴿ظِلُّهَا﴾ عن شمسها، مما يدل على أن لها شمسا مهما كانت هذه الشمس مكورة قبلها ﴿تِلْكَ﴾ العظيمة هى ﴿عُقْبَى﴾ الحياة الدنيا الصالحة، لـ ﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الله ﴿وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ﴾ هى ﴿النَّارُ﴾ "جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَ يَسُ الْقَرَارُ".

٣٦ / ١٣

٣٦- ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ بالفعل و هم أهل الكتاب حيث "يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ .." (٢: ١٢١) مهما أوتيه كافة المكلفين و لكن لم يصدقه فريق منهم فكأنهم لم يؤتوه، أولئك لأنسهم بوحى الكتاب، و أنه يبشرهم بالقرآن ﴿يَفْرَحُونَ﴾ بطبيعة الحال ﴿بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ فإنه تأييد و تأييد لشرعة الله ﴿وَمِنَ الْأَحْزَابِ﴾ الكتابية ﴿مَنْ يَنْكُرْ بَعْضَهُ﴾ إذ يخالف هواه و

تعصبه ﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ﴾ دون هوى و لا عقلية تخالفه ﴿وَلَا أُشْرِكُ بِهِ﴾ و إنكار بعضه إشراك به ﴿إِلَيْهِ﴾ لا سواه ﴿ادْعُوا وَإِلَيْهِ مَأْبٍ﴾ ي و مرجعى.

٣٧ / ١٣

٣٧- ﴿وَكَذَلِكَ الْعَظِيمُ﴾ ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ القرآن ﴿حُكْمًا﴾ فى كل حقوله ﴿عَرَبِيًّا﴾ لا تعقيد فيه، دلالة و مدلول و موافقة للفطرة و العقلية و العملية و الواقعية و المصلحة السليمة، فليس أنه - فقط - بلسان عربى، بل "حُكْمًا عَرَبِيًّا" ﴿وَلَيْنِ اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ دون وحيه ﴿بَعْدَ مَا جَاءَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ بوحيه ﴿مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ يلى أمرك ﴿وَلَا وَاقٍ﴾ يقيقك فى أمرك.

٣٨ / ١٣

٣٨- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رَسُولًا مِنْ قَبْلِكَ﴾ منذ آدم ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَ ذُرِّيَّةً﴾ تعم ذرية الولدان إلى غيرهم ككل الأقوام العائشين على أضواءهم كالمسيح (ع) فهم بشر كسائر البشر فـ "إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ" إلا أنه "يوحى إلى" مما يمسح كافة الأخطاء الأحكامية و العملية عن جبينك، فلم يكونوا آلهة لهم ما لله أو بعضه ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ﴾ مطلقا ﴿أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ﴾ رسولية ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ دون تخويل و لا توكيل، بل هى كلها من الله مهما نزلت على رسل الله، تثبिता لرسالة الله و إحياء لحكم الله ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ﴾ فى شرعة أو عمر أو رزق ﴿كِتَابٍ﴾ معلوم ثابت عند الله، و أجل الأمة الإسلامية هو أجل العالم كله، مهما كان لسائر شرايع الله محددا بما حدد الله، كما أن "وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ" (٧: ٣٤) فلا فوضى جزاف فى أصول الرسالات و آياتها و آجالها.

٣٩ / ١٣

٣٩- ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ من شرائعه و رسله و من الكائنات ﴿وَيُثَبِّتُ﴾ ما يشاء منها حسب الحكمة الربانية ﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ تكوينا و تشريعا، و قد يعبر عن ذلك بالبداء، حيث يبدو لنا محو بعد إثبات أو إثبات بعد محو، و لجهلنا بأم الكتاب و أصله التى لا يتغير عند الله، و إنما المظاهر المخالفة لما يخيّل إلينا أو نعلمها، هى الممحوة أو المثبتة.

٤٠ / ١٣

٤٠- ﴿وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ﴾ من عذاب الدنيا ﴿أَوْ تَتَوَقَّيَنَّكَ﴾ فلا نريك هنا، مهما أريناك بعين برزخية أم لا، فلا تحزن عليهم ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾ المبين لا سواه من حساب و عذاب ﴿وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ و العذاب أو الثواب.

٤١ / ١٣

٤١- أ لم يروا "بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ" فيعتبروا ﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ﴾ بعلم و قدرة ف ﴿نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ جمع الطرف، و هى جوانبها الظالمة، رحمة لأهل الله، و كذلك الطرف: النظر، و الطرف: الشئ الكريم، و هى تعمها و علماءها تخليصا لهم عن ذلك التخليط و إبتلاء لمن تبقى ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ﴾ فى كل نقص و سواه ﴿لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ﴾ يتعقبه فيتغلب عليه ﴿وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.

٤٢ / ١٣

٤٢- ﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أولاء الماكرين ﴿فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا﴾ ما يمكرونه جهلا و عجزا إذ لا يصدهم عنه إبتلاء، و ما يمكره علما و قدرة جزاء وفاقا، إذ يمكرهم "وَمَكُرُوا وَ مَكَرَ اللَّهُ وَ اللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ" ﴿يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ على قدرته عليها نفسا و كسبا ﴿وَسَيَعْلَمُ الْكَافَرُ﴾ منذ موتهم حتى القيامة حتما، و فى الدنيا أحيانا ﴿لَمَنْ عَقِبَى الدَّارِ﴾ الصالحة.

٤٣ / ١٣

٤٣- ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا﴾ من عند الله ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ﴾ لا حضورا مرثيا و لا وحيا إليهم، بل يشهد بكتابه بربانية آياته: "أَوْ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ" .. قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ شَهِيدًا .. " أَمْ مَنْ

كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَ يُتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَ مِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَ رَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ .. (١٧: ١١) ﴿ وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ ككلّ و هو محمد (ص) و المحدثون عليهم السلام فإنه و إياهم يعلمون الكتاب كله، ثم علماء الكتاب الذين يتلونه حق تلاوته، فالشهادة الأصيله هي القرآن نفسه ثم يتلوها شهادة تالي الكتاب قبله حيث "يعرفونه كما يعرفون أبناءهم".

سورة ابراهيم

١ / ١٤

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ الر ﴿ هذا ﴾ ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ﴾ مفصلاً، محكمه ما أنزل عليك ليلة القدر و المعراج، معان عليها دون ألفاظ، و الحروف المقطعة بألفاظ مجمله رمزية إلا لك، "أَنْزَلَ إِلَيْكَ" لا لك فحسب، بل ﴿لَتُخْرِجَ النَّاسَ﴾ كقمة المكلفين و معهم سائرهم ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ أهوية و عقولا و علوما، ما يرتبط بنظام الحياة الإنسانية و بعدها الأخرى ﴿إِلَى النُّورِ﴾ واحدة بعد جمع "الظُّلُمَاتِ" ﴿يَاذُنِ رَبِّهِمْ﴾ حيث تربيهم بما أنزلناه إليك ﴿إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ﴾ القوى المتعال ﴿الْحَمِيدِ﴾ فى عزته.

٢ / ١٤

٢- رَبِّهِمْ: ﴿اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ﴾ "و ما بينهما" و هما الكون المخلوق كله، فكمال ملكيته و ملكيته لزامه كمال ربوبيته الطليقة ﴿وَ وَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ﴾ بهذه الألوهية و الربوبية الشاملة ﴿مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ فى الدنيا و الآخرة.

٣ / ١٤

٣- و هم ﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ﴾ تطلبا خلاف الفطرة و العقلية السليمة و الشرعة الإلهية ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى﴾ الحياة ﴿الْآخِرَةِ﴾ فلا يحبون و يعلمون إلا الدنيا، لا فقط، بل ﴿وَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ من أمن و سواهم ﴿وَ يَبْغُونَهَا﴾ طلبا لذلك الصد و بغيا ﴿عِوَجًا﴾ عن الحق المرام، حيث يؤخذ من الحق ضغث و من الباطل ضغث فيمزجان فيجيان معا، إذ يظهرون الحق بصورة الباطل و الباطل بصورة الحق و هنالك استحوذ الشيطان على أولياءه و نجى الذين سبقت لهم من الله الحسنى ﴿أُولَئِكَ﴾ الكافرون هم ﴿فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ عن الحق فإن الضلال القريب قد ينجى منه، و البعيد فيه الختم فلا خلاص إذا، و لات حين مناص.

٤ / ١٤

٤- ﴿وَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ﴾ كما يفهمون، لا- فقط- بلغتهم، فالقرآن ليس بلغة غير العرب و لكنه بلسان كافة المكلفين إن عرفوا اللغة أو ترجم لهم صحيحا، "ما أَرْسَلْنَا .. إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ" ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ ما أرسلوا به ﴿فَيُضِلَّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ﴾ الهدى فيشاءها الله له ﴿وَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَ هُوَ الْعَزِيزُ﴾ فى كل مشيئة ﴿الْحَكِيمُ﴾ فيها، إذ لا يشاء إلا عدلا أو فضلا.

٥ / ١٤

٥- ﴿وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا﴾ كلها، المناسبة لهذه الرسالة، و هكذا كافة الرسالات ﴿أَنْ أَخْرِجَ قَوْمَكَ﴾ بنى إسرائيل أولا ثم غيرهم من المكلفين، إذ يعنى قوم كل رسول الرساليين أمامه، دون خاصة أقاربه و أنسابه ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ كما فى كل رسالة بكل بسالة ﴿وَ ذَكَّرَهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾ البارزة بين سائر الأيام، أيام الرحمة و أيام النعمة و سائر الأيام التى لله فيها ميزة، كأيام الموت و الرجعة و القيامة "قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ" (١٤: ٤٥) ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ التذكير الشامل ﴿لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ حفاظا على إيمان و عمل الإيمان ﴿شَكُورٍ﴾ فيما حباه ربه.

٦ / ١٤

٦- ﴿وَ﴾ اذكر و ليذكر كل المرسل إليهم ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ الوحيدة الفريدة، سلبية تزيل الصاد عن الهدى الربانية: ﴿إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾: فرعون و جلاوزته، حال أنهم كانوا ﴿يَسُومُونَكُمْ﴾ تسييرا و إجبارا ﴿سَوْءَ الْعَذَابِ﴾ حياة معذبة كلها ﴿وَ﴾ منها أن كانوا ﴿يَذَبْحُونَ أَبْنَاءَكُمْ﴾ تقليلا لساعدكم و قتلا لما أخبروا من أن القضاء على فرعون هو بيد ابن منهم ﴿وَ﴾ يَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ إناثكم صغيرات و كبيرات، "يَسْتَحْيُونَ" من الحياة إبقاء لهن لخدمتهم، و لكنه يعمهن إلى الرجال المستحيون، حيث التذبيح خص بأبناء، أو من الحياء، إزالة لحياءهن في حرية الجنس بمراكم و منظركم اختصاصا بهن ﴿وَ﴾ فِي ذَلِكَ الْعَذَابِ الْمُهْمِنِ ﴿بَلَاءٌ﴾ و ابتلاء ﴿مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ أن لم يصددهم عنكم.

٧ / ١٤

٧- ﴿وَ﴾ اذكروا ﴿إِذْ تَأَذَّنَ﴾ إعلاما بإعلان ﴿رَبِّكُمْ لئنْ شَكَرْتُمْ﴾ الله على نعمه ﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ و هذه ضابطة في كافة النعم ﴿وَ﴾ لئنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ هنا سلبا أو نقصا منها، و بعد الموت أشد.

٨ / ١٤

٨- ﴿وَ﴾ قَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا﴾ كفرا أو كفرانا ﴿أَنْتُمْ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً﴾ أرض التكليف ككل مهما كانوا في السماء ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌ حَمِيدٌ﴾ غنى عن شكركم، حميد مهما لم تشكروه ف" إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌ عَنْكُمْ وَ لَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَ إِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ .." (٧: ٣٩).

٩ / ١٤

٩- ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ مثل ﴿قَوْمِ نُوحٍ وَ عَادٍ وَ ثَمُودَ وَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ ف ﴿لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾ عدة و عدة، إذ غبروا في مقابر التاريخ و مغابره ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ من آيات الحق ﴿فَرَدُّوا﴾ هؤلاء الطغات ﴿أَيَّدِيَهُمْ﴾ أولاء الهداة ﴿فِي أَفْوَهِهِمْ﴾ ردا جاهلا معاندا لأیدی الرسل برسالاتهم، آيات رسولية و أخرى رسالية، أما ذا من محتملات صالحة بمختلف الرد لهذه الضماير الثلاثة ﴿وَ﴾ قَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ﴾ دون حجة منهم عليهم إلا ردا جاهلا طاغيا ﴿وَ﴾ إِنَّا لَفِي شَكٍّ﴾ غارقين ﴿مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ﴾ و هو الشك المسنود إلى دليل، و ليس إلا عليلا.

١٠ / ١٤

١٠- ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ﴾ كلمة واحدة حسب مختلف الكفر منهم ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ﴾ حيث فطرهن بدعا في بدء، فكيف تشركون به ما لم ينزل به سلطانا و لا مشاركة في فطرهما، ثم و ﴿يَدْعُوكُمْ لِيَغْفَرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ رفعا و دفعا ﴿وَ يُؤَخِّرَكُمْ﴾ في زمن التكليف الامتحان ﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ دون عجالة ﴿قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ في البشرية، فكيف تتفوقون علينا برسالات الله ﴿تُرِيدُونَ﴾ بها ﴿أَنْ تَصُدُّونا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَآتُونَا﴾ على رسالاتكم ﴿بِسُلْطَانٍ﴾ عقلى أو حسى ﴿مُبِينٍ﴾ إياها، كما نشتهيه، لا كما يأتون به، وى كأنهم آلهة لم ما يشاءون. ف" سلطان مبين" كما يقترحون على رسل الله، لا هو سلطان و لا مبين، فإنه بين ما لا يدل على رسالة ربانية، أو هو مستحيل ذاتيا كان يأتيهم الله بنفسه، أو في الحكمة، كان تأتيهم الملائكة رسلا إليهم: " وَ قَالُوا لَوْ لَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَ لَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يَنْظُرُونَ. وَ لَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَ لَلْبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يُلْبَسُونَ" (١٠: ٦) و ما أشبه من اقتراحات غير عاذرة، غادرة.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٢٥٧

١١ / ١٤

١١- ﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ﴾ صحيح أنه ﴿إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ في البشرية، إلا أنه لا ينكر تفاضل بينهم و لا سيما ربانية خاصة ﴿وَ لَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ فيوحى إليه رسالة ثم ﴿وَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ﴾ يدل على رسالتنا

﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ و نحن كلنا مزودون بالبينات "لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ .." (٥٧: ٢٥) و هي "البينات" التي تثبت الحق المرام ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ بالله، و نحن متوكلون عليه فيما يريد من سلطان دون ما يقترحونه.

١٢ / ١٤

١٢- ﴿وَمَا لَنَا﴾ ما بالنا و بالنا و انحراف حالنا ﴿أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ﴾ على أية حال، و لا سيما فيما ليس إلا بإذن الله كسلطان لرسالاتنا ﴿وَالْحَالُ أَنَّهُ﴾ قَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا الصالحة إليه إيمانية و رسولية ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ﴾ لا سواء ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ دونما استثناء، فالصبر على المصائب في سبيل الله، هو من سبيل الله، استقامة على الدعوة دون ارتجاع و لا رخوة، ما لا يوجد لدفع الضر سبيل إلا الاستقامة فالصبر مفتاح الفرج "فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولَاؤُا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَ لَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ" (٤٦: ٢٧) "وَ اصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ" (٣١: ١٧) "وَ اصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا" (٥٢: ٤٨) ثم "يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَ صَابِرُوا وَ رَابِطُوا وَ اتَّقُوا اللَّهَ .." (٣: ٢٠٠).

١٣ / ١٤

١٣- ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا﴾ التي تدعوننا فيها ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ عودا إلى ما كنتم قبل رسالاتكم، سكوتا عما نحن عليه مهما كنتم موحدين دون دعاية ﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾ إياكم في الرسالة و دعوتها، إهلاكا لظلمهم حتى لا يؤثر في نقضها، أو و إهلاكا إياهم، و كما يتحقق في الدولة المهدوية برجوع كل من محض الكفر محضا، مع حاضريهم زمنها.

١٤ / ١٤

١٤- ﴿وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ﴾ بإسكان دعواتهم الرسالية معهم ﴿مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي﴾ ككل من رسل و مؤمنين بهم ﴿وَوَ خَافَ وَعِيدِ﴾ ي، فـ "إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَ الَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ" (٤٠: ٥١) "وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ. وَ إِنَّا جُنْدُنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ" (٣٧: ١٧٣) و ذلك برجوع الرسل كلهم زمن المهدى (ع) مع كل محض الإيمان محضا.

١٥ / ١٤

١٥- ﴿وَاسْتَفْتَحُوا﴾ الرسل من الله ففتح لهم، و كذلك هؤلاء الكفار على الرسل ﴿وَ خَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ أن خاب سعيهم كما غاب و عيهم، استفتاحا أمام استفتاح.

١٦ / ١٤

١٦- ﴿مِنْ وَرَائِهِ﴾ بعد موته، كما من وراء استفتاحه و دعوته الضالة ﴿جَهَنَّمَ﴾ في الأولى و الأخرى ﴿وَ يَسْقَى﴾ في الأخرى ﴿مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ﴾ يصد عنه ربه، و حياته السليمة.

١٧ / ١٤

١٧- ﴿يَتَجَرَّعُهُ﴾ تكلفا في جرعة جرعة رغم صديده ﴿وَ لَا يَكَادُ يَسِغُهُ﴾ عن عطشه بل يصدده عن حياته جرعة جرعة، بل ﴿وَ يَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ في جهنم ﴿وَ الْحَالُ أَنَّهُ﴾ ما هُوَ بِمَيِّتٍ ﴿بَلْ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَ لَا يَحْيَى﴾ (٨٧: ١٣) فأسباب الموت حاضرة و لكنه لا يموت بها ﴿وَ مِنْ وَرَائِهِ﴾ الموت الآتى إياه من كل مكان ﴿عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ أغلظ من أسباب الموت و نفسه.

١٨ / ١٤

١٨- ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ﴾ لا أنفسهم ﴿كَرَّمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ حيث تنشره و تفنيه، كذلك أعمالهم حابطة مثورة هابطة ﴿لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ﴾ و ﴿ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ عن الهدى.
البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٢٥٨

١٩ / ١٤

١٩- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ خلقا ﴿بِالْحَقِّ﴾ مصاحبة و إرادة و غاية و مصلحة " و ما خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَ مَا بَيْنَهُمَا لَاعِيبِينَ " (٢١: ١٦) " و ما خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَ مَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا " (٣٨: ٢٧) " و ما مَسَّنَا مِنْ لُتُوبٍ " (٥٠: ٣٨) و من حق خلقهما أن تعملوا حقا ف ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَ يَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ " إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَ يَأْتِ بِآخَرِينَ " (٦: ٣٣) يقومون مقامكم .. وَ يَسْتَخْلِفُ مِنْ بَعْدِكُمْ ما يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ آخَرِينَ " (١٣٣: ٦).

٢٠ / ١٤

٢٠- ﴿وَ مَا ذَلِكَ﴾ الإذهاب و التبديل، البعيد في زعمكم ﴿عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ شديد.

٢١ / ١٤

٢١- ﴿وَ بَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ يوم الجمع، بعد ما زعموا يوم الدنيا خفاءهم بأعمالهم عن الله " بَلْ بَدَأَ لَهُمْ ما كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ " (٦: ٢٨) ﴿فَقَالَ الضُّعَفَاءُ﴾ المستضعفون بتقصيرهم ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ على الله و عليهم فاستضعفهم بعد ما استخفهم: " فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ " (٤٣: ٥٤) " إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا " لتغونا عنا ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ هنا و هناك ﴿لَهَدَيْنَاكُمْ﴾ هنا و هناك ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا﴾ معكم ﴿أَجَزَعْنَا﴾ من عذابه ﴿أَمْ صَبَرْنَا﴾ عليه ﴿ما لَنَا﴾ جميعا ﴿مِنْ مَحْيِيٍّ﴾ و مخلص، فقد فات يوم خلاص فلات حين مناص.

٢٢ / ١٤

٢٢- ﴿وَ قَالَ الشَّيْطَانُ﴾ الأول لأتباعه ضعفاء و مستكبرين ﴿لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ تكليفا هنا، و عذابا أو ثوابا برزخيا بعده، و حسابا يوم يقوم الحساب، قال في حشده يوم الجمع ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحِسَابِ﴾ و الجزاء ﴿الْحَقِّ﴾ بكافة البراهين البينة ﴿وَ﴾ بقباله ﴿وَعَدْتُكُمْ﴾ ما يخالفه دون أى دليل ﴿فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾ فى وعدى ﴿وَ ما كان لى عليكم﴾ فى وعدى ﴿مِنْ سُلْطَانٍ﴾: حجة يتسلط عليكم ﴿إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ﴾ فقط ﴿فَاسْتَجَبْتُمْ لى﴾ دون أى سلطان ﴿فَلَا تَلُمُونى﴾ أنا فقط بل ﴿وَ لَوْمُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ استجابة لى دون سلطان ﴿ما أنا بِمُصْرِخِكُمْ﴾ أنتم و لا نفسى ﴿وَ ما أنتم بِمُصْرِخِى﴾ و لا أنفسكم ﴿إِنى كَفَرْتُ﴾ الآن ﴿بما أشركتمون مِنْ قَبْلُ﴾ الموت، إذ ظلمتم أنفسكم من قبل ﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ مضللين و مضللين ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

٢٣ / ١٤

٢٣- ذلك مصير الشيطان و أتباعه، ثم ﴿وَ أُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ لإيمانهم بالله، لا لما يروونه صالحا دون وحي الله ﴿جَنَّاتٍ﴾ بساتين تجن أشجارها بعض البعض ﴿تَجْرى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ سطح الأرضية و ما أشبه ﴿خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ إدخالا و خلودا ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ " سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بما صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ " فهو- إذا- خير التحيات هنا، و ذلك السلام ليس فقط لفظيا، بل هى تحية واقعية تحلق عليهم بكل كيانههم من الله: " لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ هُوَ وَلِيُّهُمْ بِما كَانُوا يَعْمَلُونَ " (٦: ١٢٧).

٢٤ / ١٤

٢٤- ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ يمثل الحق ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ لفظية و معنوية و عينية، و أصلها القول الثابت " يَثْبُتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ فى الْآخِرَةِ .. " (١٤: ٢٧) ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ فى منبتها ﴿وَ فَرْعُهَا فى

السَّمَاءِ ﴿يَرْتَقَى إِلَيْهَا دُومًا، سَمَاءٌ مَعْرِفِيَا وَ عِبُودِيَا، سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾ (٣٦: ٥٨) فِيهِ كُلُّ سَلَامٍ وَ سَلَامٌ "ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ" (٥٠: ٣٤).

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٢٥٩

٢٥ / ١٤

٢٥- ﴿تُؤْتِي أ كُلِّهَا كُلَّ حِينٍ﴾ دُونَ اخْتِصَاصٍ بِفَصْلٍ خَاصٍ ﴿يَاذُنِ رَبِّهَا وَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ وَ هَكَذَا كَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ فِي دَرَجَاتِهَا فِي كَافَةِ النِّشَآتِ.

٢٦ / ١٤

٢٦- ﴿وَ مِثْلُ كَلِمَةِ خَبِيثَةٍ﴾ تَضَادُ الطَّيِّبَةِ ﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾ مِثْلُ شَجَرَةِ الزَّقُومِ: "أ ذَلِكَ خَيْرٌ نَزْلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُومِ، إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ. إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ، طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ" (٣٧: ٦٥) ﴿اجْتَنَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ﴾ فَرَارًا ثَانِيًا عَنْ أَى قَرَارٍ ﴿مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ أَبَدًا: "فَأَمَّا الزُّبْدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَ أَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمُكُّ فِي الْأَرْضِ" (١٣: ١٧).

٢٧ / ١٤

٢٧- أَجَلٌ ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ وَ هِيَ الشَّجَرَةُ الطَّيِّبَةُ ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ فِي الْآخِرَةِ﴾ تَثْبِيْتًا لِذَلِكَ الْقَوْلِ الثَّابِتِ فِيهِمَا ﴿وَ يَضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾ بِالْقَوْلِ الْهَابِطِ ﴿وَ يَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾.

٢٨ / ١٤

٢٨- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا﴾ مِنْ فِطْرَةٍ وَ عَقْلِيَّةٍ وَ شَرْعَةٍ، إِذْ سَتَرُوها عَنْ إِدْرَاكِاتِهَا لِلْحَقِّ ﴿وَ أَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبُورِ﴾ بِمَا بَدَّلُوا، وَ لَا سِيْمَا عَلَى الْمُسْتَضْعَفِينَ إِظْهَارًا لِلْحَقِّ بِصُورَةِ الْبَاطِلِ "وَ مَنْ يَبْدُلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ" (٢: ٢١١) وَ "ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا .. مَا يَقُومُ حَتَّى يَغْيُرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ" (٨: ٥٣) أ فَيُضِلُّ الْبَاطِلُ يُؤْمِنُونَ وَ يَنْعَمَتِ اللَّهُ هُمْ يَكْفُرُونَ" (١٦: ٧٢).

٢٩ / ١٤

٢٩- ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا﴾ إِيقَادًا لَهَا لِأَنَّهُمْ رَعَوْسُ الضَّلَالَةِ ﴿وَ بئْسَ الْقَرَارُ﴾.

٣٠ / ١٤

٣٠- ﴿وَ جَعَلُوا﴾ هَؤُلَاءِ الْحَمَاقِي الْأَنْكَادِ ﴿لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ أَمْثَالًا فِي الْعِبُودِيَّةِ أَضْدَادًا فِي شُئُونِ الرُّبُوبِيَّةِ ﴿لِيُضِلُّوا﴾ بِهَا ﴿عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا﴾ بِذَلِكَ الْجَعْلِ الْجَاهِلِ الْمَاحِلِ ﴿فَإِنْ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾ "جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَ بئْسَ الْقَرَارُ".

٣١ / ١٤

٣١- ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ إِقَامَةً لظَاهِرِهَا وَ بَاطِنِهَا وَ شَرَائِطِهَا وَ أَجْزَاءِهَا ﴿وَ يَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ عِلْمًا وَ قُوَّةً وَ مَالًا وَ مَا أَشْبَهَ مِمَّا يُمْكِنُ وَ يَصِحُّ إِتْفَاقُهُ ﴿سِرًّا وَ عَلَانِيَةً﴾: "إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَ إِنْ تُخْفَوْهَا وَ تُؤْتَوْهَا الْفُقَرَاءَ فَهِيَ خَيْرٌ لَكُمْ" (٢: ٢٧١) فَالْإِبْدَاءُ الْخَيْرُ مَا لَيْسَ فِيهِ رِئَاءٌ لِيَشْجَعَ الْآخَرِينَ، وَ إِخْفَاءُهَا ابْتِعَادًا عَنِ الرِّئَاءِ "فَنِعِمَّا هِيَ" ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ﴾ تَبِيعَ مِمَّا عِنْدَكَ حَتَّى تَشْتَرِيَ حَاجِيَاتَكَ ﴿وَ لَا خِلَالَ﴾ تَأْخُذُهَا بِخَلَّةٍ دُونَ بَيْعٍ: "يَوْمٌ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَ لَا بَنُونَ، إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ" (٢٦: ٨٩)

٣٢ / ١٤

٣٢- ﴿اللَّهُ﴾ هُوَ ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ﴾: الْخَلْقُ كُلُّهُ ﴿وَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ "بِقَدْرِ فَاسْكَنَاهُ فِي الْأَرْضِ وَ إِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهَ لِتَقَادِرُونَ" (٢٣: ١٨) ﴿فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا ﴿وَ سَخَّرَ لَكُمْ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ﴾

۳۳ / ۱۴

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٢٦٠

34 / 14

30/14

۳۶ / ۱۴

37/14

38 / 14

۳۹ / ۱۴

Σ. 114

٤٠- ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَ﴾ اجعل مقيمها ﴿مِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ جعلنا استمراريا فنحن نقيمها قبل ذلك الجعل، ثم قبلها و فيها جعلنا أصليا أن نقيمها كما تشاء في أنفسنا و سوانا، لا أن نأتى بالصلاة فقط، فإقام الصلاة درجات كما الإيمان و الإسلام لله درجات " وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ .." (٢: ١٢٨) ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾.

٤١ / ١٤

٤١- ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾ دون " أبوى" مما يدل على أن أباه أزر لم يكن والده، و إلا فكيف " فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ" (٩: ١١٤) و دعاءه له بعد ما تبرء منه تكذيب لقوله تعالى أن " تَبَرَّأَ مِنْهُ" ثم تكذيب للعصمة الإبراهيمية ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ فإنه محور الغفر، و على هامشه غفر فى البرزخ، ثم هناك غفر رفعا بعد ذنب كما لغير المعصومين، و هنا غفر دفعا دون ذنب و هو رفع درجات كما للمرسلين و من يقربهم عبودية.

٤٢ / ١٤

٤٢- ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ﴾ أبدا ﴿غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ إذ لا يعذبهم هنا عذابا وفاقا، فإنه يعلم ظلمهم و يقدر على دفعه أو عذابهم بعده هنا، و ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ﴾ عن عقوبته تماما ﴿لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ مهما كان هنا عليهم عذاب. البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٢٦١

٤٣ / ١٤

٤٣- حالكونهم ﴿مُهْطِعِينَ﴾: مصوبين أعناقهم و رافعين ﴿مُقْنِعِي﴾: رافعى ﴿رُؤُسِهِمْ﴾ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ﴿شَاحِصِينَ﴾ لشاخصين لهول الموقف المطَّلَع، فهم فى ثالث الشخص، ثم ﴿وَافْتَدَتْهُمْ هَوَاءٌ﴾ هاوية خاوية كأن لا أفتدة لهم إلا هباء، و الفؤاد هنا هو القلب المتفتد بالنار، كما فى " نارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ. الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْتَدَةِ" (١٠٤: ٧) يعاكسه فؤاد رسول الهدى: " ما كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى" (٥٣: ١١) قلبا متفتدا مشتعلا بالنور، و أين فؤاد من فؤاد، و هنا " الفؤاد" كأن لا فؤاد إلا فؤاده.

٤٤ / ١٤

٤٤- ﴿وَ أَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ﴾ ككل، كما هم يدخلون النار " ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا .." (١٩: ٧٢) ﴿فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ ظلما فاتكا هاتكا ﴿رَبَّنَا أَخْرِنا إلى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ إلينا و هو حياة التكليف حيث تركناها من قريب، لكى ﴿نَجِبْ دَعْوَتَكَ﴾ ثم بالنتيجة ﴿وَتَتَّبِعِ الرُّسُلَ﴾ ألم تكونوا مهملين الحق عمدا " أَوْ لَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ" (٣٥: ٣٧) ﴿أَوْ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ﴾ هذا ﴿مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ﴾ على أية حال.

٤٥ / ١٤

٤٥- ﴿وَوَسَّكُنْتُمْ﴾ مكانا و مكانة ﴿فِي مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ من ذى قبل ﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾ من عذاب هنا بما ظلموا ﴿وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ﴾ و حيا و سواه ليتنبهوا.

٤٦ / ١٤

٤٦- ﴿وَقَدْ مَكَرُوا﴾ هؤلاء القدامى المقلدين ﴿مَكَرَهُمْ﴾ ما استطاعوا على الحق ﴿وَعِنْدَ اللَّهِ﴾ علما و قدرة ﴿مَكَرُهُمْ﴾ و إن كان مَكَرُهُمْ لِيُزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴿كَلَّا﴾ و لكنه ليس عند الله غلبا، " فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا".

٤٧ / ١٤

٤٧- ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلَفًا وَعَدِهِ رُسُلُهُ﴾ فى كلمنا وعدهم و منه تعذيبهم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ " غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ" ﴿ذُو انتِقَامٍ﴾ فى موضع النكال و النعمة.

٤٨ / ١٤

٤٨- و أهمه، بعد الدنيا و البرزخ ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ﴾ في تبديل التدمير و من ثم التعمير، فهي هي و هي غيرها، إذ تتبدل أعلامها" وَ تَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً" لا ترى فيها عوجاً و لا أمتاً (٢٠: ١٠٧) ﴿وَبَرَزُوا﴾ كلهم بعد خفاءهم عنه كما كانوا يزعمون ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾.

٤٩ / ١٤

٤٩- ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ حِينَذٍ﴾ يَوْمَئِذٍ حِينَذٍ ﴿مُقَرَّنِينَ﴾ قرنا، و جمعا بين نظراءهم ﴿فِي الْأَصْفَادِ﴾ و هي الأغلال الجامعة بين الأيدي و الأعناق" وَ إِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا" (٢٥: ١٣) و كما كانوا هنا مقربين في أصفاد الإجماعات مع بعض البعض "جَزَاءً وَفَاقًا".

٥٠ / ١٤

٥٠- ﴿سَرَابِيلُهُمْ﴾ أقمصتهم ﴿مِنْ قَطْرَانٍ﴾ مادة شديدة القابلية للإحراق مثل القير ﴿وَتَعْشَىٰ وُجُوهُهُمُ النَّارُ﴾ في دار القرار، كما غشتها في دار الفرار "جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَ يَسُوءُ الْقَرَارُ".

٥١ / ١٤

٥١- كل ذلك ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ﴾ دون زيادة و نقيصة إلا خيرا ف" لَدَيْنَا مَزِيدٌ" و كيف يجزي الكافر دون نهاية، و قد كان ما كسب محدودا بكل الحدود، و هو هو نفسه جزاءه، فهنا" ما كَسَبَتْ" تعنى" بما كسبت" "جَزَاءً وَفَاقًا" بظهور العمل بملكوته و حقيقته ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.

٥٢ / ١٤

٥٢- ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ﴾ كل الناس و معهم كافة المكلفين، ليعلموا يصدقوا و .. ﴿وَلِيُنذِرُوا بِهِ﴾ عما أعدده الله من عذاب إن لم يؤمنوا ﴿وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ " إِنْ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٌ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَ هُوَ شَهِيدٌ" (٥٠: ٣٧) فاللب هنا هو القلب الخالص الخالي عن قشر، و قبله العقل الخارج عن قشور.

سورة الحجر

١ / ١٥

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ الر. تِلْكَ التي نتلوا عليك على طول خط الرسالة الأخيرة هي ﴿آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ كلها، الذي هو عند الله لعلى حكيم، ثم أنزل عليك ليلة القدر، ثم فصل تفصيلا ﴿وَقُرْآنٍ﴾ يقرأ على الناس ﴿مُبِينٍ﴾ فهذه هي آيات مفصلات لهذا القرآن العظيم، و قد يعنى "الكتاب" كل ما كتبه الله على المكلفين طول الرسالات حيث إن هذا القرآن يحويها كلها و زيادة هي رمز الخلود.

٢ / ١٥

٢- و من هذه الآيات كما هي ﴿رُبَّمَا﴾: أحيانا ﴿يُودُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ علما و عنادا ﴿لَوْ﴾ مستحيلا باختيارهم ﴿كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ فيخطوا خطواتهم يوم الدنيا، و لا سيما يوم الدين، و قد مضى يوم خلاص و لات حين مناص.

٣ / ١٥

٣- ﴿ذَرَهُمْ﴾ "فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ" (٦: ٩١) أَنْ ﴿يَأْكُلُوا وَ يَمْتَعُوا﴾ بمتاع الحياة الدنيا "وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَ يَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَ النَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ" (٤٧: ١٢) ف" إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَ سَيَصْلُونَ سَعِيرًا" (٤: ١٠) ﴿ذَرَهُمْ .. وَ يَلْهَبُهُمُ الْأَمَلُ﴾ الملهى الملغى أمل الحق و عمله ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ "كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ" فى البرزخ "ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ" (٧٨: ٥) فى الآخرة.

٤ / ١٥

٤- ﴿وَ مَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ﴾: جماعة ﴿إِلَّا وَ﴾ الحال أَنْ ﴿لَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾ معلوم عند الله فلا يؤجل أو يعجل ف" لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ" (٧: ٣٤).

٥ / ١٥

٥- ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾ المقرر لها ﴿وَ مَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ إياه، فإنه عند الله و من الله: و" لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ" (١٣: ٣٨).

٦ / ١٥

٦- ﴿وَ قَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ﴾ هذا ﴿الذِّكْرُ﴾ كما تزعم ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ فلا أنه منزل عليك من الله، و لا هو يوافق العقل.

٧ / ١٥

٧- ثم لو كان منزلا من عند الله ف ﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ﴾ لتصدقك ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ "وَ لَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَ لَلْبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ" (٦: ٩) ثم:

٨ / ١٥

٨- ﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ﴾ عليهم ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ عند ما يتوفونهم، و قبله باطل إذ لا يليقون نزولهم عليهم بوحى الرحمة "إِلَّا بِالْحَقِّ" عند موتهم ﴿وَ مَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ﴾ لإيمان فإنه عند رؤية البأس لا يقبل.

٩ / ١٥

٩- و على أية حال ف ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا﴾ عليك هذا ﴿الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ عن أى تحريف أو تبديل بهذه التأكيد العشر، كاملة فى ذلك الحفظ الربانى لذلك الذكر، حافظون عند الرسول .. سَنَقُرُّكَ فَلَا تَنْسَى" و حافظون فى محفوظاته لكافة المكلفين إلى يوم الدين، فلا تحريف فيه -إذا- و لا تجديف، اللهم إلا ألا يقدر الله على حفظه، أو ينسى ما وعده و عودا بالله.

١٥ / ١٠

١٠- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ رسلا ﴿مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعٍ﴾ جمع شيعة مقلدة أعمى ﴿الْأَوَّلِينَ﴾ و هم كافة الرسالات قبله، فأتمته هي الآخرة كما هو نبي آخر الزمن.

١٥ / ١١

١١- ﴿مَا يَأْتِيهِمْ﴾ هؤلاء الشيع المقلدة الأعمى على طول الخط، حكاية لحال ماضية ﴿مِنْ رَسُولٍ﴾ رباني ﴿إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤْنَ﴾.

١٥ / ١٢

١٢- ﴿كَذَلِكَ﴾ العميق الحميق بعد انسلاك الهزء في شيع الأولين ﴿نَسْلُكُهُ﴾ ختما ﴿فِي قُلُوبٍ﴾ كافة ﴿الْمُجْرِمِينَ﴾ " فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ " فقد سلکوه من قبل في قلوبهم المقلوبة فسلكناه كما سلکوا " جزاءً وفاقاً".

١٥ / ١٣

١٣- و من مخلفات ذلك السلوك الرباني في ذلك السلك أنهم ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ الذكر القرآن ﴿وَقَدْ خَلَّتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ منهم و هم شيع الأولين.

١٥ / ١٤

١٤- ﴿وَلَوْ﴾ مستحيلا في الحكمة الربانية ﴿فَتَحْنَاهُمْ عَلَيْهِمْ بَاباً مِنَ السَّمَاءِ﴾ يسمعون منها إلى الملاء الأعلى وحيا ﴿فَظَلُّوا فِيهِ﴾: فتحا ﴿يَعْرَجُونَ﴾ إلى الملاء الأعلى.

١٥ / ١٥

١٥- ﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ﴾ سكرأ أو سكرأ ﴿أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ﴾.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٢٦٣

١٥ / ١٦

١٦- و لكن أبواب سماء الوحي مغلقة على غير أهليه ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾ أبنية عالية في مدنها ﴿وَوَزَيْنَاهَا لِلنَّازِظِينَ﴾ إليها، من ساكنيها و القريبين منها، و البعيدين بعيون مسلحة نظرا إليها أو بأسفار فضائية.

١٥ / ١٧

١٧- ﴿وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ﴾ من جان و إنسان ﴿رَجِيمٍ﴾ عن سماء الوحي و عن كل رحمة ربانية، إذ " يَقْدِفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ " (٣٧: ١٠).

١٥ / ١٨

١٨- ﴿إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ﴾ منهم ﴿فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ﴾: نيزك سماوى يطرده و يجرحه.

١٥ / ١٩

١٩- ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾ بعد جمعها و ضغطها ﴿وَوَلَّيْنَاهَا فِيهَا﴾ من دواخلها إلى أجواء فوقها ﴿رَوَاسِيَ﴾ جبالا أصولها فيها و رءوسها في السماء و أنبتنا فيها بعد ما كانت قاحلة جرداء ﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾ بعضا، قضية " من " فكل شئ فيها موزون، فيزيائيا و هندسيا، إلى وزن الحكمة الربانية و الحاجة الخليفة.

١٥ / ٢٠

٢٠- ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ﴾ العائشين عليها ﴿فِيهَا﴾ باطنة و ظاهرة ﴿مَعَايِشَ﴾ مشارب و مأكلا و ملابس و مناكح و مساكن و ما أشبه من حاجيات العائشين ﴿وَلَكُمْ﴾ لَمْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ و هم أكثر ممن ترزقونهم.

٢١ / ١٥

٢١- ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾ علما و قدرة و حكمة لا تنفد ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُ﴾ من ساحة الربوبية إلى المربوبين ﴿إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ عندنا.

٢٢ / ١٥

٢٢- ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ﴾ المريحة رحمة ﴿لَوَاقِحَ﴾ تلقيح الأشجار فتحبل و تحمل ثمرات، كما و تلقيح السحاب حيث تجعل بعضها على بعض ركاما ﴿فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ﴾ الدنيا ﴿مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ﴾ عن كل عطش حيواني و نباتي أو جمادى ﴿وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ لحد الكفاية، و إنما تخزن في الأرض كما تبخر إلى السماء، خزائن سماوية و أرضية خارجة عن خزانتكم، لكثرتها و فرارها أرضا و جوا.

٢٣ / ١٥

٢٣- ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ﴾ لا سوانا ﴿نُحْيِي﴾ الموتى ﴿وَنُمِيتُ﴾ الأحياء ﴿وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ كافة الأموات، نرث "الأرض و مَنْ عَلَيْهَا" فلا وارث للأموات إلا نحن كما لا إله إلا نحن.

٢٤ / ١٥

٢٤- يا أيها المكلفون بشريعة الله ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ﴾ طلبا لآجل أن يأتي عاجلا ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾ طلبا لعاجل يأتي آجلا، ثم كل استقدام بأن يقدم نفسه بكدها في سبيل الله: ﴿وَقَدَّمُوا لَأَنْفُسِكُمْ﴾ و كل استئجار أن يؤخر نفسه بكدها في سبيل الشيطان، و كما منهم من يستقدم أحيانا و يستأخر أخرى فهم عوان بينهما.

٢٥ / ١٥

٢٥- ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ﴾ لا سواه ﴿يَحْشُرُهُمْ﴾ جميعا يوم الدين ﴿إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ فيما يفعل: لا يسئل عما يفعل و هم يسئلون.

٢٦ / ١٥

٢٦- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ روحا و جسما، بل الروح أخرى من الجسم، كما "ثم أنشأناه خلقاً آخر" ﴿مِنْ صَلْصَالٍ﴾ و هو طين جاف متروك من صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ و هذا الصلصال هو ﴿مِنْ حَمِإٍ مَسْنُونٍ﴾: طين أسود متغير، و هذا هو الإنسان الأول حيث بدأ خلق الإنسان من طين. ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين (٨: ٣٢) و آيات الصلصال تدل على خلق الإنسان الأول قفزة من طين دون اتصال من حيوان كما يزعم.

٢٧ / ١٥

٢٧- ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ﴾ الإنسان الأول ﴿مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾.

٢٨ / ١٥

٢٨- ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ﴾ كلمهم ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ﴾ هو ﴿مِنْ حَمِإٍ مَسْنُونٍ﴾.

٢٩ / ١٥

٢٩- ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ﴾ بدنيا ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ الذى أخلقه من بدنه ف" ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ" إنشاء البدن روحا هو خلق آخر، فهذه إضافة تشريفية، أن روح البشر هو من خواص خلقه بين سائر الأرواح ك" بَيْتِي" ﴿فَقَعُوا﴾ كلكم ﴿لَهُ﴾ لصالحه شكرا لله و سجودا له ﴿سَاجِدِينَ﴾ إذ لا يسجد عبودية أو احتراما إلا لله، "فَاسْجُدُوا لِلَّهِ".

٣٠ / ١٥

٣٠- ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ دونما استثناء، كما يناسب كونهم و كيانههم.

٣١ / ١٥

٣١- ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ و قد كان فى ضمنهم، فهو منهم فى ظاهرة عباداتهم، دون جنسه إذ" وَ الْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ" (٢٧: ١٥) و كما أمر أيضا بخصوصه" مَا مَنَعَكَ آلَا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ" (٧: ١٢).

٣٢ / ١٥

٣٢- ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ﴾ من حماقة و تعنت ﴿إِلَّا تَكُونَ مَعَ﴾ هؤلاء ﴿السَّاجِدِينَ﴾ شكرا.

٣٣ / ١٥

٣٣- ﴿قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ﴾ ترابى، و أنا نارى ﴿خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ و هو أثن طين و أسوده، فأين نار من هذا الطين، قياسا إحداديا أمام الله كأنه لا يرى ما يراه.

٣٤ / ١٥

٣٤- ﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا﴾ إذ ليست الجنة محل عصيان ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ من عندى عن محل كرامتى.

٣٥ / ١٥

٣٥- ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ حيث التعن إلى يوم الدين إذ قال" لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ" فكينونته بما عمل ليست لتغير، فلا توبة له حتى يتوب الله عليه.

٣٦ / ١٥

٣٦- ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي﴾ إمهالا للإبلاس ﴿إِلَى يَوْمٍ يَبْعَثُونَ﴾ أن لا أموت أبدا.

٣٧ / ١٥

٣٧- ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ﴾ الشياطين ﴿الْمُنْظَرِينَ﴾ إمهالا لما تروم من إبلاس و يرومون.

٣٨ / ١٥

٣٨- و لكن ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ و هو الإماتة الأولى" وَ نُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ" (٣٩: ٦٨).

٣٩ / ١٥

٣٩- ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ دحرا عن محل رحمتك ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ﴾ آدم و بنيه ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ الباطل حقا ﴿وَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ و لكن اين إغواء من إغواء!.

٤٠ / ١٥

٤٠- ﴿إِلَّا عِبَادَكَ﴾ الخصوص ﴿مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾ حيث أخلصتهم لنفسك و هم المعصومون.

٤١ / ١٥

٤١- ﴿قَالَ﴾ الله ﴿هَذَا صِرَاطٌ﴾ إلى و هو الإخلاص الخاص، و هو ﴿عَلَى مُسْتَقِيمٍ﴾ إلى مرضاتى دون عوج.

٤٢- ﴿إِنَّ عِبَادِي﴾ مخلصين و مخلصين ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ﴾ أَى ﴿سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ﴾ مطلقا ﴿مِنَ الْغَاوِينَ﴾ فليس لك سلطان على عبادى المؤمنين كأصل، مهما عصوا أحيانا، فليس كما قلت "إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ" بل و المخلصين لى قدر إخلاصهم على هامش المخلصين.

٤٣- ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ﴾ "الْغَاوِينَ" ﴿أَجْمَعِينَ﴾ إِذْ تَعْنَى الْغَوَايَةَ عَنْ تَوْحِيدِ اللَّهِ وَعِبَادَتِهِ: لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ" (١٨: ٧).

٤٤- ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾: طبقات بدر كات ﴿لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ عليهم حسب الغوايات، فإنها سبعة حسب الأبواب.

٤٥- ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ﴾ هنا ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ هناك، منذ البرزخ إلى القيامة.

٤٦- يقال لهم عند دخولهم ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ﴾ منا و بركات، و سلام من أهلبيها و حرمت حالكونكم ﴿أَمِينٌ﴾ من كل سوء داخلا و خارجا، خلاف الدنيا الدنية.

٤٧- ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ﴾ بعضهم على بعض ﴿مِّنْ غِلٍّ﴾ و هم غير المخلصين الذين يعتبرهم غل على بعض المؤمنين فضلا عن عكسه، و الغل هو العدا و الضغن، مهما يدعون هنا ألا يحصل بينهم غل، فإنما ما تبقي منه هنا منزوع هناك بطلاق السلام، حالكونهم ﴿إِخْوَانًا عَلَى سُرٍّ مُّتَقَابِلِينَ﴾ مما يدل على أن في التقابل سرورا زائدا.

؟؟؟؟؟؟؟؟(آیه ۴۸ موجود نیست. نه در کتاب و نه در فایل)؟؟؟؟؟؟؟؟

٤٩- ﴿نَبِّئْ عِبَادِي﴾ ﴿غَيْرِ الْغَاوِينَ﴾ ﴿أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿فِي مَوْضِعِ الْعَفْوِ وَ الرَّحْمَةِ، كَضَابِطَةٍ مِنْ رَحْمَتِهِ.

٥٠- ﴿وَإِنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ في موضع النكال و النعمة، عند استحقاقها.

٥١- ﴿وَنَبِّئْهُمْ﴾ هؤلاء المؤمنين ﴿عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ﴾ المكرمين بين الملائكة عند إبراهيم.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٢٦٥

٥٢- ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ﴾ بصورة الإنسان ﴿فَقَالُوا﴾ قولاً ﴿سَلَامًا﴾ عليه" قال سلام" كما قالوا، ثم قال: "إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ" لا نعرفكم و مع ذلك "فَرَأَىٰ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ. فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ. فَأَوْجَسَ إِخْفَاءً مِنْهُمْ خِيفَةً" و لذلك ﴿قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجَلُونَ﴾ لا نعرفكم أولاً و لا تأكلون ثانياً فهل أنتم -إذا- أعداء، كما هو دأبهم ألا يأكلوا عند من يعادونه.

۲۹۵

٥٣- ﴿قَالُوا لَا تَوْجَلْ﴾ منا ف﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ و الغلام العليم هنا هو إسحاق بعد إسماعيل: "فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ" و من حلمه بقاءه فى واد غير ذى زرع، و فى إسحاق" وَ بَشِّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ" (٣٧: ١١٢).

٥٤ / ١٥

٥٤- و لأنه حتى الآن ما علم أنه من الملائكة المبشرين ﴿قَالَ أَبَشِّرْهُمُونِ﴾ بما بشرتم ﴿عَلَى﴾ حال ﴿أَنْ مَسَّنِي﴾ فيها ﴿الْكِبَرُ﴾ و العقم كما و امرأتى إذ" قَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ" ﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾ نى؟.

٥٥ / ١٥

٥٥- ﴿قَالُوا بَشِّرْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ دون باطل، إذ أرسلنا ربنا ﴿فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ﴾ من بشارة الله.

٥٦ / ١٥

٥٦- ﴿قَالَ وَ مَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ﴾ إذ عرف أنها بشارة لرحمة ربانية من الله ﴿إِلَّا الضَّالُّونَ﴾ و أنا من المهتدين، فلم أشكك فى هذه البشارة فى رحمة ربى و قدرته، بل فيكم أنتم فحسب.

٥٧ / ١٥

٥٧- فلما عرفه الله إياهم أنهم رسله ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ عظيم أمركم بعد هذه البشارة ﴿أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ إذ كان ينتظر أمرا فى قوم لوط.

٥٨ / ١٥

٥٨- ﴿قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾ " وَ لَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّا أَهْلُهَا كَانُوا ظَالِمِينَ" (٢٩: ٣١) "أُرْسِلْنَا" لإهلاكهم أجمعين.

٥٩ / ١٥

٥٩- ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ﴾ أتباعه، قرياء و سواهم، فإنهم آل الرسول على سواء ﴿إِنَّا لَمُنَجُّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

٦٠ / ١٥

٦٠- ﴿إِلَّا امْرَأَتَهُ﴾ مهما كانت هى أقرب الآل قرابة ﴿قَدَرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ﴾ المغبرين الماضين فى الهلاك.

٦١ / ١٥

٦١- ﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ﴾ بوعد العذاب على سدوم، و هم بصورة الإنسان.

٦٢ / ١٥

٦٢- ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّكَرُونَ﴾ لا نعرفكم، و هذا موقف الخوف و ذلك الجو المخيف.

٦٣ / ١٥

٦٣- ﴿قَالُوا﴾ للوط و هو أصل ذلك المجيء ﴿بَلْ﴾ دون استنكار ﴿جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا﴾ هؤلاء القوم ﴿فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾ من العذاب الموعود، بعد امتراءهم فى الإيمان.

٦٤ / ١٥

٦٤- ﴿وَ أَتَيْنَاكَ﴾ بشارة العذاب الموعود ﴿بِالْحَقِّ﴾ دون باطل و ادعاء ﴿وَ إِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ فيما نبشرك، فصدقهم بما عرفه الله أنهم رسله.

٦٥ / ١٥

٦٥- إذا ﴿فَاسْرِ بِأَهْلِكَ﴾ الأهلين للنجاة، سيرا ﴿بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ﴾ حتى لا يرونكم فيلحقوكم ﴿وَاتَّبِعْ﴾ أنت ﴿أَدْبَارَهُمْ﴾ تقديمًا لهم في ذلك السرى ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ﴾ إلى الوراء ﴿مِنْكُمْ أَحَدٌ وَآمَضُوا﴾ فى سريكم ﴿حَيْثُ تَوَمَّرُونَ﴾ إلى مكان آمن كما يأمر الله.

٦٦ / ١٥

٦٦- ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ﴾ لوط ﴿ذَلِكَ الْأَمْرَ﴾ المهلك ﴿أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ﴾ ما دبروه من حياة و حيوات و حاجيات ﴿مَقْطُوعٌ﴾ عنهم حالكونهم ﴿مُصْبِحِينَ﴾ "فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ" (٦: ٤٥).

٦٧ / ١٥

٦٧- ﴿وَ﴾ فى هذه الجيئة المبشرة ﴿جَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ﴾ إليهم، حال أنهم ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ بعضهم بعضًا بهؤلاء الغلمان الحسان، دون رعاية لحرمة لوط (ع).

٦٨ / ١٥

٦٨- ﴿قَالَ﴾ لوط ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَيْفَى فَلَا تَفْضَحُون﴾ فى فيهم أن تبغوا منهم ما تبغون، مهما تعملونه فى غيايى مع غيرهم.

٦٩ / ١٥

٦٩- ﴿وَ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ الذى به تؤمنون مهما تشركون به، فإن فضح صاحب الدار فى ضيفه خلاف تقوى الله ﴿وَلَا تُخْزُون﴾ فى فيهم، أعمل منكر بضيف كرام لدى، و أنا رسول المعروف.

٧٠ / ١٥

٧٠- ﴿قَالُوا أَوْ لَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ فلك دينك و لنا ديننا.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٢٦٦

٧١ / ١٥

٧١- ﴿قَالَ﴾ لهم ﴿هَؤُلَاءِ الْبَنَاتُ﴾ فأنكحوهن ﴿إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ حتما، شهوة جنسية، مهما كان من الوراء رغم حرمة، تخفيفًا عن الحرام.

٧٢ / ١٥

٧٢- ﴿لَعَمْرُكَ﴾: حياتك يا محمد ﴿إِنَّهُمْ﴾ أولاء الحماقى الأنكاد ﴿لَفِ سَكْرَتِهِمْ﴾ الشهوانية ﴿يَعْمَهُونَ﴾: يترددون هنا و هناك حائرين مائرين.

٧٣ / ١٥

٧٣- وصلت السكر الطاغية إلى ذلك الحد ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾ الموعودة المدمرة المزمجرة حالكونهم ﴿مُشْرِقِينَ﴾ كما وعد "أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ" (١٥: ٦٦).

٧٤ / ١٥

٧٤- ﴿فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا﴾ قرية سدوم ﴿سَافِلَهَا﴾ حيث جعلت ظهر بطن ﴿وَ أَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً﴾ سماوية هى ﴿مِنْ سَجِيلٍ﴾ فإنه أصلها و هى الآن حجارة صلبة، و هى "مُسَوَّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ" (١١: ٨٣).

٧٥ / ١٥

٧٥- ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ العذاب الأليم ﴿لَآيَاتٍ﴾ ربانية ﴿لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ و هم المتأثرون المعتبرون بآيات الله، المتفرسون فيها.

٧٦ / ١٥

٧٦- ﴿وَإِنَّهَا﴾ الآيات الربانية المنذرة و المبشرة ﴿لِسَبِيلٍ﴾ ربانى على طول خط الرسالات ﴿مُقِيمٍ﴾ ذلك السبيل، فسبيل الله لا تنقطع، و آياته لا تنمحى، كما و أن قرية قوم لوط باقية الآثار بين الحجاز و الشام،

٧٧ / ١٥

٧٧- ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ العذاب ﴿لَايَةً﴾ على حق الإيمان ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ بالله.

٧٨ / ١٥

٧٨- ﴿وَإِنْ﴾ تأكيداً ﴿كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾ الشجر الملتف بعضه ببعض، و هم قوم شعيب " كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ. إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ " (١٧٧: ٣٦) و على أية حال هم ﴿لِظَالِمِينَ﴾ بحق الرسالات و الرسل و بحق أنفسهم و أهل الحق ككل.

٧٩ / ١٥

٧٩- ﴿فَأَنْتَقِمْنَا مِنْهُمْ﴾ كقوم لوط ﴿وَإِنَّهُمَا﴾ هم و قوم لوط ﴿لِيَأْمُرَ مُبِينٍ﴾ هنا و فى الأخرى، فهنا هما بين الشام و المدينة، و هناك إمامهم كتابهم الذى يؤتونه بشمالهم و كتاب شرعتهم.

٨٠ / ١٥

٨٠- ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ﴾ بالوان التكذيب ﴿أَصْحَابُ الْجُبْرِ﴾ واد كان يسكنه ثمود قوم صالح ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾ على وحدة الرسالة لصالح، و لكنهم كذبوا أصل الرسالة بتكذيبه.

٨١ / ١٥

٨١- ﴿وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا﴾ الخاصة بهم كما يصلحهم، و هى نموذجة لكافة الآيات الرسولية، فالتكذيب بها تكذيب بها كلها ﴿فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ و الإعراض عن أية رسالية إعراض عن الرسالات كلها.

٨٢ / ١٥

٨٢- ﴿وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ﴾ إذ كانوا يسكنون غير انا مصطنعة خوفاً من الناس.

٨٣ / ١٥

٨٣- ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾ المدمرة المزمجرة حالكونهم ﴿مُصْبِحِينَ﴾ داخلين فى الصباح، بين نوم و يقظة.

٨٤ / ١٥

٨٤- ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ﴾ من الصيحة ﴿مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ه، من بيوت جبلية أماهية من قوة.

٨٥ / ١٥

٨٥- ﴿وَ مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ﴾ مكاناً ﴿وَ مَا بَيْنَهُمَا﴾ ما كنا فيهما ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ مصاحبة و سببا و غاية ﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ﴾ الآخرة ﴿لَأْتِيَةٌ﴾ قطعاً لا ريب فيها ﴿فَاصْفَحْ﴾ عنهم إعراضاً بصفحة وجهك ﴿الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ الخاص بالعهد المكى لمكان التقية النقية.

٨٦ / ١٥

٨٦- ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ لأعلى قمم الربوبية ﴿هُوَ﴾ لا سواه ﴿الْخَلَّاقُ﴾ لكل شىء ﴿الْعَلِيمُ﴾ فى خلاقته، كيف يخلق خلقه و يديرهم و يهديهم إلى سواء السبيل.

٨٧ / ١٥

٨٧- ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ﴾ بجمعية الصفات الرحيمية ﴿سَبْعًا﴾ آيات ﴿مِنَ الْمَثَانِي﴾ جمع المثنى حيث تثنى و هى سبع الفاتحة و لها مثنيات عدة، منها تثنيتها فى كل صلاة، لأقل تقدير ﴿وَ﴾ آتيناك كتفصيل لمحكم القرآن فيها كل ﴿الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ فالسبع هى أعظم العظيم إذ قورنت بالقرءان كله.

٨٨ / ١٥

٨٨- ف﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾ أبدا ﴿إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾ زوجا و زوجة، و سائر المتع الدنيوية إذ هى لا شىء أمام ما آتيناك، ثم ﴿وَ لَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ لما ذا يبدلون نعمة الله نقمة، ﴿وَ اخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾ الرسولى و الرسالى ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ بما آتيناك، دون خفض لغيرهم، بل هو الصفح الجميل كما يقتضيه دور العهدين.

٨٩ / ١٥

٨٩- ﴿وَ قُلْ﴾ لهم ﴿إِنِّى أَنَا النَّذِيرُ﴾ كله حيث جمعت فى كافة النذرات ﴿الْمُبِينُ﴾ كل ما يحق تبيينه فى شرعة الله، جمعا لكافة الإبانات بالبينات.

٩٠ / ١٥

٩٠- و قد يعاكس ما آتيناك ﴿كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ﴾ ما أنزلناه.

٩١ / ١٥

٩١- ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا﴾ هذا ﴿الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾ جمع عضهه: مشجرة متفاوتة.

٩٢ / ١٥

٩٢- ﴿قَوَّ رَبَّكَ﴾ الذى رباك بتلك التربية القمة ﴿لَنَسْتَلْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ تبكيها فى مسئوليات.

٩٣ / ١٥

٩٣- ﴿عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ خلاف الحق الحقيق بالاتباع، لما ذا تخلفتم عن الحق بجعل القرآن عضيين.

٩٤ / ١٥

٩٤- ﴿فَاصْدَعْ﴾ شقا لأمواج العقبات و العقوبات ﴿بِمَا تُؤْمَرُ﴾ به مما آتيناك ﴿وَ أَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ فلا تماشهم فى إشراكهم، و لا تمل إليهم إن وعدوك توحيدا، و لا تؤذهم إذ لا تقدر فى تقية نقية مكية.

٩٥ / ١٥

٩٥- ﴿إِنَّا﴾ بجمعية الصفات الرحيمية الوقائية ﴿كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ بك و بشرعتك.

٩٦ / ١٥

٩٦- ﴿الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ﴾ خالق السماوات و الأرض و مدبرهما ﴿إِلَهًا آخَرَ﴾ معه فى أية دركة من دركات الإشراف بالله ﴿فَسَوْفَ﴾ منذ الموت إلى القيامة الكبرى ﴿يَعْلَمُونَ﴾ ما كانوا يعملون.

٩٧ / ١٥

٩٧- ﴿وَ لَقَدْ نَعَلُمْ﴾ بتحقيق مضاعف ﴿أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ﴾ المنشرح ﴿بِمَا يَقُولُونَ﴾ ما ينافى صالح الوحي، بتهم وقحة كالجنون و ما أشبه من تدجيل و إضلال.

٩٨ / ١٥

٩٨- ﴿فَسَبِّحْ﴾ تنزيها ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ بواسطة حمده بما رباك لأعلى قمم التربية، دون تسبيح فقط ينحو نحو نفى صفاته، و لا حمد فقط ينحو نحو التشبيه، بل سبحه بواسطة حمد ﴿وَ كُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾

٩٩- ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ﴾ كما ربك و كما يستحق بما أعطاك ﴿حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ و كما ليس لليقين به تعالى حد و لا نهاية في النشأت الثلاث، دنيى و برزخا و أخرى، كذلك ليس لعبادتك إياه حد و لا نهاية، بل تتبلور ما تزداد به معرفة، كما تزداد المعرفة به ما تزداد العبادة، فليس النبى ليرك عبادة ربه بعد موته، بل يزداد فيها لزوال الموانع عن تواترها، و زوال الحجب عن بلورتها، أ تظن أنك إذا وصلت إلى محبوبك تترك التحجب إليه، بل تزداد- إذا- فيه: معرفة و عبادة، فكل مقدمة الآخر.

سورة النحل

١ / ١٦

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾. أتى أمرُ الله الذى تستعجلونه ساخرين منه، من أمر الحكم الإسلامى بعد ربح صعب مكى، فى المدينة، و أمر خروج الأموات من أجدائهم للحساب ثوبا أو عقابا ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ اقتراحا جاهلا ﴿سُبْحَانَهُ﴾ عما يقولون ﴿وَتَعَالَى﴾ علوا كبيرا ﴿عَمَّا يَشْرُكُونَ﴾ به تعالى.

٢ / ١٦

٢- ﴿يَنْزِلُ﴾ تدريجيا ﴿الْمَلَائِكَةُ﴾ كلهم ﴿بِالرُّوحِ﴾ القدسى و الوحى الذى هو ﴿مِنْ أَمْرِهِ﴾ دون سواه ﴿عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ ف" الله أعلم حيث يجعل رسالته" (٦: ١٢٤) ﴿أَنْ أَنْذِرُوا﴾ كافة المكلفين عن الإشراف بالله بـ ﴿أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ المنزل الملائكة بالروح ﴿فَاتَّقُونَ﴾ لا سوى، إيجابيا فى محبورات و سلبيا فى محظورات.

٣ / ١٦

٣- ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ و هما تعبيران عن الكون كله ﴿بِالْحَقِّ﴾ معية و سببا و غاية ﴿تَعَالَى﴾ علوا كبيرا ﴿عَمَّا يَشْرُكُونَ﴾ به فى خلقه أو تديره أو معبوديته أو سائر شئون ربوبيته ككل.

٤ / ١٦

٤- و من ذلك أنه ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ تناسليا من آدم الأول و زوجه ﴿مِنْ نُطْفَةٍ﴾ هى واحدة من ملايين الدودات ﴿فَإِذَا هُوَ﴾ المخلوق من هذه النطفة القذرة ﴿خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ خصامه، أو خصيم لإثبات حقه تعالى فى ربوبيته.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٢٦٨

٥ / ١٦

٥- ثم ﴿وَالْأَنْعَامَ﴾ كلها، نعماً لكم كلكم ﴿خَلَقَهَا﴾ حال أنها ﴿لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ﴾ و هو خلاف البرد، ملابس و أذى و جوارب، أو بيوت الجوارد و الخيم ﴿وَمَنْفَعٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ فإنها حلّ كلها.

٦ / ١٦

٦- ثم ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ﴾ إراحة لها عن حملها بحملها ﴿وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ ركوبا عليها فى أسفار تتنعمون فيها، تنقلات سارحة فارحة، و ما أشبه.

٧ / ١٦

٧- فهى تحملكم سرحا ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ﴾ التى لا تقدرون أن تحملوها أو هى عب ﴿إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالْغَيْهِ﴾ دونها ﴿إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ﴾ كذا صعبا ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَّؤُفٌ رَحِيمٌ﴾ بكم فيما يعطيككم من نعمه.

٨ / ١٦

٨- ﴿وَ﴾ خلق من الأنعام ﴿الْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَ﴾ لتكون لكم ﴿زِينَةً﴾ و جمالا حين تريحون و حين تسرحون ﴿وَ يَخْلُقُ﴾ فيما بعدها ﴿مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من مركبات برية و بحرية و جوية، فإنها كلها من خلق الله حيث وفق الإنسان لصناعتها، فقد تشمل "ما لا تعلمون" كل ما يصطنعه الإنسان على ضوء تقدمات علمية، ما هي مجهولة وقت نزول القرآن، و ما يخلقه الله تعالى على طول خط الحياة، و هي غير معلومة للإنسان أيا كان و أيا ن "فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ" و لأنها خلقت لركوبها، فأكل لحومها مرجوح يستفاد حلها من "وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ" شاملة للأنعام كلها كما يستفاد مرجوحيته من عدم ذكره هنا.

٩ / ١٦

٩- ﴿وَ عَلَى اللَّهِ قَصْدُ﴾ مقابل الجائر ﴿السَّبِيلِ﴾ إِذْ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ ﴿٦: ١٢﴾ فهو يدلنا إلى سبيله تكويننا و تشريعا باختيار ﴿وَمِنْهَا﴾ السبل المستفادة من السبيل ﴿جَائِرٌ﴾ يخالف و يعاكس الحق "وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَ لَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ" ﴿٦: ١٥٣﴾ ﴿وَ لَوْ﴾ مستحيلا في الحكمة الربانية ﴿شَاءَ﴾ تسييرا لقصد السبيل ﴿لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ حملا لكم على الهدى.

١٠ / ١٦

١٠- ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ﴾ على أرضنا ﴿مَاءً لَكُمْ﴾ بقدر و هي كانت يابسة ﴿مِنْهُ شَرَابٌ﴾ تشربونه ﴿وَ مِنْهُ شَجَرٌ﴾ تشجرون به من نباتات ﴿فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ أنفسكم و أنعامكم من أوراقها و العشب: "وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَاهُ فِي الْأَرْضِ وَ إِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لِقَادِرُونَ" ﴿٢٣: ١٨﴾.

١١ / ١٦

١١- ﴿يَنْبِتُ لَكُمْ بِهِ﴾ الماء ﴿الزَّرْعَ﴾ ككل ﴿وَ﴾ سائر النبات ك ﴿الزَّيْتُونَ وَ النَّخِيلَ وَ الْأَعْنَابَ﴾ مفضلة على الكل ﴿وَ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ النباتية و ما أشبه كالحيوان و حتى الإنسان "وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا" ﴿٧١: ١٧﴾ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ الخلق الرحيم ﴿لَايَةً﴾ ربانية لرحمانيته و رحيميته و توحيده ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيها حقه.

١٢ / ١٦

١٢- ﴿وَ سَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ﴾ نوما و معاشا ﴿وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ﴾ نورا و حرارة و حسابنا ﴿وَ النَّجْمَ﴾ "لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ" ﴿٦: ٩٧﴾ حالكونها ﴿مُسَخَّرَاتٌ﴾ لكم ﴿بِأَمْرِهِ﴾ لا سواه ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ العظيم من تسخيرها ﴿لَايَاتٍ﴾ متعددة ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ إعمالا لعقلياتهم المكلفة "قوم" إنساني، جنى، ملائكي و من أشبه من خليفة مكلفة.

١٣ / ١٦

١٣- ﴿وَ﴾ سخر ﴿مَا ذَرَأَ لَكُمْ﴾ إظهارا لمبدأ، حال أنه ﴿فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾ طعما و شكلا و قدرا ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ التسخير لما ذرأ لكم ﴿لَايَةً لِقَوْمٍ يَذْكُرُونَ﴾ بآيات الله، مبصرين بها لتبصرهم، لا إليها لتعميهم.

١٤ / ١٦

١٤- ﴿وَ هُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ﴾ أكلًا ﴿لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ إلا الوحوش منه، مما يدل على حل اللحوم البحرية كضابطة، إلا غير الأنعام منه، فلا يشترط فلس في الأسماك، و الرواية في ذلك مختلفة تؤخذ الموافقة لذلك النص الطليق، لا سيما "أُحِلَّتْ لَكُمْ بِهِيْمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ.." و لم يتل حرمة غير ذات الفلس من السمك، و هي من "الأنعام" إذ تعنى الحيوان النعمة، و هي غير المقترسة، ﴿وَ تَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ مما يدل على حل حلى البحر ككل للكل ﴿وَ تَرَى الْفُلْكَ مَوَاحِرَ فِيهِ﴾ شقوق أمواج ﴿وَ لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ بفلكه و مواخره و لحمه و السفر عليه ﴿وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نى مسخرا لكم إياها رزقا حسنا.

١٥ / ١٦

١٥- ﴿وَ أَلْقَى فِي الْأَرْضِ﴾ في باطنها إلى ظاهرها ﴿رَوَاسِيَ﴾ جبال راسية فيها رسوا في العمق أرضا، و عالية شامخة منها إلى الجو، لـ ﴿أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ حفاظا عن السقوط عنها نتيجة الحركات المختلفة لها و وتَد بالصخور ميدان أرضه. و عدل حركاتها بالراسيات من جلايمدها، و ذوات الشناخيب الصم من صياخيدها، فسكنت على حركتها من أن تميد بأهلها، أو أن تسبخ بحملها^{١٧} ﴿وَ﴾ " ألقى " ﴿أَنْهَاراً وَ سُبُلًا﴾ فيها ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ في حياتكم إلى ما تبغون.

١٦ / ١٦

١٦- ﴿وَ﴾ ألقى في الأرض ﴿عَلَامَاتٍ﴾ هداية كما ﴿وَ بِاللَّجِّمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ برا و بحرا و جوا.

١٧ / ١٦

١٧- ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ﴾ و هو الله الواحد القهار ﴿كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾ بل يخلق، كالتى تتخذونها آلهة ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ نسبة المخلوق إلى الخالق ثم أنتم تعبدون المخلوق: " تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ. إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ " (٣٦: ٩٨).

١٨ / ١٦

١٨- ثم بعد نعمة الخلق بقدرته ﴿وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ﴾ عليكم ككل ﴿لَا تُحْصُوهَا﴾ فإن نفس إحصاءها لو حصل هو أيضا من نعمته ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ﴾ عدم إحصاءها ﴿رَحِيمٌ﴾ بمن له كفران بها إن تاب إليه تعالى.

١٩ / ١٦

١٩- ﴿وَ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ﴾ أنتم المكلفون ﴿وَ مَا تُعْلِنُونَ﴾ إذ لا يعزب عن علمه مثقال ذرة، بل " فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَ أَخْفَى " (٢٠: ٧).

٢٠ / ١٦

٢٠- ﴿وَ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ هم ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ آلهة، هم ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَ﴾ الحال أن ﴿هُمْ يَخْلُقُونَ﴾ فكيف- إذا- يعبدون.

٢١ / ١٦

٢١- هم ﴿أَمْوَاتٌ﴾ بالمأل، و كما هو الحال، عن الربوبية الخاصة بالله ﴿غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾ مهما كانوا أحياء بالحياة الحيوانية ﴿وَ مَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يَبْعَثُونَ﴾ فكيف هم آلهة يبعثون عبادهم؟

٢٢ / ١٦

٢٢- ﴿إِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ فى كافة الأولويات و منها البعث و الجزاء ﴿فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِ﴾ الحياة ﴿الْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ﴾ لها ﴿وَ﴾ الحال أن ﴿هُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ على الله.

٢٣ / ١٦

٢٣- ﴿لَا جَرَمَ﴾ قطعيا ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَسِرُّونَ﴾ من إنكار و استكبار ﴿وَ مَا يَعْلِنُونَ﴾ منهما و سواهما ﴿إِنَّهُ﴾ تعالى ﴿لَا يَحِبُّ﴾ بل يبغض ﴿الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ إسرارا و إعلانا، على الله و على عباد الله.

٢٤ / ١٦

٢٤- ﴿وَ﴾ من إنكارهم و استكبارهم أنهم ﴿إِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ﴾ من وحى ﴿قَالُوا﴾ هى ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ خرافات متقلبة إليهم منهم، إذ سطورها دونما تعقل، ثم هم لها ناقلون، أو ليس تقاليدهم الأعمى منها.

٢٥ / ١٦

^{١٧} . عن الإمام على (ع) فى نهج البلاغة.

٢٥- و الغاية الآتية مهما أنكروها و استكبروا فيها ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً﴾ دون نقص و لا نقض ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ﴾ بعضا ﴿مِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يَضِلُّونَهُمْ﴾ كما ضلوا قدر ما يضلونهم ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ لهم و لا للمضللين، بل جهالة عامدة أو تجاهلا ﴿أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾ مضاعفا من الوزر، و لا ينقص أولئك من أوزارهم: "وَلِيَحْمِلْنَ أَثْقَالَهُمْ وَ أَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ .." (٢٩: ١٣).

٢٦ / ١٦

٢٦- و ليسوا هم أول الماكرين، ف ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَآتَى اللَّهُ﴾ بقهر العذاب ﴿بُنْيَانَهُمْ﴾ الذى بنوا على المكر "ريبةً فى قلوبهم" و سواها ﴿مِنَ الْقَوَاعِدِ﴾ و الأسس ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ﴾ لقواعدهم ﴿مِنْ فَوْقِهِمْ وَ أَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ مباغتة.

٢٧ / ١٦

٢٧- ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَخْزِيهِمْ﴾ كما أخزوا الحق و أهليه هنا ﴿وَ﴾ من ذلك أنه ﴿يَقُولُ﴾ لهم ﴿أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ﴾ نى ﴿فِيهِمْ﴾ أن للالوهية شقين و الثانى لهم، فلم يكن لهم جواب إلا الخجل و الذل، ف ﴿قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ بالله و هم أهل الله ﴿إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ﴾ كله ﴿وَ السُّوءَ﴾ العذاب كله ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

٢٨ / ١٦

٢٨- و هم ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ المتوفون عذابا، حال أنهم ﴿ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ بما كفروا بالله مشركين، مهما ظلموا غيرهم و الحق ثلوثا من الظلم ﴿فَالْقَوَا السَّلَمَ﴾ و ما كانوا يلقونه يوم الدنيا، و من سلمهم إنكار عملهم السوء أنه ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾ أبدا، و لكنه ﴿بَلَى﴾ و كما تشهد عليهم الشهود، و ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ لا تخفى عليه خافية، و إنما يكذبون هكذا حالة الاحتضار، ثم "لا يُوَدِّنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ" (٧٧: ٣٦) و إن كذبوا بعد فليفضحوا بما تكذبهم شهداء الحق.

٢٩ / ١٦

٢٩- ثم يقال لهم ﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ﴾ و هى طبقاتها السبع، حال كونكم ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ كما خلدتم فى الإشراك به ﴿فَلَيْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ و "جهنم" هنا منذ الموت حتى القيامة الكبرى، و أقصاها أن تخدم النار بخمودهم "جزاء وفاقاً" ف "جزاء سيئة سيئة مثلها" (٤٢: ٤٠).

٣٠ / ١٦

٣٠- ﴿وَ قِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الله ﴿مَاذَا أَنْزَلْ رَبُّكُمْ﴾ عليكم ﴿قَالُوا﴾ أنزل ﴿خَيْرًا﴾ لنا من ربوبيته، و منه أن ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ فى هذه الدنيا ﴿حَيَاةٌ حَسَنَةٌ﴾ فيها مهما كانت معارضة بالأشرار، و لكن حياة الإيمان حسنة على أية حال، مهما كانت فيها صعوبات "ربنا آتينا فى الدنيا حسنة و فى الآخرة حسنة و قنا عذاب النار" (٢: ٢٠١) ﴿وَ لَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾ لهم حسنة ﴿وَ لَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ هنا و فى الأخرى.

٣١ / ١٦

٣١- و من دارهم ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾ استقرار لا حول عنها ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ منذ البرزخ إلى الأخرى حال أنها ﴿تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ ماء و لبنا خالصا و عسلا مصفى ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاؤْنَ﴾ دون حد، كما عملوا لله هنا ما يشاء الله "لهم ما يشاؤون فيها و لدينا مزيد" (٥٠: ٣٥) ﴿كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ﴾.

٣٢ / ١٦

٣٢- ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمْ﴾ أخذوا وافيًا عن الحياة الدنيا ﴿الْمَلَائِكَةُ﴾ الموكلون بذلك التوفى، حالكون هؤلاء المتوفين ﴿طَيِّبِينَ﴾ إيمانًا و عملاً صالحاً ﴿يَقُولُونَ﴾ لهم ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ من ربكم كما سلمتم أنفسكم لربكم، سلاماً بكل جهاته، لفظياً و عملياً، ف"لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ ... بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ" (٦: ١٢٧) ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ البرزخية منذ توفاكم دليلاً على حياة برزخية ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ لله، فهذه جنة الله بما عملتم، و من ثم جنة القيامة.

٣٣ / ١٦

٣٣- ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ انتظاراً أولئك الكفار الطاغون ﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ حاملين لوحى الله إليهم، أو مصدقين لرسالة الله ﴿أَوْ يَأْتِي أَمْرٌ رَبِّكَ﴾ موتاً أو عذاب استئصال و ما أشبه مما ينكرونه، هزء به ﴿ذَلِكَ﴾ البعيد عن الحق المرام ﴿فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من حماقى الطغيان ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ﴾ فى كفرهم و عذابهم بعده ﴿وَلَكِنْ كَانُوا﴾ هم ﴿أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ دون الله، إذ لا يظلم، مهما ظلموا الحق و أهليه فإن ظلمهم راجع إليهم.

٣٤ / ١٦

٣٤- ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتٌ مَا عَمِلُوا﴾ أن خلفت أعمالهم السيئة تلك السيئات جزاء وفاقاً، "إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ" ﴿وَوَاقٍ بِهِمْ﴾ حيلة عليهم ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ نفسه إذ تظهر سيئات الأعمال هناك بملكوتاتها.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٢٧١

٣٥ / ١٦

٣٥- ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَ لَا آبَاؤُنَا﴾ فلم يشأ الله ألا نعبد من دونه، بل شاء أن نعبد، فنحن نحقق مشيئة الله ﴿وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ خلطاً لمشيئة تشريعية إلى تكوينية، فهل يشاء- إذا- توحيداً من جماعة و إشراكاً من الآخرين مشيئة التناقض! فقد كانوا يوجهون إشراكهم بالله بأنه من مشيئة الله، فتوحيده- إذا- خلاف مشيئته، كما فى تحريم ما حرموه من شىء ﴿كَذَلِكَ﴾ البعيد عن الحق ﴿فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ كأنهم تواصلوا بباطلهم حيث يرونه أنه حق ﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ بلاغاً يبين الحق، و هو الشرعة الربانية.

٣٦ / ١٦

٣٦- ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ﴾ جماعة ﴿رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ ببلاغهم المبين "وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ" (١٠: ٤٧) و هم المكلفون أجمع فى ولاية العزم، مهما طالت رسالته إلى يوم الدين كالإسلام، و بعضهم فى رسالات جزئية تحت أضواء ولاية العزم ﴿وَأَجْتَنَّبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ﴾ بما اهتموا: "وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَ آتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ" (٤٧: ١٧) حيث مشوا فى سبيل الهدى ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾ إذ مشوا فى سبيل الردى ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ تأريخياً بما فعل الذين من قبل ﴿فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ رسل الله.

٣٧ / ١٦

٣٧- ﴿إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هُدَاهُمْ﴾ حاصلة بإهدائك إياهم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يَظِلُّ﴾ بما ضل "فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ" (٦١: ٥) ﴿وَمَا لَهُمْ﴾ أولاء الضلال ﴿مِنْ نَاصِرِينَ﴾ هنا و هناك.

٣٨ / ١٦

٣٨- ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ﴾ إذ يعتقدونه شركين به ﴿جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ بالله أن ﴿لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ﴾ و كأن الإقسام به يبطل حق البعث و الوحى الدال عليه ﴿بَلَى﴾ يبعث الله من يموت، إذ وعده ﴿وَعَدًا عَلَيْهِ﴾ نفسه، وعداً ﴿حَقًّا﴾ ثابتاً لا حول عنه فإنه

رحمة ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الحق تجاهلا عامدا: كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ (٦): (١٢).

٣٩ / ١٦

٣٩- "وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا" ﴿لِيَبَيِّنَ لَهُمْ﴾ عيانا هناك ﴿الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ هنا، إذ رفضوا لبيان الرسالي، فليكن لهم هناك بيان الواقع بوعدة ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالله ﴿أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ﴾ و هم يتظاهرون هنا كأنهم صادقون، أولا يعلمون كذبهم إذ ختم على قلوبهم.

٤٠ / ١٦

٤٠- ثم لا صعوبة علينا في بعث من يموت ف﴿إِنَّمَا﴾ ليس إلا ﴿قَوْلُنَا﴾ إراديا ﴿لِشَيْءٍ﴾ أيا كان ﴿إِذَا أَرَدْنَاهُ﴾ كشيء البعث بعد الموت ﴿أَن نَّقُولَ لَهُ﴾ و قوله فعله، يعبر عنه به بيانا أنه كما القول، لا صعوبة فيه ﴿كُنْ﴾ إرادة تكوينية ﴿فَيَكُونُ﴾ كما أرادته بل "وَهُوَ الَّذِي يَدْعُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ" (٣٠: ٢٧).

٤١ / ١٦

٤١- ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ﴾ عن أنفسهم و نفائسهم، هجرا في عما يملكون ﴿مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾ في أوطانهم كالمهاجرين من مكة إلى المدينة و من أشبه ﴿لِنُبَيِّنَهُمْ فِي الدُّنْيَا﴾ حياة ﴿حَسَنَةً﴾ أحسن مما كانوا و من يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراعما كثيرا و سعة (٤: ١٠٠) ﴿وَلَا جَزَاءَ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ حسنا من حسنة الدنيا ﴿لَوْ كَانُوا﴾ هؤلاء الظالمون بحقهم ﴿يَعْلَمُونَ﴾ و لكنهم يجهلون معاندين أو يتجاهلون.

٤٢ / ١٦

٤٢- و هؤلاء المهاجرون في الله هم ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ في الله في مهاجرهم ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ﴾ لا سواه ﴿يَتَوَكَّلُونَ﴾ طول حياتهم.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٢٧٢

٤٣ / ١٦

٤٣- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾ سلبية مطلقة لإرسال غير رجال: ﴿إِلَّا رِجَالًا﴾ لا إناث و لا خنثى و لا أطفالا و آتينا الحكم صبييا خارج عن الأغلبية المطلقة ﴿نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾ ربانيا، دون وحي العقل شخصيا أو شورائيا و ما أشبه ﴿فَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ إذ يذكرونكم هذه الحقيقة، أنسين رسالات الله ﴿إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ هذه الحقيقة.

٤٤ / ١٦

٤٤- "فَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ" ﴿بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ﴾ فهما المحور مادة للسؤال، و سائلا بها، و ذكرا لها، و جهلا بها ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ ذلك ﴿الذِّكْرَ لَتَبَيِّنَ لِلنَّاسِ﴾ الكتابيين ﴿مَا نَزَّلَ إِلَيْهِمْ﴾ من كتابات الوحي، لعلهم يجيبونكم عن سؤال نوعية الرسل و رسالاتهم ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في راحة هذه الرسالة الأخيرة بمادتها الذكر الحكيم. أجل "وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ" (٢١: ٧) و ليس حق الذكر إلا على ضوء الذكر الحكيم، و لا المسئول إلا الأحسن قولا: "فَبَشِّرْ عِبَادَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَ أُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ" (٣٩: ١٨).

٤٥ / ١٦

٤٥- ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ﴾ إذ أبرزوها كأنها صالحات، و هو أَمَكِرَ المَكْر ﴿أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ﴾ " فَإِذَا هِيَ تَمُورُ" (٦٧: ١٦) غورا فيها بخسفها و مورها فنسفهم فيها " بِهِمْ" أنفسهم ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ﴾ من غير خسف ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ إذ لا يحتسبون، فهو عذاب مباغت.

٤٦ / ١٦

٤٦- ﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ﴾ " أَخَذَ عَزِيزٌ مُّقْتَدِرٌ" ﴿فِي ثَقَلِيهِمْ﴾ بمختلف تقلبات الحياة ﴿فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ الله في أخذهم و خزهم.

٤٧ / ١٦

٤٧- ﴿أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾ منهم في عرقلات الحياة ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَّوْفٌ رَحِيمٌ﴾ إذ لا يخسف بهم الأرض و لا يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون، و لا يأخذهم في ثقلهم أو على تخوف، حيث الدار هي دار التكليف الاختيار الاختبار، فلا أخذ عقوبة إلا في دار القرار، اللهم إلا بظلم لا يتحمل في دنيا الحياة.

٤٨ / ١٦

٤٨- أَلَمْ يَرَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ ﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ و منها أنفسهم ﴿يَتَفَيَّؤُا ظِلَالَهُ﴾ " وَ لِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَ كَرْهًا وَ ظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ" (١٣: ١٥) ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَ الشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ﴾ مع ظلالها التابعة لها، و منها كل أتباعها و أفعالها و ما تصنعها ﴿وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾ صاغرون في تلك السجدة الكونية، مهما لم تسجد البعض تخلفا عما رسم لها في شرعة الله.

٤٩ / ١٦

٤٩- ﴿وَلِلَّهِ﴾ لا سواه ﴿يَسْجُدُ﴾ تخضعا كونيا أمامه ﴿مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ﴾ تدب فيهما ﴿وَالْمَلَائِكَةُ وَ هُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ عن عبادته، كونيا مهما استكبر كفار اختياريا، و عل " مِنْ دَابَّةٍ" تعنى البعض إذ تعنى الآية السجدة الواجبة كما و:

٥٠ / ١٦

٥٠- ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ﴾ إذ هو ﴿مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ محتدا و مقاما، لا مكانا أو زمانا ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ دون تخلف و بكل تخوف.

٥١ / ١٦

٥١- ﴿وَ قَالَ اللَّهُ﴾ للمكلفين ﴿لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ علّ الأول هو أنفسكم إذ تخلق آلهة من دون الله و الثانى هو هيه، كما و منها إله الخلق و التدبير، مهما كثرت المتخذة تدبيرا، إذا فـ " إثنين" تعم كل إشراك بالله " أَوْ فَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ" (٤٥: ٢٣) ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ فَإِيَاىَ فَارْهَبُون﴾.

٥٢ / ١٦

٥٢- ﴿وَلَهُ﴾ لا سواه ﴿مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ﴾ و منهما أنفسهما ﴿وَلَهُ﴾ لا سواه ﴿الَّذِينَ الطَّاعَةُ عَمَلًا وَ جَزَاءً﴾ خالصا لا شريك له فيه ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ﴾ و هو دين غير الله.

٥٣ / ١٦

٥٣- ﴿وَ مَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ﴾ و منها أنفسكم ﴿فَمِنَ اللَّهِ﴾ لا سواه ﴿ثُمَّ﴾ بعد كل هذه البراهين لربوبيته الوحيدة ﴿إِذَا مَسَّكُمْ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ﴾ لا سواه، ﴿تَجْتَرُّونَ﴾: تنعرون نعة البقار و تنهرون نهرة الوحوش.

٥٤ / ١٦

٥٤- ﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فُجَاءُ غَيْرَ مُنْتَظَرَةٍ ﴿فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ سواه.

٥٥ / ١٦

٥٥- "يُشْرِكُونَ" ﴿لِيَكْفُرُوا﴾ كفرانا و كفرًا، أمرا من الله تعجيزيا، و غاية لهم بما أشركوا ﴿بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا﴾ بما أخذتم إليه من زخرفات الحياة الدنيا ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ عيانا كفرانكم و كفركم.

٥٦ / ١٦

٥٦- ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ﴾ من دون الله شركاء بزعمهم، فهم "لا يعلمون" كما أن شركائهم "لا يعلمون" ﴿نَصِيْبًا﴾ في الأنعام و سواها ﴿مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ نحن دون شركاءهم ﴿تَاللَّهِ﴾ الرازق ﴿لَتُسْئَلُنَّ﴾ أنتم الجاعلون الجاهلون ﴿عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتُرُونَ﴾ على الله من أن له شركاء، و ما أشبه من فرية.

٥٧ / ١٦

٥٧- كما ﴿وَيَجْعَلُونَ﴾ جعلا جاهلا ﴿لِلَّهِ الْبَنَاتُ﴾ ملائكنه ﴿سُبْحَانَهُ﴾ عما يفترون ﴿وَالْحَالُ أَنَّ﴾ لهم ما يشتهون من بنين إذ يندون بناتهم، تفضيلا رذيلا لأنفسهم على ربهم، رغم أنه ليس له بنات و لا بنون، لا حقيقيا و لا اتخاذيا مجازيا، إذ لا يجوز مجاز حين لا تجوز حقيقته.

٥٨ / ١٦

٥٨- فهم لا يشتهون البنات ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَى﴾ من مواليدهم ﴿ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾ من البؤس ﴿وَالْحَالُ هُوَ كَظِيمٌ﴾ يكظم غيظه بظاهره.

٥٩ / ١٦

٥٩- ﴿يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ﴾ الذين يعيش فيهم ﴿مِنْ سُوءٍ مَا بُشِّرَ بِهِ﴾ مترددا بشأنها ﴿أَيَمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ﴾ و هوان في تلك الأوان ﴿أَمْ﴾ يزيل هونه بأن ﴿يُدْسُهُ﴾ إخفاء ﴿فِي التُّرَابِ أَلَا﴾ أيها العقلاء ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ به، جعلا لله بنات، ثم هونا و دسا إياهن في التراب، و قد خلقهن رب الأرباب.

٦٠ / ١٦

٦٠- ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ إذ لا يؤمنون بالله ﴿مَثَلُ السُّوءِ﴾ يمثل سوء أفكارهم و تصرفاتهم ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ من كل مثل خير، فهو "أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ" مهما كان لخلقه درجات، فأدناها أعلى من صنع من سواه، فعامية الخلق مثله الدال عليه، و ليس مثله، ثم خاصة الخلق و لا سيما المحمديون، هم المثل الأعلى بين الخلق كله، تكوينا، ثم حملا رسوليا لشرعته الأخيرة ﴿وَهُوَ﴾ لا سواه ﴿الْعَزِيزُ﴾ بكل عزة و عزيزة ﴿الْحَكِيمُ﴾ بكل حكمة حكيمة، و هما ينتجان المثل الأعلى في كل تكوين و شرعة.

٦١ / ١٦

٦١- ﴿وَلَوْ﴾ مستحيلا في حكمته ﴿يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ﴾ هنا تماما ﴿مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ ظالمة، أو مساعدة لظلم، أو ساكتة عنه "ما تَرَكَ" جزاء وفاقا، ثم دابة مستفاد منها غير هذه "ما تَرَكَ" إفاء لما يستفاد منها إذ لا تستحق الظالمة المستفيدة، أو حين "ما تَرَكَ" ها، فلا مبرر لبقاء دابة مستفاد منها، و إفاءها- إذ- ليس عقوبة عليها أو "من دَابَّةٍ" ظالمة دون ما سواها ﴿وَلَكِنْ يُوَخِّرُهُمْ﴾ أولئك الظالمين ﴿إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ موتا و قيامة ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ﴾ فرديا بموت أو جميعا بقيامة ﴿لَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ طلبا للتأخير ﴿سَاعَةً﴾ زمانا كما و ﴿لَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ أن يقدم أجلهم، إذا فمجيء أجلهم ليس نفسه بل حقه حتى يناسب الاستئخار و الاستقدام، فهو- إذا- مجيئ واقعه لا زمانه.

٦٢ / ١٦

٦٢- ﴿وَجَعَلُونَ﴾ هؤلاء الظالمون ﴿لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾ من بنات و من أرزاق من أنعام و سواها ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى﴾ حياتا و صفات و أفعالا هنا و فى الأخرى ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ﴾.

٦٣ / ١٦

٦٣- ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ رسلا ﴿إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ بولاية عزم كرأس الزاوية لرسالات الله، و بسائر الرسل الفروع ﴿فَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ بما تزينوا ف "أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوْزُهُمْ أَزًّا" ﴿فَهُوَ﴾ من دون الله ﴿وَلِيَهُمُ الْيَوْمَ﴾ كما كان وليهم قبل اليوم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٢٧٤

٦٤ / ١٦

٦٤- ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿إِلَّا﴾ لأمر هو هيمنة على ما قبله من كتاب، سلبية: ﴿لَتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ فى كتاب الشرعة عندهم و فى هذا القرآن طردا لباطل ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ زائدة على ما نزل من كتاب ﴿لَقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ بالله و ما أنزله، فهما تشملهما ما سبق وحيه و ما لحق فى هذا القرآن.

٦٥ / ١٦

٦٥- ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ بقدر، إذ كانت الأرض عطشانة ﴿فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ إذ لم يكن فيها ماء كاف ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ الإنزال الإحياء العظيم ﴿لَايَةً﴾ ربانية ﴿لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ كلمة الحق فيتذكرون.

٦٦ / ١٦

٦٦- ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً﴾ تعبرون بها إلى المعرفة الربانية، لإختلاف بين أجزاءها، ﴿نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ﴾ و ضمير المفرد راجع إلى "الأنعام" اسم جمع، كما هو جمع فى "المؤمنون" بطونها ﴿مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَ دَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾ و مصدر الكل واحد، و الصادر ثلاث خليطة بعض مع البعض، فمنه خبيث محرم، و منه طيب محلل.

٦٧ / ١٦

٦٧- ﴿و﴾ مثله خلطا ﴿مِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ﴾ تمرا ﴿وَالْأَعْنَابِ﴾ عنباً ﴿تَتَخَذُونَ مِنْهُ﴾ تبعيضا مثنى ف "منه" تعنى البعض المستفاد من "من" ﴿سَكْرًا﴾: مسكرا هو خبيث ﴿وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ يقابله، فالسكر ليس رزقا و لا طيبا، دليلا على حرمة إذ "و يحرم عليهم الخبائث" و أما "رِزْقًا حَسَنًا" فهو غير السكر مطلقا، من شيرج و شديد الغليان دون إسكار قبل ذهاب ثلثيه ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ الخليص عن الخليط ﴿لَايَةً﴾ ربانية ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ الحقائق كيف يتخلص الحسن عن السيء، ثم "يعقلون" أن السكر يذهب العقل و الرزق الحسن يزيد فيه، فتحريم العصير المغلى قبل ذهاب ثلثيته دون إسكار هو خلاف العقل، كما أن تحليل السكر يخالفه.

٦٨ / ١٦

٦٨- ﴿وَ أَوْحَى﴾ رمز ﴿رَبُّكَ﴾ الذى رباك بأعلى قمم الوحي ﴿إِلَى النَّحْلِ﴾ غريزيا، برزخا بين الإختيار تلقيا، و غير الإختيار ﴿أَنِ اتَّخَذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ هى أفضل لحصائها، ثم ﴿وَمِنَ الشَّجَرِ﴾ خلقيا ﴿وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ شجرا و سواه حيث يبنون مرتفعاً، فالمنخفضات لا تصلح لطيب العسل.

٦٩ / ١٦

٦٩- ﴿ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ الطيبة ﴿فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ﴾ فى أكلك و أكلك ﴿ذُلًّا﴾ من الذل ضد الشماس ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا﴾ من فمها ﴿شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾ كحمرء و بيضاء و صفراء ﴿فِيهِ﴾ العسل ﴿شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ عن كل داء إذ يشمل كافة العلاجات اللهم إلا فى مثل المرارة ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ ربانية ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فى الثمرات، و هنا تشابه بين وحى القرآن أمام سائر الوحى، و وحى النحل أمام سائر الثمر، أنهما لأعلى القمم فى وحى الروح و الجسم.

٧٠ / ١٦

٧٠- ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ﴾ بمراحل الخلقه ﴿ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ﴾ أخذًا وافيًا ككل حيواناتكم إلى البرزخ دون إفاء ﴿وَمِنْكُمْ﴾ بعضًا ﴿مَنْ يَرُدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ﴾ شبيهة مرذلة فى طاقات بدنية، أم و نفسية كبدية الولادة، اللهم ألا من يرد إلى أفضله كالإمام المهدي و من أشبهه .. يرد .. ﴿لَكَى لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ﴾ هباه ربه ﴿شَيْئًا﴾ كالطفولة غير الناضجة ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ يخلق و يرد ربانيا بعلمه و قدرته.

٧١ / ١٦

٧١- ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ﴾ قابلية و فاعلية، ماليا و حاليا فى الأصل، و كما فضل على فضل المساعى، زيادة عليها ﴿فَمَا الَّذِينَ فَضَّلُوا بِرَادَىٰ رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾ حيث المساواة فى العطايات غير صالحة، فكيف تزعمون أنه أعطى من ربوبيته بعضا من خليقته ﴿أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ أنه أعطاهم إياها، ثم هم يصرفونها فى غير مرضاته تعالى.

٧٢ / ١٦

٧٢- ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ مجانسة إنسانية ﴿أَزْوَاجًا﴾ لتسكنوا إليها، أنثى لذكر و ذكر لأنثى ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾ متقابلين ﴿بَنِينَ﴾ ذكرا أو أنثى ﴿وَحَفَدَةً﴾ أولاد البنين ذكرا و أنثى ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ فى كافة المعطيات ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾ هؤلاء الكفرة كفرا أو كفرانا ﴿وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾.

٧٣ / ١٦

٧٣- ﴿وَالْيَعْبُدُونَ﴾ ما هو ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ غيره الدانى أمامه، مخلوقا ﴿مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا﴾ بل و هو مرزوق منهما و فيهما عاقلا و سواه ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ بذات أنفسهم أن يرزقوا أنفسهم فضلا عن عبدتهم، فهل يعبد المرزوق و يترك الرازق "تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى" تَاللهِ إِنَّ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ. إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ" (٩٨: ٢٦) فضلا عن أن نقدمهم عليه.

٧٤ / ١٦

٧٤- ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ﴾ مثلا بمماثلة مع خلقه أنه يلد أو يولد و ما أشبهه ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ جهالة مقصرة عامدة.

٧٥ / ١٦

٧٥- ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ ردا لأمثالهم لله أن غيره يعبد كما هو معبود ﴿عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ حيث العبيد بين قادر على شىء و سواهم ﴿وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا﴾ فهو قادر على شىء و يملك نفسه و سواه ﴿فَهُوَ يَنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَ جَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ﴾ مع بعض البعض، و هما عبدان فقيران إلى الله، فكيف يسوون بين الله و خلقه ﴿الْحَمْدُ﴾ كله ﴿لِلَّهِ﴾ إذ يحق له توحيد العبودية ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ مقصرين و أقلهم يعلمون الحق و هم له منكرون "وَ جَحَدُوا بِهَا وَ اسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَ عُلُوًّا" وَ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ" (٢٧: ٢٤).

٧٦- ﴿وَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ تزييفا ثانيا للإشراك بالله ﴿رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾ هو بحاجة إلى كلام ﴿وَ هُوَ كُلُّ عَلَى مَوْلَاهُ﴾ لا يقدر على بلغة عيشه بغير كلامه أيضا ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّهُهُ﴾ موله ﴿لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ﴾ توجهها و توجيهها ﴿هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَ مَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ أمام موله و سواه ﴿وَ هُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ و هما من خلق الله، فكيف يسوى بين الله و بين خلق الله، و هنا " لا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ " مثل لبعض العبيد واقعا أن العبد المملوك - ككل - لا يقدر على شيء، حتى يسلبوا فقيها تصرفاته العاقلة دون إذن موله، بل و يعزلوه عن أى ملك و لو بإذن موله، كأنه حجر أو حيوان فاشل!

٧٧- ﴿وَ لِلَّهِ﴾ لا لسواه ﴿غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ﴾ علما و قيومية ﴿وَ مَا أَمْرُ السَّاعَةِ﴾ قيامة التدمير و التعمير فى سرعتها ﴿إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ﴾ و هو أقل من ثانية ﴿أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ إضرابا عما يعلم إلى ما لا يعلم و هو واحد الزمان الحقيقى، حيث تخلفه حركة ما للمادة الأولية كمادة ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

٧٨- ﴿وَ اللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ حال أنكم ﴿لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَ جَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصَارَ وَ الْأَفْئِدَةَ﴾ منافذ ثلاثة للإدراك، الأولان يأخذان من خارج المسموع و المبصر، فيلقيانهما إلى الأفئدة، نورا على أنوارها حيث الفؤاد هو القلب المتفند، و هو هنا يتفاد نورا من غيره إلى نوره ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

٧٩- ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ بصرا و بصيرة، علمية و إيمانية ﴿إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ﴾ لله ﴿فِي جَوْ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾ عن السقوط إلى الأرض لجاذبيتها ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ حيث خلقها بذلك السماك ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ تعبئة داخلية، و أجنحة خارجية و تعديلا مع الجاذبية الأرضية و ما أشبه ﴿لَقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ بالله حيث هم مؤمنون أو هم فى طريق الإيمان تحريا عن براهينه.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٢٧٦

٨٠- ﴿وَ اللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا﴾ إذ خلق أجزائها وفقا لجعلها بيوتا، و مكنكم من بناءها كما تريدون ﴿وَ جَعَلَ لَكُم مِّنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا﴾ مؤقتة ﴿تَسْتَخِفُّونَهَا﴾ خفة فى تنقلاتها ﴿يَوْمَ ظَعْنِكُمْ﴾ سفرا ﴿يَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾ حضرا ﴿وَ﴾ جعل لكم ﴿مِنْ أَصْوَافِهَا وَ أَوْبَارِهَا وَ أَسْعَارِهَا أَثَاثًا﴾ تؤسسون بها فراشات و سجادات ﴿وَ مَتَاعًا﴾ ألبسة و سواها ﴿إِلَى حِينٍ﴾ عتاقها أو زوالها، و إلى حين موتكم.

٨١- ﴿وَ اللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا﴾ سقفا و خيما و عروشا و ما أشبه من ظلال ﴿وَ جَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا﴾ كالكهوف و التونلات و البيوت، حيث تكنكم ما لا تكن ساير الأكنان الصناعية ﴿وَ جَعَلَ لَكُم سَرَائِلَ﴾ ملابس ككل ﴿تَقِيكُمْ.. بِأَسْكُنُكُمْ﴾ حرا و بردا و مصادمات أخرى ﴿كَذَلِكَ﴾ العظيم العميم ﴿يَتِمُّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ﴾ دون نقص و لا نقض ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ لله حيث سلّم لكم تلكم الأنعام، و سلّم حيوياتكم كلها.

٨٢- ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عن الحق بعد ذكرياته البالغة ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ " وَ عَلَيْنَا الْحِسَابُ " (١٣: ٤٠) ف " إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ. لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ " (٨٨: ٢٢).

٨٣- إنهم رغم كافة الذكريات ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ المحيطة بهم ﴿ثُمَّ﴾ بعد معرفتهم إياها ﴿يُنْكِرُونَهَا﴾ عقيدا فعمليا ﴿وَ أَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾ المعلوم علو كفرهم و غلوّه، و أقلهم كافرون دونهم، فكما الأقلية من المؤمنين هم بالغوا الإيمان " و ما يؤمن أكثرهم بالله إلا و هم مشركون " كذلك الأقلية من الكافرين هم بالغوا الكفر: " أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا " (٢٨: ١٤) و آتاكم من كل ما سألتموه و إن تعدوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تحصوها " (١٤: ٣٤).

٨٤- ﴿وَ﴾ اذكر و ليذكروا ﴿يَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ﴾ من الأمم الرسالية ﴿شَهِيدًا﴾ من أنفسهم لهم و عليهم " و كفى بالله شَهِيدًا " ﴿ثُمَّ لَا يُوَدِّنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ككل أن يدافعوا عن أنفسهم أو يستشفعوا أم: بل ﴿وَ لَا هُمْ يَسْتَعْتَبُونَ﴾ عتبي تفيدهم كعتبة العفو، و هنا محمد (ص) هو شهيد الشهداء: " فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَ جِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا. يَوْمَئِذٍ يُوَدِّدُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ عَصَوْا الرُّسُولَ لَوْ تَسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَ لَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا " (٤: ٤٢).

٨٥- ﴿وَ إِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ ما يستحق به العذاب ﴿الْعَذَابَ فَلَا يَخَفُ عَنْهُمْ﴾ كما و لا كيفا كما لم يخفوا عن ظلمهم ﴿وَ لَا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾ تأخيرا عن أوانه كما لم يؤخروا ظلمهم عن أوانه.

٨٦- ﴿وَ إِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ﴾ الذين اتخذوهم لله شركاء في عبودية أم ربوبية ﴿قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ﴾ أصناما و طواغيت أم صالحين ﴿فَالْقَوْلُ إِلَيْهِمُ الْقَوْلُ إِنَكُم لَكَادِبُونَ﴾ أننا شركاء الله، مهما خيل إليكم تجاهلا، فقد كذبتم شركاءهم في اتخاذهم شركاء لله، ثم و هم أصناما و طواغيت يعذبون معهم " إِنَكُم وَ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ .. " (٢١: ٩٨).

٨٧- ﴿وَ أَلْقُوا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَامَ﴾ تسليما لتوحيده ﴿وَ ضَلَّ عَنْهُمْ﴾ غيابا بكل عياب ﴿مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ على الله. البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٢٧٧

٨٨- ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالله ﴿وَ صَدُّوا﴾ من سواهم ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا﴾ لصددهم ﴿فَوْقَ الْعَذَابِ﴾ لكفرهم ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسِدُونَ﴾ بعد ما كانوا يفسدون.

٨٩- ﴿وَ يَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ﴾ رسالية، مؤمنة أو كافرة ﴿شَهِيدًا﴾ منهم ﴿عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَ جِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ﴾ الشهداء و المشهود عليهم ﴿وَ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه المكلفون إلى يوم الدين ﴿وَ هُدًى وَ رَحْمَةً وَ بَشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾ لله في هذا الدين، و هنا مثلث " هُدًى وَ رَحْمَةً وَ بَشْرَى " حيث تتبنى القرآن تبيانا لكل شيء، هي ميزات لهذه الشريعة القرآنية، هذا، و من " تَبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ " وحى السنة فرعا على وحى القرآن، فإن حملتها يستنبطونها من القرآن، حقائق و تأويلات لآياته، و رمزيات برقية من مقطعاتها ك " الم " و ما أشبه، ثم و من " كل شيء " إضافة إلى حاجيات روحية، علوم

عصرية لها تصريحات أو إشارات في آيات منه، و" ذَلِكَ لَذِكْرِي لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ: " أَوْ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرًا لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ" (٢٩: ٥١).

٩٠ / ١٦

٩٠- ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ تسوية بين الحقوق ﴿وَالْإِحْسَانِ﴾ زيادة على الحق الواجب، ﴿وَالْإِتِّبَاعِ ذِي الْقُرْبَى﴾ إيتاء لكل ما يمكن و يصح أن يؤتى ﴿وَالْإِنْفِاقِ عَنِ الْفَحْشَاءِ﴾ و هي المعصية الفاحشة، المجاوزة حد العصيان، و المجاوزة إلى غير العاصي، أم هما معا فوا ويلاه ﴿وَالْمُنْكَرِ﴾ كل ما ينكر شرعيا عند الكل من صغير و كبير ﴿وَالْبَغْيِ﴾ و هو أخص من المنكر و أعم من وجه من الفحشاء، و قد يكون البغي غير منكر عند الكل و لكنه منكر عندك، فهنا دركات ثلاث ثالوثا من عليها إلى دنياها ﴿يُعْظَمُكُمْ﴾ هنا و هناك ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ما لكم و ما عليكم، فقد أجملت هذه الآية عن كل مفروض و مرفوض في شرعة الله، و لذلك فرضت قرائتها في خطبة الجمعة، جمعا لها.

٩١ / ١٦

٩١- ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ حيث يرتبط بالله، خالقيا و مخلوقيا ﴿إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾ فطريا و شرعيا مع الخالق، و إيمانيا مع المخلوق ﴿وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ﴾ الشرعية ﴿بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ﴾ في اليهود و الأيمان ﴿كَفِيلًا﴾ يكفلكم فيما عاهدتم أو حلفتكم ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ سرا و إعلانا.

٩٢ / ١٦

٩٢- ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ﴾ في غزلها ﴿أَنْكَاثًا﴾ عدة في نقضها ﴿تَتَخَذُونَ أَيْمَانَكُمْ﴾ المفتولة بقوة ﴿دَخَالًا﴾ وسيلة للغدر و الغش و الدغل ﴿بَيْنَكُمْ﴾ مخافة ﴿أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ﴾ أو لأن تكون .. ﴿إِنَّمَا يُلْوَكُمْ اللَّهُ بِهِ﴾ أمرا و نهيا و نقضا هنا ﴿وَلَيَبْيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ بيان العيان و الجزاء ﴿مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ تخلفا عن الحق المرام.

٩٣ / ١٦

٩٣- ﴿وَلَوْ﴾ مستحيلا في حكمة الله ﴿شَاءَ اللَّهُ﴾ تكوينا لا حول عنه ﴿لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ على شرعة الله، أو تشريعا أن يوحد لكم كلكم شرعته ﴿وَلَكِنْ يَضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾ ضلالا فيشاءه الله له ﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ الهدى فيشاءها لله له "جزاء وفاقا" إلا من هدى الله " ﴿وَلَتُسْئَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ سئوال تبكيت و تبتيت.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٢٧٨

٩٤ / ١٦

٩٤- ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَالًا﴾ غدرا دخيلا ﴿بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمُ﴾ منكم ﴿بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾ ثم ﴿وَلَا تَذُوقُوا السُّوءَ﴾ هنا و في الأخرى ﴿بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَ لَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ في الأخرى.

٩٥ / ١٦

٩٥- ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ كتابه و شرعته و سائر العهود مع عباد الله ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ و أثمان الدنيا كلها قليلة بجانب عهد الله ﴿إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ دونما عند غير الله ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ما عند الله، كما الله خير من غير الله.

٩٦ / ١٦

٩٦- ﴿مَا عِنْدَكُمْ﴾ دون رباط و اتصال بالله ﴿يَنْفَدُ﴾ كما أنتم نافدون ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ بقاء الله كما أنتم في جنته باقون ﴿وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على ما عند الله تركا لما عندهم لله ﴿أَجْرَهُمْ﴾ الغالي ﴿بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ فأحسن مما كانوا

يعملون هو أجرهم يوم الحساب، "لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ" (٩: ١٢١) دون إلغاء الحسن إلا بأحسن منه "إِنَّمَا يَوْفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ" (٣٩: ١٠).

٩٧ / ١٦

٩٧- ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا﴾ للإيمان بالله ﴿مِنْ ذَكَرٍ﴾ كان ﴿أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ هنا و في الأخرى و هى أخرى ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ﴾ فيها ﴿أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ففي الإيمان و صالح الأعمال درجات دون فارق بين ذكر و أنثى، كما فى الكفر و طالح الأعمال دركات، و لا يعنى مثل "الرجال قوامون على النساء .." إلا مسئوليتهم أمامهن قياما و حفاظا عليهن لأنهن غاليات.

٩٨ / ١٦

٩٨- و لأن الشيطان يحول بين الإنسان و القرآن ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ قلبيا و عمليا كواجب، ثم إن شئت و لفظيا يحكى عنها فراجح، استعاذة ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ حتى لا ترجم كما رجم الشيطان، بل ترجم بكتاب الرحيم الرحمن "فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ".

٩٩ / ١٦

٩٩- و هذه الاستعاذة هى حصيلة الإيمان ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالله ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ﴾ حيث يربيههم تكوينيا و بالقرآن ﴿يَتَوَكَّلُونَ﴾ لا أنهم يتكلمون دون عمل و إيمان، و لا أنهم يتركون التوكل على الله بعمل و إيمان، بل بينهما عوان، إيمان و عمل الإيمان توكلا على الرحيم الرحمان.

١٠٠ / ١٦

١٠٠- ﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ﴾ حبا و تولية و اتباعا مهما كانوا موحدين ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ﴾ الشيطان ﴿مُشْرِكُونَ﴾ الله، أو بالله يشركون الشيطان، فهنا سلطة إشراكية، و هناك سلطة إغوائية رغم ظاهر التوحيد.

١٠١ / ١٦

١٠١- ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً﴾ رسولية أو رسالية محمدية ﴿مَكَانَ آيَةٍ﴾ قبلها، رسولا إسماعيليا بديل الإسرائيلى السالف، و آية قرآنية بديل التوراة، و معجزه هى القرآن نفسه بديل سائر المعجزات "ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها أ لم تعلم أن الله على كل شئ قدير" (٢: ١٠٦) ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَنْزِلُ﴾ و "اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ" (٦: ١٢٤) تنزيلا رسوليا محمديا، أو رساليا فى بعده قرآنيا ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾ على الله ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ جاهلين بتقصير و تقليد أعمى و أقلهم يعلمون متجاهلين.

١٠٢ / ١٦

١٠٢- ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ﴾ كسائر التنزيل الكتابى ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾ هو من ربك تنزيلا، كما و ما نزل به من ربك، تنزيلا ﴿بِالْحَقِّ﴾ الثابت مدى الدهور حتى القيامة الكبرى، و لم يكن ذلك التدريج فى التنزيل لحاجة من محمد صلى الله عليه و آله إليه، بل ﴿لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ على الإيمان بالله و أن محمدا رسول الله فليس قرآنه من عند نفسه، و كما خيل إلى المسيحيين أن المسيح ابن الله لأنه خلق دون والد، ثم ﴿وَهْدَىٰ وَبَشَّرِ﴾ متربين متتابعين ﴿لِلْمُسْلِمِينَ﴾ لله بهذه الشرعة الأخيرة "أ لم تعلم أن الله على كل شئ قدير" (٢: ١٠٦).

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٢٧٩

١٠٣ / ١٦

١٠٣- ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ﴾ الناكرين لوحى القرآن ﴿يَقُولُونَ﴾ متقولين متأولين متغولين ﴿إِنَّمَا يَعْلَمُهُ﴾ محمدا الرسول، القرآن ﴿بَشَرٌ﴾ هو سلمان أم سواه من غير العرب و ﴿لِسَانٌ﴾ البشر ﴿الَّذِى يُلْحِدُونَ﴾ تعلم القرآن ﴿إِلَيْهِ أَعْجَمِي﴾ مهما تعلم العربية و لكنه لما يتعرق فيها فكيف يعلم عربيا مينا ربانيتها ﴿وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ ثم سلمان لم يكن بمكة و السورة مكية و إنما أسلم بالمدينة، و لو أنه عربى بليغ و كان بمكة فكيف لم يدع هو الرسالة، بدل أن يعلم محمدا صلى الله عليه و آله! و كذلك الستة الآخرون حيث قالوا فيهم أنهم علموه، فإنهم كلهم كانوا يتعلمون العربية من الرسول (ص) و سواه، ثم و حتى إذا علمه عربى هو عبقرى بالغ أعلى مبالغ الفصاحة و البلاغة غير الربانية، كان فيه إختلاف كثير: "أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَ لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا" (٤: ٨٢) غير يسير، لأن فى تفكيرات الخلق اختلافا كثيرا غير يسير، لفظيا طول الزمن قضية التدرج فى الكمال، و معنويا و ما أشبه بنفس القضية" و إِنَّ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ كَسُورَةِ قُرْآنِيهِ" مِنْ مِثْلِهِ: مثل القرآن وحيا نازلا كالتوراة و الإنجيل، أم سواه، و مثل محمد (ص) إذ "فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَ فَلَا تَعْقِلُونَ" (١٠: ١٦) و ادعوا شهداءكم من دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ" (٢: ٢٣) فى ارتيابكم لربانيتها.

١٠٤ / ١٦

١٠٤- ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ الدالات بأنفسها أنها من الله، قرأنا و سواه ﴿لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ﴾ إذ "جَحَدُوا بِهَا وَ اسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَ عُلُوًّا" ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ فى الدنيا و الآخرة، و بس المصير فى ذلك المسير.

١٠٥ / ١٦

١٠٥- ﴿إِنَّمَا﴾ ليس إلا ﴿يَفْتَرِى الْكُذِبَ﴾ على الله ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ رغم دلالاتها على أنها من الله ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ على الله، فلا يحسب سائر الكذب بجنبهم كذا.

١٠٦ / ١٦

١٠٦- ﴿وَهُمْ مِنْ كَفَرٍ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ﴾ بالله ﴿إِلَّا﴾ كفرا ظاهرا من ﴿مَنْ أَكْرَهَ﴾ على الكفر ظاهريا ﴿وَالْحَالُ أَنْ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيْمَانِ﴾ تقية الحفاظ على نفسه ﴿وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا﴾ له و لمن سواه بارتداداه و دعايته الكافرة ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ﴾ ما هم كذلك ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ يوم الآخرة بعد الأولى، مهما لم يدركوه هنا فهم غافلون.

١٠٧ / ١٦

١٠٧- ﴿ذَٰلِكَ﴾ الكفر العميق الحميق ﴿بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ﴾ ف "رَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ اطْمَأَنَّنُوا بِهَا" (١٠: ٧) ﴿وَلَا﴾ بـ ﴿أَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ بعناد و تقصد، بل قد يضلهم، ف "أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَضَّعُوا لَهُمْ" (١٩: ٨٣).

١٠٨ / ١٦

١٠٨- ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ فهم لا يفقهون ﴿وَلَا﴾ على ﴿سَمِعِهِمْ﴾ فهم لا يسمعون ﴿وَلَا﴾ على ﴿أَبْصَارِهِمْ﴾ فهم لا يبصرون ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ تمام الغفلة بما تغافلوا!.

١٠٩ / ١٦

١٠٩- ﴿لَا جَرَمَ﴾ و لا بد ﴿أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ أنفسهم إذ خسروها يوم الدنيا، بل و أهلبيهم: "قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَ أَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" (٣٩: ١٥).

١١٠ / ١٦

١١٠- ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ في الله ﴿مِنْ بَعْدِ مَا قُتِلُوا﴾ قبل المهاجرة بفتنة هاجرة ﴿ثُمَّ﴾ بعد تلك المهاجرة ﴿جَاهِدُوا﴾ في الله حق جهاده ﴿وَصَبَرُوا﴾ في الله ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾ مهاجرة بمجاهدة و صبر ﴿لَعَفُورٌ﴾ عما أخطأوا ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٢٨٠

١١١ / ١٦

١١١- "لَعَفُورٌ رَحِيمٌ" ﴿يَوْمَ تَأْتِي﴾ فيه ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ مكلفة ﴿تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾ لا سواها فإن "لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ" (٨٠: ٣٧) عن غيره ﴿وَتُوقَى كُلُّ نَفْسٍ﴾ مكلفة إنسية أو جنية أو سواهما ﴿مَا عَمِلَتْ﴾ على ضوء الإيمان بالله و "هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ" (٢٧: ٩٠) جزاء هو نفس العمل يملكونه ﴿وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ﴾ و لا ينقصون عما عملوا جزاءً وفاقاً مهما كان للمحسنين مزيد عطاءً غير مجذوذ.

١١٢ / ١٦

١١٢- ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ لمن يتذكر ﴿قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً﴾ غيرها و عن غيرها ﴿مُطْمَئِنَّةً﴾ لنفسها و سواها ﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا﴾ سهلاً يسيراً ﴿رَغَدًا﴾ غزيراً كثيراً ﴿مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ فيه رزق ﴿فَكَفَّرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ﴾ إذ بدلت نعمة الله نعمة ﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾ إذ شملها من كل جهة ﴿بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ من كفر أو كفران بأنعم الله، سواء أ كانت هي مكة أو غيرها، فالمثل هو الممثل لتلك الحقيقة المستمرة على مر الزمن، و في مكة المكرمة و أرزق أهلها من الثمرات (٢: ١٢٦) و لقد تحقق ذلك الدعاء من إبراهيم الخليل بحق مكة، إذ يجبي إليها ثمرات كل شيء.

١١٣ / ١٦

١١٣- ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ﴾ إنساناً كما لهم و من الساكنين فيها كما هم ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ﴾ و الحال أن ﴿هُمْ ظَالِمُونَ﴾ أنفسهم و سواهم.

١١٤ / ١٦

١١٤- ﴿فَكُلُّوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ رزقا ﴿حَالَالًا طَيِّبًا﴾ تستطيعه الطباع إنسانياً و إيمانياً، دون ما يكون حراماً، أو خبيثاً تستخبثه للطباع ﴿وَأَشْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ﴾ في حلال رزقه و طيبه ﴿إِنْ كُنتُمْ إِيَّاهُ﴾ لا سواه ﴿تَعْبُدُونَ﴾ حيث إن شكر النعمة هو قضية العبادة كأصل.

١١٥ / ١٦

١١٥- ﴿إِنَّمَا﴾ ليس إلا، في خصوص الأنعام ﴿حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ﴾ "مُسْفُوحًا" كما ذكر في الأنعام ﴿وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَ مَا أَهْلٌ لِعَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ و إن يترك اسم الله و لا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه (٦: ١٢١) ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ﴾ دون إختياره، حال كونه ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ طالب للحرام أو معتد فيه، ﴿وَلَا عَادٍ﴾ عدوا و لا عداً، و الكل يعنى أنه قاصر في اضطرابه، مكتف بقدر البلغة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ما اضطر إليه دون تقصير.

١١٦ / ١٦

١١٦- ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ﴾ دون سناد صادق إلى وحى الله ﴿هَذَا حَلَالٌ وَ هَذَا حَرَامٌ لِنَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ في قولتكم الكذب، كأن الله أوحى به إليكم، أو خولكم أن تشرعوا من عند أنفسكم "اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ" ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يَفْلِحُونَ﴾ في حياتهم بل يفلحون.

١١٧ / ١٦

١١٧- ذلك الافتراء الكذب ﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ﴾ تشترونه به ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ بعد الموت.

١١٨ / ١٦

١١٨- ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا﴾ عن الحق ﴿حَرَمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ﴾ و هو "كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ شَحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ.." (١٤٦: ٦) ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾ بذلك التحريم جزاء بما كسبوا و ابتلاء ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ دون الله فلا يظلم، و لا غير الله إلا رجوعا لظلمهم إليهم.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٢٨١

١١٩ / ١٦

١١٩- ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ﴾ حيث ربك ﴿لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ﴾ أيا كان ﴿بِجَهَالَةٍ﴾ دون جهل قاصر، و إنما "بِجَهَالَةٍ" دون تعمد ﴿ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ السوء ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ ما أفسدوا بجهالتهم قدر المستطاع ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾ توبة مصلحة ﴿لَغَفُورٌ﴾ سترا للسوء و إزالة لمخلفاته ﴿رَحِيمٌ﴾ يؤيد التائب فيما يصلح، و قد يرفع شأنه أكثر مما كان قبل العصيان.

١٢٠ / ١٦

١٢٠- ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ﴾ بشخصه ﴿أُمَّةً﴾ كأنه جماعة بمفرده، ﴿قَانِتًا﴾ خاضعا ﴿لِلَّهِ﴾ لا سواه خنيفاً ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ على كثرتهم.

١٢١ / ١٦

١٢١- ﴿شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ﴾ فى نفسه و أعماله و أقواله ﴿اجْتَبَاهُ﴾ بين كافة المكلفين فى زمانه حتى جاء موسى مجتنبى مثله ﴿وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ لا عوج له و لم يعوج هو عنه.

١٢٢ / ١٦

١٢٢- ﴿وَأَتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا﴾ حياة ﴿حَسَنَةً﴾ يرضاها الله مهما تعب لها و فيها من أهل الدنيا ﴿وَأِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ﴾ منذ الموت برزخيا و فى القيامة ﴿لَمَنِ الصَّالِحِينَ﴾ المرضيين لله خالصا، وفقا لما دعاه "وَالْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ" (٢٦: ٨٣) و على قمتهم محمد صلى الله عليه و آله.

١٢٣ / ١٦

١٢٣- ﴿ثُمَّ﴾ بعده و بعد موسى و عيسى و من بينهما من المرسلين ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ الوحي الأخير ﴿أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ﴾ طريقة ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ التوحيدية ﴿خَنِيفًا وَ﴾ الحال أنه ﴿مَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ و ليس التابع هنا أدنى من المتبوع بل هو أعلى منه، كما أن ملة إبراهيم هى الملة الربانية، فإنما المقصود أنه فى صراط حق التوحيد، دون اليهود و النصارى المتخلفين عنه.

١٢٤ / ١٦

١٢٤- ﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ﴾ قطعاً عن مثل الصيد و ما أشبه ﴿عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ جزاء بما كانوا يعملون، فلم يكن من ملة إبراهيم بل هو ابتلاء، و اختلافهم فيه من حيث سبتهم عن صيد الحيتان و عدمه، عملاً أو نهياً عن منكر ما فعلوه أو نهياً عن نهى عنه، فهو لاء هم الذين جعل عليهم السبت حتى جاء المسيح (ع) ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ جزاء وفقاً ﴿فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

١٢٥ / ١٦

١٢٥- ﴿ادْعُ﴾ يا محمد، و كذلك المسلمون الذين حملوا ما حملت ﴿إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ دعوة قمة كما ربك بترية قمة ﴿بِالْحِكْمَةِ﴾ التى تحكم عرى العقول إلى الحق، ثم ﴿وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ لمن لا تكفيه الحكمة بمفردها ﴿و﴾ من ثم

﴿جَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ بعد الدعوتين الأوليين لمن يصبر على التخلف عن دعوتك، أمرا و نهيا بدرجاتهما، ثم من بقى ظالما فالى مرحلة رابعة: " وَ لَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا " (٤٦: ٢٩) و هى مقاتلتهم دفعا عن فتنهم، أو يقبلوا الحق أو يسكتوا عن الفتنة ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ دون اهتداء ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ الذين تكفيهم مثلث الدعوة دون قتال.

١٢٦ / ١٦

١٢٦- ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾ من لا يقبل الدعوة، بل يعاقبكم نفسيا أو دعائيا ﴿فَعَاقِبُوا﴾ هم ﴿بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾ دون زيادة ﴿وَ لَئِنْ صَبَرْتُمْ﴾ فيما يجوز الصبر عليه ﴿لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ مهما كان خيرا لهؤلاء أيضا إن اهدوا، أو شرا إن أصروا على ضلال، فكم المعاقبة و كيفها، تراعى فيها عدلا.

١٢٧ / ١٦

١٢٧- ﴿وَاصْبِرْ﴾ " على ما أصابك " كضابطة إلا عند وجوب المعاقبة و إمكانياتها ﴿وَ مَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ حيث يكون لله و بتوفيقه ﴿وَ لَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَ لَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ إذ لا يمكرون إلا بأنفسهم.

١٢٨ / ١٦

١٢٨- ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الله، معية توفيق و عناية ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ فى تقواهم و فى كل حالاتهم.

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. سُبْحَانَكَ﴾ تنزيها عما لا يليق بساحة الربوبية، كأن لا يقدر على إسراء عبده ﴿الَّذِي أَسْرَى﴾ سيرا خارقا للعادة ﴿بِعَبْدِهِ﴾ و هو روحه بجسمه دون واحد منهما فإن لكل اسمه الخاص به ﴿لَيْلًا﴾ سيرا ليليا ﴿مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾ و هو أقصى المساجد و أبعداها مكانا من المسجد الحرام، فهو بالسدره المنتهى، مهما كان المسجد الأقصى الأرضى أقصى لمقابلتها الأقصى السماوى، ثم الأقصى الأرضى يومذاك كان مسجد الكوفة ﴿الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ كافة البركات الروحية و سواها، و قد يعنى "حَوْلَهُ" ما أحاط بالسدره من الكون و الكيان الخلقى كله ﴿لَنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ كل ما يمكن سماعه ﴿الْبَصِيرُ﴾ كل ما يمكن إبصاره بصرا و بصيرة.

٢- ﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ: التَّوْرَةَ﴾ وَجَعَلْنَاهُ ﴿بِالتَّوْرَةِ﴾ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿كَرَأْسِ الزَّوَايَةِ﴾ لهذه الرسالة العالية، و خلاصة هذه ﴿أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا﴾ تكونون إليه أمركم كرب.

٣- لذلك، أعنى من المرسل إليهم الإسرائيليين ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ و لا اختصاص لهم فى كونهم "ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ" بل هم الأناسى المولدون منهم طول الرسالة الموسوية ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ فنحن شكرناه فجعلنا ذريته، نسبا و إيمانا إلا من غرق "هُمُ الْبَاقِينَ" دون البايعين.

٤- و رغم تلكم الكرامة الغالية لبني إسرائيل ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ﴾ إنباء حتما بما سوف يفتعلون ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ﴾ مقابل السماء، فهى أرض التكليف فيها كلها، إفسادا عقيدا، اقتصاديا سياسيا و فى الحرث و النسل ﴿مَرَّتَيْنِ﴾ و لم يسبق حتى الآن لهم إفساد عالمى إذ كانوا و حتى تأسيس الدولة الإسرائيلية، شذر مذر أيادى سبا، و علمهم منذ احتلال فلسطين القدس يتبدءون بالإفساد الأول، ثم الثانى: ﴿وَلَتَعْلَنَّ عَلَٰؤًا كَبِيرًا﴾ فى إفسادهم الثانى أعلى و اشمل من الأول.

٥- ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ﴾ تعذيبا هنا و تشريدا ﴿أُولَٰئِهِمَا﴾ من مرتى إفسادهم و هى أخف إفسادا ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ﴾ تحقيقا لوعدنا ﴿عِبَادًا﴾ خصوصا ﴿لَنَا﴾ و هم الموحدون الفدائيون من العالم كله ﴿أُولَىٰ بِأَسَىٰ﴾ قوة ﴿شَدِيدٍ﴾ أشد منكم ﴿فَجَاسُوا﴾ مضارعا محقق الوقوع بصيغة الماضى و صبغة المضارع ﴿خِلَالَ الدِّيَارِ﴾ حيث مركز إفسادهم و ما حواه فى الأرض كله ﴿وَوَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾ لا مرد له و لا حول عنه، حيث الإفساد العالمى ليس ليدوم إلا أن يقضى عليه ببعث ربانى كما هنا، اللهم اجعلنا من هؤلاء العباد الخصوص.

٦- ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ﴾ بنى إسرائيل المفسدين بعد تدميرهم ﴿الْكُرَّةَ﴾ الرجعة ﴿عَلَيْهِمْ﴾ هؤلاء العباد الفدائيين أن تجمعوا كيذكهم ﴿وَأَمَدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ كما نمد سائر الكفار بامتحان الامتهان.

٧- ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ﴾ بعد تشردكم عند قوتكم تركا لأى إفساد ﴿أَحْسَنْتُمْ لِنَفْسِكُمْ﴾ ألا يقضى عليكم بعد ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ و لكنكم تسيئون أكثر من الأولى ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ﴾ المرة ﴿الْآخِرَةِ﴾ من المرتين ﴿لِيَسُوُّوا﴾ "عباداً لنا" ما بقى منهم و ما حصل بعد فى المرة الآخرة، و هم أصحاب المهدي عليه السلام "لِيَسُوُّوا" ﴿وَجُوهَكُمْ﴾ أكثر من الأولى ﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ﴾ الأقصى ﴿كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ و هنا يعرف أن المبعوثين الأولين يدخلون المسجد بعد المرة الأولى ثم الثانية ﴿وَلِيَتَّبِعُوا مَا عَلَّمُوا﴾ الإسرائيليون فى المرة الثانية بعلوهم الكبير ﴿تَتَّبِعُوا﴾ قاضيا، و هو فى دولة الإمام المهدي عليه السلام إذ يملأ الأرض قسطا و عدلا بعد ما ملئت ظلما و جورا.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٢٨٣

٨ / ١٧

٨- ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمُ﴾ بعد ذلك التتبير ﴿وَلَكِنْ﴾ لكن ﴿إِنْ عُدْتُمْ﴾ فى إفسادكم ﴿عُدْنَا﴾ فى تتبيركم فى دولة الإمام المهدي، حيث لا قوة لأحد إلا له و لأصحابه ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ يحصرهم دون سماح لهم أن يخرجوا منها.

٩ / ١٧

٩- ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ﴾ الأخير الإسلامى المحمدى بين القرآنين الأول النازلة على أنبياء الله ﴿يَهْدِي﴾ كافة المكلفين ﴿لِلَّتِي﴾ الهدى و الطريقة و الشريعة و الملة و .. التى "هى أَقْوَمُ" مما سبق من الهدى و .. قواما و قيمة و قياما لأنها أكمل من كلها و أبقى منها ﴿وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ به ﴿الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ﴾ لإيمانهم قرانيا ﴿أَنْ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ كما هو الكبير بين سائر كتابات الوحى.

١٠ / ١٧

١٠- ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ مهما آمنوا بالله ﴿أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ فى الدنيا و الآخرة.

١١ / ١٧

١١- ﴿وَلَا يَدْعُ﴾ دعوة و دعاء ﴿الْإِنْسَانَ﴾ النسيان ﴿بِالشَّرِّ﴾ بدل ﴿دُعَاهُ بِالْخَيْرِ﴾ تبديلا لدعاء الخير بدعاء الشر ﴿وَلَا كَانَ الْإِنْسَانُ﴾ منذ كان ﴿عَجُولًا﴾ فإنه خلق من عجل، و هو المنى العاجل فى خروجه، و له أن يترك عاجل الشر إلى أجل الخير "وَلَوْ يَعْجَلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتَعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ" (١٠: ١١).

١٢ / ١٧

١٢- ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ﴾ "وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ" (٤١: ٣٧) حيث يدلان باختلافهما تلو بعض البعض على مدبر مريد حكيم ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ﴾ نفسه و قمره ﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ نفسه و شمس، فكل منهما آيتان اثنتان: "وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ" (٤١: ٣٧) ﴿لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾ فيهما، سكنا فى الليل و حركة فى النهار ﴿وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السَّيِّئِينَ وَالْحِسَابَ﴾ باختلافهما على قدر لكل منهما ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ﴾ واضحا لمن يستوضح ﴿تَفْصِيلًا﴾.

١٣ / ١٧

١٣- ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ﴾ و أى مكلف ﴿الزَّمَنَ﴾ نفسه ﴿طَائِرَهُ﴾ عمله الذى يطير إلى الأثير انمحاء كما يزعم ﴿فِي عُنُقِهِ﴾ ذاته نفسا و بدنا، فنفسية الأعمال مثبتة فى الأرواح و بدنيةها مثبتة فى الأبدان، فالإنسان بكله تلفزة صورية و صوتية أما هيه من "طَائِرُهُ" الأعمال ﴿وَنُخْرِجُهُ لَهُ﴾ من ذاته أعماله ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا﴾ ثابتا منقشا ﴿يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾ فليست له صفحات فوق بعض البعض، بل هى أعماله المنشورة يوم يقوم الأشهاد.

١٤ / ١٧

١٤- فيقال له ﴿افْرَأْ كِتَابَكَ﴾ الذى كتب لك أو عليك، صوراً بالبصر و أصواتاً بالأذن و نفسيات بالبصيرة ﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ﴾ قارئ و مقروا ﴿الْيَوْمَ﴾ حيث تبلى السرائر ﴿عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ كأظهر الشهود عليك.

١٥ / ١٧

١٥- و كضابطة عامة ﴿مَنْ اهْتَدَى﴾ بهدى الله ﴿فَإِنَّمَا﴾ ليس إلا ﴿يَهْتَدَىٰ لِنَفْسِهِ﴾ صالحاً دون أن يعدوا إلى غيره ﴿وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا﴾ ليس إلا ﴿يَضِلُّ عَلَيْهَا وَ لَا تَزُرُّ﴾ نفس ﴿وَاِزْرَهُ﴾ وزرها بما ضل ﴿وَزَرَ﴾ نفس ﴿أُخْرَىٰ وَ مَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ﴾ أحدا ﴿حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ بحياته نفسه، ثم حياة رسالته، فلا فترة فى رسالة ربانية مهما فترت الرسل.

١٦ / ١٧

١٦- ﴿وَ إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً﴾ مجتمعاً إنسانياً، إرادة كجزاء وفاق ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ مالا و سلطة، أمراً يخصهم، دون الدانين حيث ليس لهم ذلك الأمر ﴿فَفَسَقُوا فِيهَا﴾ عن أمرنا فاستتبع إهلاكها ﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ عن بكرتها بمن فيها من مستضعفيها، بما سكتوا عن فسقهم فعذاباً ضمنهم، أو لم يستطيعوا على شىء فهلكا دون عذاب.

١٧ / ١٧

١٧- ﴿وَ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ﴾ فاسقة ﴿مِنْ بَعْدِ نُوحٍ﴾ ككل قرية يفسق مترفوها ﴿وَ كَفَىٰ بِرَبِّكَ﴾ دون سواه ﴿بِذُنُوبِ عِبَادِهِ﴾ ككل ﴿خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ " لا يعزب عنه مثقال ذرة".

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٢٨٤

١٨ / ١٧

١٨- ﴿مَنْ كَانَ﴾ منذ تكليفه أو من زمن بعيد ﴿يُرِيدُ﴾ الحياة ﴿الْعَاجِلَةَ﴾ الدنيوية ﴿عَجَلْنَا لَهُ﴾ كما استعجل ﴿فِيهَا﴾ لا كما يشاء بل ﴿مَا نَشَاءُ﴾ و لا لكل من يريد العاجلة بل ﴿لِمَنْ نُرِيدُ﴾ حسب الحكمة الربانية ﴿ثُمَّ﴾ بعد العاجلة ﴿جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا﴾ إيقاداً لها إذ هم وقود فيها ﴿مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ عن الجنة مطلقاً، إذ لم يعمل لها أبداً: " مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَ زَيَّنَّا نَافَإً لِّبِهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا" ما نشاء لمن نريد" و هم فيها لا يبخسون. أولئك الذين ليس لهم فى الآخرة إلا النار و حبط ما صنعوا فيها و باطل ما كانوا يعملون" (١١: ١٨).

١٩ / ١٧

١٩- ﴿وَ مَنْ أَرَادَ﴾ الحياة ﴿الْآخِرَةَ﴾ بنعيمها ﴿وَ سَعَىٰ لَهَا سَعِيهَا﴾ المناسب إياها ﴿وَ﴾ الحال ﴿هُوَ مُؤْمِنٌ﴾ بالله و اليوم الآخر و ما بينهما من رسالات ﴿فَأُولَٰئِكَ﴾ الأكارم ﴿كَانَ﴾ يوم الدنيا إلى الآخرة ﴿سَعِيَهُمْ مَّشْكُورًا﴾ عند الله، مهما كان جزاء الأوفى فى الأخرى.

٢٠ / ١٧

٢٠- ﴿كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَ هَؤُلَاءِ﴾ من أبناء الدنيا و الآخرة نُمِدُّ مداً إلى هذه أو تلك دون إجبار لأحدهما ﴿مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ﴾ الذى رباك تربية قمة ﴿وَ مَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ لا فى الدنيا و لا فى الآخرة، مهما كان محظوراً لأهل الدنيا بما يعاملونها، و لكنه محبور قضية الاختيار الاختبار.

٢١ / ١٧

٢١- ﴿انْظُرْ كَيْفَ﴾ حسب العدل و الفضل ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ هنا، و فى الأخرى كما سعوا ﴿وَ لِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ﴾ مهما كان هنا درجات ﴿وَ أَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ فضيلاً، مهما كان هنا لأهل الدنيا رذيلًا.

٢٢ / ١٧

٢٢- ﴿لَا تَجْعَلْ﴾ أنت و لا سواك ﴿مَعَ اللَّهِ﴾ ندا يماثله و يعاونه ﴿إِلَهاً آخَرَ﴾ غيرى ﴿فَتَقْعُدَ﴾ عن الحياة البالغة، إلى حياة شاغبة ﴿مَذْمُومًا مَخْذُولًا﴾ عند الله و أهله.

٢٣ / ١٧

٢٣- ﴿وَ قَضَىٰ رَبُّكَ﴾ تكويننا فى الفطر و العقول، و تشريعا فى كافة الحقول ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ عبادة أو طاعة عبادة، أو طقوس خاصة بالله كالسجود و الركوع، فإنها أعلى مظاهر العبودية، ثم ﴿و بِالْأَلَدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ بقضائه، لأنهما من مجارى الربوبية ولادة و تربية، ففى مثلث الإحسان و الإساءة و تركهما، الواجب هو الأول و الآخران محرمان لا سيما ﴿إِمَّا يَلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا﴾ و قضيته أن يسوء أخلاقهما، و لكن ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا﴾ حينئذ حتى ﴿أَفٍّ﴾ و هو أقل الإساءة لفظية ﴿و لَا تَنْهَرُهُمَا﴾ و هو أكثر منه، بل ﴿و قُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ واسعا فى خلقك معهما حتى و إن ضرباك.

٢٤ / ١٧

٢٤- لا فحسب، بل ﴿وَ اخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ إليهما كما يخفض الطير جناحها لصغارها ﴿وَ قُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي﴾ حالكونى ﴿صَغِيرًا﴾ و هما حال كبرهما راجعان إلى صغرهما.

٢٥ / ١٧

٢٥- ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾ كما يعلم مظاهرهم ﴿إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ﴾ فى نفوسكم فـ" إن" هنا وصلية، لا شرطية تعنى عدم علمه بما فى نفوسكم إن لم تكونوا صالحين، فقد يعذركم و يتوب عنكم إن قصرتم جهالة ﴿فَإِنَّهُ كَانَ لِلَّأَوَّابِينَ غَفُورًا﴾ و هم الراجعون إلى الله كثيرا.

٢٦ / ١٧

٢٦- ﴿وَ آتِ ذَا الْقُرْبَىٰ﴾ و هو الأقرب إليك ممن سواه ﴿حَقَّهُ﴾ المفروض عليك، و منه لذى قربى الرسول رساليا حق الخلافة الإسلامية، و لسائر ذوى القربى سائر الحقوق المفروضة ﴿وَ﴾ كذلك ﴿الْمَسْكِينِ﴾ الذى أسكنه العدم ﴿وَ ابْنَ السَّبِيلِ﴾: سبيل الله ﴿وَ لَا تُبْذِرْ﴾ الحق مالا و سواه ﴿تَبْذِيرًا﴾ إبطالا له أيا كان، تبذيرا لحقوق نفسية كالخلافه لغير ذى القربى الرسالى، أو مالية كسائر التبذير الحظير.

٢٧ / ١٧

٢٧- ﴿إِنَّ الْمُبْذَرِينَ﴾ ككل ﴿كَانُوا﴾ منذ تبذيرهم ﴿إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ فإنهم أولى عمال التبذير ﴿وَ كَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ كفرا و كفرانا، و من أدنى التبذير الكفران، كمن يشتري دخانا فيتدخن به، فإنه تبذير مضاعف، تبذيرا للمال و آخر فى الصحة، و أنحس منه تبذير المقامات النفسية، أن يحول سلطة ربانية إلى عامل شيطانى، أو من لا يليق به مهما كان مؤمنا.

٢٨ / ١٧

٢٨- ﴿وَ إِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ﴾ ذى القربى إذ ليس لك ما تعطيههم ﴿ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا﴾ لهم، لا إعراضا ﴿فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مِّسُورًا﴾ فما لم يكن ما يؤتى فلا بد من ميسور.

٢٩ / ١٧

٢٩- ﴿وَ لَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ فلا تنفق على يسرك ﴿وَ لَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ أن تنفق كل ما عندك ﴿فَتَقْعُدَ﴾ عن حياتك الضرورية ﴿مَلُومًا﴾ تلوم نفسك و تلام ﴿مَحْسُورًا﴾ تحسر نفسك عن حركات حياتك.

٣٠ / ١٧

٣٠- ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ رَبِّكَ، و يشاؤه المرزوق قدر ما يقدر الله ﴿و يقدر﴾ هو عليه و يقدر تضيقا لرزق من يشاء ربك أن يضيق عليه ﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ يعلم ما هم عليه و يؤلون إليه.

٣١ / ١٧

٣١- ثم خوفة من الفقر ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ﴾ و إفلاس عليكم إذ ﴿نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ﴾ منذ كان ﴿خِطَاءً كَبِيرًا﴾ في ناموس الأنفس و الدماء.

٣٢ / ١٧

٣٢- ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّنى﴾ لا أن لا تزنوا فقط، فقر به الأمور التى تقدمكم إلى الزنا ﴿إِنَّهُ﴾ قرب الزنا ﴿كَانَ فَاحِشَةً﴾ تجاوزا فى حد العصيان، و تجاوزا إلى من تزنى بهم و إلى ولد الزنا و إلى المجتمع ﴿وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ فى حياة الشهوة.

٣٣ / ١٧

٣٣- ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾ ضابطة ثابتة ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ المقرر فى شرعة الله أن يكون قاتلا عمدا على مساوات بين الذكورة، و بين الأنوثة، فهو استثناء منقطع يفيد حصرا ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا﴾ لا يحق قتله ﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا﴾ على قتل قاتله ﴿فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ﴾ أن يفتك بقاتله أكثر مما فتك، بل هو اعتداء بالمثل، و لا قتل غير القاتل، أو المشارك فى القتل، لأنه خارج عن الاعتداء بالمثل، كما "النفس بالنفس" نصوص ثلاثة تمنع عن قتل أكثر من واحد لمقتول واحد ﴿إِنَّهُ﴾ وليه ﴿كَانَ مَنْصُورًا﴾ من قبل الله ما لم يسرف فى القتل.

٣٤ / ١٧

٣٤- ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ﴾ لا ألا تأكلوه فقط ﴿إِلَّا بِ﴾ الطريقة ﴿الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ الطرق المستطاعة لديكم، أولياء و سواهم ﴿حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾: شد العقل و النكاح و الرشد "فَإِنْ أَنْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ" (٤: ٦) و حينذاك يسقط وجوب الأحسن ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ﴾ من الله عليكم فطرة و عقلية و شرعة، و منكم أن تعاهدوا الله، و بعضكم مع بعض ما دام العهد صالحا فى شرعة الله ﴿إِنَّ الْعَهْدَ﴾ أيا كان شرط صلاحه ﴿كَانَ مَسْئُولًا﴾ عند يوم السؤال، و من ذلك العهد كل القرارات السليمة بينكم حيث يجب الإيفاء بها.

٣٥ / ١٧

٣٥- ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ﴾ ماليا أو نفسيا و ما أشبه من موازنات ﴿وَزِنُوا﴾ كل ما يوزن ﴿بِالْقِسْطِ﴾ الميزان ﴿الْمُسْتَقِيمِ﴾ فى شرعة الله ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ يقابله شر ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ مأخذا و نتيجة يقابله سوء.

٣٦ / ١٧

٣٦- ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ فى فروع أحكامية هى محط العرض هنا، أو أصول هى أخرى فى حرمة الإتياع دون علم، مما يحرم قفو غير العلم من الطرق المشروعة مطلقا ف﴿إِنَّ السَّمْعَ وَ الْبَصَرَ وَ الْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ﴾ على طول خط التكليف ﴿عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ عند الله.

٣٧ / ١٧

٣٧- ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ اختيالا و افتخارا و استكبارا ﴿إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ﴾ خرقا خارقا بوسيلة و سواها ﴿وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ فى قامتك حتى تستكبر على الأرض و أهلها.

٣٨ / ١٧

٣٨- ﴿كُلُّ ذَلِكَ﴾ الذى ذكرناه ﴿كَانَ سَيِّئُهُ﴾ منذ التكليف ﴿عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ حرمة مغلفة، إذ لو عني "مَكْرُوهًا" مرجوحا كما يقولون لكان أغلظ المحرمات مرجوحا، ثم و القرآن ينص على الحرمة المغلفة كونيا، كما ينص عليه شرعيا، كـ "كَرِهَ اللَّهُ أَنْبِعَاتَهُمْ فَتَبَطَّهْمُ .." (٩: ٤٦) و ما أشبهه.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٢٨٦

٣٩ / ١٧

٣٩- ﴿ذَلِكَ﴾ العظيم العميم هو ﴿مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾ معرفية و عملية حتى تحكّم عرى الشهوات بحكمة العقل و الوحي، و أحكمها ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ﴾ فى ألوهية أو ربوبية ﴿إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ﴾ بذلك ﴿فِي جَهَنَّمَ﴾ هنا و فى الأخرى ﴿مَلُومًا﴾ عند كل لائم، من الله و من نفسك و آخرين ﴿مَذْهُورًا﴾ يد حرك الكل عما يليق بالإنسانية.

٤٠ / ١٧

٤٠- ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ﴾ و اختصكم ﴿رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ﴾ مع بنات، ثم ﴿وَاتَّخَذَ﴾ لنفسه ﴿مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا﴾ كبنات له و هو خالق الكل، فلو كان يتخذ كان متخذه لنفسه أبناء، و كما تفضلونهم على البنات ﴿إِنَّكُمْ تَقُولُونَ﴾ على الله ﴿قَوْلًا عَظِيمًا﴾ باطلا من وجهه: اتخذا ثم بنات، دون بنين أو كليهما كما لكم.

٤١ / ١٧

٤١- ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ رددنا مختلف التعبير و البرهان، و المثل لمختلف الحقائق المرمية ﴿فِي هَذَا الْقُرْآنِ﴾ حيث يقرأ عليكم بين سالف القرانين الموحى من ذى قبل، فليس فيها ما فيه ﴿لِيَذْكُرُوا﴾ كلما يجب أن يذكروه ﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ﴾ تصرفنا ﴿إِلَّا نُفُورًا﴾ و كفورا: "وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا".

٤٢ / ١٧

٤٢- ﴿قُلْ لَوْ﴾ مستحيلا ﴿كَانَ مَعَهُ إِلَهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ﴾ فى أى من شؤون الألوهية، فضلا عن كلها ﴿إِذَا لَابَتَّوْا﴾ تطلبا ﴿إِلَى﴾ الله ﴿ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ "سَبِيلًا" ليغلبوا عليه على كثرتهم و وحدته، أو ليتقربوا إليه، أو ليعرفهم ذو العرش فيعرفهم لأنبياءه و سائر عبيده، أو ليشاركوه فى عرش الألوهية، و إذا "لَفَسَدَتَا": "لَوْ كَانَ فِيهِمَا إِلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا" (٢١: ٢٢) "وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ" (٢٣: ٩٤).

٤٣ / ١٧

٤٣- ﴿سُبْحَانَهُ﴾ تنزيها ﴿وَتَعَالَى﴾ علوا ﴿عَمَّا يَقُولُونَ﴾ و يقولون ﴿عُلُوًّا كَبِيرًا﴾.

٤٤ / ١٧

٤٤- ﴿تَسْبَحُ﴾ طوعا أو كرها ﴿لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَ الْأَرْضُ﴾ سبعا ﴿وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ سماوات و أرضين ﴿وَأِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا﴾ يسبح بحمده ﴿عِبَادِيَّةٍ﴾ حيث تعرف ربها، فليس فقط كونيا بدلالة الذوات، إذ ﴿وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ فقه العيان و البيان، و التسبيح كونيا هو مأمور بمعرفته، نظرا إلى الكون حيث يدل بكونه و كيانه على مكوّنه، فالكل- إذا- تسبح عن شعور، و تاركه إنما يتركه بسوء إختياره، و ليس شيئا مخلوقا لله بل هو مختلق، فكيف تتركون أنتم تسبيحه عن شعور تكليف ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا﴾ بعباده، يصفح عنهم إن تابوا ﴿عَفُورًا﴾ يستر عنهم خطاياهم.

٤٥ / ١٧

٤٥- ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ﴾ أنت يا رسول الهدى و من معك، لا كل قارئ للقرآن فرب قارئ تالى و القرآن يلعنه و منهم الذين لا يؤمنون فيقرئونه هزوا ﴿جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَ بَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا﴾ يحجبهم عنك ﴿مَسْتُورًا﴾ عنهم ذلك الحجاب

ظاهريا و باطنيا، و ذلك قضية الاستعاذة الحقيقية بالله من الشيطان الرجيم" فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ" (١٦: ٩٦) عمليا لا- فقط- قوليا.

٤٦ / ١٧

٤٦- و من الحجاب المستور عنهم ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ عن ﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ بما كُنُوا قُلُوبِهِمْ ﴿وَوَجَعَلْنَا﴾ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْآنًا عَنْ أَنْ يَسْمَعُوهُ فَيَعُوهُ ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ﴾ و هم يشركون به ﴿وَلَوْ أَعْلَمُوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾ عن وحدته إلى كثرتهم.

٤٧ / ١٧

٤٧- ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ﴾ فيما بينهم من فرية ظالمة ﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ فِي الظاهر ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ﴾ فيها: استمعا إليك و نجوى بينهم ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ فقولة السحر عليه و إن مرة يتيمة كما في رواية، هي قولة ظالمة كافرة.

٤٨ / ١٧

٤٨- ﴿انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾ الخابطة الهابطة أن يمثلوك بساحر أو كاهن أو مجنون أو شاعر و ما أشبه ﴿فَضَلُّوا﴾ بما أضلوا أنفسهم ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ إلى الحق المرام حيث ضلوا عن المرام: " وَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ " (٩: ٩٣).

٤٩ / ١٧

٤٩- ﴿وَقَالُوا﴾ هَؤُلَاءِ الْمَتَّغُولُونَ الْمَتَّغُولُونَ ﴿أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا﴾ ثم ﴿وَرَفَاتًا﴾ رمادا ترابا ﴿أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ بعد ما كنا بديدا، و هو خلقهم أول مرة، فهذا الجديد " أَهْوَنَ عَلَيْهِ " (٣٠: ٢٧).

٥٠ / ١٧

٥٠- ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾ تحديا في كونهم أيا كانوا.

٥١ / ١٧

٥١- ﴿أَوْ﴾ كُونُوا ﴿خَلْقًا﴾ آخر ﴿مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ تخيلا و تخيلا لإي زعم استحالة كونهم خلقا جديدا ﴿فَسَيَقُولُونَ مَنْ يَعِيدُنَا﴾ و يبعنا خلقا جديدا ﴿قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ " وَ هُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ " قضية البدع البادية ﴿فَسَيَنْغِضُونَ﴾ خفضا ﴿إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾ تخجلا أمام تلك البرهنة القاطعة، ثم يتساءلون عن وقته ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ﴾ و كأنهم إن لم يعلموا متاه علموا أنه لا يكون ﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾ أقرب من البداية.

٥٢ / ١٧

٥٢- و ذلك الوقت القريب يكون ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ﴾ بجمعكم بعثا أخرويا حيث الموت ليس جميعا ﴿فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ﴾ حامدين إياه، بعد ما كنتم في الحياة الدنيا حامدين عن حمده ﴿وَتُظَنُّونَ أَنْ لَبِئْتُمْ﴾ دنيا و برزخا ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ حيث تقلل الأخرى لبثكم قبلها.

٥٣ / ١٧

٥٣- ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي﴾ حيث يعبدونني ﴿يَقُولُوا﴾ الكلمة ﴿الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ كلمة أدبا و معنى، و تلك الكلمة يعم التلفظ إلى الكتابة و إلى السكوت المصدق ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ﴾ دخولا في أمر لإفساده فلا يكن في قولكم منزغ للشيطان مهما تعنون حسنا أو حسنى ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ﴾ منذ كانوا و كان ﴿لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ يبين عداؤه من قاله و فعاله.

٥٤- ﴿رَبُّكُمْ﴾ حيث رباكم بكامل علمه و قدرته ﴿أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ منكم فضلا عن سواهم، فيعلم موضع الرحمة و العذاب استحقاقا وفاقا ﴿إِنْ يَشَأْ يُرْحَمَكُمُ﴾ " وَ لِذَلِكَ خَلَقَهُمْ " ﴿أَوْ إِنْ يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ﴾ و ليس لك فيهما أمر ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ ترحمهم أو تعذبهم، أو يرحمهم الله بك أو يعذبهم اللهم إلا على ضوء رسالتك الرحيمة: " ما كان الله ليعذبهم و أنتَ فيهم و ما كان الله مُعَذِّبَهُمْ وَ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ " (٨: ٣٣).

٥٥- لا فحسب أتم بل ﴿وَرَبُّكَ﴾ الذى رباك لأعلى قمم التربية ﴿أَعْلَمُ﴾ من غيره ﴿بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ لَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾ فى درجات النبوة ﴿وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زُبُورًا﴾ تفضيلا له على جموع من غير أولى العزم منهم.

٥٦- ﴿قُلْ﴾ للمشركين ﴿ادْعُوا﴾ تعنتا كأمر هو أمر من النهي ﴿الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ آلهة أو أولياء معه ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ أَيْ كَانَ﴾ عَنْكُمْ وَ لَا تَحْوِيلًا﴾ لضركم إلى غيركم، و لا عن أنفسكم.

٥٧- ﴿أُولَئِكَ﴾ الأكارم من عبادى ﴿الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ ربهم ﴿يَتَّبِعُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ التى قررها لهم ﴿أَيُّهُمْ﴾ عبادى و الوسيلة ﴿أَقْرَبُ﴾ إلى الله ﴿وَيَرْجُونَ﴾ بتلك الدعاء ﴿رَحْمَتَهُ وَ يَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ عائشين بين الخوف و الرجاء ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ و " الوسيلة " تعم الآيات الربانية التى تثبت رسالات، و كذلك الرسل و رسالاتهم، إلى كل الوسائل الممنوحة من قبل الله فى سبيله.

٥٨- ﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ﴾ مجتمع مكلف ﴿إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ إماتة بعذاب و سواه، ﴿أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا﴾ فى إهلاكهم، إذ كتب الموت على كافة الأحياء، بمختلف صنوفه، و الإهلاك و التعذيب هنا جماهيرى، فلا يشمل موت الأشخاص و عذابهم، و على الجملة لا بد من فناء قبل يوم قيامة الأحياء، للأحياء، و كذا الأموات إذ يصعقون عن حياتهم البرزخية إلا من شاء الله " وَ نَفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ " (٣٩: ٦٨) ﴿كَانَ ذَلِكَ﴾ الإهلاك و العذاب الشديد ﴿فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ كتبه الله على عباده فى إثبات دون محو.

٥٩- ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ﴾ هذا الرسول الأخير ﴿بِالْآيَاتِ﴾ التخويفية ﴿إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾ و هم كافة المكذبين قبل هذه الرسالة الأخيرة، و مثلا على تكذيب ﴿وَأَتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ﴾ آية ﴿مُبْصِرَةً﴾ حق رسالة صالح ﴿فَظَلَمُوا بِهَا﴾ إذ عقروها ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ﴾ التخويفية ﴿إِلَّا تَخَوِيفًا﴾ فإن أصل الآية الرسولية رحمة لهدى الرسالة، ثم تخويف المكذبين بها مهما كذبوها.

٦٠- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ﴾ حيث رباك لقمة التربية الممكنة ﴿أَحَاطَ﴾ قيوميا ﴿بِالنَّاسِ﴾ كسائر الخلق ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ﴾ و كأنها ما أرى فى منامه أن قردة ينزون على منبره و هم بنو أمية ﴿إِلَّا فِتْنَةً﴾ و امتحانا ﴿لِلنَّاسِ﴾ بما يقصرون، إذ يحولون الخلافة الربانية عن موضعها ﴿وَ﴾ كذلك ﴿الشَّجَرَةُ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾ و هى ثلوث شجرة النفاق و

الاشراك و الإلحاد ﴿وَنُحَوِّفُهُمْ﴾ أولئك الأنكاد الذين يحنون ظهورهم للشجرة الملعونة ﴿فَمَا يَزِيدُهُمْ﴾ تخويفنا ﴿إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾.

٦١ / ١٧

٦١- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ﴾ أجمعين و معهم إبليس إذ كان يتظاهر بأعمالهم ﴿اسْجُدُوا﴾ لله عبودية و ﴿لَأَدَمَ﴾ شكرا لله أن خلقه معلما لكم ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ تخلفا عن أمر الله، و قد عرف أنه للوجوب خلافا لبعض من يتبعه حيث يختار في كونه للوجوب ﴿قَالَ أَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ﴾ ه إنسانا حالكونه ﴿طِينًا﴾ مما يدل على القفزة الطينية لأدم الأول، و إلا فلا موقع لـ " طيناً" حالا من آدم حين خلق، و قد صدقه الله في تلك القفزة الطينية.

٦٢ / ١٧

٦٢- ﴿قَالَ﴾ إبليس ﴿أَرَأَيْتَكَ﴾ نفسك إلها ﴿هَذَا﴾ آدم ﴿الَّذِي كَرَّمْتَ﴾ ه ﴿عَلَى﴾ أن أسجد لك شكرا أن خلقته بعدنا معلما لنا ﴿لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ﴾ استحمارا لهم يحنون ظهورهم لأرکبهم فيرتكبون ما أهواه ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ هم المخلصون ككل، و المخلصون كأكثر عقائدهم و أعمالهم دون خروج عن التوحيد الحق.

٦٣ / ١٧

٦٣- ﴿قَالَ أَذْهَبَ﴾ مذهبك احتناكا، أمرا أمر من النهي، سماحا تكوينيا لما حرمة الله تشريعا ﴿فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ﴾ و لا سيما عقيدا ﴿فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ﴾ أيها التابعون له ﴿جَزَاءً مَوْفُورًا﴾ لا نقضا و لا نقضا.

٦٤ / ١٧

٦٤- ثم بعد عموم الأمر الإمر يأتي خصوصه ﴿وَاسْتَفْزَزَ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْهُمْ﴾ على استفزازه الاستخفاف، حركة راقصة شيطانية، أم عما أمر الله إلى خلافه، و كلاهما دركات شيطانية ﴿بِصَوْتِكَ﴾ فالأصوات اللهوية هي شيطانية إذ تلهي عن الحق المرام ﴿وَ أَجْلِبْ عَلَيْهِمْ﴾ حملة بقوة غير صوتية إذ لم يؤثر فيهم صوتك استفزازا، فاستفززهم- إذا- ﴿بِخَيْلِكَ وَ رَجْلِكَ﴾ كفاية عن قواته الماشية و الراكبة ﴿وَ شَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَ الْأَوْلَادِ﴾ كخطوة ثالثة إهلاكا للحرث و النسل ﴿وَ عِدَّهُمْ﴾ كخطوة رابعة لمستقبلاتهم ﴿وَ مَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ و زورا باطنه فيه الرحمة و ظاهره من قبله العذاب.

٦٥ / ١٧

٦٥- ذلك الإغواء المسموح تكوينيا، و لكن ﴿إِنَّ عِبَادِي﴾ الخالصين ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ أن يقعوا في فخك، فإن سلطانهم أقوى من سلطانك، مهما لم يكن لك أى سلطان، و لكن الغاوين يسلطونك على أنفسهم رغم سلطانهم ﴿وَ كَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ عليهم حيث يتوكلون عليه، فهو وليهم و وكيلهم بما كانوا يعملون.

٦٦ / ١٧

٦٦- ﴿رَبِّكُمْ﴾ يا عباد هو ﴿الَّذِي يَزْجِي لَكُمْ الْفُلْكَ﴾ دفعا للانسحاق كما يسوق ﴿فِي الْبَحْرِ﴾ بريح و ما أشبه من وسائل هي وسائل ﴿لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ عبر العبور في البحر، من نعماته فيه، و في جانب آخر من البر ﴿إِنَّهُ كَانَ﴾ مذ كنتم ﴿بِكُمْ﴾ رَحِيمًا.

٦٧ / ١٧

٦٧- ﴿وَ إِذَا مَسَّكُمْ﴾ أنتم المشركون بالله ﴿الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ﴾ إشرافا لغرق دون أى منج من دون الله ﴿ضَلَّ﴾ عنكم ﴿مَنْ تَدْعُونَ﴾ ه شريكا لله ﴿إِلَّا إِيَّاهُ﴾ تبلورا للفترة المحجوبة بالشركاء، فيحضر عندكم دون أن تحضروه، دليلا قاطعا على ألوهيته

الوحيدة، فالوَهة شركاءه هي الوهيدة ﴿فَلَمَّا نَجَّكُمْ إِلَى الْبَرِّ﴾ إذ دعوتومه دون تقصّد ﴿أَعْرَضْتُمْ﴾ عنه ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ﴾ منذ كان ﴿كَفُورًا﴾ كفرا و كفرانا.

٦٨ / ١٧

٦٨- ﴿أَفَأَمِنْتُمْ﴾ أنتم المشركون لما أنجاكم إلى البر ﴿أَنْ يَخْسِفَ﴾ الله ﴿بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ﴾ حيث تأمنون فيه عن ضر البحر ﴿أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ ريحا مهلكة ترمى بالحصباء و الحصى ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا﴾ يكل عن هلاككم.

٦٩ / ١٧

٦٩- ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ﴾ إن نجاكم بعد ضر البحر و خسف البر و حاصب السماء ﴿أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ﴾ البحر ﴿تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ﴾ فيه ﴿عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ﴾ تقصف السفن فتغرقها ﴿فَيَغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ﴾ في مثلث الضر: بحرا و برا و جوا ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ﴾ لصالحكم ﴿عَلَيْنَا﴾ خلاف ما نريده من قصفكم ﴿بِهِ تَبِيعًا﴾ يتبع نجاتكم، اللهم إلا الله، فهنا و هنا لك توقظ الفطرة توحيدا خلاف ما تريدون و لكنكم لا تستيقضون.

٧٠ / ١٧

٧٠- ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ كل إكرام ﴿وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ خلقيا و صناعيا ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ برا و بحرا و جوا ﴿وَوَضَعْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ دون قليل منهم، فكما "لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ" كذلك هذا القليل، و قد يكون ممن خلقه الله في السماء كما تشير إليه "وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَ مَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَ هُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ" (٢٩: ٤٥) ف" فيها" تدل على دواب سماوية، و" هم" في «جمعهم» على أن في السماء دوابا عقلاء كالإنسان، فهم أو منهم ذلك القليل.

٧١ / ١٧

٧١- فاذكروا ليذكروا ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أَنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ فأناس الخير الناس يدعون بإمام الخير، و أناس الشر النسناس يدعون بإمام الشر ﴿فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ﴾ عقائد و أعمالا ﴿بِإِمِينَةٍ﴾ علامة النجاح ﴿فَأُولَئِكَ يَفْرَحُونَ كِتَابَهُمْ﴾ بتشوق و تفوق ﴿وَ لَا يَظْلُمُونَ فَتِيلًا﴾ قليلا.

٧٢ / ١٧

٧٢- ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى﴾ بصيرة ﴿فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى﴾ حتى في بصره ألا يقدر على قراءة كتابه مهما يعرف ما فيه، و فيه ما فيه علامة السقوط، أو هو أعمى عن الحقائق الموجودة رغم قراءة كتابه بعد الموقف الأول: "اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا" (١٧: ١٤) فهو ساقط على أية حال ﴿وَ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ مما كان، و قد يؤيد هذا التفضيل أن "أعمى" تعنى أشد عمى من الأولى أنه سوف يكون أعمى بصرا و بصيرة ف" مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَ نَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى .." (٢٠: ١٢٤) مهما أبصر أحيانا أولى تراثيا بين قبيلي الجنة و النار.

٧٣ / ١٧

٧٣- ﴿وَ إِن كَادُوا﴾ هؤلاء الأعمون كيدا و كودا ﴿لَيَفْتِنُونَكَ عَنْ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ فتنة شر، تجاوزا عن وحى الله ﴿لَتَفْتَرِي عَلَيْنَا غَيْرَهُ﴾ ما يغياره وفقا لما يشتهون ﴿وَ إِذَا لَاتَخَذُوكَ خَلِيلًا﴾ لأنفسهم تحلّ فيهم و يخلّون فيك، أخذوا للعصا من وسطها، و لكن هنا "لَكُمْ دِينُكُمْ وَ لِي دِينٌ".

٧٤ / ١٧

٧٤- ﴿وَلَوْ لَا أَنْ تُبْتَنَّاكَ﴾ على ما أنت عليه بعصمة ربانية ﴿لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ حيث يعدونك هداهم لو تمشيت معهم كما يهونون، و لكنه كود كائد لا يليق بشأن الرسالة.

٧٥ / ١٧

٧٥- ﴿إِذَا﴾ لو كدت تركن إليهم ﴿لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَ ضِعْفَ الْمَمَاتِ﴾ عقوبة يضعفك، رسالة بضعفها ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٢٩٠

٧٦ / ١٧

٧٦- ﴿وَإِنْ كَادُوا﴾ كيدا أو كودا ﴿لَيَسْتَفِزُّوكَ﴾ بدنيا إذ لا يقدرُونَ عليه نفسيا ﴿مِنَ الْأَرْضِ﴾ أرض مكة تهجيرها، أو الأرض كلها قتلا كونا، أو أرض الدعوة كيانا ﴿لَيُخْرِجُوكَ مِنْهَا﴾ باستفزازهم و استخفافهم إياك ﴿وَإِذَا لَا يَلْبُثُونَ خِلَافَكَ﴾ مخالفتك ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ إذ لم يكن بينهم و بين فتح مكة إلا قليل ثم استسلموا لك كلهم.

٧٧ / ١٧

٧٧- فالزم ﴿سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾ بسالة في الرسالة ﴿وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا﴾ إلا رسالية ﴿تَحْوِيلًا﴾ إلى ما يغيرها أو تركها.

٧٨ / ١٧

٧٨- ﴿اقِمِ الصَّلَاةَ﴾ المعروفة المألوفة، من الصلَاء و هي هنا وقود النور بينك و بين الله ﴿لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾ مع دلوكلها و زوالها عن الوسط حتى غروبها، حيث تشمل الظهرين كما "قَبْلَ غُرُوبِهَا" فالشمس دالكة طول النهار منذ الظهر حتى الغروب ﴿إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾ و هو منهجرة ظلاما، فنصفه الحقيقي هو منذ الطلوع حتى الغروب، و هو يشمل العشاءين ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ﴾ و هي صلاة الفجر، مؤكدة في قراءتها هنا، و مرة أخرى ﴿إِنْ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ لملائكة الليل مدبرين، و لملائكة النهار مقبلين، فهي من "الصَّلَاةِ الْوُسْطَى" في "حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى" (٢: ٢٣٨).

٧٩ / ١٧

٧٩- ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ﴾ بعضا هو "نِصْفُهُ أَوْ انْقُصُ مِنْهُ قَلِيلًا أَوْ زِدْ عَلَيْهِ" (٧٣: ٤): ثلثا أو نصفًا أو ثلثين ﴿فَتَهَجَّدْ بِهِ﴾ إزالة لنومك قياما فيه تكلفا لمطاردة النوم ﴿نَافِلَةً﴾ فريضة زائدة على أمتك ﴿لَكَ﴾ لصالحك ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ في الأولى و الأخرى، و من الثانية الشفاعة الكبرى.

٨٠ / ١٧

٨٠- ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾ زمانا و مكانا و دخولا صادقا ﴿وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ هكذا الأمر ﴿وَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا﴾ على أهل الباطل ﴿نَصِيرًا﴾ ينصرني عليهم.

٨١ / ١٧

٨١- ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ﴾ كله ﴿وَزَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ كله بذلك الحق الأخير، ف﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ﴾ و لا بد ﴿زُهُوقًا﴾ بالحق و لا سيما الحق كله كما هنا.

٨٢ / ١٧

٨٢- ﴿وَنَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ و هو جنسه الشامل لكله ﴿مَا هُوَ شِفَاءٌ﴾ عن أسقام ﴿وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ بعد زوال الداء ﴿وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ﴾ بحق الحق، فـ "شِفَاءٌ" هنا تعم شفاء الجسم إلى الروح، و "رَحْمَةٌ" قد تخص الثاني ﴿إِلَّا خَسَارًا﴾ على خسارهم، حيث يعمون أنفسهم بعد عماها عن نور القرآن.

٨٣ / ١٧

٨٣- ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ﴾ النسيان ﴿أَعْرَضَ﴾ عنا ﴿وَنَأَى﴾ مال ﴿بِجَانِبِهِ﴾ و طرفه ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يُوسُأً﴾ منا أو: "وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ قَدُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ" (٤١: ٥١).

٨٤ / ١٧

٨٤- ﴿قُلْ كُلُّ﴾ من الشاكر و الكافر أو الكفور و الشكور ﴿يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾ النفسية التي اصطنعها باختياره، من علمية و عقيدية و نية فعلية ﴿فَرَبُّكُمْ﴾ أجمع ﴿أَعْلَمُ﴾ منكم أجمع ﴿بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا﴾ من غيره.

٨٥ / ١٧

٨٥- ﴿وَيَسْأَلُونَكَ﴾ على طول الخط رسوليا، و رساليا إلى يوم الدين استفهما أو استفحاما ﴿عَنِ الرُّوحِ﴾ و هو هنا كأصل روح الوحي القرآن، و ككل هو مطلق ما به الحياة جمادية- نباتية- حيوانية- إنسانية- إيمانية و قدسية ملائكية و ما أشبهه، و أهمها وحي القرآن ﴿قُلِ الرُّوحُ﴾ أيا كان هو ﴿مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ و فعله و إرادته دون المخلوقين، فلا يقدرّون على خلق الروح النباتية، و لا حبة نباتية يأتيها الروح من قبل الله، فضلا عن أفضل الأرواح و هو الوحي القرآني الذي بها حياة الرسالة الإسلامية ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ المطلق ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ يشمل كافة العلوم الخلقية مطلقا، فضلا عن خلق الروح أو العلم به من عند أنفسكم.

٨٦ / ١٧

٨٦- فليس الروح الوحي من محاصيل الجهد الإنساني أيا كان ﴿وَلَنُشِئَنَّ لَنُذْهِبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ من روح ﴿ثُمَّ﴾ بعد ذلك ﴿لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا﴾ يردّه إليك.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٢٩١

٨٧ / ١٧

٨٧- ﴿إِلَّا رَحْمَةً﴾ مجددة ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾ كما جددها بعد ما أحبتس عنك الوحي ردحا من الزمن، و تلك الرحمة الوحي هي لزام الرسالة الأخيرة ﴿إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾ أكبر من كل فضل، فكما أن الوحي الأخير هو لزام كيانتك الرسولي، كذلك هو بخيرة "رَبِّكَ" ليس ملزما عليه "إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ".

٨٨ / ١٧

٨٨- و مما يدل على ربانية القرآن روحا ربانيا ﴿قُلْ لَّيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ﴾ عن بكرتهما مع بعض البعض ﴿عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ﴾ لفظا أو معنى ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ لو أمكن اجتماعهم على ذلك، و كما يشهد لذلك الامتناع تأريخ الإسلام، حال أن مناوئيه مجدّون في إنكار وحيه، و لكنهم فاشلون حتى في نقض كلمة منه أو إعراب أو نقطة.

٨٩ / ١٧

٨٩- ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ تكرارا بصيغ ممكنة مستأهلة دون إبقاء للناس ﴿فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ يمثل حقه الرباني البارع، رغم كل هارع إلى إبطاله و لن ﴿فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ﴾ النسناس ﴿إِلَّا كُفُورًا﴾ كفرا و كفرانا بتلك النعمة البارعة، و حتى من المسلمين كفرانا بنعمته.

٩٠ / ١٧

٩٠- ﴿وَقَالُوا﴾ تعوداً على آيات معجزات بصرية و مرغوبات مادية ﴿لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ﴾ هذه ﴿الْأَرْضِ﴾ الفاحلة الجذباء الجرداء ﴿يَنْبُوعاً﴾ كدركة أولى من السبع المقترحة، رغم حجة القرآن البالغة، و لجة هذه المقترحات الماحلة الهارعة إذ ليست لتدل كما يدل القرآن على صدق هذه الرسالة.

٩١ / ١٧

٩١- ﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ﴾ و هما لبعض الأثر ياء بالطائف ﴿فَتَفْجُرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا﴾ كما فجروها ﴿تَفْجِيراً﴾ فهل هؤلاء رسل إذ حققوا هذه البغية المادية؟!

٩٢ / ١٧

٩٢- ﴿أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ﴾ إذ هددهم بإسقاط السماء كما كان من ذى قبل ﴿عَلَيْنَا كِسْفًا﴾ قطعاً تفتيتاً، و لكن ليس فى إسقاط السماء إلا إسقاطهم، فأين - إذا - الإيمان، و قد استحالوا الإيمان إلا بتحقيق هذه المقترحات الزور الغرور ﴿أَوْ تَأْتِي بِاللَّهِ﴾ حتى نراه و نسمعه ﴿وَالْمَلَائِكَةَ قِبَالًا﴾ و الإتيان بالله محال فى محال، ثم على فرضه ليسوا هم ليؤمنوا بالله.

٩٣ / ١٧

٩٣- ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرٍ﴾ ذهباً، و هو حاصل لبعض الأثرياء، فهو - إذا - زخرف من الاقتراح ﴿أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ﴾ دون وسائل، ثم ﴿وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُوهُ﴾ حال أن نفس هذا الرقى آية خارقة، فما هى الحاجة إذا إلى أن ينزل عليهم كتابا يقرءونه، و الجواب عن الكل أولاً ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي﴾ من هذه المقترحات، و هى بين مستحيلة ذاتية، أو فى الحكمة، أو ما لا يدل على رسالته، و ثانياً ﴿هَلْ كُنْتُ﴾ منذ كنت على هذه الرسالة ﴿إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ و "ما كان لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ" (١٣: ٣٨).

٩٤ / ١٧

٩٤- ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا﴾ برسالات الله ﴿إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى﴾ لهم ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾ رغم أن حق الرسالة إلى البشر أن يكون مع بشر حتى تصح الدعوة الرسالية معشر الجن و الإنس أ لم يأتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي .. (٦: ١٣٠) فلكل قبيل قبيله من رسل الله، إتماماً للحجة، و إيضاحاً للمحجة، ثم و ذلك إكرام للبشر أن يبعث فيهم رسول من أنفسهم، بل و هم أفضل من غيرهم: "لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ".

٩٥ / ١٧

٩٥- ﴿قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يُمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ﴾ فيها ساكنين ﴿لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾ لوجوب المساخنة فى الحكمة الرسالية.

٩٦ / ١٧

٩٦- ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ﴾ فى كتابه ﴿شَهِيدًا بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ يشهد لهم بشرته بما يفيهم، دون اقتراحات كاذبة لا تعنى ف" قُلْ أَى شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ وَ أُوحِىَ إِلَى هَذَا الْقُرْآنِ لِأَنْذِرَكُمْ بِهِ وَ مَنْ بَلَغَ (٦: ١٩).

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٢٩٢

٩٧ / ١٧

٩٧- ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ﴾ هـ ﴿اللَّهُ﴾ بما اهتدى بهداه ﴿فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾ ي ﴿وَمَنْ يَضِلَّ﴾ هـ إذ لم يهتد بهداه ﴿فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ يلون أمورهم ﴿مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ﴾ جميعا ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ﴾ حيث لم يتجهوا بها إلى الله ﴿عُمِيًّا﴾ إذ عموا من ذى قبل ﴿وَبُكْمًا وَصُمًّا﴾ حيث بكمو صموا ﴿مَاوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾ هناك كما أووا فى الأولى إلى جهنم الحياة ﴿كَلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ كما كانوا يزدادون فى الأولى سعيرا، فلا يزيدهم بيان الحق إلا نفورا أو كفورا.

٩٨ / ١٧

٩٨- ﴿ذَلِكَ﴾ المزيد ﴿جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا﴾ كلها ﴿وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا﴾ رمادا بعد موتنا ﴿أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا﴾ بعد خلقنا الأول، و الثانى أهون من الأول.

٩٩ / ١٧

٩٩- ﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا﴾ بعد ما رأوا من براهين المعاد ﴿أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ فى المعاد كما خلقهم أول مرة، و "لَخَلَقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَ لَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ" (٥٧: ٤٠) فخلقهم الثانى أهون من خلقها و من الخلق الأول، و هنا "مِثْلَهُمْ" لا "هم" يعنى أن الله يخلق أمثال الأجساد أناسى لا أنه إعادة المعدوم من هيات، فهم إذا "لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا" بعد الأول "بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ" (٥٠: ١٥): جديد لا فى أرواحهم، أو أجسادهم بموادها، بل جديد فى الصورة الجسمية الإنسانية، فهى هى و هى غيرها، كما تكسر لبنه ثم يصنع من نفس مادتها اخرى، فالمعاد فى المعاد بين معاد الروح بعد صعقته إلى يقظته، و معاد الجسم إلى مثل هيئته، دون أصلها فإنه ممتنع ليس له دور فى المعاد، ثم معاد ذلك الروح إلى ذلك الجسم المعاد بصورته فى المعاد ﴿...﴾

١٠٠ / ١٧

١٠٠- ﴿قُلْ لَوْ﴾ مستجيلا ذاتيا ﴿أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي﴾ و هى رحمة روحية بعد المادية "وَقَالُوا لَوْ لَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ. أَمْ هُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ رَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ .." (٤٣: ١٢) فضلا عن الحياة العليا و منها الرسالة الربانية، "لَوْ أَنْتُمْ" ﴿إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ﴾ الإفناء ﴿وَوَكَانَ الْإِنْسَانُ﴾ منذ كان ﴿قَتُورًا﴾ ممسكا بخيلا، ييخل حتى على نفسه أن يبعث رسول من جنسه إليه.

١٠١ / ١٧

١٠١- و من رحمة ربك ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ إلى فرعون و ملئه، ثم آيات اخرى إلى بنى إسرائيل كفلق البحر و تفجير العيون و التيه بما فيه و ما أشبه إلى ستة و المجموع خمسة عشر ﴿فَسَلَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ﴾ موسى بها و بسائر الآيات ﴿فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ﴾ بآياته التسع ﴿إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا﴾ سحر يخيّل أنه آية، و ذلك الظن مقهور بحق الآية المبينة.

١٠٢ / ١٧

١٠٢- ﴿قَالَ﴾ موسى لفرعون ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ﴾ الآيات ﴿إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فإن ربانية نزولها بينة كربانية خلقها ﴿بَصَائِرَ﴾ "لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَ هُوَ شَهِيدٌ" ﴿وَأِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾: هالكا، فى بعدين من الإبصار:

حيوانيا فى بصرك، و إنسانيا فى بصيرتك.

١٠٣ / ١٧

١٠٣- و لما عجز عن مجابهته بحجة استفزازا لها ﴿فَارَادَ أَنْ يَسْتَفْزَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ ككل، أو من أرضه الفرعونية أخيرا ﴿فَأَعْرَفْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا﴾ رغم تلك الإرادة المستفزة.

١٠٤ / ١٧

١٠٤- ﴿وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ﴾ فرعون ﴿لَبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ وحيأ إلى موسى ﴿اسْكُنُوا الْأَرْضَ﴾ الفرعونية بعد ما قضى نحبه باتباعه ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ﴾ لعلها المرة الآخرة من مرتى افسادهم، مع آخرة القيامة ﴿جِئْنَا بِكُمْ﴾ جميعا ﴿لَفَيْفًا﴾ مع بعض البعض، دون ميزة قومية إذا كانت أعمالكم الإسرائيليين فرعونية.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٢٩٣

١٠٥ / ١٧

١٠٥- ﴿وَبِالْحَقِّ﴾ كله: سببا و معية و غاية ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ القرآن ﴿وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ منزله و هو قلب محمد (ص) ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ﴾ إلى المكلفين كافة ﴿إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾.

١٠٦ / ١٧

١٠٦- ﴿وَقُرْآنًا﴾ هو ما بين الدفتين ﴿فَرَقْنَاهُ﴾ نجوما عده فى عهدى مكة و المدينة، لا لحاجتك إلى فرقه، بل ﴿لِتَقْرَاهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مَكْثٍ﴾ مهلا مرتلا فى عهدى الرسالة ﴿وَنَزَلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ يناسب حكمة الدعوة الإسلامية.

١٠٧ / ١٧

١٠٧- ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا﴾ لا يفرق عندنا لمحتدنا إلهيا، و لكن اعلمو أن الإيمان به إنما هو لصالحكم ف ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ﴾ قبل أن ينزل و هم الراسخون فى العلم من اهل الكتاب، المنتظرين إياه ﴿إِذَا يَتْلَى عَلَيْهِمْ يُخْرُونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ مما يدل على وجوب السجود عند تلاوته، قضية الإيمان به، و كما تدل عليه آية مريم: ﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًا﴾ (٥٨) و لكن السجدة عند تلاوته ككل هى غاية الخضوع، و عند آياته هى هيئتها الخاصة.

١٠٨ / ١٧

١٠٨- ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبَّنَا﴾ عن الحاجة إلى ايمان و عن السجود له و عن كل نقص و حاجة ﴿إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا﴾ جزاء يوم الجزاء و كما هنا شيئا ما ﴿لَمَفْعُولًا﴾.

١٠٩ / ١٧

١٠٩- ﴿وَيُخْرُونَ لِلْأَذْقَانِ﴾ حالكونهم ﴿يَبْكُونَ وَ يَزِيدُهُمُ﴾ القرآن المتلو عليهم ﴿خُشُوعًا﴾.

١١٠ / ١٧

١١٠- ﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ فليسا هما إثنين بل واحد بحقيقة الوحدة ف ﴿أَيَا مَا تَدْعُوا﴾ الله الواحد ﴿فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَ ذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٧: ١٨٠) ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ﴾ عاليا ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ دانيا ﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ فالصلوات كلها تكون فوق الخافت و هو ما تسمع نفسك دون غيرك، كما تدل عليه آيات اخرى و تدل عليه ﴿سَبِيلًا﴾ لوحدها.

١١١ / ١٧

١١١- ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ بأى اتخاذ فإنه منه و خاز، كما ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ ملكية و مالكية، لا أصالة و لا نيابة ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلَّةِ﴾ إذ ليس له ذل ﴿وَكَبَّرَهُ تَكْبِيرًا﴾ يناسب ساحته الوحيدة بكافة شئون الربوبية.

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. الْحَمْدُ﴾ كله من كل حامد على كل حال ﴿لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ﴾ محمد (ص) كأنه هو فقط عبده إذ اجتمعت فيه كل درجات العبودية "قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ" (٤٣: ٨١) "أَنْزَلَ.." ﴿الْكِتَابَ﴾ القرآن، فإنه هو الكتاب الوحي كله، إذ يجمع كل وحي و زيادة و كأن غيره من كتابات الوحي ليس كتابا ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ لفظيا أو دلاليا و واقعا، أم عوجا عن زمان مستقبل دون الماضي "قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ" (٣٩: ٢٨) و ذلك سلب مطلق لأى عوج فيه، ثم إيجاب مطلق:

٢- ﴿قِيمًا﴾ مؤكد القيام و القوام، منزلا و منزلا و إنزالا ﴿لِيُنْذِرَ﴾ عبده بالكتاب ﴿بِأَسَا شَدِيدًا﴾ فى النشآت الثلاث و لا سيما الآخرة ﴿مِنْ لَدُنْهُ﴾ الله حيث ينزل بأسا على من يتخلف عن القرآن و نبيه ﴿وَيَبْشِرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ﴾ لإيمانهم بالله، كلها ﴿أَنْ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ خليصا دون خليط، و اما الخالطون منهم "عَمَلًا صَالِحًا وَ آخَرُ سَيِّئًا" فخالطون بين حسن و سئى من الجزاء و لا يظلمون نقيرا.

٣- ﴿مَآكِينٍ فِيهِ﴾ " أَجْرًا حَسَنًا" ﴿أَبَدًا﴾ دون انقطاع "عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُوذٍ" قضية الفضل مهما كان جزاء غير الصالحين مجذودا قضية العدل.

٤- ﴿وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾ بأى اتخاذ فإنه وخاز، إشراكا بالله ما لم ينزل به سلطانا.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٢٩٤

٥- ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾ فى ذلك الاتخاذ حتى يتبعوه ﴿وَلَا لِآبَائِهِمْ﴾ حتى يتبعوهم، فهو جهل على جهل "ظلماتٌ بعضها فوق بعضٍ" ﴿كَبُرَتْ﴾ عند الله سقوطا ماقطا ﴿كَلِمَةً﴾ خاوية ﴿تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ فإن فيه ما فيه ﴿إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ يعارض فطرهم و عقولهم فى أنفسهم، و يعارض واقع الأمر ككل واقع فى الأمر.

٦- ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ﴾ قتلا غما ﴿نَفْسِكَ﴾ انتحارا ﴿عَلَى آثَارِهِمْ﴾ الإشرافية ﴿إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ﴾ القرآن ﴿أَسَفًا﴾ على كفرهم "فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ" (٣٥: ٨) "أَلَا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ" (٣٦: ٣) فالقرآن "حديث" و منزله "حديث": "فَبِأَى حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَ آيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ" (٤٥: ٦) و منزله حديث: "أَوْ لَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جَنَّةٍ .. فَبِأَى حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ" (٧: ١٨٥).

٧- ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ﴾ كلاً دونما استثناء ﴿زِينَةً لَهَا﴾ فهى حلّ كما أحل الله: "قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَ الطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ" (٧: ٣٢) و لكن ﴿لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ على هذه الأرض: "هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَ كَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِنَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا" (١١: ٧).

٨- ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا زِينَةً لَهَا﴾ ﴿صَعِيدًا﴾ مرتفعا صاعدا حيث تصبح الأرض بما عليها يوم قيامتها كتلة واحدة ﴿جُرُزًا﴾ لا نبات عليها فيذرّها قاعاً صَفْصَفًا. لا ترى فيها عِوَجًا وَ لَا أَمْتًا (٢٠: ١٠٧).

٩ / ١٨

٩- أحسبت عجبا من آياتنا ﴿أَمْ حَسِبْتَ﴾ أنت يا محمد حسابان العجائب الصواب، أو غيرك حسابا بصواب و غير صواب ﴿أَنْ أَصْحَابَ الْكَهْفِ﴾ و هو المعروف بدمشق أو عمان و قد صحبوه زمنا فهم أصحابه ﴿وَالرَّقِيمِ﴾ لعله المرقوم على باب الكهف من حالهم بمقالهم أو و قالهم ﴿كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا﴾ الخارقة للعادة ﴿عَجَبًا﴾ أعجب و يعجب المطلعين عليهم.

١٠ / ١٨

١٠- ﴿إِذْ أَوَى﴾ لجأ من بأس الضغط الكافر ﴿الْفِتْيَةُ﴾ و هم أصحاب الكهف، و الفتوة هي الرجولة الإيمانية هنا تركا لمبتغيات الحياة الدنيا لمرضات الله و قد تركوها لله ﴿إِلَى الْكَهْفِ﴾ المعروف ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ﴾ خاصا لدنيا ﴿رَحْمَةً﴾ إيمانية أكثر مما لنا، تبعد عنا زحمة في هذه السبيل ﴿وَهَيَّأْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا﴾ الأمر الذي نحن عليه ﴿رَشَدًا﴾ نسترشد بها إلى حاق مرضاتك، دون أية غواية أو نكاية.

١١ / ١٨

١١- بالنتيجة إجابة لدعائهم ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ فهم نَوْمٌ في هذه المدة العجيبة، و لكن عيونهم مفتوحة رغم عدم إبصارهم، و الضرب على الآذان ضرب بالنتيجة على الأعين، دون ضرب على القلوب فإنه الموت، و لكنه نوم لكلا العين و الاذن و القلب واع في دنياه هنا و في برزخه عند موته، و تغشية النعاس النوم لا تعنى فيما تعنيه إماتة القلب كلا بل إزالة دركه عن الأولى.

١٢ / ١٨

١٢- ﴿ثُمَّ﴾ بعد عدد السنين ﴿بَعَثْنَاهُمْ﴾ عن نومهم الطويل ﴿لَنَعْلَمَ﴾ من العلم العلامة دون العلم المعرفة ﴿أَيَّ الْحِزْبَيْنِ﴾ فيهم أنفسهم ﴿أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا﴾ فى الكهف ﴿أَمَدًا﴾ وقتا مقررًا.

١٣ / ١٨

١٣- ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ﴾ خبرهم الهام ﴿بِالْحَقِّ﴾ كله دون الباطل المعروف بين أهل الكتاب ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ﴾ حق الإيمان فى خضم الكفر المسيطر عليهم ﴿وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ فى إيمانهم و الَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَ آتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ (٤٧: ١٧).

١٤ / ١٨

١٤- ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ المؤمنة برباط ربانى تأييدا ﴿إِذْ قَامُوا﴾ قومة الإيمان فى جو الايمان ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا﴾ هو ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ﴾ دون أرباب متفرقين من خلقه ﴿لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا﴾ لو دعونا من دونه ﴿شَطَطًا﴾ من القول متفرقا عن الحق.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٢٩٥

١٥ / ١٨

١٥- ﴿هَؤُلَاءِ﴾ البعاد الأنكاد ﴿قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً﴾ ف ﴿لَوْ لَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ﴾ عبدة و معبودين ﴿بِسُلْطَانٍ﴾ برهان ﴿يَنْبِئُ﴾ مهما يعتذرون بتقاليد الآباء ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ أنه جعلهم آلهة نيابة عنه أو وساطة بينه و بينهم.

١٦ / ١٨

١٦- ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ﴾ هؤلاء المشركين ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوُوا إِلَى الْكَهْفِ﴾ كهفا عما يعبدون ﴿يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ زائدا على ما نشر ﴿وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ﴾ الأمر ﴿مِرْفَقًا﴾ ترفقون به فيما أنتم عليه من الإيمان الصارح الصارح.

١٧ / ١٨

١٧- ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ﴾ لو تراها حينئذ ﴿إِذَا طَلَعَتْ﴾ فى أفقهم ﴿تَزَاوَرُ﴾ من الزور: الصدر، لا الزيارة ﴿عَنْ كَهْفِهِمْ﴾ ذات اليمين ميلا عنه دلوكا فى حراكها ﴿وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبُ مِنْهُمْ﴾ قطعا و غربا عنهم ﴿ذَاتَ الشَّمَالِ﴾ فله منفذ شرقى و آخر غربى تزاور عنهم طلوعا و تقرضهم غربا ﴿وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ﴾ فسحة ﴿مِنْهُمْ﴾ كهفهم ﴿ذَلِكَ﴾ العظيم هو ﴿مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ من يهدى ه ﴿اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ﴾ ي ﴿وَمَنْ يَضِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًا مُرِيدًا﴾ يرشده إلى مرضاته.

١٨ / ١٨

١٨- ﴿وَتَحْسِبُهُمْ﴾ أيقاظا ﴿أَيْقَازًا﴾ حيث عيونهم مفتوحة ﴿وَالْحَالُ أَنَّ﴾ هم رُقُودٌ ﴿نَوْمٌ﴾ يشبهون الأيقاظ ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَ ذَاتَ الشَّمَالِ﴾ تقلبنا لهم يمينا و شمالا حتى يستريحوا من البدد و الفند ﴿وَالْحَالُ أَنَّ﴾ كَلْبُهُمْ بِأَسِطِ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ ﴿بَابِ الْكَهْفِ﴾ رصدا لهم ﴿لَوْ أَطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ﴾ و لن، إذ قضاو نحبههم بعد أمدهم و قبروا ﴿لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا﴾ لأنهم نَوْمٌ دون حراك، و أيقاظ حيث عيونهم مفتوحة غير مضروب عليها رغم أذانهم ﴿وَلَمَلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ و خوفا عجبا من أمرهم، فإنهم لا أيقاظ و لا أموات و لا نَوْمٌ كعادة، حالة منقطعة النظير.

١٩ / ١٨

١٩- ﴿وَكَذَلِكَ﴾ العظيم بعيد المدى قريب الهدى من آيات خارقة للعادات ﴿بَعَثْنَاهُمْ﴾ عن نومهم كالموت ﴿لِيَسْأَلُوا بَيْنَهُمْ﴾ عن لبثهم، ف ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ﴾ للباقيين الستة ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ﴾ هنا ﴿قَالُوا﴾ بعضهم ﴿لَبِثْنَا يَوْمًا﴾ و آخر ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ و ثالث و عل السائل منهم ﴿قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ إذ أدركوا طول زمان لمكثهم ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ﴾ الرائجة فى بلدكم ﴿إِلَى الْمَدِينَةِ﴾ التى كنتم فيها ﴿فَلْيَنْظُرْ أَبْيَاهُ﴾ أى المدينة بأكنافها ﴿أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ﴾ به ترزقون ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ تخفيا عن أهل المدينة حتى لا يعرفوه ﴿وَلَا يَشْعُرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ منهم، و هذه الآية من آيات صحة الوكالة بشروطها.

٢٠ / ١٨

٢٠- ف ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾ علما و قدرة غالبية ﴿يَرْجُمُوكُمْ﴾ كأشد العذاب عندهم ﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ﴾ الإشراكية ﴿وَلَنْ تَقْلِحُوا وَإِذَا أَبَدًا﴾ حيث يعيشونكم تحت الضغوط المشتركة مهما بقيتم فى أنفسكم مؤمنين، أو يرجمونكم، و ثالث الأمرين أن تظلوا هنا موحدين أحرارا فى الأعمال التوحيدية إن يظهروا عليكم.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٢٩٦

٢١ / ١٨

٢١- إنهم اختفوا عن سلطة الاشراك بأنفسهم و لكن ﴿كَذَلِكَ﴾ الذى عملوا تخفيا ﴿أَعْرَضْنَا عَنْهُمْ﴾ إطلاعا بصدفة غير قاصدة ليعلموا هم عين اليقين بعد علم اليقين، و يعلموا المطلعون عليهم علما بما يرون، و يعلم آخرون بما يخبرون بخبرهم ﴿أَنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾ فى نصر المؤمنين: " إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَ الَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ " (٤٠: ٥١) و فى إحياء الموتى ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ﴾ الحساب و الجزاء ﴿لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ إذ يتنازعون بينهم أمرهم ﴿هَؤُلَاءِ الْمَطْلُوعُونَ﴾ كم لبثوا نوما كأموات ثم بعثوا أم ما ذا ﴿فَقَالُوا﴾ بعد موتهم على عيونهم ﴿إِبْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا﴾ محافظة عليهم ﴿رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾ إذ لم يغلبوا على أمرهم ﴿قَالَ

الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ ﴿۲۲﴾ مِنَ الْمَكْلُفِينَ ﴿لَتَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾ لَا فَقَطْ بَنِيَانَا، إِذْ هُمْ يَسْتَحِقُّونَ بِنَاءَ مَسْجِدٍ وَ مَعْبَدٍ فِي مَكَانِهِمْ لِمَكَانَتِهِمْ.

٢٢ / ١٨

٢٢- ﴿سَيَقُولُونَ﴾ غير المعثرين عليهم، حيث المعثرون رأوهم أمواتا بل و أحياء "سَيَقُولُونَ" هم ﴿ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كُذِّبُوا﴾ و هو تعبير سيئ خلطا لكلبهم بهم بردف دون عطف، إضافة إلى رجمهم بغيب عددهم ﴿وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كُذِّبُوا﴾ كذلك ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾ حيث يشملهما مما يكذبهم فيهما ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَ ثَامِنُهُمْ كُذِّبُوا﴾ قولا صالحا لأنه بعد الرجم بالغيب و أن كلبهم عطف بواو دون ردف بهم ﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ﴾ منهم ﴿مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ نحن منهم تنبأ من رجم الأولين و سلامة الآخرين ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ﴾ تعيينا لعددهم ﴿إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا﴾ تسألهم لظاهر من المراء، حيث تعلم عددهم باطنا من ذلك التعبير العبير ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ حيث الاستفتاء ممن يجهل جهل على جهل، حتى الذين يعلن عددهم صدفة غير قاصدة، ثم و قد أفتاك ربك هنا بأنهم سبعة، مهما لا يعرف إلا قليل، و أنت بقمتمهم، و قد عثر على عدة من الكهوف على جدرانها تماثيل رجال ثلاثة أو خمسة أو سبعة و معهم كلبهم، و السبعة هي الصادقة، مما تلمح بانه كهفهم.

٢٣ / ١٨

٢٣- ﴿وَلَا تَقُولَنَّ﴾ أنت المكلف أي كنت، و حتى أنت النبي على مكانتك العليا ﴿لَشَيْءٍ﴾ تسأل عنه ﴿إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا﴾ سوالات عن ربي فيجب، فضلا عن أن تقول من عندك فكلا، حيث القول الرسولي ليس إلا بوحى الله، استيحاء و سواه.

٢٤ / ١٨

٢٤- ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ قرنا لوعدك بمشيئة الله ف "إن شاء الله" أدب رباني، و لن يضر بتنجير عقد إذ لا ينافي تنجز عقدك من عندك ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ﴾ إن شاء الله حالا و حالا و أفعالا، فإن "إن شاء الله" توحيد في تحقق ما تريد "وَأَذْكُرْ" ﴿إِذَا نَسِيتَ﴾ إياه في إن شاء الله، فليس هو الرسول (ص) إلا من باب، إياك أعنى و اسمعى يا جارة ﴿وَقُلْ عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا﴾ الذى وعدت من غد ﴿رَشَدًا﴾.

٢٥ / ١٨

٢٥- ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ﴾ ثم بعثوا و من ثم ﴿وَأَزْدَادُوا﴾ طلبا للزيادة عليها ﴿تِسْعًا﴾ مما يدل على نومتين لهم إثنين و من ثم النوم المطلق: الموت، فلعلهم لما عثر عليهم ازدادوا تسعا، حتى يخفى خبرهم.

٢٦ / ١٨

٢٦- و مهما اختلف فى قدر لبثهم نوما ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ﴾ و منه مدة لبثهم ﴿أَبْصِرْ بِهِ وَ أَسْمِعْ﴾ به عجابا لسمعه السميع و بصره البصير ﴿مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ يلى أمرهم و لا يشرك فى حكمه الربوبى تكويننا أو تشريعا ﴿أَحَدًا﴾ فله الولاية كلها تكوينية و تشريعية دون أن يشرك أحدا، إلا فى وحي الرسالة و هو رسالة دون شركة.

٢٧ / ١٨

٢٧- ﴿وَلَا تَقُولَنَّ﴾ من المفروض عليك كأصل الرسالة الأخيرة ﴿أَتْلُو﴾ اتبعا منك كنقطة أولى فى المسئولية الرسولية كما "وَأَلْقَمَ إِذَا تَلَاهَا" إذ يعنى إتباعه إياها، "وَأَتْلُو" عليهم قراءة تعليما و تركية ﴿مَا أُوحِيَ﴾ و يوحى ﴿إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ﴾ القرآن، و من أوصافه أنه ﴿لَا مُبْدِلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ نسخا أو إبطالا حتى من ربك لأنه الشرعة الأخيرة، اللهم إلا ما نسخه الله قليلا بدليل من نص القرآن ﴿وَلَنْ تَجِدَ﴾ أنت يا محمد ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ ربك و كتاب ربك ﴿مُلْتَحَدًا﴾ مما يدل على سلب أى ملتحذ و ملجأ للرسول (ص) فكيف ينسخه و هو إلحاد بكتاب ربه، فكما لا شريك لله كذلك لا شريك لكتابه.

٢٨- ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ النفيسة رسوليا و رساليا ﴿مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾ ليل نهار لا يفترون ﴿يُرِيدُونَ﴾ بدعائهم ﴿وَجْهَهُ﴾ لا وجهها آخر حتى أنفسهم، إلا مرضات ربهم ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ﴾ المبصرتان بصرا و بصيرة و نظرة ﴿عَنْهُمْ﴾ إلى غيرهم حيث يعدونك و عودهم الكاذبة المنافة ﴿تُرِيدُ﴾ و عودا بالله من الاتجاه إليهم ﴿زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِغْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا﴾ بما تغافلوا: "أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَ سَمِعِهِمْ وَ أَبْصَارِهِمْ وَ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ" (١٦: ١٠٨) "إِذْ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ هُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ" (٣٠: ٧) ﴿وَ اتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ دون هداة ﴿وَ كَانَ أَمْرُهُ﴾ الإمر في غفلة قلبه و اتباع هواه ﴿فُرْطًا﴾ خارجا عن العادة المتخلفة، أجل "وَ أَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ" (١٥: ٨٨) دون سواهم، اللهم إلا دعوة إلى الله "وَ لَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ" (٦: ٥٢).

٢٩- ﴿وَ قُلْ﴾ للكل و منهم نفسك رسولا ﴿الْحَقُّ﴾ كله دون استثناء ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ حيث يريكم تكوينا و تشريعا، لا سوى ربكم حتى رسوله ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ﴾ بالحق ﴿وَ مَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ مخيرا لا مسيرا ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ﴾ الكافرين بالحق ﴿نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ من ذى قبل بدار التكليف، فهى هية تحيط بهم يوم القيامة ﴿وَ إِنْ يَسْتَفِثُوا﴾ هناك ﴿يَغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمِهلِ﴾ و هو دردى الزيت المغلى ﴿يَشْوَى الْوُجُوهَ﴾ مواجهة أولى فضلا عن شربه ﴿بِئْسَ الشَّرَابُ﴾ حيث يزيدهم عطشا و حرقة ﴿وَ سَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ يرتفقون به عن عطش.

٣٠- ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالله ﴿وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ لإيمانهم بالله ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾.

٣١- ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾ ماء و عسلا و لبنا ﴿يَحْلَوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ﴾ جمع "سوار": حلية المعصم أم "دستواره" الفارسية ﴿مِنْ ذَهَبٍ﴾ مهما كانت فى الدنيا محرمة عليهم زينة إذ ليست من المحرمات الذاتية ﴿وَ يَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا﴾ و هو أفضل الألوان كالأشجار ﴿مِنْ سُنْدُسٍ﴾ صنع من ديباج ﴿وَ إِسْتَبْرَقٍ﴾ ما غلظ منه و قد حلت هناك بعد ما حرمت هنا ﴿مُتَكِنِينَ فِيهَا﴾ الجنات ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ سرائر فى الحجال ﴿نِعْمَ الثَّوَابُ وَ حَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ يرتفقون به بعد معيشة دنيوية صعبة ملتوية.

٣٢- ﴿وَ اضْرِبْ لَهُمْ﴾ لقبلى الإيمان و الكفر ﴿مَثَلًا﴾ يمثل حالهم ﴿رَجُلَيْنِ﴾ أن ﴿جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ﴾ فتنة مالية ﴿مِنْ أَعْنَابٍ﴾ هى خير الفواكه رطبا و يابسا ﴿وَ حَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ﴾ حيث جعلناها بينهما، حفاظا على الأعناب و تجميلا للجنتين ﴿وَ جَعَلْنَا بَيْنَهُمَا﴾ أعناب و نخل ﴿زُرْعًا﴾ مما يزيد جمالا.

٣٣- ﴿كُلَّتَا الْجَنَّتَيْنِ﴾ آتت أكلها ﴿كَمَا يَحِقُّ وَ يَرِغْبُ﴾ ﴿وَ لَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ﴾ أكلها نقصا ﴿شَيْئًا﴾ فالظلم فى أصله يعنى النقص، و هو أعم من المقصر و القاصر كما هنا، إذ لا إختيار للجنة فى إتيان أكلها ﴿وَ فَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا﴾ الجنتين بينها و بين كل فى ساحتها ﴿نَهْرًا﴾.

٣٤- ﴿وَكَانَ لَهُ﴾ لصاحب الجنتين، منهما و من غيرهما و من النهر ﴿ثَمَرٌ﴾ عال دون نقصان ﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِ﴾ مما يدل على أن المصاحبة لا تدل على وحدة الإيمان كما فى "إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ" ﴿وَهُوَ يَحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَ أَعَزُّ نَفَرًا﴾.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٢٩٨

٣٥ / ١٨

٣٥- ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ إشراكا بالله و طغيانا أن رآه استغنى على إيمانه بالله، و الظلم بالغير راجع إلى النفس على أية حال، مهما قصر المظلوم فى الدفاع عن نفسه، فضلا عن قصوره فأحرى ﴿قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ﴾ الجنة ﴿أَبَدًا﴾ ما دمت حيا أم و زيادة، إذ نسى نفسه و جنته.

٣٦ / ١٨

٣٦- ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً﴾ رغم وجود الله ربى ﴿وَلَيْنُ رُدِّدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ انقلبا منها إلى أفضل منها، و كأنه أعطى ما أعطى استحقاقا رغم كفره.

٣٧ / ١٨

٣٧- ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾ هكذا ظالما لنفسه و هو مؤمن عادل ﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ﴾ كبداية منها محاصيل النطفة ﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ واحدة من ملايين الكروموزومات و الأولات ﴿ثُمَّ﴾ بعد انتقالات إلى حالات ﴿سَوَاكُ رَجُلًا﴾ تسوية عادلة.

٣٨ / ١٨

٣٨- ﴿لَكِنَّا﴾ "نا" جمعا، تعنى قبيل الإيمان، أو "أنا" تعنى نفسه ﴿هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾ و أين "أنا" من "أنا" و "ربى" من "ربى" فربك هو المال، و ربى هو رازق المال ﴿وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ و قد أشركت أنت به رغم قولك "ربى" إذ لم تعدوا لفظك إلى معناها، لقلقة لاغية باغية، فلم تكن لها من باقية إلا باغية.

٣٩ / ١٨

٣٩- ﴿وَلَوْ لَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ اعترافا بأنها من مشية الله ﴿لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ دون ما سواه، و "لا حول" مستفادة من "لا قُوَّةَ"، و فد تدل على أن لله قوة مع كافة القوات المختارة ف (لا جبر و لا تفويض بل أمر بين الأمرين) "وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ" (٥٧: ٤) ﴿إِنْ تَرَىٰ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَ وَلَدًا﴾.

٤٠ / ١٨

٤٠- ﴿فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ﴾ هنا عله دون تحتّم، و فى الأخرى متحتما إن متّ مؤمنا و متّ أنت كافرا ﴿وَوَلَّىٰ بِالْفَعْلِ هُنَا﴾ عسى "أن" ﴿يُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا﴾ عذابا محسوبا عليك هنا ﴿مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحُ﴾ جنتك ﴿صَعِيدًا﴾ تَلَا خاليا ﴿زَلَقًا﴾ أملس لا كلاء فيها و لا ماء.

٤١ / ١٨

٤١- ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَأْوَاهَا﴾ النهر ﴿غَوْرًا﴾ يغور فى الأرض أو إلى السماء ﴿فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا﴾ لأنه غائر ربانى عذابا، دون سائر الغور الممكن طلبه بمحاولات، أو هو نازل من عند الله دون محاولة.

٤٢ / ١٨

٤٢- ﴿وَ أَحِيطَ بِثَمَرِهِ﴾ بحسبان السماء ﴿فَأَصْبَحَ﴾ بتلك الحيلة ﴿يَقْلَبُ كَفَيْهِ﴾ ظهر بطن ﴿عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا﴾ من مال و أعمال ﴿وَ﴾ الحال ﴿هِيَ﴾ الجنة ﴿خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ إذ أصبحت خاوية ظهر بطن "صَعِيداً زَلَقاً" كما أُنذره صاحبه ﴿وَ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ و قد عرف أن ذلك الدمار هو من خلفيات إشراكه و "إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَإِتْغَىٰ" رَأهَ اسْتَغْنَىٰ.

٤٣ / ١٨

٤٣- ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةً يَنْصُرُونَهُ﴾ عن بأس الله ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ﴾ لو نصرته فئة ﴿مَا كَانَ مُنْتَصِرًا﴾ إذ لا مانع من بأس الله إذا جاء: "وَ إِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بُضْرًا فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَ إِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" (١٧: ٦) "يَصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ" (١٠: ١٠٧).

٤٤ / ١٨

٤٤- ﴿هُنَالِكَ﴾ فى إصابة من الله فى الأولى أو الأخرى ﴿الْوَلَايَةُ﴾ نصرة و حيلة ﴿لِلَّهِ الْحَقُّ﴾ فإن الله ليس إلا الحق كله و الحق كله هو الله، دون أن يكون هنالك حق يوافقه الله ﴿هُوَ خَيْرٌ﴾ ممن سواه ﴿ثَوَابًا﴾ مطلقا ﴿وَ خَيْرٌ عِقَابًا﴾ فى الأولى و بالأحرى الأخرى.

٤٥ / ١٨

٤٥- ﴿وَ اضْرِبْ لَهُمْ﴾ أولاء الأغفال ﴿مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ هو ﴿كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ حيث أنزل أصل الحياة و الروح الإنسانى من سماء الرحمة ﴿فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ﴾ أرض البدن بكافة الشهوات و الحيوانات ﴿فَأَصْبَحَ﴾ بعد رشح من الزمن ﴿هَشِيمًا﴾ كسيرا رخوا بعد شدة ﴿تَذَرُوهُ﴾ تفريقا ﴿الرِّيَاحُ وَ كَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٢٩٩

٤٦ / ١٨

٤٦- ﴿الْمَالُ﴾ على أية حال ﴿وَ الْبُنُونَ﴾ أيا كانا هما ﴿زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ كأصل أصيل فيها ﴿وَ﴾ النيات و العقائد و الأعمال ﴿الْبَاقِيَاتُ﴾ منهما ﴿الصَّالِحَاتُ﴾ للإيمان بالله و للحياة الإنسانية فى الأولى و الأخرى هى ﴿خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ من الفانيات- بل لا خير فيها- ﴿ثَوَابًا﴾ حاضرا ﴿وَ خَيْرٌ أَمَلًا﴾ مستقبلا، أملا بإيمان و عمل.

٤٧ / ١٨

٤٧- ﴿وَ﴾ اذكر و ليذكروا للثواب الخير و أمله الأخرى ﴿يَوْمَ نُسِيرُ الْجِبَالَ﴾ "وَ سِيرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا" (٢٠: ٧٨) ﴿وَ تَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ ظاهرة تلة واحدة ليس عليها أثر حياة أبدا، تراها أنت يا محمد هنا بعين البصيرة، ثم عند بروزها بعين البصر إذ لا تموت بعد موتك أبدا، و ذلك فى قيامة الإماتة ﴿وَ﴾ ثم فى قيامة الإحياء ﴿حَشَرْنَاهُمْ﴾ جمعا جميعا ﴿فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ يفلت أو ينسى عن الحشر الحاضر دون إبقاء لأى مكلف أيا كان.

٤٨ / ١٨

٤٨- ﴿وَ عَرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ﴾ عرضا ربانيا سئولا عنهم، إذ كانوا معروضين عليه من ذى قبل علما و قدرة رُضُوا ﴿صَفًّا﴾ منظما دون إبقاء "يَوْمَئِذٍ تَعْرِضُونَ لَا تُخْفَىٰ مِنْكُمْ خَافِيَةٌ" (١٨: ٦٩) و يقال لهم فى ذلك العرض العريض ﴿لَقَدْ جِئْتُمُونَا﴾ دون ما حصلتم عليه فى الحياة الدنيا ﴿خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ "كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ" (١٠٤: ٣١) ﴿بَلْ زَعَمْتُمْ﴾ كذبا و زورا ﴿إِلَّا نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾ استحالة للمفروض على رب العالمين بما فرضه هو.

٤٩ / ١٨

٤٩- ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ الذى نسخ فى الأولى: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٢٩: ٤٥) و يوضع هو نفسه يوم العرض، و قد تعنى "الكتاب" هنا كتابى الأعمال و الشرعة، شاملا على كل شرعة ربانية، و ثانى الكتابين هو ميزان الأول، و إذا ﴿فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ﴾ الذين أجرموا و قطعوا ثمرة الحياة قبل إيناعها ﴿مُشْفِقِينَ﴾ خائفين ﴿مِمَّا فِيهِ﴾ أحوالا و أقوالا و أعمالا حيث الكتاب الأول تلفزة صورية صوتية ﴿وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ﴾ الذى استنسخه رب الأرباب ﴿لَا يَغَادِرُ﴾ تركا حالة و قوله و فعالة ﴿صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَجَدُوا﴾ نفس ﴿مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾ يوم العرض، مما يدل على بقاء الأعمال كما كانت فى مسجلة ربانية ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ أن ينقص من عمله شيئا.

٥٠ / ١٨

٥٠- ﴿و﴾ اذكر و ليذكروا ﴿إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ﴾ و فيهم إبليس ﴿اسْجُدُوا﴾ سجدة شكر ﴿لَادَمَ﴾ نعمة سابعة لهم معلما ﴿فَسَجَدُوا﴾ " الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ " ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾ جنسا إذ خلق من نار، و من خفاء إذ كان يخفى كفره فخطب فى قبيل الملائكة ﴿فَفَسَقَ﴾ تخلفا ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ خروجا عن نفاقه إلى ظاهر الكفر حيث استكبر على الله ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَ ذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِى﴾ فله ذرية كما للإنس، و لا ذرية للملائكة ﴿و﴾ الحال أن ﴿هُمْ﴾ ككل ﴿لَكُمْ عَدُوٌّ بَشَرٌ لِلظَّالِمِينَ﴾ تابعا و متبوعا ﴿بَدَلًا﴾ عن ظلمهم.

٥١ / ١٨

٥١- ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ إذ لم يكونوا عنده، و لو كانوا ما كنت أشهدهم ﴿وَلَا خَلَقَ أَنْفُسِهِمْ﴾ بأحرى، إذ لم يكونوا عنده ثم ما أشهدتهم بعد خلقهم تعريفا به ﴿وَمَا كُنْتُ﴾ منذ خلقهم ﴿مَتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ إشراكهم بنفسى يعاضدوننى فى ربوبيتى، كما و لا أتخذ غيرهم عضدا مهما كانوا مؤمنين " و لا يشرك فى حكمه أحداً".

٥٢ / ١٨

٥٢- ﴿وَيَوْمَ﴾ القيامة أصالة و يوم البرزخ تقدمة ﴿يَقُولُ﴾ لهم الله ﴿نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ " أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ " ﴿فَدَعَوْهُمْ﴾ شركاء فى ربوبية حتى ينجوهم كما كانوا يقولون و يغولون: " ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى " (٣٩: ٣٠) ﴿فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ إذ لم يكونوا شركاء فلا ينفعونهم ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا﴾ مهلكا يهلك تلكم الرباطات الكاذبة " فزِيلْنَا بَيْنَهُمْ وَ قَالَ شُرَكَائُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيانَا تَعْبُدُونَ " (١٠: ٤٨).

٥٣ / ١٨

٥٣- ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ﴾ التى وعدھا الله لهم ﴿فَطَنُوا أَنَّهُمْ مُوَاعِقُوهَا﴾ فورا من كثرة قربها إليهم، مهما علموا أنهم يردونها، أو ظنوا دون علم إذ لهم رجاء أن يعفوا عنها ﴿وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾.

٥٤ / ١٨

٥٤- ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ بمختلف صيغ الحق و صوره فى كافة الحجاجات الحققة ﴿فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ﴾ و من معهم من المكلفين ﴿مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ بالإمكان أن يمثل به الحق فيتمثل ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ يجادل لتكذيب الحق و إبطاله، فقابله جدال الحق مكافحا.

٥٥ / ١٨

٥٥- ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا﴾ مانعا بين فطرهم و عقولهم و سائر حجج الحق ﴿إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَ يَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ﴾ مما عصوا ﴿إِلَّا﴾ جدلا باطلا و عذرا ماحلا، فالأ ﴿أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ السيئة ك " أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا " (١٧: ٩٤) أو

اللَّهُمَّ إِنَّ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ اثْنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ" (٨: ٣٢) "فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ" (٤٣: ٣٥) ﴿أَوْ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ قَبْلًا﴾ في الأولى قبل الأخرى استئصالاً، أو في الأخرى عذاباً منذ موتهم.

٥٦ / ١٨

٥٦- ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَنَذِيرِينَ﴾ لا آتين من الله بعذاب الاستئصال حيث يستأصل أوان الإيمان ﴿وَيَجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ﴾ كعدم إتيان العذاب، فلو كان حقاً لأتاهم، رغم أن حق الدعوة هو التبشير والإنذار ﴿لِيُحْضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾ زلقاً إياه ﴿وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أَنْذَرُوا﴾ به ﴿هَزُوا﴾ بدل أن يهتدوا بها، بأن ينظروا إليها فيعتبروا.

٥٧ / ١٨

٥٧- ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ﴾ كما يحق ﴿فَاعْرَضَ عَنْهَا﴾ تجاهلاً و تكديباً ﴿وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ نسياناً عامداً للمبدأ والمعاد، كأن لا جزء في الأخرى ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ فلا يعوه " فلماً زاعوا أزاعاً الله قلوبهم" ﴿وَجَعَلْنَا فِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ فلا يسمعه ﴿وَأِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى﴾ بعد ذلك الكن والوقر ﴿فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ ما هم أحياء امتناعاً بالاختيار.

٥٨ / ١٨

٥٨- ﴿وَرَبُّكَ﴾ يا محمد حيث ربك بقمة التربية هو الغفور المعروف بغفره لكل مغفور لا سواه ﴿ذُو الرَّحْمَةِ﴾ - ككل - الواسعة، فلا يؤاخذهم هنا ﴿لَوْ يُوَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجِلَ لَهُمُ الْعَذَابُ﴾ الذي يستحقونه ﴿بَلْ﴾ حين لا يعذبهم هنا ﴿لَهُمْ مَوْعِدٌ﴾ في الأخرى، ف ﴿لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْثِقًا﴾ مخلصاً إذ لات حين مناص، و قد فات يوم خلاص.

٥٩ / ١٨

٥٩- ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى﴾ الظالمة ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾ هنا ﴿لَمَّا ظَلَمُوا﴾ ما لا تطيقه الحياة الدنيا ﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ﴾ هنا و في الأخرى ﴿مَوْعِدًا﴾ على السنة رسلهم، و قد تحقق في الأولى و سوف يأتي في الأخرى بما هو أولى.

٦٠ / ١٨

٦٠- ﴿وَ﴾ اذكروا ليذكروا ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ﴾ لعله يوشع بن نون كما يروى، فهو كان كمساعد في رسالته ﴿لَا أَبْرَحُ﴾ سكونا في مكان ﴿حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾ الخاص، المجهول لدينا، المعروف بميزات ﴿أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾ سنة أو تزيد حتى أعيى فأباد، حيث الملتقى مع خضر كان هاماً.

٦١ / ١٨

٦١- ﴿فَلَمَّا بَلَغَا﴾ هما ﴿مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا﴾: مجمع البحرين و منهما بحر الرسالة و الولاية لهما ﴿نَسِيًا حُوتَهُمَا﴾ الغذاء لهما ﴿فَاتَّخَذَ﴾ حوتهما الغذاء ﴿سَبِيلَهُ﴾ إلى حياته ﴿فِي الْبَحْرِ سَرَبًا﴾ انحداراً إليه، بمكان سافل لحياة عالية، مما يخلق عجباً، كيف يحيى حوت مطبوخ مالح عند ذلك البحر الملتقى، لحياة معرفية لموسى من خضر عليهما السلام.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٣٠١

٦٢ / ١٨

٦٢- ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا﴾ المجمع الملتقى ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿لِفَتَاهُ أَتَنَا غَدَاءَنَا﴾ الحوت و هو بطبيعة الحال مطبوخ جاهز للتغذى ﴿لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ و تعباً.

٦٣ / ١٨

٦٣- ﴿قَالَ﴾ فتاه ﴿أَ رَأَيْتَ إِذْ أَوْيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ﴾ راحة مؤقتة عن نصب السفر ﴿فَإِنِّي﴾ هناك ﴿نَسِيتُ الْحُوتَ﴾ الغذاء ﴿وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ حيث القصد الملتقى كان أهم من حوت الغذاء ﴿وَأَتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ من ذلك الاتخاذ، و لكن تناسيت ذلك العجب لأهمية المجمع الملتقى.

٦٤ / ١٨

٦٤- ﴿قَالَ ذَلِكَ﴾ العظيم العجيب حيث يحيى فيه الحوت الميت ﴿مَا كُنَّا﴾ طوال سفرنا ﴿نَبْعُ﴾ إياه تطلباً ﴿فَارْتَدَّا﴾ رجوعاً ﴿عَلَى آثَارِهِمَا﴾ الأقدام المؤثرة فى التراب ﴿قَصَصًا﴾ تتبعا لتلكم الآثار العجب إلى حيث هو الملتقى، إذا ففيه حياة علم من بحر الولاية.

٦٥ / ١٨

٦٥- ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا﴾ و قد ﴿آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا﴾ وحيا خاصا ﴿وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ خاصا، لم يكن عند موسى، و هو خضر (ع) أوتى من علم الباطن ما لم يؤته موسى أيا كان بمكانه الرسالى.

٦٦ / ١٨

٦٦- ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى﴾ و قد عرفه بما عرفه الله إياه بمكانته كما عرفه مكانه ﴿هَلْ أَتَيْتُكَ﴾ فى مشيك و ممشاك ﴿عَلَى أَن تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ﴾ من علم لدنى ربانى ﴿رُشْدًا﴾ فى تعليمي إياه كما فى تعلمك.

٦٧ / ١٨

٦٧- ﴿قَالَ﴾ له الخضر ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ﴾ مستحيلا ﴿مَعِيَ صَبْرًا﴾ استحالة باختيار.

٦٨ / ١٨

٦٨- ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ﴾ يا موسى ﴿عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾ إذ لا يجوز التصبر على خلاف التكليف ما لم يظهر أنه يوافقه من وجه آخر.

٦٩ / ١٨

٦٩- ﴿قَالَ﴾ موسى لخضر ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا﴾ على ما لم أخط به خبرا مهما خالف ظاهرا أعلمه، إن شاء الله تكويننا و تشريعا ﴿وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ مهما كان إمرا فى سبيل تعلمي إذا لم يكن فيه عصيان لله.

٧٠ / ١٨

٧٠- ﴿قَالَ فَإِنْ أَتَيْتَنِي﴾ على صعوبتها ﴿فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ﴾ تراه خلاف الحق ﴿حَتَّى أَحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ فلا تستعجل فى سؤالك، و لكنه أمر إمرا عجاب.

٧١ / ١٨

٧١- ﴿فَانْطَلَقَا﴾ بهذه الرحلة المدرسية ﴿حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ﴾ المعلومة المقصودة لدى خضر و لعلها لدى موسى أيضا، و فور ركوبها ﴿خَرَقَهَا قَالَ﴾ موسى من فوره ﴿أَخَرَقْتُهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ بخرقها، قصدته أم لا، و لكن الغرق نتيجة عادية لذلك الخرق ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ داهية عظيمة، و لما ذا لم يصبر موسى لأولى وهلة من هذه الرحلة المدرسية ناسيا وعد الصبر؟ لأنه كان خلاف ظاهر الشرعة الربانية مهما كان فى طريق تعلم ما لم يعلم.

٧٢ / ١٨

٧٢- ﴿قَالَ﴾ خضر لموسى ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ و قد استعجلت فى سؤالك الصعب كأذك تنهى عن منكر، أو لا تقبله على أية حال فى ظاهر الشرعة.

٧٣- ﴿قَالَ﴾ موسى لخضر ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ لحاضر ظاهر الشرعة حيث تنسى أى وعد ﴿وَلَا تُرْهِقْنِي﴾ إيتابا ﴿مِنْ أَمْرِي﴾ الرسالى بظاهره، على تعلمى منك و عدم تصبرى ﴿عُسْرًا﴾ يعسر لى تعلمى المقصود، إذ عرف موسى هنا أن لذلك الأمر الإمر وجهها فى شرعة الله، مهما خفى عنه.

٧٤- ﴿فَانْطَلَقَا﴾ فى رحلتهم المدرسية ﴿حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ﴾ خضر دون سبب ظاهر ﴿قَالَ أَقْتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾ بظاهرها ﴿بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ قتلتها، إذا ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ تنكره شرعة الله، يقول هذا و ذاك دون رعاية لمكانة المعلم، حيث المكانة الرسالية هى أولى رعاية، و "زَكِيَّةٌ" هنا تشير إلى كونه مكلفا و الغلام هو أعم منه و غيره ككل إلا هنا.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٣٠٢

٧٥- ﴿قَالَ﴾ خضر لموسى ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكَ﴾ من ذى قبل ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ﴾ فى هذه الرحلة ﴿صَبْرًا﴾ فكيف تصاحبنى إذا، و قد كان معذورا لظاهر الشرعة بحاضرها المعلوم عنده.

٧٦- ﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا﴾ هذه المرة ﴿فَلَا تُصَاحِبْنِي﴾ استمراريا لهذه الرحلة، إذ ﴿قَدْ بَلَغْتَ﴾ إذا ﴿مِنْ لَدُنِّي﴾ أنا ﴿عُذْرًا﴾ أنا أعذرک فيه.

٧٧- ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ فى طريقهما، و كانا جائعين ف ﴿اسْتَطَعَا أَهْلُهَا﴾ لضرورة الاستطعام جوعا بالغا ﴿فَآبَوْا أَنْ يَضَيَّفُوهُمَا﴾ على أية حال ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ﴾ لعناقتة و رخوته ﴿فَأَقَامَهُ﴾ خضر، دون أن يطلب أجرا ﴿قَالَ﴾ له موسى ﴿لَوْ شِئْتَ﴾ مستحيلا تلك المشيئة ﴿لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ فإنه هنا فرض لضرورة الجوع المقتضى للحصول على طعام، أ فيواجه تلك اللثامة بهذه الكرامة على ضعف فى البنية و جوع.

٧٨- ﴿قَالَ هَذَا﴾ المقام هو ﴿فِرَاقُ بَيْنِي وَ بَيْنِكَ﴾ كما قررت و قررت أنت أخيرا ﴿سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ﴾ مأخذ و مرجع ﴿مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ و أنت معذور كما أنا معذور.

٧٩- ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ﴾ التى خرقتها ﴿فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ﴾ مما يدل على أن المسكنة تناسب مالا ما دون الفقر حيث يفقر الظهر ﴿فَارْدَتْ أَنْ أَعْيِبَهَا﴾ لمصلحة ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ فلا يأخذ هذه المعيبة، ترجيحاً للأهم على المهم، فهذه ضابطة فى وجوب الحفاظ على الأهم تفدية للمهم.

٨٠- ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ﴾ و الغلطة تناسب بعد التكليف كما تناسب قبله و هى هنا بعده كما سبق ﴿فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا﴾ أنا و أنت بحكم الله، مهما خفى عنك موضوعه ﴿أَنْ يُرْهِقَهُمَا﴾ اضطرابيا يسلب عنهما كل إختيار ﴿طُغْيَانًا﴾ على الحق ﴿وَكُفْرًا﴾ به، و الارتداد فطريا كما هنا يكفى فى هدر الدم و لا سيما مع ذلك الإرهاق الإزهاق لإيمانهما، فليس فيه قصاص قبل جنائية، حيث الارتداد- و لا سيما المرهق للغير طغيانا و كفرا- هو جنائية حاضرة.

٨١- ﴿فَارَدْنَا﴾ بذلك القتل المفروض زيادة هي ﴿أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا﴾ به ﴿خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً﴾ طهارة لم تكن عنده ﴿وَأَقْرَبَ رَحْمًا﴾ يرحمهما به إيماناً، و لم يكن الأول بهما رحيماً، فهذه مبررات ثلاث في قتل هذا الغلام، مهما استقلت كل منها أو انضمت إلى غيرها منها.

٨٢- ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ﴾ الذى أقمته ﴿فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي﴾ هذه ﴿الْمَدِينَةِ﴾ البخيلة الممسكة ﴿وَوَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا﴾ يفيدهما، على يتيمهما ﴿وَوَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ كما هما صالحان ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾ بما فعلت ﴿أَنْ يُبَلِّغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً﴾ عليهما و على أبيهما ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾ الذى رباك فيربيهما كما ربك ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ﴾ إقامة لجدار، و قتلا لغلام و خرقا للسفينة ﴿عَنْ أَمْرِي﴾ بل عن أمر ربي ﴿ذَلِكَ﴾ الذى قلته هو ﴿تَأْوِيلُ﴾ مأخذا و نتيجة ﴿مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ لإختلاف حكمى الظاهر و الباطن، حال أن حكم الله واحد، لإختلاف حالتى الموضوع، فقد ندرس من هذه الرحلة المدرسية دروسا عالية غالية، على ضوء ما درسها موسى- و هو رسول على خضر- من أدب الدراسة- و الحفاظ على شرعة الله على أية حال، ثم ولاية عامة على المساكين، و خاصة على اليتامى حفاظا على ناموس المال، و ولاية على المؤمنين حفاظا على إيمانهم كما فى قتل الغلام.

٨٣- ﴿وَيَسْأَلُونَكَ﴾ مستمرين ﴿عَنْ ذِي الْقُرْنَيْنِ﴾ إذ أدرك قرنى الشمس شرقا و غربا، و عاش قرنين، و ضرب على قرنيه، و سخر له قرنا الليل و النهار، و كأنه فوق ملك و دون رسول، مؤيدا من عند الله ما قد يؤيد به رسول ﴿قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ بوحى الله، و "ذِكْرًا" لا "كل ذكر" أو "الذكر".

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٣٠٣

٨٤- ﴿إِنَّا مَكَّنَّا﴾ بجمعية الصفات الرحيمية "مَكَّنَّا" ﴿لَهُ فِي الْأَرْضِ﴾ مكنة و مكانة سلطوية خاصة ﴿وَأَتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ ممكن فى الحكمة الربانية ﴿سَبَّأً﴾ وسيلة وصيلة، فقد ذلت له الصعاب و استسلمت له البلاد، فهذه الأسباب هى ربانية فقط لا تحصل بمحاولات خلقية.

٨٥- ﴿فَاتَّبَعَ﴾ أسرع فى اللقوق كما يصح ﴿سَبَّأً﴾ من هذه الأسباب و هو سب السير السريع الخارق للعادة.

٨٦- ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ﴾ و هو المغرب الأقصى إذ كان هو من الشرقيين ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ لا غربا لها واقعا فيها، بل بوجدانه إياها فيها كما يتراءى فى المنظر بالمحيط البحرى الأطلانطيقى ﴿وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا﴾ من الناس ﴿قُلْنَا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّمَا أَنْتَ تُعَذِّبُ﴾ هم ﴿وَأَمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ من الواجهة لعلمهم ينتهون و قد كان هذا تخيرا سلطويا ربانيا و لذلك أجاب ربه:

٨٧- ﴿قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ منهم دون توبة و أوبة، مصراً على ظلمه ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ﴾ هنا ﴿ثُمَّ يَرْدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ﴾ بعد موته ﴿فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكَرًا﴾ ما كان معروفا هنا.

٨٨- ﴿وَأَمَّا مَنْ أَمَنَّ﴾ منذ بداية تكليفه أو سيؤمن تائباً عما عصى ﴿وَعَمِلَ صَالِحاً﴾ لإيمانه الصالح ﴿فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَى﴾ عند الله هي الحياة الحسنى، و الثواب الأحسن مما أتاب فأصاب ﴿وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا﴾ فعلنا ﴿يَسْراً﴾.

٨٩ / ١٨

٨٩- ﴿ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَباً﴾ آخر من الأسباب الربانية بسرعة و لباقة، و هو سبب ل سرعة السير أسرع من الأول حيث يسير من أقصى الآفاق الغربية إلى أقصاها الشرقية.

٩٠ / ١٨

٩٠- ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ﴾ نسبة إلى الرائيين الأرضيين، فإن لها دوما مشرق و مشرق، و مغرب و مغرب ﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْراً﴾ لا خلقيا و لا صناعيا، و هنا ينقطع خبر العذاب و الحسن و عله لأنهم كانوا قوما بلها بدائيين لم يكلفوا كسائر المكلفين.

٩١ / ١٨

٩١- ﴿كَذَلِكَ﴾ الأمر في مكنته الأرضية، ﴿وَقَدْ أَحْطَيْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾.

٩٢ / ١٨

٩٢- ﴿ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَباً﴾ ثالثا، هو غير الأولين، مهما كان من أسباب السير، و قد يكون لإختلاف السير أو السرعة أو هما معا، و إلا لكان يكفي سبب واحد إذا كان السير مثل بعض البعض.

٩٣ / ١٨

٩٣- ﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ﴾ و مهما لا نعرفه بالضبط و لكنه معروف أنه بين أقصى المشرق و المغرب، و لو كان أحدهما لم يحتج إلى سبب ثالث ليبلغه به، و هما حاجزان خلقيان من جبال أو أتلال منهما فتحة ممر ﴿وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْماً﴾ يختلفون عن الأولين، إذ ﴿لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ إنسانيا، لا تكلماً و لا تفهما، مهما كانوا يقدرّون على ساذج قول.

٩٤ / ١٨

٩٤- ﴿قَالُوا﴾ قوله غير فقيهة ﴿يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَا جُوجَ وَ مَا جُوجَ﴾ فصلنا البحث عنهما في "الفرقان" من أنهما عليهما "كوك و ماكوك" أمن ذا ﴿مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ وراء السدين ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً﴾ لتكاليف السد بين السدين ﴿عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَ بَيْنَهُمْ سَدّاً﴾ مصدا عن إفسادهم.

٩٥ / ١٨

٩٥- ﴿قَالَ مَا مَكْنَىٰ فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ مما تجعلون لي خرجا ﴿فَاعَيْنُونِي﴾ فقط ﴿بِقُوَّةٍ﴾ بدنية ﴿أَجْعَلْ﴾ بها و بما مكنى ربي ﴿بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ يسد الثلثة بين السدين، و هو ردم الممر بينهما فلا يسطاعوا أن يظهره لإرتفاعه و لا أن ينقبوه لحدته.

٩٦ / ١٨

٩٦- ﴿أَتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ﴾ و هى قطع كبيرة ﴿حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ﴾ بها ﴿بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ﴾: الجانبين الصليبين من السدين ﴿قَالَ انْفُخُوا﴾ على نار فيها ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ﴾ المساوى بينهما ﴿نَاراً﴾ كله كوحدة صارمة ﴿قَالَ أَتُونِي أَفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً﴾ نحاسا مذابا يتخلل الحديد النار.

٩٧ / ١٨

٩٧- ﴿فَمَا اسْطَاعُوا﴾ يأجوج و مأجوج ﴿أَنْ يَظْهَرُوهُ﴾ علما و لا قوة ﴿وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْباً﴾ حتى يمروا مما بين السدين بعد النقب.

٩٨ / ١٨

٩٨- ﴿قَالَ﴾ ذو القرنين ﴿هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي﴾ للمظلومين بتلكم الهجمات ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي﴾ قبل القيامة، فهو عند الرجعة ﴿جَعَلَهُ دَكَّاءَ﴾ لينة سهلة ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾.

٩٩ / ١٨

٩٩- و مما يدل على أنه وعد قبل القيامة ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾: "وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ. حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَاجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ. وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا" (٢١: ٩٧) ثم ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ نفخ الإحياء بعد نفخ الإماتة ﴿فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾ شاملا لا يغادر أحدا إلا محشورا مع الباقين.

١٠٠ / ١٨

١٠٠- ﴿وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ﴾ وهو القيامة الكبرى ﴿لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾ عريضا يدخلونها دون إبقاء.

١٠١ / ١٨

١٠١- ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ﴾ بصرا و بصيرة، غائصة ﴿فِي غِطَاءٍ﴾ بما عملوا هم أنفسهم ﴿عَنْ ذِكْرِي﴾ أيا كان ﴿وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ بما عموا و صموا "فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ".

١٠٢ / ١٨

١٠٢- ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بى علما و عنادا ﴿أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ﴾ يلونهم فى كفرهم و يتولون أمورهم ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا﴾ تهيئة ﴿جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزْلًا﴾ ينزلونها سفرا من الأولى إلى الأخرى، كما و الجنة نزل المؤمنين، و أين نزل من نزل.

١٠٣ / ١٨

١٠٣- ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ من كل الخاسرين، مهما كان الأخسرون عدة هم منهم.

١٠٤ / ١٨

١٠٤- فهم ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ﴾ غائصا ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ و "سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا" مهما خيل إليهم أنه للأخرى ﴿وَ هُمْ يَحْسِبُونَ﴾ حسابنا خاطئا بتقصيرهم ﴿أَنَّهُمْ يَحْسِنُونَ صُنْعًا﴾: حيث يعملون أعمال أهل النار و يحسبون أنه من أعمال أهل الجنة، فهم فى ضلال دنى و عقبى.

١٠٥ / ١٨

١٠٥- ﴿أُولَٰئِكَ﴾ الأضلون هم ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ كلها ﴿و﴾ ب ﴿لِقَائِهِ﴾ فى الأولى، معرفة و عملا صالحا، و فى الأخرى إضافة جزاء حسابا ﴿فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ سقوطا عن نتائج لها إذ حبطت ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا﴾ حيث الوزن هناك هو لصالح الأعمال: "وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَّةُ. نَارُ حَامِيَةٍ" (١٠١: ١١).

١٠٦ / ١٨

١٠٦- ﴿ذَٰلِكَ﴾ المذكور هنا هو ﴿جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا﴾ بآيات ربهم ﴿وَ اتَّخَذُوا آيَاتِي وَ رُسُلِي﴾ إليهم بها ﴿هُزُوعًا﴾ يستهزون بهما.

١٠٧ / ١٨

١٠٧- ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالله و لقاءه ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ لإيمانهم بالله ﴿كَانَتْ﴾ منذ كانوا ﴿لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾ ينزلونها من سفرهم الطويل.

١٠٨ / ١٨

١٠٨- حالكونهم ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أبدا دون انقطاع ﴿لَا يَبْغُونَ﴾ طلبا ﴿عَنْهَا حِوَلًا﴾ تحولا إلى موت أو إلى نار" عطاءً غيرَ مَجْدُودٍ" و لكن خلود أهل النار فيه حول إما إلى جنة أو إلى موت.

١٠٩ / ١٨

١٠٩- ﴿قُلْ لَوْ﴾ مستجيلا ﴿كَانَ الْبَحْرُ﴾ المحيط في سماء أو أرض ﴿مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي﴾ الدالة على ربوبيته ﴿لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَذَ كَلِمَاتُ رَبِّي﴾ لأن البحر بمداده أيضا هو من كلمات ربي ﴿وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ في مداده" و لَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ" ككل أرض" مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَ الْبَحْرُ" كله" يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ" أو أكثر حيث السبعة رمز للكثرة" ما نَفَذَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" (٣١: ٢٧).

١١٠ / ١٨

١١٠- ﴿قُلْ﴾ للكل ﴿إِنَّمَا﴾ ليس إلا ﴿أَنَا﴾ على رسالتى القمة ﴿بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ فى البشرية و أمتاز عن البشرية العادية أن ﴿يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ كرأس الزاوية الرسالية ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ هنا معرفة و فى الآخرة معها ثوابا ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾ لذلك الرجاء ﴿وَلَا يَشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (و هذه الآية تدلّ على ان الرئاء تبطل العبادة حينها و بعدها) أن يراى غيره فيها، فإن" عبادة ربه" دليل توحيده و لكن الإشراف به فى عبادته رثاء الناس. و هذه الآية تدلّ على ان الرئاء تبطل العبادة حينها و بعدها.

سورة مريم

١ / ١٩

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ كهيعص ﴿هي كسائر الحروف الرمزية التلغرافية الخاصة بصاحب الوحي، إذ هي خارجة عن الدلالات اللفظية الوضعية العامة، فإنها من الرموز الخاصة و هي مفاتيح كنوز القرآن.

٢ / ١٩

٢- ﴿ذِكْرٌ رَحِمَتِ رَبِّكَ﴾ و كأنه خبر، لـ "كهيعص" أو "هذا" المحذوفة أما ذا؟ ﴿عَبْدَهُ﴾ الخاص ﴿زَكَرِيَّا﴾ فـ "كهيعص" ذكره رمزيا و ما يليها تفصيليا، قد يكون أقل من الأول معنويا.

٣ / ١٩

٣- ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ﴾ نداء الفقير الفقير أمام الغنى الغنى ﴿نِدَاءٌ خَفِيًّا﴾ و خفاء الدعاء هو من آدابه فإنه "سَمِعُ الدُّعَاءِ" أيا كان فلما ذا الجهر- إذا- اللهم إلا جماعيا يرغّب المجموعة بتداخل الأصوات، أو تعليميا فـ "ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَ خُفْيَةً" (٧: ٥٥) و "إِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَ أَخْفَى" (٧: ٢٠).

٤ / ١٩

٤- ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي﴾ رخاء في أصل البنية الجسمانية ﴿وَ اشْتَغَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ رخاء في أمارات الشيبة، ثم ﴿وَلَمْ أَكُنْ﴾ منذ كنت ﴿بِدُعَائِكَ﴾ حيث أدعوك ﴿رَبِّ شَقِيًّا﴾ أشقى في دعائي متأنفا، فقد عودتني الإجابة في فتوتي و قوتي فما أحوجنى في هرمي و رخوتي رغم عدم استعدادي في شيبتي لإجابتي لولد.

٥ / ١٩

٥- ﴿وَ إِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ﴾ الذين يلونني ﴿مِنْ وَرَائِي﴾ بعد موتي، ألا يلونني في رسالتي ﴿وَ كَانَتْ أُمْرَاتِي﴾ منذ كانت ﴿عَاقِرًا﴾ لا تلد فضلا عن شيبتها، فأنا عاقر مرة و امرأتى مرتين ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ﴾ هبة خاصة لدنية ﴿وَلِيًّا﴾ يليني "ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً" (٢١: ٨٩).

٦ / ١٩

٦- ﴿يَرِثُنِي﴾ مالا و حالا، بل الحال لا تورث و إنما هو المال، و قد يستفاد إرث النبوة على مجازيتها من ﴿وَ يَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ إذ ليس فيه إرث المال إلا في بعض الأحوال ثم ﴿وَ اجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ تناسب إرث الحال لأنه بعد إرث المال فلا يصغى إلى مختلق الحديث عن الخليفة أبي بكر عنه (ص) (نحن معاصر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة) إلا أن تعنى أن ليس إرثنا صدقة بل هو كسائر الإرث، ثم و "رَضِيًّا" قد تعنى راضيا مرضيا.

٧ / ١٩

٧- ﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا﴾ بجمعية الصفات الرحيمية ﴿نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى﴾ و هو يحيى راضيا نبيا مرضيا ﴿لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ مشاركا من ذى قبل في اسمه و سمته "أَنَّ اللَّهَ يَبْشُرُكَ بِمُصَدِّقٍ مِنْ لَدُنْكَ وَ سَيِّدًا وَ حَصُورًا وَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ" (٣: ٣٩)

٨ / ١٩

٨- ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾ حائرا مستعجبا و هو الذى دعا ربه أن يرزقه "ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً" ﴿وَالْحَالُ أَنَّهُ﴾ ﴿كَانَتْ أُمْرَاتِي عَاقِرًا﴾ منذ كانت ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ﴾ أنا زوجها ﴿مِنَ الْكِبَرِ عِتْيَا﴾ و لكن "أَنَّى" هو سؤال عن زمان هذه الولادة دون أصلها الموعود له له بكل ضراعة و إصرار.

٩ / ١٩

٩- ﴿قَالَ﴾ اللَّهُ ﴿كَذَلِكَ﴾ الْعَظِيمُ الْعَظِيمُ ﴿قَالَ رَبُّكَ هُوَ﴾ الذى وعدناك بدعائك ﴿عَلَى هَيْنٍ﴾ أصلا و زمانا ﴿وَالْحَالُ أَنَّى﴾ ﴿قَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ﴾ كخلق غلام لك ﴿وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ مذكورا، أو شيئا ولاديا حيث خلق من آدم و لم يكن له أبوان، أو شيئا هو ما قبل المادة الأولية، فـ "لَمْ تَكُ شَيْئًا" فى هذه المراحل الثلاث.

١٠ / ١٩

١٠- ﴿قَالَ﴾ زكريا ﴿رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾ على الحمل به ﴿قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ﴾ حال كونك ﴿سَوِيًّا﴾ لا منع فى لسانك، حيث تكلم ربك فى عبادتك كما كنت و كذلك الملائكة و من أشبه "أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا. وَ اذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَ سَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَ الْإِبْكَارِ" (٤١: ٣).

١١ / ١٩

١١- ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ﴾ حيث كان يذكر ربه كما أمر منعزلا عن الناس ﴿فَأَوْحَى﴾ رمزا ﴿إِلَيْهِمْ أَنُ سَبِّحُوا﴾ اللَّهَ ﴿بُكْرَةً وَ عَشِيًّا﴾ زيادة على ما كان و كما أزداد أنا على ما كنت.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٣٠٦

١٢ / ١٩

١٢- ثم لما ولد يحيى قلنا له ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ﴾ و حيا ﴿بِقُوَّةٍ﴾ العصمة الربانية على صباك ﴿وَ اتَيْنَاهُ الْحُكْمَ﴾ الرسمى ﴿صَبِيًّا﴾ و لمّا يبلغ الحلم، مما يدل على أن بلوغ الجسم ليس شرطا لبلوغ العقل.

١٣ / ١٩

١٣- ﴿وَالْحَالُ أَنَّهُ﴾ ﴿كَانَ﴾ قَبْلَهُمَا ﴿تَقِيًّا﴾ يتقى ربه كما يقدر و يقدر.

١٤ / ١٩

١٤- ﴿وَالْحَالُ أَنَّهُ﴾ ﴿كَانَ﴾ قَبْلَهُمَا ﴿تَقِيًّا﴾ أمام أى إنسان فضلا عن والديه.

١٥ / ١٩

١٥- ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ﴾ منا ﴿يَوْمَ وُلِدَ﴾ إذ ولد سليما عن كل نقص ﴿وَيَوْمَ يَمُوتُ﴾ إذ عاش سليما كاملا ﴿وَيَوْمَ يُبْعَثُ﴾ فى الأخرى حال كونه ﴿حَيًّا﴾ " وَ نَفِخْ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ .." (٦٨: ٣٩) فهو كما المسيح، و فوقهما محمد و المحدثون عليهم السلام، هما ممن شاء الله فيبعثون أحياء.

١٦ / ١٩

١٦- ﴿وَ اذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ﴾ و قد ذكرت فى القرآن (٣٤) مرة بكل تبجيل حين أنها مذكورة فى الإنجيل (٥) مرات بكل تخجيل ﴿إِذِ انْتَبَذَتْ﴾ انطراحا بابتعاد بعد ما اهترت بالبشارة الملكية الربانية ﴿مِنْ أَهْلِهَا﴾ الذين كانت معهم ﴿مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ إذ أخبرت بحمل مستقبل و لا بعلم لها، أم و تريد اغتسالا عن حيضها بمناسبة "مَكَانًا شَرْقِيًّا" تشرق عليها الشمس.

١٧- ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا﴾ لا يرونها ﴿فَارْسَلْنَا﴾ هناك ﴿إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ و هو روح القدس ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ في البشرية.

١٨- ف ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ﴾ الخالق، استيقاظا لروح التقوى ﴿مِنْكَ إِن كُنْتَ تَقِيًّا﴾ تتقى الرحمان و إلا فبمن يستعاذ.

١٩- ﴿قَالَ﴾ لها روحنا ﴿إِنَّمَا﴾ ليس إلا ﴿أَنَا رَسُولُ رَبِّكَ﴾ الذى ربك، برسالة خاصة ﴿لَاهَبْ﴾ دون بل ﴿لَكَ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ طاهرا فى هذه الوهبة عن كافة الأذناس، و هنا "غلاماً" تشير إلى أن هذه الوهبة لم تكن روح المسيح فحسب بل و جسما منه هو النطفة الرجولية.

٢٠- ﴿قَالَتْ﴾ للرسول ﴿أَنَّى﴾ أى زمان ﴿يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَ﴾ الحال أننى ﴿لَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ﴾ حلا ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ حتى أحمل محرما! مما يدل على أن مس بشر هو فقط مما يجبل بشرا.

٢١- ﴿قَالَ﴾ لها ﴿كَذَلِكَ﴾ العظيم ﴿قَالَ رَبُّكَ﴾ أن أقول لك و أهبك ﴿هُوَ عَلَى هَيْنٍ﴾ لا صعوبة فيه "وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَ لَمْ تَكُ شَيْئًا" (١٩: ٩) ﴿وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً﴾ بكلا روحه و جسمه ﴿لِلنَّاسِ وَ رَحْمَةً مِنَّا﴾ فى إرسال رسول ﴿وَ كَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ لا حول عنه، و هنا اقتنعت بتلك الرسالة:

٢٢- ﴿فَحَمَلَتْهُ﴾ المسيح بتلك الوهبة، فليس هو روحه فقط بل بجسم منه و الثالث جسم منها ﴿فَانْتَبَذَتْ بِهِ﴾ لما شعرت بالحمل حينئذ، انتباذا كانه دون اختيار، خوفا من التهم ﴿مَكَانًا قَصِيًّا﴾ بعيدا عن أهله و سائر الناس لكى لا يقتربوا إليها.

٢٣- ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ﴾ وجع الوضع ﴿إِلَى جِذْعٍ﴾ غصن ﴿النَّخْلَةِ﴾ الخاصة التى قررها الله ﴿قَالَتْ﴾ حينئذ ﴿يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا﴾ الحمل و الوضع ﴿وَ كُنْتُ نَسِيًّا﴾ دم حيض ﴿مَنْسِيًّا﴾ و هو أزدل شىء، و لكنه أفضل من هكذا حمل، و كأنها نسيت حينئذ أنه وهبة لرب غلاما زكيا، خوفا الثورة الفاتكة عليها.

٢٤- ولدته ﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا﴾ بعد ولادة ﴿أَلَّا تَحْزَنِي﴾ إذ ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ﴾ و هو أنا المسيح ﴿سَرِيًّا﴾ رفيعا، من ولدك السرى الرفيع، و نهر هو رفيع، و صوت و صيت يسرى فى مشارق الأرض و مغاربها.

٢٥- ﴿وَ هُزِيَ إِلَيْكَ﴾ هزة كما اهتزت ﴿بِجِذْعِ النَّخْلَةِ﴾ الذى أجاها المخاض إليه ﴿تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا﴾ تمرا طريا ﴿جَنِيًّا﴾.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٣٠٧

٢٦- ﴿فَكُلِّي﴾ من الرطب الجنى ﴿وَاشْرَبِي﴾ من النهر السرى ﴿وَقَرِّي عَيْنًا﴾ من ولدك السرى ﴿فَإِمَّا تَرَيْنِ﴾ حتما ﴿مِنْ الْبَشَرِ أَحَدًا﴾ من أهلك و سواهم ﴿فَقُولِي﴾ لهم كلمة واحدة، بإشارة أو بلفظة واحدة ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ أصمت فيه ﴿فَلَنْ أَكَلَمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًا﴾ مهما أكلم ربى و الملائكة، و لو كانت بقول لم يناف نذرها فإنه حتم صوم الصمت بعد قولها، إذ لم تقل متى بداية الصوم، فلا بد أن تكون بعد تصريحها أنها سوف تصوم.^{١٨}

٢٧ / ١٩

٢٧- ﴿فَأَتَتْ بِهِ﴾ المسيح ﴿قَوْمَهَا﴾ حال أنها ﴿تَحْمِلُهُ﴾ ف ﴿قَالُوا﴾ فور إتيانها به ﴿يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًا﴾ يفترى عليك بنفسه فإنه وليد دون والد.

٢٨ / ١٩

٢٨- ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ﴾ البالغ فى طهارته لحد لا يسلب عنه سوء، فقد كان فوق أبيها و أمها فى التقوى، و لا يختص اسم "هارون" بأخى موسى حتى يعترض عليه هنا ﴿مَا كَانَ أَبُوكَ امْرَأَ سَوْءٍ﴾ حتى تتربى عنده سيئة أو لا تمنعك عن سوء ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًا﴾ حتى تربيك بغية أو لا تمنعك عن بغاء.

٢٩ / ١٩

٢٩- ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾ إذ كانت صائمة الصمت، فاستطاروا عجباً و ﴿قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ﴾ و حتى الآن ﴿فِي الْمَهْدِ صَبِيًا﴾ إحالة إلى محال.

٣٠ / ١٩

٣٠- ﴿قَالَ﴾ المسيح صيباً فى المهد ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ لا إله و لا ابن الله، و كما صرح فى الإنجيل بكونه "عبد الله" ثمانين مرة ﴿آتَانِي الْكِتَابَ﴾ الإنجيل ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًا﴾ فوق الرسالة، فإن النبوة هى نبوة و رفعة فى الرسالة، و هنا "أتانى و جعلنى" تنظران إلى مستقبل له دون حاله و كما تشير إليه "و يكلم الناس فى المهد و كهلاً" (٣: ٤٦) و أما ما بينهما فلا.

٣١ / ١٩

٣١- ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾ فى أصلاب آبائى و أرحام أمهاتى، ذودا عن نسبة العهر و الزنا طول الأصلاب و الأرحام، خلاف ما تقولوا عليه ﴿وَأَوْصَانِي﴾ فيما أوصانى برسالة مستقبلية ﴿بِالصَّلَاةِ وَ الزَّكَاةِ﴾ ركنين لعبوديته الصالحة ﴿مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ بحياة التكليف.

٣٢ / ١٩

٣٢- ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي﴾ المعصومة مريم (ع) رغم ما اتهمونى بخلافه بها ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ بالنسبة لأحد، فضلا عن والدتى، بالرغم مما افترى عليها فى الإنجيل بجبارية المسيح و شقائه بالنسبة لها!

٣٣ / ١٩

٣٣- ﴿وَالسَّلَامُ﴾ من الله و من الصالحين ﴿عَلَى يَوْمٍ وُلِدْتُ﴾ حيث ولدت مباركا ﴿وَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فى آخر الزمان ﴿وَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ حشرا حالكونى ﴿حَيًّا﴾ فى البرزخ فإنه ممن شاء الله.

٣٤ / ١٩

٣٤- ﴿ذَلِكَ﴾ العظيم المبارك ﴿عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ لا الذى يقوله المفرطون أنه الله أو ابنه أو أنه اتخذه ابنه، و لا المفرطون أنه وليد حرام، أعنى ﴿قَوْلَ الْحَقِّ﴾ فيه، عوانا بين إفراط و تفريط، عيسى ﴿الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾.

^{١٨} . و نذر صوم الصمت مستمر فى شريعتنا إذ لم ينسخه القرآن ثم و لا ينسخ بالحديث.

٣٥ / ١٩

٣٥- ﴿مَا كَانَ﴾ ممكنا و لا لا تقا ﴿لَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ﴾ فضلا عن أن يلد أو يحل في إنسان فيتحد به، حيث ﴿إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا﴾ أيا كان ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ﴾ إرادة قاضية ﴿لَهُ﴾ ما قضاه ﴿كُنْ﴾ موجودا ﴿فَيَكُونُ﴾ موجودا، فما هي الحاجة إلى اتخاذ ولد لو احتاج إليه، ثم المجاز إنما يجوز إذا جازت الحقيقة، و هي مستحيلة على الله فكذلك مجازها.

٣٦ / ١٩

٣٦- و تتممة لمقاله المسيح و وقتذاك ﴿وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي﴾ حيث خلقتني و رباني ﴿وَ رَبُّكُمْ﴾ كما هو ربي ﴿فَاعْبُدُوهُ﴾ كما أعبدته ﴿هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ دون سائر السبل.

٣٧ / ١٩

٣٧- "ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ" ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ﴾ الدينية هودا و نصارى ﴿مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ في كل هذه الحقائق الجمة الثمان، التي صرح بها في المهد صيبا ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في خلافاتهم المتخلفة ﴿مِنْ مَّشْهَدٍ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

٣٨ / ١٩

٣٨- ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ﴾ ما أسمعهم ﴿وَ أَبْصِرْ﴾ بهم ما أبصرهم بالحق ﴿يَوْمَ يَأْتُونَنَا﴾ حشرا ﴿لَكِنَّ الظَّالِمُونَ أَيُّومَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ عن الحسنی.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٣٠٨

٣٩ / ١٩

٣٩- ﴿وَ أَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾ حيث الكل حاسرون متحسرون إلا المخلصون ﴿إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ تكليفا به و تحقيقا له ﴿وَ﴾ الحال أن ﴿هُمْ﴾ الآن ﴿فِي غَفْلَةٍ﴾ الحال أن ﴿هُمْ﴾ لا يؤمنون بالحق.

٤٠ / ١٩

٤٠- ﴿إِنَّا﴾ بجمعية الصفات لا مع الوحدات أو الذات ﴿نَحْنُ نُرِثُ الْأَرْضَ وَ مَنْ عَلَيْهَا﴾ بعد إذ دكت دكا ﴿وَ إِلَيْنَا يَرْجِعُونَ﴾ بعد دكداكها ثم إحياءهم، كما بدأوا منا خلقا أول.

٤١ / ١٩

٤١- ﴿وَ أَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ﴾: القرآن ﴿إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ﴾ منذ كان ﴿صِدِّيقًا﴾ و كان بعد ذلك ﴿نَبِيًّا﴾ صاحب منزلة بين المرسلين.

٤٢ / ١٩

٤٢- ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ﴾ أزر و هو عمه أبا في التربية ﴿يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَ لَا يُبْصِرُ﴾ لنفسه فضلا عما سواه ﴿وَ لَا يَغْنَى عَنْكَ﴾ و لو سمع و أبصر ﴿شَيْئًا﴾ محتاجه أو تفر عنه؟!

٤٣ / ١٩

٤٣- ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ﴾ الحق من الله ﴿مَا لَمْ يَأْتِكَ﴾ مهما جاءك كسائر المكلفين علم الفطرة و العقلية، و لكنهما بما قصرت محجوبتان، ﴿فَاتَّبِعْنِي﴾ تنويرا لهما بكشف غطاء بالوحى ﴿أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ إلى الله: "وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَ لَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ" (١٥٣: ٦).

٤٤ / ١٩

٤٤- ﴿يَا آتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ﴾ طاعة مطلقة لحد العبادة، فعبادة لشركاء من دون الله ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ﴾ منذ كان للرحمن عصياً ﴿عاش عصيانه طول عمره.

٤٥ / ١٩

٤٥- ﴿يَا آتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ﴾ على أقل تقدير ﴿عَذَابُ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ هنا و في الأخرى إذ تعبد غير الرحمن الخالق ﴿فَتَكُونُ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ تليه في العذاب.

٤٦ / ١٩

٤٦- ﴿قَالَ﴾ أبوه أزر ﴿أَرَاغِبُ أَنْتَ﴾ الوليد الصغير و أنت تحت ولائى ﴿عَنِ الْهَيْتِ يَا إِبْرَاهِيمُ لئنْ لَمْ تَنْتَهَ﴾ عن رغبتك عنها ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ و هو شر تعذيب لشر فعلة ﴿وَاهْجُرْنِي﴾ ابتعادا عنى ﴿مَلِيًّا﴾ أمة من الزمن، مما أمل إبراهيم فطمعه فى ترويه لعله يهتدى، انصرافا عن رجمه، و لو تحتم تعذيبه و رجمه فما هو دور " وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا" مهما يحتمل إضافة إلى إمكان اهتدائه، أن يتروى إبراهيم فيرجع عن الله إلى الأصنام، و لكن الأول هو الذى ركز فى أملة (ع) فسلم عليه:

٤٧ / ١٩

٤٧- ﴿قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ﴾ فى ملى ترويك ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾ حتى يعفو عنك ماضيك و يصلح مستقبلك ﴿إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ برا لطيفا يسمع دعائى، مما يدل على أن السلام على الكافر جائز حيث يتظاهر بالتروى دون المعاند الجاحد" و ما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدّها إبراهيم "إياه" ظنا أن أباه وعده التروى " فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ .. " (٩: ١١٣) فحين لا نعلم مستقبل كافر أنه يموت كفرا أو يسلم فسلام عليه أدب دائم.

٤٨ / ١٩

٤٨- ﴿وَأَعْتَرَلَكُمْ﴾ ما كنتم مشركين ﴿وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَاذْعُوا رَبِّي﴾ لا سواه ﴿عَسَى﴾ رجاء ﴿أَلَا أَكُونُ بِدْعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾ بل أنا حنون تقى نقى، ذلك، و قد استغفر له و لمّا يعرف أنه الآن عدو لله: " وَاغْفِرْ لَأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ " (٣٦: ٨٦).

٤٩ / ١٩

٤٩- ﴿فَلَمَّا اعْتَرَلَهُمْ وَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ بالرغم من جو الإشراف بيتا و بلدا و رفاقا ﴿وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَ﴾ " مِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ " ﴿يَعْقُوبَ وَكُلًّا﴾ منهما ﴿جَعَلْنَا﴾ ه ﴿نَبِيًّا﴾ فتلك الوهبة الربانية هى من مخلفات ذلك الصمود فى توحيد الله صارما معارضا للإشراك.

٥٠ / ١٩

٥٠- ﴿وَوَهَبْنَا لَهُمْ﴾ أولاء بعضا ﴿مِنْ رَحْمَتِنَا﴾ الرحيمية الرسالية ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ حال علو ذلك اللسان الصدق، منهم و ممن بعدهم من النبيين و الصالحين.

٥١ / ١٩

٥١- ﴿وَأَذْكُرْ فِي﴾ هذا ﴿الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا﴾ أخلصه الله بعد ما أخلص هو نفسه، عصمة ربانية على عصمة بشرية ﴿وَوَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ على الدرجة بين الرسل، فكل نبي رسول و ليس كل رسول نبيا.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٣٠٩

٥٢ / ١٩

٥٢- ﴿وَوَدَّاعُوا﴾ بجمعية الصفات الرحيمية، لا جمعية الذات و الوحدات ﴿مِنْ جَانِبِ الطُّورِ﴾ الأيمن ﴿وَوَقَرْنَاهُ﴾ إلينا حالكونه ﴿نَجِيًّا﴾ عن آل فرعون و عمن سوى الله .. إلى نجوى مع الله" و أَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى " (٢٠: ١٢).

٥٣ / ١٩

٥٣- ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ﴾ لصالح رسالته ﴿مِنْ رَحْمَتِنَا﴾ الرحيمية ﴿أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾ على ضوء نبوته مهما كان فيها أدنى منه.

٥٤ / ١٩

٥٤- ﴿وَإِذْ ذُكِّرُوا فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ﴾ ابن إبراهيم إذ لم يذكر في (١١) موضعا آخر إلا هو، فهنا أيضا ليس إلا هو ﴿إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ﴾ مع الخالق و الخلق ﴿وَكَانَ رَسُولًا﴾ ثم و ﴿نَبِيًّا﴾ صاحب رفعة بين المرسلين.

٥٥ / ١٩

٥٥- ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾ زكاة مطلقة إذ لم يكن لأهله التسعة الشهيرة المختلقة ﴿وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ و يا له من رضى عالية غالية، و هكذا كان جد الرسول النبى محمد (ص).

٥٦ / ١٩

٥٦- ﴿وَإِذْ ذُكِّرُوا فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ﴾ و كان بين آدم و نوح عليهما السلام، فهو أفضل ممن قبل نوح ﴿إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا﴾ كثير التصديق لله ﴿نَبِيًّا﴾ رفيع الدرجة بين الصديقين و لم يصرح لآدم و من بعده إلى نوح " صديق نبى " أبدا.

٥٧ / ١٩

٥٧- ﴿وَإِذْ رَفَعْنَاهُ مَكَانًا﴾ بعد مكانة النبوة ﴿عَلِيًّا﴾ عاليا على الأرض مما ينبئ بمعراج، يروى أنه السماء الرابعة عند المسيح عليهما السلام، كما عنه صلى الله عليه و آله.

٥٨ / ١٩

٥٨- ﴿أُولَئِكَ الْأَكْرَامُ﴾ هم ﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ نعمة رحيمية فى درجات ﴿مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ بعضا ﴿وَوَ﴾ بعضا ﴿مِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ﴾ كإسماعيل و محمد (ص) ﴿وَوَ﴾ بعضا من ذرية ﴿إِسْرَائِيلَ﴾ يعقوب ﴿وَوَ﴾ بصورة عامة ﴿مِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا﴾ حيث يشمل الكل كافة النبيين عليهم السلام، و يجمعهم إضافة إلى من ذكروا ﴿إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ﴾ رحمانية و رحيمية بوحي و سواه ﴿خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ مما يدل على راجح السجدة و البكاء عند تلاوة آيات الرحمن ككل، أو- و بأحرى- وجوبها بمعنى كامل الخشوع، و من مظاهره ظاهر السجدة عند آياتها الآمرة بها.

٥٩ / ١٩

٥٩- ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ هؤلاء النبيين ﴿خَلْفُ﴾ يخالفونهم ف ﴿أَضَاعُوا الصَّلَاةَ﴾ تركا أو تضييعا إياها ﴿وَ اتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ﴾ تركا لكلا السلب و الإيجاب فى سبيل الله و كفاهم غيا هنا فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيَا بغيهم فى الأخرى.

٦٠ / ١٩

٦٠- ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ﴾ عن خلف إلى خلف ﴿وَ آمَنَ﴾ بالله كما آمنوا ﴿وَ عَمِلَ صَالِحًا﴾ للإيمان كما عملوا ﴿فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾ التى وعدنا الله لهم ﴿وَ لَا يَظْلَمُونَ شَيْئًا﴾ نقصا عنها أبدا، دون تحسب لما قدموه من خلفهم قبل خلفهم.

٦١ / ١٩

٦١- و هى ﴿جَنَاتٍ عَذْنٍ﴾ باقية ﴿الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ﴾ الخالق إياها و إياهم ﴿عِبَادَهُ﴾ وعدهم ﴿بِالْغَيْبِ﴾ و هم يعبدونه " بِالْغَيْبِ " إذ لا يرونه، و " بِالْغَيْبِ " دون رثاء و سمعة ﴿إِنَّهُ﴾ تعالى ﴿كَانَ﴾ منذ كان من يستحق وعد الله ﴿وَعْدَهُ﴾ لمن بعده ﴿مَأْتِيًا﴾ دون حول عنه و لا نسيان.

٦٢ / ١٩

٦٢- ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ أبداً و هو ما لا يعنى حقاً ﴿إِلَّا سَلَامًا﴾ من كافة الجهات و هو ليس لغواً ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ﴾ اللائق بهم ﴿فِيهَا بُكْرَةٌ وَعَشِيَّا﴾ و هم بينهما نيام، مما يدل على أنها جنات برزخية، فإن جنة الآخرة "أَكْلُهَا دَائِمٌ وَ ظِلُّهَا" (١٣: ٣٥) و تلك الجنة البرزخية هي مقدمة للأخروية، و في القرآن عشرات من الآيات تدل على جزاء برزخى فى حياة برزخية.

٦٣ / ١٩

٦٣- ﴿تِلْكَ﴾ العظيمة المنى، هي ﴿الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ﴾ ها بعضا ﴿مِنَ عِبَادِنَا﴾ و هو ﴿مَنْ كَانَ﴾ فى حياة التكليف ﴿تَقِيًّا﴾ علميا و عقيديا و عمليا، نقياً عن أدران العصيان.

٦٤ / ١٩

٦٤- ﴿وَمَا تَنْتَظِرُ﴾ آية مع أخرى بعدها هما معترضان بين هذه الآيات تدليلاً على أن تنزل الملائكة بالوحى ليس ﴿إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ يا محمد، ف ﴿لَهُ﴾ لا لنا ﴿مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾ مستقبلاً ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾ ماضياً ﴿وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ﴾ حالاً، و منها أنفسنا نحن و نفسك و كل كائن ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ ينسى وحيه فيؤخره.

٦٥ / ١٩

٦٥- و هو ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ و هي الكون المخلوق كله ﴿فَاعْبُدْهُ﴾ يا محمد، و يأكل مكلف بأحكام الله ﴿وَأَصْطَبِرْ﴾ تكلفاً فى صبرك أمام العراقيل ﴿لِعِبَادَتِهِ﴾ فعل واجب و ترك محرم ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ له اسمه تعالى، فضلاً عن نذ و شريك.

٦٦ / ١٩

٦٦- ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ﴾ النسيان ﴿أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ﴾ يوم القيامة ﴿أُخْرِجُ﴾ حالكونى ﴿حَيًّا﴾ بحياة ما برزخية فى صعقة، أخرج بحياة أخرى هي أحيى.

٦٧ / ١٩

٦٧- ألا يعلم الإنسان أن الحياة الأخرى هي مقتضى عدله تعالى ﴿أَوْ لَا يَذْكُرُ﴾ هذا ﴿الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ﴾ أولاً فى خلق الخلق الأول، و ثانياً فى خلق آدم الأول، ثم فى الخلق المتناسل ﴿وَلَمْ يَكُنْ شَيْئًا﴾ مذكوراً "هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا" (٧٦: ١).

٦٨ / ١٩

٦٨- ﴿فَوَرَبِّكَ﴾ يا محمد الذى ربك أحسن تربية فوق العالمين أجمعين ﴿لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾ جمعا، جميعا ﴿وَلَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾ لنحشرن معهم ﴿الشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ ذللاً أذلة.

٦٩ / ١٩

٦٩- ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ﴾ نزعا شاملاً فإنه يوم الفصل و ليس بالهزل ﴿مِنْ كُلِّ شَيْعَةٍ﴾ فرقة تابعة للمضلين ﴿أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾ تمردا و عصيانا، حتى نعذبهم كما يستحقون.

٧٠ / ١٩

٧٠- ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ﴾ ممن سوانا ﴿بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا﴾ جهنم ﴿صَلِيًّا﴾ وقودا، فجماعة من أهل النار هم وقود و آخرون يتقدون بهم، مهما كان لكل دركات.

٧١ / ١٩

٧١- ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ﴾ أحد أيها المكلفون ﴿إِلَّا﴾ و هو ﴿وَارِدُهَا﴾ ورودا حتميا كأنه الآن، بل و الآن كلكم واردون في جحيم الدنيا البلاء ﴿كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا﴾ لا حول عنه.

٧٢ / ١٩

٧٢- ﴿ثُمَّ﴾ بعد أمة من الزمان ﴿نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ منها دون أن يمسهم عذاب، فإنما ورودها نعمة لهم و حظوة أن اتقوها يوم الدنيا، فيرون هناك عذابها دون أن يمسهم ﴿وَنَذِرُ الظَّالِمِينَ﴾ الذين طغوا و لم يتقوا ﴿فِيهَا جَثِيًّا﴾ ذللا لا حول لهم عنها.

٧٣ / ١٩

٧٣- ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾ حال كونها ﴿بَيِّنَاتٍ قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ شاكين مشككين في تساءل ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا﴾ في الدارين و نحن خير منكم هنا ﴿وَ أَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ ناديا ينادى أنصاره في تحقيق مبتغيات الحياة.

٧٤ / ١٩

٧٤- ﴿وَ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ﴾ أولاء الكفار ﴿مِنْ قَرْنٍ﴾ جماعة متقارنين في استحقاق الهلاك ﴿هُمْ أَحْسَنُ﴾ منهم ﴿أَنَّا﴾ للمعيشة ﴿وَرِيًّا﴾ منظرا.

٧٥ / ١٩

٧٥- ﴿قُلْ مَنْ كَانَ﴾ طول حياة التكليف، أم حين مات، غارقا ﴿فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا﴾ في ضلاله و على أثره جزاء وفاقا، و هو إمهال و إملال بما غرق فيه " إِنَّمَا نُمَلِّى لَهُمْ لِيَزِدَادُوا إِثْمًا وَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ " (٣: ١٧٨) ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ﴾ من موت و ما خلفه ف ﴿إِمَّا الْعَذَابَ﴾ برزخا بعد موتهم ﴿وَ إِمَّا السَّاعَةَ﴾ عند موتهم ﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾ إذا ﴿مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا﴾ بمكانته البئيسة ﴿وَ أَضْعَفُ جُنْدًا﴾ بل لا جند للكافرين يساعدونهم ذبا عنهم.

٧٦ / ١٩

٧٦- ذلك في حقل الضلالة مدّا في ضلالهم، ثم يعاكسه مدّ في هدى لأهلها ﴿وَ يَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ " وَ الَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَ آتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ " (٤٧: ١٧) ﴿وَ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ﴾ علما و عقيدة و عملا ﴿خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا﴾ عنده هنا حيث يثوب إلى أصحابها راجعا إليهم هنا ﴿وَ خَيْرٌ مَرَدًّا﴾ هناك في الأخرى ف " كُلًّا نُمِدُّ هُوَلاءِ وَ هُوَلاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ " (١٧: ٢٠).

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٣١١

٧٧ / ١٩

٧٧- ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا﴾ كلها ﴿وَ قَالَ لَأُوتِينَ مَالًا وَ وَلَدًا﴾ هنا أم و في الأخرى " وَ لَئِنْ رُدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا " (١٨: ٣٦).

٧٨ / ١٩

٧٨- ﴿أُفٍّ﴾ ! ﴿طَلَعَ الْغَيْبُ﴾ أنه سيؤتاها رغم كفره ﴿أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ أن يؤتته إياهما، و كلاهما غالطان فالتان.

٧٩ / ١٩

٧٩- ﴿كَلَّا﴾ ليس كما يقول أبدا ﴿سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ﴾ كتابة بعد قوله " إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ " (٤٥: ٢٩) ﴿وَ نُمِدُّ لَهُ﴾ هناك ﴿مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾ كما امتد هو في الضلالة.

٨٠ / ١٩

٨٠- ﴿وَنَرِيْهُ مَا يَقُوْلُ﴾ فـ "إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَ مَنْ عَلَیْهَا وَ إِنَّا بِرُجْعُوْنَ" (١٩: ٤٠) فلا واقع لقوله حتى يحمله معه إلینا ﴿وَ یَأْتِیْنَا فَرْدًا﴾ لیس معه شیء كما خلق أول مرة.

٨١ / ١٩

٨١- ﴿وَ اتَّخَذُوا﴾ هؤلاء المشركون ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ من خلقه و هم کلهم دونه ﴿الْهَةَ﴾ لم یكونوا آلهة و لا أن الله اتخذهم آلهة ﴿لِیَكُوْنُوْا﴾ بذلك الاتخاذ الوخاز ﴿لَهُمْ عِزًّا﴾ عند الله كشفعاء و یقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ما نعبدُهُمْ إِلَّا لَیَقْرَبُوْنَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى " أو لكثرتهم، أم لنفعهم مالیا كأصنام هی ثمينة أماهية.

٨٢ / ١٩

٨٢- ﴿كَلَّا﴾ لا عزّ لهم منهم، بل ﴿سَیَكْفُرُوْنَ﴾ هذه الآلهة المتخذة ﴿بِعِبَادَتِهِمْ﴾ إياهم كما "سیكفرون" هؤلاء المشركون أن عبدوهم، إذ فزیلنا بینهم و قال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون" (١٠: ٢٨) بل أنفسكم كنتم تعبدون ﴿وَ یَكُوْنُوْنَ عَلَیْهِمْ ضِدًّا﴾.

٨٣ / ١٩

٨٣- ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ یا رسول الهدی ﴿أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّیَاطِیْنَ﴾ جنا و إنسا ﴿عَلَى الْكَافِرِیْنَ﴾ المعاندين ﴿تَوَّزَّهُمْ أَزًّا﴾ تحريكا بشدة إلى الكفر " فلما زاعوا أزاع الله قلوبهم".

٨٤ / ١٩

٨٤- ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَیْهِمْ﴾ دعاء لإفناءهم ﴿إِنَّمَا نَعْدُ﴾ إملا لا و إمهالا ﴿لَهُمْ عَذَابٌ﴾ تهیئة لعذاب و لا یحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خیر لأنفسهم إنما نملي لهم لیزدادوا إثما و لهم عذاب مهين" (٣: ٧٨).

٨٥ / ١٩

٨٥- "إِنَّمَا نَعْدُ لَهُمْ عَذَابٌ" ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِیْنَ﴾ جمعا ﴿إِلَى الرَّحْمَنِ﴾ الخالق ﴿وَفْدًا﴾ ركبا یفدون إليه لکی یجازیهم بما اتقوا.

٨٦ / ١٩

٨٦- ﴿وَ نَسُوْقُ الْمُجْرِمِیْنَ﴾ الطاغين، كساقة راجلين ﴿إِلَى جَهَنَّمَ﴾ التي أعدت لهم ﴿وَرْدًا﴾ عطاء حائرين، و أين وفد من ورد!

٨٧ / ١٩

٨٧- ﴿لَا یَمْلِكُوْنَ الشَّفَاعَةَ﴾ المقبولة هؤلاء المجرمون، أن یشفعوا أو أن یشفع لهم ﴿إِلَّا﴾ استثناء منقطعا هو ﴿مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ للشفاعة شافعا أو مشفوعا له.

٨٨ / ١٩

٨٨- ﴿وَ قَالُوا﴾ بعض المشركين ﴿اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ تنبیا تشريفیا، و إنما هو للمحتاج أن یتخذ ولدا أزرا له عن غربة أو كربة!

٨٩ / ١٩

٨٩- ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ﴾ أنتم الأنكاد ﴿شِیْئًا إِدًّا﴾ منکرا فضیحا فظیعا.

٩٠ / ١٩

٩٠- ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ یَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾ " كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ یَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا" (١٨: ٥٠) ﴿وَ﴾ " تكاد " تنشق الأرض و تخر الجبال هداً هدماً، لو كان كلامهم صدقا: " لو كان فیهما آلهة إلا الله لفسدتا" و هو كذا یقتضى أن یهدم الله العالم كله لو لا الأجل الذى كتب الله لهم.

٩١ / ١٩

٩١- ﴿أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ كما هو سيرة المشركين ككل.

٩٢ / ١٩

٩٢- ﴿وَمَا يَنْبَغِي﴾ مستحيل ﴿لِلرَّحْمَنِ﴾ حيث يخلق ما يشاء فما هي الحاجة إلى اتخاذ ولد لو كانت حاجة ﴿أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ ما يصرح أن "ما يَنْبَغِي" ما ينبغي أن يحمل على المرجوحية^{١٩} و هي الكراهية المصطلحة.

٩٣ / ١٩

٩٣- ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ﴾ فضلا عن "ما" ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ تعبيرا عن كافة المخلوقين ﴿إِلَّا أَتَى الرَّحْمَنُ﴾ الخالق في كل إتيان هنا و في الأخرى ﴿عَبْدًا﴾ مهما ترك عبوديته، إذ بيده ناصية كل شيء.

٩٤ / ١٩

٩٤- ﴿لَقَدْ أَحْصَاهُمْ﴾ عن بكرتهم ﴿وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ عن آخرهم، فليس فيهم من اتخذه ابنا.

٩٥ / ١٩

٩٥- ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ﴾ لا محالة ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ لا شيء معه مما حصلوا عليه يوم الدنيا إلا التقوى.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٣١٢

٩٦ / ١٩

٩٦- ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالله ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ للإيمان بالله ﴿سَيَجْعَلُ﴾ على طول الخط و لا سيما في أيام الله: الرجعة و البرزخ و القيامة ﴿لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ بين أهل الود، لا يحجب عن ودّهم حاجب مهما كان هنا حجب.

٩٧ / ١٩

٩٧- ﴿فَإِنَّمَا﴾ حصرا ليس ما فوقه أو ما يساويه ﴿يَسْرِنَاهُ لِبَلَاغِكَ﴾ دون لغتك فحسب، و إنما بلسان الرسالة الختمية و هو أيسر لسان و أفصح و أبلغه ﴿لَتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ﴾ الذين يتقون إذا وقوا بالقرآن ﴿وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾.

٩٨ / ١٩

٩٨- ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ﴾ قرآن محمد و محمد القرآن في قرون خلت ﴿مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ﴾ أثرا حاضرا أو غابرا يحكى عنهم بخير و فلاح ﴿أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ صوتا، فلا صوت لهم و لا صيت في هذا البسيط.

سورة طه

١ / ٢٠

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ طه ﴿اسم وصفى من أسماء النبي (ص) لعله يعنى أيها الطاهر الهادى.

٢ / ٢٠

٢- إذ ﴿مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ﴾ طاهرا هاديا ﴿الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ شقوة و عناء في طلب الخير و أنت معدن الخير، و قد ورد أنه كان يقوم على رءوس أنامل رجليه في الصلاة حتى تورمت قدماه.

٣ / ٢٠

٣- ﴿إِلَّا﴾ أن تشقى ﴿تَذِكْرَةً لِمَنْ يَخْشَى﴾ لمكان "فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَ مَنْ تَابَ مَعَكَ" (١١: ١١٢) فالشقوة الأولى اصطناعا لنفسك غير مفروضة، فعليك إذا بالشقوة المفروضة.

٤ / ٢٠

^{١٩} . بل هي الحرمة.

٤- "القرآن" حالكونه ﴿تَنْزِيلًا﴾ بإنزال تدريجي ﴿مِمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ﴾ ككل، و هي هذه و سائر الأرضين السبع ﴿وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى﴾ بعضها علو بعض و الكل علو الأرض.

٥ / ٢٠

٥- ﴿الرَّحْمَنُ﴾ الخالق للكون كله ﴿عَلَى الْعَرْشِ﴾ قيومية: علما و تدبيرا ﴿أَسْتَوَى﴾ مستوليا، بعد خلقهما "أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ" (٥٤: ٧) استيلاء على الخلق.

٦ / ٢٠

٦- إذ ﴿لَهُ﴾ لا سواه ﴿مَا فِي السَّمَاوَاتِ﴾ معها أنفسها ﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ مع نفسها و ما بينهما ﴿وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ الترابات الندية للأرض، داخلها فما تحتها المعادن بأسرها، و خارجها و هو الواجهة الأرضية الأخرى، إشارة لطيفة إلى كروية الأرض، فله كل ذلك و هو مستو على تدبيرها.

٧ / ٢٠

٧- و من استواءه على عرش العلم ﴿وَإِنْ تَجَهَّرْ بِالْقَوْلِ﴾ لكى يسمعه ﴿فَإِنَّهُ يَعْلَمُ﴾ بعد الجهر ﴿السِّرِّ﴾ الخفى، بل ﴿وَأَخْفَى﴾ منه و منه المستقبل من نية تحصل و ما هي؟ مثلث من العلم ليس لسواه.

٨ / ٢٠

٨- ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ﴾ لا لسواه ﴿الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ لا تساوى أو تساوى، فإن مسمياتها هي ذاته و صفاته و أفعاله، و "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ" (٤٢: ١٢) فيها كلها" و لِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَ ذُرُوا الَّذِينَ يَلْحَدُونَ فِي أَسْمَائِهِ" (٧: ١٨).

٩ / ٢٠

٩- ﴿وَهَلْ أَتَاكَ﴾ يا طه ﴿حَدِيثُ مُوسَى﴾ الذى حدث معه فى رسالته على طولها.

١٠ / ٢٠

١٠- ﴿إِذْ رَأَى نَارًا﴾ فى رجوعه عن مدين إلى محط رسالته ﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا﴾ هنا، ثم لا خبر عنهم بعد ذلك الحديث الرسالى ﴿إِنِّى آنَسْتُ نَارًا﴾ من بعيد و الجو بارد ﴿لَعَلِّى أَتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ﴾ منها تستوقدون به "أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ" (٢٨: ٢٩) ﴿أَوْ﴾ إن لم آتكم منها بقبس و علها ليست بنار ﴿أَجِدُ عَلَى﴾ ضوء ﴿النَّارِ هُدًى﴾ إذ ضللنا فى هذه الليلة الظلماء، أو أنه تفرس منها هدى رسالية بعد سنينه العشر إذ كان يرتقبها، فقد رأى نارا و هي فى الحق نور كان ينتظرها.

١١ / ٢٠

١١- ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ﴾ من هذه النار النور ﴿يَا مُوسَى﴾ بداية للوحى على موسى "نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّى أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ" (٢٨: ٣٠).

١٢ / ٢٠

١٢- ﴿إِنِّى أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٣١٣

١٣ / ٢٠

١٣- ﴿وَ أَنَا﴾ ربك ﴿اخْتَرْتُكَ﴾ على العالمين "وَ اصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي" (٢٠: ٤١) و "اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَ بِكَلَامِي" (٧: ١٤٤) ﴿فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾ إليك.

١٤ / ٢٠

١٤- ﴿إِنِّى أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِى﴾ أنا لا سواى ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ وهى قمة العبودية صورة و سيرة ﴿لَذِكْرِى﴾ إياك و ذكرك إياى "فَاذْكُرُونِى أَذْكُرْكُمْ" (٢: ١٥٢).

١٥ / ٢٠

١٥- هذه هى الوحدة معبودا و عبودية، ثم ﴿إِنَّ السَّاعَةَ﴾ القيامة ﴿آتِيَةٌ﴾ لا محالة، لحدّ ﴿أَكَادُ أَخْفِيهَا﴾ عن نفسى و لن أخفيها إلا عمن سواى "آتية" ﴿لَتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ﴾ مكلفة ﴿بِمَا تَسْعَى﴾ دون ما لا تسعى أو تسعاه غيرها.

١٦ / ٢٠

١٦- ﴿فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا﴾ هذه المعارف ﴿مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ فكن سديدا صديدا و إلا ﴿فَتَرْدَى﴾ سقوطا من علو الإيمان إلى سفلى الكفر، مما يدل على واجب الحفاظ على الحق أمام أهل الباطل، لا فقط إحقاقه لنفسك.

١٧ / ٢٠

١٧- ﴿وَمَا تِلْكَ﴾ التى عندك ﴿بِیْمِينِكَ يَا مُوسَى﴾ سؤالا عن ماهيتها ليعرفها ماهية أولا و يعترف بها عصى ثانيا.

١٨ / ٢٠

١٨- ﴿قَالَ هِيَ عَصَاى﴾ بيانا للماهية الحاضرة المعلومة لديه، ثم مزيدا عليها مثلث ﴿أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا﴾ اتكاء فى قيامى و مشيتى ﴿وَأَهْشُ﴾ هذا ﴿بِهَا عَلَى غَنَمِى﴾ من أشجار تأكلها ﴿وَلِى فِيهَا مَارَبٌ﴾ حاجات ﴿أُخْرَى﴾ دفاعا عن نفسى، و إنما طول الجواب شغفا لحضور الرب، و فيه قمة الحب له.

١٩ / ٢٠

١٩- ﴿قَالَ﴾ الله ﴿أَلْقِهَا يَا مُوسَى﴾ إلقاء إلغاء عن نفسك.

٢٠ / ٢٠

٢٠- ﴿فَأَلْقَاهَا﴾ كما أمر ﴿فَإِذَا﴾ مباغتة ﴿هِيَ﴾ العصا ﴿حَيَّةٌ تَسْعَى﴾ خارقة ربانية أولى لموسى و من ثم أمام فرعون - داعية أمام داهية- "تُعْبَانُ مُبِينٌ" (٣٦: ٣٢).

٢١ / ٢٠

٢١- ﴿قَالَ﴾ الله ﴿خُذْهَا﴾ يا موسى، إليك كما ألقىتها ﴿وَلَا تَخَفْ﴾ إذ خاف "وَلِى مُدْبِرًا وَ لَمْ يَعْقِبْ .. لَا تَخَفْ .." (٢٨: ٣١) مما يدل على أنه خارقة ربانية ليست من موسى (ع) ﴿سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾ لا فقط صورتها الأولى، إذ قد تبقى بسيرتها الثانية على صورتها الأولى.

٢٢ / ٢٠

٢٢- ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ﴾ علها اليمنى ﴿إِلَى جَنَاحِكَ﴾ كتفك و إبطك ﴿تَخْرُجُ بَيَضاءَ﴾ و قد كانت سمراء ﴿مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ دون برص ﴿آيَةً أُخْرَى﴾ من آيات الله.

٢٣ / ٢٠

٢٣- "أَلْقِهَا" وَ اضْمُمْ" و .. ﴿لِنُرِيكَ﴾ أنت أولا قبل المقابلة الفرعونية ﴿مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى﴾ أمام المعاندة الفرعونية الكبرى.

٢٤ / ٢٠

٢٤- ثم ﴿أَذْهَبْ﴾ بآيات كبرى ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ على الله و عبادته، ذهابا يذهب طغيانه: "أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى". فقولاً له قولاً لينا (٢٠: ٤٤).

٢٥ / ٢٠

٢٥- ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ شرحاً لتبليغ هذه الرسالة بعد شرح الوحي، حتى لا يضيق بما يواجهني من شقوة.

٢٦ / ٢٠

٢٦- ﴿وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي﴾ الذي أمرتني به من الذهاب إلى فرعون.

٢٧ / ٢٠

٢٧- ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي﴾ حصلت عليه إذ "وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي" حيث "قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ" (٢٦: ١٤).

٢٨ / ٢٠

٢٨- فكيف يفقهون - إذا - قولي؟ فاحلل لـ ﴿يَفْقَهُوا﴾ ويتدبروا ﴿قَوْلِي﴾ فإن ملاحظتهم إياي تمنعهم عن أن يفقهوا قولي.

٢٩ / ٢٠

٢٩- ﴿وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا﴾ يزرعني و يوازرني ﴿مِنْ أَهْلِي﴾ الأهلين لوزارتي.

٣٠ / ٢٠

٣٠- و هو ﴿هَارُونَ أَخِي﴾ حيث يؤاخي في وزارتي، مما يدل على أن وزير الرسول لا بد أن يكون بجعل من قبل الله.

٣١ / ٢٠

٣١- ﴿أَشَدُّ بِهِ أَزْرِي﴾ "رَدُّءًا يَصْدَفُنِي" (٢٨: ٣٤) فالأزر هنا هو ظهر الرسالة حيث تحتاج إلى ظهر خارجي إضافة إلى نفسي قضية صعوبتها أمام فرعون الطاغية.

٣٢ / ٢٠

٣٢- ﴿وَاشْرِكُهُ فِي أَمْرِي﴾ الرسولي و هنا يظهر حديث المنزلة المتواترة، مؤيدا بآية الوزارة، دلالة على وزارة على (ع) للرسول (ص) طول حياته، إلا في النبوة، فضلا عن خلافته بعد ارتحاله إلى رحمة ربه.

٣٣ / ٢٠

٣٣- ﴿كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا﴾.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٣١٤

٣٤ / ٢٠

٣٤- ﴿وَنَذْكُرَكَ﴾ قالوا و حالا و فعلا ﴿كَثِيرًا﴾.

٣٥ / ٢٠

٣٥- ﴿إِنَّكَ كُنْتَ مِنْذُ الْأَوَّلِ﴾ بنا ﴿جميعا﴾ بصيرا ﴿بَصِيرًا﴾.

٣٦ / ٢٠

٣٦- ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ﴾ حاجتك الرسولي ﴿يَا مُوسَى﴾ و منه حل عقدة من لسانه، فلم يكن في رسالته ذا عقدة في لسانه خلاف ما يروى.

٣٧ / ٢٠

٣٧- ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى﴾.

٣٨ / ٢٠

٣٨- ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَهُمَا لَا وَحْيَا رَسُولِي﴾ ﴿إِلَى أُمِّكَ مَا يَوْحَى﴾ إِلَيْكَ يَا مُحَمَّد هُنَا، فَالْوَحْيُ دَرَجَاتُ ثَلَاثَتِهَا الْإِلَهَامُ إِلَى مَنْ ارْتَضَاهُ اللَّهُ، فَبَعْدَهَا وَحْيُ الرِّسَالَةِ وَ قَبْلُهَا الْوَحْيُ لِلْأَرْضِ وَ إِلَى النُّحْلِ، وَ هُنَا وَحْيٌ إِلَى أُمِّ مُوسَى وَ إِلَى الْيَمِّ حِفَاظًا عَلَيْهِ:

٣٩ / ٢٠

٣٩- ﴿أَنْ أَفْذِيهِ فِي التَّابُوتِ﴾ الْمَعْلُومُ ﴿فَافْذِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيَلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ﴾ بُوْحَيْنَا لَهُ يَارَادَةُ تَكْوِينِيَّةٌ كَمَا لِلْأَرْضِ كُلِّهَا "بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا" وَ بِالنَّاتِجَةِ ﴿بِأَخْذِهِ﴾ وَحْيَا آخِرَ ﴿عَدُوٍّ لِي﴾ حَيْثُ يَدْعَى هُوَ الرُّبُوبِيَّةَ دُونِي ﴿وَعَدُوٌّ لَهُ﴾ إِذْ أَخْبَرَ بِوِلَادَتِهِ، فَأَمَرَ بِذَبْحِ الْوَلَدِ الْإِسْرَائِيلِيِّينَ ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ﴾ لِمَنْ يَرَاكَ حَتَّى عَدُوكَ ﴿مَحَبَّةً مِنِّي وَ لِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ وَ رِعَايَتِي وَ رِقَابَتِي الْخَاصَّةَ.

٤٠ / ٢٠

٤٠- وَ مِنْ مَنْنِهِ تَعَالَى عَلَيْكَ ﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ﴾ إِلَى آلِ فِرْعَوْنَ بَعْدَ مَا اتَّقَطَوْهُ مِنَ الْيَمِّ ﴿فَتَقُولُ﴾ لَهُمْ إِذَا احْتَارُوا فِي رِضَاعِهِ حَيْثُ لَمْ يَكُنْ لِيَقْبَلَ مَرْضَعَةً ﴿هَلْ أَذْلَكُكُمْ عَلَى مَنْ يَكْفُلُهُ﴾ إِرْضَاعًا فِإِرْضَاءِ إِيَّاهُ، فَانْدَلُّوا بِدَلَالَتِهَا، ﴿فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ﴾ بِكَ ﴿وَعَيْنُهَا وَ لَا تَحْزَنَ﴾ كَمَا "وَ حَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ" (٢٨: ٣١) ﴿وَ قَتَلْتَ نَفْسًا﴾ دُونَ تَقْصِدٍ مَهْمَا كَانَ الْقَبْطَى الْمُحَارَبُ مُسْتَحَقًّا لِلْقَتْلِ ﴿فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ﴾ مَلَاحِقَةِ إِيَّاكَ ﴿وَ فَتَنَّاكَ﴾ إِبْتِلَاءً ﴿فَتُونًا﴾ عُدَّةً، مِنْهَا فِرَارُكَ عَنْ فِرْعَوْنَ وَ مِثْلُهُ "فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ" (٢٨: ٢١) ﴿فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ مُؤْجِرًا نَفْسَكَ وَ نِكَاحًا بِدِيلِهِ ﴿ثُمَّ جِئْتَ﴾ جِيئَةَ الرِّسَالَةِ إِلَى فِرْعَوْنَ وَ مِثْلِهِ ﴿عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى﴾ وَ هُوَ قَدَرُ الْبَلَاغِ الصَّالِحِ الرِّسَالِي بِمَا فَتَنَّاكَ.

٤١ / ٢٠

٤١- ﴿وَ اصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾ صِنَاعَةُ رِسُولِيَّةٍ مِنِّي.

٤٢ / ٢٠

٤٢- فَبِالْفِعْلِ ﴿أَذْهَبُ أَنْتَ وَ أَخُوكَ﴾ "إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى" ﴿بِآيَاتِي﴾ الْكِبْرَى وَ قَدْ أَرَيْنَاكَ نَمَازِجَ مِنْهَا ﴿وَ لَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾ تَسَامَحًا فِي الذِّكْرِ فِي نَفْسِكَ وَ لَغَيْرِكَ.

٤٣ / ٢٠

٤٣- ﴿أَذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ أَمْرًا ثَانِيًا بِذَلِكَ الذَّهَابِ.

٤٤ / ٢٠

٤٤- ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا﴾ مَهْمَا كَانَ هُوَ خَشِنًا، حَيْثُ الْقَوْلُ اللَّيِّنُ يَجِدُ مَوْضِعَهُ أَيْ كَانَ ﴿لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ﴾ بِقَوْلِكُمَا اللَّيِّنَ ﴿أَوْ﴾ إِنْ لَمْ يَتَذَكَّرْ، أَنْ ﴿يَخْشَى﴾ الْمُتَخَلِّفَ عَنْ رِسَالَتِكَ.

٤٥ / ٢٠

٤٥- ﴿قَالَا﴾ كِلَاهُمَا ﴿رَبَّنَا﴾ الَّذِي رَبَّيْتَنَا رُسُولِينَ ﴿إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا﴾ فِرْطًا وَ تَجَاوَزَا عَلَى الدَّعْوَةِ، تَعْجِيلًا فِي الْعُقُوبَةِ ﴿أَوْ أَنْ يُطْغَى﴾ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ مِمَّا مَضَى، وَ يُطْغَى عَلَيْنَا.

٤٦ / ٢٠

٤٦- ﴿قَالَ لَا تَخَافَا﴾ "إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ" (٢٧: ١٠) ﴿إِنِّي مَعَكُمَا﴾ رَقِيبًا عَلَيْكُمَا "سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَ نَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا" (٢٨: ٣٥) ﴿أَسْمَعُ﴾ الْمَقَالَ ﴿وَ أَرَى﴾ الْحَالَ، فَأَدْبَرَ مَمْشَى الدَّعْوَةِ، دُونَ تَغَافُلٍ أَبَدًا وَ لَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ" (٣٧: ١٧).

٤٧ / ٢٠

٤٧- ﴿فَاتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ لا فقط ربنا كما تزعم أن لكل ربا: ربك و ربنا و أقلّ ما نطلبه منك سلب الظلم عن بنى إسرائيل ﴿فَارْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ﴾ بالإبقاء عليهم مستضعفين عندك، و إن ترد منا آية لرسالتنا ف﴿قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ﴾ رسالية ﴿مِنْ رَبِّكَ وَ﴾ من ثم لا ريب أن ﴿السَّلَامُ﴾ فى الحياة كلها ﴿عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى﴾ من رب العالمين.

٤٨ / ٢٠

٤٨- إذ ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا﴾ من ربك ﴿أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ﴾ رسالة الله ﴿وَ تَوَلَّى﴾ عنها، و هذا من ألين اللين.

٤٩ / ٢٠

٤٩- ﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى﴾

٥٠ / ٢٠

٥٠- ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ ها إلى ما هدى.

٥١ / ٢٠

٥١- ﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى﴾ غابرين إذ كانوا مشركين.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٣١٥

٥٢ / ٢٠

٥٢- ﴿قَالَ عَلِمُهَا﴾ ككل و فوق أخبار الرسالة ﴿عِنْدَ رَبِّي﴾ فما على ألا أعلمها، و ليست الأكثرية حجة على حقها ﴿فِي كِتَابٍ﴾ ربانى ف ﴿لَا يَضِلُّ رَبِّي﴾ عما خلق و هدى، ثم يحاسبه ﴿وَلَا يَنْسَى﴾ هما، حتى تضل القرون الأولى عن ربوبيته.

٥٣ / ٢٠

٥٣- الرب الوحيد، هو ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ﴾ ككل سكنة الأرض ﴿الْأَرْضَ مَهْدًا﴾ تتمهدون عليها رغم حركاتها فى فضاءها ﴿وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ مختلفة للحياة الصالحة عليها ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ " بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ " (٢٣: ١٨) ﴿فَأَخْرَجْنَا بِجَمْعِهَا الصِّفَاتِ الرَّبَّانِيَةِ لِلَّهِ﴾ به أزواجاً ﴿مُنَاسِبَةً مُنَاسِقَةً﴾ من نبات ينبت عليها أيا كان ﴿شَتَّى﴾ مختلفة.

٥٤ / ٢٠

٥٤- ﴿كُلُّوا﴾ منها ﴿وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ﴾ فيها ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ الإنعام بالنبات و الأنعام ﴿لآيَاتٍ﴾ بينات ﴿لِلأُولَى النَّهْيِ﴾ و هى العقول الناضجة.

٥٥ / ٢٠

٥٥- ﴿مِنْهَا﴾ الأرض ﴿خَلَقْنَاكُمْ﴾ أولا و باستمرار مهما اختلف نوعيا ﴿وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ﴾ الأرض التى خلقتكم منها ﴿وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾ بعد الأولى.

٥٦ / ٢٠

٥٦- ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ﴾ فرعون ﴿آيَاتِنَا﴾ الكبرى البصرية ﴿كُلُّهَا﴾ دون إبقاء، و كما يرى آياته فى كافة الرسالات دون إبقاء ﴿فَكَذَّبَ﴾ بها ﴿وَأَبَى﴾ عنها، أن يؤمن بالله.

٥٧ / ٢٠

٥٧- ﴿قَالَ﴾ فرعون بدلا عن الإجابة عن هذه الآيات أو الإيمان بها ﴿أَجِئْتَنَا﴾ يا موسى ﴿لِنُخْرِجَنا مِنْ أَرْضِنَا﴾ قضاء على سلطتنا ﴿بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى﴾ " يَرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ " (٧: ١١٠).

٥٨ / ٢٠

٥٨- ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ﴾ في كونهما سحرا، بغلب لسحرنا على سحرك "لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحْرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ" (٢٦: ٤٠) أو لأقل تقدير ألا تغالب حيث الآية الربانية تتغلب على السحر ﴿فَأَجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾ لتلك المباراة والمغالبة، حيث ﴿لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا﴾ تخلفه ﴿أَنْتَ مَكَانًا سُوًى﴾ وسطا بين الطرفين، و سويا دون ارتفاع و لا انخفاض حتى يتبين للكل.

٥٩ / ٢٠

٥٩- ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ﴾ العيد الشعبى العام ﴿وَأَنْ يَحْشَرَ﴾ يجمع فيه ﴿النَّاسُ ضُحًى﴾ ليكون الوقت ضاحيا كافيا لتلك المباراة، و هو بين الظهر و المساء.

٦٠ / ٢٠

٦٠- ﴿فَقَوْلَىٰ فِرْعَوْنُ﴾ إعراضا عن موسى إلى ذلك الحشر ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُ﴾ بين مجامع الساحرين و سائر الناس ﴿ثُمَّ أَتَى﴾ إلى نفس الموقف الجمعى، فى مباريات جامعة.

٦١ / ٢٠

٦١- ﴿قَالَ لَهُمْ﴾ السحرة ﴿مُوسَىٰ وَيَلَكُمْ﴾ واهأ و آها ﴿لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ إشراكا به و جعل الآية الربانية سحرا و رسولها ساحرا ﴿فَيَسْحَتِكُمْ﴾ يستأصلكم ﴿بِعَذَابٍ﴾ هنا كما أغرقهم ﴿وَقَدْ خَابَ﴾ و خسر ﴿مَنْ افْتَرَى﴾ على الله كذبا، و هذه هى من قوة الداعية على الطاغية.

٦٢ / ٢٠

٦٢- ﴿فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ﴾ فى تلك المباراة ﴿بَيْنَهُمْ﴾ أنفسهم، سرا ﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى﴾ حتى لا تسرى إلى فرعون و موسى.

٦٣ / ٢٠

٦٣- و بالنتيجة، و لما يعرفوا حق الآية ﴿قَالُوا﴾ عجالة ﴿إِنْ هَٰذَا﴾ موسى و هارون ﴿لَسَاحِرَانِ﴾ كما نحن ﴿يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكَ مِنْ أَرْضِكَ﴾ و عرضكم و حيويتمكم الفرعونية سياسة زمنية ﴿بِسِحْرِهِمَا وَ يَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى﴾ روحيا و زمنيا، إذ أنت يا فرعون رب و سلطان.

٦٤ / ٢٠

٦٤- ﴿فَأَجْمِعُوا﴾ فإن فيه جماع القوة الساحرة الساخرة ﴿كَيْدَكُمْ﴾ الذى تكيدونه بسحركم ﴿ثُمَّ اتُّوْا صَفًّا﴾ واحدا متراسا أمام هذين الساحرين ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ﴾ فى المباراة ﴿مَنْ اسْتَعْلَى﴾ فيها على مناؤه.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٣١٦

٦٥ / ٢٠

٦٥- ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ﴾ أنت عصاك قبلنا ﴿وَأِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى﴾ بيننا كيدا فى ذلك التخيير.

٦٦ / ٢٠

٦٦- ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا﴾ أنتم ما تلقون، فتلغوا ما ألقى، فالقوا من فورهم ﴿فَإِذَا جِبَالُهُمْ﴾ جمع الحبل ﴿وَعَصِيَّهُمْ﴾ جمع العصى ﴿يَخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ﴾ إذ لا يسيطر إلا على خيال ﴿أَنَّهُ تَسْعَى﴾ و ليست فى الحق لتسعى.

٦٧ / ٢٠

٦٧- ﴿فَأَوْجَسَ﴾ كصوت خفى ﴿فِي نَفْسِهِ﴾ دون إظهار ﴿خِيفَةً﴾ قليلة ليست بالتى تأخذ زمام عقله ﴿مُوسَى﴾ بالرغم مما سبق له من قلب عصاه حية تسعى و ثعبانا مبينا.

٦٨ / ٢٠

٦٨- ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ﴾ لا هم ﴿الْأَعْلَى﴾ مطلقا، لأن بيدك الآية العظمى، كما و قد سبق أنه خاف من آيته.

٦٩ / ٢٠

٦٩- ﴿وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ﴾ مرة ثالثة ﴿تَلْقَفُ مَا صَنَعُوا﴾ بلعا لا رجوع له ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا﴾ هو ﴿كَيْدُ سَاحِرٍ﴾ مهما كانوا كثيرا ﴿وَلَا يَفْلِحُ السَّاحِرُ﴾ على آية ربانية ﴿حَيْثُ أَتَى﴾ مهما كان بكيد جمعى هام، و هنا نعرف أن آية "القرآن" غالب على كل سحر دونما استثناء.

٧٠ / ٢٠

٧٠- ﴿فَأَلْقَى﴾ دون أن يلقوا هم أنفسهم ﴿السَّحَرَةَ﴾ كلهم ﴿سُجَّدًا﴾ لله و ﴿قَالُوا﴾ بكل قوة أمام الحشر الحاشد ﴿أَمَّا﴾ نحن جمعا ﴿بِرَبِّ هَارُونَ وَ مُوسَى﴾ و هو رب العالمين.

٧١ / ٢٠

٧١- فى حينه ﴿قَالَ﴾ فرعون لهم ﴿أَمَنْتُمْ لَهُ﴾ يالهيه ﴿قَبْلَ أَنْ أَدْنَى لَكُمْ﴾ تخيلا أن الإيمان بحاجة إلى إذن ﴿إِنَّهُ﴾ دون ريب ﴿لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السَّحَرَ﴾ خفية عنى، و لذلك غلب سحره على سحرهم، ثم أخذ يهددهم ﴿فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ﴾ كأشد العذاب قبل القتل، ثم ﴿وَلَأَصْلَبَنَكُمْ﴾ بعد ذلك التقطيع ﴿فِي جُدُوعِ النَّخْلِ﴾ لا عليها حتى تنجوا ببعضها، بل تكون كلها صلبانا لكم، ثم ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُنَا أَشَدُّ عَذَابًا﴾ أنتم حيث عذبتهمونى فى هذه المباراة، أم أنا حيث أفعل ما أفعل ﴿وَأَبْقَى﴾ بعد العذاب.

٧٢ / ٢٠

٧٢- ﴿قَالُوا﴾ بعد ذلك التهديد الشديد ﴿لَنْ﴾ مستحيلا ﴿نُؤْثِرَكَ﴾ تقديم ﴿عَلَى مَا جَاءَنَا مِنْ﴾ الآيات ﴿الْبَيِّنَاتِ﴾ قسما: ﴿وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾ خلقا لنا بفطرة التوحيد ﴿فَاقْصِصْ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾ علينا ف ﴿إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ قضاء حاسرا عن الأخرى.

و هى أخرى و أبقى.

٧٣ / ٢٠

٧٣- ﴿إِنَّا﴾ متأكدين ﴿أَمَّا رَبَّنَا﴾ الذى فطرنا ﴿لِيُغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا﴾ من فرعنة الحياة و ملعنتها ﴿وَلَا يَغْفِرَ لَنَا﴾ ما أكرهتنا عليه من السحر ﴿إِذْ كُنَّا نَعْرِفُ أَنَّهُ بَاطِلٌ مَعْرِفَةٌ مَا بِحَقِّ ثَعْبَانَ الْعَصَى﴾ ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ﴾ منك و أنت الشر كله ﴿وَأَبْقَى﴾ منك إذ تفنى بل أنت فان الآن.

٧٤ / ٢٠

٧٤- ﴿إِنَّهُ مِنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا﴾ قطعاً لثمرات الحياة قبل إيناعها، عصيانا لله ﴿فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ﴾ فى الأخرى ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ تخلفا عما يستحق من العذاب ﴿وَلَا يَحْيَى﴾ مستفيدا منها، مهما يموت مع موت النار، و قد تشير "فيها" أنهم احياء ما دامت النار، و موتهم معا أو بعد النار ليس موتا فيها، و على الجملة لعذابهم نهاية كما كان لإجرامهم.

٧٥ / ٢٠

٧٥- ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا﴾ فى الأخرى و ﴿قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ﴾ كلها ﴿فَأُولَئِكَ﴾ الأكارم ﴿لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾ ثم من بينهما هم عوان بينهما.

٧٦ / ٢٠

٧٦- وهى ﴿جَنَاتُ عَدْنٍ﴾ روحيا و جسميا، باقية" عطاءً غيرَ مَجْدُودٍ" فإنها من فضل الله الذى لا نهاية له ﴿تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا﴾ تحت شجراتها الملتفة المتلفة ﴿الْأَنْهَارُ﴾ ماء و لبنا و عسلا مصفى خالدين فيها ﴿وَذَلِكَ﴾ العظيم هو ﴿جَزَاءٌ مَنْ تَزَكَّى﴾ فى الحياة الدنيا" عطاءً حساباً" و "مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا" و لدينا مزيدٌ.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٣١٧

٧٧ / ٢٠

٧٧- ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى﴾ بعد هذه التهديدات الفرعونية ﴿أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي﴾ ليلا، و هم السحرة المؤمنون إن لم يصلبوا كما هددهم فرعون، و الإسرائيليون ﴿فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً﴾ دون ماء و لا رطوبة" أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ" (٢٦: ٦٣) بحيث ﴿لَا تَخَافُ دَرْكاً﴾ أَنْ يَدْرِكَكُمْ فرعون ﴿وَلَا تَخْشَى﴾ إتباعه.

٧٨ / ٢٠

٧٨- ﴿فَاتَّبَعَهُمْ﴾ ملاحقة سريعة ﴿فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ﴾ و ما لحقهم، بل ﴿فَغَشِيَهُمْ مِنْ﴾ ذلك ﴿الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ غرقا شاملا.

٧٩ / ٢٠

٧٩- ﴿وَأَصْلَ فِرْعَوْنَ﴾ و من على هامشه و بلاطه ﴿قَوْمَهُ﴾ المسيطر هو عليهم ﴿وَمَا هَدَى﴾ نفسه و لا إياهم، رغم ما تقول: "وَمَا أَهْدِيَكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ" (٢٨: ٤٠).

٨٠ / ٢٠

٨٠- ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ و هو يعقوب النبی ﴿قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ﴾ فرعون ﴿وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾ لتلقى الوحي لموسى (ع) ﴿وَوَزَّلْنَا﴾ فى التيه ﴿عَلَيْكُمْ الْمَنَّ﴾ ما يمن به من شراب و طعام ﴿وَوَسَّلَا﴾ ما تتسلون به أمانا من كل بلوى.

٨١ / ٢٠

٨١- ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ دون الخبثات و هى ما تستقذرها الطباع إنسانيا ﴿وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ﴾ فى الله عبودية توحيدية، و لا فيما رزقناكم إسرافا أو تبذيرا أو أكلا للخبثات، و ككل المحرمات ﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي﴾ نحو الطغيان و قدره ﴿وَمَنْ يَحِلِّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى﴾ كما غوى، سقوطا إلى النار فى دار القرار، بعد خروجه عن دار الفرار.

٨٢ / ٢٠

٨٢- ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ﴾ إلى عما عصى بشروطها ك ﴿وَأَمِنْ﴾ بعد كفره أو كفرانه ﴿وَعَمِلَ صَالِحاً﴾ يصلح للإيمان بالله ﴿ثُمَّ اهْتَدَى﴾ بعد هذه الثلاث إلى الحق المرام.

٨٣ / ٢٠

٨٣- ﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ﴾ الموعدين معك لميعاد الطور ﴿يَا مُوسَى﴾ حيث انفردت فى مجيئك إلى الميعاد الجمعى.

٨٤ / ٢٠

٨٤- ﴿قَالَ هُمْ أَوْلَاءِ﴾ الموعودون معي ﴿عَلَى أَثَرِي﴾ إذ يأتون بعدى، أو أثر تربيتي فقد يأتوننى ﴿وَوَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبَّ﴾ لمناجاتك و تلقى الوحي عنك ﴿لَتَرْضَى﴾ عنى حيث العجلة إلى الحبيب حبيب، و لأننى أنا أصل فى الميعاد دونهم أَوْلَاءِ.

٨٥ / ٢٠

٨٥- ﴿قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا﴾ إبتلاء صعبا ﴿قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ﴾ رغم كونهم على أترك ﴿وَأَصْلَهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ لاحقا على ضلالهم السابق إذ ﴿أَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ كما قالوا بعد نجاتهم من فرعون "يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة" و "كذلك نبؤلهم بما كانوا يفسقون" (١٦٣: ٧).

٨٦ / ٢٠

٨٦- ﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ﴾ من فوره بعد تكملة الأربعين ﴿غَضَبَانَ﴾ مما حصل ﴿أَسِفًا﴾ عما حصل إذ أعجل ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا﴾ فى مواعده لآنزال ألواح التوراة ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ﴾ الذى عاهده الله إياكم أن يرجع موسى بعد ثلاثين، و لم تكن حصرا فيها، بل هو إبتلاء، و كذلك عهد مقامى فيكم و هارون أخى كان وزيرى بينكم ﴿أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ بذلك الانحراف الانجراف ﴿فَأَخْلَقْتُمْ مَوَعدِي﴾ أن تأتوا على أثرى، و أن تظلوا موحدين: ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ (١٦: ٥٧).

٨٧ / ٢٠

٨٧- ﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ﴾ أيا كان ﴿بِمَلَكِنَا﴾ مصدر الملك، فقد خرج الأمر عن طاقتنا ﴿وَلَكِنَّا حُمَلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ﴾ الإسرائيليين الضالين، أن حملوها إلينا لتحقيق المكيدة السامرية ﴿فَقَذَفْنَاهَا﴾ فى النار ﴿فَكَذَلِكَ﴾ الذى حصل ﴿أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾ ذلك الإلقاء الإبتلاء إلينا، كما و ألقى فينا زينة كان للقوم.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٣١٨

٨٨ / ٢٠

٨٨- ﴿فَأَخْرَجَ﴾ من هذه المكيدة ﴿لَهُمْ﴾ أولاء الأغفال بذلك الإغفال ﴿عِجْلًا﴾ كجسمه، إذ كان ﴿جَسَدًا﴾ دون روح، و لكن ﴿لَهُ خُورًا﴾ صوت عجل فى مهب الريح من فمه إلى دبره ﴿فَقَالُوا﴾ رءوس الضلالة المحملين تلكم الأوزار، لبقية بنى إسرائيل: ﴿هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى﴾ دون الإله الذى يدعوكم إليه موسى ﴿فَنَسِيَ﴾ السامرى متناسيا آيات رب العالمين، ناسيا دعوات موسى الرسول، و وعيد الله للمشركين.

٨٩ / ٢٠

٨٩- ألا يرون بعد أمة من الزمن أن "لا إله إلا الله" ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ﴾ إلى ذلك العجل الجسد ﴿أَلَا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ منهم ليفهم فيجيب، و لا قولاً منه لعابديه ﴿وَلَا يَمْلِكُ﴾ على أية حال ﴿لَهُمْ ضُرًّا وَ لَا نَفْعًا﴾ يجره إليهم و لا نفعاً يجره إليهم منه إليهم حتى يخافوه، أو يدفعه عنهم حتى يهابوه.

٩٠ / ٢٠

٩٠- ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ﴾ أولاء الضالين ﴿هَارُونَ مِنْ قَبْلُ﴾ إذ خلفه موسى ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ﴾ السامرى و عجله الجسد، سلبا لعبادته، ثم إيجابا للتوحيد ﴿وَإِنْ رَبُّكُمُ الرَّحْمَنُ﴾ الذى خلق العالمين و منهم السامرى و عجله ﴿فَاتَّبِعُونِي وَ أَطِيعُوا أَمْرِي﴾ فى تركهما.

٩١ / ٢٠

٩١- ﴿قَالُوا لَنْ﴾ يستحيل إلا أن ﴿نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ﴾ دون حول عنه و لا حول ﴿حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾ و الرسالة نفس الرسالة مهما كانت خلافة عن الأصيلة.

٩٢ / ٢٠

٩٢- ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿يَا هَارُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا﴾ بعجل السامرى.

٩٣ / ٢٠

٩٣- ﴿أَلَا تَتَّبِعَنِ﴾ فلم تتبعني لحوقا بى لما لم تؤثر دعوتك فيهم ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ بمتابعتى إلى الطور الميعاد مع هؤلاء الأنكاد حتى لا يستمروا فى الضلالة.

٩٤ / ٢٠

٩٤- ﴿قَالَ يَا بَنِ أُمَّ﴾ لعله استرحاما من ناحية الأم، أو كان أخاه من ناحية الأم ﴿لَا تَأْخُذْ يِلْحِيَّتِي﴾ و لا برأسى ﴿أمام بنى إسرائيل﴾ و ألقى الألواح و أخذ برأس أخيه يجره إليه قال ابن أمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّونِي وَ كَادُوا يَقْتُلُونِي فَلَا تَشْمِتْ بِي الْأَعْدَاءُ وَ لَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٧: ١٥٠) ﴿إِنِّي خَشِيتُ﴾ إن اتبعتك ف ﴿أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ إذ ما كانوا يتبعونى إليك كلهم، إذ كانوا حينئذ متفرقين أيادى سبا ﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ فى وحدتهم معك: قال رب اغفر لى و لأخى و أدخلنا فى رحمتك و أنت أرحم الراحمين (٧: ١٥١) و إنما فعل موسى ما فعل بأخيه الرسول معه، الأمين عنده، لكى يروا هؤلاء الضالون حالهم بعد هارون، و أن الشاهد يرى ما لا يراه الغائب، فهو قضية الموقف المحتار، مع أخيه المختار، فسبحان الله الواحد القهار.

٩٥ / ٢٠

٩٥- ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ﴾ الأمر الخطير عندك فيما فعلت و افعلت ﴿يا سامري﴾ و هو شمرونى حيث عاش موسى.

٩٦ / ٢٠

٩٦- ﴿قَالَ بَصُرْتُ﴾ بصرا مخفيا ﴿بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ خلطا لحق بباطل ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً﴾ شطرا ﴿مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾ موسى رسوليا، فآثر الرسول المعروف عندهم- و هو موسى- سنته المعروفة الرسالية ﴿فَنَبَذْتُهَا﴾ ورائى ظهريا، أن فندت أثره بما بصرت به و هم لم يبصروا به ﴿وَ كَذَلِكَ﴾ الخطاب الجلل ﴿سَوَّلْتُ لِي نَفْسِي﴾ أن أستخدم غفلتهم فأضللتهم كما ضللتهم، فليس هو أثر جبرئيل إذ لا يرى.

٩٧ / ٢٠

٩٧- ﴿قَالَ فَادْهَبْ﴾ مدحورا ﴿فَإِنَّ لَكَ فِي﴾ هذه ﴿الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ﴾ لمن يماسك ﴿لَا مِسَاسَ﴾ وصلة على أية حال، إذ أنضر بكل مساس ﴿وَ إِنْ لَكَ﴾ بعد اليوم ﴿مَوْعِدًا لَنْ تَخْلَفَهُ﴾ أبدا ﴿وَ أَنْظِرْ إِلَى إِلَهِكَ﴾ و قد صبغته و صنعته ﴿الَّذِي ظَلَّتْ﴾ و ظل معك المضللون ﴿عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾ عابدا دون حول عنه ﴿لَنُحَرِّقَنَّهُ﴾ الآن ﴿ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ﴾ نطرحنه كغبار الأرض ﴿فِي الْيَوْمِ﴾ نسفا ﴿مَرْدَلًا﴾ على رذالته.

٩٨ / ٢٠

٩٨- ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ و قد ﴿وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ و قيومية.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٣١٩

٩٩ / ٢٠

٩٩- ﴿كَذَلِكَ﴾ العظيم، بعيدة المدى، الكبيرة الهدى ﴿نَقْصُ﴾ قصا تاريخيا، من قطع و ملاحقة ﴿عَلَيْكَ﴾ يا محمد، بعضا ﴿مِنْ أَنْبَاءِ﴾ الأخبار العظيمة المفيدة ﴿مَا قَدْ سَقَى وَ قَدْ أَتَيْنَاكَ﴾ بها ﴿مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا﴾ تتذكر به، دون "الكتاب المقدس" المدنس بتحريفات و تجديدات.

١٠٠ / ٢٠

١٠٠- ﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾ ذكرا، فى أى عرض منه ﴿فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا﴾ يزره هنا "و لا يظلمون فتيلًا".

١٠١ / ٢٠

١٠١- ﴿خَالِدِينَ فِيهِ﴾ في ذلك الوزر، انعكاسا له في خلفياته، فإن العمل هو الجزاء "هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ" ﴿وَسَاءَ﴾ وزرهم ﴿لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جِمَلًا﴾ و ثقلا يحملونه.

١٠٢ / ٢٠

١٠٢- و ذلك ﴿يَوْمَ يَنْفُخُ فِي الصُّورِ﴾ الناقور، نفخة الإحياء ﴿وَنَحْشُرُ﴾ جمعا ﴿الْمُجْرِمِينَ يَوْمِئِذٍ زُرْقًا﴾ جمع أزرق و هو اللون المعروف بين البياض و السواد.

١٠٣ / ٢٠

١٠٣- ﴿يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ﴾ أنفسهم قائلين ﴿إِنْ لَبِثْتُمْ﴾ قبل هذا ﴿إِلَّا عَشْرًا﴾ ليال أو ساعات، قياسا إلى شدة الواقعة في الواقعة.

١٠٤ / ٢٠

١٠٤- ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ متقولين دون علم ﴿إِذْ يَقُولُ امْكُثْهُمْ طَرِيقَةً﴾ مهما كانوا مجرمين ﴿إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾ و حق القول هنا "إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ" (٢٣: ١١٤) "وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ" (٣٠: ٥٦).

١٠٥ / ٢٠

١٠٥- ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْقِيَامَةِ الْجِبَالِ﴾ تدميرا ﴿فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ حيث يذرها و يثيرها فلا تبقى منها باقية.

١٠٦ / ٢٠

١٠٦- ﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا﴾ أرضا مستوية بعد ارتفاع ﴿صَفْصَفًا﴾ ملساء دون كلاء.

١٠٧ / ٢٠

١٠٧- ﴿لَا تَرَى فِيهَا الْجِبَالَ عِوَجًا﴾ بانخفاض كالأودية ﴿وَلَا أَمْتًا﴾ بارتفاع كالروابي و التلال، بل تصبح أرضا مستوية ملساء.

١٠٨ / ٢٠

١٠٨- ﴿يَوْمِئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ﴾ لقيامه الإحياء، "يَتَّبِعُونَ" مسيرين ﴿لَا عِوَجَ لَهُ﴾ داعيا و أتباعا و نفخا للصور إحياء ﴿وَوَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ﴾ تذلا و إخفاتا ﴿لِلرَّحْمَنِ﴾ الخالق ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ دون صوت.

١٠٩ / ٢٠

١٠٩- ﴿يَوْمِئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ﴾ من و إلى ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ شافعا و مشفعا فيه ﴿وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ يقوله أيا منهما، فلا شفاعه - ككل - إلا بمرضات الله و إذنه و "مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا".

١١٠ / ٢٠

١١٠- ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ ما يستقبلونه ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ما يستدبرونه، ما ذا كان و ما ذا يكون ﴿وَلَا يَحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ حتى يشفعوا أو يشفع لهم، بل هو المحيط بكل شيء علما.

١١١ / ٢٠

١١١- ﴿وَوَعَتِ﴾ خضعت من العناء و العناية و القصد ﴿الْوُجُوهُ﴾ شاءت أم أبت إذ لا حول عنه و لا حول إلا به ﴿لِلْحَيِّ﴾ و الكل أموات أمامه ﴿الْقِيَوْمِ﴾ القائم بنفسه و القيم لخلقه علما و قدرة ﴿وَقَدْ خَابَ﴾ و خسر ﴿مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ معه إذ لا يحمل الظلم إلا ظالمه.

١١٢ / ٢٠

١١٢- ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ﴾ لصالح الإيمان ﴿وَالْحَالِ﴾ ﴿هُوَ مُؤْمِنٌ﴾ بالله ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ لا هنا و لا هناك، فما هنا مجبر هناك، و ليس هناك أى ظلم، إلا عدل و فضل.

١١٣ / ٢٠

١١٣- ﴿وَكَذَلِكَ﴾ العظيم الهدى، القريب المدى ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ القرآن ﴿قُرْآنًا﴾ يقرأ ﴿عَرَبِيًّا﴾ لا عوج له، واضحا لا تعقيد فيه، و لا ريب يعتريه ﴿وَصَرَّفْنَا﴾ بمختلف الصروف و الصنوف ﴿فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ﴾ لما هنا أو هناك ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الوعيد ﴿أَوْ يَحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ يتذكرون به الوعيد.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٣٢٠

١١٤ / ٢٠

١١٤- ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ﴾ عما يصفونه ﴿الْمَلِكُ﴾ على كل الملك ﴿الْحَقُّ﴾ كله ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ﴾ المفصل بعد نزوله عليك محكما ليلة القدر ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَقْضَى﴾ يحكم ﴿إِلَيْكَ وَحْيُهُ﴾ المفصل كما قضى إليك من بعد وحيه المجمل ﴿وَقُلْ رَبِّ﴾ الذى ربيتنى ﴿زِدْنِي عِلْمًا﴾ بوحيك، و معرفة بك و بأحكامك.

١١٥ / ٢٠

١١٥- فهذا عهد إليك مع ساير العهد و أنت الوفى الموفى به ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ﴾ ما عهدنا إليك، ألا يأكل من الشجرة و لا يتبع الشيطان ﴿فَنَسِيَ﴾ متناسيا ﴿وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾ إذ لم يوجد له حينذاك: "وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى. ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى" (٢٠: ١٢٢) و نسيان عهده حين:

١١٦- ﴿وَوَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ﴾ أجمعين ﴿اسْجُدُوا﴾ لله ﴿لِ﴾ حرمة ﴿آدَمَ﴾ شكرا لهذه النعمة السابغة ﴿فَسَجَدُوا﴾ كلهم ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ و قد أمر معهم بالسجود له مهما "كَانَ مِنَ الْجِنِّ" ما مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ" (٧: ١٢) فقد ﴿أَبَى﴾ عن ذلك السجود استكبارا على الله.

١١٧ / ٢٠

١١٧- ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا﴾ إبليس فاعرفه، هو ﴿عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ﴾ إذ أمر بالسجود لك و لأنه عدو أحباء الله ﴿فَلَا يَخْرُجَنَّكُمَا مِنْ﴾ هذه ﴿الْجَنَّةِ﴾ بالأكل من الشجرة المنهية ﴿فَتَشْقَى﴾ تعباً على الكرة الأرضية بجوع و عرى و ظمأ و ضحى.

١١٨ / ٢٠

١١٨- ﴿إِنَّ لَكَ﴾ فى صالح حياة هذه الجنة ﴿أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا﴾ فأكلها دائم ﴿وَلَا تَعْرَى﴾ إذ عليك لباس الجنة دون عرى.

١١٩ / ٢٠

١١٩- ﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا﴾ عطشا ﴿وَلَا تَصْحَى﴾ بالشمس حرارة.

١٢٠ / ٢٠

١٢٠- ﴿فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ﴾ بحبائله التى ترى أنها صالحة ف ﴿قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ﴾ التى منعت عنها منعا عن دار القرب و الكرامة ﴿وَمُلْكٍ لَا يَبُلَى﴾ إذ إنك فيه تبقى، فما ذا تبغى بعد الخلد و الملك، إذ "ما نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَينِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ" (٧: ٢٠) فى هذه الجنة، فحبب إليهما هذه الجنة الخلد، زعم أن الشجرة هى شجرة الخلد، فهنا نسى عداء الشيطان، إذ ورد من درب رحمة الرحمن.

١٢١ / ٢٠

١٢١- ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا﴾ ذوقاً "فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ.." (٧: ٢٢) ﴿فَبَدَّتْ لَهُمَا سَوَاتُهُمَا﴾ إذ نزع عنها لباس الجنة "يَنْزَعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوَاتِهِمَا.." (٧: ٢٧) ﴿وَوَطَّقَا يَخْصِفَانِ﴾ ولكنهما ما استطاعا أن يخرصفا ﴿عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ إذ نزع عنهما كل لباس الجنة ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ﴾ هنا ﴿فَفُغْوَى﴾ وهذا نص القرآن في عصيانه ولكنه كان قبل رسالته، إذ:

١٢٢ / ٢٠

١٢٢- ﴿ثُمَّ﴾ بفصل بعد عصيانه ﴿اجْتَبَاهُ رَبُّهُ﴾ بالرسالة ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ بعد ما غوى، و الترتيب هنا توبة و هدى فاجتباء "فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى" (٢٠: ١٢٣) توبة عن عصيانه، ثم هدى بعده و من ثم اجتباء، و لذلك ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ.

١٢٣ / ٢٠

١٢٣- ﴿قَالَ﴾ الله لهما و للشيطان "اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ" (٢: ٣٦) ﴿اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ إلى الأرض، حال أن ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ عداوة بين قبيلى الشيطان و الإنسان، و أخرى بين قبيل الإنسان نفسه و لا يزيلها هنا، أو يدفع عنها هناك إلا ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾ بوحى الرسالة و ليس إلا إلى آدم، إذ "إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَ نُوحًا" (٣: ٣٢) ﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ﴾ الخاصة، الموحاة إلى أصحابه ﴿فَلَا يَضِلُّ﴾ عن سبيل الله ﴿وَلَا يَشْقَى﴾ بالرغم من أن الحياة الدنيا حياة شقاء، و كما لا يشقى بعذاب بعد الموت.

١٢٤ / ٢٠

١٢٤- ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي﴾ صفة مضادة لمن تبع هداى و "ذِكْرِي" تشمل كل ذكر منه عن ذكر الله ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ صعباً ملتويًا، فهو دائماً فى تزعزع مهما كان له ظاهر الحياة الدنيا- ﴿وَنَحْشُرُهُ﴾ جمعا مع سائر المكلفين ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ كما كان هنا أعمى، و الإبصار بعد الحشر لا ينافى العمى عند الحشر و لا سيما عمى البصيرة: "وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا" (١٧: ٧٢).

١٢٥ / ٢٠

١٢٥- ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾ فى الدنيا.

١٢٦ / ٢٠

١٢٦- ﴿قَالَ كَذَلِكَ الْأَمْرُ﴾ ﴿أَتَتَكَ آيَاتُنَا﴾ الدالة على الحق كله ﴿فَنَسِيْتَهَا﴾ تناسيا مقصرا ﴿وَكَذَلِكَ﴾ الذى كان ﴿الْيَوْمَ تُنْسَى﴾ جزاء وفاقا، و أين نسيان من نسيان.

١٢٧ / ٢٠

١٢٧- ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ﴾ فى نسيان الحق ﴿وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ﴾ عنادا ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ﴾ من ضنك الدنيا ﴿وَأَبْقَى﴾ مهما يأتى للنار أمد لا تتجاوز عنه.

١٢٨ / ٢٠

١٢٨- ﴿أَلَمْ يَهْدِ﴾ إلى الحق ﴿لَهُمْ﴾ بعد الآيات البينات ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ﴾ و الأجيال جماهيريا حال أنهم كانوا ﴿يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ﴾ برياحة فباغتتهم الهلاك ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ العذاب ﴿لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى﴾ جمع نهية و هى العقل الناهى عن اللامعقولات.

١٢٩ / ٢٠

١٢٩- ﴿وَلَوْ لَا كَلِمَةُ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ ك: "وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ" (٧: ٢٤) ﴿لَكَانَ﴾ عذابهم هنا ﴿لِزَامًا﴾ و﴿كَانَ﴾ أَجَلٌ مُّسَمًّى عاجلاً، ف"كان" الثانية المحذوفة تامة، و الأولى المذكورة ناقصة.

١٣٠ / ٢٠

١٣٠- ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ و يتقولون من منكر القول الغول ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ و التسبيح بالحمد لامح صراحاً إلى أن تسبيحه لا بد أن يكون بواسطة حمده أن نسبحه عن علمنا بحمده أنه عالم و ما أشبه ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾ لا قبل رؤية قرصها و واجبه صلاة الفجر بينه و بين طلوع الشمس ﴿وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ لا مغربها، و واجبه صلاة العصر المحدد بغروب الشمس، دون مغربها، خلاف منتهى الصيام فإنه "إِلَى اللَّيْلِ" ﴿وَمِنْ أَنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ﴾ و واجبه العشاءان قبل "غَسَقِ اللَّيْلِ" ﴿وَأَطْرَافَ النَّهَارِ﴾ و منها صلاة الظهر ﴿لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ بذلك التسبيح بالحمد.

١٣١ / ٢٠

١٣١- ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا﴾ هم ﴿بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾ ذكورا و إناثا لمتعة الحياة الدنيا هي ﴿زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ و هي سريعة الذبول و الأفول، و تلك المتعة هنا ﴿لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ فيما متعناهم، إذ ينغمسون ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ﴾ حيث يربيك به ﴿خَيْرٌ﴾ من هذه المتع الزاهرة الظاهرة ﴿وَأَبْقَى﴾ منها.

١٣٢ / ٢٠

١٣٢- ثم لا تكن فردية التقوى، بل ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ﴾ لله مقامة ﴿وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ فى نفسك و أهلک، و ليست هى لنا رزقا إذ ﴿لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا﴾ بل ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكَ﴾ و منه أن تصلى لله ﴿وَوَ الْحَيَاةِ﴾ العاقبة ﴿هنا خلفية فيها، و لا سيما فى دولة المهدي عليه السلام، و فى الأخرى﴾ للتقوى.

١٣٣ / ٢٠

١٣٣- ﴿وَقَالُوا﴾ هؤلاء المكذبون بآياتنا ﴿لَوْ لَا يَأْتِينَا﴾ محمد ﴿بِآيَةٍ﴾ كما أتى بها الرسل من قبله ﴿مِنْ رَبِّهِ﴾ الذى رباه، يريدون آية بصرية كما كانت لمن قبله ﴿أَوْ لَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ ككل، من بشاراتها لهذا الرسول، كما القرآن بنفسه قبلها برهان قاطع لا مرد له على ربانية آياته البينات، بينات خالدة فى بصيرة، و تلك كانت بصرية غير خالدة، ثم لم يبق إلا كتب الوحي، و هى برمتها تبشر بهذه الرسالة السامية.

١٣٤ / ٢٠

١٣٤- ﴿وَلَوْ﴾ مستحيلا فى الحكمة الربانية ﴿أَنَا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ﴾: الرسول و القرآن ﴿لَقَالُوا﴾ عند هلاكهم ﴿رَبَّنَا﴾ الواجب عليك أن تربينا برسالة الوحي ﴿لَوْ لَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَتَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ﴾ ذلة ﴿وَنُخْزَى﴾ خزيا، فى الأولى و الأخرى "وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا" (١٧: ١٥).

١٣٥ / ٢٠

١٣٥- ﴿قُلْ كُلُّ﴾ من المكلفين ﴿مُتَرَبِّصٌ﴾ عاقبة عمره و أمره، إذ يعيش الأمل و نتيجة العمل ﴿فَتَرَبَّصُوا﴾ أنتم ﴿فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى﴾ بعد موته.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٣٢٢

سورة الأنبياء

١ / ٢١

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾. اقْتَرَبَ ﴿لِلنَّاسِ﴾ المكلفين كلهم ﴿حِسَابُهُمْ﴾ ليوم الحساب، مما يدل على أن زمن نزول القرآن أقرب إلى يوم الحساب مما قبله ﴿وَ﴾ الحال أن ﴿هُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ عن حسابهم بل هم ﴿مُعْرِضُونَ﴾ عنه عقيدياً أو عملياً إذ لا يحسبون ليوم الحساب حساباً، ثم اقتراب حسابهم برزخياً فهو من باب كل آت قريب، اللهم إلا من كان إلى موته أقرب من بداية تكليفه، فله اقترابان، إذا فللكل اقترابان ككل، و اقتراب آخر لمن هو قريب إلى موته.

٢ / ٢١

٢- و مما يدل على الغفلة المعرضة أنه ﴿مَا يَأْتِيهِمْ﴾ على طول خط الرسالات ﴿مِنْ ذِكْرٍ﴾ يذكرهم، وحيا و حاملية، إضافة إلى ذكريات الفطر و العقول، و كل الآيات الآفاقية ﴿مِنْ رَبِّهِمْ﴾ حيث يربيههم بكافة الذكريات ﴿مُحَدَّثٍ﴾ أحدثه ربنا فيما يوحى إلى رسله، مما يدل على أن كلام الله حادث و منه القرآن ﴿إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَ﴾ الحال أن ﴿هُمْ يَلْعَبُونَ﴾ كالأطفال، لعبا يشمل ذكر الله إلى ذكريات شيطانية، خلطا ظالما.

٣ / ٢١

٣- ﴿لَا هِيَ قُلُوبُهُمْ﴾ عن الله و ذكره، فلاهية كل وجوههم بكل الوجوه ﴿وَ أَسْرُوا النَّجْوَى﴾ سرا مستسرا حتى لا يعرفه أهل الله أم و الله معهم! ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أنفسهم و غيرهم و ظلموا الحق المرام، قائلين في سرهم النجوى ﴿هَلْ هَذَا﴾ الذى يدعى الرسالة الوحي ﴿إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ فى البشرية، رغم كافة التفاضلات بين البشرية ﴿أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ﴾ الذى جاء به هذا البشر المماثل ﴿وَ﴾ الحال ﴿أَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ سحره، و هم لا يبصرون إلا شهواتهم من خلال كل إِبصار يعمه الأَبصار.

٤ / ٢١

٤- ﴿قَالَ﴾ الرسول جوابا عن سر نجواهم إذ أنبأه ربه ﴿رَبِّى﴾ الذى ربانى بهذه التربية القمة ﴿يَعْلَمُ الْقَوْلَ﴾ سرا و أخفى فضلا عن جهره ﴿فِي السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ﴾ من قائلهما ﴿وَ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لكل ما يقال ﴿الْعَلِيمُ﴾ بكل حال سرا و إعلانا.

٥ / ٢١

٥- لكنهم لم يصدقوا رسولهم ﴿بَلْ قَالُوا﴾ إن مقالاته هى ﴿أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ﴾ تخاليط من رؤى غير منتظمة ﴿بَلْ افْتَرَاهُ﴾ على الله ﴿بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ حيث استفاد من موسيقا التعبير منفذا إلى قلوب البسطاء، ثالثا اختلقوه ضده، و إن كان رسولا ﴿فَلْيَأْتِنَا بآيَةٍ﴾ محسوسة نبصرها ﴿كَمَا أَرْسِلَ الْأَوَّلُونَ﴾ و هم الرسل قبله، و لكنهم كذبوه قبله كما كذبوه: ﴿قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِى بِالْبَيِّنَاتِ وَ بِالَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.

٦ / ٢١

٦- لكن ﴿مَا أَمَنْتَ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرِيَةٍ﴾ مكذبة بالرسول مع كل آية بصرية، ف ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ بتكذيبهم ﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾ و هم قوم لدّ، مضى عليهم شطر الفترة الرسولية، ثم و آية القرآن بصيرية هى أقوى من كل آية.

٧ / ٢١

٧- ثم لو كانت البشرية مانعة من حمل الوحي ﴿وَ مَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا﴾ من البشر ﴿نُوحِي إِلَيْهِمْ فَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ و هم كافة أهل الكتاب الأنسون برسالات الوحي ﴿إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ملازمة الوحي إلى بشر لكل البشر.

٨ / ٢١

٨- ﴿وَ مَا جَعَلْنَاهُمْ﴾ هؤلاء الرجال ﴿جَسَدًا﴾ بلا روح، ف ﴿لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾ كما أنتم ترقبون " ما لهذا الرسول يأكل الطَّعَامَ وَ يَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ " ﴿وَ مَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾ فى الحياة الدنيا، رغم خلود الملائكة، غير أكلى الطعام.

٩ / ٢١

٩- ﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ﴾ الذى وعدتهم، نصره فى الحياتين: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ (٤٠: ٥١) و كذلك وعد إهلاك المكذبين هنا و تعذيبهم فى الأخرى ﴿فَأَنجَيْنَاهُمْ﴾ هؤلاء الأكارم ﴿وَمَنْ نَشَاءُ﴾ من أتباعهم ﴿وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾ فى التكذيب بالرسالات.

١٠ / ٢١

١٠- ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٣٢٣

١١ / ٢١

١١- ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا﴾ كسرا لكل صلب ﴿مِنْ قَرْيَةٍ﴾ سبقت ﴿كَانَتْ ظَالِمَةً﴾ قد تكون أقوى منكم ﴿وَأَنشَأْنَا﴾ خلقه ﴿بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ ف" إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ" (٤: ١٣٣).

١٢ / ٢١

١٢- ﴿فَلَمَّا أَحْسَوْا﴾ هؤلاء القدامى المشركون المشرفون ﴿بَأْسَنَا﴾ الآتى إليهم ﴿إِذَا﴾ مفاجأة ﴿هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ﴾ فرارا.

١٣ / ٢٠

١٣- فقيل لهم ﴿لَا تَرْكُضُوا﴾ اليوم ﴿وَارْجِعُوا إِلَى مَا أَتَرَقْتُمْ فِيهِ﴾ حيث أترفكم الشيطان و أنفسكم الأمانة بالسوء ﴿وَلَا إِلَى مَسَاكِينِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَسْتُلُونَ﴾ عما افتعلتم حتى جاءكم بأس الله كما وعد الله.

١٤ / ٢١

١٤- ﴿قَالُوا﴾ هؤلاء الظالمون الهالكون ﴿يَا وَيْلَنَا﴾ آها و واها ﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾.

١٥ / ٢١

١٥- ﴿فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ﴾ عند رؤية البأس ﴿حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا﴾ حصادا كسادا ﴿خَامِدِينَ﴾ عن نيران تكذيبهم و شررهم.

١٦ / ٢١

١٦- ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ﴾ السبع ﴿وَالْأَرْضَ﴾ جنسها و هى الأرضون السبع ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ من أنجم و غازات أماهيه ﴿لَاعِبِينَ﴾ فى ذلك الخلق الحكيم، دون غاية حكيمة كما يزعم الأشاعرة و لا قيامة فلا حساب و لا ثواب و لا عقاب.

١٧ / ٢١

١٧- ﴿لَوْ﴾ مستحيلا علينا فى الحكمة الربانية ﴿أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهُوًّا﴾ من الخلق أن يلهمنا عما يحق فهو- إذا- خلق باطل ﴿لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا﴾ دون الخلق ﴿إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ لهوا.

١٨ / ٢١

١٨- ﴿بَلْ﴾ عكس كل لهو ﴿نَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾ من عندنا بسببه ﴿عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ﴾ عندكم: ﴿قُلْ إِنْ رَبِّى يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَٰمُ الْغُيُوبِ﴾ (٣٤: ٤٨) فالحق المطلق هو قذيفة ربانية يقذف بها على الباطل ككل، فى الأولى كما يناسبها، و فى الأخرى تماما ﴿فَإِذَا هُوَ﴾ الباطل ﴿زَاهِقٌ وَ لَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ من لغو الباطل و لهوه، حيث تنسبونهما إلى الله الحق.

١٩ / ٢١

١٩- ﴿وَلَهُ﴾ لا سواه ﴿مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فضلا عما فيهما، ملكية و مالكية مطلقة ﴿و﴾ لكن ﴿مَنْ عِنْدَهُ﴾ فى الزلفى المعرفية و العبودية المطلقة، رسلا و ملائكة ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ أبدا ﴿وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ طلبا لحسر و انخلاء و انقلاع عن عبادته، بل و يستحسرون لها أنفسهم، حاسرين عن عبادة غير الله.

٢٠ / ٢١

٢٠- لذلك فهم ﴿يَسْبَحُونَ﴾ الله طول ﴿الَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَا يَفْتُرُونَ﴾ فيهما ككل، فغير الملائكة و المعصومين نومهم كيقتلهم فى دوام العبادة.

٢١ / ٢١

٢١- هل إن هؤلاء الكفرة يستحسرون عن عبادته أو يفترون ﴿أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهًا مِنَ الْأَرْضِ﴾ هم من الأرض، كما و ﴿هُمْ يَنْشُرُونَ﴾ كم من الأرض.

٢٢ / ٢١

٢٢- ﴿لَوْ﴾ مستحيلا مطلقا ﴿كَانَ فِيهِمَا﴾ السماوات و الأرض و هما الخلق كله ﴿إِلَهَةً﴾ فى الخلق و التدبير ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ الخالق المدبر الوحيد، و "فيهما" بالنسبة له لا تعنى ظرفيتهما له، بل القيومية الإلهية عليهما ﴿لَفَسَدَتَا﴾ السماوات و الأرض، لاختلاف الخلق و التدبير، كما "لَفَسَدَتَا" الآلهة و الله عن أصل الألوهية، حيث التعدد يقضى بمحدودية لكل أمام الآخر، و الألوهية الحق لا حد لها ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾ عن شركاء لأنه ﴿رَبُّ الْعَرْشِ﴾ ألوهية فى خلق و تدبير ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ من شركة فى ألوهية.

٢٣ / ٢١

٢٣- ﴿لَا يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ أيا كان، لأنه عن علم و قدرة و حكمة ربانية، فلا سؤال - إذا- تجهيلا أو تأنيبا، مهما كان سؤال تعلما فيما يمكن أن يعلم ﴿وَهُمْ﴾ ككل، الآلهة المتخذة من دون الله، و المتألهون إياهم و الموحدون ﴿يَسْأَلُونَ﴾ إذ ليس علمهم و حكمهم مطلقين، اللهم إلا ما يفعل بوحى، و هو من الله دون الموحى إليه.

٢٤ / ٢١

٢٤- هل لهم آلهة من دونه ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهَةً﴾ لذلك الاتخاذ الوخاز ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ على ذلك الاتخاذ ﴿هَذَا ذِكْرٌ مَنْ مَعِيَ وَ ذِكْرٌ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ عن الحق.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٣٢٤

٢٥ / ٢١

٢٥- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ﴾ دونما استثناء ﴿إِلَّا﴾ أننا ﴿نُوحِي إِلَيْهِ﴾ وحي الشريعة ﴿أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ لا سواى ﴿فَاعْبُدُونِ﴾ لا سواى، ثم لا رسل للآلهة المتخذة إichاء بالإشراك.

٢٦ / ٢١

٢٦- ﴿وَقَالُوا﴾ هؤلاء المشركون ﴿اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ من ملائكة أو أنبياء كما قالوا فى المسيح (ع) ﴿سُبْحَانَهُ﴾ تنزيها عن ذلك الاتخاذ الوخاز ﴿بَلْ﴾ هم ﴿عِبَادُ﴾ لله ﴿مُكْرَمُونَ﴾ و لا تقتضى الكرامة بنوة لا حقيقية و لا مجازية، إذ لا يجوز المجاز عند استحالة الحقيقة.

٢٧ / ٢١

٢٧- ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ﴾ أيا كان، كأن اتخذنا الله ولدا و سوف يقوله هو ﴿وَ﴾ الحال أن ﴿هُمْ بِأَمْرِهِ﴾ لا سواه ﴿يَعْمَلُونَ﴾ دون أمرهم أو سواهم لا يعصون الله ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون (٦: ٦٦).

٢٨ / ٢١

٢٨- ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ حاضرا و مستقبلا ﴿وَ﴾ ما خلفهم ﴿وَ﴾ ما يعلمون إلا ما علمهم ربهم ﴿وَ﴾ لا يشفقون إلا لمن ارتضى ﴿اللَّهُ دِينَهُ﴾ و هو من ساءته سيئة و حسنته حسنته ﴿وَ﴾ الحال أن ﴿هُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ﴾ تعظيما فارتعابا ﴿مُشْفِقُونَ﴾ حبا بخوف و خوفا بحب.

٢٩ / ٢١

٢٩- ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ﴾ هؤلاء العباد المكرمون المعصومون ﴿إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ﴾ على فرض المحال ﴿فَذَلِكَ﴾ القائل الغافل ﴿نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ﴾ و لا كرامة، و ﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ بحق الحق.

٣٠ / ٢١

٣٠- ألم ير الذين كفروا إلى "آياتنا في الآفاق و في أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق" ﴿أَوْ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بعلم تجريبي و وحى على رسل الله ﴿أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا﴾ ملتحمتين، حينما كانتا دخانا ﴿فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ عن رتقهما، بما فجرنا المادة الفردة الأولى، فأزبد زبدا هو الأرض، كما سعد دخانا فأصبح سماء فسموات و كواكب ﴿وَ جَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ﴾ المفتوق من السماء: "أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴿كُلُّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ نباتي، و حيواني و إنساني و ملائكي، حيث الحى هنا يشمل كل حى سوى الله ﴿أَفَلَا يَوْمِنُونَ﴾ بالله الراتق الفاتق.

٣١ / ٢١

٣١- ﴿وَ جَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ﴾ جبالا ﴿رَوَاسِيَ﴾ كالأوتاد الداخلة في الأرض، عن ﴿أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ﴾ الأرض، قضية حراكه الميدان، و وتد بالصخور ميدان أرضه فلها حركات تميد بساكنيها لو لم توتد بأوتاد الأرض الجبال ﴿وَ جَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا﴾ شققا تكنفها جبال، و كذلك الطرق الواسعة ﴿سُبُلًا﴾ هى نفس الفجاج بمورديها ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ بهذه السبل إلى مآربهم.

٣٢ / ٢١

٣٢- ﴿وَ جَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا﴾ على هذه الأرض و سائر الأرضين، بل و الأنجم ﴿مَحْفُوظًا﴾ عن السقوط، فقد "رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرْوْنَهَا" (١٣: ٢) "و يَمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ" (٢٢: ٦٥) و محفوظا عن تسمع الجن الشياطين، تسمعا إلى الملأ الأعلى، على طول الخط، و عن تسمع الصالحين إلى الوحي فى هذه الرسالة الأخيرة ﴿وَ﴾ الحال أن ﴿هُمْ عَنْ آيَاتِهِ﴾ الثابتة فيها كونيا، و النازلة وحيا ﴿مُعْرِضُونَ﴾: "قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَ النَّذْرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ" (١٠: ١٠١).

٣٣ / ٢١

٣٣- ﴿وَ هُوَ﴾ الله ﴿الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ﴾ ككل ﴿وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ﴾ ككل، لنا و لسائر سكرة الأنجم، و ﴿كُلُّ﴾ من الليل و النهار و الشمس و القمر ﴿فِي فَلَكٍ﴾ مقرر له ﴿يَسْبَحُونَ﴾ بتدبير الله العالم الحكيم القدير، و لذلك جىء هنا بضمير الجمع لذوى العقول، قضية عقلية هذه السباحة.

٣٤ / ٢١

٣٤- ﴿وَ مَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ﴾ كائن ﴿مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾ ألا يموت عن الحياة الدنيا "إِنَّكَ مَيِّتٌ وَ إِنَّهُمْ مَيِّتُونَ" (٣٩: ٣٠) ﴿أَفَإِنْ مِتَّ﴾ أنت المستحق لحياة أكثر ﴿فَهُمْ﴾ أولاء ﴿الْخَالِدُونَ﴾ فى هذه الحياة؟!

٣٥- ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ من الخلائق ﴿ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ ذوقا لانفصالها عن جسمها، دون موت الفوت ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ لكم ﴿وَأَلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٣٢٥

٣٦- ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالله و كلماته ﴿إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ اتخذوا قائلين في هزئهم ﴿أَ هَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ﴾ بسوء خلاف ألوهيتها ﴿وَالْحَالُ أَنْ﴾ ﴿هُمْ يَذْكُرُ الرَّحْمَنَ﴾ الخالق لآلهتهم و المألوهين ﴿هُمْ﴾ المستنكرون بذكر آلهتهم ﴿كَافِرُونَ﴾ بذكر الله تفضيلا لإله الأصل على الذين اتخذوهم آلهة: ﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾. إِذْ نَسَوَيْكُمْ رَبَّ الْعَالَمِينَ (٢٦: ٩٨).

٣٧- ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ و هو منى يمنى بعجل، فطبعه- إذا- عجل، و لكن عليه ألا يعجل إلا لصالحه ﴿سَأْرِيكُمْ آيَاتِي﴾ الخاصة بعد عامتها ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُون﴾ إياها و لما يجى وقتها و يدع الإنسان بالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَ كَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا (١٧: ١١) فمستأجل المستعجل هو كمستعجل المستأجل، فليكن كل في أجله.

٣٨- و من مستعجل مستأجلهم ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ و لا رباط لمعرفة متاه بصدقه، فقد يقرر متاه كذبا، أو لا يقرر صدقا! كما يقال لك: متى ولدت و لا تعرف متاه، فهل تشك إذا فى ولادتك!؟.

٣٩- ﴿لَوْ﴾ مستحيلا مهما يرجى ﴿يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالساعة و هى ﴿حِينَ لَا يَكْفُونُ عَنْ وُجُوهِهمُ النَّارَ وَ لَا عَنْ ظُهُورِهِمْ﴾ إذ لا يستطيعون ﴿وَلَا هُمْ يَنْصُرُونَ﴾ كفا فيهما.

٤٠- ﴿بَلْ﴾ خلاف ما يتقولون ﴿تَأْتِيهِمُ﴾ الساعة ﴿بَغْتَةً﴾ موتا و قيامة ﴿فَتَنبَهُتُهُمْ﴾ بمباغطة فلا حول لهم فيها و لا حول عنها ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا﴾ عنهم ﴿وَلَا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾ تأجيلا عن عجاله.

٤١- فلا تحزن عن هزئهم فقد يهزأ بهم عذاب الله هناك ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَى بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ هنا، فاصبر إن وعد الله حق ﴿فَاحَاقَ﴾ نزولا و حلولا ﴿بِالَّذِينَ سَخِرُوا﴾ بالساعة ﴿مِنْهُمْ﴾ أولاء الحماقى، نفس ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ من الساعة و عذابها، كما حاق بهم نفس استهزاءهم، ف "إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ".

٤٢- ﴿قُلْ مَنْ يَكْلُؤُكُمْ﴾ حفظا و إبقاء ﴿بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنْ﴾ بأس ﴿الرَّحْمَنِ﴾ الذى خلقكم و إن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو (٦: ١٧) أو من يكلؤكم حفاظا عليكم من جانبه و يرسل عليكم حَفَظَةً (٦: ٦١) ﴿بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ﴾ هم ﴿رَبِّهِمْ﴾ و ذكر ربهم إياهم ﴿مُعْرِضُونَ﴾ فلا يحبون أن يذكروا ربهم و لا أن يذكرهم ربهم و هم به مشركون، مما يحتم عليهم لأقل تقدير ذكر ربهم مع أربابهم.

٤٣- ﴿أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ﴾ عن البأس ﴿مِنْ دُونِنَا﴾ و هم آلهة من دوننا، و هؤلاء الآلهة ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ﴾ فضلا عن أنفس عبدتهم ﴿وَلَا هُمْ مِنَّا يَصْحَبُونَ﴾ صحابة لهم أو لعبدتهم من الله حتى ينصرهم الله.

٤٤ / ٢١

٤٤- ليس أننا أمهلناهم لخير فيهم ﴿بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ﴾ المشركين بزخرفات الحياة الدنيا ﴿حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾ في تلك المتعة المحنة المهمة ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ﴾ بقدرة و علم و حكمة، ف ﴿نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ مادة و حالة في أية مجاللة شاءوا أم أبوا ﴿أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ على الأرض أو علينا، بل نحن الغالبون، فقد ننقص الأرض من أطرافها المادية، أو من أطراف معنوية بإذهاب علماءها، فكلا النقص و التمام فيها و في غيرها هو منا " أ فَهُمْ الْغَالِبُونَ " على الأرض ألا ينقص منها، أو يمنعوا عن نقصها.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٣٢٦

٤٥ / ٢١

٤٥- ﴿قُلْ إِنَّمَا﴾ ليس إلا ﴿أَنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ﴾ و كما أبشركم به إذ لست إلا رسولا ﴿وَلَا يَسْمَعُ﴾ سماعا إنسانيا ﴿الصُّمُّ الدُّعَاءَ﴾ الحق ﴿إِذَا مَا يَنْذِرُونَ﴾ بل يضعون أصابعهم في آذانهم، و هم " الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ " (٨: ٣٢) "أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ" (٧: ١٧٩).

٤٦ / ٢١

٤٦- لا ينتهون عن غفلتهم إلا بمباغطة عذاب ﴿وَلَيْنَ مَسْتَهُمْ نَفْحَةٌ﴾ قليل ﴿مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ﴾ هنا ﴿لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا﴾ منه ﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ من قبل.

٤٧ / ٢١

٤٧- ﴿وَوَضَعُ الْمَوَازِينَ﴾ و هى توحّد فى ﴿الْقِسْطَ﴾ و الحق، فـ "الْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ" (٧: ٩) مهما قسّط العدل فى مختلف الأقوال و الأحوال و الأعمال، فالقسط الحق هو الوزن و هو الموازين ﴿لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ على أية حال ﴿وَأِنْ كَانَ﴾ ذلك الشيء ﴿مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ﴾ و هو أصغر ما يتصور عاديا ﴿آتَيْنَا بِهَا﴾ فإن كل شيء من المكلفين باق بما استنسخها الله ﴿وَوَكْفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ كل حساب حق قسط لكافة التكليف.

٤٨ / ٢١

٤٨- ﴿وَلَقَدْ﴾ بتأكيدين ﴿آتَيْنَا﴾ بجمعية الصفات الرحيمية ﴿مُوسَىٰ وَ هَارُونَ الْفُرْقَانَ﴾ ما يفرق به بين الحق و الباطل، من آيات حسية تدل على رسالتهم، فليس هو التوراة: و إِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَ الْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ " (٢: ٥٣) ﴿وَوَضِئًا﴾ يضيئ الدرب على المظلّمين ﴿وَوَذِكْرًا﴾ يذكركم الله، و هما التوراة و رسول التوراة ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ الذين يحترزون عن الجهالة و الغفلة.

٤٩ / ٢١

٤٩- ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ و هو ﴿بِالْغَيْبِ﴾ كما يخشونه بغيث ضمائرهم و بغيث عن الناس، و بسبب الغيب الآخرة ﴿وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ﴾ الآخرة ﴿مُشْفِقُونَ﴾ خوفا تشوبه الهيبة و العظمة الربانية.

٥٠ / ٢١

٥٠- ﴿وَهَذَا﴾ القرآن الضياء الذكر الفرقان ﴿ذِكْرٌ مُبَارَكٌ﴾ واسع فى مثلثه ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ إلى محمد لكافة المكلفين ﴿أَفَأَنْتُمْ﴾ النازل عليكم ما دونه من ذكر ﴿لَهُ﴾ و هو فى قمة الذكر ﴿مُنْكَرُونَ﴾.

٥١ / ٢١

٥١- ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ﴾ لحده الخاص و درجته ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ موسى و هارون، و من قبل رشدۀ ظاهريا منذ كان صبيا في حجر آزر المشرك تربويا ﴿وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ أنه يحقق كما يحق الدعوة التوحيدية الربانية.

٥٢ / ٢١

٥٢- ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ﴾ آزر، تربويا، لا نسبيا كما فصلناه في محله ﴿وَلِ﴾ لـ ﴿قَوْمِهِ﴾ و هم المكلفون أجمع مشركين ﴿مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ﴾ المجسمة ﴿الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا﴾ من دون الله ﴿عَاكِفُونَ﴾ العبودية و السجدة، و لا حقيقة لها إلا أنها مخلوقة فقيرة كما أنتم بل و أفقر إذ هي من صنعكم، فالتماثيل و هي مجسمات ذوى الأرواح- التي لا يعكف لها- غير محرمة و كما شاءها سليمان "يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ وَ تَمَاثِيلَ.." (١٣: ٣٤).

٥٣ / ٢١

٥٣- ﴿قَالُوا﴾ كلمة واحدة دون أى برهان إلا تقليدا أعمى ﴿وَجَدْنَا آبَاءَنَا﴾ الحاضرين و القدامى ﴿لَهَا﴾ من دون الله ﴿عَابِدِينَ﴾ فنبعدها تقليدا لهم بكل عيار دون غيار.

٥٤ / ٢١

٥٤- ﴿قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ﴾ على طول الخط ﴿أَنْتُمْ وَ آبَاؤُكُمْ﴾ المشركون غارقين ﴿فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ نفسه بكل بينات الضلال.

٥٥ / ٢١

٥٥- ﴿قَالُوا أَجِئْنَا بِالْحَقِّ﴾ الحقيق بالاتباع أو الجد فيما تقول ﴿أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ﴾ بنا و بالهتنا.

٥٦ / ٢١

٥٦- ﴿قَالَ﴾ لست من اللاعبين ﴿بَلْ﴾ أقول قول الجد و الحق إن ﴿رَبُّكُمْ﴾ أجمع و إياى، هو ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ﴾ و هما الخلق كله ﴿الَّذِي فَطَرَهُنَّ﴾ خلقا و تربية، فطرا على توحيد الحق و أنتم تخالفون هذه الفطرة ﴿وَ أَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ﴾ الخالقية الحقّة التوحيدية ﴿مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ بين من يشهد بتوحيده، شهادة بفطرة و عقلية و وحى على أضواءهما.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٣٢٧

٥٧ / ٢١

٥٧- ﴿وَ تَاللَّهِ﴾ الذى لا إله إلا هو ﴿لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾ الآلهة ﴿بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا﴾ عنى ﴿مُدْبِرِينَ﴾ إياى و بلدكم يوم عيدكم، تهديدا حديدا جاهرا أمام جموعهم، كما "فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ" (٨٩: ٣٧) كما أوعدهم.

٥٨ / ٢١

٥٨- ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا﴾ قطعاً مكسورة مفتتة ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ سائلين من فعل هذا بالهتهم.

٥٩ / ٢١

٥٩- فلما رجعوا إلى معبد الأصنام ﴿قَالُوا﴾ بينهم أنفسهم أو لكبيرهم ﴿مَنْ فَعَلَ هَذَا بِالْهَتِنَا إِنَّهُ﴾ حتما لا مرد له ﴿لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ إذ ظلم الآلهة حيث جعلهم جذاذا، و ظلمنا إذ جذ قلوبنا بما جذهم.

٦٠ / ٢١

٦٠- ﴿قَالُوا﴾ بأجمعهم ﴿سَمِعْنَا فَتًى﴾ شابا له فتوة الرأى الصامد ﴿يَذْكُرُهُمْ﴾ أنه يكيدهم ﴿يَقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ مهانة و إهانة إياه، و إلا ف- اسمه إبراهيم- دون ابتعاد عن ذكره باسمه.

٦١ / ٢١

٦١- ﴿قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ﴾ المشركين ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ من هذا الجريء الذى فعل هذا بالهتتنا، إذ لا يجرأ عليه إنسان كعادة لأنهم آلهة.

٦٢ / ٢١

٦٢- ﴿قَالُوا أَأَتَتْ﴾ الضعيف الضئيل ﴿فَعَلْتَ هَذَا﴾ الهتك الفتك ﴿بِالْهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ الذى رأينا فيك.

٦٣ / ٢١

٦٣- هنا لا يصارح بما فعله لعلهم إليهم يرجعون، ليا بتورية ﴿قَالَ بَلْ﴾ كما هو طبيعة الحال فى شركاء متشاكسين ﴿فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾ تفردا بالوهية ﴿فَسَلُّوهُمْ﴾ عن ذلك و"فَعَلَهُ" ﴿إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ كما "فَسَلُّوهُمْ" - إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ، فكلا الفعل والنطق مما يهيب جَوَّ ذلك الفعل، فلم يكذب إبراهيم إذ لا نطق و لا سؤال، و لم يكن "فَعَلَهُ" و "فَسَلُّوهُمْ" إلا بشرط "إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ".

٦٤ / ٢١

٦٤- ﴿فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ فطرهم و عقولهم بعد إذ تباعدوا عنهما ﴿فَقَالُوا﴾ فى أنفسهم و فيما بينهم ﴿إِنَّكُمْ أَنْتُمْ﴾ لا إبراهيم ﴿الظَّالِمُونَ﴾ أنفسكم و الحق الحقيق بالاتباع.

٦٥ / ٢١

٦٥- ﴿ثُمَّ﴾ بعد ذلك الرجوع ﴿نَكِسُوا عَلَى رُؤُسِهِمْ﴾ عند أنفسهم تباعدا دون إختيار، فقالوا لإبراهيم ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ﴾ من ذى قبل ﴿مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾ فأرجعتنا إليها: "فَسَلُّوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ".

٦٦ / ٢١

٦٦- فأجابهم إبراهيم بعد ذلك الاعتراف العراف ﴿قَالَ أَفْ﴾ بعد هذا الاعتراف ﴿تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا﴾ الشئ غير العاقل و لا الفاعل إذ ﴿لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا﴾ إن تعبدوه ﴿وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ إن لا تعبدوه، تنديدا شديدا مديدا باعترافهم "ما هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ".

٦٧ / ٢١

٦٧- ﴿أَفْ لَكُمْ﴾ عابدين ﴿وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ معبودين ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ تميزا للنافع الضار عن غيره، و للإله عن المألوه، و المألوه عن الإله.

٦٨ / ٢١

٦٨- ﴿قَالُوا﴾ بعد ما وجموا اعترافا من أنفسهم، حفاظا على تقاليدهم العمياء، حين كلت حجتهم ﴿حَرِّقُوهُ﴾ كما حرقنا بما فتك بالهتتنا ﴿وَأَنْصُرُوا آلِهَتَكُمْ﴾ المهتوكة ﴿إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ فعلا، بعد ما كَلَّتْ أَلْسِنَتُكُمْ قولا: "قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ" (٣٧: ٧٩).

٦٩ / ٢١

٦٩- فلما ألقوه فى الجحيم ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي﴾ أمرا تكوينيا ﴿بَرْدًا وَ﴾ لكنه ﴿سَلَامًا﴾ حتى لا يتجمد ببردها ﴿عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ فقط، لا سواه، و ليس "كُونِي" إلا ل "بَرْدًا وَ سَلَامًا" فإن عدم حرقها يكفيه عدم إرادته له، إذ لا مؤثر إلا الله.

٧٠ / ٢١

٧٠- ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾ بما كاد ألتهتهم ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَخْسَرِينَ﴾ مما كانوا قبل إلقائه، إذ فقدوا حجة القوة بعد افتقادهم حجة البرهنة.

٧١ / ٢١

٧١- و لا فقط، بل و زيادة ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا﴾ من الأراضى النمرودية ﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ و هى فلسطين القدس ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ لأن القدس هى إحدى القبلتين مهما كان مؤقتا فى بداية الهجرة إلى المدينة كما فصلناه فى البقرة.

٧٢ / ٢١

٧٢- ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ﴾ بعد إسماعيل بكر ولده ﴿إِسْحَاقَ وَ﴾ " من وراء إسحاق " ﴿يَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ زائدة على الوهبة الشخصية، و وهبة إسماعيل لسؤال: " رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ " (٣٧: ٣٩) ﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾ :- إبراهيم و إسماعيل و إسحاق و يعقوب، بصلاح النبوة مخلصين.

٧٣ / ٢١

٧٣- ﴿و﴾ من صلاحهم الخاص ﴿جَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً﴾ فى الدعوة الرسولية و الرسالية، يقتدى بهم حيث ﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ تشريعا و تكويننا منا ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ﴾ بعد ما أوحينا إليهم معرفتها بحقائقها، وحيأ على وحي، أهمها تجاه الله: ﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ﴾ كما يحق، و تجاه خلق الله: ﴿وَأَيَّاءَ الزَّكَاةِ﴾ حاليا و ماليا، و على الجملة ﴿وَوَكُنَّا لَنَا﴾ لا لسوانا ﴿عَابِدِينَ﴾ على أية حال.

٧٤ / ٢١

٧٤- ﴿وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا﴾ رسوليا على قومه ﴿وَعِلْمًا﴾ كيف يحكم و بماذا يحكم ﴿وَنَجَّيْنَاهُ﴾ من سدوم ﴿الْقَرْيَةِ﴾ المجتمعة ﴿الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ﴾ و بقمته اللواط ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ﴾ ما أسوءه ﴿فَاسِقِينَ﴾ عن أمر الله، تخلفا جاهرا.

٧٥ / ٢١

٧٥- "نَجَّيْنَاهُ" و هو خارج عنهم ﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا﴾ مهما كان داخلا فيها حين كان فى تلك القرية، و لكنها هنا رحمة النجاة بما سعى فى رحمة الرسالة ﴿إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ علما و عملا.

٧٦ / ٢١

٧٦- ﴿وَنُوحًا﴾ أدخلناه فى رحمتنا ﴿إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ﴾ لوط، و من قبل زمن الغرق العام ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾ لصالحه رسوليا و رساليا ﴿فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ﴾ الأهلين للنجاة، و هم كل من آمن به من ذريته و سواهم ﴿مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ و هو الغرق العظيم " لَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ " (٣٧: ٧٥).

٧٧ / ٢١

٧٧- ﴿وَوَصَّيْنَاهُ﴾ و أهله ﴿مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ كلها ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا﴾ على طول الخط ﴿قَوْمَ سَوْءٍ﴾ ما أسوءهم ﴿فَاعْرِفْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ دون إبقاء، حتى ابنه و امرأته إذ كانا من الغابرين.

٧٨ / ٢١

٧٨- ﴿وَدَاوُدَ وَ سُلَيْمَانَ﴾ أدخلناهما فى رحمتنا ﴿إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ﴾ حكما موضوعيا فى تحاكم بحقل القضاء، " يحْكُمَانِ " تشاورا، دون " حكما " ماضيا، إذ لا يحكم الرسول إلا وحيأ، و هنا " إِذْ يَحْكُمَانِ " فما كانا يعرفان حق الحكم قبل التفهيم الربانى ﴿إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَمُّ الْقَوْمِ وَ كُنَّا لِحُكْمِهِمْ﴾ هؤلاء الرسل أجمعين ﴿شَاهِدِينَ﴾ حتى يحكموا بما نفهّمهم، دون عقلية خاصة أو تشاور كما لغيرهم.

٧٩ / ٢١

٧٩- هنا ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾ دون داود، رغم أنه كان أخرى رسالة و تفهما بالوحى، و سلبا لمطلق الفهم داوديا إلا أن يفهمه ربه، و إيجابا لتفهم سليمان لجدارة الخلافة الرسولية ﴿وَكُلًّا﴾ منهما و من سائر المرسلين ﴿آتَيْنَا حُكْمًا﴾ رسوليا ﴿وَعِلْمًا﴾ بماذا يحكمون و كيف يحكمون، و منهما فهما هنا داود بعد سليمان، فما كان أحدهما يحكم إلا بعد تفهيم ربانى، و من فضل داود ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يَسْبَحْنَ﴾ معه "وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا" (١٧: ٥٥) "وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَآلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ" (٢٤: ١٠) ﴿وَكُلًّا﴾ كذلك ﴿الطَّيْرَ﴾ سخرناها له ﴿وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ هذه الخوارق لرسولنا، على مختلف الصور.

٨٠ / ٢١

٨٠- ثم ﴿وَوَعَلَّمْنَاهُ﴾ داود ﴿صَنَعَةَ الْبُيُوتِ﴾ مبالغة لباس: درعا و مغفرا ﴿لَكُمْ﴾ لصالحكم حربا و بأسا ﴿لِتُخْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ﴾ دون صعوبة لصنعتة ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ لهذه النعمة السابغة.

٨١ / ٢١

٨١- ثم ﴿وَوَجَعْنَا﴾ ﴿لِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً﴾: "عُدُوْهَا شَهْرٌ وَ رَوَّاحُهَا شَهْرٌ" (٣٤: ١٢) "تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ" (٣٨: ٣٦) ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ﴾ بإذن ربه ﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ فلسطين القدس و ما والاها ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾ ما علمناه و ما لم نعلمه.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٣٢٩

٨٢ / ٢١

٨٢- ﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ﴾ بعضا منهم جنا أو إنسا ﴿مَنْ يُؤْصُونَ لَهُ﴾ فى البحار لإستخراج متاع له ﴿وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ﴾: "يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ وَ تَمَاثِيلَ وَ جِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَ قُدُورٍ رَاسِيَاتٍ" (٣٤: ١٣) ﴿وَالْحَالِ أَنَّا﴾ ﴿كُنَّا﴾ على أية حال ﴿لَهُمْ حَافِظِينَ﴾ حتى لا يشيطنوا فيما يعملون لسليمان و سواه من المخلصين، عمالة جبرية رغم شيطنتهم، كعلامة أن "اللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ".

٨٣ / ٢١

٨٣- ﴿وَأَيُّوبَ﴾ أذكركه ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ﴾ حيث رباه، بضره ﴿أَنَّى مَسْنَى الضُّرِّ﴾ "أَنَّى مَسْنَى الشَّيْطَانِ يُنْصَبُ وَ عَذَابٍ" (٣٨: ٤١) ضر و مس فى جسمه دون روحه إلا تبلورا فى صعوبات صبره ﴿وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ دعاء و نداء دونما تصريح باستدعاء كشف الضر، و إنما بلسان عرض الحال و هو أعلم بكل حال.

٨٤ / ٢١

٨٤- ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾ لمحة دعاءه البارِع ﴿فَكَشَفْنَا﴾ كل ﴿مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ﴾ شخصا ﴿وَوَاتَيْنَاهُ أَهْلَهُ﴾ الأهلين معه حيث ابتعدوا عنه أو ماتوا ﴿وَمَثَلُهُمْ مَعَهُمْ﴾ زوجة ثانية و ولدا ثانيا ﴿رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا﴾ هنا ﴿وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾ إيانا، فإن فى الصبر و فرا هنا فضلا عن الأخرى.

٨٥ / ٢١

٨٥- ﴿وَوَإِذْ﴾ ﴿إِسْمَاعِيلَ﴾ ابن إبراهيم جدك الممجد ﴿وَإِذْ رِيسَ وَ ذَا الْكِفْلِ﴾ فى حياتهم رسولية و رسالية ﴿كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ فيما لحقهم من الأذى فى حقل الرسالة.

٨٦ / ٢١

٨٦- ﴿وَوَدَّعَيْنَاهُمُ﴾ ﴿فِي رَحْمَتِنَا﴾ هنا و فى الأخرى، لـ ﴿إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ المخلصين.

٨٧- ﴿وَاذْكُرْ ذَا النُّونِ﴾ يونس (ع) ﴿إِذْ ذَهَبَ﴾ عن جَوْ الدعوة ﴿مُغَاضِبًا﴾ قومه إِذْ أَغْضَبُوهُ بكَرُورِ التَّكْذِيبِ فَغَضِبَ عَلَيْهِمْ، فَمَا خَافَ الْعَذَابَ إِذْ بَدَأَ بِهِ ذَهَبَ عَنْهُمْ ﴿فَطَنَ﴾ فِي ذَلِكَ الذَّهَابِ ﴿أَنْ لَنْ نَقْدِرَ﴾ مِنَ الْقَدْرِ تَضْيِيقًا، لَا الْقُدْرَةَ ﴿عَلَيْهِ﴾ ظَنَ الْخَيْرِ إِذْ لَمْ يَقْصُرْ فِي وَاجِبِ الدَّعْوَةِ، وَلَكِنْ كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَظَالَ دَاعِيَةً حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ بِذَهَابِهِ ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ﴾ ظَلَمَهُ الْبَحْرُ وَبَطْنُ الْحَوْتِ، حَيْثُ "فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ. فَالْتَقَمَهُ الْحَوْتُ وَهُوَ مُلِيمٌ" (٣٧: ١٤٣) "نَادَى" ﴿أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ﴾ عَنِ الظُّلْمِ أَنْ حَبَسْتَنِي بِمَا أَسْتَحِقُّهُ ﴿إِنِّي كُنْتُ﴾ إِذْ ذَهَبْتَ مُغَاضِبًا ﴿مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ النَّاَقِصِينَ حَقَّ الدَّعْوَةِ الرَّسَالِيَّةِ، مَهْمَا لَمْ أَكُنْ رَسُولًا رَسْمِيًّا، إِذْ: "فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ. وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ. وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ" (٣٧: ١٤٧) فَلَوْ كَانَ رَسُولًا "إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا" لَمَا كَانَ دُورَ بَعْدِهِ لَ "وَأَرْسَلْنَاهُ ..".

٨٨- ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾ دَعَاة ﴿وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ﴾ السَّجْنِ فِي بَطْنِ الْحَوْتِ: "فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ. وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ" (٣٧: ١٤٦) ﴿وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ بَعْدَ مَا نَجَّوْا أَنْفُسَهُمْ عَمَّا أَخْطَاوْا.

٨٩- ﴿وَاذْكُرْ﴾ زَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ ﴿بَتَرَبِّتِهِ الْخَاصَّةِ قَائِلًا﴾: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا﴾ "فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَ يَرِثْ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَ اجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا" (١٩: ٦) ﴿وَالْحَالُ أَنَّكَ﴾ أَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿بَاقِيَا بَعْدَ مَوْتِ الْعَالَمِينَ أَجْمَعِينَ، وَ لَكِنْ أُرِيدُ وَارِثًا رَسُولِيًّا اسْتِقَامَةً لِرِسَالَتِي كَمَا تَرْضَاهَا.

٩٠- ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾ رَسُولِيًّا وَ رَسَالِيًّا ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ يُحْيِي وَ أَصْلَحْنَا لَهُ﴾ فِي تِلْكَ الْإِسْتِجَابَةِ ﴿زَوْجَهُ﴾ إِذْ كَانَتْ عَاقِرًا وَ شَيْخَةً، كَمَا كَانَ هُوَ شَيْخًا: رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَ أَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ... وَ كَانَتْ أَمْرَاتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا. يَرِثُنِي وَ يَرِثْ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَ اجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا" (١٩: ٤) ﴿إِنَّهُمْ﴾ هَؤُلَاءِ الصَّالِحُونَ ﴿كَانُوا يَسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ مُسَابِقِينَ ﴿وَ يَدْعُونَنَا رَغَبًا﴾ فِي الْإِجَابَةِ ﴿وَرَهْبًا﴾ إِشْفَاقًا مِنَ اللَّهِ ﴿وَ كَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ بِكُلِّ كَيَانِهِمْ.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٣٣٠

٩١- ﴿وَاذْكُرْ مَرْيَمَ﴾ الَّتِي أَحْصَتْ فَرْجَهَا ﴿فِيمَا كَانَ صَعْبًا، لِكثْرَةِ الرَّاغِبِينَ فِيهَا، بِجَمَالِهَا وَ كَمَالِهَا، وَ أَنَّهَا بِمَرُئِي الْمَصْلِينَ فِي بَيْتِ اللَّهِ، أَحْصَتْ حَتَّى عَنْ حُلِّ النِّكَاحِ إِذْ كَانَتْ مَنْدُورَةً لِبَيْتِ اللَّهِ وَ قَدْ قَبْلَتْهُ، فَكَيْفَ تَتَزَوَّجُ﴾ ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا﴾ "وَ مَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا" (٦٥: ١٢) نَفَخْنَا لِرُوحِ الْمَسِيحِ فِي فَرْجِهَا "مِنْ" وَاحِدٍ ﴿مِنْ رُوحِنَا﴾ الْأَرْوَاحِ الْخَاصَّةِ الَّتِي مَيَّزْنَاهَا عَنْ غَيْرِهَا، كَمَا "نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي" (١٥: ٢٩) فِي آدَمَ وَ ذَرِيَّتِهِ ﴿وَ جَعَلْنَاهَا وَ ابْنَهَا﴾ بِذَلِكَ النِّفْخِ الْخَارِقِ لِلْعَادَةِ ﴿آيَةً﴾ وَاحِدَةً ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ فَهَمَّا مَعَ آيَةٍ وَاحِدَةٍ دُونَ اسْتِقْلَالِ.

٩٢- ﴿إِنَّ هَذِهِ﴾ الْأُمَمَ بِشَرَائِعِهَا الْعِدَّةِ، هِيَ ﴿أُمَّتُكُمْ﴾ أَيُّهَا الرِّسْلُ ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ كَمَا الرِّسَالَةُ وَاحِدَةٌ وَ الرَّبُّ وَاحِدٌ ﴿وَ أَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾: "يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَ اعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ. وَ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَ أَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ" (٢٣: ٥٣).

٩٣- ﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ﴾ من دين الله: "ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا" (٢٨: ٤٥) ﴿بَيْنَهُمْ﴾ رغم وحدة الدين و الرسالة، حال أن ﴿كُلُّ إِلَيْنَا﴾ لا سوانا ﴿رَاجِعُونَ﴾ "فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبْرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ" (٢٣: ٥٤).

٩٤ / ٢١

٩٤- و لأن أمة الإيمان واحدة و الرسالة واحدة ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِّنَ الصَّالِحَاتِ﴾ بعضا لأقل تقدير ﴿وَالْحَالِ﴾ ﴿هُوَ مُؤْمِنٌ﴾ أيا كان إيمانه على ضوء الرسالات، تهودا و تنصرا و تأسلما ﴿فَلَا كُفْرَانَ لِسَعِيهِ وَ إِنَّا لَهُ﴾ إيمانا و عملا صالحا ﴿كَاتِبُونَ﴾: "إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَ عَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لَا هُمْ يَحْزَنُونَ" (٢: ٦٢) مهما كان للإيمان الأخير مكانته.

٩٥ / ٢١

٩٥- ﴿وَحَرَامٌ﴾ حرمانا باتا ﴿عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ بعذاب الاستئصال جزاء في الأولى ﴿أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ إلينا و "كُلُّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ" و لكن رجوعهم المحتوم هنا هو رجوع خاص و هو عند الرجعة، و ذلك يوم الجمع دون اختصاص.

٩٦ / ٢١

٩٦- حرام عليهم ألا يرجعوا ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَاجُوجُ﴾ و هما من أمة الإفساد العالمي مع إسرائيليين مذكورين في الإسرائاء ﴿وَالْحَالِ أَن﴾ ﴿هُمْ مِّنْ كُلِّ حَدَبٍ﴾ مرتفع مترفع: برا و بحرا و جوا ﴿يَنْسِلُونَ﴾ و ينزلون انتسالا و انفصالا، فهذه الآية من آيات الرجعة الخاصة عند دولة المهدي العالمية.

٩٧ / ٢١

٩٧- عند ما ﴿وَأَقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾ و هو وعد الرجعة العامة ﴿فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالحق، شخوصا خانقا دون حراك، قائلين ﴿يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا﴾ غارقين ﴿فِي غَفْلَةٍ﴾ عادمة عاندة ﴿مِنْ هَذَا﴾ الرجوع الفاضح ﴿بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ في غفلتنا و كفرنا دون قصور.

٩٨ / ٢١

٩٨- ﴿إِنَّكُمْ﴾ المشركين ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ من أوثان و طواغيت ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ و هو ما يرمى به من الحصباء، شبهوا بها من ذلّ مقاذفهم، و هوان مطارحهم ﴿أَنْتُمْ﴾ و ما تعبدون ﴿لَهَا﴾ خاصا، إذ أنتم هي و هي أنتم ﴿وَارِدُونَ﴾ ورودا في ملكوت أعمالكم.

٩٩ / ٢١

٩٩- ﴿لَوْ﴾ مستحيلا ﴿كَانَ هَؤُلَاءِ﴾ طواغيت و أوثان و أصناما ﴿آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا﴾ بل و هم يوردون العاصين لله، الكافرين بالله ﴿وَكُلٌّ﴾ عابدين و معبودين ﴿فِيهَا خَالِدُونَ﴾ خلود النار، و طالما لا تشعر الأوثان، و لكنها- زعم ألوهيتها عندهم- يدخلونها حتى يعذب عابدها عذابا فوق عذاب.

١٠٠ / ٢١

١٠٠- ﴿لَهُمْ﴾ ككل ﴿فِيهَا زَفِيرٌ﴾ صوت الرادّ نفسه إلى داخل جوفه ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ﴾ صوت بعضهم البعض، من شدة الزفير.

١٠١ / ٢١

١٠١- ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحَيَاةَ﴾ ﴿الْحُسْنَى﴾ إيماناً و عملاً صالحاً ﴿أُولَئِكَ﴾ الأكارم ﴿عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ بعد دخولهم فيها:- " إِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا. ثُمَّ نُنْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَ نَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا " (١٩: ٦٨) و دخول الجحيم لهم خطوة أن يروا سجن العاصين حيث اتقوا و وقوا أنفسهم عنه.

١٠٢ / ٢١

١٠٢- ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ صوتاً محسوساً فيها زفيراً و شهيقاً فإنه صوت العذاب، فضلاً عن مسيسها ﴿وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ﴾ فى الجنة التى أعدها لهم،

١٠٣ / ٢١

١٠٣- ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾ لا حساً و لا مساً، بل و لا سمعاً و لا بصراً ﴿وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ أخذاً لهم حنونا من مكان النار، قائلين لهم ﴿هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِى كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ جزاء بما كنتم تعملون.

١٠٤ / ٢١

١٠٤- و هو ﴿يَوْمَ نَطْوِي﴾ طومار ﴿السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ﴾ المسجل ﴿لِلْكِتَابِ﴾: "وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ.." (٣٩: ٦٧) و هو قيامة التدمير، و من ثم قيامة التعمير: ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ﴾ إعادة لخلق البدن بعد ما صار رميماً، و إعادة للروح فيه كما "أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ" وَ نَفْخُ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ ﴿وَعَدْنَا عَلَيْنَا﴾ حتماً بما وعدناه ﴿إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ و لو لم نعد، حيث القيامة الحساب و الجزاء هى قضية عدلنا وعدنا ألم نعد، فإنه الحق العدل.

١٠٥ / ٢١

١٠٥- و آية للرجعة بعد آية "حرام" ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ﴾ لداود ﴿مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾: التوراة، و من بعد ذكره فى الذكر القرآن، بعداً فى الرجوع إلى ذكر، أو أن "الزَّبُورِ" كافة الزبر السماوية، و على أية حال تلك الكتابة مذكورة فى الزبور" (٣٧: ١- ٣٩) مرات ﴿أَنَّ الْأَرْضَ﴾ أرض التكليف أرضياً و سماوياً ﴿يَرْثُهَا﴾ سيطرة حكومية عليها ﴿عِبَادِي الصَّالِحُونَ﴾ من كل الزمن، حيث يستخلصهم الله فيحى أمواتهم و يبقى أحياءهم لذلك الميراث القيادى، فهناك "قَرْيَةً أَهْلَكْنَاهَا" إذ محضوا الكفر محضاً و هنا "عِبَادِي الصَّالِحُونَ" إذ محضوا الإيمان محضاً فتوافق الكتاب و السنة أن الله يحييها عند الرجعة، حيث يرجع من محض الإيمان محضاً أو محض الكفر محضاً.

١٠٦ / ٢١

١٠٦- ﴿إِنَّ فِي هَذَا﴾ الإرث العظيم ﴿لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾ أنهم لا يظلمون منكوبين مظلومين تحت أنيار الاستبدادات، بل سوف يرثون الأرض عن الحاكمين فيها.

١٠٧ / ٢١

١٠٧- و لما ذا ذلك الميراث الجمعى على ضوء ذلك الإسلام الأخير؟ إذ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ جمع العالم و هو العاقل المكلف، و أقله فى جمعه ثلاثة، فلا بد من عالم غير الجن و الإنس يكلف بشريعة القرآن، ف"هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَ دِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا" (٤٨: ٢٨) و واقع الرحمة المحمدية للعالمين أجمع لا يحصل إلا فى دولة المهدي من آل محمد عليهم السلام.

١٠٨ / ٢١

١٠٨- صحيح أنه لا يوحى إلى إلا كما أوحى من قبل على رجالات الوحي، و لكن فى وحيى كل وحي و زيادة التكملة ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوْحَىٰ إِلَىَّ﴾ كما أوحى إلى غيرى ﴿أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَهَلْ أُنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ لذلك الوحي: "قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرَىٰ مَا يَفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ" (٩: ٤٦).

١٠٩ / ٢١

١٠٩- ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عن ذلك الإسلام السليم ﴿فَقُلْ أَذَنْتُكُمْ﴾ إعلانا بنفس الوحي ﴿عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾ من مشركين و كتابيين، إعلانا بحق التوحيد ﴿وَإِنْ أَدْرَىٰ أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدُ مَا تُوعَدُونَ﴾ مهما أدرى أننا أقرب إليه ممن قبلنا و من بداية التكليف.

١١٠ / ٢١

١١٠- ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ﴾ كما ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾ بل و أخفى منه، فـ "سَوَاءٌ مِّنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ" (١٣: ١٠).

١١١ / ٢١

١١١- ﴿وَإِنْ أَدْرَىٰ﴾ سلبا لدرأيته و هو رسول ﴿لَعَلَّهُ﴾ تأخير عذابكم هنا ﴿فِتْنَةً﴾ إمتحان ﴿لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾.

١١٢ / ٢١

١١٢- ﴿قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ﴾ التماسا لما يحصل، تأدبا أمام من يحصل ﴿وَرَبَّنَا الرَّحْمَنُ﴾ هو ﴿الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾. البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٣٣٢

سورة الحج

١ / ٢٢

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ يا أيها الناس ﴿كُحِّجِرَ الْأَسَاسُ﴾ مع سائر المكلفين ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ حيث رباكم لدنيا التكليف، ثم عقبى الجزاء، فـ ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ﴾ القيامة، إماتة لكل حى ﴿شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ ما أعظمه "إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا".

٢ / ٢٢

٢- ذلك الزلزال العظيم ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا﴾ و أنتم أحياء هنا أو فى البرزخ حيث تواجهكم صعقة الموت عنهما ﴿تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ رغم أنها قد تذهل عن نفسها و لا تذهل عما أرضعت ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا﴾ لشدة وقعها الواقعة ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ﴾ حيارى كأن لا عقل لهم يضبطهم ﴿وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ﴾ الخمر التى تخمرهم و تسكرهم ﴿وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ﴾ بتلك الزلزلة المدمرة ﴿شَدِيدٌ﴾ و الأصل هنا من عذاب الله هو لأهل العذاب.

٣ / ٢٢

٣- ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ النسناس ﴿مَنْ يَجَادِلُ فِي اللَّهِ﴾ كونا و كيانا ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ حاضر فطرى و عقلى و ما أشبهه، إذ تغافل عنها، حيث المجادلة فى الله بعلم صادق فى شك مقدس توصل إلى الله، أو فى علم يزيد علما، فهذه شيمة أهل التقوى، و لكنها "بِغَيْرِ عِلْمٍ" ﴿وَيَتَّبِعُ﴾ إضافة إلى جهله المعمد ﴿كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ﴾ فى جداله، فهذه شيطنة مضاعفة، و لكن التطرق إلى الله بعلم و تقوى ليس مجادلة، إلا على ناكرى الله، لا فى الله و آياته "وَجَادِلْهُمْ بَالَّتَىٰ هِيَ أَحْسَنُ" (١٦: ١٢٥).

٤ / ٢٢

٤- ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ﴾ تسجيل الإرادة الإلهية، مضللا و مضللا ﴿أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ﴾ ولاية و حبا ﴿فَأَنَّهُ يَضِلُّهُ﴾ كما ضل ﴿وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ بدلا من رحمة العلى القدير.

٥ / ٢٢

٥- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ كأساس ﴿إِنْ كُنْتُمْ﴾ غارقين ﴿فِي رَبِّ﴾ شك مريب و لا ريب فيه ﴿مِنَ الْبَعْثِ﴾ المعاد استعجابا و استبعادا هما عادة الريب ﴿ف﴾ قد يزول بـ ﴿إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ﴾ أولا فأدم، ثم أنسأله ﴿مِنَ تُرَابٍ﴾ مما يقضى على أصل الأنواع الداروني ﴿ثُمَّ﴾ بعد آدم الأول، فى أنسأله ﴿مِنَ نُطْفَةٍ﴾ " أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِّنْ مَّنِي يَمْنَى. ثُمَّ كَانَ عِلْقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى " (٣٧: ٧٥) ﴿ثُمَّ مِّنْ عِلْقَةٍ﴾ هى المرحلة الثانية، كدودة تعلق و هى دم منجمد ﴿ثُمَّ مِّنْ مُّضْغَةٍ﴾ لحمة صغيرة متحولة من علقه ﴿مُخَلَّقَةٍ﴾ كمال خلقها ﴿وَوَ غَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ ناقصة، و كما هى قضية العلقه، و الحكمة الخالقة، و منها المضغة الضائعة التى لا تصبح جنينا سليما ﴿لُبَّيْنًا لَّكُمْ﴾ القدرة الخلاقة، و أن الله يحيى الأموات كما كانوا أمواتا ثم أحياهم ﴿وَوَقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ بين خارق الإقرار كالمسيح (ع) أو عادى بين ستة أشهر إلى تسعة ﴿ثُمَّ﴾ بعد مضى الأجل المسمى ﴿نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾ ثم ﴿بعد مضى دور الطفولة نربيكم﴾ ﴿لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ﴾ جسما و روحا و عقلا ﴿وَمِنْكُمْ مَّنْ يَتَوَفَّى﴾ عمرا عاديا ﴿وَمِنْكُمْ مَّنْ يَرُدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ﴾ راجعا إلى حد الطفولية عقليا و جسميا ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِّنْ بَعْدِ عِلْمٍ﴾ أعطيه أو اكتسبه ﴿شَيْئاً﴾ كالطفولة " و الله خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَ مِنْكُمْ مَّنْ يَرُدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ " (١٦: ٧٠) و هذا سير الإنسان منذ التراب حتى الموت، بين موت و حياة، كما ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً﴾ عوانا بين الموت و الحياة، إذ هى مستعدة للحياة، و الهمد هو السكون ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ﴾ تزلزلت بحراك ﴿وَرَبَّتْ﴾ نمت ﴿وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ يبهج نظرا و أكلا بعد ما كان يحرّج لهما قاحل.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٣٣٣

٦ / ٢٢

٦- ﴿ذَلِكَ﴾ العظيم من قدرته و حكمته ﴿بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ كله، لا أنه يقاس إلى حق غيره، فما دونه هو الباطل، فلا حق إلا هو تكوينا و تشريعا ﴿و﴾ من حقه ﴿أَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى﴾ نباتية و حيوانية و إنسانية من ميت الأرض ﴿وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ ممكن فى ذاته ﴿قَدِيرٌ﴾ قدرة على تكوين شىء لا من شىء و هو المادة الأولية، و على تكوين شىء منها، و على كلا الإحياء و الإماتة.

٧ / ٢٢

٧- ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ﴾ القيامة ﴿آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ بقدرته و حكمته ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ ميتين بصورة مطلقة، فإنها قبور البرزخ، لا خصوص التراب، و كما بعث و يبعث دوما أحياء النبات و الحيوان و الإنسان من ميت التراب، بل " وَ هُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ " (٣٠: ٢٧) لو كان عنده هين و أهون " أَفَعَيَّنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي نَبَسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ " (٥٠: ١٥).

٨ / ٢٢

٨- ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنُ يَجَادِلُ فِي اللَّهِ﴾ إبطالا لألوهيته الكاملة أو تشكيكا ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ فطرى أو عقلى داخلها ﴿وَوَ لَا هُدًى﴾ خارجية بوسيط رسول و سواه ﴿وَوَ لَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ و حيا من الله ينير الدرب على ظلم المكلفين، و لا بد فى أى جدال من علم أو هدى أو كتاب منير: " وَ لَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ " (١٧: ٣٦) " إِنَّ الظَّنَّ لَا يَغْنَى مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً " (١٠: ٣٦).

٩ / ٢٢

٩- حال أنه ﴿ثَانِي عِطْفِهِ﴾ يكسر عطفه و جنبه تبخترأ كأنه على شىء ﴿لِيُضِلَّ﴾ بجذاله المتبختر ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ السدج العوام، الذين لا يعرفون حجة أمام باطل الجدال، ف ﴿لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ﴾ إذ لا حجة له فى جذاله، و لا بد للناس أن يجانبوه ﴿وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ كما يحرق العقائد بجذاله المبطل.

١٠ / ٢٢

١٠- ﴿وَذَلِكَ﴾ الخزي و العذاب ﴿بِمَا قَدَّمْتُ يَدَاكَ﴾ طاقاتك المضللة ﴿وَلَوْ﴾ ب ﴿أَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ أن يحملهم على الضلالة ثم يجازيهم بها ظلما على ظلم كما يقول الجبابة، أو أن يسوى بين المحسن و المسيء، ثوبا أو عذابا، أو يعذب بعضا من المضلل و المضلل و لكل عذاب حسب ضلاله، و ما أشبه من ظلم مطلقا، فإنه من الغنى العليم القدير ظلّامية، و ليس فقط ظلما.

١١ / ٢٢

١١- ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ النسناس ﴿مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ﴾ موحدا في ظاهر عبادته، و لكن ﴿عَلَى حَرْفٍ﴾ طرف هامشي دون أصالة ﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ﴾ في عبادته الحرفية الجانبية ﴿اطْمَأَنَّ بِهِ﴾ بالخير لا العبادة إلا وسيلة هي وسيلة لخير ﴿وَلَوْ أَنَّ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ﴾ و ابتلاء في عبوديته ﴿انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ﴾ و حرفه، فترك عبادته، و كأن العبادة ثمن لخير الدنيا و شهواتها و لهواتها ﴿خَسِرَ الدُّنْيَا﴾ إذ عبد الله فترك لشهوات منها ﴿وَالْآخِرَةَ﴾ إذ لا حقيقة و لا أصالة لعبادته ﴿ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ حيث يبين نفسه في ابتلاءات العبادات.

١٢ / ٢٢

١٢- و لأن عبادته الحرف كانت نفاقا، إذ عند الفتنة انقلب على وجهه ﴿يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْصُرُهُ﴾ إن ترك عبادته ﴿وَمَا لَا يَنْفَعُهُ﴾ إن عبده، و ﴿ذَلِكَ﴾ العظيم من ضلاله ﴿هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ إذ خسر الدنيا و الآخرة، فمن يخسر الآخرة فقط فضلا له قريب مهما كان أضل من ضلال الدنيا، فخاسرهما ضلاله بعيد عن صالح الدارين.

١٣ / ٢٢

١٣- ﴿يَدْعُوا لِمَنْ ضَرَّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ﴾ لو كان في دعاءه إياه نفع ﴿لَيْسَ الْمَوْلَى﴾ مولاه ﴿وَلَيْسَ الْعَشِيرُ﴾ حيث يعاشره في عبادته و تولّيه

١٤ / ٢٢

١٤- ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ به ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ لإيمانه به ﴿جَنَاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ حيث تجن أشجارها مع بعض ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ عدلا و فضلا بحكمته.

١٥ / ٢٢

١٥- ﴿مَنْ كَانَ﴾ طول الماضي ﴿يُظُنُّ﴾ ظن السوء ﴿أَنْ لَنْ﴾ مستحيلا أن ﴿يُنْصِرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ رغم أنه كان يظن حسن الظن أن ينصره غير الله، تفضيلا رذيلا لغير الله على الله ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾ ذلك السبب ﴿فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾ من ظنه.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٣٣٤

١٦ / ٢٢

١٦- ﴿وَكَذَلِكَ﴾ العظيم ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ القرآن ﴿آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ دون غطاء و إجمال، بل بكل جمال ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِيَ﴾ إيصالا إلى الهدى ﴿مَنْ يُرِيدُ﴾ الهدى فيريدها الله له.

١٧ / ٢٢

١٧- فالمهم هو حسن الظن بإيماننا بالله أيا كانت شرعتك، ف ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ إلى الحق و هم أتباع التوراة ﴿وَالصَّابِغِينَ﴾ و هم الذين صبئوا من الدين الكتابي إلى غيره بعضا، فهم ملتقطون، مع الحفاظ على توحيد ﴿وَالنَّصَارَى﴾ أتباع الإنجيل ﴿وَالْمَجُوسَ﴾ و هم الزرادشت ﴿وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ بالله غيره، فالصابئون و المجوس ليسوا من المشركين الرسميين

﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ بين الموحدين و المشركين، و بين الموحدين أنفسهم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾
يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَ مَا تَخْفَى الصُّدُورُ (١٩: ٤٠).

١٨ / ٢٢

١٨- ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ أيها الرائي فيما تراه ببصيرتك ﴿أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ﴾ (هنا تجب السجدة) كل ﴿مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ﴾ كل ﴿مَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ كونيا ككل، و إراديا كبعض ﴿وَ﴾ كذلك ﴿الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ وَ النُّجُومُ﴾ كلها من ثابتات و سيارات ﴿وَ الْجِبَالُ﴾ من الجامدات ﴿وَ الشَّجَرُ﴾ من النباتات ﴿وَ الدَّوَابُّ﴾ من الحيوانات ﴿وَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ﴾ اختياريا ﴿وَ كَثِيرٌ مِمَّنْ﴾ ﴿حَقٌّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ كونيا، فـ "إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبَحُ بِحَمْدِهِ وَ لَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ .." (١٧: ٢٤) "وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ طَوْعًا وَ كَرْهًا وَ ظِلَالُهُمْ" (١٣: ١٥) ﴿وَ مَنْ يَهِنِ اللَّهُ﴾ تركا للسجود له باختيار، و هو يسجد لغير الله ﴿فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ﴾ غير الله ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ بعلمه و قدرته و حكمته.

١٩ / ٢٢

١٩- ﴿هَذَانِ﴾ الجمعان هما ﴿خَصْمَانِ﴾ مع بعض البعض ﴿اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ توحيدا و إشراكا، ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ منهما برَبِّهِمْ ﴿قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ﴾ كما قطعوا لأنفسهم ثياب الكفر، فـ "سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطَرَانٍ" (١٤: ٥٠) ﴿يَصْبُ مِنْ فَوْقٍ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ و هو قار حار، و أين قار من قار و حار من حار؟.

٢٠ / ٢٢

٢٠- ﴿يَصْهَرُ﴾ إذابة ﴿بِهِ﴾ لباسا ﴿مَا فِي بُطُونِهِمْ وَ الْجُلُودُ﴾ جلود الأبدان أقشارا و جلود الأرواح و هي الأبدان ككل ظاهرا و باطنا، فـ "كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ" (٤: ٥٦) و هي جلود الأرواح: الأبدان.

٢١ / ٢٢

٢١- ﴿وَ لَهُمْ مَقَامِعٌ﴾ مذاق و عمد ﴿مِنْ حَدِيدٍ﴾ تدق على رءوسهم و أبدانهم، عذابا فوق العذاب، و يا له من تباب.

٢٢ / ٢٢

٢٢- ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ﴾ و هي باقية ﴿أُعِيدُوا فِيهَا وَ﴾ يقال لهم ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ حتى تخدم النار فيخدم من في النار، فلا تدل هذه الآية على أبدية العذاب اللانهائية، لـ "يَخْرُجُوا مِنْهَا" الدالة على أن النار بعد باقية، و أما مع خمودها معهم فلا موقع لـ "منها".

٢٣ / ٢٢

٢٣- ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ ككل ﴿جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ ماء و لبنا و عسلا مصفى ﴿يَحْلَوْنَ فِيهَا﴾ تزيينا ﴿مِنْ أَسَاوِرَ﴾ دستواره ﴿مِنْ ذَهَبٍ﴾ زينة للأيدي، رجالا و نساء ﴿وَ لَوْلُؤَا وَ لِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ و هو أخرى لباس و ألبسة و أحسنه لهما جميعا، مهما كان التزين بالذهب و الحرير هنا محرمين على الرجال.

٢٤ / ٢٢

٢٤- ﴿وَ هُدُوا﴾ بهداية الله ﴿إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ منهم و لهم من الله و من أهل الله "سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ" ﴿وَ هُدُوا﴾ إلى صراطِ الْحَمِيدِ في الأخرى كما في الأولى.

٢٥ / ٢٢

٢٥- ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالله بما كفروا، و ستروا أنفسهم عن الله، كما كفروه عن أنفسهم ﴿وَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ﴾ متوطنا أو موطنا ﴿وَ الْبَادِ﴾ المسافرين، و هنا "الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ" هو مكة كلها إذ لا

يعكف مواطننا أو متوطننا إلا فيها كلها دون خصوص المسجد الحرام ﴿وَمَنْ يَرِدْ فِيهِ﴾ تصميما، ﴿بِالْحَادِ﴾ ميل عن الحق، فإنه مجلى الحق كله ﴿يُظْلَمُ نُدْفُهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ هنا تأديبا و فى الأخرى تعذيبا.

٢٦ / ٢٢

٢٦- ﴿وَوَ اذْكُرْ﴾ اذكر ﴿إِذْ بَوَّأْنَا﴾ بواء و مرجعا ﴿لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ قبل أن يبينه، بـ ﴿أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي شَيْئًا﴾ غيرى ﴿وَ طَهَّرَ بَيْتِي﴾ عن أرجاس و أخبات ﴿لِلطَّائِفِينَ﴾ حوله ﴿وَ الْقَائِمِينَ﴾ فيه ﴿وَ الرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ أمامه، و الطهارة عن رجس المشركين هى قمة الطهارات المعنية هنا فلا يدخلوه.

٢٧ / ٢٢

٢٧- ﴿وَ﴾ اَنْ ﴿أَذِّنْ﴾ إعلاما و إعلانا ﴿فِي النَّاسِ﴾ كل الناس و كافة المكلفين ﴿بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ﴾ حجاجا و معتمرين، فإنهما حج مهما كان الأول أكبر و الثانى أصغر، إذ فيهما طواف البيت و هو أصل الحج، "أذن" يأتوك" فإتيانه فرض كما أن أذانه فرض ﴿رَجَالًا﴾ راجلين ﴿وَ عَلَى كُلِّ ضَامِرٍ﴾ خفيف اللحم من المركوب، ثم لا ثالث من قوى المركوب، مما يدل على فرض الحج على أية حال على "مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا" (٩٧: ٣) مشيا و ما أشبهه، ابتداء بالمشى، كما أن أكثر من حج مع رسول الله صلى الله عليه و آله كانوا مشاة، فلا تشترط الراحلة إلا حرجا دونها ﴿يَأْتِينَ﴾ للحج ﴿مِنْ كُلِّ فَجٍّ﴾ شقة ﴿عَمِيقٍ﴾ بعيد، حيث الحج هو أعمق العبادات، فالمستطيع له دون عسر او حرج عليه أن يحج من كل فج عميق.

٢٨ / ٢٢

٢٨- ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ جماعية و أخرى فردية، سياسية و ثقافية و اقتصادية و ما أشبه قضية ذلك الجمع الحاشد من مختلف صنوف المسلمين ﴿وَ يَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾ حالة الحج و العمرة و "الحجُّ أشهرُ معلّوماتٍ" (١٩٧: ٢) ﴿عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ و على سائر الرزق، و لكن هنا زيادة أن بهيمة الأنعام تقرّب قربانا لله، إطعاما لعباد الله، و ذكرا لإسم الله عليها عند ذبحها أو نحرها، و هنا ﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾ بعضا يصدق عليه أكل خلطا بالمساكين ﴿وَ أَطْعَمُوا الْبَائِسَ﴾ الحال ﴿الْفَقِيرَ﴾ الذى أفقر ظهره العدم، فذلك الإطعام هو فرض فى الضحايا، دون حرق أو هدر للحومها و كما قال رسول الله صلى الله عليه و آله إنما جعل الله هذا الأضحى لتشبع مساكينكم من اللحم فأطعموهم منه أجل "فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَ أَطْعَمُوا الْقَانِعَ وَ الْمُعْتَرَّ" (٣٦: ٢٢) فهنا بئس فقير، و قانع و معتز، يشتركون فى الحاجة على إختلاف مراحلها، دون المحرقات و البولذرزات و ما أشبه من تبذير حظير خطير.

٢٩ / ٢٢

٢٩- ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾ بعد الرمى و الذبح بحلق الرأس و سائر التنظيف عن ملابس الإحرام حيث توسخت ﴿وَ لِيُوفُوا نُدُورَهُمْ﴾ التى نذورها أن فرضوها على أنفسهم، من كفارات الإحرام، كيلا يكون عليهم وزر حال الطواف ثم ﴿وَ لِيُطَوِّفُوا﴾ مبالغة العدد، إشارة إلى طواف النساء بعد طواف الحج ﴿بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ ما صدق الطواف بالبيت دون أى حد فى مثلث الأمانة الأرضية و تحتها و فوقها، مهما توسع و توسع، و قد يجب الطواف يوم النحر بعد واجباته بدليل واجب الفور فى الأمر.

٣٠ / ٢٢

٣٠- ﴿ذَلِكَ﴾ العظيم الصدى، يجب الحفاظ عليه ﴿وَ مَنْ يَعْظَمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ﴾ التى احترامها الله و حرم تركها، تعظيما عقيدا و عمليا ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ فخلافة شرّ له عند ربه، لا سيما و أنها شعائر الله و مَنْ يَعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ" (٣٢: ٢٢) ﴿وَ أَحِلَّتْ لَكُمْ﴾ بهيمة ﴿الْأَنْعَامِ﴾ ككل، أفرادا و أبعاضا ﴿إِلَّا مَا يَتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ كما تلى فى آيات عدة، أصليا كلحم الخنزير، و عارضيا كالميتة و ما لم يذكر عليه اسم الله و ما أشبهه، و أجزاء كالدّم غير المسفوح و الخبائث ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ﴾

عبادة و تقديمها لها ﴿مِنَ الْاَوْثَانِ وَ اجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ الكذب ككل، أو خلاف الحق إطلاقاً و منه اللهو مهما كان بكلمة الحق أو دون كلمة، فضلا عن اللهو الباطل.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٣٣٦

٣١ / ٢٢

٣١- "مَنْ يَعْظُمُ .." حال كونهم ﴿حُنْفَاءَ لِلَّهِ﴾ معرضين عمن دونه ﴿غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾ ما دونه ﴿وَمَنْ يَشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ﴾ سماء الفطرة و العقلية و الشرعة ﴿فَتَخْطِفُهُ الطَّيْرُ﴾ لأنه ساقط ﴿أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ يسحقه و يمحقه، هوبا من أفق التوحيد السامق إلى درك الشرك الساحق.

٣٢ / ٢٢

٣٢- ﴿ذَلِكَ﴾ احفظه و عظمه ﴿وَمَنْ يَعْظُمُ شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ معرفة و عقيدة و عملا ﴿فَإِنَّهَا﴾: شعائر الله، تعظيما إياها هي ﴿مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ و من لا يعظمها فإنها من طغوى القلوب، و "شعائر الله" هي مذياعات لشرعة الله، و لأن الحج مذياع كله، فكله شعائر الله: "إِنَّ الصَّافِ وَ الْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ" (٢: ١٥٨) وَ الْبُذْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ" (٢٢: ٣٦) لا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَ لَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ" (٥: ٢) فهي جمع "شعيرة" من الشعور و الدقة، إضافة إلى مظاهرها التى تشعر بعظم الإسلام.

٣٣ / ٢٢

٣٣- ﴿لَكُمْ فِيهَا﴾ بهيمة الأنعام ﴿مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ قبل سقوط الأضحية ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَا﴾ لذبحها ﴿إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ كمحور لكل شعائر الله، مهما كان منى و سواها من الحرم، كـ "هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ" (٥: ٩٥) إذ لا يذبح أو ينحر فى نفس الكعبة و لا فى المسجد الحرام، أو أن "ها" فى "محليها" راجعة إلى شعائر الحج كلها، بما فيها الضحية، حيث المركز و المحور الرئيسى لها كلها هو "البيت العتيق" فهو الوسط بين ما قبله و ما بعده من شعائر الله.

٣٤ / ٢٢

٣٤- ﴿وَ لِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ من الأمم الرسالية ﴿جَعَلْنَا مَنَسَكًا﴾ فى شعائر الحج: لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنَسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ" (٢٢: ٦٧) ﴿لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ كما ذكر قبل ﴿فَالِهَكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ فَلَهُ﴾ لا لسواه ﴿أَسْلِمُوا﴾ فى كافة أموركم ﴿وَ بَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾ المتخضعين إلى متسع العبودية، دون إفراط أو تفريط: "إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَ اخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ" (١١: ٢٣) و الإخبات هو أن يدفع البعير إلى الأرض خروجا عن كبرياءه و رعوثته.

٣٥ / ٢٢

٣٥- ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ﴾ وحده ﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ رهبة و هيبة لله بما هو تحت إمرة قلوبهم ﴿وَ الصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ﴾ فى سبيل وجلهم من ربهم دون تفلت أو تلفت ﴿وَ الْمُقِمِّي الصَّلَاةِ﴾ لله ﴿وَ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ فى سبيل الله.

٣٦ / ٢٢

٣٦- ﴿وَ الْبُذْنَ﴾ جمع بدنة و هى الإبل ﴿جَعَلْنَاهَا لَكُمْ﴾ فى الحج ﴿مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾ ضحية و أكلا و إيكالا ﴿فَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ﴾ مصطفة للنحر ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾ بنحرها ﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾ مشاركة للقانع و المعتر ﴿وَ أَطْعَمُوا الْقَانِعَ﴾ الذى يقنع بما تطعمه ﴿وَ الْمُعْتَرَّ﴾ الذى يعترى مرورا عليك دون سؤال و هو ناظر إلى عطاءك ﴿كَذَلِكَ سَخَرْنَاهَا لَكُمْ﴾ شعائر و أكلا و إيكالا، لا أن تهدروا لحومها إحراقا أو دفنا، و هل تضحى حين تؤمر بأكل شيء و إيكاله، ثم و لا أكل و لا إيكال: "إِنَّ الْمُبْذَرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ .." كذلك ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الله على ما رزقكم منها قربانا و أكلا و إيكالا، لا: لعلكم تكفرون - بذلك التبذير الحظير.

٣٧- ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا﴾ رغم ما كان يزعمه المشركون، ملطّخين البيت بدمائها، مهذّرين لحومها للسباع، لأنها قدمت لله، وإنما ينال أهل الله لحومها ﴿وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ﴾ أن تتقوا ترك التضحية، أو تبذروا لحومها بالتضحية، أو لا تنووا تقربا فيها إلى الله ﴿كَذَلِكَ سَخَرَهَا لَكُمْ﴾ دون طغوى التبذير و ما أشبه ﴿لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ﴾ إلى مناسكه و مناهجه ﴿وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾ فى تحقيق شعائر الله دون المسيئين الذين يهدرون اللحوم زعما كأن إراقة الدم هى فقط من شعائر الله.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٣٣٧

٣٨- ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنْهُ نَوَامِيسَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ كما "وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً" ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَجِبُ كُلَّ خَوَانٍ﴾ جمع خائن ﴿كُفُورٍ﴾ كفرا و كفرانا، و تهدير لحوم الأصاحى خيانة و كفر و كفران بنعمة الله.

٣٩- ﴿أَذِنَ﴾ بعد حظر ﴿لِلَّذِينَ يَقَاتِلُونَ﴾ فقط، دون قتال هجومى ﴿بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا﴾ بما يقاتلون و قوتلوا من ذى قبل، دون من لم يظلموا، و هذا أول إذن للقتال الدفاعى إذ كانوا بمكة لا يقدرّون على دفاع ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ إذ هم اتكّلوا على الله، و قاتلوا فى سبيل الله، فلا بد للدفاع من إمكانية حفاظا على الأهم، و إلا فلا دفاع فضلا عن هجوم لا دور له إطلاقا.

٤٠- و من ظلمهم من ذى قبل و لمّا يهاجموا ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ فى ذلك الإخراج الإخراج ﴿إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبَّنَا اللَّهُ﴾ لا سواه ﴿وَلَوْ لَا دَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾ دفاعا عن ظلم ﴿لَهَدَمَتِ صَوَامِعُ﴾ معابد اليهود ﴿وَبِيعُ﴾ للنصارى ﴿وَصَلَوَاتُ﴾ للمسلمين ﴿وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا﴾ كلها ﴿إِسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا﴾ مهما اختلفت شكيلات ذكر الله ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ﴾ حتما ﴿مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ فى دينه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ "وَلَوْ لَا دَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ" وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ (٢: ٢٥١) فالدفاع حق أصيل لكل من يهاجم، اللهم إلا إذا كان ضره أكثر من نفعه كما كان فى العهد المكى، و لمّا يقيم المسلمون على سوقهم، و لمّا تحصل لهم قوة للدفاع،، إلا أن يجتثوا عن بكرتهم.

٤١- ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ قياما على سوقهم قدر ما يتمكنون من تحقيق ما يلى: ﴿أَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ لا بذات أنفسهم إذ لا يحتاج إلى تمكين، بل حصولا على جماعات الصلاة ﴿وَأَتَوُا الزَّكَاةَ﴾ جهارا دون ستار، إذ يتمكنون من هذا التصرف الاقتصادى، و مما يدل على تلك المكنة: ﴿وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ فإنهما بحاجة إلى الإمكانية فيهما ﴿وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ فعليك أن تقوم عند المكنة بواجبك، حصلت على عاقبته المطلوبة أم لا، فإن تحقيق التكليف هو الأول البدائى.

٤٢- ﴿وَإِنْ يَكْذِبُوكَ﴾ فى رسالتك، فقديما ما كان تكذيب الرسل: ﴿فَقَدْ كَذَّبَ قَبْلَهُمْ﴾ أولاء المكذبين ﴿قَوْمُ نُوحٍ وَ عَادُ وَ ثَمُودُ﴾ رسلهم شر تكذيب.

٤٣- ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كذلك ﴿قَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَ﴾ على ضوء رسالته ﴿قَوْمُ لُوطٍ﴾.

٤٤- ﴿وَاصْحَابُ مَدْيَنَ﴾ شعيبا ﴿وَكَذَّبَ مُوسَى﴾ حتى من قبل قومه ﴿فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ﴾ إمهالا ﴿ثُمَّ﴾ بعد تقضى المهلة ﴿أَخَذْتُهُمْ﴾ أخذوا وببلا ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ ى عليهم.

٤٥ / ٢٢

٤٥- لا هم فحسب، بل بصورة عامة ﴿فَكَأَيُّ مَن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا﴾ بعذاب الاستئصال ﴿وَ﴾ الحال ﴿هِيَ ظَالِمَةٌ فَمَهْ﴾ إذا ﴿خَاوِيَةٌ﴾ خالية عن كل عمران ﴿عَلَى عُرُوشِهَا﴾ و سقفها و مرتفعاتها ﴿وَ بِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ﴾ إذ باد أهلوها ﴿وَ قَصْرِ مَشِيدٍ﴾ مجصص بالوان الجصّ و الزخرف و ما أشبه.

٤٦ / ٢٢

٤٦- ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ سيرا تأريخيا و جغرافيا، كونيا و شرعيا، و أفضلها أرض القرآن بعرضه كلما حصل من خير أو شر، و لو ساروا ﴿فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ فيدخل ما يسمعون في قلوبهم ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ﴾ الحيوانية و منها ما هى أبصر ﴿وَ لَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ فلا تفتح لأعين القلوب و هى البصائر، حتى بما يسمع من عبر.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٣٣٨

٤٧ / ٢٢

٤٧- ﴿وَ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ الموعود تحديا ﴿وَ لَنْ يَخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ دون استعجال ﴿وَ إِنْ يَوْمًا﴾ من العذاب ﴿عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ فى أى عذاب، فلما ذا- إذا- الاستعجال، فالطويل عندكم هو عند الله قصير يسير، و قد يعنى " ألف سنة" التكاثر الكثير، دون خصوصه، و لمكان " خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ" فى أخرى.

٤٨ / ٢٢

٤٨- ﴿وَ كَأَيُّ مَن قَرْيَةٍ﴾ مجتمع إنسانى ﴿أَمْلَيْتُ لَهَا﴾ الحياة إمهالا ﴿وَ﴾ الحال ﴿هِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ﴾ فى نهاية المهلة ﴿أَخَذْتُهَا﴾ تدميرا ﴿وَ إِلَى الْمَصِيرِ﴾ فى كل مسير.

٤٩ / ٢٢

٤٩- ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا﴾ ليس إلا ﴿أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ﴾ بين يدي عذاب شديد ﴿مُبِينٌ﴾ لنذارتي بكل بيان، تكلمة لكل حجة تبين الحق.

٥٠ / ٢٢

٥٠- ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالله ﴿وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ لإيمانهم بالله ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ رفعا لأخطاء، و دفعا عن أن تحصل ﴿وَ رِزْقٌ﴾ كريم ﴿هنا و فى الأخرى﴾.

٥١ / ٢٢

٥١- ﴿وَ الَّذِينَ سَعَوْا فِي﴾ إبطال ﴿آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ﴾ محاولة لعجز عن فاعلياتها، و عجز عن الإيمان بها ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ هنا و فى الأخرى، مهما ظهرت ملكوتها فيها.

٥٢ / ٢٢

٥٢- ﴿وَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ﴾ حامل وحي ﴿وَ لَا نَبِىٍّ﴾ صاحب رفعة فى وحي الرسالة، فكلاهما مرسلان، إلا أن الثانى نبي بين الرسل ﴿إِلَّا إِذَا تَمَنَّى﴾ ما يتمناه الرسل من تطبيق رسالاتهم، دون تمنى أصل الرسالة فإنها حاصلة بـ "أرسلنا.." فذلك تمنى بعد الرسالة و هو تطبيقها، و لكن ﴿أَلْقَى الشَّيْطَانُ﴾ من إنس و جان ﴿فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ أن يصد عن قبولها و تطبيقها،

فيضلل المكلفين بها، أو يحرف رسالة الوحي لفظاً أو معنى ﴿فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾ بين الرسل والمرسل إليهم ﴿ثُمَّ يَحْكُمُ اللَّهُ آيَاتِهِ﴾ الرسالية بين المكلفين بعد ما أحكم آياته الرسولية في الرسل أنفسهم ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بما يلقي ﴿حَكِيمٌ﴾ كيف يلقي.

٥٣ / ٢٢

٥٣- ﴿لِيَجْعَلَ اللَّهُ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ ما يلقي الشَّيْطَانُ ﴿فِي أُمْنِيَّاتِ الرُّسُلِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ ﴿فِتْنَةً﴾ شر ﴿لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ الارتباب ﴿وَالْأَفَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ عن ذكر الله ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ﴾ و الشقاق بينهم و بين الحق ﴿بَعِيدٍ﴾ المصافة و المسافة: " وَ لَتَصْنَعُنَّ إِلَيْهِ أَفْتِدَةً الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَ لَيَرْضَوْهُ وَ لَيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ " (٦: ١١٣) فصاغى الحق مسوق إلى الحق، و صاغى الباطل مسوق إلى الباطل.

٥٤ / ٢٢

٥٤- ﴿وَ لِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾: الإيمان العالم ﴿أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ و لذلك ينسخ الله ما يلقي الشيطان تأييداً للذين أوتوا العلم ﴿مَنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ﴾ إيماناً زائداً ﴿فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ﴾ تخضعا كاملاً شاملاً بعد ما أختبت له عقولهم فصدورهم ﴿وَ إِنْ اللَّهُ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالحق لمرحلة أولى ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ لا يزل بهم عن جادة الحق: " يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ " (٥٨: ١١).

٥٥ / ٢٢

٥٥- ﴿وَ لَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ﴾: الحق ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ و هم أحياء، ساعة القيامة أو ساعة الموت أو الرجعة ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَقِيمٍ﴾ يعقم عذابه حياتهم فيستأصلهم عن بكرتهم. ذلك، فلا يعنى " أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ " إلقاء شيطانيا في قلوبهم، بل في رسالاتهم و نبواتهم بينهم و بين المكلفين، إذ لا أمانة لهم إلا تحقق بلاغاتهم، و كما تشهد الآيات.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٣٣٩

٥٦ / ٢٢

٥٦- ﴿الْمُلْكُ﴾ ظاهراً مع باطنه ﴿يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ بالحق ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ هم ﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ برزخاً و أخرى، صحيح أن الملك كله لله في كافة النشأت، ولكنه " يَوْمَئِذٍ " يظهر للكل أنه لله بعد خفاءه على الناكرين، و أنه أعطى ملكاً للمكلفين يوم الدنيا، يملكون به أنفسهم أو و من سواهم حيث يخيل إلى بعضهم أنهم يملكون أنفسهم دون الله، و لكنه يذبل بعد الموت، فلا مالك و لا ملك إلا لله. فكل ملك بكل حكم هو " يَوْمَئِذٍ " لله لا سواه " وَ لَا يَشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدٌ " (١٨: ٢٦).

٥٧ / ٢٢

٥٧- ﴿وَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بنا ﴿وَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ كلها ﴿فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ برزخاً و أخرى، و كما لهم عذاب مهين للحق و أهليه هنا " جزاءً وفاقاً ".

٥٨ / ٢٢

٥٨- ﴿وَ الَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ أوطانهم و سواها من أشغالهم ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ سلباً لغير الله و إيجاباً لله ﴿ثُمَّ﴾ في مهاجرتهم إلى الله ﴿قُتِلُوا﴾ في سبيل الله ﴿أَوْ مَاتُوا﴾ و هم مهاجرون في الله ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ﴾ بعد قتلهم أو موتهم ﴿رِزْقًا حَسَنًا﴾: " بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ " ﴿وَ إِنْ اللَّهُ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾.

٥٩- ﴿لِيَدْخُلْنَهُمْ مُدْخَلَ﴾ دخولا بزمانه و مكانه ﴿يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ﴾ بحالهم ﴿حَلِيمٌ﴾ عنهم.

٦٠- ﴿ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ﴾ المعتدى ﴿بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ﴾ دون زيادة ﴿ثُمَّ بَغَى عَلَيْهِ﴾ فى معاقبته ﴿لِيُنْصِرَنَّهُ اللَّهُ﴾ فى الدنيا و الآخرة ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ﴾ عما يفلت من عصيان ﴿غَفُورٌ﴾ إياه رفعا أو دفعا.

٦١- ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾ يادخال قسم من زمن الليل فى النهار، كما يعاكس ﴿وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَ أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ ما يسمع ﴿بَصِيرٌ﴾ ما يبصر، و رابطة الآيتين هى الجمع بين البلاء مع أهل الحق و الرخاء مع أهل الباطل، امتحانا فيهما، مهما كان امتحانا لأهل الباطل.

٦٢- ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ كله: ألا كل شىء ما خلا الله باطل: ﴿وَ أَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾ مهما كان رسولا أو ملكا، و هما على أحق الحق، و لكن دعوتهم كالحجة، و الألوهية فيهم باطلة ﴿وَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ﴾ و دونه هو الدانى الدنى ﴿الْكَبِيرُ﴾ و دونه صغير.

٦٣- ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ أيها الرائي ﴿أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ لأول مرة، و ينزله على طول خط الحياة ﴿فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ﴾ الميتة، بذلك الماء الميت حية نباتية ﴿مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ و كذلك ماء الوحي النازل على أراضى القلوب، ثم و ماء الحياة النازلة على اصول الأبدان بعد موتها.

٦٤- ﴿لَهُ﴾ دون سواه ﴿مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ﴾ و هما الكون المخلوق كله ﴿وَ إِنَّ اللَّهَ لَهُوَ﴾ دون من سواه ﴿الْغَنِيُّ﴾ و غيره فقراء ﴿الْحَمِيدُ﴾ فى غناه، فلا يفتقر إلى خلقه أيا كانوا.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٣٤٠

٦٥- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ﴾ لصالحكم جميعا دون اختصاص و امتصاص ﴿مَا فِي الْأَرْضِ﴾: الأرض و ما فيها ﴿وَ﴾ سخر لكم ﴿الْفُلْكَ﴾ حيث ﴿تَجْرَى فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ﴾ بين الماء و الهواء و الريح، مهما كان بالوسائل الحديثة إذ لا تحصل إلا بأمر الله، مهما كان فى الحصول عليها فعل الناس ﴿وَ يُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ﴾ فى هَوَاتِ الفضاء "بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرْوْنَهَا" (١٣: ٢) فثمَّ عمد و لكن لا ترونها، يمسك السماء بتلك العمدة غير المرئية ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ أن تقع يوم قيامة التدمير ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ إذ يمسك السماء فلا تقع عليهم، و إذ لا يمسكها فتقوم القيامة الكبرى، إذا فلا ممسك للكائنات إلا هو تعميرا، كما لا مرسل لها إلا هو تدميرا، و كما لا خالق لها إلا هو على طول خط الكون و الكيان.

ذلك، و قد يعنى تسخير ما فى الأرض، إمكانية الانتفاع منها ظاهرة و باطنة، بجد جادَ علميا و عمليا، إذ "هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً" فالأرض و ما فيها، هى "جَمِيعاً" لجميعنا، فعلينا أن نتفع بها فى سبيل الحق جميعا، تكريسا لقواتنا، حيث "هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَ اسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا" (١١: ٦١) طلبا لعمراننا ككل، روحيا و بدنيا، باستعمار الأرض لهذين العمرانين "إِلَى رَبِّكَ كَذْحًا فَمَلَايَهِ".

٦٦- ﴿وَهُوَ﴾ المحيى المميت كل الأموات أو الأحياء غيركم بأحرى ﴿الَّذِي أَحْيَاكُمْ﴾ للحياة الدنيا ﴿ثُمَّ يَمِيتُكُمْ﴾ عنها إلى البرزخ ﴿ثُمَّ يَحْيِيكُمْ﴾ لما متم في البرزخ: "وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ" (٣٩: ٦٨) ف" ثُمَّ يَحْيِيكُمْ" عن الصعقة بالنفخة الثانية ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ﴾ كفرا أو كفرانا.

٦٧- ﴿لِكُلِّ﴾ أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَمِ الرِّسَالَةَ ﴿جَعَلْنَا مَنَسَكًا﴾ طقوسا عبادية ﴿هُمْ نَاسِكُوهُ﴾ كل في زمنه الخاص به ﴿فَلَا يَنَازِعُكَ فِي الْأَمْرِ﴾ الشرعة بطقوسها الخاصة ﴿وَأَدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ كما دعيت إليه ﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ﴾ أهدى من سائر الهدى السابقة عليك.

٦٨- ﴿وَإِنْ جَادَلُوكَ﴾ "بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ" (١٨: ٥٦) ﴿فَقُلْ﴾ في آخر مقالك ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ إذ تركتم كتاب الله وراء ظهوركم و تجادلون في القرآن الحاوى لكل كتب الله.

٦٩- ﴿اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ أنتم المختلفين في الدين ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ فيما كنتم فيه تختلفون.

٧٠- ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ﴾ محيطا بكل ﴿مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ حيث هو الخالق لهما يعلم ﴿إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ﴾ ثابت في الذكر الحكيم ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ العلم المكتوب ﴿عَلَىٰ اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ مهما هو على غير الله عسير.

٧١- ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ و كل خلق الله و دون الله ﴿مَا لَمْ يَنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ تكوينا أو تشريعا يسمح لعبادتها ﴿وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ عبادة جاهلة قاحلة ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ و عبادة من دون الله هي من أظلم الظلم.

٧٢- ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾ غير ظنيات و لا وهميات، بل قاطعات الدلالة و المدلول ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالله و آياته ﴿الْمُنْكَرَ﴾ من قول و تخيل و عمل، بحيث ﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ﴾ سطوة ظالمة ﴿بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأَنْبِئُكُمْ بِشَرٍّ مِّنْ ذَلِكَُمُ﴾ المنكر الحال كما تظنون ﴿النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ بعد الحال.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٣٤١

٧٣- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ﴾ ضربه الله، و هو يمثل الحق ﴿فَاسْتَمِعُوا لَهُ﴾ و هو ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ إياهم ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ آلهة أو شركاء لله أصليا أو تخويليا ﴿لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾ على طول خط العلم و القدرة و الاختراع ﴿وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ على طول خط الحياة، بل و لا حبة بإمكانها النمو في شروط الإنماء ﴿وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ﴾ مهما اتفق ذلك الاستنقاذ من طواغيت و من أشبه ﴿ضَعْفَ الطَّالِبِ﴾ عابدا و مستنقذا ﴿وَالْمَطْلُوبِ﴾ المعبود و المستنقذ منه: "وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ" (١٦: ٢٠) "وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ. أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَ مَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ" (٢٥: ٣) "أَمْوَاتٌ" عن الألوهية أحياءهم و أمواتهم.

٧٤- ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ بتوحيد في ألوهيته و ربوبيته "وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" (٣٩: ٦٧) "وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ" (٦: ٩١) و ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ﴾ لا يحتاج إلى شريك، و هو قادر على أن يحيى الموتى حساباً و جزاء، كما هو قادر على أن ينزل على بشر وحياً ﴿عَزِيزٌ﴾ في قدرته.

٧٥ / ٢٢

٧٥- ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا﴾ يوحى بهم ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ يوحى إليهم بملائكته أو دون وسيط كقمة الوحي إلى محمد صلى الله عليه و آله ليلة المعراج "فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى. فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى" و النازل عليه ليلة القدر، ثم و إنزاله عليه (ص) بوسيط جبريل ليس لحاجته إليه بل لثلا يقال إنه إله ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ مقالات المنكرين المرتابين ﴿بَصِيرٌ﴾ بأحوالهم: "يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ":

٧٦ / ٢٢

٧٦- ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ من مثلث النشأت منذ حينهم إلى يوم القيامة حيث يستقبلونها ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ من النشأت تراباً و نطفة.. و جنينا و ولادة و حتى الآن ﴿وَالِلَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ لا سواه فذلك العلم المحيط يختص به سبحانه دون سواه، حتى محمد صلى الله عليه و آله و هو أعلم العالمين: "قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ" (٧: ١٨٨) ذلك محمد صلى الله عليه و آله و هو رأس زاوية العصمة، فضلا عن المحمديين المعصومين.

٧٧ / ٢٢

٧٧- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا﴾ للصلاة ﴿وَأَسْجُدُوا﴾ لها و غيرها ﴿و﴾ على أية حال ﴿اعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ فيهما و فيما سواهما من عبادات ﴿وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ﴾ في سبيل الله ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾ في الحياة كلها، و هنا السجود فرض كما في سائر الآيات العشر

٧٨ / ٢٢

٧٨- ﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ و هم الأخصاء من المؤمنين من ولد إبراهيم، و مما يدل عليه "حَقَّ جِهَادِهِ" و ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾ و لا يعم الاجتباء كافة المؤمنين ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ يجتث كافة طاعاتكم، ألزموا ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ و ليس هو أبا لكافة المؤمنين ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَ فِي هَذَا﴾ و هذه التسمية خاصة بولده المحمديين: "رَبَّنَا وَ اجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ.." (٣: ١٣٨) ﴿لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَ تَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ فأنتم الوسطاء بين الرسول و بين الناس: "وَ كَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَ يَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً" (٢: ١٤٣) ﴿فَأَقِمْوَا الصَّلَاةَ﴾ كما تحق ﴿وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ كما يحق ﴿وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ﴾ في كل ما يحق من حق جهاده ﴿هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَ نِعْمَ النَّصِيرُ﴾.

سورة المؤمنون

١ / ٢٣

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. قَدْ أَفْلَحَ﴾ شقا لأموال الفتن ﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾ بسفينة الإيمان، و من أوصافهم أنهم هم:

٢ / ٢٣

٢- ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ﴾ المفروضة و المندوبة ﴿خَاشِعُونَ﴾ قلبيا، فتخشع به كل كيانههم أمام الله: "وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ" (٢: ٤٥) و الخشوع هو ضراعة القلب كما الخضوع ضراعة القلب، و خشوع القلب يستلزم خضوع القلب.

٣ / ٢٣

٣- ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ﴾ و هو ما لا يعتد به من شاغل لحياة الإنسان ﴿مُعْرِضُونَ﴾ إذ هم يقبلون إلى الله على كل حال.

٤ / ٢٣

٤- ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ﴾ ككل، من زكاة العقل و العلم و المال و القوة و ما أشبه ﴿فَاعِلُونَ﴾ من عند أنفسهم و سواهم.

٥ / ٢٣

٥- ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ﴾ العورات ﴿حَافِظُونَ﴾ عن أن ينظر إليها أو ينظرون إلى عورات غيرهم، و عن شهواتها ككل.

٦ / ٢٣

٦- ﴿إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ﴾ دواما أو انقطاعا حيث تشملهما الزوجية ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ إلا المزوجات لغيرهم ﴿فَإِنَّهُمْ﴾ إذا ﴿غَيْرُ مُلْمِئِينَ﴾ و قد يشمل "مَلَكَتْ" هنا ترك الزواج، إلى الإماء و المنقطعات.

٧ / ٢٣

٧- ﴿فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ﴾ أزواجا و ملك يمين ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ عن شريعة الله في فروجهم و مما "وَرَاءَ ذَلِكَ" العادة السرية التي نسميها بالاستمناء، و كما يستثنى عن الزواج كافة النساء الممنوعة الزواج كالزانيات غير التائبات و من أشبهه، لا سيما إشارة من "أَزْوَاجِهِمْ" إذ لا تشمل محرم الزواج.

٨ / ٢٣

٨- ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ﴾ خالقيا و خلقيا ﴿وَعَهْدِهِمْ﴾ كلما صدق العهد، من الله و إلى الله و بين المؤمنين أنفسهم ﴿رَاعُونَ﴾ لا يتخلفون عنه قدر المقدور.

٩ / ٢٣

٩- ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ﴾ مقدمات و أزمانا أو أجزاء و قاللة و حالة ﴿يَحَافِظُونَ﴾.

١٠ / ٢٣

١٠- ﴿أُولَئِكَ﴾ الأكارم ﴿هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ هنا عند الدولة الأخيرة: "أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ" (٢١: ١٠٥) و في الأخرى:

١١ / ٢٣

١١- ﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ﴾ عمن لا ي أهل لها، كما يعطونه كحق لهم و ﴿هُمُ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ "عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ".

١٢ / ٢٣

١٢- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ بكلا جزئيه ﴿مِنْ سُلَالَةٍ﴾ خلاصة متسللة ﴿مِنْ طِينٍ﴾ أولا الإنسان الأول، ثم أنساله، مما يدل على القفزة الطينية في خلق الإنسان الأول، كما و أن روح الإنسان كجسمه من سلالة من طين.

١٣- ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً﴾ " مِنْ مِّنَى يَمْنَى " ﴿فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ من الرحم.

١٤- ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ كدودة صغيرة دموية ﴿فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ لحمة صغيرة قدر ما يمضغ ﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا﴾ ناعمة إسكلة لجثمان الجنين ﴿فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا﴾ و هنا تتم الصورة الجنينية البدنية ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ﴾ الجنين ﴿خَلْقًا آخَرَ﴾ غيره. و لكنه منشأ منه، مما يدل على خلق الروح من الجسم فهو جسماني غير مجرد، و إلا فكيف هو يخلق من الجسم، ثم و يحل ثانية في الجسم، و كل آيات نفخ الروح في الجسم، و خلق الإنسان من تراب أو طين، هي دليل جسمانية الروح، فالإنسان أولاً هو روحه و ثانياً مع جسمه و على هامشهما جسمه بعلاقة الإشراف ماضياً أو مستقبلاً، فكيف يعنى منه فقط جسمه ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ في خالقياته، و كذلك بين ساير الخالقين إن صدق على صنعهم أنه خلق، فإن له حقيقة الخلق و لهم مجازيته: " أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَ تَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ " (٣٧: ١٢٥).

١٥- ﴿ثُمَّ﴾ بعد مضي زمن قلّ أو كثر ﴿إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ الحياة ﴿لَمَيّتُونَ﴾ عن هذه الحياة.

١٦- ﴿ثُمَّ﴾ بعد موتكم هذا بفاصل الحياة البرزخية ﴿إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ عن صعقة الإماتة.

١٧- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ﴾ هي السماوات السبع بأنفسها، فكلّ سماء- إذا- طريقة بالإمكان التطرق إليها و إلى جنة المأوى " عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى. عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى " ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾

١٨- و من هذه الطرائق طريقة الماء النازل من السماء: ﴿وَ أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾ يكفى للأرض ﴿فَأَسْكَنَاهُ فِي الْأَرْضِ﴾ دون أن يفنى أو يصعد منه شيء لا يرجع إليها ﴿وَ إِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لِقَادِرُونَ﴾ فتظّلون- إذا- عطشانين مع ساير النبات و الحيوان، أو يقل ماءكم، فقد كان فيها ماء لا يكفيها إذ " أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَ مَرْعَاهَا " (٧٩: ٣١) فقد كان فيها ماء قبل بناء السماء.

١٩- ﴿فَأَنشَأْنَا لَكُمْ﴾ لصالحكم ﴿بِهِ﴾: الماء النازل من السماء ﴿جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَ أَعْنَابٍ﴾ هما أساس الفواكه، و ﴿لَكُمْ فِيهَا﴾ الجنات ﴿فَوَاكِهَ كَثِيرَةً﴾ تشمل كلها ﴿وَ مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾.

٢٠- ﴿وَ﴾ نخصّ بالذكر ﴿شَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ﴾ الزيتون الشرق الأوسطية ﴿تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ﴾ الدهين ضوء لكم و تدهينا آخر ﴿وَ﴾ ب ﴿صِبْغٍ لِلْأَكْلِينَ﴾ ثمرتها، تصبغ أكلهم و أمعاءهم بصبغة بهية شهية.

٢١- ﴿وَ إِنَّا لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ﴾ جمع نعمة فلا تشمل الوحوش المفترسة برية و بحرية و جوية ﴿لَعِبْرَةً﴾ تعبرون بها إلى معرفة الله فتعتبرون ﴿نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا﴾ " مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَ دَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ " (١٦: ٦٦) ﴿وَ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ﴾ لا تعدّ و لا تحصى ﴿وَ مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ إلا ما يستثنى: " أَحَلَّتْ لَكُمْ بِهِيْمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يَتْلَى عَلَيْكُمْ .. " (٥: ٣) و تخليص لبن سائح من بين فرث دم مما يشهد لصالح تخليص البدن الرفات عما مزج به.

٢٢ / ٢٣

٢٢- ﴿وَعَلَيْهَا﴾ من حملتها ﴿وَعَلَى الْفُلْكِ تَحْمِلُون﴾: "وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالْغَيْهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ" (١٦: ٧).

٢٣ / ٢٣

٢٣- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾ نائحا على قومه و رسالته ﴿إِلَى قَوْمِهِ﴾ و هم كافة المكلفين قضية ولاية عزمه ﴿فَقَالَ﴾ لهم كأمة واحدة: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وحده، ف ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ الله فى عبادة ما سواه.

٢٤ / ٢٣

٢٤- ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ بكبر المال و القوة و الرئاسة، و هم ينازعون الرسالات دائما ﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ فى البشرية ﴿يُرِيدُ أَنْ يَنْفَضِّلَ عَلَيْكُمْ﴾ بالرسالة، رغم سائر التفاضل المقبولة عندهم، و لكنهم لا يرونه إلا مادية! ﴿وَلَوْ﴾ مستحيلا من ساحة الربوبية بزعمهم ﴿شَاءَ اللَّهُ﴾ إنزالا بوحي ﴿لَأَنْزَلْ مَلَائِكَةً﴾ تنزلا عن إمكانية إنزال وحي إلى بشر لبشر ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا﴾ الوحي إلى بشر ﴿فِي آبَاتِنَا الْأَوَّلِينَ﴾ المشركين، رغم أنه مسموع فى آباءهم الموحدين، و لكنهم قلة و هؤلاء ثلة، و هم يتبعون الثلة المشركة، وفقا لشهواتهم، و شهرة بين آباءهم.

٢٥ / ٢٣

٢٥- و ريبة ثالثة ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ﴾ لأنه يخالف سنتنا، و ليس له مال و لا قوة، ثم يدعى إنزال الوحي عليه ﴿فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ﴾ يظهر جنونه الخفى.

٢٦ / ٢٣

٢٦- ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي﴾ نصرة زائدة على رسالتى بيناته، قضاء عليهم ﴿بِمَا كَذَّبُونَ﴾ "وَلَا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ" (١١: ٣٤) و ذلك إجمال عن تفاصيل حوارهم معهم طيلة ألف سنة إلا خمسين عاما.

٢٧ / ٢٣

٢٧- ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ﴾ نجاتا عن الغرق الشامل، و لكنه ﴿بِأَعْيُنِنَا وَ وَحَيْنَا﴾ حتى يصبح ربانى الصفة ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ بالطوفان ﴿وَوَارَ التَّوُورُ﴾ بالماء رغم فورانه بالنار، فهو آية لآية أخرى ﴿فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ﴾ من الخليفة الأرضية، الحية بها، العائشة فى غير الماء ﴿زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ﴾ الأهلى للنجاة و هم المؤمنون معه: "وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ. وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ" (٣٧: ٧٦) ﴿إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾ كامراته جهارا، و ابنه غير المذكور بهلاكه نصا ﴿وَلَا تَخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ منهم عامدين عاندين ﴿إِنَّهُمْ مُعْرِفُونَ﴾ أيا كانوا و أيان.

٢٨ / ٢٣

٢٨- ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ﴾ و استقررت مستوليا ﴿أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ﴾ عَلَى الْفُلْكِ مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلِكَ إِلَّا .. ﴿فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ الفاتكين بنا.

٢٩ / ٢٣

٢٩- ﴿وَقُلْ رَبِّ أُنْزِلْنِي مُنْزَلًا﴾ إنزالا بزمانه و مكانه ﴿مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ المضيفين فى نزل.

٣٠ / ٢٣

٣٠- ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ﴾ تدل على الربوبية الوحيدة ﴿وَأِنْ كُنَّا﴾ على طول خط التكليف ﴿لَمُبْتَلِينَ﴾ المكلفين، بمختلف الابتلاءات، و "إن هنا لتأكيد الأمر أن الدنيا دار بالبلاء محفوفة.

٣١ / ٢٣

٣١- ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ بعد غرقهم ﴿قَرْنًا آخَرِينَ﴾ من الناجين معه، إذ: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ (٣٧: ٧٧) و هم ذرية الأهلوية الإيمانية دون خصوص ذرية النسب، إلا إذا كانوا مؤمنين.

٣٢ / ٢٣

٣٢- ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا﴾ هو ﴿مِنْهُمْ﴾ انسانية، برسالة هي ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ و هي نفس رسالة نوح و سائر المرسلين كنقطة أولى، و هي تستمر في كافة الرسالات.

٣٣ / ٢٣

٣٣- و الجواب نفس الجواب: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ﴾ المستكبرين منهم ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِيعَادِ الْآخِرَةِ﴾ تكذبا لكلا التوحيد و المعاد ﴿وَ أَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بما أترفوا أنفسهم فيها "جزاءً وفاقاً" بزيتها ﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ " يريد أن يتفضلَ عَلَيْكُمْ" مماثلة في ظاهرة البشرية التي أصلوها و استأصلوا باطنها ﴿يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ ويكأن الرسول إلى البشر لا يأكل و لا يشرب مما يأكلون و يشربون.

٣٤ / ٢٣

٣٤- ﴿وَلَيْنُ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ﴾ في البشرية الظاهرة ﴿إِنَّكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ﴾ فهم أولاء أيضا لخاسرون لأنهم يطيعون بشرا مثلهم باستكبار فوقهم، أو يطيعهم بشر مثلهم لأنهم أدنى منهم في ظاهرة البشرية.

٣٥ / ٢٣

٣٥- و مما يؤخرهم عن الطاعة الصالحة استعجابهم بعد عجاب التوحيد ﴿أَ يَعِدُكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ﴾ ثم ﴿وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَ عِظَامًا﴾ بالية طيلة زمان ﴿أَنْكُمْ مُخْرَجُونَ﴾ أحياء، إن هذا إلا عجابا.

٣٦ / ٢٣

٣٦- ﴿هِيَئَاتَ هِيَئَاتَ﴾ بعدا عن المحسوس و المعقول المتعبد ﴿لَمَّا تُوَعَّدُونَ﴾ و هو قريب منهما يروونه ليل نهارا!

٣٧ / ٢٣

٣٧- ﴿إِنْ هِيَ﴾ الحياة كلها ﴿إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ هذه دنوآ و دناءة ﴿نَمُوتُ﴾ عنها مرة، كما ﴿وَنَحْيَا﴾ لها مره، فلا حياة بعد ما نموت ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ لحساب و جزاء: "إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَ مَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ" (٦: ٢٩): "وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَ نَحْيَا وَ مَا يَهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ.." (٤٥: ٢٤) و لعل الأخيرة خاصة بالدهريين، فالأوليان تخشان من سواهم من المشركين.

٣٨ / ٢٣

٣٨- ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ﴾ مثلنا ﴿أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ مبدءا و معادا و ما بينهما من تكاليف ﴿وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾ ويكأن رسالة الله فرية على الله، و هي تحمل آيات الله.

٣٩ / ٢٣

٣٩- ﴿قَالَ﴾ رسولهم ﴿رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ﴾ كما قال نوح، حيث إن الرسالات و مقالاتها واحدة و معارضاتها واحدة، نسخة طبق الأصل.

٤٠ / ٢٣

٤٠- ﴿قَالَ﴾ الله ﴿عَمَّا قَلِيلٍ﴾ نمدهم فيه ﴿لَيَصْبِحُنَّ نَادِمِينَ﴾ عما تقولوه.

٤١ / ٢٣

٤١- ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾ المدمرة بعد قليل ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً﴾ هو هشيم الأوراق: "إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ" (٣١: ٥٤) ﴿فَبُعْدًا﴾ عن هذه الحياة بزهراتها، و عن صالح الحياة بعد الموت ﴿لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ الحقّ الحقيقى بالتباع.

٤٢ / ٢٣

٤٢- ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ بدليهم ﴿قُرُونًا آخَرِينَ﴾ تلو بعضهم البعض.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٣٤٥

٤٣ / ٢٣

٤٣- ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ﴾ رسالية كهذه الظالمة ﴿أَجَلَهَا﴾ المؤجل لها من عذاب الاستئصال ﴿وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾ أجلهم، فإن وعده لا يتخلف ألا يقدر عليه أو هو حرج عليه.

٤٤ / ٢٣

٤٤- ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا﴾ بعد نوح ﴿رُسُلَنَا تَتْرًا﴾ متواترا تلو بعض البعض، و لكن ﴿كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ﴾ كأن الأمم تواصلوا به ﴿فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا﴾ تترا عذاباتهم ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ يتحدث عنهم ﴿فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

٤٥ / ٢٣

٤٥- ﴿ثُمَّ﴾ بعد هؤلاء الرسل ﴿أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ﴾ بشريعة مفصلة ﴿بِآيَاتِنَا﴾ كتبية و كونية كما تناسب أجواء رسالته العالية ﴿وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ هى عصاه الثعبان المبين.

٤٦ / ٢٣

٤٦- ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ رأس زاوية الكفر فى زمنه ﴿وَمَلَائِهِ﴾ و أتباعه ﴿فَاسْتَكْبَرُوا﴾ عن رسالته ﴿وَوَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ﴾ فى القدرات المستعالية، دانين فى الحق.

٤٧ / ٢٣

٤٧- ﴿فَقَالُوا أَوْفُوا بِوَعْدِكُمْ نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ﴾ كما قال و يقول غيرهم من العالين ﴿وَوَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ﴾ بنو إسرائيل ﴿لَنَا عَابِدُونَ﴾ استعبدناهم، و أية رابطة بين نكران الرسالة و استضعاف قوم الرسول، و هو يستدعى تلك الرسالة المنجية.

٤٨ / ٢٣

٤٨- ﴿فَكَذَّبُوهُمَا﴾ مختلف التكذيب العذيب ﴿فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ﴾ إذ أخذهم الطوفان.

٤٩ / ٢٣

٤٩- ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ هؤلاء الفرعونيون و بنو إسرائيل و سائر المكلفين ﴿يَهْتَدُونَ﴾.

٥٠ / ٢٣

٥٠- ﴿وَجَعَلْنَا﴾ عيسى ﴿ابْنَ مَرْيَمَ وَ أُمَّهُ آيَةً﴾ واحدة لوحدة الخارقة فيهما ﴿وَوَاتَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ﴾ أرض رابية حين ولادة ﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾ عن كل اضطراب ﴿وَمَعِينٍ﴾ بعين جارية: "فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا. فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ ... فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا. وَ هَزَّتْ يَدَاكِ جَدُّعَ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا. فَكُلِي وَ اشْرَبِي وَ قَرَّرِي عَيْنًا" (١٩: ٣٦).

٥١ / ٢٣

٥١- ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ﴾ ككل ﴿كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَ اعْمَلُوا صَالِحًا﴾ فى رسالاتكم ﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾

٥٢ / ٢٣

٥٢- ﴿وَإِنَّ هَذِهِ الْأُمَمَ كُلَّهُمْ﴾ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴿كَمَا الرِّسَالَةُ وَاحِدَةٌ﴾ ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ﴾ ربا واحدا ﴿فَاتَّقُونِ﴾ تقوى واحدة، فأصول الرسالات و الدعوات واحدة مهما اختلفت بعض الأحكام الجزئية "إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ" (٢١: ٩٢).

٥٣ / ٢٣

٥٣- ﴿فَقَطَّعُوا﴾ الأُمَمَ ﴿أَمْرَهُمْ﴾ و هو دينهم ﴿بَيْنَهُمْ زُبْرًا﴾ كتباً رسالية، تقطعا عما يوحدهم عن شتاتهم ﴿كُلُّ حِزْبٍ﴾ من هؤلاء المتقطعين ﴿بِمَا لَدَيْهِمْ فَرْحُونُ﴾ كأن الشرعة هي فقط شرعتهم دون سائر الشرعة.

٥٤ / ٢٣

٥٤- ﴿فَذَرَهُمْ فِي غَمَرَتِهِمْ﴾ الحزبية المتقطعة الغامرة المدمرة ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ يأتي أمر الله ففضى بينهم بالحق.

٥٥ / ٢٣

٥٥- ﴿أَيُّ يَحْسِبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ﴾ بسطا لهؤلاء المتحزبين ﴿مِنْ مَالٍ﴾ غزير ﴿وَبَنِينَ﴾ كثير.

٥٦ / ٢٣

٥٦- ﴿نُسَارِعُ﴾ بهما ﴿لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ الصالحة لإنسانية الحياة ﴿بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ فإن مد المال و البنين يمد الإنسان إلى شهوات و لهوات

٥٧ / ٢٣

٥٧- و إنما مد الخيرات هو لمن يمد في إيمانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ﴾ حيث رباهم بخشيته ﴿مُشْفِقُونَ﴾ عناية مختلطة بخوف، يخافون ربهم في الرخاء أكثر من البلاء.

٥٨ / ٢٣

٥٨- ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ آفاقية و أنفسية ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ إقبالا إليها متذكرين.

٥٩ / ٢٣

٥٩- ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ﴾ الوحيد ﴿لَا يَشْرِكُونَ﴾ غيره و هو مربوب مثلهم.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٣٤٦

٦٠ / ٢٣

٦٠- ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ﴾ إنفاقا ﴿مَا آتَوْا﴾ على أية حال إلا ما لا يجوز إنفاقه أو هو مرجوح ﴿وَالْحَالُ أَنَّ﴾ قُلُوبَهُمْ وَجِلَةٌ ﴿عَلَيْهِمْ مَقْصُرُونَ﴾ لـ ﴿أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ فيتسائلون.

٦١ / ٢٣

٦١- ﴿أُولَٰئِكَ﴾ الأكارم ﴿يَسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ الصالحة، فنسارع لهم في الخيرات بما يسارعون، فهم يسارعون ضد الشرور التي يعتبرها أهل الدنيا خيرات ﴿وَهُمْ لَهَا﴾ الخيرات ﴿سَابِقُونَ﴾ في ميادين السباق مع كل الرفاق، و هؤلاء الحماقى يسابقون في الشرور مع رفاقهم.

٦٢ / ٢٣

٦٢- ﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا﴾ مكلفة ﴿إِلَّا وُسْعَهَا﴾ كضابطة دون حرج و ما فوّه من عسر إلا أحيانا تستثنى ﴿وَلَدَيْنَا كِتَابٌ﴾ نستنسخه: "إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ" (٤٥: ٢٩) ﴿يَنْطِقُ بِالْحَقِّ﴾ شهادة بما حصل كما حصل، نسخة طبق الأصل ﴿وَلَا

هُمْ لَا يَظْلُمُونَ ﴿ فِي ذَلِكَ الْكِتَابِ، إِذْ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَ وَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ (١٨):
(٤٩).

٦٣ / ٢٣

٦٣- ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ﴾ أَوْلَاءُ الْحِمَاقِي، غَارِقَةٌ ﴿فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا﴾ الْكِتَابِ، كِتَابِ الْأَحْوَالِ وَالْأَعْمَالِ، وَ كِتَابِ الْقُرْآنِ ﴿وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ﴾ الَّذِي هُمْ عَامِلُوهُ مِنْ سَبَاقٍ فِي شُرُورٍ ﴿هُمْ لَهَا﴾ هَذِهِ الْأَعْمَالُ الشَّرِيرةُ الْمُتَسَابِقَةُ ﴿عَامِلُونَ﴾.

٦٤ / ٢٣

٦٤- ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ﴾ الَّذِينَ أَتْرَفْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴿بِالْعَذَابِ﴾ فِي الْأُولَى أَوْ الْآخَرَى ﴿إِذَا هُمْ يَجَارُونَ﴾ صَوْتِ الْوَحْشِ عِنْدَ الْغَضَبِ.

٦٥ / ٢٣

٦٥- فَيَقَالُ لَهُمْ: ﴿لَا تَجَارُوا الْيَوْمَ﴾ وَ قَدْ مَضَى يَوْمُ خُلَاصٍ وَ لَا تِ حِينَ مَنَاصٍ ﴿إِنَّكُمْ مِنْهَا لَا تَنْصِرُونَ﴾ ثُمَّ لَا نَاصِرَ لَكُمْ غَيْرَنَا يَنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِنَا.

٦٦ / ٢٣

٦٦- وَ يُقَالُ لَهُمْ: ﴿فَذُ كَانَتْ﴾ طُولُ الرِّسَالَاتِ وَ عَرْضُهَا ﴿آيَاتِي﴾ الْبَيِّنَاتِ ﴿تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكَنْتُمْ﴾ بَدَلًا عَنِ الْإِسْتِمَاعِ إِلَيْهَا وَ إِتِّبَاعِهَا ﴿عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ أَبَاءُكُمْ الْمَشْرِكِينَ الْقَدَامَى، وَ أَعْقَابُ شَهَوَاتِكُمْ ﴿تَنْكِصُونَ﴾ رَجُوعَ الْقَهْقَرَى، رَجَعِينَ إِلَى رَجَعِيَّاتِ أَسَافِلِكُمُ الْأَجْلَافِ، الرِّجَيعَاتِ مِنْهُمُ الْمَوْبِقَاتِ.

٦٧ / ٢٣

٦٧- حَالِكُونَكُمْ فِي ذَلِكَ الْارْتِجَاعِ ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ﴾ عَلَى اللَّهِ وَ عَلَى أَهْلِ اللَّهِ وَ أَحْكَامِ اللَّهِ ﴿سَامِرًا﴾ لَيْلًا مُتَنَاجِينَ ﴿تَهْجُرُونَ﴾ هَجْرًا وَ هَذِيانَا يَنَافَى الْعَقْلِيَّةِ الصَّالِحَةِ.

٦٨ / ٢٣

٦٨- ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ﴾ الْقُرْآنَ، وَ هُوَ يَدُلُّ عَلَى رَبَانِيَّةِ نَزْوِلِهِ ﴿أَمْ جَاءَهُمْ﴾ هَذَا الرِّسُولُ ﴿مَا لَمْ يَأْتِ﴾ مِنَ الرِّسْلِ السَّابِقِينَ ﴿أَبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ وَ الرِّسَالَةُ وَاحِدَةٌ وَ التَّكْذِيبُ وَاحِدٌ قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ وَ مَا أَدْرِي مَا يَفْعَلُ بِي وَ لَا بِكُمْ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَى إِلَيَّ وَ مَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ" (٤٦: ٩).

٦٩ / ٢٣

٦٩- ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ﴾ الَّذِي أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ بِكُلِّ بَيِّنَاتِ الرِّسَالَةِ الْآخِرَةِ ﴿فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ كَأَنَّهُ مَفْتَرٌ عَلَى اللَّهِ أَوْ هُوَ بَدْعٌ مِنَ الرِّسْلِ.

٧٠ / ٢٣

٧٠- ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ﴾ وَ قَوْلُهُ أَقْلٌ قَوْلٌ ﴿بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ﴾ كُلُّهُ، وَ لَهُ دَلِيلُهُ كُلُّهُ ﴿وَ أَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ﴾ وَ هُمْ عَارِفُوهُ ﴿كَارِهُونَ﴾ وَ أَقْلُهُمْ غَيْرُ كَارِهِينَ لِلْحَقِّ، وَ لَكِنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ قُصُورًا أَمْ تَقْصِيرًا إِذْ خِيلَ إِلَيْهِمْ أَنَّهُ بَاطِلٌ فَكَرِهُوهُ كَرَاهَتَهُمْ لِلْبَاطِلِ.

٧١ / ٢٣

٧١- أَمْ يَرِيدُونَ أَنْ يَتَّبِعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ ﴿وَ لَوْ أَتَبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ﴾ الشَّهَوَانِيَّةِ، بَلْ وَ الْعَقْلَانِيَّةِ بَلْ وَ الرِّسُولُ نَفْسَهُ" مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى" (٥٣: ٤) فَمَا يَنْطِقُ مِنْ غَيْرِ وَحْيِ اللَّهِ هُوَ مِنَ "الْهَوَى" وَ لَوْ أَتَبَعَ .. ﴿لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَ الْأَرْضُ وَ

مَنْ فِيهِمْ ﴿لِتُضَادَّ أَهْوَاءَهُمْ، وَ حَتَّى لَوْ اتَّحَدَتْ فَهِيَ ضِدَّ الْحَقِّ الْمَصْلَحِ لِلْكَوْنِ كُلِّهِ﴾ ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ﴾ الَّذِي يَذْكُرُهُمْ عَنْ غَفْلَتِهِمْ ﴿فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ﴾ رَبِّهِمْ تَذْكِيرًا وَ تَذْكَرًا ﴿مُعْرِضُونَ﴾.

٧٢ / ٢٣

٧٢- ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا﴾ عَلَى الدَّعْوَةِ الرِّسَالِيَّةِ ﴿فَخَرَجَ رَبُّكَ خَيْرٌ وَ هُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾: "اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْئَلُكُمْ أَجْرًا وَ هُمْ مُهْتَدُونَ" (٣٦: ٢١).

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٣٤٧

٧٣ / ٢٣

٧٣- ﴿وَإِنَّكَ﴾ يَا مُحَمَّد ﴿لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

٧٤ / ٢٣

٧٤- ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْحَيَاةِ الْآخِرَةِ﴾ هُمْ ﴿عَنِ الصِّرَاطِ لَنَّاكِثُونَ﴾: سَاقِطُونَ إِلَى نَكْبَةٍ، إِلَى "شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَأَنْهَارٍ بِهِ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ".

٧٥ / ٢٣

٧٥- هُنَا لَا نَرْحَمُهُمْ بَعْدَ ﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَ كَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ﴾ يَسْتَحِقُّونَهُ ﴿لَلَّجُوا فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ حَالِ أَنَّهُمْ ﴿يَعْمَهُونَ﴾ يَتَرَدَّدُونَ مَتَحِيرِينَ.

٧٦ / ٢٣

٧٦- ﴿وَ لَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ﴾ الْمَذْكُورِ ﴿فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ﴾ تَخَضُّعًا لِرَبِّهِمْ ﴿وَ﴾ هُمْ عَلَى آيَةٍ حَالِ ﴿مَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ أَمَامَ اللَّهِ ضِرَاعَةَ الْبِرَاءَةِ عَنْ عَصِيَانِهِمْ بِنِسْيَانِهِمْ.

٧٧ / ٢٣

٧٧- ﴿حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا﴾ مِنْ أَبْوَابِ الْعَذَابِ الْمُهِينِ لِلضَّالِّينَ ﴿ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ﴾ تَفَاجَتْ دُونَ انْتِبَاهِ ﴿فِيهِ﴾ الْعَذَابِ ﴿مُبْلِسُونَ﴾ حَزَنًا مَعْتَرِضًا مِنْ شَدِيدِ الْبَاسِ، كَأَنَّهُ لَا يَحِقُّ لَهُمْ، فَخَزَائِنُ الْعَذَابِ وَ الرَّحْمَةُ عِنْدَهُ وَ لِكُلِّ أَبْوَابٍ: "وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَ مَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ" (١٥: ٢١) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ" (٦: ٤٤) زَحْمَةً، وَ كَمَا "إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَ اسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتِّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ" (٧٠: ٤٠) رَحْمَةً.

٧٨ / ٢٣

٧٨- ﴿وَ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمْ﴾ الْمَكْلَفِينَ ﴿السَّمْعَ﴾ اسْمُ جَمْعٍ وَ قَدْ تَأْتَى مَفْرَدَةً، وَ لَا جَمْعَ إِلَّا هِيَ، وَ هِيَ تَعْمُ سَمْعَ الْأَذَانِ وَ الْقُلُوبِ، كَالْأَبْصَارِ حَيْثُ تَعْمُ أَبْصَارُ الْعَيُونِ وَ بَصَائِرُ الْقُلُوبِ ﴿وَ الْأَبْصَارَ﴾ الْبَصِيرَةَ بِهَا تَبْصُرُونَ ﴿وَ الْآفَنِدَةَ﴾ وَ هِيَ الْقُلُوبُ الْمُتَفَنِّدَةُ بِنُورِ السَّمْعِ وَ الْبَصَرِ ﴿فَلْيَلَا مَا تَشْكُرُونَ﴾ إِذْ لَا تَشْكُرُونَ اللَّهَ بِاسْتِعْمَالِ هَذِهِ الْمَنَافِذِ لِلْمَعْرِفَةِ فِي مَعْرِفَةِ اللَّهِ، فَتَتَفَادَّ قُلُوبُكُمْ بِنَارِ الْكَفْرِ أَوْ الْكُفْرَانِ.

٧٩ / ٢٣

٧٩- ﴿وَ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ إِيظَارًا فِيهَا بِإِبْنَاتٍ فـ" وَ اللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا" (٧١: ١٧) ﴿وَ إِلَيْهِ﴾ الذَّارِئُ إِيَّاكُمْ ﴿تُحْشَرُونَ﴾ جَمْعًا لِيَوْمِ الْجَمْعِ.

٨٠ / ٢٣

٨٠- ﴿وَهُوَ الَّذِي يَحْيِي﴾ الأموات ﴿وَيَمِيتُ﴾ الأحياء نباتية و حيوانية و إنسانية و ما أشبه ﴿وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾
كاختلاف الموت و الحياة ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ كامل الإحياء و الإمامة، حتى تؤمنوا بالآخرة.

٨١ / ٢٣

٨١- لا ﴿بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ﴾ من آباءهم المشركين، راجعين إلى رجبهم.

٨٢ / ٢٣

٨٢- ﴿قَالُوا إِذَا مِتْنَا﴾ من الحياة الدنيا ﴿وَكُنَّا تُرَابًا﴾ فى لحومنا ﴿وَعِظَامًا﴾ تبقى منا ﴿إِنَّا﴾ بعد ﴿لَمَبْعُوثُونَ﴾ " خَلْقًا جَدِيدًا " و هُوَ الَّذِي يَبْدُو الْخَلْقَ ثُمَّ يَعِيدُهُ وَ هُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ " (٣٠: ٢٧).

٨٣ / ٢٣

٨٣- ﴿لَقَدْ وَعِدْنَا نَحْنُ وَ آبَاؤُنَا هَذَا﴾ البعث ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ هنا على طول خط الرسالات، و ﴿إِنْ هَذَا﴾ البعث الموعود ﴿إِلَّا﴾ أساطير ﴿خِرافات مَلْفَقَةٍ﴾ من ﴿الْأَوَّلِينَ﴾ و أين أولون من الأولين المؤمنين.

٨٤ / ٢٣

٨٤- ذلك، كانه تعالى لا يملك الكون بأجمعه فلا يقدر على تحويله الحكيم، ف ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿لِمَنِ الْأَرْضُ وَ مَنْ فِيهَا﴾ من سكتتها ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ما فيه و من فيه، و إلا ففيه ما فيه.

٨٥ / ٢٣

٨٥- ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ لا لسواه ﴿قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ قدرته الحكيمية على ملكه يفعل فيه ما يشاء.

٨٦ / ٢٣

٨٦- ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ﴾ الشاملة للأرضين السبع ﴿وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ إِذْ لَهُ الْخَلْقُ وَ الْأَمْرُ.

٨٧ / ٢٣

٨٧- ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ الربوبية لكل شىء ﴿قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ الله، فتعبدون غير الله، و تعجزون الله فى الإحياء بعد الموت، و هو رب كل شىء.

٨٨ / ٢٣

٨٨- و أخيرا ﴿قُلْ مَنْ يَبْدِئُ مَلَكُوتَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ و هى حقيقة الملك الملك ﴿وَهُوَ يَجِئُ﴾ إنقاذا عن بأس و لا يجارُ عَلَيْهِ إنقاذا عنه ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أن الإجارة الطليقة هى لزام الملكوت، فله ظاهر و باطنه الملكوت " لا إله إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ".*

٨٩ / ٢٣

٨٩- ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾ ملكوت كل شىء و إجارة البائسين ﴿قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ﴾ إلى غير الله.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٣٤٨

٩٠ / ٢٣

٩٠- انهم لا يعلمون تجاهلا مهما هم عالمون ما اعترفوا به من ربوبيته المطلقة ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ﴾ كله، دون " بحق " ﴿وَأَنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ فى اعترافاتهم، لأن صدقها يصدق وحدة المبدأ و المعاد و ما بينهما.

٩١ / ٢٣

٩١- إنه ليس له شريك لا اتخاذا و لا أصلا، ف ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ﴾ ولادة و تبنياء، فالولادى يحكم بوراثة الألوهة أو شركتها، و الاتخاذى تحويل للشركة ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ﴾ منذ كان أزليا ﴿مِنْ إِلَهٍ﴾ يستقل بجنبه إلها ﴿إِذَا﴾ لو كان معه من إله

﴿لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ﴾ لأن الخلق من لزامات الألوهية ﴿وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ قضاء على الشركة ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ من شريك له على أية حال.

٩٢ / ٢٣

٩٢- ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ﴾ فلا يغيب عنه إله لو كان ﴿وَالشَّهَادَةِ﴾ و لا هو حاضر مشهود ﴿فَتَعَالَى﴾ علوا كبيرا ﴿عَمَّا يَشْرِكُونَ﴾ به.

٩٣ / ٢٣

٩٣- ﴿قُلْ رَبِّ﴾ بالنبوة القمة العليا ﴿إِنَّمَا تُرِنُّي مَا يُوْعَدُونَ﴾ فى متواتر النشآت، دنيا و رجعة و برزخا و قيامة.

٩٤ / ٢٣

٩٤- ﴿رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ فلا أكون فيهم لما ترينى ما يوعدون، و إنما إراءة من بعيد كقريب، أو إراءة علمية.

٩٥ / ٢٣

٩٥- ﴿وَأَنَا عَلَى أَنْ تُرِيكَ﴾ بأية إراءة ﴿مَا نَعِدُهُمْ لِقَادِرُونَ﴾ فلا تعجيل إلا تمهيدا و إمهالا، مدا إلى طغيان أكثر.

٩٦ / ٢٣

٩٦- ﴿ادْفَعْ﴾ عنك ما يصيبك منهم ﴿بِ﴾ الطريقة ﴿الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ الطرق ﴿السَّيِّئَةِ﴾ .. فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَ بَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ لَا فَلَ تَقْدِيرٍ "وَلَىٰ لَكَ حَمِيمٌ" (٤١: ٣٤) و هذا الدفع فيما لا خطر عليك و إلا فقضاء على العدو ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ خلاف الوصف الحق.

٩٧ / ٢٣

٩٧- ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ﴾ استعاذة بكل كيانى ﴿مِنْ هَمَزَاتٍ﴾: هزأت و دفعات و اغتيايات ﴿الشَّيَاطِينِ﴾ جنا و إنسا و من أشبه، و ذلك بعد كامل الدفع كما تستطيع، فلا دفع فقط و لا استعاذة فقط.

٩٨ / ٢٣

٩٨- ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ نى، فى قالات و حالات و فعالات، وسوسة و خناسة.

٩٩ / ٢٣

٩٩- و ذلك الدفع و تلك الاستعاذة من همزات الشياطين ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ و مجيئه هو تحقيقه- إذا- ﴿قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ إلى الحياة الدنيا، فهو- إذا- حى بعد مجيئ موته، برزخا، و الجمع قضية جمع الملائكة المتوفين، تحقيقا لربوبية الإمامة من الله إلى ملائكة الموت: "وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَ أَدْبَارَهُمْ وَ ذُقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ" (٨: ٥٠).

١٠٠ / ٢٣

١٠٠- ﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ من حياة التكليف: "أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ" (٣٥: ٣٧) فيقال له ﴿كَلَّا﴾ ليس كما تطلب ﴿إِنَّهَا كَلِمَةٌ﴾ فارغة فاضية ﴿هُوَ قَائِلُهَا﴾ كذبا، ثم "أَوْ لَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَ جَاءَكُمْ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ" (٣٥: ٣٧) ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ﴾ منذ موتهم ﴿بِرِزْخٍ﴾ من حياة ﴿إِلَى يَوْمٍ يَبْعَثُونَ﴾ جميعا، ذلك و المرجوع الممنوع هنا يخص الكافرين أولا، و يخص الانتفاع به ثانيا، فلا ينافى حياة الرجعة لجموع خاصة.

١٠١ / ٢٣

١٠١- ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ نفخة الإحياء: "ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ" (٦٨: ٣٩) ﴿فَلَا أُنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ ترابطهم فتنفخهم: "الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ" (٦٧: ٤٣) ﴿وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ عن أنسابهم: "وَلَا يَسْتَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا" (١٠: ٧٠).

١٠٢ / ٢٣

١٠٢- ﴿فَمَنْ ثَقَلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ علما و معرفة و نية و عملا صالحا ككل ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ تماما حيث يحوزون الصراط بفلاح: "وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ" (٨: ٧) فالموازين توزن بالحق.

١٠٣ / ٢٣

١٠٣- ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ هذه كلها ﴿فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ ككل ﴿فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ باقون ما هم مستحقون، ثم يموتون مع خمود النار، ثم بينهما عوان "خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا" فالحسنات ثقل الميزان و السيئات خفته "فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا" (١٨: ١٠٥).

١٠٤ / ٢٣

١٠٤- ﴿تَلْفَحُ﴾ نفخا ساما ﴿وَجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ متقلصى الشفاه عن الأسنان، مفتوحى الفم، متربدى الوجوه.

١٠٥ / ٢٣

١٠٥- فيقال لهم: ﴿أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ فى حياة التكليف "أَوَلَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ" ﴿فَكَنتُمْ بِهَا تُكْذِبُونَ﴾.

١٠٦ / ٢٣

١٠٦- ﴿قَالُوا﴾ معتذرين ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ مسيرين ﴿وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ لا ندرى من أى إلى أى، فما نحن - إذا - بظالمين لا يعفى عنا، و لكن غلبة الشقوة كانت اضطرارا باختيار "جَزَاءً وَفَاقًا".

١٠٧ / ٢٣

١٠٧- ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾ عنها عن هذه الحياة إلى حياة التكليف ﴿فَإِنْ عُدْنَا﴾ إلى ما كنا ﴿فَإِنَّا﴾ إذا ﴿ظَالِمُونَ﴾ عمدا، و هذا التطلّب للخروج يوم القيامة إلى الدنيا، هو بعد تطلّبه فى البرزخ كما مضى: "إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ".

١٠٨ / ٢٣

١٠٨- ﴿قَالَ اخْسَوْا فِيهَا﴾ خسأ الكلاب ﴿وَلَا تَكَلَّمُونَ﴾ إياى، إذ لا جواب فيه ثواب، فكله تباب على تباب.

١٠٩ / ٢٣

١٠٩- ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾ و هم فى حياة التكليف، و أنتم الآن بعد مضيها ﴿وَارْحَمْنَا وَ أَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ حين تحاسب رحمة من الخلق بجنبه تعالى رحمة، و أين رحمة من رحمة؟.

١١٠ / ٢٣

١١٠- ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سَخِرِيَا﴾ مستهزئين بهم ﴿حَتَّىٰ أَنْسَوَكُمُ ذِكْرِي﴾ بما سخرتم منهم، حيث السخرية بالمؤمنين تنسى ذكر الله ﴿وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ﴾ بدل أن تتذكروا فتقرحوا: "فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ" (٢١: ٤١).

١١١ / ٢٣

١١١- ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا﴾ على سخريتهم وضحكهم في سبيل الله، بما صبروا ف ب ﴿أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ في صبرهم هناك ففائزون هنا طبقا عن طبق.

١١٢ / ٢٣

١١٢- ﴿قَالَ﴾ للكافرين- إذا- ﴿كَمْ لَبِئْتُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ برزخا أو دنيا ﴿عَدَدَ سِنِينَ﴾.

١١٣ / ٢٣

١١٣- ﴿قَالُوا﴾ تناسيا عن "عَدَدَ سِنِينَ" ﴿لَبِئْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ و نحن لم نعدّ عدد لبثنا ﴿فَسَتِلِ الْعَادِينَ﴾.

١١٤ / ٢٣

١١٤- ﴿قَالَ إِن لَّبِئْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ مهما كثر، أمام لبث القيامة ﴿لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ذلك بما ذكرتم من وحى الله "يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِئُوا غَيْرَ سَاعَةٍ" (٣٠: ٥٥).

١١٥ / ٢٣

١١٥- ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ هملا لا يعبأ بكم ﴿وَأَنَّكُمْ﴾ بذلك العبث المتخيل ﴿إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾.

١١٦ / ٢٣

١١٦- ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ عن أن يظلم رعيته فلا يقتص من الظالم للمظلوم بإحيائهم جميعا ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ لأنه ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ فكيف يظلم ذوا العرش الكريم من تحت عرشه الظليم، وإنما يحتاج إلى الظلم الضعيف.

١١٧ / ٢٣

١١٧- ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ المتخذ ولدا، أو وليدا له، أو إلها مستقلا بجنبه ﴿لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾ إلا عدم البرهان ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ بحاسبه حسابا عسيرا ﴿إِنَّهُ لَا يَفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ على أية حال، لذلك ف "إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَ يَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ" (٤: ٤٨).

١١٨ / ٢٣

١١٨- ﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ﴾ دفعا عن عصيان للرسول و الرسوليين المعصومين، و بين رفع و دفع لغير المعصومين ﴿وَأَرْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ أجمعين، بل و رحمتهم أيضا من رحمتك.

سورة النور

١ / ٢٤

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ سورة ﴿﴾ هي مجموعة آيات محصورة بحاصر الاستقلال كسور البلد، مما يدل على أنها نازلة بنفس الترتيب الحالي ﴿أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا﴾ على كافة المكلفين ﴿وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ الدلالة و المدلول كسائر القرآن كله ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ الحق كما يحق.

٢ / ٢٤

٢- ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾ مرة أو تزيد ما ليست توبة قبل القدرة عليهما، بشهادة أربعة رجال كما يأتي إذا ثبتت الزنا بشهود أربعة ﴿فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ معتدلة، شرط ألا يتأذى جنين إن كان، وإلا فبعد وضعه، وألا يكون المجرم ضعيفا أو مريضا يتأذى أكثر من العادة، فضلا عما يزيد، أو عله يموت ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ إذ هما لم يرأفا بدين الله، و المجتمع الطاهر الإسلامي فزانيا بصورة أمكنت شهادة أربعة رجال ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ غير الزانين، كما شهد زناهما طائفة من المؤمنين، فهذا تأديب أول، ثم:

٣ / ٢٤

٣- ﴿الزَّانِي﴾ غير التائب ﴿لَا يَنْكِحُ﴾ دواما أو منقطعا أو بملك يمين ﴿إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً﴾ كما ﴿وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾ و هنا صورة الإخبار بسيرة الإنشاء، تحرم التناكح بين زان و غير زان ﴿وَحَرَّمَ ذَلِكَ﴾ التناكح ﴿عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ غير الزانين مما يؤكد حرمة دون ارتياب، و لا يعنى "لا يَنْكِحُ" الوطى فقط، إذ لا يعبر عنه بالنكاح، ثم لا تختص حرمة بالمؤمنين، و قد نسخ حل نكاح الزانية المسلمة بالكافر و نكاح الزانى المسلم بالمشركة بآية البقرة: - "وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ ... وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ" (٢٢١) ثم لا ناسخ لذلك التناكح المحرم إلا تأييد إن لم يكن تغليظا: "وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ" (٥: ٣) حين نفسر الإحصان بعدم ثبوت الزنا، و إلا فالمشكوكه أيضا محرمة كالزانية، كما و حرم التناكح بين مؤمنة و كتابي مطلقا إذ "لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهَا" (٦٠: ١٠) إذ حرمت المؤمنة على الكافر مطلقا، مشرك أو كتابي حيث يعمهما.

٤ / ٢٤

٤- ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ عن الزنا و لما تثبت، ينسبونهن إلى الزنا قبلا أو دبرا ﴿ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾ رجال عدول رأوه بأم أعينهم، فلا أقل منهم، و لا إقرار، و إنما الشهداء، و منهم هو نفس الرامى إن كان من الشهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة حد الرمى ﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا﴾ إذ ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ فلا يثبت حد الزنا إلا بشهادة أربعة، دون إقرار و ما سواه.

٥ / ٢٤

٥- ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ الحد دون شهادة مقبولة ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ ما أفسدوه برميهم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ عن فسقهم ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم فتقبل شهادتهم بعدهما.

٦ / ٢٤

٦- ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ﴾ زوجاتهم ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ﴾ كما هو شهادتهم أنفسهم ﴿فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ﴾ بديلة عن "أربعة شهداء" ﴿أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ﴾ أن يقول: أشهد بالله ﴿إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في رميهِ، و تكون الشهادة عند الحاكم العادل دون سواه.

٧ / ٢٤

٧- ﴿وَ﴾ الشهادة ﴿الْخَامِسَةُ﴾ منه ﴿أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ فهذه شهادات خمس بديل أربعة شهداء، تقبل بديلة عنها قضية الضرورة، فلا قتل - إذا - كما يزعم، أنه يقتلها حين يراها تزنى فضلا عن الزانى.

٨ / ٢٤

٨- ﴿وَ يَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ﴾ الحد الثابت بهذه الخمسة ﴿أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ في رميهِ إياها.

٩ / ٢٤

٩- ﴿وَ﴾ الشهادة ﴿الْخَامِسَةَ﴾ الدارة ﴿أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ﴾ زوجها الرامى ﴿مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

١٠ / ٢٤

١٠- ﴿وَ لَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ وَ أَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ ما كان يقبل منكم هذه الشهادات الخمس بدلا عن أربعة منكم، كما لم يكن يحكم بحد.

١١ / ٢٤

١١- ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ﴾ الفرية على عائشة أو مارية القبطية بالزنا ﴿عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾ جماعة متعاضدة متعصبة، و قد أشاعوا إفكهم ضد البيت الطاهر المحمدي في المدينة ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ﴾ بل هو شر لهم ﴿بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ ف "إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا" فوزره عليهم أنفسهم و يخفف عنكم من سيئاتكم، و ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ﴾ هؤلاء العصبة ﴿مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ﴾ و لا يثبت عليكم شيئا ﴿وَ الَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ﴾ و هو الجائى الأول بالإفك، و هو عبد الله ابن سلول ﴿لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ كما ابتلى هنا بالعمى و فى الآخرة عذاب عظيم و هو فيها أعمى " وَ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَ نَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى " (٢٠: ١٢٤).

١٢ / ٢٤

١٢- ذلك عصيان الآفكين، ثم من صدقوهم دون تكذيب ﴿لَوْ لَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَ الْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ﴾ المفتري عليهم البريئين ﴿خَيْرًا وَ﴾ لو لا ﴿قَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾ مما يفرض على سامعى الإفك تكذيب الآفكين و ظن الخير بالمفتري عليهم، حيث المفتري دون شهادة كاذب عند الله.

١٣ / ٢٤

١٣- ﴿لَوْ لَا جَاءُوا عَلَيْهِ﴾ هؤلاء الآفكون ﴿بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾ دون بديل من إقرار و ما أشبه ﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ﴾ مهما أتوا بعلم العيان أو الإقرار ﴿فَأُولَئِكَ﴾ الآفكون ﴿عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ مهما حصل إقرار و ما أشبه، إذا فلا دور للإقرار فى التخلفات الجنسية خلافا لما يروى، و "كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَ لَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ" (٤: ١٣٥) تخصص بغير الأمور الجنسية من أموال و أنفس، أم إن الإقرار على النفس فى التخلفات الجنسية، و فيها توبة دون إقرار، إنه ليس قياما بالقسط، بل هو قيام ضده، فضحا لنفسك و تشجيعا لمن تقرر عنده، ذلك، فمن المحرمات المغلظة فرية الفاحشة دون بينة بينة، فمهما كان الإقرار أدل عليها، و لكن الشهادة تثبت جهار الفاحشة لحد تمكن أربعة رجال عدول من رؤيتها سوية فى غير المخبأ، فالإسلام يقرر حدا للفاحشة تقريراً لحفاظ على العفة الجماهيرية، و لأن الإقرار الحر أثبت من الشهادة، و هو يكرر أربع مرات، فليس الحد إذا لأصل

الجريمة بل للكيفية، و هى ليست فى الإقرارات الأربع فلا حد فيها بل يحرم الإقرار فى الأمور الجنسية، و الواجب فيها هو الاستغفار.

١٤ / ٢٤

١٤- ﴿وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ .. لَمَسَّكُمْ﴾ لأقل تقدير ﴿فِيْمَا أَفْضْتُمْ فِيْهِ﴾ غورا أو تشهيرا ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ فكلما كان المفتري عليه أعظم فعصيان الفرية عليه أعظم، فضلا عن بيت الرسالة المحمدية صلى الله عليه و آله.

١٥ / ٢٤

١٥- ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ﴾ الإفك ﴿بِالسَّيِّئَاتِ﴾ بغير عقولكم و قلوبكم ﴿وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ﴾ إذ لم يتجاوزها إلى عقولكم ﴿مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ بشهادة، بل و لا علم شخصى أن تشهد الجريمة، مهما لا يقبل لحد، و لا إفشاء حيث يعتبر فرية فيها حد ثمانين جلدة ﴿وَتَحْسِبُونَهُ هِينًا﴾ سهلا ﴿وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ لعظم الفرية و المفتري عليه أن زنت زوجته، فوا ويلاه إن صح قبولها.

١٦ / ٢٤

١٦- ﴿وَلَوْ لَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾ الإفك من العصبية الأفكة ﴿قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا﴾ بل علينا تكذيبه ﴿سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ و لو رأيت أنت الجريمة بعينك.

١٧ / ٢٤

١٧- ﴿يَعْظُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا﴾ ما لم تكن شهادة شرعية ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ بالله.

١٨ / ٢٤

١٨- ﴿وَيَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ لصالحكم ﴿الْآيَاتِ﴾ الدلات على شرعته ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ بما يصلحكم.

١٩ / ٢٤

١٩- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَجْبُونَ أَنْ تَشِيْعَ الْفَاحِشَةُ﴾ المعصية الفاحشة حدها ﴿فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ فى الدنيا و الآخرة و الله يعلم ﴿خَيْرِكُمْ و مَالِكُمْ و مِنْكُمْ و إِلَيْكُمْ﴾ و أنتم لا تعلمون و الإقرار يشيع الفاحشة.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٣٥٢

٢٠ / ٢٤

٢٠- ﴿وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ أنتم المؤمنين ﴿وَرَحْمَتُهُ﴾ الخاصة ﴿وَأَنَّ اللَّهَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ﴾ "لمسكم عذاب أليم" بما أفكتم، و عذاب أليم بما أفترى عليكم، و لكن "الله يدافع عن الذين آمنوا".

٢١ / ٢٤

٢١- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالله ﴿لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ من ظاهر خير إلى شر محض و أشر ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَ الْمُنْكَرِ﴾ مهما كانت لهما دركات ﴿وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَ رَحْمَتُهُ﴾ توفيقا و تأييدا فى سلوك سبيله ﴿مَا زَكَّى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ كائنا من كان فإن حول الإنسان و قوته لا يكفيان سدا عن خطوات الشيطان ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَزَكَّى مَنْ يَشَاءُ﴾ ه و هو يشاء أن يتزكى، تزكية بين أمرين: من الخلق و الخالق ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ كل ما يمكن أن يسمع ﴿عَلِيمٌ﴾ كل ما يمكن أن يعلم، "فَلَا تَزْكُوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى" (٥٣: ٣٢).

٢٢ / ٢٤

٢٢- صحيح أن الأفكين هم عند الله كاذبون و فاسقون، و لكن ﴿وَلَا يَأْتَلِ﴾ يقصر ﴿أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَ السَّعَةِ﴾ عن الإيتاء إلى هؤلاء رغم إفكهم ﴿أَنْ يُوْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَ الْمَسَاكِينِ وَ الْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فإن لكل حقا لا يبطله عصيان حتى

الإفك ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا﴾ عما عصوا جماعيا و شخصيا ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ مما يدل على أن غفر الظالم بحقك ظرف ليغفر الله لك ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ وهذه كضابطة يستثنى منها المعاند غير المهaid، أن يزيده غفر طغيانا كما فى آيات.

٢٣ / ٢٤

٢٣- ذلك مع ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ﴾ دون "أربعة شهداء" ﴿الْغَافِلَاتِ﴾ عن كلا الرمى و الفحشاء ﴿الْمُؤْمِنَاتِ﴾ مبدئيا ﴿لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا﴾: "فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ" ﴿وَالْآخِرَةُ وَ لَهُمْ﴾ فيها ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

٢٤ / ٢٤

٢٤- ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ﴾ فيه ﴿عَلَيْهِمُ السِّتَنُ﴾ إذ سجلت كلامهم الإفك و سائر السوء فيها ﴿وَأَيَّدِيهِمْ﴾ بما مدوها إلى عصيان ﴿وَأَرْجُلُهُمْ﴾ بما مشوا بها فى سبيل العصيان ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من عمل بهذه الأعضاء، شهود صدق بما استنسخ الله أعمالهم فى أعضاءهم و هى كتاب الذات.

٢٥ / ٢٤

٢٥- ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ﴾ توفية كاملة شاملة ﴿دِينَهُمْ﴾ طاعتهم بظهورها فى ملكوتها خيرا أو شرا ﴿الْحَقَّ﴾ كله الثابت بما ثبته الله، و "الْحَقَّ" مقابل الباطل ﴿وَيَعْلَمُونَ﴾ إذا ﴿أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ حقه هنا و يوم الدين، فلا تخفى عليه خافية: "وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَ وَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا" (١٨: ٤٩).

٢٦ / ٢٤

٢٦- الكلمات و الأفعال و الطويات و النيات و ما هى آت من الإنسان: ﴿الْخَبِيثَاتُ﴾ هى ﴿لِلْخَبِيثِينَ وَ الْخَبِيثُونَ﴾ فى ذواتهم بما خبثوها، هم ﴿لِلْخَبِيثَاتِ﴾ منها ﴿و﴾ هى هى ﴿الطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَ الطَّيِّبُونَ لَ﴾ هذه ﴿الطَّيِّبَاتِ﴾ و ﴿أُولَئِكَ﴾ الطيبون ﴿مَبْرُؤُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ ه الخبيثون من إفك ﴿لَهُمْ﴾ أولئك الأكارم المحصنون ﴿مَغْفِرَةً﴾ من الله بما يهتمون ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ زائدا على ما يرومون "قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ" (١٧: ٨٤).

٢٧ / ٢٤

٢٧- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالسنتكم أم و بقلوبكم أم و بأعمالكم فالكل مشمول لـ "آمَنُوا" ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا﴾ فيها سكنة و بها عورات و حفاظات عن غير أهلها ﴿غَيْرَ بُيُوتِكُمْ﴾ الخاصة بكم كالزوجين ﴿حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا﴾ مع أهلها سماحا للدخول ﴿وَتَسَلَّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾ أدبا فيه و إعلاما للدخول ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ جميعا داخليين و مدخولا إليهم، و سواه شر لكم ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ من آداب الدخول فى غير بيوتكم.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٣٥٣

٢٨ / ٢٤

٢٨- لا فقط، بل ﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا﴾ حتى تدخلوها باستئناس و سلام ﴿فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ بدخولها من قبل من يحق له الإذن ﴿وَأِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا﴾ إذ لا يجوز دخولها دون إذن، و لعل فيها عورات فى أثاث و سواه لا يناسب رؤيتها، إلا لأهلها ﴿هُوَ أَزْكَى لَكُمْ﴾ و خلافه غير زكى خلقا إسلاميا ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من خير أو شر ﴿عَلِيمٌ﴾.

٢٩ / ٢٤

٢٩- أجل ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ خلاف ما كان الدخول في بيوت جناحاً كضابطة ﴿أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾ فلا لها أهل ولا أثاث سكن، ثم و ﴿فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ﴾ فهي البيوت العامة التي ليس لها أهل خصوص، أم و إذا كانت خاصة فهي غير مسكونة لأهلها و لكم فيها متاع" ياذنهم ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَ مَا تَكْتُمُونَ﴾ من قالاتكم و حالاتكم و فعالاتكم، فالحفاظ على أعراض المؤمنين و أموالهم واجب في الأدب الإسلامي.

٣٠ / ٢٤

٣٠- ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ بمطلق الإيمان ﴿يُغْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ فزوج الآخرين، فلا يحدقوا إليها حيث الغض هو الكسر و يقابله الإحداق ﴿وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ من أن ينظر إليها، فضلا عما سواها من لمسة و قبلة و .. ﴿ذَلِكَ﴾ الأدب الرائع ﴿أَزْكَى لَهُمْ﴾ جميعا ناظرا و منظورا إليه ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ من نظرة محدقة و سواها.

٣١ / ٢٤

٣١- ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ﴾ بمطلق الإيمان ﴿يُغْضِضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾ عن النظر إلى عورات الآخرين رجالا و نساء ﴿وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ من أن ينظر إليها، ثم ﴿وَلَا يَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ غير الظاهرة بطبيعة الحال الأنوثية: ﴿إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ كالوجه و الكفين ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ﴾ التي على رؤوسهم ﴿عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ سترا لها عن النظر إليها ﴿وَلَا يَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾ "إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا" ﴿إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾ بزواج دائم أو منقطع أو ملك يمين بما فيه حلية الجنس ﴿أَوْ آبَائِهِنَّ﴾ أبوة متصلة فصاعدا في أب أوام ﴿أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ﴾ كذلك ﴿أَوْ أَبْنَائِهِنَّ﴾ كذلك فنارلا ﴿أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ﴾ كذلك ﴿أَوْ إِخْوَانِهِنَّ﴾ نسبيا ﴿أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ﴾ من النسب دون بنى الإخوة الرضاعيين، فإن الرضاة إنما تحرم النكاح و تحلل النظر في الارتباطات الأولى ﴿أَوْ نِسَائِهِنَّ﴾ و هن إماء لهن و سواهن من خادمت، غير مسلمات، إذ لا حجاب عن النساء كنساء إلا عن الأجنبيةات ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ﴾ إياه ﴿أَيَّمَانُهُنَّ﴾ و هم مماليكهن إماء أو عبيدا، و لكنهم هم غير أولى الإربة منهم و لا سيما الكافرون منهم ﴿أَوْ التَّائِعِينَ﴾ في البيت و لكن ﴿غَيْرِ أُولَى الْإِرْبَةِ﴾ الحاجة الجنسية مطلقا أو هنا ﴿مِنْ الرِّجَالِ﴾ حيث القصد من الحجاب التحرز عن عمل الجنس، فالتبعية و عدم الإربة هما تحرز ان عن خطر الجنس، لا التابع فقط، و أما غير أولى الإربة دون تبعية، فقد لا يحجب عنهم حيث التبعية هي من أسباب عدم الإربة ﴿أَوْ الطِّفْلَ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا﴾ علما و قوة ﴿عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾ و هذا هو الظهور "على" لا فقط علم أو قوة، ثم ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيَعْلَمَ مَا يَخْفَيْنَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ لا فقط لينظر، بل العلم بالزينة مما يفتن كرويتها ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ من تخلفات شهوية ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ في حياة التكليف، ذلك، و عدم إبداء زينتهن لغير المحارم هو على سواء، و ليس إبداءها لهن بين المحارم على سواء، فأين إبداءها لبُعُولَتِهِنَّ عورة و سواها، من إبداءها لغيرهم على مختلف درجاتهم في ذلك الإبداء، ثم لا إبداء لأزواج بناتهن، إذ لم يذكروا هنا، مهما يعرف عدم وجوب تحجبهن عنهم ممّا يدلّ على حرمتهم عليهم شرط الدخول بهنّ ل" اللّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ" فلا يبدن زينتهنّ لهم، و لا يحرم نظرهم إليهن كعادة النظر إليهن، و قد تحرم امرأة على رجل - فقط - من ناحية الزواج كأزواج النّبي (ص) و أزواجه أمهاتهنّ (٣٣: ٦).

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٣٥٤

٣٢ / ٢٤

٣٢- ﴿وَلَكُمْ﴾ لكى لا يتحرّج أو يتعسر فيتعثر ذكر أو أنثى ﴿أَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ﴾ و هم العزّب ذكورا و إناثا، كما النكاح يعم المنقطع إلى الدائم لأنه نكاح كما هو، بل و الأمة أيضا فإنها تنكح بملكها و رضاها، و هذا يعم النّدب إلى الفرض حسب مختلف الحالات، كذلك ﴿وَلَكُمْ﴾ "أَنْكِحُوا" الصّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَ إِمَائِكُمْ صلوحا لأصل النكاح، فلا يصلح كافر لمؤمنة و لا مشركة

لمؤمن، و لا زان لمؤمن أو مؤمنة لزان، ثم لا يصلح نكاح ل "عبادكم" إلا إذا كانت عندهم نفقة و ما أشبهه، فشرط الصلوح في العباد و الإماء أكثر من الأحرار المسلمين ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ﴾ في أنفسهم ﴿يَغْنِيهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ كأصل في كل مشكوك الكفاح اقتصاديا ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ في إغناءهم ﴿عَلِيمٌ﴾ بأحوالهم.

٣٣ / ٢٤

٣٣- تلك وصية لأولياء العزب، ثم لهم أنفسهم كفاحا في حقل النكاح ﴿وَلَيْسْتَغْفِرَ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يَغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ عفا عن النكاح بداية، أو عن استمراريته إن لم تكن عندهم نفقة، و عفا عن ثورة الجنس و شبقه بما يضعفه، كما أن من العف النكاح المنقطع إذ تقل نفقته ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ﴾ المكاتبه للتحرر ﴿مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ في شرعة الله، كأن لا يكون كافرا عند تحرره فنكبة على الجماعة المسلمة و لا و بالا عليهم، فكلاهما شر ﴿وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ حينئذ لأداء تنمة مال الكتابة، و لكيلا يكون كلاً على الناس، خيرا منك كما هنا خير منه ﴿وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ﴾ انتفاعا بهن ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ فإن لم يردن فلا دور لإكراه، بل عليكم منعهن عنها ما استطعتم "لا تُكْرِهُوا" ﴿لَتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْنُمْ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ﴾ لهن ﴿رَحِيمٌ﴾ بهن قضية الإكراه، و كذلك بالنسبة لكم إن تبتن، و هن الأصل دونكم لمكان "إِكْرَاهِهِنَّ" دون كرهكم لبغاءهن.

٣٤ / ٢٤

٣٤- ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبِينَاتٍ﴾ أحكام الله دون ستار، كما ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا مِنْ آدْنِ الْغَيْثِ مِثْرًا﴾ أنزلنا ﴿مِثْرًا مِنَ السَّمَاءِ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ شريرين و أخيارا، منعة للطاغين ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ الذين إذا وقوا عن شر اتقوا.

٣٥ / ٢٤

٣٥- ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ و هما الكون كله، و هى صفة فعلية لكان "السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ" فحياتهما و كافة مصالحهما تدبيرا و تقديرا بعد تكوين، كلها نور من الله خلقا و تدبيرا و تقديرا و هدى "الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى" (٣٠: ٥٠) ﴿مِثْلُ نُورِهِ﴾ لا مثله نفسه، فهذا المثل هو ما يمثل نور هدايته الشرعية- فقط- لا تكوينه أو تشريعه، إنما هو النور الثالث حيث يمكن حمله لخلق كالرسل، و إنما "مثل" مفردة و الرسل عدة لأنهم يحملون رسالة واحدة، و لأن القصد هنا إلى نور الأنوار و هو محمد صلى الله عليه و آله إذا ف "الله نور" .. بحقيقة النورانية لخلقه فى ربوبيته، ثم "مثل نور" الممكن حمله لغيره، و هو ﴿كَمِشْكَاةٍ﴾ محفظة زجاجية ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ سراج ﴿الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾ و إلى هنا مضاعف النور ﴿الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ﴾ لا كسائر الزيتون بل هى ﴿لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ لحد ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ﴾ و هو مادة الإنارة ﴿وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ إذا فهنا ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ ظرفا و مظروفا، قلب محمد (ص) و نور الوحي الطالع عليه ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ﴾ الخاصة كهذه ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ الهدى فيشأها الله له ﴿... وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

٣٦ / ٢٤

٣٦- و ذلك المثل الأمثل لنور الله هو ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ البيوت المحمدية، فهو رأس الزاوية، و المحمديون المعصومون هم سائر الأضلاع لعمارة تلكم البيوت ﴿يَسْبَحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ ليل نهار.

٣٧ / ٢٤

٣٧- ﴿رِجَالٌ﴾ برجولة و فتوة الأرواح لا الأجساد فقط، فمنهم: فاطمة عليها السلام ﴿لَا تُلْهِيمُهُمْ تِجَارَةً﴾ ككل المعاملات الاقتصادية ﴿وَلَا بَيْعٌ﴾ هو أهمها ﴿عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ ككل ﴿وَلَا بِقَمْتِهِ﴾ إقامة الصلاة ﴿رَبَاطًا بِاللَّهِ﴾ ﴿وَلَا إِيتَاءِ الزَّكَاةِ﴾ رباطا بخلق الله ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ من واقعه الطامة التامة.

٣٨- ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾ ككل، بل ﴿وَيَزِيدَهُمُ﴾ عما عملوا كأحسنه ﴿مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ لأقدار أعمالهم، لأنهم عملوا لله بغير حساب، فهو يرزقهم بغير حساب.

٣٩- تلك هي أعمال الذين آمنوا ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ﴾ مظهر ماء ظاهر لا باطن له ﴿بَقِيعَةٍ﴾ أرض مستوية جرداء مكشوفة على ضوء الشمس ﴿يَحْسَبُهُ السَّرَابُ﴾ الظَّمانُ العطشان ﴿مَاءً﴾ و ما هو إلا ظاهرة ماء ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ عن بكرته حتى رطوبة ماء ﴿وَوَجَدَ اللَّهُ﴾ الخالق لكل شيء ﴿عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ و هنا اتصال بين المثل و الممثل له ما أوصله، أن الكافر يحسب حياته الكافرة حياة مرغوبة حيث يبصر إلى الدنيا فيعمى، و لا يبصر بها فيبصر، حتى إذا وصل إلى باطن هذه الحياة الغائبة، عند موته، ثم برزخا و قيامة، لم يجد حياته شيئا و وجد الله عنده نفسه و ما كان يحسبه حياة "فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ" عدلا.

٤٠- ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ﴾ المتردد أمواجه ظلمة ﴿يَغْشَاهُ﴾ سترا ﴿مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ﴾ سبع كما النور كانت سبعا ﴿بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ﴾ الكافر ﴿يَدَهُ﴾ منها ﴿لَمْ يَكِدْ يَرَاهَا﴾ حتى يده فضلا عن سائر بدنه ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا﴾ من الهدى إذ احتجب باختياره عنها ﴿فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ لأنها فقط من الله لا سواه، فالله هو نور السماوات و الأرض، لا سواه إلا من يحمل نور هدايته و من يهتدى بها.

٤١- ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ رؤية البصيرة ﴿أَنَّ اللَّهَ يَسْخَرُ لَهُ﴾ تنزيها ﴿مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ من ذوى العقول، بل ﴿وَالطَّيْرِ﴾ حالكونها ﴿صَافَاتٍ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾ دون اجتهاد أو تقليد ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ هؤلاء الكفار إذ لا يسبحون الله، "وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبَحُ بِحَمْدِهِ وَ لَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ.." (١٧: ٤٤) مهما كان الشيء نباتا أو جمادا فأين تفرون، و قد خلقكم ربكم "فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ".

٤٢- ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ و ملكهما، و هما الكون المخلوق كله ﴿وَالِلَّهِ﴾ لا سواه ﴿الْمَصِيرُ﴾ فى كل مسير، و حتى الحيوان "ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُخْشَرُونَ" (٦: ٣٨) مهما اختلف حشر سائر الدواب عن حشر الإنسان "فَبِأَىٰ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ".

٤٣- ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ ببصر البصيرة ﴿أَنَّ اللَّهَ﴾ هو الذى ﴿يُزْجِي﴾ إقلاعا ﴿سَحَابًا﴾ أبخرة مياه أرضية ﴿ثُمَّ يُولِّفُ بَيْنَهُ﴾ " وَ يَنْشِئُ السَّحَابَ الثَّقَالَ" (١٣: ١٢) إذ ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا﴾ متراكبا متراكما فوق بعض ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ﴾ بداية المطر ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ كأنها غرايبيل تغربل ودق المطر، كما ﴿وَيَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا﴾ السماء من ركام السحاب الثقال ﴿مِنْ بَرَدٍ﴾ و كما نراها كأنها جبال حين نسافر بالطائرات ﴿فَيَصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقُهُ﴾ ضوءه الساطع ﴿يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٣٥٦

٤٤- ﴿يَقْلَبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ صرفا لوجه كل إلى وجه الآخر: "يَغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ" (٥٤: ٧) و لو لا وجودهما متابعا بعضها بعضا لما صحَّ تَقْلِب و تغشية، فالأرض - إذا - كروية عليها تتابع الليل و النهار، تداخلا لمختلف الفصول، و أصلا لكروية الأرض و دورانها" و اللَّهُ يَقْدَرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (٧٣: ٣٠) ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ التَّقْلِب ﴿لَعِبْرَةً﴾ يعبر بها إلى كلمة العليم الخبير، و غيب علمه ﴿لَأُولَى الْأَبْصَارِ﴾ بصرا إلى بصيرة، فالبصر العلمى يبصر ذلك التَّقْلِب العجيب.

٤٥ / ٢٤

٤٥- ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ﴾ متحركة: نباتا و حيوانا و ملكا و جنا و إنسانا و ما أشبه ﴿مِنْ مَّاءٍ﴾ أصله الماء المعروف، و من ثم سائر المياه المخلوقة من الماء: "وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ" (٢١: ٣٠) فمنه الملائكة كما منه النباتات و بينهما عوان ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ﴾ بأرجل و سواها كالزواحف ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ﴾ كأكثر ما يرى و أريحه كالإنسان و الجان ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ﴾ و كذلك كل ماش على أكثر و أكثر حيث ﴿يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ لا يعجزه أو يعييه خلق دون خلقه.

٤٦ / ٢٤

٤٦- ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا﴾ إليك فإليكم ﴿آيَاتٍ﴾ بينات ﴿مُبِينَاتٍ﴾ كل ما يريد الله تبيينه من آياته ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي﴾ توفيقا بعد تدليل ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ الهدى فيشأها الله ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ قومة ربنا للسالكين إليه.

٤٧ / ٢٤

٤٧- ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ﴾ أصالة ﴿وَالرَّسُولِ﴾ رسالة ﴿وَأَطَعُوا﴾ الله و أطعنا الرسول ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّى﴾ إعراضا ﴿فَرِيقٌ مِنْهُمْ﴾ عن الإيمان و الطاعة نفاقا عارما ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ القول الخاوى عن الحق ﴿وَمَا أَوْلَيْكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ بل هم مسلمون نفاقا، متظاهرين بالإيمان.

٤٨ / ٢٤

٤٨- ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ من نفاقهم أنهم ﴿إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ الله بلسان الرسول ﴿إِذَا﴾ مفاجاة ﴿فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ عن الله و حكمه، حين يحكم عليهم.

٤٩ / ٢٤

٤٩- ﴿وَأِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ فى حكم الله ﴿يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾ بالإيمان و الحق، فلا إيمان لهم إلا بما يرضون.

٥٠ / ٢٤

٥٠- ﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ النفاق المعاند ﴿أَمْ ارْتَابُوا﴾ فى الحق مقصرين دون عناد حاضر ﴿أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ﴾ أن يظلمهم على إيمانهم بالله ﴿بَلْ﴾ لا شيء هنا إلا أن ﴿أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ مهما كان لظلمهم دركات مرضا و ارتيابا و ما أشبه.

٥١ / ٢٤

٥١- ﴿إِنَّمَا كَانَ﴾ على طول الخط ﴿قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الصادقين ﴿إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ الرسول بوحي الله ﴿أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَطَعْنَا﴾ قولا و تصديقا ﴿وَأَطَعْنَا﴾ عمليا ﴿وَأُولَئِكَ﴾ الأكارم ﴿هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ حقا، ف"يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ" (٤٩: ١) لا أنفسكم و لا غيركم أيا كان.

٥٢ / ٢٤

٥٢- ﴿وَمَنْ يَطِيعِ اللَّهَ﴾ في كتابه ﴿وَرَسُولَهُ﴾ في سنته ﴿وَيَخْشَى اللَّهَ﴾ في طاعته قلبيا ﴿وَيَتَّقِهِ﴾ علميا وعقيدا وعمليا ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ فوزا عظيما "وَمَنْ يَطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا" (٤: ٧٣).

٥٣ / ٢٤

٥٣- ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾: غايتها و كما يستطيعون، ف" و لا تُطِيعُ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ" (٦٨: ١٠) "أَقْسَمُوا" ﴿لَيْنُ أَمَرْتَهُمْ﴾ بالخروج للجهاد ﴿لِيُخْرِجَنَّ قُلَّ لَا تُقْسِمُوا﴾ فإنما الأصل هو ﴿طَاعَةً مَعْرُوفَةً﴾ دون تقول فيها و لا رثاء و لا نفاق، بل الطاعة الوفاق، أقسمتم أولا ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ فهو الأصل دون مجرد القول.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٣٥٧

٥٤ / ٢٤

٥٤- ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ﴾ في محكم كتابه ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ في سنته الجامعة غير المفارقة، و "مَنْ يَطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ" (٤: ٨٠) ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عن الطاعة الربانية ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ﴾ من تبليغ الرسالة الربانية ﴿وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ﴾ من الإيمان و الطاعة .. و ما على الرسول إِلَّا الْبَلَاغُ لا الإبلاغ فقط، بل الذي يحصل معه كامل البلاغ "قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ" ﴿الْمُبِينُ﴾ الحق المرام.

٥٥ / ٢٤

٥٥- ﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾ " أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ" (١٠: ٥٥) ﴿الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ كلها، فرديا و جماعيا ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ خلافة زمنية مع الروحية، عمن لا يليق لهما ﴿كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ كذى القرنين و داود و سليمان و أضرابهم ﴿وَلَيَمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ﴾: " وَ رَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا" (٥: ٣) تمكيننا مكينا لا زعزعة فيه، عقيدا و عمليا و فرديا و جماعيا ﴿وَلَيَبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ﴾ من شيطنة المعارضة المتغلبة ﴿أَمْنًا﴾ كاملا شاملا ﴿يَعْبُدُونَنِي﴾ تماما ﴿لَا يَشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ تقية عن الظالمين ﴿وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ التحقيق من وعد الله: خلافة و تمكيننا و تبديلا و أمنا ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ تعمدًا، حيث لا استضعاف إذا و لا قصور و لا تقية، فإن السلطان - إذا - هو سلطان الحق، ليس إلا، و ذلك في دولة المهدي عليه السلام: "أَمَّنْ يَجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَ يَكْشِفُ السُّوءَ وَ يَجْعَلُ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ" (٢٧: ٦٢) أجل: " وَ لَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ .. وَ مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ" (٢١: ١٠٧) " وَ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ. وَ لَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَ خَافَ وَعِيدِ" (١٤: ١٤).

٥٦ / ٢٤

٥٦- ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ بكافة الصلوات الربانية فيها، فرديا و جماعيا ﴿وَاتُوا الزَّكَاةَ﴾ ثم ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ فيما أرسل به من الله، ف "إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَ لَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا" (٤: ١٠٥) ﴿لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ﴾.

٥٧ / ٢٤

٥٧- ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ﴾ الله ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ مهما أَرَعَدُوا و أبرقوا ﴿وَمَا وَاهُمْ النَّارُ وَ لَيْسَ الْمَصِيرُ﴾ " وَ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَ لَا نَصِيرٍ".

٥٨ / ٢٤

٥٨- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ﴾ أن تأمروهم بالاستئذان فيأتمروا ﴿الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ بالغين الحلم و سواهم ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ﴾ ككل و هم قرب عهده مميزين، دون مثل الوليد الذي له سنة و ما أشبهه، إضافة إلى أنه لا يفهم

استئذنا حتى يؤمر به ﴿ثَلَاثَ مَرَّاتٍ﴾ إذ فيها تكشف عورات ﴿مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ﴾ و ليس عليكم إذا ثياب ساترة ﴿وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الصَّلَاةِ الظَّهِيرَةِ﴾ مما يدل على هامة الفصل بين الظهرين، و إلا كانت "العصيرة" ﴿وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ﴾ مما يدل أيضا على هامة التفريق بين العشاءين، حيث النوم ليس بعد العشاء المتصلة بالمغرب، بل بفصل فاصل، و هذه ﴿ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ﴾ عمن لا يجوز إبداء عورات لهم ذكرا أو أنثى ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ﴾ و أنتم ﴿طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ دون احتجاب، فإن تبدلت أوقات العورات يتبدل واجب الاستئذان لأنه فقط للحفاظ على العورات ﴿كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ﴾ التي تنظم حياتكم الإيمانية ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بحالكم ﴿حَكِيمٌ﴾ فى إصلاح أحوالكم.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٣٥٨

٥٩ / ٢٤

٥٩- ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ﴾ ظهورا ﴿فَلْيَسْتَأْذِنُوا﴾ فى هذه الأوقات الثلاثة ﴿كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ ممن لم يبلغوا الحلم و بأحرى ممن ملكت أيمانكم ﴿كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

٦٠ / ٢٤

٦٠- ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ عن رغبة الزواج جنسيا ﴿الَّتَى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾ أيا كان سبب قعودهن ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾ الخاصة بالحجاب عن الرجال، لكن ﴿غَيْرَ مُتَّبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ﴾ تشهى لقضية الجنس ﴿وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ﴾ فيتحجبن كغير القواعد، هو ﴿خَيْرٌ لَهُنَّ﴾ أنفسهن، احتشاما بحشمة السر ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ و كذلك القاعدون من الرجال فلا حجاب عنهم، كـ "غير أولى الأربية من الرجال" (٢٤: ٣٢) رغم وجوبه عن الطفل الظاهرين على عورات النساء، فالأصل فى الحجاب هو الفصل عن تخلفات جنسية، ما أمكنت بأى حساب.

٦١ / ٢٤

٦١- ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ﴾ ما يخرجه لعماه ﴿وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ﴾ يخرجه لعرجه، فيما يحتاج إلى بصر، و حالة سلبية للمشى و الركض كالجهاد و ما أشبهه، كما ﴿وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ بصورة عامة فيما يخرجه المرض، ثم ﴿وَلَا﴾ حرج ﴿عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾ زواجا من بيت زوجته و زوجة من بيت زوجها، فإن بيت كل بيت للآخر، و كل من نفس الآخر، و كذلك بيوت أولادكم مهما نزلوا، فإنها من "بُيُوتِكُمْ" فلا يعنى من "بُيُوتِكُمْ" البيوت الشخصية لكم ﴿أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ﴾ الصليبين مهما علوا ﴿أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ الصليبات، مهما علون، فهما يشملان الجد و دو الجدات ﴿أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ﴾ الخاصة بهم دون ذويهم الذين يجوز لهم الأكل من بيوتهم ﴿أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ﴾ و كذلك الأمر ﴿أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ﴾ بفصل و دون فصل ﴿أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ﴾ و كذلك الأمر ﴿أَوْ بُيُوتِ أَخَوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ﴾ بفصل و دون فصل ﴿أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ﴾ جمع "مفتاح: الباب، دون المفتاح ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ المصادق معكم فى كلما يجوز، دون الصداقة الإيمانية فحسب، و الالجاز الأكل من بيوت المؤمنين ككل، و الأكل المسموح من هذه البيوت الإحدى عشر هو المتعود، دون إذن و لا منع، و لكنه من غير هذه البيوت بحاجة إلى إذن، أو أنه على أصحاب هذه البيوت ان يأذنوا و لا يمنعوا ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا﴾ مع أصحاب هذه البيوت ﴿أَوْ أَشْتَاتًا﴾ متفرقين، و كذلك الأمر فى الأكل مع الأعمى و مثله إذ لا يقدر أن يضبط نصيبه فى الأكل المشترك ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا﴾ يسمح الأكل منها كهذه أو غيرها ﴿فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ حيث الأخوة الإيمانية تجعلكم كنفس واحدة فـ "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ" (٤٩: ١٠) "بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ" (٣: ١٩٥) "فَسَلِّمُوا ..." "تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ" ك سلام الله عليكم، أو

السلام عليكم، فإنه أيضا من عند الله ﴿مُبَارَكَةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ﴾ الدالات على واجبات و محرمات ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ كما هي تربطكم برباطات ربانية، ذلك، فلا يجوز للمارة على زرع أو بستان أكل منهما، حيث المرور ليس من هذه الموارد المسموح فيها الأكل، ثم الأكل المسموح لهم، ليس إلا المتعود دون إفراط، أو أخذ من مخابئ البيت، فضلا عن أن تأخذ معك إلى خارج البيت، اللهم إلا ما وهبك إياه، أو عرض عليك من مأكول، فإنما المسموح أن تأكل مما في البيت، عوانا بين ما عرض عليك فهو للكل، و ما هو مخبوء فليس لأحد، و إنما يمتاز هؤلاء الأحد عشر مما في البيت دون إذن أو استئذان، إذ لا يجوز لغيرهم دونهما أبدا، فلا يحل مال امرء مسلم إلا بإذنه، كضابطة إلا في هذه الموارد المنصوصة.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٣٥٩

٦٢ / ٢٤

٦٢- ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ الحقيقيون هم ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ آمنوا أنفسهم عن أخطار و أخطاء ﴿وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ﴾ بينهم لصالح الجماعة المسلمة تشاورا و تكافلا ﴿لَمْ يَذْهَبُوا﴾ عنه ﴿حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ﴾ عند حاجتهم الأولى من هذا الأمر الجامع، حيث تعذرهم ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ أدبا إيمانيا أمام الرسول بأمر الله ﴿فَإِذَا سَأَلْتَهُمْ لَٰبِعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنَ لِمَن شِئْتَ مِنْهُمْ﴾ حيث تشاءه شرعة الله رسالة ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ الله أن تركوا مجلسك بإذن ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

٦٣ / ٢٤

٦٣- و ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ﴾ أن تقولوا: محمد- أحمد .. ﴿كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ بل "رَسُولَ اللَّهِ" كما يدعو الله، مهما سماه محمدا و أحمد، بيانا لعبوديته لله، و هكذا كافة الرساليين على مراتبهم، لا يجوز دعاءهم على سواء، بل لكل قدره ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلْلُونَ مِنْكُمْ﴾ نزعا بلطف و احتيال، تكلفا فيه ﴿لِوَادَا﴾ مستترين التجاء بالغير، تسلا لوادا عن أمر جامع، فرارا دون قرار ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾ إلها و رسوله ﴿أَن تَصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ شر ﴿أَوْ يَصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ هنا أو بعد الموت، و ذلك مما يدل على أن مخالفة الأمر محذور، فصيغة الأمر صائغة للوجوب إلا بقريئة قاطعة.

٦٤ / ٢٤

٦٤- ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ لَا سِوَاهُ﴾ ما في السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ ﴿مَلَكًا وَ مَلَكًا﴾ قَدْ يَعْلَمُ ﴿مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾ على أية حال، رغم تغافلكم عن علمه ﴿وَ يَوْمَ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا﴾ إنباء الإخبار، و حقيقة الإخبار، ف "هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ" ﴿وَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

سورة الفرقان

١ / ٢٥

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ تَبَارَكَ﴾ بركات خاصة ربانية، الله ﴿الَّذِي نَزَّلَ﴾ تدريجيا، ماضيا و مستقبلا ﴿الْفُرْقَانَ﴾ فارقا بين الحق و الباطل، كما هو فارق بين الحق القرآن و سائر الوحي الحق ﴿عَلَى عَبْدِهِ﴾ الخاص به، لا عبد من عباده ﴿لِيَكُونَ﴾ عبده بذلك الفرقان و كذلك الفرقان نفسه ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ العقلاء من الجنة و الناس و من سواهما أجمعين، طول الزمان و عرض المكان ﴿نَذِيرًا﴾ بنفسه، و المحمديين من عترته، و الربانيين من علماء أمته: "هُدًى لِلنَّاسِ وَ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَ الْفُرْقَانِ" (٣: ٤) وَ قُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَ نَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا" (١٧: ١٠٦).

و لقد سمينا تفسيرنا المفصل "الفرقان" بذلك الاسم، خيرة من الله في تسميته، فطلعت سورة الفرقان، و كما أخذت خيرة أخرى للمقام بأم القرى في أخريات هجرتي، فجاءت نفس السورة، و قد طلع "الفرقان" فرقانا بين التفاسير، و الهجرة إلى مكة فرقانا بين المهاجر مع كافة المحاظير.

٢ / ٢٥

٢- هذا الفرقان يحكم السماوات و الأرض، لأنه من ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ﴾ دون بديل و لا وكيل ﴿وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ و لا شريك أصيل ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي﴾ ذلك ﴿الْمُلْكِ وَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ حكيما بأن هداه "إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ" (٥٤: ٤٩) الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى" (٢٠: ٥٠) و هل إن خالق كل شيء بحاجة إلى اتخاذ وخاز لشريك ولدا و سواه.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٣٦٠

٣ / ٢٥

٣- ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً﴾ غير خالقة: ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَ﴾ الحال أنهم ﴿هُمْ يَخْلُقُونَ﴾ ثم ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ﴾ فضلا عن غيرهم ﴿ضُرًّا﴾ أن يدفعوا عنهم ﴿وَلَا نَفْعًا﴾ أن يجلبوه إليهم ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا﴾ ألا يموتوا هم أنفسهم فضلا عن سواهم ﴿وَلَا حَيَاةً﴾ كذلك الأمر ﴿وَلَا نُشُورًا﴾ لأنفسهم و لا سواهم فضلا عن حساب و جزاء، فقد اتخذوا آلهة هي صفر الأيدي عن كافة الربوبيات، بل و قوات لبعض المربوبين "ضَعَفَ الطَّالِبُ وَ الْمَطْلُوبُ" (٢٢: ٧٣).

٤ / ٢٥

٤- ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالله و رسالاته ﴿إِنْ هَذَا﴾ القرآن ﴿إِلَّا إِفْكٌ﴾: كذب على الله ﴿اِفْتَرَاهُ﴾ عليه ﴿وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾ من غير العرب، ف"وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يَعْلَمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِي وَ هَذَا لِسَانٌ عَرَبِي مُبِينٌ" (١٦: ١٠٣) و حتى إذا كان من أفصح العرب فلا يسطع، ثم لما ذا لم يدع هو الرسالة دون محمد (ص) ﴿فَقَدْ جَاءُوا﴾ إلى هذا القرآن حالكونهم ﴿ظُلْمًا﴾ نفسه ﴿وَزُورًا﴾: كذبا نفسه إذ لا مجال على أية حال في كونه مفترى على الله، فإن ربانية آياته شاهدة صدق على صدقه و حيا بقمته، و كما جاءوا ظلما و زورا في مجيئهم الفجيع.

٥ / ٢٥

٥- ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ و خرافاتهم ﴿اِكْتَتَبَهَا﴾ هو فكتبتها و ما كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَ لَا تَخْطُهُ بِمِصْرِكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ" (٢٩: ٤٨) ﴿فَهِيَ﴾ هذه الأساطير: القرآن ﴿تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَ أَصِيلًا﴾ إصلاحا لها و ألا ينساها، و ما لهذه الأساطير لا اختلاف فيها و لا ريب يعتريها، و في أقوال العلماء ككل كل اختلاف و ريب.

٦ / ٢٥

٦- ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ﴾ الله ﴿الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ﴾ كله ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ﴾ إذ فيه من سر السماوات و الأرض، المستسر عن لا يوحى إليه ﴿إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ حتى بالنسبة لهؤلاء الكافرين إن آمنوا.

٧ / ٢٥

٧- ﴿وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ﴾ من الله ﴿يَأْكُلُ الطَّعَامَ﴾ كسائر البشر ﴿وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ كسائر أهل السوق و العشرة البشرية، و لا بد له من ميزة جسمانية حتى يأهل لحمل الوحي إلينا، رغم أن من حجية الرسالة تجانس بين الرسل و المرسل إليهم: مَعَشَرَ الْجِنِّ وَ الْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي .." (٦: ١٣) و هنا "فِي الْأَسْوَاقِ" راجعة إلى كلا الأكل و

المشي، مما يدل على أن الأكل في الأسواق ليس محرماً يخالف المروءة، خلاف ما يقال في أصل العدالة ﴿لَوْ لَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ﴾ شهادة و مساعدة ﴿نَذِيرًا﴾.

٨ / ٢٥

٨- ﴿أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ﴾ من ربه ﴿أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا﴾ فلا يحتاج إلى جنات أخرى، ثم أخيراً ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ﴾ بحق هذه الرسالة القرآنية ﴿إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ ففرية السحر عليه حتى في جسمه فضلاً عن عقله هي ظلم ما أظلمه، و هنا تتساقط روايات تنسب إليه أنه سحر! و كما في باب خاص من صحيح البخارى.

٩ / ٢٥

٩- ﴿انْظُرْ كَيْفَ﴾ ضلوا أن ﴿ضَرَبُوا لَكَ﴾ هذه ﴿الْأَمْثَالَ﴾ المضللة، البعيدة عن رسالة الوحي ﴿فَضَلُّوا﴾ بها ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ للقضاء عليه و التخلص عن حجته.

١٠ / ٢٥

١٠- ﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ﴾ فقد لا يشاء ﴿جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ﴾ الذى يقترحونه، و هى ﴿جَنَاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ و لكنه لا يجعلها لك فى الأولى ﴿و﴾ لكن ﴿يَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا﴾ فى حياة يوم الأخرى، فالحياة الدنيا بزيتها لا تناسب الرسالة الربانية.

١١ / ٢٥

١١- ﴿بَلْ﴾ هم يقنعون بـ "يجعل" إذ هم ﴿كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ﴾ الآخرة ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ نارا مسعرة ملتتهمة كما هم سعيير ضد الحق المرام.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٣٦١

١٢ / ٢٥

١٢- "سَعِيرًا" ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ عنهم و لما يقتربوها ﴿سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَ زَفِيرًا﴾ أجل: "رَأَتْهُمْ" كأنها تبصر فتعرف أهلها، و حق لها أن تراهم إذ هى هيه أعمالهم التى قدموها.

١٣ / ٢٥

١٣- ﴿وَ إِذَا أُلْقُوا مِنْهَا﴾ نبذا كالقاذورة ﴿مَكَانًا ضَيِّقًا﴾ منها عذابا فوق العذاب ﴿مُقَرَّنِينَ﴾ بأرجلهم و أيديهم و أعناقهم إلى سلاسل من نار، و "مُقَرَّنِينَ" فى ذلك الضيق إلى بعض البعض كما إلى العذاب ﴿دَعَوْا هُنَالِكَ﴾ البعيد البعيد عن رحمة الله ﴿تُبُورًا﴾: ويلا مهلكا.

١٤ / ٢٥

١٤- فيقال لهم منذ الآن و حتى دخولهم تلك النار ﴿لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ تُبُورًا وَاحِدًا﴾ إذ ليس كمّ العذاب و لا كيفه واحدا يخيل إليهم لمرة أولى، بل ﴿وَ ادْعُوا تُبُورًا كَثِيرًا﴾ بكمه و كيفه المستمر ما هم معذبون.

١٥ / ٢٥

١٥- ﴿قُلْ﴾ لهؤلاء الحماقى الأنكاد ﴿أَ ذَلِكَ﴾ العذاب البعيد العظيم، وعيدا لكم ﴿خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ﴾ ها ﴿الْمُتَّقُونَ﴾ كانت هذه الجنة ﴿لَهُمْ جَزَاءٌ﴾ "عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُودٍ" ﴿وَ مَصِيرًا﴾ بمسيرهم إليها.

١٦ / ٢٥

١٦- ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاؤْنَ﴾ من رحمة ربانية، حالكونهم ﴿خَالِدِينَ﴾ فيها دونما انقطاع لأنه قضية فضل الله ﴿كَانَ عَلَى رَبِّكَ﴾ بما ربك فوعدك ﴿وَعَدًا مَسْئُولًا﴾ يسأل عنه" و من أحسن من الله وعدا" كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ" (٦: ٥٤).

١٧ / ٢٥

١٧- ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾ يجمعهم أولاء الكفار ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ جمعا بين عابدين و معبودين ﴿فَيَقُولُ﴾ لهؤلاء المعبودين ﴿أَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي﴾ هؤلاء أن حملتموهم على الضلالة، أم قبلتم منهم أن تعبدوا من دون الله ﴿أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾ دونما دعوة منكم و لا قبول.

١٨ / ٢٥

١٨- ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ﴾ مما يحصر المعبودين هنا فى الصالحين و إلا رد عليهم ﴿مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا﴾ استحالة ﴿أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ يعبدوننا دونك أو معك ﴿وَلَكِنْ مَتَّعْتُهُمْ وَآبَاءَهُمْ﴾ متع الحياة الدنيا ﴿حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ﴾ الذى يذكرهم ربهم، و ذلك باختيار سوء ﴿وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾ باثرين هلكى عن إنسانيتهم، فهم أنفسهم " ضلُّوا السَّبِيلَ " فقط دون دعوة منا، و ذلك بخلاف الطواغيت المعبودين من دون الله إذ هم داعون إلى أنفسهم، و لا الأوثان إذ لا تعقل حتى تدعوا إلى نفسها.

١٩ / ٢٥

١٩- ﴿فَقَدْ كَذَّبَكُمْ بِمَا تَقُولُونَ﴾ كأنهم أضلوكم دعاء إلى أنفسهم ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا﴾ لحجتهم و لا عذابا عن أنفسكم ﴿وَلَا نَصْرًا﴾ فى ذلك المأزق العظيم، ثم بصورة عامة ﴿وَمَنْ يظْلِمْ مِنْكُمْ﴾ أيا كان عابدا، و معبودا يدعوا إلى نفسه ﴿نُدْفُهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ يوم الفزع الأكبر.

٢٠ / ٢٥

٢٠- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ﴾ كما أنت ﴿لِيَأْكُلُوا الطَّعَامَ وَ يَمْشُوا فِي الْأَسْوَاقِ﴾ " قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ " ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ﴾ رسلا و مرسلا إليهم ﴿لِبَعْضٍ﴾ مرسلا إليهم و رسلا، كما أن كلاً لكل ﴿فِتْنَةً﴾ تفتنون بها فى الحياة الدنيا ﴿أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ بعباده كيف يفتنهم.

٢١ / ٢٥

٢١- ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ معرفيا بالتوحيد و شروطه، فطريا و عقليا و رساليا، و جزاء يوم الجزاء ﴿لَوْ لَا أَنْزَلْ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةَ﴾ رسلا أو تعريفا بالرسل ﴿أَوْ نَرَى رَبَّنَا﴾ حتى نؤمن به و أنكم رسله ﴿لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ النحيسة إذ رفضوا رسالات الله فى الآفاق و فى أنفسهم ﴿وَعَتَوْا﴾ متجاوزين ﴿عَتَوْا كَبِيرًا﴾ بشموخ أنوفهم كأنهم يستحقون رسالة الوحي، و ما فوقها رؤية لله.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٣٦٢

٢٢ / ٢٥

٢٢- ليس من الممكن لهم إلا رؤية الملائكة و لكن ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ﴾ الذين قطعوا ثمرات الحياة قبل إيناعها ﴿وَيَقُولُونَ﴾ الملائكة لهم ﴿جِبْرًا﴾ عن رحمت الله ﴿مَحْجُورًا﴾ عن مواجهة المكاملة مع الله، كما و يقولون " هم الملائكة " جِبْرًا " عنا من عذاب الله، " مَحْجُورًا " بحيث لا نراكم لأنكم حملة العذاب.

٢٣ / ٢٥

٢٣- ﴿وَقَدِمْنَا﴾ قدم صدق بعلم و قدرة و حكمة دون كذب و لا بأقدام الخلق ﴿إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ﴾ صالح فيما يزعمون ﴿فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ غبارا هابيا رقيقا متفرقا، كأن لم يكن شيئا مذكورا، و كذلك طالح أعمالهم، إذ كانوا يحسبونه حسنا، هباء

على هباء، فليسوا- إذا- على شيء إلا العصيان و الطغيان " و لَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَ أَدْبَارَهُمْ وَ دُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ " (٨: ٥٠).

٢٤ / ٢٥

٢٤- ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا﴾ فيها ﴿وَ أَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ نوم نصف النهار، من مستقر الدنيا و مقيلها.

٢٥ / ٢٥

٢٥- هذا برزخهم إلى يوم يبعثون ﴿وَ يَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ﴾ و هو قيامة الإمامة ﴿وَ نُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا﴾ للتهديم الهديم.

٢٦ / ٢٥

٢٦- ﴿الْمَلَكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ﴾ الخالق لكل خليفة، مهما كان يوم الدنيا باطنا لا يظهر إلا لأهله، بل و يتظاهر الطاعى بالملك ﴿وَ كَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾ فى بدايته قيامة التدمير و ثم و فى قيامة التعمير، و " الْحَقُّ " هنا هو كل الحق، مهما كان لهم يوم الدنيا حق من الملك.

٢٧ / ٢٥

٢٧- ﴿وَ يَوْمَ﴾ ثالث بعد البرزخ و قيامة الإمامة، هو يوم قيامة الإحياء ﴿يَعِصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ﴾ من شدة الندم المغيظ ﴿يَقُولُ﴾ يا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿إِلَى اللَّهِ بِرِسَالَةٍ اللَّهِ،﴾ حيث الرسول هو سبيل الله و باب مدينة علمه هو السبيل اليه إلى الله فسبيل مع الرسول هى سبيل إليه بما يحمل من رسالة الوحي، و سبيل بذلك الاهتداء إلى الله.

٢٨ / ٢٥

٢٨- ﴿يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا﴾ الضال الصاد عن اتخاذ سبيل مع الرسول ﴿خَلِيلًا﴾ يخل فى حياتى و يخلها، فكل خليل يخل فيه، و هو مضل عن سبيل الله، و منها الرسول (ص) يوجب الويل و الثبور، فكما الخليل الصاد عن رسالة الله كليل عن سبيل الله، كذلك الصادون عن خلفاء الرسول عليهم السلام، حيث يصدون باب مدينة علم الرسول (ص).

٢٩ / ٢٥

٢٩- ﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ﴾ القرآن و رسول القرآن ﴿بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَ كَانَ الشَّيْطَانُ﴾ منذ كان مع الإنسان ﴿لِلْإِنْسَانِ﴾ خَذُولًا.

٣٠ / ٢٥

٣٠- ﴿وَ قَالَ الرَّسُولُ﴾ فى ذلك اليوم، و كما كان يقول على طول الرسالة ﴿يَا رَبِّ﴾ حيث ربيتنى بتربية قمة رسولية و رسالية ﴿إِنَّ قَوْمِي﴾ و هم كافة المكلفين، و حتى الذين آمنوا بى ﴿اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ فى معانيه مهما تقربوا إليه فى ألفاظه، و كما نشاهد هذه المهجورية فى حوزات إسلامية إذ لا دور فيها للقرآن العظيم، ففى هجران القرآن هجران عن رسول القرآن فايزاء الله و الرسول " إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا " (٣٣: ٥٧) ففى هجران القرآن عذاب مهين فى الدنيا و الآخرة.

٣١ / ٢٥

٣١- ﴿وَ كَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ أننا لم نمنعهم عنهم قضية الاختيار: " وَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَ لَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ " (٢٢: ٥٣) ﴿وَ كَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَ نَصِيرًا﴾ إذ لا يقدر الشيطان أن يبطل آيات الله البينات.

٣٢ / ٢٥

٣٢- ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالله ﴿لَوْ لَا نُزِّلَ عَلَيْهِ﴾ هذا ﴿الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ كما نزل التوراة والإنجيل ﴿كَذَلِكَ﴾: ﴿وَقَرَأْنَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ (١٧: ١٠٦) ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ أنت ﴿وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ و من جهة أخرى "قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِنُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا" (١٦: ١٠٢).

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٣٦٣

٣٣ / ٢٥

٣٣- ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ﴾ هؤلاء الضالون الظالمون ﴿بِمَثَلٍ﴾ باطل يمثل الباطل حقا و الحق باطلا تسفيرا للحق إلى الباطل ﴿إِلَّا جِنَّاتِكِ بِالْحَقِّ﴾ كله مثلا يمثله ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ للحق حتى لا يبطل، بما يفسر الحق بباطل و الباطل بحق، إذا فالقرآن هو بنفسه أحسن تفسير لنفسه، يفسر بعضه بعضا و ينطق بعضه على بعض، فكيف يحتاج إلى مفسر سواه، بل على من يريد تفهيم آياته أن يفسر- كشفا لستار- فطرته و عقليته، لغته و أدبه، و علومه المنفصلة عن القرآن، فينظر دون أى حجاب، نظرا صائبا إلى القرآن فيحصل- لأقل تقدير- على معانيه المنصوصة، و الظاهرة المستقرة.

٣٤ / ٢٥

٣٤- ﴿الَّذِينَ يَحْشُرُونَ﴾ جمعا ﴿عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ مكبين على الأرض أذلاء "أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ" (٦٧: ٢٢) ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرُّ مَكَانًا وَ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ من الذين يزعمونهم في مكان شرير و ضلال السبيل، و هما من مجارة آلهتكم، أو هم "أَضَلُّ" أو هما منسلخان عن أصل التفضيل.

٣٥ / ٢٥

٣٥- ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُ﴾ في حمل الوحي و الدعوة به ﴿أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا﴾ فوزارة الرسالة و خلافتها ليست إلا بجعل من الله كأصل الرسالة، فكذلك- و بأحرى- الوزارة عن خاتم النبيين صلى الله عليه و آله.

٣٦ / ٢٥

٣٦- ﴿فَقُلْنَا﴾ لهما ﴿ادْهَبَا﴾ رسوليا ﴿إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ و هم محطة الرسالة الأولى دون اختصاص بني إسرائيل، فإنهم فرعون و أتباعه العمالقة و من أشبهه، فكذبوه ﴿فَدَمَرْنَا هُمْ تَدْمِيرًا﴾ أن أغرقنا هم في اليم.

٣٧ / ٢٥

٣٧- ﴿وَقَوْمُ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ﴾ و المكذب هنا هو نوح فقط، و لكنهم بتكذيبه كذبوا الرسل كلهم ﴿أَغْرَقْنَاهُمْ﴾ في الطوفان العام ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ﴾ الناجين عنده و الآتين بعده ﴿آيَةً﴾ الهلاك بالتكذيب، بتناقل تاريخي و "لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً" من أنقاض السفينة الموجودة، كما شرحناه في "الْحَاقَّةُ" ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ﴾ منهم و من سواهم ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ ذلك، و من المحتمل أنه عاش مع نوح و بينه و بين إبراهيم رسل، هم كذبوهم أجمعين، تكذبان اثنان لرسالات الله.

٣٨ / ٢٥

٣٨- ﴿وَعَادًا وَ ثَمُودَ﴾ "وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِينِهِمْ" (٢٩: ٣٨) ﴿وَأَصْحَابَ الرِّسِّ﴾ "كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرِّسِّ وَ ثَمُودُ" (٥٠: ١٢) و "الرِّسِّ" بئر لم تطو، أم نهر كانوا على شاطئه و هم قوم بعد ثمود ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿كَثِيرًا﴾.

٣٩ / ٢٥

٣٩- ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأُمُتَالَ﴾ الحكمة تحكيما للحق و تحطيما للباطل ﴿وَكُلًّا تَبَرْنَا تَبِيرًا﴾ بتكذيبهم.

٤٠ / ٢٥

٤٠- ﴿وَلَقَدْ آتَوْنَا هَؤُلَاءِ الْكِفَارَ ﴿٤٠﴾ عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْتُ مَطَرَ السَّوْءِ﴾ و هي سدوم، و هم يمرون عليها رحلة الشتاء و الصيف ﴿أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرُونَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا﴾ فيا لسدوم الصدوم من صدام صدام ضد قافلة الإيمان.

٤١ / ٢٥

٤١- ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ هَؤُلَاءِ الْمَكْذِبُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّهُمْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ قائلين ﴿أَهَذَا الْمُهَيِّنُ هُوَ الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ و عندنا أقرباء أثرياء.

٤٢ / ٢٥

٤٢- ﴿إِنَّ﴾ مؤكدا ﴿كَادَ﴾ كودا و كيدا ﴿لَيُضِلَّنَا عَنْ آلِهَتِنَا﴾ بكيده و كوده ﴿لَوْ لَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ فلا نكاد ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ " و إِنَّا أَوْ بِإِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ " (٣٤: ٢٤).

٤٣ / ٢٥

٤٣- ﴿أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ لا، هواه إلهه، فلم يتخذ هواه الإله، بل إلهه هواه حيث تهوى به " أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَ أَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ .. فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ " (٤٥: ٢٢) ﴿أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ تكل أمر هدايه، و كل إله من دون الله فإنما هو مختلق هواه، موحد في ألوهية هواه، و كل إشراك يطلع من هواه.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٣٦٤

٤٤ / ٢٥

٤٤- أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ إنسانيا فإيمانيا كلاً، بل هم أقلهم حيث يسمعون أو يعقلون فيهتدون، أَمْ و إذا لا يهتدون لا يكذبون ﴿إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ﴾ حيث لا تسمع سمع إنسان و لا تعقل عقل الإنسان قصورا و هم مقصرون! ﴿بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ إذ تركوا حتى عقل الأنعام و سمعها، بل و أضل من كل شيء فـ " إِنَّ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبَحُ بِحَمْدِهِ وَ لَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ " (١٧: ٤٤) " وَ حَمَلَهَا " خان الأمانة " الإنسان " إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا " (٢٣: ٧٢) أظلم و أجهل من الكائنات كلها، رغم أنه أعقل منها كلها.

٤٥ / ٢٥

٤٥- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ﴾ بربوبية عامة لجسمك و روحك ﴿كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ لشمس الهداية فيهما و لا سيما شمس الهداية الروحية، مدًا حركيا دون سكون، حيث ترتقى شرايع الله ﴿وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾ دون حراك، بشرعة واحدة لا تتبدل ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ﴾ الظل ﴿دَلِيلًا﴾ فهنا شمس الهداية الربانية، و هناك أضلال، ممدودة متحركة، حركة ربانية سامية، في كل شرعة و بين الشرايع كلها، ذلك، و على ضوء الهداية الروحية هداية جسمية " رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى " (٢٠: ٥٠).

٤٦ / ٢٥

٤٦- ﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ﴾ الظل ﴿إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾ دون عسير.

٤٧ / ٢٥

٤٧- ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾ سترًا عن أتعاب ﴿وَالنَّوْمَ سُبَاتًا﴾ قطعًا عن حركات بذلك السبات و جعل النهار نُشُورًا نشرًا لحركات الحياة، فالنوم أخ الموت، و اليقظة بعده أخ الحشر " وَ تِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَ مَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ " (٣٩: ٤٣).

٤٨ / ٢٥

٤٨- ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ بُشْرًا﴾ مبشرات ﴿بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ حين تجمع السحاب فتجعلها ركاما ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ فكل مياه الأرض طهور: " وَ أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَاهُ فِي الْأَرْضِ وَ إِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لِقَادِرُونَ " (٢٣: ١٨)

فالماء كله طاهر مطهر: "وَ يَنْزِلُ عَلَيْكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءٌ لِّيَطَهِّرَ كُمْ بِهِ .." (٨: ١١) فما هو ماء فهو طاهر مطهر دون أى شرط من كثرة و جريان و ما أشبهه.

٤٩ / ٢٥

٤٩- ﴿لَنُحْيِي بِهِ بَلَدَةً مِّيتًا﴾ إحياء نباتيا ﴿وَلَا﴾ لـ ﴿نُسْقِيهِ مِمَّا خَلَقْنَا﴾ بعضا ﴿أَنعَامًا وَ أَنَاسِيَ كَثِيرًا﴾ و بعض آخر كالجن و ما أشبهه.

٥٠ / ٢٥

٥٠- ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ﴾ القرآن، صرفا غيارا هنا و هناك من كل مثل ﴿بَيْنَهُمْ لِيَذْكُرُوا﴾ الحق من ربهم ﴿فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ﴾ عن أن يذكروا ﴿إِلَّا كُفُورًا﴾ كفرا أو كفرانا.

٥١ / ٢٥

٥١- ﴿وَلَوْ﴾ مستحيلا فى الحكمة الربانية ﴿شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ﴾ مجتمع ﴿نَذِيرًا﴾ و إنما الرسائل هى لأمهمات القرى، دون كل قرية" و ما كان رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمًا" عاصمتها و المركز الرئيسى لها" رَسُولًا" (٢٨: ٥٩) فقد تكون أمة فى مختلف القرى، و الرسالة تخص أمة دونها كلها، وى كأن الرسل هم قرأء التعازى و مجهزو الأموات!.

٥٢ / ٢٥

٥٢- ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ﴾ فى وعودهم الكاذبة ﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ﴾: القرآن ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾ فى درجات أخيرتها قتالهم.

٥٣ / ٢٥

٥٣- ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ أن خلط بينهما فى مكان واحد ﴿هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾ "سَائِغٌ شَرَابُهُ" ﴿وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ خانق شرابه ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾ فاصلا ﴿وَجِجْرًا﴾ ستارا يمنع عن خلطهما ﴿مَحْجُورًا﴾ مستورا لا يبين، كما نراه فى بحار حجرا محجورا.

٥٤ / ٢٥

٥٤- ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ﴾ المنى ﴿بَشَرًا﴾ هو المتناسل من الأبوين الأولين، إذ ليس خلقهما من ماء ﴿فَجَعَلَهُ نَسَبًا﴾ ولدا من ذكور و أناث ﴿وَصِهْرًا﴾ زوج بنت يخلق منها نسبا، فالصهر هو الدرجة الثانية ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ على ذلك الخلق و الجعل و ما أشبهه.

٥٥ / ٢٥

٥٥- ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ﴾ إن عبدوها ﴿وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾ إن لم يعبدوها ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ﴾ الذى خلقه ﴿ظَهِيرًا﴾ مستظهرا عليه بخلقه، كفرا و كفرانا، تكذيبا و نكرانا.

٥٦ / ٢٥

٥٦- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ﴾ نائبا- خليفة- وكيلا- مخولا و لا شريكا فى الربوبية ﴿إِلَّا مُبَشِّرًا﴾ لمن يؤمن ﴿وَنَذِيرًا﴾ لمن لا يؤمن، فلا ولاية لك تكويننا و لا تشريعا، إنما هى الولاية الشرعية الرسولية.

٥٧ / ٢٥

٥٧- ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ عملا رسوليا بكل مشاقه و ملتوياته ﴿إِلَّا﴾ من ﴿مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ و ليس هو أجرا، فهو المودة فى القربى لأنهم سبيل إلى الرسول و معه: "قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى" (٤٢: ٢٣) و هو لكم فى اتخاذ السبيل "قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنَّ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ" (٣٤: ٤٧).

٥٨- ﴿وَتَوَكَّلْ﴾ في هذه الرسالة القدسية ﴿عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ فهو الذى يسد خطاك على أية حال ﴿وَسَبِّحْ﴾ هـ ﴿بِحَمْدِهِ﴾ أن تسبحه فى صفات عن صفات متشابهة الألفاظ للمخلوقين فـ "عالم" يسبح عن علم من سواه، فيعنى أنه لا يجهل و .. ﴿وَكَفَى بِهِ يَذُنُوبَ عِبَادِهِ خَيْرًا﴾ دون حاجة له إلى من يحصيها إلا هو.

٥٩- ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ﴾ "السبع" ﴿وَالْأَرْضِ﴾ و الأرضين السبع "اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ" (٦٥: ١٢) ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أوقات مهما كانت مختلفة الأقدار، و كما فصلت فى "فصلت" ﴿ثُمَّ﴾ بعد خلق الكون كله ﴿اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ﴾ تدييرا وحيدا كما أن خلقه وحيد فـ "أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ" (٥٤: ٧) ﴿فَسُئِلَ بِهِ﴾ لا سواه حال كونه ﴿خَيْرًا﴾ بما خلق و دبر.

٦٠- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ﴾ الخالق لكل عابد و معبود، و هنا تجب السجدة كما فيما أشبه ﴿قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ﴾ بجنب ما نسجد له، تغافلا عن الإله الأصل، اتجاها إلى من اتخذوه إلها ﴿أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ أنت و آباءنا لم يعبدوه ﴿وَزَادَهُمْ﴾ أُمرك ﴿نُفُورًا﴾ عن أن يسجدوا له، و قد عبروا عنه بـ "ما" إهانة!

٦١- ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾ قصورا فصلت فى "البروج" ﴿وَجَعَلَ فِيهَا﴾ لكم ﴿سِرَاجًا﴾ شمسا و فيها آلاف الشمس ﴿وَوَكَّ﴾ لكم ﴿قَمَرًا مُنِيرًا﴾ و فيها آلاف الأقمار.

٦٢- ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ يخلف بعضها بعضا، موت الليل و حياة النهار ﴿لَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذْكُرَ﴾ المبدأ المختار و المعاد ﴿أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ لهذه النعمة: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرَ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَمْ لَا تَسْمَعُونَ. قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرَ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ (٢٨: ٧١).

٦٣- ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾ على ضوء الرحمة العامة الرحمانية، هم ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾: تذلا فى قرارة أنفسهم، تخضعا لله و تواضعا لعباد الله، و ذلك المشى يعمه إلى كل مشى فى حياة التكليف ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ﴾ خطابا جاهلا ﴿قَالُوا سَلَامًا﴾ سلمكم الله من الجهل و الجهالة.

٦٤- ﴿وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ﴾ حالكونهم ﴿سُجَّدًا وَقِيَامًا﴾ فى صلاة و سواها من تهجدهم بالليل.

٦٥- ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ﴾ صرفا عن موجباته، توفيقا رفيقا فى حياة التكليف ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ لزاما لا ينفصل عن مستحقه، إلا بانفصال الحياة عنهم و خمود النار، "جَزَاءً وَفَاقًا" لزاما بين محدود العصيان و الجزاء.

٦٦- ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا﴾ مصدرا و زمانا و مكانا ﴿وَمَقَامًا﴾ كذلك الأمر.

٦٧- ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا﴾ ما يمكن و يصح إنفاقه من مال و قوة و .. ﴿لَمْ يَسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾ إفراطا و تفريطا ﴿وَوَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ﴾ الإفراط و التفريط ﴿قَوَامًا﴾ قائما على وسط، يقوم به عيشتهم معتدلة.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٣٦٦

٦٨- ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَ لَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا﴾ قتلا ﴿بِالْحَقِّ﴾ الثابت فى شرعة الله استثناء منفصلا- قصاصا و ما أشبه ﴿وَلَا يَزْنُونَ﴾ و كأنه قتل نفس ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ العصيان العظيم ﴿يَلْقَ أَثَامًا﴾: و بال أمره الإمر، هنا حدا و ما دونه، و فى الآخرة عذاب أليم.

٦٩- ﴿يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ كمضاعفة عصيانها: "وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا" ﴿وَيُخَلَّدُ فِيهِ مُهَانًا﴾ كما أهان الله، بتخلفه عن شرعة الله.

٧٠- ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ﴾ عما اقترف منها ﴿وَأَمَّنَ﴾ بعد ما تكدر إيمانه بها ﴿وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾ يصلح به من أفسده بها ﴿فَأُولَئِكَ﴾ ليس فقط أن يتوب الله عليهم، بل و ﴿يَبْدُلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ زيادة لهم من فضله ﴿وَوَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ عن سيئات ﴿رَحِيمًا﴾ يرحم أصحابا لها تبديلا لها بحسنات، مهما اختلفت درجات الغفران و الرحمة.

٧١- و كضابطة عامة ﴿وَمَنْ تَابَ﴾ إلى الله ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ لإيمانه بالله و توبته إلى الله ﴿فَإِنَّهُ﴾ هو الذى ﴿يَتُوبُ﴾ إلى الله متابا مقبولا، دون التائب بلا عمل صالح، أو المستغفر بلسانه غير تائب بجنانه و أركانه، فلا تعنى "استغفروا ربكم ثم توبوا إليه" ألقاظا فارغة، بل هما العمل قلبا و قالبا لإزالة درن العصيان.

٧٢- ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾: الميل عن الحق إلى الباطل أيا كان، اللهم إلا تلقيا لما فيه حد ﴿وَلَا إِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ﴾ و هو دون الزور ﴿مَرُّوا كِرَامًا﴾ مكرمين أنفسهم عنه، و مكرمين شرعة الله نهيا عنه، اللهم إلا لغو يلغيك عن الحق فيلقيك فى الباطل فجهاد كما تناسب الموقف.

٧٣- ﴿وَالَّذِينَ إِذَا دُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ آفاقيا و أنفسيا ﴿لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا﴾ خرورا ضدها ﴿صُمًّا﴾ جمع الأصم ﴿وَعُمِيَانًا﴾ جمع الأعمى، و كأنهم لا يسمعونها و لا يبصرونها فـ "إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا" (٢٥: ٤٤).

٧٤- ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا﴾ بعضا ﴿مِنْ أَزْوَاجِنَا وَ ذُرِّيَّتِنَا﴾ نسبيا أو سببيا أو تربويا ﴿فَرَّةَ أَعْيُنٍ﴾ المؤمنين ﴿وَجَعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ﴾ غير المعصومين ﴿إِمَامًا﴾ تطلبا لأعلى درجات الإيمان كما تعنيه و ساقبوا إلى مغفرة من ربكم تقدما فى سباقهم مع رفاقهم.

٧٥- ﴿أُولَئِكَ الْأَكْرَامُ﴾ ﴿يَجْزُونَ الْعُرْفَةَ﴾: العلية من نعم الجنة نفسيا و بدنيا ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ على كافة العراقيل و الأتعاب في سلوكهم إلى الله ﴿وَلَقَدْ وَفَّيْنَا فِيهَا تَحِيَّةً وَ سَلَامًا﴾ من الله و من أهل الله.

٧٦ / ٢٥

٧٦- حالكونهم ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾: الغرفة، دون خروج عنها "عطاءً غير مجذوذٍ" ﴿حَسُنْتَ﴾ غرقتهم ﴿مُسْتَقْرًا﴾ قرارا بزمانه و مكانه ﴿وَمُقَامًا﴾ هكذا الأمر.

٧٧ / ٢٥

٧٧- ﴿قُلْ﴾ لعبادى ﴿مَا﴾ استفهامية و نافية ﴿يَعْبُوْا﴾ اعتناء فيما يعتنى به ﴿بِكُمْ رَبِّي لَوْ لَا دُعَاؤُكُمْ﴾ عبوديا أن توحده فتعبده، أو دعائيا، لو لا تطلبكم من ربى "و إذا سألَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَ لِيُؤْمِنُوا بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ" (٢: ١٨٦) ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ﴾ الله، فى توحيده، أو فى وعده لاستجابتكم عجزا أو جهلا أو نسيانا أو خيانة ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ﴾ ذلك التكذيب ﴿لِزَامًا﴾ يلازمكم، فلا يفارقكم أبدا" و كُلِّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَ نُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا. اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا" (١٧: ١٤).

سورة الشعراء

١ / ٢٦

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾. طسم ﴿يخاطب بها الرسول (ص) لمكان "لَعَلَّكَ" .. و هي من الحروف الرمزية، و لعلها تعنى فيما تعنيه: الطوبى و السدرة المنتهى.

٢ / ٢٦

٢- ﴿تِلْكَ﴾ التى نزلت إليك و تنزل هى ﴿آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ كافة الحقائق المعنية بها، فهو من إضافة الشىء إلى نفسه، تفصيلاً "آيَاتُ" و إجمالاً جميعاً "الْكِتَابِ الْمُبِينِ" و إِنَّهُ فِي أَمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلَى حَكِيمٌ (٤: ٤٣) لا تناله الأفهام، و لكنه هنا آيات و مبين لمن يستبين.

٢٦ / ٢٦

٣- ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ﴾ أن تقتلها غما ﴿أَلَّا يَكُونُوا﴾ هؤلاء الكفار ﴿مُؤْمِنِينَ﴾: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ (٦: ١٨) و لكن لا تبخع فإنهم ينكرون الكتاب المبين، عنادا باختيار.

٤ / ٢٦

٤- ﴿إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةٌ﴾ باهرة تدل على صدق الكتاب المبين ﴿فُظِّلَتْ أَعْنَاقُهُمْ﴾ وجهاءهم، أو ذواتهم ﴿لَهَا خَاضِعِينَ﴾ و لكننا لا نشاء قضية آية القرآن الخالدة الكافية، و أن آية السماء مؤقتة تخص الحاضرين زمن الرسول، و أنهم لا يؤمنون و لو أصبح كل شىء آية: "وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَ كَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَ حَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا" (٦: ١١١) و قد تأتى آيات سماوية عند ظهور المهدي عليه السلام كنافلة لآية القرآن، تثبتنا لحجة المهدي عليه السلام.

٥ / ٢٦

٥- ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ﴾ غير ما أتاهم من قبل ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهُ﴾ كل ذكر ﴿مُعْرِضِينَ﴾ بل و حتى الذكر الأول على الرسول الأول، و "مِنَ الرَّحْمَنِ" هنا لأن أصل الذكر رحمة ربانية مهما كان للمصدقين إياه رحيمية: "مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَ هُمْ يَلْعَبُونَ" (٢: ٢١).

٦ / ٢٦

٦- ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا﴾ بذكر القرآن و هو أعلاه و أنبله ﴿فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ﴾ أخبار هامة هى ملكوت تكذيبهم ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ و "هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ".

٧ / ٢٦

٧- ألم يروا إلى ما خلق الله من شىء ﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا﴾ إحياء عن الموت ﴿مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ فهل لا نقدر أن ننبت مرة أخرى هى أهون عليه و أخرى جزاء حساباً.

٨ / ٢٦

٨- ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ الإنبات ﴿لَآيَةً﴾ على قدرته الطليقة إنباء طليقا ﴿وَمَا كَانَ﴾ منذ كانوا ﴿أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ و "ما كان" هنا تضرب إلى أعماق الماضى.

٩ / ٢٦

٩- ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ الغالب على أمره ﴿الرَّحِيمُ﴾ على عزته.

١٠ / ٢٦

١٠- ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ﴾ إلى تسعة و خمسين آية حول المعارضات الفرعونية ضد موسى (ع) ﴿أَنْ أَتِيَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ أنفسهم و عباد الله، و قد ظلموا الحق.

١١ / ٢٦

١١- ﴿قَوْمَ فِرْعَوْنَ لَا يَتَّقُونَ﴾ الله، و هذا الإتيان الرسالي مما يدل على عمومية الدعوة الموسوية.

١٢ / ٢٦

١٢- ﴿قَالَ رَبِّ﴾ حيث ربيتني لرسالتك ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ إياي، فما ذا يفيد إتياني إليهم.

١٣ / ٢٦

١٣- ﴿وَيُضِيقُ صَدْرِي﴾ عن تكذيبهم ﴿وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي﴾ في إتيانهم ﴿فَارْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ﴾ " أَخِي. اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي. وَ أَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي".

١٤ / ٢٦

١٤- ثم ﴿وَلَهُمْ عَلَىٰ ذَنْبٍ﴾ أن قتلت منهم نفسا يعاقبونى به ﴿فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ و ذلك قتل للدعوة: " أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ " و للداعية: " فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ".

١٥ / ٢٦

١٥- ﴿قَالَ كَلَّا﴾ لا خوف تكذيب و لا خوف قتل ﴿فَادْهَبَا بِآيَاتِنَا﴾ الدالة على رسالتكما ﴿إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾ ما يقال لكم.

١٦ / ٢٦

١٦- ﴿فَاتَّبِعَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا﴾ الإيتين ﴿رُسُلٌ﴾ لوحدة الرسالة من ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

١٧ / ٢٦

١٧- ﴿أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ " و لَا تُعَذِّبُهُمْ " و هذا من الجهات السلبية الرسالية.

١٨ / ٢٦

١٨- ﴿قَالَ أَلَمْ نَرْبِكْ فِينَا وَلِيدًا﴾ لا تستطع أن تعيش وحدك ﴿وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ تحت تربيتنا.

١٩ / ٢٦

١٩- ﴿وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ﴾ قتلا لواحد منا ﴿وَالْحَالِ﴾ أنت من الكافرين ﴿شَرَعْتِي وَ نِعْمَتِي﴾.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٣٦٨

٢٠ / ٢٦

٢٠- ﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا﴾ لمكان المقاتلة القبطية الإسرائيلية ﴿وَالْحَالِ﴾ أنا من الضالين كيف أذاف، و الضالين طريقى حيث دخلت المدينة، و الضالين عن الرسالة التى أتتني الحال، فلم أكن " مِنْ الْكَافِرِينَ " بل الإيمان دفعنى إلى ذلك القفز القاتل.

٢١ / ٢٦

٢١- ﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾ أن تلاحقونى لهذين الأمرين الأمرين، فرارا إلى الله، و قرارا مع الله ﴿فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا﴾ رساليا ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ و ما كنت رسولا حين قتلت منكم نفسا مهما كان واجبي إيمانيا، دفاعا عن موحد، يقاتله مشرك، و لكن القفزة القاتلة أخرتنى عن رسالتى.

٢٢ / ٢٦

٢٢- ﴿وَ تِلْكَ﴾ التربية الظاهرة بغية المنفعة: "عسى أن ينفعنا" و أنت خائض في دماء بنى إسرائيل أ هي ﴿نِعْمَةٌ﴾ منك ﴿تَمْنُهَا عَلَى أَنْ عَبَّدَتْ بَنَى إِسْرَائِيلَ﴾ فلو كانت هي نعمة فإزالة هذه النعمة أنعم لى من رعاية تلك النعمة، فليست النعمة الظاهرة لتمنع عن النعمة الروحية.

٢٣ / ٢٦

٢٣- فلما أصبح فرعون محجوجا بحجة موسى أخذ فى لجاج الحجاج ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا﴾: أى شىء، لا أى شخص هو ﴿رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ على حد تعبيرك.

٢٤ / ٢٦

٢٤- ﴿قَالَ﴾ رب العالمين هو ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أى الخلق كله و منه أنت يا فرعون ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ بربوبية وحيدة غير وهيدة للعالمين، فإنها ليست لفرعون و .. الآلهة المربوبين.

٢٥ / ٢٦

٢٥- ﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ﴾ من حواشيه فى الإشراف أو الإلحاد ﴿أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾ إلى هذه القولة الساخرة من آلهتكم من عبد من عبيدى و قدر بيته و "أنا ربكم الأعلى".

٢٦ / ٢٦

٢٦- فاستمر موسى فى حجاجه دون مجابهة لقوله السخرية المهددة ﴿قَالَ رَبُّكُمْ﴾ أنتم و فيكم فرعون المدعى للربوبية العليا ﴿وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ﴾ الذين تقلدونهم فى إشراكهم.

٢٧ / ٢٦

٢٧- ﴿قَالَ إِنْ رَسُولُكُمْ﴾ من رب العالمين ﴿الَّذِى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ﴾ " أن أرسل معنا بنى إسرائيل و أن يهديكم سواء السبيل، إنه ﴿لَمَجْنُونٌ﴾ لأقواله الجنونية هذه، و تهمة الجنون مما يقضى على الداعية عند المجاهيل المتهوسين، حيث الدعوة الصالحة هى بحاجة إلى عقلية صالحة، و هى التى توافق العقول العادية.

٢٨ / ٢٦

٢٨- هنا أيضا يستمر موسى فى حجاجه دون دفاع عن جنته المفترات ﴿قَالَ﴾ رب العالمين هو ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ من شمال و جنوب و سائر ما فى هذا البين ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ الحقائق الباهرة.

٢٩ / ٢٦

٢٩- و هنا عند عجزه أمام موسى فى حجاجه ينتقل إلى تهديده ﴿قَالَ لَئِنْ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ سجننا لدعواك بسجن جسمك و مأواك.

٣٠ / ٢٦

٣٠- ﴿قَالَ أَوْ لَوْ﴾ مستحيلا عندك ﴿جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾ حق الألوهية، ألا يبين الحق لك بما يبين.

٣١ / ٢٦

٣١- ﴿قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ فى دعواك.

٣٢ / ٢٦

٣٢- ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ﴾ التى كانت بيده ﴿فَإِذَا﴾ فجأة ﴿هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ ثعبانا حقيقيا لا سحريا.

٣٣ / ٢٦

٣٣- ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاطِرِينَ﴾ تشرق كالبدر.

٣٤ / ٢٦

٣٤- ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ﴾ الذين كانوا يملئون العيون من كثرتهم ﴿إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾.

٣٥ / ٢٦

٣٥- ﴿يُرِيدُ أَنْ يَخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ﴾ فيحتل مكانكم و مكانتكم " وَ يَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى " (٢٠: ٦٣) ﴿فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ فى هذه الورطة، استشارة منهم عليهم يشيرون.

٣٦ / ٢٦

٣٦- ﴿قَالُوا أَرْجِهْ﴾ أمهله ﴿وَأَخَاهُ﴾ معه ﴿وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ جامعين، حتى:

٣٧ / ٢٦

٣٧- ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَارٍ﴾ قوى السحر و كثيره ﴿عَلِيمٌ﴾ كما أن موسى " لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ " مكافئة فى المباراة.

٣٨ / ٢٦

٣٨- ﴿فَجُمِعَ السَّحَرَةُ﴾ السحارة العليمة ﴿لِمِيقَاتٍ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾ حسب قرارهما.

٣٩ / ٢٦

٣٩- ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ﴾ الفرعونيين من قائل فرعونى ﴿هَلْ أَنتُمْ مُجْتَمِعُونَ﴾ فى هذه المباراة.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٣٦٩

٤٠ / ٢٦

٤٠- ﴿لَعَلَّنَا تَتَّبِعُ﴾ هؤلاء ﴿السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ﴾ أن يأتوا لأقل تقدير بما أتى به موسى، و " هُمْ " هنا ترجح - فى زعمهم - جانب السحرة، و ليست " إِنْ " إلا حيلة تنازل عن العلم بالغلبة.

٤١ / ٢٦

٤١- ﴿فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ﴾ بميقاتهم بجمعهم مع موسى و هارون وحدهما ﴿قَالُوا﴾ على رعونتهم الخواء ﴿لِفِرْعَوْنَ أِنْ لَنَا لَأَجْرًا﴾ مؤكدا زائدا ﴿إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾ و " نَحْنُ " هنا كما " هُمْ " هناك ترجح جانبهم.

٤٢ / ٢٦

٤٢- ﴿قَالَ نَعَمْ﴾ كما تريدون ﴿وَوَ﴾ زيادة ﴿إِنكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ إلى كسائر المقربين، أجرا على أجر.

٤٣ / ٢٦

٤٣- ﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنتُمْ مُلْقُونَ﴾ عن بكرته، بعد تعارف ظاهر فى هذه المباراة: " قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى. قَالَ بَلْ أَلْقُوا .. " (٢٠: ٦٥) و هذه سنة سنية لحق الحجاج.

٤٤ / ٢٦

٤٤- ﴿فَالْقُوا جِبَالَهُمْ وَ عَصِيَهُمْ﴾ بغية أن يلغوا ما يليقيه موسى ﴿وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ﴾ لا موسى ﴿الْغَالِبُونَ﴾ فى هذه المباراة، لجهلهم بما يليقيه موسى و لما يروا آيته الكبرى، فيلغى بها ما يلغون.

٤٥ / ٢٦

٤٥- ﴿فَالْتَقَى مُوسَى عَصَاهُ﴾ بعد ما ألقوه ﴿فَإِذَا هِيَ﴾ فجأة ﴿تَلْقَفُ﴾ ثعبانا عظيما يأكل بصورة خاطفة ﴿مَا يَأْفِكُونَ﴾ و يكذبون بسحرمهم، و السحر لا يأكل السحر استئصالا مهما كان أعظم مما يقابله منه.

٤٦ / ٢٦

٤٦- ﴿فَأَلْقَى﴾ بعد ما ألغى السحر ﴿السَّحْرَةَ﴾ كلهم ﴿سَاجِدِينَ﴾ لرب العالمين، و كأنه دون إختيار و هو مختار.

٤٧ / ٢٦

٤٧- ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الذى خلقهم و رباهم أجمعين، إيماننا صارحا صارما كيفما بلغ الأمر.

٤٨ / ٢٦

٤٨- ﴿رَبِّ مُوسَى وَ هَارُونَ﴾ دون أرباب متشاكسين كفرعون " الرب الأعلى " كما يدعيه، أم سواه.

٤٩ / ٢٦

٤٩- ﴿قَالَ﴾ فرعون بدافع فرعنة مستبدة حتى فى الإيمان: ﴿أَمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ﴾ و لن أؤذن لكم ﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِى عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾ و لذلك يلقف سحره سحرهم ﴿فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ ما ذا ترون ﴿لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَ أَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ﴾ جزء السرقة المسلحة إذ سرقتم ربوبيتى الأعلى بسلاح السحر ﴿وَ لَأَصْلَبَنَكُمْ﴾ " فى جُذُوعِ النَّخْلِ " (٢٠: ٧١) ﴿أَجْمَعِينَ﴾ " وَ لَتَعْلَمُنَّ أَنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَ أَبْقَى " (٢٠: ٧١).

٥٠ / ٢٦

٥٠- ﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ﴾ علينا، ف " لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَ الَّذِى فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ " (٢٠: ٧٢) ﴿إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾ عن ربوبية ما سواه.

٥١ / ٢٦

٥١- ﴿إِنَّا نَطْمَعُ﴾ إذا ﴿أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا﴾ ب ﴿أَنْ كُنَّا﴾ فى هذه المعركة الصاخبة ﴿أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ رغم أننا أول الساحرين: ﴿إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَ مَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَ اللَّهُ خَيْرٌ وَ أَبْقَى " (٢٠: ٢٧).

٥٢ / ٢٦

٥٢- ﴿وَ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ﴾ سيرا ليليا ﴿بِعِبَادِي﴾ بنى إسرائيل، و السحرة المؤمنين إن لم يصلبوا ﴿إِنَّكُمْ مَتَّبِعُونَ﴾ و " فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَ لَا تَخْشَى " (٢٠: ٧٧).

٥٣ / ٢٦

٥٣- ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى الْمَدَائِنِ﴾ المصرية و ما تحت إمرته ككل ﴿حَاشِرِينَ﴾ جامعين، قوات متجسدة متحسنة عن هؤلاء المؤمنين.

٥٤ / ٢٦

٥٤- قائلين لمن يحشرون ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ﴾ جماعة مطرودة ملاحقة ﴿قَلِيلُونَ﴾.

٥٥ / ٢٦

٥٥- ﴿وَ إِنَّهُمْ لَنَا﴾ فرعون و أتباعه ﴿لَغَائِطُونَ﴾ غيظا.

٥٦ / ٢٦

٥٦- ﴿وَ إِنَّا لَجَمِيعٌ﴾ مجموع متلفة القوات ﴿حَازِرُونَ﴾ نحذر عما يصطد منا روحيا و زمنيا.

٥٧ / ٢٦

٥٧- ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ﴾ تجن بعضها بعضا ﴿وَ عَيْونٍ﴾ تجرى من تحتها.

٥٨ / ٢٦

٥٨- ﴿وَوَ﴾ من ﴿كُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ واسع، فهم- إذا- مخرجون مما يعيشهم، و ملاحقون حتى يقتلوا.

٥٩ / ٢٦

٥٩- ﴿كَذَلِكَ﴾ زعمهم لكننا ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أن أغرقناهم أجمعين.

٦٠ / ٢٦

٦٠- ﴿فَاتَّبَعُوهُمْ﴾ ملاحقة عليهم ﴿مُشْرِقِينَ﴾ عند شروق الشمس.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٣٧٠

٦١ / ٢٦

٦١- ﴿فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانِ﴾ جمع فرعون المتبع و موسى المتبع ﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى﴾ قبل دخول البحر ﴿إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾

فلقد بلغ الكرب مداه.

٦٢ / ٢٦

٦٢- ﴿قَالَ﴾ موسى ﴿كَلَّا﴾ ليس كما تزعمون لمكان الترائى ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّى﴾ كما وعدنى ﴿سَيَهْدِينِ﴾ سبيل النجاة: "وَ اصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي" وَلِتَصْنَعَ عَلَى عَيْنِي" (٣٩: ٢٠).

٦٣ / ٢٦

٦٣- ﴿فَأَوْحَيْنَا﴾ حينئذ ﴿إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ﴾ التى انقلبت ثعبانا مبينا ﴿الْبَحْرَ﴾ فضربه بها ﴿فَانْفَلَقَ﴾ البحر ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ﴾ فى انفلاقه ﴿كَالطُّودِ﴾ الجبل الراسخ ﴿الْعَظِيمِ﴾ فأصبح البحر خندقا بطرفيه كجبلين شاهقين ما حقين خضم البحر الملتطم.

٦٤ / ٢٦

٦٤- ﴿وَأَرْلَفْنَا﴾ تقريبا إلى البحر ﴿ثُمَّ﴾ هناك ﴿الْآخِرِينَ﴾ فرعون و جنوده.

٦٥ / ٢٦

٦٥- ﴿وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ﴾ من بأس فرعون و من الغرق بذلك الفلق.

٦٦ / ٢٦

٦٦- ﴿ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْآخِرِينَ﴾ المزلفين، كأن البحر لهم ييس كما لموسى و أصحابه.

٦٧ / ٢٦

٦٧- ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ الذى حصل ﴿لآيَةً﴾ باهرة للحق ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ﴾ و هم فرعون و من معه إلا السحرة، و قسم من بنى إسرائيل ﴿مُؤْمِنِينَ﴾ رغم هذه الآية الباهرة.

٦٨ / ٢٦

٦٨- ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ القادر الغالب على كل شىء: أشد المعاقبين فى موضع العقاب و النقمة ﴿الرَّحِيمُ﴾ على عزته: أرحم الراحمين فى موضع العفو و الرحمة.

٦٩ / ٢٦

٦٩- ﴿وَآتِلْ عَلَيْهِمْ﴾ على قبلى الإيمان و الشرك ﴿نَبَأً﴾ خبرا ذا فائدة عظيمة من ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾.

٧٠ / ٢٦

٧٠- ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ﴾ فى تربية و لم يكن والده ﴿وَقَوْمِهِ مَا﴾ ذا ﴿تَعْبُدُونَ﴾ حتى يرتكن فى حجاجه على جوابهم.

٧١ / ٢٦

٧١- ﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا﴾ من مختلف المواد ننحتها بأيدينا ﴿فَنَظَّلُ﴾ مستمرين أوقات العبادة ﴿لَهَا﴾ لا لسواها ﴿عَاكِفِينَ﴾ ثابتين.

٧٢ / ٢٦

٧٢- ﴿قَالَ﴾ فى جوابهم ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ﴾ فإن السمع قبولاً أو رداً هو من لزامات المعبود.

٧٣ / ٢٦

٧٣- ﴿أَوْ﴾ و إذا لا تدعونهم، هل ﴿يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾ علماً بأحوالكم دون دعاء، نفعا حيث تعبدونهم، أو ضراً إذ تتركون عبادتهم، أو حسب المصالح المعلومة لديهم.

٧٤ / ٢٦

٧٤- ﴿قَالُوا﴾ لا هذا و لا ذاك ﴿بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا﴾ المشركين القدامى ﴿كَذَلِكَ﴾ العظيم ﴿يَفْعَلُونَ﴾ دون تطلب سمع أو نفع أو ضرر.

٧٥ / ٢٦

٧٥- ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ﴾ رؤية البصيرة ﴿مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ إياهم.

٧٦ / ٢٦

٧٦- ﴿أَنْتُمْ وَ آبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ﴾ مقلداً أو مقلداً على العمياء.

٧٧ / ٢٦

٧٧- ﴿فَإِنَّهُمْ﴾ أصناماً و طواغيت و عابدين إياهم ﴿عَدُوٌّ لِي﴾ حيث يعبدون دونه ﴿إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ حيث ربانا و رباهم أجمعين، و اتصال الاستثناء هنا مشير إلى أن بعض آبائهم الأقدمين كانوا موحدين، و انفصاله تأكيد على عمومية العداوة لكل ما يعبد من دون الله.

٧٨ / ٢٦

٧٨- ﴿الَّذِي خَلَقَنِي﴾ دون من هو مخلوق مثلى ﴿فَهُوَ﴾ إذا ﴿يَهْدِينِ﴾ حيث الهداية من لوازم الخلقة الحكيمة.

٧٩ / ٢٦

٧٩- ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي﴾ أى طعام ﴿وَيَسْقِينِي﴾ أى شراب، إذ هما من خلقه، و رزقهما إياي من لطفه.

٨٠ / ٢٦

٨٠- ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ﴾ كيفما كان ﴿فَهُوَ﴾ لا سواه ﴿يَشْفِينِي﴾ حيث الدواء من خلقه، و المداوى من خلقه، و التأثير - إذا - من مشيئته.

٨١ / ٢٦

٨١- ﴿وَالَّذِي يَمِيتُنِي﴾ " ما كانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا " (٣: ١٤٥) ﴿ثُمَّ يَحْيِيَنِي﴾ حساباً فجزاء بما قدمت.

٨٢ / ٢٦

٨٢- ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ﴾ كما أطمعنى حيث وعدنى ﴿أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي﴾ إن كانت ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾: الطاعة، بظهور فى ملكوتها، فهى بنفسها جزائى " و ما تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ " (٣٧: ٣٩).

٨٣ / ٢٦

٨٣- ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا﴾ رسوليا لأحكم بالوحى فى يوم الدنيا ﴿وَالْحَقِّنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ يوم الدنيا و يوم الدين، و هم أفضل الصالحين من نوح و موسى و عيسى و خاتم النبيين عليهم السلام أجمعين.
البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٣٧١

٨٤ / ٢٦

٨٤- ﴿وَأَجْعَلْ لِي﴾ لصالح الرسالة القمة ﴿لِسَانَ صِدْقٍ﴾ يصدق فى رسالته و يصدقنى ﴿فِي الْآخِرِينَ﴾ من حملة رسالتك: محمد و عترته المعصومين: "رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ .." (١٢٩: ٢) و هذا دعاء خاص لهم مهما قالَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِي الشاملة لأئمة الموحدين بعده كموسى و المسيح عليهما السلام، و لكنه هنا يريد اللسان الأخير الصادق الذى ينطق بالتوحيد الحق.

٨٥ / ٢٦

٨٥- ﴿وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ إرثا عمن لا يصلح لها، أن تجعلنى تقيا تحقق له: "تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ بِهَا عِبَادَنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا" (٦٣: ١٩) بديلا عمن كان طغيا: "نُودُوا أَنْ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ" (٤٣: ٧).

٨٦ / ٢٦

٨٦- ﴿وَ اغْفِرْ لِأَبِي﴾ إذ ظهر لى أنه فى طريق الحق من "وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا" لكن "فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ" (١١٤: ٩) و "رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ" (٤١: ١٤) استغفار لوالده دون أبيه و هو أعم منه ﴿إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾ سابقا، و قبل أن يطمئننى بـ "وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا" و لكنه تبين بعد موته مشركا.

٨٧ / ٢٦

٨٧- ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ ألا تنصرنى هنا و هناك فلو لا رحمتك لكنت من الكافرين، و "إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَ السُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ" (١٦: ٢٧).

٨٨ / ٢٦

٨٨- ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ﴾ ما هو منفصل عنا من ﴿مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ إلا ما هما فى سبيل تحقيق قلب سليم.

٨٩ / ٢٦

٨٩- ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ بمال و بنين و دونهما، فالأصل هناك هو القلب السليم.

٩٠ / ٢٦

٩٠- ﴿وَأُزْلِفَتْ﴾ قربت فى نفسها و إلى ﴿الْجَنَّةِ لِلْمُتَّقِينَ﴾ حيث اتقوا النار قبلها.

٩١ / ٢٦

٩١- ﴿وَبُرَزَتِ الْجَحِيمُ﴾ نار شديدة التأجج ﴿لِلْغَاوِينَ﴾ الذين أغواهم الشيطان بما غووا.

٩٢ / ٢٦

٩٢- ﴿وَقِيلَ لَهُمْ﴾ الغاوين ﴿أَيْنَ﴾ هنا ﴿مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ إياه من دون الله.

٩٣ / ٢٦

٩٣- ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ﴾ عند ذلك الضر ﴿أَوْ يَنْتَصِرُونَ﴾ لكم و لأنفسكم "وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ" (٤٣: ٣٩) كما أشركتم فى الضلالة، و لكل قدرها.

٩٤ / ٢٦

٩٤- ﴿فَكَبِّبُوا﴾ انكببا على وجوههم ﴿فِيهَا﴾ الجحيم ﴿هُمْ﴾ المعبودون ﴿وَالْغَاوُونَ﴾ العابدون إياهم.

٩٥ / ٢٦

٩٥- ﴿وَوَ﴾ كذلك ﴿جُنُودٌ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾ دون استثناء.

٩٦ / ٢٦

٩٦- ﴿قَالُوا الْعَابِدُونَ﴾ ﴿وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾ لما ذا أظلمتمونا فضلنا.

٩٧ / ٢٦

٩٧- ﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا﴾ غارقين ﴿لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ يبين نفسه لمن يستبين.

٩٨ / ٢٦

٩٨- ﴿إِذْ نُسَوِّكُمْ﴾ فى العبادة و ما أشبه ﴿بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ مما يدل على حرمة التسوية بين العابد و المعبود ظاهرا و باطنا، فلا يجوز السجود و لا الركوع لغير الله مهما كان احتراماً فضلاً عن عبودية.

٩٩ / ٢٦

٩٩- ﴿وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ﴾ القاطعون ثمرات الحياة قبل إيناعها، و هم أصلاء فى الإجماع.

١٠٠ / ٢٦

١٠٠- ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾ كنا نزعهم شافعين "هؤلاء شفعأونا عند الله".

١٠١ / ٢٦

١٠١- ﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ فـ "الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ" (٤٣: ٦٧).

١٠٢ / ٢٦

١٠٢- ﴿فَلَوْ﴾ تحسراً لا يفيد ﴿أَنْ لَنَا كَرَّةٌ﴾ إلى حياة التكليف ﴿فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

١٠٣ / ٢٦

١٠٣- ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ لقبيلى الإيمان و الكفر ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ إلا قليل أسلموا و لَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ" أو دخل و لَمَّا يكمل، أو كمل و إلى ما شاء الله.

١٠٤ / ٢٦

١٠٤- ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ﴾ الذى ربك بقمة التربية ﴿لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ على عزته، رغم أن العزة تأخذ بالإثم بطبيعة الحال، اللهم إلا بعصمة ربانية، فضلاً عن الرب نفسه.

١٠٥ / ٢٦

١٠٥- ﴿كَذَبَتْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ و هم المكلفون أجمع ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾ فإن تكذيبه تكذيب الرسل كلهم.

١٠٦ / ٢٦

١٠٦- ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ﴾ إنسانيا و هو بجوارهم ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾.

١٠٧ / ٢٦

١٠٧- ﴿إِنِّى لَكُمْ رَسُولُ أَمِينٍ﴾ من الله.

١٠٨ / ٢٦

١٠٨- ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا﴾

١٠٩ / ٢٦

١٠٩- ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٣٧٢

١١٠ / ٢٦

١١٠- ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ فى سبيل تقوى الله.

١١١ / ٢٦

١١١- ﴿قَالُوا أَوْ نُؤْمِنُ لَكَ﴾ بالله ﴿وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ الضعفاء الفقراء.

١١٢ / ٢٦

١١٢- ﴿قَالَ﴾ نوح فى جوابهم ﴿وَمَا عَلَّمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ قبل إيمانهم، و لكنهم الآن مؤمنون و هو الأصل فى صالح إتباع الرسول، و حتى إن كان عملهم رذيلًا دون فضيل بعد إيمانهم، ف:

١١٣ / ٢٦

١١٣- ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ﴾ فى أعمالهم ﴿إِلَّا عَلَى رَبِّي﴾ الذى ربانى و هو يحاسبنى ﴿لَوْ تَشْعُرُونَ﴾ دقة فى موازين الفضيلة و الرذيلة، فليس على حسابهم، إلا حساب دعوتهم إلى ربى.

١١٤ / ٢٦

١١٤- ﴿وَمَا أَنَا﴾ كرسول ﴿بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بتهمة الرذالة و بغية إيمانكم أنتم المتهمون: "وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا" (١١: ٣١) و كسنة دائبة رسالية: "وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ" (٦: ٥٢).

١١٥ / ٢٦

١١٥- ﴿إِنْ أَنَا﴾ الرسول ﴿إِلَّا نَذِيرٌ﴾ "بَيْنَ يَدَيِ عَذَابٍ شَدِيدٍ" ﴿مُبِينٌ﴾ إنذارى بكل مراحل و بنوده، فلست محاسبًا و لا مجازيًا، وإنما أقبل لحظيرة الإيمان، من يقبل إلى الإيمان، كائنا من كان.

١١٦ / ٢٦

١١٦- ﴿قَالُوا﴾ عند ما شلت حجاجهم فى لجاج ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ﴾ عن دعوتك ﴿يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ كأشد المعاقبين.

١١٧ / ٢٦

١١٧- ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونُ﴾

١١٨ / ٢٦

١١٨- ﴿فَأَفْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا﴾ بعد غلق الطريق بيننا ﴿وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ عن هذه الورطة المهلكة فإنهم فى تعذيب بعد تكذيب.

١١٩ / ٢٦

١١٩- ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ﴾ من المؤمنين ﴿فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ﴾ المملو من أهل النجاة.

١٢٠ / ٢٦

١٢٠- ﴿ثُمَّ﴾ بعد إنجاءهم "وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ" (١١: ٤٢) ﴿أَعْرِفْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ﴾ الباغين فى الطوفان نفسه.

١٢١ / ٢٦

١٢١- ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَإِنْجَاءً وَغُرُقًا﴾ ﴿لَا يَأْتِيهِمْ لِقَابُ إِيمَانِهِمْ وَكَفَرِهِمْ﴾ كما في أنقاض من هذه السفينة عليها أسماء الخمسة الطاهرة شرحنا في آية الحاقة ﴿وَمَا كَانَ أَبَدًا﴾ ﴿أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ مهما كان أقلهم مؤمنين: "وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ" (١١: ٤٠).

١٢٢ / ٢٦

١٢٢- ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ ﴿الْغَالِبُ﴾ ﴿الرَّحِيمُ﴾ على عزته الغالبة، إذ يرحم من يؤمن به رغم كفره من ذي قبل.

١٢٣ / ٢٦

١٢٣- ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ﴾ ﴿قَوْمُ هُودٍ﴾ ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿كَلِمَةً﴾ بتكذيبهم هود الرسول فهو تكذيب للمرسلين كلهم.

١٢٤ / ٢٦

١٢٤- و ذلك التكذيب كان ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ﴾ ﴿الْمَوَاطِنُ﴾ ﴿هُودُ أَلَّا تَتَّقُونَ﴾ ﴿اللَّهُ﴾ كمقالة سائر الرسل.

١٢٥ / ٢٦

١٢٥- ﴿إِنِّي لَكُمْ﴾ ﴿لِصَالِحِكُمْ﴾ ﴿رَسُولٌ﴾ ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ ﴿أَمِينٌ﴾ كما تظهر أمانتي في و في دعوتي.

١٢٦ / ٢٦

١٢٦- ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ ﴿لَا سِوَاهُ﴾ ﴿وَاطِيعُونَ﴾ ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ لا سواى.

١٢٧ / ٢٦

١٢٧- ﴿وَ﴾ ﴿إِضَافَةً إِلَى أَمَانَةِ الرِّسَالَةِ﴾ ﴿مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ ﴿الْقِيَامَ الرِّسَالَى﴾ ﴿لَكُمْ﴾ ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ ﴿مِنْكُمْ﴾ ﴿رَغْمَ أَعْيَابِهِ﴾ ﴿إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ و عنده الأجر كله، و لأنه الذى أرسلنى لا سواه.

١٢٨ / ٢٦

١٢٨- ﴿أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ﴾ ﴿مَرْتَفَعٍ رَائِعٍ﴾ ﴿مِنَ الْأَتَالِ وَ الْغَابَاتِ﴾ ﴿آيَةً﴾ ﴿عَلَى رِغَوَاتِكُمْ وَ مَكْنَتِكُمْ﴾ ﴿تَعْبَثُونَ﴾ ﴿بِهِ﴾ ﴿إِسْرَافًا﴾ ﴿فِي زُخْرَفَاتِ الْبَنِيَانِ﴾.

١٢٩ / ٢٦

١٢٩- ﴿وَ تَتَّخِذُونَ﴾ ﴿لِأَنفُسِكُمْ﴾ ﴿مَصَانِعَ﴾ ﴿جَمْعُ مَصْنَعٍ﴾ ﴿الْمَكَانَاتِ الْحَصِينَةِ﴾ ﴿لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ ﴿فِي الْحَيَاةِ لِأَكْثَرِ مَا أَجَلَ لَكُمْ﴾، تاركين مصانع إنسانية تحفظكم عن زلات و ضلالات.

١٣٠ / ٢٦

١٣٠- ﴿وَ إِذَا بَطَشْتُمْ﴾ ﴿حَمَلَةً عَنِيفَةً عَلَى بَرِيئِينَ﴾ ﴿بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ ﴿هَجْمَةً ظَالِمَةً مَدْمَرَةً﴾.

١٣١ / ٢٦

١٣١- ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ ﴿لَا سِوَاهُ﴾ ﴿وَاطِيعُونَ﴾ ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ لا سواى.

١٣٢ / ٢٦

١٣٢- ﴿وَ اتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ﴾ ﴿إِمْدَادًا﴾ ﴿فِي مَدِّ الْحَيَاةِ﴾ ﴿بِمَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿مِنْ إِمْدَادَاتِ﴾.

١٣٣ / ٢٦

١٣٣- ﴿أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَ بَنِينَ﴾ ﴿إِذْ لَا مَمَدَّ سِوَاهُ﴾.

١٣٤ / ٢٦

١٣٤- ﴿وَ جَنَّاتٍ﴾ ﴿مُلْتَفَةِ الْأَشْجَارِ﴾ ﴿وَ عُيُونٍ﴾ ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾.

١٣٥ / ٢٦

١٣٥- ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ إِذَا خَالَفْتُمُونِي ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ " يوم يقول الناس لرب العالمين".

١٣٦ / ٢٦

١٣٦- ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا﴾ دُونَ تَغْيِيرِ ﴿أَوْ عَظُمْتَ﴾ نَا ﴿أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾ إِيَّانَا.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٣٧٣

١٣٧ / ٢٦

١٣٧- ﴿إِنَّ هَذَا﴾ التَّكْذِيبِ ﴿إِلَّا خُلِقَ الْأَوَّلِينَ﴾ قَبْلَ هَذِهِ الرِّسَالَةِ، فَنَحْنُ عَلَى أَثَرِهِمْ مُهْتَدُونَ، وَ كَذَلِكَ " خُلِقَ الْأَوَّلِينَ" الْمُرْسَلِينَ فِي دَعْوَاتِهِمُ الرِّسَالِيَّةِ، خَلَقِينَ مُتَخَالِفِينَ.

١٣٨ / ٢٦

١٣٨- ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾ خِلَافَ مَا تَعَدْنَا إِيَّاهُ، إِذْ لَا حِسَابَ وَ لَا جَزَاءَ.

١٣٩ / ٢٦

١٣٩- ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ﴾ هُنَا ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ تَكْذِيبًا فَعَذَابًا ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ اللَّهُمَّ إِلَّا أَقْلَهُمْ إِذْ آمَنُوا أَوْ هُمْ فِي طَرِيقِ الْإِيمَانِ.

١٤٠ / ٢٦

١٤٠- ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ﴾ لَا سِوَاهُ ﴿الْعَزِيزُ﴾ بِكُلِّ عِزَّةٍ وَ غَلْبَةٍ ﴿الرَّحِيمُ﴾ بِكُلِّ رَحْمَةٍ عَلَى عِزَّتِهِ.

١٤١ / ٢٦

١٤١- ﴿كَذَبَتْ ثَمُودُ﴾ قَوْمِ صَالِحٍ ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾ كَكُلِّ تَكْذِيبٍ صَالِحٍ، إِذْ حَمَلَ مَا حَمَلَهُ الْمُرْسَلُونَ مِنْ آيَاتِ الرِّسَالَاتِ الْبَيِّنَةِ.

١٤٢ / ٢٦

١٤٢- ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ﴾ مُوَاتِنُهُمْ وَ هُوَ مِنْهُمْ ﴿صَالِحٌ﴾ اسْمًا بِمِسْمَاهُ ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ اللَّهَ لَا سِوَاهُ.

١٤٣ / ٢٦

١٤٣- ﴿إِنِّي لَكُمْ﴾ لِصَالِحِكُمْ ﴿رَسُولٌ﴾ مِنَ اللَّهِ ﴿أَمِينٌ﴾ عَلَى رِسَالَةِ اللَّهِ كَمَا تَدُلُّ عَلَيْهِ آيَاتُ اللَّهِ مَعِيَ.

١٤٤ / ٢٦

١٤٤- ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا﴾ صِيغَةً سَائِغَةً بَاقِيَةً لِكُلِّ الرِّسَالِ، وَ الْجَوَابُ نَفْسُ الْجَوَابِ.

١٤٥ / ٢٦

١٤٥- وَ كَذَلِكَ الْأَمْرُ ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ عَلَى قِيَامِي الرِّسَالَةِ ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ أَبَدًا ﴿إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فَعِنْدَهُ أَجْرٌ مِنْ يَسْتَحِقُّهُ مِنَ الْعَالَمِينَ.

١٤٦ / ٢٦

١٤٦- ﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا﴾ حَيَاةً فَانِيَةً عَانِيَةً غَيْرَ آتِيَةٍ ﴿أَمِينٌ﴾ مِنْ بَأْسِ اللَّهِ، فِيهِ وَ فِي الْآخِرَةِ.

١٤٧ / ٢٦

١٤٧- ﴿فِي جَنَّاتٍ﴾ مُلْتَقَةً الْأَشْجَارِ ﴿وَعُيُونٍ﴾ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ.

١٤٨ / ٢٦

١٤٨- ﴿وَزُرُوعٍ﴾ بِمَخْتَلَفِ أَلْوَانِهَا ﴿وَوَخْلٍ﴾ جَمْعُ النَّخِيلِ ﴿طَلْعُهَا﴾ الَّتِي يُطْلَعُ مِنْهَا ﴿هَضِيمٌ﴾ لَطِيفٌ يَقْبَلُ الْإِنْهَضَامَ.

١٤٩ / ٢٦

١٤٩- ﴿وَتَنْحِتُونَ﴾ تقوياً ﴿مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ قوية بعيدة عن الانصدامات ﴿فَارْهِنَ﴾ فى الحياة.

١٥٠ / ٢٦

١٥٠- ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ حق تقاته ﴿وَأَطِيعُوا﴾ حق طاعته.

١٥١ / ٢٦

١٥١- ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ﴾ فى الحياة الدنيا بكل جنبااتها.

١٥٢ / ٢٦

١٥٢- ﴿الَّذِينَ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ بكل جنبات الحياة ظاهريا و باطنيا ﴿وَلَا يَصْلِحُونَ﴾ أبدا.

١٥٣ / ٢٦

١٥٣- ﴿قَالُوا﴾ دون أية شائبة من برهان ﴿إِنَّمَا﴾ ليس إلا ﴿أَنْتَ مِنَ الْمُسْحَرِينَ﴾ إذ:

١٥٤ / ٢٦

١٥٤- ﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ فى أصل البشرية و لنا عليك فضيلة ﴿فَأْتِ بِآيَةٍ﴾ ربانية تصدقك ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ فى دعاويهم.

١٥٥ / ٢٦

١٥٥- ﴿قَالَ﴾ فالآية ﴿هَذِهِ نَاقَةٌ﴾ " اللَّهُ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَ لَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ " (٧: ٧٣) ﴿لَهَا شَرِبٌ﴾ من ماءكم يوما ﴿وَلَكُمْ شَرِبٌ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾ بعده.

١٥٦ / ٢٦

١٥٦- ﴿وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ﴾ " إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ " (٥٤: ٢٧) ﴿فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ هنا و فى الأخرى.

١٥٧ / ٢٦

١٥٧- ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ أصابوا عقرها بقعرها و العاقر واحد و الباقون دافعون إياه لعقرها و راضون كما فى آية القمر " فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ " (٥٤: ٢٩) ﴿فَاصْبَحُوا﴾ بعد عقرها ﴿نَادِمِينَ﴾ من عقرها:

١٥٨ / ٢٦

١٥٨- ﴿فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ﴾ " فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَاصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ " (٧: ٧٨) ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ﴾ ككل ﴿لَآيَةً﴾ ربانية ﴿وَلَوْ﴾ ما كان أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿إِلَّا أَقْلَهُمْ﴾.

١٥٩ / ٢٦

١٥٩- ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ﴾ الذى ربك ﴿لَهُوَ﴾ لا سواه ﴿الْعَزِيزُ﴾ بكل عزة ﴿الرَّحِيمُ﴾ بكل رحمة على عزته.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٣٧٤

١٦٠ / ٢٦

١٦٠- ﴿كَذَبَتْ قَوْمٌ لُوطًا﴾ الساكنين بسدوم ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾ بتكذيبهم لوطا كرسول منهم، أم و رسلا آخرين كانوا معه أم و سواهم.

١٦١ / ٢٦

١٦١- ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ﴾ مواطننا و هو منهم ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ الله و تطعون.

١٦٢ / ٢٦

١٦٢- ﴿إِنِّي لَكُمْ﴾ لصالحكم ﴿رَسُولٌ﴾ من الله ﴿أَمِينٌ﴾ على رسالة الله، كما تظهر من دعوتى و سلوكى.

١٦٣ / ٢٦

١٦٣- ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ لا سواه ﴿وَأَطِيعُوا﴾ لا سوى رسولا فى سبيل الله.

١٦٤ / ٢٦

١٦٤- ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ القيام الرالى ﴿مِنْ أَجْرِ﴾ أبدا ﴿إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ صيغة واحدة لوحدة الرسالة، كما أن تكذيبهم واحد لوحدة الكفر.

١٦٥ / ٢٦

١٦٥- ﴿أَتَأْتُونَ﴾ شهوة ﴿الذُّكْرَانَ﴾ و أنتم من الذكران ﴿مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ و فيهم أناث" ما سَبَقَكُمْ بها مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ" * (٧: ٨٠) بذلك الأسلوب الجمعى الهارع.

١٦٦ / ٢٦

١٦٦- ﴿وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ﴾ لصالحكم ﴿رَبُّكُمْ﴾ الذى رباكم هكذا ﴿مِنْ أَزْوَاجِكُمْ﴾ الإناث: "نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ" (٢: ٢٢٣) ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾ عن طور الفطرة و الشرعة الربانية: "أَإِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَ تَقْطَعُونَ السَّبِيلَ" (٢٩: ٢٩).

١٦٧ / ٢٦

١٦٧- ﴿قَالُوا﴾ بدلا عن قبولهم نصحه أم و لأقل تقدير سكوتهم ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ﴾ عن نهيك عما نشتهيهِ ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ﴾ الذين أخرجناهم و نخرجهم إذ ينهوننا عن شهواتنا: "فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ" (٢٧: ٥٦).

١٦٨ / ٢٦

١٦٨- ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ﴾ المبغضين، مهما كان أمركم الأمر ضدى، و أنتم فيما تعملون من الغالين.

١٦٩ / ٢٦

١٦٩- ﴿رَبِّ نَجِّنِي وَ أَهْلِي﴾ الأهلين إيمانا معى ﴿مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ من إتيان الذكران، و إخراجى مع أهلى.

١٧٠ / ٢٦

١٧٠- ﴿فَنَجِّنَاهُ وَ أَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾ من الكرب العظيم.

١٧١ / ٢٦

١٧١- ﴿إِلَّا عَجُوزًا﴾ هى امرأته ﴿فِي الْغَابِرِينَ﴾ الماضين فى كفرهم، المغبرين.

١٧٢ / ٢٦

١٧٢- ﴿ثُمَّ﴾ بعد ما نجيناهم ﴿دَمَرْنَا الْآخَرِينَ﴾ المكذبين.

١٧٣ / ٢٦

١٧٣- ﴿وَ أَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾: "فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَ أَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ" (١٥: ٧٤) ﴿فَسَاءَ الْمُنْذَرِينَ﴾ المكذبين، كما أمسوا سجيلا من النكران و الكفران.

١٧٤ / ٢٦

١٧٤- ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَ مَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

١٧٥ / ٢٦

١٧٥- ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

١٧٦ / ٢٦

١٧٦- ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾ شجر ملتف لإلتفافهم بها ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾ كمن قبلهم من المؤتفكات.

١٧٧ / ٢٦

١٧٧- ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ﴾ رسولهم ﴿شُعَيْبُ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ الله، و هنا دون أخوهم " إذ لم يكن منهم بل هو من مدين "" و إلى مدينَ أخاهم شُعَيْباً (٧: ٨٥).

١٧٨ / ٢٦

١٧٨- ﴿إِنِّي لَكُمْ﴾ لصالحكم ﴿رَسُولٌ﴾ من الله ﴿أَمِينٌ﴾ على رسالة الله في عباد الله.

١٧٩ / ٢٦

١٧٩- ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ حق تقاته ﴿وَأَطِيعُوا﴾ إياي في الله حق طاعته " و لَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ".

١٨٠ / ٢٦

١٨٠- ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ القيام الرسالي ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ أبدا ﴿إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فهذا أجر العاملين.

١٨١ / ٢٦

١٨١- ﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ﴾ و لَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿﴾.

١٨٢ / ٢٦

١٨٢- ﴿وَزِنُوا﴾ الأموال و الأشخاص ﴿بِالْقِسْطِ﴾ الميزان ﴿الْمُسْتَقِيمِ﴾ دون اعوجاج في أصله و وزنه.

١٨٣ / ٢٦

١٨٣- ﴿وَلَا تَبْخَسُوا﴾ أن تنقصوا ﴿النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ من نفس أو نفيس فإنه إفساد ﴿وَلَا تَعْتُوا﴾ سعيًا ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ حالكونكم ﴿مُفْسِدِينَ﴾ فيها في كافة النواميس الخمسة: نفسا- عقيدة- عقلا- مالا و عرضا.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٣٧٥

١٨٤ / ٢٦

١٨٤- ﴿وَ اتَّقُوا﴾ الله ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ أنتم ﴿و﴾ خلق ﴿الْجِبِلَّةَ﴾ الخليفة المطبوعة بطابع الفطرة التوحيدية ﴿الْأُولِينَ﴾ السابقين عليكم و أنتم الآن آخرون أمامهم.

١٨٥ / ٢٦

١٨٥- ﴿قَالُوا إِنَّمَا﴾ ليس إلا ﴿أَنْتَ مِنَ الْمُسْحَرِينَ﴾ بدعوى رسالية و سواها مما لنا لنصدقها.

١٨٦ / ٢٦

١٨٦- ﴿وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ في البشرية تريد أن تتفضل علينا ﴿وَأِنْ﴾ مؤكدا ﴿نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ في دعاويهم.

١٨٧ / ٢٦

١٨٧- ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا﴾ جمع " كسفة": قطعة من السحاب تكسف و تظلم فتهلكنا ﴿مِنَ السَّمَاءِ﴾ كما زعمت: " أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا كِسْفًا" (١٧: ٩٢) و " إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ" (٩: ٣٤) " أسقط ... " ﴿إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ و لكن الكسف القاضى على حياتهم لا تفسح- بعد- مجالا لإيمانهم، فلما ذا تطلب آية لصدقه.

١٨٨ / ٢٦

١٨٨- ﴿قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ عند نزول العذاب، أو فيصلحكم - إذا - كما يعلم، و" إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَ أُبْلِغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ " (٤٦: ٢٣).

١٨٩ / ٢٦

١٨٩- ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾ السحابة التي تظلم، كما " نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ " (٧: ١٦١) فكأنه كسف من السماء كما تطلبوه متعنتين ﴿إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ كأنه شعبة من عذاب الجحيم.

١٩٠ / ٢٦

١٩٠- ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ الذي حصل ﴿لآيَةً﴾ مؤكدة بأداتى "إن" و"لـ" ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ بل أقلهم.

١٩١ / ٢٦

١٩١- ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ﴾ الذى ربك بقمة التربية ﴿لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ بقمة العزة ﴿الرَّحِيمُ﴾ على عزته بقمة الرحمة.

١٩٢ / ٢٦

١٩٢- ﴿وَإِنَّهُ﴾ القرآن أخيرا و آخرا فى الوحي الرسالى ﴿لَتَنْزِيلُ﴾ تدريجيا ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ حيث نزل فيه ما يربى العالمين أجمعين كمرحلة أخيرة عليا.

١٩٣ / ٢٦

١٩٣- ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ و هو الروح حامل الوحي، أمينا على الوحي، نزل به على الرسول الأمين.

١٩٤ / ٢٦

١٩٤- ﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾ و هو أعمق أعماق الروح ﴿لَتَكُونُ﴾ أنت ﴿مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ برسالات الإنذار.

١٩٥ / ٢٦

١٩٥- ﴿بِلِسَانٍ﴾ لا لغة بل بما يفهم ﴿عَرَبِيٍّ﴾ واضح لائح ﴿مُبِينٍ﴾ كافة الحقائق المعنية به كما كان يبين رسالته.

١٩٦ / ٢٦

١٩٦- ﴿وَإِنَّهُ﴾ قرآن محمد و محمد القرآن ﴿لَفِي زُبرِ الْأَوَّلِينَ﴾ على طول رسالات الوحي، إنه فيها بشارة، كما أنه فيها فى أصل الدين مهما اختلفت عن سائر الشرائع فى بعض الطقوس، و أنه كأصل الوحي حيث يسبق سائر الوحي، و قد أفردنا مولفا بحق هذه البشارات الكائنة فى كتابات الوحي.

١٩٧ / ٢٦

١٩٧- ألم يكن لكل آية بنفسه دون حاجة إلى زبر الأولين ﴿أَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ﴾ أولاء الكتابيين ﴿آيَةً﴾ بينة ﴿أَنْ يَعْلَمَهُ﴾ وحيها ﴿عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ المعترفون بهذه الآيات الثلاث كأنه واحدة.

١٩٨ / ٢٦

١٩٨- ﴿وَلَوْ﴾ مستحيلا فى الحكمة الربانية ﴿نَزَّلْنَاهُ﴾ القرآن ﴿عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ﴾ غير العرب فرسا و سواهم.

١٩٩ / ٢٦

١٩٩- ﴿فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ﴾ و فهمهم بلغتهم ﴿مَا كَانُوا بِهِ مُّؤْمِنِينَ﴾ تبخترا " وَ لَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيَا لَقَالُوا لَوْ لَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ءَ أَعْجَمِي " كتابا " و عَرَبِي " مكلفا به " قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَ شِفَاءٌ .. " (٤١: ٤٤).

٢٠٠ / ٢٦

٢٠٠- ﴿كَذَلِكَ﴾ البارِع ﴿سَلَكْنَاهُ﴾ إنفاذا ﴿فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ لكي يعلموا أنه الحق من ربهم.

٢٠١ / ٢٦

٢٠١- و لكنهم ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ " .. وَ قَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ " (١٥: ١٣) ﴿حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ هنا استئصالا، و لكنه إيمان عند رؤية البأس فلا يقبل: " .. فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا .. " (٤٠: ٨٥).

٢٠٢ / ٢٦

٢٠٢- ﴿فَيَأْتِيَهُمْ﴾ العذاب ﴿بَغْتَةً﴾ مفاجأة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

٢٠٣ / ٢٦

٢٠٣- ﴿فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ﴾.

٢٠٤ / ٢٦

٢٠٤- ﴿أَفَبِعَذَابِنَا﴾ أن ينزل عليهم ﴿يَسْتَعْجِلُونَ﴾.

٢٠٥ / ٢٦

٢٠٥- ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ﴾.

٢٠٦ / ٢٦

٢٠٦- ﴿ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ﴾.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٣٧٦

٢٠٧ / ٢٦

٢٠٧- ﴿مَا﴾ نفيا أو استفهما إنكاريا ﴿أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَعُونَ﴾ من قبل و من بعد.

٢٠٨ / ٢٦

٢٠٨- ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ﴾ مجتمع ﴿إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ﴾ رسل و علماء ربانيون.

٢٠٩ / ٢٦

٢٠٩- " مُنْذِرُونَ " ﴿ذِكْرَى﴾ لهم كافية، تذكرهم ما استغفلوا فطريا و عقليا و ما أشبه ﴿وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ أن نهلك قرية دون إنذار كاف " و مَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا " (١٧: ١٥) " أَوْ لَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَ جَاءَكُمْ النَّذِيرُ " (٣٥: ٣٧).

٢١٠ / ٢٦

٢١٠- ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ﴾ القرآن ﴿الشَّيَاطِينُ﴾ من الله أو من عند رؤساءهم، كما تشهد آياته في حد ذاتها بربانيتها.

٢١١ / ٢٦

٢١١- ﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ﴾ أن ينتزلوا بالوحى، استحالة فى الحكمة، ثم ﴿وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ أن ينتزلوا به.

٢١٢ / ٢٦

٢١٢- حيث ﴿إِنَّهُمْ﴾ ككل ﴿عَنِ السَّمْعِ﴾ للوحى ﴿لَمَعَزُولُونَ﴾ " لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَ يَقَذِفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ " (٣٧: ٩).

٢١٣ / ٢٦

٢١٣- ﴿فَلَا تَدْعُ﴾ إذا ﴿مَعَ اللَّهِ﴾ إشراكا به ﴿إِلَهًا آخَرَ﴾ كان له وحى كما لله ﴿فَتَكُونُ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ﴾ بالإشراك على رسالتك العليا.

٢١٤ / ٢٦

٢١٤- ﴿وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ﴾ و أنت عشيرهم نسبا أو سببا من أو أصر القرابة ﴿الْأَقْرَبِينَ﴾ إليك، فإنهم أحوج إلى إنذارك، و أنت أخرى بك أن تنذرهم كرأس الزاوية.

٢١٥ / ٢٦

٢١٥- ﴿وَ اخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾ و هو أبلغ اللين ﴿لَمَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فذلك الطائر القدسي الرباني عليه خفض جناحه للمؤمنين بالله فإنهم أفراخه: "وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ" (١٥: ٨٩).

٢١٦ / ٢٦

٢١٦- ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ فالعصيان من أى كان يبرء عنه، حتى لو كان من الرسول، مهما اختلفت براءة عن براءة.

٢١٧ / ٢٦

٢١٧- ﴿وَ تَوَكَّلْ﴾ دون اتكال و لا انعزال، بل منك عمل و من الله التوفيق ﴿عَلَى﴾ الله ﴿الْعَزِيزِ﴾ ككل ﴿الرَّحِيمِ﴾ بالمؤمنين "بِالْمُؤْمِنِينَ رَوْفٌ رَحِيمٌ" (٩: ١٢٨).

٢١٨ / ٢٦

٢١٨- ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ﴾ بعبادتك و رسالتك، و كل أحيانه كان قياما لله و قعودا عما سوى الله.

٢١٩ / ٢٦

٢١٩- ﴿وَ تَقَلِّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾ لا منذ تصلى و تسجد، بل و فى أصلاب الآباء و أرحام الأمهات، مما يدل على أنهم كلهم كانوا موحدين، فليست الصلاة منه ميزة خاصة له.

٢٢٠ / ٢٦

٢٢٠- ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ كل ما يسمع ﴿الْعَلِيمُ﴾ كل ما يعلم، فعليك الحركة و على الله البركة.

٢٢١ / ٢٦

٢٢١- ﴿هَلْ أَنْبِئُكُمْ﴾ إخبارا هاما ذا فائدة عظيمة ﴿عَلَى مَنْ تَنْزَلُ الشَّيَاطِينُ﴾ بما يوحونه إلى شياطينهم.

٢٢٢ / ٢٦

٢٢٢- ﴿تَنْزَلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾: "أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَّزَّهُمْ أَزًّا" (١٩: ٨٣).

٢٢٣ / ٢٦

٢٢٣- ﴿يَلْقَوْنَ السَّمْعَ﴾ فهؤلاء الشياطين يلقون سمعهم إلى الملا الأعلى و هم عن السمع لمعزولون ﴿وَ أَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾ فيما يلقون، و أقلهم يخلطون خليطا و هم لا يشعرون، كما و هؤلاء الأفاكون الآثمون "يَلْقَوْنَ السَّمْعَ" إلى هؤلاء الشياطين "وَ أَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ" فى سمعهم خلطا لما سمعوه منهم إلى ما لم يسمعوه، مهما كان مسموعهم أيضا خلطا و غلطا.

٢٢٤ / ٢٦

٢٢٤- ﴿وَ الشُّعْرَاءُ﴾ فى أوزان الألفاظ و أوزان دقيق المعانى هم أصل الغاوين، و لذلك ﴿يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ التابعون لكل ناعق ماحق، حين يروونه لطيف اللفظ الموزون، على طفاقة المعنى الموهون.

٢٢٥ / ٢٦

٢٢٥- ﴿لَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ﴾ مذهب من المذاهب ﴿يَهِيمُونَ﴾ ذهابا مسترسلا دون حساب.

٢٢٦ / ٢٦

٢٢٦- ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ قول كذب تبجيلا و تخجيلا، فهيمان الإنسان في كل واد، و هيمانه في قوله دون تحسب، هما الغوايتان البارزتان للشعراء.

٢٢٧ / ٢٦

٢٢٧- ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ لله ﴿وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَ سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ في مثلث الحياة: دنيى و برزخا و عقبى.

سورة النمل

١ / ٢٧

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ طس ﴿لَعَلَّهَا تَعْنَى الطاهر السيد و ما أشبه لمكان" تلك .. فهى من الحروف الرمزية الخاصة بالرسول صلى الله عليه و آله و ذويه المعصومين ﴿تِلْكَ﴾ التى نزلت و تنزل عليك هى ﴿آيَاتُ الْقُرْآنِ﴾ المقروء عليك تفصيلا ﴿وَكِتَابٍ مُبِينٍ﴾ للقرآن بآياته، و منه المحكم النازل عليه ليلة القدر و المعراج.

٢ / ٢٧

٢- حالكونها ﴿هُدًى﴾ إلى الله بشرعته ﴿وَبُشْرَى﴾ على ضوء هداه للحياة كلها ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ بالله و كتابه و رسوله فإنهم بعد هدى الإيمان يهتدون على ضوءها بالقرآن المبين.

٣ / ٢٧

٣- و هم ﴿الَّذِينَ يقيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ شخصيا و بأهلهم و سائر المكلفين كما ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ دعامتان للإيمان بالله عمليا، و عمل الصالحات مطوى فيهما ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ﴾ لا سواهم ﴿يُوقِنُونَ﴾ فإن تارك العمل الصالح للإيمان ليس ليوقن بالآخرة، و إلا فلما ذا ترك العمل.

٤ / ٢٧

٤- ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ مهما آمنوا بالله، فضلا عن الكافر بالله ﴿زَيْنًا لَهُمْ أَعْمَالُهُمْ﴾ كأنها حسنة بأن "زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالُهُمْ" (١٦: ٦٣) و ما صدها عن تزيينهم أعمالهم، إلا شيطنة من الشيطان و عقوبة من الرحمان ﴿فَهُمْ يَعمَهُونَ﴾ تحيرا بما كانوا يصنعون "فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ".

٥ / ٢٧

٥- ﴿أُولَئِكَ﴾ اللئام هم ﴿الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ ألا يسامحوا فيه و المؤمنون مسامحون ﴿وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ التى أنكروها ﴿هُمْ الْآخِضُونَ﴾ بين جموع الخاسرين، مهما كان معهم أخسرون آخرون.

٦ / ٢٧

٦- ﴿وَإِنَّكَ﴾ يا حامل الوحي الأخير ﴿تَلْقَى الْقُرْآنَ﴾ جملة و تفصيلا، فى لفظه و ترتيبه و معناه ﴿مِنْ لَدُنْ﴾ إله ﴿حَكِيمٍ﴾ تظهر حكمته فى وحيه ﴿عَلَيْهِ﴾ بكل معلوم، فالقرآن هو أهم و أتم مظهر من مظاهر حكمته و علمه: "قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ" (٢٥: ٦).

٧ / ٢٧

٧- و من ذكريات تلقى الوحي الربانى ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ﴾ زوجة و ولدا لمكان "سَاتِيكُمْ و .. تَصْطَلُونَ" ﴿إِنِّي أَنَسْتُ﴾ إحساسا مؤنسا، إيناسا بعد إياس بقرّ الليل المظلم ﴿نَارًا﴾ تتقد بها ﴿سَاتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ﴾ يؤنس أن نأتيتها ﴿أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾ منها ﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ استيقادا بها، و قد يضمن "بِخَبَرٍ" هنا خبر الوحي و الهدى: "إِنِّي أَنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى" (٢٠: ١٠).

٨ / ٢٧

٨- ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا﴾ ما قد رآها نارا، نورا إذ ﴿نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ﴾ النور، و هو روح القدس حامل الوحي ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ من موساه، و سائر الرسل الإسرائيليين، ميتين أو أحياء، فليس الله لا في النار و لا حولها ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أن يحل بذاته في شيء، ثم كيف يحل رب العالمين في وجهه أو محله و هو خالق كل أين و أنى.

٩ / ٢٧

٩- ﴿يَا مُوسَى إِنَّهُ﴾ المنزل عليك الوحي ﴿أَنَا اللَّهُ﴾ الخالق لكل نازل و منزل ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ في عزته تكويننا و تشريعنا: "إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى. وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى" (١٣: ٢٠).

١٠ / ٢٧

١٠- ﴿وَأَلْقَى عَصَاكَ﴾ عساک ترى آية ربانية لرسالتك ﴿فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌ﴾ "حَيَّةٌ تَسْعَى" ﴿وَلَّى مُدْبِرًا﴾ و هي خارقة ربانية ﴿وَلَمْ يَعْقَبْ﴾ نفسه إليها من خوفها، فقلنا ﴿يَا مُوسَى لَا تَخَفْ﴾ مما فعلت ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ﴾.

١١ / ٢٧

١١- ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ نفسه مهما كان قصورا "رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ" (١٦: ٢٨) ﴿ثُمَّ بَدَّلَ﴾ الظلم ﴿حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ﴾ فهو يخاف لدى، و لكن ﴿فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ إذا فلا تخف لدى "يا موسى أَقْبِلْ وَ لَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِينَ" (٣١: ٢٨).

١٢ / ٢٧

١٢- ثم ثانية ﴿وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ فعصاك و يدك هما ﴿فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَ قَوْمِهِ﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿خارجين عن شرعة الله.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٣٧٨

١٣ / ٢٧

١٣- ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً﴾ "لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَ هُوَ شَهِيدٌ" ﴿قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ أنه سحر، رغم كونه آية "مُبْصِرَةً" لمن يبصر و لا يستحسر.

١٤ / ٢٧

١٤- ﴿وَجَدُوا بِهَا﴾ نكرانا و نكرا ﴿وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ﴾ جحدا ﴿ظُلُمًا﴾ بآيات الله و بأنفسهم الجاحدة ﴿وَ عَلَوْا﴾ على الله بآياته المبصرة ﴿فَانْظُرْ﴾ إذا ﴿كَيْفَ كَانَ﴾ حياة ﴿عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ ظلما و علوا.

١٥ / ٢٧

١٥- ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ﴾ ثم ﴿وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا﴾ من لدنا وحيا ﴿وَقَالَا﴾ إذا ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ إذ لم يؤتوا من ذلك العلم الوحي، مهما أوتوا من علم الإيمان، و من ذلك الفضل "وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوْبَى مَعَهُ وَ الطَّيْرُ وَ اللَّئَا لَهُ الْحَدِيدُ" (١٠) "وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غَدُوها شَهْرٌ وَ رَوَاحُها شَهْرٌ" (١٢: ٣٤).

١٦ / ٢٧

١٦- ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾ إرث المال كأصل، و إرث الحال بما علّمناه بعده، فإنا معاشر الأنبياء لا نورث دينا و لا درهما لا تسوى دينا و لا درهما، لأن نفي الإرث فيها هو بموضوع النبوة و قد نقضته الآية ﴿وَقَالَ﴾ سليمان فيما ورثه حالا بعد مال ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِّمْنَا﴾ أنا و أبى داود ﴿مَنْطِقَ الطَّيْرِ﴾ فلطير منطق كما لنا و لكننا لا نفهمه ﴿وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ بعضا لمكان "من" لم يؤته غيرنا ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ كونه فضلا، و أن صاحبه مفضل من عند الله العلى الحكيم.

١٧ / ٢٧

١٧- ﴿وَ حُشِرَ﴾ جمعا شاملا ﴿لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ﴾ بعضا لمكان "من" ﴿فَهُمْ﴾ بعد حشرهم ﴿يُوزَعُونَ﴾ منعا عن تفرقهم بعد جمعهم.

١٨ / ٢٧

١٨- ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا﴾ فى مسيرهم ﴿عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ﴾ خاصا من وديانها لجمهورية النمل، و إلا لكان "نمل" دون تعريف، و علّ على "هنا تلمح لتقصّد فى ذلك الإتيان، إتيان خاص و نمل خاص، إذا ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾ هى خطيبة جمهورية النمل ﴿يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ﴾ الآن، لكى ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَ جُنُودُهُ وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ تحت أقدامهم نملا، و هذا يشعرنا أن النمل كانت تعرف سليمان و جنوده، و أنه عدل لا يحطم من تحت قدميه إلا قصورا.

١٩ / ٢٧

١٩- ﴿فَتَبَسَّ﴾ ابتساما، هو دون الضحك، حالكونه ﴿ضاحِكًا﴾ نزله إلى ابتسام ﴿مِنْ قَوْلِهَا﴾ العجاف ﴿وَ قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي﴾ ألهمنى ككلى ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ علما و عملا و معرفة رسالية ﴿وَ عَلَىٰ وَالِدَيَّ﴾ لوالدى كما لى، و لوالدى أن ولدتى طاهرا و ربنتى، دون ما تتقوله التوراة المحرفة أنه وليد زنا من امرأة أو رياه الحتى ﴿وَ أَنْ أَعْمَلَ﴾ عملا ﴿صَالِحًا﴾ ترضاه و أدخلنى برحمتك الحالية و المستقبلية ﴿فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ المرضيين بكلا الصلاح فالرضا.

٢٠ / ٢٧

٢٠- ﴿وَ تَقَدَّ الطَّيْرُ﴾ التى هى من جنوده، تفعلا عن فقدان حاضر، أم فقدان حاجة له، فلم يجد من بينها الهدهد ﴿فَقَالَ مَا لِي لَا أَرَى الْهُدْهَدَ﴾ الخاص من جمع الهداهد فى محشر الجنود، و علّه قائد قوات الهداهد لمكان التعريف الخاص به، فهل غاب بعد حضوره ﴿أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ عن ذلك الحشر.

٢١ / ٢٧

٢١- ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ مما يدل على تكليفه حينذاك إنسانيا، و على أية حال حيوانيا، كما "ثم إلى ربهم يحشرون" (٦: ٣٨) ﴿أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ﴾ لعظم ذنبه المستحق للذبح ﴿أَوْ لَيَأْتِيَنِي سُلْطَانٌ﴾ برهان عاذر ﴿مُبِينٌ﴾ عذره فى غيبته.

٢٢ / ٢٧

٢٢- ﴿فَمَكَثَ﴾ سليمان ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ دون استعجال فى حكمه و كذلك "الهدهد" كل لما يروم ﴿فَقَالَ﴾ لسليمان إنى ﴿أَحْطْتُ بِمَا لَمْ تَحِطْ بِهِ﴾ علما، مما يدل على رجاخته عليه فى علم موضوعى، لا حكمى، مهما كان سليمان نبيا ﴿وَ جِئْتُكَ مِنْ﴾ مملكة ﴿سَبَأٍ بَنِيًّا يَقِينٌ﴾ دونما تردد و تشكك.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٣٧٩

٢٣ / ٢٧

٢٣- ﴿إِنِّي وَجَدْتُ﴾ فيها ﴿امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ﴾ ملكة مالكة ﴿وَ﴾ الحال أنها ﴿أُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ تحتاجه الملكية غير الإلهية ﴿وَ لَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ تحكم عليها على من تحت ملكتها بكل عظمة و كبرياء رعناء.

٢٤ / ٢٧

٢٤- ﴿وَ جَدَّتْهَا﴾ الملكة ﴿وَ قَوْمَهَا﴾ المسيطرة هى عليهم ﴿يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ فهم عبدتها ﴿وَ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ الشريكة ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ الصالحة إلى الله ﴿فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ تلك السبيل، و ذلك بزيغهم أنفسهم: "فلما زاغوا أزاع الله قلوبهم" و من يعيش عن ذكر الرحمن نقض له شيطانا فهو له قرين. و إنهم ليصدونهم عن السبيل و يحسبون أنهم مهتدون" (٤٣: ٣٦) و قيضنا لهم قرناء فزيناو لهم ما بين أيديهم و ما خلفهم .. (٤١: ٢٥).

٢٥- هنا تجب السجدة ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا﴾ عطف تفسير لأعمالهم، سجدة للشمس ﴿لِلَّهِ الَّذِي يَخْرِجُ﴾ بعد خفاء عن الخلق ﴿الْخَبَاءَ﴾ الخفى تكويننا، كالشمس و سائر الكواكب إذ خلقها من غاز السماء، و تشريعا كدينه بشرائه ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَ﴾ كذلك الخبأ فى ﴿الْأَرْضِ﴾ خفيا فى التكوين، و فى التشريع كالرسل المخبوءين إذ أخرجهم إلى رسالاته ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَ مَا تُعْلِنُونَ﴾ فكيف لا تسجدون لله و تسجدون لمثل الشمس التى أخرجها الله.

٢٦- ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ ذاتيا ﴿رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾ صفاتيا فى خلق و تدبير، و أين عرش الله من عرش ملكة سبا.

٢٧- ﴿قَالَ﴾ سليمان بعد استماعه لحجة الهدهد ﴿سَنَنْظُرُ أَمْ صَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ﴾ فى عذرک ﴿مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾.

٢٨- ﴿ادْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا﴾ الذى كتبته إليها ﴿فَالْقَهْ إِلَيْهِمْ﴾ حيث يصلهم ﴿ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ بعيدا عن أن يأخذوك، غير بعيد عن سماعك ما ذا يقولون ﴿فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ إثر كتابي هذا.

٢٩- هنا رجعة أولى إلى قولها الذى حمله الهدهد إلى سليمان ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ﴾ فى البلاط الملكى ﴿إِنِّي أُلْقِيَ إِلَى﴾ حيث شعرت إلقاءه ﴿كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ واسع الرحمة.

٣٠- ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ﴾ الذى نعرفه ﴿وَإِنَّهُ﴾ الكتاب نصه: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ أدبا فى كل كتاب، و يدل على أن البسمة من القرآن فكيف لا تكون من سائر سوره.

٣١- ﴿أَلَّا تَعْلَمُوا عَلَى﴾ الرسول الملك عصيانا لرسالتى ﴿وَ أَتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ لله فيما أرسلت به.

٣٢- ﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ﴾ الملكى فى سياسة البلاد ﴿أَفْتُونِي﴾ رأيا فتيا ناضجا طازجا ﴿فِي أَمْرِي﴾ الأمر بعد ذلك الكتاب، كما أننى ﴿مَا كُنْتُ﴾ منذ كنت ملكة ﴿قَاطِعَةً أَمْرًا﴾ فى سياسة الملك ﴿حَتَّى تَشْهَدُونِ﴾ إياي، كشورى أنا رئيسها دونما استبداد.

٣٣- ﴿قَالُوا﴾ و غالوا فيما قالوا بطبيعة الحال البلاطية، حفاظا على الملك ﴿نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَ أَوْلُوا بِأَسِي شَدِيدٍ﴾ فلا نخاف من سليمان و سواه ﴿وَ﴾ مع ذلك ﴿الْأَمْرُ﴾ القاطع ﴿إِلَيْكَ﴾ تصميم صميما عميما لأنك أنت صاحبة العرش العظيم ﴿فَانْظُرِي﴾ بعد ما نظرنا ﴿مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ فى أمرک.

٣٤- ﴿قَالَتْ﴾ عاقلة رزينة ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً﴾ كما هددنا سليمان "أتوني" ﴿أَفْسَدُوهَا﴾ عن بكرتها ﴿وَ جَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا﴾ الأهلين لمملكتها ﴿أَذَلَّةً وَ كَذَلِكُ﴾ الإفساد عامة و خاصة، هم ﴿يَفْعَلُونَ﴾ لأنه طبيعة الملكية المهاجمة، و فى الهجوم أيا كان قوة.

٣٥- ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ﴾ لا إلى خصوص سليمان حرمة له و إكبارا، و أنها تهدء الحاشية فيهدء الملك ﴿بِهَدِيَةٍ﴾ غالية تناسبهم ﴿فَنَاطِرَةٌ بِمِ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ هل يهدأ سليمان بهدية مالية أم لا يهدأ:
البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٣٨٠

٣٦- ﴿فَلَمَّا جَاءَ﴾ الرسول مع جموعه ﴿سُلَيْمَانَ قَالَ﴾ جوابا عما جاء به ﴿أُتِمِدُونِي بِمَالٍ﴾ هو في الحق و بال حين يفصل عن الله ﴿فَمَا أَتَانِي اللَّهُ﴾ من حال و مال ﴿خَيْرٌ مِّمَّا أَتَاكُمْ بَلْ﴾ لا داعى لكم من هذه الإرسالة المالية، إلا أنكم ﴿أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ و تمرحون: "أ يحسبون أنما نمدهم به من مال و بنين. نُسارعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ" (٢٣: ٥٦).

٣٧- ﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾ ملكا و مملوكا و قل لهم ﴿ف﴾ إذا هم عالون لا يستسلمون ﴿لَنَايْنَهُمْ﴾ بدل أن يأتوني مسلمين ﴿بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا﴾ طاقة في قبالتها و مقابلتها ﴿وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا﴾ لا عن ملكتها فقط ﴿أَذِلَّةً﴾ أماننا ﴿و﴾ الحال أن ﴿هُمْ صَاغِرُونَ﴾ بعد الذل، إذ قد يذل و لا يصغر.

٣٨- و كتقدمه لذلك التهديد المديد ﴿قَالَ﴾ سليمان ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ﴾ الرسولى الملكى ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا﴾ أسرع منهم ﴿قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي﴾ بطبيعة الحال ﴿مُسْلِمِينَ﴾ أماننا مستسلمين.

٣٩- ﴿قَالَ﴾ من ملئه ﴿عِفْرِيْتُ﴾ قوى نافذ الأمر مع دهاء ﴿مِنَ الْجِنِّ﴾ و هو طبعا من مرسلى الجن برسالة سليمان ﴿أَنَا أَتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ﴾ و عرشك، ما تقوم فيه عاديا، أو قدر ما يطلب قيامك من زمان ﴿وَإِنِّي عَلَيْهِ﴾ بحول الله و قوته ﴿لَقَوِي أَمِينٌ﴾ لا أخون، فهل هو بعد من شياطين الجن؟ و لكنه كان من أفضل الجن المرسلين.

٤٠- ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ﴾ و طبعا هو من رسل الإنس برسالة سليمان، و "الْكِتَابِ" ما كتبه الله له بجدارة رسولية و رسالية أن تظهر على يديه خارقة ربانية ﴿أَنَا أَتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ و هو أقل من أقل من ثانية، طيا لمسافة المكان و الزمان، فهو- إذا- أفضل و أقوى من "عِفْرِيْتُ مِنَ الْجِنِّ" و قد يساعد العلم طى الزمان و المكان رغم أنه لا يقدر عليه لأنه آية الرحيم "الرحمن فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ" ﴿فَلَمَّا رَأَاهُ﴾ سليمان ﴿مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ﴾ قبل ارتداد طرفه إليه ﴿قَالَ هَذَا﴾ الواقع الآية هو ﴿مِنْ فَضْلِ رَبِّي﴾ على فى دعوتى الرسولية ﴿لِيُبْلُوَنِي أَمْ أَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ و الشاكرون قلة و الكافرون كفرا أو كفرانا ثلثة "كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ" ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ﴾ عن شكركم ﴿كَرِيمٌ﴾ فى ربوبيته "وَلَيْنُ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ" (١٤: ٧) ذلك، و ذلك الإتيان و ما أشبه هو من شئون الربوبية، فليس إلا من فعل الله بظاهر فعل من رسول أو معصوم آخر تدليلا على عصمته، و العلم يساعد على تلك السرعة بذلك التبدل مهما لا يقدر عليه.

٤١- ﴿قَالَ﴾ سليمان ﴿نَكُرُّوا لَهَا عَرَشَهَا﴾ تغييرا لمعامله مع ثبات أصله ﴿نَنْظُرُ أَ تَهْتَدِي﴾ هى إليه ﴿أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ إليه من حاشيتها.

٤٢ / ٢٧

٤٢- ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ﴾ من مسيرة شهر و قد أتى بعرشها قبل ارتداد طرفه ﴿قِيلَ﴾ لها ﴿أَهْكَذَا عَرْشُكَ﴾ الذى كنت مفتخرة به ﴿قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾ مهتدية إليه ﴿وَأُوتِينَا الْعِلْمَ﴾ برسالتك ﴿مِنْ قَبْلِهَا﴾ آية العرش، قضية الكتاب الملقى إلى ﴿وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ لك من ذى قبل.

٤٣ / ٢٧

٤٣- ﴿وَصَدَّهَا﴾ قبل إسلامها ﴿مَا كَانَتْ تَعْبُدُ﴾ هـ ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أو صدها سليمان ﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ مفروضا عليها جو الكفر أن تكفر، و الآن هى مسلمة بظهور الدليل، ما جعل الكفر الكليل العليل.

٤٤ / ٢٧

٤٤- ﴿قِيلَ لَهَا﴾ بعد قولها المسلم ﴿أَدْخُلِي الصَّرْحَ﴾ القصر ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً﴾ ماء يفصل بينها و بين القصر، قضية الأرضية القارورية بقصرها ﴿وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا﴾ لكيلا تبتل ﴿قَالَ﴾ سليمان ﴿إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ﴾ أرضيا و فضائيا ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَ أَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٣٨١

٤٥ / ٢٧

٤٥- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ﴾ فى المواطنة ﴿صَالِحًا﴾ يصلح لرسالة الله ﴿أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا﴾ فجأة ﴿هُمْ فَرِيقَانِ﴾ بعد وحدتهم فى الإشراف ﴿يَخْتَصِمُونَ﴾ جمعا يعنى تننية، أو كل فريق يختصم مع الآخر كما يختصم مع فرقائه: قال المَلَأَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضِعُوا لِمَنْ أَمَنَ مِنْهُمْ أَنْ صَالِحًا مَرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ. قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ (٧: ٧٦).

٤٦ / ٢٧

٤٦- ﴿قَالَ﴾ صالح لفريق الضلالة ﴿يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِ﴾ الحياة ﴿السَّيِّئَةِ﴾ أو حالتها و ما أشبه ﴿قَبْلَ﴾ الحياة ﴿الْحَسَنَةِ﴾ هنا و فى الأخرى ﴿لَوْ لَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ﴾ عن معاصيكم المآسى ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

٤٧ / ٢٧

٤٧- ﴿قَالُوا أَطِيرْنَا﴾ تشاماً ﴿بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ﴾ أن تشامت حياتنا بكم ﴿قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ من أنفسكم: و كُلِّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَ نُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا (١٧: ١٣) ﴿بَلْ﴾ هنا شؤم حاضر فيكم أنكم ﴿أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ امتحانا بنعمة الله، و امتهاننا بنعمة الشيطان و نعمة اللهو.

٤٨ / ٢٧

٤٨- ﴿وَكَانَ فِي﴾ هذه ﴿الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ﴾ من الكافرين و الرهط هو عصابة دون العشرة أما زاد ﴿يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَ لَا يَصْلِحُونَ﴾.

٤٩ / ٢٧

٤٩- ﴿قَالُوا﴾ هؤلاء التسعة فيما بينهم متساورين ﴿تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ﴾ الذى أنتم به مشركون ﴿لَنُنَبِّئَنَّهَ وَ أَهْلَهُ﴾ تقاسما بالله قضاء على رسول من الله، حيث يعنيه التبييت ﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ﴾ الذى هو ولى دمه ﴿مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ﴾ أى أهل وليه و هم صالح و أهله ﴿وَ إِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ فى مقالنا.

٥٠ / ٢٧

٥٠- ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا﴾ فى تشاورهم ﴿وَمَكَرْنَا مَكْرًا﴾ ضدهم قبل فعلتم ﴿وَالْحَالِ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ مكرنا المفاجأ متأكدين قبله من مكرهم الخاطئ، و أين مكر من مكر.

٥١ / ٢٧

٥١- ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ﴾ إِذْ ﴿أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ قبل أن يدمروا صالحا و من معه.

٥٢ / ٢٧

٥٢- ﴿فَتِلْكَ﴾ التى تراها هى ﴿يُوتِيهِمْ﴾ حالكونها ﴿خَاوِيَةً﴾ خالية عن كونها بيوتا و عن أهلها ﴿بِمَا ظَلَمُوا﴾ " و ما ظَلَمْنَاهُمْ و لَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ " (١١: ١٠١) ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ التدمير ﴿لَايَةً﴾ ربانية ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ آيات الله، دون المتجاهلين المتغافلين الذين " سواءٌ عليهم أ نذرتهم أم لم نذرتهم لا يؤمنون " (٢: ٦).

٥٣ / ٢٧

٥٣- ﴿وَأَنْجَيْنَا﴾ فى ذلك التدمير الغزير ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا﴾ قبل إيمانهم حتى آمنوا بالفعل ﴿يَتَّقُونَ﴾ أن إذ وقوا قبلوا الوقاية، و لذلك آمنوا بصالح.

٥٤ / ٢٧

٥٤- ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾ بسدوم ﴿أَتَأْتُونَ﴾ العملية ﴿الْفَاحِشَةَ﴾ حدّها إلى الغير، و الفاحشة حد العصيان ﴿وَالْحَالِ أَنْكُمْ﴾ أنتم تبصرون ﴿الْإِنَاثَ اللَّاتِي خَلَقْنَ لَكُمْ، وَ خَلْفَاتِ تِلْكَ الْفَاحِشَةِ: أ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَ تَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَ تَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ ..﴾ (٢٩: ٢٩).

٥٥ / ٢٧

٥٥- ﴿أ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ﴾ بل أنتم قوم تجهلون ﴿تَجَاهِلًا مَوَاضِعَ الْإِخْصَابِ وَ الْإِيلَادِ.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٣٨٢

٥٦ / ٢٧

٥٦- ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ عن تساءله ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ فيما بينهم ﴿أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ﴾ لوطا و آله الآهلين ﴿مِنْ قَرْيَتِكُمْ﴾ إنهم أناس يتطهرون ﴿تَكَلَّفَا فَاذِيَا لَطَهَارَةً مَتَخِيلَةً، وَ يَرِيدُونَ أَنْ يَطْهَرُونَ.

٥٧ / ٢٧

٥٧- ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَ أَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ﴾ إذ لم تكن أهلة ﴿قَدَرْنَاهَا﴾ و قررناها ﴿مِنْ الْغَابِرِينَ﴾ الماضين فى كفرهم المهلك، المغبرين.

٥٨ / ٢٧

٥٨- ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾ من حجارة من سجيل ﴿فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ﴾.

٥٩ / ٢٧

٥٩- ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿الْحَمْدُ﴾ كله ﴿لِلَّهِ وَ سَلَامٌ﴾ من الله ﴿عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾ هم الله ﴿اللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ بالله.

٦٠ / ٢٧

٦٠- ﴿أَمِنْ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ﴾ و هما الكون المخلوق كله ﴿وَ أَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ إذ لم يكن لها فى نفسها ماء يكفى كما " وَ أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَاهُ فِي الْأَرْضِ وَ إِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لِقَادِرُونَ " (٢٣: ١٨) و هذا تهديد بذهاب ماءها الذى

أنزل عليها من السماء، مهما كان فى بطنها ما لا يكفيها، إذ" وَ جَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَ بَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ .. (٤١: ١٠) و أصل البركة المجعلولة فيها ماء لها، و ذلك قبل خلق السماء و السماوات، فأنزل ماء آخر عليها من السماء ﴿فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ﴾ على طول الخط ﴿أَنْ تَنْبِتُوا شَجَرَهَا﴾ أنتم و آلهتكم من دون الله ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ﴾ خالفاً فمعبوداً ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعِدُونَ﴾ بالله ما سواه عدلاً و مثلاً، إذ هم يعدلون عن الله إعراضاً، دون أن يعدلوا فى الله أن" لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ .

٦١ / ٢٧

٦١- ﴿أَمِنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَاراً﴾ من القر: البرد، بعد حرّها الدائب. فاستقرت عن ميدانها إلى حركات سليمة كأنها ساكنة" هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا" (٦٧: ١٥) كالدابة الذلول، من ذلّ بعد شماس ﴿وَجَعَلَ﴾ على أثر قرارها ﴿خِلَالَهَا أَنْهَاراً﴾ كشرائين لحياتها ﴿وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ﴾ جبلاً ممتدة فى أعماقها ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزاً﴾ "حِجْرًا مَحْجُورًا" ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ﴾ بعد ﴿مَعَ اللَّهِ﴾ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ و إنما يقلدون على الأعمى، و أقلهم على علم يتجاهلون" وَ جَعَدُوا بِهَا وَ اسْتَيْفَنَتْنَاهَا أَنْفُسُهُمْ" (٢٧: ١٤).

٦٢ / ٢٧

٦٢- و أخيراً لا آخراً ﴿أَمِنْ يَجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ فى هذه الحياة على أثر تخلفات السلطات الأرضية ﴿وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ كله ﴿وَيَجْعَلُكُمْ﴾ إن كنتم صالحين ﴿خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ كما فى زمن القائم المهدي (ع) ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ﴾ فى ذلك ﴿قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ الحقائق، و كشف سوء عن خلفاء الأرض دليل حسنهم، فالمؤمن المضطر الداعى- بتأريخ الإيمان- سوف يخلف الأرض عن متخلفيها.

٦٣ / ٢٧

٦٣- ﴿أَمِنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ﴾ بما يهديكم من أنجم و سواها من خلق و ما تصنعون ﴿وَمَنْ يَرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ ودقا و بردا ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ﴾ مع الله تعالى الله عما يشركون. و هذه كلها براهين حسية فى انحصار كلّ خلق بالله، فانحصاره عن غير الله، انحصاراً بالله، إضافة إلى سائر البراهين القطرية و العقلية و العلمية و الكونية أماهيم، حيث القرآن يبلور هذه الأحكام المنفصلة عن وحى السماء.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٣٨٣

٦٤ / ٢٧

٦٤- ﴿أَمِنْ يَبْدُوا الْخَلْقَ﴾ منذ البداية إلى النهاية، قفزة كآدم الأول و تناسلاً كذريته ﴿ثُمَّ﴾ بعد ذلك ﴿يَعِيدُهُ﴾ للحساب و الجزاء، و هى أهون من البدء لو كان عنده أهون فكيف يستبعدونه ﴿وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ﴾ معنويًا و مادياً ﴿قُلْ﴾ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ.

٦٥ / ٢٧

٦٥- ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ﴾ و هما الخلق كله ﴿الْغَيْبَ﴾ المطلق ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ حتى ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ اللهم إلا غيب الوحى حيث يعلمه رسله: "عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يَظْهَرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا. إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا" (٢٢: ٣٦). خلق خاص و قدرة خاصة و علم خاص لا يشاركه فيها من أحد من العالمين.

٦٦ / ٢٧

٦٦- ﴿بَلِّ﴾ خلاف ما يزعمون ﴿إِدَارَكَ عِلْمُهُمْ﴾ مستقبلا محتويا بلغة الماضي، مبالغة بالغة في التدارك لما هم يتجاهلون تقصيرا، أم يجهلون قصورا ﴿فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا﴾ غارقين بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا ﴿بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾ شكا و عمى مقصرا فيهما: "لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ" (٥٠: ٢٢).

٦٧ / ٢٧

٦٧- ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالله و باليوم الآخر ﴿إِذَا كُنَّا تُرَابًا وَ آبَاؤُنَا﴾ كانوا ترابا ﴿إِنَّا لَمُخْرَجُونَ﴾ إلى الحياة مرة أخرى، لكن "أَفَعَيَّنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ" (٥٠: ١٥) "وَ هُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ" (٣٠: ٢٧) و لكنهم أهون من الحيوان و أضل سبيلا.

٦٨ / ٢٧

٦٨- ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا﴾ الخروج ﴿نَحْنُ وَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ﴾ أن نوجد نحن، و لكن ﴿إِنْ هَذَا﴾ الوعد ﴿إِلَّا أَصَاوِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ و خرافاتهم المسطورة وراء بعض البعض، دون أصل لها أصيل.

٦٩ / ٢٧

٦٩- ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ سيرا تاريخيا و جغرافيا ﴿فَانظُرُوا﴾ نظر الاعتبار ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ هنا و كيف بالآخرى، و لو لا مبدأ و معاد فلما ذا ترك الجزاء يوم الدنيا.

٧٠ / ٢٧

٧٠- ﴿وَ لَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ لما ذا يمدون في كفرهم "إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ" ﴿وَ لَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ بك، صدا عن دعوتك، فإن الله غالب على أمره، و "ما يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَ مَا يَشْعُرُونَ" (٦: ١٢٣).

٧١ / ٢٧

٧١- ﴿وَ يَقُولُونَ﴾ متى هذا الوعدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿فِيهِ، وَ كَأَن صَدَقَ الْوَعْدُ لَزَامَهُ الْعِلْمُ بِمَتَاهُ، فَهَلْ إِنْ الْجَهْلُ بِزَمَنِ وَلَادَةِ يَشْكُكَ فِي أَصْلَاهَا، أَوْ بِزَمَنِ مَوْتٍ كَذَلِكَ، وَ لَئِنْ تَحَبَّوْا عَذَابَهُ بِمَا قَدَّمْتُمْ ف:

٧٢ / ٢٧

٧٢- ﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ﴾ جزاء مؤقتا ﴿بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾ من عذاب الله فَإِنَّ الْعَذَابَ الْمُسْتَأْصَلَ فِي الْأُولَى بعض من الأخرى.

٧٣ / ٢٧

٧٣- ﴿وَ إِنْ رَبِّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ أن يؤجلهم و لا يعجل لهم، فهم في فسحة فصيحة لكي يتذكروا: "أَوْ لَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَ جَاءَكُمْ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ" (٣٥: ٣٧) ﴿وَ لَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ على جهل مقصر كالأكثر من الأكثر و على تجاهل عالم كالأقل من الأكثر.

٧٤ / ٢٧

٧٤- ﴿وَ إِنْ رَبِّكَ لَيَعْلَمُ﴾ حتما مؤكدا ﴿مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَ مَا يُعْلِنُونَ﴾ بل "فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَ أَخْفَى" (٢٠: ٧).

٧٥ / ٢٧

٧٥- ﴿وَ مَا مِنْ﴾ نية أو عملية أو أية كائنة بكيانها ﴿غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ إِلَّا﴾ و هو معلوم ﴿فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ لكل غائب، و علّ التاء في غائبة مضافة إلى تانيث، و "كِتَابٍ مُبِينٍ" هو كتاب علم الله "فَلَا يَظْهَرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ" ثم لا يبين ما اختص بعلمه.

٧٦ / ٢٧

٧٦- ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ﴾ بين قرائين الوحي ﴿يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ و هم أكثر الأمم اختلافا و اختلافا ﴿أَكْثَرَ﴾ الأمر الذي هم فيه يختلفون مع بعض البعض، أو عن الواقع، ثم أقله يعرف من أكثره.
البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٣٨٤

٧٧ / ٢٧

٧٧- ﴿وَ﴾ إضافة إلى هذه الهيمنة ﴿إِنَّهُ لَهْدَى﴾ زائدة ﴿وَ رَحْمَةً﴾ زائدة على ما أوحى من قبل ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ بوحيه الأخير، إيمانا صالحا بأصل الوحي، فضلا عن أوحاه و أقواه.

٧٨ / ٢٧

٧٨- ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ الذى ربك بقمة التربية رسالة و نبوة، هو ﴿يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ﴾ هنا بالقرآن و هناك يوم القيامة ﴿وَ هُوَ الْعَزِيزُ﴾ القادر على الحكم الفصل ﴿الْعَلِيمُ﴾ بما يحكم و كيف يحكم.

٧٩ / ٢٧

٧٩- ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ دون اتكال و انعزال ﴿إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ كونه حقا لمن ألقى السمع و هو شهيد، و "لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ" ف "إنما أنت رسول".

٨٠ / ٢٧

٨٠- ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى﴾ فى إسماع قلوبهم ف "إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعَزُولُونَ" ﴿وَ لَا تَسْمَعُ الصُّمُّ﴾ ظاهريا ﴿الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ و كذلك الصم فى قلوبهم المقلوبة و هم أصم منهم.

٨١ / ٢٧

٨١- ﴿وَ مَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَى﴾ جمع الأعمى ﴿عَنْ ضَلَالَتِهِمْ﴾ إلا دلالة لا توفيقا ﴿إِنْ تَسْمَعُ﴾ دلالة تؤثر ﴿إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ فأنت توصل إليه آياتنا بينات ﴿فَهُمْ﴾ إذا ﴿مُسْلِمُونَ﴾: ف "إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ" (٦: ٣٦)

٨٢ / ٢٧

٨٢- ﴿وَ إِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ﴾ كلمة العذاب واقعا ﴿عَلَيْهِمْ﴾ قبل "يَوْمَ يَنْفَخُ فِي الصُّورِ" كما يليه، فقد يكون عند الرجعة فى دولة المهدي (ع) و لما يحصل ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً﴾ حيوانا ﴿مِنَ الْأَرْضِ﴾ كآية خارقة أولى ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ إنسانيا كآية ثانية ﴿أَنْ﴾ هؤلاء ﴿النَّاسُ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يَوْقِنُونَ﴾ رغم كونها بينات، و من الفرية الجاهلية أن "دَابَّةً" هنا هو على عليه السلام و عودا بالله، حيث الآية الخارقة هنا ليس تكلمنا إنسانيا من إنسان مهما كان له ستتان، ثم التعبير عن أفضل الخلق بعد محمد صلى الله عليه و آله بداية من الأرض، ليس إلا من جاهل خرف، هو نفسه من دابة الأرض، ناصبيا و مثله.

٨٣ / ٢٧

٨٣- ﴿وَ يَوْمَ﴾ هو يوم الرجعة بعد الأول ﴿نَحْشُرُ﴾ نجمة ﴿مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ﴾ من المكلفين ﴿فَوْجًا مِّمَّنْ يَكْذِبُ بِآيَاتِنَا﴾ فليس إذا يوم الحشر العام لكافة المكلفين، كما و "يَوْمَ يَنْفَخُ" الاتى يشهد له ﴿فَهُمْ يوزعون﴾ إقلاعا عن الحياة البرزخية لحياة الرجعة، أو عن الحياة الدنيا إلى ذلك الحشر الخاص.

٨٤ / ٢٧

٨٤- ﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوا﴾ حياة حشرهم الخاص ﴿قَالَ﴾ الله لهم ﴿أَكْذَبْتُمْ بِآيَاتِي وَ﴾ الحال أنكم ﴿لَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا﴾ مما يبرهن أن التكذيب لا يصلح إلا بالإحاطة إلى أمر مكذوب ﴿أَمَّا﴾ أم ما ﴿ذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أمام آياتي.

٨٥- ﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ﴾ كلمة العذاب بواقعه ﴿عَلَيْهِمْ﴾ بما ظَلَمُوا فَعَهُمْ لا يَنْطِقُونَ ﴿أَصْلًا، أَوْ نَطَقًا مَدَافِعًا، إِذْ﴾ لا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٧: ٣٦﴾ وهذه مرحلة ثانية تكبتهم و تنكبهم قبل الساعة.

٨٦- ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ إنسانية ﴿أَنَا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لِيَسْكُنُوا فِيهِ﴾ عن حركات النصب و نهضات التعب ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ لكل تعب و نصب ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ الجعل الحكيم الرحيم ﴿لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ بما يصح الإيمان به بآياته البينة، و منها إمكانية الحياة بعد الموت كالنهار بعد الليل.

٨٧- ﴿وَيَوْمَ يَنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾: البوق، و ليس جمع الصورة، إذْ ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ أُخْرَى "مذكرا و هى مؤنث ﴿فَفَزَعَ﴾ صعقة هى أشد من الموت ﴿مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ من الأحياء هنا أو برزخا ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ "يَوْمَ يَبْعَثُ حَيًّا" كالمسيح و يحيى و فوقهما محمد و أهله ﴿وَكُلُّ أُنُوفِهِ دَاخِرِينَ﴾ صاغرين.

٨٨- ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ﴾ حينئذ ﴿تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ دون حراك ﴿وَوَالْحَالِ﴾ هى تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ﴿وَسِيرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ و كذلك تراها يوم الدنيا .. و هى تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ مما يدل على حركة السحاب مع حركة الأرض ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلُّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٣٨٥

٨٩- ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ﴾ بالحالة الحسنة المطلقة، الصالحة للإيمان ﴿فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾ و أقله "عشر أمثالها" و لدينا مزيد ﴿وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ عَظِيمٍ﴾ يومئذ آمنون: "لا يحزنهم الفزع الأكبر و تتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون" (٢١: ١٠٣).

٩٠- ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ الحالة السيئة المطلقة، دون "سيئة" و هو على أية حال "فلا يجزى إلّا مثلها" مهما كانت السيئات و أمثالها مختلفة ﴿فَكَبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾ دون شفاعة و يقال لهم ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ جوانح و جوارح، كفرا و عملا كافرا، و لأن العمل محدود بكل جهاته، فالجزاء عليه أيضا محدود، فلا خلود أبديا لا نهائيا فى النار، بل يأتى على النار يوم تخمد و يخمد معها الآبدون فيها.

٩١- قل ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ﴾ الطيبة مكة المكرمة ﴿الَّذِى حَرَّمَهَا﴾ حرمة منقطعة النظير ﴿وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ﴾ من هذه البلدة و سواها ملكا و ملكا ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ الأولين إذْ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ﴿٦: ١٤﴾ أولية فى الدرجة، و هذه هى الحالة غير الزمنية، ثم

٩٢- ﴿وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ﴾ اتباعا و اتباعا: "و الْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا" اتبعها، فاتباع القرآن فى كل شئونه يعم الرسولى و الرسالى، كما و يتلوا عليهم آياته ﴿فَمَنْ اهْتَدَى﴾ بعد تلاوتى فى بعديها ﴿فَإِنَّمَا﴾ ليس إلا ﴿يَهْتَدِى لِنَفْسِهِ﴾ فإن الله غنى عن العالمين ﴿وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ لا أحمل على الهدى و لا أحاسب و لا أجازى عليها، فـ "إن أنا إلا رسول".

٩٣- ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سِيرِكُمْ آيَاتِهِ﴾ من بعد كما أراكم من ذى قبل، آيات قبل الرجعة و عندها، و قرب الساعة و عندها ﴿فَتَعْرِفُونَهَا﴾ بعد ما تجاهلتم عنها ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ خلاف ما تأملون" وى كأن الله لا يعلم كثيرا مما كنتم تعملون".

سورة القصص

١ / ٢٨

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ طسم ﴿خطاب للنبي صلى الله عليه و آله كما يفهمه.

٢ / ٢٨

٢- ﴿تِلْكَ﴾ التى تلونها عليك و نتلوها عليك هى ﴿آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ و قد بانت فى الشعراء.

٣ / ٢٨

٣- و منها ما ﴿تَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَ فِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ﴾ المطلق، خلاف الأساطير المدغمة فى التوراة ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ بالحق، و قد يتكرر نبأ موسى لأنه أنبا الأنباء الرسولية و الرسالية قبل أنباء الرسالة الإسلامية- الأخيرة-.

٤ / ٢٨

٤- ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ﴾ رامسيس السادس ﴿عَلَا﴾ علوا كبيرا ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ التى كان يحكمها ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾ مختلفين فى المتابعة ﴿يَسْتَضِعُّ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ﴾ تمام الاستضعاف أن كان ﴿يَذَّبِحُ أَبْنَاءَهُمْ﴾ دون الإناث و الرجال، كيلا يبقى وليد بين بنى إسرائيل يدمر ملكه حسب ما أخبر ﴿وَيَسْتَحْيِي﴾ طلبا لحياة و إزالة لحياء ﴿نِسَاءَهُمْ﴾ انتفاعا جنسيا و خدمة للبيوت ﴿إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ فى الأرض.

٥ / ٢٨

٥- ذلك علو و إفساد فى الأرض ضد المستضعفين ﴿وَلَكِنْ نَحْنُ نُرِيدُ﴾ على طول الخط ﴿أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا﴾ فى الأرض ﴿فِرْعَوْنَ﴾ الأرض الفرعونى و ما شابه ﴿وَنَجْعَلُهُمْ أُتَمَّةً﴾ فى الأرض ﴿وَنَجْعَلُهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ فيها، و حق الإرادة بكاملها لا تتحقق إلا فى حكم الإمام المهدي عليه السلام مهما حصلت شطرات منها فى تعييه، و قبل الإسلام كما كان لداود و سليمان عليهما السلام.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٣٨٦

٦ / ٢٨

٦- ﴿وَنُمَكِّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ سلطويا لتحقيق شرعة الله ﴿وَنُرِىْ فِرْعَوْنَ وَ هَامَانَ وَ جُنُودَهُمَا مِنْهُمْ﴾ أولئك المستضعفين ﴿مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ و ذلك يشمل كل فراعنة التاريخ: "وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ" (٢١: ١٠٥) "وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ" (٢٤: ٥٥) "وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَ خَافَ وَعِيدِ".

٧ / ٢٨

٧- ﴿وَ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ بعد ولادته العجبية ﴿فَإِذَا خِفَتْ عَلَيْهِ﴾ من البأس الفرعونى ﴿فَأَلْقَاهُ فِي الْيَمِّ﴾ فى محفظة عن غرقه ﴿وَلَا تَخَافِي﴾ غرقا و لا قتلا ﴿وَلَا تَحْزَنِي﴾ بعدا ف ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَ جَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ كما رده إليها و جعله رسولا.

٨- ﴿فَالْتَقَطَهُ﴾ كلقطة ضالة أنشدوها غنيمة ﴿أَلْ فِرْعَوْنَ﴾ و هم على نظارة الشاطئ ﴿لِيَكُونَ﴾ دون قصدهم ﴿لَهُمْ عَدُوٌّ وَ حَزَنًا﴾ كما كان، إذ ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَ هَامَانَ﴾ وزيره ﴿وَ جُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ فى كل تصوراتهم و أعمالهم، و منها ذلك الالتقاط خلاف ما يأملون.

٩- ﴿وَ قَالَتْ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ﴾ المؤمنة و لها بارقة الإيمان، هو ﴿قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَ لَكَ﴾ إذ ليس لنا ولد نستأنس به ﴿لَا تَقْتُلُوهُ﴾ مما يلوح أنهم كانوا يقصدون قتله ﴿عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا﴾ فى ملكنا ﴿أَوْ نَنْتَحِذَهُ وَلَدًا﴾ و إن لم ينفعنا، و ذلك إذ ﴿الْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَ لَتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾ (٣٩: ٢٠) ﴿وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ ما ذا يكون.

١٠- إذا ﴿وَ أَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى﴾ قلبها المتفتد بنار الهجران على نور العرفان و الإيمان ﴿فَارِغًا﴾ خاليا عن كل تعلق إلا بموسى لحد ﴿إِنَّ كَادَتْ لَتُبْدَى بِهِ﴾ أنه ولدها ﴿لَوْ لَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بنا، أن نحفظه بعد إيمانه بنا عبودية فإن الإيمان درجات، كما أن الكفر درجات، و بين مطلق الإيمان و الكفر متوسطات هى فيها.

١١- ﴿وَ قَالَتْ لِأُخْتِهِ﴾ أخت موسى ﴿فُصَّيْهِ﴾ اتباعا لأثره نحو القصر الفرعونى ﴿فَبَصُرَتْ بِهِ﴾ بصيرة إضافة إلى بصر ﴿عَنْ جُنُبٍ﴾ بعد ﴿وَ﴾ الحال أن ﴿هُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بصارتها المراقبة، و ما ذا يصير مسيره و مصيره.

١٢- ﴿وَ حَرَمْنَا عَلَيْهِ﴾ موسى ﴿الْمَرَاضِعَ﴾ مصدرا و زمانا و مكانا ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ ما بصرت به أخته و من قبل ولادته، و لذلك لم يقبل أية مرضعة ﴿فَقَالَتْ﴾ أخته لهم ﴿هَلْ أَدْلَكُمُ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ﴾ رضاعة و تربية ﴿وَ هُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾ كما يراد من كمال التربية الصالحة للبلاط الفرعونى.

١٣- فقبلوا اقتراحها ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَى تَقَرَّ﴾ به ﴿عَيْنُهَا وَ لَا تَحْزَنَ﴾ و أن يرتضع منها كما أراد الله ﴿وَ لَتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ " إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَ جَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ" و ما أشبه ﴿وَ لَكِنْ أَكْثَرُهُمْ﴾ الناس ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ حق الوعد الربانى، جاهلين أو متجاهلين.

و هكذا نرى إرادة الله لإحقاق الحق و إبطال الباطل، و لو كره المشركون، شرط عمل أهل الحق ضد عمالة الباطل كما يقدرון " لِيَحِقَّ الْحَقُّ وَ يَبْطُلَ الْبَاطِلُ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ" (٨: ٨).

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٣٨٧

١٤- ﴿وَ لَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ جمع الشد، و أقله ثلاثة: عقلا و جسما و رشدا ﴿وَ اسْتَوَى﴾ على سوقه ﴿آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَ عِلْمًا﴾ بنبوءه دون رسالة إذ كانت رسالته بعد رجوعه عن مدين: "فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَ جَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ" (٢٦: ٢١) ﴿وَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ مما يدل على أن "حُكْمًا وَ عِلْمًا" بدرجاتهما من مخلفات الإحسان بدرجاته، فهما- إذا- حكم و علم قبل الرسالة ظرفا لها ظريفا طريفا.

١٥- عند بلوغ أشده خرج من القصر الفرعوني لحمله "حُكْمًا وَ عِلْمًا" يبعثانه للدعوة ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا﴾ لكيلا لا يعرف فراره عن القصر و قد كان ملاحقا ﴿فَوَجَدَ فِيهَا﴾ لمرحلة أولى من ظروف الحكم و العلم ﴿رَجُلَيْنِ يَفْتَنَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ﴾ في حكمه و علمه، إسرائيليا ﴿وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾ قبطيا فرعونيا ﴿فَاسْتَعَاثَهُ الَّذِي﴾ هو ﴿مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي﴾ هو ﴿مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ﴾ ضربا بجميع كفه ﴿مُوسَى فَقَضَى﴾ بوكزه ﴿عَلَيْهِ﴾ قتلا دون تقصّد، و على الجملة كان وكزا دفاعيا فرضا عليه كمدافع عن مؤمن ﴿قَالَ هَذَا﴾ العدو و الاقتتال و من ثم قتله دون تقصّد، هو ﴿مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ تأخيرا لرسالتي الرسمية ﴿إِنَّهُ عَدُوٌّ﴾ للمؤمن ﴿مُضِلٌّ﴾ إياه عن المضى في دعوته ﴿مُبِينٌ﴾ إضلاله و قد أبانه هنا بالقتال و الاقتتال.

١٦ / ٢٨

١٦- ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ انتقاصا لدعوتي بذلك الوكر الركن، إذ أخر رسالتي مهما كان دفاعا واجبا، و هنا "نَفْسِي" دون "غيري" مما يذود عنه و صمة الظلم بالغير، و إنما "نَفْسِي" دون تقصّد ﴿فَاغْفِرْ لِي﴾ سترا عن أن يقتلوني ﴿فَغَفَرَ لَهُ﴾ مهما تأخرت رسالته ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ في غفره بمن يستغفره بشروطه، و الغفر كان عاجلا في الذب عن قتله أجلا لبداية رسالته: "ثُمَّ جِئْتُ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى" (٤٠: ٢٠) فحتى لو كان هناك رسولا لم يكن قتله عصيانا، فضلا عما قبل رسالته.

١٧ / ٢٨

١٧- ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ "حُكْمًا وَ عِلْمًا" و أن غفرت لي ففرت ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ﴾ تركا لدفاع عن المؤمنين و قد دافعت و لكن حصل ما حصل، فليس الخطأ في ذلك القتل مما يمنعني عن دفاع عن أنفس المؤمنين، دفاعا في سبيل الدين، علّه يؤخرني قفزا عن رسالتي و قد أخرت به، فقد كان سكوته عن ذلك الدفاع المفروض عليه إعانة للمجرم المقاتل.

١٨ / ٢٨

١٨- ﴿فَأَصْبَحَ فِي﴾ هذه ﴿الْمَدِينَةِ خَائِفًا﴾ عن فرعون أن يلاحقه ﴿يَتَرَقَّبُ﴾ نصرا من الله ﴿فَإِذَا﴾ فجأة ﴿الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأُمْسِ يَسْتَصْرِحُهُ﴾ اليوم استنصارا ثانيا لمقاتلة ثانية ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ﴾ رغم كونك من شيعتي ﴿لَعَوَى مُبِينٌ﴾ غوايته، إذ لما يحق حين المقاتلة و الدفاع، كما في العهد المكي المحمدي صلى الله عليه و آله.

١٩ / ٢٨

١٩- ﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ﴾ دفاعا ﴿بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ﴾ ذلك العدو ﴿يَا مُوسَى أ تَرِيدُ أَنْ تُقَتِّلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأُمْسِ﴾ ما يدل على شيوع الخبر في المدينة ﴿إِنْ تَرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَ مَا تَرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾ كما تدعيه.

٢٠ / ٢٨

٢٠- ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ﴾ حالكونه ﴿يَسْعَى﴾ إلى موسى ﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ﴾ الفرعوني ﴿يَأْتِمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ﴾ من هذه المدينة ﴿إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾.

٢١ / ٢٨

٢١- ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا﴾ من ملاحقته ﴿يَتَرَقَّبُ﴾ الفرج من ربه ﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ مما يدل على أن قتله قصاصا ظلم إذ لم يكن لدم الكافر المهاجم قصاص.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٣٨٨

٢٢ / ٢٨

٢٢- ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ﴾ في فراره ﴿تَلْقَاءَ﴾ حذاء و قبالا على أشراف ﴿مَدِينَ﴾ تلقائيا: إذ لم يك يسأل أحدا و لا أنه يعرف طريقا، فذلك التلقاء- إذا- رباني ﴿قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ إليه في ذلك التلقاء اللقاء، لأنه فرار عن الظالم و قرار مع الله.

٢٣ / ٢٨

٢٣- ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدِينَ﴾ عند ذلك التلقاء ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ﴾ محيطين ﴿أُمَّةً﴾ جماعة ذات قصد واحد ﴿مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾ لأنفسهم ﴿وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ﴾ بعيدا عنهم ﴿أَمْرَاتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ منعا و تمنعا لما يجب المنع عنه ﴿قَالَ﴾ لهما و هو على تعب، رافة بهما بين الرجال ﴿مَا خَطْبُكُمَا﴾ مهتمكما أن جاء بكما إلى هنا، و ذلك فعل الرجال ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يَصْدِرَ الرَّعَاءُ﴾ تمنعا عن الخلط بهم ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ لا يقدر على السقي، مما اضطرنا أن نسقي.

٢٤ / ٢٨

٢٤- ﴿فَسَقَى﴾ موسى ﴿لَهُمَا﴾ الامرأتين الذايدتين ﴿ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظَّلِّ﴾ من حر الشمس و سائر الحر نفسيا و ما أشبه ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لَمَّا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ﴾ كإحدى الامرأتين ﴿فَقِيرٌ﴾ و كذلك سائر ما أنزلت إلى، خير حيوى روحى و بدنى.

٢٥ / ٢٨

٢٥- ﴿فَجَاءَتْهُ﴾ قريبا منه ﴿إِحْدَاهُمَا﴾ حال أنها ﴿تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾ لأن لمجيئها إذا معنى ﴿قَالَتْ﴾ فور وصولها ﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ و فيه تحقق دعاء منه ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ﴾ التى حصلت ﴿قَالَ﴾ لموسى ﴿لَا تَخَفْ﴾ بعد، فإنك ﴿تَجُوتُ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

٢٦ / ٢٨

٢٦- ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا﴾ و كأنها التى جاءتة ﴿يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ﴾ لمحة إلى أنه ما قبل أجرة ما سقى لهما ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ﴾ لحاجياتك المنزلية ﴿الْقَوَى الْأَمِينُ﴾ ففوة دون أمانة، أو أمانة دون قوة، فضلا عن عدمهما، لا يجلب لذلك الاستيجار، و قد عرفت قوته عند سقيه لهما، و أمانته عند ما جاءتة و طلبت منه إتيانه إلى أبيها، و من قبل لما سقى لهما ثم تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ دون أن يطلب منهما أمرا، أو يتظاهر بشيء، اللهم إلا التماسا من الله سدا لفقره كما يصلح إن شاء الله.

٢٧ / ٢٨

٢٧- ﴿قَالَ﴾ شعيب إذا ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَي هَاتَيْنِ﴾ مما يدل على تقدم الرجل فى قوله النكاح إيجابا و من ثم القبول من المرأة، كما هو طبيعة الحال بين الجنسين، و مما يؤكد: "فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاهَا .." (٣٣: ٣٧) و زَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ" (٥٤: ٤٤) فمن الصعب جدا تحميل الإيجاب على المرأة فى حقل النكاح، لأنها مكمن الاستحياء، و الرجل هو الذى يمشى وراء المرأة للنكاح دون العكس إلا شذرا، فهذه غلطة فقهية أن الإيجاب- و هو مقدم على القبول- هو على المرأة و القبول على الرجل، خلاف الطبيعة الأنثوية و نص القرآن ﴿عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي﴾ و هو الصداق و قد قبلته أن يكون لأبيها بقولها: "اسْتَأْجِرْهُ" و لأن إجارتة راجعة إلى كل العائلة و هى منهم ﴿ثَمَانِي حِجَجٍ﴾ سنين، مما يعظم موقف الحج خلال كل سنة ﴿فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ﴾ تخيرا فيه دون شرط ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَسُقَّ عَلَيْكَ﴾ فى ذلك الاستيجار ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ فيما أعمل فإن رعاية الغنم ضرورة الرسالة، و لا سيما الموسوية حيث عاش ردحا فى عرش النومة و الفرح.

٢٨ / ٢٨

٢٨- ﴿قَالَ﴾ موسى لشعيب ﴿ذَلِكَ﴾ الإيجار الموقت ﴿بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ﴾ المقررين ﴿قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ﴾ و لا سيما الزائد على الفرض ﴿وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾.

٢٩ / ٢٨

٢٩- ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ﴾ المؤجل دون المعجل، فإن ذلك من شيمة المعاملة الزوجية، قضاء لصادقها الأفضل و لا سيما لمثل موسى (ع) ﴿وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ﴾ في طريقه ﴿مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا﴾ و لأنه كان ليلة قارصة باردة ﴿قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا﴾ هنا ﴿إِنِّي آنَسْتُ نَارًا﴾ مما يدل على أنها غير النيران المشهودة لمن ينظر ﴿لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ﴾ هل هي في الحق نار؟ و إذا ﴿أَوْ جَذْوَةٌ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ استيقادا، مما يدل على أن الصلى هو الإيقاد، ف" صال الجحيم" إيقادها بوقود أنفسهم.

٣٠ / ٢٨

٣٠- ﴿فَلَمَّا أَنَاها نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ﴾ جانب ﴿الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ﴾ نودى ﴿مِنَ الشَّجَرَةِ﴾ الخاصة الكائنة فيها ﴿أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ و القائل هو الله، حيث حل قوله في الشجرة: " و نادينا من جانب الطور الأيمن و قربناه نجيا" (١٩: ٥٢) فليس المنادى هو نفسه في جانب الطور، و إنما النداء كما المنادى.

٣١ / ٢٨

٣١- ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ﴾ عصاك ترى ما لم تر من عصاك، فإلقاءها ليس إلغاءها، بل هو فصل لها عنك إلى إرادة الله، فهي ما هي لموساها عصى، ثم بانفصالها ككل إلى الله " حية تسعى" ﴿فَلَمَّا رآها﴾ بعد إلقاءها ﴿تَهْتَزُّ﴾ متحركة ﴿كَأَنَّهُا جَانٌ﴾ حية صغيرة ﴿وَلَّى مُدْبِرًا﴾ عنها ﴿وَلَمْ يَعْبَ﴾ يا موسى أقبل ﴿إلى عَصَاكَ﴾ ﴿وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِينَ﴾: "إني لا يخاف لَدَى الْمُرْسَلُونَ. إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَلْ حَسَنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ" (٢٧: ١١).

٣٢ / ٢٨

٣٢- و ﴿اسْأَلْكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيَضاء﴾ مشرقة كالقمر ﴿مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ " آية أخرى" (٢٠: ٢٢) ﴿وَأَضْمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ﴾ " و أضمم يدك إلى جناحك" (٢٠: ٢٢) ﴿مِنَ الرَّهْبِ﴾ و هي اليد اليمنى ضما إلى اليسرى من هيئة العصا و اليد البيضاء رهبا ﴿فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ﴾ تربية رسولية ﴿إلى فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا﴾ منذ كانوا ﴿قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ و بروز هذه الآيات التجريبية البدائية مما يدل على أنه أصبح رسولا حينها " فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى" (٢٠: ٤٠) و هو قدر الرسالة.

٣٣ / ٢٨

٣٣- ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا﴾ قبل سنين ﴿فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ قتلا للدعوة بقتل الداعية.

٣٤ / ٢٨

٣٤- ﴿وَ أَخِي هَارُونُ هُوَ﴾ الآن ﴿أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا﴾ و فى لسانى عقدة الخوف منهم: " وَ يَضِيقُ صَدْرِي وَ لَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونُ" (٢٦: ١٣) " وَ احْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي" (٢٠: ٣٢) مما تدل على أن عقدة لسانه لم تكن أصلية ﴿فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا﴾ منعة ﴿يَصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ فتهدر رسالتى فى دعوتها ببزوغها.

٣٥ / ٢٨

٣٥- ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾ رسوليا و رساليا: " قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى" (٢٠: ٣٣) ﴿وَ نَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا﴾ سلطة و جبروتا ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾ وصلة تؤذيكما ﴿بِآيَاتِنَا﴾ التى معكما، بل ﴿أَنْتُمَا وَ مَنْ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾ فى تلك المواجهة الرسولية، حجة و نفسا إذ تنجون و هم يغرقون.

٣٦- ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى﴾ و معه هارون ﴿بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ﴾ لا غبار عليها لأنها ربانيات، و هي "تِسْعُ آيَاتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَ قَوْمِهِ" أهمها ثعبان العصا ﴿قَالُوا﴾ و على رأس زاوية التكذيب فرعون ﴿مَا هَذَا﴾ الذى أتيت به ﴿إِلَّا سِحْرٌ مُّقْتَرَىٰ﴾ على الله ﴿وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا﴾ الأمر الرسولى لبشر ﴿فِي آيَاتِنَا الْأُولَىٰ﴾ المشركين، رغم أن الموحدين منهم أسمعهم بهذا: "أَفَسِحْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ" (٥٢: ١٥) "أَفَسِحْرٌ هَذَا وَ لَا يَفْلِحُ السَّاحِرُونَ" (١٠: ٧٧).

٣٧- ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبِّى أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ﴾ إذ ربانى بآيات نفسه و منفصلة، تدل على رسالتى الربانية ﴿وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ﴾ آخرها و بعد الموت عنها ﴿إِنَّهُ لَا يَفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ حتى الموت.

٣٨- ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ﴾ فى بلاطى و سواه ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمُ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِى﴾ مما يدل على إلحاده، حيث المشرك يعلم أن له إله الأصل، مهما اتخذ معه آلهة أخرى، أجل: "ما أريكُم إلَّا ما أرى و ما أهديكُم إلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ" (٢٠: ٢٩) ﴿فَأَوْقَدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا﴾ مرتفا عاليا "لَعَلَّى الْأَسْبَابَ" أسباب السَّمَاوَاتِ فَاطْلَعَ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَى وَ إِنِّى لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا (٤٠: ٣٧) ﴿لَعَلَّى أَطْلُعَ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَى وَ إِنِّى لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ ويكأن إله موسى فى السماء حتى يراه على صرحه، أم و حتى إذا كان فى أرض أو سماء فهل هو يحيط علما بما فى الأرض و فى السماء، حتى يصبح عدم رؤيته إياه حجة على عدمه، و كما يقوله الماديون، أم و إذا رآه كيف يرى أنه هو، أ بجسم و هو يشاركه فيه فكيف هو إله دونه "أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَ هَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِى" (٤٣: ٥١).

٣٩- ﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَ جُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ استكبارا يغير الحق ممن ليس كبيرا حتى يستكبر بل هو عبد ذليل كسائر العباد ﴿وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يَرْجِعُونَ﴾ ألا يرجعون أبدا، أو يرجعون إلى غيرنا من آلهة اتخذوها.

٤٠- ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَ جُنُودَهُ﴾ "أَخَذًا وَبِيلًا" أَخَذَ عَزِيزٌ مُّقْتَدِرٌ ﴿فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ﴾ كسائر النبذ المنبوذ ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ هنا فضلا عن الأخرى.

٤١- ﴿وَ جَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً﴾ يؤتم بهم ﴿يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ جعلنا بما زاعوا "فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ" أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَضَّعُوا لَهُمْ أَرَأَيْتَ (١٩: ٨٣) كما عكسناه لآخرين: "وَ جَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَ كَانُوا بِآيَاتِنَا يُوَقِّنُونَ" (٣٤: ٢٤) و أين جعل من جعل ﴿وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَنْصُرُونَ﴾ إذ لا ناصر هناك إلا الله، إلا لمن عبد الله.

٤٢- ﴿وَ اتَّبَعْنَاهُمْ﴾ بدعواتهم اللعينة ﴿فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ أن أغرقناهم فى اليم ﴿وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ غرقا فى الجحيم إذ ﴿هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ بقبح أعمالهم: "وَلِيَحْمِلْنَ أَثْقَالَهُمْ وَ أَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ" (٢٩: ١٣).

٤٣- ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى﴾ قوم نوح و عاد و ثمود إلى قوم فرعون ﴿بَصَائِرَ﴾ جمع بصيرة و التاء للمبالغة البالغة ﴿لِلنَّاسِ﴾ المكلفين و معهم سائر المكلفين ﴿وَهْدًى وَ رَحْمَةً﴾ لهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ الحقائق المقصودة.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٣٩١

٤٤ / ٢٨

٤٤- ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغُرْبَى﴾ من الواد المقدس ﴿إِذْ قَصَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ﴾ الربانى وحيا رسوليا ﴿وَمَا كُنْتَ﴾ هناك ﴿مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾.

٤٥ / ٢٨

٤٥- ﴿وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا﴾ منهم ﴿فَتَطَاوَلْ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾ إغفالا بتطاولهم أغفالا ﴿وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا﴾ مقيما ﴿فِي أَهْلِ مَدْيَنَ﴾ تَتَلَّوْا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ فلا تختص الرسالة بك، و ليس الوحي إلا من عند ربك.

٤٦ / ٢٨

٤٦- ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ﴾ ناحية ﴿الطُّورِ﴾ الأيمن ﴿إِذْ نَادَيْنَا﴾ إلى موسى ﴿وَلَكِنْ﴾ كان الوحي إليك ﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ خاصة راحة ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ فى الفترة الثانية و هى بينك و بين المسيح ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ الرسائل الربانية، بعد ذكر الفطر و العقول، فرسلات الله تعالى كلها ذكريات لما سبقها منها، أو فى الفطر و العقول، و لا سيما الأخيرة المحمدية، حيث تضم إلى رحمت الرسائل رحمة خاصة راحة إلى يوم الدين.

٤٧ / ٢٨

٤٧- ﴿وَلَوْ لَا﴾ امتناعا ﴿أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْ لَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَ نَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فلا تقدم أيدينا إلا خيرا: "رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَ مُنْذِرِينَ لِنَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَ كَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا" (٤: ١٦٥) فرسلات الله هى الحجج البالغة الربانية حيث تظهر و تبلور و تكمل رسالة الفطرة، و العقلية المكلفة، و لو لاها لكان هناك حجة للناس على الله لو لا هديتنا، ثم و تعذبنا على ما تركنا من شرعتك و لم تبلغها إلينا، ذلك، و قد تعنى "لَوْ لَا" ترجيحاً إلى ما عنت.

٤٨ / ٢٨

٤٨- ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾ كله ﴿مِنْ عِنْدِنَا﴾ عندية ربانية مطلقة ﴿قَالُوا لَوْ لَا أُوتِيَ﴾ محمد ﴿مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى﴾ من آيات حسية ﴿أَ﴾ لم يكفروا بكل من أوتى كما أوتى موسى "أ" ﴿وَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَى﴾ نفسه ﴿مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا﴾ بآيات ربانية ﴿وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ﴾ من هذه الآيات ﴿كَافِرُونَ﴾ سلسلة كافرة موصولة مر الزمن الرسولى، و الآيات الربانية الرسولية، هى دالات على الرسائل التى تحملها على نسق واحد، مهما اختلفت فى شكلياتها، حسب مقتضياتها، و إضافة إلى الأخيرة القرآنية أنها خالدة إلى يوم القيامة الكبرى، فلو كانت عابرة كغيرها، لم تكن رسالتها خالدة.

٤٩ / ٢٨

٤٩- ﴿قُلْ﴾ لهؤلاء المكذبين، حين لا تؤمنون لا بالتوراة و لا بالقرآن، و لا بد للمكلفين من حجة ربانية ﴿فَاتُوا﴾ أنتم ﴿بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فى تهمة السحر المتظاهر.

٥٠ / ٢٨

٥٠- ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ﴾ و لن يستجيبوا ﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُتَّبَعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ لا الحق ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ دون هذه ﴿بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ أن يوفقهم للهدى.

و هنا "فَاعْلَمْ" للرسول، هو استمرارية علمه أنهم على أهواءهم، أو علمه بعد جهله إذ كان يرجوا هداهم، ثم خطابا لكافة المكلفين على الأبدال، اطمئنا بتجاهلهم العنيد، و الله على كل شيء شهيد.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٣٩٢

٥١ / ٢٨

٥١- ﴿وَلَقَدْ﴾ بكل تحقيق حقيق ﴿وَصَلْنَا﴾ تواصلًا متتابعًا ﴿لَهُمْ﴾ لصالحهم ﴿الْقَوْلَ﴾ الحق، ذكرى ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ "وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ" (٣٥: ٢٢).

٥٢ / ٢٨

٥٢- و هنا ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ﴾ "يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ" (٢: ١٢١) ﴿هُمْ بِهِ﴾ محمد القرآن و قرآن محمد ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ لأنسهم بوحى الكتاب، فهم- إذا- أنس بوحى القرآن، و كذلك البشائر المودوعة فى الكتاب: "الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ.." (٢: ١٤٦) .. الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ" (٦: ٢٠).

٥٣ / ٢٨

٥٣- ﴿وَإِذَا يَتْلَى عَلَيْهِمْ﴾ "آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ" ﴿قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ﴾ كله ﴿مِنْ رَبَّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾ لذلك الحق للبشائر المودوعة فى كتبنا، الموعودة لختم النبوات.

٥٤ / ٢٨

٥٤- ﴿أُولَئِكَ﴾ الأكارم ﴿يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ﴾ مرة بما آمنوا بكتبهم، و أخرى بما آمنوا بالقرآن ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ فى مرحلتى الإيمان على كافة العراقيل المناوئة إياه ﴿وَيَذَرُونَ﴾ دفعا ﴿بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ﴾ "ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ" (٢٣: ٩٦) "ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ" (٤١: ٣٤) ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ عقلا و علما و عملا و مالا و ما أشبه من صالح الإنفاق ﴿يَنْفِقُونَ﴾ فى الإيمان الدارء.

٥٥ / ٢٨

٥٥- ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ﴾ ممن يمنعهم عن ذلك الإيمان ﴿أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ و لم يقولوا لغوا عن لغو بل "وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا" (٢٥: ٧٢) ﴿وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا﴾ دونكم ﴿وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ﴾ دوننا ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ سلمكم الله من مرض اللغو، نحن ﴿لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ بجهلهم و إنما ننصحهم.

٥٦ / ٢٨

٥٦- ﴿إِنَّكَ﴾ يا محمد ﴿لَا تَهْدِي﴾ إيصالا إلى الهدى ﴿مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ هدا "وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ" (٣: ١٤٤) "فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ" (١٦: ٨٢) ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ الهدى و من يشاء الله هدا "وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ" فالعلم بالذى يهتدى و هدايته، توفيقا إلى الحق، هما من اختصاصات الربوبية و "لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ" (٣: ١٢٨) إلا دلالة صافية ضافية بإذن الله.

٥٧ / ٢٨

٥٧- ﴿وَقَالُوا﴾ جماعة معتردين بعد التصديق بالهدى ﴿إِنْ تَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ﴾ إلى الله ﴿تُخْطِفُ مِنْ أَرْضِنَا﴾ الحرم بقوات كافرة، ألم نمكن المؤمنين و سواهم، طول التأريخ الرسالى ﴿أَوْ لَمْ نَمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا﴾ "وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا" (٣: ٩٧) أَوْ لَمْ

يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَ يَخْطَفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ" (٢٩: ٦٨) ﴿يَجْبَى﴾ إجلابا ﴿إِلَيْهِ﴾ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ ﴿فِي الْحَيَاةِ﴾ ﴿رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا﴾ و كما دعى إبراهيم (ع): "فَاجْعَلْ أَفْنَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوَى إِلَيْهِمْ وَ ارْزُقْهُمْ مِنْ الثَّمَرَاتِ" (١٤: ٣٧) ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ هذه الحقيقة الناصعة الناصحة، و أقلهم يتجاهلون: "وَ جَدُّوا بِهَا وَ اسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَ عُلُوًّا" (٨: ٢٦) فحتى إذ تخطفوا من أرضهم فهو أدنى من عرضهم.

٥٨ / ٢٨

٥٨- ﴿وَ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ﴾ مجتمع ﴿بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ إذا ألتهما عما يههما ﴿فَتِلْكَ﴾ التي ترى ﴿مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ فلم تسكن ما هلكت إلا قليلا منها، و لا من بعدهم إلا سكنى قليلة، كما أهلكنا إلا قليلا منها، قلات ثلاث كلها معنية هنا ﴿وَ كُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ لمساكنهم.

٥٩ / ٢٨

٥٩- ﴿وَ مَا كَانَ رَبُّكَ﴾ على طول خط الرسائل ﴿مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا﴾ و البعثات الرسالية فى أمهات القرى هى قضية الحال فى الرسائل كلها ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا﴾ انتشارا من الأم العاصمة الرسالية إلى أطرافها ﴿وَ مَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَ أَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ كلاً، أو هم بين ظالم و منظم، و لكل هلاك حسب ظلمه.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٣٩٣

٦٠ / ٢٨

٦٠- ﴿وَ مَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ أرضا و عرضا و مالا و منالا ﴿ف﴾ هى ﴿مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ زِينَتُهَا﴾ تمتعون بها و عليكم أن تبذلوها لإشتراء الحياة الآخرة، فحتى إذا تخطفتم من أرضكم حفاظا على عرضكم إيماننا بالله ﴿وَ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ﴾ من الحياة الدنيا مهما كانت خيرا ﴿وَ أَبْقَى﴾ منها و إن كان لها بقاء ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أخذا صالحا للحقائق المقصودة فى الحياة.

٦١ / ٢٨

٦١- ﴿أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا﴾ بإيمانه الصالح و عمل صالح ﴿فَهُوَ لَا يَفِيهِ﴾ فى الحياة كلها ﴿كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يبصر إليها دون أن يبصر بها ﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ للحساب و العقاب "هَلْ يُسْتَوِيَانِ مَثَلًا" (١١: ٢٤) "فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ. إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ" (٣٧: ١٢٨).

٦٢ / ٢٨

٦٢- ﴿وَ﴾ اذكر و ليذكروا ﴿يَوْمَ يناديهم﴾ الله ﴿فَيَقُولُ﴾ لهم ﴿أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ أنهم شركائى.

٦٣ / ٢٨

٦٣- ﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ بإشراكهم بالله و دعوتهم إلى غير الله ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا هُمْ كَمَا غَوَيْنَا﴾ فهذه كانت سريرتنا و سيرتنا ﴿تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ﴾ من دعوتنا و عبادتهم ﴿مَا كَانُوا﴾ موصوفة و موصولة و نافية ﴿إِنَّا نَعْبُدُونَ﴾ فنفيه: "قَالَ شُرَكَائُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِينَا تَعْبُدُونَ" (١٠: ٢٨) بل أهواءكم، و إجابة: "إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ" (١٤: ٢٢).

٦٤ / ٢٨

٦٤- ﴿وَ قِيلَ﴾ لهؤلاء المشركين ﴿ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾ الذين اتخذتموهم لله شركاء حتى يخلصوكم ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ مهما كانوا من ذوى العقول، و بأحرى غيرهم ﴿وَ رَأَوْا الْعَذَابَ﴾ متحسرين ﴿لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾ و لا يضلون.

٦٥ / ٢٨

٦٥- ﴿وَيَوْمَ يناديهم﴾ الله سؤال تبكيت ﴿فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ الذين أرسلتهم إليكم، و كما "يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ" (١٠٩: ٥).

٦٦ / ٢٨

٦٦- ﴿فَعَمِيتُ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ﴾ تعمية عامة على المكذبين ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ إذ لا جواب إلا السكوت المخجل ﴿فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ بينهم أنفسهم، و لا بينهم و بين المرسلين، فضلا عما بينهم و بين الله.

٦٧ / ٢٨

٦٧- ذلك لمن لم يتب ﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ﴾ عن كفر ﴿وَأَمَّنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ لإيمانه ﴿فَعَسَى﴾ رجاء صالحا ﴿أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾ شقا لأمواج البلاء بما ماتوا تائبين صالحين.

٦٨ / ٢٨

٦٨- ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ من خلق ثم ﴿وَيَخْتَارُ﴾ من خلقه رسلا و أتباعا لهم على درجاتهم ﴿مَا كَانَ لَهُمْ﴾ على طول الخط ﴿الْخَيْرَةُ﴾ مطلقا حتى فى حياتهم المادية فضلا عن الحياة الرسولية: "أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ.." (٤٣: ٣٢) ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ﴾ تنزيها ﴿وَوَعَالَى﴾ علوا كبيرا تنزيها ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ به، كأن لهم الخيرة فى ذلك الاتخاذ الوخاز، و لشركائهم خيرة فى الربوبية.

٦٩ / ٢٨

٦٩- ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ إسرارا ﴿وَمَا يَعْلَنُونَ﴾ إعلانا بل "فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى" (٢٠: ٧).

٧٠ / ٢٨

٧٠- ﴿وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ فى أى من شئون الألوهية ﴿لَهُ الْحَمْدُ﴾ كله لا لسواه إلا راجعا إليه ﴿فِي﴾ الحياة ﴿الْأُولَى﴾ و فى الحياة ﴿الْآخِرَةِ وَ لَهُ الْحُكْمُ﴾ فيهما تكوينا و تشريعا و حسابا و جزاء ﴿وَالِيهِ﴾ لا سواه ﴿تَرْجِعُونَ﴾ حسابا و جزاء و وفاقا.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٣٩٤

٧١ / ٢٨

٧١- ﴿قُلْ﴾ لهؤلاء الكافرين ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ﴾ ككل ﴿سَرْمَدًا﴾ إلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿دُونَ﴾ أى نهار ﴿مَنْ إِلَهَ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ﴾ و نهار ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ حجج الله، هنا ندرس: أن السرمد لا تعنى كلا الأزلية و الأبدية، خلاف الفلسفة البشرية، بل لها نهاية فى الخلق مهما طال، ثم سرمد الليل و النهار- المنفيان- لا يخالفان طولاً فيهما كما فى بعض المناطق، و هو قليل جدا، و لا يسكن إلا قليلا.

ثم "نزعنا" مما تلمح أن شهداء كل أمة كانوا خلطاء لم يعتبر لهم بينهم كيان، و الآن هم شهداءهم البارزون، و من ثم إن غزير المال محنة فمهنة، أكثر من الفقر بكثير، فلا بد فيه من رقابة و رعاية، و هما- لأقل تقدير- أن لا يبيع به على الفقراء، بل ينفق منه عليهم دون من و لا أذى.

٧٢ / ٢٨

٧٢- ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا﴾ إلى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿دُونَ﴾ ليل ﴿مَنْ إِلَهَ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ﴾ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿إِخْتِلَافَ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ رَحْمَةً:

٧٣ / ٢٨

٧٣- ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ ليلاً ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ نهارة ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الله على نعمه عليكم "هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِراً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُسْمِعُونَ" (١٠: ٦٧).

٧٤ / ٢٨

٧٤- ﴿وَيَوْمَ يَنَادِيهِمْ﴾ المشركين ﴿فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ إياهم شركائي.

٧٥ / ٢٨

٧٥- ﴿وَنَزَعْنَا﴾ ماضيا يعني مستقبلا مؤكدا ﴿مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ﴾ رسالية ﴿شَهِيداً﴾ على أنفسهم ﴿فَقُلْنَا﴾ لهم ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ على إشراككم بى ﴿فَعَلِمُوا﴾ عين القين، بعد علم متجاهل عنه ﴿أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ﴾ لا لسواه ﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ﴾ ما كانوا يفترون ﴿على الله به من شركاء﴾.

٧٦ / ٢٨

٧٦- هنا بعد شيطنة الفرعنة يأتي دور بغى قارون ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى﴾ إسرائيليا ﴿فَبَغَى عَلَيْهِمْ﴾ فلم تفده قوميته الموسوية إذ لم تمنعه عن بغيه ﴿وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ﴾ إيتاء ربانيا بامتحان الامتحان ﴿مَا﴾ القدر الذى ﴿إِنَّ مَفَاتِحَهُ﴾ جمع مفتاح: الباب، دون المفتاح فإن جمعه مفاتيح، ثم لا مفتاح للكنوز ﴿لَتَنُوتُوا﴾ لتنهض حملا ﴿بِالْعَصْبَةِ﴾ عشرة رجال فما دونهم ﴿أُولَى الْقُوَّةِ﴾ قوة على قوة، ف ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ﴾ الإسرائيليون ﴿لَا تَفْرَحْ﴾ بما أوتيت ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ بالمال و المنال، دون صالح الحال و المال و الدهر لك يومان يوم لك و يوم عليك فإذا كان لك فلا تبطر و إذا كان عليك فاصبر فبكلاهما ستختبر.^{٢٠}

٧٧ / ٢٨

٧٧- ﴿وَأَبْتَغْ﴾ بدل أن تبغى ﴿فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ﴾ من الكنوز ﴿الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾ فالمؤمن دنياه آخرة، أن يصرف متاعها فى الحياة الآخرة ﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ طولها من أكل و مكان و لباس و نكاح و آخرها كفن، ثم و ما يزيد إمتحان ﴿وَأَحْسِنْ﴾ بعباد الله و فى الله ﴿كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ من قوة و مال، بل أنت بكل كونك و كيائك من إحسان الله إليك ﴿وَلَا تَبْغْ﴾ سعيا ﴿الْفُسَادَ﴾ فى النواميس كلها ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ ارض التكليف ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَحِبُّ﴾ بل يبغض ﴿الْمُفْسِدِينَ﴾.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٣٩٥

٧٨ / ٢٨

٧٨- ﴿قَالَ﴾ قارون، نكرانا لما آتاه الله حتى يصرف فى سبيل الله ﴿إِنَّمَا﴾ ليس إلا ﴿أُوتِيْتُهُ﴾ ما عندى من الكنوز ﴿عَلَى﴾ إشراف ﴿عِلْمٍ﴾ خاص ﴿عِنْدِي﴾ جدارة علمية بالحصول عليها و مصرفها، مهما آتاه الله بتلك الجدارة أم سواه ﴿أَوْ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً﴾ علمية و سواها ﴿وَأَكْثَرُ جَمْعاً﴾ لأموال و بنين و أعضاء ﴿وَلَا يَسْتَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمْ﴾ سؤال استفهام ﴿الْمُجْرِمُونَ﴾ إلا استفهاما فإقحاما عند ربهم، فلا تنافى بين "وَقِفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ" إذ تعنى التنديد، و بين "فَيَوْمِذٍ لَا يَسْتَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ" (٥٥: ٣٩) استفهاما، إذ يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي و الأقدام (٥٥: ٤١).

٧٩ / ٢٨

^{٢٠} . عن الإمام على عليه السلام فى نهج البلاغة للسيد الشريف الرضى.

٧٩- ﴿فَخَرَجَ﴾ من قصره ﴿عَلَى﴾ حاضر ﴿قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾ من كنوزه، و هنا مقالة غير الأولى حيث ﴿قَالَ الَّذِينَ يَرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ فقط، أم مساماتا بين الحياتين: ﴿يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ﴾ من الكنوز و الزينة ﴿إِنَّهُ لَدُو حَظٌّ عَظِيمٌ﴾ ما أعظمه.

٨٠ / ٢٨

٨٠- ثم الطائفة الأولى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ بالله إيماننا عالما مكينا متينا ﴿وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ﴾ في الأخرى ﴿خَيْرٌ﴾ مما أوتي قارون و أمثاله ﴿لَمَنْ آمَنَ وَ عَمِلَ صَالِحًا﴾ بمال و دون مال ﴿وَلَا يَلْقَاهَا﴾ يفهمها لقاء الإيمان أى هذه الحقائق ﴿إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾ في ملتويات الحياة.

٨١ / ٢٨

٨١- و لكى يجزى قارون جزاء له بإفساده، و يعرف أن كنوزه ليست له نعمة بل نعمة ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَ بَدَارِهِ الْأَرْضَ﴾ حيث ابتلعتهما عن بكرتهما ﴿فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ إذ لا مانع من بأس الله ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُتَصَرِّينَ﴾ لأنفسهم، إذ فات يوم خلاص و لات حين مناص، فلم ينتصر لما رأى من عدم وجود ناصر، خلاف ما كان يزعمه من ذى قبل.

٨٢ / ٢٨

٨٢- ﴿وَأَصْبَحَ﴾ صار ﴿الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ﴾ مكانته ﴿بِالْأَمْسِ﴾ القريب ﴿يَقُولُونَ وَيَ﴾ واه و وبلا ﴿كَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَ يَقْدِرُ﴾ بسطا و تضيقا، هو لا سواه، مهما كان العلم و القوة و الشطارة لأعلاها، و أم سواها لأدناها، و إن كان للعمل دخلا أصيلا فى عطاء الله ﴿لَوْ لَا أَنْ مِنَ اللَّهِ عَلَيْنَا﴾ بما خسف بقارون و بداره الأرض حتى لا ننضم إليه ﴿لَخَسَفَ بِنَا﴾ كما خسف به و بجمعه ﴿وَيَكَاَنَهُ لَا يَفْلَحُ الْكَافِرُونَ﴾ و لا سيما الظالمون منهم المفسدون.

٨٣ / ٢٨

٨٣- ﴿تِلْكَ﴾ البعيدة المدى، القريبة الهدى، هى ﴿الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يَرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ﴾ فضلا عن أن يعملوا له و يسعوا إليه ﴿وَلَا فَسَادًا﴾ هو من خلفيات العلو فى الأرض ﴿وَالْحَيَاةَ﴾ العاقبة ﴿لِهَذِهِ الْأَدْنَى﴾ للمتقين هنا و بعد الموت و لا سيما الأخرى: "وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَجْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَ هُوَ أَدُّ الْخِصَامِ. وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَ يَهْلِكَ الْحَرْثَ وَ النَّسْلَ وَ اللَّهُ لَا يَحِبُّ الْفُسَادَ. وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَ لَيْسَ الْمِهَادُ" (٢٠٦: ٢).

٨٤ / ٢٨

٨٤- ﴿مَنْ جَاءَ بِ﴾ الحياة ﴿الحسنة﴾ بكل مراحلها ﴿فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا﴾ حياة أخرى، و أفلها: "مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا" (٦: ١٦٠) ﴿وَمَنْ جَاءَ بِ﴾ الحياة ﴿السيئة﴾ فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا نفس ﴿ما كانوا يعملون﴾ إياه إذ الجزاء هو نفس العمل بظهوره فى ملكوته، فكما العمل محدود فكذلك جزاءه، إلا العمل الصالح فـ "عطاءً غير مجذوذ" و لأنه من فضل الله، و لكن جزاء السيئة هو قضية العدل، فهو محدود بحدودها: "وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا" (٤٢: ٤٠).

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٣٩٦

٨٥ / ٢٨

٨٥- ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ تحقيقا فى نفسك رسولا و رسالة دعوة إليه "وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ" (٢٧: ٩٢) ﴿لِرَادِّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ الدعوة و منبتها مكة المكرمة، كما رده إليه ﴿قُلْ رَبِّ أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ و مهما كانت

السورة مكية فى غضون الهجرة و لكن ملامح إخراجها منها تقتضى بشاره برده إليها، و كما رد موسى إلى معاد الدعوة بعد سنين عشر، مهما لا ترجوا ذلك الرد، كما:

٨٦ / ٢٨

٨٦- ﴿وَمَا كُنْتَ تَرْجُوا أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ﴾ إِذْ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَ لَا قَوْمُكَ (١١: ٤٩) ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ الذى رباك بقمة التربية ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ﴾ رجاء عدم إخراجك من معادك.

٨٧ / ٢٨

٨٧- ﴿وَلَا يَصُدُّكَ﴾ أى مانع ﴿عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أَنْزَلْتُ إِلَيْكَ﴾ سر فإن الله يردك ﴿وَأَدْعُ إِلَى رَبِّكَ﴾ بكتابه ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ بالله، نهيا عما هو منته، تثبيتا له، و إعلانا جاهرا أنه إنما يثبت بتوفيق الله.

٨٨ / ٢٨

٨٨- ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ على أية حال، إذ ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ و ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ هلاكا ذاتيا أمامه، و هلاكا بفناءه، إلا وجهه: و منه المتجه إليه، فإنه باقى ببقائه "عطاء غير مجدود" و لكن أهل النار هالكون بهلاك النار ﴿وَلَهُ الْحُكْمُ﴾ لا سواه ﴿وَالِيهِ تَرْجَعُونَ﴾ لا سواه.

سورة العنكبوت

١ / ٢٩

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ تكرر مرات خمس: فى البقرة و فى مكيات أربع: هذه و الروم و لقمان و السجدة، و هى من مفاتيح كنوز القرآن، تختص بمخاطبه الرسول محمد صلى الله عليه و آله.

٢ / ٢٩

٢- ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا﴾ مهملين ﴿أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَ﴾ الحال أن ﴿هُمْ لَا يَفْتَنُونَ﴾ على ضوء إيمانهم، فكما الذهب يفتن بالنار حتى تصبح دون خليط، كذلك ذهب الإيمان: "وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَ السَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ" (٦: ١٦٧).

٣ / ٢٩

٣- ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ هؤلاء القائلين "آمنا" ﴿فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ﴾ من العلم العلامة دون العلم المعرفة، فإنه بكل شيء عليم ﴿الَّذِينَ صَدَقُوا وَ لَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ علما و علامة لكل بما يفتتن بالشر و الخير: "وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْخَيْرِ وَ الْخَيْرِ فَتْنَةً وَ إِلَيْنَا تَرْجَعُونَ" (٢١: ٣٥).

٤ / ٢٩

٤- ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ دون رادع ربانى ﴿أَنْ يَسْبِقُونَا﴾ فيها، كأن لا علم و لا قوة لنا يدفعهم عنها ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾: "وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمَلِّى لَهُمْ خَيْرًا لِنَفْسِهِمْ إِنَّمَا نُمَلِّى لَهُمْ لِيُزِدُوا إِثْمًا وَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ" (٣: ١٧٨) ف "لَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنْهُمْ لَا يَعْرِضُونَ" (٨: ٥٩).

٥ / ٢٩

٥- ﴿مَنْ كَانَ﴾ فى غابر الحياة و حاضرها ﴿يَرْجُوا﴾ رجاء الاطمينان "يَفْصَلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ" (١٣: ٢) ﴿لِقَاءَ اللَّهِ﴾ معرفيا و عبوديا هنا و فى الأخرى، مع جزاءه الأوفى ﴿فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ﴾ و وقته الخاص به و هو منذ الموت ﴿لَاتٍ﴾ حتى يكمل لقاءه ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ كل قال ﴿الْعَلِيمُ﴾ بكل أحوال و أعمال.

٦ / ٢٩

٦- ﴿وَمَنْ جَاهَدَ﴾ في الله ﴿فَإِنَّمَا﴾ ليس إلا ﴿يَجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾ لصالحها ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ لا تنفعه طاعة و لا تضره معصية.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٣٩٧

٧ / ٢٩

٧- ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالله و اليوم الآخر و النبیین ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ لإيمانهم ﴿لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ إمحاء إياها بشرف الإيمان و عمل الصالحات ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ اعتبارا للحسن أحسن و للأحسن أحسن منه فـ" لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَ زِيَادَةٌ" (٢٦: ١٠).

٨ / ٢٩

٨- ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾ أن يحسن إليهما في كل شيء "وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا" (٨٣: ٢) ﴿وَأِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ إشراكا عقيدا أو عمليا كترك واجب أو فعل محرم و ما أشبه ﴿إِلَى﴾ لا سوى ﴿مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ علميا و عمليا، إذ تظهر الأعمال كما حصلت ثم تحوّل بأصواتها و صورها إلى الجزاء "إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ" (٦٦: ٧).

٩ / ٢٩

٩- ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ ككل ﴿لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾ القمة: "وَمَنْ يَطِعِ اللَّهَ وَ الرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَ الصَّادِقِينَ وَ الشُّهَدَاءِ وَ الصَّالِحِينَ وَ حَسَنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا" (٤: ٦٩).

١٠ / ٢٩

١٠- ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ بعضا و هم نسناس من الناس ﴿مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ﴾ بفيه و فيه ما فيه ﴿فَإِذَا أُودِيَ فِي اللَّهِ﴾ أن ينقم منه لأنه يقول آمنت بالله ﴿جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ﴾ إياه ﴿كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ ويكأن الله عذبه إذ قال آمنت بالله ﴿وَلَمَّا جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ﴾ لقبيل الإيمان ﴿لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾ في الإيمان بالله فلنا مالكم، ألم يجعلوا فتنة الناس كعذاب الله ﴿أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾ من إيمان و كفر و عوان بينهما: "وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَ إِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ" (٢٢: ١١).

١١ / ٢٩

١١- ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ﴾ علما و علامة ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بقلوبهم بعد ما قالوا آمنا بالله بألسنتهم ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ﴾ علما و علامة ﴿الْمُنَافِقِينَ﴾ الذين لم يؤمنوا بقلوبهم.

١٢ / ٢٩

١٢- ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾: اكتفوا بلفظة الإيمان أو في قلوبهم و ﴿اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا﴾ عقيدا و عمليا ﴿وَلَنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ﴾ فأنتم- إذا- بريئون عما تعملون ﴿وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ فحتى لو صدقوا فلا يحملون أوزاركم.

١٣ / ٢٩

١٣- ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ﴾ أنفسهم ﴿وَأَثْقَالًا﴾ حملوها إياكم ﴿مَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ إضلالا، و أثقالكم باقية ﴿وَلَيَسْئَلَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ على الله أصليا و فرعيا كحمل خطاياهم: أجل "لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ مِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يَضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ" (١٦: ٢٥).

١٤- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ﴾ رسولا ﴿أَلْفَ سَنَةٍ﴾ من سنيها ﴿إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ من أعوامنا ﴿فَاخَذَهُمُ الطُّوفَانُ﴾ العام ﴿وَالْحَالُ أَنَّهُمْ﴾ هم ظالمون ﴿أَنفُسَهُمْ وَالْحَقَّ بِتَكْذِيبِهِ، وَاهْلِيهِ.﴾
البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٣٩٨

١٥- ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ﴾ من مؤمنين معه وحيوان " مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ " ﴿وَجَعَلْنَاهَا﴾ السفينة ﴿آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾
تأريخيا أن تناقلتها الألسن، و واقعا لأنقاض منها بقية حتى الآن " وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ " (٥٤: ١٥) و قد شرحناه في
إلحاقه في: " لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ " (٦٩: ١٢).

١٦- ﴿وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ دعوة مستمرة رسولية على مر الزمن الرسالي ﴿وَآتَقَوْهُ﴾ أن تعبدوا غيره أو تعصوه
﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ و غيره شر لكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الخير و الشر دون تجاهل.

١٧- ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا﴾ تماثيل خشبية أو حجرية أماهيم ﴿وَتَخْلُقُونَ﴾ اختلاقا ﴿إِفْكَاءً﴾ كذبا ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ طواغيت أمأ أشبهه، فضلا عن جمادات ﴿لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾ بل و لا لأنفسهم ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ﴾ خالقا رازقا ﴿وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ لِرزقه ﴿إِلَيْهِ﴾ لا سواه ﴿تُرْجَعُونَ﴾.

١٨- ﴿وَإِنْ تَكْذِبُوا﴾ هذا الرسول فلستم بدعا من المكذبين، كما ليس هو بدعا من الرسل ﴿فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ وَ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ حقه، دون سؤال و جزاء أم إيصال إلى الحق المرام.

١٩- ألم يروا إلى آيات في أنفسهم ﴿أَمْ لَمْ يَرَوْا﴾ إلى آيات أفاقية رؤية بصر و بصيرة ﴿كَيْفَ يَبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ﴾ و أنتم تصدقون ﴿ثُمَّ﴾ المبدأ هو الذي ﴿يَعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ﴾ الإبداع الإبداع ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرُ﴾ " إِنَّهُ هُوَ يَبْدِئُ وَيَعِيدُ " (٨٥: ١٣) و كما بدأكم تعودون " (٧: ٢٩) " وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ " (٥٦: ٦٣) " وَهُوَ الَّذِي يَبْدِئُ الْخَلْقَ ثُمَّ يَعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ " (٣٠: ٢٧).

٢٠- ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ تأريخيا جغرافيا و جغرافيا تاريخيا، و منه كأفضله بصيرة أرض القرآن، عرضا لأهم ما حصل ﴿فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ اللَّهُ﴾ الخلق ﴿لِحَيَاةِ التَّكْلِيفِ﴾ ثم بعد مضي دور التكليف، و دور البرزخ ﴿اللَّهُ يَنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ﴾ إنشاء لأمثالكم أبدانا من أصولها، دو تحليق لها إلا الأجزاء التي عاشها زمن التكليف، ثم و إرجاعا لأرواحكم فيها ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ لا يعجزه شيء حيال قدرته الطليقة.

٢١- ﴿يَعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ العذاب بما عصى و من يشاء الله عذابه بعدله ﴿وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ﴾ الرحمة بما أطاعه، و من يشاء الله أن يرحمه بفضله ﴿وَالِيهِ﴾ لا إلى سواه ﴿تُقَلَّبُونَ﴾ قلبا من الدنيا إلى الآخرة، و من تراب إلى أمثال أبدانكم الأولى ما تناسب يوم الخلود.

٢٢ / ٢٩

٢٢- ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ الله ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ آلا تقلبوا إليه و لا تحاسبوا ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ يلي أمركم ﴿وَلَا نَصِيرٌ﴾ ينصركم.

٢٣ / ٢٩

٢٣- ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ آفاقية و أنفسية ﴿وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ بـ ﴿لِقَائِهِ﴾ في الدنيا و الآخرة ﴿أُولَئِكَ يَسْأَلُونَكَ عَنْهُمْ﴾ في لقاءى ﴿وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ عند لقاءى في الآخرة، فاليأس من رحمة الله هو من أكبر المعاصي، حيث يؤيس عن ربانيته في الأولى، و هو يخلف عنها في الآخرة، فأضل سبيلا، كما الرجاء الصالح يرجى الراجى فيها.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٣٩٩

٢٤ / ٢٩

٢٤- ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ أمام تساؤلاته القويمة ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ﴾ و لكن غلب جانب الحق لأنه أحرق قلوبهم، إذ "قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ" (٢١: ٦٨) ﴿فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ﴾: "يا نار كُونِي بَرْدًا وَ سَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ" (٢١: ٦٩) ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ لتوحيد الله، و لصدق رسالة الله، و عاقبة المكذبين بالله ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

٢٥ / ٢٩

٢٥- ﴿وَقَالَ﴾ بعد ما أنجاه الله ﴿إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا﴾ أجساما منحوتة، لا لشيء من ميزات الألوهية فيها، بل ﴿مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ رباطا وديا دنيويا فقط دون نظرة إلى الآخرة ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ﴾ تباعضا في الدعوة إلى الشرك و الْآخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ" (٤٣: ٦٧) زوالا للمودة الدنيوية ﴿وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ عذابا فوق العذاب ﴿وَمَا وَكُمُ النَّارُ وَ مَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ كنتم تزعمونهم ناصرين لكم "هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى" (٣٩: ٣٠).

٢٦ / ٢٩

٢٦- ﴿فَأَمَّنَ لَهُ﴾ لصالحه لرسولى و الرسالى، إيمانا بالله تعالى ﴿لُوطٌ وَ قَالَ﴾ إبراهيم و معه لوط ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ﴾ عن كافة تعلقاتى ﴿إِلَى رَبِّى إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ﴾ الغالب على أمره ﴿الْحَكِيمُ﴾ فى عزته و غلبته، و ترى أن لوطا كان كافرا فآمن له فكيف أرسل بعد رسولا؟ له "مما تدل على أنه إيمان ثان بوسيط إبراهيم بعد ما كان مؤمنا قبله بالله فى شرعة نوح (ع) و كما كان إبراهيم قبل رسالته من أمة نوح.

٢٧ / ٢٩

٢٧- ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ﴾ لإبراهيم ﴿إِسْحَاقَ﴾ بعد إسماعيل ﴿وَيَعْقُوبَ﴾ من إسحاق، و إسماعيل يتقدم على إسحاق فى كلما يذكران فى القرآن كما "وَ أَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ وَ إِسْحَاقَ وَ يَعْقُوبَ" (٤: ١٦٣) ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ﴾ إبراهيم، من إسماعيل و إسحاق ﴿النُّبُوَّةَ وَ الْكِتَابَ وَ آتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَ إِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ الأولين كسائر أولى العزم من الرسل.

٢٨ / ٢٩

٢٨- ﴿وَلُوطًا﴾ بعد ما أرسله الله ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾ بسدوم ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ﴾ المعصية ﴿الْفَاحِشَةَ﴾ حدّها و إلى الغير ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا﴾ فى ذلك الإتيان العصيان ﴿مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ أحد شخصى و جماعى.

٢٩ / ٢٩

٢٩- ﴿أَإِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَ تَقْطَعُونَ السَّبِيلَ﴾ لتأسيس العائلة و الإيلاد و سبيل الشهوة، و على الجملة سبيل الله ﴿وَأَتُونَ فِي نَادِيكُمْ﴾ مجتمعكم ﴿الْمُنْكَرَ﴾ اللواط ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتُّنَّا بِعَذَابِ اللَّهِ﴾ الموعود لنا ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ فى دعوتك، و فى إتيان العذاب تدميرهم و لات حين مناص، فصدقه بإتيان العذاب قضاء عليهم.

٣٠ / ٢٩

٣٠- ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي﴾ رسوليا و رساليا ﴿عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ﴾ سبيل الحياة، كافة النواميس الخمس: عقيدة- عقلا- نفسا- عرضا و مالا، حيث إن أصل الحياة الصالحة هى الحفاظ عليها، ثم ترقيتها، فخلافتها إفساد إياها، و لا سيما الارتجاع إلى تناكرها، إخلادا إلى أرض الحيونة و الشهوة.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤٠٠

٣١ / ٢٩

٣١- ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى﴾ العذاب ﴿قَالُوا﴾ له ﴿إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا﴾ منذ كانوا ﴿ظَالِمِينَ﴾ أنفسهم و سواهم.

٣٢ / ٢٩

٣٢- ﴿قَالَ إِنِّ فِيهَا لُوطًا﴾ فكيف يهلك أهلوها ﴿قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَ أَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ﴾ فأهله هم الآهلون فقط للنجاة ﴿كَانَتْ﴾ امرأته ﴿مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ الماكثين فى الكفر، المغبرين به.

٣٣ / ٢٩

٣٣- ﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لِلْإِهْلَاكِ﴾ لوطاً ﴿مَا عَرَفَهُمْ﴾ ف ﴿سِىَ بِهِمْ وَ ضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾: " و قال هذا يومٌ عَصِيبٌ. وَ جَاءَهُ قَوْمُهُ يَهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَ مِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ لَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ " (٧٨: ١١) ﴿وَقَالُوا لَا تَخَفْ﴾ حالا و استقبالا ﴿وَلَا تَحْزَنْ﴾ على ما سبق ﴿إِنَّا مُنْجُونَ﴾ من الهلاك بأمر الله ﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ الماكثين فى الكفر.

٣٤ / ٢٩

٣٤- ﴿إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ الظالمة أهلها ﴿رِجْزًا﴾ " قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ. لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ. مُّسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ " (٣٤: ٥١) ﴿رِجْزًا﴾ " مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ " فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ. وَ تَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ " (٣٧: ٥١) بما كانوا يفسقون" عن أمر الله.

٣٥ / ٢٩

٣٥- ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا﴾ السدوم ﴿آيَةً بَيِّنَةً﴾: " وَ إِنَّا لَنَسِيْلٌ مُّقِيمٌ " (٧٦: ١٥) وَ إِنَّا لَنَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُّصْبِحِينَ. وَ بِاللَّيْلِ أَفْلا تَعْقِلُونَ " (٣٧: ١٣٧) ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ أخذًا للحقائق من آيات الله.

٣٦ / ٢٩

٣٦- ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ أبا زوجة موسى عليهما السلام ﴿فَقَالَ﴾ قاله المرسلين أجمع ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ لا سواه ﴿وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ رجاء الحكمة و الرحمة من الله ﴿وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ﴾ سعيًا ﴿مُفْسِدِينَ﴾.

٣٧- ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ المزمجرة المدمرة ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَائِعِينَ﴾ قاعدين باركين على الأرض ميتين: "وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ" المخلفة للرجفة "فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَائِعِينَ" (١١: ٦٧).

٣٨- ﴿وَعَادًا وَثَمُودَ وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ﴾ بعض ﴿مِنْ مَسَاكِينِهِمْ﴾: "فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا" ﴿وَزَيْنَ لَّهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ إذ يحسبونها حسنة ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ سبيل الله ﴿وَالْحَالُ أَنَّهُمْ﴾ كانوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿تَغَافِلُوا عَنْ بَصَائِرِهِمْ﴾ وَجَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا وَتزيين الشيطان أعمالهم بعد استبصارهم، هو جزاء هنا وفاق بما صمدوا في الكفر صلدين صلتين، و تقابله هدى الله لمن اهتدى، ذلك هنا فضلا عن الأخرى "وَلَا يَظْلَمُونَ نَقِيرًا".

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤٠١

٣٩- ﴿وَقَارُونَ﴾ ثروة مغفلة ﴿وَفِرْعَوْنَ﴾ سلطة ظالمة مغفلة ﴿وَهَامَانَ﴾ وزارة مساعدة لهما باطلة ﴿وَالْحَالُ أَنَّهُ﴾ لَقَدْ جَاءَهُمْ ﴿جَمِيعًا﴾ موسى بـ ﴿الآيَاتِ﴾ البينات فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ ﴿وَاللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ﴾ ﴿وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ﴾ في سباق على الله و على أهل الله: "وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ" (٨: ٥٩) "وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ".

٤٠- ﴿فَكُلًّا﴾ من هؤلاء و أضرابهم ﴿أَخَذْنَا﴾ ه ﴿بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾ هم قوم لوط، و هو "حِجَارَةً مِنْ طِينٍ" (٥١: ٣٣) ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ﴾ كئود: "إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُخْتَطِرِ" (٥٤: ٣١) و كعاد: "وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَ أَخَذْتُ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَائِعِينَ" (١١: ٩٤) و منهم أصحاب ياسين: "إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ" (٣٦: ٢٩) ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ كقارون: "فَخَسَفْنَا بِهِ وَ بَدَارِهِ الْأَرْضَ" (٢٨: ٨١) ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا﴾ ه كقوم نوح: "فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ" (٢١: ٧٧) ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

٤١- ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ﴾ كما الله، في ثلوث الإلحاد و الإشرار و تولى من دون الله، دون إشرار رسمي فقط على دركاته ﴿كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ و هينا مهينا لا يقوم على ساق، بل تذروه الرياح ﴿وَأَنْ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ﴾ فيما يرى، أم و ما لا يرى ﴿لَبِيتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ﴾ مستحيلا باختيار ﴿كَأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ فيتعلمون من وهن بيته و هن الأولياء من دون الله، تكويننا أو تشريعا، اللهم إلا ولاية شرعية يأذن بها الله لأولياءه الأولين، رسلا و خلفاءهم المعصومين عليهم السلام، مهما كانت عملية العناكب لبيوتها في حد نفسها قيمة هي من خلق الله، و لكنها أمام ولاية الله، بل و كافة البيوت لا تحسب بشيء.

٤٢- ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ هو كبيت العنكبوت لا تنفعهم و لا تدفع عنهم ضرا أو تضرهم ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ على محققهم ﴿الْحَكِيمُ﴾ في إهمالهم لسحقهم: "وَأَمْلَى لَهُمْ أَنْ كِيدِي مَتِينٌ" (٧: ١٨٣)

٤٣- ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ﴾ البعيدة الأغوار، الحكيمة المدار، الهادية الأفكار ﴿نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾ لكن ﴿مَا يُعْقِلُهَا﴾ أخذها لها صالحا كما يرام ﴿إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ كما علمهم الله فطرة و عقلية أماهيم، دون الجاهلين.

٤٤- ﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ سببا و غاية و مصاحبة" ما خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَ مَا بَيْنَهُمَا لِأَعْيُنٍ. مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ" (٤٤: ٣٩) ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾.

٤٥- ﴿أَتْلُ﴾ في نفسك متابعة: "وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا. وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا" (٩١: ٢) و قراءة تعليما و تزكية ﴿مَا أَوْحَى إِلَيْكَ﴾ "يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَ يَزَكِّيهِمْ وَ يَعْلَمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ" (٣: ١٦٤) ﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾ القرآن كما كان رسالته الأصلية" وَ أَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ" (٣٧: ٩٢) و كما أن تلاوة القرآن تنهى تفصيليا عن الفحشاء و المنكر، كذلك ﴿وَ أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ فإنها صلاء نور بينك و بين الله، خارقة للظلمات" أَقِمِ" كما أمر الله ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ﴾ المقامة، دون المأتى بها قاعدة سكر أو كسلا ﴿تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَ الْمُنْكَرِ﴾ و أقله ألا تأتي بهما حالة الصلاة نفسها، و من ثم ما سواها ﴿وَ لَذِكْرُ اللَّهِ﴾ أن تذكر الله بقلبك فيقابلك، فيذكرك الله ﴿أَكْبَرُ﴾ من كل ذكر: "وَ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي" (٢٠: ١٤) "فَادْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَ أَشْكُرُوا لِي وَ لَا تَكْفُرُونَ" (٢: ١٥٢) ﴿وَ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ في صلاتكم و سواها.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤٠٢

٤٦- ﴿وَ لَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ برمتهم ﴿إِلَّا بِ﴾ الطريقة ﴿الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ الطرق في المجادلة، أن تجلبهم إلى الحق، أو توضحه لهم مهما لم يصدقوا، أم لأقل تقدير لا تبعدهم عنه ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ أن يكذبوا بالحق" وَ جَدُّوا بِهَا وَ اسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَ عُلُوًّا" فهنا النضال و القيام حيث "الْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ" (٢: ٢١٧) فإن تركتهم أحرارا، أضلوا الضعاف أحرارا ﴿وَ قُولُوا﴾ أولا و أخيرا في مختلف صور الجدل ﴿آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ قرأنا ﴿وَ أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ كتبنا قبله ﴿وَ إِلَهُنَا وَ إِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَ نَحْنُ﴾ كلنا حسب الشريعة الكتابية التوحيدية ﴿لَهُ﴾ لا لسواه ﴿مُسْلِمُونَ﴾ فالواحد متفق عليه و الثاني مختلف فيه، فنحن كلنا نؤمن كأصل بآله واحد: "قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَ لَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَ لَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ" (٣: ٦٤).

٤٧- ﴿وَ كَذَلِكَ﴾ البعيد الغور، العظيم الدور، في الهدى بالأسلوب الذي أنزلنا على من قبلك ﴿أُنْزِلْنَا إِلَيْكَ﴾ هذا ﴿الْكِتَابِ﴾ القرآن ﴿فَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَوْمِنُونَ بِهِ﴾ بطبيعة الحال الكتابية، أنسا بوحى الكتاب، فهم- إذا- أنس بوحى القرآن إذ هو أعلى من كل وحى ﴿وَ مِنْ هَؤُلَاءِ﴾ المشركين ﴿مَنْ يُّؤْمِنُ بِهِ﴾ مهما كان أبعد حجة ﴿وَ مَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا﴾ المسرودة كلها في القرآن ﴿إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾ كتيبون أم مشركون: "وَ جَدُّوا بِهَا وَ اسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَ عُلُوًّا".

٤٨- ﴿وَ﴾ كحجة للكل، كتابي و سواه ﴿مَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ﴾ القرآن ﴿مِنْ كِتَابٍ﴾ سماوى أو أرضى ﴿وَ لَا تَخْطُهُ﴾ بِمِمْبِنِكَ التي تخط بها ﴿إِذَا﴾ لو كنت تتلوا أو تخط ﴿لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ لوحى القرآن أنه من زبر الأولين، بل، و" ما كُنْتَ تَدْرِى مَا الْكِتَابُ وَ لَا الْإِيمَانُ" (٤٢: ٥٢) الجائى به الكتاب، فمهما كانت التلاوة و الكتابة من الكمالات الإنسانية، و لكنهما لهذا الرسول مدخل لإبطال وحيه، إلا أنه بعد ذلك الوحى أصبح أقرأ القراء و أكتب الكتاب، لمكان" مِنْ قَبْلِهِ".

٤٩- إن القرآن ليس من عند غير الله، و لا غير بين من الله ﴿بَلْ هُوَ آيَاتُ بَيِّنَاتٌ﴾ الدلالة على مقاصدها و ربانية نزولها ﴿فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ كأهل الكتاب إذا نظروا إليه بعين البصيرة، لأنفسهم بوحى الكتاب، و كسائر المكلفين بنفس النظر و البصر، فهم به مؤمنون، فضلا عن منازل وحيه رسولا و رسوليين ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا﴾ ككل، و لا سيما أبين الآيات ﴿إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ أنفسهم و الحق الحقيق بالتصديق.

٥٠ / ٢٩

٥٠- ﴿وَقَالُوا﴾ الناكرون و المكذبون ﴿لَوْ لَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ﴾ بصرية كما أنزلت على الرسل قبله ﴿مِنْ رَبِّهِ﴾ فكيف رباه رسولا و لم ينزل عليه آيات ألفناها ﴿قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ﴾ الرسولية ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ لا عندى حتى أنزلها لكم كما تشتبهون ﴿وَأِنَّمَا﴾ ليس إلا ﴿أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ بآيات ينزلها الله و أفضلها القرآن نفسه، فالآيات الرسولية ليست عند الرسل لا أصليا و لا تخويليا ﴿إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ و لا هم يعلمونها كذلك ﴿وَيَقُولُونَ لَوْ لَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ﴾ (١٠: ٢٠).

٥١ / ٢٩

٥١- ألم يكفهم كيانتك أنت نفسك و أفضل من سائر المرسلين إذ: ﴿قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ (٣٦: ١٦) و لم يكفهم علماء من أهل الكتاب يصدقونه ﴿أَوْ لَمْ يَكْفِهِمْ﴾ أخيرا كآية خالدة مهما لم يكن دليل آخر ﴿أَنَا أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ يتلى عليهم ﴿عَنْ سَائِرِ الْآيَاتِ الْحُسْنَى الْمُؤَقَّتَةِ﴾ على رسل الله من قبل ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

٥٢ / ٢٩

٥٢- ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيداً يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَ كَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤٠٣

٥٣ / ٢٩

٥٣- ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ الذى تعدهم ﴿وَلَوْ لَا أَجَلٌ مُسَمًّى﴾ " ما يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ " (٣٥: ٣٧) ﴿لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ﴾ عاجلا ﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً﴾ هنا أو بمغابطة الموت ﴿وَالْحَالِ﴾ الحال ﴿هُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أصله و لا إتيانه المبالغت لفقد الأسباب الظاهرة كما هم تعودوها هنا.

٥٤ / ٢٩

٥٤- ﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ﴾ الموعود ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ هنا فإنهم أنفسهم جهنم، و بعد الموت إذ هم وقودها: ﴿إِنَّكُمْ وَ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ (٢١: ٩٨).

٥٥ / ٢٩

٥٥- ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ﴾ موجبا كما غشيهم هنا موجبا ﴿مِنْ فَوْقِهِمْ وَ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ تعنيان الجهات المحيطة بهم كلها ﴿وَيَقُولُ﴾ الله لهم ﴿دُوقُوا﴾ نفس ﴿مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فإن العمل هو الجزاء بظهوره فى ملكوته، فـ " لا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ " (٣٦: ٥٤).

٥٦ / ٢٩

٥٦- ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بى ﴿إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ﴾ تسعكم فى عبادتى ﴿فَايَاي﴾ لا سوى ﴿فَاعْبُدُونِ﴾ مهاجرة من أرض تصرفون فيها عن عبادتى إلى أرض أخرى لا تصرفون: ﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ﴾ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (٣٩: ١٩).

٥٧- و إذا تخافون الموت في غير أرض الوطن هجرة إليها ف ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ أينما حصلت: " أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ " (٤: ٧٨) ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ لا سوانا، إنه هو المبدأ والمعيد، لا سواه.

٥٨- ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُؤْتِيَنَّهُمْ﴾ بواء و مكانا راحة ﴿مِنَ الْجَنَّةِ﴾ " الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ " ﴿غُرُفًا تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا﴾ الجنة و الغرف ﴿الْأَنْهَارُ﴾ حالكونهم ﴿خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ الذين لا يعرف لهم وطن عن سواه، و شغل و منحة عن سواه.

٥٩- ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ لله و في الله ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ﴾ لا سواه ﴿يَتَوَكَّلُونَ﴾ دون استغلال و لا اتكال، و إنما توكل على الله.

٦٠- و إن خفتم قتر الرزق في المهاجر ﴿وَكَايْنُ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾ بنفسها ﴿اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَ إِيَّاكُمْ﴾ و إن تحملوا أرزاقكم، ف" مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا. وَ يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ " (٣: ٦٥) ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ قاله المقتريين عند الهجرة ﴿الْعَلِيمُ﴾ بأحوالكم: " وَ مَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَ لَا فِي السَّمَاءِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَ يَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَ مُسْتَوْدَعَهَا كُلُّ فِي كِتَابٍ " (١١: ٦) فليكن الحركة و على الله البركة، و إذا تهاجر بإيمانك قضية الإيمان فالله هو الرزاق لك في مهاجر كما في أرض الوطن و أفضل " وَ مَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَ سَعَةً .. " (٤: ١٠٠).

٦١- ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ﴾ هؤلاء المقتريين عند الهجرة الإيمانية ﴿مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ﴾ اتجاها ﴿وَوَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ﴾ لمصلحة الحياة ﴿لَيَقُولَنَّ اللَّهُ﴾ لا سواه ﴿فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ يصرفون كاذبا إلى غير الله.

٦٢- ﴿اللَّهُ﴾ هو الذي ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ ه ﴿مِنْ عِبَادِهِ وَ يَقْدِرُ لَهُ﴾ كذلك ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ﴾ بسطا للرزق و قدرا و سواهما من تقدير ﴿عَلِيمٌ﴾ يدبر حسب علمه الحكيم.

٦٣- ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ " يَقْدِرُ فَاسْكَنَاهُ فِي الْأَرْضِ وَ إِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لِقَادِرُونَ " (٢٣: ١٨) ﴿فَاحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولَنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ أخذنا صحيحا للحقائق بالآيات الربانية.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤٠٤

٦٤- ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ أدنى الحياة دنوا و دناءة ﴿إِلَّا لَهْوٌ﴾ عند الكبر ﴿وَلَعِبٌ﴾ عند الصغر، مهما يلعب الكبير كما يلعبو ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾ منذ الموت ﴿لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ الحياة المتحركة حقها ﴿لَوْ﴾ مستحيلا ﴿كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ فإنما " يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ هُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ " (٣٠: ٧٠) ثم و " يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي " (٨٩: ٢٤) " اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَ لَهْوٌ وَ زِينَةٌ وَ تَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَ تَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَ الْأَوْلَادِ " (٥٧: ٢٠).

٦٥- "إِنْ فِطَرَتِ اللَّهُ النَّاسَ عَلَىهَا" هِيَ دَاعِيَةُ التَّوْحِيدِ فِي حَاقِهَا، مَهْمَا تَغَبَّرَتْ قَسْرًا بِخِلَافِهِ ﴿فَإِذَا رَكِبُوا﴾ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ أَمْ وَ الْمَلْحَدُونَ ﴿فِي الْفُلْكِ دَعَاؤُ اللَّهِ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ الطَّاعَةُ حَيْثُ انْقَطَعَتْ الْأَسْبَابُ وَ اتَّجَهَتْ الْفِطْرَةُ إِلَى نَقْطَةِ الْوَحْدَةِ مِنَ الرَّبُّوبِيَّةِ أَوْتَوْمَاتِيكِيَا ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ﴾ اللَّهُ ﴿إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ﴾ فَجْأَةً ﴿يَشْرِكُونَ﴾ بِهِ كَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي نَجَّاهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ.

٦٦ / ٢٩

٦٦- ذَلِكَ الْارْتِجَاعُ إِلَى جَاهِلِيَّةِ الْإِشْرَاقِ بِاللَّهِ ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ تَرَكَوا لِعِبَادَتِهِ ﴿وَلِيَتَمَتَّعُوا﴾ فِي الْحَيَاةِ ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ "مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَ يُجْلَى عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ" (١١: ٣٩) وَ الْإِلَامُ فِيهِمَا قَدْ تَكُونُ لَامُ الْأَمْرِ إِلَى لَامِ الْغَايَةِ، أَمْرًا مَهْدَدًا كَيَانَهُمْ بِتِلْكَ الْغَفْلَةِ الْعَامِدَةِ.

٦٧ / ٢٩

٦٧- ﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا﴾ لَهُمْ ﴿حَرَمًا آمِنًا وَ﴾ الْحَالُ أَنَّهُ ﴿يَتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَ فَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾ بَيِّنَاتٍ بِطَلَانِهِ ﴿وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ بَيِّنَاتٍ صَدَقَهَا.

٦٨ / ٢٩

٦٨- ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ أَنَّهُ أَخَذَ لِنَفْسِهِ شُرَكَاءَ أَوْ لَمْ يُوْحَ إِلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ وَ مَا أَشْبَهَ ﴿أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ﴾ تَكْذِيبًا لِلَّهِ ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى﴾ مَقَامًا ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ بِاللَّهِ افْتِرَاءً عَلَيْهِ أَوْ تَكْذِيبًا بِهِ.

٦٩ / ٢٩

٦٩- ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾ بِأَمْوَالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ وَ كُلِّ مَا لَدَيْهِمْ أَوْ يَسْطَعُونَ "وَ جَاهَدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ.." (٢٢: ٧٨) فَهِنَا دَرَجَاتٌ ثَلَاثٌ لِلْجِهَادِ الْحَقِّ "فِي اللَّهِ" فِينَا "فِي سَبِيلِ اللَّهِ" فَالْأَوَّلُ أَوْلَاهُ وَ الْآخِرُ أَدْنَاهُ وَ الْوَسْطُ هُوَ الْوَسْطُ ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ كَمَا جَاهَدُوا فِينَا ﴿وَ إِنْ اللَّهُ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ فِي جِهَادِهِمْ، وَ هَذِهِ الْهَدَايَةُ الْعَالِيَةُ هِيَ مِنْ شُؤْنِ الْمَعِيَةِ الرَّبَّانِيَّةِ الْخَاصَّةِ وَ إِلَّا فَ "هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ" (٥٧: ٤).

سورة الروم

١ / ٣٠

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ مِنَ الْحُرُوفِ التَّلْغَرَفِيَّةِ مِنَ الْكُنُوزِ الْقُرْآنِيَّةِ وَ قَدْ كَرَّرَتْ هَذِهِ سِتْ مَرَّاتٍ.

٢ / ٣٠

٢- ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ﴾ الْمَسِيحِيَّةُ مِنْ إِيرَانَ الْمَشْرُكَةِ بِدَايَةِ الْإِسْلَامِ، مِمَّا كَانَ يَضَعُفُ سَاعِدَ الْإِيمَانِ وَ مُسَاعَدَهُ بِطَبِيعَةِ الْحَالِ.

٣ / ٣٠

٣- ﴿فِي أَدْنَى الْأَرْضِ﴾ إِلَى مَكَّةِ الْمَكْرَمَةِ، وَ فِيهَا كَسْرٌ لِكِتْلَةِ التَّوْحِيدِ الْكِتَابِيِّ ﴿وَ﴾ لَكِنَهُمْ ﴿هُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سِيغْلِبُونَ﴾ عَلَى هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ.

٤ / ٣٠

٤- ﴿فِي بَضْعِ سِنِينَ﴾ هِيَ بَيْنُ ثَلَاثٍ وَ تِسْعِ سِنِينَ ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ﴾ أَنْ يَغْلِبُوا ﴿وَ مِنْ بَعْدُ﴾ إِنْ غَلَبُوا، دُونَ فَوْضَى جَزَافٍ وَ صَدْفَةِ عَمِيَاءٍ ﴿وَ يَوْمَئِذٍ يُفْرِخُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ الْمُسْلِمُونَ.

٥ / ٣٠

٥- ﴿بَصُرَ اللَّهُ﴾ للمسيحيين ﴿بَنَصْرُ﴾ الله ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ النصر فيشأه الله له ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ " وَ اللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ " ﴿الرَّحِيمُ﴾ لعباده المؤمنين على عزته، و فى هذه البشارة إشارة إلى غلب المسلمين - المغلوبين بمكة- فى بضع سنين و كما حصلت فى السنة التاسعة المدنية أن فتحت مكة المكرمة، و من قبل بحرب بدر و هما لزمان واحد تلو بعض البعض.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤٠٥

٦ / ٣٠

٦- ﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾ حيث وعده ذلك النصر ﴿لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ فإن خلفه من مخلفات الجهل أو العجز أو الخيانة و الله منها براء ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ جهلا مقصرا أو تجاهلا.

٧ / ٣٠

٧- و أكثر الناس هم على طول الخط ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا﴾ بعضا ﴿مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ دون كلها فضلا عن باطنها الحالى و ما يستقبلون ﴿وَالْحَالُ أَنْ﴾ ﴿هُمْ عَنْ﴾ الحياة ﴿الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ فمن أبصر إلى الدنيا أعمته و من أبصر بها بصرتة.

٨ / ٣٠

٨- ألم يتفكروا فى الآفاق ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ أنه ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ و هم منها ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ مصاحبة و غاية و سببا ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ عنده لهما كليهما إذ تنفطران و تندثران عن بكرتهما ﴿وَأِنْ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ﴾ و هم النسناس ﴿بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ هنا معرفيا و عبوديا و فى الأخرى بإضافة الجزاء و الحساب ﴿لَكَافِرُونَ﴾ كفرا أو كفرانا.

٩ / ٣٠

٩- ألم يتفكروا فى الآفاق حولهم و فى أنفسهم و هى أقرب شىء إليهم ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ سيرا تأريخيا جغرافيا و جغرافيا تأريخيا، و أفضله فى أرض العرض القرآنى السامى ﴿فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ إذ كفروا بقاء ربهم، و قد كانوا أشد منهم قُوَّةً و آثاروا الأرض ﴿بظاهر الحياة الدنيا، إثارة الزرع و العمار و ما أشبه﴾ ﴿وَعَمَرُوهَا﴾ هؤلاء القدامى ﴿أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾ أولاء الجدد ﴿وَالْحَالُ أَنَّهُمْ﴾ ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْآيَاتِ﴾ ﴿الْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ فإنما يحتاج إلى الظلم الضعيف، و كما يعجل من يخاف الفوت ﴿وَلَكِنْ﴾ هم ﴿كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ فلا أن الله يظلم و لا يظلم، فهم الظالمون أنفسهم دون الله.

١٠ / ٣٠

١٠- ﴿ثُمَّ كَانَ﴾ حياة ﴿عَاقِبَةً﴾ لـ ﴿الَّذِينَ آسَأُوا السُّؤَى﴾ مؤثت الأسوء: " وَ لَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ " جزاء الأسوء بالأسوأ ﴿أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَ كَانُوا﴾ فى الحياة الدنيا ﴿بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ﴾.

١١ / ٣٠

١١- ﴿اللَّهُ﴾ لا سواه ﴿يَبْدُوهُ الْخَلْقُ﴾ كله على طول الخط ﴿ثُمَّ﴾ بعد مضى الحياة الدنيا و البرزخية ﴿يَعِيدُهُ﴾ خلقكم و خلق سائر الخلق، فكما يموت الإنسان يموت الكون كله " إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ " إذ هم أحياء فى البرزخ ﴿ثُمَّ﴾ بعد الإعادة فى قيامتها ﴿إِلَيْهِ﴾ لا سواه ﴿تُرْجَعُونَ﴾ للحساب و الجزاء، كما بدعوا منه، و الإعادة هى أهون من البدء بطبيعة الحال مهما كانا عند الله سواء.

١٢ / ٣٠

١٢- ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾ برزخية و بأخرى الآخرة ﴿يُبْلِسُ﴾ إبلاسا متحيرا، فى كل ما يناسب إبلاسا برزخيا، ثم أخرويا هو تمام الإبلاسا ﴿الْمُجْرِمُونَ﴾ الذين قطعوا ثمرات الحياة قبل إيناعها فهم خاسرون.

١٣ / ٣٠

١٣- ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفْعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ﴾ هناك، إذ عرف أمرها بعد تجاهلهم.

١٤ / ٣٠

١٤- ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾ بمرحلتها ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾ على باطلهم تماما، تفرقا فيما بينهم و عن الصالحين: "وَأَمَّا يَوْمَ الْيَوْمِ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ" (٣٦: ٥٩) "الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ" (٤٣: ٦٧).

١٥ / ٣٠

١٥- و من تفرقهم عن الصالحين: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ لإيمانهم دونما استحقاق عقوبة ﴿فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ﴾ من رياض الجنة ﴿يَحْبُرُونَ﴾ من الحبر و هو الأثر المستحسن، أو تظهر لهم حبار نعيمهم من كل ملاذ المحللة لهم ف" لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ" (٤٤: ٣٢).

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤٠٦

١٦ / ٣٠

١٦- ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ كفرا بالله أو كفرانا بنعم الله ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ﴾ الله في الحياة ﴿الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾.

١٧ / ٣٠

١٧- ﴿ف﴾ سبّحوا ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ﴾ تنزيها عما لا يليق به ﴿حِينَ تُمْسُونَ﴾ عصرا في صلاته "قَبْلَ الْغُرُوبِ" (٥٠: ٣٩) ﴿وَحِينَ تَصْبِحُونَ﴾ هي "قُرْآنَ الْفَجْرِ" (١٧: ٧٨) إلى ما "قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ" (٢٠: ١٣٠) لا قبل رؤية قرصها

١٨ / ٣٠

١٨- ﴿و﴾ الحال أن ﴿لَهُ الْحَمْدُ﴾ تسبيحا ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ بكافة أوقاتها آفاقيا و أنفسيا ﴿و﴾ سبحان الله ﴿عَشِيًّا﴾ تضم فرضي الليل منذ المغرب حتى "غَسَقَ اللَّيْلِ" (١٧: ٧٨) ﴿وَحِينَ تَظْهَرُونَ﴾ و هي بداية "لِدُلُوكِ الشَّمْسِ" فقد تشمل الآية الفرائض الخمس المفصلة في سائر القرآن.

١٩ / ٣٠

١٩- و ذلك السبحان و الحمد في الكون إذ ﴿يَخْرِجُ الْحَيَّ﴾ أيَا كان ﴿مِنَ الْمَيِّتِ وَ يَخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ أيَا كان نباتيا و حيوانيا و إنسانيا و ما أشبه ﴿وَيَحْيِ الْأَرْضَ﴾ ككل ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ بإنزال الماء فتحيا ﴿وَكَذَلِكَ﴾ الإحياء كسنة دائمة أنتم ﴿تُخْرِجُونَ﴾ لحياة الحساب و الجزاء.

٢٠ / ٣٠

٢٠- ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ الربانية ﴿أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ منذ آدم الأول و إلى أنساله ﴿ثُمَّ﴾ بعد ذلك الخلق بحياة التكليف ﴿إِذَا﴾ فجأة ﴿أَنْتُمْ بَشَرٌ﴾ كالأول ﴿تَنْتَشِرُونَ﴾ من ترابكم الأول.

٢١ / ٣٠

٢١- ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ الرحيمية ﴿أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ لكل ذكر و أنثى ﴿أَزْوَاجًا﴾ قرينا في حيوية مزدوجة، فللذكر الأنثى و للأنثى الذكر ﴿لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾ كل إلى زوجه دون اختصاص للذكر أو الأنثى ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً﴾ كزوجين في البداية ﴿وَرَحْمَةً﴾ بعد الولادة، هي رحمة زائدة على مودة ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ الجعل الرحيم ﴿لآيَاتٍ﴾ دالات على ربانيته ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيها.

٢٢- ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: "وَمِنْ الْأَرْضِ مِثْلُهُنَّ" (١٢: ٦٥) ﴿وَإِخْتِلَافُ السِّنِينَ وَالْوَأْنِ﴾ في مختلف مناكب الأرض ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ الخلق و الإختلاف ﴿لآيَاتٍ﴾ دلالات على التصميم القاصد الحكيم ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ إنسا و جنا و ملائكة و من أشبهه، و الكل راجع إلى تراب، و إلى مادة أولية عبر عنها به "الماء" و كَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ" (١١: ٧).

٢٣- ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ على كامل ربوبيته في كافة النشآت ﴿مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ بالليل و النهار، مهما كان الأصل في الليل السكن و في النهار النشور ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المنام و ابتغاء الفضل ﴿لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُسْمِعُونَ﴾ الحقائق، فالنوم أخ الموت، دليلا متوصلا يدل عليه، مهما اختلفا في درجات الموت.

٢٤- ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ أنه ﴿يُرِيكُمْ الْبَرْقَ﴾ من السماء ﴿خَوْفًا﴾ أنه صاعقة تحرق ﴿وَوَطْمَعًا﴾ أنه بشارة للإمطار فأنتم تعيشون به بين الخوف و الرجاء ﴿وَيَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ على طول الخط، من الأبخرة الأرضية الصاعدة إلى مصاعدها ﴿فَيَحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ كله ﴿لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ أخذا للحقائق المرمية، و منها أنه سوف يحييكم كما يحيى الأرض بعد موتها.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤٠٧

٢٥- ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ و هما الخلق كله، قياما في الحيوية الحاضرة ﴿بِأَمْرِهِ﴾ "أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ" (٧: ٥٤): "وَيَمْسِكُ السَّمَاءُ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ" (٢٢: ٦٥) "رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا" (١٣: ٢) فثمَّ عمد و لكن لا ترونها ﴿ثُمَّ﴾ بعد خرابهما بأمره الثاني ﴿إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً﴾ محيية ﴿مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾: "و إِذَا بُعِثَ مَا فِي الْقُبُورِ" (١٠٠: ٩) و هنا "مِنَ الْأَرْضِ" تتعلق به "تَخْرُجُونَ" و بضمه "دَعَاكُمْ دَعْوَةً" هي "مِنَ الْأَرْضِ" ثُمَّ نَفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ" (٣٩: ٦٨).

٢٦- ﴿وَلَهُ﴾ ملكا و ملكا ﴿مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ و هما الكون كله حيث يضمنان - بأخرى - ما فيهما ﴿كُلُّ لَهُ﴾ لا لسواه ﴿قَانِتُونَ﴾ خاضعون ككل كونيا دون تخلف و تقلت عن أمره، مهما تخلف جمع عن قنوت له باختيارهم.

٢٧- ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ﴾ على طول الخط ﴿ثُمَّ﴾ بعد إفناؤه ﴿يَعِيدُهُ﴾ كما بدء: "كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ" (٢١: ١٠٤) ﴿وَالْحَالُ أَنْ﴾ الخلق المعاد للمعاد ﴿أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ من بدئه، لو كان عنده هين و أهون كما عداه ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ﴾ الذي يمثله كآية تدل عليه ﴿الْأَعْلَى﴾ من كل آية لكل ذى آية ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ الغالب على كل شيء ﴿الْحَكِيمُ﴾ على عزته: "وَلِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" (١٦: ٦٠).

٢٨- ﴿ضَرَبَ﴾ الله ﴿لَكُمْ﴾ لصالحكم في حقل التوحيد ﴿مَثَلًا مِّنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ و هي أنفسكم لكي تكون نبراسا لما سواكم ﴿هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ عبدا أو أمة أو مالا أو منالا، و قد ملكتموها بأيمانكم ﴿مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ و هي كل ما ملكت أيمانكم ﴿فَأَنْتُمْ﴾ إذا ﴿فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ﴾ تصرفا فيه غصبا ﴿كَخِيفَتَكُمْ أَنْفُسُكُمْ﴾ أن تتلفوا أو يتلف ما ملكت

أيمانكم ﴿كَذَلِكَ﴾ البين المبين ﴿تُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾ آفاقية و أنفسية ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ فكيف تشركون بالله خلقا له تملكه يمين الله ملكية و مالكية، و أين ملك من ملك!.

٢٩ / ٣٠

٢٩- ﴿بَلْ﴾ لا سواء هنا لك و إنما ﴿اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أنفسهم و الحق ﴿أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ فى ذلك الإلتباع، و إنما جهلا تقليديا ﴿فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ﴾ هـ ﴿اللَّهُ﴾ بما ضل: "فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ" ﴿وَمَا لَهُمْ﴾ هؤلاء الظالمين ﴿مِنْ نَاصِرِينَ﴾ كانوا يظنونهم ناصرين.

٣٠ / ٣٠

٣٠- إذا فأمام كافة العراقيلى حىال التوحيد الحق ﴿فَاقِمْ وَجْهَكَ﴾ ما تواجه به الحق و يواجه بالحق ﴿لِلدِّينِ﴾ الطاعة الحقّة ﴿حَنِيفًا﴾ معرضا عما يخالفه، أعنى من "وَجْهَكَ" ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ﴾ ككل ﴿عَلَيْهَا﴾ فقد أمرنا هنا أن نقيم وجه الفطرة إلى الحق المرام، و يا له مراما ما أقربه إلى الحق، عصمة خلقية لا حول عنها أبدا، و هذه الآية تفسير آية الذرية: "وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنَى آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَ أَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى .." (٧: ١٧٢) ﴿لَا تَبْدِيلَ﴾ أبدا ﴿لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ و هو هنا فطرة الله، فقد تغير بغيره و لكنها لا تبدل إلى غيرها ﴿ذَلِكَ﴾ المتوجه إليه بوجه الفطرة هو ﴿الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ و لكن أكثر الناس لا يعلمون ﴿جهلا أو تجاهلا مقصرا، و قد تظهر الفطرة فى حكمها توحيدا عند الاضطراب، مما يدل على ثابت حكمها عند الإختيار و الاضطراب، فلا مفلت عن حكمها أبدا، و الحكم لله الواحد القهار.

٣١ / ٣٠

٣١- "أقم" خطابا لكل فرد فرد، يجمع الكل ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ بتوبات متتاليات إلى الله مما أظلم بينكم و بين الله من غشاوات ﴿وَأَتَّقُوهُ﴾ لا سواء، من الاتجاه إلى غيره ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ لله ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ بالله.

٣٢ / ٣٠

٣٢- ﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَ كَانُوا شِيعًا﴾ متفرقة ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤٠٨

٣٣ / ٣٠

٣٣- و من مظاهر الأحكام الفطرية ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ﴾ لا مدفع عنه ﴿دَعَا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ مما عصوا ﴿ثُمَّ إِذَا أَذَقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا﴾ فجأة ﴿فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يَشْكُرُونَ﴾ غيره، كأنه هو الذى أذاقهم رحمة دونه.

٣٤ / ٣٠

٣٤- و ذلك ﴿لِيَكْفُرُوا﴾ كفرانا و كفرا ﴿بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ من رحمة، و يقال لهم إذا ﴿فَتَمَتَّعُوا﴾ من نعمتى تبديلا لها إلى نعمة و نعمة كانوا فيها فاكهين" (٤٤: ٢٧) ﴿فَسَوْفَ﴾ بعد الموت ثم القيامة ﴿تَعْلَمُونَ﴾: "ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ. ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ" (١٠٢: ٨).

٣٥ / ٣٠

٣٥- أ تدل فطرتهم أو عقولهم أو شرعة الله إلى إشراكهم بالله ﴿أَمْ أَنْزَلْنَاهُمْ عَلَيْهِمْ﴾ خاصا خلاف كل شرعة ربانية ﴿سُلْطَانًا﴾ و برهانا سلطويا ﴿فَهُوَ﴾ ذلك السلطان ﴿يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يَشْكُرُونَ﴾.

٣٦ / ٣٠

٣٦- ﴿وَإِذَا أَدْفَنَّا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا﴾ كأنها من حقهم، و هم خلاف الناس الأولين، فالرحمة بعد الرحمة هي مجال الإشراك، و هي بصورة عادية محالّ الفرح و المرح ﴿وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ أنفسهم ﴿إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ من رحمة الله: "وَإِنَّا إِذَا أَدْفَنَّا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ" (٤٢: ٤٨).

٣٧ / ٣٠

٣٧- ألم يروا إلى آياتنا في الآفاق و في أنفسهم ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ رزقا فيشاءه الله كما يرى ﴿وَ يَقْدِرُ﴾ على من يشاء الله، خلاف المساعي المبذولة هنا و هناك، فمن كادح قدر عليه، و من غيره مبسوطا له، فهناك قدرة حكيمة وراء القدرات، بيدها كافة المقدرات، مهما ليس للمساعي بطلان ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ البسط و القدر ﴿آيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ بالله.

٣٨ / ٣٠

٣٨- ﴿قَاتِ﴾ يا رسول الهدى كمنزل أولّ لذلك الوحي ﴿ذَا الْقُرْبَى﴾ صاحب النسبة القربى رساليا و نسبيا و مصاهرة ﴿حَقَّهُ﴾ و هم في المرحلة الأولى على و فاطمة عليهما السلام و من ثم سائر الأئمة المعصومين (ع) و أحق الحق هنا هو الحق الرسالي من خلافة العصمة لعلى عليه السلام و عصمة لفاطمة عليها السلام بأمر الله ثم بقية الأئمة الاثنى عشر عليهم السلام ﴿وَالْمُسْكِينِ﴾ الذى أسكنه العدم عن ضرورات حيوية ﴿وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾ و هي سبيل الله، أو بصورة عامة السبل غير الممنوعة ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ﴾ بوجههم و اتجاهها إليه، و خلافه شر ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ عقبات الحياة و عرقلاتها هنا و في الأخرى: "وَأَتِذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمُسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا" (١٧: ٢٦).

٣٩ / ٣٠

٣٩- ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبًّا﴾ زائدة في المال عن الحق ﴿لِيَرْبُؤَا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ﴾ الذين يأخذونها ﴿فَلَا يَرْبُؤَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ بل هو بائد دون عائد ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ﴾ بها ﴿وَجْهَ اللَّهِ﴾ فقط دون غير وجهه أو وجه غيره رياء الناس ﴿فَأُولَئِكَ﴾ الأكارم ﴿هُمُ الْمُضْغِفُونَ﴾ أموالهم عند الله، و زلفاهم لدى الله.

٤٠ / ٣٠

٤٠- ﴿اللَّهُ﴾ هو ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ﴾ أن هداكم إلى ما تحتاجون إليه من قوة و مال و حال ﴿ثُمَّ﴾ بعد ما عمرتم "ما يتذكر فيه من تذكر" (٣٥: ٣٧) ﴿يَمِيتُكُمْ﴾ عن الحياة الدنيا إلى الحياة البرزخية ﴿ثُمَّ يَحْيِيكُمْ﴾ للحياة الآخرة بعد ما يميئكم في البرزخ: "وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ" (٣٩: ٦٨) ﴿هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ﴾ أحد ﴿مَنْ يَفْعَلُ﴾ بعضا ﴿مِنْ ذَلِكَ مِنْ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى﴾ عن الحاجة إلى غيره ﴿عَمَّا يَشْرُكُونَ﴾ به.

٤١ / ٣٠

٤١- ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ و من إفساد "ظَهَرَ" ﴿لِيَذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ ثم الكل راجع إلى ما بعد الموت ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ بذلك الفساد الناتج عن أعمالهم ﴿يَرْجِعُونَ﴾ إلى الله عما أفسدوا.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤٠٩

٤٢ / ٣٠

٤٢- ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ تاريخيا و جغرافيا ﴿فَانظُرُوا﴾ بسيركم نظريا ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ﴾ الحياة الدنيا لـ ﴿الَّذِينَ﴾ كانوا ﴿مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ﴾ فذاقوا و بال أمرهم الإمر.

٤٣ / ٣٠

٤٣- ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ﴾ و هو "فِطَرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا" ﴿لِلدِّينِ الْقِيمِ﴾ القويم القائم حتى القيامة الكبرى ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ أن يرد عنهم العذاب أو يردهم إلى حياة التكليف ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدَعُونَ﴾ يفرقون و يتمزقون.

٤٤ / ٣٠

٤٤- ﴿مَنْ كَفَرَ﴾ بالله ﴿فَعَلَيْهِ﴾ لا سواه ﴿كُفْرُهُ﴾ لازما معه إلى يوم الحساب ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا﴾ على ضوء إيمان صالح ﴿فَلَا نَفْسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ مهاد الحياة و لا سيما فى الأخرى.

٤٥ / ٣٠

٤٥- "يَمْهَدُونَ" ﴿لِيَجْزِيَ﴾ الله ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ﴾ "إِذْ وَ يَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ" (٤: ١٧٣) "عطاءً غيرَ مَجْذُودٍ" ﴿إِنَّهُ لَا يَحِبُّ﴾ بل يبغيض ﴿الْكَافِرِينَ﴾ كفرانا و كفرا، و الأفراد فى "عليه" يلمح لتبعية الكفر الفردية، و الجمع فى "يَمْهَدُونَ" المهاد الجمعى للمؤمنين، فإن أولاد المؤمنين الصغار معهم فى مهدهم مع صغار الكفار فإنهم من الناجين مع المؤمنين.

٤٦ / ٣٠

٤٦- ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يَرْسِلَ الرِّيحَ﴾ الحاملة لمياه من السحاب المسحوبة ﴿مُبَشِّرَاتٍ﴾ برحمته ﴿وَلِيَذِيقَكُمْ﴾ بها ﴿مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ ماء و بردا ﴿وَلِتَجْرِى﴾ بها ﴿الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَ لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ تهوية و تبردا بها ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الله بهذه النعم الموهوبة فتعبدوه.

٤٧ / ٣٠

٤٧- هناك رياح جسمية تبشركم و هنا- و أخرى منها- روحية ﴿وَلَقَدْ﴾ بتحقيق و تطويق ﴿أَرْسَلْنَا﴾ بجمعية الصفات الرحيمية ﴿مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ﴾ دون أقوامهم، لأن "هذه أمتكم أمة واحدة و أنا ربكم فأعبدون" (٢١: ٩٢) ﴿فَجَاؤُهُمْ﴾ من قبلنا ﴿بِ﴾ الآيات ﴿الْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ قطعاً لثمرات الحياة قبل إيناعها ﴿وَ كَانَ حَقًّا عَلَيْنَا﴾ على طول خط الرسالات ﴿نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ف: "إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَ الَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ" (١١: ١٨).

٤٨ / ٣٠

٤٨- و إرسال الرسل بالبينات من ﴿اللَّهُ الَّذِي يَرْسِلُ الرِّيحَ﴾ مبشرات فكيف لا يرسل الرسل مبشرين ﴿فَتَثِيرُ﴾ تَقْلَع ﴿سَحَابًا﴾ تسحب من الأبخرة المائية الأرضية ﴿فَيَسْطُطُ﴾ السحاب ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ الجو الأرضى ﴿كَيْفَ يَشَاءُ﴾ قدرا و زمانا و مكانا ﴿وَ يَجْعَلُهُ كِسْفًا﴾ قطعاً ركاماً فوق بعض البعض ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ﴾ بداية المطر ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ السحاب ﴿فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ و كذلك أمطار الرسالات من مسحوبات أرضية، فإنهم بشر يصطفيهم الله من بيننا فكيف لا نستبشر بهم.

٤٩ / ٣٠

٤٩- ﴿وَ إِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يَنْزَلَ عَلَيْهِمُ الْوَدْقَ﴾ مِنْ قَبْلِهِ إرسال الرياح ﴿لِمُبْلِسِينَ﴾ آيسين، إذ طال الأمد كما فى الفترة الرسولية بين إدريس و نوح و بين المسيح و محمد عليهم السلام.

٥٠ / ٣٠

٥٠- ﴿فَانْظُرْ﴾ أيها الناظر و أهدق البصر فى النظر ﴿إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ المتواترة ﴿كَيْفَ يَحْيِ الْأَرْضُ﴾ بالإنبات ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ بمختلف الفصول ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ المحيى المميت متواترا ﴿لِمُحْيِ الْمَوْتَى﴾ يوم القيامة ﴿وَ﴾ الحال أنه ﴿هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ لا يحجزه حاجز، و لا يعجزه معجز، فانه أمامه عاجز.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤١٠

٥١ / ٣٠

٥١- ﴿وَلَيْنُ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا﴾ يصفر به الزرع يَجِ فِيهَا صِرٌ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ (٣: ١١٧) ﴿لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ﴾ هذا الريح ﴿يَكْفُرُونَ﴾ كفرا أو كفرانا.

٥٢ / ٣٠

٥٢- ﴿فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى﴾ فى قلوبهم "خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَ عَلَى سَمْعِهِمْ وَ عَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً" (٢: ٧) ﴿وَلَا تَسْمَعُ الصُّمُّ﴾ فى آذان قلوبهم ﴿الدُّعَاءُ﴾ و لا سيما ﴿إِذَا وَلَوْ مُدْبِرِينَ﴾ حتى لا يسمعو فيعوا، كما الصم عن آذانهم البشرية.

٥٣ / ٣٠

٥٣- ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعُمَى﴾ إيصالا إلى الهدى توفيقا ﴿عَنْ ضَلَالَتِهِمْ﴾ العامدة ﴿إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُوْمِنُ﴾ فى طريق الإيمان ﴿بِآيَاتِنَا فَهُمْ﴾ إذا ﴿مُسْلِمُونَ﴾ لله "إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ" (٢٨: ٥٦).

٥٤ / ٣٠

٥٤- ﴿اللَّهُ﴾ هو ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ﴾ هو المنى إذ يمنى على ضعف ﴿ثُمَّ﴾ بعد فترة بمضى حالات جنينية ﴿جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ﴾ عله بعد الضعف الأول ﴿قُوَّةً﴾ و استقلالية فى تمشية الحياة ﴿ثُمَّ﴾ بعد ربح من الزمن لحد الأربعين و ما بعده ﴿جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَ شَيْبَةً﴾ و هذه الأطوار هى من حكمته الربانية ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ من ضعف و قوة و سواهما ﴿وَ هُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ و كذلك ضعف الموت الأول، ثم قوة الحياة ثم ضعفها بالموت عن الدنيا ثم قوتها بالإعادة يوم المعاد.

٥٥ / ٣٠

٥٥- ﴿وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ﴾ بالله ﴿الْمُجْرِمُونَ﴾ فى شرعة الله ﴿مَا لَيْثُوا﴾ برزخا و أولى ﴿غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ﴾ الإفك ﴿كَانُوا﴾ فى حياة التكليف ﴿يُؤْفَكُونَ﴾ صرفا عن وجه الحق إلى الباطل، فى الأولى، و هنا يعتذرون بقلة اللبث فى دور التكليف.

٥٦ / ٣٠

٥٦- ﴿وَ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَ الْإِيمَانَ﴾ كَلَّا ﴿لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ الذى كتب عليكم ﴿إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ﴾ عن قبوركم ﴿وَ لَكِنِّكُمْ كُنْتُمْ﴾ فى حياة التكليف ﴿لَا تَعْلَمُونَ﴾ تقصيرا، لا الحياة البرزخية و لا الساعة، و لا ما يقدم لهما.

٥٧ / ٣٠

٥٧- ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ الحق و ظلموا أنفسهم و أهل الحق ﴿مَعْذِرَتُهُمْ﴾ فإنها غير عاذرة ﴿وَ لَا هُمْ يَسْتَعْتَبُونَ﴾ أن يطلب منهم العتبي، كأنهم جماد لا يشعرون، و حتى لو شعروا فهم مهانون بترك العتبي، لأنها تخفف عن عذابهم نفسيا.

٥٨ / ٣٠

٥٨- ﴿وَ لَقَدْ﴾ بتحقيق حقيق ﴿ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ﴾ و سائر المكلفين ﴿فِي هَذَا الْقُرْآنِ﴾ من قرائين الوحي ﴿مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ يمثل لهم الحق ﴿وَ لَيْنُ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ﴾ تثبت الحق ﴿لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾ الحق، إذ لم يأنسوا بآيته الخالدة.

٥٩ / ٣٠

٥٩- ﴿كَذَلِكَ﴾ البعيد البعيد ﴿يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الحق تجاهلا عامدا: "فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ" كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ" (٤٠: ٣٥)

٦٠ / ٣٠

٦٠- ﴿فَاصْبِرْ﴾ يا رسول الهدى على لغطهم و غلطهم ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بحقهم ﴿حَقٌّ﴾ يأتي يومه ﴿وَلَا يَسْتَخِفُّكَ﴾ عن الحق تزلزلا فيه و انصرافا عن تحقيقه ﴿الَّذِينَ لَا يوقِنُونَ﴾ صبرا أمام كافة العراقيل، حفاظا على صامد الإيمان و الدعوة، لا قبولاً للظلم و الضمير.

سورة لقمان

١ / ٣١

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ هى من المكررات الست فى سور ست، مفتاحا من مفاتيح كنوز القرآن.

٢ / ٣١

٢- ﴿تِلْكَ﴾ الحروف المقطعة، كمفاتيح، و" تِلْكَ" الآيات المفصلات ما نزلت و ما تنزل، هى ﴿آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ عند الله دون تفصيل: " وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلَى حَكِيمٌ" (٤٣: ٤) و كما هو حكيم فى تفصيله "كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ" (١١: ١).

٣ / ٣١

٣- ﴿هُدًى﴾ إلى ما يرام فى شرعة الله ﴿وَرَحْمَةً﴾ من الله، لعلهما معنيان، فإنه بنفسه آية و كتاب شرعة ﴿لِلْمُحْسِنِينَ﴾ علما و عملا.

٤ / ٣١

٤- ﴿الَّذِينَ يَقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ كما و كيفا ظاهرا و باطنا ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ ما يزيكهم و يزيكى المحاويج فى مال و حال ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ فهم فى طريق الإيقان بعد الاطمئنان، فشكهم - إذا - شك مقدس.

٥ / ٣١

٥- ﴿أُولَئِكَ﴾ الأكارم هم مسيطرون ﴿عَلَى هُدًى﴾ غالية ﴿مِنْ رَبِّهِمْ﴾ إيمانا و عملا بالقرآن ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ فى كافة النشاطات إذ يشقون العوائق فى طريق الهدى.

٦ / ٣١

٦- و بجانب آخر يجانبهم ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ بعضا كثيرا ﴿مَنْ يَشْتَرِ لَهُوَ الْحَدِيثَ﴾ بمال أو وقت و على أية حال، كل ما حدث مما يلهمى عن ذكر الله أو يبطئ عنه ﴿لِيُضِلَّ﴾ نفسه و الآخرين ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ على العميا عامدا متجاهلا ﴿وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ كما أهانوا الله بسبيله، و أهانوا أهل الله، و هذه أنحس دركات لهو الحديث، و كل لهو محرم فى شرعة الله، فمن لهو يلهمى إعراضا عن الله أو يدفع إلى محرم، ففسق، و ذلك الثالث السالوس كله "لهو" مهما اختلفت دركاتها، دون تقيد بما فيه أكل باطل، فإنه - إذا - باطل على باطل.

٧ / ٣١

٧- ﴿وَإِذَا تُلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا﴾ بينات ﴿وَلَّى﴾ مدبرا ﴿مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾ و هو سامعها ﴿كَأَن فِي أُذُنِهِ قِرَاءٌ﴾ و هما مفتوحتان ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ كما يؤلم أهل الحق و يولى عن الحق.

٨ / ٣١

٨- ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالله ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ للإيمان بالله ﴿لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾.

٩ / ٣١

٩- حالكونهم ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ دون انقطاع عطاء غير مجذوذ أنظر و راع ﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾ حالكونه ﴿حَقًّا﴾ لا حول عنه، كما تنظر وعده و تنتظر حقا ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

١٠ / ٣١

١٠- ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ﴾ بعد ما خلق الأرض: "ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ.." (٤١: ١١) ﴿بَغَيْرِ عَمَدٍ تَرْوُونَهَا﴾ فثمَّ عمد و لكن لا ترونها، و منها القوة الجاذبية العامة، و فوقها قدرة الله التي تدير شئون الكون أجمع ﴿وَ أَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾ أوتادا مَوْتَدَةً فيها، عن ﴿أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾ بدورانها: و وتَد بالصحور ميدان أرضه ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ﴾ فوقها و تحتها و على سطحها ﴿وَ أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ و لم يكن للأرض ماء إلا في باطن منها لا يكفيها ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ دابة و سواها.

١١ / ٣١

١١- ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ﴾ و كما ترون و تصدقون ﴿فَأَرْوِي مَا ذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ و أنتم تشركونهم به، و ليس هنا برهان على إشراكهم به ﴿بَلِ الظَّالِمُونَ﴾ أنفسهم و الحق هم ﴿فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ حيث يبين نفسه ضلالا دون ستار. البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤١٢

١٢ / ٣١

١٢- ﴿وَلَقَدْ﴾ بتحقيق ﴿آتَيْنَا﴾ بجمعية الصفات الربانية ﴿لِقُفْمَانَ الْحِكْمَةِ﴾ تخلف: ﴿أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ﴾ بكل كيانتك لأنه الله ﴿وَمَنْ يَشْكُرْ﴾ لله ﴿فَإِنَّمَا يَشْكُرُ﴾ ه ﴿لِنَفْسِهِ﴾ إذ لا يحتاج الله إلى شكره ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ بالله كفر أو كفرانا ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَنِي حَمِيدٌ﴾ عن العالمين، شاكرين و كافرين و عل هذه الحكمة عصمة دون رسالة، فالحكمة هي من عطيات ربانية لكافة المرسلين.

١٣ / ٣١

١٣- ﴿وَ﴾ اذكر من عداد حكمته الشاكرة لله ﴿إِذْ قَالَ لِقْمَانُ لِابْنِهِ وَ﴾ الحال ﴿هُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ﴾ شيئا و لا أحدا ﴿بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ لا يغفر بعد الموت: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَ يَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ" (٤: ٤٨) لأنه تسوية لخلق الله بالله بل و تفضيل له في العبودية على الله: "تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ. إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ" (٢٦: ٩٨) فضلا عن يفضل غيره عليه في عبودية.

١٤ / ٣١

١٤- و كما الإنسان موسى بولده، كذلك ﴿وَ وَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾ حكمة شاكرة بالنسبة لهما، و أهمها الدعوة إلى الله، إذ ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ﴾ و هنا في حملة و وهنا في وضعه، و من الثاني أن ﴿وَ فَصَّالَهُ﴾ عن الرضاعة هو ﴿فِي عَامِينَ﴾ مما يدل على أن الوالدة أرحم من الوالد و أحق بتلك الوصية ﴿أَنْ اشْكُرْ لِي﴾ أن حملت والديك على إنعامك ﴿وَ لِوَالِدَيْكَ﴾ بعد ما تشكر لي ﴿إِلَى﴾ لا سواي ﴿الْمَصِيرُ﴾ ككل، لا إلى والديك أو سواهما.

١٥ / ٣١

١٥- و لذلك ﴿وَ إِنْ جَاهَدَاكَ﴾ جهدهما ﴿عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ جهلا في ذلك الإشراك ﴿فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ فقط دون إهانة، سواء أ كان إشراكا في عبادة أو طاعة، من مفروضة إلى راجحه، و من مرفوضة إلى مرجوحه، بل ﴿وَ صَاحِبُهُمَا﴾ في الدنيا معروفاً ﴿بَيْنَ الْوَلَدِ وَ الْوَالِدِينَ﴾ و اخفص لهما جناح الذل من الرحمة (١٧: ٢٤) و إن ضرباك ﴿وَ اتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ﴾ إلى ﴿فقط، دون اتباع لهما فيما يخالف سبيلي إشراكا أو عصيانا﴾ ثم ﴿بعد الحياة الدنيا﴾ إلى ﴿لا سواي﴾ مرجعكم ﴿فَأَنْبِتْكُمْ﴾ علما و جزاء ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ و "هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ".

١٦ / ٣١

١٦- ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا﴾ الطاعة في الإشراك بالله فضلا عن نفس الإشراك به ﴿إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ﴾ كأصغر ما يعرفه كل إنسان ﴿فَتَكُنْ فِي﴾ جوف ﴿صَخْرَةٍ﴾ خفية ﴿أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ﴾ خفية ﴿يَأْتِ بِهَا اللَّهُ﴾ يوم الساعة "إِنَّا كُنَّا

نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ" (٤٥: ٢٩) "يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا" (٣: ٣٠) ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ﴾ فى كل جلى و خفى ﴿خَبِيرٌ﴾ به، فهو الذى يأتى بكل طاعة فى الإشراف به.

١٧ / ٣١

١٧- ﴿يَا بَنَى أَقِيمِ الصَّلَاةَ﴾ دون إتيان بها فقط ﴿وَأْمُرْ﴾ التارك لمعروف ﴿بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ﴾ المقترف لمنكر ﴿عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾ فى سبيل الأمر و النهى، مما يدل عدم إشراف الأمن من الضرر، إلا إذا كان أضر من ترك الأمر و النهى ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ الذى أمرناك به و منه الأمر و النهى على صبر هو ﴿مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ و ثباتها، فلا بد للأمر و النهى من عزم على أمرهما و ثبات فيهما.

١٨ / ٣١

١٨- و لا تتكبر ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ و الصعر داء يصيب الإبل فتلوى أعناقها، فلا تلو عنقك عن النظر إلى الناس استكبارا ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ و هو كثرة الفرح بمنال أو مال "إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَ لَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طَوْلًا" (١٧: ٣٧) ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَحِبُّ﴾ بل يبغض ﴿كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ باستكبار.

١٩ / ٣١

١٩- ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ اعتدالا فيه و فى كل مشية حيوية دون إفراط أو تفريط ﴿وَأَغْضُضْ﴾ كسرا ﴿مِنْ صَوْتِكَ﴾ حتى لا يزعج السامعين، ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ لأنها عالية تخرق الأسماع.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤١٣

٢٠ / ٣١

٢٠- ﴿أَلَمْ تَرَوْا﴾ أيها الرءون و أصحاب الراى و النظر ﴿أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ﴾ لصالحكم دون عمل منكم و بعمل، مما يشى إلى إمكانية الاستفادة من ﴿مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ككل ﴿وَأَسْبَغَ﴾ توفيرا تاما ﴿عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ﴾ فيهما ﴿ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ مادية و نفسية، آفاقية و أنفسية ﴿وَمِنَ النَّاسِ﴾ بعضا هم النسناس ﴿مَنْ يَجَادِلُ فِي اللَّهِ﴾ خلاف كونه و كيانه ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ فى نفسه يهديه ﴿وَلَا هُدًى﴾ من رسول أو خلق من الله ﴿وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ من الله ينير الدرب على السالكين إلى الله، دون خطأ، و لا بد لجدل حسن واحدة من هذه الثلاث، بين أنفسية و آفاقية.

٢١ / ٣١

٢١- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ رسوليا أو رساليا ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ فطرية أو عقلية أو رسولية ﴿قَالُوا﴾ لا ﴿بَلْ تَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ المشركين، و من آباءهم موحدون مهما كانوا قلة ﴿أُفٍّ﴾ يتبعونهم ﴿وَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ﴾ المتبوع لهم ﴿يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ نار شديدة التأجج.

٢٢ / ٣١

٢٢- ﴿وَمَنْ يَسْلَمْ وَجْهَهُ﴾ بكل وجوهه ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ لا سواه ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ فى إسلامه إذ يعمل صالحا لإسلامه ﴿فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ " فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَ لَا هُمْ يَحْزَنُونَ" (٢: ١١٢) ﴿وَوَيْلٌ لِلَّذِينَ﴾ لا سواه ﴿عَاقِبَةُ﴾ حياة عاقبة لـ ﴿الْأُمُورِ﴾ ككل ف "إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ".

٢٣ / ٣١

٢٣- ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ كفرا أو كفرا ﴿فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ﴾ "وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا" (٨: ٥٩) إذ لا يضر بكفره ربّه، و"فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ" و ﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ لا إليك ﴿فَنُنَبِّئُهُمْ﴾ علميا و عمليا ﴿بِمَا عَمِلُوا﴾ و "هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ" ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾ لا يجهل ﴿بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ "فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى" (٢٠: ٧).

٢٤ / ٣١

٢٤- ﴿نُمتّعُهُمْ قَلِيلًا﴾ و كل متاع الدنيا بجنب الآخرة قليل ﴿ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ﴾ نमितهم ثم نبعثهم ﴿إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ قدموه لأنفسهم "جزاء وفاقاً".

٢٥ / ٣١

٢٥- ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمُ﴾ المشركين بالله ﴿مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ﴾ دون تشكك ﴿اللَّهُ﴾ لا سواه ﴿قُلْ﴾ إذا ﴿الْحَمْدُ﴾ كله ﴿لِلَّهِ﴾ و منه العبودية الخالصة ﴿بَلْ﴾ هم لا يحمدون الله و ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الحق مقصرين، و إنما يقلدون عميانا، و أقلهم يعلمون و لكنهم يتجاهلون: "وَجَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا".

٢٦ / ٣١

٢٦- ﴿لِلَّهِ﴾ ملكا و ملكا ﴿مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ و هما الكون كله، فإلى م يحتاج حتى يتخذ لنفسه شريكا أو يتخذ له ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عن كل شيء ﴿الْحَمِيدُ﴾ عند كل شيء.

٢٧ / ٣١

٢٧- ﴿وَلَوْ﴾ مستحيلا في الحكمة الربانية ﴿أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ﴾ هذه، و علّما كل الأرضين السبع ﴿مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ﴾ للكتابة مهما كثرت ﴿وَالْبَحْرِ﴾ ككل أرضيا و سماويا ﴿يُمِدُّهُ﴾ نفسه ﴿مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ مثله، مثلا للكثرة، و أخذ الكتاب كلهم يكتبون بهذه الأقلام بمدادها كلمات الله، بأعمارهم الطويلة ﴿مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾ و لأن هذه الكلمات المكتوبة الدالة على كلمات الله هي أيضا من كلمات الله ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ غالب ﴿حَكِيمٌ﴾ في عزته: "قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا" (١٨: ١٠٩).

٢٨ / ٣١

٢٨- ﴿مَا خَلَقْكُمْ﴾ الأول ﴿وَلَا بَعَثْكُمْ﴾ من موتكم ﴿إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ بل بعثكم "هُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ" (٣٠: ٢٧) ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ ما يتقولون ﴿بَصِيرٌ﴾ بما يعملون، مما يفرض عليه بعثكم بعد موتكم.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤١٤

٢٩ / ٣١

٢٩- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾ قصرا من الليل و تطويلا للنهار ﴿وَوَلَّجَ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ كذلك العكس ﴿يُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ﴾ لذلك الإيلاج المكرر و ما أشبهه من فائدة ﴿وَالْقَمَرَ﴾ للتدليل على الأيام، "لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ" (١٠: ٥) ﴿كُلُّ يَجْرِى﴾ جريه في فلكه ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ مكرور ما طلعا و غربا، حتى الأجل الأخير حيث "جُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ" ﴿وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ ضمن ذلك الإيلاج و التسخير و الجرى ﴿خَبِيرٌ﴾ فهلا يقدر ذلك الخبير القدير على إيلاج الموت في الحى و إيلاج الحياة في الميت جريا إلى أجل مسمى.

٣٠ / ٣١

٣٠- ﴿ذَلِكَ﴾ العمل الجبار ﴿بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ كله: نفسه بأعماله ﴿وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ من آلهة ﴿الْبَاطِلِ﴾ كله ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾.

٣١- ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ أيها الرائي ﴿أَنَّ الْفُلْكَ﴾ سطح البحرية و تحت البحرية ﴿تَجْرَى فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ﴾ رياحا أو بترولا أو كهرياء و ما أشبهه، حيث الكل هي نعمة الله، كما أن الطاقة الإنسانية ككل هي من نعمة الله ﴿لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ﴾ الدالة عليه ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ الجرى ﴿لآيَاتٍ﴾ ربانية، من رقة الماء و حمله الفلك الكثيفة و ما أشبهه في ذلك الجرى ﴿لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ لنعمة الله.

٣٢- ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ﴾ في البحر ﴿كَالظُّلُلِ﴾ السحب السوداء الحاملة لعذاب ﴿دَعَا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ حيث انقطعت كافة الأسباب التي كانوا يتعلقون بها، إلا ما تكشف عنه الفطرة ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ﴾ برحمته ﴿فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ﴾ بعضا، انتباها بوحدة الربوبية ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ﴾ غدار ﴿كَفُورٍ﴾ كفرا و كفرانا.

٣٣- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ حيث رباكم بما يعرفكم إياه ﴿وَ أَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزَى﴾ و يكفي ﴿وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَ لَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا﴾ إلا الإيمان و العمل الصالح ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ بحياة بعد موت، و جزاء بما عمل عدلا و فضلا، دون أن يجزى أى أحد عن أى أحد ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ أن تبصروا إليها دون أن تبصروا بها ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ من الجنة و الناس أجمعين.

٣٤- ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ في بعض التعريف به علما و قدرة ﴿عِنْدَهُ﴾ لا سواه ﴿عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ تماما مما يخلف قدرته التامة على إنشاءها كما أنشأ الخلق الأول ﴿وَ يَنْزِلُ الْغَيْثَ﴾ قدرة فعلا تاما في إنزاله، فلا ينافى علما ما لنا بنزول له، و هي الشاملة لكافة الكرات النازل عليها، قدرة تامة تستلزم علما تاما، و أما الغيوت الصناعية فليست هي من "الغيث" الشامل النازل بمجرد الإرادة الربانية ﴿وَ يَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ إنسا و جنا و حيوانا و نباتا و جمادا، علما شاملا منذ المنى إلى النقطة الجرثومية إلى كل ما في الأرحام و إلى أشكالها و طبائعها و أعمارها و أشغالها، فليس العلم الناقص بنوعية الجنين ذكورة و أنوثة من ذلك العلم الشامل، المستلزم للقدرة الشاملة ﴿وَ مَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ ككل نفسيا و جسميا، و هو من العلم بما في الأرحام كمستقبلها ﴿وَ مَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ﴾ خاصة ﴿تَمُوتُ﴾ مهما درت أنها بأية منطقة أو قرية أو أرض واسعة تموت كالمعصومين عليهم السلام و سائر المكرمين ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ لا سواه هو ﴿عَلِيمٌ﴾ دون جهل ﴿خَبِيرٌ﴾ دون غفلة علما خبرويا بما يحتاجه كل شيء كما يعلم كل شيء.

سورة السجدة

١ / ٣٢

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ هذه من الحروف الرمزية المكررة ست مرات.

٢ / ٣٢

٢- ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ القرآن ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ إذ لم يكن يعلمه الرسول "ما كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ" (١١: ٤٩) فلا ريب فيه أنه ﴿مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ حيث نجد فيه ربوبية التنزيل، و"الكتاب" هنا هو المحكم النازل عليه ليلة القدر، ثم نزل عليه تفصيلاً: "كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ" (١١: ١).

٣ / ٣٢

٣- أ يقولون هو من عند نفسه، أو يصدقونه وحياً ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ على الله ﴿بَلْ هُوَ الْحَقُّ﴾ كله المنزل ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾: "لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ" (٤: ١٦٦) ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا﴾ كخطوة أولى ﴿مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ في الفترة الرسولية بين المسيح و محمد عليهما السلام ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾: "لِتُنذِرَ قَوْمًا مَا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ" (٣٦: ٦) و تُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لَذًا" (٩٧: ٩).

٤ / ٣٢

٤- ﴿اللَّهُ﴾ الذي ربك و نزل عليك الكتاب هو ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ و هي الكون كله ﴿فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أوقات مهما تختلف أقدارا و كما فصلت في فصلت ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ الربوبى "أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ" (٧: ٥٤) لذلك ﴿مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ يلى أمركم ﴿وَلَا شَفِيعَ﴾ يشفع لكم، فإن له العرش الحكم ولاية و شفاعة، لا سواه ﴿فَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ عدم انقسام بين الخلق و الربوبية.

٥ / ٣٢

٥- ﴿يَدَّبَّرُ﴾ منذ خلق و استوى على العرش ﴿الْأَمْرُ﴾ ربوبيا ﴿مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ و هما الكون كله، فلا يخلوا كائن عن تدبيره. ﴿ثُمَّ يُعْرِجُ إِلَيْهِ الْأَمْرُ﴾ فى يومٍ زمان ﴿كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ هنا "وَأَنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ" (٢٢: ٤٧) و هو كـ(٣٥٥٠٠٠) ضعفا بالنسبة ليوم عندنا.

٦ / ٣٢

٦- ﴿ذَلِكَ﴾ الله العظيم هو ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ على سواء فلا غيب أمامه ﴿الْعَزِيزُ﴾ الغالب على أمره ﴿الرَّحِيمُ﴾ بعباده.

٧ / ٣٢

٧- ﴿الَّذِي أَحْسَنَ﴾ حسب الحكمة الربانية ﴿كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ هو، لا ما اختلقه خلق منه، فلا تجد فى الخلق كخلقه إلا الأحسن ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ﴾ روحا و جسما ﴿مِنْ طِينٍ﴾ فقد "أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ" و أحسنه "ثُمَّ هَدَى" و لا سيما الإنسان إذ هو مخلوق فى أحسن تقويم، خلق الإنسان الأول مباشرة من طين دون تطور من جنس آخر.

٨ / ٣٢

٨- ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ﴾ بينه و بين زوجه المخلوق منه ﴿مِنْ سُلَالَةٍ﴾ خلاصة ﴿مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾ فسلالته هي النطفة الجرثومية التى تتحول إلى جنين.

٩- ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ﴾ إلى علقه إلى مضغة إلى عظام و إلى كسو العظام لحما ﴿وَنَفَخَ﴾ إذا ﴿فِيهِ مِنْ رُوحِهِ﴾ الذى أنشأه منه "ثم أنشأناه خلقاً آخرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ" (٢٣: ١٤) فـ "روحه" يعنى روحاً متميزاً مما خلقه، لا- و عوداً بالله- من نفسه، إذ لا جسم له و لا روح ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَ الْأَبْصَارَ﴾ كوسيلتى التلقى من الآفاق ﴿وَالْأَفْئِدَةَ﴾ أنفسيا حيث تتلقى من الفطرة و العقلية السليمة كما تتلقى من عقليات السمع و البصر ﴿فَلْيَلْأ مَا تَشْكُرُونَ﴾ الله على هذه النعم.

١٠- ﴿وَقَالُوا﴾ منكرون للنشر ﴿أَ إِذَا ضَلَلْنَا﴾ روحاً و جسماً ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ أن نصبح رميماً و رفاتا ﴿أَ إِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ لأبداننا، و رجع أرواحنا إليها، و ليس ذلك الاستبعاد برهانا يقضى على براهين المعاد ﴿بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ الذى رباهم بفطرة المعرفة الربانية و عقليتها ﴿كَافِرُونَ﴾.

١١- ﴿قُلْ﴾ لهؤلاء الشاكين ﴿يَتَوَفَّكُمُ﴾ أخذاً و افياً لا يضل منكم شىء ﴿مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ لإماتة التوفية ﴿ثُمَّ﴾ بعد البرزخ ﴿إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤١٦

١٢- ﴿وَلَوْ﴾ رجا لك ﴿تَرَى﴾ كما سوف ترى ﴿إِذَا الْمُجْرِمُونَ﴾ كهؤلاء الأنكاد ﴿نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ﴾ طائأة فى ذل و انكسار ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ حين إليه يرجعون، قائلين ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا﴾ الحق الآن ﴿وَوَسْمَعْنَا﴾ ه، كأنهم لم يبصروه و يسمعه من قبل: "و قالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير. فَأَعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقاً لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ" (٦٧: ١٩) ﴿فَارْجِعْنَا﴾ إلى حياة التكليف ﴿نَعْمَلْ صَالِحاً﴾ بإيمان صالح، مما يدل على أن الإيمان بمجرده لا يكفى ﴿إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ الآن "و لو" مستحيلاً فى الحكمة الربانية "ردوا" كما يسترجون "لعادوا لما نهوا عنه و إنهم لكاذبون" (٦: ٢٨) "و هم يضطربون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذى كنا نعمل أ و لم نعملكم ما يتذكر فيه من تذكر و جاءكم النذير فدوقوا فما للظالمين من نصير" (٣٥: ٣٧).

١٣- ﴿وَلَوْ﴾ مستحيلاً فى الحكمة الربانية ﴿شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ﴾ بنفسها ﴿هُدَاهَا﴾ دون أن يطلبها أو يتركها، تسييراً دون تخيير ﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ ملاً للعذاب على المقصرين، قضية سقوطهم فى الابتلاء "و لو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعاً" (١٠: ٩٠) و قد يعنى "أجمعين" هنا مألوردها: "إِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا. ثُمَّ نُنْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَ نَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا" (١٩: ٧١) فورد الصالحين هو غير ورد الصالحين، و كذلك يوم الدنيا ابتلاء للفرقيين، أو أن "أجمعين" هم المجرمون فقط "لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَ مِمَّنْ تَبَعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ" (٣٨: ٨٥) كل محتتمل و الجمع أجمل.

١٤- ﴿فَدُوقُوا﴾ الآن ﴿بِمَا نَسِيتُمْ﴾ عامدين ﴿لِقَاءِ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ فتركتهم ما يتوجب عليكم ﴿إِنَّا نَسِينَاكُمْ﴾ كما نسيتمونا ﴿وَدُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ﴾ ما دامت النار ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ بنسيانكم ذلك اللقاء.

١٥- ﴿إِنَّمَا﴾ ليس إلا ﴿يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ من هو فى طريق الإيمان، تفتيشا عنه، أو تذكرها به إذ يصنعى و لا يعرض ﴿الَّذِينَ إِذَا دُكِّرُوا بِهَا﴾ تذكيرا بينا يقنع، حيث يتذكرون الأحكام الفطرية و العقلية رباطا وثيقا بالشرعة الربانية ﴿خَرُّوا﴾ على الأرض تخضعا ﴿سُجَّدًا﴾ لله ﴿وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ إذ تذكروه ﴿وَهُمْ﴾ أولاء الأكارم ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ أمام ربهم، و السجدة هنا هى غاية التخضع لله، سجودا واجبا عند تلاوة آياته كهذه، أم كيفما كان، و منه واجب الاستماع للقرآن كأقل مدارج السجود ظاهريا.

١٦ / ٣٢

١٦- ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ لقيامهم فى صلاتهم و هو من سجودهم و غاية خضوعهم، حال أنهم على كل حال ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا﴾ عما قصرُوا أو قصرُوا ﴿وَوَطَمَعًا﴾ فى رحمته و غفرانه ﴿وَهُمْ﴾ هم ﴿مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ حالا و مالا على أية حال ﴿يُنْفِقُونَ﴾ لله و فى سبيل الله.

١٧ / ٣٢

١٧- ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ﴾ سالحة ﴿مَا أُخْفِيَ لَهُمْ﴾ ماضيا من ملكوت صالحاتهم، مما يدل على أن "قُرَّةَ أَعْيُنٍ" هى كائنة معها خفية ثم تظهر فى الأخرى ﴿مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ الصالحين، دون كل نفس فقط لنفسها ﴿جَزَاءً﴾ هى ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ باطنا و ظاهرا.

١٨ / ٣٢

١٨- ﴿أَفَلَا﴾ بعد ذلك ﴿فَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا﴾ قبل موته ﴿كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا﴾ قبله، فى الجزاء يوم الجزاء؟ كلاً بل ﴿لَا يَسْتَوُونَ﴾ عند الله، فإنها تسوية ظالمة.

١٩ / ٣٢

١٩- و من عدم استواءهم ﴿أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالله ﴿وَعَمِلُوا﴾ جميع ﴿الصَّالِحَاتِ﴾ لإيمانهم ﴿فَلَهُمْ﴾ لا سواهم ﴿جَنَّاتُ الْمَأْوَى﴾ السكن الدائم بعد البرزخية الموقته ﴿نُزُلًا﴾ ضيفا نازلين فيها ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ يوم التكليف.

٢٠ / ٣٢

٢٠- ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا﴾ عن الإيمان و عمل الصالحات ﴿فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ﴾ فى دار القرار ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا﴾ إلى الجنة أو إلى مكان ثالث فرارا عن النار ﴿أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤١٧

٢١ / ٣٢

٢١- ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ﴾ هؤلاء المكذبين ﴿مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى﴾ بعضا، و هذه الأدنى هى فى الدنيا، دونما هى فى الرجعة أو الاستيصال، لمكان ﴿دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عن غيهم، إذ لا رجوع بعد عذاب الاستيصال، كما لا رجوع فى يوم الرجعة لمن بعث فيه مكذبا، و كذا البرزخ بينهما إلا الرجعة.

٣٢ / ٣٢

٢٢- و أما الذين لا يرجعون بالعذاب الأدنى ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ دُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ﴾ بعذاب و سواه من مذكر ﴿ثُمَّ﴾ بدل أن يتجه إليها ﴿أَعْرَضَ عَنْهَا﴾ نظرا إليها: و جحدوا بها و استيقنتها أنفسهم ظلماً و علواً ف ﴿إِنَّا﴾ بجمعية القدرات الربانية ﴿مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾ "جزاء وفاقاً".

٣٣ / ٣٢

٢٣- ﴿وَلَقَدْ﴾ بتأكيدين ﴿آتَيْنَا﴾ بجمعية الصفات الربانية ﴿مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة، و هنا تشابه بين الرسولين و الكتابين مهما كانا درجات ﴿فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ﴾ حيث يزيلان تلك المرية من لقاءه المعرفى هنا و فى الأخرى معرفة علميا و حسابا ﴿وَجَعَلْنَا هُدًى لِبَنَى إِسْرَائِيلَ﴾ كرأس زوايا الهداية ثم للعالمين.

٢٤ / ٣٢

٢٤- ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ﴾ أولاء المهديين ﴿أئمة﴾ رسلا يؤمنون الناس ﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ تكوينيا و شرعيا، مما يدل على أن جعل الإمامة إنما هى من الله ﴿لَمَّا صَبَرُوا﴾ على مسير الإيمان و مصيره ﴿وَكَانُوا﴾ على طول خط حياة التكليف ﴿بِآيَاتِنَا﴾ كلها ﴿يُوقِنُونَ﴾.

٢٥ / ٣٢

٢٥- ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ الذى رباك بقمة التربية الرسولية ﴿هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾ يوم الفصل ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ فيما كانوا فيه يختلِفون ﴿أَنْ خَالَفُوا الْحَقَّ أَوْ اخْتَلَفُوا فِيهِ، فَصَلَ الْحَكْمَ وَ الْحِسَابَ وَ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى، وَ فَصَلَ الْمَعْرِفَةَ لِسَائِرِ الْمُكَلِّفِينَ.

٢٦ / ٣٢

٢٦- ألم يهد لهم المرسلون ﴿أَوْ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ أن ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أولاء الكفار ﴿مِنَ الْقُرُونِ﴾ الخالية كما يقوله التاريخ ﴿يَمْشُونَ﴾ الكفار الحاليون ﴿فِي مَسَاكِينِهِمْ﴾ هؤلاء الماضين: "وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَ تَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَ ضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ" (١٤: ٤٥) "فَتِلْكَ مَسَاكِينُهُمْ لَمْ تَسْكُنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا" (٢٨: ٥٨) ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ العظيم الهدى، البعيد المدى ﴿لآيَاتٍ﴾ ربانية ﴿أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ بعد إلى هذه البينات.

٢٧ / ٣٢

٢٧- ألم يروا الرسل و إهلاكات ﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا﴾ بعد ﴿أَنَا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾ الخاوية عن النبات لعدم الماء ﴿فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَ أَنْفُسُهُمْ﴾ إحياء لميت الأرض ﴿أَفَلَا يَبْصُرُونَ﴾ إلى ذلك الإحياء المتواتر، فيتبصروا إلى الحياة الأخرى ليأكلوا فيها ما ادخروه لها.

٢٨ / ٣٢

٢٨- ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ﴾ "يَوْمَ الْفَتْحِ" ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ويكأن العلم بمتاه شرط للعلم بأصله صدقا فهل أنت كاذب فى أنك مولود و لا تدري متى ولدت، أم هل تكذب أن بيتك مبنية و لا تعلم متى بنى؟.

٢٩ / ٣٢

٢٩- لذلك فلا جواب عن هذا السؤال المتعنت إلا ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ به ﴿إِيمَانُهُمْ﴾ عنده إذ عرفوا متاه ﴿وَ لَا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾ إمهالا أن يؤخر حتى يبقى لهم مجال إيمان، إضافة إلى أن الإيمان عند رؤية البأس لا ينفع "فَلَمْ يَكُنْ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَاسَنَا. سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَ خَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ" (٤٠: ٨٥).

٣٠ / ٣٢

٣٠- و لما وصلت حالتهم المتصلبة على الكفر إلى هذا الحد من النكران ﴿فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ﴾: دعهم لمصيرهم المنتظر ﴿وَ أَنْتَظِرْ﴾ إياه ﴿إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ﴾ يوم الفتح حيث لا ينفعهم، انتظارا واقعيا مهما لم يعتدوه إذ هو ينتظرهم، أم اقتراحيا كما يتقولون.

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ يا أيها النبى ﴿نبوتك و هى الرفعة بين الرسل رسالة و شخصية ﴿اتَّقِ اللَّهَ﴾ فى كل ما يتقى الله بقمته، كما تناسب قمة النبوة، و تلك تقوى سلبية: ﴿وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ﴾ إن غروك أنهم يؤمنون لو تركت آلهتهم ﴿وَالْمُنَافِقِينَ﴾ فى نفاقهم و نحن نعرفهم لك ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بأحوالهم و بحالك و فعالك ﴿حَكِيمًا﴾ فيما يحكم، مما يشير إلى خطورة موقفه (ص) منهم، و أنه على محتده لو أطاعهم فيما يعدونه من إيمان لكان طاغيا فى نبوته، فلا يعفى أحد عن طغواه، سماحا فى ترك تقواه.

٢- و تقوى إيجابية ﴿وَاتَّبِعْ مَا يوحى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ و حيا ربانيا بأعلى قممه لخاتم النبيين (ص) فلا تتبع غير وحيه، مهما كان من عقليتك العظمى أو الشورى معها، فـ "ما ينطق عن الهوى. إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحى" (٥٣: ٣) إذ تشمل تلك الهوى غير ما يوحى إليه مطلقا ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ أنت و سواك من المكلفين ﴿خَبِيرًا﴾ بصيرا دون أى خطأ، و لكن غيره تعالى - و حتى أنت يا محمد- قد يخطأ دون وحي.

٣- ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ بكل جهدك و إمكانيتك، مع ما تبذل من طاقتك، فى نبوتك العظمى ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ دون سائر الوكالات مهما علت و عظمت، حتى العقلية المحمدية العظمى، توكلأ حتى فى "اتَّقِ اللَّهَ .. و لَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ .. وَاتَّبِعْ" عصمة رسولية عظمى مع عصمة ربانية عظمى، نور على نور.

٤- ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ﴾ و لا سواه من أصحاب القلوب ﴿مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ فيحب الله بقلب و يحب غيره بآخر، و كما لم يجعل لرجل من أميين حقيقتين: ﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ فلهن ما لأمهاتكم من أحكام، اللهم إلا "أُمَّهَاتِكُمُ اللَّائِي أَرْضَعْنَكُمْ" (٤: ٢٣) فحرمة الزواج معهن و هن محارم أو "وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ" (٣٣: ٦) فى الأولى فقط، فضلا عن أزواجكم المظاهرات مطلقا، فلا حظ لهن فى الأمومة أبدا ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ﴾ إذ لا صلة بينهم و بينكم حتى بالرضاعة من أزواجكم، اللهم إلا محرمية الأمومة بينهن و بين المرتضع منهن ﴿ذَلِكَ﴾ البعيد عن حق و جعل ربانى، هو ﴿قَوْلُكُمْ بِأَفْوَهِكُمْ﴾ إذ ليس وراءه تكوين و لا تشريع بحق بنوتهم هؤلاء و أمومة المظاهرات ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ﴾ كله دون نقصان، فلا حق لغيره أن يزيد عليه أن ينقص منه ﴿وَهُوَ﴾ لا سواه ﴿يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ التى يحق سلوكها للسالكين إلى الله.

٥- ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ﴾ بعثا لهم إليهم، أم لأقل تقدير دعوة لهم دون أن تدعوهم لكم أنفسكم ﴿هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ لو كانت لكم قسطا و ليست ﴿فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ﴾ بعد تفتيش عنهم ﴿ف﴾ هم - إذا - ﴿إِخوانكم فى الدين﴾ لا أبناءكم ﴿وَمَوَالِيكُمْ﴾ ولاية إيمانية إن كانوا أحرارا، أم و رقية إن كانوا أرقاء ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ﴾ معهم من ظاهر دعوتهم لكم، إذ "يَغْفِرُ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ" ﴿وَلَكِنْ﴾ هنا جناح ﴿مَا تَعَمَّدَتْ﴾ به ﴿قُلُوبُكُمْ﴾ اعتبارا أنهم فى الحق أبناءكم ﴿وَمَا﴾ كان الله غفورا رحيمًا ﴿فِيمَا مَضَى﴾.

٦- ﴿النَّبِيُّ﴾ لنبوته، فضلا عن أصل رسالته ﴿أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ حيث هم أولياء أنفسهم، لأنه لا يخطأ و هم يخطئون، و هو لا يعصى و هم يعصون، و هو يعلم صالحهم بالوحى و هم لا يعلمون، ولاية مطلقة شرعية، لا تكوينية و لا تشريعية، فإنها من اختصاصات الربوبية ﴿وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ تلحيفا باللاتى ولدنهم فى حرمة زواجهن " و لا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا دون محرميتهن ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أُولِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤١٩

٧ / ٣٣

٧- ﴿وَ﴾ اذكر يا محمد ﴿إِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ﴾ دونما استثناء لمكان الجمع المحلى باللام، و هم من لهم رفعة بين المرسلين، و قد أنزل عليهم كتب الوحى ﴿مِيثَاقَهُمْ﴾ فى حقل النبوة ﴿وَمِنْكَ﴾ و أنت آخرهم مبعثا، و لأنك أولهم ميثاقا و أولاهم نبوة تذكر قبل الكل ﴿وَمِنْ نُوحٍ وَ إِبْرَاهِيمَ وَ مُوسَىٰ وَ عِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ وَ أَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ و هم أولوا العزم منهم أجمع و كما فى آيات أخرى ك: "شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَ الَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَ مَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَ مُوسَىٰ وَ عِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَ لَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ .." (٤٢: ١٣) و هناك "ميثاقهم" تعنى ميثاقا يخصهم، و منه أن يؤمنوا بمحمد (ص): "وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَ حِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَ لَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَ أَقْرَرْتُمْ وَ أَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي .." (٣: ٨١) و لشمول الميثاق هناك محمدا معهم، فميثاق آخر معه يشمله "وَ أَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا" أغلظ من كافة المواثيق من سائر الرسل، كما للخمسة أكثر من سائر النبيين.

٨ / ٣٣

٨- "أَخَذْنَا" بجمعية الصفات الربانية فى حقل النبوة ﴿لَيْسَ لَكَ﴾ الله ﴿الصَّادِقِينَ﴾ نبيين و مرسلين و غيرهم على درجات صدقهم، رسلا و مرسلا إليهم ﴿عَنْ صِدْقِهِمْ وَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ﴾ كفرا ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ " فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَ لَنَسْئَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ " (٧: ٦).

٩ / ٣٣

٩- هنا تسعة عشر آية تتحدث عن غزوة الأحزاب ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ لإيمانكم السليم ﴿إِذْ جَاءَتْكُمْ﴾ و أنتم فى المدينة ﴿جُنُودٌ﴾ كافرة ﴿فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا﴾ يطردهم إذ أغبرهم ﴿وَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا﴾ و هم رأوها فخافوا ﴿وَ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾.

١٠ / ٣٣

١٠- "نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ" ﴿إِذْ جَاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ﴾ شرقيا و هم اليهود قريبين إليكم ﴿وَ مِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ و هم المشركون من مكة جانبا غربيا، و بهذه التكتيكة المحيطة الحربية سيطروا عليكم فجأة فجيرة ﴿وَ إِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ﴾ لكم إذ رأيتم هذه الحيطة الخطرة، ثم ﴿وَ بَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾ تعبيرا عبيرا عن بلوغ أرواحهم إلى حناجرهم قرب الموت خوفا من هذه الفجأة ﴿وَ﴾ بالنتيجة ﴿تَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ غير الصالحة للإيمان، إذ كان ذلك امتحانا شديدا غير مديد.

١١ / ٣٣

١١- ف ﴿هَٰذَا لِكَيْ تَبْلَىٰ الْمُؤْمِنُونَ﴾ بهذه البلية الصعبة الملتوية ﴿وَ زَلَّوْا﴾ عن ثابت إيمانهم و اطمئنانهم ﴿زَلْزَالًا شَدِيدًا﴾ ما أشده.

١٢ / ٣٣

١٢- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ﴾ الرسمىون ﴿وَ﴾ غيرهم من ﴿الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ رغم إسلامهم "وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ" (٤٩: ١٤) أو إيمانهم الخليط بشوب التشكك "إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ" (٤٩: ٨) إذ ﴿مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ حيث نرى ما نراه من محاصرة كافرة رغم وعد النصر لنا.

١٣ / ٣٣

١٣- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ﴾ المنافقين ﴿يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ﴾ أمام هجمة الأعداء، فعليكم النزوح عنها فرارا دون قرار ﴿فَارْجِعُوا﴾ إليها لتفروا مع أهليكم ﴿وَ﴾ يَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ﴾ ليرجعوا ﴿يَقُولُونَ إِنَّ بَيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ نخاف أن يهاجم عليها من الأعداء ﴿وَ﴾ الحال أنه ﴿مَا هِيَ بِعَوْرَةٍ﴾ بل هم العورة ﴿إِنْ يَرِيدُونَ﴾ بذلك الاستئذان ﴿إِلَّا فِرَارًا﴾ عن المعركة.

١٤ / ٣٣

١٤- ﴿وَ﴾ لَوْ﴾ مستحيلا كما وعد الله ﴿دَخَلْتُ عَلَيْهِمْ﴾ أولاء المرضى ﴿مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ﴾ الحربية معهم ضد المسلمين، مع فتنة الكفر أن يجاهروا به ﴿لَاتَوْهَا﴾ حبوا سراعا تاركين بيوتهم العورة ﴿وَ﴾ مَا تَلَبَّثُوا فِيهَا إِلَّا بَيْسِرًا﴾ ليعدوا عدتهم و عدتهم ضد المسلمين.

١٥ / ٣٣

١٥- ﴿وَ﴾ لَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ﴾ الحرب أن ﴿لَا يُولُونِ الْأَدْبَارَ﴾ عنها ﴿وَ﴾ كَانَ عَهْدُ اللَّهِ﴾ الذي عاهدوه ﴿مَسْئُولًا﴾ لا يسامح عنه.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤٢٠

١٦ / ٣٣

١٦- ﴿قُلْ﴾ لهؤلاء المنافقين و معهم سائر من في قلوبهم مرض ﴿لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ﴾ عن الحرب المفروضة ﴿إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ﴾:

" أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ " (٤: ٧٨) ﴿وَ﴾ إِذَا﴾ إذ فررتم ﴿لَا تَمْتَعُونَ﴾ في هذه الأدنى ﴿إِلَّا﴾ قَلِيلًا﴾ من متاع الدنيا، فإن كثيره قليل فضلا عن قليله.

١٧ / ٣٣

١٧- ﴿قُلْ﴾ لهؤلاء المرضى ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنْ﴾ بأس ﴿اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ﴾ بفراركم ﴿سُوءًا أَوْ﴾ عكسه إن ﴿أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ " وَ إِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضْرٍ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَ إِنْ يَرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ .. " (٦: ١٠٧) ﴿وَ﴾ لَا يَجِدُونَ لَهُمْ﴾ أولئك المنافقون ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أيا كان ﴿وَلِيَا﴾ يلي أمرهم ﴿وَ﴾ لَا نَصِيرًا﴾ ينصرهم.

١٨ / ٣٣

١٨- ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ﴾ معرفة محققة ﴿الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ﴾ للحرب، منافقين و الذين في قلوبهم مرض ﴿وَ﴾ الْقَائِلِينَ﴾ منهم ﴿لِإِخْوَانِهِمْ﴾ نظراءهم ﴿هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾ لنجمع جمعنا في فرار دون قرار، و لنكسر قوات المسلمين ﴿وَ﴾ لَا يَأْتُونَ الْبَاسَ﴾ حربا و سواه ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ منهم و قليلا ما لبأس.

١٩ / ٣٣

١٩- حالكونهم ﴿أَشْحَةً عَلَيْكُمْ﴾ بخلاء عليكم نفسا و نفيسا ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ﴾ من بأس ﴿رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ يا محمد كقائد القوات الرسولية ﴿تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ﴾ في غشيتهم إلى جو القتال خائفين ﴿كَالَّذِي يَغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ متشبثا بكل

حشيش ﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ﴾ ضربوكم طعنا ﴿بِالسِّنَةِ حِدَادٍ﴾ شداد، بعد ما لم يكونوا إلا خرسا من الخوف "سَلَقُوكُمْ" لما ذا نجتهم و لم تقتلوا أو تغتالوا ﴿أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ﴾ المنافقون ﴿لَمْ يُؤْمِنُوا﴾ مما يلحق بخروج من له إيمان هنا مهما تنزل، و كذلك من أسلموا و لما يؤمنوا ﴿فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ﴾ الصالحة فى ظواهرها ﴿وَكَانَ﴾ دوما ﴿ذَلِكَ﴾ الإحباط ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾.

٢٠ / ٣٣

٢٠- ﴿يَحْسِبُونَ﴾ هؤلاء المنافقون الزاحفون من الحرب ﴿الْأَحْزَابَ﴾ المهاجمة ﴿لَمْ يَذْهَبُوا﴾ إلى الوراء منهزمين ﴿وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ﴾ راجعين إلى الهجوم ﴿يُودُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ﴾ ظاهرون، غيايا عن كلا الحرب و أهليهم ﴿فِي الْأَعْرَابِ﴾ الظاهرين فى البرارى عوانا بينهما، حال أنهم ﴿يَسْتَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ﴾ فى المواجهة، هازمين أو منهزمين ﴿وَ لَوْ﴾ مستحيلا ﴿كَانُوا فِيكُمْ﴾ فى المواجهة ﴿مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾ منهم و قليلا من قتال، حفاظا على أنفسهم، و على نفاقهم، فهذه أبواب سبع من جحيم المنافقين: "إِذْ يَقُولُ .. لَا مَقَامَ .. يَسْتَأْذِنُ .. لَوْ دَخَلْتُ .. عَاهَدُوا اللَّهَ .. أَشِحَّةً .. يَحْسِبُونَ .." و إلى جنة الأسوة برسول الله (ص).

٢١ / ٣٣

٢١- ﴿لَقَدْ﴾ بتاكيدين ﴿كَانَ لَكُمْ﴾ المؤمنين، على طول الخط ﴿فِي رَسُولِ اللَّهِ﴾ بكل رسالاته ﴿أُسُوءَ﴾ شفاء لأدواء، و إصلاح بعد زوال الداء، تحقيقا لكلمة الإخلاص "لا إله إلا الله" على ضوء الرسالة المحمدية (ص) ﴿حَسَنَةً﴾ دون تعاضل و تباطل، بل إتباعه قدر المقدور ﴿لَمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ﴾ هنا و فى الأخرى ﴿وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ فيربط حياته بالله المجازى فى اليوم الآخر ﴿وَذَكَرَ اللَّهُ كَثِيرًا﴾: "يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا" (٣٣: ٤١) ب" لا إله إلا الله" ف" أسوة حسنة برسول الله" هى مطلقة إذ لم يخطأ، و هى فى إبراهيم (ع) مقيدة إذ أخطأ موضوعا لإستغفاره: "قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسُوءَ حَسَنَةً فى إبراهيم .. إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ .." (٦٠: ٤) "و ما كان استغفار إبراهيم لأبيه إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ .." (١١٤: ٩).

٢٢ / ٣٣

٢٢- ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ﴾ المهاجمة ﴿قَالُوا هَذَا﴾ الحدث الهائل مع زواله ﴿مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ صَدَقَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ﴾ فى ذلك و فى انهزامهم أخيرا ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا﴾ بالله ﴿وَتَسْلِيمًا﴾ لأمر الله.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤٢١

٢٣ / ٣٣

٢٣- بعض ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ﴾ برجولية الإيمان، فمن أصدقهم الصديقة الكبرى بنت الرسول صلى الله عليه و آله إذ ﴿صَدَقُوا﴾ عقائد و أفعالا و أقوالا فى كافة ميادين الإيمان المناضل ﴿مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ أن يجاهدوا فى سبيل الله "وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِيسُوتُهُ أَجْرًا عَظِيمًا" (٤٨: ١٠) ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ﴾ مراهنه، إذ وجد له ظرفها، فقتل أو قتل أو نجى دونهما ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ﴾ تلك المراهنة و لمَّا يجد لها ظرفها، و لكنه أعد نفسه لها كالذى وجدها ﴿وَمَا بَدَّلُوا﴾ عهدهم عند ما وجدوها ﴿تَبْدِيلًا﴾ إلى غير عهدهم، فلا يختص نحبهم باستشهادهم، بل هو التزامهم الصادق.

٢٤ / ٣٣

٢٤- ذلك ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ﴾ هؤلاء ﴿الصَّادِقِينَ﴾ و كلاً على درجاتهم ﴿بِصِدْقِهِمْ وَ يَعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ﴾ رسميين، أو مؤمنين مهما نافقوا ﴿إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ قبل موتهم إن تابوا ككل، أم قبلها شرط الإيمان ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا﴾ من يستأهله ﴿رَحِيمًا﴾ من بأهلها.

٢٥- ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ عن المواجهة الغالبة ﴿بَغِيظِهِمْ﴾ ضد المؤمنين في خندق الأحزاب، و من ردهم أن عليا (ع) قتل عمرو بن عبدود فانهزموا به فـ ﴿لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا﴾ أبدا، بل شرا، إذ: ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ برحمة منه خاصة لهم، و لم تكن كفاية فيهم عددا أو عددا و أسلحة ﴿وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا﴾ مهما كان المؤمنون ضعفاء ﴿عَزِيزًا﴾ مهما كانوا هم في ذل و ارتكاس "فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا" (٣٣: ٩).

٢٦- ﴿وَ أَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ﴾ هؤلاء المشركين، تعاونوا كافرا في حربهم العشواء ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ﴾ و هم بنو قريظة حيث أنزلهم الله من صياصي حصونهم و أنفسهم "إِذْ جَاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ" (٣٣: ١٠) ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ كله، فنسوا عددهم و عددهم ﴿فَرِيقًا﴾ منهم ﴿تَقْتُلُونَ﴾ هم ﴿وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ منهم.

٢٧- ﴿وَ أَوْثَقَكُمْ أَرْضَهُمْ﴾ كتابيين و مشركين ﴿وَ أَرْضًا لَمْ تَطُوهَا﴾ كخيبر ﴿وَ كَانَ اللَّهُ﴾ منذ كان مقدور ﴿عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ لا يعجزه شيء.

٢٨- ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ﴾ مقدمة لتطهير بيته الظاهر بأزواجه أكثر ممن سواه لمكانة النبوة، و أخيرا تطهير بيت النبوة الختمية "أَمَّا يَرِيدُ اللَّهُ .." "قُلْ" ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُرَدُّنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَ زِينَتَهَا﴾ كما أردنهما منه (ص) و هي لا تناسب بيت النبي، فقد رجع النبي صلى الله عليه و آله من غزوة خيبر مصيبا كنز آل أبي الحقيق فقلن له أعطنا ما أصبت، فيقول: قسمة بين المسلمين كما أمر الله، فضضبن عليه و قلن: .. فاعتزلهن تسعة و عشرين يوما حتى حضن و طهرن فأنزل الله آية التخيير ﴿فَتَعَالَيْنَ﴾ إذا ﴿أُمْتَعْنَنَّ﴾ متاعا حسنا ﴿وَ أَسْرَحْنَنَّ﴾ تحريرا عن زوجيتي بغية الحياة الدنيا و زينتها لكن ﴿سَرَّاحًا جَمِيلًا﴾ ما أجمله كجمال النكاح.

٢٩- ﴿وَ إِنْ كُنْتُمْ تُرَدُّنَ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾ دون الدنيا الدنية، تصبرا على ضيق المعيشة في بيت النبوة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ﴾ في هذه الإرادة المحسنة ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ أعظم ممن سواكن، حرمة لمكانة هذا البيت الطاهر الأمين.

٣٠- ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ﴾ لكونكن في بيت الوحي ﴿مَنْ يَأْتِ﴾ الله ﴿مِنْكُنَّ﴾ عند موته ﴿بِفَاحِشَةٍ﴾: معصية فاحشة حدها أو و إلى الغير ﴿مُبَيِّنَةً﴾ تبين أنها فاحشة، و تبين أنها من بيت النبي (ص) و هي جاهرة ﴿يُضَاعَفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ مرة لأصل الفاحشة، و مرة أخرى لأنها تلتصق بيت النبي الطاهر في أعين الناظرين ﴿وَ كَانَ ذَلِكَ﴾ العذاب الضعف ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤٢٢

٣١- ﴿وَ مَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ﴾ تخضعا ﴿لِلَّهِ﴾ ألوهية ﴿وَ رَسُولِهِ﴾ رسالة ﴿وَ تَعْمَلُ صَالِحًا﴾ لقنوتها ﴿نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾ ثانيتهما لأنها احترمت بيت النبوة ﴿وَ أَعْتَدْنَا لَهَا﴾ إضافة منهما ﴿رِزْقًا كَرِيمًا﴾ واسعا.

٣٢- ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ السَّائِرِ﴾ سائر ﴿النِّسَاءِ﴾ شرط ﴿إِنِ اتَّقَيْتُنَّ﴾ أن تحسب تقواكن ضعفا على سائر النساء ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ﴾ مع غير المحارم ﴿فَيُطَمَعَ﴾ فيكن ﴿الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ الشهوة، فعليكن كسر قولكن معهم ذودا عن ذلك الطمع ﴿وَقُلْنَ﴾ بعد ترك خضوعكن ﴿قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ فى شرعة الحق، و فى مكانة نساء النبى، فالمعروف منكن أعرف، و المنكر منكن أنكر.

٣٣ / ٣٣

٣٣- ﴿وَ﴾ إضافة إلى هذه الآداب ﴿قَرْنَ﴾ قرارا ﴿فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ كأصل فى حياتكن البيئية، اللهم إلا لواجب كما خرجت الصديقة الزهراء إلى المسجد لإحتجاجها على الخليفة أبى بكر بشأن فذك، أو راجح كما فى محالّه ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ﴾ كالبرج المتظاهر لمن يرى ﴿تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ إذ كن النساء يخرجن كاسيات عاريات، متزينات يجلبن إليهن أنظار الرجال، فخرج نساء النبى دون تبرج غير منهى عنه، مهما كان الأصل قرارهن فى بيوتهن إلا إذا لزم الأمر، كما كن يخرجن لجماعات، أو لتداوى جرحى الجهاد ﴿وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ﴾ إقامة تناسب بيت النبوة ﴿وَأَتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ حقا ﴿إِنَّمَا﴾ ليس إلا ﴿يُرِيدُ اللَّهُ﴾ بين من يريده، تكوينية و تشريعية ﴿لِيَذْهَبَ﴾ دفعا لا رفعا ﴿عَنكُمُ﴾ رجال بيت النبوة، لمكان ذكورية الخطاب هنا، و مرتين بعده، بعد أنوثته قبلها ثلاث و عشرين مرة، مما يبرهن على اختصاص هذه الطهارة الخاصة القمة بين الطاهرين بهؤلاء المخاطبين، و هم أهل بيت النبوة الختمية، و هم خمسة تنزيلا، و أربعة عشر تأويلا، كما تواترت عليه أحاديث الفريقين "إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ إِرَادَةً مَّسْتَمِرَّةً لَا وَقْفَةً فِيهَا، و لا حول عنها" لِيَذْهَبَ "حتما مؤكدا" عَنْكُمُ رجال أهل بيت هذه النبوة، و أصلهم الرسول (ص) ﴿الرَّجْسِ﴾ و هو كل نقص فى الإمكان إذهابه، علما و عملا و نية، بل و عصمة دون القمة، و ما أشبه ﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ الرسالى الأخير، و هذا سلب لكل رجس، ثم الإيجاب ﴿وَيَطْهَرُكُمْ تَطْهِيرًا﴾ غالبا يناسب "إِنَّمَا" الحاصرة إياها فيهم بين كافة المطهرين طول الزمان و عرض المكان، فهم- إذا أظهر من سائر أولى العزم من الرسل فضلا عن سائر النبيين، و هنا تتم و تطم الطهارة المعنوية، المناسبة لهذا البيت، نسائية فى تكاليف هامة، و روحية النبوة بإضافة إرادة حتمية ربانية، و هى العصمة العليا.

٣٤ / ٣٣

٣٤- ﴿وَأَذْكُرَنَّ﴾ هنا يرجع الخطاب إلى نساء النبى (ص) دمجا لبيتى النبوة ظاهرا و باطنا ﴿مَا يَتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ و هى كلها بيت النبى نسايا ﴿مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَ الْحِكْمَةِ﴾ فيها و معها و بعدها ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ﴾ منذ خلق فعليا، و قبله ذاتيا ﴿لَطِيفًا﴾ فى ذاته و صفاته و أفعاله ﴿خَبِيرًا﴾ بكل جهر و سر و أخفى.

٣٥ / ٣٣

٣٥- و هنا عرض لعشرة كاملة من كاملة الصفات ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَ الْمُسْلِمَاتِ﴾ فى ظاهر الحال و لمّا يدخل الإيمان فى قلوبهم ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ إذ دخل الإيمان فى قلوبهم، ثم ﴿وَالْقَانِتِينَ وَ الْقَانِتَاتِ وَ الصَّادِقِينَ وَ الصَّادِقَاتِ﴾ فى إيمانهم و قنوتهم ﴿وَالصَّابِرِينَ وَ الصَّابِرَاتِ﴾ أمام العراقيل حيث لا يضعفون ﴿وَالْخَاشِعِينَ وَ الْخَاشِعَاتِ﴾ لله حسب إيمانهم ﴿وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَ الْمُتَصَدِّقَاتِ﴾ بمال أو حال فى سبيل الله ﴿وَالصَّائِمِينَ وَ الصَّائِمَاتِ﴾ لوقته المقرر ﴿وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَ الْحَافِظَاتِ﴾ عن الأغارب ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَ الذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ﴾ حسب درجاتهم ﴿مَغْفِرَةً وَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ فى كافة النشأت و لا سيما الأخرى، و هنا فى الجمع بين الرجال و النساء، بعد أفرادهن و أفرادهم فى بيت النبوة، تلميح مليح.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤٢٣

٣٦ / ٣٣

٣٦- ﴿وَمَا كَانَ﴾ أبداً، يسمح ﴿لْمُؤْمِنِ وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾ قضية إيمانه ﴿إِذَا قَضَى اللَّهُ أَصَالَه﴾ ﴿وَرَسُولُهُ﴾ رسالة ﴿أَمْرًا﴾ مهما كان إمرأ، كزواج زينب بزيد ﴿أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ الذى أمر الله ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ﴾ فيما أمره ﴿وَرَسُولُهُ﴾ فيما أرسل به ﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ ضلاله، و قد قضى الله لرسوله أن يتزوج بحليلة زيد بعد ما قضى منها وطرا، قضاء على سنة جاهلية هى حرمة الزواج بحلائل الأدياء، و على سنة الفوارق.

٣٧ / ٣٣

٣٧- ﴿وَاذْكُرْ﴾ اذكر ﴿إِذْ تَقُولُ لِي﴾ زيد ﴿الَّذِى أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ﴾ بإيمانه ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ بآيوائه و تربيته و تزويج كريمة قريش به ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ إذ تعاركا إلى حد الطلاق ﴿وَاتَّقِ اللَّهَ﴾ ألا تمسكها ﴿وَالْحَالُ أَنْتَ﴾ تخفى فى نفسك ما الله مبديه ﴿من فرض زواجك بها، و لو لم يكن هنا طلاق لكان فرضا لفرض زواجك بها﴾ ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ﴾ أن يقولوا طمع فى حليلة دعية، خشية على كرامة رسالتك أن تداس، ﴿وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ من دون الناس، إذ ضمن الحفاظ على رسالتك ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا﴾ حاجة زوجية، بطلاقها و عدم رجوعه فى عدتها ﴿زَوَّجْنَاكَهَا﴾ دون استثمار منكما، إذ كان تحقيقا لحكم ربانى ﴿لَكَى لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ بعدئذ ﴿حَرَجٌ فِي﴾ الزواج بـ ﴿أَزْوَاجٍ أَدْعِيائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾ ككل ﴿وَمَا كَانَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ تشريعا فتحيقا، هنا و ما أشبه ﴿مَفْعُولًا﴾ بك.

٣٨ / ٣٣

٣٨- ﴿مَا كَانَ عَلَى﴾ هذا ﴿النَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ﴾ أبدا تحرجا عن بيان حكم ربانى ﴿فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ﴾ لصالحه بشريا و رسوليا، تحقيقا لرسالة الله، أعنى و ألزم ﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾ فى إرسال الرسل ﴿فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾ رسلا و مرسلا إليهم، ألا يتحرجوا فيما فرض الله ﴿وَمَا كَانَ﴾ منذ كان تكليف ﴿أَمْرُ اللَّهِ﴾ فى عبادته ﴿قَدْرًا﴾ قدره بعلمه و حكمته ﴿مَقْدُورًا﴾ لمن قدره فى شرعته، فلا تقية فى تبين أحكام الله للنبي (ص) مطلقا، كما لا تقية لخلفائه المعصومين، إلا إذا أمنوا الرجوع إلى كتاب الله أو سنة قطعية.

٣٩ / ٣٣

٣٩- و هكذا كل ﴿الَّذِينَ يَبْلُغُونَ رَسُولَاتِ اللَّهِ﴾ من رسل الله و أنبياءه، و حملة رسالاتهم، و علماء ربانيين ﴿وَيَخْشَوْنَهُ﴾ خوفا يشوبه تعظيم ﴿وَلَا يَخْشَوْنَ﴾ فى تبليغ رسالات الله ﴿أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ فليس لهم حرج فيما فرض الله ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ لما يبلغون من رسالات الله، أصلا فى تبليغ رسالات الله مهما اختلفت بين الرسول و الرسلين فى كيفية التبين.

٤٠ / ٣٣

٤٠- ﴿مَا كَانَ﴾ حتى الآن ﴿مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ أبوة ادعائية حتى يكون زيد دعيه، ثم أبناءه ما كانوا رجالا، و من ثم الحسان و من بعدهما من رجال أهل البيت ما كانوا رجالا عند ما نزلت هذه الآية، ثم ليسوا هم من رِجَالِكُمْ بل رجاله ﴿وَلَكِنْ﴾ كان ﴿رَسُولُ اللَّهِ وَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ﴾ ختم الله به النبوة و هى فوق الرسالة، فكما لا نبوة بعده، فبأحرى لا رسالة بعده ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ أن جعل نسله من بنت واحدة دون ذكر ينسل منه نسله، ردا على الجاهلية المتخيلة أن الذكر هو استمرارية لكيان والده و كونه.

٤١ / ٣٣

٤١- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالله و ما أمر ﴿ادْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ باطنا و ظاهرا قدر المستطاع.

٤٢ / ٣٣

٤٢- ﴿وَسَبَّحُوهُ﴾ بحمده ﴿بُكْرَةً﴾ لا سيما فى صلاتها ﴿وَأَصِيلًا﴾ كذلك و فى صلاة الأصيل، و بينهما إذ يراد به ليل نهار.

٤٣ / ٣٣

٤٣- ﴿هُوَ الَّذِي يَصَلِّي عَلَيْكُمْ﴾ تنزيلا لرحماته ﴿وَيُصَلِّي عَلَيْكُمْ﴾ استنزالا لها و حملا إياها ﴿لِيُخْرِجَكُمْ﴾ الله ﴿مِنْ كُلِّ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ صراطا مستقيما ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ في صلاته و ملائكته، منذ كان مؤمنا حتى الأخير.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤٢٤

٤٤ / ٣٣

٤٤- ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ﴾ في كافة النشأت و لا سيما الأخرى ﴿سَلَامٌ﴾ من الله و من أهل الله، واقعية حقيقية و لفظية ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ﴾ بعد الموت و لا سيما الأخرى ﴿أَجْرًا كَرِيمًا﴾ واسعا بفضله "عطاء غير مجدود".

٤٥ / ٣٣

٤٥- ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ محمد ﴿إِنَّا﴾ بجمعية الصفات الربانية ﴿أَرْسَلْنَاكَ﴾ كافة للناس و للعالمين أجمعين ﴿شَاهِدًا﴾ من الله لربوبيته و لكافة الأعمال، و شاهدا لله في عبوديته و معرفته ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ لمن قبل شهادته برحمته ﴿وَنَذِيرًا﴾ عن عذابه من يتباطأ عن قبولهما.

٤٦ / ٣٣

٤٦- ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ﴾ كل الدعوات الرسالية و زيادة، كما يستطيع ﴿يُذِنُهُ﴾ حيث أرسله و شرع له، و بتوفيقه فيما أرسله له "وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ" (٢١: ٧٣) ﴿وَسِرَاجًا﴾ نورا منه ﴿مُنِيرًا﴾ كل دروب النور عن الظلمات.

٤٧ / ٣٣

٤٧- ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الحقيقيين ﴿بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ لا سواه ﴿فَضْلًا﴾ عما عملوا بفضله ﴿كَبِيرًا﴾ يناسب كبره رحيمًا.

٤٨ / ٣٣

٤٨- ﴿وَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ﴾ بالحق، بغية وعدهم أن يقبلوه لو جاريتهم، و دخلت في حزبهم رجاء أن يدخلوا في حزبك ﴿وَلَا الْمُتَنَافِقِينَ﴾ حيث تعرفهم بنفاقهم ﴿وَدَعَا أَهْلَهُمْ﴾ إياك فلا تجازهم ما أمكن، و أذاك إياهم "فَمَهْلُ الْكَافِرِينَ أَهْلُهُمْ رُويْدًا" (٨٦: ١٧) ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ في دعوتك الرسولية ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ عمن يعيى فيما يريد، فيعمل متوكلا على الله حيث يأمل نصرا من الله، في فعاله في سبيل الله.

٤٩ / ٣٣

٤٩- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ﴾ عند ضرورة تسح له ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ﴾ وطئا مسموحا و سواه ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَةٍ تَعْتَدُونَهَا﴾ فإنما العدة من الماء، إلا في وفات الزوج ﴿فَمَتَّعُوهُنَّ﴾ بزائد عن صدقاتهن و هى هنا "فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ النِّكَاحِ" (٢: ٢٢) و هو الزوج أن يدفع الكل ﴿وَسَرَّحُوهُنَّ﴾ تحريرا عن أسر ذلك النكاح الضارى إذ سبب طلاقها ﴿سَرَّاحًا جَمِيلًا﴾ "فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ" (٢: ٢٣٢) "وَلَا تُضَارُوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ" (٦٥: ٦) فجاهلية الغيرة الرجولية بجنب المطلقة مرفوضة، و شرعة الله تفرض تسريحهن بعد ذلك الطلاق، بل و تطليقهن إذا كان فى استمرار الزوجية أسرها و ضغط حرجا أو عسرا.

٥٠ / ٣٣

٥٠- ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أَجُورَهُنَّ﴾ فلا يختص الأجر بالمنقطعات علما بأن أزواجه كن غير منقطعات، و الإحلال بعد الزواج هو الوطاء، فللمرأة أن تمتنع عن نفسها حتى تؤتى أجرها، كما لها أن تسمح ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾

مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ ﴿۝۵۰﴾ وَبَنَاتٍ عَمَّكَ وَبَنَاتٍ عَمَّاتِكَ ﴿۝۵۱﴾ كَمَا زَوْجَهُ اللَّهُ حَلِيلَةَ زَيْدٍ وَهِيَ بِنْتُ عَمَتِهِ ﴿۝۵۲﴾ وَبَنَاتٍ خَالَكَ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ ﴿۝۵۳﴾ دُونَ غَيْرِ الْمُهَاجِرَاتِ مَهْمَا كُنَّ مُؤْمِنَاتٍ ﴿۝۵۴﴾ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ ﴿۝۵۵﴾ طَلَبًا مِنْهَا دُونَ أَجْرٍ ﴿۝۵۶﴾ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا ﴿۝۵۷﴾ تَكُونُ ﴿۝۵۸﴾ خَالِصَةً لَكَ ﴿۝۵۹﴾ فَقَطْ ﴿۝۶۰﴾ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿۝۶۱﴾ فَلَا يَحِلُّ لَهَا بَعْدَ وَهْبَتِهَا رَجُلٌ آخَرَ - إِلَّا أَلَّا يَرِيدَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - أَبَدًا ﴿۝۶۲﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ ﴿۝۶۳﴾ مِنْ صَدَاقٍ وَ سِوَاهُ ﴿۝۶۴﴾ وَ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ﴿۝۶۵﴾ فِي زَوَاجِكَ لِمَكَانَةِ النُّبُوَّةِ ﴿۝۶۶﴾ وَ كَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿۝۶۷﴾ لَا سِيْمَا لِسَاحَةِ النُّبُوَّةِ مِنْ سَمَاحٍ وَ سَمَاحَةٍ.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤٢٥

٥١ / ٣٣

٥١- لَكَ أَنْ ﴿۝٥١﴾ تَرْجِي ﴿۝٥٢﴾ تَأْخِيرًا عَنْكَ مَطْلَقًا أَوْ إِلَى غَيْرِكَ ﴿۝٥٣﴾ مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ ﴿۝٥٤﴾ بِخَلْقِكَ الْعَظِيمِ ﴿۝٥٥﴾ وَ تَوَوَّى ﴿۝٥٦﴾ إِيوَاءَ ﴿۝٥٧﴾ إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ ﴿۝٥٨﴾ مِنْهُنَّ ﴿۝٥٩﴾ وَ مَنْ ابْتِغَيْتَ ﴿۝٦٠﴾ إِيَّاهَا، زَوْجًا أَوْ مُضَاجَعَةً ﴿۝٦١﴾ مِمَّنْ عَزَلْتَ ﴿۝٦٢﴾ إِيَّاهَا كَذَلِكَ ﴿۝٦٣﴾ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ﴿۝٦٤﴾ هُنَا وَ هُنَاكَ، وَ ذَلِكَ ﴿۝٦٥﴾ السَّمَاةُ السَّمَاحُ ﴿۝٦٦﴾ أَذْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ ﴿۝٦٧﴾ بِكَ ﴿۝٦٨﴾ وَ لَا يَحْزَنَ ﴿۝٦٩﴾ بِشَيْءٍ ﴿۝٧٠﴾ وَ "أَذْنَى" ﴿۝٧١﴾ يَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ﴿۝٧٢﴾ كَمَا تَسْتَطِيعُ، مِنْ ابْتِغَاءٍ وَ عَزْلِ ﴿۝٧٣﴾ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ﴿۝٧٤﴾ فِيمَا يَفْعَلُهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ ﴿۝٧٥﴾ وَ كَانَ اللَّهُ ﴿۝٧٦﴾ مِنْذُ كَانَ كَائِنَ وَ قَبْلَهُ ﴿۝٧٧﴾ عَلِيمًا ﴿۝٧٨﴾ فِي حِلْمِهِ ﴿۝٧٩﴾ حَلِيمًا ﴿۝٨٠﴾ فِي عِلْمِهِ.

٥٢ / ٣٣

٥٢- ﴿۝٥٢﴾ لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ ﴿۝٥٣﴾ نِكَاحًا ﴿۝٥٤﴾ مِنْ بَعْدُ ﴿۝٥٥﴾ هَؤُلَاءِ اللَّاتِي أَنْكَحْتَ وَ إِنْ مَتْنٌ كُلُّهُنَّ أَوْ طَلَقْتَهُنَّ ﴿۝٥٦﴾ وَ لَا أَنْ تَبْدَلَ بِهِنَّ ﴿۝٥٧﴾ فِي حَيَاتِهِنَّ ﴿۝٥٨﴾ مِنْ أَزْوَاجٍ وَ لَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ ﴿۝٥٩﴾ فَكَمَا زَيْدٌ لَكَ فِي النِّكَاحِ، كَذَلِكَ يَمْنَعُ عَنْكَ أَى نِكَاحٍ بَعْدَ، مَصْلَحَةِ رَسُولِيَةٍ فِيهِمَا ﴿۝٦٠﴾ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ ﴿۝٦١﴾ مِنْ فَيْئٍ وَ سِوَاهُ ﴿۝٦٢﴾ وَ كَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ﴿۝٦٣﴾ فِرْقَابَتَهُ عَلَيْكَ اقْتَضَتْ تِلْكَ التَّوَسُّعَ هُنَاكَ وَ ذَلِكَ التَّضْيِيقَ هُنَا.

٥٣ / ٣٣

٥٣- ﴿۝٥٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ ﴿۝٥٤﴾ وَ حِجْرَاتِهِ، دَخُولًا مُتَوَاتِرًا دُونَ سَبَبٍ ﴿۝٥٥﴾ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ ﴿۝٥٦﴾ أَنْ تَدْخُلُوا ﴿۝٥٧﴾ إِلَى طَعَامٍ ﴿۝٥٨﴾ عِنْدَهُ، دُونَ اسْتِثْنَاءٍ، فَإِنَّهُ يَسْتَحْيِي إِذَا، ثُمَّ الدَّخُولُ إِلَى مَسْجِدِهِ لَصَلَاةٍ وَ سُؤَالٍ لَا يَحْتَاجُ إِلَى إِذْنٍ ﴿۝٥٩﴾ غَيْرِ نَاطِرِينَ إِيَّاهُ ﴿۝٦٠﴾ انْتَظَارًا وَقْتِ إِذْنِهِ، أَوْ وَقْتِ طَعَامِهِ ﴿۝٦١﴾ وَ لَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ ﴿۝٦٢﴾ إِلَى طَعَامٍ ﴿۝٦٣﴾ فَادْخُلُوا ﴿۝٦٤﴾ وَقْتَهُ ﴿۝٦٥﴾ فَإِذَا طَعِمْتُمْ ﴿۝٦٦﴾ عِنْدَهُ فَلَا تَمْكُثُوا بَلْ ﴿۝٦٧﴾ فَانْتَشِرُوا ﴿۝٦٨﴾ لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَهُ ﴿۝٦٩﴾ وَ لَا مُسْتَأْنَسِينَ لِحَدِيثٍ ﴿۝٧٠﴾ هُنَاكَ، دُونَ ضَرُورَةٍ رِسَالِيَةٍ، فَ ﴿۝٧١﴾ إِنْ ذَلِكُمْ ﴿۝٧٢﴾ الدَّخُولُ إِلَى طَعَامٍ أَوْ لِحَدِيثٍ دُونَ إِذْنٍ ﴿۝٧٣﴾ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيُّ ﴿۝٧٤﴾ لِأَنَّهُ إِتْلَافٌ وَقْتُ لَه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ ﴿۝٧٥﴾ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَ اللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنْ الْحَقِّ ﴿۝٧٦﴾ أَنْ يَرِدَكُمْ، أَوْ لَا يَأْذَنَ لَكُمْ إِذَا اسْتَأْذَنْتُمْ ﴿۝٧٧﴾ وَ إِذَا ﴿۝٧٨﴾ دَخَلْتُمْ بُيُوتَهُ وَ ﴿۝٧٩﴾ سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَلُّوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ﴿۝٨٠﴾ بَيْنَكُمْ، عَلَى حِجَابِهِنَّ أَنْفُسَهُنَّ، زِيَادَةً فِي حُرْمَتِهِنَّ ﴿۝٨١﴾ ذَلِكُمْ ﴿۝٨٢﴾ الْحِجَابُ وَ مَا أَشْبَهَ ﴿۝٨٣﴾ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَ قُلُوبِهِنَّ ﴿۝٨٤﴾ عَنْ جَذْبَةِ الْجِنْسِ ﴿۝٨٥﴾ وَ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ ﴿۝٨٦﴾ كَيْفَمَا كَانَتْ ﴿۝٨٧﴾ وَ لَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ ﴿۝٨٨﴾ طَلَاقًا إِيَّاهُنَّ أَوْ مَوْتًا لَهُ ﴿۝٨٩﴾ فَبِأَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتُهُمْ فِي حُرْمَتِهِنَّ وَ حُرْمَةِ نِكَاحِهِنَّ، دُونَ مِيرَاثٍ أَوْ مُحَرَّمِيَةٍ ﴿۝٩٠﴾ إِنْ ذَلِكُمْ ﴿۝٩١﴾ الْإِيْذَاءُ وَ النِّكَاحُ ﴿۝٩٢﴾ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿۝٩٣﴾ كَعِظْمِهِ (ص).

٥٤ / ٣٣

٥٤- ﴿إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا﴾ من أمركم ﴿أَوْ تَخْفَوْهُ﴾ عمن سواكم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ﴾ أزلما فضلا عما بعد التكوين ﴿بِكُلِّ شَيْءٍ﴾ جهرا و سرا و أخفى: "وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَ أَخْفَى" (٧: ٢٠) ﴿عَلِيمًا﴾ " لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَ لَا فِي الْأَرْضِ" (٣: ٣٤).

ذلك، و اختصاصات النبي صلى الله عليه و آله سلبا و إيجابا بين الأمة، ليس إلا بشأن النبوة و الرسالة العظمى، دون حظوة خاصة مادية، اللهم إلا تحقيقا حقيقا رسوليا كاملا شاملا، يعرف كل من محالته، و منه عديد زوجاته و لم تكن بينهما إلا باكرة واحدة، و لكل مصالح رسالية بين مختلف الأقوام، و قضاء على تخيلات تخالف الحق الحقيق بالاتباع، فقد صبر على خديجة طول خمسة و عشرين سنة و هى أكبر منه خمسة عشر، على شبابه و شيخوخته، ثم تبنى بعد سنة من هجرته نساء، فى كل مصلحة ملزمة.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤٢٦

٥٥ / ٣٣

٥٥- جناح سؤالهن دون حجاب ثان يعم غير المحارم إلى الأعمام و الأخوان، و لكن ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ﴾ أنفسهن، أو جدودهن مهما علوا ﴿وَلَا أَبْنَائِهِنَّ﴾ مهما نزلوا، صلبيا ﴿وَلَا إِخْوَانِهِنَّ﴾ كذلك ﴿وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَ لَا أَبْنَاءَ أَخَوَاتِهِنَّ وَ لَا نِسَائِهِنَّ﴾ مؤمنات ﴿وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ إماء ﴿وَأَتَقِينَ اللَّهَ﴾ أكثر من سائر النساء كرامة لبيت النبوة ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ حاضرا علما و قدرة.

٥٦ / ٣٣

٥٦- ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ حقا محققا ﴿وَمَلَائِكَتُهُ﴾ بأمره استنزالا لرحمة الله إليه ﴿يَصْلُونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ منه تعالى إنزالا للرحمة، و منهم استنزالا لها، ف ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالله و برسوله ﴿صَلُّوا عَلَيْهِ﴾ كالملائكة ﴿وَسَلِّمُوا﴾ له ﴿سَلَامًا﴾ مطلقا و من يطع الرسول فقد أطاع الله و من التسليم لديه أن صلى بعده على آله كما تواتر عنه (ص): لا تصلوا على الصلاة البتراء، قيل: و ما هى؟ قال، أن تقولوا: اللهم صل على محمد، فذكر آله بعده هو من التسليم أمامه: اللهم صل على محمد و آل محمد.

٥٧ / ٣٣

٥٧- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ﴾ عمل من يؤذى مهما لا يتأذى الله ﴿وَرَسُولَهُ﴾ حيث يتأذى، كأن يكون القرآن مهجورا و قال الرسول يا ربَّ إِنَّا قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا (٣٠: ٢٥) ﴿لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾ بالحوزات الإسلامية التى هجرت القرآن، هى ملعونة الله و رسوله قدر هجرهم إياه.

٥٨ / ٣٣

٥٨- ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا﴾ ما يحق أن يؤذى صاحبه ﴿فَقَدْ احْتَمَلُوا﴾ حملا ثقيلا ﴿بُهْتَانًا﴾ عليهم ﴿وَإِثْمًا﴾ يبطئ عن الخير ﴿مُبِينًا﴾ فى بهته و إثمه، بل و لا يؤذى المؤمن اغتيابا أو فى وجهه إن اكتسب إثما، إلا نهيا عن المنكر كما يصح، إيداء فى الله، و تركا له فى الله.

٥٩ / ٣٣

٥٩- ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ﴾ بعد العهد المكي حتى الآن ﴿لِأَزْوَاجِكَ وَ بَنَاتِكَ وَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ تقدما لمن يخصه من أهليه: "وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ" (٢٦: ٢١٤) "قُلْ" لهن ﴿يَذْنِبْنَ عَلَيْهِنَّ﴾ بعضا ﴿مِنْ جَلَابِيِبِهِنَّ﴾ و هى الألبسة الفوقية الشاملة إذ كانت مفتوحة أماميا، فيظهر مقادير من أبدانهن، و كما "وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ" بعضا "على جُيُوبِهِنَّ" (٢٤: ٣١) حتى يستر مقادير صدورهن ﴿ذَلِكَ﴾ التحجب على مفاتنهن ﴿أَدْنَى أَنْ يَعْرِفْنَ﴾ بالعفاف ﴿فَلَا يُؤْذِنَنَّ﴾ بملاحقة الرجال ﴿وَ كَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ عمن لم تتحجب أو من نظر عن شهوة إليهن ﴿رَحِيمًا﴾ فى غفرانه، شرط بواعث الغفر و الرحمة.

٦٠ / ٣٣

٦٠- ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ﴾ عن نفاقهم أو أعمالهم المنافقة ﴿وَلَا سِيَمَا﴾ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ ﴿إِرْجَافًا وَزَلْزَالًا﴾ ضد الإيمان و أهليه ﴿لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ﴾ تحريضا عليهم، تعريفا بهم، و ملاحقة جاهرة ضدهم ﴿ثُمَّ﴾ بعد ذلك ﴿لَا يَجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ حيث يخسرون أنفسهم.

٦١ / ٣٣

٦١- أعنى ﴿مَلْعُونِينَ﴾ منهم ﴿أَيْنَمَا تُقِفُوا﴾ أُخِذُوا بِحُذُقٍ فِي مَلَاَحِقَتِهِمْ ﴿وَقَتَّلُوا﴾ إذا ﴿تَقَتَّلُوا﴾ ف" إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ" (٤: ١٤٥) فى الأخرى، و فى الأولى إن لم ينتهوا و أرجفوا فى المدينة.

٦٢ / ٣٣

٦٢- أعنى و ألزم ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾ رسلا و مرسلا إليهم، طردا و تقتيلا للمرجفين ضد الرسالات و أهليها، دون مجازاة إلا مجازاة لكى يطهر الجو الإسلامى عن هكذا نفاق مرجف ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ فإنها سنة رسالية طردا لمن يرجف مدينة الإيمان: " سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا" (١٧: ٧٧) و بين سنة الله و سنة خلقه بون كما بين الله و بين خلقه.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤٢٧

٦٣ / ٣٣

٦٣- ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ﴾ " أَيَانَ مَرْسَاهَا" (٧: ١٨٧) ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ " لَا يَجْلِيهَا لَوْفَهَا إِلَّا هُوَ" (١٨٧) ﴿وَمَا يَذُرِّكَ﴾ إلا الله كما أدراك ﴿لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ فأنت نبى الساعة، أقرب إليها من بداية الرسالة الربانية " قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا" (١٧: ٥١) " وَنَرَاهُ قَرِيبًا" (٧٠: ٧) ثم كل كائن قريب.

٦٤ / ٣٣

٦٤- ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ﴾ المعاندين المختوم على قلوبهم، فى كافة النشاطات ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ﴾ لما بعد الموت ﴿سَعِيرًا﴾ نارا شديدة التأجج، كما أجبوا كفرهم على غيرهم " جزاءً وفاقاً".

٦٥ / ٣٣

٦٥- ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أبداً خلودهم فى كفرهم ﴿لَا يَجِدُونَ﴾ هناك ﴿وَلِيًّا﴾ يليهم ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ ينصرهم محيصا عنها.

٦٦ / ٣٣

٦٦- و ذلك ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ﴾ بكل وجوهها ﴿فِي النَّارِ﴾ عما كانت يوم الدنيا إلى ما هى عليها، و إلى أقفيتهم، كما " وَ نُقَلَّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَ أَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ" (٦: ١١٠) ف ﴿يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَ أَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾ أو " نُرَدُّ وَ لَا نُكْذَبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَ نَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ" (٦: ٢٧).

٦٧ / ٣٣

٦٧- ﴿وَقَالُوا﴾ معتردين ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَ كُبَرَاءَنَا﴾ المسيطرين علينا ﴿فَاضْلُونا السَّبِيلَا﴾ و لكنهم مقصرون فى طاعتهم.

٦٨ / ٣٣

٦٨- ﴿رَبَّنَا آتِنَاهُمْ مِنْ الْعَذَابِ﴾ ضلالا و إضلالا: " رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَ لَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ" (٧: ٣٨) ﴿وَالْعَنَاهُمْ﴾ مع ضعفهم ﴿لَعْنًا كَبِيرًا﴾ كبر ضلالهم و إضلالهم، و لكن أين ضعف من ضعف.

٦٩- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى﴾ في تهمة و قحة ﴿فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا﴾ إذ فضح المؤذين ﴿وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾ فـ "إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا" (٣٨: ٣٢) قدر وجاهتهم، و قد آذوا محمدا (ص) في قصة الإفك و زواجه بحليلة زيد و ما أشبهه، ففضى على أذاهم، و هكذا كل من يؤذى في سبيل الله.

٧٠- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ فقط ﴿وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيداً﴾ يسد كافة الثغرات و التخلفات، إلى الحق.

٧١- ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ بسديد القول مع التقوى ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ فـ "إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ" (١١: ١١٤) ﴿وَمَنْ يَطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أصلا في حياة التكليف ﴿فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ في كافة النشآت، و لا سيما الأخرى.

٧٢- ﴿إِنَّا﴾ بجمعية الصفات الربانية ﴿عَرَضْنَا﴾ كونيا بعد تكوين مع الكائنات كلها ﴿الْأَمَانَةَ﴾ تسبيحا بحمده ﴿عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ و هما الكون كله ﴿وَالْجِبَالِ﴾ كأصلبه، عرض الفطر و العقول على أصحابهما، و عرض الشعور تسبيحا بحمده على مراتبهم و مراتبه، و من شأن الأمانة ردها إلى صاحبها سليمة ﴿فَأَبَيْنَ﴾ ككل ﴿أَنْ يَحْمِلْنَهَا﴾ دون رد، فهو خيانة أبى عنها كل شىء: فـ "تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا" (١٧: ٤٤) ﴿وَأَشْفَقْنَا مِنْهَا وَحَمَلَهَا﴾ خيانة لها إذ لم يردها سليمة ﴿الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ﴾ منذ كان ﴿ظُلُومًا﴾ نفسه و سواه ﴿جَهُولًا﴾ بنفسه و سواه.

٧٣- و ذلك العرض ثم هذا الحمل الخيانة ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ﴾ أولا ﴿وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ﴾ ثانيا بخيانتهم الأمانة، ثم ﴿وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ بدرجاتهم و درجات توبتهم ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ في موضع الغفر و الرحمة، دون موضع العذاب و النقمة فويل الإنسان الظلوم الجهول من حملة أمانة التكليف الانسانى السامى، و عدم ردها سليمة، بل خيانة إياها ردا و دون رد، و ذلك العرض عرض بقران بين الكل، تكوينيا، بعد خلقها كما خلق، كما فى آية الذرية: "وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ .."

سورة سبأ

١ / ٣٤

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. الْحَمْدُ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ لا سواه، لأن له الملك و الملك ﴿الَّذِي لَهُ﴾ لا سواه ﴿مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ و ما بينهما بأنفسهما، كما ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ كُلَّهُ﴾ ﴿فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ بكل حكم و حكمة ﴿الْخَبِيرُ﴾ بكل خبر و خبرة.

٢ / ٣٤

٢- و من حيثته أنه ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ﴾ أى ولوج من أى والج فى أية أرض من السبع: ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ (٦٥: ١٢) ﴿وَمَا يَعْلَمُ﴾ ما يخرج منها ﴿كَذَلِكَ﴾ ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ وحيا من سماء و سواه من نازل ﴿وَمَا يَرْجُ فِيهَا﴾ كذلك و منه كل صالح: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ (٣٥: ١٠) .. و هو معكم أين ما كنتم و الله بما تعملون بصير (٥٧: ٤) ﴿وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾

٣ / ٣٤

٣- ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ﴾ القيامة، مهما أتت غيرنا، دون برهان لسلبها إلا نكران ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿بَلَى﴾ تأتيكم ﴿وَرَبِّى﴾ قسما بالربوبية العالية إذ تقتضى لزما بعد له و حكمته إتيان الساعة ﴿لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ الساعة كما تأتى غيركم ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ﴾ ككل، و منه الساعة و الشَّهَادَةُ فالشهادة دليل الغيب و هو يعلمهما ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ﴾ علما و قدرة و قيومية، قدر ﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ عنده و هى أقل كائن ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَ لَا فِي الْأَرْضِ﴾ و هما الكون كله ﴿وَلَا﴾ يعزب عنه ﴿أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ﴾ و لا أكبر إلا فى كتاب عنده ﴿مُبِينٍ﴾ كل شىء، فـ "ما تكون فى شأنٍ و ما تتلوا منه من قرآنٍ و لا تعملون من عملٍ إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه و ما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الأرض و لا فى السماء و لا أصغر من ذلك و لا أكبر إلا فى كتاب مبين" (١٠: ٦١) و هو كتاب القيومية الربانية.

٤ / ٣٤

٤- "بلى و ربى" عالم الغيب ﴿لِيَجْزِيَ﴾ بربوبيته و علمه ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ ككل ف ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ دفعا و رفعا لسيئات ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ واسع فى يوم الله، مهما كان من خلطوا عملا صالحا و آخر سيئا، عوانا بين هؤلاء الآتين.

٥ / ٣٤

٥- ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا﴾ الدالة علينا، ليخفوها و يكذبوا بها، حالكونهم ﴿مُعَاجِزِينَ﴾ إياها و إيانا ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رَجْزٍ﴾ كرجزهم ﴿أَلِيمٌ﴾ كما ألموا الحق و أهليه.

٦ / ٣٤

٦- ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ الوحى الكتابى كالتوراة و الإنجيل، أن ﴿الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ﴾ كله، و عندهم الحق بعضه، حيث يدلهم كتبهم بوحياها، و بالبشائر المودوعة فيها، أن القرآن أحق بكونه وحيا، و هو الحق كله ﴿وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ﴾ الله ﴿الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ دون إبقاء: "و أوحى إلى هذا القرآن لئنذركم به و من بلغ .. الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ" (٦: ٢٠).

٧ / ٣٤

٧- ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ لأضرابهم و للمؤمنين ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ﴾ عجاب أمره، حيث ﴿يَنْبِئُكُمْ﴾ أن ﴿إِذَا مَزَقَّتُمْ كُلَّ مُزَقٍّ﴾ روحا و جسما، حيث ظلمتم في الأرض ﴿إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ بعد تمزقكم: ﴿وَقَالُوا أِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ. قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ (٣٢: ١٠).

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤٢٩

٨ / ٣٤

٨- ﴿أ﴾ ! ﴿فَتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ " إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ " ﴿أَمْ بِهِ جِنَّةٌ﴾ ينبئكم بجنته ﴿بَل﴾ لا افتراء و لا جنة، و إنما ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ رغم براهينها، هم ﴿فِي الْعَذَابِ﴾ هنا و هناك ﴿وَالضَّالِّالِ الْبُعِيدِ﴾ عن الهدى مطلقا، فلا يؤمل لهم هدى، إذ طبع الله على قلوبهم.

٩ / ٣٤

٩- ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا﴾ بصرا أو بصيرة ﴿إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ قدامهم أفقا دائريا يحيط بهم ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أفقا آخر ﴿مِنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ﴾ رؤية لهما لكل سكنة الأرض، مما يدل على كرويتها، إذ إن لكل ما بين أيديهم و ما خلفهم " فالأول هو الأفق الدائري لكل إنسان على الأرض، مرثيا له، و الآخر هو الأفق الدائري الآخر وراء أفقه المرئي، كما أن لكل أفقين نصف دائريين قداما و خلفا، فقدام كل هو خلف الآخر في كل الأرض ﴿إِنْ نَشَأْ نُخَسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ﴾ ككل ﴿أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا﴾ قطعا حجرية و ما أشبه ﴿مِنَ السَّمَاءِ إِنْ فِي ذَلِكَ﴾ الخسف و الكسف ﴿لَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ إلى الله.

١٠ / ٣٤

١٠- ﴿وَلَقَدْ﴾ بتأكيدين ﴿آتَيْنَا﴾ ثالثا ﴿دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا﴾ على بعض ممن سواه من النبيين، أن قلنا ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ﴾ رجوعا إلى الله حيث يسمع ﴿وَالطَّيْرُ﴾ " آتينا " ه طيرا يئوب معه كالجبال: " وَالطَّيْرَ مُحْشُورَةً كُلُّ لَهُ أَوَّابٌ " (٣٨: ١٩) ﴿وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ فهو كالخمير يميز.

١١ / ٣٤

١١- ﴿أَنْ أَعْمَلْ سَابِغَاتٍ﴾ دروعا واسعات ﴿وَلَوْ﴾ أن ﴿قَدَّرَ فِي السَّرْدِ﴾ النسيج للسابغات من لين الحديد، ثم أنتم الشعب ﴿وَأَعْمَلُوا صَالِحًا﴾ يصلح لذلك الفضل حكما بين الناس ﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فللعاملين صالحا نصير.

١٢ / ٣٤

١٢- ﴿وَلَوْ﴾ آتينا ﴿لِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ﴾ الخاص، دون سائر الأرياح: " وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا " (٢١: ٨١) ﴿غُدُوها شَهْرٌ﴾ حيث تجرى به قدر شهر لغده حتى الزوال ﴿وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾ تجرى حتى العصر ﴿وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾ النحاس فوق الأرضية و تحتها دون عبء الاستخراج ﴿وَمِنَ الْجِنَّةِ﴾ بعضا ﴿مَنْ يَعْمَلْ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ﴾ تشريعا و تكوينيا ﴿وَمَنْ يَزِغْ﴾ انحرافا ﴿مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا﴾ عملا بين يديه ﴿نَذِقْهُ﴾ هنا و لا سيما في الأخرى ﴿مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ شديدة التأجج و التفجج، و هنا " بَيْنَ يَدَيْهِ " تعنى أمام سلطته لا فقط بحضرته، إذ " وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ " (٢١: ٨٢).

١٣ / ٣٤

١٣- " بَيْنَ يَدَيْهِ " ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ﴾ ه ﴿مِنْ مَحَارِبَ﴾ العبادة ﴿وَتَمَاثِيلَ﴾ المجسمات، حيوانية و إنسانية، و لا يقال للمجسمات الشجرية " تماثيل " أم هي من مصاديقها النازلة، فكيف يحرم عمل الصور المجسمة، و هي مشيئة سليمانة حسب الشريعة التوراتية، و لم ينسخه القرآن، بل ينقله هنا تثبيتا لفضيلة سليمانية، ثم و لا يمكن نسخه في القرآن نفسه فضلا عن السنة،

حيث المحذور هنا لو كان فهو عبادة تماثيل، و لعل المنع عن صنعها يعنى نفيها فى البداية الملتصقة بعبادتها ﴿وَجَفَانِ﴾ كحياض ﴿كَالْجَوَابِ﴾ جابية يرد فيها الماء ﴿وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ﴾ ثابتات ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾ لا فقط لفضيا ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورِ﴾ البالغ فى شكره.

١٤ / ٣٤

١٤- ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ﴾ عمليا، حيث ﴿تَأْكُلُ مِنْسَاتَهُ﴾ عصاه ﴿فَلَمَّا خَرَّ﴾ إلى الأرض ﴿تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ﴾ العاملون له ﴿أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ﴾ و منه موته ﴿مَا لَبِثُوا فِي﴾ ذلك ﴿الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ جبرا عمليا لديه دون رضاهم.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤٣٠

١٥ / ٣٤

١٥- ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَيِّءٍ﴾ رجل ولد عشرة من العرب، هم ارتقوا فى سلم الحضارة، أقاموا خزاناً طبيعياً للماء بين جبلين ﴿فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ﴾ نعمة ربانية ﴿جَنَّاتٍ﴾ لعلهما المسقأتان من ذلك الخزان ﴿عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ تحيطان بهم، و قيل لهم ﴿كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ لا سواه، فهذه ﴿بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ ذلك ﴿رَبُّ غَفُورٍ﴾.

١٦ / ٣٤

١٦- ﴿فَاعْرَضُوا﴾ عن شكره كفرا بعد إيمان، و عودا بالله من نعمة تبدل نعمة و نقمة ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ﴾ السماء مدرارا، أصبح عليهم ﴿سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ حيث يجرف كل ما بين يديه، فحطم سدهم و جنتهم ﴿وَبَدَّلْنَاهُمْ﴾ كما بدلوا ﴿بِجَنَّتَيْهِمْ﴾ النضرتين ﴿جَنَّتَيْنِ﴾ قدرتين ﴿ذَوَاتِى أَكُلِ خَمْطٍ﴾ ذى شوك ﴿وَأَثَلٍ﴾ شجر ثابت الأصل كالطرفاء ﴿وَشَيْءٍ مِّنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ فليأكلوا شائكا طرفاء و سدرًا.

١٧ / ٣٤

١٧- ﴿ذَلِكَ﴾ العظيم ﴿جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا﴾ بنعمة الله، حيث أخذتهم العزة بالإثم ﴿وَهَلْ نُجَازِي﴾ بعباد ﴿إِلَّا الْكَافِرِينَ﴾ كثير الكفر أو الكفران.

١٨ / ٣٤

١٨- ﴿و﴾ من نعمنا عليهم قبل كفرهم، مع جنتيهم الناضرتين، أن ﴿جَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ لعلها قرى القدس ﴿قُرًى ظَاهِرَةً﴾ طول الجادة متصلة بعضها ببعض، متواصلة النضارة ﴿وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾ بينهما، تقديرا متناسبا متناسقا، لا تعب فيه و لا خوف إلا نضارات متواصلة، لحد ﴿سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي وَ أَيَّامًا آمِنِينَ﴾ لمواصلة القرى تلو بعض البعض، مما يجمع إلى النضارة أمانا، و إلى الأمن نضارة، فهما نعمتان مجهولتان الصحة و الأمان.

١٩ / ٣٤

١٩- ﴿فَقَالُوا﴾ حين غالوا فى رياحتهم ﴿رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ كأنهم تعبانون من مواصلة النعمة و الأمن فى أسفارهم ﴿وَوَظَلَّمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ فى تطلبهم، و نكرانهم نعمة ربهم ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ يتحدث عنهم فى النوادى بحمقهم فى عمقهم ﴿وَمَرْقَنَاهُمْ كُلٌّ مِّمَّزِقٍ﴾ بما طلبوا و كفروا بنعمة الله ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ التبديل و التمزيق ﴿لآيَاتٍ﴾ ربانية ﴿لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ فى كل نقمة و نعمة ﴿شَكُورٍ﴾ على كل نعمة، و الدهر لك يومان يوم لك و يوم عليك، فإذا كان لك فلا تبطر و إذا كان عليك فاصبر فبكلاهما ستختبر.

٢٠ / ٣٤

٢٠- ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ فصدقوه في ظنه الكاذب في خطواته بشيطاناته ﴿فَاتَّبَعُوهُ﴾ كلهم ﴿إِلَّا قَرِيبًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لا كلهم ما فيهم شيطانات، و كما أوعد: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ. إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ (٣٨: ٨٣).

٢١ / ٣٤

٢١- ﴿وَمَا كَانَ﴾ أبدا ﴿لَهُ عَلَيْهِمْ﴾ شيء ﴿مِّنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ علما و علامة ﴿مَنْ يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ﴾ إذ فسحنا له مجال الشيطنة، حيث الدار دار الاختيار، دون تسيير و إجبار، فـ "نعلم" استثناء منقطع، إذ لا تعنى سلطة إبليس، بل إبتلاء ربانيا: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقَّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَ مَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَ لَوْلَا أَنفُسُكُمْ ..﴾ (١٤: ٢٢) ﴿وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ﴾ حسب حكمته الحاكمة عليها.

٢٢ / ٣٤

٢٢- ﴿قُلْ﴾ لهؤلاء الأنكاد إعراضا، بأمر يعنى أشد النهي ﴿ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ في محابو بكم و لكنهم ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ لهم و لا لكم ﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَ لَا فِي الْأَرْضِ وَ مَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍَ﴾ مع الله حتى يملكو معه ﴿وَ مَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ فلا مظاهرة بينهم و بين الله.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤٣١

٢٣ / ٣٤

٢٣- ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ﴾ مطلقا ﴿عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ﴾ الله ﴿لَهُ﴾ شافعا و مشفعا فـ "ما مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ" (١٠: ٣) ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ (٧٤: ٤٨) و على الجملة صبرا طويلا ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ فزع بوحى القرآن ﴿قَالُوا﴾ مع بعضهم البعض ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ﴾ إذ كشف عنهم الغطاء ﴿وَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾.

٢٤ / ٣٤

٢٤- ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ﴾ هل هم شركاءكم ﴿قُلْ﴾ عنهم هو ﴿اللَّهُ﴾ و لو كان له شركاء "فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ" أ إفكاً إلهة دُونِ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿وَ﴾ على الجملة ﴿إِنَّا﴾ الدعاة إلى الله ﴿أَوْ إِيَّاكُمْ﴾ الكافرين به ﴿لَعَلَىٰ هُدًى﴾ مستعلين عليها ﴿أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ يبين ضلاله، ثم لا ثالث، فلنواصل في حوار صالح طردا للضلال.

٢٥ / ٣٤

٢٥- ﴿قُلْ لَا تُسْأَلُونَ﴾ أنتم هنا و بعد الموت ﴿عَمَّا أَجْرَمْنَا وَ لَا نُسْأَلُ﴾ نحن ﴿عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ من إجرام، بعد ما ندعوكم إلى الحق و ننهاكم عن الإجرام، و هذه ضابطة ثابتة "أَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى" اللهم إلا إذا قصر في دعوة الحق فعليه مثل ما على المجرم و لا ينقص عنه شيء.

٢٦ / ٣٤

٢٦- و إذا لا تصدقونا في حقنا و باطلكم، ف ﴿قُلْ﴾ سوف ﴿يَجْمَعُ بَيْنَنَا﴾ نحن و إياكم ﴿رَبَّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَ هُوَ الْفَاتِحُ الْعَلِيمُ﴾ يعلم كيف يفتح بين حق و باطل، و يحققه هنا، و لا سيما في الأخرى.

٢٧ / ٣٤

٢٧- ﴿قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ﴾ إياهم ﴿بِهِ﴾ كـ ﴿شُرَكَاءَ﴾ له، حتى أعرفهم و أنساء لهم عن ذلك الإلحاق ﴿كَلَّا﴾ ليس له شركاء مهما ادعوا، إذ ليس لهم من سلطان بهذا، و لا أن الله بحاجة إلى شركاء ﴿بَلْ﴾ رغم ما ألحقتهم ﴿هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ﴾ فلا

يحتاج إلى شريك ﴿الْحَكِيمُ﴾ في عزته فكيف يكون له شريك "أروني" فجماذاتهم خادمة، و حيوانهم ساكنة، و طواغيتهم طاغية باغية، و كرماءهم من ملائكة أو نبين رافضة ذلك الإلحاق ماقته.

٢٨ / ٣٤

٢٨- وَ مَا أَرْسَلْنَاكَ رَسُولًا إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ مِبَالغةً الْكَافِ، لكي يكف الناس منذ رسالته إلى يوم الدين، يكفهم عن كافة التخلفات، دعوة، و واقعية ما كما عمل، و واقعية شاملة كما في دولة المهدي (ع) العالمية حالكونك كنقطة أولى في "كَافَّةً" بَشِيرًا وَ نَذِيرًا لهم وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ رسالتك الكافة، فهنا بشارة بشمولية رسالته دعوة و واقعية، و بخاتمته إذ ليس بعد الكافة دعوة إلا تحصيلًا للحاصل.

٢٩ / ٣٤

٢٩- ﴿وَيَقُولُونَ﴾ فيما يقولون ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ الساعة ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ و أى رباط بين واقع الوعد و العلم بوقته؟ فهل إذا لا نعلم متى ولدت ننكر ولادتك؟.

٣٠ / ٣٤

٣٠- فليس الجواب إلا ﴿قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ﴾ مجهول وقته، معلوم إتيانه ﴿لَا تَسْتَأْخِرُونَ﴾ طلبا ﴿عَنْهُ سَاعَةً﴾ زمانا و لا لحظة إذ لا تستجابون ﴿وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾ إياه كذلك، رغم من يستعجلها تعجيزا و تجهيلا.

٣١ / ٣٤

٣١- ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ﴾ من قرائن الوحي، بكفرهم اللازق، تأشيرا عشيرا أننا لا نؤمن بأية حجة، أو لنا حجة قاطعة بطلان الحق ﴿وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أمامه من قرائن الوحي، و لقد كان مقبلا إلى كل وحى سابق سابغ دون إدبار ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ﴾ هؤلاء ﴿الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ بعد الموت لربوبية الحساب و الجزاء ﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلِ﴾ تقاولا، و من ذلك أنه ﴿يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا﴾ ضلالا ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ إضلالا ﴿لَوْ لَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ دعوى كاذبة.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤٣٢

٣٢ / ٣٤

٣٢- ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ حينذاك جوابا ﴿لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا﴾ بهم ﴿أَنْحَنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ﴾ حجة بالغة مقنعة؟ كلا ﴿بَلْ كُنْتُمْ﴾ قبل إضلالنا إياكم قوما ﴿مُجْرِمِينَ﴾ إذ قبلتم إضلالنا دون برهان، رغم براهين الهدى، فهؤلاء- إذا- مستضعفون مقصرون، إذ قالوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا .. إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَ لَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا (٤: ٩٨).

٣٣ / ٣٤

٣٣- ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ﴾ هو ﴿مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ إضلالا عن الهدى بكل مكر حالى و مالى يقضى عليها ﴿إِذْ تَأْمُرُونَنَا﴾ ضغطا إضافة إلى مكرهم ﴿أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ﴾ بعد إذ اهتدينا فهدانا الله ﴿وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَ أَسْرَوْنَا النَّدَامَةَ﴾ عما قصروا ﴿لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ﴾ بما ضلوا ﴿وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مقصرين، كما جعلوا أغلال الضلالة في أعناقهم يوم التكليف، "جزاء وفاقا" ف ﴿هَلْ يَجْزُونَ إِلَّا﴾ نفس ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ بظهور ملكوته، دون زيادة كما يزعم من البقاء اللامحدود في النار!.

٣٤ / ٣٤

٣٤- ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مَجْتَمَعٍ مَكْلَفٍ﴾ ﴿مِنْ نَذِيرٍ﴾ ببراهين الحق ﴿إِلَّا قَالَ مُتَرْفُوهَا﴾ المترفون بما استغنوا ﴿إِنَّا﴾ جميعا بجمع قوانا ﴿بِمَا أَرْسَلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ استكبارا أو استدبارا دون برهان إلا ترفا و طرفا.

٣٥ / ٣٤

٣٥- ﴿وَقَالُوا﴾ فيما قالوا و غالوا ﴿نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَ أَوْلَادًا﴾ منكم، فكيف تتبعكم ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾ يوم الدين، و إلا فلما ذا هذه الكثرة من النعم، بل أنتم قوم مسحورون.

٣٦ / ٣٤

٣٦- ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿إِنَّ رَبِّي﴾ بكامل الربوبية ﴿يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ ه فيشاءه الله دون لباقة أو لياقة إبتلاء ﴿وَيَقْدِرُ﴾ ه على من يشاء مهما سعى، دون استحقاق عذابا ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ حيث يخلطون حساباتهم، كأن الله يسطر رزقه جزاء أو يقدره جزاء، بل هما إبتلاء: "فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَ نَعَمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ .. أَهَانِي" (٨٩: ١٦).

٣٧ / ٣٤

٣٧- ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَ لَا أَوْلَادُكُمْ بِ﴾ العوامل ﴿الَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى﴾ و قربة، إذ ليست من طاعاتكم الزلفى ﴿إِلَّا﴾ لـ ﴿مَنْ آمَنَ وَ عَمِلَ صَالِحًا﴾ في أمواله و أولاده أو بدونهما ﴿فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ﴾ فـ "أَمْوَالُ وَ الْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَ خَيْرٌ أَمَلًا" (١٨: ٤٦) ﴿لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ﴾ ﴿بِمَا عَمِلُوا﴾ "عَشْرُ أَمْثَالِهَا" و لدينا مزيد ﴿وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ﴾ في الجنة ﴿آمِنُونَ﴾ عن كل بأس.

٣٨ / ٣٤

٣٨- ﴿وَوَقَّ﴾ يقابلهم ﴿الَّذِينَ يَسْعَوْنَ﴾ بأموالهم و أولادهم و سائر طاقاتهم ﴿فِي آيَاتِنَا﴾ "فِي الْآفَاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ" ﴿مُعَاجِزِينَ﴾ الله، إبطالا لها، أو انبطالا عنها حتى لا تدل على الله ﴿وَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ كما أحضروا أنفسهم في معاجزة آياتنا.

٣٩ / ٣٤

٣٩- ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ بحكمته ﴿وَيَقْدِرُ لَهُ﴾ بحكمته "مَنْ كَانَ يَرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ .." (١٧: ١٨) لا من يريد ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ في الله ﴿فَهُوَ يَخْلِفُهُ﴾ إبقاء لكم ﴿وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ إياكم و من تنفقون له تكويننا و تشريعا.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤٣٣

٤٠ / ٣٤

٤٠- ﴿وَوَقَّ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾ جميعاً ﴿ثُمَّ﴾ بعد حشرهم ﴿يَقُولُ﴾ الله ﴿لِلْمَلَائِكَةِ أِهْؤُلَاءِ﴾ المشركون ﴿إِيَّاكُمْ﴾ فقط ﴿كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ من دون الله، كما كانوا يدعون.

٤١ / ٣٤

٤١- ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ﴾ أن يعبد غيرك، أو أن نرضى أن نعبد دونك، لأنك ﴿أَنْتَ وَلَيْنَا مِنْ دُونِهِمْ﴾ فكيف نعبد دونك ﴿بَلْ﴾ كانوا يعبدون الجن ﴿إِذْ كَانُوا يَروْنَهُمْ أَنْفُسَهُمْ كَانَهُمْ مَلَائِكَةً﴾ أو يعبدوننا بأمر الجن فهي - إذا - عبادة للجن، فـ ﴿أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾ كآلهة، أو يطيعونهم في عبادة الملائكة، و من "الجن" النفس الأمارة المعبودة لهم في كل عبادة شركية، فإنها رأس كل ضلالة إلحادية أو إشراكية.

٤٢- ﴿فَالْيَوْمَ﴾ و قد فات يوم خلاص، فلات حين مناص ﴿لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ﴾ المعبودون من دون الله ﴿لِبَعْضٍ﴾ عابدين إياهم ﴿نَفْعًا﴾ إن عبدتموهم ﴿وَلَا ضَرًّا﴾ إن لم تعبدوهم ﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بحق الحق ﴿ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ ذوقا لواقع أعمالهم النارية، ف" هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ " (٢٧: ٩٠).

٤٣- ﴿وَإِذَا تَتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾ يَنَاتٍ ﴿قَالُوا﴾ فيما غالوا ﴿مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ﴾ من أصنام و طواغيت، صداً عن قوميتكم المشركة الممتدة ﴿وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ﴾ كذب ﴿مُفْتَرًى﴾ على الله ﴿و﴾ على الجملة ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ﴾ الحقيق بالاتباع ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ ﴿يَسْحَرُنَا﴾ مُبِينٌ ﴿فِي أَنَّهُ سِحْرٌ مِثْلُ مَا يَكُونُ﴾ فقال إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثِرُ (٧٤: ٢٤).

٤٤- ﴿وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا﴾ إذ عاشوا زمن الفترة بين رسولين، و لم يأتهم وحى رسولى يدلهم إلى ما هم عليه و لا سواه ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾ " فَإِنَّمَا يَسْرُنَاهُ لِبَلْسَانِكَ لِيُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَ يُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا " (١٩: ٩٧) فى بعدى تعودهم على الإشرار و الفترة الرسولية، على استمرارية الرسالة.

٤٥- ﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من كفار ﴿وَمَا بَلَّغُوا﴾ هؤلاء الحاضرون ﴿مِعْشَارَ﴾ عشر ﴿مَا آتَيْنَاهُمْ﴾ أولاء القدامى: " وَ لَقَدْ مَكَّانَاهُمْ فِيمَا إِنْ مَكَّانَكُمْ فِيهِ " (٤٦: ٢٦) " مَكَّانَاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نَمَكِّنْ لَكُمْ " (٦: ٦) ﴿فَكَذَّبُوا رُسُلِي﴾ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿ي عَلَيْهِمْ عَذَابًا مُسْتَأْصَلًا﴾ هنا و هناك.

٤٦- ﴿قُلْ إِنَّمَا﴾ ليس إلا ﴿أَعْظُكُمْ﴾ موعظة ﴿وَاحِدَةً﴾ هـى ﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ﴾ علميا معرفيا و عمليا ﴿مُتْنًى﴾ إثنين إثنين، حيث القيام الجمعى أجمع ﴿و﴾ إلا ﴿فُرَادًى﴾ بحيث تلتحقوا ببعضكم البعض، فإن " أَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ " و يد الله مع الجماعة ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾ " مُتْنًى وَ فُرَادًى " أنه ﴿مَا بِصَاحِبِكُمْ﴾ الذى صاحبكم " فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَلَا تَعْقِلُونَ " (١٠: ١٦) ﴿مِنْ جَنَّةٍ﴾ تجن عقله، أو إن صار أعقل مما قبله و منكم أصبح ذا جنة! ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ بآياته البينات.

٤٧- ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ﴾ " لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى " (٤٢: ٢٣) ﴿فَهُوَ لَكُمْ﴾: " قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا " (٢٥: ٥٧) ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ قيومية فذلك أجر فى صورته، و هو " لكم " ل " مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا " فقد رجع ذلك الأجر إليكم إذ تتقربون إلى الله بأبواب علم الرسول.

٤٨- ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ﴾ الباطل ﴿بِالْحَقِّ﴾: " بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ " (٢١: ١٨) و لأنه ﴿عَلَامُ الْغُيُوبِ﴾ فكل ما يغيبه أهل الباطل يعرفه فيدمغه بحججه البالغة الدامغة: " وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ .. " (١٢: ٢١)

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤٣٤

٤٩- ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ﴾ كَلَّهْ فِي هَذِهِ الرِّسَالَةِ الْآخِرَةِ ﴿وَمَا يَبْدِئُ الْبَاطِلُ﴾ كَلَّهْ أَمْرًا جَدِيدًا، إِذْ مَضَى كَلَّهْ ﴿وَمَا يَعِيدُ﴾ مَا كَانَ، فَهُوَ- إِذَا- فِي شَلِّ وَ خَبَل، وَ لَا سِيْمَا فِي دَوْلَةِ الْمَهْدَى (ع) حَيْثُ يَظْهَرُ الْحَقُّ كَلَّهْ.

٥٠ / ٣٤

٥٠- ﴿قُلْ﴾ بَعْدَ ذَلِكَ كَلَّهْ ﴿إِنْ ضَلَلْتُ﴾ عَنِ الْحَقِّ ﴿فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي﴾ دُونَ الْآخِرِينَ ﴿وَإِنْ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي﴾ إِذْ لَا هُدًى مُطْلَقَةً إِلَّا بِوَحْيِهِ، مَهْمَا كَانَ الْمَهْتَدَى أَعْقَلَ الْعَقْلَاءِ ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ﴾ مَقَالَةَ الْحَقِّ وَ الضَّلَالَةَ ﴿قَرِيبٌ﴾ إِلَى أَصْحَابِهِمَا، فَلَوْ كُنْتَ ضَالًّا أَدْعَى الرِّسَالَةَ لَكَانَ اللَّهُ يَفْضَحُنِي: "وَ لَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ. لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ. ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ.." (٦٩: ٤٦) كَمَا وَ حِينَ أَكُونُ عَلَى هُدًى الْوَحْيِ أَوْحَى إِلَى كُلِّ بَرَاهِينِهِ، ثُمَّ لَا ثَالِثَ بَيْنِ الضَّلَالَةِ وَ الْهُدَى.

٥١ / ٣٤

٥١- ﴿وَلَوْ تَرَى﴾ بِبَصْرِكَ، وَ أَنْتَ تَرَى بِبَصِيرَتِكَ ﴿إِذْ فَرَعُوا﴾ عِنْدَ الرَّجْعَةِ وَ الْمَوْتِ وَ الْقِيَامَةِ، بِعَذَابِ اللَّهِ ﴿فَلَا قُوَّةَ﴾ لِأَحَدٍ، بَلْ ﴿وَ أَخِذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ فِي قُدْرَةِ اللَّهِ، مَهْمَا كَانَ بَعِيدًا لِسَوَاهِ.

٥٢ / ٣٤

٥٢- ﴿وَ قَالُوا﴾ حِينَئِذٍ ﴿أَمَنَّا بِهِ﴾ وَ لَا تَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿وَ أَنَّى لَهُمُ التَّنَاقُشُ﴾ وَ التَّنَاقُلُ ﴿مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ وَ هُوَ مَكَانُ التَّكْلِيفِ أَنْ يَرْجِعُوا إِلَيْهِ، وَ قَدْ فَاتَ يَوْمُ خُلَاصٍ.

٥٣ / ٣٤

٥٣- ﴿وَ﴾ الْحَالُ أَنَّهُمْ ﴿قَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾ ذَلِكَ الْاِخْذُ ﴿وَ﴾ هُمْ ﴿يَقْذِفُونَ﴾ قَذْفًا ﴿بِالْغَيْبِ﴾ رَمْيَةً مُظْلَمَةً ﴿مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ عَنِ الْآخَرَى، وَ هُوَ فِي الْأُولَى، بَعِيدًا عَنِ الْعَقْلِ وَ النِّصْفَةِ.

٥٤ / ٣٤

٥٤- ﴿وَ حِيلَ﴾ بِذَلِكَ ﴿بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ فِي حُرِيَةِ حَيَاةِ التَّكْلِيفِ ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ﴾ هَؤُلَاءِ وَ لَمْ يَنْتَبِهُوا بِهِمْ ﴿إِنَّهُمْ﴾ كَكُلِّ ﴿كَانُوا﴾ غَارِقِينَ ﴿فِي شَكٍّ مُرِيبٍ﴾ لِمَنْ يَسْمَعُهُمْ كَأَنَّهُ شَكٌّ مُسْنُودٌ إِلَى دَلِيلٍ، وَ لَيْسَ إِلَّا الْعَلِيلُ.

سورة الفاطر

١ / ٣٥

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ كُلُّ حَمْدٍ مِنْ كُلِّ حَامِدٍ ﴿فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ﴾ شَقَا عَنِ الْمَادَةِ الْأُولَى، الَّتِي خَلَقَهَا مِنْ قَبْلِ "وَ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَ كَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ.." (١١: ٧) رَحْمَةً رَحْمَانِيَةً لِلْكَلِّ ﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ﴾ جَمِيعًا ﴿رُسُلًا﴾ بِرَحْمَةِ رَحِيمِيَّةٍ، بِرِسَالَاتِ الْوَحْيِ، وَ أُخْرَى فِي أُمُورِ الْكُونِ، لِلْخَلْقِ كَلَّهْ ﴿أُولَى أَجْنَحَةٍ﴾ لِلطَّيْرَانِ فِي أَجْوَاءِ الرِّسَالَةِ ﴿مُتْنَى وَ ثَلَاثَ وَ رُبَاعَ﴾ كَأَصْلِ ضَابِطِي، ثُمَّ وَ ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ﴾ أَجْنَحَةً وَ سَوَاهَا، لَهُمْ وَ لِمَنْ سَوَاهُمْ: "وَ السَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَ إِنَّا لَمُوسِعُونَ" (٥١: ٤١) ﴿مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ دُونَ حَدٍّ وَ لَا حُدُودٍ، اللَّهُمَّ إِلَّا الْاَلَشْيَاءَ الْمَطْلُوقَ، الْمُسْتَحِيلَ ذَاتِيًا، فَلَيْسَ مُتَعَلِّقًا لِلْقُدْرَةِ ذَاتِيًا، وَ إِلَّا لَكَانَ شَيْئًا، أَوْ الْخَارِجَ عَنِ الْحِكْمَةِ الرَّبَّانِيَّةِ، فَرُغِمَ قُدْرَتُهُ عَلَيْهِ لَا يَحْقُقُهُ.

٢ / ٣٥

٢- ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ﴾ رُوحِيَّةٌ أَمْ مَادِيَّةٌ ﴿فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ مِنْ غَيْرِهِ ﴿وَ مَا يُمْسِكُ﴾ بَعْدَ إِرسَالِهِ أَوْ لَمَّا يَرْسَلُ ﴿فَلَا مَرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾: "وَ إِنْ يُمْسَسَكَ اللَّهُ بَصْرًا فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَ إِنْ يُمْسَسَكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" (٦: ١٧) ﴿وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ عَزِيزًا فِي حِكْمَتِهِ، حَكِيمًا فِي عَزَّتِهِ.

٣ / ٣٥

٣- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ ككل، فلا نعمة إلا منه ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾ دليلا على اختصاص الخلق بالله، فهو الذى ﴿يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾ "ألا له الخلق والأمر" (٥٤: ٧) ﴿لَا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾ خلقا و أمرا ﴿فَأَنى تُؤْفَكُونَ﴾ تصرفون كذبا و زورا.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤٣٥

٤ / ٣٥

٤- ﴿وَإِنْ يَكْذِبُونَ﴾ هؤلاء الكفار، فـ "ما كُنتُ بدعاً من الرُّسل" (٤٦: ٩) ﴿فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾ و مهما لا ترجع الأمور هنا إلى فصل القضاء ﴿وَإِلَى اللَّهِ﴾ يوم الله ﴿تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾ نتاجا، كما ترجع إليه هنا علما: "وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا.." (٦: ٣٤).

٥ / ٣٥

٥- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾: النسيان ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ كله ﴿حَقٌّ﴾ لا حول عنه ﴿فَلَا تَغْرَنَكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ من الدانى و الدنو ﴿وَ لَا يَغْرَنَكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ من شياطين الإنس و الجن، فلا يغرنكم الغرور بـ "متاع الغرور" (٥٧: ٢٠) فى "الحياة الدنيا إلا متاع الغرور" (٣: ١٨٥).

٦ / ٣٥

٦- ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ﴾ خاصة بدليل تقديم الظرف ﴿عَدُوٌّ﴾ مهما كان عدوا لسائر المكلفين أيضا ﴿فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ فى تعاد مستمر ﴿إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ﴾ التابعين له ﴿لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ مهما كان له إليه خطوات.

٧ / ٣٥

٧- ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ و ماتوا كفارا ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ شدة كفرهم، دركات بدركات ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ لإيمانهم، إن ماتوا كذلك ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ عما تفلت عنهم من سوء ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ أكبر مما أتو به، إذ "لدينا مزيد" بـ "عشر أمثالها" أو يزيد.

٨ / ٣٥

٨- ﴿أَفَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ قَرَآهُ حَسَنًا﴾ رغم سوءه، أن "فَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ" (١٦: ٦٣) فصدقوه، ثم زينا لهم أَعْمَالَهُمْ (٢٧: ٤) "جزاء وفاقاً، إذ ختم الله على قلوبهم و على سمعهم و على أبصارهم غشاوة" (٢: ٧) فهو وليهم اليوم و لهم عذاب أليم" أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا و عملوا الصالحات سواء محياهم و مماتهم" (٤٥: ٢١) ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾ الضلالة فيشاءها الله عليه ﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ الهدى فيشاءها الله له ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ﴾ إذ هم يشاءون الضلالة ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ من شرور يستحقون جزاءها.

٩ / ٣٥

٩- ﴿وَاللَّهُ﴾ هو ﴿الَّذِى أَرْسَلَ الرِّيحَ﴾ دائما ما دامت الحياة ﴿فَتَثِيرُ﴾ إثارة لحياة ﴿سَحَاباً﴾ يسحب و ينزع من أبخرة المياه ﴿فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ﴾ عن حياة له، نباتية و ما شابه ﴿فَاحْيِينَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ و ﴿كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ عن القبور، حيث يشير إلى الأموات سحب الحياة: "فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِ المَوْتِ وَ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" (٣٠: ٥٨) "كَذَلِكَ نُخْرِجُ المَوْتِى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ" (٧: ٥٧).

١٠ / ٣٥

١٠- ﴿مَنْ كَانَ يَرِيدُ الْعِزَّةَ﴾ الصالحة، الممكنة له ﴿فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ ما يختص به إلهها، و ما يعطيه حسب الحكمة الربانية "أَيَنْتَعُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا" (٤: ١٣٩) "وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ .." (٨: ٦٣) ﴿إِلَيْهِ﴾ لا سواه ﴿يَصْعَدُ الْكَلِمُ﴾ اسم جنس جمعى قد يذكر كما ﴿الطَّيِّبُ﴾ هنا، صعودا فى مكانة، لا مكان، إذ ليس لله مكان، و"الطَّيِّبُ" هو المستطاب عند الله، لذلك "يَصْعَدُ" بطبيعة الحال، ﴿وَلَكِنْ﴾ ﴿الْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ إليه بمعونة الرحمة ﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ﴾ فى عمل ﴿السَّيِّئَاتِ﴾ كأنهم سابقون، كما و يرونها حسنات ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ شدة سيئاتهم ﴿وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ﴾ لا مكرنا بمكرهم ﴿يَبُورُ﴾ فَإِنْ مَكْرَنَا يَدُورُ وَ لَا يَبُورُ.

١١ / ٣٥

١١- ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ﴾ روحا و جسما ﴿مِنْ تُرَابٍ﴾ أصلا و نسلا ﴿ثُمَّ﴾ بعد الأصل ﴿مِنْ نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾ ذكرا و أنثى .. و ما يَعْمَرُ مِنْ مُعَمَّرٍ ﴿إِلَى أَجَلٍ مَحْتُومٍ﴾ و لا يَنْقُصُ مِنْ عُمُرِهِ ﴿بِأَجَلٍ مَعْلُوقٍ﴾ إِلَّا فِي كِتَابٍ ﴿عِلْمُهُ وَ قُدْرَتُهُ﴾ ﴿إِنْ﴾ ذَلِكَ ﴿كَلَّمَ﴾ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿غَيْرَ عَسِيرٍ وَ لَا حَصِيرٍ أَوْ حَسِيرٍ﴾.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤٣٦

١٢ / ٣٥

١٢- ﴿وَمَا يَسْتَوِى الْبَحْرَانِ﴾ المتخالفان ﴿هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ﴾ هنيئا ﴿وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ بخلافه فلا يسوغ شربه ﴿وَالْحَالُ أَنْكُمْ﴾ ﴿مِنْ كُلِّ﴾ منهما ﴿تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَ تَسْتَخْرِجُونَ حَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا﴾ و البحرين هما مثل الإيمان و الكفر، و قد يلد الكافر مؤمنا أو عكسا، و مثل الحياة و الموت، و حياة الموت أكثر ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاجِرَ﴾ مشاقا ﴿لَتَبْتَغُوا﴾ بها بعضا ﴿مِنْ فَضْلِهِ وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الله على البحر و الفلك و المواخر المبتغاة من فضله، و هكذا بحر حياة التكليف، فبمواخرها تبتغى فضله بعد الموت كما قبله.

١٣ / ٣٥

١٣- ﴿يُولِجُ﴾ ظلام ﴿الَّيْلِ فِي﴾ ضوء ﴿النَّهَارِ وَ يُولِجُ﴾ ضوء ﴿النَّهَارَ فِي﴾ ظلام ﴿الَّيْلِ﴾، مما يدل على كروية الأرض، و إلا لكان كلها ليلا، ثم كلها نهارا حسب غروب الشمس و طلوعها ﴿وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ﴾ طلوعا و غروبا فى سيرهما ﴿كُلُّ﴾ منهما ﴿يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ لجره تسييرا لهما بشروقات الشمس و غروباتها ﴿ذَلِكَ﴾ العظيم ربوبيته، هو ﴿اللَّهُ﴾ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لا سواه ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ هم ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ و الكل دونه ﴿مَا يَمْلِكُونَ﴾ بعضا ﴿مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ أثرا على رأس النواة، من ملك الربوبية، بل و لا ملكا دونها، إذ يملكهم الله و ما معهم.

١٤ / ٣٥

١٤- ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ﴾ أصناما ﴿لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ﴾ فضلا عن إجابتك ﴿وَ لَوْ سَمِعُوا﴾ كطواغيت أو صالحين ﴿مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾ إذ لا يقدرُونَ، أو يخلون على ضعفهم، أو لا يقبلون أن يعبدوا ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ إياهم بالله: ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ (٢٥: ١٨) و كذلك أصنامهم إذ تكلم أنكم إنما عبدتم الشيطان الذى دعاكم إلى عبادتنا ﴿وَ لَا يَنْبُكَ مِثْلُ﴾ هذا ﴿خَبِيرٍ﴾ كما ينبئ الله.

١٥ / ٣٥

١٥- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ و بأحرى من دونكم ﴿أَنْتُمْ﴾ كونا و كيانا ﴿الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾ ككل ذاتا و صفات و أفعالا، بل أنتم الفقر نفسه، مما يدل على أن وراءكم غنى كلها ﴿وَاللَّهُ هُوَ﴾ لا سواه ﴿الْغَنِى﴾ بذاته ﴿الْحَمِيدُ﴾ فى غناه، فأصالة الفقر دليل أصالة الغنى.

١٦ / ٣٥

١٦- ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ كما أذهب من قبلكم من نسناس، و جعلكم خلفاءهم: "إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً" (٣٠: ٢) ﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ فكيف يحتاج إليكم: "إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ" (٤: ١٣٣).

١٧ / ٣٥

١٧- ﴿وَمَا ذَلِكَ إِلَّا أَلْهَابٌ وَالْإِتْيَانُ﴾ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿صَعْبٌ، مَهْمَا كَانَ عَلَى غَيْرِهِ مُسْتَحِيلًا.

١٨ / ٣٥

١٨- ﴿وَلَا تَرَوْكُمْ﴾ نفس ﴿وَازِرَةً وَزَرَ﴾ نفس ﴿أُخْرَى﴾ ضابطة ثابتة، مهما يزر وازرة وزرها مثل وزر أخرى بأن أضلها و لا ينقص أولئك من أوزارهم شيء: "وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ. وَلِيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسْتَلْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ" (٢٩: ١٣) ﴿وَأِنْ تَدْعُ﴾ نفس ﴿مُتَّقَلَةً﴾ إِلَى حِمْلِهَا غَيْرَهَا لِتَحْمِلَ عَنْهَا ﴿لَا يَحْمِلُ﴾ بِدَعْوَتِهَا ﴿مِنْهُ﴾ حملا ﴿شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ "يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ. إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ" (٣٦: ٨٩) ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ﴾ مؤثرا ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾ الربوبى، و غيبا من الناس ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ﴾ فقط ﴿وَأِلَى اللَّهِ﴾ كُلُّ ﴿الْمَصِيرِ﴾ لكل سائر، و الكل سائرون إلى مصير.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤٣٧

١٩ / ٣٥

١٩- ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى﴾ بصرا أو بصيرة ﴿وَالْبَصِيرُ﴾ بصيرة أو بصرا.

٢٠ / ٣٥

٢٠- ﴿وَلَا الظُّلُمَاتُ﴾ ظاهرا و باطنا، فأن لها دركات ﴿وَلَا النُّورُ﴾ مع سائر النور، فضلا عن الأعمى و البصير، و الظلمات و النور مع بعض البعض، فهناك درجات بين مراحل النور، و دركات بين مراحل الظلمة، فضلا عما بينهما.

٢١ / ٣٥

٢١- ﴿وَلَا﴾ يَسْتَوِي ﴿الظُّلُ﴾ على درجاته ﴿وَلَا الْحَرُورُ﴾ على حرارته، فضلا عن الظل و الحرور.

٢٢ / ٣٥

٢٢- ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ﴾ مع بعض البعض لاختلاف الحياة ﴿وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾ كذلك لاختلاف موت عن موت، فضلا عن أن تستوى الحياة و الموت ﴿إِنَّ اللَّهَ يَسْمَعُ﴾ الهدى إيصالا إليها ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ ها فيشاءها الله ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾: "وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ" (٢٧: ٨١).

٢٣ / ٣٥

٢٣- ﴿إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ "بَيْنَ يَدَيَّ عَذَابٍ شَدِيدٍ" (٣٤: ٤٦) أتر أو لم يؤثر، ف"لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ" (٢: ٢٧٣) فإنما عليك هدى الدعوة نذيرا و بشيرا.

٢٤ / ٣٥

٢٤- ﴿إِنَّا﴾ بجمعية الصفات الرحيمية ﴿أَرْسَلْنَاكَ﴾ إرسالاً ﴿ب﴾ مصاحبة ﴿الْحَقِّ﴾ و سببه و غايته ﴿بَشِيرًا﴾ من يقبله ﴿وَنَذِيرًا﴾ و لما يقبل ﴿وَأِنْ مِنْ أُمَّةٍ﴾ مجتمع مكلف ﴿إِلَّا خَلَا فِيهَا﴾ كيفما كان ﴿نَذِيرٌ﴾ عن تخلفات، و "أُمَّةٌ" تناسب كونها فى قري عدة "حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا" (٢٨: ٥٩) و من هؤلاء الأمم المنذرة كل دابة: "وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ

بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ (٣٨: ٦) و لا حشر إلى الرب إلا لحساب و جزاء، مهما اختلفا حسب اختلاف المحشورين.

٢٥ / ٣٥

٢٥- ﴿وَإِنْ يَكْذِبُوكَ﴾ فى رسالتك ﴿فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ رسلهم، إذ ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْآيَاتِ﴾ ﴿الْبَيِّنَاتِ﴾ تدليلاً على رسالاتهم الربانية ﴿وَ بِالزُّبُرِ﴾ جمع الزُّبُر: القطع، إنذاراً ﴿وَ بِالْكِتَابِ﴾ وحيًا ﴿الْمُنِيرِ﴾ الدرب على كل مستتير، فكتاب الوحي نير و منير، دون أى ظلام أو إبهام، خلاف ما يظنه ظاننون، أن القرآن ظنى الدلالة!

٢٦ / ٣٥

٢٦- ﴿ثُمَّ﴾ بعد هذه الثلاث ﴿أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أَخْذًا وَبِيلاً (٧٣: ١٦) هنا و بعد الموت ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ ى على المنكرين و المستكبرين.

٢٧ / ٣٥

٢٧- ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ بصرا ببصيرة ﴿أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ﴾ سابقاً ﴿مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ لو لاه لما كان لنا هذا الماء ﴿فَأَخْرَجْنَا﴾ بجمعية الرحمت الرحيمية ﴿بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾ صورة و طعام، و كلا الماء و الأرض واحد ﴿وَ مِنَ الْجِبَالِ﴾ ما هى ﴿جُدُدٌ﴾ طرائق و شعاب ﴿بَيْضٌ وَ حُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا﴾ فى بيضاء و حمراء، ﴿وَ﴾ كذلك ﴿غَرَابِيبُ سُودٌ﴾ شديدة السواد، و التراب الحصىلة هى منه واحد، فقد خلق خالقها بإرادة و تصميم، لا أنه علة واحدة يصدر منه معلول واحد، لو كان الواحد لا يصدر منه إلا الواحد كما فلسفوه.

٢٨ / ٣٥

٢٨- ﴿وَ مِنَ النَّاسِ وَ الدَّوَابِّ وَ الْأَنْعَامِ﴾ ما هو ﴿مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ﴾ العظيم ربنا ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ﴾ بعض ﴿مِنَ عِبَادِهِ﴾ و هم ﴿الْعُلَمَاءُ﴾ بالله، عارفين إياه، مهما أرشد إليه العلم ككل، و لكننا الخشية ليست إلا بمعرفته ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾.

٢٩ / ٣٥

٢٩- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ﴾ حق تلاوته ﴿وَ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَ أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ ما يمكن إنفاقه و يحسن ﴿سِرًّا وَ عَلَانِيَةً﴾ دون رياء ﴿يَرْجُونَ﴾ من الله ﴿تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ﴾ لأن مشتريهم هو الله.

٣٠ / ٣٥

٣٠- يفعلون كذلك و يفعل الله ﴿لِيُوقِيَهُمْ أَجُورَهُمْ﴾ كما وعدهم ﴿وَ﴾ لـ ﴿يَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤٣٨

٣١ / ٣٥

٣١- ﴿وَ الَّذِى أَوْحَيْنَا﴾ بجمعية الصفات ﴿إِلَيْكَ﴾ على جمعية الكمالات ﴿مِنَ الْكِتَابِ﴾ القرآن ﴿هُوَ الْحَقُّ﴾ كله، مهما كان كل كتاب قبله حقاً، حالكونه ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من كتاب، حيث المصدر واحد، مهما كان القرآن هو كل الوحي ﴿إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ فيما يوحي من كتاب لكل أمة مكلفة.

٣٢ / ٣٥

٣٢- ﴿ثُمَّ﴾ بعد ذلك ﴿أَوْرَثْنَا﴾ بجمعية الإيراث، هذا ﴿الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا﴾ هم ﴿مِنَ عِبَادِنَا﴾ فهم المعصومون المحمديون بعده (ص) إذ لا اصطفاء كتابيا إلا للمعصومين، فلم نورثه كافة المكلفين، إلا تكليفا لا إراثا معصوما فى اصطفاء ﴿فَمِنْهُمْ﴾ عبادنا، من هو ﴿ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾ كفرا أو كفرانا ﴿وَ مِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ﴾ عدلا ﴿وَ مِنْهُمْ سَابِقٌ﴾ على كل سابق

﴿بِالْخَيْرَاتِ﴾ كُلُّهَا، وَ هَؤُلَاءِ هُمْ مِنْ "اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا" فليكونوا هم مع محمد الموحى إليه القرآن قبلهم، سابقين بكل الخيرات، على كافة السابقين الخيرين، مما يدل على أعلى قمم العصمة لهم عليهم السلام ﴿يَاْذُنَ اللّٰهِ﴾ إيراثا و اصطفاء و سبقا بالخيرات ﴿ذَلِكَ﴾ العظيم ﴿هُوَ الْفَضْلُ﴾ الربانى ﴿الْكَبِيرُ﴾ المنقطع النظير، فهم- حقا- ورثة الكتاب روحيا و حكما، و ورثة الأرض فى الدولة الأخيرة فوق كل الوارثين: "وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ" (٢١: ١٠٥).

٣٣ / ٣٥

٣٣- فهم أولئك المصطفون السابقون، فى ﴿جَنَاتٍ عَدْنٍ﴾ باقى ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ و ﴿يَحَلُّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ﴾ دستواره فارسية ﴿مِنْ ذَهَبٍ﴾ كان هنا محرما ﴿وَلَوْلَا وِلَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ و كذلك الأمر، "حرير" تحريرا عن خشونة إلى لينه.

٣٤ / ٣٥

٣٤- ﴿وَقَالُوا﴾ عَلَيْهِمْ مَع أَشْيَاعِهِمُ الصَّالِحِينَ، الدَّالِّينَ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِهِمْ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾ السابق يوم الدنيا ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ﴾ يستر العيوب ﴿شُكُورٌ﴾ يشكر الطاعات، و الحال أنه علينا أن نشكره بما وقفنا لطاعته و شكره.

٣٥ / ٣٥

٣٥- ﴿الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ﴾ "جَنَاتٍ عَدْنٍ" ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ إذ لم نكن نستحقها إلا بوعده الفضل ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ﴾ تعب فيها، أو حرمان، أو ظلم ﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ تعب فى طلب حاجة.

٣٦ / ٣٥

٣٦- ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ و ماتوا كافرين ﴿لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يَفْضَى عَلَيْهِمْ﴾ قبل تمام جزاءهم ﴿فَيَمُوتُوا﴾ فيها و النار باقية، مهما ماتوا مع النار إذا تم جزاءهم فيها ﴿وَلَا يَخَفُّ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ المستحق قدر كفرهم ﴿كَذَلِكَ﴾ العظيم العادل ﴿نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾ "جَزَاءً وَفَاءً" فـ "إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ" (٦٦: ١٧) "وَلَا يَظْلَمُونَ نَقِيرًا" (٤: ١٢٤) فَإِنَّ جَزَاءَ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا" (١٠: ٢٢).

٣٧ / ٣٥

٣٧- ﴿وَهُمْ يَصْطَرِّخُونَ فِيهَا﴾ عاليا، قائلين ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا﴾ منها إلى دار التكليف، لكى ﴿نَعْمَلَ صَالِحًا﴾ للإيمان ﴿غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ من طالح و صالح للكفر ﴿أَوْ لَمْ نَعْمَرْكُمْ﴾ قدر ﴿مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ﴾ الحق ﴿مَنْ تَذَكَّرْ﴾ هـ، فقد كملت الحجة عليكم كما عليهم، مما يدل على أن قدرا من العمر لا يذكر ليس حجة، بل هو قصور ﴿وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ﴾ الرسولى أو الرسالى ﴿فَذُوقُوا﴾ العذاب ﴿فَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾ هكذا ﴿مِنْ نَصِيرٍ﴾ إذ ظلموا أنفسهم بما ظلموا الحق، "حِكْمَةٌ بِاللِّغَةِ فَمَا تُغْنِ النَّذْرُ".

٣٨ / ٣٥

٣٨- ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ هو ﴿عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ و منه غيب نياتكم و طوياتكم ككل ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ذاتيا بذواتكم: "يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ" (٤٠: ١٩).

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤٣٩

٣٩ / ٣٥

٣٩- ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾ تخلفون ككل الأنسال السابقة المنقرضة: "إِنِّى جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً" (٢: ٣٠) كما يخلف بعضكم بعضا، بحياة قرن بعد موت قرن: "وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ" (٦: ١٦٥) ﴿فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ﴾ لا سواه ﴿كُفْرُهُ﴾ و لا يزيد الكافرين كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا عند الله ﴿وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ﴾ المتواصل ﴿إِلَّا خَسَارًا﴾ "ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ".

٤٠- ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ هم ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي﴾ عيانا، عينا أو بيانا ﴿مَاذَا خَلَقُوا﴾ بعضا ﴿مِنَ الْأَرْضِ﴾ فضلا عن السماء ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ﴾ بعد الأرض ﴿فِي السَّمَاوَاتِ﴾ مع الله ﴿أَمْ﴾ لا هذا ولا ذلك، أو أحدهما أو هما، بل ﴿آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا﴾ وحيا ﴿فَهُمْ عَلَى﴾ آية ﴿بَيِّنَةٍ مِنْهُ﴾ أن له شركاء ﴿بَلْ﴾ لا هذا ولا ذلك، ف ﴿إِنْ يَعْذُ الظَّالِمُونَ﴾ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا ﴿وَعْدًا﴾ غُرُورًا ﴿لَا يَمْلِكُ حِجَّةٌ﴾.

٤١- ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ لا سواه ﴿يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾ انعدامًا، أم عن مواضعها سقوطًا إلى سائر الأجواء، مما يدل على أنهما معلقان في الجو المحيط، وقد "رَفَعَ السَّمَاوَاتِ" ومنها الأرض المعلقة فيها "بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرْوْنَهَا" * (١٣: ٢) فثمَّ عمد و لكن لا ترونها، من قوة جاذبية أمأهيه ﴿وَلَتِنْ زَالَتَا﴾ أن أزالهما ﴿إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ﴾ سواه ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ حيث زالتا بما ترك إمساكهما ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا﴾ بكم ﴿غَفُورًا﴾ عنكم، أنه يمسكهما إلى أمدٍ لِيَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا.

٤٢- ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ﴾ و غاية ﴿أَيْمَانِهِمْ﴾ البالغة، إذ يعترفون بأنه إله الآلهة "أَقْسَمُوا" ﴿لَتِنْ جَاءَهُمْ﴾ من الله ﴿نَذِيرٌ﴾ لِيَكُونُنَّ أَهْدَى ﴿إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ وَرِسَالَتِهِ﴾ مِنْ إِحْدَى ﴿سَائِرِ﴾ الْأُمَمِ ﴿الْكَتَابِيَّةِ﴾، و هم مشركون ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ هو أنذر و أنظر و أنضر ﴿مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ عن الله، عكس ما أقسموا بالله، و كذلك الكتابيون: "وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَ كَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ" (٢: ٨٨) بهذه الرسالة و أكفر من المشركين: "وَأَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَ لَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ" (٢: ٤١).

٤٣- ﴿اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ كتابيا تصلبًا على الشرعة الإسرائيلية، و إشراكًا، على تقاليد آبائهم المشركين ﴿وَمَكْرَ السَّيِّئِ﴾ في سوءه، حيث يمحرون السيئات ﴿وَلَا يَحِيقُ﴾ إحاطة ﴿الْمَكْرُ السَّيِّئِ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ دون سواهم، مهما مكروا به، حين لا يتأثرون، أو إذا تأثروا بمكرهم قصورا، ثم و تقصيرا ليس رגיע مكرهم كأصل إلا إليهم: "لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ مِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ" (١٦: ٢٥) و هذا هو المكر السيئ على الناس، دون أصل الضلالة غير المضلة، فإن فيها عذابا دون "يَحِيقُ" ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ﴾ نظرا أو نظرة ﴿إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ﴾ عذاب استئصال^{٢١} ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ إلى غيره منه فضلا ممن سواه.

٤٤- ألم يفكروا أو يتدبروا ﴿أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ تاريخيا أو جغرافيا ﴿فَيَنْظُرُوا﴾ نظر البيان أو العيان ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ تدمرا و تدمرا ﴿وَالْحَالِ أَنَّهُمْ﴾ كانوا أشدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ﴿وَأَثَارًا﴾ (٤٠: ٢١) ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ لـ ﴿إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا﴾ بكل شيء ﴿قَدِيرًا﴾ على كل شيء.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤٤٠

٤٥- ﴿وَلَوْ﴾ مستحيلا في الحكمة الربانية ﴿يُوَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ﴾ هنا ﴿بِمَا كَسَبُوا﴾ من سيئات ﴿مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا﴾ شيئا ﴿مِنْ دَابَّةٍ﴾ تدب عليها، معهم أنفسهم، بل أفناهم عن آخرهم، فهو على الظالمين بلاء في أنفسهم، و بلاء فيما يستفيدون منه:

^{٢١} . فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا بغيرها.

وَلَوْ يَأْخُذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ (١٦: ٦١) فهي - إذا - فتنة تعم الكل عذابا و دون عذاب، خلفية الظلم: "وَأَتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً" (٨: ٢٥) ﴿وَلَكِنْ يُوْخِرُهُمْ﴾ الظالمين دون سواهم المأخوذين بما أخذوا ﴿إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ معلقا و سواه ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ﴾ المسمى ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ يمهلهم هنا ثم يأخذهم بعد الموت بما ظلموا.

سورة يس

١ / ٣٦

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ يس ﴿هِيَ نِدَاءٌ لِلرَّسُولِ (ص) لِمَكَانٍ "إِنَّكَ" وَ كَأَنهَا: يَا سَامِعَا لِلوَحْيِ، اِعْتَبَارًا بِنُبُوَّتِهِ الْعَالِيَةِ.

٢ / ٣٦

٢- ﴿وَ الْقُرْآنَ الْحَكِيمَ﴾ النازل عليه برسالة غالية، قسما من الله بالقرآن لِمَكَانٍ حِكْمَتِهِ الرَبَانِيَةِ فِيهِ كَمَا يَحِقُّ وَ يُمْكِنُ لِلْمُكَلِّفِينَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

٣ / ٣٦

٣- ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ العالين بعلو القرآن الحكيم "قُلِ اللَّهُ شَهِيدُ بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ وَ أَوْحَىٰ إِلَىٰ هَٰذَا الْقُرْآنِ لِأُنْذِرْكُمْ بِهِ وَ مَنْ بَلَغَ (٦: ١٩).

٤ / ٣٦

٤- محيطا به ﴿عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ فالقرآن الحكيم بحكمته الربانية دليل صارم لصدق هذه الرسالة العالية، فهو "عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ" فى شخصه و رسالته، فى عبوديته و حكمته و الاعتصام بربه.

٥ / ٣٦

٥- أعنى ﴿تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ﴾ الغالب على كل تنزيل ﴿الرَّحِيمِ﴾ مليئا من رحمته الرحيمية الشاملة، الأخيرة: "أَوْ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَا أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ يَتْلَىٰ عَلَيْهِمْ" (٢٩: ٥١) "وَ إِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ" (٤١: ٤١) من "الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ".

٦ / ٣٦

٦- ﴿لِتُنْذِرَ﴾ كرأس زاوية الدعوة الأولى ﴿قَوْمًا﴾ "لَدَا" (١٩: ٩٧) ﴿مَا أَنْذَرَ آبَاؤُهُمْ﴾ برسل فى الفترة الرسولية مهما أنذروا برسالات ﴿فَهُمْ غَافِلُونَ﴾ عن الحق، مما يشير إلى أن هدى الآباء مما يؤثر فى الأبناء، و حين يرسل إلى قوم لدّ، فبأحرى غيرهم ككل: "قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ" (١١: ٢٥).

٧ / ٣٦

٧- ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ﴾ عذابا ﴿عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ﴾ دون أقلهم ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ إذ هم قوم لدّ ما أنذر آباءهم حتى ينذروهم، فيسهل - إذا - إنذارهم: "إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ" (١٠: ٩٦) "إِذْ طُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ" (٩: ٨٧).

٨ / ٣٦

٨- ﴿إِنَّا﴾ بجمعية صفات الجلال الانتقام ﴿جَعَلْنَا فِي﴾ لا على ﴿أَعْنَاقِهِمْ﴾ فى قلوبهم لأنها هى أعناق الأرواح ﴿أَغْلَالًا﴾ بما غلوا على أنفسهم ﴿فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ﴾ ممتدة إلى أذقان الأرواح ﴿فَهُمْ﴾ إذا ﴿مُفْمَحُونَ﴾ رافعو رءوسهم تكبرا و تأبيا عن الانحناء للحق.

٩ / ٣٦

٩- ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ مواجهة ﴿سَدًّا﴾ كما لم يرووا الرسول حين خرج من بيته مهاجرا ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾ و بأحرى إذ لم يصروه خلفهم ﴿فَأَغْشَيْنَاهُمْ﴾ كما لم يبصروا حقا بين أيديهم و خلفهم ﴿فَهُمْ﴾ ككل ﴿لَا يَبْصُرُونَ﴾ الحق.
١٠ / ٣٦

١٠- ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾ لا عليك ﴿أَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ و لكن عليك مواصلة إنذارهم، لأنه "عذراً أو نُذراً".
١١ / ٣٦

١١- ﴿إِنَّمَا تُنْذِرُ﴾ مؤثرا ﴿مَنْ اتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾ دون إِدبار ﴿وَوَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ﴾ إلها، و مألوها ﴿فَبَشِّرْهُ﴾ إذا ﴿بِمَغْفِرَةٍ وَ أَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ قدر كرمهم فى إتباعهم.
١٢ / ٣٦

١٢- ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ﴾ بجمعية الرحمة، رحمانية و رحيمية ﴿الْمَوْتَى﴾ فى أرواحهم و أبدانهم ﴿وَوَكُنْتُ﴾ استنساخا ﴿مَا قَدَّمُوا وَ آثَرَهُمْ﴾ قبل موتهم بما أثروا ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ﴾ دون استثناء ﴿أَحْصَيْنَاهُ﴾ علما و قدرة ﴿فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ عندنا و فى القرآن و كتب الأعمال.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤٤١

١٣- ﴿وَ اضْرِبْ لَهُمْ﴾ أولاء المنكرين ﴿مَثَلًا﴾ ماثلا فى التاريخ ﴿أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ﴾ المعروفة، أنطاكية أو سواها ﴿إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ كرسل من المسيح (ع) أيا كانوا.
١٤ / ٣٦

١٤- ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ﴾ منهم ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا﴾ هما ﴿بثَالِثٍ فَقَالُوا﴾ جميعا ﴿إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ﴾.
١٥ / ٣٦

١٥- ﴿قَالُوا﴾ فى جوابهم ﴿مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾ فى البشرية فكيف تتفضلون علينا: "ما هذا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يريد أن يتفضلَ عَلَيْكُمْ" (٢٣: ٢٤) ثم ﴿وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ﴾ علينا، بيشر و غير بشر، ف ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾ "قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَ لَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ" (١٤: ١١) "أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ" (٤٣: ٣٢).
١٦ / ٣٦

١٦- ﴿قَالُوا﴾ ردا عليهم ﴿رَبَّنَا﴾ حيث ربانا بتربية خارقة ربانية لا يقدر عليها إلا هو ﴿يَعْلَمُ﴾ فلتعلموا بتلك التربية الخاصة ﴿إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ فالتربية الربانية الرسولية هى من آياتها الأنفسية للكل، مهما لم تكن آيات أخرى.
١٧ / ٣٦

١٧- ﴿وَمَا عَلَيْنَا﴾ أن نسيركم إلى الهدى ﴿إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ الرسالى ﴿الْمُبِينُ﴾ أنه من قبل الله، كيفما كانت آياتنا الرسولية، فالرسل هم بأنفسهم الربانية، آيات رسولية "لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَ هُوَ شَهِيدٌ".
١٨ / ٣٦

١٨- ﴿قَالُوا﴾ دون نظر إلى ربانية دعوتهم ﴿إِنَّا تَطِيرُنَا بِكُمْ﴾ شوما علينا، فأنتم دون الإنسان الطبيعى، فضلا عما فوقه، إذ يصلنا شووم من قبلكم، ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا﴾ عن دعوتكم ﴿لَنَرْجُمَنَّكُمْ﴾ و هو شر تعذيب لشر عصيان ﴿وَلَوْ﴾ أقل منه ﴿لَيَمَسَنَّكُمْ مِنْهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ دونه.
١٩ / ٣٦

١٩- ﴿قَالُوا طَائِرُكُمْ﴾ شؤماً، هو ﴿مَعَكُمْ﴾ إذ ترون الهدى ضاللاً ﴿أَإِنْ ذُكِّرْتُمْ﴾ عن غفلتكم تطيرون بنا شؤماً فيكم ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ فى الضلالة، رفضا لبيانات الهدى، و فرضا للردى: "وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ" (١٣١: ٧) ينزله عليهم بما عملوا "جَزَاءً وَفَاقًا" ففى مثلث الطائر أوله باطله و ثانيه "عِنْدَ اللَّهِ" * و ثالثه "مَعَكُمْ".

٢٠ / ٣٦

٢٠- ﴿وَلَوْ﴾ حينئذ، لما كذبوا بعد التعزير الرسولى، فإلى تعزير رسالى ﴿جَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى﴾ مسرعاً إلى المعركة ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ من ربنا، فإن تربيتهم الرسولية باهرة، كما "وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَ تَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّىَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ .." (٤٠: ٢٨).

٢١ / ٣٦

٢١- ﴿اتَّبِعُوا مَنْ﴾ هم بعد بيناتهم ﴿لَا يَسْتَلْكُمْ أَجْرًا﴾ على هذه الدعوة الصعبة الملتوية ﴿وَهُمْ﴾ فى أنفسهم ﴿مُهْتَدُونَ﴾.

٢٢ / ٣٦

٢٢- ﴿وَمَا لِي﴾ عاقلاً بفطرة التوحيد ﴿لَا أَعْبُدُ الَّذِى فَطَرَنى﴾ خلقاً على هذه الفطرة ﴿وَالِىهِ﴾ لا سواه ﴿تُرْجَعُونَ﴾.

٢٣ / ٣٦

٢٣- ﴿أَلَمْ﴾ بعد بينات التوحيد ﴿أَتَّخِذْ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً﴾ "مُتَشَاكِسُونَ" ﴿إِنْ يَرِئُنْ﴾ ى ﴿الرَّحْمَنُ﴾ الفاطر ﴿بُصْرًا لَا تَغْنِ﴾ أبداً ﴿عَنى شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا﴾ بل ﴿وَلَا يَنْقِذُونَ﴾ أنفسهم، فضلاً عن عبدتهم.

٢٤ / ٣٦

٢٤- ﴿إِنِّى إِذَا﴾ غارق ﴿أَفِى ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ضالاله.

٢٥ / ٣٦

٢٥- ﴿إِنِّى أَمِنْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ و ربى ﴿فَاسْمِعُونِ﴾ إياى.

٢٦ / ٣٦

٢٦- ﴿قِيلَ﴾ له ﴿ادْخُلِ الْجَنَّةَ﴾ مما يلح أنهم قتلوه، و الجنة هى البرزخية قضية أمره- إذا- بدخولها ﴿قَالَ﴾ عند دخولها ﴿يَا لَيْتَ قَوْمِى﴾ الكافرون ﴿يَعْلَمُونَ﴾ مكانى بمكانتى.

٢٧ / ٣٦

٢٧- ﴿بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّى﴾ ذنوبى بدفاعى عن الداعية الرسولية أن قتلت فى سبيله ﴿وَجَعَلَنِى مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ بهذه الكرامة الدفاعية.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤٤٢

٢٨ / ٣٦

٢٨- هنا بعد ما قتل ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُندٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾ إهلاكاً ﴿وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾ أبداً.

٢٩ / ٣٦

٢٩- ﴿إِنْ كَانَتْ﴾ نازلتهم ﴿إِلَّا صِيْحَةً وَاحِدَةً﴾ استصغارا لهم، تأخذهم ﴿فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾ عن نيران عنادهم "جَزَاءً وَفَاقًا" مما يدل على بطلان الرواية القائلة أن آمن السلطان و أهل مملكته!.

٣٠ / ٣٦

٣٠- ﴿يَا حَسْرَةً عَلَىٰ هَؤُلَاءِ﴾ ﴿الْعِبَادِ﴾ إِذْ ﴿مَا يَأْتِيهِمْ﴾ عَلَى طُولِ خَطِ الرِّسَالَاتِ ﴿مِنْ رَسُولٍ﴾ رَبَّانِي ﴿إِلَّا﴾ أَنَّهُمْ ﴿كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ فَيَسْتَهْزِءُ بِهِمْ عَذَابُ اللَّهِ: "اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَ يَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ" (٢: ١٥).

٣١ / ٣٦

٣١- ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ هَؤُلَاءِ وَأَضْرَابِهِمْ ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ﴾ قَبْلَهُمْ أَوْ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ قُوَّةً وَ أَكْثَرُ جَمْعًا (٢٨: ٧٨) ﴿أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ إِلَّا فِي زَمَنِ الرَّجْعَةِ وَلَكِنْ لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا إِيَّاهُمْ وَ يَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يَكْذِبُ بِآيَاتِنَا .. (٢٧: ٨٣) ثُمَّ وَ يَرْجِعُونَ إِلَى اللَّهِ لَا إِلَيْهِمْ.

٣٢ / ٣٦

٣٢- ﴿وَإِنْ﴾ مَوْكِدًا ﴿كُلُّ﴾ طَالِحًا وَ صَالِحًا ﴿لَمَّا﴾ يَرْجِعُونَ إِلَى اللَّهِ ﴿جَمِيعٌ لَدَيْنَا﴾ لَا سَوَانَا ﴿مُحْضَرُونَ﴾ لِحِسَابٍ وَ جَزَاءٍ.

٣٣ / ٣٦

٣٣- ﴿وَ آيَةٌ﴾ أَفَاقِيَّةٌ لِإِحْيَاءِهِمْ بَعْدَ مَوْتِهِمْ ﴿لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ﴾ قَبْلَ نَزُولِ الْمَاءِ عَلَيْهَا ﴿أَحْيَيْنَاهَا﴾ بِمَاءِ السَّمَاءِ ﴿وَ أَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا﴾ مِنْ مُخْتَلَفِ الثَّمَرَاتِ ﴿فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ عَلَى طُولِ خَطِ إِحْيَاءِهَا: "و تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَ رَبَّتْ وَ أَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ. ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَ أَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى" (٢٢: ٦).

٣٤ / ٣٦

٣٤- ﴿وَ جَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ﴾ مُلْتَفَةً الْأَشْجَارِ ﴿مِنْ نَخِيلٍ وَ أَعْنَابٍ﴾ وَ مَا أَشْبَهَ ﴿وَ فَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ﴾.

٣٥ / ٣٦

٣٥- ﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ﴾: الْمَاءُ وَ الْإِحْيَاءُ ﴿وَ مَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ إِيْجَابِيَا فِي وَجْهِهِ مَوْصُولِيَّةٌ "مَا" أَوْ سَلْبِيَا فِي وَجْهِهِ نَافِيَّةٌ، وَ هُمَا مُعْنِيَانِ، فَإِنْ أَيْدِيَهُمْ عَمِلَتْ بَعْضُهَا دُونَ بَعْضٍ ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ الْإِحْيَاءِ وَ الْإِنْبَاتِ؟ " وَ كَذَلِكَ الْخُرُوجُ" لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَ مَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ.

٣٦ / ٣٦

٣٦- ﴿سُبْحَانَ﴾ اللَّهِ ﴿الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾ وَ هِيَ الْخَلْقُ كُلُّهُ: " وَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ" (٥١: ٤٩) وَ نَفْسُ الْحَاجَةِ الْذَاتِيَّةِ فِي كُلِّ زَوْجٍ دَلِيلُ حَدُوثِهِ ﴿مِمَّا تُنْبِتُ﴾ هَا ﴿الْأَرْضُ﴾ جَمَادًا وَ نَبَاتًا وَ حَيَوَانًا ﴿وَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ وَ أَنْتُمْ مِنْ نَبَاتِهَا" وَ اللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا" ﴿وَ مِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ قَبْلَ الْحَالِ أَوْ بَعْدَ الْحَالِ، وَ مِنْ الْأَوَّلِ كَافَّةُ الْمُخْتَرَعَاتِ الْمُتَتَابِعَةِ، وَ مِنَ الثَّانِي كُلِّ مَا لَا يَعْلَمُهُ الْإِنْسَانُ أَيَّا كَانَ.

٣٧ / ٣٦

٣٧- ﴿وَ آيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ﴾ بِأَفْقِهِ ﴿نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾ بِتَكْوِيرِهِ عَلَى اللَّيْلِ كَالْعَكْسِ: "يَكُونُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ وَ يَكُونُ النَّهَارُ عَلَى اللَّيْلِ" (٣٩: ٩) مِمَّا يَدُلُّ عَلَى كَرَوِيَّةِ الْأَرْضِ ﴿فَإِذَا هُمْ﴾ بِسَلْخِ النَّهَارِ مِنَ اللَّيْلِ، وَ الْأَصْلُ هُوَ الْجَوْ ﴿مُظْلَمُونَ﴾ مَثَلًا لِمَوْتٍ بَعْدَ حَيَاةٍ.

٣٨ / ٣٦

٣٨- ﴿وَ﴾ آيَةٌ لَهُمْ ﴿الشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ تَسْتَقِرُّ فِيهَا بِالْخَاتِمَةِ تَكْوَرًا، كَمَا تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا فِي فَلَكِهَا الْخَاصِّ لَهَا قَبْلَهُ ﴿ذَلِكَ﴾ الْعَظِيمُ هُوَ ﴿تَقْدِيرُ﴾ اللَّهِ ﴿الْعَزِيزُ﴾ الْغَالِبُ ﴿الْعَلِيمُ﴾ فِي عَزَّتِهِ.

٣٩ / ٣٦

٣٩- ﴿وَ﴾ آيَةٌ لَهُمْ ﴿الْقَمَرُ قَدَرْنَاهُ﴾ فِي سِيرِهِ ﴿مَنَازِلَ﴾ كَبَرًا وَ صَغَرًا حَتَّى انْمَحَاهُ ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ وَرَقِ النَّخْلِ الْيَابِسِ النَّاعِمِ.

٤٠ / ٣٦

٤٠- ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا﴾ فى التقدير ﴿أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾ فى سيرهما ﴿وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ﴾ من الأرض و الشمس و القمر ﴿فِي فَلَكٍ﴾ خاص ﴿يَسْبَحُونَ﴾ كأنهم عقلاء لعقلية سباحتهم بتقدير العزيز العليم، مما يدل على حركاتها، دون تسرع أو تباطؤ أو وقفة أو انزلاق، حيث المحرك هو الله.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤٤٣

٤١ / ٣٦

٤١- ﴿وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ حملا لهم و هم ذرية فى أصلاب الناجين، فهى من إضافة الشيء إلى نفسه باعتبارين، فهم إذ كانوا ذرية فى أصلاب آبائهم كانوا ﴿فِي الْفَلَكِ الْمَشْحُونِ﴾ لنوح (ع): ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ (٦٩: ١١) و هى ذلك الفلك المشحون، فهم- إذا- أنفسهم، ذرية، لا أجدادهم حتى تؤول إلى الأجداد، كما و ذرية الذرية هى مشمولة لـ "ذُرِّيَّتَهُمْ".

٤٢ / ٣٦

٤٢- ﴿وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ﴾ فى متطور صناعات بحرية و تحت البحرية و أرضية و جوية ﴿مَا يَرْكَبُونَ﴾ إياها، فإن صنع الإنسان هو صنع الرحمن "فَبِأَىٰ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ!".

٤٣ / ٣٦

٤٣- ﴿وَإِنْ نَشَأْ﴾ فى الفلك المشحون و مثله ﴿نُغْرِقَهُمْ﴾ بحرا و برا و جوا ﴿فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ﴾ إلا نحن ﴿وَلَا هُمْ يَنْقُذُونَ﴾ إلا بنا.

٤٤ / ٣٦

٤٤- ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا﴾ تأخذهم عن غرقهم ﴿وَمَتَاعاً﴾ فى حياتهم ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ أجلهم المسمى فى الذكر الحكيم.

٤٥ / ٣٦

٤٥- ﴿وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾ إذا قيل لهم ﴿بُوحَىٰ﴾ اتَّقُوا ما بين أيديكم ﴿مِن بَاقِيَةِ الْحَيَاةِ وَبِرْزَا وَآخِرَى﴾ ﴿وَمَا خَلَقَكُمْ﴾ من ماضية الحياة ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ و لا ترجمون.

٤٦ / ٣٦

٤٦- ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ﴾ هؤلاء المكذبين ﴿مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ "فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ" ﴿إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾.

٤٧ / ٣٦

٤٧- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ فهو من ما له دونكم ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ و هم قائلون ﴿أَنْطَعِمُ﴾ نحن ﴿مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ﴾ بنفسه دون وسيط ﴿إِنْ أَنْتُمْ﴾ المؤمنون ﴿إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ إذ تعارضون مشيئة الله، أو كأنه فقير لا يقدر أن يطعم الفقراء، حال أن الإطعام إمتحان ربانى فى دار التكليف! و هو الذى أغنى و أقنى.

٤٨ / ٣٦

٤٨- ﴿وَيَقُولُونَ﴾ إذ يقولون ﴿مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ﴾ الحياة الحساب الجزاء بعد الموت ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ و لا رباط لصدقه بمتاه علما أو تحققا حينهم.

٤٩ / ٣٦

٤٩- ﴿مَا يَنْظُرُونَ﴾ انتظارا فنظرا ﴿إِلَّا صِيحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ﴾ كالنفخة الثانية الإحياء ﴿وَالْحَالُ أَنَّ﴾ ﴿هُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ فى الوعد الحق جدالا خاويا "إِنْ كَانَتْ إِلَّا صِيحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ" (٥٣: ٣٦) "يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصِّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ" (٥٠: ٤٢).

٥٠ / ٣٦

٥٠- ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً﴾ عند الصيحة ﴿وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ لحياة التكليف، فيعملوا صالحا فيما تركوا.

٥١ / ٣٦

٥١- ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ الناقور ﴿فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾: القبور، أيا كانت و كيفما كانت ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ من ربوبية التكليف إلى ربوبية الجزاء ﴿يَنْسَلُونَ﴾ من أجدائهم إلى أجسادهم و أرواحهم كما نسلوا من آباءهم و أمهاتهم.

٥٢ / ٣٦

٥٢- ﴿قَالُوا﴾ عند نسلهم من أجدائهم ﴿يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا﴾ إحياء ﴿مِنْ مَرْقَدِنَا﴾ غرفة نومنا و هى البرزخ، مما يدل على أن الأكثر فيه النوم، فيجابون ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ﴾ و أنتم ناكروه ﴿وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ فى ذلك الوعد المكذوب.

٥٣ / ٣٦

٥٣- ﴿إِنْ كَانَتْ﴾ صيحة الإحياء ﴿إِلَّا صِيحَةً وَاحِدَةً﴾ غير واحدة ﴿فَإِذَا هُمْ﴾ بغتة ﴿جَمِيعٌ﴾ دون انفراد ﴿لَدَيْنَا﴾ دون غيرنا ﴿مُحْضَرُونَ﴾.

٥٤ / ٣٦

٥٤- ﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ أن تعذب إلى غير النهاية ﴿وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ محدودا بمحدود.

٥٥ / ٣٦

٥٥- ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ المؤمنين، هم ﴿الْيَوْمَ﴾ لما نفخ فى الصور نفخة الإحياء ﴿فِي شُغْلٍ فَكِيهُونَ﴾: "فاكهيين بما آتاهم ربهم" (٥٢: ١٨) فى جنة الرضوان و الجثمان، فكاهة و فاكهة و أية نعمة ربانية، شغلا عما سوى الله و سوى جنة الله.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤٤٤

٥٦ / ٣٦

٥٦- ﴿هُمْ﴾ اصولا ﴿وَأَزْوَاجُهُمْ﴾ فروعا، إذ يعنى من "وَأَزْوَاجُهُمْ" أضرابهم الأتباع مطلقا، كما العكس: "احشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ .. فَأَهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ" (٣٧: ٢٣) و من الأصل: "وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ" (٥٢: ٢١) فى ظلال من ظل الله و رسله، و ظلال عن الشمس ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ السرر الموضونة ﴿مُتَّكِنُونَ﴾ مما يدل على راحة الاتكاء عليها من الأرض.

٥٧ / ٣٦

٥٧- ﴿لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ﴾ من "فاكيهون" ﴿وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ﴾ كما يشتهون "وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ" و قيلَ هَذَا الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تَدْعُونَ" (٦٧: ٢٧).

٥٨ / ٣٦

٥٨- "وَلَهُمْ فِيهَا" ﴿سَلَامٌ قَوْلًا﴾ كسائر السلام ﴿مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾ "عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُودٍ".

٥٩ / ٣٦

٥٩- و قيل لغيرهم ﴿وَأَمَّا الْيَوْمَ﴾ تميزا عن الصالحين في كل شيء بعد الخلط يوم الدنيا ﴿أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ ف "يَعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ" (٤١: ٥٥).

٦٠ / ٣٦

٦٠- ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ﴾ فطريا و عقليا و شرعيا ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾ طاعة أو عبادة ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ عداءه لمن يرى.

٦١ / ٣٦

٦١- ﴿وَأَنْ أَعْبُدُونِي﴾ بعد ترك غيري ﴿هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ في كلا السلب والإيجاب: "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ".

٦٢ / ٣٦

٦٢- ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ﴾ قبلكم ﴿مِنْكُمْ﴾: "بنى آدم" ﴿جِبِلًّا﴾ جمعا قويا كالجبل ﴿كَثِيرًا﴾ في عدة و عدة ﴿أَلَمْ تَكُونُوا﴾ من هذه العبرة ﴿تَعْقِلُونَ﴾ أخذًا للحق أمام الشيطان.

٦٣ / ٣٦

٦٣- ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ﴾ نار شديدة التاجج ﴿الَّتِي كُنْتُمْ﴾ يوم الدنيا ﴿تُوعَدُونَ﴾ في كل وحي.

٦٤ / ٣٦

٦٤- ﴿أَصْلُوهَا الْيَوْمَ﴾ إيقادا: "إِنَّكُمْ وَ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ" (٢١: ٩٨) "وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ" (٣: ١٠) ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ صليا هناك بصلى هنا "جزاء وفاقاً".

٦٥ / ٣٦

٦٥- ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ﴾ فلا يقدرّون على قول غول دفاعا، مهما قالوا قبل ما قالوا و غالوا ﴿وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ﴾ بما عملت تكلّما صوتيا و سوريا حيث "إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ" (٤٥: ٢٩) كما ﴿وَوَ﴾ هكذا ﴿تَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ إضافة إلى ألسنتهم إذ سجل فيها ما تكلموها، فتخبر به دون إختيار لهم، و هكذا كافة أعضاء المكلفين هي إذاعات بما عملوا خيرا أو شرا: "وَيَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ" (٢٤: ٢٤) فلا ينافي الختم على أفواههم و تكلم ألسنتهم بما عملوا.

٦٦ / ٣٦

٦٦- ﴿وَلَوْ﴾ مستحيلا في الحكمة ﴿نَشَاءُ لَطَمَسْنَا﴾ هناك ﴿عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ﴾ إلى الجنة، في التزامهم التسارع إليها رغم ذنوبهم ﴿فَأَنَّى يُبْصِرُونَ﴾ الصراط، كما لم يبصروه يوم الدنيا.

٦٧ / ٣٦

٦٧- ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ﴾ غيرهم ﴿عَلَى مَكَانَتِهِمْ﴾ اللّٰه إنسانية في مكانهم هناك ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا﴾ حتى استباقا ﴿وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ إلى الدنيا و لا إلى إنسانيتهم بعد مسخهم، و لكنّا دون طمس و مسخ نمنعهم عن الصراط بما عملوا.

٦٨ / ٣٦

٦٨- ﴿وَمَنْ نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ﴾ رجوعا إلى قهقراه إلا من شاء الله ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ الحقائق "وَمِنْكُمْ مَنْ يَرُدُّ إِلَى أَرْضٍ لِّلْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا" (١٦: ٧٠).

٦٩ / ٣٦

٦٩- ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ﴾ محمداً ﴿الشَّعْرَ﴾ أيا كان ﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾ حيث الشعر يزين القبيح، أو الصحيح أكثر مما هو ﴿إِنْ هُوَ﴾ الرسول، و ما علمناه ﴿إِلَّا ذِكْرٌ وَ قُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ فقرآن محمد و محمد القرآن " ذِكْرٌ وَ قُرْآنٌ مُبِينٌ".
٧٠ / ٣٦

٧٠- ﴿لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا﴾ يرى و يسمع و يفهم إنسانيا ﴿وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ الميتين بسوء اختيارهم.
البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤٤٥

٧١ / ٣٦

٧١- ألم يروا إلى ما خلق الله من شيء و من أنفسهم ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ﴾ انتفاعا ﴿مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا﴾ قدراتنا الرحيمية ﴿أَنْعَامًا﴾ من النعمة الحيوانية ﴿فَهُمْ﴾ و الخلق خلقه ﴿لَهَا مَالِكُونَ﴾ و هبة ربانية مجانية عارية.
٧٢ / ٣٦

٧٢- ﴿وَدَلَّلْنَاهَا لَهُمْ﴾ دون استعصاء، و بالنتيجة ﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾ بعضا يركبونها ﴿وَمِنْهَا﴾ بعضا ﴿يَأْكُلُونَ﴾ مما يلح أن الركوب لا يؤكل، و المأكول لا يركب إلا إذا لزم الأمر.
٧٣ / ٣٦

٧٣- ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ أخرى ﴿وَمَشَارِبٌ﴾ من ألبانها ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ الله على ما منحهم إياها.
٧٤ / ٣٦

٧٤- ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ و كل الخلق دون الله ﴿آلِهَةً لَّهُمْ يَنْصُرُونَ﴾ فى جلب نفع أو دفع ضرر أو شفاعة.
٧٥ / ٣٦

٧٥- ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ ألهمتهم التى ألهمتهم ﴿نَصْرَهُمْ﴾ و لا نصر أنفسهم ﴿وَالْحَالُ أَنَّ﴾ هم ﴿الآلِهَةُ﴾ و إياهم ﴿لَهُمْ﴾ إياهم و ألهمتهم ﴿جُنْدٌ مُّحْضَرُونَ﴾ كل حاضر عند كل، فكيف إذا غابوا، كما غاب النمروديون عن ألهمتهم فجعلهم إبراهيم جذاذا لعلمهم إليهم يرجعون، كما و هم كل محضرون يوم الحساب عند الله " و إِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُّحْضَرُونَ " (٣٦: ٣٢).
٧٦ / ٣٦

٧٦- ﴿فَلَا يَخْزَنُكَ قَوْلُهُمْ﴾ الغول ضد الحق الحقيق بالاتباع، ف﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يَسِرُونَ وَ مَا يَعْْلَنُونَ﴾ فهما فى علم الله و فى كتابات الأعمال، تظهر يوم يقوم الأشهاد، فينبئهم الله بما عملوا يوم الحساب.
٧٧ / ٣٦

٧٧- ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ خلق كل شيء لا من شيء، ثم ساير الأشياء من الشيء الأول و "يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَ التَّرَائِبِ" إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ (٨٦: ٧) ﴿فَإِذَا﴾ بعد ما صار إنسانا ﴿هُوَ خَصِيمٌ﴾ كثير المخاصمة خلاف الحق و منه المعاد ﴿مُبِينٌ﴾ مخاصمته.
٧٨ / ٣٦

٧٨- ﴿وَلَوْ﴾ من مخاصمته أنه ﴿ضَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾ من عظام بالية فتتها ﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾ لأول مرة من منى يمى، و إحياء الثانى "أَهْوَنُ عَلَيْهِ" ف﴿قَالَ مَنْ﴾ هذا الذى ﴿يَحْيِ الْعِظَامَ﴾ رجعا لها إلى حياة ﴿وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ و النطفة هى أرم من الرميم.
٧٩ / ٣٦

٧٩- ﴿قُلْ يَحْيِيهَا﴾ الله ﴿الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ فالثاني " وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ " (٣٠: ٢٧) ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ﴾ أولا و آخراً ﴿عَلِيمٌ﴾ ف " كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ " (٧: ٢٩) و هنا " يَحْيِيهَا " تعم إحياء كلها مع سائر أجزائها المتبددة، أو الأجزاء التي عاشها طوال التكليف فقط، فالكل إحياء ثانٍ " فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ".

٨٠ / ٣٦

٨٠- ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ﴾ المعروف ﴿نَاراً﴾ بضرب عود منه ببعض، جمعا بين ماءه و ناره، و هما فى ظاهر الحال متضادان، و كذلك الحياة و الموت، إذ " تُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَ تُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ " (٣٧: ٣) ﴿فَإِذَا﴾ بغتة ﴿أَنْتُمْ﴾ الناكرون لحياة ثانية ﴿منه﴾ و هو أخضر ﴿تُوقِدُونَ﴾ فهو أخضر فيه ماء أصبح وقود نار، و هكذا نحن نوقد ميت الأجساد إلى حياتها ثانية.

٨١ / ٣٦

٨١- أ ليس الذى " جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَاراً ... " بِقَادِرٍ .. " ﴿أَ وَ لَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ فى المعاد، حيث المعاد فى المعاد شكليا هو مثل الأول لا عينه، اللهم إلا فى أصل من جسمه " لَخَلَقُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ " (٤٠: ٥٧) " وَ مَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَ نُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ " (٥٦: ٦١) ﴿بَلَى وَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ بكل خلق.

٨٢ / ٣٦

٨٢- ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ﴾ فعله ﴿إِذَا أَرَادَ شَيْئاً﴾ لتكوينه ﴿أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ﴾ و قوله فعله، فـ " يقول " إشارة إلى نفاذ أمره ﴿فَيَكُونُ﴾ كما قال أن أراد.

٨٣ / ٣٦

٨٣- ﴿فَسُبْحَانَ﴾ الله ﴿الَّذِي بِيَدِهِ﴾ لا سواه ﴿مَلَكُوتُ﴾ حقيقة ملك ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾ أولا و أخيرا ﴿وَ إِلَيْهِ﴾ لا سواه ﴿تُرْجَعُونَ﴾ فكيف تعبدون سواه.

سورة الصافات

١ / ٣٧

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قسما ﴿وَالصَّافَّاتِ﴾: القوات الربانية من خلق الله ككل، حيث تصف مؤمرة في تحقيق أمر الله ﴿صَفًّا﴾ صافيا، ومنهم الملائكة: "وَأَنَا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ" (٣٧: ١٦٦).

٢ / ٣٧

٢- ﴿فَالزَّاجِرَاتِ﴾ بعد الصافات، قوات ككل ﴿زَجْرًا﴾ تكوينيا و شرعيا كما يصح.

٣ / ٣٧

٣- ﴿فَالتَّالِيَاتِ﴾ قراءة فاتبعا بعدهما و معهما و قبلهما ﴿ذِكْرًا﴾ ربانيا، من آيات أنفسية و آفاقية، حيث لا إختلاف بين هذه الثلاث الطاقات الربانية من خلقه، مما يدل على رب واحد ربها.

٤ / ٣٧

٤- ﴿إِنَّ إِلَهُكُمْ﴾ الذى "أعطى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى" (٢٠: ٥٠) ﴿لَوَاحِدٌ﴾ قسما بهذه البراهين.

٥ / ٣٧

٥- ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ و هى الكون كله ﴿وَرَبُّ الْمَشَارِقِ﴾ لكل شارق، و منها مشارق الشمس، فكل يوم لها مشرق غير الآخر، و هكذا شروق الطاقات: "الصَّافَّاتِ فَالزَّاجِرَاتِ فَالتَّالِيَاتِ".

٦ / ٣٧

٦- ﴿إِنَّا زَيْنًا﴾ بجمعية الرحمت ﴿السَّمَاءِ الدُّنْيَا﴾ إلينا، و هى الأولى ﴿بِزِينَةٍ﴾ عالية، هى كل ﴿الْكَوَاكِبِ﴾ لمكان الجمع المحلى باللام.

٧ / ٣٧

٧- "زينة" ﴿وَحِفْظًا﴾ من حفظها ﴿مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ﴾ مدحور .. لكى:

٨ / ٣٧

٨- ﴿لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى﴾ من محادثات الوحي بينهم ﴿وَيَقْدِفُونَ﴾ بنيارك نارية من مقازيفها ﴿مِنْ كُلِّ جَانِبٍ﴾ من جوانبها، حيث يتصعدون إليها استماعا إلى الملا الأعلى.

٩ / ٣٧

٩- حالكونهم ﴿دُحُورًا﴾ مدحورين بشدة لمكان المصدر المبالغ ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ خالص دائب هنا و فى الأخرى.

١٠ / ٣٧

١٠- ﴿إِلَّا مَنْ خُفِّفَ﴾ اختلاسا ﴿الْخَطْفَةَ﴾ الواحدة فى تسمع، فزيادة على قذفهم ﴿فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ﴾ نيزك نارى ﴿ثَاقِبٌ﴾ يتقبحهم.

١١ / ٣٧

١١- ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ﴾ فى رأى فتى نقى ﴿أَمْ هُمْ أَشَدُّ خَلْقًا﴾ من غيرهم ﴿أَمْ مَنْ خَلَقْنَا﴾ من الملا الأعلى، و قاذفات السماء، و رسل الوحي ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾ لازق "أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا" (٧٩: ٢٩) مما يدل على أن مناط الشدة هنا و

هناك هو الجسم، حيث يحددون عن خلقه بعد الموت ثانيا، فروح الإنسان ككل هو أشد من سائر الأرواح، إلا من يماثله، و" طينٍ لازِبٍ هو" حَمًا مَسْنُونٍ" (١٥: ٢٦).

١٢ / ٣٧

١٢- ﴿بَلْ هُمْ لَا يَتَفَهُمُونَ﴾ ف ﴿عَجِبْتَ﴾ من إصرارهم على نكران المعاد ﴿وَيَسْخَرُونَ﴾ من أمره كأنه عجاب بعد تباب.

١٣ / ٣٧

١٣- ﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا﴾ عقليا و حسيا بخلقهم الأول ﴿لَا يَذْكُرُونَ﴾ إياه، حتى يتذكروا إلا عادة، و أنها أهون عليه.

١٤ / ٣٧

١٤- ﴿وَإِذَا رَأَوْا آيَةً﴾ ربانية للحق ﴿يَسْتَسْخِرُونَ﴾ بينهم إياها.

١٥ / ٣٧

١٥- ﴿وَقَالُوا﴾ عكس أن يتذكروا ﴿إِنْ هَذَا﴾ النبأ بالآية الربانية الرسولية ﴿إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ أنه سحر لعجابه.

١٦ / ٣٧

١٦- ﴿أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا﴾ فى لحومنا ﴿وَعِظَامًا﴾ خالية أو بالية ﴿أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ إلى حياة.

١٧ / ٣٧

١٧- لا نحن فقط ﴿أَوْ أَبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾ أيضا لمبعوثون، و هم أعظم منا، و عظامهم أرفت من عظامنا.

١٨ / ٣٧

١٨- ﴿قُلْ نَعَمْ﴾ كلكم تبعثون ﴿وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ﴾ أدلاء صاغرون فى بعثكم.

١٩ / ٣٧

١٩- ﴿فَإِنَّمَا﴾ ليس إلا ﴿هِيَ﴾ الحياة ﴿زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ " ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ " فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ" (٧١: ١٣) ﴿فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾ حياتهم و حسابهم.

٢٠ / ٣٧

٢٠- ﴿وَقَالُوا﴾ إذا ﴿يَا وَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ﴾ الطاعة بحقيقتها حسابا و جزاء.

٢١ / ٣٧

٢١- فيجابون أن ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ عن حياة التكليف، و الفصل بين المكلفين و سائر الفصل ﴿الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ قبله.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤٤٧

٢٢ / ٣٧

٢٢- فيقال لحاشرين إلى الجحيم ﴿احْشُرُوا﴾ جمعا ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ رءوسا ﴿وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ أتباعهم المتماشين معهم ﴿وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ إياه، ف" إِنْكُمْ وَ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ" (٢١: ٩٨).

٢٣ / ٣٧

٢٣- ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ و كما العكس ل" الَّذِينَ آمَنُوا وَ اتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ .." (١٥٢: ٢١).

٢٤ / ٣٧

٢٤- ﴿وَقِفُّهُمْ﴾ هناك ﴿إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ استفحاما ف" لا يَسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ" (٢٨: ٧٨) استفهاما.

٢٥ / ٣٧

٢٥- ﴿مَا لَكُمْ يَوْمَ لَا تَتَّصِرُونَ﴾ بعضكم مع بعض و مع أوثانكم.

٢٦ / ٣٧

٢٦- ﴿بَلْ﴾ لو سمح لهم تناصروا رغم عدم الفائدة، و لكن ﴿هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾ أمام إرادة الله، و قد يؤذن لهم تساءل عذابا فوق العذاب.

٢٧ / ٣٧

٢٧- ﴿وَاقْبَلْ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ منهم ﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾ لما ذا أضللتمونا.

٢٨ / ٣٧

٢٨- ﴿قَالُوا﴾ المضللون للمضللين ﴿إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا﴾ مضلين ﴿عَنِ الْيَمِينِ﴾ يمين الصدق في كذبكم حيث كنتم ترونه صدقا، و يمين الحلف، و يمين الدين إظهارا له بمظهر الباطل، و يمين الآخرة تحريفا لها، و سائر اليمين فطرة عقلية أمأهيه.

٢٩ / ٣٧

٢٩- ﴿قَالُوا بَلْ﴾ ليس الحق علينا فحسب، إذ ﴿لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ حيث الإيمان ليس بمغلوب بأى يمين.

٣٠ / ٣٧

٣٠- ﴿وَ مَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾ من برهان يقنعكم، أو قوة تضطركم إلى كفر لأنه أمر باطنى، مهما قبل الظاهر تقية نقية ﴿بَلْ كُنْتُمْ﴾ فى أنفسكم ﴿قَوْمًا طَاغِينَ﴾ على فطركم و عقولكم و آيات الله.

٣١ / ٣٧

٣١- ﴿فَاحْقَ﴾ أن ثبت ﴿عَلَيْنَا﴾ مضللين ﴿قَوْلُ رَبِّنَا﴾ عذابا ﴿إِنَّا لَذَائِقُونَ﴾ عذاب الضلال و الإضلال.

٣٢ / ٣٧

٣٢- ﴿فَأَغْوَيْنَاكُمْ﴾ إذ كنتم غاوين فى أنفسكم، و ختم الله على قلوبنا ﴿إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ﴾ كأصل للحياة "أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا" (٢٨: ٦٣).

٣٣ / ٣٧

٣٣- ﴿فَإِنَّهُمْ﴾ مضلين و مضلين ﴿يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ لإشتراكهم فى الغواية، مهما كانت دركات، فعذابهم أيضا دركات.

٣٤ / ٣٧

٣٤- ﴿إِنَّا﴾ بجمعية الصفات الجلالية ﴿كَذَلِكَ﴾ العظيم ﴿نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ قدر إجرامهم.

٣٥ / ٣٧

٣٥- ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا﴾ قبل ﴿إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ ببراهين التوحيد ﴿يَسْتَكْبِرُونَ﴾ على الله و أهليه.

٣٦ / ٣٧

٣٦- ﴿وَ يَقُولُونَ أَيْنَا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا﴾ المعبودة لنا و لآبائنا ﴿لِشَاعِرٍ﴾ لمكان نظم منضود لقرآنه ﴿مَجْنُونٍ﴾ إذ يخالف عقولنا.

٣٧ / ٣٧

٣٧- ﴿بَلْ﴾ ليس كما يغولون، و إنما ﴿جَاءَ بِالْحَقِّ﴾ كله بأدلته الكافية، كما ﴿وَ صَدَقَ﴾ كلُّ ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾ فى حقهم توحيدا.

٣٨ / ٣٧

٣٨- ﴿إِنَّكُمْ﴾ جميعا ﴿لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ﴾ نحو الجريمة.

٣٩ / ٣٧

٣٩- إِذْ ﴿وَمَا تُجْزَوْنَ﴾ هناك ﴿إِلَّا﴾ نفس ﴿مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ إياه، إِذْ ينقلب نفس العمل إلى نفس الجزاء، فهما- إِذَا- محدودان، ثم أخيرا تفنون بفناء النار، فلا نار- إِذَا- و لا أهل نار.

٤٠ / ٣٧

٤٠- ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ حيث أخلصهم الله بعد ما أخلصوا هم أنفسهم لله، فليس جزاءهم نفس عملهم، بل "وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ" لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَ زِيَادَةٌ" كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ. إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ" (٣٩: ٧٤) مهما كان لمن بينهما زيادة" مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا" (١٦: ٦).

٤١ / ٣٧

٤١- ﴿أُولَئِكَ﴾ " الْمُخْلَصِينَ" ﴿لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ﴾ عند الله.

٤٢ / ٣٧

٤٢- ﴿فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ﴾.

٤٣ / ٣٧

٤٣- ﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾.

٤٤ / ٣٧

٤٤- ﴿عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾.

٤٥ / ٣٧

٤٥- ﴿يَطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ﴾.

٤٦ / ٣٧

٤٦- ﴿بَيضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾.

٤٧ / ٣٦

٤٧- ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾.

٤٨ / ٣٧

٤٨- ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ﴾.

٤٩ / ٣٧

٤٩- ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيضٌ مُكْنُونٌ﴾.

٥٠ / ٣٧

٥٠- ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾.

٥١ / ٣٧

٥١- ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤٤٨

٥٢ / ٣٧

٥٢- ﴿يَقُولُ أَإِنَّكَ الْبَاحِلُ﴾ ﴿لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ﴾ للمعاد فى تأكيدين.

٥٣ / ٣٧

٥٣- ﴿إِذَا مِتْنَا﴾ ثم ﴿وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا﴾ فرفاتا ﴿أَنَا لَمَدِينُونَ﴾ مجزيون بعد الحياة الحساب.

٥٤ / ٣٧

٥٤- ف ﴿قَالَ﴾ فى القيامة لمن معه ﴿هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلَعُونَ﴾ تطلعا على من فى الجحيم.

٥٥ / ٣٧

٥٥- ﴿فَاطَّلَعَ﴾ قرينه المتساءل ﴿فَرَأَاهُ فِي سَوَاءٍ﴾ وسط ﴿الْجَحِيمِ﴾ لأنه من وقود النار إذ كان من رءوس الضلال و الإضلال.

٥٦ / ٣٧

٥٦- ف ﴿قَالَ﴾ له ﴿تَاللَّهِ إِنْ كِدْتُ﴾ إياى كودا مؤثرا و كيدا ﴿لِ﴾ كنت ﴿تَرْدِينَ﴾ نى، إرداء إلى تكذيب بيوم الدين، و لكن إيمانى الصارم حال دون إرداءك.

٥٧ / ٣٧

٥٧- ﴿وَلَوْ لَا﴾ مستحيلا ﴿نِعْمَةُ رَبِّي﴾ على ﴿لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ عذابا، و لكن "إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا" (٣٨: ٣٢) "فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ" (٣٧: ١٢٨).

٥٨ / ٣٧

٥٨- ﴿أَفَ﴾ بعد دخولنا الجنة ﴿مَا نَحْنُ بِمَبْتَرِينَ﴾ احتسابا لموتهم عن البرزخ كأنها لم تكن موتة.

٥٩ / ٣٧

٥٩- ﴿إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى﴾ عن الدنيا، ثم لا ثانية للمخلصين، فإنهم من "إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ" من الصعقة الأولى، فهم لا يموتون فى الجنة، لأنها "عطاءً غيرَ مجذوذٍ" و لكن أهل النار يموتون أخيرا بموت النار ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾ قضية إيماننا.

٦٠ / ٣٧

٦٠- ﴿إِنَّ هَذَا﴾ الفوز ﴿لَهُوَ الْفَوْزُ﴾ كله ﴿الْعَظِيمُ﴾ أعظم مما كنا نرجوه.

٦١ / ٣٧

٦١- ﴿لِمِثْلِ هَذَا﴾ الفوز العظيم ﴿فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ مما يدل على أن للإيمان دون عمل ليس له مثل هذا، مهما نجى بعد ما ذاق و بال أمره.

٦٢ / ٣٧

٦٢- ﴿أَ ذَلِكَ﴾ العظيم ﴿خَيْرٌ نَزْلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾ شديدة الكراهية "إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الْأَثِيمِ" (٤٤: ٤٢) "هذا نُزْلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ" (٥٦: ٥٦).

٦٣ / ٣٧

٦٣- ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً﴾ و ابتلاء ﴿لِلظَّالِمِينَ﴾ عقيدا و عمليا "يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ" (٥١: ١٣).

٦٤ / ٣٧

٦٤- ﴿إِنِّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ﴾ نباتا ﴿فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ شجرة نارية تنبت هناك أصلا فى أصلها لأصول الضلالة.

٦٥ / ٣٧

٦٥- ﴿طَلَعُهَا﴾ الطالع فى رأسها ﴿كَأَنَّهُ رُؤُسُ الشَّيَاطِينِ﴾ رأس الشيطان لرؤوس الشياطين، و مهما لا نعرف رؤوس الشياطين، إلا أن لشيطنة رؤوسهم تقبيحا لها كأسوء ما يكون.

٦٦ / ٣٧

٦٦- ﴿فَإِنَّهُمْ﴾ المكذبين ﴿لَا يَكُونُ مِنْهَا﴾ اضطراريا، كما أكلوا فى الدنيا بكل الشيطانات ﴿فَمَا لَوْ أَنَّ مِنْهَا الْبُطُونُ﴾ "كَأَلْمُهْلٍ يَغْلَى فِي الْبُطُونِ. كَغَلَى الْحَمِيمِ" (٤٤: ٤٣).

٦٧ / ٣٧

٦٧- ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهِ﴾ على أكلها، على بطونهم ﴿لَشَوْبًا﴾ معها ﴿مِنْ حَمِيمٍ﴾ " فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ. فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهَيْمِ" (٥٦: ٥٥).

٦٨ / ٣٧

٦٨- ﴿ثُمَّ﴾ بعد ذلك ﴿إِنَّ مَرْجِعَهُمْ﴾ حيث يرجعون ﴿لِإِلَى الْجَحِيمِ﴾ فـ " كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ" (٢٢: ٢٢).

٦٩ / ٣٧

٦٩- ﴿إِنَّهُمْ﴾ رغم أنهم ﴿أَلْفَوْا﴾ وجدوا ﴿أَبَاءَهُمْ ضَالِّينَ﴾ اتبعوهم.

٧٠ / ٣٧

٧٠- ﴿فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ﴾ الشريكة ﴿يَهْرَعُونَ﴾ و يسرعون، فكما كانوا هم مرجعهم فى الأولى، كذلك فى الأخرى " مَرْجِعُهُمْ لِإِلَى الْجَحِيمِ".

٧١ / ٣٧

٧١- ﴿وَلَقَدْ﴾ بتأكيدين ﴿ضَلَّ قَبْلَهُمْ﴾ أولاء ﴿أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ﴾.

٧٢ / ٣٧

٧٢- ﴿وَلَقَدْ﴾ بتأكيدين مقابل الأولين ﴿أَرْسَلْنَا فِيهِمْ﴾ ككل ﴿مُنْذِرِينَ﴾: " ثُمَّ أَرْسَلْنَا رَسُولَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ" (٢٣: ٤٤).

٧٣ / ٣٧

٧٣- ﴿فَانْظُرْ﴾ إلى تأريخهم ترى ﴿كَيْفَ كَانَ﴾ حياة ﴿عَاقِبَةُ﴾ لـ ﴿الْمُنْذِرِينَ﴾ إذ ضلوا.

٧٤ / ٣٧

٧٤- ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ و على من بينهما عوان بينهما من عاقبة.

٧٥ / ٣٧

٧٥- ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ﴾ فى عذاب قومه ﴿فَلَنَعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾.

٧٦ / ٣٧

٧٦- ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَآهْلَهُ﴾ إلا ابنه و "امْرَأَتُهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ" ﴿مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ و هو الغرق فى طوفانه.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤٤٩

٧٧ / ٣٧

٧٧- ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ و هم أتباعه، فهم ذرية الإيمان، فهم أهله الناجون: "ذُرِّيَّةٌ مِّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا" (١٧: ٣).

٧٨ / ٣٧

٧٨- ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ﴾ دعوة له ﴿فِي الْآخِرِينَ﴾ و هم المؤمنون من ذريته المنتسبين من المحمولين في سفينته.

٧٩ / ٣٧

٧٩- ﴿سَلَامٌ﴾ منا ﴿عَلَى نُوحٍ﴾ كما من غيرنا ﴿فِي الْعَالَمِينَ﴾ لأنه منطلق الدعوة الناهضة التوحيدية.

٨٠ / ٣٧

٨٠- ﴿إِنَّا﴾ بجمعية الرحمات ﴿كَذَلِكَ﴾ العظيم العميم ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ قدر إحسانهم في النشأت الثلاث.

٨١ / ٣٧

٨١- ﴿إِنَّهُ﴾ بصورة و سيرة مركزة ﴿مِّنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ الصامدين.

٨٢ / ٣٧

٨٢- ﴿ثُمَّ﴾ بعد ما أنجيناها ﴿أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ﴾ كما غرقوا و أغرقوا كثيرا في ضلالات.

٨٣ / ٣٧

٨٣- ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ﴾ بين أشياعه في إيمانه الرسولى و الرسالى ﴿لِإِبْرَاهِيمَ﴾ مهما كان أفضل منه.

٨٤ / ٣٧

٨٤- ﴿إِذْ جَاءَ﴾ فى حياته الرسولية ﴿رَبُّهُ﴾ الذى رباه سليما ﴿بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ عن كل إشراك بالله، و كما قال: "وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ. يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ. إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ" (٣٦: ٨٩).

٨٥ / ٣٧

٨٥- ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ﴾ فى التربية، لا والده ﴿وَلَوْ﴾ لـ ﴿قَوْمِهِ مَا ذَا﴾ الذى ﴿تَعْبُدُونَ﴾ إياه من دون الله.

٨٦ / ٣٧

٨٦- ﴿أَفَكُأ﴾ كذبا و فرية ﴿أَلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ عبادتها.

٨٧ / ٣٧

٨٧- ﴿فَمَا ظَنُّكُمْ﴾ عبودية ﴿بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ و منهم ألهمتكم.

٨٨ / ٣٧

٨٨- ﴿فَتَنَظَرَ نَظْرَةً﴾ خاصة ﴿فِي النُّجُومِ﴾ كأنها آلهة، مما شاة معهم بعد حجاج.

٨٩ / ٣٧

٨٩- ﴿فَقَالَ﴾ بعد نظرتة ﴿إِنِّى سَقِيمٌ﴾ كأنه استفاده من النجوم، فيعذر عن الخروج معهم، و كان سقمه بذلك النظر و شبهه من إشراكهم إياها و شبهها بالله.

٩٠ / ٣٧

٩٠- ﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾ عنه و قد هددهم من ذى قبل: "تَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ" (٢١: ٥٧) فتلك إذا تورية بعد حقيقة، أراد بها أن يشرك أبصارهم ببصائرهم أنها ليست آلهة.

٩١ / ٣٧

٩١- ﴿فَرَاغَ﴾ ميلا قاطعا خفيا ﴿إِلَى إِلَهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ و لعلّ سمعا يسمع.

٩٢ / ٣٧

٩٢- ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ﴾ إجابة و لا سواها، فلما أيس عن حياتهم و قد اتخذوا آلهة.

٩٣ / ٣٧

٩٣- ﴿فَرَاغَ﴾ ميلا خفيا ﴿عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ القدرة: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ (٢١: ٨٥).

٩٤ / ٣٧

٩٤- ﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ﴾ و قد جذّهم ﴿يَزِفُونَ﴾ سراجا، إذ ظنوا أنه تخلف عنهم لما هدّهم به من قبل: ﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِالْإِلهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ...﴾ قال بل فعله كبيرهم هذا فستألوهم إن كانوا ينطقون إلى أن.

٩٥ / ٣٧

٩٥- ﴿قَالَ﴾ لهم ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ إياه فأنتم خلقتموه، ثم.

٩٦ / ٣٧

٩٦- ﴿وَ﴾ الحال أن ﴿اللَّهُ خَلَقَكُمْ وَ مَا تَعْمَلُونَ﴾ إياه كألهمتكم التي نحتموها.

٩٧ / ٣٧

٩٧- ﴿قَالُوا﴾ فيما بينهم لما عجزوا عن جواب ﴿ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا﴾ تجعلونه جحيما ﴿فَالْقَوُّهُ فِي﴾ تلك ﴿الْجَحِيمِ﴾ كما ألقانا فألقانا في تلك الجحيم بما جدّ أصنامنا.

٩٨ / ٣٧

٩٨- ﴿فَارَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾ يحرق به ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَسْفَلِينَ﴾ في حجاجهم اللجاج و فيما أرادوا من حرقه، إذ ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَ سَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ (٢١: ٩٦).

٩٩ / ٣٧

٩٩- ﴿وَ قَالَ﴾ بعد خسارهم و إيجاب السلب لا إله ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ﴾ عنكم و عن ألهمتكم إيجابا ﴿إِلَى رَبِّي﴾: ﴿إِلَّا اللَّهَ﴾ ﴿سَيَهْدِين﴾ إياي أكثر مما كنت، و قد كان مهديا كأصل من ذى قبل: ﴿وَ لَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَ كُنَّا بِهِ عَالِمِينَ﴾ (٢١: ٥١).

١٠٠ / ٣٧

١٠٠- فقال في ذهابه هذا إلى ربه مستدعيا ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن﴾ الولد ﴿الصَّالِحِينَ﴾ أصليين أنبياء.

١٠١ / ٣٧

١٠١- ﴿فَبَشِّرْنَاهُ بِغُلَامٍ﴾ هو إسماعيل ﴿حَلِيمٍ﴾ بداية في واد غير ذى زرع، و عند ذبحه بأمر الله.

١٠٢ / ٣٧

١٠٢- ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ﴾ إسماعيله ﴿السَّعْيَ﴾ الإبراهيمي، نفسيا و جسميا، بلوغا فيهما ﴿قَالَ﴾ له ﴿يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ﴾ وحيا عمليا ﴿أَنِّي أَدْبَحُكَ فَانْظُرْ﴾ فى نفسك ﴿مَاذَا تَرَى﴾ فيه ﴿قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾ من ذبحي ﴿سَتَجِدُنِي﴾ عنده ﴿إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾.

١٠٣ / ٣٧

١٠٣- ﴿قَلَمًا أَسْلَمًا﴾ لله في ذلك البلاء، بعد إسلامهما في غيره، إسلاما في عمقه دون أى تخيل خاو ﴿وَتَلَّهُ﴾ صرعه كما تصرع الشاة ﴿لَلْجَبِينِ﴾ ذابحا.

١٠٤ / ٣٧

١٠٤- ﴿وَنَادَيْنَاهُ﴾ إذا ﴿أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ﴾.

١٠٥ / ٣٧

١٠٥- ﴿قَدْ صَدَّقْتَ﴾ تلك ﴿الرُّؤْيَا﴾ إذ عملت ما أمرت ﴿إِنَّا﴾ بجمعية الرحمات الرحيمية ﴿كَذَلِكَ﴾ العظيم، بذلك الإسلام ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ لله.

١٠٦ / ٣٧

١٠٦- ﴿إِنَّ هَذَا﴾ البلاء ﴿لَهُوَ أَلْبَاءُ الْمُبِينِ﴾ أبين من كل بلاء، حيث يبين أعظم إسلام فهو من أبين الكلمات التى أبتلى بها إبراهيم: "وِإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ.." (٢: ١٢٤).

١٠٧ / ٣٧

١٠٧- ﴿وَفَدَيْنَاهُ﴾ إسماعيل ﴿بِذَبْحٍ﴾ متواصل ﴿عَظِيمٍ﴾ أيام الأضحى، حيث تذبح الضحايا بديلة عن إسماعيل، فلكل حاج إسماعيل يحبه، فليفده بذبح آخر بديلا عنه، إشارة إلى أنى حضرت نفسى لمثل ذبح إسماعيل.

١٠٨ / ٣٧

١٠٨- ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ﴾ على إبراهيم ذلك الفداء ﴿فِي الْآخِرِينَ﴾ و هم كافة الأمم الرسالية إلى خاتم النبيين صلى الله عليه و آله.

١٠٩ / ٣٧

١٠٩- ﴿سَلَامٌ﴾ تام من أهل السلام و أصله الله السلام ﴿عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ فى كافة النشآت.

١١٠ / ٣٧

١١٠- ﴿كَذَلِكَ﴾ العظيم العميم ﴿نَجْزِي﴾ بجمعية الرحمات ﴿الْمُحْسِنِينَ﴾ أمام الله و بخلق الله.

١١١ / ٣٧

١١١- ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ بكامل العبودية ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ بكامل الإيمان.

١١٢ / ٣٧

١١٢- ﴿وَبَشَرْنَاهُ﴾ بعد إسماعيل ﴿يَاسْحَاقَ﴾ حالكونه ﴿نَبِيًّا﴾ رفيعا فى الرسل ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ لرسالات الله.

١١٣ / ٣٧

١١٣- ﴿وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ﴾ بركة عالية كما فى إسماعيل و المحدثين منه ﴿وَعَلَى إِسْحَاقَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا﴾ بعضا ﴿مُحْسِنٍ وَ﴾ آخر ﴿ظَالِمٍ لِّنَفْسِهِ مُبِينٍ﴾ ظلمه على نفسه و على الآخرين.

١١٤ / ٣٧

١١٤- ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَى مُوسَى وَ هَارُونَ﴾ نبوة، كلاً على قدره.

١١٥ / ٣٧

١١٥- ﴿وَنَجَّيْنَاهُمَا وَ قَوْمَهُمَا﴾ الإسرائيليين ﴿مِنَ الْكُرْبِ الْعَظِيمِ﴾ "مَنْ" "فِرْعَوْنَ وَ مَلَأْتِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَ كَانُوا قَوْمًا عَالِينَ" (٢٣: ٤٦).

١١٦ / ٣٧

١١٦- ﴿وَنَصَرْنَاهُمْ﴾ عليهم ﴿فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ﴾ دونهم أولاء العالين.

١١٧ / ٣٧

١١٧- ﴿وَأَتَيْنَاهُمَا﴾ التوراة ﴿الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ﴾ كل ما تحتاجه الرسالة التوراتية.

١١٨ / ٣٧

١١٨- ﴿وَهَدَيْنَاهُمَا﴾ على تفاضل بينهما بتفاضل الأصل و الفرع ﴿الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ عبودية و رسالية.

١١٩ / ٣٧

١١٩- ﴿وَوَكَّرْنَا عَلَيْهِمَا﴾ كأصل في شرعة الله ﴿فِي الْآخِرِينَ﴾ إلى نزول القرآن.

١٢٠ / ٣٧

١٢٠- ﴿سَلَامٌ﴾ من أهل السلام ﴿عَلَى مُوسَى وَ هَارُونَ﴾ في كيان الدعوة الرسولية.

١٢١ / ٣٧

١٢١- ﴿إِنَّا كَذَلِكَ﴾ العظيم ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ على درجاتهم.

١٢٢ / ٣٧

١٢٢- ﴿إِنَّهُمَا﴾ مؤكدا، هما ﴿مِنْ عِبَادِنَا﴾ المخلصين ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ بكامل الإيمان.

١٢٣ / ٣٧

١٢٣- ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنْ﴾ جموع ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾ بالدعوة الرسولية.

١٢٤ / ٣٧

١٢٤- ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾ الخصوص، إذ لم يكن من أولى العزم بدعوة عامة ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾ الله و أيام الله و بأس الله.

١٢٥ / ٣٧

١٢٥- ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾ و هو الوثن المعروف، إلها من دون الله ﴿وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾ مهما كان معه خالق آخر و لن، فكيف تعبدونه فقط و تتركون من خلقكم و إياه "تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى".

١٢٦ / ٣٧

١٢٦- "تَذَرُونَ" ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ و إياه، بل ﴿وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ﴾ الذين تقتفون آثارهم هارعين.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤٥١

١٢٧ / ٣٧

١٢٧- ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ كسائر الرسل ﴿فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ عند الله حسابا و عقابا.

١٢٨ / ٣٧

١٢٨- ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ من الله، إذ لا سؤال عنهم و لا عقاب، ثم المخلصون و سائر المؤمنين محاسبون كل على قدره.

١٢٩ / ٣٧

١٢٩- ﴿وَوَكَّرْنَا﴾ الدعوة الرسالية ﴿عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ في مواصلتها.

١٣٠ / ٣٧

١٣٠- ﴿سَلَامٌ﴾ من أهله ﴿عَلَىٰ إِلْيَاسِينَ﴾ عَلَيْهِمُ الَّذِينَ تَابَعُوا إِلْيَاسَ فِي رِسَالَتِهِ، مَخَفًا عَنْ "إِلْيَاسِينَ" أَوْ أَنَّهُمْ هُمْ، وَ إِلْيَاسُ ابْنُ يَاسِينَ وَ آلُ يَسَ إِذْ هُوَ مِنْ أَسْمَاءَ، فَهَذَا- إِذَا- سَلَامٌ عَلَى آلِي إِلْيَاسَ وَ يَاسِينَ وَ لَمْ يَذْكُرْ "يَاسِينَ" نَفْسَهُ لِأَنَّهُ رَأْسُ الزَّائِيَةِ فَعَلِيهِ- إِذَا- أَسْلَمَ السَّلَامُ.

١٣١ / ٣٧

١٣١- ﴿إِنَّا كَذَلِكُ﴾ الْعَظِيمُ ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.

١٣٢ / ٣٧

١٣٢- ﴿إِنَّهُ﴾ إِلْيَاسُ وَ يَسَ ﴿مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ الْكَامِلِينَ.

١٣٣ / ٣٧

١٣٣- ﴿وَإِنْ لُّوطًا﴾ عَلَى هَامِشِ إِبْرَاهِيمَ ﴿لَمَنِ الْمَرْسِلِينَ﴾.

١٣٤ / ٣٧

١٣٤- وَ لَا سِيَمَا ﴿إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَ أَهْلَهُ﴾ الْآهْلِينَ ﴿أَجْمَعِينَ﴾ مِنَ السُّدُومِيِّينَ الْهَارَعِينَ، وَ مِنْ هَلَكَاهُمْ.

١٣٥ / ٣٧

١٣٥- ﴿إِلَّا عَجُوزًا﴾ هِيَ امْرَأَتُهُ ﴿فِي الْغَابِرِينَ﴾ الْمَاضِينَ فِي الْعَذَابِ الْمَغْبِرِينَ.

١٣٦ / ٣٧

١٣٦- ﴿ثُمَّ﴾ بَعْدَ مَا أَنْجَيْنَاهُمْ ﴿دَمَرْنَا الْآخِرِينَ﴾ الْمَكْذِبِينَ.

١٣٧ / ٣٧

١٣٧- ﴿وَإِنْكُمْ﴾ فِي الْحِجَازِ أَمَّنْ يَأْتِيهِ ﴿لَتَمُرُونَّ عَلَيْهِمْ﴾ مَدْمَرِينَ ﴿مُصْبِحِينَ﴾ دَاخِلِينَ فِي الصَّبَاحِ حَتَّى الْعَصْرِ.

١٣٨ / ٣٧

١٣٨- ﴿وَ بِاللَّيْلِ﴾ عَلَى طَوْلِهِ ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ مَا هِيَ عَاقِبَةُ الْمَكْذِبِينَ.

١٣٩ / ٣٧

١٣٩- ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ فِي بَدَايَةِ الرِّسَالَةِ وَ لَمَّا تَكْمَلْ، وَ هُوَ "ذَا النَّوْنِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا" (١٠: ٨٧) وَ "كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَ هُوَ مَكْظُومٌ" (٦٨: ٤٨).

١٤٠ / ٣٧

١٤٠- ﴿إِذْ أَبَقَ﴾ مِنْ قَوْمِهِ الْكَافِرِينَ، وَ مِنْ الْعَذَابِ الْمَوْعُودِ عَلَيْهِمْ ﴿إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ مِنْ رَكَّابٍ.

١٤١ / ٣٧

١٤١- وَ لِنَقْلِ الْفُلْكِ وَ هُوَ فِي طَرِيقِهِ إِلَى الْغَرَقِ ﴿فَسَاهَمَ﴾ مَعَ جَمَاعَةٍ فِي بَقَاءِ أَمِّ غَرَقٍ ﴿فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾ الْمَزَالِينَ عَنِ الْفُلْكِ إِلَى الْبَحْرِ، حِفَظًا عَلَى نَفُوسِ آخِرِينَ.

١٤٢ / ٣٧

١٤٢- ﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ﴾ الْمَعِينِ حَيْثُ أَمَرَهُ اللَّهُ ﴿وَ﴾ الْحَالُ أَنَّهُ ﴿هُوَ مُلِيمٌ﴾ نَفْسَهُ، لَمَّا ذَا اسْتَعْجَلَ عَنْ قَوْمِهِ.

١٤٣ / ٣٧

١٤٣- ﴿قُلُوا لَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ اللَّهُ "فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ" (٢١: ٨٧) الْمُنْقَصِينَ دَعْوَةَ رِسَالِيَّةٍ.

١٤٤ / ٣٧

١٤٤- ﴿لَبِثَ﴾ حيا ﴿فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ فهذا سجن التأديب، يصبح ملايين من السنين، إذا قدرنا متعود البقاء في بطن الحوت في البحر خمس دقائق، فضلا عن صاحب الأمر فإن أمره في بقاءه رحمة على العالمين.

١٤٥ / ٣٧

١٤٥- ﴿فَتَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ﴾ الساحل المكشوف دون سرّ ﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ من ذلك المكوث.

١٤٦ / ٣٧

١٤٦- ﴿وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ﴾ من فوره ﴿شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ﴾ ساترا له.

١٤٧ / ٣٧

١٤٧- ثم ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ آلَافٍ﴾ حضور ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾ تناسلا بينهم، مما يلح إلى عدم كونه رسولا رسميا من ذى قبل.

١٤٨ / ٣٧

١٤٨- ﴿فَأَمْنُوا﴾ هؤلاء في هذا الإرسال الرسولى ﴿فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ انقضاء حياة التكليف "فَلَوْ لَا كَانَتْ قَرْيَةٌ أَمَّنتْ فَفَعَّهَا إِيْمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَا أَمَّنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ" (١٠: ٩٧).

١٤٩ / ٣٧

١٤٩- ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ﴾ طلبا لرأى لهم فتى ﴿أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ﴾ كالملائكة فيما يزعمون ﴿وَلَهُمُ الْبُنُونَ﴾ مردّلين بناتهم.

١٥٠ / ٣٧

١٥٠- ﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَ﴾ الحال أن ﴿هُمْ شَاهِدُونَ﴾ و ليس فيهم ذكور و لا إناث.

١٥١ / ٣٧

١٥١- ﴿إِلَّا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهم﴾ كذبا و فرية ﴿لَيَقُولُنَّ﴾.

١٥٢ / ٣٧

١٥٢- ﴿وَلَدَ اللَّهُ﴾ إناثا و من أشبه ﴿وَأِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾.

١٥٣ / ٣٧

١٥٣- و لو ولد ﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾ " أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَ لَكُمْ الْبُنُونَ " تِلْكَ إِذَا قِسْمَةٌ ضِيزَى " البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤٥٢

١٥٤ / ٣٧

١٥٤- ﴿مَا لَكُمْ﴾ من داء عضال ﴿كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ بينكم و بين ربكم.

١٥٥ / ٣٧

١٥٥- ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ فطريا و عقليا فى حق الحكم.

١٥٦ / ٣٧

١٥٦- ﴿أَمْ﴾ تحكمون بحق إذ ﴿لَكُمْ سُلْطَانٌ﴾ لما تقولون ﴿مُبِينٌ﴾ أنه حق، من وحى متين.

١٥٧ / ٣٧

١٥٧- ﴿فَأَتُوا بِكِتَابِكُمْ﴾ السلطان المبين ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فى حكمكم.

١٥٨ / ٣٧

١٥٨- ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا﴾ ولاديا، أنهم جزء منه مولود: "وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا" (٤٣: ١٥) فكيف يعذب جزءه النسب ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿حَسَابًا وَعِقَابًا إِنْ كَانُوا عَاصِينَ﴾.

١٥٩ / ٣٧

١٥٩- ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ له أو إياه من ولادة و سواها.

١٦٠ / ٣٧

١٦٠- ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ الذين أخلصهم الله، إذ لا يصفونه إلا كما وصف نفسه، كما و أنهم ليسوا بمحضرين لحساب و عقاب.

١٦١ / ٣٧

١٦١- ﴿فَإِنَّكُمْ﴾ المشركين ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ إياه من دون الله.

١٦٢ / ٣٧

١٦٢- ﴿مَا أَنْتُمْ﴾ عابدين و معبودين ﴿عَلَيْهِ﴾ الله ﴿بِفَاتِنِينَ﴾ الله، أن تفتنوه عما هو عليه من ربوبيته الحقة الوحيدة، إلا أن تفتنوا أنفسكم، فأنتم مفتونون.

١٦٣ / ٣٧

١٦٣- ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ﴾ موقد ﴿الْجَحِيمِ﴾ بضالاله المبين، "وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ"

١٦٤ / ٣٧

١٦٤- ﴿وَنَحْنُ الْمَلَائِكَةُ﴾ و تحسبوننا بنات الله ﴿مَا مِنَّا﴾ أحد ﴿إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾ فى معرفيات و عبادات و عمليات بدرجاتها.

١٦٥ / ٣٧

١٦٥- ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ﴾ جميعا ﴿الصَّافُونَ﴾ صفوفا متراصّة لله مؤمرون: "وَمَا تَنْتَظِرُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَ مَا خَلْفَنَا وَ مَا بَيْنَ ذَلِكَ" (١٩: ٦٤).

١٦٦ / ٣٧

١٦٦- كما ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ﴾ جميعا ﴿الْمُسَبِّحُونَ﴾ الله، لأننا من عبادته المخلصين "يَسْبِّحُونَ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ لَا يَفْترُونَ" (٢١: ٢٠).

١٦٧ / ٣٧

١٦٧- ﴿وَإِنْ كَانُوا﴾ هؤلاء المشركون ﴿لَيَقُولُنَّ﴾ تقولا.

١٦٨ / ٣٧

١٦٨- ﴿لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا﴾ ربانيا ﴿مِنَ الْأُولِينَ﴾.

١٦٩ / ٣٧

١٦٩- ﴿لَكُنَّا﴾ بذلك الذكر ﴿عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ و ذلك الذكر الآخر أذكر من سائر الذكر، فكيف ضلّوا مشركين.

١٧٠ / ٣٧

١٧٠- ﴿فَكَفَرُوا بِهِ﴾ ذكرا أعلى بذلك الادعاء الخواء ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ إياه عين اليقين.

١٧١ / ٣٧

١٧١- ﴿وَلَقَدْ﴾ فى تأكيدين ﴿سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا﴾ المبشرة حقا ﴿لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ ككل.

١٧٢ / ٣٧

١٧٢- ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ﴾ هنا طيات رسالاتهم في دعواتهم، ثم في رجعتهم بدولة القائم المهدي، نصره واقعية إضافة إلى حقيقة سابقة: "إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَ الَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ" (٤٠: ٥١).

١٧٣ / ٣٧

١٧٣- ﴿وَ﴾ كذلك ﴿إِنَّ جُنَدَنَا﴾ رسلا و مؤمنين ﴿لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ على جنود الشيطان، و تلك النصره الجماهيرية لأهل الله هي حقا من بشارات ربانية في كافة كتب الوحي كـ "وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ. إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ. وَ مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ" (٢١: ١٠٧) و "وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ .." (٢٤: ٥٥)

١٧٤ / ٣٧

١٧٤- ﴿فَقَوْلَ عَنْهُمْ﴾ إعراضا و صفحا جميلا ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ يؤمنوا فيه أو يعذبوا قبل الرجعة أو و فيها، و كذلك قبل موتهم.

١٧٥ / ٣٧

١٧٥- ﴿وَ أَبْصِرْهُمْ﴾ أنت و هم عمون ﴿فَسَوْفَ يَبْصُرُونَ﴾ و لات حين مناص.

١٧٦ / ٣٧

١٧٦- ﴿أَفَبِعَذَابِنَا﴾ هنا و هناك ﴿يَسْتَعْجِلُونَ﴾.

١٧٧ / ٣٧

١٧٧- ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ﴾ أينما نزل ﴿فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ﴾ إذ كذبوا.

١٧٨ / ٣٧

١٧٨- ﴿وَ تَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ يؤمنون أو يعذبون.

١٧٩ / ٣٧

١٧٩- ﴿وَ أَبْصِرْ فَسَوْفَ يَبْصُرُونَ﴾.

١٨٠ / ٣٧

١٨٠- ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ﴾ عما يقولون ﴿رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ إياه.

١٨١ / ٣٧

١٨١- ﴿وَ سَلَامٌ﴾ من أهله ﴿عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾.

١٨٢ / ٣٧

١٨٢- ﴿وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

سورة ص

١ / ٣٨

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ص ﴿هي من الحروف الأربعة عشر المقطعة الرمزية، و هي نصف حروف الهجاء، و عليها رمز إلى صدقه (ص) و قد تكون نداء " يا ص " لمكان الحلف التالي ﴿وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾ حيث يذكر بصدقه في رسالته و دعايته، كما و أن " الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ " يدل بحكمته على رسالته " يس .. " .

٢ / ٣٨

٢- ﴿بَلِ﴾ ليس صدقه و ذكر القرآن مما ينكر، و إنما ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ هم غارقون ﴿فِي عِزَّةٍ﴾ من أنانية الشهوات و الفرغات ﴿وَشِقَاقٍ﴾ إذ جعلوا أنفسهم في شق و الحق في شق آخر.

٣ / ٣٨

٣- ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ كفارا ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَ﴾ الحال أنهم نادوا إذا أنه ﴿لَاتِ﴾ ليس ﴿حِينَ مَنَاصٍ﴾ عن عذاب الله و قد فات يوم خلاص.

٤ / ٣٨

٤- ﴿وَعَجِبُوا﴾ حائرين، من ﴿أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ﴾ هو ﴿مِنْهُمْ﴾ و لا بد من مسانخة بين المنذر و المنذر ﴿وَقَالَ﴾ هؤلاء ﴿الْكَافِرُونَ هَذَا﴾ الرسول ﴿سَاحِرٌ﴾ يسحرنا ﴿كَذَّابٌ﴾ في دعواه، لا لشيء إلا لأنه بشر.

٥ / ٣٨

٥- و من أسبابه ﴿أَجَعَلَ آلِهَةَ﴾ المعبودة على كثرتها ﴿إِلَهًا وَاحِدًا﴾ لا يرى و هم يرون ﴿إِنَّ هَذَا﴾ الجعل ﴿لَشَيْءٍ﴾ عَجَابٌ رغم الكثرة المتواترة المقبولة، زعم أنها هي العجائب المتخلف إذ يعترفون بوحدة الإله الخالق - " وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ " (٤٣: ٨٧).

٦ / ٣٨

٦- ﴿وَانْطَلَقَ﴾ انطلاقا عن سجن الدعوة التوحيدية ﴿الْمَلَأَ﴾ حيث يملئون بعددهم و عددهم العيون ﴿مِنْهُمْ﴾ و بقي القليل ﴿أَنْ امْشُوا﴾ عنه ﴿وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ﴾ المألوفة ﴿إِنَّ هَذَا﴾ الجعل من ساحر كذاب ﴿لَشَيْءٍ يُرَادُ﴾ علينا خلاف رغبتنا.

٧ / ٣٨

٧- ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا﴾ الجعل ﴿فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ﴾ غيرها من معاصرينا و سواهم فإنهم كلهم مشركون، ويكأن " الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ " تختص بأصراهم، ثم " ما سَمِعْنَا " ليس حجة لما هم عليه ما دامت الحجة تثبت التوحيد، فضلا عن ﴿إِنَّ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾ لا مثيل له في غيرهم.

٨ / ٣٨

٨- ﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ﴾ هذا ﴿الذِّكْرُ﴾ القرآن ﴿مِنْ بَيْنِنَا﴾ و نحن أحق به منه ﴿بَلِ﴾ ليس هذا يبطل ذكره، وإنما ﴿هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي﴾ و هو بنفسه دليل ربانيته ﴿بَلِ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ﴾ى، فإنه لهم آخر الدواء لتلك الداء.

٩ / ٣٨

٩- ﴿أَمْ﴾ لا هذا و لا ذاك، بل ﴿عِنْدَهُمْ﴾ أنفسهم ﴿خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ﴾ و منها خزائن الذكر، و هو ﴿الْعَزِيزُ الْوَهَّابُ﴾ يهب من خزائنه لمن يأهل و " اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ " .

١٠ / ٣٨

١٠- ﴿أَمْ﴾ و فوق ذلك أن ﴿لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ و منها خزائنها، إذا ﴿فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ﴾ إلى كل ما يريدون، كما ارتقى محمد (ص) و ذو القرنين و من أشبه في أسباب بما أراد الله.

١١ / ٣٨

١١- ﴿جُنْدُ مَا﴾ أيا كان ﴿هُنَالِكَ﴾ ارتقاء في الأسباب ﴿مَهْزُومٌ﴾ مغلوب ﴿مِنْ﴾ كافة ﴿الْأَحْزَابِ﴾ المحاولة لذلك الارتقاء، مهما ارتقوا في علوم و عقول.

١٢ / ٣٨

١٢- ﴿كَذَّبَتْ﴾ الرسل ﴿قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ " أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا " ﴿وَعَادُ﴾ أصحاب " إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ " ﴿وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ﴾ في كافة أوتاد السلطة الدنيوية.

١٣ / ٣٨

١٣- ﴿وَتَمُودٌ وَقَوْمُ لُوطٍ﴾ السدوميون ﴿وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾ قوم شعيب ﴿أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ﴾ القوية الغوية في التاريخ.

١٤ / ٣٨

١٤- ﴿إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ﴾ ي، أيا كان.

١٥ / ٣٨

١٥- ﴿وَمَا يَنْظُرُ هُوَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا﴾ أى ﴿مِنْ فَوَاقٍ﴾ يفوقها تخلصا راحة لهم فهي - إذا - صيحة الإحياء يوم الأخرى، أو " ما لها مِنْ فَوَاقٍ " رجوعا إلى الحياة الدنيا، ثم صيحة الإمامة في البرزخ، مع صيحة الإحياء للأخرى.

١٦ / ٣٨

١٦- ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْ لَنَا قِطْنًا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ و هو " يَوْمُ مَجْمُوعٍ لَهُ النَّاسُ ".

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤٥٤

١٧ / ٣٨

١٧- ﴿اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ و يغولون، دون تأخر عن الدعوة و لا تَلَكُّوْا فِيهَا ﴿وَاذْكُرْ﴾ تثبيتا للصبر ﴿عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ﴾ الطويلة من قدرات ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ كثير الرجوع إلى الله.

١٨ / ٣٨

١٨- ﴿إِنَّا﴾ بجمعية الرحمات ﴿سَخَرْنَا﴾ كذلك ﴿الْجِبَالَ مَعَهُ يَسْبَحْنَ﴾ كما يسمع " وَاِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبُحُ بِحَمْدِهِ " (١٧: ٤٤) ﴿بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾.

١٩ / ٣٨

١٩- ﴿وَسَخَرْنَا﴾ الطَّيْرَ " مَعَهُ يَسْبَحْنَ " حالكونها ﴿مَحْشُورَةً﴾ مجموعة ﴿كُلُّ لَهُ أَوَّابٌ﴾ رجوعا إليه و معا إلى الله " وَ الطَّيْرُ صَافَاتٍ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَ تَسْبِيحَهُ " (٤١: ٢٤) " وَ سَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالِ يَسْبَحْنَ وَ الطَّيْرُ " (٢١: ٧٩).

٢٠ / ٣٨

٢٠- ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَ آتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَ فَصَّلَ الْخِطَابَ﴾

٢١ / ٣٨

٢١- ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأٌ﴾ خبر ذو فائدة لـ ﴿الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ ارتقاء متكلفا إلى سور المحراب من غير باب.

٢٢- ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ﴾ المحراب ﴿فَفَزَعَ مِنْهُمْ﴾ تصورا من تسورهم ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ﴾ منا، إذ لا نخاصمك، إذ نحن ﴿خَصْمَانِ﴾ مع بعضنا البعض ﴿بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ﴾ فيما نعرضه ﴿فَأَحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ﴾ التحقيق بالاتباع ﴿وَلَا تُشْطِطْ﴾ فى الحكم، إفراطا فى البعد عن الحق، سلب و إيجاب لا يناسبان ساحة النبوة أبدا، فهما فزع ثان ﴿وَأَهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾ هو ثالث يفزع.

٢٣- ﴿إِنَّ هَذَا﴾ الخصم ﴿أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَ تِسْعُونَ نَعْجَةً وَ لِي نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ هى كلها نجاج لا نساء، كما اختلق على داود عليه السلام، أنه جلب إلى نفسه امرأة أو رياه الحتى رئيس جنده و هى واحدة له، و عنده تسعة و تسعون امرأة، إسرائيلية نكدة تنته و فرية ماردة على داود عليه السلام، و أن سليمان ولد من هذه المحتلة ذات البعل و عودا بالله ﴿فَقَالَ﴾ أخى ﴿أَكْفَلْنِيهَا﴾ ضما لها إلى نجاجى دون حق ﴿وَ عَزَّنِي﴾ شدد على بقوة ﴿فِي﴾ ذلك ﴿الْخِطَابِ﴾.

٢٤- ﴿قَالَ﴾ داود من فوره، دون أن يتساءل عن أمرهما، استعجالا فى الحكم بزهوة الملكية، انقطاعا وقتيا عن الحكم بالوحى الرسالى ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعَجَتِكَ إِلَى نِجَاجِهِ﴾ فى عز خطابه، ظلما مضاعفا ﴿وَ إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ شططا ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَ قَلِيلٌ مَا هُمْ﴾ فلا يبغي بعضهم على بعض ﴿وَ ظَنَّ﴾ حينئذ ﴿دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ﴾ بتلك المخاصمة و الحكم العاجل بعد ما عرف حقه ﴿فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَ خَرَّ رَاكِعًا﴾ راجعا إلى الله، خرا إلى السجود حال ركوعه ﴿وَ أَنَابَ﴾ رجوعا إلى الله.

٢٥- ﴿فَفَقَرْنَا لَهُ ذَلِكَ﴾ الخطاء من الزهوة الملكية بانقطاع رحمة حينها، فلم يكن إلا خطأ صغيرا ﴿وَ إِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى﴾ قربى ﴿وَ حَسَنَ مَآبٍ﴾ رجوع، فهو قبل رجوعه قريب، و مع رجوعه حسن، حسنا على حسن، فلم يعص ربه فى حكمه العاجل، فإنما استعجل لشدة عدله و دهشته عن الظلم، و من ثم جعله الله رسولا كآدم و عصى آدم ربه فغوى. ثم اجتباؤه ربه فتأب عليه و هدى.

٢٦- و قلنا له ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ﴾ من الآن ﴿خَلِيفَةً﴾ تخلف الأنبياء قبلك ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ مما يبرهن أنه حينذاك لما يكن رسولا ﴿فَأَحْكُمْ﴾ من الآن ﴿بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ وحيا ﴿وَ لَا تَتَّبِعِ الْهَوَى﴾ مهما كان هوى عقلك ﴿فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ و هو إتباع الوحى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ قدر ضلالهم ﴿بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾. هنا توحى " إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً" أن جعل الخلافة الربانية تختص بالله تعالى، و حتى الرسول (ص) لا يحق له ذلك الاستخلاف، فضلا عن دونه، و عن شورى السقيفة!

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤٥٥

٢٧- ﴿وَ مَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَ الْأَرْضَ وَ مَا بَيْنَهُمَا﴾ و هى الكون المخلوق كله ﴿بَاطِلًا﴾ لا حق فيه ﴿ذَلِكَ﴾ البعيد البعيد هو ﴿ظَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالله و باليوم الآخر، فلو لا الرحمة الوحيدة الربانية، و لا جزاء يوم الجزاء، لكان الخلق باطلا عاطلا، فلا يكلفنا تكاملا، أو يكلفنا دون جزاء ﴿فَقَوْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ حاليا من نار كفرهم، ثم نار الأخرى جزاء حسابا.

٢٨ / ٣٨

٢٨- أ نجعل خلق الكون باطلا، و من بطلانه ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ ضد الإيمان و عمل الصالحات ﴿أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ سواء محياهم و مماتهم، بحساب و دون حساب.

٢٩ / ٣٨

٢٩- و هذا القرآن ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ﴾ واسع الرحمة ﴿لِيَذَّبَ﴾ المكلفون به ﴿آيَاتِهِ﴾ الدالات على ربانيتها، فيهدتوا ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ﴾ بها منهم ﴿أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ الذين وصلوا إلى ألباب عقولهم، فتدبر آياته يذكّر قدره، و هو جعل كل آية دبر ما يضاهيها للحصول على صالح معناها.

٣٠ / ٣٨

٣٠- ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ﴾ الأواب ﴿سُلَيْمَانَ﴾ فهل الوهبة الربانية وليد زنا!، بل هو ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ﴾ ف ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ كثير الرجوع إلى الله.

٣١ / ٣٨

٣١- و لا سيما فى زهوة الملك ﴿إِذْ عَرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ﴾ الخيل ﴿الصَّافِنَاتُ﴾ الصافات أقدامها ثابتات ﴿الْجِيَادُ﴾ تصلح للحروب.

٣٢ / ٣٨

٣٢- و هنا لم تستغفله زهوة الملك بالصافنات الجياد ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ﴾ هذا ﴿الْخَيْرِ﴾ الحربى، صادرا ﴿عَنْ ذِكْرِ رَبِّي﴾ فما نسيته فى محل النسيان " قال .. " ﴿حَتَّى تَوَارَتْ﴾ الصافنات ﴿بِالْحِجَابِ﴾ بعيدة عنه فى ظلمات الليل.

٣٣ / ٣٨

٣٣- فقال إعادة لذكر ربه بنعمته ﴿رُدُّوْهَا﴾ الصافنات ﴿عَلَى﴾ فأين هنا الشمس المردودة عليه لقضاء صلاة نسيها و عودا بالله، كما فى مختلقات ﴿فَطَفِقَ﴾ دنى ﴿مَسْحًا بِالسُّوقِ وَ الْأَعْنَاقِ﴾ من الصافنات تلطيفا معها و تحببها إليها، فهل للشمس سوق و أعناق حتى يمسحهما!.

٣٤ / ٣٨

٣٤- ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ﴾ كآبيه داود ﴿وَوَلَّيْنَاهُ عَلَى كُورَيْسِهِ﴾ الملكى ﴿جَسَدًا﴾ علّه من ولده المرجو خلافته عنه فتحسر بذلك ﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾ إلى الله من تحسره و تجسره.

٣٥ / ٣٨

٣٥- و بديلا عنه ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَ هَبْ لِي مُلْكًا﴾ زمنيا ﴿لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾ حيث لمح له الوحى جدارته به و إمكانيته، فلا ملك بعده مهما كان هنا لك أملك منه روحيا كصاحب الأمر و جدوده المعصومين ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾.

٣٦ / ٣٨

٣٦- لذلك ﴿فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ﴾ " عاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا " (٢١: ٨١) غُدُوْهَا شَهْرٌ وَ رَوَاحُهَا شَهْرٌ (٣٤: ١٢) ف ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً﴾ غير مستصعبة ﴿حَيْثُ أَصَابَ﴾ فى تسخيرها إياها حيث يريد حين يركبها.

٣٧ / ٣٨

٣٧- ﴿وَ﴾ سخرنا ﴿الشَّيَاطِينَ﴾ معه ﴿كُلَّ بَنَاءٍ وَغَوَاصٍ﴾ له برا و بحرا " وَمِنَ الْجِنَّ مَنْ يَمَلُّ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَ مَنْ يَزِغُ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ " (١٢: ٣٤).

٣٨ / ٣٨

٣٨- ﴿وَ﴾ منهم ﴿آخَرِينَ﴾ زائفين عن أمرنا، ف﴿مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ سجناء معذبين مغلولين هنا و يوم يقوم الأشهاد.

٣٩ / ٣٨

٣٩- ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا﴾ لك فى ملك لا ينبغي لأحد من بعدك ﴿فَأَمْنٌ﴾ عطاء لمن تشاء ﴿أَوْ أَمْسِكْ﴾ عمن تشاء ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ فإنهما منك كرسول الوحي عدل و فضل فلا حساب.

٤٠ / ٣٨

٤٠- ﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى﴾ قربى ﴿وَ حُسْنَ مَآبٍ﴾ رجوع.

٤١ / ٣٨

٤١- ﴿وَ أَذْكُرْ عِبْدَنَا﴾ بكامل العبودية الصابرة ﴿أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ﴾ فى منتهى عذابه ﴿أَنَّى مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ﴾ نصبها لإِتاعابه ﴿وَ عَذَابٍ﴾ فى جسمه و أهليه: "وأيوب إذ نادى ربه أنى مسنى الضر و أنت أرحم الراحمين. فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر .." (٢١: ٨٤).

٤٢ / ٣٨

٤٢- ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤٥٦

٤٣ / ٣٨

٤٣- ﴿وَ وَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ﴾ زوجته و ولده و من أشبهه، بعد فراقهم أو موتهم ﴿وَ مَثَلُهُمْ مَعَهُمْ﴾ أهلا آخرين تماثلهم و تلائمهم ﴿رَحْمَةً مِنَّا﴾ بعد زحمة ﴿وَ ذِكْرَى لِلأُولَى الْأَلْبَابِ﴾ صبرا فى الله .. ﴿وَ ذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾ (٢١: ٨٤).

٤٤ / ٣٨

٤٤- ﴿وَ﴾ قلنا له ﴿خُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾ حزمة تشمل عديدا من ناعمة الأخشاب ﴿فَاضْرِبْ بِهِ﴾ زوجك حيث ابتعدت عنك، و قد عهدت أن تضربها ﴿وَ لَا تَحْنُتْ﴾ لأنها صبرت قبل و رجعت بعد فقد خفت عنها الضرب بما خففت ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا﴾ لأعلى حد ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ﴾ الصابر ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ رجوعا دائما إلى الله بدل الشكوى، خلافا لما اختلق عليه فى التوراة من شكاوى و نكاوى ضد الله!.

٤٥ / ٣٨

٤٥- ﴿وَ أَذْكُرْ عِبَادَنَا﴾ المرسلين ﴿إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْحَاقَ﴾ ابنه الثانى ﴿وَ يَعْقُوبَ﴾ ابن إسحاق ﴿أُولَى الْأَيْدَى﴾ العملية و الروحية العليا ﴿وَ الْأَبْصَارِ﴾ بصائر.

٤٦ / ٣٨

٤٦- ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ﴾ بعد ما أخلصوا أنفسهم لنا ﴿بِ﴾ ذكرى ﴿خَالِصَةً﴾ لله و هى ﴿ذِكْرَى الدَّارِ﴾ الأولى معتبرا و معبرا، و الأخرى مرجعا، فمن ذكرهما حقا تخلص فيهما.

٤٧ / ٣٨

٤٧- ﴿وَ إِنَّهُمْ عِنْدَنَا﴾ عندية الزلفى ﴿لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنِ﴾ حيث اصطفيناهم بما أخلصناهم ﴿الْأَخْيَارِ﴾ عبودية و رسالة.

٤٨ / ٣٨

٤٨- ﴿وَادْكُرْ إِسْمَاعِيلَ﴾ أكبر ولدى إبراهيم ﴿وَإِسْحَاقَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ هَؤُلَاءِ الْمَخْلُصِينَ الْمُصْطَفِينَ﴾ (الْأَخْيَارِ) و كما نجد أنباءهم مفصلة في الأخبار.

٤٩ / ٣٨

٤٩- ﴿هَذَا ذِكْرُ﴾ من الصالحين لأصلح الصالحين و سائر المتقين قرأنا ﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَّآبٍ﴾ إلى الله في الأولى و الأخرى، و من الثانية:

٥٠ / ٣٨

٥٠- ﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ﴾ باقية "عطاءً غيرَ مجذوذٍ" حالكونها ﴿مُفْتَحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾ "و سَيَقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا.." (٣٩: ٧٣) قبل أن يجيئوها.

٥١ / ٣٨

٥١- حالكونهم ﴿مُتَكَبِّينَ فِيهَا﴾ "عَلَى الْأَرَائِكِ" ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ﴾ يشتهونها ﴿وَوَسْرًا﴾ ماء و لبنا و عسلا مصفى.

٥٢ / ٣٨

٥٢- ﴿وَعِنْدَهُمْ﴾ فيها نساء و حوريات ﴿قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ على أزواجهن ﴿أُتْرَابُ﴾ متماثلات بعضهن مع بعض و مع أزواجهن، عمرا و شاكلة، فلا شيخوخة هناك حتى تذهب بجمالهن و تقدم أعمارهن.

٥٣ / ٣٨

٥٣- و يقال لهم فيما يقال ﴿هَذَا﴾ الرزق هو ﴿مَا تُوعَدُونَ﴾ في الأولى ﴿لِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾.

٥٤ / ٣٨

٥٤- ﴿إِنَّ هَذَا﴾ الموعود حقا ﴿لَرِزْقُنَا مَا لَهُ﴾ هناك ﴿مِنْ نِّفَادٍ﴾ فى جنات عدن، دون نهاية لها "عطاءً غيرَ مجذوذٍ".

٥٥ / ٣٨

٥٥- ﴿هَذَا﴾ للمتقين ﴿وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ﴾ على الله و على عباد الله ﴿لَشَرَّ مَّآبٍ﴾ مرجع هنا و هناك.

٥٦ / ٣٨

٥٦- و فى الأخرى ﴿جَهَنَّمَ﴾ نارا شديدة التأجج ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ إيقادا لها، و "أُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ" لا يصلها إلا الأَشَقَى (٩٢: ١٤) مهما يراها الشقى ﴿فَيُبْسِ الْمِهَادُ﴾ الذى مهدوه هنا لأنفسهم.

٥٧ / ٣٨

٥٧- ﴿هَذَا﴾ عذابهم ﴿فَلْيَذُوقُوهُ﴾ هناك، كما أذاقوه غيرهم بعد أنفسهم هنا، و هو ﴿حَمِيمٌ﴾ شديد السخونة ﴿وَوَسْأَقُ﴾ يغسق و يظلم على ذائقه بفائقه.

٥٨ / ٣٨

٥٨- ثم و لهم حميم و غساق ﴿وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ﴾ حمّة و غسقا ﴿أَزْوَاجُ﴾ متشاكلة.

٥٩ / ٣٨

٥٩- ﴿هَذَا﴾ الفوج ممن يصلون النار ﴿فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ﴾ هنا و هناك ﴿مَعَكُمْ﴾ الداخلين معهم صليا ﴿لَا مَرْجَأَ لَهُمْ﴾ ف ﴿إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ﴾ أولا.

٦٠ / ٣٨

٦٠- ﴿قَالُوا﴾ الفوج الثانى لمن يصلى النار أولا ﴿بَلْ أَنْتُمْ﴾ الصالحون ﴿لَا مَرْحَبًا بِكُمْ﴾ إذ ﴿أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ﴾ الصلى ﴿لَنَا فَبُئْسَ الْقَرَارُ﴾ و هما صالوا النار مضلين، مهما اختلفت دركاتهما.

٦١ / ٣٨

٦١- ﴿قَالُوا﴾ الآخرون ﴿رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا﴾ الصلى ﴿فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ﴾ إذ قدموها لنا.
البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤٥٧

٦٢ / ٣٨

٦٢- ﴿وَقَالُوا﴾ جميعا ﴿مَا لَنَا﴾ ما بالنا ﴿لَا نَرَى﴾ معنا هنا ﴿رَجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ﴾.

٦٣ / ٣٨

٦٣- ﴿اتَّخَذْنَاهُمْ﴾ هناك ﴿سَخِرِيَا﴾ و هم من الأبرار ﴿أَمْ زَاغَتْ﴾ هنا ﴿عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ﴾ فهم معنا هنا لا نراهم.

٦٤ / ٣٨

٦٤- ﴿إِنَّ ذَلِكَ﴾ الخزى ﴿لَحَقَّ﴾ عليهم، و هو ﴿تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ نارا على نار، تحسرا فى جهنم و بئس القرار.

٦٥ / ٣٨

٦٥- ﴿قُلْ إِنَّمَا﴾ ليس إلا ﴿أَنَا مُنْذِرٌ﴾ " إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مَنْ يَخْشَاهَا " (٧٩: ٤٥) ﴿وَمَا مِنْ﴾ جنس ﴿إِلَهٍ﴾ و لا نوعه و لا شخصه ﴿إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ على كل شىء.

٦٦ / ٣٨

٦٦- ﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ و منها كل ما اتخذ من دون الله ﴿الْعَزِيزُ﴾ الغالب على كل شىء ﴿الْغَفَّارُ﴾ بكل قهر عادل.

٦٧ / ٣٨

٦٧- ﴿قُلْ هُوَ﴾ التوحيد و ما يلزمه ﴿نَبَأُ﴾ خبر ذو قاعدة عظيمة ﴿عَظِيمٌ﴾ و لكن.

٦٨ / ٣٨

٦٨- ﴿أَنْتُمْ﴾ الحماقى ﴿عَنْهُ﴾ على عظمه ﴿مُعْرِضُونَ﴾ كل إعراض.

٦٩ / ٣٨

٦٩- ﴿مَا كَانَ لِي﴾ قبل أن يوحى إلى ﴿مِنْ عِلْمٍ﴾ أبدا ﴿بِالْمَلِكِ الْأَعْلَى﴾ وحيا ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ جدالا صالحا فيما أوحى إليهم، و ما يوحى إلى إذ ما كانوا قبل وحيه بعالمين.

٧٠ / ٣٨

٧٠- ﴿إِنْ يُوْحَىٰ إِلَيَّ﴾ بوسيط الملائ الأعلى أم الله نفسه دون وسيط ﴿إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ نبأ ثانيا، كما المعاد فى آية و القرآن فى أخرى و هو يجمع الأنباء كلها، و قد يكون من اختصام الملائ الأعلى حول " إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ".

٧١ / ٣٨

٧١- ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾ بأعلى التربية ﴿لِلْمَلَائِكَةِ﴾ أجمعين ﴿إِنِّي خَالِقٌ﴾ بعد ﴿بَشَرًا﴾ جديدا ﴿مِنْ طِينٍ﴾ خلقت منه بشرا من قبل.

٧٢ / ٣٨

٧٢- ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ﴾ بدنا من طين ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ حيث فضله بين كافة الأرواح التي خلقتها ﴿فَقَعُوا لَهُ﴾ لصالحه ﴿سَاجِدِينَ﴾ شكرا لي، لا عبودية له ولا احتراما فإنه شرك و احترام برب العالمين.

٧٣ / ٣٨

٧٣- ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ﴾ شكرا لله لأدم، كما تقول: سجدت لولدي ﴿كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾ دونما استثناء.

٧٤ / ٣٨

٧٤- ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ حيث أبلس عن السجود ﴿اسْتَكْبَرَ﴾ على الله و على آدم ﴿وَكَانَ﴾ قبل إذ كان مع الملائكة ﴿مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ "كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ" (٥: ١٨) أمر مع الملائكة حيث حسب معهم لأعماله الظاهرة الملائكية، كما و أمر بخصوصه: "قَالَ مَا مَنَعَكَ آلَا تَسْجُدُ إِذْ أَمَرْتُكَ" (٧: ١٢).

٧٥ / ٣٨

٧٥- ﴿قَالَ﴾ الله ﴿يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ﴾ لي ﴿لَمَّا خَلَقْتُ﴾ إياه ﴿بِيَدَيَّ﴾ و منهما يدا الخلق روحا و جسما ﴿أَسْتَكْبِرْتَ﴾ على و على آدم ﴿أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ على، أو على آدم هذا، كما أن بعضا من معصومي ولده هم من العالين عليه كالمحمديين عليهم السلام.

٧٦ / ٣٨

٧٦- ﴿قَالَ﴾ إبليس نظرا إلى ظاهر البدنين ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾ إذ ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ و النار خير من الطين، قياسا يرد فيه حكم الله بكل إبلas.

٧٧ / ٣٨

٧٧- ﴿قَالَ﴾ الله، إذا ﴿فَأَخْرَجُ مِنْهَا﴾ الجنة ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ و لا مكان فيها لأى رجيم، مهما كانت جنة دنيوية، و لكنها محل العابدين المستسلمين.

٧٨ / ٣٨

٧٨- ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعَنَتِي﴾ إبعادا عن رحمتي ﴿إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ الجزاء، و هو ظهور الطاعات و العصيانات.

٧٩ / ٣٨

٧٩- ﴿قَالَ رَبِّ﴾ و أنا من خلقك ﴿فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يَبْعَثُونَ﴾ لقيامة الإحياء.

٨٠ / ٣٨

٨٠- ﴿قَالَ﴾ الله إجابة لطلب اللعين، إبتلاء للمكلفين ﴿فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ الشياطين.

٨١ / ٣٨

٨١- لا إلى يوم الدين، بل ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ و إلا لكان النص "إلى يوم الدين" و لعل من "يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ" * هو يوم قيام المهدي (ع) إذ لا سلطة فيه للشيطان إلا قليلا.

٨٢ / ٣٨

٨٢- ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ﴾ أنا فى ذلك الإنظار ﴿لَأُغَوِّيَنَّهُمْ﴾ بنى آدم ﴿أَجْمَعِينَ﴾ عن صراطك المستقيم.

٨٣ / ٣٨

٨٣- ﴿إِلَّا عِبَادَكَ﴾ الخصوص ﴿مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ﴾ إذ أخلصتهم بعد ما أخلصوا هم أنفسهم.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤٥٨

٨٤- ﴿قَالَ﴾ اللَّهُ، إِذَا ﴿فَالْحَقُّ﴾ أَنَا بِكُلِّ مَعَانِيهِ أَلُوْهِيَّةٍ ﴿وَالْحَقُّ أَقُولُ﴾ إِيَّاهُ.

٨٥- إِنِّي ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ دُونَ الْعَوَانِ بَيْنَ الْمَخْلُصِينَ، وَ الْمَخْلُصِينَ، وَ إِنَّمَا هُمُ التَّابِعُونَ إِيَّاهُ، الْمَحْسُوبُونَ بِحِسَابِهِ، لَا كُلٌّ مِنْ غَوَىٰ بِغَوَايَةِ مِنْهُ وَ حَتَّى الْمَخْلُصِينَ وَ قَدْ يَدْخُلُهَا مِنْ تَبِعِهِ مُوَحِّدًا وَ لَكِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْهَا، فَلَا يَنَافِي نَجَاتُهُ مَا لَهَا مِنْ تَابِعِيهِ أَجْمَعِينَ.

٨٦- ﴿قُلْ﴾ لِلْكَلِّ ﴿مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ الْقُرْآنُ دَعْوَةٌ بِهِ، أَيَا ﴿مِنْ أَجْرِ﴾ وَ مَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿فِي دَعْوَتِي مَا لَيْسَ لِي، وَ لَا تَكَلَّفًا فِيهَا فَوْقَ مَا أَمَرْتُ بِهِ﴾.

٨٧- أَجَلٌ ﴿إِنْ هُوَ﴾ الرَّسُولُ ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ مِنَ اللَّهِ ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ الْمَكْلُفِينَ أَجْمَعِينَ، دُونَ تَخَلُّفٍ عَمَّا رَسَمَ لَهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَ لَا تَكَلَّفٍ.

٨٨- ﴿وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأُهُ﴾ الْيَقِينِ ﴿بَعْدَ حِينٍ﴾ إِذَا تَقْصِدُونَ إِيْمَانَنَا، أَوْ بَعْدَ عَذَابِ الْاسْتِثْصَالِ، أَوْ بِالمَوْتِ ثُمَّ الْقِيَامَةِ الْكُبْرَى.

سورة الزمر

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ذَلِكَ هُوَ ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ الْوَحْيُ كُلُّهُ ﴿مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ﴾ الْغَالِبِ عَلَمَا وَ قُدْرَةِ عَلَى كَافَةِ الْمَصَالِحِ الْمُرْسَلَةِ ﴿الْحَكِيمِ﴾ فِي تَنْزِيلِهَا كَكُلِّ، مَا يَحْتَاجُهُ الْمَكْلُفُونَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ: "كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ" (١: ١) فِعْزَةُ اللَّهِ وَ حِكْمَتُهُ وَ حَمْدُهُ رَبَّانِيًا بَاهِرَةً فِي ذَلِكَ التَّنْزِيلِ الْفَضِيلِ.

٢- ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ بِمِثْلِ التَّأْكِيدَاتِ ﴿إِلَيْكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿الْكِتَابَ﴾ الرَّبَّانِي كُلُّهُ ﴿بِالْحَقِّ﴾ كُلُّهُ، أَنْزَالًا وَ كِتَابًا وَ مَنْزَلًا بِالْحَقِّ وَ إِذَا ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ﴾ لَا سِوَاهُ ﴿مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ الطَّاعَةَ، كُلُّهَا، فَإِنَّ فِيهِ طَقُوسَهَا كُلُّهَا، وَ هِيَ الرَّحْمَةُ الرَّبَّانِيَّةُ كُلُّهَا.

٣- ﴿أَلَا﴾ نَبِيَّةٌ عَالِيَةٌ غَالِيَةٌ، انْتَبَاهَا عَنْ كُلِّ غَفْلَةٍ وَ نَوْمَةٍ، أَمَامَ الرَّحْمَةِ الرَّحِيمِيَّةِ كُلُّهَا، إِنَّ ﴿لِلَّهِ﴾ لَا سِوَاهُ ﴿الدِّينَ﴾ الطَّاعَةَ هُنَا ظَهُورًا، وَ فِي الْأُخْرَى حَقِيقَةً بَارِزَةً جِزَاءَ ﴿الْخَالِصِ﴾ عَنْ كُلِّ شَيْنٍ وَ رَيْنٍ، فَكَمَا أَنَّ اللَّهَ خَالِصٌ فِي أَلُوْهِتِهِ وَ رَبُوبِيَّتِهِ، فَلتَكُنْ طَاعَتُهُ أَمَامَ رَحْمَتِهِ خَالِصَةً كَمَا يَسْتَطَاعُ ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا﴾ أَخْذًا وَخَازًا ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ مِنْ إِلَهٍ ﴿أُولِيَاءَ﴾ مِنْ قَالِهِمُ الْغَائِلَةُ: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ﴾ أَوْلَاءَ ﴿إِلَّا لِيَقْرَبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ وَسَطَاءَ فِي عِبُودِيَّتِهِمْ، فَوْسَطَاءَ فِي الزُّلْفَى وَ الشَّفَاعَةِ وَ يَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَ لَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (١٠: ١٨) ثُمَّ يَقُولُونَ إِذَا هُمْ فِي الْجَحِيمِ "تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ. إِذْ نُسَوِّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ" (٢٦: ٩٨) ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ بِمَا يَخْتَلِفُونَ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ أَمَامَ اللَّهِ، وَ كَذْبًا فِي غَلِيظِ الْكُفْرِ، كَفَرًا فِي كَذْبٍ "ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ".

٤- ﴿لَوْ﴾ مستحيلاً ﴿أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ﴾ لنفسه ﴿وَلَدًا لَاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ لا ما تشاءون و" قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ " (١٠: ٦٨) ﴿سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ﴾ بلا اتخاذ شريك ﴿الْفَهَّارُ﴾ على كل الخلق.

٥ / ٣٩

٥- ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ دون لعب أو لهو ﴿يَكْوَرُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ﴾ زيادة في النهار ﴿وَيَكْوَرُ النَّهَارُ عَلَى اللَّيْلِ﴾ عكسا، لمحة إلى كروية الأرض ﴿وَسَحَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ في جريهما ﴿كُلُّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى﴾ أولا و أخيرا ﴿أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْعَفَّارُ﴾.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤٥٩

٦ / ٣٩

٦- ﴿خَلَقَكُمْ﴾ ككل على طول خط التناسل الإنساني الأخير ﴿مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ هي آدم كبداية ﴿ثُمَّ﴾ بعد خلقها ﴿جَعَلَ مِنْهَا﴾ من بعضها أو جنسها ﴿زَوْجَهَا﴾ فتكامل منشأ الانتسال ككل، مما يرفض تدخل حورية أو جنية أماهيمية في ذلك التناسل، "خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً" (٤: ١) ﴿وَأَنْزَلَ﴾ من سماء الرحمة الربانية ﴿لَكُمْ مِنْ﴾ كافة ﴿الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ و الكل يشملها و سواها، فحتى الخنزير منها فضلا عن سائر الحيوان غير المفترسة جوا و برا و بحرا، "خَلَقَكُمْ" أن ﴿يَخْلُقَكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ بمراحله الخمس: "وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ. ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ. ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ" (٣٣: ١٤) "خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ" ﴿فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ هي ظلمة البطن و الرحم و المشيمة ﴿ذَلِكَ﴾ العظيم هو ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ﴾ كله ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ كما لا خالق إلا هو ﴿فَأَنِّي تُصْرَفُونَ﴾ عنه إلى غيره تألهاء، و" فَأَنِّي تُؤَفَّكُونَ" أ إِفْكَآ إِلَهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ" (٣٧: ٨٦).

٧ / ٣٩

٧- ﴿إِنْ تَكْفُرُوا﴾ بالله ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَنَىٰ عَنَكُمْ وَ﴾ لكن ﴿لَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ به ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا﴾ الله ﴿يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ لصالحكم دون حاجة منه إليكم ﴿وَلَا تَزِرُ﴾ نفس ﴿وَاِزْرَةً﴾ كفرا أو كفرانا ﴿وَزَرَ﴾ نفس ﴿أُخْرَى﴾ أبدا، اللهم إلا مثله بأن حملتها بكفرها ﴿ثُمَّ﴾ بعد الدنيا ﴿إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ لا سواه ﴿مَرْجِعُكُمْ﴾ بحياة الحساب الجزاء ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ﴾ علما و جزاء ﴿بِ﴾ نفس ﴿مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ لا يعزب عنه شيء، و لا يعاقب إلا قدر العصيان.

٨ / ٣٩

٨- ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الْكَفُورَ كَفْرًا أَوْ كَفَرَانًا ضُرُّ﴾ لا حول له في دفعه و لا قوة، هنا بعد الإيأس عن غيره ﴿دَعَا رَبَّهُ﴾ بعد أن نسيه، حالكونه ﴿مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ راجعا عما كان يدعو إليه إلى ربه ﴿ثُمَّ﴾ بعد كشف الضر عنه ﴿إِذَا خَوَّلَهُ﴾ وهبه ﴿نِعْمَةً مِنْهُ نَسَىٰ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ﴾ و هو الله ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ كأنها التي خولته نعمة، "نَسَى" تعمدًا ﴿لِيُضِلَّ﴾ غيره ﴿عَنْ سَبِيلِهِ﴾ أَلَّا يحسب كشف الضر و تخويل النعمة من ربه ﴿قُلْ﴾ له ﴿تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا﴾ حيث الدنيا بجنب الأخرى قليلة مهما كانت طويلة ﴿إِنَّكَ﴾ بعد تمتع قليل ﴿مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ في دار القرار، كما كنت من أصحاب النار في دار القرار.

٩ / ٣٩

٩- أمن هو فالت عن عبادة ربه، أهدى ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ﴾ يلزم طاعته فيها متخضعا ﴿سَاجِدًا﴾ له ﴿وَقَائِمًا﴾ و فيه ركوع، حالكونه ﴿يَحْذَرُ الْآخِرَةَ﴾ تحذره عن الله ﴿وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ بما يقدمه ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ اللَّهَ﴾ و الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ اللَّهَ، تجاهلا عامدا عاندا، فالعلم هنا هو معرفة الله، مهما كان سائر العلم لا يستوى مع سائر الجهل ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ﴾ فطريا فعقليا فشرعيا، ذلك الحق المبين ﴿أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ حيث وصلوا إلى ألباب عقولهم بعد رفع أغشائها.

١٠ / ٣٩

١٠- ﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بربكم ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ علما و عقيدة و عملية ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ إيمانهم و تقواهم ﴿فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ فيها و في الآخرة: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ (٢: ٢٠١) ﴿وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ﴾ للسعة في تقواه: ﴿إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ (٢٩: ٥٦) ﴿إِنَّمَا﴾ ليس إلا ﴿يُوقَى﴾ تماما في الآخرة ﴿الصَّابِرُونَ أَجْرُهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ كما اتقوه صابرين بغير حساب ما استطاعوا و لدينا مزيدٌ بغير حساب.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤٦٠

١١ / ٣٩

١١- ﴿قُلْ إِنِّي﴾ مؤكدا فوق كل عابد مخلص ﴿أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ﴾ حالكوني ﴿مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ كله طاعة لله.

١٢ / ٣٩

١٢- ﴿وَأُمِرْتُ﴾ على ضوء الإخلاص ﴿لَأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ كيانا و درجة، لا كونا في زمان، لأن قبلى مسلمين كثيرا.

١٣ / ٣٩

١٣- ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ﴾ على عبوديتي و إخلاصي و إسلامي ﴿إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ مهما كان صغيرا ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ فليس المقام عند الله مما يسمح لعصيان، بل إن حسنات الأبرار سيئات المقربين.

١٤ / ٣٩

١٤- ﴿قُلْ اللَّهُ﴾ لا سواه ﴿أَعْبُدُ﴾ حالكوني ﴿مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾ و طاعتي.

١٥ / ٣٩

١٥- ﴿فَاعْبُدُوا﴾ أمرا استنكاريا هو أنهى من النهي ﴿مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ و كل كائن هو من دونه مهما كان كرويا ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ﴾ حياتهم هم ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَ أَهْلِيَهُمْ﴾ حيث خسروهم بما أضلوهم ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ إذ ظهر خسارهم ﴿أَلَا ذَلِكَ﴾ الخسران ﴿هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ كونه و كيانه يوم الدين.

١٦ / ٣٩

١٦- ﴿لَهُمْ﴾ هؤلاء الخاسرون ﴿مَنْ فَوْقَهُمْ ظُلُلٌ مِنَ النَّارِ﴾ أستار عالية شاملة ﴿وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلُلٌ﴾ كذلك، كما عاشوا ضاللا من فوقهم لأنفسهم، و من تحتهم، و هم من تحت أمرهم و إمرتهم ﴿ذَلِكَ يَخَوْفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادُهُ﴾ الذين يخافونه ﴿يَا عِبَادِ﴾ إذا ﴿فَاتَّقُونِ﴾ إياي.

١٧ / ٣٩

١٧- ﴿و﴾ عبادى الخصوص هم ﴿الَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ﴾ الطاغى على الله و على أهل الله كثيرا ﴿أَنْ يَعْبُدُوهَا﴾ مهما كانت طاعة، و الطاغوت جمع كما هنا و مفرد فى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَ قَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾ (٤٠: ٦٠) و من العجاف أن كلاً من الطاغوت و المستضعف بصيغهما ثمان ﴿وَ أَنَابُوا إِلَى اللَّهِ﴾ من عبادة الطاغوت، و تجمعها لا إله إلا الله

اجتنابا عن الطاغوت ثم إنابة إلى الله، فأولئك العباد الخصوص ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى﴾ الخاصة ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ ى هؤلاء الناقشين على أنفسهم كلمة الإخلاص.

١٨ / ٣٩

١٨- و هم عبادى ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ﴾ و الرأى من أى قائل فى حقل الحق المبتنى على كتاب الله و سنة رسول الله "يستمعون" تطلبا، لا" يسمعون" دون طلب، و بالنتيجة ﴿فَيَتَّبِعُونَ﴾ علميا و عقيدا و عمليا ﴿أَحْسَنَهُ﴾ و هو أقرب به إلى قول الله، و هذا فيما تختلف فيه الأقوال الصادرة عن تفهم الكتاب و السنة، فالمتبع - إذا- هو أحسنه، و لزامه كون القائل أعلم و أدق و أتقى، فالعلم كاشف و التقوى تعهد، فالأتقائية أقرب من الأعلمية، ثم و لا يشترط فى ذلك الإلتباع أى شرط يذكر إلا فقط كونه "أحسنه" ف ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ﴾ إلى مرضاته ﴿وَأُولَئِكَ هُمْ﴾ لا سواهم ﴿أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ فالمتبع الحسن من غير الأعلم الأتقى ضال غير ذى لب، فضلا عن المتبع السيئ و هو القول غير المتبنى تماما كتاب الله و سنة رسول الله (ص) من شهرات و إجماعات، أو و ضروريات تخالف كتاب الله.

١٩ / ٣٩

١٩- ﴿أ﴾ بناء على ذلك ﴿فَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾ إذ لا يجتنب الطاغوت و لا ينيب إلى الله، أو يتبع الأسوء أو السيئ، أحسن، أم المهديون أولو الألباب ﴿أَفَأَنْتَ تُنْفِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾ هنا فضلا عن دار القرار.

٢٠ / ٣٩

٢٠- ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ﴾ هنا ﴿لَهُمْ غُرْفٌ﴾ فى الأخرى ﴿مِنْ فَوْقِهَا غُرْفٌ﴾ طباقا ﴿مَبْنِيَّةٌ﴾ فوق بعض البعض ﴿تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ ماء و لبنا و عسلا مصفى، الزموا و صدقوا ﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾ ككل، إذ ﴿لا يَخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾ الذى وعده.

٢١ / ٣٩

٢١- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ﴾ الماء ﴿يَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾ ظاهرا و باطنا ﴿ثُمَّ يَهْبِيجُ الزَّرْعَ﴾ ﴿فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا﴾ عند حصاده ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لَأُولَى الْأَلْبَابِ﴾ مثلا لتواتر الموت و الحياة.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤٦١

٢٣ / ٣٩

٢٢- ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ﴾ من روحه ﴿لِلْإِسْلَامِ﴾ أمام الله ﴿فَهُوَ﴾ محيط ﴿عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ بشرحه، هو أهدي، أم من ضيق الله صدره: ﴿فَمَنْ يَرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَ مَنْ يردْ أَنْ يضلَّهُ يجعلْ صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعدُ فى السماء كَذَلِكَ يجعلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (٦: ١٢٥) ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ إذ لا تتذكر به بل تعرض عنه و تقسى ﴿أُولَئِكَ﴾ غارقون ﴿فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾.

٢٣ / ٣٩

٢٣- ﴿اللَّهُ﴾ لا سواه ﴿نَزَّلَ﴾ تدريجيا ﴿أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ بين كل حديث حسن ﴿كِتَابًا﴾ هو هذا القرآن ﴿مُتَشَابِهًا﴾ بعضه مع بعض فى أدب اللفظ و حذب المعنى، و مع الفطر و العقول، و مع الحاجات الحيوية ككل، تشابها منقطع النظير بين كل بشير و نذير، دالا بنفسه على ربانية آياته ﴿مَثَانِي﴾ جمع المثنية، تعاطفا مع الحق كله، و جمع المثنى، تكرارا على كرور الأمكنة و الأزمنة، و جمع الثناء، فإنه يثنى على كل من يحق له الثناء ﴿تَقْشَعْرُ مِنْهُ﴾ تدبرا صالحا ﴿جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ بعد

اقتسروا قلوبهم، تخوفاً من تقصير أو قصور أمامه ﴿ثُمَّ تَلِيْنُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ الحاصل بالقرآن ﴿ذَلِكَ﴾ العظيم هو ﴿هُدًى اللَّهُ يَهْدِي بِهِ﴾ القرآن الذكر ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ الهدى فيشاءها الله له ﴿وَمَنْ يَضِلُّ اللَّهُ﴾ إذ لا يتذكر بالقرآن ﴿فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ فـ"لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدَّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ.." (٥٩: ٢١).

٢٤ / ٣٩

٢٤- ﴿أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ﴾ بكل وجوهه هنا، اتجاها إلى الله ﴿سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ هو أهدى أمن لا يتقى ﴿وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ﴾ الحقّ و أهليه، هناك ﴿ذُوقُوا﴾ نفس ﴿مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ حيث الجزاء هو نفس العمل بما يظهر هناك من ملكوته و حقيقته: "وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ. إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ. وَ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بِاسِرَةٍ. تَنْظُرُ أَنْ يَفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ" (٧٥: ٢٤).

٢٥ / ٣٩

٢٥- ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ رسلهم ﴿فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ﴾ الاستئصال هنا ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بغتة.

٢٦ / ٣٩

٢٦- ﴿فَإِذَا قَهَّمُ اللَّهُ﴾ العذاب ذوقا ﴿الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ لَعَذَابُ﴾ الحياة ﴿الْآخِرَةِ﴾ منذ البرزخ إلى يوم الدين، هو ﴿أَكْبَرُ﴾ من عذاب الدنيا ﴿لَوْ﴾ مستحيلا باختيارهم ﴿كَانُوا﴾ يوم الدنيا حتى الموت ﴿يَعْلَمُونَ﴾ فأين ذوق العذاب هنا و نفسه هناك.

٢٧ / ٣٩

٢٧- ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ﴾ المكلفين ﴿فِي هَذَا الْقُرْآنِ﴾ بعد سائر قرائين الوحي ﴿مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ يمثل لهم حق الدين بما حققناه ببراهين ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ الحق.

٢٨ / ٣٩

٢٨- أعنى ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ مكشوف الدلالة و المدلول حالكونه ﴿غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ عن القرآنية الربانية، من عوج الدلالة و سواها ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الله بصراطه المستقيم، فـ"الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا. فَيَمَّا.." (١٨: ١).

٢٩ / ٣٩

٢٩- ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَابِسُونَ﴾ متشاجرون، و هو حال المشرك بالله، إذ يعبد متشاكسين ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ﴾ فلا تشاكس، مثلاً للتوحيد ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ﴾ هذان الرجلان ﴿مَثَلًا﴾ للحق و الباطل ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ بما يتجاهلون و يضللون، و أقلهم يعلمون "وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا" (٢٧: ١٤).

٣٠ / ٣٩

٣٠- ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ﴾ الآن و سوف تموت ﴿وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ كذلك.

٣١ / ٣٩

٣١- ﴿ثُمَّ﴾ بعد موتكم و مضى دور البرزخ ﴿إِنَّكُمْ﴾ جميعا ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾ فى ربوبية الحساب و الجزاء ﴿تَخْتَصِمُونَ﴾ اختصاما بين محق و مبطل، و اختصاما بين المبطلين "قَالُوا وَ هُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ. تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ" (٢٦: ٩٦).

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤٦٢

٣٢ / ٣٩

٣٢- ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ﴾ إشراكا به كأنه أشرك بنفسه، و ما أشبه من كذب على الله ﴿وَوَكَذَّبَ﴾ الخبر الواقع ﴿الصدق﴾ كله، المتمثل في القرآن ﴿إِذْ جَاءَهُ﴾ برسول صادق أمين ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى﴾ و مأوى ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ بالله.

٣٣ / ٣٩

٣٣- ﴿وَالَّذِي جَاءَ﴾ من قبل الله رسالة ﴿بِالْصِّدْقِ﴾ عن الله، سببا و مصاحبة و غاية ﴿وَالَّذِي﴾ ﴿صَدَّقَ بِهِ﴾ بما جاء به الرسول بالصدق ﴿أُولَئِكَ﴾ الأكارم جاثيا و مصدقا في عديدهما ﴿هُمْ الْمُتَّقُونَ﴾ قبال الذي جاء بالكذب و كذب بالصدق.

٣٤ / ٣٩

٣٤- ﴿لَهُمْ مَا يَشَاؤُنَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ في كافة النشآت، و لا سيما الأخرى. و ﴿ذَلِكَ﴾ العظيم، هو ﴿جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾.

٣٥ / ٣٩

٣٥- ﴿لِيَكْفُرَ اللَّهُ﴾ فرضا على نفسه، إذ "كُتِبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ" (٦: ١٢) ﴿عَنْهُمْ﴾ و هم من دون المعصومين ﴿أُسْوًا﴾ الذي عَمِلُوا من ذى قبل، حتى الشرك ﴿وَيَجْزِيهِمْ أَجْرَهُمْ﴾ فى الأخرى ﴿بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أجر الأحسن بالأحسن و كذلك الحسن، مع تكفير سيئاتهم.

٣٦ / ٣٩

٣٦- ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ﴾ كفاية ﴿عَبْدَهُ﴾ حيث يعبد، فلا كفى إلا هو، دون حاجة إلى سواه، إلا ذريعة إليه، و هو الموفق لها، "وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا" .. وَلِيًّا" .. وَكِيلًا" "وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ" (٢١: ٤٧) "وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا" (٢٥: ٣١) "أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ" (٤١: ٥٣) ﴿وَالْحَالِ أَنَّهُمْ﴾ الحال أنهم ﴿يَخَوْفُونَكَ بِالَّذِينَ﴾ هم ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ و لا خوف عنهم ما كان الله كافيا عبده ﴿وَمَنْ يَضِلَّ﴾ ه الله بما ضل ﴿فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ غير الله، إن شاء.

٣٧ / ٣٩

٣٧- ﴿وَمَنْ يَهْدِ﴾ ه ﴿اللَّهُ﴾ بما اهتدى ﴿فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ﴾ من بعده ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ﴾ غالب على أمره ﴿ذِي انْتِقَامٍ﴾ فى موضع النكال و النقمة، كما هو أرحم الراحمين فى موضع العفو و الرحمة، و قد سبقت رحمته غضبه.

٣٨ / ٣٩

٣٨- ﴿وَلِئِنْ سَأَلْتَهُمْ﴾ هؤلاء المشركين ﴿مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ و هما الكون كله ﴿لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ لا سواه "لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ" (٩: ٤٣) "وَلِئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ" (٤٣: ٨٧) ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ﴾ إياها ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ﴾ كلاً ﴿أَوْ﴾ إِنْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ﴾ كلاً ﴿قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ "أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ" ﴿عَلَيْهِ﴾ لا سواه ﴿يَتَوَكَّلْ﴾ حقا ﴿الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ دون استقلال و لا تكلان.

٣٩ / ٣٩

٣٩- ﴿قُلْ﴾ لقومك الكذابين ﴿يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾ منزلتكم و إمكانياتكم، أمرا ناهيا أنهى من كل نهى، فإنه تعجيز بتحجيز، أن ليس من مكانتكم القضاء على عملي الرسول و الرسالى ف ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾ على مكاتى بوحى الله و توفيقه ﴿فَسَوْفَ﴾ عند العذاب هنا، و فى البرزخ و الأخرى ﴿تَعْلَمُونَ﴾: "كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ. ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ. كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ. لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ. ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ" (١٠٢: ٧).

٤٠ / ٣٩

٤٠- "تَعْلَمُونَ" ﴿مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ كما أخرى الحق يوم الدنيا ﴿وَيَجِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ كما أقام الضلال حتى الموت.

٤١ / ٣٩

٤١- ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ بجمعية الرحمت الرحيمية التربوية ﴿عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ الربانى كله ﴿لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ كله ثابتا إلى يوم الدين ﴿فَمَنْ اهْتَدَى﴾ به ﴿فَلِنَفْسِهِ﴾ صالحا لها ﴿وَمَنْ ضَلَّ﴾ عنه ﴿فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ ضرا ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ عنى، حتى توصلهم إلى الهدى.

٤٢ / ٣٩

٤٢- ﴿اللَّهُ﴾ لا سواه، أصالة ﴿يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ﴾ أخذا وافيا للأرواح الإنسانية ﴿حِينَ مَوْتِهَا﴾ عن الحياة الدنيوية ﴿وَيَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ﴾ الإنسانية ﴿الَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ إبقاء للأنفس الحيوانية فى أبدانها، و هنا تباعد بين النفسين المتجاذبتين ﴿فَيَمْسِكُ﴾ النفس الإنسانية ﴿الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾ فى منامها، فيجذب النفس الحيوانية، الإنسانية المتوفاة خارج البدن حتى لا تنجذب هى إلى الحيوانية الباقية فى البدن ﴿وَيُرْسِلُ﴾ النفس ﴿الْأُخْرَى﴾ التى لم تقض عليها الموت، إلى النفس الحيوانية إيقاظا لها ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ محتوما أو معلقا ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ التوفى نوما ﴿لآيَاتٍ﴾ ربانية ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فى ذلك التوفى الإنامة، آية على إمكانية الحياة بعد الموت و ما أشبه من آيات.

٤٣ / ٣٩

٤٣- اتخذوا من دون الله شركاء ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفْعَاءَ﴾ بينهم و بين الله، فى تكوين أو تشريع أو عفو و ما أشبه ﴿قُلْ أَوْ لَوْ كَانُوا هَؤُلَاءِ الشُّفْعَاءُ﴾ لا يملكون شيئا ﴿مَنْ اللَّهُ﴾ حتى يشفعوا، بل ﴿وَلَا يَعْلَمُونَ﴾ شيئا حتى يملكو شفاعا و سواها.

٤٤ / ٣٩

٤٤- ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ﴾ فى ما يشفع ﴿جَمِيعاً﴾ حتى لمن يملكون شفاعا، إذ ﴿لَهُ﴾ لا لسواه ﴿مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فهو لا سواه يملك الشفاعا فيهما ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ﴾ لا سواه ﴿تُرْجَعُونَ﴾.

٤٥ / ٣٩

٤٥- لكنهم معرضون عن الله لحد ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ﴾ دون سواه ﴿اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ إذ تعودوا على الإشراف بالله ﴿وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ دونه ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ بهم، فرغم أنهم مشركون بالله، لا يرضون أن يذكر مع من دونه، فضلا أن يذكر دونهم، موحدين بإشراكهم، اختصاصا بعبادتهم غير الله و "تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى".

٤٦ / ٣٩

٤٦- ﴿قُلْ﴾ أمامهم ﴿اللَّهُمَّ﴾ يا ﴿فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ من مادتهما الأولى، كما فطرتها لا من شىء ﴿عَالِمَ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ﴾ على سواء ﴿أَنْتَ﴾ فحسب ﴿تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ﴾ و الكل عبادك ﴿فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

٤٧ / ٣٩

٤٧- ﴿وَلَوْ﴾ مستحيلا، بعد الموت ﴿أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ عقيدا و عمليا ﴿مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً﴾ بمن عليها ﴿وَمِثْلَهُ مَعَهُ﴾ مضاعفا ﴿لَافْتَدَوْا بِهِ﴾ عن ظلمهم ﴿مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ لم يفدهم: "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا تَقَبَّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ" (٥: ٣٦) "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ مَاتُوا وَ هُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَباً" و هو أضعاف مثلى ما فى الأرض "وَلَوْ افْتَدَىٰ بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَ مَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ" (٣: ٩١) ﴿و﴾ على أية حال ﴿بَدَأَ لَهُمْ﴾ بعد ما خفى عنهم تقصيرا "بَدَأَ" ﴿مِنْ اللَّهِ﴾ هنا لك ﴿مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ إياه من

سوء العذاب، إذ ما كانوا يحتسبون معاداً، أو أعمالهم سوء، بل كانوا يحتسبونها حسناً: "قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا. الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا" (١٨: ١٠٤) "إِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ" (٣٨: ٢٩).

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤٦٤

٤٨ / ٣٩

٤٨- ﴿وَبَدَأَ لَهُمْ﴾ هناك، بعد ما خفى عنهم بما أخفوه ﴿سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾ و قد كانوا يحسبونها حسنات ﴿وَوَاقِعَةُ﴾ بهم ما كانوا به يستهزؤون من عذاب يوم الحساب.

٤٩ / ٣٩

٤٩- و من أحكام الفطرة حين تبرز ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ﴾ النسيان ﴿ضُرٌّ﴾ لا حول له عنه ﴿دَعَانَا﴾ تركا لما سوانا ﴿ثُمَّ﴾ بعد ذلك المس و الدعاء ﴿إِذَا خَوَّلَاهُ﴾ عارية ﴿نِعْمَةً مِّنَّا﴾ بزوال ضره، أو نعمة غيرها أو هما معا و الكل نعمتنا ﴿قَالَ﴾ عندئذ ﴿إِنَّمَا﴾ ليس إلا ﴿أُوتِيَتْهُ عَلَى عِلْمٍ﴾ منى، كما قال قارون: "إِنَّمَا أُوتِيَتْهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي" (٢٨: ٧٨) كلا ﴿بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ﴾ هي أفتن من ضره ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: "فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَ نَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ. وَ أَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ. كَلَّا .." (٨٩: ١٧).

٥٠ / ٣٩

٥٠- ﴿قَدْ قَالُوا﴾ هذه القولة الغائلة ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ ممن لا يعلمون ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ من متاع الحياة الدنيا، زعم أنهم أوتوها على علم عندهم لياقة و لباقة، هراء من تقولهم على تطولهم.

٥١ / ٣٩

٥١- ﴿فَأَصَابَهُمْ﴾ هنا و بعد الموت ﴿سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾ رغم تخيلهم بتخيلهم أنه نعمة ﴿وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ﴾ المكلفين ﴿سَيَصِيبُهُمْ﴾ كما هم ﴿سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَ مَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ الله أبداً، و فى أصابتهم أن يمنعوه عنها.

٥٢ / ٣٩

٥٢- ﴿أَوْ لَمْ يَعْلَمُوا﴾ بعد ﴿أَنَّ اللَّهَ﴾ لا سواه، هو الذى ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ رزقه فيشاءه الله ﴿وَيَقْدِرُ﴾ الرزق لمن يشاء، فليس قدر الرزق أو سعته بحول العباد دون الله، مهما كان لهم حول و طول أو لم يكن ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ البسط و القدر، دون استقلالية لشريطة سعة المحاولة و قدرها ﴿لآيَاتٍ﴾ ربانية ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ بالله، فلو لا تصميم ربانى لما كان سعة أو قدر مهما كانت المحاولات غير الربانية طائلة.

٥٣ / ٣٩

٥٣- ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ بجنب الله تفريطا ﴿لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾ على المسرفين ف ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ ما تابوا عنها، أم لم يتوبوا ما لهم حسنات كبيرة أو ترك الكبائر: "إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَ نُدْخِلَكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا" (٤: ٣١) ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ﴾ فى موضع الغفر ﴿الرَّحِيمُ﴾ فى موضع الرحمة، اللهم إلا الذين ماتوا و هم كفار: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَ يَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ" (٤: ٤٨).

٥٤ / ٣٩

٥٤- ﴿وَأَنِيبُوا﴾ راجعين عن ذنوبكم ﴿إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَ أَسْلِمُوا لَهُ﴾ رغم ما أسلمتم قبل لغيره أو أشركتم به ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ﴾ هنا أو بعد الموت ﴿ثُمَّ﴾ بعد إتيانه ﴿لَا تُنصَرُونَ﴾ حيث الإسلام بعد الموت، أو قبله عند رؤية العذاب لا يقبل.

٥٥- ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ طول زمن التكليف و هو هذا القرآن ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً﴾ هنا أو بعد الموت ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ هذه المباشرة.

٥٦- "اتَّبِعُوا" دون أَنْ تَخَالَفُوا، خشية عن ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ﴾ خاسرة حاسرة ﴿يَا حَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَّطْتُ﴾ تقصيرا ﴿فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ﴾ في جنب الله و أهل الله ﴿لَمِنَ السَّخِرِينَ﴾ بشرة الله و أهلها، فقد كفرت بالله، و سخرت من أهل الله "ظلمات بعضها فوق بعض .."

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤٦٥

٥٧- ﴿أَوْ تَقُولَ﴾ نفس ﴿لَوْ﴾ مستحيلا ﴿أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي﴾ تسييرا و لم يهديني ﴿لَكُنْتُ مِنَ الْمُنْتَقِينَ﴾ و لكنه هداك دلالة وافية في القرآن، فرفضت أن تهتدي به، مهما لم يهدك تسييرا فإنها خلاف الحكمة الابتلائية.

٥٨- ﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ﴾ هنا أو في البرزخ و الأخرى ﴿لَوْ﴾ مستحيلا ﴿أَنَّ لِي كَرَّةً﴾ رجوعا إلى حالة التكليف ﴿فَأَكُونُ﴾ بعد ﴿مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ و لن يحسن عند كرته لو كانت ف "إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ".

٥٩- ﴿بَلَى﴾ قد هداك الله بوحيه، إذ ﴿قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي﴾ الدالة على الحق ﴿فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ﴾ عنها ﴿وَكُنْتَ﴾ قبلها ﴿مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ في باطنك، فلما جاءتك أبرزته.

٦٠- ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ و هو اليوم الأخير بعد يومى الدنيا و البرزخ ﴿تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ﴾ أن واجهوها عمين ﴿وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ﴾ بكل وجوهها ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى﴾ مقاما و ملجأ ﴿لِلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ كما كانوا ثاوين في الدنيا في جهنم التكذيب و الكفر "جزاء وفاقاً" و لا يظلمون فتيلاً.

٦١- ﴿وَيَنْجَى اللَّهُ﴾ هناك ﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ هنا عن الكفر، فوزا ﴿بِمَفَازَتِهِمْ﴾ هنا، مهما دخلوا جهنم، ف ﴿لَا يَمَسُّهُمْ السُّوءُ﴾ هناك ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على ما مضى: "إِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَاْرِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا. ثُمَّ نُنْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَ نَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا" (١٩: ٧٣) كما أن الكل وردوا جهنم الحياة الدنيا و نجى الذين اتقوا عنها.

٦٢- ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ و منها الروح بل إنه شيء أقوى من كل شيء، فكيف يختص الخلق بالأجسام، كما تفلسفوه، و لا مجرد إلا الله ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ قيومية رحمانية و رحيمية، و لا وكيل عنه لقيوميته، و صحيح أن الله أيضا بشيء، و لكن "كُلُّ شَيْءٍ" هو المخلوق، لا و الخالق الذى خلق كل شيء، و إلا لم يكن شيء أبدا.

٦٣- ﴿لَهُ﴾ دون سواه ﴿مَقَالِيدُ﴾ جمع "مقلد": المفتل، فتلا عن الانفلات إلى الانعدام، أم إلى غير ما خلقت من ﴿السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ و هما الكون كله، فله فيهما كل شيء ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالله و ﴿بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمْ﴾ لا سواهم ﴿الْخَاسِرُونَ﴾ حياتهم في كل نشأتها "الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَ أَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" (٣٩: ١٥).

٦٤ / ٣٩

٦٤- ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ﴾ هذا ﴿تَأْمُرُونِي أَنْ أَعْبُدَ﴾ ه و كل معبود دونه هو من خلقه ﴿أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ بالله.

٦٥ / ٣٩

٦٥- ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ من الرسل ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ﴾ أيها الموحى إليك ﴿لِيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ دون رعاية لرسالتك، فضلا عن سواك ﴿وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ كسائر المكلفين، فليست رسالة الله مما يسمح لإشراك و سواه، مما ينافيها.

٦٦ / ٣٩

٦٦- ﴿بَلْ﴾ "أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَ إِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ" أن ﴿اللَّهُ﴾ لا سواه ﴿فَاعْبُدْ﴾ لأنه هو الله ﴿وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ الله في توحيد عبادتك لله، أن هداك إليه بينات آياته.

٦٧ / ٣٩

٦٧- ﴿وَمَا قَدَرُوا﴾ منزلة ذاتية و صفاتية و أفعالية ﴿اللَّهُ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ أن يعبد و يطاع دون سواه ﴿وَالْحَالُ أَنَّ﴾ الأرض ﴿جَمِيعاً قَبْضَتُهُ﴾ دون أية قبضة أخرى منها لسواه ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ مهما قبضها غيره يسيرا يوم التكليف عارية مضمونة ﴿وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ هناك قيومية ﴿سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ به هنا و هناك.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤٦٦

٦٨ / ٣٩

٦٨- ﴿وَالْيَوْمَ قِيَامَةُ الْإِمَامَةِ﴾ نفخة مدمرة ﴿فِي الصُّورِ﴾ الناقور ﴿فَصَعَقَ﴾ ككل ﴿مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ من جن و إنسان و أيا كان من حي فيهما، هنا و في البرزخ، و الصعقة هي أموت من الموت على بقاء حياة دون فوت، غشوة شاملة لا إدراك فيها مهما كان في البرزخ إدراك ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ كمحمد و المحمديين المخلصين، مثل يحيى و المسيح عليهما السلام قبلهم، و كالأئمة المعصومين بعد محمد صلى الله عليه و آله ففيهما "وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا" (٩: ١٥) "وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا" (٣٣: ١٩) بعثا للحياة الأخرى حال حياة، دون بعث لها لغيرهم عن صعقة الممات ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ﴾ الصور، نفخة ﴿أُخْرَى﴾ إحياء عن صعقتهم ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ﴾ عن أجدانهم ﴿يَنْظُرُونَ﴾ مناظر الآخرة، و هكذا الفزعة: "وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ" و ثم في الفزعة الأخرى "وَكُلُّ أُنُوفٍ دَاخِرِينَ" (٢٧: ٨٧): "وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ" (٣٦: ٥١).

٦٩ / ٣٩

٦٩- ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ﴾ غير هذه الأرض إذ "تُبْدَلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ" (١٤: ٤٨) ﴿يُنُورُ رَبُّهَا﴾ بربانية الحساب و الجزاء هناك، بعد ربانية التكليف هنا ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ الرباني، شرعة ميزانا، و أعمالا لتوزن بها ﴿وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ﴾ نبيا و رسولا و نبيا ﴿وَالشُّهَدَاءُ﴾ منهم، ثم خلفاءهم، و معهم "كرام كاتبون" و الأعضاء و الأجواء فهم أعم من "النبيين" ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ﴾ كله في خضم الشهداء ﴿وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ﴾ أبدا، انتقاصا عما يحق لهم أو عليهم.

٧٠ / ٣٩

٧٠- ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَكْلَفَهَا﴾ ما عَمِلَتْ معرفيا و جارحيا، توفية أوفى " ثُمَّ يَجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى " (٥٣: ٤١) ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ﴾ من كل الشهداء ﴿بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ على أية حال، و هنا " ما عَمِلَتْ " نفسه، دون " بما عملت " دليل على أن العمل نفسه الجزء بظهور حقيقته، كما " إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ " (٥٢: ١٦) و ما أشبهه من عشرات عسيرات لهذه الحقيقة في حقل الجزء.

٧١ / ٣٩

٧١- ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ جماعات فى دركات سبع بسبعهم ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُهَا فَتَحَتْ﴾ دون تأخر ﴿أَبْوَابُهَا﴾ السبع: " لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ " (١٥: ٤٤) ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾ التسعة عشر ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْ أَجْناسٍ﴾ إنسا لإنس و جنا لجنا و من أشبهه ﴿يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ﴾ تربية لكم ﴿وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَ لَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ بالله باختيارهم، فقد حقت حقا خالصا لا حول عنه.

٧٢ / ٣٩

٧٢- ﴿قِيلَ لَهُمْ، إِذَا فُتِحُوا أَبْوَابُ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ ماكثين، قدر كفركم ﴿فَبِئْسَ مَثْوًى﴾ ملجأ و مكانا لـ ﴿الْمُتَكَبِّرِينَ﴾.

٧٣ / ٣٩

٧٣- ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ جماعات لأنهم درجات ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ و هنا الواو دون ما هناك تلمح بتأخر لدخولهم فيها، مرورا على جهنم دون عذاب، و مكوثا على أبواب الجنة، كمكث لبعضهم على الأعراف ﴿قَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ قولا و فعلا ﴿طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ " عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُودٍ " دون موت فيها أو فوت.

٧٤ / ٣٩

٧٤- ﴿وَقَالُوا﴾ زمر الجنة ﴿الْحَمْدُ﴾ كله ﴿لِلَّهِ الَّذِى صَدَقْنَا وَعَدَهُ﴾ واقعا ﴿وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ﴾ جنة ﴿نَتَّبِعُ﴾ تمكنا بواء ﴿مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾ " لَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُى أَنْفُسُكُمْ وَ لَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ " ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ لله.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤٦٧

٧٥ / ٣٩

٧٥- ﴿وَوَدَّ يَتَرَى﴾ يا رسول الهدى هناك ﴿الْمَلَائِكَةَ﴾ كلهم، حالكونهم ﴿حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾ الربانى، مصدرا لأوامر الربوبية فإنهم عماله فيما يريد، مهما كانوا درجات، فمنهم: الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَ مَنْ حَوْلَهُ (٤٠: ٧) ثمانية: وَ يَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ (٦٩: ١٧) ﴿يَسْبَحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ عن أن يحتاج إليهم و .. ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ﴾ و هم الملائكة أنفسهم مع سائر المكلفين ﴿وَقِيلَ الْحَمْدُ﴾ كله ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ حقا حقيقا من كل حامد لكل محمود.

سورة غافر

١ / ٤٠

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ حم ﴿هى أولى الحواميم السبع، و عليها تنادى أحمد و محمدا، بكافة المحامد، التى قضيتها.

٢ / ٤٠

٢- ﴿تَنْزِيلُ﴾ هذا الكتاب عليه ﴿مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ حيث تبرز عزته و علمه فيه، بجدارة أخيرة لعامة المكلفين.

٣ / ٤٠

٣- ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ﴾ و هو كل ما يستوخم عقباه، هنا فخير كما لرسول الهدى (ص): "لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَ مَا تَأَخَّرَ" (٤٨: ٢) و هناك فشر كما للعصاة ﴿وَ قَابِلِ التَّوْبِ﴾ إليه، توبا على المذنب تقبلاً، و هما فى موضع العفو و الرحمة ﴿شَدِيدِ الْعِقَابِ﴾ فى موضع العقاب و النعمة ﴿ذِي الطَّوْلِ﴾ الإنعام الطائل، حتى على من يستحق العقاب إن لم يكن ظلماً بغيره ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ فى هذه الصفات الألوهية، و سواها مما يختص به ﴿إِلَيْهِ﴾ لا سواه ﴿الْمَصِيرُ﴾ كله لكل سائر و صائر، فـ "إِنَّا لِلَّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ".

٤ / ٤٠

٤- ﴿مَا يَجَادِلُ﴾ عنادا أو بغير علم، استنكاراً ﴿فِي آيَاتِ اللَّهِ﴾ آفاقية و أنفسية ﴿إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ها عن أبصارهم و بصائرهم، فكفروا- إذا- بما تدل عليه ﴿فَلَا يَغُرُّكَ﴾ بظاهر تغلبهم ﴿تَغْلِبُهُمْ فِي الْبِلَادِ﴾ تظاهرا و تظافرا فى حركات الحياة الحيوانية: لا يَغُرُّكَ تَغْلِبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ. مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَاوَاهُمْ جَهَنَّمَ وَ بئس المهاد (٣: ١٩٧).

٥ / ٤٠

٥- ﴿كَذَّبَتْ﴾ بالله ﴿قَبْلَهُمْ﴾ هؤلاء الحاضرين منذ البداية ﴿قَوْمُ نُوحٍ﴾ إلا قليل ﴿وَ﴾ كل ﴿الْأَحْزَابُ﴾ الكافرة ﴿مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ فى تحزبات متخلفة عن الحق ﴿وَ هَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ﴾ من الأمم الرسالية ﴿بِرَسُولِهِمْ﴾ غاية الاهتمام ﴿لِيَأْخُذُوهُ﴾ إلى أنفسهم، أو عن بلاغهم، أو عن الحياة الرسالية ﴿وَ جَادَلُوا بِهِ﴾ سبب و معية و بداية و غاية ﴿الْبَاطِلِ﴾ ككل ﴿لِيُدْحِضُوا﴾ إبطالا ﴿بِهِ الْحَقَّ﴾ كله ﴿فَأَخَذْتُهُمْ﴾ إهلاكا، أخذاً باخذ ﴿فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ ى إياهم: "قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَ زَهَقَ الْبَاطِلُ" (١٧: ٨١) "بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ" (٢١: ١٨).

٦ / ٤٠

٦- ﴿وَ كَذَلِكَ﴾ العظيم العميم ﴿حَقَّتْ﴾ حقا و واقعا ﴿كَلِمَةُ رَبِّكَ﴾ عقابا ﴿عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ و هو ﴿أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ فى دار القرار.

٧ / ٤٠

٧- ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ﴾ الربانى هنا و فى الأخرى، بما حملهم الله إياه عملاً فيما يؤمرون: "يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَ يَعْمَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ" (١٦: ٥٠) ﴿وَ مِنْ حَوْلِهِ﴾ حملا لهم كما يحملون العرش و "مَنْ حَوْلُهُ" من حملة العرش ﴿يَسْبَحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ فهم حملة العرش الربانى و من حوله على هامشهم، و حملة العرش هم المرسلون و الملائكة على درجاتهم، ثم و "مَنْ حَوْلُهُ" كذلكهم، هم "يَسْبَحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ" و يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴿وَ يَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ ككل، قائلين فى استغفارهم ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَ عِلْمًا﴾ تعلم الحاجات فترحم أصحابها ﴿فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا﴾ إليك ﴿وَ اتَّبِعُوا سَبِيلَكَ﴾ هنا ﴿وَ قِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ كما اتقوا هناك.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤٦٨

٨ / ٤٠

٨- ﴿رَبَّنَا وَ ادْخُلْهُمْ﴾ هؤلاء المؤمنين الأصول ﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ﴾ بقاء و هى فى الأخرى ﴿الَّتِي وَعَدْتُهُمْ وَ﴾ وعدت ﴿مَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَ أَزْوَاجِهِمْ وَ ذُرِّيَّتِهِمْ﴾ و هم فروعهم فى الإيمان، لمكان الفصل بينهما ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ﴾ بكل عزة ﴿الْحَكِيمُ﴾ بكل حكمة، و توافقها فى شطريها: "و الَّذِينَ آمَنُوا وَ اتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَ مَا أَلْتَنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهين" (٥٢: ٢١) و "ذُرِّيَّتِهِمْ" هنا تشمل "آبَائِهِمْ وَ أَزْوَاجِهِمْ وَ ذُرِّيَّتَهُمْ" هناك، إذ تعنى ذرية الإيمان، أقرباء و أنسباء و سواهم، كما أن "أَزْوَاجِهِمْ" تعم كل زوج و زوجة، لمكان موضوعية الإيمان: "لِلَّذِينَ آمَنُوا".

٩ / ٤٠

٩- ﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ﴾ هنا و بعد الموت ﴿وَمَنْ تَقِ﴾ إياه ﴿السَّيِّئَاتِ﴾ و لا سيما ﴿يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ﴾ إذ ليس هناك تكليف و عمل ﴿وَذَلِكَ﴾ العظيم من وقايتك إياهم ﴿هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

١٠ / ٤٠

١٠- ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ " وَ مَا تَوْا وَ هُمْ كُفَّارٌ " (١٦١: ٢) ﴿يَنَادُونَ﴾ هناك ﴿لَمَقْتُ اللَّهِ﴾ إياكم فيه، هو ﴿أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ حين يبرز مقتته إياكم، و أنتم ماقتون أنفسكم متجاهلين، فأين مقت من مقت ﴿إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ﴾ بكل براهيته ﴿فَتَكْفُرُونَ﴾ معاندين فليس مقت الله الأكبر، عذابا أكثر من مقتهم، بل هو أكبر بظهور مقتهم هنا، حقه هناك.

١١ / ٤٠

١١- ﴿قَالُوا﴾ في الحياة الأخرى ﴿رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ﴾ عن الحياة الدنيا ثم عن الحياة البرزخية إلى الأخرى ﴿وَ أَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾ للحياة الدنيا ثم للحياة الأخرى، مما يدل على حياة برزخية، فالإماتة عنها، تحصل بنفخ ثان في الصور: " وَ نَفْخَ فِي الصُّورِ فَصَقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ " (٦٨: ٣٩) فصقة البرزخ هي أموت من الموت عن الدنيا و أقوى ﴿فَاعْتَرَفْنَا﴾ بعد الموت عن الأولى، و لا سيما في الأخرى ﴿بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ﴾ منها إلى موت فوت، أم إلى حياة التكليف ﴿مِنْ سَبِيلٍ﴾: رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوْ لَمْ نُعْمَرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَ جَاءَكُمْ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ (٣٧: ٣٥) ..

١٢ / ٤٠

١٢- ﴿ذَلِكُمْ﴾ العظيم من مقت الله ﴿بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ﴾ لكم ببراهينه ﴿كَفَرْتُمْ﴾ به ﴿وَ إِنْ يَشْرِكْ بِهِ تُؤْمِنُوا﴾ دون أى برهان ﴿فَالْحُكْمُ﴾ هناك بكامله ﴿لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ دون شريك، فإنه - إذا - دنى صغير.

١٣ / ٤٠

١٣- ﴿هُوَ الَّذِي يَرْيَكُمُ﴾ طول خط حياة التكليف ﴿آيَاتِهِ﴾ " فِي الْأَفَاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ " ﴿وَ يَنْزِلُ لَكُمْ﴾ لصالحكم ﴿مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾ كالماء، فأصله الأول من السماء، ثم متواتر هو من حصائل الأبخرة الأرضية ﴿وَ مَا يَتَذَكَّرُ﴾ بهذه الذكريات ﴿إِلَّا مَنْ يَنْيِبُ﴾ إلى الله، فيذكره بآياته المفصلات.

١٤ / ٤٠

١٤- إِذَا ﴿فَادْعُوا اللَّهَ﴾ لا سواه، حال كونكم ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾: الطاعة كلها ﴿وَ لَوْ كَرِهَ﴾ دعوته الوحيدة ﴿الْكَافِرُونَ﴾ به، إلحادا فيه أو إشراكا به.

١٥ / ٤٠

١٥- ﴿رَفِيعُ﴾ في كافة ﴿الدَّرَجَاتِ﴾ ربوبية أن يرفع كلاً درجة كما يصلح، ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾ الربانى ﴿يَلْقَى الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ﴾ العصمة و الوحي ﴿عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ هم ﴿مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ بينه و بين ربه ربوبيته يوم الجزاء.

١٦ / ٤٠

١٦- ﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ﴾ بكل أحوالهم و أعمالهم ﴿لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾ مسئول عنه، مهما خفى هنا عنهم علمه بهم ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ﴾ كله ﴿الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ و قد كان لهم ملك مخول ابتلاء يوم التكليف، فهو زائل " يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ ".

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤٦٩

١٧ / ٤٠

١٧- ﴿الْيَوْمَ تُجْزَىٰ﴾ عدلا أو فضلا ﴿كُلُّ نَفْسٍ﴾ مكلفة، نفس ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾ إذ يظهر بحقيقته، فالعمل هناك هو بنفسه الجزاء ﴿لَا ظَلَمَ الْيَوْمَ﴾ بل عدلا عقابا، و فضل ثوابا، فلا خلط و لا غلط، ف ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ " لا يخفى عليه شئٌ " و لا يعبى من شئ.

١٨ / ٤٠

١٨- ﴿وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْأَرْفَةِ﴾ القرية: "أَزَفَتِ الْأَرْفَةُ. لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةُ" (٥٧: ٥٣) ﴿إِذْ﴾ لَأَنَّ ﴿الْقُلُوبُ﴾ حينئذ ﴿لَدَى الْحَنَاجِرِ﴾ حيث الأنفاس خائفة، أرفة الموت، حالكونهم ﴿كَاطِمِينَ﴾ غيظهم من هول الموقف ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ﴾ إذا ﴿مِنْ حَمِيمٍ﴾ يحمهم لى يهتم بهم ﴿وَلَا شَفِيعَ يَطَاعُ﴾ مهما كان لهم شفيع لا يطاع.

١٩ / ٤٠

١٩- ﴿يَعْلَمُ﴾ الله ﴿خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ﴾ بصرا و بصيرة، بل "وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ" (١٣: ٥) بل الله "يَعْلَمُ السِّرَّ وَ أَخْفَى" (٧: ٢٠) ﴿وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ مع الأعين الخائنة.

٢٠ / ٤٠

٢٠- ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ﴾ كله، خلقا، و هو الحق كله خالقا ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ و الخلق كلهم دونه ﴿لَا يَقْضُونَ﴾ هم و من يدعونه ﴿بِشَيْءٍ﴾ من الحق، فضلا عن كله ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ﴾ لا سواه ﴿السَّمِيعُ﴾ كل مسموع ﴿الْبَصِيرُ﴾ كل مبصر.

٢١ / ٤٠

٢١- ألم يسيروا فى أنفسهم آيات أنفسية ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ تاريخيا و جغرافيا ﴿فَيَنْظُرُوا﴾ بسيرهم ﴿كَيْفَ كَانَ﴾ حياة ﴿عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من كفره التاريخ ﴿كَانُوا هُمْ﴾ أولئك ﴿أَشَدَّ مِنْهُمْ﴾ أولاء ﴿قُوَّةً وَ أَثَاراً فِي الْأَرْضِ﴾: "كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَ أَكْثَرَ أَمْوَالاً وَ أَوْلَاداً" (٩: ٦٩) "وَ عَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا" (٩: ٣٠) ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾ هنا ثم هناك ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَفِيعٍ﴾ واقٍ ﴿عَنْ أَخْذِهِ وَ وَخْزِهِ﴾.

٢٢ / ٤٠

٢٢- ﴿ذَلِكَ﴾ الأخذ الوخز ﴿بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ﴾ من أنفسهم ﴿بِ﴾ كل ﴿الْبَيِّنَاتِ﴾ الظاهرات من آيات ﴿فَكَفَرُوا﴾ بها كفرا بالله ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ﴾ بذنوبهم ﴿إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ كشدة الكفر، "وَلَا يَظْلَمُونَ فَتِيلًا".

٢٣ / ٤٠

٢٣- ﴿وَ﴾ كنموذج من الرسل و المرسل إليهم ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ بجمعية الرحمت الرحيمية ﴿مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا﴾ كلها بصرية، كما تناسب رسالته ﴿وَسُلْطَانٍ﴾ يسيطر، غالبا دون أن يغلب ﴿مُبِينٍ﴾ حق الرسالة، و هو ثعبان عصاه، و معه نجاته و غرقهم فى البيم.

٢٤ / ٤٠

٢٤- ﴿إِلَى﴾ ثالث سالوس: ﴿فِرْعَوْنَ﴾ بسلطته الجبارة ﴿وَهَامَانَ﴾ بوزارته الغدارة ﴿وَقَارُونَ﴾ بكنزه العظيم الغوارة، و هى اصول الضلالة فى السلطة الفرعونية، مما يدل على أن الرسالة الموسوية لم يختص ببنى إسرائيل، بل هم رأس الزاوية الإيجابية، و أولئك السلبية، و قضية ولاية العزم فى الرسالة هى أممية الدعوة دون اختصاص، إلا كمحور بدائى كما هنا، فمع هذا الثالث كافة المشركين، كما مع بنى إسرائيل كافة الموحدين ﴿فَقَالُوا﴾ ثالث الفرعنة الهامانية القارونية، هذا ﴿سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ قوله غائلة دون أية حجة إلا فى لجة.

٢٥ / ٤٠

٢٥- ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ﴾ كَلَّه، كما تناسب الشريعة الموسوية ﴿مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا﴾ هؤلاء الفراعنة ﴿أَقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالله ﴿مَعَهُ﴾ قبطا كالسحرة، و إسرائيليين و سواهم، و كما كانوا يقتلون و يستحيون قبل ذلك: ﴿وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ﴾ إبقاء، من الحياة، خادمت، و إزالة للحياة من الحياء ﴿وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ﴾ ككل ﴿إِلَّا فِي ضَلَالٍ غَارِقِينَ﴾.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤٧٠

٢٦ / ٤٠

٢٦- ﴿وَ قَالَ فِرْعَوْنُ﴾ لمن حوله حيث لا يخلونه يقتل موسى ﴿ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى﴾ و: ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَ أَخَاهُ وَ ابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ (٣٦: ٣٦) عله لكي تقتل دعواه قبل قتله، أو تقبل إن كان محققا، كما و آمن به السحرة ﴿وَ لِيُدْعَ رَبَّهُ﴾ منعا لقتله ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾ تبديلا لطاعتي ﴿أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفُسَادَ﴾ تردد- لأقل تقدير- في ديني، أو اختلافا ممن يرفضه و من يرفضه.

٢٧ / ٤٠

٢٧- ﴿وَ قَالَ مُوسَى﴾ لهم ﴿إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَ رَبِّكُمْ﴾ و هو الله الواحد القهار ﴿مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ و لذلك يواجه الحق بغير حساب.

٢٨ / ٤٠

٢٨- ﴿وَ قَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ﴾ له رجولة الإيمان ﴿مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ في حكمه، حالكونه ﴿يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾ " مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ " أو هو " مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ " و " يَكْتُمُ إِيمَانَهُ " منهم ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا﴾ لـ ﴿أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ وحده، دون ألهمتكم ﴿وَ﴾ الحال أنه ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بِالْآيَاتِ﴾ البينات مِنْ رَبِّكُمْ و إن يك ﴿على فرض﴾ ﴿كَاذِبًا فَعَلَيْهِ﴾ لا عليكم ﴿كَذِبُهُ﴾ إذ لا يضركم كذبه ﴿وَ إِنْ يَكُ صَادِقًا﴾ كما هو ﴿بِصِبْكُمْ﴾ لأقل تقدير ﴿بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ﴾ حجة قاصمة حالكونها قاسمة ف ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾ في كفره ﴿كَذَّابٌ﴾ في قوله، إذ " وَ لَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ. لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ. ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ " (٦٩: ٤٦) فالمسرف الكذاب في هذا البين لا يهتدى في حياته أبدا.

٢٩ / ٤٠

٢٩- ﴿يَا قَوْمِ﴾ ي الفرعونيين ﴿لَكُمْ الْمُلْكُ﴾ ظاهريا ﴿الْيَوْمَ﴾ حالكونهم ﴿ظَاهِرِينَ﴾ غالبين ﴿فِي﴾ هذه ﴿الْأَرْضِ﴾ و لكن ﴿فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا﴾ هنا و بعد الموت ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ﴾ على نخوته الحمقاء ﴿مَا أُرِيكُمْ﴾ يا شعبي ﴿إِلَّا مَا أَرَى﴾ إياه ﴿وَ مَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ في حياته و حيوياته، استبدادا في رأيه و هداة، دون أى برهان إلا الملك الظاهر اليوم، و هل يواجه البرهان بقوة السلطان.

٣٠ / ٤٠

٣٠- ﴿وَ قَالَ الَّذِي آمَنَ﴾ أمام الطاغية و من حوله ﴿يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ﴾ مهما كان احتمالا " إِنْ يَكُ صَادِقًا ".

٣١ / ٤٠

٣١- ﴿مِثْلَ ذَابٍ﴾ عادة التكذيب فالتعذيب به ﴿قَوْمِ نُوحٍ وَ عَادٍ وَ ثَمُودَ وَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ من الأحزاب الكافرة، المتحزبة ضد الإيمان طول تاريخ الرسالات ﴿وَ مَا اللَّهُ يُرِيدُ﴾ أبدا ﴿ظُلْمًا لِلْعِبَادِ﴾ إلا أن يظلموهم أنفسهم فجزاء وفاق.

٣٢ / ٤٠

٣٢- ﴿وَاِذَا قَامَ يُدْعَىٰ﴾ عذاب ﴿يَوْمَ التَّنَادِ﴾ ى، بينهم و بين أهل الجنة" و نادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما على الكافرين" (٥٠: ٧) و بينهم و بين الله "أولئك ينادون من مكان بعيد" (٤١: ٤٤) و يوم يناديهم أين شركائى قالوا أدناك ما منا من شهيد" (٤١: ٤٧). .. فيقول ما ذا أجبت المرسلين" (٢٨: ٦٥).
٣٣ / ٤٠

٣٣- ﴿يَوْمَ تُولَوْنَ﴾ فرارا فى دار القرار، حال كونكم ﴿مُدْبِرِينَ﴾ عن حياة التكليف، و عن العذاب بعدها، و لكن ﴿ما لكم من الله من عاصم﴾ عن عذاب الله ﴿وَمَنْ يَضِلَّ﴾ ه ﴿الله﴾ بما ضل، فى الدنيا، و جزائه يوم الأخرى ﴿فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ بعد الله. و هكذا نرى أن القرآن كله حججات أمام لجاجات، فالناكرون - إذا- هم فى لجة أمام حجة، و المؤمنون فى محجة بالحجة" و لا ينبئك مثل خبير".

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤٧١

٣٤ / ٤٠

٣٤- ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ﴾ الصديق ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ أن أجيئكم ﴿بِ﴾ الآيات ﴿البيّنات﴾ مما يدل على قبلية قريبة إليهم ﴿فَمَا زِلْتُمْ﴾ غارقين ﴿فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُمْ بِهِ﴾ من رسالات الله ﴿حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ﴾ ارتحالا إلى الله ﴿قُلْتُمْ﴾ بعد ﴿لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا﴾ استبعادا لرسالة دون سلطة زمنية إذ كانت ليوسف ﴿كَذَلِكَ﴾ البعيد ﴿يَضِلُّ اللَّهُ﴾ عن صراطه بما ضل ﴿مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾ فى تشككه و تكذيبه ﴿مُرْتَابٌ﴾ فى آيات الله، إسنادا لشكهم إلى دليل و هو عليل.

٣٥ / ٤٠

٣٥- و هم ﴿الَّذِينَ يَجَادِلُونَ﴾ عمين متعدين ﴿فِي آيَاتِ اللَّهِ﴾ ككل ﴿بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ﴾ من فطهرهم و عقولهم و ما أشبه ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ﴾ إلها ﴿وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إيماننا بالله ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ﴾ دون إبقاء لنافذة إلى نور، على كل ﴿مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ وجاه القلوب المتفئدة بالنور، و العوان بينهما.

٣٦ / ٤٠

٣٦- ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ﴾ لوزيره ﴿يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صِرْحًا﴾ عرشا عاليا كأعلى ما يمكن ﴿لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ غير الحاضرة عندي هنا.

٣٧ / ٤٠

٣٧- بل هى ﴿أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ﴾ قوات و مركبات سماوية توصلنا إلى ما نبغى ﴿فَأَطَّلَعَ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ﴾ و كأنه ساكن السماء: "أم لهم ملك السماوات و الأرض و ما بينهما فليرثنها فى الأسباب" (٣٨: ١٠) ﴿وَأِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا﴾ فى دعوى التوحيد، فإن لى الربوبية الأرضية، ثم لا أعرف للسماء ربا ﴿وَكَذَلِكَ﴾ البعيد ﴿زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءِ﴾ علمه ﴿وَعَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ﴾ إلى الله ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ و هنا "زَيْن" مجهول الفاعل تلمح إلى فاعل شيطاني: "فَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ" (١٦: ٣) و آخر ربانى: و "كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ" (٦: ١٠٨) و أين تزيين من تزيين، فهناك شيطنة و هنا جزاء.

٣٨ / ٤٠

٣٨- ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ﴾ " مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ" ﴿يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ﴾ أنا الناصح فيكم، ف ﴿أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ بكافة براهيته.

٣٩ / ٤٠

٣٩- ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا لَيْسَ إِلَّا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ دنوا و دناءة ﴿مَتَاعٌ﴾ المتعة الفانية، و التجارة الباقية ﴿وَإِنَّ الدَّارَ﴾ الدار ﴿الْآخِرَةَ﴾ هي ﴿فَقَطْ﴾ فقط ﴿دَارُ الْقَرَارِ﴾ فهنا دار الفرار و أين دار الفرار من دار القرار، لا سيما إلى جهنم و بسئ القرار.
٤٠ / ٤٠

٤٠- ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً﴾ قلبا و قالبا ﴿فَلَا يَجْزِي﴾ هناك ﴿إِلَّا مِثْلَهَا﴾ تأثيرا، مهما اختلفا زمانا و مكانا، فهل يماثل العذاب غير المحدود السيئات المحدودة كما تقولوا في لا محدودية النار، فقد يجازى عامل السيئة بحساب عادل ﴿وَ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا﴾ للإيمان ﴿مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى﴾ مما يدل على اختصاص الناس بهما دون خنثى ﴿وَ﴾ الحال ﴿هُوَ مُؤْمِنٌ﴾ بالله ﴿فَأُولَئِكَ﴾ الأكارم ﴿يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾ حال أنهم ﴿يَرْزُقُونَ فِيهَا بَغَيْرِ حِسَابٍ﴾ "عطاءً غيرَ مجذوذٍ" مهما كان طالحه محدودا، قضية فضل الله للصالح إذ ليست له نهاية.

فلا يعني "بغير حساب" أنهم يرزقون فيها على سواء مهما اختلفت الدرجات، بل "بغير حساب" لصالحهم المحدود، أن يجزوا كذلك محدودا، بل "لدينا مزيد" دون انقطاع له زمانا، و لا لحد محسوب له على أية حال: و "مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَ لَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ" (٩٦: ٩٧).
البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤٧٢

٤١ / ٤٠

٤١- ﴿وَا يَاقَوْمِ مَا لِي﴾ من ضلال كما و ما بالي أن ﴿أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَ تَدْعُونَنِي﴾ أتتم ﴿إِلَى النَّارِ﴾ فلا تكتفون بعدم قبول النجاة، بل و تدعون الناجى إلى النار، و ليس في مطمع في دعوتكم النارية و لا مطمح.
٤٢ / ٤٠

٤٢- ﴿تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ﴾ في الألوهية الوحيدة و براهين توحيده باهرة ﴿وَ أَشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾ مجارة معهم في عدم علم بشريك و هو يعلم ألا شريك لله ﴿وَ﴾ الحال أنى ﴿أَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ﴾ و ليسا إلا الله الواحد القهار، دعوة حانية أمام دعوة جانبية، رغم كافة القوات الظاهرة للثانية، و من ثم:
٤٣ / ٤٠

٤٣- ﴿لَا جَرَمَ﴾: لا بد حقا دون ريب ﴿أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ من طواغيت و أصنام، إضافة إلى عدم العلم بمشاركتهم في الألوهية، نعلم عدمها، إذ ﴿لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا﴾ بل "لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ" (١٣: ١٤) فلا دعوة حقة للمعبودين من دون الله هنا ف" إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَ لَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ" (٣٥: ١٤) و إنما لهم دعوات و دعايات باطلة، ثم و لا بد للإله من دعوة بنفسه أو بوسيط رسول، و ليست لهم هذه و لا تلك، ألهة خاوية عن أية دعوة حقة في الدنيا ﴿وَ لَا فِي الْآخِرَةِ﴾ فمن لا دعوة له هنا فكيف تكون له دعوة هناك ﴿وَ أَنْ مَرَدَّنَا﴾ مرجعنا ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ لا سواه ﴿وَ أَنْ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾.
٤٤ / ٤٠

٤٤- ﴿فَسْتَذْكُرُونَ﴾ حق ﴿مَا أَقُولُ لَكُمْ﴾ كما ذكره السحرة بعد ثعبان العصا، و ذكره الفرعونيون عند غرقهم في اليم، ثم في البرزخ، و من ثم يوم القيامة ﴿وَ أَقْوَضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ﴾ في دعوتي إلى الله، ف ﴿إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ و هذه آية وحيدة في تفويض الأمر إلى الله، في حالة محرجة عسيرة أمام الطاغية، بعد كمال الجد في الدعوة إلى الله، فلم يبق إلا ما لا حول له و لا قوة به، و هنا التفويض - بعد التفويض - إلى الله، دون الأمور المستطاعة، أن تترك تفويضا إلى الله، بل أمر بين أمرين، دون جبر و لا تفويض، أن يعمل المكلف عمله المرضي عند الله، متوكلا في نجاحه على الله، و لا قوة إلا بالله.
٤٥ / ٤٠

٤٥- ﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا﴾ مهما قتل دون دعوته أم لم يقتل، فإنها- فقط- الوقاية الرسالية عما مكروا، ثم أخيرا ﴿وَ حَاقَ﴾ أحاط ﴿بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ بحسن عدله سبحانه، حين "فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا" (١٧: ١٠٣) و "سُوءُ الْعَذَابِ" هنا هو:

٤٦- ﴿النَّارُ﴾ البرزخية في اليم نفسه ﴿يَعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ عذابا برزخيا، دون إحاطة شاملة كما في القيامة، و مما يدل عليه ﴿عُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ و ليس في الآخرة غدو و عشي، و لا راحة لأهل النار بينهما، ثم برهان ثان ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾ يقال لخزنة جهنم ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ﴾ فرعون و أتباعه ﴿أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ إذ كان أوله غرقهم و الثاني حرقهم في نار البرزخ. ٤٧ / ٤٠

٤٧- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ يَتَحَاوُونَ﴾ آل فرعون و أضرابهم ﴿فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ﴾ منهم، المضللون ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ عليهم المضللين ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ دون استقلال أمام استغلالكم إيانا ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا﴾ هنا ﴿نَصِيْبًا مِنَ النَّارِ﴾ كما أغنيانا عنكم في حياة الاستكبار في الدنيا. ٤٨ / ٤٠

٤٨- ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ كلاً فكل نصيبه منها ﴿إِنَّا كُلٌّ فِيهَا﴾ كما نستحق دون إغناء ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَّمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾ بعدله علينا و بفضل له لأهليه. ٤٩ / ٤٠

٤٩- ﴿وَ قَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ﴾ مستكبرين، و ضعفاء مقصرين ﴿لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ﴾ التسعة عشر ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ﴾ إذ تستجابون دوننا ﴿يَخَفُّ عَنَّا يَوْمًا﴾ أيا كان هناك ﴿مِنَ الْعَذَابِ﴾ لأقل تقدير. البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤٧٣

٥٠ / ٤٠

٥٠- ﴿قَالُوا﴾ ألم تأتكم رسل أنفسيه ﴿أَوْ لَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ﴾ أصحاب الوحي ﴿بِ﴾ الآيات ﴿الْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا﴾ هنا نجاة من النار و ادعوا شركاءكم ﴿وَ مَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا﴾ غارقا ﴿فِي ضَلَالٍ﴾. ٥١ / ٤٠

٥١- ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ﴾ بجمعية الرحمات ﴿رُسُلَنَا﴾ كأصول ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ معهم كفروع ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ لا سيما يوم الرجعة ﴿وَ يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ برزخا و أخرى، فقد بشر أهل الحق بنصرة حتمية جمعية هنا، كما أنذر أهل الباطل بكسرة جمعية: "وَ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوْدَنَّ فِي مِلَّتِنَا ... لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ وَ لَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَ خَافَ وَعِيدٍ" (١٤: ١٤) فهذه و ما أشبه من آيات تؤكد تلکم البشارة و النذارة "وَ الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ" دون الطاغين. ٥٢ / ٤٠

٥٢- ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ﴾ بحق الحق ﴿مَعَذِرَتُهُمْ﴾ غير العاذرة ﴿وَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ﴾ الموعودة هناك ﴿وَ لَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ بما أساءوا جزاء وفاقا. ٥٣ / ٤٠

٥٣- ﴿وَ لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى﴾ الرسولية كما تحق له في رسالته المحدودة ﴿وَ أَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ جيلا بعد جيل ﴿الْكِتَابَ﴾ التوراة و ملحقاتها، فمهما كانت الشرعة التوراتية عالمية، إلا أن كتابها اختصت ببیت إسرائيل كرأس الزاوية. ٥٤ / ٤٠

٥٤- ﴿هُدًى﴾ للمهتدين ﴿وَذِكْرَى﴾ "لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ" ﴿لِأُولَى الْأَلْبَابِ﴾ الذين زالت أقشار عقولهم.

٥٥ / ٤٠

٥٥- ﴿فَاصْبِرْ﴾ يا صاحب الرسالة الأخيرة "كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ" (٣٥: ٤٦) ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ هنا و بعد الموت^{٢٢} ﴿وَسَيَحِبِّحْمَدِ رَبِّكَ﴾ دائماً ﴿بِالْعَشِيِّ﴾ عصرا و ليلا، أو الطرف الثانى من النهار إضافة إلى الظهر ﴿وَالْإِبْكَارِ﴾ صباحا، أو إضافة إلى الظهر، مما يشمل الفرائض الخمس فى أوقاتها، أو المقصود منهما ليل نهار، تواصلًا فى تسيحه بالحمد.

٥٦ / ٤٠

٥٦- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَجَادِلُونَ﴾ الحق و أهليه ﴿فِي آيَاتِ اللَّهِ﴾ أفاقية و أنفسية ﴿بِغَيْرِ سُلْطَانٍ﴾ ربانى ﴿أَتَاهُمْ﴾ من الله، بل دون حجة إلا فى لجة ﴿إِنَّ فِي صُدُورِهِمْ﴾ حق ﴿إِلَّا كِبْرُ﴾ و هم صغار عند الله ﴿مَا هُمْ﴾ أبدا ﴿بِبَالِغِهِ﴾ مهما حاولوا، فإنه هو الكبير المتعال دون من سواه، فقد "يَجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ" (١٨: ٥٦) ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ من كبرهم الباطل ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ كل مسموع ﴿الْبَصِيرُ﴾ كل مبصر فلا يستعاذ إلا به لقيوميته المطلقة بصرا و قدرة و رحمة.

٥٧ / ٤٠

٥٧- و أى كبر لهم أولاء، و لو كانوا كبراء، ف ﴿لَخَلَقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ و ما بينهما، و ما فيهما ﴿أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ و هى لا تستكبر أمام الله و "إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا. لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا" (١٩: ٩٤) ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

٥٨ / ٤٠

٥٨- ﴿وَمَا يَسْتَوِ الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ ظاهريا، فضلا عن البصيرة الباطنية و العمى عنها ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ مع بعض البعض، إذ هم درجات، فضلا عن مساوات بينهم ككل، و المسيئين ﴿وَالَّذِينَ لَا يَرْجُونَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ يستوى ﴿الْمُسِيءُ﴾ لأن المسيئين درجات، فضلا عن مساوات بينهم و بين المحسنين ﴿قَلِيلًا مَّا﴾ الذى ﴿تَتَذَكَّرُونَ﴾ ه، و "قَلِيلًا" تذكركم، قلة فى قلة، تذكرنا و متذكرا فيه.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤٧٤

٥٩ / ٤٠

٥٩- ﴿إِنَّ السَّاعَةَ﴾ برزخا و أخرى ﴿لَأَتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ حقا دون ريب ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أنها آتية "فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ" (٥: ٨٥) "إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى" (٢٠: ١٥).

٦٠ / ٤٠

٦٠- ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ﴾ حيث رباكم، فاعلم ما لكم و ما عليكم ﴿ادْعُونِي﴾ أنا، لا سواى، دعوة حقيقية و دعاء ﴿أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ دعواكم، إن كانت صالحة، أو غيرها إلى صالحكم، إما هنا أو فى الأخرى، فدعاه تعالى عبادة حقها، و ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ و بقمّتها دعائى، لأنها انقطاع إلى الله بتمامه ﴿سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ فيها: "قُلْ مَا يَعْبُودُ بِكُمْ رَبِّي لَوْ لَا دُعَاؤُكُمْ

^{٢٢} . وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ طَلِبًا لِلْغَفْرِ عَمَّا يَسْتَوْخِمُ عِقَابَهُ نَتِجَةُ الرِّسَالَةِ كَمَا فَسَّرْنَاهُ فِي "لِيُغْفَرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَ مَا تَأَخَّرَ" (٤٨: ٢)

فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا (٢٥: ٧٧) و لا تختص " ادْعُونِي " بالاستدعاء، بل و دعاء العبودية الوحيدة دون إشراك بالله، و هي الأصل و تلك فرع لها.

٦١ / ٤٠

٦١- و ربكم هو ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ عن حركات التعب و نهضات النصب ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ لهما ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ في مواضعه ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ الله، فهم بين كافر أو كفور.

٦٢ / ٤٠

٦٢- ﴿ذَلِكُمْ﴾ العظيم هو ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ بكل رحماته ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ و منها الأرواح كما الأجساد، لا شريك له في خلقه، إذ ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآَنَى تُؤَفَّكُونَ﴾ كذبا في صرفكم إلى غيره و انصرفكم عنه و هو معروف بآياته.

٦٣ / ٤٠

٦٣- ﴿كَذَلِكَ﴾ البعيد ضلالة ﴿يُؤَفَّكُ﴾ هكذا ﴿الَّذِينَ كَانُوا﴾ على طول خط التكليف ﴿بآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ و هم بآيات الشيطان يؤمنون: " أَلَيْسَ الْبَاطِلُ يُؤْمِنُونَ وَ بِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ " (١٦: ٧٢).

٦٤ / ٤٠

٦٤- و ربكم هو ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾ من القر: البرد، بعد ما كانت شموسا، فقرت على قرها لمعايشكم " أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَ جَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا " (٢٧: ٦١) ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَاءً﴾ " سَقْفًا مَحْفُوظًا " (٣١: ٣٢) ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ " هُوَ الَّذِي يَصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ " (٣: ٦) بـصور جسمية و نفسية ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ فليست الخبائث رزقا لكم، فهي محرمة ﴿ذَلِكُمْ﴾ العظيم، هو ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ دون أرباب مختلفة أخرى ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ﴾ بكافة البركات الربانية ﴿رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ دونما استثناء " أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَ الْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ " (٧: ٥٤).

٦٥ / ٤٠

٦٥- ﴿هُوَ الْحَيُّ﴾ فقط، بحقيقة الحياة لا ﴿إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ في ذاته و صفاته كحياته ﴿فَادْعُوهُ﴾ دعوة و دعاء، لا سواه، حالكونكم ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ الطاعة عبودية و دعوة ﴿الْحَمْدُ﴾ كله ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فلا حمد إلا للرب، و هو رب العالمين.

٦٦ / ٤٠

٦٦- ﴿قُلْ﴾ لهؤلاء المشركين ﴿إِنِّي﴾ و من معي ﴿نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ مهما كانت مجاملة أو مسaire أو جذبا إلى التوحيد ﴿لَمَّا جَاءَنِيَ﴾ الآيات ﴿الْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّي﴾ و هو منذ البداية، مهما كانت منذ الرسالة أقوى، و ذلك هو قضية السلب " لا إله " ثم ﴿وَأُمِرْتُ﴾ إيجابا " إلا الله " ﴿أَنْ أَسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ بقمة الإسلام له " و أُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ " (٣٩: ١٢) أولية في الدرجة، لا في الزمن، فإن قبلى مسلمين كثيرا.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤٧٥

٦٧ / ٤٠

٦٧- ﴿هُوَ﴾ الله ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ بداية كآدم " أَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا " (٧: ٦١) فخلقه - إذا - بـقفرة طينية، و كذلك في أنساله ﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾: " وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ. ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ. ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ " (٢٣: ١٤) ﴿ثُمَّ يَخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ أطفالا ﴿ثُمَّ لِيَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ﴾ شد الجسم و الروح و رشدہ ﴿ثُمَّ لِيَكُونُوا شُيُوخًا﴾ كغاية ضابطية في أعماركم ﴿وَمِنْكُمْ﴾ بعضا بأجال معلقة أو محتومة ﴿مَنْ يَتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ﴾ الشيخوخة ﴿وَلِيَبْلُغُوا أَجَلًا﴾ وقتا ﴿مُسَمًّى﴾ مهما

كان معلقا أو محتوما ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ الحقائق الربانية فى أعماركم المؤجلة: "أَوْ لَمْ نَعْمَرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمْ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ" (٣٥: ٣٧) فإذا لا مجال للعقل لقلة الفرصة، فلا عقوبة.

٦٨ / ٤٠

٦٨- ﴿هُوَ﴾ الله ﴿الَّذِى يَحْيِى﴾ الأموات ﴿وَيَمِيتُ﴾ الأحياء، لا سواه ﴿فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا﴾ منهما و سواهما ﴿فَإِنَّمَا﴾ ليس إلا أن ﴿يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ دون قول لفظى بخطاب، بل قوله فعله، و ليست "يقول" إلا إشارة إلى نفاذ أمره.

٦٩ / ٤٠

٦٩- ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ بصرا و بصيرة ﴿إِلَى الَّذِينَ يَجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ﴾ "بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ" نكرانا لكونها آيات الله و هى بينات ﴿أَنى يَصْرِفُونَ﴾ صرفا عنها إلى غير الله "فَبأى حَديثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَ آيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ" (٤٥: ٦).

٧٠ / ٤٠

٧٠- ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ﴾ الربانى ككل ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا﴾ من آيات رسولية و رسالية، و معارف و أحكام ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ بعد الموت: "كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ. ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ. كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ. لَتَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ" (١٠٢: ٦).

٧١ / ٤٠

٧١- ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ﴾ النارية ﴿فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾ كذلك ﴿السَّلاسلُ﴾ يسحبون بها، كما كانوا فى الدنيا فى أغلال و سلاسل شيطانية، فهنا جزاء وفاق.

٧٢ / ٤٠

٧٢- ﴿فِي الْجَحِيمِ﴾ حرا ﴿ثُمَّ﴾ أحر منه ﴿فِي النَّارِ﴾ يسجرون ﴿اضطراما فى النار﴾ جهنم يصلونها و يسس القرار (١٤: ٢٩).

٧٣ / ٤٠

٧٣- ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ﴾ بقاتل ربانى ﴿أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ بالله "بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَ ذَلِكَ إِفْكُهُمْ" (٤٦: ٢٨).

٧٤ / ٤٠

٧٤- ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا﴾ هنا ﴿عَنَّا﴾ كونا و كيانا ﴿بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ﴾ هذا ﴿شَيْئًا﴾ من دون الله ﴿كَذَلِكَ﴾ الهرج و المرج ﴿يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾ ضلالا بضلالهم عن آلهتهم، و آخر بتكذيب أنفسهم فى دعوتهم، و نكران دعوتهم إياهم.

٧٥ / ٤٠

٧٥- ﴿ذَلِكَ﴾ الضلال ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ﴾ فى الأرض بغير الحق ﴿ازديادا و توسعا فى الفرح﴾ ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ بشديد الفرح اختيالا و تبخيرا.

٧٦ / ٤٠

٧٦- ف ﴿ادْخُلُوا أَبْوابَ جَهَنَّمَ﴾ السبع، حالكونكم ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ قدر خلودكم فى كفركم ﴿فَبِئْسَ مَثْوًى﴾ مكان ﴿الْمُتَكَبِّرِينَ﴾.

٧٧ / ٤٠

٧٧- ﴿فَاصْبِرْ﴾ على أذاهم و لظاهم و ضلالهم، ف ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ هذا ﴿حَقٌّ فَإِمَّا نُرَبِّكَ بَعْضَ الَّذِى نَعِدُهُمْ﴾ هنا ﴿أَوْ تَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ على أية حال ﴿إِلَيْنَا يَرْجِعُونَ﴾.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤٧٦

٧٨- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ بتأكيدين بجمعية الصفات الربانية ﴿رُسُلًا﴾ على درجاتهم ﴿مِنْ قَبْلِكَ﴾ ف ﴿مِنْهُمْ﴾ بعضا قليلا فى عدَّتْهم ﴿مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾ عرضا رسوليا و رساليا، بأسمائهم أو سماتهم ﴿وَمِنْهُمْ﴾ و هم أكثرهم ﴿مَنْ لَمْ نَقْصُصْ﴾ هم ﴿عَلَيْكَ﴾ مهما قصصنا الكل بشروط رسالاتهم، و مواجهاتهم ﴿وَمِنْهُمْ﴾ منها أنه ﴿مَا كَانَ لِرَسُولٍ﴾ أبدا ﴿أَنْ يَأْتِيَ﴾ المرسل إليهم ﴿بِآيَةٍ﴾ ربانية فى أجواء رسالاتهم ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ إتيانا إياها بإذن الله، لا وكالة أو نيابة أمأهيه فيها من قبل الله، و من هذه الآيات ما كان يهلكهم ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ بتحقيق آيته ﴿قُضِيَ بِالْحَقِّ﴾ كما هو حق ﴿وَوَسَّيْنَا لِكَافِرِينَ﴾ للحق.

٧٩- و ذلك هو ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ﴾ جمع النعمة و هى هنا الحيوان غير المفترسة، برية و بحرية و جوية ﴿لِتَرْكُوبُوا﴾ بعضا ﴿مِنْهَا وَمِنْهَا﴾ بعضا ﴿تَأْكُلُونَ﴾.

٨٠- ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ﴾ أخرى ﴿وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ﴾ كيفما كانت بعد أكل و ركوب ﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ﴾ و ما أشبه من مركوبات صناعية ﴿تُحْمَلُونَ﴾ حيث الكل من خلق الله، مهما كان فيها صنع لخلق الله.

٨١- ﴿يَرْيَكُمُ آيَاتِهِ﴾ " فى الأفاق و فى أنفسهم " ﴿فَأَيُّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ﴾ فأتوا بها إن كنتم صادقين، فإننا نعيش آيات الله على أية حال، فى كل حل و ترحال.

٨٢- ألم يسيروا فى أنفسهم ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ تاريخيا و جغرافيا ﴿فَيَنْظُرُوا﴾ نظر البصر و البصيرة، أن ﴿كَيْفَ كَانَ﴾ حياة ﴿عَاقِبَةُ﴾ تعقب الحياة الحاضرة، لـ ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من منكرى آياته ﴿كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ﴾ عدَّة ﴿وَأَشَدَّ﴾ منهم عدَّة: ﴿قُوَّةً وَ أَثَارًا فِي﴾ هذه ﴿الْأَرْضِ﴾ " .. وَ عَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ " (٣٠: ٩) ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ بعدتهم و عدتهم.

٨٣- ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمُ﴾ المرسلون إليهم ﴿بِ﴾ الآيات ﴿الْبَيِّنَاتِ﴾ دون خفاء و لا جفاء، فهم بدل أن يفرحوا بهم هؤلاء ﴿فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ﴾ أنفسهم ﴿مِنَ الْعِلْمِ﴾ ماديا، دون علم روحى ربانى ﴿وَوَحَى﴾ أحاط ﴿بِهِمْ﴾ هنا، نفس ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ و هو العذاب الموعود عليهم، بعد ما كانوا موعوظين من ربهم.

٨٤- ﴿فَلَمَّا رَأَوْا﴾ بأم أعينهم ﴿بِأَسْنَا﴾ الحائق بهم، و لمَّا يأخذهم ﴿قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَ كَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾ إيمانا دون إختيار.

٨٥- ﴿فَلَمْ يَكْ﴾ أبدا ﴿يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ﴾ هذا ﴿لَمَّا رَأَوْا بِأَسْنَا﴾ فإنه إيمان غاو خاو عن حقيقة، بل خوفا من بأس الله، أعنى دون اختصاص ﴿سُنَّتِ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ﴾ ككل ﴿وَوَسَّيْنَا لِكَافِرِينَ﴾ بالحق من ذى قبل، و المبطلون إيمانهم إذ كان عند رؤية البأس، فهذه ضابطة ثابتة حيث لا إيمان حقيقيا عند رؤية البأس، اللهم إلا شذر فيه حق من الإيمان عند البأس: " فَلَوْ لَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيْمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ

الدُّنْيَا وَ مَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ " (٩٨ : ١٠). فهناك " قَالُوا أَمَناً " فلم يؤمنوا بقلوبهم، و هنا " أَمَنُوا " بقلوبهم، فكلا القبول و الرد عند رؤية البأس ضابطة، سابقا كقوم يونس، و لاحقا كالذين من بعدهم عند صالح الإيمان فى رؤية البأس.

سورة فصلت

١ / ٤١

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ حم ﴿هي ثانية الحواميم السبع، علّها تخاطب أحمد محمداً، بمناسبة الحرفين كخاطب، و.

٢ / ٤١

٢- ﴿تَنْزِيلُ﴾ تدريجياً لهذا القرآن ﴿مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ بعامة رحماته ﴿الرَّحِيمِ﴾ بخاصتها، إذ يشمل ذلك المنزل كلنا الرحمتين.

٣ / ٤١

٣- و ذلك التنزيل هو ﴿كِتَابُ﴾ كتب على قلب الرسول، و منه إليه كلّ و إلى عامة المكلفين ﴿فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ كلها دون أى إجمال و إبهام، حالكونه ﴿قُرْآنًا﴾ يقرأ ﴿عَرَبِيًّا﴾ واضحا فى مرادات الله ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ أن فى الكون حقا فيتحرّون عنه، فيجدون كله فيه، و من الطريف أن الحواميم السبع كلها تتحدث بعد "حم" عن الكتاب.

٤ / ٤١

٤- حالكون القرآن ﴿بَشِيرًا﴾ برحمات الله ﴿و نَذِيرًا﴾ عن نقماته ﴿فَاعْرِضْ أَكْثَرَهُمْ﴾ عن منشور ولاية الله ﴿فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ كلام الله.

٥ / ٤١

٥- ﴿و قَالُوا﴾ عاذرين أنفسهم ﴿قُلُوبُنَا﴾ غارقة ﴿فِي أَكْثَةٍ﴾ " غلف " ﴿مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَ فِي آذَانِنَا وَقْرٌ﴾ و ثقل، لا نسمع حتى يصل إلى قلوبنا لو لم تكن فى أكثة ﴿و مِن بَيْنِنَا وَ بَيْنَكَ حِجَابٌ﴾ يحجب بيننا و بينك على أية حال، كما " قَالُوا يا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ " (١١: ٩١) و هم فى ذلك الثالث السالوس لا يعذرون، و إن " جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكْثَةً أَنْ يُفْقَهُوهُ وَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرًا * (٦: ٢٥) جزاء على عنادهم، فضلا عن سواهم و لما يجعل عليهم أكثة و وقرا ﴿فَاعْمَلْ إِنَّا عَامِلُونَ﴾ تهديدا و تحديدا برسل الله.

٦ / ٤١

٦- و فى جوابهم ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ فى البشرية إلا أنه ﴿يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ من ربى ما يجبر نقص البشرية ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ إضافة إلى وحى الفطرة و العقلية و سائر الآيات الآفاقية ﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ﴾ بعد اعوجاجكم بعدا عن الوحى ﴿و اسْتَغْفِرُوهُ﴾ عما أخطأتم ﴿و وَيلٌ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ بالله.

٧ / ٤١

٧- ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ فى الله، إذ لا يؤمنون بالله ﴿وَهُمْ﴾ أولاء ﴿بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ لرباط وثيق بين طاعة الله و الإيمان بالله.

٨ / ٤١

٨- ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالله ﴿وَعَمِلُوا﴾ كل ﴿الصَّالِحَاتِ﴾ لإيمانهم بالله ﴿لَهُمْ﴾ أولاء ﴿أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ لا مقطوع عنهم " عطاءً غير مجذوذ " و لا مثقل عليهم منه.

٩ / ٤١

٩- ﴿قُلْ﴾ لهؤلاء الكفار ﴿أَإِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾ الذي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ ﴿زَمَانَيْنِ﴾ تلو بعض البعض، من الأيام الستة لخلق السماوات و الأرض ﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَاداً﴾ أضداداً في الألوهية في خلقه و" ما ترى في خلقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ " (٦٧: ٣) هو نتيجة أنداد ﴿ذَلِكَ﴾ الخالق الوحيد، هو ﴿رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ من السماوات و الأرضين.

١٠ / ٤١

١٠- ﴿وَجَعَلَ﴾ مضافاً إلى خلق الأرض، فيومه ليس من الستة ﴿فِيهَا﴾ بأعماقها ﴿رَوَاسِي﴾ جبالا شاهقة ﴿مِنْ فَوْقِهَا﴾ عالية الرؤوس، راسية الأساس ﴿وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ بما جعلها قراراً بعد شماسها و إنزال ماء عليها ﴿فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾ تكميلية، دون أصل الخلقية الستة، و قد تكون الفصول الأربعة بضمنها ﴿سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ﴾ بركاتها و أقواتها، حسب تكوينها بمساعيهم.

١١ / ٤١

١١- ﴿ثُمَّ اسْتَوَى﴾ استواء خلقياً ﴿إِلَى السَّمَاءِ وَ﴾ الحال ﴿هِيَ دُخَانٌ﴾ من تفجرة المادة الأولى التي خلقت منها الأرض و السماء، و" دُخَانٌ" هي الغاز المتصاعد من هذه التفجرة ﴿فَقَالَ﴾ تكوينياً ﴿لَهَا﴾ دخاناً ﴿وَلِلْأَرْضِ اثْنِي﴾ إلى تكوين ثانٍ ﴿طَوْعاً أَوْ كَرْهاً﴾ و ليس إلا تسليماً أمام إرادة الله ﴿قَالَتَا﴾ تكوناً أمام تكوينه ﴿أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤٧٨

١٢ / ٤١

١٢- ﴿فَقَضَاهُنَّ﴾ دخان السماء، جمعا لمستقبل الجمع ﴿سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ "طباقاً" بعضها فوق بعض في الحالة الدائرية السماوية ﴿فِي يَوْمَيْنِ﴾ من الستة الخلقية ﴿وَأَوْحَى﴾ وحي تكوين ثانٍ كما للأرض في أربعة أيام، و وحي تشريع، إذ فيها مكلفون كما في الأرض ﴿فِي كُلِّ سَمَاءٍ﴾ من السبع ﴿أَمْرَهَا﴾ الخاص بها، فهذه أربعة أيام لخلق الأرض و السماوات من الأيام الستة، ثم اليومان الباقيان هما بين ﴿وَزَيْنًا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ و أصل الدخان السماوي و ما أشبهه، و" السَّمَاءَ الدُّنْيَا" هي أدنى السبع إلينا بأرضنا، و" مصابيح" هي الأنجم الظاهرة في سماءنا، و قد تكون في سائر السماوات أنجم أخرى، و كأصل أصيل نجم جنة الخلد التي هي "عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَى. عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى" (٥٣: ١٥) ثم و من تلكم المصابيح شمسنا، فهي مخلوقة بعد الأرض بمرحلتين، إذ توسط خلق السبع بين خلق الأرض و المصابيح، فكيف تكون الأرض من مواليد الشمس، و قد وصل العلم الآن إلى ذلك التأخر شيئاً ما كما شرحناه في "الفرقان" أجل "مصباح" للإنارة و التدليل في ظلمات البر و البحر" و هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ" (٦: ٩٧) ﴿وَحِفْظاً﴾ عن حوادث مزرية، منها التسمّع إلى الملا الأعلى "لا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَ يَقَذِفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ" (٣٧: ٨) حيث النجوم هي أصول المدفيعات السماوية، لنيازك نارية تدحر و تنقب المتسمعين من الشياطين إلى الملا الأعلى "دُحُوراً وَ لَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ" (٣٧: ٩) و ﴿ذَلِكَ﴾ العظيم هو ﴿تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾.

١٣ / ٤١

١٣- ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ عن هذه الذكريات ﴿فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَ ثَمُودَ﴾.

١٤ / ٤١

١٤- ﴿إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ﴾ أمامهم ﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ وراءهم و لهم أخبارهم ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ و ذلك بعد رسل الفطرة و العقلية و سائر الآيات الآفاقية ﴿قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا﴾ أن يرينا بتوحيده ﴿لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً﴾ رسلاً أو شهوداً لرسول البشر ﴿فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ﴾ أيها البشر ﴿كَافِرُونَ﴾.

١٥ / ٤١

١٥- ﴿فَأَمَّا عَادٌ﴾ قوم هود ﴿فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ على الرسل ﴿بَغْيِرَ الْحَقِّ﴾ مغايرا إياه ﴿وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ حتى يحكم علينا، ألم يروا ضعفهم في أنفسهم ﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا﴾ لو كانوا أقوياء ﴿أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ والحال أنهم ﴿كَانُوا﴾ دائما ﴿بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾.

١٦ / ٤١

١٦- ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ بالغة الشر و الصر و القر: البرد ﴿فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ﴾ بذلك الصرصر ﴿لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ لَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى﴾ منها ﴿وَالْحَالُ أَنَّ﴾ هم هناك ﴿لَا يَنْصُرُونَ﴾ و مهما كان هنا نصر فليس أمام عذاب الله.

١٧ / ٤١

١٧- ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ﴾ قوم هود ﴿فَهَدَيْنَاهُمْ﴾ دلالة ﴿فَاسْتَحَبُّوا﴾ باختيارهم ﴿الْعَمَى﴾ الكفر ﴿عَلَى الْهُدَى﴾ الإيمان ﴿فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ﴾ إهانة ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ من أسباب الهون.

١٨ / ٤١

١٨- ﴿وَوَجَّيْنَا﴾ في هذه العذابات ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالله ﴿وَوَكُنَّا يَتَّقُونَ﴾ الله، تقوى أمام طغوى.

١٩ / ٤١

١٩- ﴿وَيَوْمَ﴾ القيامة، حيث ﴿يَحْشُرُ﴾ جمعا ﴿أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ جمعا إلى النار بعد جمعهم في حشرهم.

٢٠ / ٤١

٢٠- ﴿حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاؤُهَا﴾: النار ﴿شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ﴾ بما سمعوا ﴿وَأَبْصَارُهُمْ﴾ بما أبصروا ﴿وَوَجُودُهُمْ﴾ أبدانهم بأعضائها ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ فإن المكلفين هم بأعضائهم سجلات بأعمالهم إضافة إلى سجلات أرضية و ملائكية و سائر الشهود.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤٧٩

٢١ / ٤١

٢١- ﴿وَقَالُوا لَجُودُهُمْ﴾ ككل، حيث تشمل سمعهم و أبصارهم و هما أهمها ﴿لَمْ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا﴾ لما شهدوا شهادتها عليهم، و كيف تشهد جلود الإنسان على نفسه، و هى لا تعمل إلا بإرادته ﴿قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ﴾ صوتا و صورة كما تلقيناها عما عملتم ﴿الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ تلقيا لشهادة فالقاء لها، كما "يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا. بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا" ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ للحياة الدنيا ﴿وَالِيهِ تَرْجِعُونَ﴾ ثانی مرة.

٢٢ / ٤١

٢٢- ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ﴾ عن ﴿أَنْ يَشْهَدَ﴾ تلقيا يوم الدنيا، فالقاء يوم الأخرى ﴿عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ﴾ بما سمعت ﴿وَلَا أَبْصَارُكُمْ﴾ بما أبصرت ﴿وَلَا جُودُكُمْ﴾ بما عملت ﴿وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ بلى يعلم و يعلم لهذه الشهود لكى تشهد عليكم.

٢٣ / ٤١

٢٣- ﴿وَذَلِكُمْ﴾ البعيد عن الحق ﴿ظَنُّكُمْ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ﴾ إهلاكا "يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَ مَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَ بَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا" (٣: ٣٠) ﴿فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ خلاف ما كنتم تزعمون.

٢٤ / ٤١

٢٤- ﴿فَإِنْ يَصْبِرُوا﴾ على مَثْوَى ﴿فَالنَّارُ مَثْوَى لَهُمْ﴾ "فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ" (١٧: ٢) حيث الصبر لا يفيدهم فرجا" اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم" (٥٢: ١٦) ﴿وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا﴾ طلبا للعتب ﴿فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾ "فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يَسْتَعْتَبُونَ" (٣٠: ٥٧) فقد غلق اليوم باب العتاب، متابا و عتابا قد يفيدته" سواء علينا أ جزعنا أم صبرنا ما لنا مِنْ مَحِيصٍ" (١٤: ٢١).

٢٥ / ٤١

٢٥- ﴿وَقِيضْنَا﴾ إرسالا بديلا عن الهدى لما تركوها ﴿لَهُمْ قُرْآنٌ﴾ يوم الدنيا، من شياطين الجن و الإنس ﴿فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ من دنياهم الحاضرة و المستقبل و بعد الموت، أنها كلها حسنة ﴿وَكَذَلِكَ﴾ ما خَلَفَهُمْ ﴿من أعمال ماضية﴾ وحقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ ﴿كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾ ﴿فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾ الغابرين في حق القول ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ حياتهم.

٢٦ / ٤١

٢٦- ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ و غالوا، لأضرابهم و غيرهم ﴿لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ﴾ سماعا صالحا لمكان "ل" بل ﴿وَالْعَوَّاءُ فِيهِ﴾ لغو القول، دخلا ضد سماعه ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾ وحيه إلى لغوه فلا يؤثر أثره.

٢٧ / ٤١

٢٧- ﴿فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ضالين و مضلين، عامدين عاندين ﴿عَذَابًا شَدِيدًا﴾ كشدة كفرهم ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ لا زيادة على عملهم السوء فإنه ظلم و لا يظلمون فتيلاً "ف" إنما تجزون ما كنتم تعملون" بل هو جزاء أسوء العمل بأسوأ العذاب "جزاءً وفاقاً" دون تخفيف، بل هو حساب دقيق دون تقليل، عكس الذين آمنوا حيث يجازون أحسن الذي عملوا، و هو أحسن مما عملوا، إذ لدينا مزيدٌ ثم الجزاء فيهما هو العمل نفسه، ظهورا هناك بملكوته، بفارق أن الأحسن جزاءه أحسن منه، و الأسوء هو الأسوء نفسه.

٢٨ / ٤١

٢٨- ﴿ذَلِكَ﴾ الأسوء هو ﴿جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارِ﴾ في دار القرار ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ﴾ البقاء قدر أعمالهم دون زيادة، ف "جَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا" محدودا بحدود ﴿جَزَاءٌ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾.

٢٩ / ٤١

٢٩- ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالله ﴿رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا﴾ جمعين جمعين ﴿مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾ حتى ﴿نَجْعَلَهُمَا تَحْتَ أَفْدَامِنَا﴾ كما جعلونا تحت أقدامهم بإقدامهم ﴿لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾ كما جعلونا من الأسفلين.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤٨٠

٣٠ / ٤١

٣٠- ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ قولاً نابعا عن علم، نابغا بإيمان ﴿ثُمَّ﴾ بعد ما قالوا ﴿اسْتَقاموا﴾ في كل كونهم و كيانههم على "رَبَّنَا اللَّهُ" دون اتجاه إلى سوى الله، إلا وسيلة وصيلة إلى هدى الله ﴿تَنْزَلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ منذ استقامتهم في "رَبَّنَا اللَّهُ" ﴿أَلَّا تَخَافُوا﴾ مما يخاف منه هنا و مستقبلا، دنيى و عقبى ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ على ما فات منكم ماضيا في سبيل الاستقامة في "رَبَّنَا اللَّهُ" ﴿وَأَبْشِرُوا﴾ بعضكم بعضا ﴿بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ إياها.

٣١ / ٤١

٣١- ﴿نَحْنُ﴾ الملائكة ﴿أُولَئَاؤُكُمْ﴾ تنزلا عليكم، وحيا و إعانة بأمر الله ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ فِي الْآخِرَةِ﴾ و مهما لا يحصل لكم فى الدنيا كل ما تريدون ﴿وَ لَكُمْ فِيهَا﴾ الآخرة ﴿مَا تَشْتَهَى﴾ إياه ﴿أَنْفُسُكُمْ﴾ المستقيمة فى الله ﴿وَ لَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ﴾: تطلبونه، جمعا بين ما تشتهون دون طلب و ما تطلبون.

٣٢ / ٤١

٣٢- حالكون الجنة بما تشتهون و تدعون ﴿نُزُلًا﴾ مضيئا ﴿مِنْ غَفُورٍ﴾ لذنوب لكم ﴿رَحِيمٍ﴾ بعد غفره أن يرفع درجات لكم.

٣٣ / ٤١

٣٣- ﴿وَ مَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ غيره بعد نفسه، دعوة ربانية على ضوء رسالات الله ﴿وَ عَمِلَ صَالِحًا﴾ فى نفسه و دعوته إلى الله ﴿وَ قَالَ﴾ لمن يدعوهم إلى الله ﴿إِنِّى مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ لله، المستسلمين، قولا لـ " رَبَّنَا اللَّهُ " و استقامة فيها لله، فلا أحسن منه قولا و عملا، مهما كان ذلك درجات.

٣٤ / ٤١

٣٤- ﴿وَ لَا تَسْتَوِى﴾ القولة و الفعلة و الدعوة ﴿الْحَسَنَةُ﴾ مع بعض البعض، لأنها درجات ﴿وَ لَا﴾ تستوى كذلك ﴿السَّيِّئَةُ﴾ لأنها دركات، فضلا عن استواء الحسنة و السيئة، لذلك ﴿ادْفَعْ بِ﴾ الطريقة ﴿الَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ السيئة " و يَدْرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ " (١٣: ٢٢) فـ " ادْفَعْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ " (٢٣: ٩٦) ﴿فَإِذَا الَّذِى بَيْنَكَ وَ بَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ و من ثم قد يصبح وليا حميما، و أقل تقدير أن تزول سيئته، و أما إن دامت عليك أو و على سواك فلا دفع- إذا- إلا باعتداء بالمثل.

٣٥ / ٤١

٣٥- ﴿وَ مَا يَلْقَاها﴾ الحسنة التى تدفع السيئة ﴿إِلَّا الَّذِىنَ صَبَرُوا﴾ على سيئة تدفع بالحسنة، دون مقابلة لها بالسيئة ﴿وَ مَا يَلْقَاها إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ من الصبر فى الله، إيماننا بالله.

٣٦ / ٤١

٣٦- ﴿وَ إِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ﴾ هو الدخول فى أمر لإفساده ﴿فَاسْتَعِذْ﴾ منه ﴿بِاللَّهِ﴾ بكل كيائك ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ استعازتك ﴿الْعَلِيمُ﴾ بحاجتك: " وَ قُلْ لِعِبَادِى يَقُولُوا الَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا " (١٧: ٥٣).

٣٧ / ٤١

٣٧- ﴿وَ مِنْ آيَاتِهِ﴾ الدالة على توحيده ﴿الَّيْلُ وَ النَّهَارُ وَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ﴾ و ما أشبه من آيات آفاقية و أنفسية، مهما كانت درجات ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَ لَا لِلْقَمَرِ﴾ و هما من آياته و مخلوقاته و اسجدوا لله^{٢٣} الذى خَلَقَهُنَّ هَذِينَ و سواهما من خليفة إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ فَقَطَّ تَعْبُدُونَ فالسجود لغير الله محرم أيا كان، عبودية أو احتراماً، لأنه خلقه

٣٨ / ٤١

٣٨- فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا عَنْ السَّجُودِ لله، إشراكا بالله، أو احتراماً له احترامهم لله فَالَّذِينَ هُمْ عِنْدَ رَبِّكَ قَرَبَى و زلفى من السابقين و المقربين و أقربهم هو رسول الله يَسْبَحُونَ لَهُ لا سواه بالليل و النهار تواصلنا دونما انقطاع و هُمْ لا يَسْأَمُونَ ملالا و تعباً عن تسبيحه، بل هم فيها دائمون، دوام توحيدهم فى عبودية الله.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤٨١

٣٩ / ٤١

^{٢٣} . و هنا تجب السجدة لله سبحانه و تعالى.

٣٩- وَ مِنْ آيَاتِهِ فِي الْإِحْيَاءِ بَعْدَ الْمَوْتِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ الْيَابِسَةَ خَاشِعَةً مَيِّتَةً دُونَ اهْتِزَازٍ وَ رِبْوَةٍ فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَ تَحَرَّكَتْ بِالْأَنْبَاتِ وَ رَبَّتْ زَادَتْ بِالنَّبَاتِ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا بَعْدَ مَوْتِهَا حَبَّةٌ وَ مَاءٌ مَيِّتَيْنِ لَمْحَى الْمَوْتَى الْمَيِّتَيْنِ بِأَبْدَانِهِمْ بِانْزَالِ مَاءِ الْحَيَاةِ، فَارْجِعْ لَهَا إِلَى مِثْلِ مَا كَانَتْ فَارْجِعْ أَرْوَاحَهَا إِلَيْهَا، فَ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُمَكِّنٌ فِي ذَاتِهِ قَدِيرٌ اللَّهُمَّ إِلَّا عَلَى الْلَاشِءِ الْمُسْتَحِيلِ فِي ذَاتِهِ، فَلَيْسَ هُوَ شَيْئًا حَتَّى تَتَعَلَّقَ بِهِ قُدْرَةٌ.

٤٠ / ٤١

٤٠- إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا بِحِفْظٍ لَهَا مَائِلَةٌ عَنِ الْحَقِّ، تَعَامِيَا عَنْهَا حَتَّى لَا يَسْتَدِلُّ بِهَا عَلَى الْحَقِّ لَا يَخْفُونَ عَلَيْنَا أَمْ مَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ هُنَا وَ فِي الْآخِرَى بِمَا أَلْنَى نَفْسَهُ فَأَلْقَاهَا فِيهَا خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا عَلَى نَفْسِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَيْثُ ابْتَعَدَ عَنِ النَّارِ بِمَا اتَّقَى أَعْمَلُوا أَمْرًا مِنْ النَّهْيِ مَا شِئْتُمْ بِأَهْوَاكُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ فَهُوَ عَلَى جَزَاءِ كَمِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ قَدِيرٌ.

٤١ / ٤١

٤١- وَ إِنَّ مِنْهُمْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ الرَّبَّانِيِّ كُلِّهِ، وَ هُوَ الْقُرْآنُ الْحَاوِي لِكُلِّ ذِكْرٍ لَمَّا جَاءَهُمْ كَالشَّمْسِ فِي رَابِعَةِ النَّهَارِ وَ إِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ غَالِبٌ عَلَى كُلِّ مَا سِوَاهُ مِنْ كِتَابٍ، لِأَنَّهُ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ، فَ "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ" (١٥: ٩).

٤٢ / ٤١

٤٢- وَ مِنْ عِزَّتِهِ الْمَطْلُوقَةِ أَنَّهُ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ وَ هُوَ كُلُّ مَا يَنَافِي مَا فِيهِ، مِنْ تَحْرِيفٍ بَزِيَادَةٍ أَوْ نَقِصَةٍ، أَوْ تَبْدِيلٍ لَهُ أَيْ كَانَ، كَمَا لَا يَأْتِيهِ مَبْطُلٌ فَيَصْبِحُ بَاطِلًا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ هِيَ كُلُّ ذِكْرٍ قَبْلَهُ، فَإِنَّهَا تُوَيِّدُهُ وَ فِيهِ مَزِيدٌ وَ لَا مِنْ خَلْفِهِ مَا يَبْطُلُهُ نَسْخًا أَوْ تَحْوِيرًا وَ تَغْيِيرًا، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى صِبَاغَةِ الْقُرْآنِ عَنْ كُلِّ نَسْخٍ أَوْ تَحْرِيفٍ أَوْ إِبْطَالِ حُجَّةٍ وَ مَا أَشْبَهَ، لِأَنَّهُ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ بَعَزَّتْهُ حَمِيدٌ بِحُكْمَتِهِ، فَرُغِمَ إِيَّانِ الْبَاطِلِ فِي سَائِرِ كُتُبِ السَّمَاءِ، تَحْرِيفًا فِيهَا أَوْ نَسْخًا يَعْتَرِيهَا، فَلَا نَسْخَ فِي الْقُرْآنِ بَغَيْرِهِ وَ لَا تَحْرِيفَ وَ تَجْدِيدَ، مِمَّا يَدُلُّ عَلَى صِبَاغَتِهِ الْمَطْلُوقَةِ حَتَّى الْقِيَامَةِ الْكُبْرَى وَ أَنَّهُ خَاتِمَةُ كُتُبِ الْوَحْيِ.

٤٣ / ٤١

٤٣- مَا يُقَالُ لَكَ مِنْ قِيَلَاتٍ غِيَلَاتٍ عَلِيْلَاتٍ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِمَنْ اسْتَغْفَرَ عَنْ هَذِهِ الْقِيَلَاتِ وَ ذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ لَغَيْرِ الْمُسْتَغْفِرِينَ.

٤٤ / ٤١

٤٤- وَ لَوْ مُسْتَحِيلًا فِي الْحِكْمَةِ الْعِلْيَا الرَّبَّانِيَّةِ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا غَيْرَ عَرَبِيٍّ، وَ هُوَ أَعْرَبُ اللُّغَاتِ وَ أَفْصَحُهَا لِقَالُوا لَوْ لَا فَصَّلْتَ آيَاتُهُ إِيضًا حَا لِمُرَادَاتِ اللَّهِ، بِتَعْصِبِ عَرَبِيٍّ قَائِلِينَ عَ قُرْآنٍ أَعْجَمِيٍّ وَ إِنْسَانٍ عَرَبِيٍّ قُلْ هُوَ الْقُرْآنُ أَعْجَمِيًّا أَوْ عَرَبِيًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا عَرَبًا أَوْ أَعْجَمًا هُدًى وَ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ نَفْسِيٍّ وَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَيْ كَانُوا، هُمْ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ بِمَا أَوْقَرُوهَا وَ هُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى إِذْ مَا أَبْصَرُوهَا أُولَئِكَ يَنَادُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ لِبَعْدِهِمْ عَنِ الْحَقِّ وَ نَدَاءِ الْحَقِّ، فَقَدْ يَنَادُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى بَعْدِهِمْ عَنِ الْمَنَادَى مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ عَنْهُمْ لِأَنَّهُمْ لَا يَأْهَلُونَ قُرْبًا حَتَّى فِي نَدَاءِ التَّائِبِ.

٤٥ / ٤١

٤٥- وَ لَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ التَّوْرَةَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ فِي أَصْلٍ وَحِيَةٍ تَصْدِيقًا وَ تَكْذِيبًا، وَ بَعْدَ وَحِيَةٍ تَطْبِيقًا وَ تَرْكًا، أَوْ تَحْرِيفًا وَ اسْتِسْلَامًا وَ لَوْ لَا كَلِمَةُ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِمْهَالًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ عِقَابًا حَسَابًا وَ إِنَّهُمْ غَارِقُونَ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ الْكِتَابِ مُرِيبٍ كَأَنَّهُ شَكٌّ مُسْنُودٌ إِلَى دَلِيلٍ وَ لَيْسَ إِلَّا عَلِيلٌ.

٤٦ / ٤١

٤٦- مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ صَالِحٌ وَ مَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا طَالِحٌ، دُونَ ضَرٍّ أَوْ نَفْعٍ إِلَى اللَّهِ وَ مَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ أَنْ يُجْبِرَهُمْ عَلَى سُوءٍ ثُمَّ يُعَاقِبُهُمْ بِهِ، أَوْ يَزِيدَ فِي عِقَابِهِ الْمُسْتَحْقِقِينَ، عَلَى كَوْنِهِ رِبًا وَ هُمْ عِبِيدُهُ.

٤٧ / ٤١

٤٧- إِلَيْهِ لَا سِوَاهُ يَرُدُّ بَعْدَ تَرَدُّدِ الْأَمْرِ بَيْنَ مَنْ يَتَرَدَّدُونَ عِلْمُ السَّاعَةِ بَلْ وَ" أَكَادُ أُخْفِيهَا" عَلَى نَفْسِي، لَعَمْرِي غَيْبِهَا، فَضْلًا عَمَّنْ سِوَى اللَّهِ، بَلْ وَ مَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْثَامِهَا أَيَا كَانَتْ: نَبَاتِيَّة- حَيَوَانِيَّة- جَنَابِيَّة وَ إِنْسَانِيَّة وَ مَا أَشْبَهَ وَ مَا تَحْمِلُ مِنْ أَثْقَى أَيَا كَانَتْ وَ لَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ تَوْحِيدًا لِرُبُوبِيَّةِ الْعِلْمِ، الْوَحِيدَةِ وَ سَوْفَ يَأْتِي يَوْمَ يَنَادِيهِمْ أَوْلَاءُ الْمَشْرِكِينَ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ قَالُوا أَلْذَٰكَ إِعْلَانًا وَ إِسْرَارًا بَنِيَّ، يَوْمَ الدُّنْيَا فَطَرِيَا خَالَفْنَاهَا، وَ هُنَا حَاضِرًا مَشْهُودًا وَاقْفَاهَا مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ عَلَى شُرَكَاءِ.

٤٨ / ٤١

٤٨- وَ ضَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ الْآخِرَى مَا كَانُوا يَدْعُونَ إِيَّاهُ، يَوْمَ الدُّنْيَا مِنْ قَبْلُ وَ ظَنُّوا تَخْمِينًا بِحَقِّهِ أَنْ مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ هُنَاكَ، فَلَاتِ حِينَ مَنَاصٍ، إِذْ فَاتَ يَوْمٌ خَلَاصٍ.

٤٩ / ٤١

٤٩- لَا يَسْأَلُ مَا لَالَا الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ هِ الْخَيْرِ وَ هُوَ الْمَوَافِقُ لِهَوَاهُ، دُونَ هِدَاةِ وَ إِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ مَا لَا يَهْوَاهُ فَيُؤْسُ قَنُوطُ دُونَ أَيِّ رَجَاءٍ فِي أَيِّ خَيْرٍ، كَأَنْ لَمْ يَسْبِقْ لَهُ أَيُّ خَيْرٍ.

٥٠ / ٤١

٥٠- وَ لَكِنْ عَكْسُ ذَلِكَ لَكِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا لَا يَسْتَحِقُّهُ مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُ عَلَى يَأْسِهِ فِيهِ وَ قَنُوطُهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي كَأَنَّهُ لَيْسَ مِنَ اللَّهِ، بَلْ مِنْ نَفْسِهِ وَ لَهَا، أَوْ اسْتَحْقَاقًا لَهُ مِنَ اللَّهِ، وَ عَكْسُ مَا يَجِبُ عَلَيْهِ: " لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي " (١١: ١٠) بَلْ وَ مَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً بَلْ وَ لَوْ كَانَتْ قَائِمَةً لَكِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنْ لِيَ عِنْدَهُ لِلْحُسْنَى حَيَاةٌ طَيِّبَةٌ كَمَا هُنَا فَلَنَبْشِئَنَّ بِخَبَرِ ذِي فَائِدَةٍ عَظِيمَةٍ، عَلَمَا وَ وَاقِعَا الَّذِينَ كَفَرُوا هَكَذَا بِمَا عَمِلُوا هِ مِنْ سُوءٍ وَ لَنَذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ.

٥١ / ٤١

٥١- وَ إِذَا أَنْعَمْنَا عَلَىٰ هَذَا الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ عَنْهُ وَ نَأَىٰ بِلَىٰ افْتِخَارِيًا بِجَانِبِهِ وَ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَدُّوْ دُعَاءٍ عَرِيضٍ كَأَنْ لَهُ الْخَيْرَ فَقَطْ دُونَ شَرِّ.

٥٢ / ٤١

٥٢- وَ أَخِيرًا لَوْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ بَرَهَانٌ عَلَىٰ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِذْ لَا يَسْتَحِيلُ لِأَقْلٍ تَقْدِيرٌ وَ مَعَ كُلِّ تَقْدِيرٍ ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ الْإِحْتِمَالِ الْوَاقِعِ كَفَرْتُمْ بِهِ إِذْ لَا يَصِحُّ الْكُفْرُ بِشَيْءٍ إِلَّا عِنْدَ تَأَكُّدٍ مِنْ كَذِبِهِ، فَهِنَا مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقِي بَعِيدٍ أَنْ نَفْسُهُ فِي شَقٍّ وَ دَعْوَةُ الْحَقِّ فِي شَقٍّ آخِرٍ بَعِيدٍ، خِلَافًا لِلْحَائِطَةِ فِي مَحَلِّهَا الْأَلْيَقِ مِنْ كُلِّ حَائِطَةٍ تَرُومُونَهَا.

٥٣ / ٤١

٥٣- سَنُرِيهِمْ جُمُوعَ الْمَكْلُوفِينَ، مِنْذُ الْحَالِ حَتَّى الْإِسْتِقْبَالِ، دُونَ وَقْفَةٍ عَلَىٰ مَا فِي الْحَالِ آيَاتِنَا كُلُّهَا دُونَ إِعْضَالٍ وَ لَا إِجْمَالٍ أَوْ إِدْغَالٍ، فَنَحْنُ نَعِيشُ آيَاتِ اللَّهِ، الدَّلَالَتِ عَلَىٰ رَبُوبِيَّتِهِ الْوَحِيدَةِ عَلَىٰ طُولِ خُطِّ حَيَاةِ التَّكْلِيفِ، وَ بَعْدَ الْمَوْتِ بَرَزْخًا وَ قِيَامَةً فِي الْآفَاقِ كُلِّهَا وَ فِي أَنْفُسِهِمْ كُلِّهَا، آيَاتٍ فِي دَوَاحِلِ النُّفُوسِ، فَطَرِيَّة- عَقْلِيَّة- فِكْرِيَّة وَ عِلْمِيَّة، وَ آيَاتٍ أُخْرَىٰ فِي خَوَارِجِهَا، عَلَىٰ تَدْرِجِهِمْ فِي دَرَجَاتٍ تَلْقِيَاتِ الْآيَاتِ، مَتْرَاكِبَةٍ مَتْرَائِدَةٍ، فَكَلَّا تَقْدَمُ الْعَقْلُ وَ الْعِلْمُ، تَقْدَمَتْ آيَاتُ رَبَانِيَّةٍ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ عَيَانًا أَنَّهُ اللَّهُ الْحَقُّ كُلُّهُ، فَلَا خِفَاءَ فِي " الْحَقِّ " وَ لَا خَمُولٍ، إِلَّا الشُّمُولُ الْمُبِينُ أَوْ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ بِقَمَةِ الرُّبُوبِيَّةِ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ قِيُومِيَّةٌ، بِحُضُورِ الْعِلْمِ وَ الْقُدْرَةِ وَ الرَّحْمَةِ، تَلْقِيًا وَ إِقْلَاءً.

٥٤ / ٤١

٥٤- ألا نبهة شاملة إنهم أولاء الحماقى الأعمى، غارقون فى مريّة" شكّ مريبٍ" من لقاء ربهم هنا و فى الأخرى ألا إنه بكُلّ شىءٍ مُحيطٌ فكيف ينكر لقاءه.

سورة الشورى

١ / ٤٢

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ حم ﴿ثالثة الحواميم السبع، إضافة إلى.

٢ / ٤٢

٢- ﴿عسق﴾ و مهما نتلمح من "حم" محمداً أحمد" لا نتلمح من "عسق" شيئاً، و لأن معانيها تخص صاحب الوحي المحمدي صلى الله عليه و آله.

٣ / ٤٢

٣- ﴿كَذَلِكَ﴾ العظيم، الخاص و العميم ﴿يُوحِي إِلَيْكَ وَ إِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ من أصحاب الوحي، على درجاتهم، "يوحى": ﴿اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ فى ألوهيته.

٤ / ٤٢

٤- فَإِنْ ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ﴾ و ما بينهما، و هى الكون كله ﴿وَ هُوَ الْعَلِيُّ﴾ بكل علو على خلقه ﴿الْعَظِيمُ﴾ بكل عظمة، لا يسامى فيها و لا يساوى.

٥ / ٤٢

٥- ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ﴾ انشقاقاً ﴿مِنْ فَوْقَهُنَّ﴾ على الأرض: أن " وَ قَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا" (١٩: ٩١) ﴿وَ الْمَلَائِكَةُ﴾ بمن فوقهم من الرسل ﴿يَسْبَحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَ يَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ إن تابوا عن الإشراك به ﴿أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ من يستغفر و يسترحم.

٦ / ٤٢

٦- ﴿وَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ﴾ لا سواه ﴿حَفِظْتُ عَلَيْهِمْ﴾ عابدين و معبودين، و حتى أنت يا محمد لست عليهم حفيظاً، إذ ﴿وَ مَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ إن أنت إلا رسول.

٧ / ٤٢

٧- ﴿وَ كَذَلِكَ﴾ العظيم العظيم ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ واضحاً فى الدلالة و المدلول، فلا تعنى - فقط - عربية اللغة، مهما كانت أفضل و أعرب اللغات ﴿لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى﴾ مكة المكرمة، عاصمة هذه الرسالة الأخيرة، و لأن "القرى" جمعاً محلى باللام تعنى الاستغراق، فمستغرق القرى و المجتمعات المكلفة فى الكون كله، هم منذرون به، فتعنى - إذا - ﴿وَ مَنْ حَوْلَهَا﴾ كافة القرى دونما استثناء مما يدل على عمومية و أممية هذه الدعوة القرآنية فى الطول التاريخى و العرض الجغرافى: "تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا" (٢٥: ١) ﴿وَ تُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَ فَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾.

٨ / ٤٢

٨- ﴿وَ لَوْ﴾ مستحيلاً فى الحكمة الربانية ﴿شَاءَ اللَّهُ﴾ و لن يشأ ﴿لَجَعَلَهُمْ﴾ " أُمَّ الْقُرَى وَ مَنْ حَوْلَهَا": كافة المكلفين طول الزمان و عرض المكان ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ فى هذه الشرعة الأخيرة: " وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَ لَكِنْ لِيَلْوَكُمْ فِى مَا أَنْتُمْ" (٥: ٤٨) أم و فى الهدى " وَ لَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهَدْيِ" (٦: ٣٥) ﴿وَ لَكِنْ يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ﴾ الرحمة فيشاءها الله له ﴿فِى رَحْمَتِهِ وَ الظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَ لَا نَصِيرٍ﴾.

٩ / ٤٢

٩- ﴿أَمْ اتَّخَذُوا﴾ وخزا ﴿مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ يلون أمورهم ﴿قَالَ اللَّهُ﴾ لا سواه ﴿هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ ممكن فى نفسه ﴿قَدِيرٌ﴾ يشاؤه إن كان صالحا فى حكمته.

١٠ / ٤٢

١٠- ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ أيا كان و أيان و من أى كان ﴿فَحُكْمُهُ﴾ الفصل المزيل لأى اختلاف، هو فقط ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ و إذ لا يوحى إليكم ككل، فالمرجع فى حكم الله ليس إلا كتاب الله، كأصل أصيل لا حول عنه، فهو الحاكم لا سواه، و الرسول إنما ينقل حكمه دون أن يحكم: "يَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يَفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَ.." (٤: ١٢٧) ثم الطاعة مثلثة و مشاة و موحدة لله: "أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَ الرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ ..." (٤: ٥٩) ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي﴾ الحاكم الوحيد فى كل اختلاف إلى ائتلاف ﴿عَلَيْهِ﴾ لا سواه ﴿تَوَكَّلْتُ﴾ فى أحكام و سواها ﴿وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ رجوعا إليه.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤٨٤

١١ / ٤٢

١١- ﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ﴾ شقا لهما عن المادة الأولية: "هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَ كَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ" (١١: ٧) و شقا فيهما إفناء لهما أخيرا "إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ .. وَ إِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ" (٨٤: ٣) ﴿جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ فى الفطر الأول ﴿أَزْوَاجًا﴾ ذكرا لأنثى و أنثى لذكر ﴿وَ﴾ جعل لكم ﴿مِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا﴾ و هو الذى ﴿يَذُرُكُمْ﴾ إظهارا ﴿فِيهِ﴾ فى فطره الكون، فإنكم من أبرز البارز و أظهر الظاهر فى الكون كله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ﴾ ذاتا و صفاتا و أفعالا ﴿شَيْءٌ﴾ غيره، فلا مماثلة بينه و بين خلقه أبدا، فلا مثل له مهما كان له مثل و هو الآية، حيث تمثله أمام العقول دون إحاطة: "وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ" (١٦: ٦) فهو شىء لا كالأشياء، مهما كانت له تعالى مثلا و آية و الكاف هنا تأكيد لنفى أى مثل ﴿وَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ أمثالا له مختلفة.

١٢ / ٤٢

١٢- ﴿لَهُ مَقَالِيدُ﴾ جمع مَقْلَدٌ من القَلْد: الفتل، تطويقا مطلقا لـ ﴿السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ﴾ فليست منهما لسواه، و من ذلك أنه ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ معنويا و ماديا ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ ه فىشاء الله ﴿وَ يَقْدِرُ﴾ ه لمن يشاء، فليس بسط الرزق و قدره مفوضا إلينا و لا مجبرا ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ يبسط و يقدر حسب المصلحة الربانية.

١٣ / ٤٢

١٣- ﴿شَرَعَ لَكُمْ﴾ المسلمين، بعضا ﴿مِنَ الدِّينِ﴾ و هو مطلق الطاعة لله، ما يدل على وحدة الدين و تعدد الشرايع إليه: "ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا" (٤٥: ١٨) "شَرَعَ" أصل ﴿مَا وَصَّى بِهِ﴾ مهما اختلفت طقوس فى ظاهر الأمر ﴿نُوحًا﴾ و هنا يعبر عن الشرايع الخمس بالوصية، إلا وحى القرآن، مما يدل على أن سائر الوحي أمامه وصية، كأنها ليست وحيا ﴿وَ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ وحيا جمعيا حاضرا، و "وصى" مفرد غائب، لبون بين الوحيين، ثم بينهما ﴿وَ مَا وَصَّيْنَا﴾ جمعية حاضرة ﴿بِهِ﴾ إبراهيم ﴿إِذْ يَفُوقُ وَحِيَهُ عَلَى نوح﴾ ﴿وَ﴾ كذلك ﴿مُوسَى وَ عِيسَى﴾ "شَرَعَ" لـ ﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ﴾ كأصل فى الشرايع إليه، حيث تتوحد الشرائع كلها فى "الدِّين" و هو الطاعة لله وحده ﴿وَ لَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ "وَ مَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ" (٢: ٢١٣) ﴿كَبَّرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ﴾ بالله ﴿مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ من توحيده و وحدة الدين فى شرائعه ﴿اللَّهُ﴾ لا سواه ﴿يَجْتَبِى إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ من عباده، فيوحى إليهم بشرائعه من الدين ﴿وَ يَهْدِى إِلَيْهِ مَنْ يَنْيِبُ﴾ إليه بالمجتبين من عباده.

١٤- ﴿وَمَا تَفَرَّقُوا﴾ هؤلاء المتفرقون في الدين ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ وحيًا إلى الرسل بآيات رسالاتهم ﴿بَغْيًا﴾ وظلماً ﴿بَيْنَهُمْ وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ مدى التكليف ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ هنا ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ أَوْرَثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ أولاء المتفرقين، هم غارقون ﴿لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَرْيَبٌ﴾ غيرهم، كأنه مسنود إلى دليل، وليس إلا العليل.

١٥- ﴿فَلِذَلِكَ﴾ الهدف الأسمى من إقامة الدين ﴿فَادْعُ﴾ يا محمد إلى شرعتك من الدين ﴿وَاسْتَقِمْ﴾ في شرعتك و دعوتك ﴿كَمَا أُمِرْتُ وَ لَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَ قُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ﴾ وحي دون تحريف ﴿وَ أُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ﴾ توحيداً في الدين، عدلاً و عدلاً و منه ﴿اللَّهُ رَبُّنَا وَ رَبُّكُمْ﴾ في كافة الشرائع من الدين ﴿لَنَا أَعْمَالُنَا وَ لَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمْ﴾ أمام حجة الدين ﴿اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا﴾ يوم الجمع ﴿وَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ لذلك الجمع الصائر إليه: فاستقيم كما أمرت و من تاب معك (١١: ١١٢) و هي أقوم من استقامتك في نفسك فقط، اللهم إلا ما هو خارج عن مكتنتك.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤٨٥

١٦- ﴿وَ الَّذِينَ يَحَاجُّونَ فِي اللَّهِ﴾ ضده ﴿مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ﴾ براهينه البينات ﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةً﴾ غير باهضة ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ بحججه البالغة ﴿وَ عَلَيْهِمْ غَضَبٌ﴾ من الله ﴿وَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ كشدة عنادهم حجاجاً في الله ضده.

١٧- ﴿اللَّهُ﴾ هو ﴿الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ﴾ كله بهذا القرآن ﴿بِالْحَقِّ﴾ كله سبياً و مصاحبة و غاية ﴿وَ﴾ أنزل ﴿الْمِيزَانَ﴾: "وَ أَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَ الْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ" (٥٧: ٢٥) و يختص القرآن بكونه الميزان دون سائر الكتب ﴿وَ مَا يَذْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ "إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا. وَ نَرَاهُ قَرِيبًا" (٧٠: ٦).

١٨- ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾ تحدياً على مجيئها ﴿وَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بها ﴿مُشْفِقُونَ مِنْهَا﴾ حبا لإيمانهم بها، على تخوف منها ﴿وَ يَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ﴾ كله، إذ فيه الحساب و الجزاء ككل ﴿أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يَمَارُونَ فِي السَّاعَةِ﴾ شكا في ارتياب وجاه آخرين ليشككهم فيها، غارقون ﴿لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ عن الحق المرام.

١٩- ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ﴾ علماً و قدرة و رحمة بكل لطفه و حنانه ﴿بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ﴾ رزقا فيشاهه الله له ﴿وَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾.

٢٠- ﴿مَنْ كَانَ﴾ طول حياته ﴿يُرِيدُ﴾ تصميمًا صميماً بما يبذر من بذر صالح ﴿حَرَثَ الْآخِرَةَ﴾ دون حرص على الدنيا ﴿نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾ أكثر من بذره ﴿وَ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرَثَ الدُّنْيَا﴾ حرصاً فيها دون اتجاه إلى الآخرة ﴿نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾ دون كل ما يريد ﴿وَ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ من حرثها، ف "مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا. وَ مَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَ سَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا. كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَ هَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَ مَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا" (١٧: ٢٠).

٢١- أهم لهم شرعوا لأنفسهم من الدين ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ﴾ لله ﴿شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ و ليس الشارع إلا الله، كما الدين: الطاعة، ليس إلا الله، فلا يشاركه حتى رسول الله، و لا يأذن له فيها حيث الربانية لا تقبل شركة، اللهم إلا رسالة عن الله ﴿وَلَوْ لَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ﴾ ليوم الفصل ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ هنا، و لكنها يوم الفصل ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

٢٢ / ٤٢

٢٢- ﴿تَرَى﴾ هناك ﴿الظَّالِمِينَ﴾ بحق الحق في توبيخه ﴿مُشْفِقِينَ﴾ خائفين على رجاء ﴿مِمَّا كَسَبُوا﴾ هنا ﴿وَالْحَالُ﴾ ﴿هُوَ﴾ ما كسبوا ﴿وَاقِعٌ بِهِمْ﴾ وقوع الكسب نفسه عليهم بظهور ملكوته، ف "هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ" (٦: ٩٣) و لا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ" (٣٦: ٥٤) "إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ" (٥٢: ١٦) و لأن العمل أيا كان محدود بنفسه و أثره فالحجزاء مثله: "وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا" (٤٢: ٤٠) ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ لإيمانهم، هم ﴿فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ في دار كرامته و نزل رحمته: لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ (٥٠: ٣٥) و لَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُى أَنْفُسُكُمْ و لَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ. نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ (٤١: ٣٢) ﴿ذَلِكَ﴾ العظيم من رحمت الله عطاءً غير مجذوذ ﴿هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ إذ يزيد على الصالحات دون نهاية طولا، و دون مماثلة عرضا ربنا عاملنا بفضلك و لا تعاملنا بعدلك.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤٨٦

٢٣ / ٤٢

٢٣- ﴿ذَلِكَ﴾ الفضل الكبير هو ﴿الَّذِي يَبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ لإيمانهم، بذلك البشير النذير، على تحمله كافة المتاعب و المشاغب في سفرته الرسولية الطويلة المعرقة، و مع ذلك ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا﴾ باستثناء منقطع ﴿الْمُودَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ فإنها ليست أجرا، بل هي تقربكم إلى علم الرسول و رسالته، فإن القربى الرساليين المحمديين هم أبواب مدينة علم الرسول (ص): ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرِ فَهَوَ لَكُمْ﴾ (٣٤: ٤٧) و ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ (٢٥: ٥٧) ﴿وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَدَدْ لَهُ فِيهَا حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾.

٢٤ / ٤٢

٢٤- أ يقولون كذب الله في "الْمُودَّةَ فِي الْقُرْبَى" أم و سواها ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى﴾ هكذا ﴿عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ و ذلك مستحيل بجنب الله، بعد ثابت الرسالة من الله ﴿فَإِنْ يَشَأْ اللَّهُ﴾ لو افترت على الله ﴿يَخْتِمُ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ. لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ. ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ (٦٩: ٤٦) ﴿وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ﴾ و لو كان من رسوله ﴿وَيَحِقُّ الْحَقُّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ الدالات على الحق و الباطل ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ في حق أو باطل.

٢٥ / ٤٢

٢٥- ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ إذا تابوا إليه حقا ﴿وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ مهما كانت دون توبة: "إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا" (٤: ٣١) ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ أيا كان.

٢٦ / ٤٢

٢٦- ﴿وَيَسْتَجِيبُ﴾ الله ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ قدر كفرهم.

٢٧ / ٤٢

٢٧- ﴿وَلَوْ﴾ مستحيلا في الحكمة ﴿بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ﴾ كما يشاءون ﴿لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ﴾ أكثر مما يرغبون، و حتى الصالحين فضلا عن الطالحين ﴿وَلَكِنْ يَنْزِلُ بِقَدَرٍ﴾ في حكمته ﴿مَا يَشَاءُ﴾ ه ﴿إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ﴾ بغيهم ببسط رزقهم ﴿بَصِيرٌ﴾ بما يفعلون.

٢٨- ﴿وَهُوَ الَّذِي يَنْزِلُ الْغَيْثَ﴾ المطر المغيث عن جذب ﴿مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا﴾ من ماء ﴿وَيَنْشُرُ﴾ بغيثه ﴿رَحْمَتَهُ﴾ تروية و إنباتا ﴿وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ فى ولايته.

٢٩- ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ لربانيته الوحيدة، غير الوهيدة ﴿خُلِقُ﴾ هـ ﴿السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ بما خلق كل دابة ﴿وَمَا بَثَّ﴾ فرق ﴿فِيهِمَا﴾ أرضا و سماء ﴿مِنْ دَابَّةٍ﴾ مما يدل على أن فى السماوات دوابا كما فى الأرض، و لا تعنى "دَابَّةٌ" هنا الملائكة، و لمكان "بَثَّ" مما تدل على المسانخة، و كون دواب فى السماوات دليل كون الماء و الكلاء فيها، ثم ﴿وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ دليل على وجود دواب عاقلة فى السماء كما فى الأرض لمكان "هم" الخاصة بذوى العقول، و "جمعهم" بعد البث دليل جمع بين عقلاء من الأرض و السماء مستقبلا، لمكان "إذا يشاء" تسافرا بين الأرض و السماء، و أيهما أضر؟ لا ندرى، و لما يصل إليه العلم حتى الآن على سيره السريع.

٣٠- ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ﴾ فى أنفسكم و أموالكم ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ نفسا مصابة "جَزَاءً وَفَاقًا" أو أنفس آخرين تعديا على غيرهم ﴿وَيَعْفُوا﴾ الله ﴿عَنْ كَثِيرٍ﴾ من مكاسبكم سوء.

٣١- ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ الله ﴿فِي الْأَرْضِ وَ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ يلى أمركم ﴿وَلَا نَصِيرٌ﴾ ينصركم.
البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤٨٧

٣٢- ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ السفن و الزوارق ﴿الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ "وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ" (٢٤: ٥٥) مما يلمح إلى عمومية الجوار الصناعية قديما و حديثا، و بخصوص الجوار الجارية بالريح:

٣٣- ﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلِلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ﴾ و فى غيرها يسكن غيرها ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ﴾ على الابتلاء ﴿شَكُورٍ﴾ على البلاء و النعماء.

٣٤- ﴿أَوْ يُوقِنُ﴾ إهلاكا مها كانت تجرى بطاقات أخرى ﴿بِمَا كَسَبُوا﴾ استحقاقا هنا ﴿وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ﴾ مما كسبوا، و عن كثير منهم هنا.

٣٥- ﴿وَيَعْلَمَ﴾ الله علامة، من العلم، لا العلم ﴿الَّذِينَ يَجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ بإيائهم بما كسبوا أنه ﴿مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ﴾ عن إيباق الله.

٣٦- ﴿فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ استغراقا لكل شىء ﴿ف﴾ هى ﴿مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ تتمتعون بها فيها متعة و حظوة، و تشترون بها الحياة الأخرى، و متعتها الثانية هى عند الله ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ﴾ من متعة الدنيا ﴿وَأَبْقَى﴾ منها، فقدموا من دنياكم

لأخراكم ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ في هذه المتع، حتى تقدم لأخرى "وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ" (١٣: ٢٦) يشتري بها الأخرى، و هي خير و أبقى "لِلَّذِينَ آمَنُوا".

٣٧ / ٤٢

٣٧- ﴿وَلِلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ﴾ مهما عرضهم لهم صغائر: "إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ" (٤: ٣١) ﴿وَالْفَوَاحِشَ﴾ و هي متجاوزة الكبائر ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ غضبهم "وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ" (٣: ١١٤).

٣٨ / ٤٢

٣٨- ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾ على أية حال، بعد ما مضى من إيمان و توكل و اجتناب: "الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ" (٣: ١٧٢) لا فقط في غيره ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ بصلات عريقة بينهم و بين ربهم ﴿وَأَمْرُهُمْ﴾ الإمر، حكما أو موضوعيا لا يتبين لأشخاصهم من الكتاب و السنة ﴿شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ بين أهليه الخصوص، الصالحين لحل العقد، حتى تستحكم عرى آراءهم، و تقل أخطاءهم، لا سيما في تغيب العصمة الطاهرة ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ نفسا و نفيسا يصح إنفاقه ﴿يَنْفِقُونَ﴾ في سبيل الله، و منها "شُورَىٰ بَيْنَهُمْ" فالشورى الصالحة بين أهلها، هي مما يسد كافة الثغور و الأخطاء إلا ما يختص بالعصمة الربانية، الخاصة بالمعصومين.

٣٩ / ٤٢

٣٩- ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ﴾ من أى باغ ﴿هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾ دون تخاذل أمام الباغي.

٤٠ / ٤٢

٤٠- ﴿وَلِكُضَابطةِ أولية﴾ جزاء سيئة ﴿من مسيء عليكم﴾ سيئة مثلها فمن عفا عنها ﴿وَأَصْلَحَ﴾ بعفوه ﴿فَاجِرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ راحة أو فرضا في عفوه حسب مختلف الحالات ﴿إِنَّهُ لَا يَحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ المجازين بأكثر من سيئة، و العافين دون إصلاح، فضلا عن إفساد بانظلامهم، أن يعتدى المسيء أكثر أو يبقى على إساءته، فإنه نصرة للظالمين.

٤١ / ٤٢

٤١- ﴿وَلَمَنْ ائْتَصَرَ﴾ من ناصرين ﴿بَعْدَ ظُلْمِهِ﴾ الذى ظلم به ﴿فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ﴾ مهما كان هناك سبيل للعفو غير مفروض.

٤٢ / ٤٢

٤٢- ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ﴾ أشخاصا و جماعات ﴿وَيَعْنُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ ظلما و بغيا بغير الحق، دون اعتداء بالمثل، فأولئك عليهم سبيل لدفعهم عن ظلمهم و بغيهم، و ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ فى الدنيا و الآخرة.

٤٣ / ٤٢

٤٣- ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ﴾ على سوء ﴿وَوَفَّرَ﴾ عنه، كضابطة إلا فى غير إصلاح، فضلا عن إفساد بصره و غفره ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ و تصميمها، فإنهما إصلاح لما فسد.

٤٤ / ٤٢

٤٤- ﴿وَمَنْ يَضِلَّ﴾ ه الله بما ضل بنفسه ﴿فَمَا لَهُ مِنْ وَلىٍّ مِنْ بَعْدِهِ وَ تَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ﴾ ألا نعدب فنجبر ظلمنا: "رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ.." (٣٥: ٣٧).

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤٨٨

٤٥- ﴿وَتَرَاهُمْ﴾ يومئذ ﴿يَعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ عرض النار على النار فى دار القرار، حالكونهم ﴿خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ﴾ أمام العدل الجبار ﴿يَنْظُرُونَ﴾ إليها و إلى المحشر المعشر ﴿مِنْ طَرَفٍ خَفَى﴾ إذ لا يستطيعون إحداقا بأبصارهم إلى النار ﴿وَقَالَ﴾ حينئذ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يوم الدنيا ﴿إِنَّ الْخَاسِرِينَ﴾ هم ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَ أَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أنفسهم بإخسارهم، و أهليهم إذ أخسروهم، أو افتقدوهم لأنهم لم يتابعوهم ﴿أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ ككل، مضلين و مضلين، هم ﴿فِي عَذَابٍ﴾ هنا ﴿مُقِيمٍ﴾ ما قام استحقاقهم لعذاب، ثم لا نار و لا أهل نار.

٤٦- ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ﴾ هناك أبدا، أحد ﴿مِنْ أَوْلِيَاءٍ﴾ يزعمونهم أولياء ﴿يَنْصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ و الله لا ينصرهم ﴿وَمَا مِنْ يَضِلُّ﴾ هـ ﴿اللَّهُ﴾ بما ضل، يوم الدنيا ضلالا و فى الأخرى عذابا ﴿فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ﴾ إلى هدى.

٤٧- ﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ﴾ إجابة لنداء الإيمان و عمل الصالحات، و إجابة لدعاء و التوبة إليه ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ﴾ لكم ﴿يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ برزخا و قيامة ﴿مَا لَكُمْ مِنْ مَلَجٍ يَوْمَئِذٍ﴾ تلجئون إليه من بأس الله ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ﴾ ينكر أو يستنكر عذابكم "يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ" (١١: ١٠٥).

٤٨- ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ عن الحق، بعد تلکم الذكريات البالغة الحالقة ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ تحفظهم عن الضلال تسييرا، بعد إذ تركوا إجابة الحق باختيارهم ﴿إِنْ عَلَيْكَ﴾ فى رسالتك ﴿إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ لا سواه من غير أصل الرسالة ﴿وَأِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ بطبيعة حاله ﴿مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا﴾ و ظن أنه منه أو يستحقه ﴿وَأِنْ تُصِيبْهُمْ﴾ حالة ﴿سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ﴾ هذا ﴿الْإِنْسَانَ كَفُورٌ﴾ كفرا أو كفرانا، بنعمته السابقة.

٤٩- ﴿لِلَّهِ﴾ لا سواه ﴿مُلْكٌ﴾ فملك ﴿السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ و هما الكون كله، فلا نفاذ لنعمته و وهبته ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ حسب رحمته و حكمته العالية، و من ذلك أنه ﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ مواليد ﴿إِنَّا وَ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ أخرى ﴿الذُّكُورَ﴾.

٥٠- ﴿أَوْ يَزَوْجَهُمْ﴾ أن يهبهما لهم ﴿ذُكْرَانًا وَ إِنَاثًا﴾ ثم لا ثالث فى وهبته أولادا كالخنثى، فإنهن بين ذكور و إناث قد يعرف أحدهما بالعمليات الجراحية، و إنما الثالث ﴿وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا﴾ كأصل، إذ قد يكون عقم مؤقت يزول بعد فترة طويلة أو قصيرة ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ﴾ بالمصالح ﴿قَدِيرٌ﴾ عليها.

٥١- ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾ منذ أعماق الماضى الرسالى و حتى القيامة الكبرى ﴿أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ﴾ معرفة بوحيه ﴿إِلَّا﴾ بإحدى ثلاث، أعلاهن ﴿وَحْيًا﴾ و رمزا خالصا عن أى حجاب، حتى حجاب اللفظ و الشجرة و النوم و ملك الوحي، كما حصل لمحمد (ص) ليلة القدر و ليلة المعراج: "فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى" (٥٣: ١٠) ثم ﴿أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ خلقى، فإن ذاته تعالى محجوبة عن غيره، لن يرتفع، ثم لذلك الحجاب درجات عددها و هى لسائر الرسل ككل، و لمحمد فى تفصيل الكتاب ﴿أَوْ يُرْسِلَ

رَسُولًا ﴿كَالْأَوَّلِ أَوْ الثَّانِي﴾ ﴿فَيُوحَى﴾ إِلَيْهِ وَحْيًا خَالصًا أَوْ بِحِجَابٍ ﴿يَاذُنْهُ﴾ دُونَ تَسْيِيرٍ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ ﴿مَا يَشَاءُ﴾ أَنْ يُوحِيَهُ ﴿إِنَّهُ عَلَى﴾ عَنِ أَنْ يَكْلِمَ الْبَشَرَ إِلَّا بِهَذِهِ الثَّلَاثِ ﴿حَكِيمٌ﴾ يُوحَى بِكُلِّ حِكْمَةٍ صَالِحَةٍ، دُونَ فَوْضَى جَزَافٍ.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤٨٩

٥٢ / ٤٢

٥٢- ﴿وَكَذَلِكَ﴾ الْوَحْيُ الْخَالِصُ أَحْيَانًا، وَبِحِجَابٍ أَيْ كَانَ، كَأَفْضَلِ وَحْيٍ قَدْ يَعتَبَرُ غَيْرُهُ وَصِيَّةٌ كَمَا مَضَى ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ يَا صَاحِبَ الرِّسَالَةِ الْعَظْمَى ﴿رُوحًا﴾ هُوَ ﴿مِنْ أَمْرِنَا﴾ حَيْثُ خَلَقْنَاهُ، مِنْ رُوحِ الْعِصْمَةِ الْعَلِيَا، وَرُوحِ الْقُرْآنِ، بِرُوحِ الْقُدُسِ "قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا" (١٦: ١٠٢) ﴿مَا كُنْتُ﴾ قَبْلَ ذَلِكَ الْإِيحَاءِ الْأَعْلَى ﴿تَدْرِي﴾ بِنَفْسِكَ وَ سِوَاهَا ﴿مَا﴾ هَذَا ﴿الْكِتَابُ﴾ النَّازِلُ بِوَحْيِهِ ﴿وَلَا﴾ هَذَا ﴿الْإِيمَانُ﴾ عَلَى ضَوْءِهِ، فَوَحَى الْقُرْآنُ وَ وَحَى ذَلِكَ الْإِيمَانُ، مَا كَانَ يَدْرِيهمَا قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَهُمَا عَلَيْهِ، فَمَا كُنْتُ تَعَلَّمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا" (١١: ٤٩) "وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ" (٤: ١١٣) "وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ" (٢٩: ٤٨) مَهْمَا كَانَ قَبْلَهُ أَفْضَلُ مِنْ كَافَّةِ الْخَلْقِ إِيْمَانًا وَ عَمَلًا صَالِحًا ﴿وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ﴾ "رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا" ﴿نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ بِذَلِكَ الرُّوحِ، وَ أَنْتَ فِي الْقِمَّةِ الْعَلِيَا فِيهِ، لِحَدِّ ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي﴾ بِهِ ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ إِذْ إِنَّكَ لَمِنْ الْمُرْسَلِينَ. عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ" (٣٦: ٣).

٥٣ / ٤٢

٥٣- وَ هُوَ ﴿صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ حَيْثُ أَوْحَاهُ إِلَيْكَ، دُونَ صِرَاطِهِ الْخَاصِّ بِهِ رَبًّا: "وَمَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ" (١١: ٥٦) ﴿أَلَا إِلَى اللَّهِ﴾ لَا سِوَاهُ ﴿تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ فِي مَسِيرِهَا كَكُلِّ. سورة الزخرف

١ / ٤٣

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. حم﴾ رَابِعَةُ الْحَوَامِيمِ السَّبْعِ.

٢ / ٤٣

٢- ﴿وَ﴾ قِسْمًا بِـ ﴿الْكِتَابِ﴾ كُلِّهِ وَ هُوَ الْقُرْآنُ لِأَنَّهُ كَتَبَ الْوَحْيَ وَ زِيَادَهُ ﴿الْمُبِينِ﴾ كُلَّمَا هُوَ غَيْرُ بَيْنٍ، وَ "الْكِتَابِ" هُنَا هُوَ كُلُّ كَتَبِهِ اللَّهُ بِصُورَةٍ مُحْكَمَةٍ، أَعْلَاهُ أَمُّ الْكِتَابِ، ثُمَّ مَا أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَى قَلْبِ الرَّسُولِ (ص) لَيْلَةَ الْقَدْرِ، وَ مِنْ ثَمَّ هَذَا الْقُرْآنُ الْمَفْصَلُ، وَ هَكَذَا:

٣ / ٤٣

٣- ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا﴾ يَقْرَأُ وَ لَمْ يَكُنْ يَقْرَأُ ﴿عَرَبِيًّا﴾ وَاضِحًا لِمَنْ يَسْتَقْرَأُ أَوْ يَقْرَأُ وَ لَمْ يَكُنْ عَرَبِيًّا وَ لَا بِأَيَّةِ لُغَةٍ ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ إِيَّاهُ وَ لَمْ يَكُنْ قَبْلَهُ يَعْقِلُ لَكُمْ، مَهْمَا كَانَ فِي الْمَرَحَلَةِ الثَّانِيَةِ مَعْقُولًا لِلرَّسُولِ، أَوْ لَمْ يَكُنْ كَمَا فِي الْأُولَى.

٤ / ٤٣

٤- ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ﴾ عِنْدَ اللَّهِ قَبْلَ نَزْوِلِهِ ﴿لَدَيْنَا﴾ فَقَطْ ﴿لَعَلِّي﴾ عَنِ أَنْ تَنَالَهُ الْأَفْهَامُ كَكُلِّ ﴿حَكِيمٌ﴾ دُونَ تَفْصِيلٍ: كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ" (١١: ١).

٥ / ٤٣

٥- ﴿أَفَنَضْرِبُ﴾ إِعْرَاضًا ﴿عَنْكُمُ الذِّكْرَ﴾ وَ هُوَ الْقُرْآنُ الْمَفْصَلُ وَ هُوَ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴿صَفْحًا﴾ بِصَفْحَةٍ وَجْهَ التَّذْكِيرِ بِهِ لـ ﴿أَنْ﴾ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ ﴿فِي تَكْذِيبِهِ، فَيَرْفَعُ - إِذَا - التَّكْلِيفَ بِهِ.

٦ / ٤٣

٦- ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ رَفَعَهُ فِي رَسُولَاتِهِ﴾ ﴿فِي الْأَوَّلِينَ﴾ وَ هُمْ كَافَّةُ الْمَكْلُفِينَ قَبْلَكُمْ.

٧ / ٤٣

٧- ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ يَذْكَرُهُمْ بِذِكْرِ يَأْتِيهِمْ﴾ ﴿إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾.

٨ / ٤٣

٨- ﴿فَأَهْلَكْنَا﴾ مِنْ هُمْ أُولَئِكَ ﴿أَشَدَّ مِنْهُمْ﴾ ﴿أُولَاءِ﴾ ﴿بَطْشًا﴾ حَمَلَةٌ مُسْتَهْزِئَةٌ بِهِمْ ﴿وَمَضَى﴾ غَابِرًا ﴿مَثَلُ﴾ مُشَابِهٌ هَؤُلَاءِ ﴿الْأَوَّلِينَ﴾ نُمُودَجًا بَاهِرًا لِعَذَابِهِمْ: "وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ قَبْعِدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ" (٤٤: ٢٣).

٩ / ٤٣

٩- ﴿وَلَيْنُ سَأَلْتَهُمْ﴾ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ ﴿مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ﴾ اللَّهُ ﴿الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ حَيْثُ الْعِزَّةُ وَالْعِلْمُ الطَّلِيقَانِ ظَاهِرَانِ فِيهِمَا.

١٠ / ٤٣

١٠- ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾ وَ مَهَادًا بَعْدَ اضْطِرَابِهَا، وَ "ذُلُولًا" بَعْدَ شِمَاسِهَا، وَ "كِفَاتًا" سَرِيعَةُ الطَّيْرَانِ عَلَى ظَاهِرِ سَكُونِهَا، وَ هِيَ "رَاجِفَةٌ" بِمَخْتَلَفِ حَرَكَاتِهَا ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ لِلْمَشْيِ عَلَيْهَا وَ الْعِيشَةِ فِيهَا ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ إِلَى اللَّهِ.
البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤٩٠

١١ / ٤٣

١١- ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ﴾ تَدْرِيجًا لِأَوْقَاتِهِ الصَّالِحَةِ ﴿مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدِرُ﴾ هُوَ مِنْ أَبْخَرَةِ أَرْضِيَّةٍ ﴿فَنَاشَرْنَا بِهِ﴾ بَعْدَ سَكُونِ ﴿بَلَدَةٍ﴾ مَيِّتَةٍ قَاحِلَةٌ دُونَ نَبَاتٍ ﴿كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ بَعْدَ مَيِّتِكُمْ بِإِنْزَالِ مِيَاهِ الْأَرْوَاحِ بِتَسْوِيَةِ أَيْدَانِكُمْ خَلْقًا أَمْثَالِهَا.

١٢ / ٤٣

١٢- ﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ﴾ الْمَرْكَبَاتِ ﴿كُلَّهَا﴾ وَ الْخَلْقَ كُلَّهُ أَزْوَاجًا: "وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ" (٥١: ٤٩) "سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَ مِمَّا لَا يَعْلَمُونَ" (٣٦: ٣٦) ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفُلْكِ﴾ كِبْعُضٌ أَوْ جَنْسُهُ ﴿وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ﴾ وَ هُنَاكَ غَيْرُهُمَا مِنْ مَرْكُوبٍ تَعْلَمُونَ "وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ" (١٦: ٨).

١٣ / ٤٣

١٣- ﴿لَتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ﴾ الْمَجْعُولِ لِإِسْتَوَاءِكُمْ أَيَا كَانَ، مِمَّا ذَكَرَ أَوْ لَمْ يَذْكَرْ، مَهْمَا كَانَتِ الْمَرْكَبَاتُ الصَّنَاعِيَّةُ جَوِيَّةً وَ بَرِيَّةً وَ بَحْرِيَّةً ﴿ثُمَّ تَذَكَّرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ﴾ عَلَيْكُمْ ﴿إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ﴾ أَيَا كَانَ ﴿وَتَقُولُوا سُبْحَانَ﴾ اللَّهِ ﴿الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا﴾ خَلْقِيَا أَوْ صَنَاعِيَا ﴿وَمَا كُنَّا﴾ بِأَنْفُسِنَا ﴿لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ لِأَنْفُسِنَا.

١٤ / ٤٣

١٤- ﴿وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَا سَوَاءَ﴾ ﴿لِمُنْقَلِبُونَ﴾ مِنْ سَوَاءٍ.

١٥ / ٤٣

١٥- ﴿وَهُمْ﴾ هُمُ الْمُنْعَمُ عَلَيْهِمْ هَكَذَا ﴿جَعَلُوا لَهُ﴾ تَعَالَى ﴿مِنْ عِبَادِهِ﴾ بَعْضًا يَعْبُدُونَهُمْ ﴿جُزْءٌ﴾: "وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَ خَلَقَهُمْ وَ خَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَ بَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ" (٦: ١٠٠) بَنِينَ كَالْمَسِيحِ (ع) وَ الْجِنَّ، وَ بَنَاتٍ كَالْمَلَائِكَةِ، كَأَنَّهُمْ مُوَالِيدُ اللَّهِ وَ أَجْزَاءُ مِنْهُ ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ﴾ بِاللَّهِ كَفَرًا وَ كُفْرَانًا ﴿مُبِينٌ﴾ إِيَّاهُمَا عَقِيدَةً وَ عَمَلًا.

١٦ / ٤٣

١٦- أَتَخَذَ مِنْهُ عَبْدًا لِنَفْسِهِ ﴿أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ﴾ ه ﴿بَنَاتٍ﴾ آلِهَةً ﴿وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ﴾ وَ أَنْتُمْ تَفْضَلُونَهُمْ عَلَيْهِمْ، لِحَدِّ:

١٧ / ٤٣

١٧- ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ﴾ الْخَالِقِ بِرَحْمَتِهِ ﴿مَثَلًا﴾ مِنْ بَنَاتٍ ﴿ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾ "مِنْ سُوءٍ مَا بُشِّرَ بِهِ" (٥٨: ١٦) ﴿وَ﴾ الْحَالُ أَنَّهُ ﴿هُوَ كَظِيمٌ﴾ يَكْظُمُ غَيْظَهُ حَتَّى لَا يَعْرِفَ مَا ذَا يَرِيدُ مِنْ دَسِّهِ فِي التَّرَابِ.

١٨ / ٤٣

١٨- وَ بِمَا هُنَا مَفَارِقَاتُ بَيْنِ الْبَنِينَ وَ الْبَنَاتِ وَ أَنَّهُنَّ أَوْعَفُ مِنْهُنَّ، فَمِنْهَا ﴿أَوْ مَنْ يَنْشَأُ فِي الْحِلْيَةِ﴾ تَرْبِيًّا فِي الزَّيْنَةِ وَ اللَّيُونَةِ وَ الرَّعُونَةِ، دُونَ بَطُولَةِ وَ اللَّهِ هُوَ الْعَزِيزُ ﴿وَ هُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ نَفْسُهُ، حِفَظًا عَلَى عَفَافٍ، وَ ضَعْفًا عَنْ إِبَانَةِ فِي الْخِصَامِ، فَكَيْفَ تَفْضَلُونَ لِلَّهِ بَنَاتٍ تَرْتَدِّلُونَهُنَّ عِنْدَكُمْ أَوْ هُنَّ أَوْعَفُ مِنَ الْبَنِينَ.

١٩ / ٤٣

١٩- ﴿وَ جَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾ الْخَالِقِ إِيَّاهُمْ ﴿إِنَّا أَنْ شَهِدُوا خَلْقَهُمْ﴾ أَنْ خَلَقُوا إِنَّا، كَلَّا، فَكَيْفَ يَشْهَدُونَ كَذِبًا وَ افْتِرَاءً وَ هُمْ لَا ذَكَورَ وَ لَا إِنَاثَ ﴿سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ﴾ الزُّورُ ﴿وَ يَسْتَلُونَ﴾ عَنْهَا يَوْمَ ظَهَرَ كِتَابُهُ وَ سَوَّالُهُ.

٢٠ / ٤٣

٢٠- ﴿وَ قَالُوا﴾ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ ﴿لَوْ﴾ مُسْتَحِيلًا ﴿شَاءَ الرَّحْمَنُ﴾ الْخَالِقُ إِيَّاهُمْ ﴿مَا عَبَدْنَاهُمْ﴾ خَلَطًا لِمَشِيئَةِ تَشْرِيعِيَّةٍ إِلَى مَشِيئَةِ تَكْوِينِيَّةٍ، فَتَرَكَ عِبَادَتَهُ، ثُمَّ عِبَادَتَهُمْ، هُمَا مِنْ مَشِيئَتِهِ، فَالْمُوحِدُونَ يَخَالِفُونَ - إِذَا - مَشِيئَتَهُ ﴿مَا لَهُمْ بِذَلِكَ﴾ الْقَوْلُ الْغَوْلُ، شَيْءٌ ﴿مِنْ عِلْمٍ﴾ بَلْ جَهْلٌ عَلَى جَهْلٍ قُصُورًا عَلَى تَقْصِيرٍ ﴿إِنْ هُمْ﴾ فِي تَقْوَلِهِمْ ﴿إِلَّا﴾ أَنَّهُمْ ﴿يَخْرُصُونَ﴾ كَذِبًا بِمَا لَا يَعْلَمُونَ: "قَتَلَ الْخَرَّاصُونَ. الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ" (٥١: ١١).

٢١ / ٤٣

٢١- أَمْ تَدْلِهِمْ فِطْرَهُمْ وَ عَقُولَهُمْ أَوْ وَحَى إِلَيْهِمْ عَلَى مَا يَقُولُونَ ﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ﴾ بَرَسْلَ ﴿كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ﴾: الْقُرْآنَ وَ مِثْلَهُ ﴿فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ﴾ كَلَّا، فَلَا حُجَّةَ لَهُمْ إِلَّا لُجَّةٌ:

٢٢ / ٤٣

٢٢- ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا﴾ الْقَدَامَى ﴿عَلَى أُمَّةٍ﴾ بِقَصْدٍ وَاحِدٍ فِي الْإِشْرَاقِ ﴿وَ إِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ﴾ الْإِشْرَاقِيَّةِ ﴿مُهْتَدُونَ﴾ إِلَى مَا نَحْنُ عَلَيْهِ.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤٩١

٢٣ / ٤٣

٢٣- ﴿وَ كَذَلِكَ﴾ الْعَمِيمُ لِكُفْرِ التَّصْمِيمِ ﴿مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ﴾ مَجْتَمَعٍ، أَحَدًا ﴿مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا﴾ بِتَرْفٍ مِنَ الْقُوَّةِ وَ الْمَالِ فِي أَى طَرَفٍ ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ﴾ ذَاتَ قَصْدٍ وَ طَرَفٍ وَاحِدٍ مُتَطَرِّفٍ فِي الْإِشْرَاقِ ﴿وَ إِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ كَلِمَةً مَائِلَةً غَائِلَةً، وَاحِدَةً عَلَى طَوْلِ زَمَنِ الْإِشْرَاقِ دُونَ أَى دَلِيلٍ.

٢٤ / ٤٣

٢٤- ﴿قَالَ﴾ لَوْ كَانَ أُمَّةٌ آبَاءُكُمْ بَاطِلَةٌ ﴿أَوْ لَوْ جِئْتُمْكُمْ﴾ أَنَا ﴿بَاهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ﴾ وَ لَوْ كَانُوا هُمْ عَلَى هَدًى ﴿قَالُوا﴾ كَلِمَةً وَاحِدَةً آخِرَةً ﴿إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ عَلَى أَيْةٍ حَالٍ وَ لَوْ كَانَتْ هَدًى أَوْ أَهْدَى.

٢٥ / ٤٣

٢٥- و حينئذ، وقد تعنتوا في عنادهم ﴿فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ هنا قبل الموت ﴿فَانْظُرْ﴾ إلى ما هنا وهناك، ترى ﴿كَيْفَ كَانَ﴾ حياة ﴿عَاقِبَةُ﴾ لـ ﴿الْمُكَذِّبِينَ﴾.

٢٦ / ٤٣

٢٦- ﴿وَ﴾ اذكروا نظر ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ﴾ في التربية و هو عمه دون والده ﴿وَ﴾ لـ ﴿قَوْمِهِ إِنِّي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ عبادتكم و معبوديكم لمصدرية "ما" موصوليته.

٢٧ / ٤٣

٢٧- ﴿إِلَّا﴾ الله، المعبود بحق سواء عبدتموه بين معبوديكم فاستثناء متصل، أم لم تعبدوه أبداً فمقطوع ﴿الَّذِي فَطَرَنِي﴾ بفطرة التوحيد، و خلقني شقاً عن والدي و عن .. ﴿فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ أى و لو أن لتقليد الآباء- مقلدين أو مقلدين- اعتباراً، فلما ذا ترك إبراهيم أباه، و تركتم أنتم إبراهيم و هو من أفضل الآباء القدامى.

٢٨ / ٤٣

٢٨- ﴿وَ جَعَلَهَا﴾ الهدى التوحيدية، "الَّذِي فَطَرَنِي" و إبراهيم فهو نفسه ﴿كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ إلى يوم القيامة ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ إليهما، دون أمة الشرك: "و وصى بها إبراهيم بنيه و يعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا و أنتم مسلمون" (٢: ١٣٢) كما "و اجنبنى و بنى أن نعبد الأصنام" (١٤: ٣٥) مما يدل على أن المعنيين هما معنيان، جعلاً من الله و من إبراهيم: "ربنا و اجعلنا مسلمين لك و من ذريتنا أمة مسلمة لك" (٢: ١٢٨).

٢٩ / ٤٣

٢٩- ﴿بَلْ﴾ لذلك جعل الربانى و الرسولى- كضابطة- ﴿مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ﴾ المشركين ﴿وَ أَبَاءَهُمْ﴾ بمتاع الحياة الدنيا ﴿حَتَّى﴾ جاءهم الحق ﴿كَلِمَةً تَوْحِيدِيَّةً﴾ ﴿وَ رَسُولٌ مُبِينٌ﴾ رسالته و كلمة الحق، بعد إبراهيم حتى محمد صلى الله عليه و آله و هو أبين من الكل.

٣٠ / ٤٣

٣٠- ﴿وَ لَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾ كله، بكل براهينه ﴿قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَ إِنَّا بِهِ كَافِرُونَ﴾ دون حجة إلا فى لجة، و لا يعقل سحر فى حقل العلم مهما حصل فى مبصرات.

٣١ / ٤٣

٣١- ﴿وَ قَالُوا﴾ فيما غالوا، إبطالا لهذا الحق الأخير ﴿لَوْ لَا نَزَلَ هَذَا الْقُرْآنُ﴾ وحيا ﴿عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ قوة و مالا، و لا مدخل لهما بقوة الحال و هى الرحمة حقها.

٣٢ / ٤٣

٣٢- ﴿أَهُمْ﴾ أولاء الحماقى الأنكاد ﴿يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ رحمة تربوية رسالية، حتى يختصوها بمن له رحمة متع الدنيا، حال أننا ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فضلا عن الحياة العليا ﴿وَ رَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ فى رحماننا المتدرجة حسب الحكم العالية، دون مجرد التطلبات و المحاولات ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًا﴾ فى تسخيرات، مادية و معنوية ﴿وَ رَحِمْتَ رَبِّكَ﴾ التربية العالية ﴿خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ لو كان فيه خير، إذا جمعوه للحق، فضلا عن الباطل.

٣٣ / ٤٣

٣٣- ﴿وَ﴾ هذه الخيرية لرحمة ربك، هي بحدّ ﴿لَوْ لَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ في سنة الله، سعيًا وراء حاجيات الحياة فحصولًا عليها، و لو لا أن يكونوا أمة واحدة ضلّالًا لو اختصت ثرواتها بالكفار لدناءتها ﴿لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ﴾ ككل، دون المؤمنين ﴿لَيُؤْتِيَهُمْ سُقْفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ أرضية و جوية.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤٩٢

٣٤ / ٤٢

٣٤- ﴿وَ﴾ جعلنا ﴿لَيُؤْتِيَهُمْ أَبْوَابًا﴾ عالية غالية ﴿وَ سُرُرًا﴾ تسرههم ﴿عَلَيْهَا يَتَكُونُونَ﴾ مما يدل على أن الاتكاء على السرر مرغوب لراحة.

٣٥ / ٤٣

٣٥- ﴿وَ زُخْرَفًا﴾ ككل زخارف و زين الدنيا ﴿وَ إِن﴾ مؤكدا ﴿كُلِّ ذَلِكَ﴾ من زخرف ﴿لَمَّا﴾ إلا، أو حتى الأخرى، هي ﴿مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أن يشتري بها الآخرة ما دامت الدنيا ﴿وَ﴾ الحياة ﴿الْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ هي فقط ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ اتقاء عن زخرفات الحياة الدنيا، عن الإخلاد إليها، تمتعًا بها للأخرى.

٣٦ / ٤٣

٣٦- ﴿وَ مَنْ يَعِشْ﴾ عشوا و عمى في بصره و بصيرته ﴿عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ﴾ و هو كل ما يذكره الرحمن و أفضله القرآن ﴿نُقِيعٌ لَهُ شَيْطَانًا﴾ آخر إضافة إلى شيطانه في نفسه ﴿فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾: " و قِيضْنَا لَهُمْ قُرْنَاءَ فَرَيْنَا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَ مَا خَلْفَهُمْ " (٤١: ٢٥) و التقييض هو الإرسال مسيطرا: "أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَّضَعُوا لَهَا" (١٩: ٨٣) "وَ إِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْعَى ثُمَّ لَا يَقْصِرُونَ" (٧: ٢٠٢).

٣٧ / ٤٣

٣٧- ﴿وَ إِنَّهُمْ﴾ الشياطين ﴿لَيَصُدُّونَهُمْ﴾ هؤلاء الناس النسناس ﴿عَنِ السَّبِيلِ﴾ الرباني ﴿وَ يَحْسُبُونَ﴾ أنفسهم في ذلك الانصداد ﴿أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾: " وَ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ " (٢٧: ٢٤) .. وَ كَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ " (٣٨: ٢٩) وَ هُمْ يَحْسُبُونَ أَنَّهُمْ يَحْسِنُونَ صُنْعًا " (١٨: ١٠٤).

٣٨ / ٤٣

٣٨- ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا﴾ بعد موته ﴿قَالَ﴾ لشيطانه ﴿يَا لَيْتَ بَيْنِي وَ بَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ﴾ و هما: المشرق و المغرب ﴿فَيَبْسُ الْقَرِينُ﴾ هنا و يوم الدين.

٣٩ / ٤٣

٣٩- ﴿وَ لَنْ يَنْفَعَكُمْ﴾ شيء ﴿الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ قبل اليوم "لَنْ يَنْفَعَكُمْ" تأوّهكم، و لا ﴿أَنْتُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ حظوة لكم بعذابهم معكم، فإن لكل عذابا حسب كفره.

٤٠ / ٤٣

٤٠- ﴿أَفَأَنْتَ﴾ يا محمد ﴿تُسْمِعُ الصَّمَّ﴾ في أذانهم إنسانية و قد تركوها ﴿أَوْ تَهْدِي الْعُمَى﴾ في إنسانية أبصارهم و بصائرهم ﴿وَ﴾ بصورة عامة تسمع و تهدي ﴿مَنْ كَانَ﴾ منذ زمن بعيد، غارقا ﴿فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ ضلاله بعناده فيه: "إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَ لَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ" (٢٨: ٥٦) فلك فقط هداية الدلالة الرسولية، و لله إن شاء- إيصال إلى الهدى أو إبقاء على الردى "إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ" (١٦: ٣٧).

٤١ / ٤٣

٤١- ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ﴾ قطعاً لا مرد له "إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ" وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ" (١٠: ٤٦) أو ذهاب هجرتك من مكة المكرمة ﴿فَإِنَّا مِنْهُمْ﴾ بعدك ﴿مُتَّقِمُونَ﴾ هنا، مهما لم نريك الانتقام منهم.

٤٣ / ٤٢

٤٢- ﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ﴾ قطعاً ﴿الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ﴾ أيا كان و أيا، هنا و فى الأخرى ﴿فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ﴾ على أية حال، مما يدل على أنه (ص) يرى بما يريه الله الانتقام.

٤٣ / ٤٣

٤٣- ﴿فَاسْتَمْسِكْ﴾ طلباً للمسك عن كافة الأخطاء ﴿بِالَّذِي أَوْحَى إِلَيْكَ﴾ من القرآن، و على هامشه السنة ﴿إِنَّكَ﴾ إذا محيط ﴿عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ فالاستمسك بغير الوحي صراط غير مستقيم: "يس. و الْقُرْآنَ الْحَكِيمَ. إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ. عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ" (٣٦: ٤) "وَالَّذِينَ يَمْسُكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ" (٧: ١٧٠).

٤٣ / ٤٤

٤٤- ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَ سَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾.

٤٣ / ٤٥

٤٥- ﴿وَ سَأَلَ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾ برزخا و عن كتبهم ﴿أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾.

٤٣ / ٤٦

٤٦- ﴿وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا﴾ بصرية كما يجب ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَ مَلَأْنَاهُ﴾ الفرعونيين ﴿فَقَالَ﴾ لهم ﴿إِنِّى رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

٤٣ / ٤٧

٤٧- ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ﴾ استهزاء.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤٩٣

٤٣ / ٤٨

٤٨- ﴿وَ مَا نُرِيهِمْ﴾ الفرعونيين ﴿مِنْ آيَةٍ﴾ ربانية ﴿إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ﴾ دلالة و حجة ﴿مِنْ أُخْتِهَا﴾ فى آياتنا ﴿وَ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ﴾ هنا ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ إلى الله.

٤٣ / ٤٩

٤٩- ﴿وَ قَالُوا﴾ لموسى ﴿يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا﴾ لصالحنا ﴿رَبِّكَ﴾ لا رب العالمين، و ذلك فى خضمّ العذاب هنا بألوانه ﴿بِمَا عَاهَدَ عِنْدَكَ إِنَّا﴾ إذا ﴿لَمُهْتَدُونَ﴾ إلى ربك.

٤٣ / ٥٠

٥٠- ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ﴾ هذا ﴿الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ﴾ عهدهم "كانهم مهتدون".

٤٣ / ٥١

٥١- ﴿وَ نَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ﴾ و ملئه ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾ كلها ﴿وَ هَذِهِ الْأَنْهَارُ﴾ المدرار ﴿تَجْرَى مِنْ تَحْتِي﴾ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿إِلَى ملكى العظيم، فهل أنتم عمون.

٤٣ / ٥٢

٥٢- ء أنا الملك خير أم هذا الشعبى الضعيف ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ﴾ هونا و ضعفا ﴿وَلَا يَكَادُ يَبِينُ﴾ نفسه للآخرين من كثرة مهاتته شخصا و طائفة.

٥٣ / ٤٣

٥٣- ﴿فَلَوْ لَا أَلْقَى عَلَيْهِ﴾ لو كان رسولا ﴿أَسُورَةً مِنْ ذَهَبٍ﴾ من قبل ربه حتى لا يكون مهينا فى مال ﴿أَوْ﴾ لو لا ﴿جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾ معه شهودا لرسالته حتى لا يكون مهينا فى حاله.

٥٤ / ٤٣

٥٤- بهذه الحيل و الحبائل الفرعونية الخاوية الغاوية ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ﴾ طلبا لخفة فطرهم و عقولهم عن إدراك الحق ﴿فَاطَاعُوهُ﴾ بعد خفتهم ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ فى قبول استخفافه، و هو رأس الزاوية فى مسبع الشيطنة من: استخفاف و استعمار و استضعاف، فاستبداد و استكبار و استعمار و استثمار، و كما قال الشيطان "لَا خَتَنَكَ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا" (١٧: ٦٢).

٥٥ / ٤٣

٥٥- ﴿فَلَمَّا أَسْفُونَا﴾ أن عملوا ما يؤسف مهما لا يأسف ربنا بحقيقته ﴿انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ هنا ﴿فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ " .. فى اليم" (٧: ١٣٦) و حاق بال فرعون سوء العذاب. النار يعرضون عليها غدواً و عشياً و يوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب" (٤٠: ٤٦).

٥٦ / ٤٣

٥٦- ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا﴾ ماضيا فيه عبرة، سالفا سافلا ﴿وَمَثَلًا﴾ ماثلا، حاضرا و مستقبلا ﴿لِلْآخِرِينَ﴾ طول التاريخ أن كيف يفعل الله بالمجرمين.

٥٧ / ٤٣

٥٧- ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾ من هؤلاء لأنفسهم أن كيف اتخذته النصارى إلها يعبد و هو بشر ﴿إِذَا قَوْمُكَ﴾ المشركون ﴿مِنْهُ﴾ مثلا للإشراك ﴿يَصِدُّونَ﴾ عن التوحيد.

٥٨ / ٤٣

٥٨- ﴿وَقَالُوا﴾ إذا ﴿أَلِهَتُنَا خَيْرٌ﴾ للعبادة و هم ملائكة ﴿أَمْ هُوَ﴾ ابن مريم عند النصارى و هم كتابيون، و الجواب ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾ بالباطل ضد الحق، فليسوا هم مجادلين بالحق ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ خصومة ضد الحق، أم ضربوه مثلا ماثلا للعبادة، و أنتم تقولون "إِنَّكُمْ وَ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ" (٢١: ٩٨) فابن مريم المعبود من حصب جهنم، ثم لا بأس أن تكون الملائكة المعبودون عندنا معنا حصب جهنم، جدلا و اعتراضا "ما ضربوه لك إِلَّا جدلاً .. و إجابة عنها:

٥٩ / ٤٣

٥٩- ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَ جَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ كآية بينة تؤكد لهم الرسالة الربانية، فليس إلها حتى تكون الملائكة خيرا منه لألوهية، و لا هو حصب جهنم بمجرد أنهم عبده كالملائكة، إذ "إِنَّكُمْ وَ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ. لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَ كُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ .. إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ" (٢١: ١٠١).

٦٠ / ٤٣

٦٠- ﴿وَلَوْ﴾ مستحيلا فى الحكمة ﴿نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ﴾ رسلا ﴿مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ﴾ بعضهم بعضا لكم فى رسالات الله "وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَ لَلْبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ" (٧: ٩).

٦١ / ٤٣

٦١- ﴿وَإِنَّهُ﴾: المسيح (ع) فى آية ولادته دون والد، و فى نزوله آخر الزمان عند الرجعة و الدولة المهدوية (ع) و "إن" القرآن لأنه خاتمة الوحى و نبیه و نبى الساعة، و نزول الملائكة إلى الأرض: "لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ. مَا نُنْزِلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُنْظَرِينَ" (٨: ١٥) و "إِنَّهُ" كله ﴿لَعَلَّمُ لِلْسَّاعَةِ﴾ فإنها من أسرارها: "فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرُهُمْ" (١٨: ٤٧) ﴿فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾ مرية جاهلة قاحلة ﴿وَ اتَّبِعُون﴾ أنا محمدا نبى الساعة ﴿هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾.

٦٢ / ٤٣

٦٢- ﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ﴾ عقيدة سالحة، بطالحة شيطناته، فلا بد عليكم أن تصدوه عن وسوساته و صدوده على أية حال لـ ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ عداؤه فى دعواته.

٦٣ / ٤٣

٦٣- ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ﴾ و هو منها ولادة و دعوة و آيات أخرى ﴿قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ﴾ الربانية، التى تحكم عرى فطركم و عقولكم إلى الحق المبين ﴿وَلِأَبِينَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ﴾ حيث الكل هو لنبى الساعة محمد (ص): "وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ" (٨٩: ١٦) و كما فى الإنجيل: "و إن عندى كثيرا أقوله لكم و لكنكم لا تطيقون حمله الآن. و لكن متى جاء روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق" (يوحنا ١٦: ١٢-١٣) ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُون﴾.

٦٤ / ٤٣

٦٤- ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ﴾ لا سواه ﴿رَبِّى وَ رَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ﴾ هو لا سواه ﴿هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾.

٦٥ / ٤٣

٦٥- ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ الْمَذْهَبِيَّةُ﴾ من بينهم ﴿أَنفُسُهُمْ بَيْنَ مُوَحَّدٍ وَ مَثَلٍ وَ مَثَلٍ وَ ..﴾ ﴿قَوْلِى لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمِ أَلِيمٍ﴾ و قد جاء فى ثمانين موضعا من الأناجيل أنه عبد الله.

٦٦ / ٤٣

٦٦- ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ نظرا أو انتظارا ﴿إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَ هُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ إياها، دون أن يعملوا لها إلا تكذيبا.

٦٧ / ٤٣

٦٧- ﴿الْأَخِلَاءُ﴾ هنا ﴿يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ إذ كانت خلائهم فى غير الله، اللهم ﴿إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ دون الطاغين.

٦٨ / ٤٣

٦٨- ﴿يَا عِبَادِ الْمُتَّقِينَ﴾ لا خوف عليكم فى ذلك ﴿الْيَوْمَ﴾ فـ "الَّذِينَ آمَنُوا وَ لَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ" (٨٢: ٦) ﴿وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ على ما مضى لحاضر نعم الله فى ذلك اليوم، و هم:

٦٩ / ٤٣

٦٩- ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا﴾ كلها ﴿وَ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ لله على الإيمان بها، حتى ماتوا على ذلك الإيمان.

٧٠ / ٤٣

٧٠- فيقال لهم: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَآزْوَاجُكُمْ﴾ الذين كانوا معكم في إسلامكم ﴿تُخْبِرُونَ﴾ تسرون سرورا، لا فقط أزواج الزوجية، فـ "هُم وَآزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكُونُونَ" (٣٦: ٥٦) كما في أهل النار: "احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَآزْوَاجَهُمْ وَ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ. مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ" (٣٧: ٢٣).

٧١ / ٤٣

٧١- ﴿يَاطُفُ عَلَيْهِمْ﴾ في الجنة ﴿بَصِحَافٍ﴾ قصع عريضة ﴿مِنْ دَهَبٍ وَكُؤُوبٍ﴾ أواني ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّهُ﴾ هـ ﴿الْأَعْيُنُ وَ أَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ أبدا "عطاءً غير مجدود".

٧٢ / ٤٣

٧٢- ﴿وَتِلْكَ﴾ هي ﴿الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا﴾ ما لكم و ما كان لغيركم و لكنهم لم يعملوا لها فأنتم ورثتهم فيها ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

٧٣ / ٤٣

٧٣- ﴿لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ﴾ كما يناسبها و تناسبكم ﴿مِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ كما تشتهون.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤٩٥

٧٤ / ٤٣

٧٤- ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ﴾ المستحقين النار، هم ﴿فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ قدر إجرامهم "جزاءً وفاقاً".

٧٥ / ٤٣

٧٥- ﴿لَا يَفْتَرُ عَنْهُمْ﴾ كما و كيفاً، ما هم يستحقونها ﴿وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾: آيسون عن تقتر العذاب.

٧٦ / ٤٣

٧٦- ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾ في دخولهم النار و خلودهم، و لو خلدوا إلى غير النهاية لكان ظلماً، كما الدخول فيها دون حق ظلم ﴿وَلَكِنْ كَانُوا هُمْ﴾ أنفسهم ﴿الظَّالِمِينَ﴾.

٧٧ / ٤٣

٧٧- ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ﴾ الموكل على النار و أهلها ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ أن يفينا قبل الجزاء الوفاق ﴿قَالَ إِنَّكُمْ مَا كُنْتُمْ﴾ كمكثكم في الإجماع، فهو- إذا- مكث محدود كما كان إجرامهم محدوداً.

٧٨ / ٤٣

٧٨- ﴿لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ﴾ كله يوم الدنيا، منا ككل في آيات آفاقية و أنفسية، و بوسائط الرسل في آيات رسولية ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرَكُمْ﴾ أنتم ﴿لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ و أقلكم تكذبونه جاهلين مقصرين دون كراهية و هم الذين يخفف عنهم العذاب كخفة كفرهم، مما يدل على أن أكثرية أهل الجحيم هم الكارهون للحق، أو أن "أَكْثَرَكُمْ" تعني أكثر المكلفين، مهما اختلفت كراهيتهم للحق.

٧٩ / ٤٣

٧٩- ﴿أَمْ أَمَرْنَا أُمَّرًا﴾ إيتاناً في كفرهم ﴿فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾ إيتاناً في الحق و تعذيب كارهيه.

٨٠ / ٤٣

٨٠- ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ﴾ حسبانا غالطا ﴿أَنَا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ﴾ المستسر ﴿وَنَجْوَاهُمْ﴾ بين علانية و سر ﴿بَلَى﴾ نعلمها، بل ﴿وَرُسُلَنَا﴾ الذين هم ﴿لَدَيْهِمْ يَكْتُوبُونَ﴾ تسجيلاً سوريا و صوتياً.

٨١ / ٤٣

٨١- ﴿قُلْ﴾ لمن اتخذ للرحمن ولدا ﴿إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ﴾ برحمته العامة، خالقية مطلقة ﴿وَلَدٌ﴾ ولده من ذات نفسه "وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا" (١٩: ٩٢) فإنه بدل أن يتخذ له لو ينبغي لكان يخلقه ﴿فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ لولده بعده، أو اتخذه ولدا تشريفاً كالمسيح كرامة لعبوديته "فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ" في درجتها، فأنا إذا أخرى أن يتخذوني ولدا.

٨٢ / ٤٣

٨٢- ﴿سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ﴾ في ربوبيته دون انكاء عليه لأنه من خلقه "سُبْحَانَ" ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ من اتخاذ و خاز، كما المسيح المتخذ إليها للأرض.

٨٣ / ٤٣

٨٣- ﴿فَذَرُهُمْ﴾ إذا، حين لا يصدقون الحق الباهر ﴿يَخُوضُوا﴾ غورا في باطلهم ﴿وَيَلْعَبُوا﴾ كالأطفال ﴿حَتَّى يَلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ﴾ إياه، فيروا عذاب الله.

٨٤ / ٤٣

٨٤- ﴿وَهُوَ﴾ الله ﴿الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ﴾ ألوهية، لا مكانا ﴿وَفِي الْأَرْضِ إِلَهُ﴾ كذلك، و هو مبين الذات لكل كائن ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ في كل شيء.

٨٥ / ٤٣

٨٥- ﴿وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ و هي الكون كله، "له" ملكا و ملكا ﴿وَعِنْدَهُ﴾ لا سواه ﴿عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ﴾ لا سواه ﴿تُرْجَعُونَ﴾.

٨٦ / ٤٣

٨٦- ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ آلهة ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ لا يملكون ﴿الشَّفَاعَةَ﴾ بينه و بين الله ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ﴾ كله، دون قصور و لا تقصير ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ موارد الشفاعة، و إذن الله لها.

٨٧ / ٤٣

٨٧- ﴿وَلِئِنْ سَأَلْتَهُمْ﴾ هؤلاء المشركين ﴿مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ يصرفون كذبا: "وَلِئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ" (٣٩: ٦١).

٨٨ / ٤٣

٨٨- ﴿وَقِيلَ﴾ الرسول أخيرا ﴿يَا رَبَّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

٨٩ / ٤٣

٨٩- ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ﴾ إعراضا بصفحة وجهك الرسولى ﴿وَقُلْ سَلَامٌ﴾ لكم إذ لا أضركم: "وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً" (٢٥: ٦٣) ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ "كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ. ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ" (١٠٢: ٤).

سورة الدخان

١ / ٤٤

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ حم ﴿هي خامسة الحواميم السبع﴾.

٢ / ٤٤

٢- ﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ في مراحلہ الثلاث: عند الله، محكما للرسول في ليلة مباركة، و مفصلا هو هذا القرآن.

٣ / ٤٤

٣- ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ من مرحلته الأولى إلى الثانية ﴿فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾ و مهما تشترك الحواميم السبع في نزول القرآن تلوها، فالدخان تختص من بينها بنزول الإنزال - المحكم - في ليلة مباركة هي ليلة القدر، ثم تشترك الست الأخرى بنزول التنزيل طول البعثة، و هذه الليلة المباركة هي نفسها ليلة القدر، و هي من رمضان: "شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ" (٢: ١٨٥). فليلة القدر هي الوحيدة بين ليالي السنة، و هي ليلة مباركة، فهناك "تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَ الرُّوحُ" و هنا "فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ" هناك "يَاذُنُ رَبِّهِمْ" و هنا "أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا" هناك "سَلَامٌ هِيَ" و هنا "رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ" مما يبرهن على وحدة وحيدة غير وهيدة لهذه الليلة بين ليالي السنة، في شهر رمضان.

٤ / ٤٤

٤- ﴿فِيهَا يُفْرَقُ﴾ لمن تنزل الملائكة و الروح عليه ﴿كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾.

٥ / ٤٤

٥- أعنى ﴿أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا﴾ حكيما و مفرقا ﴿إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ الملائكة و الروح: "تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَ الرُّوحُ فِيهَا يَأْذُنُ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ" (٩٧: ٤).

٦ / ٤٤

٦- ﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ الذى رباك بقمة التربية ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ قالهم ﴿الْعَلِيمُ﴾ حالهم.

٧ / ٤٤

٧- ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا﴾ دون شريك ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ بالحق الحقيق إتباعه.

٨ / ٤٤

٨- ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ ألوهية فربوبية ﴿يُحْيِي﴾ الأموات ﴿وَيُمِيتُ﴾ الأحياء، و على الجملة هو ﴿رَبُّكُمْ وَ رَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾.

٩ / ٤٤

٩- ﴿بَلْ﴾ نكرانا لرب العالمين ﴿هُمْ﴾ غارقون ﴿فِي شَكٍّ﴾ و ﴿يَلْعَبُونَ﴾ كالأطافيل بزخرفات الحياة الدنيا.

١٠ / ٤٤

١٠- ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي﴾ هذه ﴿السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ فى نفسها: "وَالسَّمَاءُ ذَاتِ الرَّجْعِ" (٨٦: ٩) فى معنى رجوعها إلى ما كانت دخانا ثم استوى إلى السماء و هي دخان" (٤١: ١١) إذ "يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَ السَّمَاوَاتُ" (١٤: ٤٨).

١١ / ٤٤

١١- ﴿يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ "يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَ تَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَ تَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَ مَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ" (٢٢: ٢) و لكنه عذاب للكافرين، و عذب للمؤمنين مهما تعبوا به.

١٢ / ٤٤

١٢- فيقول الكافرون - إذا- ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ في الحال بعد كفرنا.

١٣ / ٤٤

١٣- و لكن ﴿أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ﴾ من ذى قبل ﴿رَسُولٌ مُبِينٌ﴾ كل الحقائق.

١٤ / ٤٤

١٤- ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا﴾ هو ﴿مُعَلِّمٌ﴾ من غير الله ﴿مَجْنُونٌ﴾ فيما يقول عن الله، فلا مناص لهم هناك عن عذاب الله، إلا هنا بـ.

١٥ / ٤٤

١٥- ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ﴾ هنا ﴿قَلِيلًا﴾ و لكن ﴿إِنكُم عَائِدُونَ﴾ إلى كفركم.

١٦ / ٤٤

١٦- و لكننا ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى﴾ بعد ما "تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ" لقيامة الإماتة، ثم في قيامة الإحياء ﴿إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾ تماما دون إبقاء.

١٧ / ٤٤

١٧- ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا﴾ هنا في الأولى ﴿قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ﴾ معه ﴿و﴾ الحال أنهم ﴿جَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ﴾ واسع الرحمة.

١٨ / ٤٤

١٨- ﴿أَنْ أَدُّوا إِلَى عِبَادِ اللَّهِ﴾ الإسرائيليين الأسرى عندهم ﴿إِنِّي لَكُمْ﴾ و لكافة المكلفين ﴿رَسُولٌ﴾ من الله ﴿أَمِينٌ﴾ دون أية خيانة أو قصور.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤٩٧

١٩ / ٤٤

١٩- ﴿وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ﴾ استكبارا عليه "إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ" (٤٤: ٣١) بل "وَكُنَّا قَوْمًا عَالِينَ" (٤٦: ٣٣) ﴿إِنِّي أَتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ﴾ برهان مسلط على كل إدراكاتكم ﴿مُبِينٌ﴾ حق التبيين، توحيد الله و أحكامه.

٢٠ / ٤٤

٢٠- ﴿وَإِنِّي عُدْتُ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ منذ حياتي الرسولى ﴿أَنْ تَرْجُمُونَ﴾ رجما لى و لدعوتى بجبارية فرعونية عالية.

٢١ / ٤٤

٢١- ﴿وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ﴾ لى ﴿لصالح دعوتى الصالحة﴾ ﴿فَاعْتَرِلُون﴾ ى إذ لست جبارا أجبركم على ما أقول، خلاف الدعوة الفرعونية، و إذا "لَكُمْ دِينُكُمْ وَ لى دِينٍ".

٢٢ / ٤٤

٢٢- ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ﴾ مؤكدا ﴿هُؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ﴾.

٢٣ / ٤٤

٢٣- فاستجابه قائلا ﴿فَأَسْرِ بِعَبَادِي﴾ سيرا فى سراة و مرتفع ﴿لَيْلًا﴾ إذ ﴿إِنكُم مُّتَّبِعُونَ﴾ فليكن - إذا- اتباعا بعيدا و فى غير وقته حتى لا يظهروا عليكم.

٢٤ / ٤٤

٢٤- ﴿وَأَتْرَكَ الْبَحْرَ﴾ فى مسيرك ﴿رَهْوَاً﴾ ساكنا دون تموج معتاد ﴿إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ﴾ فيه على رهوه: "فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ" (٢٦: ٦٣) "فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً" (٢٠: ٧٧) و إنما ترك البحر لبني إسرائيل حتى يمشوا فيه ناجين، و لآل فرعون حتى يدخلوه غارقين.

٢٥ / ٤٤

٢٥- ﴿كَمْ تَرَكُوا﴾ وراءهم ﴿مِنْ جَنَاتٍ وَ عُيُونٍ﴾ " أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَ هَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرَى مِنْ تَحْتِي".

٢٦ / ٤٤

٢٦- ﴿وَ زُرُوعٍ وَ مَقَامٍ﴾ قياما و إقامة ﴿كَرِيمٍ﴾ واسع الرحمة.

٢٧ / ٤٤

٢٧- ﴿وَ نِعْمَةٍ﴾ كانت نعمة فبدلوها نعمة و نقمة ﴿كَانُوا فِيهَا فَكَاهِينَ﴾ تعاطيا فيها كل فكاهاة و رياحة.

٢٨ / ٤٤

٢٨- ﴿كَذَلِكَ﴾ العظيم انتقمنا منهم ﴿وَ أَوْرَثْنَاهَا﴾ " جَنَاتٍ وَ عُيُونٍ وَ زُرُوعٍ وَ مَقَامٍ كَرِيمٍ" ﴿قَوْمًا آخَرِينَ﴾ هم بنو إسرائيل: "كَذَلِكَ وَ أَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ" (٢٦: ٥٩).

٢٩ / ٤٤

٢٩- ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَ الْأَرْضُ﴾ تأثرا بغرقهم خلاف ما كانوا يزعمون، و القصد منهما هو أهلوها، بل ضحكوا عليهم ﴿وَ مَا كَانُوا مُنْتَظِرِينَ﴾ إمهالا إذ تمت عليهم كلمة العذاب.

٣٠ / ٤٤

٣٠- ﴿وَ لَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ أسرا و حصرا و استحياء لنسائهم و تذيبحا لأبناءهم.

٣١ / ٤٤

٣١- ﴿مِنْ فِرْعَوْنَ﴾ و ملئه ﴿إِنَّهُ كَانَ عَلِيّاً﴾ مستعليا على الله و أهل الله ﴿مِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾ فى علوه و غلوه.

٣٢ / ٤٤

٣٢- ﴿وَ لَقَدْ اخْتَرْنَا لَهُمْ﴾ بنى إسرائيل ﴿عَلَى عِلْمٍ﴾ و تقصّد، رسلا و شعوبا ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ طول الرسائل إلا الرسالة المحمدية.

٣٣ / ٤٤

٣٣- ﴿وَ أَتَيْنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ﴾ المثبتة للرسالات ﴿مَا فِيهِ بَلْؤٌ مُّبِينٌ﴾ طالحهم عن صالحهم.

٣٤ / ٤٤

٣٤- ﴿إِنْ هَؤُلَاءِ﴾ المشركين ﴿لَيَقُولُنَّ﴾.

٣٥ / ٤٤

٣٥- ﴿إِنْ هِيَ﴾ الموتة ﴿إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى﴾ عن الحياة الدنيا ﴿وَ مَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ﴾ عن الموتة الثانية و هى صقعة الإماتة و هم ينكرونها، ثم فى النار يعترفون بهما و " قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَ أَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ" (٤٠: ١١) فالإماتة الأولى هى عن الحياة الدنيا، فالثانية- إذا- هى عن الحياة البرزخية، كما الإحياء الأول هو للدنيا و الثانية للأخرى.

٣٦ / ٤٤

٣٦- ﴿فَأَتَوْا بِآبَائِنَا﴾ الأموات أحياء ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أنهم أحياء بعد الموت، فلهم- إذا- موة ثانية نشرا للأخرى.

٣٧ / ٤٤

٣٧- ﴿أَهُمْ خَيْرٌ قُوَّةً وَ مَا لَا﴾ ﴿أَمْ قَوْمٌ تُبَعِّعُ﴾ أَتْبَاعَهُ وَ هُوَ مِنَ الْمُلُوكِ الْحَمِيرِيِّينَ بِالْيَمَنِ ﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ﴾ لـ ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ فِهْلَا نَهْلَكَ هَؤُلَاءِ الْأَنْكَادِ وَ هُمْ أَضْعَفُ مِنْهُمْ.

٣٨ / ٤٤

٣٨- ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَ مَا بَيْنَهُمَا لِأَعْيُنٍ﴾ تَلَاعِبَا بِحَيَاةِ الْإِنْسَانِ الَّذِي خَلَقْنَاهُ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ، فَلَا حَيَاةَ لَهُ بَعْدَ الْمَوْتِ حَتَّى يَجِدَ جِزَاءَ الْأُولَى.

٣٩ / ٤٤

٣٩- ﴿مَا خَلَقْنَاهُمْ إِلَّا بِالْحَقِّ وَ لَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ تَقْصِيرًا وَ تَجَاهُلًا.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٤٩٨

٤٠ / ٤٤

٤٠- ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ﴾ بَيْنَهُمْ قِضَاءُ حِسَابًا، هُوَ ﴿مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ طَالِحِينَ وَ صَالِحِينَ: "وَ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ. وَيَلُ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ" (٧٧: ١٥).

٤١ / ٤٤

٤١- ﴿يَوْمَ لَا يَغْنَى﴾ كِفَايَةً وَ لَا ذَرَّةٌ مِثْقَالٍ ﴿مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَ لَا هُمْ يَنْصُرُونَ﴾ مِنَ اللَّهِ "وَ اتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَ لَا يَقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةً وَ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَ لَا هُمْ يَنْصُرُونَ" (٤٨: ٢).

٤٢ / ٤٤

٤٢- ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ﴾ هـ ﴿اللَّهُ﴾ فَيَقْبَلُ لَهَا شَفَاعَةً أَوْ يَنْصُرُهُ دُونَ شَفَاعَةِ عَفْوَا ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ﴾ الْغَالِبُ عَلَى أَمْرِهِ ﴿الرَّحِيمُ﴾ عَلَى عِزَّتِهِ.

٤٣ / ٤٤

٤٣- ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ﴾ الْمَرْهَقَةَ الْكَرِيهَةَ مَنْظَرًا وَ رِيحًا وَ طَعْمًا هُوَ:

٤٤ / ٤٤

٤٤- ﴿طَعَامُ الْأَثِيمِ﴾ فِي الْجَحِيمِ: "أَ ذَلِكَ خَيْرٌ نَزَّلْنَا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ. إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ. إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ. طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ" (٣٧: ٦٥).

٤٥ / ٤٤

٤٥- ﴿كَالْمُهْلِ﴾ مَذَابِ النَّحَاسِ وَ الرِّصَاصِ ﴿يَغْلَى فِي الْبُطُونِ﴾.

٤٦ / ٤٤

٤٦- ﴿كَغَلَى الْحَمِيمِ﴾: الْبَالِغُ فِي الْحَمَةِ وَ الْحَرَارَةِ.

٤٧ / ٤٤

٤٧- فَيَقَالُ إِذَا ﴿خُدُّوهُ فَاعْتَلُوهُ﴾ جَزَّوهُ بِمَجَامِعِهِ قَهْرًا عَلَيْهِ ﴿إِلَى سَوَاءٍ﴾ وَسَطٍ ﴿الْجَحِيمِ﴾.

٤٨ / ٤٤

٤٨- ﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ﴾ أَصَابَةُ إِلَى مَخِهِ وَ هُوَ أَصْلُ حَيَاتِهِ ﴿مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ﴾: "يَصَّبُ مِنْ فَوْقِ رُؤُسِهِمُ الْحَمِيمُ" (٢٢: ١٩).

٤٩ / ٤٤

٤٩- فيقال له ﴿ذُقْ﴾ عذاب الله ﴿إِنَّكَ﴾ كما كنت تزعم يوم الدنيا ﴿أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ قويا واسع البركة، و هنا غوى واسع الدركة: "وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا" (١٨: ٣٦) و "إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى" (٤١: ٥٠).

٥٠ / ٤٤

٥٠- ﴿إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ﴾ يوم الدنيا ﴿بِهِ تَمْتَرُونَ﴾ افتعالا لمرية و ارتياب، ضد كافة البراهين على حقه.

٥١ / ٤٤

٥١- ثم خلافا لكم ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ﴾ هناك ﴿فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ مهما كانوا هنا في مقام غير أمين: "الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ" (٦: ٨٢).

٥٢ / ٤٤

٥٢- غارقين حشراى ﴿فِي جَنَّاتٍ وَ عِيُونٍ﴾ و لهم فيها ما يشاءون.

٥٣ / ٤٤

٥٣- ﴿يَلْبِسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ﴾ الحريرة الرقاق ﴿وَ إِسْتَبْرَقٍ﴾ الحريرة السّمك، حالكونهم ﴿مُتَقَابِلِينَ﴾ بعضهم البعض، دون خفاء و جفاء و تدابر.

٥٤ / ٤٤

٥٤- ﴿كَذَلِكَ﴾ العظيم العميم ﴿وَ زَوْجَانَهُمْ﴾ هناك ﴿بِحُورٍ عِينٍ﴾ واسعات العيون، حاصراتها على أزواجهن.

٥٥ / ٤٤

٥٥- ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ﴾ "ما تشتهيهِ النَّفْسُ وَ تَلَذُّ الْأَعْيُنُ" ﴿أَمِينٍ﴾ فيها عن كل بأس و بؤس.

٥٦ / ٤٤

٥٦- ﴿لَا يَدْخُلُونَ فِيهَا الْمَوْتَ﴾ عطاء غير مجذوذ، و يذوقه فى الجحيم المجرمون، إذ يموتون مع فناء النار ﴿إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾ عن الحياة الدنيا، مهما كانت لهم "إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ" موة ثانية عن الحياة البرزخية، و لكنها كأنها ليست موة لرياحتهم فيها، و قد تلمح "الأولى" للثانية التى لم تحسب لهم بحساب، و إلا كانت موتتهم فى الأولى ﴿وَ وَقَاهُمْ﴾ ربهم ﴿عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ لأنهم اتقوا عنه يوم الدنيا.

٥٧ / ٤٤

٥٧- ﴿فَضْلًا مِنْ رَبِّكَ﴾ إذ يثيبهم أكثر مما عملوا ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

٥٨ / ٤٤

٥٨- ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ﴾ القرآن ﴿بِلِسَانِكَ﴾ عربية فصحي ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ بيسر بيانه: "فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَ تُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا" (١٩: ٩٧) وَ لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ" (٥٤: ١٧).

٥٩ / ٤٤

٥٩- ﴿فَارْتَقِبْ﴾ حقّ وعد الله ﴿إِنَّهُمْ﴾ كذلك ﴿مُرْتَقِبُونَ﴾ و أين ارتقاب من ارتقاب.

١ / ٤٥

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. حم﴾ هي سادسة الحواميم السبع و عله محمد و أحمد. هذا القرآن.

٢ / ٤٥

٢- ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾.

٣ / ٤٥

٣- ﴿إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْفُسَهُمَا بِمَا فِيهِمَا﴾ ﴿لَايَاتٍ﴾ ربانية ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ بها: "سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ" (٤١: ٥٣).

٤ / ٤٥

٤- ﴿وَكَذَلِكَ﴾ ﴿فِي خَلْقِكُمْ﴾ و ما يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ: "وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَ مَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَ هُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ" (٤٢: ٢٩) ﴿آيَاتٍ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.

٥ / ٤٥

٥- ﴿وَكُلٌّ﴾ فِي ﴿اِخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ يَأْتِيَانِ كُلَّ تَلْوٍ الْآخِرِ ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ﴾ ماء و نورا و هواء ﴿فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ إِذْ كَانَتْ مَيِّتَةً فِي نَفْسِهَا لَا مَاءَ فِيهَا كَافِيَا وَلَا كَلَاءَ: "وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَاهُ فِي الْأَرْضِ وَ إِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لِقَادِرُونَ" (٢٣: ١٨) ﴿وَكُلٌّ﴾ فِي ﴿تَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ﴾ مَكَانًا وَ زَمَانًا وَ أَلْوَانًا شَتَى ﴿آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ أَخَذَا لِلْحَقَائِقِ الْكُونِيَّةِ أَنْ وَرَاءَهَا حَقًّا خَالِقًا.

٦ / ٤٥

٦- ﴿تِلْكَ﴾ الَّتِي تَلَوْنَاهَا وَ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ ﴿آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾ كُلُّهُ، سَبِيًا وَ مَصَاحِبَةً وَ ابْتِدَاءً وَ غَايَةً ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ﴾ حَادِثٍ فِي عَقُولِكُمْ بَعْدَ خَفَاءِهِ ﴿بَعْدَ اللَّهِ﴾ وَ هُوَ أَفْضَلُ حَدِيثٍ ﴿وَ آيَاتِهِ﴾ الدَّلَالَاتُ عَلَيْهِ ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ ف "مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ. ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَ هُوَ حَسِيرٌ" (٦٧: ٤١).

٧ / ٤٥

٧- ﴿وَيْلٌ﴾ كُلُّهُ ﴿لِكُلِّ أَفَّاكٍ﴾ كَذَابٍ صَرَفًا عَنْ وَجْهِ الْحَقِّ ﴿أَنِيمٌ﴾ يَعِيشُ الْإِثْمَ كُلَّهُ.

٨ / ٤٥

٨- ﴿يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ﴾ بَيْنَةً لَهُ ﴿ثُمَّ﴾ بَعْدَ سَمْعِهَا ﴿يَصِرُ﴾ عَلَى كُفْرِهِ ﴿مُسْتَكْبِرًا﴾ عَلَى اللَّهِ ﴿كَأَنَّ لَمْ يَسْمَعْهَا﴾ بَلْ وَ أَنْحَسَ مِنْهُ لِاسْتِكْبَارِهِ وَ اسْتِدْبَارِهِ عَنْهَا: ﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

٩ / ٤٥

٩- ﴿وَكُلٌّ﴾ حَتَّى ﴿إِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا﴾ سَمَاعًا أَوْ اسْتِمَاعًا ﴿اتَّخَذَهَا هُزُوًا﴾ دُونَ جِدِّ ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾: "هَلْ أَنْبِئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنْزَلُ الشَّيَاطِينُ. تَنْزَلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ. يُلْقُونَ السَّمْعَ وَ أَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ" (٢٦: ٢٢٣).

١٠ / ٤٥

١٠- ﴿مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ﴾ إِذْ يَسْتَدْبِرُونَ الْآخِرَى دُونَمَا اسْتَقْبَالَ ﴿وَلَا يَغْنَى عَنْهُمْ﴾ هُنَاكَ ﴿مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَ لَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ﴾ بَلْ يَضُرُّهُمْ ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ قَدْرَ عَظَمِ إِفْكَهِمْ وَ إِثْمِهِمْ.

١١- ﴿هَذَا﴾ القرآن ﴿هُدًى﴾ كلها "إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ" (١٧: ٩) هدى دلالية لكافة المكلفين: "هُدًى لِلنَّاسِ" ﴿٢: ١٨٥﴾ و هدى إيصالاً إلى الحق المطلوب لمن اهتدى "و هُدًى وَ بَشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ" (٢: ٩٧) و "هُدًى" لا ريب فيها و لا ظلام يعتريها، بينة دون خفاء و كتمان: "إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَ الْهُدًى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَ يَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ" (٢: ١٥٩) ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ بدل أن يستنبروا بها فيؤمنوا ﴿لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رَجْزٍ أَلِيمٍ﴾ كما أَلَمُوا الحق و أهليه.

١٢- ﴿اللَّهُ﴾ هو ﴿الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لَتَجْرَىٰ فِيهِ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ﴾ بريح و بترولات و كهارب و ما أشبه ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ منه و من أرض تسافرون إليها ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الله على نعمه.

١٣- ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً﴾ "سَخَّرَ" ﴿مِنْهُ﴾ فلو لا تسخيره لم تتسخر لكم ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ إبصاراً بها فتبصرهم.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٥٠٠

١٤- ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ كأيام الدولة الإسلامية، و يوم الرجعة المهدوية و البرزخ و القيامة ﴿لِيَجْزِيَ﴾ الله ﴿قَوْمًا﴾ لا يرجونها ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ و لا تعنى "يَغْفِرُوا" هنا عفو، إذ ليس غفرهم عن خطاياهم، و حتى ظلمهم بهم بأيديهم، إنما هو إهمال دون إهمال، إعراضاً عنهم دون مجابهة إياهم إلا كما يقدر، دفاعاً عن الدين و الدينين "و لَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَ ذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ" (١٤: ٥) و لأن السورة مكية فالقصد من غفرهم هو عدم جهادهم إذ لا يقدر، إلا فى أيام الله، و يومها الأول السلطة المدنية الإسلامية و لا سيما بعد فتح مكة.

١٥- ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً﴾ قبل أيام الله و فيها ﴿فَلَنَفْسِهِ﴾ فيها ﴿وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ فيها ﴿ثُمَّ﴾ فى اليوم الآخر ﴿إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾.

١٦- ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ﴾ وحيأ أصيلاً ﴿وَالْحُكْمَ﴾ ككل بالكتاب و السنة الرسولية ﴿وَالنُّبُوَّةَ﴾ و هى رفعة فى الرسالة، حكماً سلطوياً مع نبوة كما لداود و سليمان، أم دونهما كما تطلبوا من نبي لهم "ابْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ" (٢: ٢٤٦) فبعث الله طالوت ملكاً، و كذلك ملك القيام بالنفس و النفيس خروجاً عن أسر فرعون و ملته: "اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَ جَعَلَكُمْ مُلُوكاً" (٥: ٢٠) و "مُلُوكاً" هنا ليست لتعنى ملك النبوة و لا ملكاً زمنياً، إلا تحرراً عن أسرهم بأسرهم لمكان "كم" الجامعة لجميعهم ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَ فَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ زمنهم أو من قبلهم دون المحمدين.

١٧- ﴿وَأَتَيْنَاهُمُ﴾ آيات ﴿بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ﴾: الدين، إذ تشعب منه شرائع الله ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ بينا ﴿بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ و هم على بينة من ربهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

١٨- ﴿ثُمَّ﴾ بعد انقضاء شرعتهم ﴿جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ﴾ هي أخيرتها إلى يوم الدين ﴿فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ هذه الشريعة جهلا أو تجاهلا، كتابيين أو مشركين و"الأمر" هنا هو أصل الدين، متشعرا إلى خمس.

١٩- ﴿إِنَّهُمْ﴾ أهل الهوى ﴿لَنْ يَغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ فى الدنيا والآخرة ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ فيهما دون أن يغنوا من الله شيئا ﴿وَاللَّهُ وَلَىٰ الْمُتَّقِينَ﴾ فى الدنيا والآخرة.

٢٠- ﴿هَذَا﴾ القرآن بوحده، دون أية وهدة ﴿بَصَائِرُ لِلنَّاسِ﴾ جمع البصيرة، مبالغة البصير، لأن بصائره تجمع أحكام وحى الشرعة إلى آية الرسالة، بالغة فيهما إلى يوم الدين: "قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي" (١٢: ١٠٨) وإذا لم تأتنيهم بآية حسية قالوا لو لا اجتبتيتها قل إنما أتبع ما يوحى إلى من ربى هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون" (٢٠٣: ٧) ﴿وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.

٢١- أحسب .. ألا حساب و لا جزاء ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾ كلها ﴿أَنْ نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فى الآخرة ثوابا لهما ﴿سَوَاءٌ مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ فى الحساب و الجزاء، أو اللآحساب و اللآجزاء، تسوية بين المحسن و المسىء، أو عكسا: أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ" (٣٨: ٢٨) ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ (٦٨: ٣٥).

٢٢- ﴿وَوَلَّى اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ كله، بداية و غاية و سببا و مصاحبة ﴿وَوَلَّى﴾ من حقه ﴿لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ خيرا أو شرا ﴿وَهُمْ لَا يظْلَمُونَ﴾ ألا تجزى، أو يجزى الكفار فى دار القرار أكثر مما كسبوا، كما يفترقون على الله أنه يبقى أهل النار فيها دون نهاية.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٥٠١

٢٣- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنِّي رَأَيْتُ مِنْ اتَّخَذَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا﴾ ﴿فَرَأَيْتَ﴾ فوقه دلالا و ضلالا ﴿مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ لا هواه إلهه: "أَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَمْ فَإِنِّي تَكُونُ عَلَيْهِ وَكَيْلًا" (٢٥: ٤٣) طاعة مطلقة لهواه كأنها إله، فيشرك بهذه الطاعة بالله ﴿وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ له بضلاله ﴿وَوَحَّمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ﴾ إنسانيا فإيمانيا حتى لا يسمع فلا يعى ﴿وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾ حتى لا يبصر فلا يعى ﴿فَمَنْ يَهْدِيهِ﴾ إذا ﴿مِنْ بَعْدٍ﴾ ما أضله ﴿اللَّهُ﴾ هكذا بضلاله على علم ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ الحقائق.

٢٤- ﴿وَوَقَالُوا﴾ هؤلاء الأوغاد الأنكاد ﴿مَا هِيَ﴾ الحياة ﴿إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا﴾ الدنية الدانية ﴿نَمُوتُ﴾ بعضا ﴿وَوَحْيَا﴾ بعضا، كما "نموت" عن الحياة الدنيا و "نحيا" بعده للأخرى، مهما كانوا منكرين، فهي تجمع بين الواقع عندهم و الحق المنكور لديهم، ثم ﴿وَمَا يَهْلِكُنَا﴾ بموت و سواه ككل ﴿إِلَّا الدَّهْرُ﴾ إذ لا إله فى الكون ﴿وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ﴾ الكذب الغالى، شىء ﴿مِنْ عِلْمٍ﴾ إنهم ﴿فِي تَقْوَاهُمْ﴾ ﴿إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ حسبانا خاويا هالويا.

٢٥- ﴿وَ إِذَا تَتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ﴾ دون ظن فيها ﴿مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ﴾ لنكرانها ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوا بِآيَاتِنَا﴾ إحياء لهم لو صدقت حياة بعد موت، و أن يشهدوا بتلك الحياة و سواها من حقائق ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ و لا رباط لصدقها بإتيانهم و شهادتهم أمام "آياتنا بَيِّنَاتٍ".

٢٦ / ٤٥

٢٦- ﴿قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ﴾ هنا ﴿ثُمَّ يَمِيتُكُمْ﴾ عنها ﴿ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ إحياء ثانيا ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ تجاهلا قاحلا.

٢٧ / ٤٥

٢٧- ﴿وَلِلَّهِ﴾ لا سواه ﴿مُلْكٌ﴾ فملك ﴿السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَ يَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُخْسِرُ الْمُبْطِلُونَ﴾ للحق.

٢٨ / ٤٥

٢٨- ﴿وَتَرَىٰ﴾ هناك ﴿كُلَّ أُمَّةٍ﴾ فى شرائع الله الخمس، مؤمنين بها أو كافرين ﴿جَائِيَةً﴾ خاضعة واقعة على ركبها ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا﴾: كتاب شرعتها، و كتاب أعمالها، كتاب شرعة الله، ثم كتاب استنسخه الله ﴿الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ﴾ نفس ﴿مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ دون زيادة إلا فضلا عليه لأهل الجنة.

٢٩ / ٤٥

٢٩- ﴿هَذَا﴾ الذى يدعى إليه كأصل ثان بعد كتاب الشريعة ﴿كِتَابُنَا﴾ تكويننا فيكم ﴿يُنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾ كله: "ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها و وجدوا ما عملوا حاضرا و لا يظلم ربك أحداً" (١٨: ٤٩) "يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا و مَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَ بَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا و يَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ و اللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ" (٣: ٣٠) اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً" (١٧: ١٤) ﴿إِنَّا﴾ بجمعية القيومية ﴿كُنَّا﴾ على طول خط التكليف ﴿نَسْتَنْسِخُ﴾ نفس ﴿مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ صوتا بنفسه و صورة بنفسها و عقيدة أمّا أشبه، دون فناء للأعمال، إلا إبقاء لأمثالها فى محالها، فى الأعضاء العاملة، و فى أمكنة الأعمال، و عند شهود الأعمال: "يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا. بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا. يَوْمَئِذٍ يُصْدِرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّبُرُؤِ أَعْمَالِهِمْ" (٩٩: ٦).

٣٠ / ٤٥

٣٠- ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا و عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ كلها ﴿فَيَدْخُلُهُمْ﴾ ربهم دون إبطاء و سؤال ﴿فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾.

٣١ / ٤٥

٣١- ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يقال لهم تأنيبا ﴿أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تَتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ ردحا وافيًا من زمن التكليف ﴿فَاسْتَكْبَرْتُمْ﴾ عنها ﴿وَكُنْتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾.

٣٢ / ٤٥

٣٢- ﴿وَ إِذَا قِيلَ﴾ لكم ربانيا ببراهين بينة ﴿إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾ ثابت لا حول عنه ﴿وَالسَّاعَةُ﴾ هذه آتية ﴿لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ﴾ ما ندرى ما السَّاعَةُ ﴿تَجَاهَلُوا و استهزاء﴾ ﴿إِنْ نَظُنُّ﴾ إياها ﴿إِلَّا ظَنًّا﴾ لا يكفى لتصديقه ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُستَيْقِنِينَ﴾ طالبين يقينا، بل كنا نعارض كل آيات اليقين، مستدبرين عنها، متغافلين فيها.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٥٠٢

٣٣ / ٤٥

٣٣- ﴿وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾ بعد جهلهم و تجاهلهم عنها ﴿وَوَاقٍ﴾ حيلة ﴿بِهِمْ﴾ نفس ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ حيث العمل نفسه جزاء بظهور ملكوته هناك بنفسه.

٣٤ / ٤٥

٣٤- ﴿وَقِيلَ﴾ بالقاتل الرباني ﴿الْيَوْمَ نُنَاسِكُمْ﴾ كأن لا نعلم أنكم هناك فلا نرحمكم، بل نعذبكم ﴿كَمَا نَسِيتُمْ﴾ أنتم متجاهلين على علم ﴿لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَا وَكُمُ النَّارُ﴾ بأعمالكم النارية ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ من دون الله، و كما لا ينصركم الله: "فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ" (٣٢: ١٤) "كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى" (٢٠: ١٢٦) و"لا يضل ربى ولا ينسى" (٢٠: ٥٢).

٣٥ / ٤٥

٣٥- ﴿ذَلِكُمْ بِأَنكُمْ اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا﴾ تستهزون بها ﴿وَوَعَدْتُمْ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يَخْرُجُونَ مِنْهَا﴾: النار، و هى باقية، بل يفنون معها، لا أن تفتنى النار و هم أحياء ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ إذ لا تنفعهم العتبي و لهم سوء الدار، ثم فى عدم استعتابهم عتبي أخرى، قطعاً قطعاً لا أثر لها.

٣٦ / ٤٥

٣٦- ﴿فَلِلَّهِ الْحَمْدُ﴾ كله، فإنه ﴿رَبَّ السَّمَاوَاتِ وَرَبَّ الْأَرْضِ﴾ سبعا و سبعا ﴿رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ إنسا و جنا و ملائكة و من أشبه.

٣٧ / ٤٥

٣٧- ﴿وَلَهُ﴾ لا سواه ﴿الْكِبْرِيَاءُ﴾ ذاتية و صفاتية و أفعالية كلها ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ بكل عزة ربانية ﴿الْحَكِيمُ﴾ بكل حكمة عزيزة، فهى ظرف لكبريائه قيومية، لا نفس ذاته كينونة.

سورة الأحقاف

١ / ٤٦

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ حم ﴿سابعة الحواميم السبع، سابعة كلها بعدها ب:

٢ / ٤٦

٢- هذا ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ كله، و هو القرآن، حاويا لكل كتابات الوحي و زيادة ﴿مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ فعزته و حكمته الرحيمية الشاملة مجموعة فى ذلك الكتاب.

٣ / ٤٦

٣- ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ كله سببا و مصاحبة و مبدأ و غاية ﴿وَوَ﴾ إلى ﴿أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ لهما إذ يتفطرن، كما لكافة المكلفين آجال مسماة بفارق أن المسمى الأولى قطعية لا حول عنها، و من الثانية معلقة لها حول و أحوال ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ هم ﴿عَمَّا أُنذِرُوا﴾ به ﴿مُعْرِضُونَ﴾ دون أى دليل إلا عليل "وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا".

٤ / ٤٦

٤- ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ﴾ هم ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ رؤية عاقلة فاهمة، أنها ليست خالقة، و لو كانت ف ﴿أُرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنْ﴾ هذه ﴿الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ﴾ خلقا أو تدبيرا ﴿أَتُنُونِي بِكِتَابٍ﴾ ربانى ﴿مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ الكتاب القرآن، يدل على صحة ما تدعون ﴿أَوْ﴾ ب ﴿أَثَارَةٍ﴾: بقية تؤثر ﴿مِنْ عِلْمٍ﴾ ربانى، كسنة رسولية هى أثارة متخذة من الكتاب، أو فطرة أو عقلية او علمية إنسانية ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فى دعواكم، حيث الصدق بحاجة إلى مصدق، فلا برهان شرعيا على مدعى إلا

كتاب الوحي الرسولى بسنته، أن يقبل فى إثبات حكم ربانى، و لا دلالة أو بشاره فىهما تدل على حجية غيرهما من إجماع أو شهرة أم و ضرورة، فضلا عن قياس أو استحسان أو استصلاح.

٥ / ٤٦

٥- ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهَا ﴿مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ فضلا عما بعدها ﴿وَهُمْ﴾ المدعوون ﴿عَنْ دُعَائِهِمْ﴾ أولاء الداعين ﴿غَافِلُونَ﴾ و لا سيما من لا عقل له.
البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٥٠٣

٦ / ٤٦

٦- ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ﴾ يوم الحشر: الجمع ﴿كَانُوا﴾ الداعون ﴿لَهُمْ﴾ المدعوين ﴿أَعْدَاءُ﴾ كما كانوا هم- أيضا- للداعين أعداء ﴿وَكَانُوا﴾ كذلك ﴿بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾: "وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشِرْكُمْ" (٢٥: ١٤) "فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ" (١٠: ٢٩).

٧ / ٤٦

٧- ﴿وَإِذَا تَتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالحق ﴿لَلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ ببيناته ﴿هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ سحره، حال أنه مبين حقه.

٨ / ٤٦

٨- أ يكذبون الله ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ على الله ﴿قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئاً﴾ هو فاعله بمن يفترى عليه، و معه شهود رسالته الربانية "أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً فَإِنْ يَشِئِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَ يَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَ يَحِقُّ الْحَقُّ بِكَلِمَاتِهِ" (٤٢: ٢٤) "وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ. لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ. ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ. فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ" (٦٩: ٤٧) ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ خوضا فى آياته ﴿كَفَى بِهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ بكتابه نفسه: "لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ يَعْلَمُهُ" (٤: ١٦٦) "قُلْ أَى شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَ أَوْحَى إِلَى هَذَا الْقُرْآنِ لِأُنْذِرْكُمْ بِهِ وَ مَنْ بَلَغَ" (٦: ١٩) ﴿وَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ فى موضع الغفر و الرحمة.

٩ / ٤٦

٩- ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعاً﴾ دون مشابهة ﴿مِنَ الرُّسُلِ وَ مَا أَدْرِى مَا يَفْعَلُ بى وَ لَا بِكُمْ﴾ هنا و بعد الموت ﴿إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَى﴾ فيما يفعل بى و لا بكم و سواه ﴿وَ مَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ إنذارى الرسولى ببراهينه.

١٠ / ٤٦

١٠- و لو لم يكن برهان أنه من عند الله ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ﴾ بإمكانه ﴿مِنَ عِنْدِ اللَّهِ وَ كَفَرْتُمْ بِهِ﴾ و الكفر بشىء بحاجة إلى قاطع كذبه ﴿وَ شَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنَى إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ﴾ فى الوحي تورا و إنجيلا، فإذا هما من عند الله، فأحرى بالقرآن أن يكون من عند الله، ثم ﴿فَأَمَّنَ﴾ بهذا القرآن ﴿وَ اسْتَكْبَرْتُمْ﴾ أنتم، فما هى- إذا- حالكم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدَى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾: "الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ" (٢: ١٤٦) "قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ" (١٣: ٤٣).

١١ / ٤٦

١١- ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ الْقُرْآنُ خَيْرًا﴾ من عند الله وحيا ﴿مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ إذ نحن السابقون في كل خير: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٨: ٥٩) ﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا﴾ هم ﴿بِهِ﴾: هذا القرآن، لعنادهم تجاهلا ﴿فَسَيَقُولُونَ هَذَا الْقُرْآنُ﴾ ﴿إِفْكٌ﴾ كذب ﴿قَدِيمٌ﴾ اكتسبه من أساطير الأولين.

١٢ / ٤٦

١٢- ﴿وَالْحَالُ أَنَّ﴾ ﴿مِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى﴾ حالكونه ﴿إِمَامًا﴾ للشرعة الموسوية ﴿وَرَحْمَةً﴾ للمكلفين بها: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ ... وَ مِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَ رَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ (١١: ١٧) ﴿وَهَذَا الْقُرْآنُ﴾ ﴿كِتَابٌ مُصَدِّقٌ﴾ نفسه بنفسه كما و يصدق كتاب موسى حالكونه ﴿لِسَانًا عَرَبِيًّا﴾ واضحا يعرب فاصحا عن مرادات الله ﴿لِيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَ بُشِّرَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

١٣ / ٤٦

١٣- ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ حقا بصدق ﴿ثُمَّ اسْتَفَامُوا﴾ عليه ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ مما يأتي ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ على ما أتى.

١٤ / ٤٦

١٤- ﴿أُولَئِكَ﴾ الأكارم هم ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ حالكونهم ﴿خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً﴾ بما كانوا يعملون ﴿مهما كان﴾ لدينا مزيد ثم و تلحقهم ذريتهم بإيمان، كما ولدهم الصغار مهما لم يكن لهم عمل يستحقون به الجنة، حيث العمل المرجو ليس إلا من المكلفين به، ثم النار لا تستحق إلا بعصيان، عدلا و نسا قرآنيا.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٥٠٤

١٥ / ٤٦

١٥- ﴿وَوَصَّيْنَا﴾ بجمعية الرحمات الرحيمية ﴿الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ﴾ ملاصقا لمكان الباء، أن يحسن إليهما بقمته ﴿إِحْسَانًا﴾ و الوصية هي أمر فوق الأمر، فرضا فوق الوجوب، فتركه إليهما سوء، ثم الإساءة أسوء، و والدة هنا أقرب و أخرى بالإحسان إليها، إذ ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا﴾ منذ اللقاح تجرحا بتجرح، مهما كان فيه لذة، ثم حملا في حملها إياه ﴿وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ تجرحا و ترحجا آخر، مهما كان فيه فرح الولادة، ثم ﴿وَحَمْلُهُ وَ فِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ أنها تحمل تربيتها جنينا و رضاعة، ثالثة، و الوالد فارغ عنها كلها إلا لذة آنية، و "ثَلَاثُونَ" هنا "و فِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ" (٣١: ١٤) بقرنهما تدلان على أن أقل الحمل ستة أشهر ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ جمع الشد و أقله شدات ثلاث: جسما و عقلا و رشدا فيه ﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ و هو كمال الأشد ﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي﴾: ألهمني معرفيا و عمليا ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ﴾ ولادة تربوية ﴿وَعَلَى الْوَدَى﴾ توليدا و تربية بحنان ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَ أَصْلِحَ لِي﴾ لصالحى ﴿فِي ذُرِّيَّتِي﴾ نسبا و سببا و صداقة ﴿إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ مما أخطأت ﴿وَأِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ لك بعد إيماني، تسليمًا أمامك بكل كونى و كيانى.

١٦ / ٤٦

١٦- ﴿أُولَئِكَ﴾ الأكارم هم ﴿الَّذِينَ تَتَّقَلُّ﴾ بكل بد ﴿عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾ بما أحسنوا ﴿وَوَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ﴾ ككل: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَ نُدْخِلْكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا﴾ (٤: ٣١) أعنى ﴿وَعَدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾.

١٧ / ٤٦

١٧- فأين هذا ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالَيْهِ أَفْ لَكُمْ﴾: " فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفْ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَ قُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا " (١٧: ٢٣) فضلا عن أف بوعد الحق ﴿أَتَعِدَانِي أَنْ أُخْرَجَ﴾ حيا بعد موتى ﴿وَقَدْ خَلَّتْ﴾ مضت ﴿الْقُرُونُ﴾ المتطاولة الخالية ﴿مِنْ قَبْلِي﴾ و لم يخرجوا، ويكأن الخروج هو فى هذه الحياة الدنيا، و لو كان لم يدل على خروج للأخرى، مع أن جماعات قبلهم خرجوا إلى الدنيا، ﴿وَالْحَالُ أَنَّ﴾ ﴿هُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ﴾ أن ﴿وَيْلَكَ آمِنْ﴾ بالله، فهو- إذا- عقوق على عقوق، تركا لحقوق على حقوق، والدية و عظة ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ و خرافاتهم المسطورة تلو بعض البعض.

١٨ / ٤٦

١٨- ﴿أُولَئِكَ﴾ الحماقى هم ﴿الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ كلمة العذاب المحتوم المختوم ﴿فِي أُمَمٍ﴾ جماعات ﴿قَدْ خَلَتْ﴾ مضت ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾ إذ ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ كل حياتهم و حيوياتهم.

١٩ / ٤٦

١٩- ﴿وَلِكُلٍّ﴾ من الصالحين و الطالحين ﴿دَرَجَاتٌ﴾ علوا و سفلا ﴿مِمَّا عَمِلُوا وَ لِيُوقِيَهُمْ﴾ وفاء كاملا فى البرزخ و أكمل فى الأخرى ﴿أَعْمَالَهُمْ﴾ بنفسها أن تظهر هناك بملكوته، فهى هى الجزاء ﴿وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ﴾ ف " هُمْ دَرَجَاتُ عِنْدَ اللَّهِ " (٣: ٢١٣) حسب أعمالهم فى بركات، أو دركات، ف " هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ " (٢٧: ٩٠).

٢٠ / ٤٦

٢٠- ﴿وَلَا﴾ اذكر ﴿يَوْمَ﴾ القيامة، حيث ﴿يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾ عرض النار على النار فى دار القرار، فيقال لهم ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ﴾ مما أوتيتم من نعم ﴿فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا﴾ دون أن تقدموها لأنفسكم ﴿وَأَسْتَمْتُمْ بِهَا﴾ فيها كأن لا حياة بعدها ﴿فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ كما أهنتم طيباتكم ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ على الله و على أهل الله ﴿فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَ بِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ﴾ فيها عن طاعة الله مستكبرين.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٥٠٥

٢١ / ٤٦

٢١- ﴿وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ﴾ الأولى هودا، و لا خبر عندنا عن الثانية " أَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى " (٥٣: ٥٠) و لأنهم كانوا أطغى و أغوى، و " أخا " هنا تعنى أخوة فى الإنسانية أم و فى المواطنة، و هى أقوى من " صاحبه " فى " إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ " صحبة فى الغار فليست- إذا- بافتخار ﴿إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ﴾ الكتب المرتفعة من الرمال المعوجة كما اعوجت عاد، و قد تعنى " إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يَخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ " (٨٩: ٧) و قد تكون قلعة بعلبك فى لبنان ﴿وَقَدْ خَلَّتِ النَّذْرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ حاضرين معهم ﴿وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ ماضين قبلهم، حيث النذارة السالفة تنتقل بوسيط الآباء إلى الأبناء، حجة على حجة ﴿إِلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ كلمة واحدة للرسل تتعاقب.

٢٢ / ٤٦

٢٢- ﴿قَالُوا﴾ ليهود ﴿أَجِئْنَا لِتُفَكِّنَا﴾ إبعادا كاذبا ﴿عَنْ آلِهَتِنَا فَاتِنَا بِمَا تَعِدُنَا﴾ من عذاب ﴿إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ و صدق الوعد الرسولى لا يلتزم إيتاء بوعده، كما يشاءون أو يشاء، لأنه- فقط- من عند الله.

٢٣ / ٤٦

٢٣- ﴿قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ﴾ ككل و منه علم الآيات الربانية ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ لا سواه، كما و " إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ " فهى فقط عنده علما و قدرة ﴿وَلَا أَنَا﴾ ﴿أُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ﴾ و " مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ " دون تكوين أو تشريع ﴿وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ الحق رغم وجود معالمه، جهلا بمسئولية الرسالة و جهلا باختصاص الربانية بالله.

٢٤- ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ العذاب الموعود ﴿عَارِضًا﴾ سحباً يعرض في أفقهم إلى انتشار ﴿مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ﴾ المائية، كأنها تستقبلها لتملأها ماء، و كأنها بعد عطش شديد ﴿قَالُوا هَذَا﴾ سحب ﴿عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ﴾ فإنه ﴿رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾: "وَأَمَّا عَادُ فَأَهْلِكُوهَا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ. سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَ ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعِجَزُوا نَخَلٍ خَاوِيَةٍ. فَنظَرَ نَدِيمٌ لَهَا تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ" (٨: ٦٩).

٢٥- ﴿تُدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ﴾ و تدمره ﴿بِأَمْرِ رَبِّهَا فَاصْبَحُوا لَا يَرَى إِلَّا مَسَاكِينَهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾: "وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ. مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرِّمِيمِ" (٥١: ٤٢).

٢٦- ﴿وَلَقَدْ مَكَنَّاهُمْ﴾ مكانة و مكاناً مادياً محنة امتهان ﴿فِيمَا إِنَّ مَكَنَّاهُمْ فِيهِ﴾ امتحاناً آخر ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَ أَبْصَارًا وَ أَفْئِدَةً﴾ أقوى منكم: "وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَانًا وَ رَعِيًّا" (١٩: ٧٣) ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَ لَا أَبْصَارُهُمْ وَ لَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ أمام عذاب الله ﴿إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَ حَاقَ﴾ حيلة ﴿بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ فليست الطاقات المادية بالتى تغنى عن بأس الله فى شيء، اللهم إلا رباطاً عريقاً بالله، إيماناً و عملاً صالحاً فى هبات الله: "أَوْ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَ آثَاراً فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَ مَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ" (٤٠: ٢١).

٢٧- ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى وَ صَرَفْنَا﴾ قبل إهلاكهم ﴿الْآيَاتِ﴾ المذكورة بمختلف صورها المناسبة لذكراهم ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عن كفرهم، إلى هداهم، تذكّر بغابر الإهلاك، و حاضر الآيات.

٢٨- ﴿فَلَوْ لَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا﴾ هم ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً﴾ عند ما أهلكناهم ﴿بَلْ ضَلُّوا﴾ عندئذ ﴿عَنْهُمْ﴾ عما كانوا يزعمون ﴿وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ﴾ الكذب ﴿وَمَا كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ يفكهم فهم حاسرون خاسرون.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٥٠٦

٢٩- ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ صَرَفْنَا﴾ دون بعث رسولى و إنما انصرفا إلى جديد الوحي ﴿إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ﴾ منك ﴿الْقُرْآنَ﴾ فقد انقطع الوحي الرسولى بعد محمد (ص) فلم يأت بعد وحيه حتى لفظة الوحي القاصدة إلهاماً كما لأم موسى "أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى" ﴿فَلَمَّا حَضَرُوهُ﴾ محمداً صلى الله عليه و آله و سلم ﴿قَالُوا أَنْصِتُوا﴾ أنفسكم و غيركم ﴿فَلَمَّا قُضِيَ﴾ القرآن على قدر ﴿وَلَوْ إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ لا رسلاً، مهما كانوا قديسين، و قد انصرفوا إليه بحجون مكة فى مسجد الجن، و كنت فى هجرتى إلى الله من شر الشاه عليه لعنة الله ببيت قدامه و فسرت فيه فيما فسرت سورة الجن.

٣٠- ﴿قَالُوا﴾ لقومهم ﴿يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾ قرآنًا، لا عيسى، و لأن الإنجيل نسخة من التوراة دون نسخ أحكامى إلا بعضاً مما حرم فى التوراة إبتلاء: "وَلِأَجْلِ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ" (٣: ٥٠) و لأنهما يتشابهان فى تفاصيل

الأحكام ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾: "قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا" (٧٢: ١).

٣١ / ٤٦

٣١- ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾ محمدا بالقرآن ﴿وَأَمِنُوا بِهِ﴾ أنفسكم عن المحاذير ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ﴾ بعضا ﴿مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ التى تغفر بتلك الإجابة: "يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهداً و مبعثراً و نذيراً. و داعياً إلى الله بإذنه و سراجاً مُنيراً" (٤٦: ٣٣) ﴿وَجَزَّكُم مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ يوم الأخرى.

٣٢ / ٤٦

٣٢- ﴿وَمَنْ لَا يَجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ﴾ مع بيناته الباهرة ﴿فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ﴾ الله و أهليه ﴿فِي الْأَرْضِ﴾: "وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ" (٢٩: ٢٢) ﴿وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ﴾ ينصرونه من بأس الله أو إلى رحمة الله ﴿أُولَئِكَ﴾ غارقون ﴿فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ نفسه فى كافة النشاطات.

٣٣ / ٤٦

٣٣- ألم يروا فطرهم و عقولهم ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ و "لَخَلَقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ" (٤٠: ٥٧) ﴿وَلَمْ يَعْى بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ "وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ" (٣٠: ٢٧) ﴿بَلَى﴾ هو أقدر على إحياء الموتى من الإحياء الأول ﴿إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ أيا كان مهما كان أقوى منه ﴿قَدِيرٌ﴾ فضلا عن أضعفه.

٣٤ / ٤٦

٣٤- ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾ عرض النار على النار، فيقال لهم ﴿أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ﴾ كما برهنا عليه يوم الدنيا ﴿قَالُوا بَلَىٰ وَرَبَّنَا﴾ قسما بربوبيته العالية حيث تقتضى حياة الحساب و الجزاء و إن كنا عنها متغافلين ﴿قَالَ﴾ الله لهم ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ الموعود لكم ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

٣٥ / ٤٦

٣٥- ﴿فَاصْبِرْ﴾ على ما يقولون ﴿كَمَا صَبَرَ أُولَؤُلَا الْعَزْمِ﴾ و الصبر العازم ﴿مِنَ الرُّسُلِ﴾ و هم خمسة، دون غيرهم إذ لم يجمع فيهم عزم الرسالة و لقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى و لم نجد له عزمًا (٢٠: ١١٥) عزمًا على الميثاق الغليظ الرسالى فى شرايع الدين: "شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَ الَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَ مَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَ مُوسَى وَ عِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَ لَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ" (٤١: ١٥) و عزمًا فى استقلال الشرعة و الاستقامة فيها و فى كل ما تطلبه الرسالة، خاصا بعد عامه: "وَ إِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَ مِنْكَ وَ مِنْ نُوحٍ وَ إِبْرَاهِيمَ وَ مُوسَى وَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَ أَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا" (٣٢: ٧) ﴿وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ عذابهم ﴿كَانَهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ﴾ فى الأخرى ﴿لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ﴾ مهما رأوا منه فى برزخهم، لتقابل القليل بالكثير، هذا ﴿بَلَاغٌ﴾ يبلغ كافة العقول ﴿فَهَلْ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ تخلفا عن بلاغه.

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. الَّذِينَ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَصَدُّوا﴾ أنفسهم و سواهم ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ﴾ بما كفروا و أضلوا: "مَنْ كَانَ يَرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَ زَيَّنَّا نُوفًا إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَ هُمْ فِيهَا لَا يَبْخَسُونَ. أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَ حَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَ بَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ" (١١: ١٦).

٢- ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ في إيمانهم بالله، ككل، ثم ﴿وَ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ﴾ و قد جاء ذكره في القرآن أربع مرات ﴿وَ هُوَ﴾ الإيمان العام و الخاص و عمل الصالحات بينهما ﴿الْحَقُّ﴾ كله ﴿مِنْ رَبِّهِمْ﴾ حيث رباهم بكافة التربيات ﴿كَفَرَ عَنْهُمْ﴾ كل ﴿سَيِّئَاتِهِمْ وَ أَصْلَحَ بِهِمْ﴾ هامتهم، هنا و في الأخرى: "إِنْ تَجَتَّبُوا كِبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نَكْفَرُ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَ نُدْخِلَكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا" (٤: ٣١).

٣- ﴿ذَلِكَ﴾ الفارق العظيم بين قبيلي الكفر و الإيمان ﴿بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ﴾ كله من شياطينهم ﴿وَ أَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ﴾ كله ﴿مِنْ رَبِّهِمْ﴾ كذلك يضرب الله للناس ﴿و أمثالهم﴾ و هذا مثل و ضابطة للفريقين في كافة الشرايع الربانية، دون اختصاص بالمسلمين.

٤- ﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ﴾ هؤلاء ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في قتال، بعد عظات بينات لم تنفع، بل زادوا عتوا و نفورا ﴿ف﴾ عليكم ﴿ضرب الرقاب﴾ رقاب الشر و رغبات الكفر، و ليست "الرءوس" إذ ليست لهم رءوس إنسانية: "فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَ اضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ" (٨: ١٢) ﴿حَتَّى إِذَا أَثْنَتُمُوهُمْ﴾ تحطيما حتميا ﴿فَشَدُّوا الْوَتَاقَ﴾ بأسرهم هيمنة عليهم، ف" ما كان لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يَتَخَنَ فِي الْأَرْضِ" (٨: ٦٧) فالأسر قبل الإثخان مرفوض و بعده مفروض، تكتيكة حربية كضابطة، ثم ﴿فَإِمَّا مَنًّا﴾ عليهم تحريرا ثقة بعدم قتالهم ﴿بَعْدُ وَ إِمَّا فِدَاءً﴾ قبال أسرى لكم أن يرجعوه كما ترجعون ﴿حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ و أثقالها ﴿ذَلِكَ وَ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَأُنْتَصَرَ مِنْهُمْ﴾ دون قتال و أسر ﴿وَ لَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ﴾ ثم بعد وضع أوزارها إبقاء لأسرهم عبيدا و إماء إن لم تأمنوهم ﴿وَ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾.

٥- بل ﴿سَيَهْدِيهِمْ﴾ إلى الجنة ﴿وَ يَصْلِحُ بِهِمْ﴾ هامتهم في الأخرى.

٦- ﴿وَ يَدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ﴾ التي ﴿عَرَفَهَا لَهُمْ﴾ من ذي قبل: "وَ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ" (٣: ١٦٩).

٧- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصَرُوا﴾ دين ﴿اللَّهِ﴾ و أهليه ﴿يَنْصُرْكُمْ﴾ في نصره ﴿وَ يَثْبِتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ فيه: "وَ لَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ. الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَ آتَوْا الزَّكَاةَ وَ أَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَ نَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَ لِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ" (٢٢: ٤١) فهذه هي "تَنْصَرُوا اللَّهُ" لا نصره في ربانيته و عودا بالله.

٨- ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ﴾ و بؤسا، سقوطا على وجوههم صما و عميانا ﴿وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ فهي هواء هباء.

٩- ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾: " فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا " مهما أحسنوا.

١٠- ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا﴾ .. فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا " (٤٦: ٢٢) " فَيَنْظُرُوا " ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ كفارا ﴿دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ حياتهم ﴿وَاللَّكَافِرِينَ﴾ ككل ﴿أَمْثَالُهَا﴾ مهما اختلفت دركاتها بدركاتهم أنفسهم.

١١- ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا﴾ كما هم أولياء الله ﴿وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ يلي أمورهم، لا ربانيا إذ ليسوا من أولياءه، و لا غيره إذ لا يفيدون حتى أنفسهم فضلا عن مواليتهم.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٥٠٨

١٢- ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ لإيمانهم ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ﴾ بمتاع الحياة الدنيا ﴿وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ﴾: " أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ " (١٧٩: ٧) ﴿وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ﴾ و مأوى.

١٣- ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ﴾ مجتمع مكلف ﴿هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجْتَكَ﴾ بما أخرجتك ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ و " هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَ رِئَاءً " و أشد في متع الحياة الدنيا.

١٤- ﴿أَفَمَنْ كَانَ﴾ على طول خط الإيمان الرسولي و الرسالي، محيطا ﴿عَلَى بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ " وَ يَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ " .. شاهدة على رسالته الربانية ﴿كَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ وَ اتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾: " وَ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَ كَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ " (٣٩: ٣٨).

١٥- ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ﴾ ها ﴿الْمُتَّقُونَ﴾ لا واقعها، و إنما وصف يمثلها شبحا منها " فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ " (١٧: ٣٢) من الناحية الروحية، فضلا عن جسمانياتها، مثلها أن ﴿فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾ لا يتغير بطول مكوثه، كماء زمزم ﴿وَ أَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ﴾ و طبيعة الماء و لا سيما اللبن التغير، مهما حوفظ عليها بحفاظات ﴿وَ أَنْهَارٌ مِنْ خَمَرٍ﴾ تخمر العقول و تسترها عن غير الله، أكثر مما خمرت بإيمانها " لا فِيهَا غَوْلٌ وَ لَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ " (٤٧: ٣٧). و " لا يَصَدَّعُونَ عَنْهَا " (٥٦: ١٩) صدعا للرأس ﴿لَذَّةٌ نَفْسِيَّةٌ وَ جَسْمِيَّةٌ﴾ للشَّارِبِينَ ﴿دُونَ هَزَّةٍ جَنُونِيَّةٍ مِنْ سَكَرٍ﴾ وَ أَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًى .. ﴿خَالِصًا عَنْ خَلِيطٍ، أَوْ فَهْوَ لَاءَ الْمُتَّقُونَ﴾ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ ﴿قَدَرُ خُلُودِ نَارِهِمْ فِي دَارِ الْفِرَارِ - مِمَّا ثَلَّةَ مَعَاكِسَةٍ -﴾ وَ سَقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ يَسُّ الشَّرَابُ وَ سَاءَتْ مَرْتَفَعًا " (١٨: ٢٩).

١٦- ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ نفاقا غير وفاق: "وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَسْمَعُ الصَّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ" (١٠: ٤٢) ﴿حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ إيمانا فى استماعهم ﴿مَاذَا قَالَ أَنفًا﴾ إذ لم يكونوا يصغون رغم استماعهم إليك ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ طبعاً بأهوائهم الهابطة الخابطة: "أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ" (١٠٨: ١٦).

١٧ / ٤٧

١٧- ﴿وَيَعَاكِبُهُمْ﴾ الَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى ﴿عَلَىٰ هُدَاهُمْ﴾ وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴿بِمَا اهْتَدَوْا وَهُدُوا﴾.

١٨ / ٤٧

١٨- ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ﴾ انتظارا غاويا ﴿إِلَّا السَّاعَةَ﴾ الْقِيَامَةَ ﴿أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً﴾ وَ لَا تَفِيدُهُمْ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ ﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ جمع الشرط، وَ هُوَ علامة المشروط بها الشيء ﴿فَأَنَّىٰ لَهُمْ﴾ الْخِلَاصُ ﴿إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾ السَّاعَةُ بِنَفْسِهَا، وَ مِنْ أَشْرَاطِهَا إَحْيَاءُ بَعْدَ الْمَوْتِ، إَحْيَاءُ عَدِيدٍ مَدِيدٍ مِنْ مُخْتَلَفِ الْمَوْتِ، وَ مِنْهَا مَجِئُ نَبِيِّ السَّاعَةِ مُحَمَّدٍ (ص) وَ انشقاق القمر، علامة مَوْقِفَةٍ لِكُلِّية خَرَابِ الْعَالَمِ قَبْلَهُ: "أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ" (٥٤: ١) إضافة إلى أَسْرَاطٍ أُخْرَىٰ فُطْرِيَّةٍ وَ عَقْلِيَّةٍ وَ رَسُولِيَّةٍ أُمَامِيَّةٍ.

١٩ / ٤٧

١٩- ﴿فَاعْلَمْ﴾ عَلَىٰ عِلْمِكَ، تَدْرِجًا إِلَىٰ مَعْرِفَةٍ أَعْلَىٰ ﴿أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾: "وَ قُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا" وَ مَعْرِفَةٌ ﴿وَ اسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ الْوَحِيدِ وَ هُوَ رِسَالَتُكَ الْوَحِيدَةُ دَفْعًا، أَنْ يَسْتَرْ اللَّهُ عَلَىٰ عَقَبَاتِهَا، كَمَا سَتَرَ بَفَتْحِ مَكَّةَ "إِنَّا فَتَحْنَا .. لِیَغْفِرَ لَكَ .." ﴿وَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ غُفْرَ الدَّفْعِ وَ الرِّفْعِ لِذُنُوبِهِمْ ﴿وَ اللَّهُ یَعْلَمُ مُتَقَلِّبُكُمْ وَ مَتَوَكِّمٌ﴾ فِی کَافَةِ النِّشَآتِ.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٥٠٩

٢٠ / ٤٧

٢٠- ﴿وَ یَقُولُ﴾ بَعْضُ مَنْ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا لَوْ لَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾ مَجْمُوعَةٌ آيَاتٍ فِی الْقِتَالِ ﴿فَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ﴾ وَ الْقُرْآنُ كُلُّهُ مُحْكَمٌ دَلَالِيًا وَ مَدْلُولِيًا ﴿وَ ذُكِّرَ فِيهَا الْقِتَالُ﴾ فَرَضًا عَلَى الْمَكْلُفِينَ ﴿رَأَيْتَ الَّذِينَ فِی قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ الشَّكُّ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُنَافِقِينَ ﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ كَرَاهَةٌ لِلْقِتَالِ ﴿فَأُولَىٰ لَهُمْ﴾ شَكَا لَعْدَمِ إِيْمَانٍ أَوْ ضَعْفِهِ، وَ هَذِهِ السُّورَةُ نَفْسُهَا هِیَ سُورَةُ الْقِتَالِ وَ مُحَمَّدٌ، وَ فِيهَا "فَضْرَبَ الرِّقَابَ" وَ مَا أَشْبَهَ.

٢١ / ٤٧

٢١- وَ الْمَرْجُو مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿طَاعَةٌ﴾ مُطْلَقَةٌ ﴿وَ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾ عِنْدَ اللَّهِ وَ أَهْلِيهِ ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ﴾ لِقِتَالٍ بِمَا فَرَضَ اللَّهُ ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ﴾ تَحْقِيقًا لِمَا قَالُوهُ بِشَأْنِ الْقِتَالِ مُتَرَجِّينَ ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ وَفَاقًا دُونَ نِفَاقٍ.

٢٢ / ٤٧

٢٢- ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أَنْتُمْ الْمَرْضَىٰ فِی قُلُوبِكُمْ، وَ لَايَةٌ وَ إِمْرَةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿أَنْ تُفْسِدُوا فِی الْأَرْضِ﴾ بَدَلَ إِصْلَاحِهَا ﴿وَ تَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ الَّتِی أَمَرْتُمْ بِصِلَتِهَا، نَسَبِيَّاتٍ وَ سَبَبِيَّاتٍ أَوْ إِيْمَانِيَّاتٍ.

٢٣ / ٤٧

٢٣- ﴿أُولَٰئِكَ﴾ الْمُنَافِقُونَ الْمَفْسَدُونَ، هُمْ ﴿الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ﴾ بِمَا صَمُوا ﴿وَ أَعَمَّىٰ أَبْصَارَهُمْ﴾ بِمَا عَمَلُوا.

٢٤ / ٤٧

٢٤- ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾ " .. وَ لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا" (٨٢: ٤) ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ﴾ مَقْلُوبَةٌ ﴿أَفْغَالُهَا﴾ فَاغْفَالُهَا عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ مَا وَجَدَتْ إِلَيْهِ سَبِيلًا، وَ التَّدْبِيرُ هُوَ جَعْلُ كُلِّ كَلِمَةٍ دَبْرًا أُخْرَىٰ، اسْتِفْسَارًا لِلْقُرْآنِ بِالْقُرْآنِ، إِذْ يَفْسِرُ

بعضه بعضا، و ينطق بعضه على بعض " فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ " (٤٣: ٤٣) فالقلوب النافذة إلى الحق، تتقبل ذكريات القرآن قدر انفتاحها، دون المغلقة.

٢٥ / ٤٧

٢٥- ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ﴾ من كفر بعد إيمان ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى﴾ كالشمس فى رابعة النهار ﴿الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ﴾ تزيينا لباطل ما يعرفون، فيهرفون و يخرفون ﴿وَأَمْلَى لَهُمْ﴾ إمهالا و تطويلا لآمال فارغة.

٢٦ / ٤٧

٢٦- ﴿ذَلِكَ﴾ التسويل و الإملاء ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ﴾ من قتال و سواه، و هم منافقون أو كفار ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾ حتى لا يكشف نفاقنا ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ فى نجوى طاعتهم إياهم فى بعض الأمر.

٢٧ / ٤٧

٢٧- ﴿فَكَيْفَ﴾ يكونون ﴿إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ عند موتهم، إذ ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ﴾ المتجهة إلى غير الله ﴿وَأَدْبَارَهُمْ﴾ المدبرة عن الله، قائلين لهم: "ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ" (٨: ٥٠) "وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنفُسَهُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَ كُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ" (٦: ٩٤) مما يدل على حياة برزخية بعد الموت عذابا للكافرين، و رحمة للمؤمنين: "قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَ جَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ" (٣٦: ٢٧).

٢٨ / ٤٧

٢٨- ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ﴾ من عقائد و أعمال ﴿وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ﴾ الله ﴿أَعْمَالَهُمْ﴾: "فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا".

٢٩ / ٤٧

٢٩- ﴿أَمْ حَسِبَ﴾ تخيلا خاويا ﴿الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ الضغن ضد الحق و أهليه، منافقين و كافرين ﴿أَنْ لَّنْ يَخْرُجَ اللَّهُ﴾ إظهارا لآخرين ﴿أَضْغَانُهُمْ﴾ و هو مخرجها، تعريفا بهم فى الآخرة و الأولى: "إِنْ يَسْأَلُكُمْوهَا فَيَحْفَكُمُ تَبَخَّلُوا وَ يَخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ" (٤٧: ٣٧) كما هنا.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٥١٠

٣٠ / ٤٧

٣٠- ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمُ فَلَعرَفْتَهُمْ﴾ إذا ﴿بِسِيمَاهُمْ﴾ و هو ظاهر وجوههم علامة النفاق، و لكن الدار هى دار الامتحان، دون ظهور للسرائر، لكن ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ و هو فلتة اللسان، و تضاد البيان، و هكذا يتفرس نفاق المنافقين على قدر ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ على أية حال.

٣١ / ٤٧

٣١- ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾ ببلايا مختلفة ﴿حَتَّى نَعْلَمَ﴾ علما و علامة، لا علما بعد جهل، و مما يبرهن علمه وحدة المفعول "حَتَّى نَعْلَمَ": ﴿الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَ الصَّابِرِينَ﴾ فى البأساء و الضراء ﴿وَنَبْلُوا أَخْبَارَكُمْ﴾.

٣٢ / ٤٧

٣٢- ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالله ﴿وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ " من آمن يبعثونها عوجاً و من لم يؤمن و يرجى إيمانه ﴿وَشَاقُوا الرَّسُولَ﴾ أنه فى شق و هم فى شق سواه، كأنهم رسل لأنفسهم مهما كان هو رسولا فى نفسه ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى﴾ ببلاغ الرسالة ﴿لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً﴾ بل ينضرون هم أنفسهم، إذ ﴿وَسَيَحِيطُ أَعْمَالُهُمْ﴾ فلا يملكون شيئا.

٣٣ / ٤٧

٣٣- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ﴾ فى محكم كتابه ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ فى سنته الجامعة غير المفارقة ﴿وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾ عصيانا لله و رسوله، أو تركا للطاعة، و لأن إبطال العمل ألوان، فلا يختص النص بهما، بل و كل ما يبطل الأعمال، من ترك شرط لصحة، أو إيجاد مانع عنها، قبل الأعمال أو معها أو بعدها، فيحرم إبطال الأعمال العبادية على أية حال، سواء أ كان إتيانها باطلة، أو نقضا إياها بعد الإشتغال بها كالرثاء و ما أشبه من إبطال للأعمال على أية حال.

٣٤ / ٤٧

٣٤- ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالله ﴿وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ﴾ بعدهما ﴿مَاتُوا وَ هُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ أبدا.

٣٥ / ٤٧

٣٥- ﴿فَلَا تَهِنُوا﴾ أمام الكفار ﴿وَلَا تَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ﴾ وهنا ﴿وَالْحَالُ أَنْكُمْ﴾ ﴿أَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾ ف "إِنْ تَنْصَرُوا لِلَّهِ يَنْصُرْكُمْ وَ يَثْبِتْ أَقْدَامَكُمْ" فى كل إقدامكم: "وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ" (١٠١: ٤) اللهم إلا أن تدعوا إلى السلم: "وَلَا تَهِنُوا لِلْسَّلَامِ فَاجْتَنَحْ لَهَا وَ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ" (٨: ٦١) ﴿وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَ لَنْ يَتْرُكَكُمْ﴾ يقطعكم ﴿أَعْمَالَكُمْ﴾ عليكم قطعا عن ثوابها، و لا عن استمراريتها إن بقيتم أحياء، فهو يجازيكم بعد موتكم مهما انقطعت فيه أعمالكم.

٣٦ / ٤٧

٣٦- ﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ الدانية الدنية ﴿لَعِبٌ﴾ الأطفيل ﴿وَلَهُوَ﴾ الملتهم بها اللاهين ﴿وَلَا تَهِنُوا وَ تَتَّقُوا يَوْمَ تُؤْتَوْنَ أَجُورَكُمْ﴾ بهما يوم الأخرى ﴿وَلَا يَسْأَلُكُمْ أَمْوَالُكُمْ﴾ بل أحوالكم لصالحكم.

٣٧ / ٤٧

٣٧- ﴿إِنْ يَسْأَلُكُمْوهَا فَيَحْفِكُمْ﴾ يجهدكم و يتعبكم ﴿تَبَخَّلُوا﴾ عنها ﴿وَيَخْرِجُ﴾ إذا ﴿أَضْغَانَكُمْ﴾ فى سؤال المال على أية حال.

٣٨ / ٤٧

٣٨- ﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَدْعُونَ﴾ هنا ﴿لَتَنْفِقُوا﴾ أموالا ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ﴾ عن الإنفاق ﴿وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَنْ نَفْسِهِ﴾ دون الله ﴿وَاللَّهُ الْغَنَى﴾ دون فقر ﴿وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ﴾ دون غنى ﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا﴾ عن الله ﴿يَسْتَبْدِلْ﴾ بكم الله ﴿قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ فى بخلكم، تهديد شديد مديد طول زمن الإسلام إلى يوم القيامة، و "إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يَغْيُرُوا مَا بَأَنفُسِهِمْ" (١٣: ١١).

سورة الفتح

١ / ٤٨

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿إِنَّا فَتَحْنَا﴾ بجمعية الرحمت الرحيمية ﴿لَكَ﴾ لصالحك رسوليا ﴿فَتَحًا مُبِينًا﴾ يبين حق رسالتك العظمى، إبانة للحق كله أمام الباطل كله، وإبانة للسلطة الزمنية الشاملة إضافة إلى السلطة الروحية الكاملة، و هي فتح مكة المكرمة بعد هجرته (ص) إلى المدينة، فتح الفتوح الذي كانوا يرتقبونه و يرغبون إليه: "وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ" (٦١: ١٣) "إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا" (١١٠: ١) و ذلك الفتح خارقة ربانية منقطعة النظير، عن كل بشير و نذير، لقوائم أربع بنى عليها عرش الرسالة الإسلامية.

٢ / ٤٨

٢- ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَ مَا تَأَخَّرَ﴾ فالغفر هو الستر كالمغفر، رفعا أو دفعا، و الذنب هو كل ما يستوخم عقابه دنيى أو عقبى، فالأولى أفضل الطاعات، و الثانية أُرذل العصيانات، و فتح مكة غفر رفعا كل وخامة بذنب الرسالة قبله إذ تناساها الرسول، و غفر دفعا كل وخامة به بعد إذ لم تبق قوة لساعد الإشرار تحاربه، بل استوثقت الجزيرة كلها وراءه بالإسلام ﴿وَيَتِمَّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكَ﴾ بفتح عاصمة الرسالة ﴿وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ زمينا بعد الروحى، إذ كان "لَمَنِ الْمُرْسَلِينَ. عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ" قبله روحيا.

٣ / ٤٨

٣- ﴿وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ لا قبل له بعد، فهل إن هذه العطايات الربانية لصاحب الرسالة العظمى هي من مخلفات ذنب العصيان، واحدا طول رسالته "مِنْ ذَنْبِكَ" بعد، بعدا بعيدا لفظيا و معنويا عما أَراده الله! و حتى الشيطان لا يسطع على ذنب واحد متواصل.

٤ / ٤٨

٤- ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ فكيف لم ينزلها على "صاحبه فى الغار" و هو بحاجة إليها ماسة، بل "فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ" (٩: ٤٠) أى الرسول فقط! ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

٥ / ٤٨

٥- ﴿لِيَدْخُلَ﴾ بسكينته الإيمانية ﴿الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ ماء و لبنا و عسلا مصفى ﴿خَالِدِينَ فِيهَا وَ يَكْفَرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَ كَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ "وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَ آتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ".

٦ / ٤٨

٦- ﴿وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ﴾: "إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ" (٤: ١٤٥) ﴿وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ﴾ و معهم الملحدون و الملحدرات ﴿الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنًّا سَوْءًا﴾ أن له أندادا اتخذهم شركاء، و ألا رسالة و لا حساب و لا ثواب و لا عقاب ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوءِ﴾ بروزا لظنهم السوء، تدور عليهم كما دار عليهم ظن السوء ﴿وَوَ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَ لَعَنَهُمْ﴾ عن رحماته ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَ سَاءَتْ مَصِيرًا﴾ بما أساءوا من ذى قبل.

٧ / ٤٨

٧- ﴿وَلِلَّهِ﴾ كل ﴿جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ملائكية و سواها ﴿وَكَانَ اللَّهُ﴾ أزلياً و أبدياً ﴿عَزِيزاً﴾ لا يحتاج إلى جنود ﴿حَكِيماً﴾ قضيتها بعث الجنود و بثهم في السماوات و الأرض.

٨ / ٤٨

٨- ﴿إِنَّا﴾ بجمعية الرحمت الإرسالية ﴿أَرْسَلْنَاكَ﴾ رسالة وحيدة غير وهيدة ﴿شَاهِداً﴾ لله منه على رسالته الربانية، و لأعمالكم بما أشهده عليها تلقياً ثم يليقها يوم يقوم الأَشْهاد ﴿وَمُبَشِّراً﴾ للمؤمنين ﴿وَنَذِيراً﴾ للكافرين.

٩ / ٤٨

٩- ﴿لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ﴾ ألوهية ﴿و﴾ ب ﴿رَسُولِهِ﴾ رسالة ﴿وَتُزَوَّرُوهُ﴾ نصره ﴿وَتُوقَرُوهُ﴾ عظمة ﴿وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ مما يدل على أن مربع الإيمان و التعزير و التوقير و التسبيح هي لله دون رسوله إذ لا يسبح، اللهم إلا على هامش الربانية، و لكن التسبيح لا يناسب غير الله، مهما ناسبه ما قبله: "فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَ عَزَرُوهُ وَ نَصَرُوهُ" (٧: ١٥٧).

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٥١٢

١٠ / ٤٨

١٠- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ﴾ ككل، و لا سيما تحت شجرة الرضوان بصلح الحديبية: "لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يَبَايَعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ" (١٨) ﴿إِنَّمَا﴾ ليس إلا أنهم ﴿يَبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ بيعة إيمانية في الحق، مهما بايعوا رسول الله (ص) ف ﴿يَدُ اللَّهِ﴾ سلطة و رحمة في مبايعة و سواها، هي ﴿فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ كونا و كيانا، دون جارحة هي جارحة محتد الربوبية، و لا أى مكان أو زمان، إلا مكانة فائقة لا تشبه سائر الأيدي، فلأن اليد مستعملة في الله و في خلقه، فأياتها- إذا- متشابهة، لا بد من تجريدها عما للخلق كتجرد ذاته تعالى، إذ "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ" (٤٢: ١١) و "لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ" (٦: ١٠٣) و ما أشبه من محكمات دلالية بعد عقلية تنزهه تعالى عن جسم و زمان و مكان ﴿فَمَنْ نَكَثَ﴾ تلك البيعة من هؤلاء العشرة المبشرة و غيرهم ﴿فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ خارجاً عنها بعد بداية البشارة، إذ كانت مشروطة بالإيفاء ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ﴾ في مبايعته ﴿فَسِيَّئْتِهِ أَجراً عَظِيماً﴾.

١١ / ٤٨

١١- ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ أصحاب البوادي، البعيدين عن المعرفة الإيمانية، و ذلك في فتح خيبر قبل الفتح المبين ﴿شَغَلْنَا أَمْوَالَنَا وَ أَهْلُونَا﴾ عن الخروج معك للقتال و الأعراب أشد كُفْراً وَ نِفَاقاً وَ أَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ (٩: ٩٧) ﴿فَاسْتَغْفِرْ لَنَا﴾ الله إغذاراً لنا ﴿يَقُولُونَ بِالسِّتَةِ﴾ ما ليس في قلوبهم ﴿المقلوبة، نفاقاً عارماً دون وفاق، إذ شغلهم نفاقهم لا سواه ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئاً﴾ يخلصكم ﴿إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرّاً أَوْ﴾ يمنع عنكم إن ﴿أَرَادَ بِكُمْ نَفْعاً﴾ فإنه هو الضار و هو النافع ﴿بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾ رغم تستركم في نفاقكم.

١٢ / ٤٨

١٢- ليس "شَغَلْنَا" ﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ﴾ ظن السوء ﴿أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ من هذه الحرب ﴿إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَداً﴾ فتركتموا الخروج حفاظاً على أنفسكم ﴿وَزَيْنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ و كأنكم أيقنتم بذلك ﴿وَ ظَنَنْتُمْ ظَنَ السَّوِّءِ﴾ ذلك ﴿وَكُنْتُمْ﴾ إذا ﴿قَوْمًا بُوراً﴾ خاوين من كل إيمان بالله، غاوين في كفركم و تكذيبكم بالله.

١٣ / ٤٨

١٣- ﴿وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ﴾ بورا ﴿فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعيراً﴾ نارا شديدة التاجج، و كما تأجبوا كفرا و أججوه.

١٤ / ٤٨

١٤- ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ و هما الكون كله ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾ هو غفرا فيشاءه الله ﴿وَلَا يَعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ عذابا فيعذبه الله ﴿وَلَا كَانَ اللَّهُ﴾ كأصل رحيمي ﴿غَفُوراً رَحِيماً﴾ ما أمكنا في عدله و فضله، في موضع الغفر و الرحمة.

١٥ / ٤٨

١٥- ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ﴾ من الأعراب، القاعدين مع الخالفين ﴿إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا﴾ بعد غلبكم فيما تخلفوا عنه ﴿ذَرُونَا تَتَّبِعْكُمْ﴾ هنا، مهما تركناكم في أصل الحرب ﴿يُرِيدُونَ﴾ بذلك ﴿أَنْ يَبْدُلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾ أنهم لا يتبعونكم ﴿قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا﴾ حتى في أخذ الغنائم خوفا من تجدد الحرب، استحالة الإتياع باختيارهم ﴿كَذَلِكَ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾: ﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ (٩: ٤٦) و الامتناع بالاختيار لا ينافي الإختيار، و هذا من الملاحم القرآنية، في استحالة تخلف كلام الله، و لو ممن لهم خيار الإتياع قوليا تبديلا لكلام الله ﴿فَسَيَقُولُونَ﴾ ليس كما تقولون ﴿بَلْ﴾ أنتم ﴿تَحْسُدُونَنَا﴾ في تلکم المغانم لتأخذوها لأنفسكم و تحرمونا نحن عنها ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ﴾ الحق ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ يكلفهم أن يفقهوه كله.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٥١٣

١٦ / ٤٨

١٦- ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ القاعدين مع الخالفين ﴿سُدُّعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ تعبير عنهم بشديد البأس لمرة أولى، مما يجعل خطر هذه المواجهة أكثر من غيرها طوال الحروب، فلعلها كلها قتال الفتح و قتال فرس ﴿تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ و قد أسلموا دون قتال في فتح مكة، و مع قتال قليل مع الفرس ﴿فَإِنْ تَطِيعُوا﴾ تلك الدعوة ﴿يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا﴾ و إِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ﴾ في حرب خيبر و سواها ﴿يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

١٧ / ٤٨

١٧- ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ فلا يجب عليهم الإستجابة مهما كانت راجحة: "فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ" (٢: ١٨٤) ﴿وَمَنْ يَطْعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ في يسر أو حرج ﴿يَدْخُلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ﴾ عن واجب الطاعة ﴿يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

١٨ / ٤٨

١٨- ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يَبَايَعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ في بيعة الرضوان: "فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا" (٤٨: ١٠) ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ هو فتح مكة، و "علم" هنا حادثا هو من العلم، أن جعل الله لما في قلوبهم علامة ظاهرة تعرف من نكث و وفاء، و هو أزلها من العلم أنه كان عالما بما في قلوبهم أيا كان، و كلاهما هنا معنيان توسعا بليغا فيهما.

١٩ / ٤٨

١٩- ﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾ في الفتح القريب ﴿وَلَا كَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾، غلبا بعزته، و حكمة في الحروب إبتلاء.

٢٠ / ٤٨

٢٠- ﴿وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً﴾ نفسية و مادية ﴿تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾ الغنائم في فتح قريب ﴿وَلَا كَفَّ أَيْدِي النَّاسِ﴾ المشركين بمكة ﴿عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ﴾ هذه كلها ﴿آيَةً﴾ ربانية ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ وَ يَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ بفتح عاصمة الدعوة، كما و يهديك صراطا مستقيما لشخص الرسول قائد للقوات الرسولية الغالية، فهدي الصراط المستقيم درجات.

٢١ / ٤٨

٢١- ﴿وَ﴾ مغانم ﴿أُخْرَى﴾ مؤجلة شرط صامد الإيمان ﴿لَمْ تَقْدِرُوا﴾ بأنفسكم ﴿عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا﴾ بقدرته نفسه ﴿وَ﴾ كان الله على كل شيء قديراً ﴿دُونِما استثناء﴾ فلا يبرز قوته تماماً في الحرب السجال، تطبيقاً لإختيار في عالم التكليف.

٢٢ / ٤٨

٢٢- ﴿وَ لَوْ قَاتَلَكُمُ﴾ أنتم المؤمنين المرضيين عند الله، أيا كنتم و أيان ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أيان و أين في أى زمان أو مكان ﴿لَوْلُوا الْأَذْبَارُ﴾ عنكم ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًا وَ لَا نَصِيرًا﴾.

٢٣ / ٤٨

٢٣- أعنى ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ﴾ فى تغلب المؤمنين الحقيقيين ﴿وَ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ إلا أن يبذل المؤمنون سنة الإيمان الصامد، غير الخامد، و قد ذكرت شروط سنة الانتصار لهم فى آيات أخرى، و منها: "إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَ يَثْبِتْ أَقْدَامَكُمْ" (٧: ٤٧) "وَ لَا تَهِنُوا وَ لَا تَحْزَنُوا وَ أَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ" (٣: ١٣٩) "وَ لَنْ يَضُرَّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَ إِنْ يَقَاتِلُوكُمْ يَوَلُّوكُمُ الْأَذْبَارَ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ" (٣: ١٠٨) شرط أن يكونوا معتصمين بالله، مهتدين إلى صراط مستقيم (٩٧) متقين الله حق تقاته (٩٨) معتصمين بحبل الله لا متفرقين (٩٩) داعين إلى الخير، أمرين بالمعروف ناهين عن المنكر مفلحين (١٠٨) ثم "لَنْ يَضُرَّوكُمْ إِلَّا أَذًى" و لو قاتلكم الذين كفروا لولوا الأذبار ثم لا ينصرون و كل ذلك شرط الكفاح، و لا سيما إذا أمر الله، كما فى حرب طلوت جالوت و ما أشبهه، فليست غلبة المؤمنين فى حروبهم لمجرد الإيمان، بل و على شروط لغلبهم دون تخلف، كما تخلفت الرماة الخمسون فى حرب أحد فانهزم المسلمون، ثم تغلبوا بما أصلحوا أنفسهم.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٥١٤

٢٤ / ٤٨

٢٤- ﴿وَ هُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾ و أنتم المهاجمون للفتح و هم أكثر منكم عدة و عدة، ثم ﴿وَ﴾ كف ﴿أَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ﴾ بِيَطْنِ مَكَّةَ و عمقها ﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ و ما أحسن السنة الرسولية ألا انتقام فيها، و إنما دفاع ليس إلا، رغم أن سكرة النصر تحمل على كل انتقام، و لكن كف أيديكم عنهم كف عنهم دوام الكفر، و قربهم إلى الإسلام أو الاستسلام لأمد قريب، كما استوثقت الجزيرة كلها بالإسلام ﴿وَ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾.

٢٥ / ٤٨

٢٥- ذلك مع أنهم ﴿هُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ثم ﴿وَ صَدَّوْكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ طول سنين ﴿وَ﴾ صدوا ﴿الْهَدْيَ﴾ حالكونه ﴿مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ﴾ و فعلوا ما فعلوا بكم طيلة المقام بمكة و بعد الهجرة، مما يحرضكم بطبيعة الحال، و حتى السماح إسلامياً ظاهراً، أن تعتدوا عليهم بمثل ما اعتدوا عليكم، و لكننا المصلحة الفوقية هنا اقتضت أن تكفوا أيديكم بما كف الله تأييداً ﴿وَ لَوْ لَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَ نِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ﴾ فيهم إذ لم يهاجروا ﴿لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ﴾ قتالا ﴿فَتَصِيبِكُمْ مِنْهُمْ مَرَّةٌ بَغَيْرِ عِلْمٍ﴾ لزهوة النصر و عمى الغلبة، لكان اعتداءكم بالمثل، و لكن ﴿لِيَدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ من المغلوبين و كما أسلموا و ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾ هؤلاء المؤمنون و المؤمنات، تميزا بين المؤمنين و الكافرين، دون خلط أو غلط ﴿لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ﴾ بعد الفتح و قبله ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ إذ لم يؤثر الكف عنهم إسلامياً منهم مهما كان بظاهر الحال، فذلك الكف كان لهذين الأمرين.

٢٦ / ٤٨

٢٦- و متى كفروا و صدوا ..؟ ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ﴾ الحتمية ﴿حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ الحمقاء، فلا يزول عنهم الضلال و الدلال ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ كفا لأيديهم عنهم قبل الفتح ﴿وَ أَلَزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾ -

إذا- اتقاء عن الهجمة الجماهيرية ﴿وَكَانُوا﴾ هم ﴿أَحَقُّ بِهَا وَأَهْلُهَا﴾ الأهلين لها في مثل هذه الحالة المزرية ضد المسلمين ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ فيوفق الرسول و المؤمنين بكلمة التقوى هذه.

٢٧ / ٤٨

٢٧- ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ﴾ بداية و غاية و سببا و مصاحبة و نهاية، أن ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ من كل بأس، حالكونكم ﴿مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾ ثم "مُحَلِّقِينَ أَوْ مُقَصِّرِينَ" و ﴿لَا تَخَافُونَ﴾ بأسا أبدا ﴿فَعَلِمَ﴾ الله ﴿مَا لَمْ تَعْلَمُوا﴾ من الفتح الموعود ﴿فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ﴾ الصدق في الرؤيا ﴿فَتَحًّا قَرِيبًا﴾ و هنا نرى ضما بين صلح الحديبية و فتح مكة، و كلاهما فتح مهما كان الأول مقدمة للثاني، ثم و قد يكون مؤمنون في أصلاب كافرين مستحقين للقتل، فلا يقتلون حتى يولد هؤلاء ثم يقتلون، و هنا عمرة القضاء في صلح قبل الفتح هي مما يخير المعتمر بعد السعي بين الحلق و التقصير، إذا كانت مفردة.

٢٨ / ٤٨

٢٨- ﴿هُوَ﴾ الله ﴿الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ﴾ الوحيد محمدا (ص) كأنه هو الرسول فقط دون الرسل كلهم، و كما في (٨٢) آية أخرى ﴿بِالْهُدَى﴾ كلها، كما له الرسالة كلها ﴿وَدِينِ الْحَقِّ﴾ كله، لا "الدين الحق" فإنه حق في كافة الشرايع، و لكن هذا هو "دين الحق" كله، ثابتا إلى يوم الدين ﴿لِيُظْهِرَهُ﴾ غلبة عالمية ﴿عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ كتابيا و سواه، و لا يتحقق ذلك إلا في دولة المهدي عليه السلام ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ لذلك الإظهار و الظهور، أجل: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ .. وَ لَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (٦١: ٩) .. وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٩: ٣٣) فقد "كفى بِاللَّهِ شَهِيدًا" لذلك الإنتصار" وَ لَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ" ككل و "الْمُشْرِكُونَ" بخصوصهم.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٥١٥

٢٩ / ٤٨

٢٩- ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ﴾ فرسالته الوحيدة الربانية هي خير تعريف به بين التعاريف كلها، كما ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ هو خير تعريف بالمؤمنين الخصوص، فإنها معية رسالية مع الرسول، استقامة معه كما أمر "فَاسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتُ وَ مَنْ تَابَ مَعَكَ" (١١: ١١٢) فلا تعنى سائر المعيات، لغة- جوارا- بلدة- قرابة أماهيم، إنما هي المعية الرسالية، فهما وصفان منقطعا النظير لهذا الرسول و المؤمنين الخصوص، فهم- إذا- ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾ أيا كانوا و أيان، ما هم ضده (ص) دون ليونة أمامهم و لا مسايرة فمصايرة و لا أنصاف حلول و مهادنة و موادة ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ أنفسهم، انتقاشا فيهم سيرة و سريرة كلمة الإخلاص، سلبا للكافرين: "لا إله" و إيجابا للمؤمنين: "إِلَّا اللَّهُ" و كما هي منتقشة في حياتهم و حيوياتهم كلها ﴿تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ في صلواتهم، و كافة صلاتهم، كأنهم دائمو الركوع و السجود لله عبودية، و لأهل الله تواضعا، مهما لا يركعون لهم و لا يسجدون، لانحصارهما بالله، و انحسارهما عن غير الله، ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَ رِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ﴾ بكل وجوههم، مطبوع ﴿مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ لله، و هي العلامة اللاتحة للناظرين بنور الله، دون خصوص ثفات و مظاهر أخرى خاوية عن واقعات ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ﴾ كما نجد فيها، مثلما في (مزمو: ١٤٩) لداود (ع) ثم ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ﴾ فرع و فرخه ﴿فَازَرَهُ﴾ ناصر فرع. أصله كما الأصل فرع ﴿فَاسْتَعْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ﴾ لحد ﴿يَعْجَبُ الزَّرَّاعُ﴾ من غلظه و استواءه ﴿لِيُغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ ككل، لنموهم و انتماءهم إلى الله حقا، كما نجد مثلهم هذا في أنجيل متى- مرقس و لوقا ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً﴾ عن ذنوبهم ﴿وَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ لإيمانهم، و ذلك النمو العال ظاهر في دولة المهدي (ع) إظهارا على الدين كله، مهما كان الأصيل هو الرسول محمد صلى الله عليه و آله فالمهدي عليه السلام هو الفرع الفصيل.

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ ﴿لَا تَقْدُمُوا﴾ أنفسكم و لا غيركم أيا كان ﴿بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ ألوهة تختص بالله، و رسالة عن الله، لا اتخاذا إياه كأنه الله فضلا عن أئمة الهدى، فلكلّ مقامه لا يساوى أو يسامى، و هذا قضية الإيمان و اتَّقُوا اللَّهَ ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ المقالات ﴿عَلَيْكُمْ﴾ النيات و الحالات و الفعالات التى تقدم على الله و رسوله، و من التقديم بين يدى رسوله رفع الصوت فوق صوته:

٢- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ فى مكالمة بينكما ﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ﴾ قال أو سكت ﴿كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ فله مقامه الخاص، مخافة ﴿أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ﴾ حطا عن مقامه ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ حطا و لا حبطا، فإن تعمّد الحط عن مقامه كفر برسالته.

٣- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ﴾ تخضعا و احتراما ﴿عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ﴾ المؤدبون إيمانيا، هم ﴿الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى﴾ عما لا يرضاه الله، ف ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ بها عن سيئات لهم ﴿وَفَوْقَ ذَلِكَ﴾ ﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ لعظم أدبهم فى الله: "إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ" (١١: ١١٤).

٤- ﴿إِنَّ الَّذِينَ ينادونَكَ مِنْ وَّرَاءِ الْحُجُرَاتِ﴾ خفية أو جهره ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ أنه سوء أدب، و أقلهم يعقلون فما هم - إذا - بمؤمنين، فرعاية الآداب أمام الشخصيات الإيمانية، هى من العقل الإيمانى، أو لأقل تقدير إنسانيا.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٥١٦

٥- ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا﴾ عن نداءهم إياك ﴿حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ﴾ من الحجرات ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾ أدبيا، و خلافه شر لهم ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ بكم عما ناديتموه من وراءها من ذى قبل.

٦- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ عنه حتى تعرفوا صدقه أو كذبه، إذ لا يعتمد على خبر الفاسق، اللهم إلا ظنا و "إِنَّ الظَّنَّ لَا يَغْنَى مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً" (٢٨: ٥٣) و لَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ" (٣٦: ١٧) مهما كان خبرا عن عادل، فالأصل فى تقبل نبا هو التبين علما، مخافة ﴿أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ﴾ لعدم التبين عن النبيا ﴿فَتُصِيبُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ فضلا عن أن تصيبوا خلاف حكم الله بجهالة.

٧- ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ﴾ نبأ من فاسق، و دون تبين ﴿لَعَنْتُمْ﴾ تعبا عاليا ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبٌ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانُ وَ زَيْنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ كما هو ﴿وَكَرِهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَ الْفُسُوقَ وَ الْعِصْيَانَ﴾ مما يدل على أن الكراهية ليست هى المرجوحية، بل هى حرمة مغلظة ﴿أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾.

٨- إنه "حب و كره" ﴿فَضْلًا مِنَ اللَّهِ﴾ لكم ﴿وَنِعْمَةً﴾ عليكم ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بأحوالكم ﴿حَكِيمٌ﴾ بما يفعل بكم.

٩- ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ شيعية أو سنة، كل مع بعض البعض أو مع الآخرين ﴿اقتتلوا﴾ تحلفا عن تألف الإيمان ﴿فأصلحوا﴾ أنتم الخارجون عنهم، سنة أو شيعية ﴿بينهما﴾ بأية وسيلة وصيلة ممكنة، بعظة أو مال و ما أشبهه من مصلح في هذا البين ﴿فإن بعت﴾ بعد محاولات الإصلاح ﴿إحداهما على الأخرى﴾ مهما كانت الباغية منكم ﴿فقاتلوا التي تبغى حتى تنفي﴾ إلى أمر الله ﴿تقبلا للصلح﴾ ﴿فإن فاءت﴾ رجعت إلى أمر الله، توقفا عن القتال ﴿فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا﴾ بينهم في إصلاحكم، دون انحياز إلى قريب إليكم ﴿إن الله يحب المقسطين﴾ و ييغض القاسطين.

١٠- ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ في الإيمان، أي كانوا في مذاهب ما كانوا مؤمنين كأصل بينهم، مهما كان بينهم فصل عقيدى أو عملي، إذا ﴿فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله﴾ في الإصلاح، عن خلاف عدل أو قسط ﴿لعلكم ترحمون﴾ و إلا فأنتم ترجمون "و الصلح خير و أضررت الأنفس الشح" (٤: ١٢٨) "فاتقوا الله و أصلحوا ذات بينكم" (٨: ١) و كضابطة عامة ما أمكن إصلاح بين المؤمنين فهو، و إلا فضغط عليهم بقوة حتى يتصلحوا، حيث الأصل الحيوى بينهم هو الصلح.

١١- ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا﴾ هم ﴿خييراً منهم﴾ الساخرين، و حتى إن لم يكونوا خيرا منهم، حيث السخرية جهالة مهما كان من نبي على من دونه "قالوا أ تتخذنا هزواً قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين" (٢: ٦٧) فلا سخرية على أية حال، و لا سيما من المؤمنين، و خصوصا فيما "عسى أن يكونوا خيرا منهم" ﴿و لا نساء من نساء﴾ مما يدل على أن القوم هنا هم الرجال، و أما سخرية رجال من نساء أو نساء من رجال فأنحس و أنكى ﴿عسى أن يكن خيرا منهن﴾ ثم ﴿و لا تلمزوا أنفسكم﴾ تعيبا، إلا تهذيبا بعظة خفية، و "أنفسكم" هنا إضافة إليكم أنفسكم، تعم أخويكم، فإن "بعضكم من بعض" ﴿و لا تتابزوا بالألقاب﴾ السيئة، تلاقيا سيئا بينكم، أن ينادى أو يسمى بعضكم بعضا بما يسيئه ﴿بئس الاسم﴾ تلاقيا ﴿الفسوق﴾ عن الإيمان ﴿بعد الإيمان و من لم يتب﴾ عن ذلك ﴿فأولئك هم الظالمون﴾ بعضهم بعضا، فإنه خلاف الأخوة الإيمانية و حرمتها.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٥١٧

١٢- ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ شيعية و سنة و .. ﴿اجتنبوا كثيراً من الظن﴾ دون قليله في موقعه اللائق به، علما بمزرعة ﴿إن بعض الظن إثم﴾^{٢٤} يبطئ عن واجب الخير أو يوقع في شر، فكثير الظن الذى بعضه إثم يجتنب فرضا، قضية الإيمان في أصالة الخير ﴿و لا تجسسوا﴾ عن خفايا و خبايا المؤمنين، لتؤكدوا شرا منهم، خروجا عن الظن الخاوى إلى علم بشر فيهم، ثم و إن علمتم فيهم شرا على أية حال ﴿و لا يعتب بعضكم بعضا﴾ أن يذكره في غيابه بما يسيئه من سوء، اللهم إلا فيما يستثنى في هذه المحظورات الثلاث، و ليس منها خلافات مذهبية، فضلا عن سائر الخلافات في حقل الإيمان، فكما لا يجوز لشيعي أن يظن أو يتجسس أو يغتاب شيعيا، كذلك بحق السني، حيث الأخوة الإيمانية تشمل الكل، إلا المنافقين الرسميين: "فإن تابوا و أقاموا الصلاة و أتوا الزكاة فإنهم في الدين" (٩: ١١) دون شرط آخر تخلقه مذاهب متعصبة ﴿أ يحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه

^{٢٤} . و من الظن الإثم، بأن القرآن ظنى الدلالة خلافا لكونه نورا و تبيانا و لم يجعل له عوجا و ظنية الدلالة عوج و ظلمة.

مَيِّتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴿مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْكَرَاهِيَةَ حَرَمَةٌ مَغْلُظَةٌ ﴿وَأَتَّقُوا اللَّهَ﴾ فِيَمَا بَيْنَكُمْ، كَمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ اللَّهِ ﴿إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ﴾ لِمَنْ يَتُوب ﴿رَحِيمٌ﴾ بِمَنْ يَسْتَرْحِمُهُ أَوْ هُوَ أَهْلٌ لِلرَّحْمَةِ.

١٣ / ٤٩

١٣- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ﴾ أَبَوَيْنِ ﴿ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ جَنْسَيْنِ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا﴾ مُتَشَعِبِينَ عَنْ بَعْضِكُمُ الْبَعْضِ ﴿وَقَبَائِلَ﴾ مُتَعَدِّدَةً بَعْدَ تِلْكَ الْإِنْشِعَابَاتِ النَّاسِلِيَّةِ ﴿لِتَعَارَفُوا﴾ بَعْضُكُمْ مَعَ بَعْضٍ، لَا لِتُخَالَفُوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا ﴿إِنْ﴾ لَيْسَ إِلَّا ﴿أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ دُونَ سَائِرِ الشُّعْبَاتِ وَالْقَبِيلَاتِ وَ مَا أَشْبَهَ مِنْ مِيزَاتٍ جَاهِلَةٍ ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بِأَحْوَالِكُمْ ﴿خَبِيرٌ﴾ بِحَاجَاتِكُمْ، فَارْكَزُوا- إِذَا- عَلَى مِيزَةٍ وَاحِدَةٍ هِيَ "أَتْقَاكُمْ" لَيْسَ إِلَّا، تَخَلَّقُوا بِأَخْلَاقِ اللَّهِ دُونَ سَائِرِ الْأَخْلَاقِ.

١٤ / ٤٩

١٤- ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ﴾ الْبَعِيدُونَ عَنِ الْإِيمَانِ وَ هُمْ مُسْلِمُونَ ﴿أَمَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ وَاقِفَا عَلَى أَلَسْتُمْكَ دُونَ نِفَاقٍ وَ لَا إِيْمَانٍ، مَهْمَا كُنْتُمْ فِي طَرِيقِ الْإِيْمَانِ لِمَكَانٍ "لَمَّا" ﴿وَأِنْ تُطِيعُوا﴾ أَنْتُمْ ﴿اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ بِإِسْلَامٍ قَبْلَ إِيْمَانٍ ﴿لَا يَلْتَكُمُ﴾ انْتِقَاصًا ﴿مِنْ أَعْمَالِكُمْ﴾ الْإِسْلَامِيَّةِ ﴿شَيْئًا﴾ يَنَاسِبُهَا ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ عَنكُمْ وَ لَمَّا تُؤْمِنُوا ﴿رَحِيمٌ﴾ بِكُمْ تَقْبِلَا لِأَعْمَالِكُمْ إِسْلَامِيًّا، دُونَ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ "وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ" لِأَنَّكُمْ فِي طَرِيقِ الْإِيْمَانِ.

١٥ / ٤٩

١٥- ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ حَقِيقِيًّا، هُمْ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ قَلْبِيًّا ﴿ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ فِيهِ ﴿وَو﴾ مِنْ ثَمَّ عَمَلِيًّا أَنْ ﴿جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ فِي "أَمَّا" فَغَيْرُهُمْ كَاذِبُونَ فِي ادِّعَاءِهِ "وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ".

١٦ / ٤٩

١٦- ﴿قُلْ﴾ لِمَنْ أَسْلَمَ وَ لَمَّا يُؤْمِنُ، وَ مِنْ أَشْبَهَ ﴿أَتَعْلَمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾ كَأَنَّهُ لَا يَعْلَمُ دِينَكُمْ، إِسْلَامًا أَوْ إِيْمَانًا أَوْ عَمَلًا صَالِحًا، فَتَدْعُونَ الْإِيْمَانُ "وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيْمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ" ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ وَ مَا بَيْنَهُمَا، وَ هِيَ الْكَوْنُ كُلُّهُ ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ﴾ مِنْهَا وَ مِنْ غَيْرِهَا لَوْ كَانَ أَوْ سَيَكُونُ ﴿عَلِيمٌ﴾.

١٧ / ٤٩

١٧- ﴿يُؤْمِنُونَ عَلَيْكَ﴾ هَؤُلَاءِ الْأَعْرَابُ ﴿أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيْمَانِ﴾ بِإِسْلَامِكُمْ، ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فِي إِسْلَامِكُمْ، دُونَ الْكَاذِبِينَ فِيهِ مِنْ مُنَافِقِينَ وَ أَضْرَابِهِمْ.

١٨ / ٤٩

١٨- ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ كَشَاهِدَهُمَا عَلَى سِوَاةٍ ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ أَيَا كَانَ.

سورة ق

١ / ٥٠

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. ق﴾ قسما: ﴿وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾: وسيع الكرم و الجلال " بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ. فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ " (٨٥: ٢١) و كما منزلته " ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ " (٨٥: ١٥) فهو مجيد يدل على مجيد، فذلك قسم بالدليل كـ " وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ " (٣٦: ٢) و قد تعنى " ق " فيما تعنيه " الْقُرْآنِ " المقسم به و " القيامة " مقسما لأجله كما تشهد له تالية الآيات.

٢ / ٥٠

٢- ﴿بَلْ﴾ تركا للتدبر فى القرآن، دون عرض ليوم القيامة عليه، و على الفطر و العقول ﴿عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ﴾ هو ﴿مِنْهُمْ﴾ فَقَالَ الْكَافِرُونَ ﴿ به و بقرآنه ﴿هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾: " بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ " (٢٧: ٦٦) و عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ و قَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ (٣٨: ٨).

٣ / ٥٠

٣- ﴿أَفْ﴾ نرجع ﴿إِذَا مِتْنَا وَ كُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ﴾ البعيد البعيد، هو ﴿رَجِعْ﴾ لنا ﴿بَعِيدٌ﴾ عن ميزان العادة " و قَالُوا أَ إِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَ إِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ " (٣٢: ٩).

٤ / ٥٠

٤- ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ﴾ من كفياتهم و الكمية باقية ﴿وَعِنْدَنَا كِتَابٌ﴾ قيومية ﴿حَفِيفٌ﴾ لهم لا يضلون عنا، فما هو العجيب البعيد، بل " قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ " (٣٢: ١١).

٥ / ٥٠

٥- ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ﴾ كله ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ﴾ غارقون ﴿فِي أَمْرِ مَرِيجٍ﴾ مزيج رجيح، كأن الله ليس بقادر على أن يرجعهم و قد خلقهم و لم يكونوا شيئا، بل " هُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ " من الخلق الأول، و من خلق السماوات و الأرض.

٦ / ٥٠

٦- ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ﴾ أهل الأرض كلهم، مما يدل على كرويتها ﴿كَيْفَ بَنَيْنَاهَا﴾ ثم ﴿وَزَيَّنَّاها وَ مَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ خلعات، بل هى مطموسة مغروسة بكائنات: " وَ بَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا " (٧٨: ١٢).

٧ / ٥٠

٧- ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا﴾ بعد انقباضها ﴿وَأَلْقَيْنَا فِيهَا﴾ أعماقها ﴿رَوَاسِيَ﴾ مَوْتَدَة فيها، شاهقة إلى سمائها، إلقاء من كلا السماء و الأرض ﴿وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ يبهج الناظرين.

٨ / ٥٠

٨- ﴿تَبْصِرَةً﴾ تبصرهم بما وراءها خالقا حكيما ﴿وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾.

٩ / ٥٠

٩- ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ﴾ لمرة أولى: " وَ أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَ إِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ " (٢٣: ١٨) ﴿مَاءً مُبَارَكًا﴾ واسع الرحمة، إذ " وَ جَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ " (٢١: ٣) " وَ اللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْبَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ " (١٦: ٦٥) ﴿فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ﴾ بساتين ملتفة الأشجار ﴿وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ حبات تحصد من نباتات تحملها.

١٠ / ٥٠

١٠- ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ﴾ طائلات ﴿لَهَا طَلْعٌ﴾ يطلع منها ﴿نَضِيدٌ﴾ منسقا مرتبا متراكبا بعضه على بعض.

١١ / ٥٠

١١- كل ذلك ﴿رِزْقًا لِلْعِبَادِ﴾ كما ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ﴾ الماء ﴿بَلَدَةً مَيِّتًا﴾ لا ماء فيها ولا كلاء ﴿كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴾ لميتات الإنسان بعد الموت، كما تحيي بالماء كل الميتات، إرجاعا لأمثال الأبدان من موادها، ثم بعثا لأرواحها إليها.

١٢ / ٥٠

١٢- ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾ ذلك الرجع ﴿قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودٌ﴾.

١٣ / ٥٠

١٣- ﴿وَعَادٌ وَفِرْعَوْنٌ وَإِخْوَانُ لُوطٍ﴾.

١٤ / ٥٠

١٤- ﴿وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾ قوم شعيب ﴿وَقَوْمُ ثَبَعٍ كُلُّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ ي هنا و في الأخرى، فلستم أنتم بدعا من المكذبين.

١٥ / ٥٠

١٥- ﴿أَفَعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ﴾ "وَهُوَ الَّذِي يَبْدُؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ" (٣٠: ٢٧) ﴿بَلْ هُمْ﴾ غارقون ﴿فِي لَبْسٍ﴾ شبهة ﴿مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ لأمثال أبدانهم و الأرواح هي هيه.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٥١٩

١٦ / ٥٠

١٦- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا﴾ هذا ﴿الْإِنْسَانَ وَ﴾ الحال أننا ﴿نَعْلَمُ مَا تُوسَّسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾ فضلا عن علومه و أعماله، فهلا نقدر على خلقه مرة ثانية كأول مرة ﴿وَنَحْنُ﴾ بكافة القيوميات ﴿أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ الحبل الكائن في الحلقوم، و بقطعه تقطع الحياة بأصلها، فهو تعالى أقرب إلى الإنسان من أصل حياته إليه، قربا قيوما، لا مكانيا و لا زمانيا و "اللَّهُ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ" (٨: ٢٤).

١٧ / ٥٠

١٧- و من ذلك القرب الأقرب ﴿إِذْ يَتَلَقَّى﴾ الملكان ﴿الْمُتَلَقَّيَانِ﴾ الأعمال لإلقاءهما إياها يوم تقوم الأشهاد، و هما ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ معكم، "عَنِ الْيَمِينِ" لتلقى الصالحات و "عَنِ الشِّمَالِ" لتلقى الطالحات: "وَأَنَّ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ. كِرَامًا كَاتِبِينَ. يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ" (٨٢: ١١) كما يعلمه كافة الشهود الربانية بما علمهم الله.

١٨ / ٥٠

١٨- ﴿مَا يَلْفِظُ﴾ الإنسان و أى مكلف كان ﴿مِنْ قَوْلٍ﴾ و فعل ﴿إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ﴾ يراقبه ﴿عَتِيدٌ﴾ فى رقابته، إلقاء لشهادته التى راقبها، فهما- إذا- واحد، حيث "عَتِيدٌ" وصف لرقيب، ف "رَقِيبٌ عَتِيدٌ" جنس يشمل مع "الْمُتَلَقَّيَانِ" كل شاهد للأعمال و الأقوال، ابتداء من الله: "إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا" (٤: ١) و انتهاء إلى الأعضاء العاملة و الأرض بأجوائها، و بينهما سائر الرقباء: ملائكية و إنسية و من أشبه.

١٩ / ٥٠

١٩- ثم ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾ سببا و غاية و معية ﴿ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ حيادة الفرار.

٢٠ / ٥٠

٢٠- ثم بعد انقضاء البرزخ ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ نفخة الإحياء بعد نفخة الإماتة ﴿ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾.

٢١ / ٥٠

٢١- ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا﴾ فى مجيئه إلى المحشر ﴿سَائِقُ﴾ يسوقه إليه ﴿وَشَهِيدٌ﴾ يشهد له أو عليه.

٢٢ / ٥٠

٢٢- و يقال لها ﴿لَقَدْ كُنْتَ فى غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا﴾ الذى تراه هنا ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ﴾ بذلك البعث، مما يدل على أنه كان معه يوم الدنيا و لكنه كان فى غفلة منه ﴿فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ يرى ما كان فى غفلة عنه.

٢٣ / ٥٠

٢٣- ﴿وَقَالَ قَرِينُهُ﴾: رقيب عتيد ﴿هَذَا﴾ المغفول عنه ﴿مَا لَدَىٰ عَتِيدٍ﴾ إذ كنت عليه رقيباً.

٢٤ / ٥٠

٢٤- ثم يقال للمتلقين ﴿الْقِيَا فى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِدٍ﴾ فى كفره، أو هما السائق و الشهيد قاعدين على الشمال.

٢٥ / ٥٠

٢٥- ﴿مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ﴾ أيا كان، عن نفسه و عن غيره ﴿مُعْتَدٍ﴾ كذلك ﴿مُرِيبٍ﴾ نفسه و غيره فى شك كأنه مسنود إلى دليل.

٢٦ / ٥٠

٢٦- ﴿الَّذِى جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ إذا ﴿فَالْقِيَاهُ فى الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾ كشدة كفره و عناده.

٢٧ / ٥٠

٢٧- هنا ﴿قَالَ قَرِينُهُ﴾ فى كفره حيث أضله ﴿رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ﴾ مستقلاً ﴿وَلَكِنْ كَانَ﴾ هو أيضاً ﴿فى ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ فدعوته إليه كما كان.

٢٨ / ٥٠

٢٨- ﴿قَالَ﴾ الله حينئذ ﴿لَا تَخْتَصِمُوا لَدَىٰ وَ قَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ﴾ الموعود، كلا على قدر ضلاله و إضلاله.

٢٩ / ٥٠

٢٩- ﴿مَا يبدُلُ الْقَوْلُ﴾ أيا كان منى ﴿لَدَىٰ﴾ هناك ﴿وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ ألا أجازيهم يوم الجزاء، أو أظلمهم فى جزاءهم، أو أخلد الكفار العنيد إلى غير حد.

٣٠ / ٥٠

٣٠- و ذلك ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ﴾ من أهليك ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَّزِيدٍ﴾ لكثرة أهلها وسعتها.

٣١ / ٥٠

٣١- ﴿وَأُزْلِفَتْ﴾ قُرِبَتْ ﴿الْجَنَّةُ لِّلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾ عن جهنم، و لذلك يتقاولون مع أهل الجحيم.

٣٢ / ٥٠

٣٢- ﴿هَذَا مَا تُوْعَدُونَ﴾ من الجزاء الحساب ﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ﴾ رجوعاً إلى الله ﴿حَفِيفٍ﴾ إيمانه بالله.

٣٣ / ٥٠

٣٣- و هو ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ﴾ غيب الرحمن، و غيبه عن عباد الرحمن، و بغيب قلبه ﴿وَجَاءَ﴾ ه ﴿يَقْلِبُ مُنِيبٍ﴾ إليه.

٣٤ / ٥٠

٣٤- و يقال لهم ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ﴾ من الله ﴿ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾.

٣٥ / ٥٠

٣٥- ﴿لَهُمْ مَا يَشَاؤُنَ فِيهَا﴾ دون حد ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٥٢٠

٣٦ / ٥٠

٣٦- ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ مجتمع ﴿هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا﴾ على الحق و أهليه ﴿فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ﴾ تقلبا و تنقيرا: لا يغرّتك تقلب الذين كفروا فى البلاد (٣: ١٩٦) ﴿هَلْ مِنْ مَّحِيصٍ﴾ لهم هنا، فأين حياة من حياة.

٣٧ / ٥٠

٣٧- ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ التذكير العظيم العميم ﴿لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ يعى، لا مقلوبا فلا يعى ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ﴾ لإستماع الحق ﴿وَهُوَ﴾ إذا ﴿شَهِيدٌ﴾ يتلقاه القلب: "قَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ" (٩٧: ١٠) "أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَ لَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ" (٢٢: ٤٦).

٣٨ / ٥٠

٣٨- ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أوقات و أدوار مهما اختلفت مدة ﴿وَمَا مَسَّنَا شَيْءٌ﴾ من لغوب ﴿تعب و نصب، تنديدا بمختلق فى التوراة أنه استراح بعد خلقهما يوم السبت.

٣٩ / ٥٠

٣٩- ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ من غول بعد تمام الحجاج عليهم و تمام لجاجهم ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ صلاة فإنها أفضل تسبيح بالحمد ﴿قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ﴾ فجرها حتى طلوعها لا رؤية قرصها ﴿وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ عصرا حتى غروبها فهى بعد غروب القرص ضوا نفسه قضاء و هذا القبل قد يشمل الظهر أيضا، اعتبارا بـ "قَبْلَ الْغُرُوبِ".

٤٠ / ٥٠

٤٠- ﴿وَكَذَلِكَ بَعْضُ﴾ من ﴿أَنَاءِ اللَّيْلِ﴾ كالعشائين ﴿فَسَبِّحْهُ وَادْبَارِ السُّجُودِ﴾ فقد عنت الصلوات الخمس إجمالا و من تفصيلها: "وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَ قَبْلَ غُرُوبِهَا وَ مِنْ أَنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَ اطَّرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى" (٢٠: ١٣٠) فالظهر من أطرافه، وسطا كما العصر آخرا، و الصبح أولا ذكرت هنا مرتين لأهميتها كما "وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا" (١٧: ٧٨).

٤١ / ٥٠

٤١- ﴿وَأَسْتَمِعْ يَوْمَ ينادِ الْمُنادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾ صيحة صارخة ناقرة حيث ينفخ فى الصور و ينقر فى الناقور.

٤٢ / ٥٠

٤٢- ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ﴾ الثانية المحيية بعد المميتة ﴿بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾ إلى المحشر.

٤٣ / ٥٠

٤٣- ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي﴾ الموتى ﴿وَنُمِيتُ﴾ الأحياء ﴿وَوَ﴾ ثم ﴿إِلَيْنَا الْمَصِيرُ﴾ بكل مسير.

٤٤ / ٥٠

٤٤- مصيرا ﴿يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا﴾ "يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ" (٥٤: ٧) ﴿ذَلِكَ﴾ العظيم العميم هو ﴿حَشَرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ غير عسير.

٤٥- ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ و يغولون ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾ "إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ. لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ" (٨٨: ٢٢) ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ﴾ فإنه ذكر كله ﴿مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾ ي، و أما من لا يخافه فهو لا يتذكر به، مهما وجب إنذاره "عُذْرًا أَوْ نُذْرًا".
سورة الذاريات

١ / ٥١

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قسما ﴿وَالْقَوَاتِ﴾ ﴿الذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا﴾ إطارة و إثارة، مادية كالرياح: "هَشِيمًا تَدْرُوهُ الرِّيحُ" (١٨: ٤٥) و سحاب و ما أشبهه، و روحية في رسالات ربانية، فهما من عمال رب العالمين.

٢ / ٥١

٢- ﴿فَالْحَامِلَاتِ﴾ ما ذره ﴿وَقُرْأَ﴾ ثقلا بوقار.

٣ / ٥١

٣- ثم ﴿فَالْجَارِيَاتِ يسْرًا﴾ من الأمور و الأوامر الجارية في مجاريها، بما ذرته الذاريات، و حملته الحاملات، و منها مادية: "وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ" (٥٥: ٢٤).

٤ / ٥١

٤- ﴿فَالْمُقَسَّمَاتِ أَمْرًا﴾ من الأمور أو الأوامر ككل في المنشآت كلها.

٥ / ٥١

٥- قسما بهذه كلها، حيث تدل على الوعد الحق غاية غالية ﴿إِنَّمَا تُوْعَدُونَ لَصَادِقٍ﴾ لا حول عنه.

٦ / ٥١

٦- ﴿وَإِنَّ الدِّينَ﴾ الطاعة، صالحة و طالحة في جزاء يوم الجزاء ﴿لَوَاقِعٍ﴾ بحقيقتها الباطنة "جَزَاءٌ وَفَاقًا" بعد وقوع صورته يوم الدنيا.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٥٢١

٧ / ٥١

٧- ﴿وَالسَّمَاءِ﴾ السبع ﴿ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ الطرائق الحسنة: "وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقٍ" (٢٣: ١٧) و هي أعم من السماء المادية و المعرفية، فإن كلاً درجات، و لكنها مؤتلفة غير متفاوتة، و رغم ذلك الائتلاف:

٨ / ٥١

٨- ﴿إِنَّكُمْ﴾ غارقون ﴿لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ﴾ و حبك سماء المعرفة و حيا مؤتلفة "وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ" و لكنكم "لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ" مع بعض المؤلف و مع الحق و الواقع.

٩ / ٥١

٩- ﴿يُؤْفِكُ عَنْهُ﴾ صرفا عن وجه الحق المؤلف ﴿مَنْ أُفِكَ﴾ عنه، بشيطان النفس و سواه.

١٠ / ٥١

١٠- ﴿قُتِلَ﴾ إخبارا من الله و دعاء من غير الله ﴿الْخَرَّاصُونَ﴾ حسبانا خاطئا: "إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ" * (١٠: ٦٦).

١١ / ٥١

- ١١- ﴿الَّذِينَ هُمْ﴾ غارقون ﴿فِي غَمْرَةٍ﴾ جهالة عميقة ﴿سَاهُونَ﴾ عن كل حق. ١٢ / ٥١
- ١٢- و لذلك ﴿يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ﴾ كأن لمعرفة أيانه حجة لتصديقه. ١٣ / ٥١
- ١٣- ﴿يَوْمَ هُمْ﴾ السائلون الخراصون الغامرون الساهون ﴿عَلَى النَّارِ يَفْتَنُونَ﴾ واقع البلاء. ١٤ / ٥١
- ١٤- ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ استنكارا، ففتنة الشر هنا هي نفس الشر هناك، كما الخير هنا و هناك " و لدينا مزيدٌ. ١٥ / ٥١
- ١٥- ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ﴾ الله هنا، هم ﴿فِي جَنَّاتٍ وَ عُيُونٍ﴾ هناك، بداية مما هنا بجنات التقوى. ١٦ / ٥١
- ١٦- حالكونهم ﴿أَخْذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾ هنا من تقواه، هناك ظهورا بملكوتها ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ﴾ الأخذ الأخير ﴿مُحْسِنِينَ﴾ حياتهم. ١٧ / ٥١
- ١٧- ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ﴾ كسيرة مستمرة لهم ﴿مَا يَهْجَعُونَ﴾ نوما، فكثيرا منه كانوا أيقاظا. ١٨ / ٥١
- ١٨- لا سيما ﴿و بِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ لإختصاصها موقعا له. ١٩ / ٥١
- ١٩- ﴿و فِي أَمْوَالِهِمْ﴾ كلها، دون خصوص التسعة الشهيرة الزكوية! ﴿حَقٌّ﴾ ثابت ﴿لِلسَّائِلِ وَ الْمَحْرُومِ﴾ من خمس أو زكاة أو سائر الصدقات المفروضة، فقد جمعوا بين حق لله و خلقه. ٢٠ / ٥١
- ٢٠- ﴿و فِي الْأَرْضِ آيَاتٌ﴾ دلالات على الحق المرام ﴿لِلْمُوقِنِينَ﴾ أنها و ما عليها من خلق الله، فبآياتها يعرفون الله أكثر مما يعرف بآيات أنفسية. ٢١ / ٥١
- ٢١- كما ﴿و فِي أَنْفُسِكُمْ أ فَلَا تُبْصِرُونَ﴾ إلى هذه الآيات، فتبصرون الحق من وراءها: "سُئِرِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ" (٥٣: ٤١). ٢٢ / ٥١
- ٢٢- ﴿و فِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾ هنا ﴿و مَا تُوْعَدُونَ﴾ هنا و هناك "عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى. عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى" (٥٣: ١٥). ٢٣ / ٥١
- ٢٣- ﴿فَوَ رَبِّ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ﴾ و ما بينهما، و أنتم أنفسكم منها و بقمتهما ﴿إِنَّهُ لَحَقُّ﴾ كله، دلالة وافية لآياته الربانية و الربوبية على وحدته و كيانه ﴿مِثْلَ مَا أَنْكُمْ تَنْطِقُونَ﴾ فكم النطق مسموع لمن يسمع، كذلك حقه تعالى مسموع لمن له سمع الحق.

٢٤ / ٥١

٢٤- ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ﴾ عند الله فعنده: "وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ" (١١: ٦٩).

٢٥ / ٥١

٢٥- ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا قَوْلًا سَلَامًا﴾ فهو- إذا- السلام عليك فإنه أفضل تحية ﴿قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ﴾ لا أعرفكم.

٢٦ / ٥١

٢٦- و مع ذلك ﴿فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ﴾ متخفيا عنهم ﴿فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾: "فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيدٍ" (١١: ٦٩).

٢٧ / ٥١

٢٧- ﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾

٢٨ / ٥١

٢٨- ﴿فَأَوْجَسَ﴾ إخفاء ﴿مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ إذ هم "قَوْمٌ مُنْكَرُونَ" أولا و "أَلَا تَأْكُلُونَ" ثانيا ﴿قَالُوا لَا تَخَفْ﴾ منا ﴿وَبَشَرُوهُ بِنِغْلَامٍ عَلِيمٍ﴾ إسحاق، فسر بهذه البشارة فعرّفهم.

٢٩ / ٥١

٢٩- ﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ﴾ سارة ﴿فِي صَرَةٍ﴾ جماعة ملتفة ﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ تعجبا و تحيرا ﴿وَقَالَتْ﴾ أ ﴿عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ تلد.

٣٠ / ٥١

٣٠- ﴿قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ﴾ فيما يفعل ﴿الْعَلِيمُ﴾ بالحكمة: "قَالُوا أَعْجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ" (١١: ٧٣).

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٥٢٢

٣١ / ٥١

٣١- ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ مهتمكم بعد ﴿أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾.

٣٢ / ٥١

٣٢- ﴿قَالُوا إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾: قوم لوط.

٣٣ / ٥١

٣٣- ﴿لَنُرْسِلَ﴾ رسالة من الله ﴿عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ﴾ و هو السجيل "وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ" (١٥: ٧٤).

٣٤ / ٥١

٣٤- ﴿مُسَوَّمَةٌ﴾ معلمة ﴿عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ في تكذيبهم ربهم "وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ" (١٥: ٧٤).

٣٥ / ٥١

٣٥- لذلك ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا﴾ بلدة سدوم ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ حتى لا يعذبوا: "فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَرْنَاهَا مِنَ الْغَابِرِينَ" (٢٧: ٥٨) أن "فَأَسْرَ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ" (١١: ٨١).

٣٦ / ٥١

٣٦- ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ هم لوط و أهله المؤمنون.

٣٧ / ٥١

٣٧- ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا﴾ سدوم ﴿آيَةً﴾ لِهَالِكِ الطَّاغِينَ ﴿لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾: " فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ. فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمْ سَافِلَهَا وَآمَطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ. إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ " (١٥: ٧٥).

٣٨ / ٥١

٣٨- ﴿وَ﴾ كذلك " آية " ﴿فِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ آية عظيمة لرسالته، مسلطا على كل سحر و سواه.

٣٩ / ٥١

٣٩- ﴿فَقَتَلُوا﴾ إعراضا عنه ﴿بِرُكْنِهِ﴾ إنسانيا هو عقله المفتون، و حيوانيا هو ملكه ﴿وَ قَالَ﴾ هذا ﴿سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ جمعا بين أمرين مرفوضين للكل، و سحرته عقلاء، و مع ذلك لم يدعوا دعواه.

٤٠ / ٥١

٤٠- ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَ جُنُودَهُ﴾ " أَخْذًا وَبِيلًا " ﴿فَنَبَذْنَاهُمْ﴾ مهانين ﴿فِي الْيَمِّ﴾ الذى أنجبنا منه بنى إسرائيل ﴿وَ﴾ الحال أنه ﴿هُوَ مُلِيمٌ﴾ نفسه إذ قال: " آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ " .. فأجيب " أَلَا نَ وَ قَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَ كُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ " (١٠: ٩١).

٤١ / ٥١

٤١- ﴿وَ﴾ آية ﴿فِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ عن آية رحمة إلا زحمة.

٤٢ / ٥١

٤٢- ﴿مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْتَهُ كَالرِّمِيمِ﴾ من شدته وحدته.

٤٣ / ٥١

٤٣- ﴿وَ﴾ آية ﴿فِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا﴾ كالأنعام ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ هى " ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ " (١١: ٦٥).

٤٤ / ٥١

٤٤- ﴿فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ " فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ " (٦٩: ٥) ﴿وَ هُمْ يَنْظُرُونَ﴾ تلك الأخذة الوخزة الرابية.

٤٥ / ٥١

٤٥- ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ﴾ عنها ﴿وَ مَا كَانُوا مُتَّتَصِرِينَ﴾ فيها.

٤٦ / ٥١

٤٦- ﴿وَ قَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ﴾ هم ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾.

٤٧ / ٥١

٤٧- ﴿وَ السَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا﴾ سماء و سبعا و كواكب و غازات ﴿بِأَيْدٍ﴾ قدرات ربانية ﴿وَ إِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ إياها، توسعة للمملكة السماوية تفتحا لها، أو و خلقا لكواكب أخرى من غازاتها.

٤٨ / ٥١

٤٨- ﴿وَ الْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا﴾ لأهلبيها، ذلا بعد شماسها، إذ لم تكن فرشاً من ذى قبل ﴿فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ﴾ مهذا و تمهيدا بها لأهلبيها، مما يدل على حركات لها معتدلة غير مزعجة و لا بينة.

٤٩ / ٥١

٤٩- ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ غير الله، أيا كان، من أزواج و مواد و طاقات ﴿خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ فلا شيء إذا إلا أنه زوجان، و إلى مادة المواد، مما يدل على تركيب كل شيء حتى المادة الفردة الأولى، فلا مجرد طليقا إلا الله وحده، فالكائن المخلوق يبتدئ بالزوجية و ينتهى إليها، و أقل " زَوْجَيْنِ " هو تركيب الإثنين، ففيزائيا أو هندسيا، أم و ثلاثة أجزاء، لن تنفصل عن بعضها البعض إلا انعداما، كنفس الإنوحاد مما يدل على حاجة عريقة مندغمة فى ذوات الكائنات ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ غناه المطلق و فقر الكائنات كلها إليه، لمكان زوجيتها دونه.

٥٠ / ٥١

٥٠- ﴿فَقَرِّبُوا﴾ منها ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ حيث تتركونون كونا و كيانا إليه تعالى ﴿إِنِّى لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ بكل تبيان.

٥١ / ٥١

٥١- ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ فإنه مستحيل بجنب الله ﴿إِنِّى لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ إنذارى بكل براهينه.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٥٢٣

٥٢ / ٥١

٥٢- ﴿كَذَلِكَ﴾ التكذيب البعيد منهم ﴿مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ﴾ ربانى ﴿إِلَّا قَالُوا﴾ إنه ﴿سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ ليسقطوه عن التصديق إعدارا.

٥٣ / ٥١

٥٣- ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِ﴾ قولا غولا ﴿بَلْ﴾ لا تواصى إذ لم يكونوا فى زمن واحد و إنما ﴿هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ على الحق و أهليه.

٥٤ / ٥١

٥٤- ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ إعراضا بياس عن إيمانهم ﴿فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ﴾ فى توليك عنهم إذ قدّمت كل بلاغك الرسولى.

٥٥ / ٥١

٥٥- ﴿وَدَكَّرْ﴾ " به أن تبسل نفس بما كسبت " (٦: ٧٠) " فذكر إن نفعت الذكرى " (٨٧: ٩) ﴿فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ مهما لم تنفع الكافرين إلا حجة.

٥٦ / ٥١

٥٦- ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ﴾ و من أشبه من المكلفين ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ى، لكى ينتفعوا منها فى نشأت حياتهم، و يتقوا عن محاظيرها: " يا أيها الناس أعبدوا ربكم الذى خلقكم و الذين من قبلكم لعلكم تتقون " (٢: ٢١) فقد خلقوا للعبادة لعلهم يتقون.

٥٧ / ٥١

٥٧- ﴿مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ﴾ وراء عبادتهم و تقواهم ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا﴾ ى.

٥٨ / ٥١

٥٨- بل ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ﴾ عباده بخلقهم و هداهم بعبادتهم و تقواهم و .. ﴿ذُو الْقُوَّةِ﴾ فلا هو ضعيف حتى يتقوى بهم ﴿الْمَتِّينَ﴾ و لا تزول قوته حتى يرتزق منهم.

٥٩ / ٥١

٥٩- ﴿فَإِنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ هنا أو هناك.

٦٠ / ٥١

٦٠- ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾.

سورة الطور

١ / ٥٢

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قسما ﴿وَ الطُّورِ﴾ طور سيناء- سينين- الأيمن، محطة الوحي على موسى و سائر الرسل الإسرائيليين، وحى شامل قبل القرآن.

٢ / ٥٢

٢- ﴿وَ﴾ هو ﴿كِتَابٍ مَسْطُورٍ﴾ بقلم الوحي فى ألواح توراثية أماهيه: " وَ كَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَ تَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ .." (٧: ١٤٥).

٣ / ٥٢

٣- "مَسْطُورٍ" ﴿فِي رَقٍّ﴾ و رق رفيق رفيق ﴿مَنْشُورٍ﴾ بين يدى موسى و الرسل و المرسل إليهم.

٤ / ٥٢

٤- ﴿وَ﴾ قسما بـ ﴿الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ البائت فيه الوحي المعمور، بيتا ظاهريا هو الكعبة المشرفة حيث عمرها الله قبل كل معمور، و بيتا باطنيا هو قلب محمد (ص) البائت فيه الوحي الأخير، مكملًا لكتاب الطور المسطور فى رق منشور، فلا معمور فى الكون وحيا يدانى قلب الرسول، و لا ظاهرا كالكعبة المباركة، بيتان معموران بأعلى القمم باطنيا و ظاهريا.

٥ / ٥٢

٥- ﴿وَ﴾ قسما بـ ﴿السَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾ سماء الوحي عموما، و سماء الوحي المحمدى خصوصا، و معهما سماء ظاهرة فيها المأل الأعلى بباطنها.

٦ / ٥٢

٦- ﴿وَ﴾ قسما بـ ﴿الْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ متهيج بالنار" وَ إِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ" (٨١: ٦) يوم قيامة الإمامة، قسما بهذه الوقائع الثابتات.

٧ / ٥٢

٧- ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ﴾ لأهليه ﴿لَوَاقِعٌ﴾.

٨ / ٥٢

٨- ﴿مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ﴾ يدفعه عن أهليه، و هو يشمل يومى القيامة تدميرا و تعميرا، مهما خص الآخر بالمعذبين.

٩ / ٥٢

٩- ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾ ترددًا و تموجًا بسرعة و اضطراب: " وَ انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ" (٦٩: ١٦) فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ" (٥٥: ٣٧).

١٠ / ٥٢

١٠- ﴿وَ تَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا﴾: " وَ سِيرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا" (٧٨: ٢٠) وَ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا" (٢٠: ١٠٧).

١١- ﴿قَوْلٍ﴾ أها وaha ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ و بعد ذلك بقيامة الإحياء ﴿لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ للدين.

١٢ / ٥٢

١٢- ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ﴾ فى آيات الله تكذيبا لها ﴿يَلْعَبُونَ﴾.

١٣ / ٥٢

١٣- ﴿يَوْمَ يَدْعُونَ﴾ دفعا ﴿إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَا﴾ قويا لا قبل له، و لا حول عنه.

١٤ / ٥٢

١٤- فيقال لهم ﴿هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ فالיום أنتم بها تعذبون.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٥٢٤

١٥ / ٥٢

١٥- ﴿أَفَسِحْرُ هَذَا﴾ العذاب بتكذيبكم كما كنتم تسحرون القرآن و رسوله قائلين " إِنَّمَا سَكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ " ﴿أَمْ أَنْتُمْ لَا تَبْصُرُونَ﴾. (١٥: ١٥).

١٦ / ٥٢

١٦- ﴿اصْلَوْهَا﴾ إيقادا إياها: "إِنَّكُمْ وَ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ" (٢١: ٩٨) ﴿فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ﴾ إذ فات يوم خلاص، فلات حين مناص، ف ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ على سواء لا زائدا و لا ناقصا، مادة و مدة.

١٧ / ٥٢

١٧- ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ﴾ هنا هم ﴿فِي جَنَّاتٍ وَ نَعِيمٍ﴾ هناك.

١٨ / ٥٢

١٨- حالكونهم ﴿فَاكِهِينَ﴾ فكاها، حديث ذوى الأُنس ﴿بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾ من نعيم مقيم ﴿وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ بما اتقوا.

١٩ / ٥٢

١٩- يقال لهم بسلام ﴿كُلُوا وَ اشْرَبُوا﴾ من رزق الله ﴿هَنِيئًا﴾ كما هنأت لكم التقوى ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ منها.

٢٠ / ٥٢

٢٠- حالكونهم ﴿مُتَكِّينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ﴾ منسقة منضدة مع بعض البعض و أمام بعض البعض ﴿وَوُجَّهَانَهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾ واسعة الأعين، ضيقة فى اختصاص أبصارها إليكم.

٢١ / ٥٢

٢١- ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَ اتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ﴾ على هوامشهم و هم ذرية الإيمان أقرباء و أغرباء ﴿الْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ كما اتبعتهم ﴿وَمَا أَلْتَنَاهُمْ﴾ نقصا ﴿مِنْ عَمَلِهِمْ﴾ الإيمانى ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ إذ ﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ أصلا و ذرية: "ربنا و أدخلهم جنات عدن التي وعدتهم و من صلح من آبائهم و أزواجهم و ذرياتهم" (٤٠: ٨).

٢٢ / ٥٢

٢٢- ﴿وَأَمَدَدْنَاهُمْ﴾ جميعا ﴿بِفَاكِهَةٍ وَ لَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ منهما.

٥٢ / ٢٣

٢٣- ﴿يَتَنَازَعُونَ فِيهَا﴾ مزاحا و فكاها ﴿كَأْسًا﴾ من خمرها ﴿لَا لَعْنُ فِيهَا﴾: المنازعة و الخمر ﴿وَلَا تَأْثِيمٌ﴾: "بيضاء لذة للشاربين. لا فيها غول و لا هم عنها ينزفون" (٣٧: ٤٧).

٢٤ / ٥٢

٢٤- ﴿وَ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ﴾ منهم ولادة، أو خلقا فى الجنة، و الأولون بين مكلف من ذرية الإيمان، أو دونه، تكريما لهم ﴿كَأَنَّهُمْ لَوْلُو مَكْنُونٌ﴾ محفوظ عن أى محذور و مغفور، تملأوا فى ولدتهم.

٢٥ / ٥٢

٢٥- ﴿وَ أَقْبَلَ﴾ هناك ﴿بَعْضُهُمْ﴾ الأصلاء ﴿عَلَى بَعْضٍ﴾ منهم، حال أنهم ﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾ فيما بينهم.

٢٦ / ٥٢

٢٦- ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ﴾ فى الدنيا ﴿فِي أَهْلِنَا﴾ و ذرارينا ﴿مُشْفِقِينَ﴾ من الله بين خوف و رجاء فاتبعونا بإيمان.

٢٧ / ٥٢

٢٧- ﴿فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ بإشفاقنا إيماننا و إلحاقا لأهلنا بأنفسنا ﴿وَ وَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾ و كما اتقينا يوم الدنيا جزاء وفاقاً

٢٨ / ٥٢

٢٨- ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ﴾ هذا ﴿نَدْعُوهُ﴾ دعوة توحيدية، عقيدية و عملية، و دعاء على ضوءها، لا لأنفسنا فحسب، بل و لأهلينا كذلك حتى اتبعونا بإيمان ﴿إِنَّهُ﴾ الله ﴿هُوَ﴾ لا سواه ﴿الْبَرُّ﴾ كله ﴿الرَّحِيمُ﴾ كل رحمة، يستجيب برا رحيماً ما ندعوه: "وَ قَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ" (٤٠: ٦٠) "قُلْ مَا يَعْبُؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْ لَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَاماً" (٢٥: ٧٧) "وَ إِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَ لِيُؤْمِنُوا بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ" (٢: ١٨٦).

٢٩ / ٥٢

٢٩- ﴿فَذَكِّرْ﴾ " إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ. لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ" (٨٨: ٢١) ﴿فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾ الرسولية ﴿بِكَاهِنٍ﴾ سحرا ﴿وَ لَا مَجْنُونٍ﴾ كما يقولون و يتقولون.

٣٠ / ٥٢

٣٠- ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ هو ﴿شَاعِرٌ تَتَرَبَّصُّ بِهِ رَيْبَ الْمُنُونِ﴾ موتا، حتى تموت دعوته.

٣١ / ٥٢

٣١- ﴿قُلْ تَرَبَّصُوا﴾ أمرا هو أمر من نهى ﴿فَإِنِّي﴾ رسولا ﴿مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ﴾ تربصا لكم بجهالة قاحلة منكم، إلا النار، و تربصا لى هنا استمرارية لدعوتى، و رحمة ربي فى دار القرار.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٥٢٥

٣٢ / ٥٢

٣٢- ألم تأتهم بينة من ربهم ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ﴾ الأضغاث، رؤيا جنونية ﴿بِهَذَا﴾ التكذيب ﴿أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاعُونَ﴾ على الحق على علمهم به

٣٣ / ٥٢

٣٣- ﴿...﴾

٣٤ / ٥٢

٣٤- إذا ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ﴾ وحي كالتوراة و الإنجيل، أم دون وحي ﴿إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ أنه تقوله: "وَ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ .. إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ" (٢: ٢٤) تحديا نابغا بالغا ذروته.

٣٥ / ٥٢

٣٥- أ ليسوا هم بمخلوقين؟ ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ و هو الاشياء، و ليس كل شيء خالقا فضلا عن الاشياء ﴿أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ أنفسهم ﴿أَمْ﴾ و فوق ذلك، هم ﴿خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يَوقِنُونَ﴾ بما تدلهم لهم هذه اللجج، فهم فى لجج التكذيب عائشون.

٣٦- ؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟ [آيه ٣٥ و ٣٦ سرهم تايپ شده است.]

٣٧ / ٥٢

٣٧- ﴿أَمْ﴾ هم مصدقون و لكن ﴿عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ﴾ بما خولهم إياها ﴿أَمْ هُمُ الْمُصِيطِرُونَ﴾ عليها بقوة.

٣٨ / ٥٢

٣٨- ﴿أَمْ لَهُمْ سُلْمٌ﴾ إلى الملا الأعلى ﴿يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ الوحي ﴿فَلَيَاتِ مُسْتَمِعُهُمْ﴾ فيه ﴿بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ استماعه، مما يشير إلى سلايم الإذاعة و الاستداعة الصوتية و الصورية، ما كان عند أصحاب الوحي منها، إذ يستمعون بها إلى الملا الأعلى، ف" فيه" هنا، دون عليه تؤكد وجود سلايم للوحي، فضلا عما سواه، مما وصل العلم إلى قسم منها فى راديوآت و تلفزونات أماهيه على ضوء تقدم العلم، فهنا، ليس " عليه" بل، إشارة لطيفة إلى ما فيه.

٣٩ / ٥٢

٣٩- ﴿أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ﴾ فقط ولادة أو اتخاذا ﴿وَلَكُمْ الْبَنُونَ﴾ كذلك " قِسْمَةٌ خِيزَى" بين أنفسهم و بين الله: " أ فَاصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَ اتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا" (١٧: ٤٠).

٤٠ / ٥٢

٤٠- ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا﴾ على رسالتك بأعبائها ﴿فَهُمْ﴾ إذا ﴿مِنْ مَغْرَمٍ﴾ مطلوب لك ﴿مُثْقَلُونَ﴾ فلا يؤمنون.

٤١ / ٥٢

٤١- ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ﴾ من الله وحيا ﴿فَهُمْ يَكْتُمُونَ﴾ غيبه.

٤٢ / ٥٢

٤٢- ﴿أَمْ يَرِيدُونَ كَيْدًا﴾ على الحق ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالحق ﴿هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾ بما يكيدون، فلا يكاد الحق بأى كيد" و ما يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَ مَا يَشْعُرُونَ" (٦: ١٢٣) "وَ إِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ" (١٤: ٤٦) "وَ يَمْكُرُونَ وَ يَمْكُرُ اللَّهُ وَ اللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ" (٨: ٣٠) و أين مكر من مكر!.

٤٣ / ٥٢

٤٣- ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ﴾ رغم كافة أدلة التوحيد، بأعلتهم الداحضة الفاضحة ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ به، فهذه براهين من كافة الجهات تقطع عنهم كل شبهة فهم- إذا- محجوجون.

٤٤ / ٥٢

٤٤- ثم ﴿وَ إِنْ يَرَوْا كِسْفًا﴾ شبه سحب ﴿مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا﴾ عليهم ﴿يَقُولُوا﴾ هو ﴿سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾: " فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ" (٤٦: ٢٤).

٤٥ / ٥٢

٤٥- ﴿فَذَرَهُمْ﴾ " يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا " (٧٠: ٤٢) ﴿حَتَّى يَلْقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يَصْعَقُونَ﴾ صعقة الموت، ثم الإمامة عن برزخهم،
و من ثم الإحياء إلى القيامة الكبرى، و الأخيرة هي الأعلى.

٤٦ / ٥٢

٤٦- فإنه هو ﴿يَوْمَ لَا يَغْنَى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ﴾ في الدنيا ﴿شَيْئاً وَ لَا هُمْ يَنْصُرُونَ﴾ من الله أو سواه من بأس الله.

٤٧ / ٥٢

٤٧- ﴿وَ إِنِّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ هكذا ﴿عَذَاباً دُونَ ذَلِكَ﴾ قبل القيامة، برزخاً، إلى رجعة و سواها ﴿وَ لَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾
مقصرين.

٤٨ / ٥٢

٤٨- ﴿وَ اصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ هنا و بعد الموت، دون استعجال ﴿فَإِنَّكَ﴾ تعيش ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ الرحيمية التامة ﴿وَ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾ في كل قيام رسالي و سواه، و نهارةا يعنى الصلوات النهارية كلها.

٤٩ / ٥٢

٤٩- ﴿وَ مِنْ اللَّيْلِ﴾ بعضا ﴿فَسَبِّحْهُ وَ إِدْبَارَ النُّجُومِ﴾ فـ " مِنْ اللَّيْلِ " هي العشاءان " وَ إِدْبَارَ النُّجُومِ " هي صلاة الليل و الفجر.

سورة النجم

١ / ٥٣

١- بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قَسَمَا وَ النَّجْمِ الْكَوْكَبِ الطَّالِعِ إِذَا هَوَىٰ مِنْ السَّمَاءِ نِيزَكَا نَارِيَا يَثْقِبُ الشَّيَاطِينَ، ثُمَّ وَالْقُرْآنِ النَّازِلِ نَجُومًا، وَمَعَهُ الرَّسُولُ نَاجِمًا: "قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا. رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ.." (٦٥: ١٠) كَمَا وَأَنْزَلَ هُوَ مِنْ سَمَاءِ الْمَعْرَاجِ، كُلُّ هَذِهِ النُّجُومِ نَازِلَةٌ عَلَى الْأَرْضِ، دَحْرًا لِلشَّيَاطِينِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، وَ إِبَارَةً لِلْمُؤْمِنِينَ، قَسَمَا بِهَذِهِ النُّجُومِ الْبَاهِرَةِ.

٢ / ٥٣

٢- مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى الرَّسُولُ حَيْثُ صَاحِبُكُمْ: "فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ" (١٠: ١٦).

٣ / ٥٣

٣- وَمَا يُنطِقُ رَسُولِيَا عَنِ الْهَوَىٰ نَفْسًا أَوْ عَقْلًا أَوْ شُورَى.

٤ / ٥٣

٤- إِنْ هُوَ نَطَقَهُ الرَّسُولُ إِلَّا وَحَىٰ وَيُوحَىٰ بِلَفْظِهِ وَمَعْنَاهُ قِرَآنًا، وَمَعْنَاهُ سُنَّةٌ.

٥ / ٥٣

٥- عَلَّمَهُ الْوَحَى شَدِيدُ الْقُوَى وَ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى، فَإِنَّهُ الْمَوْحَى إِلَيْهِ دُونَ جَبْرِيلَ، وَ لَا سِيَمَا لَيْلَةِ الْمَعْرَاجِ إِذْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ فِي مَنتهَاهَا.

٦ / ٥٣

٦- وَ "صَاحِبُكُمْ" هُوَ ذُو مِرَّةٍ فَتَلَ وَ حَكَمَةً عَالِيَةً فِي عَقْلِهِ، وَ مَرُورٌ عَلَى الْكَوْنِ كُلِّهِ فَاسْتَوَىٰ عَلَى الْكَوْنِ كُلِّهِ اسْتِيْلَاءَ الْبَصَرِ وَ الْبَصِيرَةِ بِكُلِّ كَيْفَانِهِ.

٧ / ٥٣

٧- وَ الْحَالُ هُوَ فِي مَرْتَبَتِهِ وَ مَرُورِهِ بِالْأَفْقِ الْأَعْلَى مَعْرِفِيَا بِصِيرَةٍ وَ مَادِيَا بِبَصَرٍ، إِذْ ارْتَقَى مِنَ الْأَرْضِ إِلَى أَعْلَى كَأَهْلِ الْكَوْنِ فِي بَعْدِيهِ: "وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ" (٨١: ٢٣) رُؤْيَا بِصِيرَةٍ رَبِّهِ.

٨ / ٥٣

٨- ثُمَّ فِي أَفْقِهِ الْأَعْلَى دَنَا إِلَى اللَّهِ مَعْرِفِيَا فَتَدَلَّى بِاللَّهِ كَذَلِكَ.

٩ / ٥٣

٩- فَكَانَ إِذَا كَقَابِ قَوْسَيْنِ دَنَا إِذْ لَمْ يَكُنْ - إِذَا- بَيْنَهُ وَ بَيْنَ اللَّهِ أَحَدٌ أَوْ أَذْنَى إِذْ تَدَلَّى بِاللَّهِ حِينَ نَسَى نَفْسَهُ أَيْضًا كَمَا سِوَاهَا إِلَّا اللَّهَ.

١٠ / ٥٣

١٠- وَ فِي ذَلِكَ التَّدَلَّى الْمَعْرِفِي بَعْدَ دَنُوهِ فَأَوْحَى "شَدِيدُ الْقُوَى" إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى فَهَلْ إِنْ شَدِيدُ الْقُوَى - بَعْدَ - هُوَ غَيْرُ اللَّهِ، أَنْ يَكُونَ مُحَمَّدٌ عَبْدُهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ!.

١١ / ٥٣

١١- مَا كَذَّبَ الْفُؤَادُ الْمُحَمَّدِي، بِقَلْبِهِ الْمُتَفَتِّدَ بِالنُّورِ الْمَعْرِفِي الطَّلِيْقِ فِي تَدَلِّيهِ مَا رَأَى بِفُؤَادِهِ فِيهِ، عُرُوجًا إِلَى مَنتهَى الْآفَاقِ بِيَدِنِهِ بَصَرًا، وَ بِرُوحِهِ بِصِيرَةٍ، وَاصِلًا إِلَى قِمَّةِ الْمَعْرِفَةِ الرَّبَّانِيَةِ الَّتِي لَا يَدَانِيهِ فِيهَا أَحَدٌ مِنَ الْعَالَمِينَ.

١٢ / ٥٣

١٢- أَفَتُمَارُونَهُ جَدَالًا عَلَى مَا يَرَى بِصِيرَةٍ فِي تَدَلِّيهِ.

١٣ / ٥٣

١٣- وَلَقَدْ رَأَاهُ رَبُّهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ بعد الأولى، مما يدل على ثنوية معراجِه هكذا.

١٤ / ٥٣

١٤- عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَى هي منتهى الكون أجمع، بحيث أن.

١٥ / ٥٣

١٥- عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى مما يدل على وجودها الآن بالفعل فوق السماء السابعة، فالكون - إذا - تحتها أيا كان.

١٦ / ٥٣

١٦- إِذْ يُغْشَى سِتْرَا السُّدْرَةِ ما يَغْشَى إياها، سِتْرًا - فقط - عن الذات المقدسة المحجوبة، فلم يبق حجاب - إذا - إلا " ما يَغْشَى " دوما أبدا.

١٧ / ٥٣

١٧- ما زَاغَ الْبَصَرُ الْمَحْمَدِيُّ بصرا للكون كله و بصيرة معرفية لربه و ما طَغَى في بصيرته نزولا أو صعودا.

١٨ / ٥٣

١٨- وَلَقَدْ رَأَى هناك بعضا عظيما مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى مع ما رأى ربه بنور اليقين الأعلى تدليا.

١٩ / ٥٣

١٩- أَوْفَرَأَيْتُمْ أَنْتُمُ الْمُشْرِكُونَ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ.

٢٠ / ٥٣

٢٠- وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى.

٢١ / ٥٣

٢١- أَلَكُمْ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنْثَى.

٢٢ / ٥٣

٢٢- تِلْكَ الْمَفَاصِلُ إِذَا قِسْمَةُ ضِيْزَى ظالمة، أن تروا أنتم ألهمتكم بصرا و لا يرى هو إلهه بصيرة، و أن " لَكُمْ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنْثَى ".

٢٣ / ٥٣

٢٣- إِنَّ هِيَ الْإِلَٰهَةُ الْمُخْتَلَقَةُ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَ آبَاؤُكُمْ دُونَ مَسْمِيَاتٍ وَأَقْعِيَا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ يدل على ألهمتهم إن يَتَّبِعُونَ في ذلك الاتخاذ الوخاز إِلَّا الظَّنَّ حِدْسًا و ما تَهْوَى الْأَنْفُسُ الشَّيْطَانِيَّةُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى.

٢٤ / ٥٣

٢٤- أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا تَمَنَّى.

٢٥ / ٥٣

٢٥- فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى.

٢٦ / ٥٣

٢٦- وَ كَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَ يَرْضَى.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٥٢٧

٢٧ / ٥٣

٢٧- إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فَلَا يَخَافُونَهَا لَيْسَمُونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنْثَى كأنها أنثى و هن بنات الله!.

٢٨ / ٥٣

٢٨- وَ مَا لَهُمْ بِهِ شَيْءٌ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ الْحَسْبَانَ الْخَاوِي عَنْ أَى عِلْمٍ وَ إِنْ الظَّنَّ أَيْ كَانَ فِي أَصْلٍ أَوْ فِرْعَ لَا يَغْنَى مِنْ الْحَقِّ كُلِّهِ أَيْ كَانَ شَيْئًا هُوَ حُجَّةٌ إِلَّا لُجَّةً خَاطِئَةً: وَ لَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ هِيَ وَ ارَادَةَ مُورِدِ الْأَحْكَامِ الْفِرْعِيَّةِ، فَلَا اخْتِصَاصَ بِالْأَصْلِيَّةِ كَمَا زَعَمَ، فَاتَّبَاعُ غَيْرِ الْعِلْمِ تَوَلَّى عَنْ اللَّهِ.

٢٩ / ٥٣

٢٩- فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا الَّذِي يَذْكُرُهُمْ بِنَا عِلْمًا يَقِينًا، لَاجِئًا إِلَى الظَّنِّ وَ لَمْ يَرِدْ فِي ظَنُونِهِ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا.

٣٠ / ٥٣

٣٠- ذَلِكَ الْبَعِيدُ عَنْ الْحَقِّ هُوَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ كُلِّهِ فَعَلِمَهُمْ ظَنُّ إِنْ رَبِّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ الْمُسْتَقِيمَةَ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اهْتَدَى التَّابِعِينَ لِلْعِلْمِ.

٣١ / ٥٣

٣١- وَلِلَّهِ كُلُّ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا مِنْ شَيْءٍ، كَوْنًا وَاسِعًا لِلْمُتَحَنِّينَ: لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاؤُا بِمَا عَمِلُوا طَالِحًا، مِثْلَ مَا عَمِلُوا وَ يَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا إِيمَانًا وَ عَمَلًا صَالِحًا بِالْجِزَاءِ الْحَسَنِ فَتَرَى أَنَّ الَّذِي يَمْلِكُ الْأَوَّلَى لَيْسَتْ لَهُ الْآخَرَى لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى" فَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّهُمْ:

٣٢ / ٥٣

٣٢- الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَ فُوقَهَا الْفَوَاحِشَ حَيْثُ تَتَجَاوَزُ عَنْ حَدِّهَا، أَوْ إِلَى غَيْرِ عَامِلِيهَا، أَوْ هُمَا فَأُخْزِيَ إِلَّا اللَّمَمَ الصَّغَائِرَ الَّتِي تَتَفَلَّتْ أحيانًا عَنْهُمْ إِنْ رَبِّكَ وَاسِعَ الْمَغْفِرَةِ إِذْ يَغْفِرُ اللَّمَمَ: "إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نَكْفِرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَ نُدْخِلْكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا" (٤: ٣١) هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ مِنْذُ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَ إِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ إِنَّهُ قَدْ يَفْلَتُ مِنْكُمْ اللَّمَمُ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ قَوْلًا فِي ادِّعَاءِ أَنْكُمْ أَزَكِيَاءُ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ اتَّقَى حَتَّى اللَّمَمِ وَ هُمُ الْمَعْصُومُونَ وَ مَنْ يَلُونُ تَلَوَّهُمْ وَ هُمْ غَيْرُهُمْ.

٣٣ / ٥٣

٣٣- أَوْ فَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى عَنْ الْحَقِّ وَ أَهْلِيهِ.

٣٤ / ٥٣

٣٤- وَ أُعْطِيَ قَلِيلًا مِمَّا يَجِبُ عَلَيْهِ، كَأَنَّهُ تَغْنَى عَنْهُ نَفْسٌ أُخْرَى وَ أَكْدَى قَطْعًا لَمَّا كَانَ يَنْفَقُهُ فِي شَهَوَاتِهِ إِذْ ضَيْقٌ فِي إِعْطَاءِهِ هُنَا، ظَنَّا مِنْهُ أَنَّ قَلِيلَ الْعَطَاءِ الْمَكْدَى يَنْفَعُهُ عَمَّا عَلَيْهِ مِنْ مَسْئُولِيَّاتٍ هِيَ عَلَيْهِ مَطْلَقًا.

٣٥ / ٥٣

٣٥- أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى نَفْعَ مَا أُعْطِيَ وَ أَكْدَى "أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى".

٣٦ / ٥٣

٣٦- أَمْ لَمْ يَنْبَأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى وَ قَبْلَهُ صُحُفِ:

٣٧ / ٥٣

٣٧- إِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى رِسَالَةَ اللَّهِ.

٣٨ / ٥٣

٣٨- أَلَّا تَزِرُ نَفْسٌ وَازِرَةً وَزَرَ أُخْرَى كضابطة لا تستثنى: "وَ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَ لَنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَ مَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ" (٢٩: ١٢).

٣٩ / ٥٣

٣٩- وَ ضَابِطَةُ أُخْرَى أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ وَ أَى كَانَ إِلَّا مَا سَعَى فِي الْأُولَى وَ بَعْدَهَا.

٤٠ / ٥٣

٤٠- وَأَنْ سَعِيَهُ سَوْفَ يَرَى لَهُ وَ لآخرين في الحياة البرزخية الوسطى، يرى بنفسه حيث الجزاء هو العمل نفسه.

٤١ / ٥٣

٤١- ثُمَّ بَعْدَ الْوَسْطَى وَ الْأُولَى يَجْزَاهُ عَمَلُهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَى مِنَ الْوَسْطَى، وَ أَمَّا الْأُولَى فَلَيْسَتْ هِيَ دَارُ جَزَاءٍ، فَإِنَّمَا عَلَى الْكُلِّ أَنْ يِرَاعُوا الضَّابِطَةَ الْأُولَى: "أَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى" فهذه ضابطة ثابتة للنشآت الثلاث، مهما اختلفت الأولى تكليفا على الساعين و تقديرا لرب العالمين، ثم في الثانية و الأخرى لا حكم إلا لله "فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَ الْأُولَى".

٤٢ / ٥٣

٤٢- وَأَنْ إِلَى رَبِّكَ الْمُتَتَّبِعَةُ حَيَاةً وَ حِسَابًا وَ عَمَلًا.

٤٣ / ٥٣

٤٣- وَ أَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَ أَبْكَى هُنَا وَ فِي الْآخِرَى، إِذْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ فِي الْعَوَالِمِ كُلِّهَا.

٤٤ / ٥٣

٤٤- وَ أَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ عَنِ الْأُولَى وَ الْوَسْطَى إِلَى الْآخِرَى وَ أَحْيَا لِلأُولَى ثُمَّ يَحْيِي لِلْآخِرَى، اللَّهُمَّ "إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ" * فلا تشملها صعقة تعم كافة الأحياء و الأموات في الأخرى.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٥٢٨

٤٥ / ٥٣

٤٥- وَ أَنَّهُ هُوَ خَلَقَ الرُّوحَيْنِ كَكُلِّ الذَّكَرِ وَ الْأُنْثَى مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَخْلُقْ خُنْثَى، مَهْمَا اشْتَبَهَتْ بَيْنَ الذَّكَرِ وَ الْأُنْثَى، خَلَقَهُمَا:

٤٦ / ٥٣

٤٦- مِنْ نُطْفَةٍ مِنْهُمَا إِذَا تُمْنَى تَقْدِيرًا لَهَا: "يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَ التَّرَائِبِ" (٨٦: ٧).

٤٧ / ٥٣

٤٧- وَأَنْ عَلَيْهِ لِرَبَانِيَّتِهِ الْعَلِيَا النَّشْأَةُ الْآخِرَى وَ إِلَّا فَلَيْسَ لَهُ رَحْمَةٌ وَ قَدْ "كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ" (٦: ١٢) "ثُمَّ اللَّهُ يَنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ" (٢٩: ٣٠).

٤٨ / ٥٣

٤٨- وَ أَنَّهُ هُوَ أَغْنَى مِنْ أَغْنَاهُ وَ أَقْنَى مِنْ أَقْنَاهُ قَنَاعَةً دُونَ الْغِنَى.

٤٩ / ٥٣

٤٩- وَ أَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى كَمَا النُّجُومُ كُلُّهَا، وَ لَكِنَّمَا كَانَتْ مَعْرُوفَةً مَعْبُودَةً لِلْبَعْضِ، وَ هِيَ أَثْقَلُ مِنْ شَمْسِنَا عَشْرُونَ مَرَّةً، وَ أَنْوَرُ مِنْهَا خَمْسُونَ وَ أَبْعَدُ بِمِليُونٍ ضَعْفًا.

٥٠ / ٥٣

٥٠- وَ أَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى وَ هُمْ أَقْوَى وَ أَغْوَى.

٥١ / ٥٣

٥١- وَ تَمُودَ فَمَا أَبْقَى مِنْهَا بَاقِيَةً فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ" (٦٩: ٨).

٥٢ / ٥٣

٥٢- وَ كَمَا أَهْلَكَ قَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلِ إِنْهُمْ جَمِيعًا، أَمْ خُصُوصَهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَ أَطْغَى مِنْ غَيْرِهِمْ وَ أَقْوَى.

٥٣ / ٥٣

٥٣- وَ كَذَلِكَ الْأَقْوَامُ الْمُؤْتَفِكَةَ الْأُخْرَى، فَاعِلَةُ الْإِفْكَ حَيَاتُهُمُ الطَّاعِيَةُ الْهَاضِمَةُ أَهْوَى مِنْ غَيْرِهِمْ فِي هَوَاتِ الضَّلَالَةِ: "وَ جَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ وَالْمُؤْتَفِكَاتُ بِالْخَاطِئَةِ" (٩: ٦٩) أَوْ أَنَّ "الْمُؤْتَفِكَةَ" هِيَ الْأَقْوَامُ الْمُنْفَعِلَةُ بِالطَّعَاةِ "أَهْوَى" هُمْ اللَّهُ بِاتِّفَاقِهِمُ الْهَاضِمَةَ.

٥٤ / ٥٣

٥٤- فَغَشَّاهَا الْمُؤْتَفِكَةُ مَا غَشَّى الْمُؤْتَفِكَةَ، مَهْمَا اخْتَلَفَتْ دَرَكَاتُهُمَا.

٥٥ / ٥٣

٥٥- فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ عَلَيْكَ وَ سَائِرِ أَهْلِهَا تَتَمَارَى ارْتِيَابًا.

٥٦ / ٥٣

٥٦- هَذَا النَّذِيرُ الْأَخِيرُ هُوَ نَذِيرٌ مِنَ النَّذْرِ الْأَوَّلِيِّ قَبْلَهُ: "قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ" (٩: ٤٦) وَ هُوَ قَرِيبٌ إِلَى الْآزِفَةِ، وَ قَدْ:

٥٧ / ٥٣

٥٧- أَرْفَتِ الْآزِفَةُ الْقَرِيبَةَ وَ هِيَ الْآخِرَةُ، بِذَلِكَ الْإِنْذَارِ الْأَخِيرِ لِأَنَّ نَبِيَّهُ هُوَ نَبِيُّ السَّاعَةِ: "وَ أَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطِمِينَ" (٤٠: ١٨).

٥٨ / ٥٣

٥٨- لَيْسَ لَهَا لِلْآزِفَةِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُوَّةٌ كَاشِفَةٌ يَكْشِفُ عَنْهَا الْغَطَاءَ "لَا يَجْلِيهَا لَوْفَتُهَا إِلَّا هُوَ" (١٨٧: ٧) فَذَلِكَ هُوَ كَشْفُ الْغَطَاءِ وَ الْجَلَاءِ وَ الْبَلَاءِ، مَخْتَصَّةٌ بِاللَّهِ.

٥٩ / ٥٣

٥٩- أَمْ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ اسْتِنكَارًا عَجَابًا ضِدَّ الْوَحْيِ الصَّارِمِ.

٦٠ / ٥٣

٦٠- وَ تَضَحَّكُونَ مِنْهُ وَ لَا تَبْكُونَ عَلَى عَيْبِكُمُ الْمَعْتَدَى.

٦١ / ٥٣

٦١- وَ أَنْتُمْ سَامِدُونَ لَا هُونَ مُسْتَكْبِرُونَ كَالْبَعِيرِ الرَّافِعِ رَأْسَهُ كِبْرًا

٦٢ / ٥٣

٦٢- فَاسْجُدُوا لِلَّهِ^{٢٥} لَا سِوَاهُ وَ اعْبُدُوا إِلَاهَهُ لَا سِوَاهُ ف "لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ"

سورة القمر

١ / ٥٤

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ اقْتَرَبَتْ ﴿قُرْبًا زَائِدًا﴾ السَّاعَةُ ﴿الْمَوْعِدَةُ قِيَامَةً﴾ ﴿وَ انْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ آيَةٌ لِإِقْتِرَابِ السَّاعَةِ، لِنَبِيِّ السَّاعَةِ، فَلَيْسَ اسْتِثْقَا لَهُ عَنِ الشَّمْسِ إِذْ لَمْ يَكُنْ اسْتِثْقَا، وَ لَا آيَةٌ رَسَالِيَّةٌ فَقَطْ بَلْ كَانَ آيَةٌ لِلْسَّاعَةِ وَ لِنَبِيِّ السَّاعَةِ.

٢ / ٥٤

٢- ﴿وَ إِنْ يَرَوْا﴾ هَؤُلَاءِ ﴿آيَةً﴾ رَبَّانِيَّةً كَهَذِهِ ﴿يَعْرِضُوا﴾ عَنْهَا ﴿وَ يَقُولُوا﴾ إِنَّهَا ﴿سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾ طُولُ الرِّسَالَاتِ.

٣ / ٥٤

^{٢٥} . هُنَا تَجِبُ السُّجْدَةُ

٣- ﴿وَكَذَّبُوا﴾ بالحق الآية، هذه و سواها ﴿وَ اتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ الهاوية الخاوية ﴿وَ كُلُّ أَمْرٍ﴾ من الأمور و الأوامر الربانية ﴿مُسْتَقَرٌّ﴾ لا حول عنها "حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَ مُقَامًا" (٧٦: ٢٥) حقا، أو "إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَ مُقَامًا" (٦٦: ٢٥) باطلا، ثباتا لكل "جَزَاءً وَفَاقًا".

٤ / ٥٤

٤- ﴿وَ لَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ﴾ الربانية ﴿مَا فِيهِ مُذْجَرٌ﴾ لمن يتذكر.

٥ / ٥٤

٥- و هي كلها ﴿حِكْمَةٌ بِالْعَظَةِ﴾ تبلغ النفوس الحية ﴿فَمَا تَعْنِ النُّذُرُ﴾ لنفوس ميتة.

٦ / ٥٤

٦- ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ إعراضا ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعُ﴾ فى الأخرى ﴿إِلَى شَيْءٍ نُّكِرٍ﴾ عذابا نكرا فى الأخرى.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٥٢٩

٧ / ٥٤

٧- حالكونهم ﴿خُشَعًا أَبْصَارُهُمْ﴾ ذلة لأحداث فأحداث، حال أنهم ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ إلى أحداث ﴿كَانَهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ من ضعفهم و انكسارهم و انحسارهم: "يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَانَهُمْ إِلَى نُصْبٍ يَوْفُضُونَ. خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرَاهَهُمْ ذِلَّةً" (٧٠: ٤٤) "يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ" (١٠١: ٤).

٨ / ٥٤

٨- حالكونهم ﴿مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ﴾ مصوبين أعناقهم إليه "مُهْطِعِينَ مَقْنَعِي رُؤُسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَ افْتَدَتْهُمْ هَوَاءٌ" (٤٣: ١٤) ﴿يَقُولُ الْكَافِرُونَ﴾ إذا ﴿هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ مما يدل على أن العسر فوق الحرج.

٩ / ٥٤

٩- ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾: "كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ" (١٠٥: ٣٦) أن ﴿فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا﴾ فإن تكذيب رسول هو تكذيب للمرسلين كلهم ﴿وَ قَالُوا﴾ هو ﴿مَجْنُونٌ وَ اَزْدِجِرْ﴾ زجرا بجنونه، جنونا مضاعفا، لكن "وَ لَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُذْجَرٌ" عن تكذبيهم، فلما بلغوا من التكذيب إلى هذا الحد كما بلغت أنباءهم إلى ما فيه مزدجر:

١٠ / ٥٤

١٠- ﴿فَدَعَا رَبَّهُ﴾ إذا ﴿أَنَّى مَغْلُوبٌ﴾ فى دعوتى فلا تؤثر ﴿فَانتَصِرْ﴾ لدينك.

١١ / ٥٤

١١- ﴿فَفَتَحْنَا﴾ عليهم ﴿أَبْوَابَ السَّمَاءِ﴾ ماء ﴿بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾ غزير جارف، إضافة إلى ماء الأرض.

١٢ / ٥٤

١٢- ﴿وَ فَجَّرْنَا الْأَرْضَ﴾ كلها ﴿عُيُونًا﴾ دون إبقاء ﴿فَالْتَقَى الْمَاءُ﴾ سماء و أرضا فى الأرض ﴿عَلَى أَمْرٍ﴾ دون إبقاء من الله ﴿قَدْ قُدِرَ﴾ غرقا شاملا.

١٣ / ٥٤

١٣- ﴿وَ حَمَلْنَاهُ﴾ نوحا و المؤمنين معه ﴿عَلَى﴾ سفينة ﴿ذَاتِ الْوَاحِ وَ دُسْرِ﴾ أوتاد موتدة فى أخشاب كبيرة: "وَ اصْنَعِ الْفُلَكَ بِأَعْيُنِنَا وَ وَحِينَا" (٣٧: ١١) كما و:

١٤ / ٥٤

١٤- ﴿تَجْرَى بِأَعْيُنِنَا﴾ رقابة ربانية خاصة ﴿جَزَاءً﴾ عليهم ﴿لِمَنْ كَانَ﴾ " أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا " (٣٩: ١٤) ﴿كُفِرَ﴾ به من هؤلاء الكفار.

١٥ / ٥٤

١٥- ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا﴾ على طول الزمن ﴿آيَةً﴾ ربانية ﴿فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ " لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيهَا أُذُنٌ وَّاعِيَةٌ " (٦٩: ١٢) و آية منها لوحة منها تحمل البشارة المحمدية، باقية على جبل " آراوات " بنخجوان حتى الآن كما فصلناه في الفرقان.

١٦ / ٥٤

١٦- ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي﴾ هنا ﴿وَنُذِرُ﴾.

١٧ / ٥٤

١٧- ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا﴾ هذا ﴿الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ رغم من عسره له بقوله: ظنية الدلالة ﴿فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ يتذكر به.

١٨ / ٥٤

١٨- ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ﴾ الأولى ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذِرُ﴾ ي فيهم.

١٩ / ٥٤

١٩- ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ بالغة في الصرّ و القرّ: البرد ﴿فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ﴾ بنحوسته: " فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ " (٤١: ١٦) ﴿فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾ (٦٩: ٨) ريحا.

٢٠ / ٥٤

٢٠- ﴿تَنْزِعُ النَّاسَ﴾ منزعا ﴿كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعٍ﴾ مقتلع عن قعره.

٢١ / ٥٤

٢١- ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذِرُ﴾ من أنفسهم أو آفاقهم آية للمدكر.

٢٢ / ٥٤

٢٢- ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا﴾ تماما كما يمكن ﴿الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ ممن له إمكانية التذكر لحقائقه المرمية ﴿فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ اللهم لا إلا قليل من أهليه، دون الذين يخترمون به أنه ظني الدلالة، أو كاحترام إذ لا يفهمه إلا الرسول و ذووه!

٢٣ / ٥٤

٢٣- ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ﴾ قوم صالح ﴿بِالنُّذُرِ﴾ كلمهم.

٢٤ / ٥٤

٢٤- ﴿فَقَالُوا﴾ قولة واحدة ﴿أَبَشَرًا مِمَّنَّا﴾ أنفسنا ﴿وَاحِدًا﴾ ليس له أعوان ﴿نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِيَ ضَلَالٍ وَ سُعْرٍ﴾ نار ملتهبة من ضلال، ويكأن البشرية و الوحدة، وهدة سعييرة.

٢٥ / ٥٤

٢٥- ﴿أَلَيْتِي الذِّكْرُ﴾ الرباني ﴿عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا﴾ نحن الجماهير العظماء، لو صح أن يلقي على بشر ﴿بَلْ هُوَ كَذَابٌ﴾ فيما يقول ﴿أَشِرُّ﴾ مبالغ في كذبه، لبشريته و وحدته، كافية في وهدة.

٢٦ / ٥٤

٢٦- ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا﴾ هنا و بعد الموت ﴿مَنْ الْكَذَّابُ الْأَشِرُّ﴾.

٢٧ / ٥٤

٢٧- ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ﴾ المقترحة آية ﴿فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَبِعْهُمْ﴾ رقابة أمامها ﴿وَاصْطَبِرْ﴾.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٥٣٠

٢٨ / ٥٤

٢٨- ﴿وَبَيَّنْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ﴾ عندهم، هو ﴿قِسْمَةٌ﴾ ربانية ﴿بَيْنَهُمْ كُلُّ شَرْبٍ﴾ منه ﴿مُحْتَضَرٌ﴾ لكل من الناقة و إياهم: "هذه ناقة لها شربٌ و لكم شربٌ يوم معلومٍ" (٢٦: ١٥٥).

٢٩ / ٥٤

٢٩- ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ﴾ زعيما بينهم فى ضلالهم ﴿فَتَعَالَى﴾ تناول منهم ما به يعقرها ﴿فَعَقَرَهَا﴾ ها "فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَ عَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ .." (٧: ٧٣) جمعا فى شخص و شخصا فى جمع.

٣٠ / ٥٤

٣٠- ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَ نَذْرِي﴾.

٣١ / ٥٤

٣١- ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا﴾ إذا ﴿كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾ المجتمع حشيشا فى حظيرة أكلا للحيوان أو إحراقها "هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ" وَ أَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ. كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا .." (١١: ٦٨)

٣٢ / ٥٤

٣٢- ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ تيسيرا ربانيا لا غبار عليه ﴿فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾ يتذكر به.

٣٣ / ٥٤

٣٣- ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنَّذْرِ﴾ كلهم و منهم لوط نفسه.

٣٤ / ٥٤

٣٤- ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾ ريحا تحمل سجيلا ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾ " فَاسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ .." * (١١: ٨١).

٣٥ / ٥٤

٣٥- ﴿نِعْمَةً﴾ خاصة، هى ﴿مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ﴾ العظيم ﴿نَجْزِي﴾ فى الحياة حتى هنا ﴿مَنْ شَكَرَ﴾ نا.

٣٦ / ٥٤

٣٦- ﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ﴾ بعد كافة الإنذارات الرسولية ﴿بَطْشَتَنَا﴾ هنا، كـ " وَ قَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ" (١٥: ٦٦) ﴿فَتَمَارَوْا بِالنَّذْرِ﴾ ترددا فى أمرهم.

٣٧ / ٥٤

٣٧- ﴿وَلَقَدْ رَاودُوهُ﴾ طلبا فى محاولات و حيل ﴿عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾ كبطشة ربانية، فقيلا لهم ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَ نَذْرِي﴾ ى، ذوق عذاب بما أنذروا و كذبوا.

٣٨ / ٥٤

٣٨- ﴿وَلَقَدْ صَبَحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقِرٌّ﴾ عليهم حيث أفناهم عن بكرتهم، ثم يستقر فى برزخهم و معادهم، متواصلا فى النشأت الثلاث.

٣٩ / ٥٤

٣٩- ﴿فَذُوقُوا عَذَابِيَ وَ نُذِرْ﴾ ى، بما كذبتموهم، و ما أُنذروا به من عذاب.

٤٠ / ٥٤

٤٠- ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ كله ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ بذكره الميسر، اللهم لا، إلا من يراه بقمة البيان الظاهر دون ظن و ارتياب.

٤١ / ٥٤

٤١- ﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ﴾ كموسى و الرسل الإسرائيليين.

٤٢ / ٥٤

٤٢- ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ الآتية لهم ﴿كُلُّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ﴾ غير غادر آخذناه و جنوده فنبدناهم في اليم و هو مليم" (٥١: ٤).

٤٣ / ٥٤

٤٣- ﴿أَكْفَارُكُمْ﴾ أنتم المكلفين زمن القرآن ﴿خَيْرٌ مِنْ أَوْلَئِكَمُ﴾ من هؤلاء، قوة و أموالا و أولادا ﴿أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ﴾ عن أحكام الله، دون تكليف بها أو بشفاعة ﴿فِي الزُّبُرِ﴾ الربانية "كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَ أَكْثَرَ أَمْوَالًا وَ أَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ وَ خُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا .." (٩: ٦٩).

٤٤ / ٥٤

٤٤- ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ﴾ الكفار ﴿جَمِيعُ﴾ مجموعون مع بعض البعض ﴿مُنْتَصِرُ﴾ بجمعنا في المعارك.

٤٥ / ٥٤

٤٥- و لكن ﴿سَيَهْزُمُ﴾ ذلك ﴿الْجَمْعُ﴾ الجميع أمام البطشة الربانية ﴿وَيُولُونَ الدُّبُرَ﴾ كيوم فتح الفتوح، رغم عدتهم و عدتهم.

٤٦ / ٥٤

٤٦- ﴿بَلْ﴾ و أكثر منه ﴿السَّاعَةُ﴾ الأخيرة ﴿مَوْعِدُهُمْ وَ السَّاعَةُ﴾ هذه، هي ﴿أَذْهَى﴾ فإنها أبلى دون تخلص عنها ﴿وَأَمْرٌ﴾ من كل ما مر من مرة في الحياة.

٤٧ / ٥٤

٤٧- ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ﴾ كهؤلاء، هم غارقون ﴿فِي ضَلَالٍ﴾ هنا و هناك ﴿وَسُعْرٍ﴾ نيران شديدة التأجج، هناك بما هنا.

٤٨ / ٥٤

٤٨- ﴿يَوْمَ يَسْحَبُونَ فِي النَّارِ﴾ جرا جريرا ﴿عَلَى وُجُوهِهِمْ﴾ بكل الوجوه، فيقال لهم ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ سقر بسقرهم.

٤٩ / ٥٤

٤٩- ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ﴾ في العوالم كلها ﴿بِقَدَرٍ﴾ قدرناه، و حساب عادل حاسبناه: "وَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا" (٢٥: ١) "وَ كُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ" (٨: ١٣) "وَ مَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ" (١٥: ٢١).

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٥٣١

٥٠ / ٥٤

٥٠- ﴿وَمَا أَمْرُنَا﴾ لقيام الساعة ﴿إِلَّا﴾ إرادة ﴿وَاحِدَةٍ﴾ دون حاجة إلى محاولات و مقدمات ﴿كَلَمَحٍ بِالْبَصَرِ﴾ في آنيته: "وَ مَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمَحٍ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ" (١٦: ٧٧) و كذلك كل أمر في تكوين أو تشريع، مهما تطاولا في أمور و أوامر ف"إنما

أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ" (٨٢: ٣٦) و ليس طائل الزمن إلا لطائل الأمر حكمة بالغة، دون حاجة إلى تطويل ضعفا أو جهلا أو بخلا.

٥١ / ٥٤

٥١- ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ﴾ الغابرين، مشايعين كفركم مهما كانوا سابقين، كأنهم "تَوَاصَوْا بِهِ" ﴿فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ﴾.

٥٢ / ٥٤

٥٢- ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ﴾ هي ﴿فِي الزُّبُرِ﴾ كتب الأعمال، دون نفاذ و لا تغير.

٥٣ / ٥٤

٥٣- ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾ مما فعلوه ﴿مُسْتَطَرٌ﴾: "إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ" (٢٩: ٤٥).

٥٤ / ٥٤

٥٤- ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ﴾ هم غارقون ﴿فِي جَنَاتٍ وَنَهَرٍ﴾ تجرى من تحتها.

٥٥ / ٥٤

٥٥- ﴿فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ﴾ قعودا صادقا ﴿عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ و جنات المعرفة الزلفى عند ذلك المليك المقتدر، هي أفضل من سائر الجنات.

سورة الرحمن

١ / ٥٥

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ أعم الصفات الربانية.

٢ / ٥٥

٢- ﴿عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ علما: علامة على رسالة رسوله، و علما: تعليما للمكلفين به إلى يوم الدين، و كلاهما هنا معنيان، متقدما على كافة النعم الرحيمية لأنه هو الغاية العظمى منها مطلقا، كما أن كتب الوحي كلها مقدمة إياه.

٣ / ٥٥

٣- ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ "فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ" فالقرآن له أحسن تقويم.

٤ / ٥٥

٤- ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ عما يصح بيانه، قمته بيان القرآن فإنه خير بيان للإنسان، فمهما كان لسائر الحيوان - أيضا - بيان، و لكن أين بيان من بيان.

٥ / ٥٥

٥- ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ المرثيان هما ﴿بِحُسْبَانٍ﴾ فالقمر: "قَدَرَهُ مَنَازِلَ لَتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ" (١٠: ٥) و "بِحُسْبَانٍ" تعنى كافة الحسابات بهما.

٦ / ٥٥

٦- ﴿وَالنَّجْمُ﴾ طالع السماء ﴿وَالشَّجَرُ﴾ طالع الأرض، أو أن الشجر هو القائم على ساقه، و النجم غيره من نباتات، و الجمع أجمع ﴿يَسْجُدَانِ﴾ لله، عاليا أو نازلا، رافعا رأسه أو واطئا، مما يدل على عمومية سجدة الكائنات "وَأِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبُحُ بِحَمْدِهِ" (١٧: ٤٤).

٧ / ٥٥

٧- ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ كونيًا و شرعيًا.

٨ / ٥٥

٨- ﴿أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾ الذى وضعه الله.

٩ / ٥٥

٩- ﴿وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ﴾ ككل الموازين ﴿بِالْقِسْطِ﴾ عدلا و فوقه ﴿وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ نقصا فى ميزانيته: " وَ أَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَ الْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ " (٥٧: ٢٥) فكما " الْوَزْنُ يُؤْمَذُ الْحَقُّ " (٧: ٨) كذلك يوم الدنيا، الحق المطلق هو كله ميزان لكل وزن.

١٠ / ٥٥

١٠- ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾ من إنس و جان، مهما كان فيها غيرهما، لأنهما الأصل لا سيما الإنسان.

١١ / ٥٥

١١- ﴿فِيهِمَا فَاكِهَةٌ﴾ ومنها ﴿النَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾ جمع الكم غطاء الثمرة.

١٢ / ٥٥

١٢- ﴿وَالْحَبُّ﴾ أيا كان ﴿ذُو الْعَصْفِ﴾ الورق و التبن ﴿وَالرَّيْحَانُ﴾ ككل ريحان له عطر.

١٣ / ٥٥

١٣- ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا﴾ أيها الإنسان و الجان ﴿تُكَذَّبَانِ﴾ و هى متكررة فى مقاطع السورة ٣١ مرة فى آياتها ال ٧٨، جمالا بيانيا، و ذكرى لكل النعم المذكورة فيها.

١٤ / ٥٥

١٤- ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ﴾ طين يابس منتن: " إِنِّى خَالِقُ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ " (١٥: ٢٨) و " مِنْ طِينٍ لَازِبٍ " (٣٧: ١١) و هو أسود نتن لازق ﴿كَالْفَخَّارِ﴾ الطين المطبوخ بالنار.

١٥ / ٥٥

١٥- ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ﴾ خليط مازج ﴿مِنْ نَارٍ﴾ " وَ الْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ " (٣٢: ٧).

١٦ / ٥٥

١٦- ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذَّبَانِ﴾.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٥٣٢

١٧ / ٥٥

١٧- ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَ رَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾ مشرق الشمس و القمر و مغربهما كما هو رب أعلى نقط شروق الشمس و أدها، و أعلى غروبها و أدها، و كذلك المشرق مع الشمال و المغرب مع الجنوب، و رب مشرق الشمس و مغربها و سائر الشارقات الغاربات.

١٨ / ٥٥

١٨- ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذَّبَانِ﴾.

١٩ / ٥٥

١٩- ﴿مَرْجٍ﴾ مزجا ﴿الْبَحْرَيْنِ﴾ عذبا و مالحا ﴿يَلْتَقِيَانِ﴾ كبحر واحد.

٢٠ / ٥٥

٢٠- ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾ يفصلهما ف ﴿لَا يَبْغِيَانِ﴾: " هذا عَذْبُ فُرَاتٍ وَ هَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَ جَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخاً وَ حِجْراً مَحْجُوراً " (٢٥: ٥٣) و منها بحر الأرض و بحر السماء إذ يمرجان و يمزجان، و لكنهما لا يختلطان بحيث يضل كل في صاحبه، ببرزخ القدرة الربانية، فكل لمكانه الخاص مهما مرجا.

٢١ / ٥٥

٢١- ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

٢٢ / ٥٥

٢٢- ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَ الْمَرْجَانُ﴾ زينة لكم.

٢٣ / ٥٥

٢٣- ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

٢٤ / ٥٥

٢٤- ﴿وَ لَهُ الْجَوَارِ﴾ السفن ﴿الْمُنَشَّاتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ قديمة و حديثة، حيث الخالق لصناعتها و موادها هو الله.

٢٥ / ٥٥

٢٥- ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

٢٦ / ٥٥

٢٦- ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا﴾ على الخلقة أيا كان، هو ﴿فَإِنْ﴾ الآن و بعدكما كان قبل خلقه، لأنها في ذواتها فقراء إلى الله، ف " كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ " (٢٨: ٨٨).

٢٧ / ٥٥

٢٧- ﴿وَ يَبْقَى﴾ دون فناء ﴿وَجْهَ رَبِّكَ﴾ ذاته تعالى فإنها وجه يواجهه كل شيء و يواجهه كل شيء، و كذلك ربوبيته فيمن تربى بها إذ لا يفنون، بل هم باقون ببقاء ربك فإنهم " إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ " في الصعقة المميتة فإنه ﴿ذُو الْجَلَالِ﴾ عظمة ﴿وَ الْإِكْرَامِ﴾ كرما، فهما اللذان يبقيان بوجهه الربوبية الخلقية، كما الله باق، مما يلمح أن من ليس فيه وجه من ربانية تربويا هو فان يوم القيامة.

٢٨ / ٥٥

٢٨- ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

٢٩ / ٥٥

٢٩- ﴿يَسْأَلُهُ﴾ سؤال حال أو قال في حاجة ذاتية و سواها ﴿مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ﴾ و هما الكون كله " يَسْأَلُهُ " ﴿كُلِّ يَوْمٍ﴾ أن هو النقطة الأولى من زمان ﴿هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ من تكوين صالح.

٣٠ / ٥٥

٣٠- ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

٣١ / ٥٥

٣١- ﴿سَنُفَرِّغُ لَكُمْ﴾ حسابا و جزاء يوم القيامة ﴿آيَةَ الثَّقَلَانِ﴾ الإنس و الجن بعد النشأة الأولى، ثم غير الثقلين من ذوى الإدراك هم على صورهم يحاسبون.

٣٢ / ٥٥

٤٤- ﴿يَطُوفُونَ﴾ فيها ﴿بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آتٍ﴾ بمنتهى الحمّة و الحرارة.

٤٥ / ٥٥

٤٥- ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

٤٦ / ٥٤

٤٦- ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ قيامه الربانى ﴿جَنَّاتٍ﴾ جنة المعرفة و جنة الجسم " وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ. فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ " (٧٩: ٤) " وَ رِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ " (٩: ٧٢) و هو جنة المعرفة: "لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ .. وَ رِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ " (٣: ١٥).

٤٧ / ٥٥

٤٧- ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

٤٨ / ٥٥

٤٨- و الجنةان هما ﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾ أغصان مختلفة الألوان، روحا و جسما.

٤٩ / ٥٥

٤٩- ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

٥٠ / ٥٥

٥٠- ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ عين المعرفة جارية على الأرواح، و عين الجسم جارية على الأبدان.

٥١ / ٥٥

٥١- ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

٥٢ / ٥٥

٥٢- ﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ﴾ نفسية و بدنية ﴿زُوجَانِ﴾ زوج نفسى و آخر جسمى.

٥٣ / ٥٥

٥٣- ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

٥٤ / ٥٥

٥٤- حالكونهم ﴿مُتَكَيِّنِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ﴾ يجلسون عليها ﴿بَطَانَتُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ حرير غليظ، فضلا عن ظواهرها ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ﴾ أثمارهما المجناة المقطوفة ﴿دَانٍ﴾ إليهم.

٥٥ / ٥٥

٥٥- ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

٥٦ / ٥٥

٥٦- ﴿فِيهِنَّ﴾ جنات الجسم، دون " فيهما " لإختلاف المعنى هنا و هناك، بنات إنسيات و حوريات أم و جنيات ﴿قاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ على أزواجهن، فضلا عن غير الطرف من اتصالات جنسية ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ﴾ هؤلاء المكرمين إنسا و جنا ﴿وَلَا جَانٌ﴾ مما يلوح بإمكانية طمث كل الآخر فى كل النشاطات.

٥٧ / ٥٥

٥٧- ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

٥٨ / ٥٥

٥٨- ﴿كَانَ هُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾ من كثرة جودتهن ووجاهتهن، فيا لهن من باكرات جميلات، لهن جماع الخيرات الحسان.

٥٩ / ٥٥

٥٩- ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

٦٠ / ٥٥

٦٠- ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا﴾ نفس ﴿الْإِحْسَانِ﴾ " وَ لَدَيْنَا مَزِيدٌ " وهذه ضابطة عادلة في النشأت كلها، فمن أحسن إليك، عليك جزاءه كما أحسن قدر المقدور، أو مزيدا: " وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوها " (٤: ٨٦).

٦١ / ٥٥

٦١- ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

٦٢ / ٥٥

٦٢- ثم ليست الجنتان باختصاص الرعيل الأعلى من الإنس و الجان، بل ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾ روحية و جسمية.

٦٣ / ٥٥

٦٣- ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ اختصارا دون احتصار للجنتين، فإن بين الأوليين و الآخرين جنتان و جنتان.

٦٤ / ٥٥

٦٤- ﴿مُدْهَامَّتَانِ﴾ خضراوتان، ضاربتان إلى سواد.

٦٥ / ٥٥

٦٥- ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ و هذه تقسيمات لأهل الجنة، أعلى و أدنى و بينهما عوان، لكل حسب استحقاقه " وَ لَا يظْلَمُونَ نَقِيرًا ".

٦٦ / ٥٥

٦٦- ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ﴾ روحا و جسما ﴿نَضَّائَتَانِ﴾ ناصبتان بالماء، و هذا دون الجريان.

٦٧ / ٥٥

٦٧- ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٥٣٤

٦٨ / ٥٥

٦٨- ﴿فِيهِمَا﴾ الجنتان روحيا و جسميا ﴿فَاكِهَةٌ وَ نَخْلٌ وَ رَمَّانٌ﴾ أو "فِيهِمَا" تعنى ينان نَضَّائَتَانِ".

٦٩ / ٥٥

٦٩- ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

٧٠ / ٥٥

٧٠- ﴿فِيهِنَّ﴾ جنات الجسم، بنات ﴿خَيْرَاتُ﴾ في أنوثتهن كفوا ﴿حِسَانُ﴾ جميلات، جمعا بين حسن الظاهر و الباطن.

٧١ / ٥٥

٧١- ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

٧٢ / ٥٥

٧٢- وَ هُنَّ ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ﴾ عَلَى أَزْوَاجِهِنَّ ﴿فِي الْخِيَامِ﴾ الْخَاصَّةُ بِهِمْ وَ بِهِنَّ.

٧٣ / ٥٥

٧٣- ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

٧٤ / ٥٥

٧٤- ﴿لَمْ يَطْمِئِنَّ﴾ جَنَسِيَا ﴿إِنْسٌ قَبْلَهُمْ﴾ أَوْلَاءُ الْجَنَّةِ وَ النَّاسِ ﴿وَ لَا جَانٌ﴾ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى إِمْكَانِيَّةِ فَوَاقِيَةِ الْإِشْتِرَاكِ بَيْنَهُمَا جَنَسِيَا مَعَ بَعْضِ الْبَعْضِ هُنَاكَ، فَكَذَلِكَ هُنَا.

٧٥ / ٥٥

٧٥- ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

٧٦ / ٥٥

٧٦- حَالُكُونُهُمْ كَكُلِّ ﴿مُتَكَبِّينَ عَلَى رَقَرَفٍ﴾ أَيْسَطَةٍ ﴿خُضِرٍ﴾ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمَا أَحْسَنُ مِنْ غَيْرِهِمَا ﴿وَ عَبَقَرَى﴾ نَادِرَةٌ ﴿حِسَانٍ﴾.

٧٧ / ٥٥

٧٧- ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

٧٨ / ٥٥

٧٨- ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ﴾ بِرَبُوبِيَّتِهِ رَحْمَانِيَّةٍ وَ رَحِيمِيَّةٍ هُنَا وَ هُنَاكَ ﴿ذِي الْجَلَالِ وَ الْإِكْرَامِ﴾ إِحْسَانًا.

سورة الواقعة

١ / ٥٦

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ إِذَا ﴿ظَرْفِيَّةٌ مُضْمَنَةٌ شَرْطًا﴾ وَقَعَتْ السَّاعَةُ ﴿الْوَاقِعَةُ﴾ حَتْمًا: "فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةً وَاحِدَةً. وَ حُمِلَتِ الْأَرْضُ وَ الْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً. فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ" (٦٩: ١٥) فَهِيَ الْقِيَامَةُ الْمَمِيَّةُ.

٢ / ٥٦

٢- ﴿لَيْسَ لَوْعَتِهَا﴾ أَبْدَا حَالَةٍ - جِهَةٍ وَ .. ﴿كَاذِبَةٌ﴾ تَكْذِبُ بِهَا، لَا حَالَهَا لَوْقُوعَهَا، وَ لَا قَبْلَهَا حَيْثُ الْأَدْلَةُ كُلُّهَا مُثَبَّتَةٌ لَهَا.

٣ / ٥٦

٣- وَ هِيَ ﴿خَافِضَةٌ﴾ جَمُوعًا ﴿رَافِعَةٌ﴾ آخِرِينَ، خِلَافَهَا يَوْمَ الدُّنْيَا ظَالِمَةٌ، كَمَا وَ هِيَ خَافِضَةٌ رَافِعَةُ الْكَوْنِ كُلِّهِ، خَفَضًا عَنْ حَالَتِهِ الْحَالِيَّةِ، رَفَعًا إِلَى الْقِيَامَةِ، وَ هِيَ.

٤ / ٥٦

٤- ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا﴾ إِذْ تَرَجَّ بِالصَّيْحَةِ الْأُولَى: "يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَ الْجِبَالُ وَ كَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيرًا مَهِيلًا" (٧٣: ١٤).

٥ / ٥٦

٥- ﴿وَ بَسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا﴾ إِرسَالًا وَ تَسْيِيرًا فَتَصْيِيرًا "وَ إِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ" (٨١: ٣) "وَ تَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ" (١٠١: ٥).

٦ / ٥٦

٦- ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا﴾ "كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ" ثُمَّ فِي قِيَامَةِ الْإِحْيَاءِ بَعْدَهَا:

٧ / ٥٦

٧- ﴿وَ كُنْتُمْ﴾ أَنْتُمْ الْمَكْلُفِينَ ﴿أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ مِنْ حَيْثُ الْعَقَائِدُ وَ الْأَعْمَالُ:

٨ / ٥٦

٨- ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ العائشين يمين الحياة بيمينها بمرضاة الله ﴿مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ هم بين المقربين و أصحاب المشأمة.

٩ / ٥٦

٩- ﴿وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ ما أصحابُ المشأمة: "وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ. عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ" (٩٠: ٢٠) فالسؤال في أصحاب الميمنة تجليل لهم، و في أصحاب المشأمة تخجيل عليهم.

١٠ / ٥٦

١٠- ﴿وَالسَّابِقُونَ﴾ في الأولى هم ﴿السَّابِقُونَ﴾ في الأخرى، أصحاب اليمين في سباق الخيرات أولى و أخرى: "أُولَئِكَ يَسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ" (٢٣: ٦١) و لا تعنى السبقة زمانا أو مكانا، بل هى مكانة الزلفى مهما لحقوا فيهما.

١١ / ٥٦

١١- ﴿أُولَئِكَ﴾ بسباقهم هم ﴿الْمُقَرَّبُونَ﴾ إلى الله فوق أصحاب اليمين.

١٢ / ٥٦

١٢- هم ﴿فِي جَنَّاتٍ النَّعِيمِ﴾ فى الأخرى نتيجة الأولى.

١٣ / ٥٦

١٣- هم ﴿ثُلَّةٌ﴾ كثرة ﴿مِنَ الْأُولِينَ﴾ معصومين طول الرسالة.

١٤ / ٥٦

١٤- ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ﴾ هم الأربعة عشر المحمديون، أخيرتها الخاتمية، رسولا و رسوليين.

١٥ / ٥٦

١٥- ﴿عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ﴾ منسوجة نسج الدروع.

١٦ / ٥٦

١٦- ﴿مُتَكَبِّرِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ﴾ مما يرجح جلسة الاتكاء المتقابل.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٥٣٥

١٧ / ٥٦

١٧- ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ هناك ﴿وَلِدَانٌ مُّخْلَدُونَ﴾ كما هم، دون حد فى تخلصهم، و هم الذين ماتوا قبل التكليف، منهم "غُلَّامٌ لَهُمْ" (٥٢: ٢٤) أو سواهم، أم مخلوقون فى الجنة كالحوار العين.

١٨ / ٥٦

١٨- ﴿بِأَكْوَابٍ﴾ أقداح "كَانَتْ قَوَارِيرًا. قَوَارِيرًا مِّنْ فِضَّةٍ قَدَرُوهَا تَقْدِيرًا" (٧٦: ١٥) ﴿وَأَبَارِيقَ﴾ أنية لها خراطيم و عرى ﴿وَكَأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ﴾.

١٩ / ٥٦

١٩- ﴿لَا يَصْدَعُونَ عَنْهَا وَلَا يَنْزِفُونَ﴾ فراغ عقل "بَيضاء لَذَّةٌ لِلشَّارِبِينَ. لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يَنْزِفُونَ" (٣٧: ٤٧).

٢٠ / ٥٦

٢٠- ﴿وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾

٢١ / ٥٦

- ٢١- ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ منه، و هذه لمحة إلى حلّ الطير مطلقا هنا كما هناك.
٢٢ / ٥٦
- ٢٢- ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾ جمع عيناء، واسعة العيون جمالا.
٢٣ / ٥٦
- ٢٣- ﴿كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ المصون عن كل نظرة و لمسة أخرى.
٢٤ / ٥٦
- ٢٤- ﴿جَزَاءٌ﴾ ظاهريا ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ "وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ" كما يشتهون.
٢٥ / ٥٦
- ٢٥- ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾ جنات النعيم بنعمها ﴿لَعَوًا﴾ يلغى عن ذكر الله ﴿وَلَا تَأْتِيَمًا﴾ لله، فضلا عن أن يلغوا، هم، أو يأثموا، مما يدل على حرمتها فيها.
٢٦ / ٥٦
- ٢٦- ﴿إِلَّا قِيلًا﴾ من أى قائل ﴿سَلَامًا سَلَامًا﴾ فهم يسمعون سلاما كما يسمعون سلاما، فهو- إذا- جو السلام.
٢٧ / ٥٦
- ٢٧- ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾ و هم دون المقربين.
٢٨ / ٥٦
- ٢٨- ﴿فِي سِدْرٍ﴾ شجر النبق ﴿مَخْضُودٍ﴾ دون شوك ظلًا لهم.
٢٩ / ٥٦
- ٢٩- ﴿وَوُطِّحَ﴾ عله الموز و ما أشبه ﴿مَنْضُودٍ﴾ منضوج رتيب.
٣٠ / ٥٦
- ٣٠- ﴿وَوُظِّلَ مَمْدُودٍ﴾ دون تقطع زمانا و لا مكانا، مما يدل على وجود شمس هناك.
٣١ / ٥٦
- ٣١- ﴿وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ﴾ مصبوب من عل، يزيد صفاء و جمالا.
٣٢ / ٥٦
- ٣٢- ﴿وَوَافَاكِهِ كَثِيرَةٍ﴾ عدة و عدة.
٣٣ / ٥٦
- ٣٣- ﴿لَا مَقْطُوعَةٍ﴾ عنهم انعداماً ﴿وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ مع وجودها.
٣٤ / ٥٦
- ٣٤- ﴿وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ﴾ فراشا جنسيا، على فراش للراحة فراشا على فراش، مرفوعة عن الأرض، مما يزيدها راحة و جمالا.
٣٥ / ٥٦
- ٣٥- ﴿إِنَّا﴾ بجمعية الرحمات ﴿أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنِشَاءً﴾ هناك فى الجنة، مع سائر نساءهم المنشآت فى الدنيا.
٣٦ / ٥٦
- ٣٦- ﴿فَجَعَلْنَاهُنَّ﴾ فى إنشاءهن ﴿أَبْكَارًا﴾ مما يدل على فضل البكارة.

۳۷ / ۵۶

۳۷- ﴿عُرْبًا أَتْرَابًا﴾ "وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ" (۵۲: ۳۸) وَ كَوَاعِبَ أَتْرَابًا" (۷۸: ۳۳) ف "عُرْبًا" من العرب الظهور، بكل مظاهر الأنثوية، و الترب هو توافى السن، و إذ لا مضى و لا انقضاء هناك للسن، فتوافى السن بين الزوجين فيه جمال و كمال.

۳۸ / ۵۶

۳۸- "أَتْرَابًا" ﴿لأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾.

۳۹ / ۵۶

۳۹- و هم ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾.

۴۰ / ۵۶

۴۰- ﴿وَأُولَئِكَ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ حيث الآخرون هم إلى يوم الدين، فلا يقلون عن الأولين، مهما كان المقربون في الآخرين قلة أمام ثلة الأولين لمكان العصمة.

۴۱ / ۵۶

۴۱- ﴿وَأَصْحَابُ الشَّامِلِ﴾ العائشين شمائل الحياة و مائلها ﴿مَا أَصْحَابُ الشَّامِلِ﴾ تزدیلا و تخجیلا.

۴۲ / ۵۶

۴۲- هم ﴿فِي سَمُومٍ﴾ من السم، غارقين فيه ﴿وَوَ﴾ فی ﴿حَمِيمٍ﴾ أَكَلَا و ماء غساقا.

۴۳ / ۵۶

۴۳- ﴿وَزُلْزِلَ مِنْ يَحْمُومٍ﴾ دخان لافح خافق "لا ظَلِيلٍ وَ لا يَغْنَى مِنَ اللَّهَبِ" (۷۷: ۳۱).

۴۴ / ۵۶

۴۴- ﴿لَا بَارِدٍ﴾ بيردهم ظالا ﴿وَلَا كَرِيمٍ﴾ بين القر و الحر، بل ساخن بقوة.

۴۵ / ۵۶

۴۵- ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ﴾ من بطر النعمة، فليكونوا هناك في ضرها و خطرها.

۴۶ / ۵۶

۴۶- ﴿وَكَانُوا يَصْرِفُونَ عَلَى الْحِنْتِ الْعَظِيمِ﴾ و هو خلف عظيم، عن توحيد الله و رسالاته و ساعته.

۴۷ / ۵۶

۴۷- ﴿وَكَانُوا يَقُولُونَ﴾ غائلين ﴿أَ إِذَا مِتْنَا وَ كُنَّا تُرَابًا وَ عِظَامًا أَ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ استعجاب هزء.

۴۸ / ۵۶

۴۸- ﴿أَوْ أَبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾ معنا يبعثون.

۴۹ / ۵۶

۴۹- ﴿قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَ الْآخِرِينَ﴾ دون استثناء ﴿لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتٍ يَوْمَ مَعْلُومٍ﴾ لدى الله، حتما لا مرد له.

۵۰- [??] ۴۹ و ۵۰ سر هم تایپ شده است

٥١ / ٥٦

٥١- ﴿ثُمَّ﴾ بعد الجمع ﴿إِنَّكُمْ﴾ أصحاب الشمال ﴿أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ﴾.

٥٢ / ٥٦

٥٢- ﴿لَا كِلُونَ﴾ هناك ﴿مِنْ شَجَرٍ﴾ هو ﴿مِنْ زُقُومٍ﴾ "كَالْمُهْلِ يَغْلَى فِي الْبُطُونِ. كَعَلَى الْحَمِيمِ" (٤٤: ٤٦) "إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ. إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ. طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ" (٣٧: ٦٥).

٥٣ / ٥٦

٥٣- ﴿فَمَا لُونُ مِنْهَا الْبُطُونُ﴾.

٥٤ / ٥٦

٥٤- ﴿فَسَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ﴾: "وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءُهُمْ" (٤٧: ١٥).

٥٥ / ٥٦

٥٥- ﴿فَسَارِبُونَ﴾ الحميم ﴿شَرِبَ الْهَيْمِ﴾ و هو إبل به داء العطاش.

٥٦ / ٥٦

٥٦- ﴿هَذَا﴾ المنزل ﴿نُزُلُهُمْ﴾ مضيفا ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾.

٥٧ / ٥٦

٥٧- ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْ لَا تُصَدِّقُونَ﴾ نى، فى الخلق الثانى " وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ" (٣٠: ٢٧).

٥٨ / ٥٦

٥٨- ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ﴾ من الصلب و الترائب.

٥٩ / ٥٦

٥٩- ﴿أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ﴾ إلا إماء لا خلقا ﴿أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ﴾ إياه كما خلقناكم و سائر الخلق.

٦٠ / ٥٦

٦٠- ﴿نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ﴾ كما الحياة ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ فى سباق الحياة و الموت، فنحن قادرون:

٦١ / ٥٦

٦١- ﴿عَلَى أَنْ يُبَدَّلَ﴾ كم ﴿أَمْثَالَكُمْ﴾ فى الصورة، و المادة هى المادة ﴿وَنُنَشِّئُكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ فى حياة زمانا و كيفية، فالمعاد فى المعاد ليس إلا مثل الصورة، لا نفسها التى مضت إلا نفسا.

٦٢ / ٥٦

٦٢- ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ﴾ كلکم ﴿النَّشْأَةَ الْأُولَى﴾ للدينا "نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَ شَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَ إِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا" (٨٦: ٢٨) ﴿فَلَوْ لَا تَذَكَّرُونَ﴾ بالخلق الأول الثانى.

٦٣ / ٥٦

٦٣- ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾ ه من حرث.

٦٤ / ٥٦

٦٤- ﴿أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ﴾ إنباتا ﴿أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾ فكذاك ننبتكم بعد الموت لتحرثوا ما عملتم.

٦٥ / ٥٦

٦٥- ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ﴾ الزرع ﴿حُطَامًا﴾: "هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَ كَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا" ﴿فَطَلْتُمْ﴾ صرتم بعد ﴿تَفَكَّهُونَ﴾ تتعجبون يائسين بائسين قائلين.

٦٦ / ٥٦

٦٦- ﴿إِنَّا لَمُعْرُمُونَ﴾ خاسرون.

٦٧ / ٥٦

٦٧- ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ من حصده، أو "بل نحن" خالقين "محرومون" عندكم عما خلقناه، نكرانا و كفرا و كفرانا فيما خلقناه.

٦٨ / ٥٦

٦٨- ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾ ه، أيا كان، رؤية بصر و بصيرة.

٦٩ / ٥٦

٦٩- ﴿أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ﴾ السحاب المثلل بالماء ﴿أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ﴾ منه، اللهم إلا مزنا صناعيا ليس ليكفى لكم حاجة، دون سائر المزن.

٧٠ / ٥٦

٧٠- ﴿لَوْ﴾ مستحيلا في الحكمة الربانية ﴿نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا﴾ مالحا مرا حارا ملتهبا كالنار كما لأهل النار ﴿فَلَوْ لَا تَشْكُرُونَ﴾ نى على ما رزقتكم.

٧١ / ٥٦

٧١- ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ ها، بأية وسيلة من وسائل إيراها و إيقادها.

٧٢ / ٥٦

٧٢- ﴿أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا﴾ النار ﴿أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ﴾ إياها: "الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ" (٣٦: ٨٠).

٧٣ / ٥٦

٧٣- ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً﴾ لأمر منها إمكانية المعاد، جمعا بين الماء فيها و النار، دمجا بينهما لطلوع الحياة ﴿وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ﴾ الطالبين القوة الحيوية سفرا أو حاضرين.

٧٤ / ٥٤

٧٤- ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ فى ربوبيته.

٧٥ / ٥٦

٧٥- ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ﴾ محال ﴿النُّجُومِ﴾ القرآنية، و أوقعها قلب الرسول صلى الله عليه و آله.

٧٦ / ٥٦

٧٦- حال ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ بل أقسم بالنجوم القرآنية النازلة على مواقعها، على كونها ربانية النزول، قسما لها بنفسها، فالقرآن هو دليل لرسالة موقعة النبى (ص) لا أن النبى دليل على كونه وحيا، لأنهما معا تقلال، أعظمهما، و أكملهما و أتمهما و أطولهما القرآن: "يس. و الْقُرْآنِ الْحَكِيمِ. إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ. عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ" (٣٦: ٤).

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٥٣٧

٨٨- ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ﴾ النفس البالغة التراقي ﴿مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾.

٨٩ / ٥٦

٨٩- ﴿ف﴾ له ﴿روح﴾ من الله روحا ﴿وَرِيحَانٌ﴾ منه جسما ﴿وَجَنَّةٌ نَّعِيمٌ﴾ مكانا و مكانة.

٩٠ / ٥٦

٩٠- ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾.

٩١ / ٥٦

٩١- ﴿فَسَلَامٌ لَّكَ﴾ دونهم ﴿مِنَ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ حيث "السلام" كله للمقربين.

٩٢ / ٥٦

٩٢- ﴿وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ﴾: أصحاب الشمال.

٩٣ / ٥٦

٩٣- ﴿فُتْرُلُ﴾ مضائف ﴿مِنْ حَمِيمٍ﴾.

٩٤ / ٥٦

٩٤- ﴿وَتَصْلِيَةٌ﴾ إيقاد ﴿جَحِيمٍ﴾ قدر ضلالهم.

٩٥ / ٥٦

٩٥- ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾: و هو الله و كتاب الله و رسول الله و يوم الله و كلما هو من الله.

٩٦ / ٥٦

٩٦- ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ تنزيها إياه عما سواه، و هو تسبيح بالحمد.

سورة الحديد

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

١ / ٥٧

١- ﴿سَبِّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ عن شعور مهما اختلفت درجاته: "و إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبُحُ بِحَمْدِهِ وَ لَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ" (١٧: ٤٤) "سَبَّحَ" و "يسبح" لله، ما كان كائن ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ الغالب كلها ﴿الْحَكِيمُ﴾ الحكمة كلها.

٢ / ٥٧

٢- ﴿لَهُ﴾ فحسب ﴿مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ و لذلك هو الذى ﴿يُحْيِي وَ يَمِيتُ وَ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ﴾ ممكن فى ذاته ﴿قَدِيرٌ﴾ بمصلحته الربانية.

٣ / ٥٧

٣- ﴿هُوَ الْأَوَّلُ﴾ أزليا فوق أى زمان و مكان، ليس قبله و لا معه شىء، وحيدا فى أزليته الأولية ﴿وَالْآخِرُ﴾ ليس له آخر، أبدى بذاته كما هو أزلى، فلكل شىء آخر إلا هو، اللهم إلا من يؤبده فى جنته بكرمه فهم أبدون برحمته، باندون فى ذواتهم ﴿وَالظَّاهِرُ﴾ بآياته فى الفطر و العقول و فى الكائنات كلها بعين البصيرة ﴿وَالْبَاطِنُ﴾ عن البصر و الإدراك ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ حق العلم.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٥٣٨

٤ / ٥٧

٤- ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾: أوقات، مهما اختلفت أمادا كما فصلت في "فصلت" ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ علميا لأنه ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ﴾ من واردات ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ من صادرات ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ ماديات و معنويات ﴿وَمَا يَرْجُ فِيهَا﴾ كذلك ﴿وَمِنْهُ قِيَوْمًا﴾ ﴿هُوَ مَعَكُمْ﴾ بحقيقة مطلقة، رحمانية للكل و رحيمية للبعض ﴿أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ في نشأتكم ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ أينما كنتم و أيان، مهما كانت المعية الربانية درجات، فلا انفصال بينه و بين خلقه في درجات و سواها.

٥ / ٥٧

٥- ﴿لَهُ﴾ لا لسواه ﴿مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ملكية مطلقة بدء ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ ختما، فإنه "هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ".

٦ / ٥٧

٦- و من قيوميته المهيمنة ﴿يُولِجُ﴾ إدخالا و دمجا ﴿الَّيْلِ﴾ نقضا منه ﴿فِي النَّهَارِ وَ يُولِجُ﴾ كذلك ﴿النَّهَارِ﴾ نقضا منه ﴿فِي اللَّيْلِ﴾ حسب مختلف الفصول و الآفاق ﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ لأنه هو خالقها المدبر لها.

٧ / ٥٧

٧- ﴿أَمِنُوا﴾ أنفسكم و نفائسكم ﴿بِاللَّهِ﴾ ألوهة و ربانية ﴿وَرَسُولِهِ﴾ رسالة عنه ﴿وَ أَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ ممن قبلكم أو معكم، فليست هي لكم خاصة راصة، بل هي مستخلفة، كما و هي من رزق ربكم فلما ذا البخل بها إذا، ثم الإنفاق يعم المال إلى الحال ما أمكن و حل، دون ابتغاء أجر و لا شكور من خلق الله ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ أَنْفَقُوا﴾ على ضوء الإيمان بالله ﴿لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ عند الله.

٨ / ٥٧

٨- ﴿وَمَا لَكُمْ﴾ من حجة أوداء، ف ﴿لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ﴾ الحال أن ﴿الرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ﴾ بكافة الحجج الربانية الرسولية ﴿لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ﴾ إراءة للآيات في الآفاق ﴿وَ قَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ﴾ في فطركم و عقولكم إراءة في أنفسكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ بميثاقه "الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ": "فَاقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا" (٣٠: ٣٠).

٩ / ٥٧

٩- ﴿هُوَ﴾ الله ﴿الَّذِي يَنْزِلُ﴾ طول الرسالة الأخيرة ﴿عَلَى عَبْدِهِ﴾ محمد، و كأنه فقط عبده قضية عبوديته القمة ﴿آيَاتِ﴾ دالات على ربانية نزولها ﴿بَيِّنَاتٍ﴾ في دلالاتها، أبين من كل بيان في آيات الله ﴿لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ علوما و عقائد و أعمالا متهافئة، قضية جمعيتها و انفصالها عن الوحي و .. ﴿إِلَى النُّورِ﴾ و هو صراط الله الوحيد غير الوهيد، كوحدة النور ﴿وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرْؤُفٌ رَحِيمٌ﴾ أن هداكم برسوله و آياته إلى النور "نورٌ على نورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ" (٢٤: ٣٥).

١٠ / ٥٧

١٠- ﴿وَمَا لَكُمْ﴾ من داء ﴿أَلَّا تَتَّقُوا﴾ ما يجب إنفاقه أو هو راجح ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ﴾ الحال أن ﴿لِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ﴾ إذ "كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ. وَ يَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَ الْإِكْرَامِ" (٥٥: ٢٧). ثم ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ﴾ ضرورة عليا ﴿وَ قَاتِلَ﴾ كذلك للفتح و سواه ﴿أُولَئِكَ﴾ الأكارم هم ﴿أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ﴾ الفتح ﴿وَ قَاتَلُوا﴾ في سبيل الله، زمن الرسول (ص) ﴿وَ كَلَّا﴾ منهما ﴿وَعَدَ﴾ ه ﴿اللَّهُ﴾ الجزاء ﴿الْحُسْنَى﴾ أحسن مما أنفق و قاتل، مهما اختلفت درجات بدرجات ﴿وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ فمنه الحسنى حسب خبرته و منه دونها "وَ لَا يَظْلُمُونَ نَفِيرًا".

١١ / ٥٧

١١- ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَفْرِضُ اللَّهُ﴾ قطعاً عن نفسه و نفيسة في الله ﴿قَرَضاً حَسَنًا﴾ دون سواه ﴿فَيُضَاعِفُهُ﴾ القرض بحقيقة جزاء ﴿لَهُ﴾ ثم ﴿وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ أكثر مما أحسن و أكرم "وَلَدِينَا مَزِيدٌ" عطاءً غيرَ مَجْدُودٍ.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٥٣٩

١٢ / ٥٧

١٢- و ذلك ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ﴾ إيمانياً ﴿بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ أماماً ﴿وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ يقولون رَبَّنَا أَتِمِّمْ لَنَا نُورَنَا" (٦٦: ٨) حيث انقلب إيمانهم و عملهم نورا يسعى بسعيهم هنا، فيقال لهم ﴿بَشْرَاكُمْ الْيَوْمَ جَنَاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ف" بَيْنَ أَيْدِيهِمْ" دلالة على الجنة الأمام، و" بِأَيْمَانِهِمْ" إذ عاشوا يمين الحياة، فهنا هم إلى يمين إذ أوتى كتابهم بِأَيْمَانِهِمْ، نور يجمع بين بصر و بصيرة، لا يبصر إلا لصاحبه قدر سعيه، أو أن" بَيْنَ أَيْدِيهِمْ" للسابقين و" بِأَيْمَانِهِمْ" لأصحاب اليمين" نسخة طبق الأصل، نورا على نور، و عليهما معا معنيان.

١٣ / ٥٧

١٣- ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ﴾ و أضرابهم ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ و عملوا الصالحات ﴿انظُرُونَا نَقْتَسِبْ مِنْ نُورِكُمْ﴾ بين أيدينا و بأيماننا ﴿قِيلَ﴾ لهم ﴿ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ﴾ الدنيا ﴿فَالْتَمِسُوا﴾ فيها ﴿نُورًا﴾ تحدياً صارخاً: أَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ" (٣٩: ٢٧) ﴿فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ﴾ لأصحاب النور ﴿وَوَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ لأصحاب النار، حتى لا يترعوا كما لم يتنوروا.

١٤ / ٥٧

١٤- ﴿يَنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ﴾ في ظاهر الحياة" و مَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ" (٦٤: ٤٠) ﴿قَالُوا بَلَى﴾ و لكن خالفتمونا في باطن الحياة: الإيمان ﴿وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ عن الحق ﴿وَوَرَبَّصْتُمْ﴾ في فتنة الحياة الدنيا دون تحسس عن الحق ﴿وَوَارَبَّيْتُمْ﴾ في الحق، شكا كأنه مسنود إلى دليل، و ليس إلا العليل ﴿وَوَرَّعْتُمْ الْأَمَانِي﴾ الكاذبة الالهية ﴿حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ بتوفيقكم عن هذه الحياة ﴿وَوَ﴾ على الجملة ﴿غَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ عند ما جاء أمر الله، و هو تلاحق غرور النفس و غرور شياطين الجن و الإنس.

١٥ / ٥٤

١٥- ﴿قَالِيَوْمَ لَا يُوْخِذُكُمْ مِنْكُمْ فَذِيَّةٌ﴾ و بديل عن أنفسكم كنور عن المؤمنين و لا سواه ﴿وَلَا مِنْ سَائِرِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ظاهراً إلى باطن ﴿مَأْوَاكُمْ﴾ جميعاً ﴿النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ﴾ في دار القرار، كما كانت في دار الفرار ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ في ذلك المسير.

١٦ / ٥٧

١٦- ﴿أَلَمْ يَأْنِ﴾ قرباً ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالله و لما تخشع قلوبهم لذكر الله ﴿أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ دون تناس عنه و انتهاء فيما لا يرضى به الله ﴿وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ من عند الله ﴿وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ﴾ على بعد زمن ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ﴾ لذكراهم، بالفترة الرسولية، لا الرسالية ﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ عن ذكر الله ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ عن شريعة الله عامدين، و قليل منهم قاصرون، مهما لم يخلوا عن تقصير.

١٧ / ٥٧

١٧- و هل إن أرض التكليف ميتة على طول الخط إلى القيامة الكبرى؟ كلا! ف ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحْيِي﴾ هذه ﴿الْأَرْضَ﴾ مستقبلاً ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ الشامل لها، مهما كانت فيها حياة قليلة لمؤمنين قلة، و هذه زمن القائم بالأمير صاحب العصر محمد بن

الحسن العسكري عليهما السلام، و كما وقعت هذه الآية بين آيات حياة الإيمان، مهما كانت الحياة الظاهرية مقصودة بضمناها: "أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا" (١٣: ١٤) "إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَ الَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ" (٤٠: ٥١) "وَ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ. وَ لَتُسْكِنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَ خَافَ وَعِيدِ" (١٤: ١٤) ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

١٨ / ٥٧

١٨- ﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ﴾ الحق ﴿وَ الْمُصَّدَّقَاتِ وَ﴾ الذين ﴿أَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ و المقرضات ﴿يُضَاعَفُ لَهُمْ﴾ تصدقهم و إقراضهم ﴿وَ لَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ أكثر مما يستحقون.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٥٤٠

١٩ / ٥٧

١٩- ﴿وَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ﴾ بكماله و تمامه ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَ الشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ قدر إيمانهم، تصديقا بالله، و شهادة لله حاضرين لديه معرفيا و عمليا دون تغييب، فشاهدين له بلا تغييب ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَ نُورُهُمْ﴾ لإيمانهم، و قد وصف بعض المعصومين بالصادقين و الشهداء، فهم يتلون تلوهم فيهما ﴿وَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالله و رسله ﴿وَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ آفاقية و أنفسية ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ و بينهما متوسطون.

٢٠ / ٥٧

٢٠- ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا الدَّانِيَةُ الدُّنْيَا﴾ الدانية الدنية ﴿لَعِبٌ﴾ لأطفاليل ﴿وَ لَهُوَ﴾ لأباطيل ﴿وَ زِينَةٌ﴾ للمترفين ﴿وَ تَفَاخُْرٌ﴾ بكل ترف و طرف ﴿بَيْنَكُمْ وَ تَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَ الْأَوْلَادِ﴾ إِذْ أَلْهَاكُمْ التَّكَاثُرُ. حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (١٠٢: ٢) ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ﴾ بظاهر الحال، ﴿ثُمَّ يَهِيْجُ فَتْرَاهُ﴾ نباته ﴿مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا﴾ في النهاية، ثم ﴿وَ﴾ هذه الحياة الزاهرة، هي ﴿فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ لمن انتهى بها إحصارها إليها، أو ﴿وَ مَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَ رِضْوَانٌ﴾ لمن اتقى فيها، إحصارها بها ﴿وَ مَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ إِذْ تَغْرِ أَهْلِيهَا مَتَعَةً فَانِيَةً، رغم كونها متاعا لإشراء الآخرة حياة باقية "فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ" (٦: ٣٨) وَ "إِلَّا مَتَاعٌ" (١٣: ٢٦).

٢١ / ٥٧

٢١- إِذَا ف ﴿سَابِقُوا﴾ فِي مِيَادِينِ السَّبَاقِ مَعَ الرَّفَاقِ ﴿إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أَنْ يَغْفِرَ وَ يَسْتَرِ لَكُمْ دَنَاءَةَ الدُّنْيَا وَ لِهَوَاتِهَا السَّاخِطَةَ السَّاقِطَةَ، ثُمَّ ﴿وَ جَنَّةٍ عَرْضُهَا﴾ سعة مطلقا، طولاً و عرضاً هما "عَرْضُهَا" إِذْ لَا يَقَابِلُ طَوْلَا ﴿كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ﴾ ككل، فَإِنَّهَا "عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى" (٥٣: ١٥) فَالنَّارُ- إِذَا- تَحْتَهَا أَيْنَمَا كَانَتْ وَ سَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَ جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَ الْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (٣: ١٣٢) ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ﴾ حَقًّا، وَ ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ﴾ فَوْقَ عَدْلِهِ ﴿يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ فَضْلَ اللَّهِ فَيَشَاءُ اللَّهُ ﴿وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ فَكَمَا الْحَصُولُ عَلَى غَفْرَانِ اللَّهِ وَ جَنَّتِهِ فَرَضٌ، كَذَلِكَ الْمَسَابِقَةُ الْمَسَارَعَةُ إِلَيْهَا فَرَضٌ عَلَى فَرَضٍ.

٢٢ / ٥٧

٢٢- ﴿مَا أَصَابَ﴾ أَحَدًا ﴿مِنْ﴾ رَمِيَةٍ ﴿مُصِيبَةٍ﴾ خَيْرَةٌ أَوْ شَرِّيرَةٌ ﴿فِي الْأَرْضِ وَ لَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ عِلْمُ اللَّهِ وَ تَقْدِيرُهُ دُونَ تَسْيِيرِهِ، بَلْ بِمَا نَقْدِمُهُ فَيَقْدِمُهُ اللَّهُ كَمَا يَشَاءُ ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾: أَنْفُسَكُمْ بِأَرْضِكُمْ: مَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَ يَغْفُوا عَنْ كَثِيرٍ (٤٢: ٣٠) كَمَا "مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ" (٦٤: ١١) بِفَارَقَ أَنَّهُ "مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنْ

اللَّهُ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ (٧٩: ٤) وَإِنْ كَانَ كُلُّ مَنْ عِنْدَ اللَّهِ (٧٨: ٤) إِصْدَارًا بِمَا تَسْتَحِقُونَ ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

٢٣ / ٥٧

٢٣- ذلك نبهة ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ﴾ ربكم، فالفائت هو بما كسبت أيديكم، والآتى هو من الله مهما كان لكم فيه دخل، فلا صدفة عمياء بل كل بحساب لا يخطأ، فالأسى على الفائت تشغل البال، والفرح بالآتى يفسد الحال ﴿وَاللَّهُ لَا يَحِبُّ﴾ بل يبغيض ﴿كُلَّ مُخْتَالٍ﴾ مفتعل الخيال والخيلاء ﴿فَخُورٍ﴾ يفخر بما عنده من مال أو منال، وإنما يحب المتواضعين غير المتفاخرين.

٢٤ / ٥٧

٢٤- و"كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ" هم ﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ﴾ بما آتاهم الله من فضله، بل ﴿وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ﴾ عن الله، توليا إلى اللهو ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ فى غناه، دون الأغنياء، فلا يحتاج إلى إنفاق، فإنما يأمرنا أن ينفق بعضنا على بعض تمحّصا و تمحّصا فى السماحة و العطوفة.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٥٤١

٢٥ / ٥٧

٢٥- ﴿لَقَدْ﴾ بتأكيدين إثنيين ﴿أَرْسَلْنَا﴾ بجمعية الصفات الرحيمية ﴿رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ﴾ و هى الآيات الدالات على الحق منفصلة عن الكتاب كذلك ﴿وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ الربانى، إليهم مستقلا كأولى العزم، أو فرعا عنهم، كسائر أصحاب الكتاب، أم إلى أولياءهم، كالرسل الذين لم ينزل إلى أنفسهم أى كتاب، و الجمع "أَنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمْ" لأنهم حملة رسولية ﴿وَالْمِيزَانَ﴾ الذى يوزن به الحق و الباطل، و الثلاثة كلها مجموعة فى "القرآن" فإنه بينات و كتاب و ميزان، مهما كان الميزان أعم من البيّنات و الكتاب، "اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ" (١٧: ٤٢) "وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ" (٧: ٥٥) ميزانا لكل ما يوزن، بكتاب أو سنة، حكما بميزان: "إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ" (٤: ١٠٥) لا بالكتاب فحسب، ثم لا يعنى من الكتاب و الميزان إلا ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ﴾ و من أشبهه ﴿بِالْقِسْطِ﴾ فى كافة الموازين، علما و عقيدة و عملا، فرديا و جمعيا، ثم من لا يقوم بالقسط بعد وضوح الحجة، و بيان الحجة ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ قوات حديدية تحدهم على الميزان ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ دفعا ﴿وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾ نفعا ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ﴾ علما لا علما، بعد هذين ﴿مَنْ يَنْصُرْهُ وَرُسُلُهُ﴾ فى القيام بالقسط بمورديه ﴿بِالْغَيْبِ﴾ عن سواهم دون رثاء، و غيب الله إذ لا يرى، و غيب رسل الله عند تغيبهم و ما أشبه من غيب كما فى الحضور فيما أمكن ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ فى قوته، لأنه ذو الفضل الرحيم.

٢٦ / ٥٧

٢٦- ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ﴾ من أولى العزم. ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ الربانى ﴿فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ﴾ به ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ عنه.

٢٧ / ٥٧

٢٧- ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمُ﴾ الرسولية ﴿بِ﴾ سائر ﴿رُسُلَنَا﴾ حتى المسيح ﴿وَقَفَّيْنَا﴾ هم ﴿بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ﴾ مما يدل على وحدة الإنجيل ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ﴾ و تابعوه ﴿رَأْفَةً وَرَحْمَةً﴾ ممتازة عن قبلهم، ثم ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾ كأنها فرض عليهم، و هى الانعزالية إلى عبادة الله ﴿مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾ بها فى مواردنا ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ إذ عزلوها عن عزلتها العبادية، إلى عزلة حياتية، و كأنها سنة ربانية، تركا للعشرة الجماهيرية، و للزواج

و سائر متطلبات الحياة ﴿فَاتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾ و هم الذين رعوها حق رعايتها ﴿وَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾ الرهبان ﴿فَاسِقُونَ﴾ عن شرعة الله و الرهينة، حفاظا على ظاهر منها و تركا لباطنها، فلا رهبانية فى الدين كأصل، بل هى إمتحان دون امتهان و ترك للحياة المألوفة، كما و أن " رَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا" ما كانت من أصل الدين، بل كتبها الله عليهم امتحانا مؤقتا، و لكنهم حرفوها عن مواضعها على محنتها، مثل ما كتب الله من مواصفات " بقره" على اليهود ففسقوا فيها.

٢٨ / ٥٧

٢٨- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالإسلام ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَ آمِنُوا بِرَسُولِهِ﴾ محمد، دون رهبانية أبدا، بل تقوى جماهيرية معلنه ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ كفل الإيمان الكتابى قبل، و آخر لإيمان آخر، و كما للمؤمنين غير الكتابيين، أولا لأول الإيمان، و آخر لمزيد الإيمان، كما الإيمان بالإسلام مزيد للإيمان الكتابى: " يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ " ﴿وَ يَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ فى الحياة ﴿وَ يَغْفِرْ لَكُمْ وَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

٢٩ / ٥٧

٢٩- ذلك ﴿لِنَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ غير المؤمنين بالإسلام ﴿أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ تخيلا أنهم قادرون عليه بكفرهم تعصبا على دينهم ﴿وَ أَنَّ الْفَضْلَ﴾ فقط ﴿بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ دون اختصاص لفضله بمن يزعمون منهم: " وَ قَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ .. " (٢: ١١١) و ما أشبه من جهالاتهم.

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ الظالم إياها بمظاهرتها ﴿وَوَسْتَكِي﴾ منه ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ سائلا رسول الله ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ قولكما و سواه ﴿بَصِيرٌ﴾ بالمصالح و المفاسد، و هنا سمع ثان إجابة للشكوى، و بصر ثان حكمة فيها مما يدل على أن رسول الله لا يملك حكما لم يحكم به الله كما هنا.

٢- ﴿الَّذِينَ يَظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ﴾ قائلين: "ظهرك ظهر أمي" إلغاء لمس الزوجية، و إبقاء لأصلها، و كأنهن - إذا - يصبحن أمهات بذلك التخيل ﴿مَا هُنَّ﴾ إذا ﴿أُمَّهَاتُهُمْ﴾ في الأمومة أبدا ﴿إِنَّ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ حقيقة هؤلاء ﴿إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ﴾ اللهم إلا أمومة رضاعية لمن ارتضع من امرأة، أو أمومة الحرمة كأزواج الرسول، ثم لا ثالثة إلا اللائي ولدنهم ﴿وَوَلَدْنَهُمْ﴾ هنا ﴿لَيَقُولُنَّ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ﴾ جعلا لأمومة لم يجعلها الله ﴿وَوُزُورًا﴾ باطلا ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌ غَفُورٌ﴾ إن تابوا مع كفارة.

٣- ﴿وَالَّذِينَ يَظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ﴾ هكذا دون ظهار أخرى كظهرك ظهر أختي و من أشبه، مهما كان حراما، و لكن الكفارة تخص الأولى ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا﴾ ارتجاعا إلى الزوجية الكاملة و هو فرض عليهم ﴿ف﴾ عليهم ﴿تَحْرِيرَ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا﴾ وطئا، فيحرم الوطء عليهما قبل التحرير كفارة لما أخطأ إلا بعده ﴿ذَلِكَ تَوْعَظُونَ بِهِ﴾ تأديبا أدبيا ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ من صالح و طالح، و لا يشترط في تحقق المظاهرة إلا كونهن من نساءهم مطلقا، فلا يشترط دخول بهن قبل و لا دوام، ثم الرقبة المملوكة تنوب عنها - إن لم تكن كما الآن - رقبة أخرى هي المديونة من حر أو حرة.

٤- ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾ رقبة استطاعة مهما كانت موجودة ﴿ف﴾ عليه ﴿صِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا﴾ كما سبق ﴿فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَاِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ و أحوطه " مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ" (٨٩: ٥) ﴿ذَلِكَ﴾ التأديب ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ بعد ذلك الكفران أو الكفر جعلا لحكم من دون الله ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ يحدها تهديدا لكم في عصيان يشبه الكفر، مشاركة لله في حكمه "وَلَا يَشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا" (٢٦: ١٨) ﴿وَلِلْكَافِرِينَ﴾ هكذا و رسميين ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

٥- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ جعلا لحد لهم أمام حد الله و رسوله، تحريما أو تحليلا، جاهلا أو عامدا ﴿كُتِبُوا﴾ ردوا بعنف و تذليل ﴿كَمَا كُتِبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من المحادين ﴿وَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ﴾ آيات بينات ﴿الدلالة فصاحة و بلاغة قمة، و المدلول تصديقا و تطبيقا﴾ ﴿وَلِلْكَافِرِينَ﴾ بها ﴿عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ قدر ما أهانوا الله في آياته "جَزَاءً وَفَاقًا" إذا فلا حكم إلا لله مهما كان تخويلا، خلاف ما يزعم أنه لرسول الله، إلا رسالة من الله "وَلَا يَشْرِكُ اللَّهُ" في حُكْمِهِ أَحَدًا" (٤٦: ١٨) توخيلا أو تخويلا.

٦- و ذلك العذاب المهين، بعد عذاب هنا و في البرزخ، هو ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ دون إبقاء ﴿فَيَنْبِئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا﴾ إنباء بظهور نفس الأعمال بما استنسخها الله، و بظهور ملكوتها فإنها هي جزاءهم: "يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَ مَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَ بَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَ يَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَ اللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبَادِ" (٣٠: ٣) "إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى

ظُلُمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَ سَيَصْلُونَ سَعِيرًا (٤: ١٠) ﴿أَحْصَاهُ اللَّهُ﴾ ما عملوه ﴿وَنَسُوهُ﴾ بما تناسوه ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ حاضر ناظر قادر، يستنسخه ليوم يقوم الأشهاد.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٥٤٣

٧ / ٥٨

٧- ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ معرفيا ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ سرا كالإعلان، ف ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ﴾ أشخاص ﴿إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ لا ثالثهم إذ لا يدخل ضمن خلقه و لا يتناجاهم ﴿وَلَا خَمْسَةٍ﴾ منهم ﴿إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَ لَا أَذْنَى مِنْ ذَلِكَ﴾ كاثنين ﴿وَلَا أَكْثَرَ﴾ كما فوق الخمسة ﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾ قيومية، علما و سواه ﴿أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ في الكون مهما تحافتوا عن سواهم ﴿ثُمَّ﴾ بعد موتهم ﴿يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا﴾ علما بعد ما نسوا، و جزاء ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ف ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ﴾ في مثل الزمان و من قبل و من بعد ﴿عَلِيمٌ﴾ "وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ" (١٠: ٦١).

٨ / ٥٨

٨- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى﴾ الأئمة ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ مرة أخرى ﴿وَيَتَنَاجَوْنَ بِاللَّيْلِ﴾ إبطاء عن خير أو إبطالا له ﴿وَالْعُدْوَانَ﴾ إلى غيرهم ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كذلك ﴿مَعْصِيَةِ الرَّسُولِ﴾ رساليا عن الله، فهم في ثالث النجوى، ثم ﴿وَإِذَا جَاؤُكَ حَيَّوكَ بِمَا لَمْ يَحْيِكَ بِهِ اللَّهُ﴾ من سلام، أم بسام يشبه لفظ السلام، إذ تعنى الموت أو المرض، أو "أنعم صباحا و أنعم مساء" تحية الجاهلية ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ قلوبهم، أو نجوى بينهم ﴿لَوْ لَا يَعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ نجوى أو سأمًا فإنهما المحرمان الأصليان، دون تحية الجاهلية، مما يدل على حرمة سلام السأم كما النجوى السأم ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ﴾ بما يقولون و يتغولون ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ إيقادا لها لأنهم من أصول الضلالة نفاقا عارما ﴿فَبَيْسَ الْمَصِيرُ﴾ بذلك المسير.

٩ / ٥٨

٩- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِاللَّيْلِ وَالْعُدْوَانَ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ﴾ بل ﴿وَتَنَاجَوْا بِالْإِبْرَ وَ التَّقْوَى﴾ لتبرّ و تقوى سواعد الإسلام ﴿وَاتَّقُوا﴾ على أية حال، و لا سيما في النجوى ﴿اللَّهُ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ فيحاسبكم بما كنتم تعملون.

١٠ / ٥٨

١٠- ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى﴾ كضابطة إلا ما يستثنى، هو ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزَنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بها على أية حال، مهما كانت بخير إلا أن تخبروهم به ﴿وَلَيْسَ﴾ ككل ﴿بِضَارِهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ في إضرار، كما في كل إضرار و سواه ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ حتى لا يضرهم ما لا يعلمون، إذ "وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً" (٦: ٦١) أجل "لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا" (٤: ١١٤) غيرها بين شر و عوان بينهما إن لم تكن في خير أو شر، شرط إخبار السامعين أنها لا تعنيهم في شيء يضرهم.

١١ / ٥٨

١١- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ﴾ توسعا فيها، كلما كانت أجلس و أهم ﴿فَافْسَحُوا﴾ فيها ﴿يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ﴾ فيها و في مضائق أخرى تتضائقون فيها، و لا سيما في الآخرة ﴿وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانْشُزُوا﴾ قياما عنها فسحة أو خروجا لدخول آخرين، جمعا بين المؤمنين الواردين لفائدة، و لا سيما في مجالس النبي (ص) إذ كانوا يتضامون في مجالسه ذو تفسح و لا نشوز ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ هنا و في الأخرى، و مما هنا التفسح لهم و القيام عن

مجالس حتى يجلسوا فيها ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من تفسح و سواه، و قيام و سواه ﴿خَبِيرٌ﴾ فذلك أدب جمعى، رعاية للواردين فى مجالس معينة إسلاميا، و لا سيما للذين آمنوا و الذين أوتوا العلم بدرجاتهم.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٥٤٤

١٢ / ٥٨

١٢- لأن المؤمنين كانوا متنافسين فى تناجى النبى جاء الامتحان توسعة عليه إبتلاء لهم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ﴾ قبل ﴿نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ﴾ تصدق حقها الصادق ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ إيمانا ﴿وَأَطْهَرُ﴾ قلبا ﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ عنكم ﴿رَحِيمٌ﴾ بكم فى ترك واجبك، فهى - إذا - بين أمر و غفر، و لم يعمل بها إلا على (ع) إذ باع درعه و استعان بعشرة دراهم فقسهما عشرة فناهجه عشرة، فنزلت.

١٣ / ٥٨

١٣- ﴿أَسْفَقْتُمْ﴾ بعد تلکم العشر بفاصل، بعناية مختلطة بخوف، عناية لمناجاته، و خوف من تركها، أو ترك الصدقة معها ﴿أَنْ تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾ على وجدكم ﴿وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ نسخا لحكم الصدقة ﴿فَأَقِمْوَا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ فقد أثبت على (ع) بما قدم و تقدم أنه باب مدينة العلم، ليس ليترك نجواه بفقره، ثم الواجدون غير المضطرين لنجواه، أو غير الصالحين لها، إنهم غير واجدين صلاحية نجواه، و قد نسخت بعد نجوات على (ع) مما يدل على أنها كانت واجبة ابتلائية، و لا سيما المؤقتة بزمان الرسول (ص) و على أية حال فقد كانت واجبة مشروطة بنجواه فنسخت.

١٤ / ٥٨

١٤- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ تولى الحب و سواه من الولاية ﴿مَا هُمْ﴾ المتولون ﴿مِنْكُمْ﴾ إيمانا ﴿وَلَا مِنْهُمْ﴾ كفرا، بل نفاقا، "مُذَبِّبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ" ﴿وَيَحْلِفُونَ﴾ هَؤُلَاءِ المنافقون ﴿عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ كذبهم.

١٥ / ٥٨

١٥- ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ فى الأخرى ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾: "إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ" (٤: ١٤٥) فكيف تتولونهم، رغم واجب التولى عنهم.

١٦ / ٥٨

١٦- إذ ﴿اتَّخَذُوا﴾ هَؤُلَاءِ المغضوب عليهم ﴿أَيْمَانَهُمْ﴾ الكاذبة ﴿جَنَّةٍ﴾ منعة و وقاية عما يصيبهم بكفرهم ﴿فَصَدُّوا﴾ بها و بسائر افتعالاتهم ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ كما أهانوا الله و أهل الله.

١٧ / ٥٨

١٧- ﴿لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ﴾ المبدولة، المبتذلة فى أهواءهم ﴿وَلَا أَوْلَادُهُمْ﴾ المستخدمة فى شهواتهم و حيواناتهم ﴿مِنْ﴾ بأس ﴿اللَّهِ شَيْئًا﴾ إذ ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ خلود النار فى دار القرار.

١٨ / ٥٨

١٨- ﴿يَوْمَ يَعْتَصِمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ﴾ "عَلَى الْكَذِبِ" ﴿كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ زعما أنه يفيدهم عند الله ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ﴾ إذا ﴿عَلَى شَيْءٍ﴾ بحلفهم ك" و الله ربنا ما كنا مشركين" (٦: ٢٣) ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ المفضوحون هناك كلاً، و هنا بعضا.

١٩ / ٥٨

١٩- ﴿اَسْتَحْوَذَ﴾ بأشد الاحتناك ﴿عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ﴾ كما قال: "لَأَحْتَنِكَ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا" (١٧: ٦٢) ﴿فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾ فأرداهم فأصبحوا خاسرين حاسرين عن رحمة الله ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ﴾ دون شريك، إذ وحدوه في استحواذه عليهم ﴿إِن حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

٢٠ / ٥٨

٢٠- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَحَادُّونَ اللَّهَ﴾ أن لهم حدا أمام حد الله، كشركاء لله في الربوبية ﴿و﴾ يحادون ﴿رَسُولَهُ﴾ رسالة من الله، كأن لهم حدا رسوليا كما له حد ﴿أُولَئِكَ هُم﴾ في الأذلين.

٢١ / ٥٨

٢١- ﴿كَتَبَ اللَّهُ﴾ ما لا حول عنه، بتكوين و تشريع ﴿لَاغِبِينَ أَنَا وَرُسُلِي﴾ لا في الأخرى فحسب، بل و في الدنيا أيضا كما في زمن المهدي (ع) ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾: "إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَ الَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ" (٤٠: ٥١) وَ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ. وَ لَتُسْكِنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَ خَافَ وَعِيدٌ" (١٤: ١٤).

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٥٤٥

٢٢ / ٥٨

٢٢- ﴿لَا تَجِدُ﴾ إذ لا يوجد ﴿قَوْمًا﴾ مكلفين ذكرانا و إناثا ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ و بينهما رسالة الله و أحكام الله، ثم ﴿يُؤَدُّونَ﴾ ودا على أية حال "إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً" (٣: ٢٨) في ظاهر الحال حفاظا على الأهم "يُؤَدُّونَ" ﴿مَنْ حَادَّ اللَّهَ﴾ ألوهية ﴿و رَسُولَهُ﴾ رسالة، في أية دركة من دركات المحادة و لو كانوا مسلمين في ظاهر الحال ﴿و لَوْ كَانُوا﴾ هؤلاء المحادون ﴿أَبَاءَهُمْ﴾ والديهم أو جدودهم ﴿أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ﴾ ذكرانا و إناثا ﴿أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ حيث يعاشرونهم و يحاشرونهم، أقرباء أو أنسباء و من أشبه ﴿أُولَئِكَ﴾ المؤمنون الأكارم ﴿كَتَبَ﴾ الله ﴿فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ﴾ لا فقط ظاهر اللسان و الأركان ﴿و أَيْدِهِمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ على كتاب الإيمان "نُورٌ عَلَى نُورٍ" وَ الَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَ آتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ" (٤٧: ١٧) ﴿و يَدْخُلُهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ "عَطَاءٌ غَيْرُ مَجْذُودٍ" ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ لأنهم ﴿و رَضُوا عَنْهُ﴾ مرضاة ربانية بين العابد و المعبود ﴿أُولَئِكَ﴾ هم ﴿حِزْبُ اللَّهِ﴾ إِلَّا إِنْ حِزْبُ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿لا فقط في اسم، بل بمثل هذه الشروط الحققة الواقعية، بخلاف المتاريس اللفظية الخاوية عن معانيها حيث تخرج غير المتسمين باسمهم عن حزب الله، و الله من وراء القصد.

سورة الحشر

١ / ٥٩

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. سَبِّحَ لِلَّهِ﴾ طول الزمان و عرض المكان، عن شعور مهما اختلفت درجاته ﴿مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ﴾: "وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبِغُ بِحَمْدِهِ وَ لَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ" (١٧: ٤٤) ﴿و هُوَ الْعَزِيزُ﴾ كل العزة ﴿الْحَكِيمُ﴾ كل الحكمة.

٢ / ٥٩

٢- ﴿هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالإسلام المحمدي، رغم تصاريحه في التوراة و الإنجيل ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمُ﴾ المدنية ﴿لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾: الجمع، و هم بنو النضير اليهود الناقضون عهودهم، متوافقين مع المنافقين "وَ إِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ" (٨: ٥٩) وَ "لِأَوَّلِ الْحَشْرِ" هنا هو أول الجمع اللئيم الكائد ضد الرسول (ص) بينهم و بين حلفاءهم، و لكن الله أخرجهم حينه قبل أن يكيدوا كيدهم و يميذوا ميدهم ضده، دون حرب ضارية متوقعة ﴿مَا ظَنَنْتُمْ﴾ أُنْتُمْ ﴿أَنْ يَخْرُجُوا﴾

هكذا ﴿وَ﴾ الحال أنهم ﴿ظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ في حربهم المكمونة ﴿فَأَتَاهُمُ اللَّهُ﴾ بخارقة قدرة عليهم، و بارقة رحمته للرسول (ص) و المؤمنين ﴿مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ أمام المؤمنين، إذ أتاهم من دواخل حصون قلوبهم، فضعفت عندهم حصونهم المحتسبة، لحد أخذوا ﴿يَخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ﴾ أنفسهم ﴿وَ﴾ بـ ﴿أَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾ و البصائر، فأين حصون من حصون، ثم و أين تخريب بيوتهم بأيدي المؤمنين، و بأيديهم أولئك أنفسهم، مهما اختلف خراب عن خراب، فإنهما مؤتلفان في تدميرهم ضد تدميرهم.

٣ / ٥٩

٣- ﴿وَلَوْ لَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ﴾ عن المدينة بضواحيها، دون حرب ﴿لَعَذَّبَهُمُ فِي الدُّنْيَا﴾ بحرب ساخنة تحرقهم، ثم ﴿وَلَهُمْ﴾ على أية حال ﴿فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾ و بئس القرار، بعد حياة الفرار "جَهَنَّمُ يَصَلُّونَهَا فَيَتَسَلَّى الْمَصِيرُ" بذلك المسير الكسير، رغم عدتهم و عدتهم الكثير الكثير.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٥٤٦

٤ / ٥٩

٤- ﴿ذَلِكَ﴾ التعذيب اللزيب ﴿بِ﴾ سبب ﴿أَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ جعلاً لحكم الله شقا و لهم شقا، ربوبية، و للرسول و لأنفسهم رسالة ﴿وَمَنْ يَشَاقْ اللَّهَ﴾ فإنهما مشاقة الله ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

٥ / ٥٩

٥- ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ﴾ نخلة ﴿لَيَنَّةٍ﴾ ناعمة في ذلك الجلاء الإخراج ﴿أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾ تكويناً و تشريعاً، حيث الحرب لا تعرف ليونة ﴿وَلِيُخْزِيَ﴾ الله ﴿الْفَاسِقِينَ﴾ عن شرعته، فقطعها يخزيهم كسرة، و تركها يخزيهم حسرة، فهما إذا في مسير واحد "وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ".

٦ / ٥٩

٦- ﴿وَمَا أَفَاءَ﴾ أرجع ﴿اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ﴾ من أموال دون حرب ﴿فَمَا أُوجِفْتُمْ﴾ أسرعتم ﴿عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ﴾ فليست هي من غنائمكم حتى تختص بكم ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَسْلُطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ كما سلطه على بنى النضير ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ و منه فذك الخاصة به دون المؤمنين فاقض ما أنت قاض.

٧ / ٥٩

٧- و كضابطة عامة ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ هي ﴿لِللَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى﴾ إلى الرسول رساليا و هم أئمة أهل بيته، تصرف هذه الثلاث في الدعوة الإسلامية ﴿وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ ككل، دون اختصاص بذرية الرسول، صرفاً في حوائجهم، و كما في الخمس دون تفاوت بما تقدم فيه ﴿كَي لَا يَكُونَ﴾ الفىء ﴿دَوْلَةً﴾ مداولة مالية فقط ﴿بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ سادة و سواهم، فالمال مال الله يوضع حيث أمره الله، دون اختصاص و لا امتصاص دولة ﴿وَمَا آتَاكُمْ﴾ إياه ﴿الرَّسُولُ﴾ رسالة ربانية من مال فضلاً عن حال ﴿فَخُذُوهُ وَ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ عنه ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في ذلك ﴿إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ فلو اختص القسم الثانى من الخمس بالسادة، و لا سيما من قبل الآباء، لكان ذلك "دولة".

٨ / ٥٩

٨- و القسم الثانى من الفىء هو ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ﴾ فى الله ﴿الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَ أَمْوَالِهِمْ﴾ نقمة إيمانهم، و هم ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ﴾ و هذا من فضله ﴿وَرِضْوَانًا﴾ و لهم رضوانه ﴿وَيَنْصُرُونَ﴾ دين ﴿اللَّهِ وَ﴾ رسالة ﴿رَسُولِهِ﴾ عنه ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾.

٩- ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ﴾ سكان دار الهجرة ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ﴾ استراحوا في دار الإيمان ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ وهم المؤمنون في المدينة ﴿يَحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ من المهاجرين بإيمان ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً﴾ لخاصة أنفسهم ﴿مِمَّا أُوتُوا﴾ المهاجرون، بل و ما أوتوا هم أنفسهم بل ﴿وَلَا يُوْثِرُونَ﴾ المهاجرين، أو و سواهم ﴿عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ اختصاص و فقر فيما لهم، فضلا عما يؤتى المهاجرون من الفىء، و ذلك أدب بارع قارع كل بخل و أنانية أن يؤثر الإنسان غيره على نفسه، و ذلك يعم كل من كان هكذا طول التأريخ، و لو كان المهاجرون و الأنصار هنا شأن نزول الآية ﴿وَمَنْ يَبْزُقْ شُحَّ نَفْسِهِ﴾ أن يقيه هو فيقيه الله، و لذلك أتى "يوق" مجهولة ﴿فَأُولَئِكَ﴾ الأكارم ﴿هُمْ الْمُفْلِحُونَ﴾ فى الحياة الإيمانية، و لا يعنى الإيثار على النفس أن يترك المؤثر نفسه و عياله جياعا محاييج عراة، فإنه - إذا - تهلكة و لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة" (٢: ١٩٥) و لا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك و لا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً (١٧: ٢٩) بل هو العوان بينهما دون بخل و يستلونها ما ذا ينفقون قل العفو" (٢: ٢١٩) و منه الزائد على الضرورة لمن له ضرورة دون بتلة و بطلة، بل الذين لا يجدون بلغتهم على سعيهم الميسور.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٥٤٧

١٠- ثم ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ هؤلاء المهاجرين و الأنصار فى كل مهاجرة و نصره ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا﴾ زمنا أو درجة، أو هما معا ﴿بِالْإِيمَانِ﴾ المهاجر الناصر ﴿وَلَا تَجْعَلْ﴾ إبقاء ﴿فِي قُلُوبِنَا غِلًا﴾ عداوة و ضغنا ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ من قبل، و من بعد قضية الأخوة الإيمانية ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ﴾ هؤلاء الثلاث من "المهاجرين و الأنصار و الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ وَ أَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ" (٩: ١٠٠) هؤلاء معطوفون بعضهم على بعض هنا فى حق الفىء، و كذلك فى كافة الأدوار، مما يعمم الفىء إليها كلها، ثم ليس بينهم فواصل الزمان و المكان و العنصريات و الإقليميات و ما أشبه، إذ تأخوا فى أصل الإيمان، فلم يبق فاصل بينهم أيا كان.

١١- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ بين ظاهر الإيمان و باطن الكفر ﴿يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمْ﴾ فى الكفر ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ﴾ من المدينة ﴿لَنُخْرِجَنَّ مَعَكُمْ وَ لَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا﴾ أن نبقى و أنتم خارجون ﴿وَلِنْ قُوتِلْتُمْ﴾ هنا ﴿لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَ اللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ حتى مع إخوانهم فيما يقولون فضلا عن المؤمنين.

١٢- إذ ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا﴾ هؤلاء الكافرون ﴿لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ﴾ لصعوبته، و لإستمرارية النفاق فى جو الإيمان ﴿وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُوهُمْ﴾ خوف القتل، و فضاحة الأمر، حفاظا على شيطنة النفاق ﴿وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُولُنَّ الْأَدْبَارَ﴾ فرارا دون قرار، خوف القتل ﴿ثُمَّ﴾ بعد فرارهم ﴿لَا يَنْصُرُونَ﴾ لا من أولاء و لا هؤلاء، و قد كان من قصدهم ما وعدوه إياهم تكذيبا للقرآن حيث استحال تحقق وعدهم، و لكن لم يقدرُوا.

١٣- ﴿لَأَنْتُمْ﴾ المؤمنين ﴿أَشَدُّ رَهَبَةً﴾ و خوفا ﴿فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ﴾ إذ يخافونكم و لا يخافون الله ﴿ذَلِكَ﴾ البعد الحميق ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ فيعرفوا الله و يهابوه دون سواه، أو يهابوه مع من سواه.

١٤- فهم ﴿لَا يَقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا﴾ مع الكافرين، و أنتم جميع من بعض البعض ﴿إِلَّا فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ﴾ إذ ليس لهم حصان الإيمان و حصنه، دونكم المحصنين بالإيمان ﴿أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ﴾ بينكم حتى لا ينصدموا ﴿بِأَسْهُمٍ﴾ أنفسهم ﴿بَيْنَهُمْ﴾ و بين أنفسهم، و بين الكفار الآخرين معهم و كما هم ﴿شَدِيدٌ﴾ و ﴿تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا﴾ رغم أن الكفر ملة واحدة ﴿وَ﴾ الحال أن ﴿قُلُوبُهُمْ شَتَّى﴾ لشتى الاتجاهات المناقفة و الكافرة، و ﴿ذَلِكَ﴾ البعد البعيد ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ رغم عقولهم، فهم لا يستعملونها في مواردنا.

١٥ / ٥٩

١٥- مثلهم ﴿كَمَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من كفرة التاريخ ﴿قَرِيبًا﴾ إليهم أو سامعين عنهم، إذ ﴿ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ الأمر هنا، ثم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ بعد ما هنا.

١٦ / ٥٩

١٦- ﴿كَمَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ﴾ الذى احتنكه ﴿اكَفُرْ﴾ بالله، بكل وسائله و حباله و وعوده الفارغة ﴿فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ﴾ له ﴿إِنِّى بَرِئٌ مِنْكَ إِنِّى أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾: "و إِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَ قَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَ إِنِّى جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِتْنَانِ نَخَصَ عَلَى عَقْبِيهِ وَ قَالَ إِنِّى بَرِئٌ مِنْكُمْ إِنِّى أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّى أَخَافُ اللَّهَ وَ اللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ" (٨: ٤٨) ثم فى الأخرى: "وَ قَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَ وَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَ مَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِى وَ لَوْمُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَ مَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِى إِنِّى كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ" (١٤: ٢٢).

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٥٤٨

١٧ / ٥٩

١٧- ﴿فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا﴾ منافقين و كافرين ﴿أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَ ذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾ حسب دركاتهم.

١٨ / ٥٩

١٨- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ بمقامكم أمام الله ﴿وَ لْتَنْظُرْ نَفْسٌ﴾ مؤمنة ﴿مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ برزخا و أخرى، كما و "ما قَدَّمَتْ لِغَدٍ الْأُولَى" ﴿وَ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ فيما تقدمون لغد ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ لا يعزب عن علمه عازب.

١٩ / ٥٩

١٩- ﴿وَ لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ﴾ فى تقواه إلى طغواه ﴿فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ أنهم عباد الله، بعصيانا فى نسياننا، و ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ عن قشور العبودية و الطاعة، بما نسوا الله.

٢٠ / ٥٩

٢٠- ﴿لَا يَسْتَوِى أَصْحَابُ النَّارِ وَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾ هنا و فى الأخرى ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ فى النشأت كلها.

٢١ / ٥٩

٢١- ﴿لَوْ﴾ استحالة فى الحكمة أن نكلف جبلا بشعور فيه مسئولية ﴿أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ﴾ الآخر بين قرائين الوحي ﴿عَلَى جَبَلٍ﴾ أيا كان، على تصلبه ﴿لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا﴾ لله ﴿مُتَّصِدَعًا﴾ متفتتا ﴿مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ كما "تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ" (٣٩: ٢٣) ﴿وَ تِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فى أنفسهم أمام الله "ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً" (٢: ٧٤).

٢٢ / ٥٩

٢٢- ﴿هُوَ﴾ الغائب بذاته ﴿اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ في أى من شئون الألوهية، لا أصلية و لا تخويلية ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ﴾ عن غيره ﴿وَالشَّهَادَةِ﴾ على سواء ﴿هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ حيث تجمعان كل صفاته و رحماته غير الذاتية، شاملتين لكافة العطايات الربانية.

٢٣ / ٥٩

٢٣- ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ﴾ " وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ " (١٧: ١١١) ﴿الْقُدُّوسُ﴾ في ملكيته تماما دون حد محدود ﴿السَّلَامُ﴾ في ذاته عن سائر الذوات و في صفاته و أفعاله عن سائر الأفعال و الصفات، سلام مطلق ليس لغيره هكذا سلام، كما " وَ لَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ " (٣: ٨٣) دون سواء ﴿الْمُؤْمِنُ﴾ إذ يؤمن خلقه عن كل بأس و بؤس و لا يؤمنه غيره: " وَ هُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَ يُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً " (٦: ٦١) ﴿الْمُهَيِّمُ﴾ سلطانا على خلقه رقيبا عتيدا، كما يهيمن في كتابه " وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَ مُهَيِّمًا عَلَيْهِ " (٥: ٤٨) ﴿الْعَزِيزُ﴾ الغالب على كل شئ: " وَ اللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ " ﴿الْجَبَّارُ﴾ إصلاحا لما فسد بضرب من القهر، دون " جبار شقى " أو " جَبَّارٌ عَنِيدٌ " فكل جباريته إصلاح ﴿الْمُتَكَبِّرُ﴾ بما هو كبير، يظهر كبره و عظمه لخلقه كأصح و أصلح ما يمكن لهم و يصلح، دون المتكبر الصغير كسائر خلقه فإنه " الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ " (١٣: ٩) و " الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ " (٢٢: ٦٢) فتكبره تعالى هو إظهار كبره لخلقه ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ به من خلقه، ألوهية- ملكية- قداسة- سلاما- إيمانا- هيمنة- عزة- جبارية و تكبرا و سواها من اختصاصاته ك:

٢٤- ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ﴾ ما خلقه من خلق آخر له، مهما خلق المادة الأولية لا من شئ، فلا برء و تسويه إياه حتى يخلقه مما سواه ﴿الْمُصَوِّرُ﴾ كافة الصور الظاهرة و الباطنة لما برء و يبرء ﴿لَهُ﴾ لا سواه ﴿الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾: " وَ لِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَ ذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ " (٧: ١٨) ﴿يَسْبَحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ عن شعور حسبه ﴿وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ بكل عزة و حكمة، فبداية هذه السورة هي " سبح " و نهايتها " يسبح " خير بداية و ختام، فيا لايتى الحشر هاتين من حشر لكافة الصفات الربانية، الأربعة عشر هنا، الشاملة لها كلها.

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بوفاق دون نفاق ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ مغبة رعايتهم أهليكم الباقين في مكة ﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ﴾ أسراراً عن الكتلة الإسلامية ﴿بِالْمَوَدَّةِ وَالْحَالِ أَنَّهُمْ﴾ قَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ كَلَهُ، و من كفرهم أنهم ﴿يَخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ﴾ عن عاصمة الرسالة، نقمة ﴿أَنْ تُوْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ﴾ لا سيما ﴿إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي﴾ بخروجكم، و أنتم رعمداك كله ﴿تُسْرُونَ إِلَيْهِمْ﴾ إسراراً ﴿بِالْمَوَدَّةِ﴾ الملقاة إليهم، حفاظاً على أهليكم، مؤمنين أو كافرين ﴿وَ أَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ فلا مجارة أو مودة، فضلاً عن إسرار إلى الكفار، مغبة الحفاظ على أهليكم، مما يدل على أن في الدوران بين أمرين يؤخذ بأهمها عند الله، و لا أهم من شرعة الله، و لا سيما إذا كان الأهلون كفاراً، فإن ذلك من النفاق و إن لم يكن رسمياً قاحلاً، فقد تناسب هذه الجهالة الإيمان الناقص "و مَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ" مهما كان في سبيل.

٢- فهم إضافة إلى كفرهم ﴿إِنْ يَتَّقُواكُمْ﴾ ظهوراً عليكم بملاحقتكم ﴿يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً﴾ جهرة كما كانوا سرا ﴿و﴾ من جهرة أن ﴿يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَ أَلْسِنَتَهُمُ بِالسُّوءِ﴾ بل ﴿وَوَدُّوا لَوْ﴾ ليتكم، مستحيلاً بشرف الإيمان ﴿تَكْفُرُونَ﴾ أ فبعد هذه الأخطار من هؤلاء الكفار "تُسْرُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ؟" و هو ضعف في الإيمان، بل ضغط على الإيمان.

٣- و مهما كان ذلك الإصرار في هذا الإسرار لأرحام و أولاد و لو كانوا مؤمنين، ف ﴿لَنْ﴾ مستحيلاً ﴿تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَ لَا أَوْلَادُكُمْ﴾ فإن ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ﴾ الله ﴿بَيْنَكُمْ وَ اللَّهِ﴾ بما تعملون بصير ﴿فكيف ينفعونكم و هم كافرون﴾.

٤- ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَ الَّذِينَ مَعَهُ﴾ من المرسلين و من أشبه ﴿إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ﴾ المشركين ﴿إِنَّا بَرَأؤُا مِنْكُمْ﴾ العابدين من دون الله ﴿وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ مهما كنتم من أقرب الأقرباء كآزر لإبراهيم إذ كان عمه، و أباه في التربية ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ وَ بَدَا بَيْنَنَا وَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَ الْبُغْضَاءُ أَبَدًا﴾ بادية ظاهرة، دون خفاء، فقط ﴿حَتَّى تُوْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ﴾ اللهم ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ﴾ أزر ﴿لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَ مَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ إذ لا أعلم أنك ستؤمن، ف" ما كان للنبي و الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ .. مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ. وَ مَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ" (٩: ١١٤) "مَوْعِدَةٍ" إذ قال "سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي" (١٩: ٤٧) حيث خمّن أنه مترو عن إيمان بقوله "وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا" (١٩: ٤٦) فلأنه أخطأ في موضع الاستغفار، على علمه بحكمه، لذلك لا يؤتسى فيه، و إنما في غيره مما فعل، و الأسوة الطليقة دون أى خطاً هو لرسول الله: "لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَ الْيَوْمَ الْآخِرَ وَ ذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا" (٣٣: ٢١) ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَ إِلَيْكَ أُنَبِّئُكَ رَجوعاً﴾ ﴿وَ إِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ في كل مسير: "يا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ" (٨٤: ٦).

٥- ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أن تفتتنا بهم ﴿وَ اغْفِرْ لَنَا﴾ فيما فتنّا ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ حكيم في عزته، عزيز في حكمته.

٦ / ٦٠

٦- ﴿لَقَدْ كَانَ﴾ محققا ﴿لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ في حكم و موضوع عند الله ﴿لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَ الْيَوْمَ الْآخِرَ وَ مَنْ يَتَوَلَّ﴾ عن الله و اليوم الآخر ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عنه و عمن سواه ﴿الْحَمِيدُ﴾ في غناه.

٧ / ٦٠

٧- ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً﴾ إن آمنوا، فهي - إذا - مودة الإيمان، مهما كانوا أغرباء، لا أقرباء ﴿وَ اللَّهُ قَدِيرٌ﴾ على ذلك ﴿وَ اللَّهُ غَفُورٌ﴾ عن موادة القرابة غير الإيمانية ﴿رَحِيمٌ﴾ بأهلها بعد توبتهم عنها، و "عَسَى" هذه عساها تبشر بفتح مكة، فتزول به تلك العداوة، إذ "رَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا" (١١٠: ٢).

٨ / ٦٠

٨- ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ﴾ مولات ﴿الَّذِينَ لَمْ يِقَاتِلُوكُمْ﴾ من هؤلاء الكفار ﴿فِي الدِّينِ وَ لَمْ يَخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ﴾ إذ كانوا على حياد رغم كفرهم ﴿أَنْ تَبْرُوهُمْ وَ تَقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾ عدلا و فوقه، تأليفا لقلوبهم بعد ألفه، و دون مضارة بينكم ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ حتى و جاه الكافرين، حيث الإحسان و القسط أصل إسلامي أصيل.

٩ / ٦٠

٩- ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ﴾ أن تبروا ﴿الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَ أَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَ ظَاهَرُوا﴾ مناصرة غالبية معلنة ﴿عَلَى إِخْرَاجِكُمْ﴾ عن ﴿أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَ مَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ أنفسهم و أهلهم و الدين الحق، توليا لمن يضاده.

١٠ / ٦٠

١٠- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ و أنتم في المهجر ﴿إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ﴾ الباقيات بمكة ﴿مُهَاجِرَاتٍ﴾ إلى المدينة ﴿فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾ تثبتا عن إيمانهن، و ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ﴾ بامتحانكم الصالح ﴿مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾ بمكة، و إلا فارجعوهن مخافة نفاقهن، فالمؤمنات منهن ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ﴾ أولئك الكفار ﴿وَ لَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ مما يدل على حرمة الزواج بين مؤمنة و كافر و إن كان استمرارا، مهما كان كتابيا لمكان "الْكُفَّارِ" و إن كانوا وقتئذ مشركين، فإن "أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ" (٢: ٢٢١) فكيف تحل مؤمنة لكافر ﴿وَ أَتَوْهُمْ مَا أَنْفَقُوا﴾ لهن صداقا، دون سائر النفقات الزوجية، و هو حنان إسلامي مقسط أن يؤتى الكافر ما أنفق لزوجته المؤمنة غير الراجعة إليه، المنفصلة عنه بإيمانها و كفره، ثم ﴿وَ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾ دون شرط طلاق، بل بعد تصبر قطعا بعدم حملهن استبراء لأرحامهن، عدة الطلاق، أو عدة الوفاة، أو التريث فقط إذ لا دليل على عدة، لمكان "لا جناح" و إنما التريث للحفاظ على المواليد، ثم ﴿وَ لَا تُمْسِكُوا بِعَصَمِ الْكُوفَرِ﴾ استمرارا لزواجهن، فضلا عن بدايته، اللهم إلا الكتابيات لآية المائدة الناسخة الكوافر، و الْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ (٥: ٣) فلا مناكحة بين مسلم و كافرة، اللهم إلا لمسلم مع كتابية لايتى المائدة و البقرة و جاء هذه الآية: "وَ لَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُوْمِنَ.. وَ لَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُوْمِنُوا.. أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ" (٢: ٢٢١) و كما لا تنكح موحدة غير كتابية لأنها من "الْكُوفَرِ" فإنما نسخت بالكتابيات ﴿وَ سَأَلُوا﴾ الكفار ﴿مَا أَنْفَقْتُمْ﴾ في نكاحهم زوجاتكم الكافرة المنفصلة عنكم ﴿وَ لِيَسْأَلُوا﴾ كم ﴿مَا أَنْفَقُوا﴾ في زواجهم بالمؤمنات، كأصل، ثم هنا صداق آخر إن حصل نكاح هنا أو هناك ﴿ذَلِكَ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

١١ / ٦٠

١١- ﴿وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَابْتُمْ﴾ إياهم فلم تجدوهن ﴿فَاتُوا﴾ أنتم أولياء أمور المسلمين ﴿الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا﴾ فيهن ﴿وَأَنْفَقُوا اللَّهُ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٥٥١

١٢ / ٦٠

١٢- و من امتحانهن الخاص ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ﴾ بظاهرهن، حالكونهن ﴿يَبَايَعَنَّكَ عَلَى أَنْ لَا يَشْرِكَنَّ بِاللَّهِ شَيْئًا﴾ رغم ما كنَّ عليه من إشراك ﴿وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ﴾ من بهت في أعمال ﴿وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ في تخلف جنسى ﴿وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ فى شرعة الله ﴿فَبَايَعَهُنَّ﴾ بهذه الشروط ﴿وَأَسْتَغْفِرَ لَهُنَّ اللَّهُ﴾ عما أسلفن منها، و ما قد يحصل منهن ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾: "وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاؤُكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا" (٤: ٦٤).

١٣ / ٦٠

١٣- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إسلاميا ﴿لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ إذا أغضبوه ﴿فَدُيُّسُوا مِنْ﴾ الحياة ﴿الْآخِرَةِ كَمَا يَبْغِي الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ زعم أنهم معدمون لا يحيون.

سورة الصف

١ / ٦١

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. سَبَّحَ لِلَّهِ﴾ دونما انقطاع، عقليا، و شعوريا ككل ﴿مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ لا فقط "من" فيهما: "وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبُحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ" (١٧: ٤٤) فالتسبيح كونيا هو واجب المعرفة، فهذا- إذا- ما لا يعرف لأنه خفى لا يظهر ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

٢ / ٦١

٢- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ﴾ إخبارا أو أمرا أو نهيا ﴿مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ نفاقا فى قولكم، كأننا فعلنا أو نفعل و هم لا يفعلون، أو أمرا بواجب هم تاركوه، أو نهيا عن محرم هم مقترفوه، اللهم إلا أمرا أو نهيا هم يحاولون فعله الصالح مهما كانوا تاركيه، حيث التأمرو و التناهى فرض آخر فى باب الأمر و النهي، إذ كانوا لا يتناهون عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ" (٥: ٧٩) و أما سواه فلا: "وَقَوْلُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ" (٤: ٨١) فالمحرم من الأمر لمن لم يأتمر، و من النهي لمن لا ينتهى، هو أن تنسى نفسك: "أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَ تَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَ أَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَ فَلا تَعْقِلُونَ" (٢: ٤٤) فعند نسيان نفسك دون اتعاظ، أنت تفسد بأمرك أو نهيك و لا تصلح: "وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ" (١١: ٨٨).

٣ / ٦١

٣- ﴿كَبُرَ مَقْتًا﴾ غضبا ﴿عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ ه أبدا.

٤ / ٦١

٤- ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ﴾ أعداه الله ﴿فِي سَبِيلِهِ صَفًّا﴾ متراصا ﴿كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾ مستحكم، لا يزلزله العواصف و لا يزيله القواصف، فلا فشل- إذا- فى تلك القتال، و لا انعزال، فلو كان المسلمون و جاه الكفار "صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ" لَنْ يَضْرَبُوكُمْ إِلَّا أَدَى وَ إِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُولُوكُمُ الْأَذْبَارَ ثُمَّ لَا يَنْصُرُونَ" (٣: ١١١) فإن "كم" هنا هم المسلمون المتراصون العاملون بحق الإسلام دون فشل و لا خطل.

٥- و لكن إيذاء الرسول، و زيف القلوب جعلاهم شذر أياذى صبا كما ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُوَدُّونَنِي وَ قَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ فإيذاؤى هو إيذاء الله، كما أن طاعنى هى طاعة الله ﴿فَلَمَّا زَاغُوا﴾ بأنفسهم، انحرافا عن الحق ﴿أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ بما زاغوا، أن "خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ .." ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ ألا يزيغ قلوبهم، فضلا عن أن يهديهم سواء السبيل "دون المؤمنين، و الراسخين فى العلم قائلين" ربنا لا تزغ قلوبنا .. وَ هَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ" (٣: ٨).

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٥٥٢

٦- كذلك ﴿وَ﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ كرأس زاوية الدعوة العيسوية، فإنها عالمية ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ حالكونى ﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ﴾ أمامى ﴿مِنَ التَّوْرَةِ وَ﴾ أمام آخر هو إمام: ﴿مُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾: بريكليطوس، اليونانى فى الإنجيل حيث تعنى أحمد و محمدا ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ﴾ أحمد ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ كلها، و هى القرآن كله ﴿قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ كونه سحرا، تصلبا على الشرعة الإسرائيلية، و قد شرحناها و سائر البشارات فى "رسول الإسلام".

٧- ﴿وَ مِنْ أَظْلَمِ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ﴾ ذلك ﴿الْكَذِبَ﴾ و ما أشبه ﴿وَ﴾ الحال ﴿هُوَ يَدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ﴾ لله، بكل بينات صدقه ﴿وَ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ بحق الحق المنير.

٨- ﴿يَرِيدُونَ﴾ هؤلاء المكذبون ﴿لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ﴾ محمدا، فإنه "مثل نُورِهِ" كأنه نوره فقط ﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ تحويلا له إلى ظلام ﴿وَ اللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ﴾ نورا على نور ﴿وَ لَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ فنور الله لا يطفأ بالأفواه مهما تأمرت عليه ردحا مظلما من الزمن "فَأَمَّا الرِّبْدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَ أَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ" (١٣: ١٧) و من مكوث النور المحمدى أنه:

٩- ﴿هُوَ﴾ الله ﴿الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ﴾ الخاص برسالته، كأنه هو الرسول فحسب، فهو حامل لرسالات الله كلها ﴿بِالْهُدَى﴾ كلها ﴿وَ دِينَ الْحَقِّ﴾ الثابت حتى القيامة، دون "الدين الحق" فإن دين الله حق كله، و لكن الإسلام هو الدين كله، و هو الثابت كله، حقا على حق ﴿لِيُظْهِرَهُ﴾ غلبة شاملة ﴿عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ باطلا و حقا "وَ قَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَ يَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ" (٨: ٣٩) ﴿وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ و ذلك عند قيام القائم المهدي (ع) وَ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا (٤٨: ٢٨).

١٠- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بداية ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ نهاية، فى الدنيا و الآخرة.

١١- بأنكم ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ﴾ إيماننا على إيمان "يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ آمِنُوا بِرَسُولِهِ" (٥٧: ٢٨) ﴿وَ تَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ﴾ فى أنفسكم ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ حق الإيمان: "إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ .." (٩: ١١١).

١٢- و بذلك الإيمان المكين ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ﴾ كل ﴿ذُنُوبَكُمْ﴾ "إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نَكْفُرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ" (٤: ٣١). ﴿وَ يَدْخُلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَ مَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ "عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ" ﴿ذَلِكَ الْفَوْزُ﴾ كله ﴿الْعَظِيمُ﴾ كل العظمة.

١٣ / ٦١

١٣- ﴿وَ﴾ "تِجَارَةٌ" ﴿أُخْرَى تُحِبُّونَهَا﴾ هي ﴿نَصْرُ﴾ عظيم ﴿مِنَ اللَّهِ وَ فَتْحٌ قَرِيبٌ﴾ بمكة، و هو فتح الفتوح ﴿وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بذلك الفتح المبين.

١٤ / ٦١

١٤- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ﴾ دين ﴿اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى﴾ سبيل ﴿اللَّهِ﴾ و إلى مرضات الله، حيث الكل هو "إِلَى اللَّهِ" سيرا إليه في مرضاته ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ﴾ دين ﴿اللَّهِ﴾ فنحن أنصارك إلى الله، لا مع الله، سائرين إليه معك رسولا إلى الله، إذ لا بد للسير إلى الله من هاد إليه ﴿فَأَمَنْتُ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ هكذا، أنصاره إلى الله ﴿وَ كَفَرَتْ طَائِفَةٌ﴾ أخرى، أنصارا ضد الله ﴿فَإَيُّدُنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ﴾ في نصره الله ﴿فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾ عليهم غالبين، في الدنيا و الأخرى، و "ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ".

سورة الجمعة

١ / ٦٢

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ يسبحُ لله ﴿دونما انقطاع﴾ ﴿ما في السماواتِ وما في الأرضِ﴾ دون اختصاص بـ "من" فـ "إن من شئٍ إلا يسبح بحمده و لكن لا تفقهون تسبيحهم" (١٧: ٤٤) ﴿الملك﴾ كل الملك ﴿القدوس﴾ في ملكيته كل القداسة ﴿العزيز﴾ كل العزة ﴿الحكيم﴾ كل الحكمة، فعليكم أن تسبحوه و لا سيما يوم الجمعة، في فريضة أسبوعية تتسمى بها هذه السورة كما الحج.

٢ / ٦٢

٢- ﴿هو﴾ الله ﴿الذي بعث في الأميين﴾ و هم كافة المكلفين إذ هم أميون نسبة إلى شرعة القرآن، و كذلك الرسول قبلها "ما كنت تعلمها أنت و لا قومك" (١١: ٤٩) "ما كنت تتلوا من قبله من كتاب و لا تخطه يمينك إذا لارتاب المبطلون" (٢٩: ٤٨) ﴿رسولاً﴾ هو ﴿منهم﴾ قبل رسالته ثم بعدها ﴿يتلوا عليهم آياته﴾ كأنها- فقط- آياته ﴿و يزكيهم﴾ بها ﴿و يعلمهم﴾ الكتاب ﴿كله﴾ و الحكمة ﴿كلها﴾، كما علمه الله ﴿و إن كانوا من قبل﴾ غارقين ﴿لفي ضلال مبين﴾ ضلاله.

٣ / ٦٢

٣- كذلك ﴿و آخرين منهم﴾ الأميين ﴿لما يلحقوا بهم﴾ حتى القيامة الكبرى ﴿و هو العزيز﴾ غلبة ﴿الحكيم﴾ كل حكمة، و قد جمعهما في هذا القرآن العظيم كما يصح و يجدر بالمكلفين إلى يوم الدين.

٤ / ٦٢

٤- ﴿ذلك﴾ العظيم هو ﴿فضل الله﴾ الكامل الشامل ﴿بؤتيه من يشاء﴾ كما شاء للأمة الأخيرة ﴿و الله ذو الفضل العظيم﴾ دون اختصاص لفضله. بمن قبل محمد (ص) و كما يزعمون.

٥ / ٦٢

٥- ﴿مثل الذين حملوا التوراة﴾ علما و عقيدة و عملا ﴿ثم لم يحملوها﴾ كذلك، مهما علموها ﴿كمثل الحمار يحمل﴾ دون تحمل ﴿أسفارا﴾ علمية، فـ "أولئك كالأنعام بل هم أضل" (٧: ١٧٩) و أضل منهم الذين حملوا القرآن ثم لم يحملوه ﴿يئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله﴾ عقيدة أو عملا بعد ما علموه "و جحدوا بها و استيقنتها أنفسهم" (٢٧: ١٤) ﴿و الله لا يهدي﴾ توفيقا ﴿القوم الظالمين﴾.

٦ / ٦٢

٦- ﴿قل يا أيها الذين هادوا﴾ إلى الحق كما تزعمون، بل هادوا عن الحق ﴿إن زعمتم أنكم أولياء لله﴾ خصوصا ﴿من دون﴾ سائر ﴿الناس﴾ أو أنكم الناس و سائر الناس نسناس كما تزعمون ﴿فتمنوا الموت إن كنتم صادقين﴾ في زعمكم، انتقلا عن حياة خليطة إلى خليصة ما عند الله: "و قالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى تلك أمانيتهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين" (٢: ١١١) و لا يعنى تمنى الموت انتحارا أو تقدما لهلاكه النفس، بل تقدما له إن جاء.

٧ / ٦٢

٧- ﴿و لا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم﴾ بل "و لتجدنهم أحرص الناس على حياة و من الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة و ما هو بمزحرجه من العذاب أن يعمر و الله بصير بما يعملون" (٢: ٩٦) ﴿و الله عليم بالظالمين﴾ حيث "رضوا بالحياة الدنيا و اطمانوا بها" (١٠: ٧) "لكنه أخلد إلى الأرض و اتبع هواه و اتبع هواه و كان أمره فرطا" (١٨: ٢٨).

٨- ﴿قُلْ إِنْ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُونَ مِنْهُ﴾ "بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ" ﴿فَإِنَّهُ﴾ على أية حال ﴿مُلَاقِيكُمْ﴾ شَتْتُمْ أَمْ أَبَيْتُمْ ﴿ثُمَّ﴾ بعده بمضى البرزخ و قيام القيامة ﴿تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ﴾ كما كنتم عنده، ف" إِنْآ لِلَّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ" ﴿فَيَنْبِئُكُمْ﴾ إعلاما و جزاء ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من سوء، خلاف زعمكم: " وَ قَالَتِ الْيَهُودُ وَ النَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَ أَحِبَّاءُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ ... يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ" (٥: ١٨).

٩- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إسلاميا، مهما كان - فقط - بلسان، فضلا عن الجنان أيا كان، و بعدهما الأركان، فالإيمان هنا يشمل الكل، لإطلاقها و عموم التكليف - ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾ و هى الأذان بالحيصلات، فلا يعرف نداء إسلاميا للصلاة إلا الأذان، إلا فى العيدين و الأموات: " وَ إِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوءًا وَ لَعِبًا" (٥: ٥٨) ثم القصد من نداء الأذان هو دخول وقت الزوال المعروف بالأذان، فإذا زالت الشمس يوم الجمعة ﴿فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ أئمة لإقامة الجمعة، و مأمومين للاهتمام بهم، و "ذِكْرُ اللَّهِ" هنا لمحة إلى واجب الخطبة قبل الصلاة، نداء عام هام، للسعى إلى فرض عام هام، لا يعذر عنه إلا بعسر أو حرج ﴿وَ ذَرُّوا الْبَيْعَ﴾ و هو أهم الأعمال الحيوية المعيشية الركنية، فبأحرى واجب الترك لكل عملية هى دون فرض الجمعة، فمع التساوى تساوى، ثم الأرجح عليها لزوما يترجح ﴿ذَلِكُمْ﴾ العظيم العظيم هو ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾ فسواه شر لكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ حكم الله.

١٠- ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ﴾ هذه ﴿الصَّلَاةُ﴾ لا "ذِكْرُ اللَّهِ" فقط قبلها، مما يدل على أنها بعد الذكر، لا معه و لا قبله، فهنا - إذا - خطبة و صلاة متربتين ﴿فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ كما كنتم قبل الفرض ﴿وَ ابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ معيشيا و قد أمرتم بتركه و البيع فى هذه الفترة ﴿وَ اذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ مما يدل على واجب الذكر بعد صلاة الجمعة أكثر من غيرها ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾ إذ تغلجون الشيطان.

١١- لكن ﴿وَ إِذَا رَأَوْا﴾ جماعة من المؤمنين ﴿تِجَارَةً﴾ هى منهية حالها ﴿أَوْ لَهْوًا﴾ منهيا ككل ﴿انْفَضُّوا إِلَيْهَا﴾ سرعى كأنهم صرعى، رغم واجب السعى إلى صلاة الجمعة ﴿وَ تَرَكُوا قَائِمًا﴾ مما يدل على واجب القيام فيها، و ليس إلا فى خطبتها، حيث الصلاة فيها قيام و سواه ﴿قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ كما وعدتم ﴿خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ﴾ و هو شر، بل ﴿وَ مِنَ التَّجَارَةِ﴾ المنهية حالها ﴿وَ اللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ مهما كان لكم رازقون كوسائل فلا تترك صلاة الجمعة لأى مكلف على أية حال، إلا حرجا أو عسرا بغير إختيار.

سورة المنافقون

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾. إذا جاءكَ الْمُنَافِقُونَ ﴿مُسْتَقْبِلًا﴾ ﴿قَالُوا﴾ لك ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ قلبيا كما هى باللسان ﴿وَ اللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾ و كفى به شهيدا عليما، ثم خلافهم فيما يدعون ﴿وَ اللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ فيما يشهدون، فرسالتك صدق حقه فى الواقع، و كذب فيما يدعون إذ لا يعتقدون، فالصدق الصالح هو الموافق لكلا العقيدة و الواقع، لذلك "يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنْزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ" (٩: ٦٤).

٢- ﴿اتَّخَذُوا﴾ أخذوا وخازا ﴿أَيْمَانَهُمْ﴾ كهذه الشهادة و ما أشبه ﴿جَنَّةً﴾ تجنّهم عن عقبات كفرهم ﴿فَصَدُّوا﴾ بذلك ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ إذ يخلون إلى المؤمنين أنهم مؤمنون، فيكمنون وراء متاريس الإيمان فيقذفون حرّات المؤمنين ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من نفاقهم.

٣ / ٦٣

٣- ﴿ذَلِكَ﴾ البعيد عن الحق ﴿بِأَنَّهُمْ آمَنُوا﴾ بالسنتهم ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾ بقلوبهم خلاف ما آمنوا بظواهرهم ﴿فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ بطابع الكفر بما نافقوا ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ الحق بما افعلوا "فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ" (٩: ٩٣) إذ "كَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ" (٩: ٧٧) و سواء أ كان إسلامهم الأول و إيمانهم نفاقا، أو "لَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ" (٤٩: ١٤) أو دخل و "ثُمَّ كَفَرُوا".

٤ / ٦٣

٤- ﴿وَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ﴾ بظواهرهم ﴿تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ بتظاهر الإيمان لسانا و عملا ظاهرا ﴿وَ إِن يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ﴾ لطاوتهم و حلاوته ﴿كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مَّسْنَدَةٌ﴾ نخرة بالية تسند إلى جدر لتقوم بها ﴿يَحْسِبُونَ كُلَّ صِيحَةٍ﴾ أنها ﴿عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ﴾ أكثر من سائر الأعداء، و كأنهم أمامهم ليسوا بأعداء، و أفراد "العدو" يلجح بوجدتهم، دون وهدة و تفرق في عدائهم ﴿فَاحْذَرُهُمْ قَاتِلَهُمُ اللَّهُ﴾ أن فتك بكيدهم و ميدهم فهم لا يفلحون، بل يفلجون ﴿أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ صرفا و انصرافا عن الحق بكل كذب.

٥ / ٦٣

٥- ﴿وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا﴾ إلى الرسول صدقا تائبين ﴿يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾ غفر الله لكم ﴿لَوْوَا﴾ أمالوا ﴿رُؤُسَهُمْ﴾ استنكار استكبار ﴿وَ رَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ أنفسهم و سواهم عن الحق ﴿وَ﴾ الحال ﴿هُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ على الله.

٦ / ٦٣

٦- لذلك اللى و الاستكبار، ثباتا على كفر ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ﴾ أَسْتَغْفَرْتَ اللَّهُ ﴿لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ ما هم كافرون، لا هنا و لا بعد الموت و أخرى، فإنه هدى لمن لا يليقها ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ عن الحق عنادا: "أَسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ وَ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ" (٩: ٨٠) و "ما كان للنبي و الذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين و لو كانوا أولى قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ. وَ ما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ .." (٩: ١١٤).

٧ / ٦٣

٧- ﴿هُمْ الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ لأضرابهم و سواهم ﴿لَا تُنْفِقُوا عَلَى مَنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ عندية رسالية، إيمانا و عملا صالحا ﴿حَتَّى يَنْفَضُوا﴾ من حوله، كطبيعة الحال لمن يفتقر مؤمنا و سواه ﴿وَ﴾ الحال أنه ﴿لِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ﴾ "يَنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ" ﴿وَ لَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ أن خزائن الكون كلها لله، دون حاجة إلى إنفاق من منافق أو ضعيف الإيمان.

٨ / ٦٣

٨- ﴿يَقُولُونَ لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ﴾ بعد ما خرجنا منها ﴿لِيُخْرِجَنَا الْأَعَزُّ مِنْهَا﴾ نفاقا بعدة وعدة ﴿الْأَذَلُّ﴾ الخالي عنهما ﴿وَ﴾ الحال أن ﴿لِلَّهِ الْعِزَّةُ﴾ جميعا ﴿وَ﴾ على ضوء الإيمان به، ثم ﴿لِرَسُولِهِ﴾ به ﴿وَ﴾ من ثم ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ بالله و رسوله ﴿وَ﴾ لَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ مكان العزة و مكانتها "أَيَّبَتُونَا عَنْهُمْ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا" (٤: ١٣٩).

٩ / ٦٣

٩- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ﴾ إعراضاً ﴿أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ كتاباً ورسولاً وعبادة و طاعة ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ الإلهاء البعيد عن الإيمان ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ حياتهم الإيمانية، الحاسرون في عمرهم عن مبتغيات الحياة المعنية.
١٠ / ٦٣

١٠- ﴿وَأَنْفَقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ ما يصح إنفاقه في سبيل الله، مالا و حالا ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ﴾ فلا إنفاق بعده، و لا نيابة فيه لمن تركه قبله، اللهم إلا عن قاصر فيه دنيا و من أشبه "أَنْفَقُوا.." ﴿فَيَقُولَ رَبِّ لَوْ لَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ وقتاً قليلاً ﴿فَأَصْدَقَ﴾ تصديقا عمليا لأمر الله ﴿وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أمام الله "أ" و لَمْ نَعْمَرُكُمْ ما يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ و جَاءَكُمْ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ" (٣٥: ٣٧) أَجَلٌ " و أَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ و أَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ" (٥٧: ٧): "أَنْفَقُوا" إنفاق إيمان دون نفاق، ثم و ليكن "مِمَّا تُحِبُّونَ" دون تردُّل مهما كان بتبذُّل، و إنما لله، عوانا بين إفراط و تفريط.

١١ / ٦٣

١١- ﴿وَلَنْ﴾ مستحيلاً ﴿يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا﴾ عن موته ﴿إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا﴾ المحتوم، حيث الأجل المعلق قبل حتمه قد يعجل أو يؤجل ما قبل الأجل ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ "فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَ أَخْفَى".

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. يَسْبَحُ لِلَّهِ﴾ ما كان كائن ﴿مَا﴾ لا- فقط "من" ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ و ما بينهما "و"
 إِنَّ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبَحُ بِحَمْدِهِ وَلَا يَكُنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ" (١٧: ٤٤) ﴿لَهُ الْمُلْكُ وَ لَهُ الْحَمْدُ﴾ كله كالتسبيح كله ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ خلقا و تقديرا.

٢- ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ على فطرة التوحيد "فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا" ﴿فَمِنْكُمْ﴾ بعد خلقكم ﴿كَافِرٌ﴾ باختياره، تخلفا
 عن فطرته ﴿وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ تمشيا معها، فتقبلا شرعة الله "وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ" (١٨: ٢٩)
 ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من كفر و إيمان ﴿بَصِيرٌ﴾ لا يعزب عنه عازب.

٣- ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ سبب و غاية و معية ﴿الْحَقِّ وَ صَوَّرَكُمْ﴾ إنسانيا روحا و جسما ﴿فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾ "لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ" (٩٥: ٤) ﴿وَالِلَّهِ الْمَصِيرُ﴾ بكل مسير.

٤- ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ و ما بينهما ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ﴾ عن سواكم ﴿وَمَا تُعْلِنُونَ﴾ لمن سواكم، فهما لعلمه
 سيان ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ فلا يفرق عنده إسرار عن إعلان.

٥- ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ﴾ خبر ذو فائدة عظيمة لـ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾ كم ﴿فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾ الأمر هنا، ثم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الأخرى.

٦- ﴿ذَلِكَ﴾ ذوق العذاب و نفسه ﴿بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ﴾ "تَتَرَا" ﴿بِ﴾ الآيات ﴿الْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا﴾ كلمة واحدة، إذارا
 لأنفسهم ﴿أَبَشَرُ يَهُدُونَنَا﴾ "أَبَشَرًا مِمَّا وَاحِدًا تَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِيَ ضَلَالٍ وَ سَعِيرٌ" (٥٤: ٢٤) رغم صالح الهدى من بشر لبشر، تأثيرا
 مماسا ﴿فَكَفَرُوا﴾ بالله و رسله ﴿وَتَوَلَّوْا﴾ عن الله ﴿وَاسْتَعْنَى اللَّهُ﴾ عن إيمانهم ﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ﴾ عن سواه ﴿حَمِيدٌ﴾ فى
 غناه.

٧- ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ تخيلا و تخيلا ﴿أَن لَّنْ﴾ مستحيلا أن ﴿يُعْثُوا﴾ لحياة الحساب ﴿قُلْ بَلَى﴾ تبعتون ﴿وَرَبِّي﴾
 حيث رباني بهذه الرسالة السامية، فلو لا البعث لما كانت هذه التربية الرسولية "بَلَى وَ رَبِّي" ﴿لَتَبْعَنَّ ثُمَّ لَتَنبُوَنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾ حيث
 العمل المتخلف، فضلا عن المتألف، لزامه البعث جزاء حسابا من العدل الرحيم ﴿وَذَلِكَ﴾ البعث ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ يسر البدء،
 بل "هُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ" من البدء.

٨- ﴿فَأَمِنُوا﴾ أنفسكم ﴿بِاللَّهِ﴾ ألوهية ﴿و﴾ بـ ﴿رَسُولِهِ﴾ رسالة ﴿و﴾ بـ ﴿النُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا﴾ معه استنارة ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ من خير أو شر ﴿خَبِيرٌ﴾.

١٦- و على أية حال، فى كل حلّ و ترحال ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فيما فرض عليكم أو رفض عنكم ﴿مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ إذ لا يكلف الله نفساً إلّا وسعها" و هو حق تقاته: يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حقّ تقاته و لا تموتنّ إلّا و أنتم مسلمون" (١٠٢: ٣) فلا يمكن حق تقاته كما يستحق، بل "ما استطعتم" مهما كان علينا سباق فى تقواه و ترك طغواه ﴿وَ اسْمَعُوا﴾ نداء الله ﴿وَ أَطِيعُوا﴾ الله و الرسول ﴿وَ أَنْفِقُوا خَيْرًا﴾ ف "لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ" (٩٢: ٣) "خَيْرًا" فى حلّه، و "خَيْرًا" فى محلّه، و "خَيْرًا" ممّا تُحِبُّونَ" و ذلك ﴿لِأَنْفُسِكُمْ﴾ حاليا إذ تختارونه لكم" ممّا تُحِبُّونَ" ثم بعد الموت هو "لِأَنْفُسِكُمْ" لا لله، إلا أنه فى سبيل الله ﴿وَ مَنْ يُوَقَّ شَحَّ نَفْسِهِ﴾ بوقاية ربانية كما يقى هو شح نفسه، و بخله ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ سبيل الحياة الربانية، غلبا على كافة العوائق.

١٧ / ٦٤

١٧- ﴿إِنْ تُقْرِضُوا﴾ قطعا عن أنفسكم ﴿اللَّهُ﴾ إنفاقا فى سبيل الله، حيث أمر به الله ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ كما يرضاه الله ﴿يُضَاعِفُهُ لَكُمْ﴾ الله أضعافا كثيرة" مما أقرضتم الله، ثم ﴿وَ يَغْفِرْ لَكُمْ﴾ من ذنوبكم ﴿وَ اللَّهُ شَكُورٌ﴾ من يشكره ﴿حَلِيمٌ﴾ بالمقرضين حسنا و سائر المؤمنين.

١٨ / ٦٤

١٨- ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ﴾ كإنفاق الغيب ﴿وَ الشَّهَادَةِ﴾ كإنفاق الشهادة" إِنْ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ و إِنْ تُخْفُوهَا وَ تُوْتُوها الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ" (٢٧١: ٢) و الله هو ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

سورة الطلاق

١ / ٦٥

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ﴾ عند سماحه ﴿فَطَلَّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾ إذا كانت لهن عدة، و ليست إلا للماء أو احتماله دون سواهما، و "عدتهن" هي هيئة خاصة من عدد، و "لِعَدَّتِهِنَّ" هي العدد المقرر، بداية طلاق واحد، و جمعا ثلاث طلاقات، ثم عدد تربصهن "ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ" و ما أشبهه من حدود في "عدتهن" ﴿وَأَحْصُوا﴾ تلك ﴿الْعِدَّةَ﴾ لصالحكم و إياهن ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ عن التخلف عما حكم الله ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ﴾ الزوجية ﴿وَلَا يَخْرُجْنَ﴾ منها خروجاً تاماً إلا في حاجيات متكررة ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبِينَةٍ﴾ أنهن لا يردن عشرة الزوجية، فأخرجهن و خرجهن من بيوتهن - إذا - حل، بل هما فرض لعدم صلوحهن لإستمرارية الزواج ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ في باب الطلاق ﴿وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ فإنه عليه و ليس على الله ﴿لَا تَدْرِي﴾ زوجا هل يصلح الرجوع إليها، ف ﴿لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ الطلاق لعسر أو حرج العشرة ﴿أَمْرًا﴾ حادثاً يصلحهما.

٢ / ٦٥

٢- ﴿فَإِذَا بَلَغَ أَجْلُهُنَّ﴾ مشاركة قبيل انقضاءه ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ الإمساك، رجوعاً معروفاً: و بَعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا (٢: ٢٢٨) و لَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ (٦٥: ٦) ﴿أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ دون مضارة و لَا تُمَسِّكُوهُنَّ ضِرَارًا لَتَعْتَدُوا (٢: ٢٣) ﴿وَأَشْهَدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ على كلا الرجوع المعروف و الطلاق المعروف ﴿وَأَقِيمُوا﴾ هذه ﴿الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ تلقياً و إلقاء ﴿ذَلِكَمُ﴾ العظيم من حدود الله ﴿يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ إيماناً صالحاً ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ﴾ يجعل له مخرجاً ﴿عَنْ مَضَائِقِهِ﴾ إلى ما يرضاه.

٣ / ٦٥

٣- ﴿وَيَرْزُقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ أى رزق كان ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ دون تكلان و استقلال، بل يكد متوكلاً على الله ﴿فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ بحساب كده و توكله ﴿إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ﴾ نفسه فى أمر المتوكلين عليه ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ حسبانا بحساب دون فوضى جزاف.

٤ / ٦٥

٤- ﴿وَاللَّائِي يُمْسِنَ مِنَ الْمَحِيضِ﴾ دالا على حمل أو إمكانيته ﴿مِنْ نِسَائِكُمْ﴾ قبل كامل يأسهن أو معه ﴿إِنْ ارْتَبْتُمْ﴾ فى حيض لهن بعد، دليلاً على إمكانية حمل، أو فى حمل لهن على أية حال ﴿فَعِدَّتُهُنَّ﴾ فى طلاقهن ﴿ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ﴾ منذ الطلاق، بدلا عن ثلاثة قروء ﴿وَكَذَلِكَ﴾ اللائى لَمْ يَحِضْنَ بعد منذ بلوغهن، لإحتمال الحمل لهما، فلا عدة لهن - إذا - عند عدم ارتياب فى يأسهن عن حمل، إما لما فى أنفسهن، أو لعدم مقاربتهن زمناً فلا حمل، أو لعمل جراحى يقطع عنكم أو عنهن حملاً، و الكل شرط تطابق قاطع لا يدع احتمالا واقعياً، فإن أيس عن حملهن قطعاً، و لكن الواقع يحمله، فالعدة ثابتة، و إنما العدة للماء فى حقل الطلاق ﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ بعد طلاق، و "أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ وَ عَشْرًا" (٢: ٢٣) بعد الوفات، إلا أن يتأخر وضعهن عنها ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ﴾ على أية حال ﴿يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ﴾ الإمر ﴿يَسْرًا﴾ "فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا".

٥ / ٦٥

٥- ﴿ذَلِكَ﴾ العظيم هو ﴿أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ﴾ بوحيه إلى رسوله ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ﴾ فى الكبائر ﴿يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ "إِنْ تَجَتَّنِيبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ" (٤: ٣١).

٦ / ٦٥

٦- ﴿أَسْكِنُوهُنَّ﴾ المطلقات المعتدات الرجعيات ﴿مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ﴾ فيما سكنتم حتى تسكنوهن حالة الرجعة لَعَلَّ اللَّهَ يَحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴿وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ﴾ من أية ناحية، مهما أسكنتموهن فيما كنتم تسكنوهن قبل طلاقهن، فبعد طلاقهن لهن سكناكم لا سواه ﴿وَلَا يَنْكُرُنَّ الْأُولَاتِ حَمْلٌ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ بائنات و رجعيات لمكان الحمل، ففي البائنة نفقة دون سكناك، و في الرجعية كلاهما ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ﴾ بعد الوضع و الانفصال التام ﴿فَاتَّوهُنَّ أَجُورَهُنَّ﴾ لإرضاعهن إلا أن يعفون ﴿وَأَتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ﴾ من الائتمار على أية حال، مالها صلة بك مهما كانت بعد انفصالها عند إرضاعها ﴿وَلَا يَنْتَهِزْنَ﴾ في أجورهن ﴿فَسْتَزْعِجْ لَهُ﴾ مرضعة ﴿أُخْرَى﴾ إذ لا يجب عليها إرضاع دون أجرة، إلا إذ سامحت عنها، ذلك كله بعد طلاقهن فضلا عما قبله من إنفاق و سكنى و ائتمار.

٧ / ٦٥

٧- ﴿لِيَنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ﴾ بعد الطلاق فضلا عما قبله ﴿وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾ لا أنه قدر على نفسه باختياره أو تساهله ﴿فَلْيَنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ﴾ مع محاولاته المتعددة المستطاعة، إذ ﴿لَا يَكْلَفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾ دون عسر أو حرج في كافة التكاليف، إلا ما يستثنى ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ لمن يفتش عن يسر و ينفق ما يسعه.

٨ / ٦٥

٨- ﴿وَكَأَيُّنَ مِنْ قَرْيَةٍ﴾ مجتمع ﴿عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا﴾ ربوبية ﴿وَعَنْ أَمْرِ رَسُولِهِ﴾ رسالة ﴿فَحَاسَبُنَاهَا﴾ هنا ﴿حِسَابًا شَدِيدًا﴾ ثم ﴿وَعَذَّبْنَاهَا﴾ بعد موتها ﴿عَذَابًا نُكَرًا﴾ أو مطلقا في النشأت الثلاث.

٩ / ٦٥

٩- ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ في النشأت الثلاث كلها، مهما اختلفت دركاته فيها.

١٠ / ٦٥

١٠- ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ بعد موتهم ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ ألباب العقول، و أنتم ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ حقه ﴿قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ يذكركم الحق حقه من عل الربوبية، دون علو مكانى، بل في المكانة، و الذكر يعنى:

١١ / ٦٥

١١- ﴿رَسُولًا﴾ فقد أنزله الله بما أوحى إليه القرآن كما أنزل القرآن، من عل إلى داني المكلفين، و هو ﴿يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ حالكونها ﴿مُبَيِّنَاتٍ﴾ ما يجب تبينه ﴿لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ كَافَةِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ كله ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَاعْمَلْ صَالِحًا﴾ لإيمانه بالله ﴿يَدْخُلْهُ﴾ الله بهما ﴿جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ حالكونهم ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ "عطاء غير مجذوذ" ﴿قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾ فيها، كما أحسنه يوم الدنيا إيمانا و عملا صالحا.

١٢ / ٦٥

١٢- ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَ﴾ خلق ﴿مِنْ﴾ جنس ﴿الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ عددا، فهي سبع، كما السماوات سبع، و طباقا كما هي، فقد تكون كل أرض في كل سماء، و ما أشبه من مماثلات، و منها وجود مكلفين في الأرضين السبع و في السماوات السبع ﴿يَنْزِلُ الْأَمْرُ﴾ تكوينا و تشريعا و ما أشبه من أمر ﴿بَيْنَهُنَّ﴾ مما يؤكد عدم اختصاص أمر الشريعة بأرضنا هذه، كما و من آياته خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَ مَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَ هُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ (٤٢: ٢٩) ﴿لَتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ

قَدِيرٌ ﴿ فليست قدرته خاصة راحة في هذه الأرض فقط ﴿ وَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ دون اختصاص بهذه الأرض، فما لنا أن نمحور و نركّز الكون كله في أرضنا هذه، و لله بليارات من كائنات.

سورة التحريم

١ / ٦٦

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ يا أيها النبي ﴿رفيع المنزلة في رسالته، دون "الرسول" ﴿لَمْ تُحَرِّمْ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ لصالحك شخصياً، إذ ﴿تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾ فلم يكن تحريماً رسالياً تشريعياً لمكان "النبي" لك و"مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ" بل كان تحريماً موضوعياً حفاظاً على محتده الرسولي ألا يتعارك عليه، تكديراً لجو النبوة، في دوران الأمر بين مواصلة الحلال غير المفروض، و حصول المفروض مظهرة عليه إن واصل في الحلال، و كان الحكم في حاضر الحال تحريم مارية على نفسه حتى يأتي أمر الله و قد أتى ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ عنك سترا عما كنت تحذره ﴿رَحِيمٌ﴾ بك موضوعياً لا حكماً رسالياً حيث أحكم أمرك خلاف ما كان متعوداً من مظاهرتهم، رحمة بك خاصة راصة، و لأن تحريمه إياها على نفسه موضوعياً خاصاً كان يمينه:

٢ / ٦٦

٢- ﴿قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ﴾ كهذه، حيث الواقع كان خلاف ما عرف ﴿وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾ على أية حال ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ﴾ بأحوالكم ﴿الْحَكِيمُ﴾ بما يفعل بكم فعلياً - إذا - تحلة يمينك هذه بما حفظ الله.

٣ / ٦٦

٣- ﴿وَذَلِكَ﴾ إذ أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثاً ﴿خاصاً مستسراً إلى حفصة﴾ ﴿فَلَمَّا نَبَأَتْ بِهِ﴾ عائشة ﴿وَأُظْهِرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ أن نبأت به ﴿عَرَفَ بَعْضُهُ﴾ لعائشة أيضاً ﴿وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾ عله لم يسره إلى حفصة ﴿فَلَمَّا نَبَأَهَا﴾ عائشة ﴿بِهِ﴾ بما أسره لحفصة ﴿قَالَتْ﴾ حفصة ﴿مَنْ أَنْبَاكَ هَذَا﴾ إذ كان سرا بيننا أنفسنا ﴿قَالَ نَبَأَنِي الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾ و هذه خطوة أولى في الغفر الرحيم عما يراه من مظاهرتهم.

٤ / ٦٦

٤- ثم الثانية ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ﴾ مما صممتما عليه من مظهرة عليه ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ ميلاً عن الحق الحقيقي بتحقيقه للنبي (ص) ﴿وَأِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ﴾ تكديراً نسائياً ضده لجو المدينة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ﴾ يلي أمره الإمر غفراً و رحمة ﴿وَجِبْرِيلُ﴾ رسالة من الله ﴿وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ على ضوء رسالة الله، و عله على (ع) لتقدمه هنا على ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ بعد جبريل: و صالح المؤمنين، كما و هو مفرد لا يشمل جمعا، و من مظاهرتهم أن مارية جاءت بإبراهيم ابنها من ابن جريج، فتواردت آيات من النور ضد ذلك الإفك "إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ.." (٢٤: ١١) و كما عنت عائشة ضد ما أفتري عليها.

٥ / ٦٦

٥- ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَنَّ﴾ مما يلوح أن المظهرة شملت سائر نساءه بهما ﴿أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ﴾ إذ هن إذا ﴿مُسْلِمَاتٍ﴾ لله ﴿مُؤْمِنَاتٍ﴾ بالله ﴿قَانِتَاتٍ﴾ أمام الله ﴿تَائِبَاتٍ﴾ إلى الله ﴿عَابِدَاتٍ﴾ لله ﴿سَائِحَاتٍ﴾ في الله ﴿ثِيَابٍ وَ أَبْكَارًا﴾ تهديد حديد بهن إن أردن مواصلة مظاهرتهم عليه و قد بدأنها بإفكهن، فإيذاء الرسول (ص) عذاب على المؤذى و الذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم" (٩: ٦١) و رأس المظهرة هنا هما حفصة و عائشة، و عساهما تابتا عنها كما أمر الله "إِنْ تَتُوبَا".

٦ / ٦٦

٦- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ﴾ الذين يلحقونكم، أقرباء و أغرباء ﴿نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ﴾ المشركون ﴿وَالْحِجَارَةُ﴾ المعبودة لهم، و ما أشبه إلا أهل الجنة منهم "إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ" (٢١: ١٠١) ﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ على أهلها ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ بِهِ﴾.

٧ / ٦٦

٧- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ﴾ "وَلَا هُمْ يَسْتَعْتَبُونَ" (١٦: ٨٤) خزيا على خزي ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ﴾ نفس ﴿مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فله - إذا - حد كما لأعمالكم أصلا و أثرا.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٥٦١

٨ / ٦٦

٨- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ ينصحكم ألا ترجعوا إلى عصيان سالف و مثله ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ﴾ إذا ﴿أَنْ يَّكَفِّرَ عَنْكُمْ﴾ بالتوبة النصوح ﴿سَيِّئَاتِكُمْ﴾ التي هي صغائر المعاصي، كما "إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ" (٤: ٣١) ﴿وَيَدْخُلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ حرمة لكم ﴿يَوْمَ لَا يَخْزَىٰ اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ بالله، معية إيمانية رسالية على ضوء النبي ﴿نُورُهُمْ﴾ هناك ﴿يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ لمستقبل الخير ﴿وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ لحاضرة ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾ بين أيدينا و بإيماننا، زيادة على ما عملناه ﴿وَاغْفِرْ لَنَا﴾ ما أخطأنا ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ يناسب رحمتك و فضلك مهما لا نستحقهما.

٩ / ٦٦

٩- ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ و هم أكفر منهم، مهما اختلف جهادهما كيفية، و اتحد مادة ﴿وَاعْلِظْ عَلَيْهِمْ﴾ دفعا عن ضرهم و لا سيما المنافقين ﴿وَمَا وَاهُمْ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ بذلك المسير.

١٠ / ٦٦

١٠- و للدفع عن عصبية جاهلية لصالح نساء للنبي المظاهرات عليه، المؤذيات إياه ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَ امْرَأَتَ لُوطٍ﴾ الكافرتين ﴿كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا﴾ هذين ﴿صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا﴾ في صلاحهما الرسولي، فلم تؤمنا بهما ﴿فَلَمْ يَغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ ينجيهم، رغم الزوجية، و هي أقرب القرب ظاهريا ﴿وَقِيلَ﴾ بعد موتهما ﴿ادْخُلَا النَّارَ﴾ البرزخية ﴿مَعَ الدَّٰخِلِينَ﴾ دونما ميزة لكما بتلك الزوجية البارعة: "وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ. وَأَنْ سَعِيهِ سَوْفَ يَرَىٰ. ثُمَّ يَجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ" (٥٣: ٤١).

١١ / ٦٦

١١- ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ آسية المؤمنة لأعلاه ﴿إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ﴾ عندية الزلفى ﴿بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ برزخا و أخرى ﴿وَوَجَّعْنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ﴾ بى إذ يعذبني إلباء أن أكفر بك ﴿وَوَجَّعْنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ بحاشيته إذ هم يوازرونه فى تعذيبى، و دعاءها قد كان عند تعذيبها أن وتد فرعون لها أربعة أوتاد فى يديها و رجليها و أضجعها على صدرها و جعل على صدرها رحي و استقبل بها عين الشمس، فكانوا إذا تفرقوا عنها أظلتها الملائكة، فرفعت رأسها إلى السماء فقالت: "رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ ..".

١٢ / ٦٦

١٢- ﴿وَ﴾ من بعد امرأة فرعون "ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا" ثانيا ﴿مَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ دون غلط طول خدمتها ببيت المقدس بما نذرت أمها، مع كل خلط بالعباد، لذلك ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ﴾ فى فرجها ﴿مِنْ رُوحِنَا﴾ و هو المسيح بروحه و جسمه، فنسبة روحه إليه تعالى تشريفية لا تبيضية ﴿وَ صَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَ كُتِبَ عَلَيْهَا أَنَّهَا كَانَتْ مِنَ الْمُقَاتِلِينَ﴾ لله عبودية خالصة. هنا "فيه" نص على أن ذلك النفخ كان من موضع التناسل "فَرْجَهَا" * و فى أخرى "فيها" دون تأشير إلى "فَرْجَهَا" *: "وَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا" (٢١: ٩١) فحديث "جيبها" تفسيرا لـ "فيها" تخالف آية "فيه" حيث يعنى فرجها، فهو حدث مختلف يعرض عرض الحائط إذ فيه ما فيه.

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. تَبَارَكَ كُلُّ مَبَارَكٍ وَفُغْلِبَ عَلَيْهِ، اللَّهُ الَّذِي يَبْدَهُ لَا سَوَاهُ الْمَلِكُ كُلَّهُ وَهُوَ﴾ فقط ﴿عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ خلقاً لا من شيء كالخلق الأول، ثم منه كل شيء اللهم إلا اللاشيء المطلق المستحيل كونه شيئاً، فليس شيئاً تتعلق به قدرة، لا لنقص فيها بل قصوراً للمستحيل كونه شيئاً.

٢- ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ﴾ قبل الحياة وبعدها ﴿وَالْحَيَاةَ﴾ بينهما و يوم الأخرى ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ بهما، اعتباراً عند الحياة بهما، و بالموت قبلها وبعدها فيها ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ لكلا الحياة و الموت بعدها ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ على كل شيء ﴿الْغَفُورُ﴾ عن كل نقص.

٣- ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ الأولى المحيطة علينا هي مكان "مصايح" ﴿طَبَاقًا﴾ بعضها فوق بعض ﴿مَا تَرَى﴾ كيفما كانت الرؤية و من أى كانت ﴿فِي﴾ أصل ﴿خَلَقَ الرَّحْمَنُ﴾ شيئاً ﴿مِنْ تَفَاوُتٍ﴾ و تناف، ف "كُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ" (٨: ١٣) ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ﴾ ككل ببصيرة، بعد الأول ﴿هَلْ تَرَى﴾ إذا، شيئاً ﴿مِنْ فُطُورٍ﴾ و اختلال و فتور كأصل الخلق، بعد ما فطره الفاطر على قيوميته البارعة.

٤- ﴿ثُمَّ﴾ بعد الإبصارين إلى الكون ﴿ارْجِعِ الْبَصَرَ﴾ إليه ﴿كَرَّتَيْنِ﴾ إثنين، و هذه أربع ﴿يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ﴾ أياً كان في كراته ﴿خَاسِئًا﴾ كليلاً بعيداً عن نقد و انتقاص ﴿وَالْحَالِ﴾ ﴿هُوَ حَسِيرٌ﴾ في كل مسير و مصير، انحساراً عن كل فطور و فتور، و ذلك تحدّ مطلق على طول الخط، أنه "ما تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ" مهما بلغ العلم و العقل الذروة الممكنة.

٥- ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا﴾ إليكم، و هي الأولى، دون سماء الدنيا حتى تقابل الآخرة ﴿بِمَصَابِيحٍ﴾ الكواكب: "إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ. وَ حِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ" (٧: ٣٧) ﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ "دُحُورًا وَ لَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ. إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ" (١٠: ٣٧) ﴿وَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ﴾ بعد ذلك ﴿عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ النار شديدة التأجج في الأخرى.

٦- ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَ بئسَ الْمَصِيرُ﴾ لهم بذلك المسير الكافر "وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا".

٧- ﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهيقًا﴾ صوتاً مزعجاً ﴿وَهُى تَفُورٌ﴾ و تنور، من فورة أعمالهم و ثورتها، فإنهم "حَصَبُ جَهَنَّمَ".

٨- ﴿تَكَادُ تَمَيِّزُ﴾ نار جهنم ﴿مِنَ الْغَيْظِ﴾ شهقة و فورة ﴿كَلَّمَا أَلْقَى فِيهَا فَوْجٌ﴾ من أهلها ﴿سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ "أَو لَمْ نَعْمَرِكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَ جَاءَكُمْ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ" (٣٥: ٣٧).

٩- ﴿قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا﴾ ه ﴿وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ على بشر ﴿إِنْ أَنْتُمْ﴾ البشر المدعون نذارة ربانية ﴿إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾ نفسه، لأنكم بشر "أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِيَ ضَلَالٍ وَ سُعُرٍ" (٥٤: ٢٤).

١٠ / ٦٧

١٠- ﴿وَقَالُوا لَوْ﴾ امتناعا باختيار ﴿كُنَّا﴾ يوم التكليف ﴿نَسْمَعُ﴾ الحق ﴿أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ فالسمع حجة برانية و العقل حجة دخلائية، تركناهما.

١١ / ٦٧

١١- ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ﴾ تكذيبا للنذير دون سمع عنه و لا تعقل ﴿فَسُحْقًا﴾ و محقا ﴿لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾.

١٢ / ٦٧

١٢- ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾ غيبا لربهم، و غيبا عن الناس، و غيبا فى قلوبهم ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ عن قصور لهم أو تقصير ﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ بعدها، رحمة على رحمة، إزاحة لكل زحمة.
البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٥٦٣

١٣ / ٦٧

١٣- ﴿وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ﴾ صالحا أو طالحا ﴿أَوْ أَجْهَرُوا بِهِ﴾ كذلك، فلا يفرق عنده تعالى ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ "وَأِنْ تَجْهَرُوا بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى" (٧: ٢٠).

١٤ / ٦٧

١٤- ﴿أَلَا يَعْلَمُ﴾ الخلق ﴿مَنْ خَلَقَ﴾ إياه، بذلك الإلتقان و النظم البارع، و لزامهما العلم المحيط لمثلث الزمان و قبله و بعده ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ﴾ فى خلقه و علمه به ﴿الْخَبِيرُ﴾ بما حصل و يحصل فيه، حيث الكل منه ولديه.

١٥ / ٦٧

١٥- ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ﴾ هذه ﴿الْأَرْضَ ذُلُولًا﴾ ذلًا بعد شماس، إذ كانت قبل فى حراك شمس، لا تحن لراكب، فجعلها الله بعد شماس و ارتكاس "ذلولا" لا يحس حراكه المعتدل ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ كأنها إبل ذلول، و "مناكبها" هى كل ما يمشى عليه منها، برا و بحرا و جوا، فكله مشى و حراك ﴿وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ المنثور فى "مناكبها" ﴿وَالِيهِ النُّشُورُ﴾ يوم النشور، فعليكم أن تعبروا برزقه اعتبارا ليوم النشور.

١٦ / ٦٧

١٦- ﴿أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ من عمال رب العالمين ﴿أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ﴾ شقا لها و تعيبا إياكم فيها ﴿فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ مورا، ترددا ذهابا، و إيابا، فيغرقكم من فورها فى مورها.

١٧ / ٦٧

١٧- ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ ريحا تأتي بالحصى و الحجارة، كقوم لوط "إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا" (٥٤: ٣٤) ﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾ عند خسف أو حاصب ﴿كَيْفَ نَذِيرٍ﴾ ي إياكم بواقع العذاب الذى خلقه تكذيبكم، ف "مَنْ فِي السَّمَاءِ" هنا و هناك، ليس هو الله "وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ" و "فِي الْأَرْضِ إِلَهُ" (٤٣: ٨٤) كينونة ألوهية، لا كونا و سكنى فيما خلقه هو.

١٨ / ٦٧

١٨- ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من كفره التاريخ ﴿ف﴾ انظروا ﴿كَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ ي عليهم، عذابا هنا.

١٩ / ٦٧

١٩- ألم يروا إلى عجائب الخلق فيعرفوا الخالق ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ﴾ حالكونهن ﴿صَافَّاتٍ وَ يَقْبِضْنَ مَا يَمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ﴾ الذي خلقهن ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ و قد اخترع طائرات تعلمنا من الطير، كما " ما يمسكهن " كذلك " إِلَّا الرَّحْمَنُ " فإنه خالق كل صانع و مصنوع.

٢٠ / ٦٧

٢٠- ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ﴾ أمام مصائب ﴿يَنْصُرُكُمْ﴾ فيها ﴿مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ﴾ " وَ يَرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً " (٦: ٦١) ﴿إِنَّ الْكَافِرُونَ إِلَّا﴾ غارقين ﴿فِي غُرُورٍ﴾.

٢١ / ٦٧

٢١- ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ﴾ الرحمن ﴿رِزْقَهُ﴾ من السماء و الأرض ﴿بَلْ لَجُوا فِي عُتُوٍّ﴾ على الله ﴿وَ نُفُورٍ﴾ عن الله " أَلَيْسَ الْبَاطِلُ يُؤْمِنُونَ وَ بِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ " (١٧: ٧١).

٢٢ / ٦٧

٢٢- ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي﴾ في مشيته، حالكونه ﴿مُكِبًا عَلَى وَجْهِهِ﴾ غويا، إذ لا يمشي على الوجه بأى وجه، و لا سيما وجه الفطرة التى يجب إقامتها فى كل مشى: " فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا " (٣٠: ٣٠) أهو ﴿أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا﴾ موجهها وجه الفطرة إلى الدين حنيفا ﴿عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

٢٣ / ٦٧

٢٣- ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَ جَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَ الْبَصَارَ﴾ للسمع و الإبصار ﴿وَ الْأَفْئِدَةَ﴾ القلوب التى لها أن تتفقد بالنور بسمع و إبصار و تعقل صالح ﴿قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ و كثيرا ما تكفرون كفرا و كفرا.

٢٤ / ٦٧

٢٤- ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ﴾ إظهارا ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ " وَ اللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا " (٧٠: ٣١) ﴿وَ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ جمعا.

٢٥ / ٦٧

٢٥- ﴿وَ يَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ الحشر ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ و لا رباط لصدق الوعد بمعرفة متاه و مداه.

٢٦ / ٦٧

٢٦- ﴿قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ﴾ بمتاه ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ لا سواه ﴿وَ إِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ إنذارى الرسول ببيانات آيات الله.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٥٦٤

٢٧ / ٦٧

٢٧- ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ المحشر ﴿زُلْفَةً﴾ قريبة إليهم، بأشراطه كالرجعة و بنفسه بمشارفة ﴿سَيِّئَةٍ﴾ إذا ﴿وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ به، بكل الوجوه ﴿وَ قِيلَ﴾ من قائل ربانى ﴿هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ﴾: تطلبونه متعنتين هارئين " متى هذا الوعد إن كنتم صادقين " فقد أتى متاه بمداه، و لات حين مناص و قد فات يوم خلاص.

٢٨ / ٦٧

٢٨- ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَ مَنْ مَعِيَ﴾ من المؤمنين، فى النذارة و كما تطلبون ﴿أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ﴾ بالله ﴿مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ من الله، بانقطاع الدعوة الربانية بعد إذ حصلت، فكما الإنذار فرض لتلك الإجارة كذلك دوامتها لدوامه الإجارة، فلا يفيدكم هلاكنا لو هلكنا، بل يضركم.

٢٩ / ٦٧

٢٩- ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ الرَّحْمَنُ﴾ رحمة عامة، فضلا عن الخاصة ﴿أَمَّا بِهِ﴾ أنفسنا من عذاب أليم ﴿وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ في مسيرنا و مصيرنا إلى الرحمن ﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾ غدا ﴿مَنْ هُوَ﴾ غارق ﴿فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ نفسه، عند مجيء العذاب، مهما تجاهلتم عنه هنا.

٣٠ / ٦٧

٣٠- ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْحَحَ مَاؤُكُمْ﴾ كمادة لحياة، جسمية أو روحية ﴿غَوْرًا﴾ في الأرض أو في السماء ﴿فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ معين لكم تستمدون به لحياة، روحا أو جسما "قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَّنًا بِهِ".
سورة القلم

١ / ٦٨

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قسما ب ﴿ن﴾ و عليها النبي، يقسم بنبوته نفسه ﴿و﴾ قسما ب ﴿الْقَلَمِ﴾ و هو هنا قلم النبوة الراسمة رسالات الوحي ﴿و﴾ قسما ب ﴿مَا يَسْطُرُونَ﴾ ه من وحي على قلب النبي (ص) ف "يَسْطُرُونَ" هنا جمعا تعنى كافة رسل الوحي بمن فيهم الروح الأمين، أقسام ببرهان و نور مبين هو النبي نفسه فإنه مجمع الثقلين: القرآن و محمد، فهو محمد القرآن و قرآن محمد، دليل واحد على ثنويته، بأنه.

٢ / ٦٨

٢- ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾ النبوة ﴿بِمَجْنُونٍ﴾ فهل إن نور الوحي الأخير على نور الفؤاد الأخير جنون كما كانوا يقولون و يغولون.

٣ / ٦٨

٣- ﴿وَإِنْ لَكَ لَأَجْرًا﴾ من ربك ﴿غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ عليك منه، و لا منقطع عنك ما دمت حيا، و لا بعدك عن المكلفين لدوامه وحيه تكليفا حتى القيامة الكبرى.

٤ / ٦٨

٤- ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ﴾ محيطا ﴿خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ تأكيدات أربع لخلق المنقطع النظير، و العظيم عند الله هو إله العظمة إن صح التعبير، فكيف هو "عَبَسَ وَ تَوَلَّى. أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى" (٨٠: ٢) و ليس العابس إلا على سوء عظيم من خلق.

٥ / ٦٨

٥- ﴿فَسَتَبْصِرُ﴾ عيانا، كما تعلم الآن ﴿وَيَبْصُرُونَ﴾ علما و عيانا بعد تجاهل الآن.

٦ / ٦٨

٦- ﴿بِأَيْكُمْ﴾ العقل ﴿الْمَقْتُونُ﴾ بفتنة الجنون.

٧ / ٦٨

٧- ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ نكرانا للنبوة إلى أن جنّوه ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ إليها فيك.

٨ / ٦٨

٨- ﴿فَلَا تَطْغِ الْمُكَذِّبِينَ﴾ الله في نبوتك، مداهنة.

٩ / ٦٨

٩- إذ ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ﴾ إليهم ﴿فَيُدْهِنُونَ﴾ إليك، و لا مداهنة و أنصاف حلول في حكم الله "أَفِيهِذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ. وَ تَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تَكْذِبُونَ" (٥٦: ٨٢).

١٠ / ٦٨

١٠- ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ﴾ بما يحلف ﴿مَهِينٍ﴾ فى حلفه بخلفه.

١١ / ٦٨

١١- ﴿هَمَّازٍ﴾ غياب ﴿مَشَاءٍ بَنَمِيمٍ﴾.

١٢ / ٦٨

١٢- ﴿مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ﴾ كله ﴿مُعْتَدٍ﴾ على الحق و أهليه ﴿أَثِيمٍ﴾ إبطاء عما يجب.

١٣ / ٦٨

١٣- ﴿عُتْلٌ﴾ أخذ بمجامع الرذائل تاركا جوامع الفضائل ﴿بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ﴾ لا أصل له ولادة و لا تربية.

١٤ / ٦٨

١٤- ل ﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَ بَنِينَ﴾.

١٥ / ٦٨

١٥- ﴿إِذَا تَتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ﴾ إنها ﴿أَسَاطِيرُ﴾ خرافات مسطورة من ﴿الْأَوَّلِينَ﴾ فلا أصالة له حاضرا و لا ماضيا غابرا.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٥٦٥

١٦ / ٦٨

١٦- ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرُطُومِ﴾ وسما و صما، علامة الكفر على أنفه كخرطوم الفيل استكبارا، و هو الوحيد، و قد وسم على خرطومه يوم بدر، ثم يوسم فى البرزخ و الرجعة و القيامة.

١٧ / ٦٨

١٧- ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ﴾ أولاء الحماقى الأنكاد ﴿كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ البستان هنا ﴿إِذْ أَقْسَمُوا﴾ بما أقسموا ﴿لَيَصْرِمُنَّهَا﴾ قطع الجنة بثمراتها، حالكونهم ﴿مُصْبِحِينَ﴾.

١٨ / ٦٨

١٨- ﴿وَ﴾ الحال أنهم ﴿لَا يَسْتَنْتُونَ﴾ بالله بقول: إنشاء الله، و لا أهل الله ان ينفقوا منها عليهم فى سبيل الله، اعتداء على الله و أهل الله.

١٩ / ٦٨

١٩- ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا﴾ الجنة ﴿طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ﴾ صرما بصرمهم، و جرما بجرمهم، فصرموها مع أصلها ﴿وَ﴾ الحال أن ﴿هُمْ﴾ نائمون ﴿لَيْلًا﴾.

٢٠ / ٦٨

٢٠- ﴿فَأَصْبَحَتْ﴾ جنتهم ﴿كَالْصَّرِيمِ﴾ المقطوعة الأثمار، بل و الأشجار و هم غافلون.

٢١ / ٦٨

٢١- ﴿فَتَنَادَوْا﴾ فيما بينهم حالكونهم ﴿مُصْبِحِينَ﴾ كما أقسموا.

٦٨ / ٢٢

٢٢- ﴿أَنْ اغْدُوا﴾ بكرة ﴿عَلَى حَرْثِكُمْ﴾ بحرصكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ﴾ حرثكم.

٢٣ / ٦٨

٢٣- ﴿فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَفَتُونَ﴾ فى أقدام و إقدام و فى الكلام، إخفاتا عن كل جهه.

٢٤ / ٦٨

٢٤- ل ﴿أَنْ لَا يَدْخُلْنَهَا﴾ الجنة ﴿الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ﴾ واحد، خلاف سائر الأيام.

٢٥ / ٦٨

٢٥- ﴿وَعَدُوا﴾ أصبحوا أمام أمهم الحليف ﴿عَلَى حَرْدٍ﴾ منع عن حدة و غضب، حالكونهم ﴿قَادِرِينَ﴾ قدرة و قدرا و قد تباينا عن الواقع المصروم من رب العالمين.

٢٦ / ٦٨

٢٦- ﴿فَلَمَّا رَأَوْهَا﴾ هكذا ﴿قَالُوا إِنَّا لَضَالُونَ﴾ سبيل الحق بداية: "وَلَا يَسْتَنْتُونَ".

٢٧ / ٦٨

٢٧- ﴿بَلْ نَحْنُ مُحْرَمُونَ﴾ عن حرثنا و الجنة نهاية "خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ" (٢٢: ١١).

٢٨ / ٦٨

٢٨- ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ عمرا، لا إيماننا حيث الأكبر هو أخرى هنا ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ﴾ عند إقسامكم ﴿لَوْ لَا تُسَبِّحُونَ﴾ الله أن استثنوا "وَلَا يَسْتَنْتُونَ".

٢٩ / ٦٨

٢٩- ﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبَّنَا﴾ عما غفلنا ﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ أنفسنا.

٣٠ / ٦٨

٣٠- ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ منهم و عليهم هم دون أوسطهم ﴿يَتَلَاوَمُونَ﴾ فيما بينهم.

٣١ / ٦٨

٣١- ﴿قَالُوا﴾ فيما بينهم ﴿يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ﴾ على الله و على أهل الله، بل على أنفسنا.

٣٢ / ٦٨

٣٢- ﴿عَسَى رَبَّنَا﴾ بعد ما تندمنا ﴿أَنْ يَبْدِلَنَا﴾ عن جنتنا ﴿خَيْرًا مِنْهَا﴾ هنا و فى الأخرى ﴿إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾ عما أخطأنا.

٣٣ / ٦٨

٣٣- ﴿كَذَلِكَ﴾ العظيم هنا ﴿الْعَذَابُ وَالْعَذَابُ الْآخِرَةُ أَكْبَرُ﴾ منه ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ و لكنهم يجهلون.

٣٤ / ٦٨

٣٤- ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ فى الآخرة عندية الزلفى بعالمه الخاص ﴿جَنَّاتٍ النَّعِيمِ﴾.

٣٥ / ٦٨

٣٥- ﴿أَف﴾ بعد ذلك ﴿نَجْعَلُ﴾ هنا و هناك ﴿الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ فى عذاب كعذابهم، أو دون ثواب للمسلمين كما المجرمين، أو تسوية على أية حال.

٣٦ / ٦٨

٣٦- ﴿مَا لَكُمْ﴾ من تخبط عشواء ﴿كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ لأعدل العادلين.

٣٧ / ٦٨

٣٧- ﴿أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ﴾ وحى ﴿فِيهِ تَدْرُسُونَ﴾ ما تقولون، مما يدل على أن الحجة هو كتاب الله فحسب.

٣٨ / ٦٨

٣٨- ﴿إِنَّ لَكُمْ فِيهِ﴾ الكتاب ﴿لَمَّا تَخِيرُونَ﴾ مثل ذلك الحكم الظالم.

٣٩ / ٦٨

٣٩- ﴿أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا﴾ فيما تقولون، هي ﴿بِالْعَةِ﴾ بمفعولاتها ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ فكما لكم أحكام ظالمة بأيمانكم هنا، كذلك ليوم الأخرى ﴿إِنَّ لَكُمْ لَمَّا تَحْكُمُونَ﴾ بأيمانكم.

٤٠ / ٦٨

٤٠- ﴿سَلِّمُوا إِلَيْهِمْ بِذَلِكَ﴾ الذى ذكر ﴿زَعِيمٌ﴾ زعما فضلا عن علم.

٤١ / ٦٨

٤١- ﴿أَمْ﴾ لا هذا و لا ذاك، بل ﴿لَهُمْ شُرَكَاءُ﴾ لله ﴿فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ﴾ بما يقولون ﴿إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾.

٤٢ / ٦٨

٤٢- ﴿يَوْمَ يَكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ لهم فى سوقهم، عما كان خفيا عنهم: " لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ " (٥٠: ٢٢) ﴿وَاذْعُونَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ أن يسجدوا.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٥٦٦

٤٣ / ٦٨

٤٣- حالكونهم ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ﴾ باطنا إلى ظاهره خشوع الأبصار هناك، خلاف إحقاقها إلى الباطل هنا ﴿تَرْهَقُهُمْ﴾ حيلة بهم ﴿ذَلَّةٌ﴾ على مرضهم بما فعلوا ﴿وَ﴾ الحال أنهم ﴿قَدْ كَانُوا يَدْعُونَ﴾ هنا ﴿إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ ظالمون.

٤٤ / ٦٨

٤٤- ﴿فَذَرْنِي﴾ دون محاولة منك إلا الدعوة ﴿وَ﴾ مع ﴿مَنْ يَكْذِبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾ الذى جئت به كحياة الحساب ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ﴾ بمستقبل أمرهم الإمر، درجا فى العذاب إملاء و إمهالا فى راحة النعمة النعمة ﴿مَنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

٤٥ / ٦٨

٤٥- ﴿وَ أَمْلَى لَهُمْ﴾ باستدراجهم بكيدى العادل المكين ﴿إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ أصيل يضرب على متن الحياة المكيدة المستدرجة: " و لا يحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم خير لأنفسهم إنما نملى لهم ليزدادوا إثما و لهم عذاب مهين " (٣: ١٧٨).

٤٦ / ٦٨

٤٦- ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا﴾ على رسالتك و لذلك ﴿فَهُمْ مِنْ مَّغْرَمٍ﴾ أمامك ﴿مُنْقَلُونَ﴾ فلا يقبلون الحق استقلا لأجر، عن إيمان لا دافع عنه إلا إياه.

٤٧ / ٦٨

٤٧- ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ﴾ من الله أو سواه ﴿فَهُمْ يَكْتُمُونَ﴾ إياه، فعليه - إذا - يعتمدون.

٤٨ / ٦٨

٤٨- ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ الرسول الحالى و المستقبلى دونما استعجال ﴿وَ لَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ " ذا النون " " يونس " ﴿إِذْ نَادَى وَ﴾ الحال أنه ﴿هُوَ مَكْظُومٌ﴾ الغضب عن قومه بما كضمه الله أن تابوا فدفع الله عنهم العذاب.

٤٩ / ٦٨

٤٩- ﴿لَوْ لَا أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ "أَنْ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ" (٢١: ٨٧)
﴿لَنَبْذِئَكَ مِنْفُورًا﴾ بِالْعَرَاءِ ﴿الصَّحْرَاءِ﴾ ﴿وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ لِأَقْلٍ تَقْدِيرٍ، إِذْ "فَلَوْ لَا أَنَّهُ كَانَ" فِيمَا كَانَ "مِنَ الْمُسَبِّحِينَ لِلْبَيْتِ فِي بَطْنِهِ
إِلَى يَوْمٍ يَبْعَثُونَ" (٣٧: ١٤٤).

٥٠ / ٦٨

٥٠- وَلَكِنْ بِسَابِقِ تَسْبِيحِهِ وَلاحقه ﴿فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ المرسلين، مما يدل على أنه ما كان رسولا رسميا من
ذى قبل.

٥١ / ٦٨

٥١- ﴿وَإِنْ يَكَادُ﴾ كِيدًا وَ كُودًا ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَ﴾ إِزْلَاقًا وَ إِضْلَالًا ﴿بِأَبْصَارِهِمْ﴾ إِبْصَارًا اسْتَفْزَازًا وَ إِنْ كَادُوا
لَيَسْتَفْزِقُونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا" (١٧: ٧٦) ﴿لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَ يَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ﴾ "وَ إِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا"
(١٧: ٧٦).

٥٢ / ٦٨

٥٢- ﴿وَ مَا هُوَ﴾ بِهَوِيَّتِهِ الرِّسُولِيَّةِ ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ مِنَ اللَّهِ ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ أَجْمَعِينَ، ذَكَرَ مُحَمَّدٌ قَرَأَنِي "نُورٌ عَلَى نُورٍ".

سورة الحاقة

١ / ٦٩

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. الْحَاقَّةُ﴾ الْحَقِيقَةُ الْحَقَّةُ الْمُؤَكَّدَةُ.

٢ / ٦٩

٢- ﴿مَا الْحَاقَّةُ﴾.

٣ / ٦٩

٣- ﴿وَ مَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾ إِلَّا وَحْيٌ مِنْ صَاحِبِ الْحَاقَّةِ، وَ هِيَ الْقَارِعَةُ.

٤ / ٦٩

٤- ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَ عَادُ بِالْقَارِعَةِ﴾ الْحَاقَّةِ، الَّتِي تَقْرَعُهُمْ وَ تَضْرَعُهُمْ كَمَا تَقْرَعُ الْعَالَمَ كُلَّهُ.

٥ / ٦٩

٥- ﴿فَإِمَّا نُمُودُ فَأُهْلِكُوا ب﴾ الصَّيْحَةِ ﴿الطَّاغِيَةِ﴾ "فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَ هُمْ يَنْظُرُونَ" (٥١: ٤٤).

٦ / ٦٩

٦- ﴿وَ أَمَّا عَادُ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾ بِالْغَةِ فِي الصَّرِّ وَ الْبَرْدِ الْقَرِّ ﴿عَاتِيَةٍ﴾ مُتَجَاوِزَةً حَدَّ الصَّرِّ وَ الضَّرِّ.

٧ / ٦٩

٧- ﴿سَخَّرَهَا﴾ اللَّهُ ﴿عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَ ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ يَحْصِمُهُمْ وَ يَحْطِمُهُمْ ﴿فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ
نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ مَقْلَعَةً عَنْ جَذُورِهَا "إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ. تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ"
(٥٤: ٢٠).

٨ / ٦٩

٨- ﴿فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ﴾ حَالَةٍ ﴿بَاقِيَةٍ﴾ إِلَّا بَاقِيَةً بِأَثَارِهِمُ الطَّاغِيَةِ "فَاصْبَحُوا لَا يَرَى إِلَّا مَسَاكِينُهُمْ" (٤٦: ٢٥) الْخَاوِيَةُ الْخَالِيَةُ.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٥٦٧

٩ / ٦٩

٩- ﴿وَ جَاءَ فِرْعَوْنُ﴾ بدوره المعارض للحق ﴿وَمَنْ قَبْلَهُ﴾ كذلك ﴿و﴾ على الجملة كل الجماعات ﴿الْمُؤْتَفِكَاتُ﴾ المفتريات على الله و رسله ﴿ب﴾ الحياة ﴿الْخَاطِئَةُ﴾ عن الحق.

١٠ / ٦٩

١٠- ﴿فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾ كأنه واحد لوحدة الرسالة ﴿فَأَخَذَهُمُ﴾ الله ﴿أَخَذَةً رَابِيَةً﴾ تربوا عليهم متغلبة متألبة "إِنَّ أَخَذَهُ إِلِيمٌ شَدِيدٌ" (١١: ١٠٢).

١١ / ٦٩

١١- و مثالا عليها ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ﴾ فى طوفان نوح ﴿حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ سفينة نوح، و هم لم يكونوا حينذاك إلا ذرية "و آيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ" (٣٦: ٤١) إضافة للذرية إلى نفسها لكان "حَمَلْنَاكُمْ".

١٢ / ٦٩

١٢- ﴿لَنَجْعَلَهَا﴾ السفينة ﴿لَكُمْ﴾ المكلفين إلى يوم الدين ﴿تَذَكُّرَةً﴾ إن رأيتموها ﴿وَتَعِيَهَا﴾ تذكرة السفينة ﴿أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ كما نجد أنقاضا منها على الجودى، عليها أسماء الخمسة الطاهرة بخط نوح (ع) شرحناها فى الفرقان.

١٣ / ٦٩

١٣- ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ البوق الناقور ﴿نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ هى الأولى الإماتة.

١٤ / ٦٩

١٤- ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾ بها ﴿فَذُكَّتَا ذَكَّةً وَاحِدَةً﴾ بمن فيها.

١٥ / ٦٩

١٥- ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ القيامة الباءة الأولى إماتة.

١٦ / ٦٩

١٦- ﴿وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ مسترخية بعد شدادها "وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا" (٧٨: ١٢).

١٧ / ٦٩

١٧- ﴿وَالْمَلَكُ﴾ كلهم ﴿عَلَى أَرْجَائِهَا﴾ طرفها بعد انشقاقها ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ﴾ علما و تدييرا ليوم القيامة بما أمر الله، لا عرشه نفسه المختص به ﴿فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ عند خراب العالم كله ﴿ثَمَانِيَةٌ﴾ أشخاص كروبيين، من ملائكة و من سائر المقربين، هم أصفى الأصفياء بينهم أجمعين، ثم نفخة ثانية "وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ" (٣٩: ٦٨).

١٨ / ٦٩

١٨- ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾ على الله بمحشره كما يعرفه الكل، مهما كانوا معروضين عليه يوم الدنيا ﴿لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ من نية أو عملية، كانتا فى خفاء، أو بعد انقضاءهما إذ خفيتا عنا.

١٩ / ٦٩

١٩- ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ من أصحاب اليمين ﴿فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَأُوا كِتَابِي﴾ وجدا بما يوجد فيها من صالحات.

٢٠ / ٦٩

٢٠- ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ﴾ قلبيا، قطعا فى عقلى ﴿أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيهِ﴾ و قد لقيتيه.

٢١ / ٦٩

٢١- ﴿فَهُوَ﴾ إذا غارق ﴿فِي عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ مبالغة في كونها مرضية.

٢٢ / ٦٩

٢٢- ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ معنوية و مادية، لأنها "عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَى". عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى " (٥٣: ١٤).

٢٣ / ٦٩

٢٣- ﴿فُطُوْفُهَا﴾ روحية و جسمية ﴿دَانِيَةٍ﴾ إليهم.

٢٤ / ٦٩

٢٤- فيقال لهم ﴿كُلُوا وَ اشْرَبُوا هَنِيئًا﴾ سائغا دون انتقاص ﴿بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ الماضية من ذى قبل.

٢٥ / ٦٩

٢٥- ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ﴾ من أصحاب الشمال الساقطين في محنة الحياة ﴿فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهِ﴾ لكى لا أفتضح.

٢٦ / ٦٩

٢٦- ﴿وَلَمْ أَذِرْ﴾ بكتابى و سواه ﴿مَا حِسَابِيهِ﴾.

٢٧ / ٦٩

٢٧- ﴿يَا لَيْتَهَا﴾ القارعة ﴿كَانَتْ﴾ هى ﴿الْقَاضِيَةِ﴾ على يَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا (٧٨: ٤٠).

٢٨ / ٦٩

٢٨- ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي﴾ هنا ﴿مَالِيهِ﴾ على كثرته بحسرتة.

٢٩ / ٦٩

٢٩- ﴿هَلَكَ عَنِّي﴾ هنا ﴿سُلْطَانِيهِ﴾ على مال و حال، فيقال:

٣٠ / ٦٩

٣٠- ﴿خَذُوهُ﴾ "أَخْذًا وَبِيْلًا" ﴿فَعَلُوهُ﴾ بما غل نفسه يوم الدنيا.

٣١ / ٦٩

٣١- ﴿ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلَّوْهُ﴾ أوقدوه "أُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ" (٣: ١٠).

٣٢ / ٦٩

٣٢- ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ﴾ من الأغلال ﴿ذَرَعُهَا﴾ طولها ﴿سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾ لعله رمز الكثرة ﴿فَاسْلُكُوهُ﴾.

٣٣ / ٦٩

٣٣- ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾ أمام الله.

٣٤ / ٦٩

٣٤- ﴿وَلَا يَحْضُ﴾ تحريضا نفسه و سواه ﴿عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ﴾ أمام خلق الله.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٥٦٨

٣٥ / ٦٩

٣٥- ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ﴾ يحم معه و يلتحم، من إيمان بالله، و عطف على خلق الله، و شفيع بإذن الله: "إِلَّا حَمِيمًا وَ غَسَّاقًا" (٧٨: ٢٤) "يَصَّبُ مِنْ فَوْقِ رُؤُسِهِمُ الْحَمِيمُ" (٢٢: ١٩) "الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ" (٤٣: ٦٧).

٣٦ / ٦٩

٣٦- ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ غسالة أهل الجحيم من كل قيح قبيح.

٣٧ / ٦٩

٣٧- ﴿لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾ هكذا "لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ" (٨٨: ٦) ببكاء ضارع قارع.

٣٨ / ٦٩

٣٨- ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ﴾.

٣٩ / ٦٩

٣٩- ﴿وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ يعنيان كل شيء هو آية الحق و الصدق، لا أقسم بها، لأن الرسول بكتابه أفضل الآيات.

٤٠ / ٦٩

٤٠- ﴿إِنَّهُ﴾ القرآن ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ﴾ من الله، لا نفسه ﴿كَرِيمٍ﴾ عند الله لا بنفسه.

٤١ / ٦٩

٤١- ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾ أيا كان ﴿قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ﴾ إن تؤمنوا.

٤٢ / ٦٩

٤٢- ﴿وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ الحق الحقيقي بالتصديق.

٤٣ / ٦٩

٤٣- بل هو ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ حيث يظهر فيه الربوبية العالمية، فلا حاجة إلى إقسام بغير القرآن لوحيه، بل هو أدل دليل على وحيه: "وَالْقُرْآنُ الْحَكِيمُ. إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ".

٤٤ / ٦٩

٤٤- ﴿وَلَوْ﴾ مستحيلا ﴿تَقُولُ﴾ كذبا ﴿عَلَيْنَا﴾ رب العالمين ﴿بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ﴾ و هو ثابت الرسالة منا.

٤٥ / ٦٩

٤٥- ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ﴾ رسالة الوحي ﴿بِالْيَمِينِ﴾ الرباني، دون إبقاء لرسالته و هو متقول!

٤٦ / ٦٩

٤٦- ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ وتين الوحي، أو و معه وتين حياته.

٤٧ / ٦٩

٤٧- ﴿فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ﴾ مدافعين ﴿حَاجِزِينَ﴾ إذ لا يصبر ربنا على كذب من رسوله.

٤٨ / ٦٩

٤٨- ﴿وَإِنَّهُ﴾ القرآن و محمد، و كذلك ذلك الأخذ و القطع "لَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا" ﴿لَتَذَكَّرَ الْمُتَّقِينَ﴾.

٤٩ / ٦٩

٤٩- ﴿وَإِنَّا﴾ بجمعية العلم ﴿لَنَعْلَمَنَّ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ﴾.

٥٠ / ٦٩

٥٠- ﴿وَإِنَّهُ﴾ كذلك ككل ﴿لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ تحسروا و تغيظا على واقع الحق المبين.

٥١ / ٦٩

٥١- ﴿وَإِنَّهُ﴾ كذلك ﴿لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾ لا حول عنه.

٥٢ / ٦٩

٥٢- ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ حيث رباك هكذا بوحيه البارع القارع المكذبين و الحمد لله رب العالمين.

سورة المعارج

١ / ٧٠

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. سَأَلَ سَائِلٌ عَذَابًا هَذَا﴾ ﴿ب﴾ سبب ﴿عَذَابٍ﴾ هو لا محالة ﴿وَاقِعٍ﴾ يوم الدين، أن لو كان هناك عذاب فليأتنا هنا منه عذاب" و إِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ" (٨: ٣١) أ فَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ" (٣٦: ٢٠٤) و قَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ" (٣٨: ١٦).

٢ / ٧٠

٢- بِعَذَابٍ وَاقِعٍ" ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ بحيث ﴿لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾ "عَذَابٍ وَاقِعٍ مِنَ اللَّهِ" لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ.

٣ / ٧٠

٣- ﴿مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ﴾ إليه، حيث يعرج إليه كل عارج كما يناسب ربانيته، و من ذلك أنه:

٤ / ٧٠

٤- ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَ الرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ عملاً ليوم الحساب ﴿فِي يَوْمٍ﴾ زمان ﴿كَانَ مِقْدَارُهُ﴾ في مقاديرنا ﴿خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ و كما" يَدْبُرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يُعْرِجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ" (٣٢: ٤٧) فكل الألف و الخمسين الألف هما" مِمَّا تَعُدُّونَ" و عل" يَوْمٍ" هنا و هناك هو واحد الزمان الربوبي و هو أبسط حركة و أولها للمادة، تدليلاً على عدم حاجته تعالى لإمضاء أمره إلى طائل زمان.

٥ / ٧٠

٥- ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾.

٦ / ٧٠

٦- ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا﴾.

٧ / ٧٠

٧- ﴿وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾.

٨ / ٧٠

٨- ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾ دردى الزيت.

٩ / ٧٠

٩- ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ الصوف المنفوش.

١٠ / ٧٠

١٠- ﴿وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٥٦٩

١١ / ٧٠

١١- ﴿يَصْرُوهُمْ﴾ تعريفا لهم بكل حميم لهم، بعد ما جهلوا أنفسهم لشدة الطامة الكبرى، و حينئذ ﴿يُودُّ الْمُجْرِمُ لَوْ﴾ مستحيلا، أن ﴿يَفْتَدِيَ﴾ عن نفسه ﴿مِنْ عَذَابٍ يُمِيزُ بَيْنَهُ﴾ و هم أعز الناس إليه، من كان يفتدى بنفسه لهم يوم الدنيا.

١٢ / ٧٠

١٢- ﴿وَصَاحِبَتِهِ﴾ حليته ﴿وَأَخِيهِ﴾.

١٣ / ٧٠

١٣- ﴿وَفَصِيلَتِهِ﴾ التى فصل عنها و هى أمه ﴿الَّتِي تُؤْوِيهِ﴾ حملا و ولادة و تربية.

١٤ / ٧٠

١٤- ﴿وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ﴾ بعد كل ذلك الافتداء لكى ﴿يُنْجِيهِ﴾ بكل من لو يفتدى بهم، لشدة الواقعة.

١٥ / ٧٠

١٥- ﴿كَلَّا﴾ لا فدية هناك مطلقا ﴿إِنَّهَا لَطَى﴾ نار شديدة التأرجح بما قدمه منها.

١٦ / ٧٠

١٦- حالكونها ﴿نَزَاعَةً لِّلشَّوَى﴾ و هى الأبدان المشوية بتلك اللظى فهى هيه تنزعها، و لكن "كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ" (٥٦: ٤).

١٧ / ٧٠

١٧- ﴿تَدْعُوا﴾ هذه اللظى ﴿مَنْ أَدْبَرَ﴾ عن الحق ﴿وَتَوَلَّى﴾ فرارا دون قرار.

١٨ / ٧٠

١٨- ﴿وَجَمَعَ﴾ مالا و منالا ﴿فَأَوْعَى﴾ إياه كأنه ينفعه، و ليس المال للجمع و الاختزان، بل "جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا".

١٩ / ٧٠

١٩- ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ﴾ كضابطة خلقية ﴿خُلِقَ هَلُوعاً﴾ حريصا حركا كادحا، يجب أن يهلع إلى الحق المرام، و لكنه يبذله إلى الباطل.

٢٠ / ٧٠

٢٠- ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ﴾ فى طريقه إلى ما يروم، يكون ﴿جَزُوعاً﴾ لا يتصبر.

٢١ / ٧٠

٢١- ﴿وَأِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ﴾ تجده ﴿مَنُوعاً﴾ غيره عنه، دفعا للشر عن نفسه و جلبا للخير إلى نفسه.

٢٢ / ٧٠

٢٢- ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾ لله، لصلاء النور بينهم و بين الله، تخرجوا فتخرجوا عن الظلمات.

٢٣ / ٧٠

٢٣- ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ دون تساهل و سهو عنها.

٢٤ / ٧٠

٢٤- ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ﴾ ككل ﴿حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾ عندهم بما قرره الله.

٢٥ / ٧٠

٢٥- ﴿لِلسَّائِلِ﴾ حاجته ﴿وَالْمَحْرُومِ﴾ عنها لعدم سؤاله.

٢٦ / ٧٠

٢٦- ﴿وَالَّذِينَ يَصَّدَّقُونَ يَوْمَ الدِّينِ﴾ الجزاء، متقين الله، عن عذاب الله.

٢٧ / ٧٠

٢٧- ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ عناية مختلطة بخوف، عائشين بين الخوف و الرجاء.

٢٨ / ٧٠

٢٨- ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ﴾ بربوبيته العادلة ﴿غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾ شعورا بالتقصير في جنب الله.

٢٩ / ٧٠

٢٩- ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِغُرُوحِهِمْ﴾ جنسية شهوانية ﴿حَافِظُونَ﴾ عن كل شهوة بمثلثها: جماعا بمقدماته أو تلقيح المنى في غير الزوج أو إمناء.

٣٠ / ٧٠

٣٠- ﴿إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ﴾ دواما و انقطاعا ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ﴾ عليهم ككل ﴿غَيْرُ مَلُومِينَ﴾.

٣١ / ٧٠

٣١- ﴿فَمَنْ ابْتَغَى﴾ شهوة جنسية ﴿وَرَاءَ ذَلِكَ﴾ المذكور، و منه العادة السرية إمناء ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ عن حقهم.

٣٢ / ٧٠

٣٢- ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ﴾ الحققة، بينهم و بين الله، أو خلقه ﴿رَاعُونَ﴾ دون خيانة.

٣٣ / ٧٠

٣٣- ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ﴾ "وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ .." (٤: ١٣٥) ﴿قَائِمُونَ﴾ تلقيا و إلقاء، حفاظا على الحق المرام.

٣٤ / ٧٠

٣٤- ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يَحَافِظُونَ﴾ و "هُمُ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ" حفاظا على كلما يشترط فيها، دون دوامة في أصلها و هي فاضية عن شروطها، بل هي فائضة بها.

٣٥ / ٧٠

٣٥- ﴿أُولَئِكَ﴾ هم ﴿فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمُونَ﴾.

٣٦ / ٧٠

٣٦- ﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلِكِ﴾ عندك و معك، شاهدين حَقَّ ﴿مُهْطِعِينَ﴾ شاخصين بأبصارهم إليك.

٣٧ / ٧٠

٣٧- ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِّينَ﴾ متفرقين عنك و هم مبصرون.

٣٨ / ٧٠

٣٨- ﴿أَيُطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾.

٣٩ / ٧٠

٣٩- ﴿كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ﴾ "هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَّذْكُوراً" فكيف يدخل جنة نعيم على قدرته الأصلية و العملية، اللهم إلا بصالح إيمانه و عمله.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٥٧٠

٤٠ / ٧٠

٤٠- ﴿فَلَا أُقْسِمُ﴾ إذ لا حاجة إلى إقسام بأى أقسام ﴿بِرَبِّ الْمَشَارِقِ﴾ للشمس إذ كل يوم له مشرق دون الآخر، كما المشرق و المغرب الأعلى و الأدنى و كذلك للقمر و سواهما مهما اختلفت عن الشمس فيهما ﴿وَ﴾ كذا ﴿الْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ﴾ كما قدرنا أن نبدل النطفة إنسانا.

٤١ / ٧٠

٤١- "لَقَادِرُونَ" ﴿عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ﴾ إياكم ﴿خَيْراً مِنْهُمْ﴾ "إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ" (١٥: ٣٥) هنا، ثم هناك "على أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَ نَنْشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ" (٦١: ٥٦) إنشاء لأمثال صوركم فى خلاصة أجسامكم ﴿وَ مَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ أَنْ تسبقنا قدرة أخرى أو عجز أو منعة فلا نبدل.

٤٢ / ٧٠

٤٢- ﴿فَذَرَهُمْ﴾ لحالهم الرديئة ﴿يَخُوضُوا﴾ فى إبطال الحق و إحقاق الباطل ﴿وَ يَلْعَبُوا﴾ كالأطفاليل ﴿حَتَّى يَلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِى يُوْعَدُونَ﴾ إياه.

٤٣ / ٧٠

٤٣- و هو ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ﴾ أجسادا كالأولى ﴿مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ القبور ﴿سِرَاعاً كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ﴾ أعلام منصوبة مقصودة ﴿يُوفِّضُونَ﴾ إفاضة جمعية كما يوفض من عرفات إلى المشعر بكل حيرة.

٤٤ / ٧٠

٤٤- حالكونهم ﴿خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ﴾ بإبصارهم ﴿تَرَهَقُهُمْ﴾ حيلة عليهم ﴿ذِلَّةٌ﴾ أمام التقدير المتعال ﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِى كَانُوا يُوْعَدُونَ﴾ إياه.

سورة نوح

١ / ٧١

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا ﴿وَلِىَ الْعِزْمِ الْأَوَّلِ﴾ إِلَى قَوْمِهِ ﴿وَهُمُ الْمَكْلُفُونَ أَجْمَعُ﴾ "أَنْ أَنْذِرَ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ" هنا عرفا، ثم فى البرزخ و الأخرى عذابات أخرى.

٢ / ٧١

٢- ﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ إنذارى بحقه و حقيقته، دون إخمال و لا إجمال، إنذارا بنفسه أم برسل منه، و لم يكونوا إلا قلة تكفيهم سفينته مهما كبرت.

٣ / ٧١

٣- ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ لا سواه ﴿وَ اتَّقُوهُ﴾ فى كل شىء ﴿وَ أَطِيعُوا﴾ فى تقواه تركا لطغواه.

٤ / ٧١

٤- ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ﴾ إذا بعضا ﴿مِنَ ذُنُوبِكُمْ﴾ أمامه، مهما لا يغفر حقوق خلقه أمامهم إلا باستغفار آخر، و كذلك هذه الذنوب قبل الإيمان فإن لها بعده حكم آخر "قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ" (٣٨: ٨) ﴿وَ يُؤْخَرُكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ عن

كل أجل معلق قبل مسماه ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ﴾ المسمى فإن غيره منكم و إليكم ﴿إِذَا جَاءَ﴾ تحقيقه ﴿لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ و لكنكم تجهلون أو تتجاهلون عن تقصير.

٥ /٧١

٥- ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَ نَهَارًا﴾ مواصلة في دعوتي كما أستطيع.

٦ /٧١

٦- ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا﴾ عن الحق، كما "و نَزَّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَ رَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ، وَ لَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا" (١٧: ٨٢).

٧ /٧١

٧- ﴿وَ إِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ﴾ من ذنوبهم ﴿جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾ كيلا يسمعون ﴿وَ اسْتَعْشُوا نِيَابَهُمْ﴾ كيلا يعوك ﴿وَ أَصْرُوا وَ اسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾ كيلا يتبعوك.

٨ /٧١

٨- و قد كانت بداية الدعوة إسرارا فردية ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا﴾ جمعية على رءوس الأشهاد.

٩ /٧١

٩- ﴿ثُمَّ﴾ جمعا بين الدعوتين ﴿إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ﴾ في موضعه ﴿وَ أَسْرَرْتُ لَهُمْ﴾ في موضعه ﴿إِسْرَارًا﴾ خاصا كأنه إعلان، و الجمع بينهما بعد المرحلتين الأولتين إسرارا و إعلانا.

١٠ /٧١

١٠- ﴿فَقُلْتُ﴾ فيما قلت لهم ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ بإيمانكم "يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ" ثم بعده يغفر لكم الباقية من ذى قبل و بعده ﴿إِنَّهُ كَانَ﴾ منذ كان عصيان ﴿عَفَّارًا﴾ كأصل و جاه العاصين، مهما كان أرحم الراحمين فى موضع العفو و الرحمة و أشد المعاقبين فى موضع النكال و النقمة.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٥٧١

١١ /٧١

١١- و من غفاريته لما هنا ﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ﴾ برحماتها ﴿عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ مغوارا.

١٢ /٧١

١٢- ﴿وَ يَمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَ بَنِينَ وَ يُجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿وَ يُجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾: "وَ لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ" (٧: ٩٦).

١٣ /٧١

١٣- ﴿مَا لَكُمْ﴾ ما داؤكم و ما دواءكم ﴿لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ و أنتم توقرون خلقه، و شهواتكم.

١٤ /٧١

١٤- ﴿وَ﴾ الحال أنه ﴿قَدْ خَلَقْكُمْ أَطْوَارًا﴾ من طور إلى طور، أشخاصا و جموعا، مما ينفى عنه الصدقة العمياء، من أطوار جنينية ثم بعد الولادة، ثم أطوار جمعية، فقد يحول بإيمانكم طور القتر و الضيق إلى طور إرسال السماء و إمدادكم.

١٥ /٧١

١٥- ﴿أَلَمْ تَرَوْا﴾ عقيدية و علمية، لا شهودا: و " ما أَشْهَدْتُهُمْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ " (١٨: ٥١) ﴿كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾ فقد نأمل رؤية علمية لتلك الكيفية بما قد نراه فى أسفارنا الجوية" قُلْ انظُرُوا مَا ذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ " (١٠: ١٠٩) و كَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ " (١٢: ١٠٥).

١٦ / ٧١

١٦- ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ﴾ لكم ﴿فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ﴾ لكم ﴿سِرَاجًا﴾.

١٧ / ٧١

١٧- ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا﴾ خلقا منها منذ البداية حتى النهاية.

١٨ / ٧١

١٨- ﴿ثُمَّ بَعِيدُكُمْ فِيهَا وَ﴾ ثم ﴿يَخْرِجُكُمْ﴾ منها ﴿إِخْرَاجًا﴾ كما السجدتان، حيث ترمزان إلى ذلك.

١٩ / ٧١

١٩- ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾ لتبسطوها و تنبسطوا فيها.

٢٠ / ٧١

٢٠- ﴿لَتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ " وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ " (٢١: ٣١).

٢١ / ٧١

٢١- ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا﴾ و هم رعوس الضلالة و هؤلاء أتباعهم.

٢٢ / ٧١

٢٢- ﴿وَأُولَاءِ﴾ ﴿مَكْرُوهًا مَكْرًا كُبَرًا﴾ فى إضلالهم هؤلاء الضعفاء.

٢٣ / ٧١

٢٣- ﴿وَقَالُوا﴾ لهم ﴿لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ﴾ كمجموعة لا سيما رعوسهم: ﴿وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ خمس كانوا يرأسونهم ردحا بعيدا من زمن الإشرار.

٢٤ / ٧١

٢٤- ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا﴾ رعوس الضلالة ﴿كَثِيرًا﴾ من الناس، كما أضلهم الآلهة كوسائل غير شاعرة ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَالًّا﴾ هنا و فى الأخرى " فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ".

٢٥ / ٧١

٢٥- ﴿مِمَّا خَطَبْتَهُمْ أُغْرِقُوا﴾ فى الطوفان العام ﴿فَادْخُلُوا نَارًا﴾ برزخية و هى فى البحر المحيط، مما يدل على حياة برزخية، دون تناف بين نارها و ماء الدنيا ﴿فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ﴾ هناك ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ خلاف ما كانوا يزعمون.

٢٦ / ٧١

٢٦- ﴿وَقَالَ نُوحٌ﴾ قبل الطوفان ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ﴾ كلها ﴿مِنْ﴾ هؤلاء ﴿الْكَافِرِينَ دَيَارًا﴾ أحدا.

٢٧ / ٧١

٢٧- ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ﴾ المستضعفين ﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فِجْرًا كَفَّارًا﴾ و كما أوحى إليه " أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَسِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ " (١١: ٣٦) فهنا " وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ " (٣٧: ٣٥) مما يدل على أن نداءه

لغرقهم كان بعد وحيه هذا، فكانت - إذا - بإذنه تعالى، فقد "أرسلنا نوحاً إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً فأخذهم الطوفان وهم ظالمون" (٢٩: ١٤).

٢٨ / ٧١

٢٨- ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ﴾ الإيمانى، بيتا أو سفينة ﴿مُؤْمِنًا وَلِ﴾ كل ﴿الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ قبلى و بعدى ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ إهلاكا و بوارا "إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَرِّحُونَ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ" (٧: ١٣٩) و مزيد التبار هو مزيد الضلال عذابا يوم الدنيا.

سورة الجن

١ / ٧٢

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. قُلْ أُوْحِي إِلَيَّ مِنْ رَبِّي أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ جَمْعٌ نَافِرٍ انْبِعَاثًا إِلَىٰ ﴿مِنْ﴾ قَبِيلٍ ﴿الْجِنِّ﴾ وَ هُمْ مَكْلَفُونَ أَمْثَلُنَا، مُسْتَوْرِينَ عَنَّا، مَخْلُوقِينَ قَبْلُنَا: ﴿وَ الْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾ (٢٧: ١٥) إِذْ نَفَرَهُمُ اللَّهُ إِلَيْكَ صَرَفًا: ﴿وَ إِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾ (٤٦: ٢٩) ﴿فَقَالُوا﴾ لِقَوْمِهِمْ إِذْ رَجَعُوا إِلَيْهِمْ ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ "كِتَابًا أَنْزَلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَ إِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ" (٣٠).

٢ / ٧٢

٢- ﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ رِبَانِيَا ﴿فَأَمَّا﴾ أَنْفُسُنَا عَنْ ظَلَمَاتٍ ﴿بِهِ وَ لَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ فَإِنَّهُ كِتَابٌ يَدُلُّ بِنَفْسِهِ عَلَى رَبَانِيَةِ آيَاتِهِ فِي كُلِّ مَا يَتَطَلَّبُ الْإِيمَانُ.

٣ / ٧٢

٣- ﴿وَ﴾ قَالُوا ﴿أَنَّهُ﴾ شَأْنًا قَرَأْنِيَا ﴿تَعَالَىٰ جَدُّ﴾ عِظْمَةُ ﴿رَبِّنَا﴾ عَنْ شَرِيكَ إِذْ ﴿مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَ لَا وَلَدًا﴾ مِنْهَا أَصْلِيًّا، أَوْ شَرْقِيًّا.

٤ / ٧٢

٤- ﴿وَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾ الشَّيْطَانُ وَ ذَرِيَّتُهُ ﴿عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾ مُتَفَرِّقًا مِنَ الْقَوْلِ الْبَاطِلِ الْبَعِيدِ، أَنْ لَهُ شُرَكَاءُ.

٥ / ٧٢

٥- ﴿وَ أَنَا ظَنَّنَا﴾ ظَنُّ الْخَيْرِ بَقُلُوبِنَا ﴿أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ فَ "لَنْ" الْمَحِيلَةُ تَذْهَبُ بِرَجْحَانِ الظَّنِّ إِلَى قِطْعِيَةِ الْعِلْمِ عَقْلِيًّا مَهْمَا كَانَ ظَنُّنَا قَلْبِيًّا.

٦ / ٧٢

٦- ﴿وَ أَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يُعْذُونَ﴾ فِي مَهْلِكٍ وَ مَهَاوِي ﴿بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ﴾ رِجَالٌ مِنَ الْجِنِّ ﴿رَهَقًا﴾ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ عَوْذَ الْإِنْسِ بِالْجِنِّ رَهَقٌ عَلَى رَهَقٍ، وَ أَنَّ الْإِنْسَ مُتَقَدِّمٌ عَلَى الْجِنِّ، وَ الْإِسْتِعَاذَةُ بِغَيْرِ اللَّهِ رَهَقٌ وَ لَا سِيْمَا بِمَنْ دُونِكَ، ثُمَّ "رِجَالٌ مِنَ الْجِنِّ" دَلِيلٌ أَنَّهُمْ جِنْسَانُ، ذَكَرٌ وَ أُنْثَى.

٧ / ٧٢

٧- ﴿وَ أَنَّهُمْ﴾ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ ﴿ظَنُّوا﴾ زَعْمًا خَاوِيًا ﴿كَمَا ظَنَنْتُمْ﴾ أَنْتُمْ الْجِنُّ قَبْلَ ﴿أَنْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾ زَعْمَ اسْتِحَالَتِهِ.

٨ / ٧٢

٨- ﴿وَ أَنَّا﴾ عَلَى جِدَارَتِنَا لِرِسَالَةِ الْوَحْيِ ﴿لَمَسْنَا﴾ حَالِيَا ﴿السَّمَاءِ﴾ لِإِسْتِرَاقِ السَّمْعِ وَحْيًا مِنَ الْمَلَأِ الْأَعْلَى ﴿فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا﴾ يَحْرُسُهَا، وَ هُمْ مَلَائِكَةٌ مِنَ اللَّهِ ﴿وَ شُهَبًا﴾ نِيَاظُكَ نَارِيَّةٍ مِنْ مَدَافِعِ بَنَاجُومِهَا.

٩ / ٧٢

٩- ﴿وَ أَنَّا كُنَّا﴾ قَبْلَ رِسَالَةِ الْقُرْآنِ ﴿نَقْعُدُ مِنْهَا﴾ سَمَاءَ الْوَحْيِ ﴿مَقَاعِدَ لِلْسَّمْعِ﴾ وَحْيًا كَمَا قَرَّرَهَا اللَّهُ ﴿فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ﴾ وَحْيَ السَّمَاءِ ﴿يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا﴾ يَرْصُدُهُ، كَأَنَّ لَهُ عَيْنًا تَرَاوِقُ الْمُسْتَمْعِينَ، فَرَسَلُ الْجِنِّ كَانُوا يَسْتَمْعُونَ الْوَحْيَ مِنَ الْمَلَأِ الْأَعْلَى قَبْلَ الرِّسَالَةِ الْأَخِيرَةِ، رَغْمَ مَنَعَةِ شَدِيدَةِ لَشَيَاطِينِهِمْ هُنَاكَ "وَ حِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَ يَقَذُّونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ" (٣٧: ٨).

١٠ / ٧٢

١٠- ﴿وَ أَنَا لَا نَدْرِي﴾ إِذَا ﴿أَشْرُّ أَرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ لَانْقِطَاعِ وَحْيِ السَّمَاءِ عَنَّا، وَ حَدُوثِ شَهَابٍ رَصَدٌ وَ حَرَسٌ شَدِيدٌ ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ هُوَ الْوَحْيُ الْآخِيرُ، الشَّامِلُ لِكُلِّ وَحْيٍ وَ زِيَادَةٍ، انْقِطَاعًا عَنْ غَيْرِ مُحَمَّدٍ (ص).

١١ / ٧٢

١١- ﴿وَ أَنَا مِنَّا الصَّالِحُونَ﴾ فِي جَنَسِنَا الْجَنَى مِثْلُنَا نَحْنُ كَالرَّسْلِ ﴿وَ مِنَّا دُونَ ذَلِكَ﴾ دُونَ صَلَاحِ رَسُولِي ﴿كُنَّا﴾ مِنْذُ كُنَّا ﴿طَرَائِقَ قِدْدًا﴾ مِنَ الْهُدَى وَ الضَّلَالَةِ، فَرِيقٌ بِقُدَّةِ الْهُدَى عَلَى دَرَجَاتِهَا، وَ آخَرٌ بِقُدَّةِ الضَّلَالَةِ عَلَى دَرَكَاتِهَا.

١٢ / ٧٢

١٢- ﴿وَ أَنَا ظَنَنَّا﴾ عِلْمًا بِعَقُولِنَا، ظَنًّا بِقُلُوبِنَا ﴿أَنْ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي﴾ هَذِهِ ﴿الْأَرْضِ وَ لَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا﴾ مِنْهَا إِلَى غَيْرِهَا.

١٣ / ٧٢

١٣- ﴿وَ أَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى﴾ الْقُرْآنِيَّةَ ﴿أَمَنَّا بِهِ﴾: اللَّهُ، تَمَامَ الْإِيمَانِ عَلَى ضَوْءِ الْقُرْآنِ ﴿فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا﴾ ضَرَرًا أَيْ كَانَ فِي سَبِيلِهِ ﴿وَ لَا رَهَقًا﴾ اضْطِرَابًا شَامِلًا، بَلْ كُلُّهُ نَفْعٌ وَ أَمَانٌ شَامِلٌ كَامِلٌ وَ مِنَ الصَّدَفِ الْقَاصِدَةِ أَنْ فَسَرْنَا سُورَةَ الْجِنِّ أَمَامَ مَسْجِدِ الْجِنِّ بِمَكَّةِ الْمَكْرَمَةِ، فِي السَّنَةِ الْأُولَى مِنَ السَّنَتَيْنِ الْمَكْرُمَتَيْنِ مِنْ أَقَامَتِي بِأَمِّ الْقُرَى، بـ "حَجُونَ" فِي سَنَى الْهِجْرَةِ السَّبْعَةِ عَشَرَ سَنَةً مِنْ شَرِّ الشَّاهِ.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٥٧٣

١٤ / ٧٢

١٤- ﴿وَ أَنَا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ﴾ لِلَّهِ ﴿وَ مِنَّا الْقَاسِطُونَ﴾ أَمَامَ اللَّهِ، أَنْ لَنَا قَسْطًا وَ لَهُ قَسْطٌ آخَرٌ فَلَا نَسْلِمُ لَهُ، وَ هُنَا "الْمُسْلِمُونَ" تَعَمُّ غَيْرَ شَيَاطِينِهِمْ، بِدَرَجَاتِهِمْ، رِسَالًا وَ سَوَاهِمٍ مِنْ مُسْلِمِيهِمْ، فَـ "الْقَاسِطُونَ" هُمْ كُفَّارُ هُمْ الشَّيَاطِينِ، وَ هُنَاكَ "الصَّالِحُونَ" هُمْ رُسُلُهُمْ، وَ "دُونَ ذَلِكَ" هُمْ مِنْ دُونِهِمْ مُؤْمِنِينَ وَ كَافِرِينَ ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ﴾ أَيْ كَانَ ﴿فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾ حَرِيًّا لِأَعْلَاهُ مِثْلُنَا، وَ لَمَّا دُونَهُ كَسَائِرُ مُسْلِمِينَا.

١٥ / ٧٢

١٥- ﴿وَ أَمَّا الْقَاسِطُونَ﴾ مِنَّا، الْكَافِرُونَ ﴿فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ وَ وَقُودًا لِأَنَّهُمْ رَعُوسُ الضَّلَالَةِ.

١٦ / ٧٢

١٦- فَهَذِهِ كَلِمَاتُ الْجِنِّ النَّفَرِ فِي اسْتِمَاعِ الْقُرْآنِ، ثُمَّ كَلَامُ اللَّهِ: ﴿وَ أَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا﴾ الْمَكْلُفُونَ ﴿عَلَى الطَّرِيقَةِ﴾ الصَّالِحَةِ، دُونَ تَزَلُّزٍ وَ تَشَكُّكِ ﴿لَأَسْقِينَاهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ غَزِيرًا كَثِيرًا "وَ لَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَ اتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ" (٧: ٩٦) لَا جَزَاءَ وَفَاقًا، بَلْ ظَرْفًا لِفِتْنَةِ الْخَيْرِ:

١٧ / ٧٢

١٧- ﴿لَنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ الْغَدَقُ ﴿وَ﴾ لَكِنْ ﴿مَنْ يَعْزِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ﴾ بِرَحْمَتِهِ النَّازِلَةِ عَلَيْهِ ﴿يَسْلُكْهُ﴾ رَبُّهُ ﴿عَذَابًا صَعَدًا﴾ صَاعِدًا فِي الْعَذَابِ كَصُعُودِ إِعْرَاضِهِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ.

١٨ / ٧٢

١٨- ﴿وَ أَنَّ الْمَسَاجِدَ﴾ اسْمُ زَمَانٍ وَ مَكَانٍ وَ مُصَدَّرٌ: سَجْدَةٌ: بِزَمَانِهَا وَ مَكَانِهَا الْأَرْضِيَّ وَ مِنَ الْمَسَاجِدِ السَّبْعِ هِيَ ﴿لِلَّهِ﴾ فَقَطْ ﴿فَلَا تَدْعُوا﴾ فِيهَا ﴿مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ وَ لِذَلِكَ لَا يَقْطَعُ كَفَّ السَّارِقِ لِأَنَّهُ مِنْ مَسَاجِدِ الصَّلَاةِ، إِلَّا بِضُرُورَةِ الْقَطْعِ بِدَلِيلِهِ، وَ لَا دَلِيلَ عَلَى قَطْعِ كَفِّ السَّارِقِ.

١٩- ﴿وَ أَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ﴾ محمد، كأنه هو عبده وحده ﴿يَدْعُوهُ كَادُوا﴾ رسل الجن ﴿يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ خيرا كسائر المؤمنين، و شرا كالمشركين، حيطة عليه هنا أو هناك كلبد الأسد، فإنه أسد ضرغام بدعوته.

٢٠- ﴿قُلْ﴾ لفريقي اللبد ﴿إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي﴾ دعوة دعاء لنفسى محمدا و لغيرى رسولا ﴿وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾ طاعة و عبادة.

٢١- ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا﴾.

٢٢- ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ﴾ مستحيلا أن ﴿يَجِيرَنِي مِنْ﴾ بأس ﴿اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ﴾ خلقه ككل ﴿مُلْتَحِدًا﴾ التحد به متوكلا عليه.

٢٣- " لَا أَمْلِكُ .." و "لَنْ يَجِيرَنِي" ﴿إِلَّا بِلَاغًا مِنَ اللَّهِ﴾ لى ﴿وَرِسَالَتِهِ﴾ إلى غيرى ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ﴾ الوهية ﴿وَرَسُولَهُ﴾ رسالة ﴿فَإِنْ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ حالكونهم ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ ما داموا أحياء، ثم تفنى النار و يفنى من فى النار.

٢٤- و الكافرون عنادا لما يعلمون تقصيرا، فهم ناكرون معادا موعودا ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا﴾ بأم أعينهم ﴿مَا يُوْعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ﴾ هو ﴿أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾ رغم ما هنا، ضعفا فى النصر و قلة فى العدد.

٢٥- ﴿قُلْ إِنْ أَدْرَىٰ أَقْرَبُ مَا تُوْعَدُونَ﴾ من عذاب الله هنا، دنيا و برزخا ﴿أَمْ يَجْعَلُ لَهُ رَبِّي أَمَدًا﴾ بعيدا، و لكن اليوم الآخر قريب مهما كان مجهول الأمد: "وَلَوْ كُنْتَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتَ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ" (١٨٨: ٧).

٢٦- فالله هو فقط ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ﴾ كله ﴿فَلَا يَظْهَرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ﴾ الخاص ﴿أَحَدًا﴾ من خلقه.

٢٧- ﴿إِلَّا مَنْ ارْتَضَا﴾ ه ﴿مِنْ رَسُولٍ﴾ برسالة الغيب فقط و حيا رسوليا ﴿فَإِنَّهُ يَسْلُكُ﴾ الرب قيومية ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ مستقبلا ﴿وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ ماضيا ﴿رَصَدًا﴾ يرصدهم فى رسالتهم.

٢٨- ﴿لِيَعْلَمَ﴾ علما و علامة لا علما ﴿أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ﴾ كما أبلغهم ﴿وَالْحَالُ أَنَّهُ﴾ أحاط بما لديهم منه و من أنفسهم، فلا يعلم بعد جهل ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ﴾ فيهم و فيمن سواهم ﴿عَدَدًا﴾ "وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ" (١٠: ٦١).

سورة المزمل

١ / ٧٣

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ﴾ تَزْمَلًا زَمَالَةً الوَحَى رُوحًا، وَ زَمَالَةً لَفِيفٍ الْقَطِيفِ جَسْمًا.

٢ / ٧٣

٢- ﴿قُمِ اللَّيْلَ﴾ فِى عِبَادَةِ اللَّهِ ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ فَلَیْکِن زَمِیْلَکَ الْقِیَامِ حَتَّى فِى اللَّیْلِ فَکَیْفَ بِالنَّهَارِ، فَإِنَّهَا رِسَالَةُ الْقِیَامِ وَ الْإِقْدَامِ بِكَافَةِ الْإِقْدَامِ، وَ هُنَا "إِلَّا قَلِيلًا" اسْتِثْنَاءٌ عَنْ "قُمِ اللَّيْلَ" كضابطة لقیامه و هى أَكْثَرُ اللَّیْلِ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُ وَ مِنْ ثَلَاثٍ وَ رُبْعٍ وَ مَا أَشْبَهَ، ثُمَّ یَحْوَلُ قَلِيلًا إِلَى.

٣ / ٧٣

٣- ﴿نِصْفَهُ﴾ قِیَامِ النِّصْفِ ﴿أَوْ انْقُصْ مِنْهُ﴾ نَقْصًا عَنْ قِیَامِ النِّصْفِ كَثَلْتُ ﴿قَلِيلًا﴾:

٤ / ٧٣

٤- ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ عَلَى نِصْفِ الْقِیَامِ ﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ﴾ فِى ذَلِكَ الْقِیَامِ ﴿تَرْتِيلًا﴾ فِى لَفْظِهِ تَجْوِیدًا فِى كَمِهِ وَ كِیْفِهِ، وَ آخَرُ أُخْرَى هُوَ تَجْوِیدُهُ فِى مَعْنَاهُ، تَحْرِیکًا بِهِ قَلْبُکَ وَ قُلُوبَ الْآخَرِیْنَ.

٥ / ٧٣

٥- وَ ذَلِكَ تَهِیْئَةٌ لِمَا عَلَيْهِ وَ مَا یَأْتِیهِ ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ هُوَ جُمْلَةُ الْقُرْآنِ لَیْلَةُ الْقَدْرِ، وَ سَائِرُ الْقُرْآنِ الْمَفْصَلِ طَوِيلِ حَیَاتِکَ.

٦ / ٧٣

٦- ﴿إِنَّ﴾ الْعِبَادَةَ ﴿نَاشِئَةَ اللَّیْلِ﴾ قِیَامًا فِى صَلَاةٍ وَ تَرْتِیلًا لِلْقُرْآنِ ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْأً﴾ لِرُكْبِ الرُّوحِ طَوِيلِ مَسَافَةٍ بِمَصَافِ الرِّسَالَةِ ﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ لِلْقَائِلِ نَفْسِهِ، فَلْتَصْنَعْ نَفْسَکَ هَكَذَا بِاللَّیْلِ.

٧ / ٧٣

٧- لَ ﴿إِنَّ لَكَ فِى النَّهَارِ سَبْحًا﴾ وَ سَبَاحَةً فِى یَمِّ الْمَجْتَمَعِ ﴿طَوِيلًا﴾ فَلَیْکِن زَادَکَ أَقْوَى، وَ رَاحَلَتْکَ أَعْدَى، لَکِ تَسْبِیحٌ طَوِيلًا فِى خُضْمِ الْیَمِّ الْمَلْتَطَمِ بَیْنَ الْمَکْلَفِیْنَ، إِنْجَاءٌ لِلْغَرَقِیِّ بِشَدِّ الْوُطْءِ وَ قِیَامِ الطَّوِيلِ، إِلَّا لِنَوْمٍ قَلِیلٍ.

٨ / ٧٣

٨- ﴿وَ أَذْکُرْ اسْمَ رَبِّکَ﴾ لَیْلَ نَهَارٍ ﴿وَ تَبَتَّلْ﴾ انْقِطَاعًا ﴿إِلَيْهِ تَبَتُّلًا﴾ یَقْطَعُ غَیْرَکَ عَمَّا سِوَى اللَّهِ کَمَا تَقْطَعُ نَفْسَکَ، وَ هُوَ مِنْ سَبْحِکَ الطَّوِيلِ، فَإِنَّهُ تَبَتَّلَ التَّبَتُّلِ.

٩ / ٧٣

٩- وَ هُوَ ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ﴾ لِكُلِّ شَارِقٍ وَ شُرُوقٍ ﴿وَ الْمَغْرِبِ﴾ لِكُلِّ غَارِبٍ وَ غُرُوبٍ، فَتَبَتَّلَ کَافَةً مِنْ فِى الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ "إِلَيْهِ تَبَتُّلًا" ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ﴾ فَقَطْ ﴿وَکِيلًا﴾ فِى حَمْلِ الْقَوْلِ الثَّقِيلِ وَ التَّبَتُّلِ التَّبَتُّلِ.

١٠ / ٧٣

١٠- ﴿وَ اصْبِرْ عَلَى مَا یَقُولُونَ﴾ ضِدْکَ، صَبْرًا لِثَبَاتِکَ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ دُونَ ارْتِجَاعٍ ﴿وَ اهْجُرْهُمْ﴾ قَبْلَ الْهَجْرَةِ ﴿هَجْرًا﴾ بَعْدًا ﴿جَمِیلًا﴾ دُونَ مَنَازَعَةٍ وَ لَا دِفَاعٍ، وَ لَا خَشُونَةٍ.

١١ / ٧٣

١١- ﴿وَذَرْنِي وَ﴾ مع ﴿الْمُكْذِبِينَ أُولَى النِّعْمَةِ﴾ تبديلاً لكل نعمة إلى نقمة: "وَنِعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَكَيْهِنَ" (٢٧: ٤٤) ﴿وَمَهْلَهُمْ﴾ دون جهاد أو دفاع ﴿قَلِيلًا﴾ إلى ما بعد الهجرة، و بعد الموت برزخا و عقبى.

١٢ / ٧٣

١٢- ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا﴾ بكل نكال و إغلال ﴿وَجَحِيمًا﴾ نارا شديدة التأجج.

١٣ / ٧٣

١٣- ﴿وَوَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ حيث يمزق الحلق و يحرق الحناجر لكل مكذب فاجر ﴿وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ كضابطة.

١٤ / ٧٣

١٤- متى؟ ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾ رجفة الإماتة ﴿وَوَكَانَتِ الْجِبَالُ﴾ برجفتها المدمرة ﴿كَثِيرًا﴾ رملا متراكما ﴿مَهِيلًا﴾ هولا و خوفاً و بُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا. فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا (٥٦: ٦) و سِيرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا (٧٨: ٢٠) و حُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً (٦٩: ١٤).

١٥ / ٧٣

١٥- ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ﴾ من الله رسوليا، و على أعمالكم رقابة ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ فهما متشابهان فى رسالتهما.

١٦ / ٧٣

١٦- ﴿فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا﴾ فكيف بهذه الرسالة بعده و هى أخرى.

١٧ / ٧٣

١٧- ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ﴾ إذ لا تتقون هنا ﴿إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ عند قيامة التدمير.

١٨ / ٧٣

١٨- ﴿السَّمَاءُ مُنْقَطِرٌ بِهِ﴾ لوقعته ﴿كَانَ﴾ ذلك ﴿وَعَدُهُ مَفْعُولًا﴾ لا حول عنه.

١٩ / ٧٣

١٩- ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ﴾ لمن يتذكر ﴿فَمَنْ شَاءَ﴾ إذا ﴿اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ بها.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٥٧٥

٢٠ / ٧٣

٢٠- ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾ حيث ربك، عالما بما سواه ﴿يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ﴾ ليلا ﴿أَدْنَى﴾ أقل ﴿مِنْ ثُلَاثَى اللَّيْلِ وَ﴾ تقوم ﴿نِصْفَهُ وَ ثُلَاثَهُ وَ﴾ كذلك ﴿طَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ﴾ كقيامك دون الآخرين غير القائمين، أو أقل من ذلك ﴿وَاللَّهُ يَقْدَرُ﴾ قدرا و تقديرا ﴿اللَّيْلِ وَ النَّهَارَ عِلْمَ أَنْ لَنْ تُحْصَوْهُ﴾ الليل ضبطا لقدر القيام المفروض عليكم ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ مرسلا إليكم فلم يوجب عليكم قيام الليل، اللهم إلا للرسول "وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً عَلَى فِرَاضِ الْأَمَةِ" لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا (١٧: ٧٩) ﴿فَاقْرَأُوا﴾ بدلا عنه ﴿مَا تيسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ فرضا بديل فرض، إذ لا تقدرون تقديرا لقيام الليل، إذ ﴿عِلْمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَ آخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ كذا فى سبيل المعاش ﴿يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ نهارا، فهم يرتاحون ليلا ﴿وَ آخَرُونَ يَقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فلم يفرض عليكم أنتم قيام الليل، إذا ﴿فَاقْرَأُوا مَا تيسَّرَ مِنْهُ﴾ القرآن، بديل ترتيله ليلا و الصلوة فيه ﴿وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ﴾ كأصليين أصليين من الفروع الأحكامية، دون نيابة عن قيام الليل ﴿وَ أَقْرِضُوا اللَّهَ﴾ قطعاً من أنفسكم و نفائسكم ما صح و أمكن ﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾ كأصل ثالث لا حول عنه ﴿وَ مَا تُقَدِّمُوا لَ﴾ صالح ﴿أنفسكم مِنْ خَيْرٍ﴾ للنشأت

الثلاث ﴿تَجِدُوهُ﴾ نفسه بجزائه ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ هنا و يوم الله ﴿هُوَ﴾ تجدوه ﴿خَيْرًا﴾ مما هنا ﴿وَ أَعْظَمَ أَجْرًا﴾ منه ﴿وَ اسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾ رفعاً عن عصيان و دفعاً عنه ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ فى موضع الغفر و الرحمة، فهذه قوائيم أربع لبناء الإيمان بعد العصمة المحمدية.

سورة المدثر

١ / ٧٤

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ "المُزْمَلُ" بدثار الوحى نفساً، و دثار الجسم ثوباً.

٢ / ٧٤

٢- ﴿قُمْ﴾ عن دثارك الثانى بدثارك الأول، الرسالة، قياماً بكل قوام دون أى همول أو خمول ﴿فَأَنْذِرْ﴾ المكلفين ككل، "قُمْ" فقد مضى وقت القعود و الدثار، و حان وقت القيام و الإنذار "قُمْ" فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَ مَنْ تَابَ مَعَكَ (١١: ١٢).

٣ / ٧٤

٣- ﴿وَ رَبِّكَ﴾ بخاصة ربوبيته لك ﴿فَكَبِّرْ﴾ دون سواء لتقدم "رَبِّكَ" و "كبر" رغم ما صغروه إشراكاً به، أو إلحاداً فيه.

٤ / ٧٤

٤- ﴿وَ ثِيَابَكَ﴾ ظاهريه و باطنية ﴿فَطَهِّرْ﴾ عن كل قذارة، روحك بمراحله، عما سوى الله، و ملابسك عما لا يحمد، و من يتقرب إليك عما لا يصح، فالكل ثياب.

٥ / ٧٤

٥- ﴿وَ الرُّجْزَ﴾ ظاهرياً و باطنياً ﴿فَاهْجُرْ﴾ أياً كان، و أصله هو الاضطراب، هجراً عنه إلى أمن كامل الإيمان، كما و النظافة من الإيمان.

٦ / ٧٤

٦- ﴿وَ لَا تَمْنُنْ﴾ على الله و على عباد الله ﴿تَسْتَكْثِرُ﴾ بمنك ما تعمله أمام الله عبداً رسولاً، و أمام خلق الله رسالة.

٧ / ٧٤

٧- ﴿وَ لِرَبِّكَ﴾ لا سواء ﴿فَاصْبِرْ﴾ أمام كافة العراقيل فى سبيله، ثباتاً على دعوتك، دون ارتجاع و لا أنصاف حلول و مصانعة مسابرة تنافيتها.

٨ / ٧٤

٨- ﴿فَإِذَا نُفِرَ فِي النَّافُورِ﴾ الصور، تدميراً و تعميراً فى القياميتين.

٩ / ٧٤

٩- ﴿فَذَلِكِ﴾ النقر ﴿يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ فوق الحرج و الطاقة.

١٠ / ٧٤

١٠- ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ مهما كان على المؤمنين يسيراً، و لا سيما فى نقرة الإحياء.

١١ / ٧٤

١١- ﴿ذَرْنِي وَ مَنْ خَلَقْتُ﴾ إياه ﴿وَ حِيدًا﴾ ليس معه شىء إلا نفسه، و اسمه أيضاً وحيد قريش.

١٢ / ٧٤

١٢- ﴿وَ جَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا﴾ يمدّه إلى ما يهواه

٧٤ / ١٣

١٣- ﴿وَبَيْنَ شُهُودًا﴾ حاضرين لديه قوة على قوته.

١٤ / ٧٤

١٤- ﴿وَمَهَّدَتْ لَهُ تَمْهِيدًا﴾ لحياته الدنيا.

١٥ / ٧٤

١٥- ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾ ه تمهيدا، هنا أو في الأخرى.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٥٧٦

؟

[آيه ١٦ و ١٧ هم جزء صفحه قبل بايد باشد]

١٦ / ٧٤

١٦- ﴿كَلَّا﴾ لا أزيده ﴿إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا﴾ الربانية ﴿عَنِيدًا﴾.

١٧ / ٧٤

١٧- ﴿سَأَرْهَقُهُ﴾ اضطارا شاملا في عذاب ﴿صُعُودًا﴾ صاعدا في إرهاقه عن حده، كما كان صعودا في إضلاله عن حده "جزاء وفاقاً".

١٨ / ٧٤

١٨- ﴿إِنَّهُ﴾ وحيد قريش في التفكير، وحيدا في اسمه و علمه ﴿فَكَرَّرَ﴾ بشأن القرآن ﴿وَقَدَّرَ﴾ مع كلام غير الله، مترددا بين الأمرين الأمرين.

١٩ / ٧٤

١٩- ﴿فُقِّتِلَ﴾ في تفكيره و تقديره ﴿كَيْفَ قَدَّرَ﴾ كاذبا، فليس إنشاء من دعاء، بل هو خبر.

٢٠ / ٧٤

٢٠- ﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ ثانيا، إذ حاول مرتين تفكيرا أو تقديرا، فقتل و انهزم فيهما.

٢١ / ٧٤

٢١- ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ بعدهما في أمره الإمر، حيث تواردت عليه طلبات في نقض القرآن، وحيدا بينهم فيه.

٢٢ / ٧٤

٢٢- ﴿ثُمَّ عَبَسَ﴾ في وجه القرآن و رسوله حيث اضطر ﴿وَبَسَرَ﴾ في كل البصر، استعجالا قبل الأوان.

٢٣ / ٧٤

٢٣- ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ﴾ عن القرآن ﴿وَأَسْتَكْبَرَ﴾ أمامه، دركات سبع جهنمية من "فكر- قدر- نظر- عبس- بسر- أدبر- استكبر" فدخل في جحيم:

٢٤ / ٧٤

٢٤- ﴿فَقَالَ إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ﴾ و لكنه ﴿يُؤْثِرُ﴾ يبقى و لا يفنى بأى سحر آخر، ثم يتبع دون نقض.

٢٥ / ٧٤

٢٥- ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ و هي تناقض بين، فإن كان سحرا فكيف يؤثر و يكون من كلام البشر، و هو أيا كان لا يؤثر مهما كان حقيقة فضلا عن كونه سحرا، فهذا هو بنفسه سقر.

٢٦ / ٧٤

٢٦- ﴿سَاطِئِهِ﴾ أوقده ﴿سَقَر﴾ لأنه وقود النار السقر حيث أجبها على سائر البشر.

٢٧ / ٧٤

٢٧- ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ﴾

٢٨- ﴿لَا تَبْقَى﴾ أهليه ﴿وَلَا تَذَرُ﴾ "ثم لا يموت فيها و لا يحيى" (٨٧: ١٣) و كما أنه ما أبقي القرآن وحيا و ما و ذره من كلام البشر كما قدر.

٢٩ / ٧٤

٢٩- ﴿لَوَاحٍ﴾ من اللوح: الظاهر ﴿لِلْبَشَرِ﴾ بشرة و سواها من البشر "كَلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ".

٣٠ / ٧٤

٣٠- ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ من الملائكة هم الزبانية "فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ. سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ" (٩٦: ١٨).

٣١ / ٧٤

٣١- ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ﴾ الزبانية الموكلين بها ﴿إِلَّا مَلَائِكَةً﴾ لا يحرقون بها ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ﴾ "تِسْعَةَ عَشَرَ" ﴿إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ امتهاننا بمزيد شكهم ﴿لَيْسَتِ يَنَالُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ امتحانا بصدق القرآن فإنه في كتبهم المقدسة ﴿وَيَزِدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾ على إيمانهم ﴿وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَ الْمُؤْمِنُونَ وَ لَيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ منافقين ﴿وَالْكَافِرُونَ﴾ الرسميون ﴿مَا ذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ﴾ الضلال فيشاءه الله عليه ﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ الهدى فيشاءها الله له ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ﴾ و منهم الزبانية ﴿إِلَّا هُوَ وَ مَا هِيَ﴾ "جُنُودَ رَبِّكَ" ﴿إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ﴾ إذ لا يحتاج هو إلى جنود.

٣٢ / ٧٤

٣٢- ﴿كَلَّا﴾ ليس ما يزعمون، قسما ﴿وَالْقَمَرِ﴾ لوضوحه.

٣٣ / ٧٤

٣٣- ثم قسما ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ﴾ بظلامه الواضح.

٣٤ / ٧٤

٣٤- ثم قسما ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ﴾ أن الحق واضح وضح الصبح و القمر، و الباطل مظلم كظلام "اللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ".

٣٥ / ٧٤

٣٥- ﴿إِنَّهَا﴾ هذه النذارة القرآنية الكبرى ﴿لِإِحْدَى الْكُبَرِ﴾ من النذارات الربانية.

٣٦ / ٧٤

٣٦- حالكونه ﴿نَذِيرًا لِلْبَشَرِ﴾ كأصل النذارة.

٣٧ / ٧٤

٣٧- ﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ﴾ إلى الحق تصديقا ﴿أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ عنه تكذيبا "فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَ مَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ".

٣٨ / ٧٤

٣٨- ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ يرهن به بعد الموت عقابا.

٣٩ / ٧٤

٣٩- ﴿إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ﴾.

٤٠ / ٧٤

٤٠- ﴿فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾.

٤١ / ٧٤

٤١- ﴿عَنِ الْمُجْرِمِينَ﴾.

٤٢ / ٧٤

٤٢- ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ﴾.

٤٣ / ٧٤

٤٣- ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾.

٤٤ / ٧٤

٤٤- ﴿وَلَمْ نَكُ نَطْعُمُ الْمَسْكِينِ﴾.

٤٥ / ٧٤

٤٥- ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾.

٤٦ / ٧٤

٤٦- ﴿وَكُنَّا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾.

٤٧ / ٧١

٤٧- ﴿حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ﴾ و منه القيامة.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٥٧٧

٤٨ / ٧٤

٤٨- ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ﴾ إذا ﴿شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ المأذونين إذ لا تصلهم شفاعه منهم حيث " لا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَىٰ " (٢٨: ٢١) و غيرهم، إذ " ما لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَ لَا شَفِيعٍ يَطَاعُ " (٤٠: ١٨).

٤٩ / ٧٤

٤٩- ﴿فَمَا لَهُمْ﴾ من داء عضال، إذ هم ﴿عَنِ التَّذْكِرَةِ﴾ القرآنية العليا و ما إليها أفاقيا و أنفسيا، يكونون ﴿مُعْرِضِينَ﴾ أو أنه حال لهم بكل إدغال.

٥٠ / ٧٤

٥٠- ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ﴾ استنفرت بمنقر.

٥١ / ٧٤

٥١- ﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ أسد ضرغام هو تذكرة الحق، أو صائد يرام ليصيدهم عن كل غفلة و جهالة إلى هدى، فهم- إذا- من حمر الوحش، تفر من قسورة الحق.

٥٢ / ٧٤

٥٢- ﴿بَلْ يَرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ﴾ من الله أو رسله ﴿أَنْ يُؤْتَىٰ صُحُفًا﴾ من وحيه الخاص ﴿مُنْشَرَةً﴾ أمامهم دون وسيط البشر.
٥٣ / ٧٤

٥٣- ﴿كَلَّا﴾ إذ لا يؤمنون و لو أتوا منها ﴿بَلْ لَا يَخَافُونَ﴾ الحياة ﴿الْآخِرَةَ﴾.
٥٤ / ٧٤

٥٤- ﴿كَلَّا﴾ ليس كما يزعمون من عدم التذكرة إلا ما يرومون ﴿إِنَّهُ﴾ القرآن ﴿تَذَكُّرَةً﴾ أفضل من كل تذكرة.
٥٥ / ٧٤

٥٥- ﴿فَمَنْ شَاءَ﴾ الحق التذكرة ﴿ذَكَرَهُ﴾ القرآن الحق المرام.
٥٦ / ٧٤

٥٦- ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ﴾ بالتذكرة ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ حين يشاءون و يؤيدهم الله، بكل تقوى و مغفرة، فإنه ﴿هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَ أَهْلُ الْمَغْفِرَةِ﴾ دون مشية منهم مستقلة مستغلة، فلا جبر و لا تفويض بل أمر بين الأمرين.
سورة القيامة

١ / ٧٥

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ لا أقسم ﴿حَلْفًا﴾ ﴿بِیَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ لإثباتها، لأنه واضح وضح النهار.
٢ / ٧٥

٢- كذلك ﴿وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ حيث تلوم صاحبها بتخلفاتها، فإن لومها باهر، و نفس لوم النفس مما يدل على القيامة، فمع أنهما يصلحان للإقسام بهما كدليل لأصل القيامة، و لكننى "لا أقسم" و أقول لمن ينكرها.
٣ / ٧٥

٣- ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ﴾ أيا كان ﴿أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ استحالة لمفروض علينا قيومية و عدلا، جمعا عن تفتيتها، أو عن رمادها.
٤ / ٧٥

٤- ﴿بَلَى﴾ نحن نكون ﴿قَادِرِينَ﴾ حتى ﴿عَلَىٰ أَنْ نُسَوِّيَ﴾ كما خلقناه أول مرة ﴿بَنَانَهُ﴾ و هى أثبت توقيع له نقشا عليها دون تشابه بين أصحابها، و قد أثبت العلم التجريبي أنها تحمل أثبت توقيع.
٥ / ٧٥

٥- ﴿بَلْ يَرِيدُ﴾ هذا ﴿الْإِنْسَانُ﴾ الناصر الكافر ﴿لِيَفْجَرَّ أُمَّامَهُ﴾ أمام الله فجورا، و فجرا لكى يراه، و أمام يوم القيامة شهودا له هنا، و كذلك فجورا، و أمام نفسه أن يشهد بأم عينه كلما يحصل بوحي الله، أو يعلم وقت الحساب فجرا علميا، و حسب الأخير.
٦ / ٧٥

٦- ﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ و لا رباط لواقعه بمعرفة أيانه، فلا علاج لداءهم إلا بوقوعه.
٧ / ٧٥

٧- ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ﴾ اضطرابا "يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَ الْأَبْصَارُ" (٣٧: ٢٤) "فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا" (٩٧: ٢١)
٨ / ٧٥

٨- ﴿وَ خَسَفَ الْقَمَرُ﴾.

٩ / ٧٥

٩- ﴿وَ جُمِعَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ﴾.

١٠ / ٧٥

١٠- ﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ﴾: النسيان ﴿يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾.

١١ / ٧٥

١١- ﴿كَلَّا﴾ لا مفر و ﴿لَا وَزَرَ﴾ ملجأ يلجئون إليه.

١٢ / ٧٥

١٢- ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾.

١٣ / ٧٥

١٣- ﴿يَنْبِئُ الْإِنْسَانُ﴾ علميا و جزاء ﴿يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ﴾ للأخرى ﴿وَأَخَّرَ﴾ في الدنيا "وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ" (٣٦: ١٢).

١٤ / ٧٥

١٤- ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ مبالغة البصير، يعلم ما قدم و آخر.

١٥ / ٧٥

١٥- ﴿وَلَوْ﴾ مستحيلا في تقبل الإعذار ﴿أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ﴾.

١٦ / ٧٥

١٦- ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ﴾ القرآن المفصل على سابق معرفتك ليلة القدر بالمجمل ﴿لِسَانَكَ﴾ قبل أن يوحى إليك بملك الوحي ﴿لَتَعْجَلَ بِهِ﴾.

١٧ / ٧٥

١٧- ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ قراءته جمعا كما نقرؤه عليك.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٥٧٨

١٨ / ٧٥

١٨- ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ﴾ جمعا بعد إفراد آياته ﴿فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾^{٢٦} رآته هكذا، دون تدخل منك في جمعه فضلا عن غيرك.

١٩ / ٧٥

١٩- ﴿ثُمَّ﴾ بعد تنزيله و جمعه ﴿إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ فلا منزل و لا جامع و لا مبين و لا مفسر له إلا هو، فعلينا أن نفسر القرآن بالقرآن، فإنه خير بيان بكل إتقان و إيقان.

٢٠ / ٧٥

٢٠- ﴿كَلَّا﴾ ليس كما تزعمون ﴿بَلْ تُحِبُّونَ﴾ الحياة ﴿الْعَاجِلَةَ﴾.

٢١ / ٧٥

٢١- ﴿وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ﴾ الآجلة.

٢٢ / ٧٥

٢٢- فيها ﴿وَجْوهُ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ﴾ طرية، لا عيون، حيث الوجوه تعمها، و الوجوه الإنسانية حقها النفسية، و من وراءها الظاهرية، لا سيما أنها.

^{٢٦} . لا قراءاته، كسائر القراءات المختلفة.

٢٣ / ٧٥

٢٣- ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا﴾ ربوبية هي من أفعال الله لا ذاته ﴿ناظِرَةٌ﴾ انتظارا لربوبية الجزاء فيها.

٢٤ / ٧٥

٢٤- ﴿وَوُجُوهٌ﴾ كذلك ﴿يَوْمَئِذٍ بِاسِرَةٍ﴾ كالحة متقبضة.

٢٥ / ٧٥

٢٥- ﴿تَظُنُّ﴾ هذه الوجوه، مما يدل أيضا على أنها وجوه القلوب حيث الظن هو من أفعال القلب "تَظُنُّ" ﴿أَنُ يَفْعَلْ بِهَا﴾ الوجوه ﴿فَاقِرَةٌ﴾ الكارثة القاصمة الفقر الظهر، فلا تناسب أيضا الأبصار، بل هي قصم الإنسان بكلا روحه و جسمه، ظاهرا في جسمه، باطنا في روحه.

٢٦ / ٧٥

٢٦- ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ النَّفْسَ﴾ ﴿التَّارِقِ﴾ جمع الترقوة: الحلقوم منتهى النفس أخيرا "فَلَوْ لَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ. وَ أَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ" (٥٦: ٨٣).

٢٧ / ٧٥

٢٧- ﴿وَقِيلَ﴾ من قائلها ﴿مَنْ رَاقٍ﴾ إياي، يرقى بي من خفض الاحتضار إلى عل الانتصار.

٢٨ / ٧٥

٢٨- ﴿وَوَظَنَ أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾ بينه و بين دنياه بما فيها.

٢٩ / ٧٥

٢٩- ﴿وَالْتَفَتِ السَّاقُ﴾ دنيى ﴿بِالسَّاقِ﴾ برزخا: "يَوْمَ يَكْشَفُ عَنْ سَاقٍ.." (٦٨: ٤٢).

٣٠ / ٧٥

٣٠- ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ سوقا بزمانه و مكانه "إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ"

٣١ / ٧٥

٣١- ﴿فَلَا صَدَقَ﴾ صاحب الوجه الباسر ﴿وَلَا صَلَّى﴾ لله.

٣٢ / ٧٥

٣٢- ﴿وَلَكِنَّ كَذَّبَ﴾ الحق ﴿وَتَوَلَّى﴾ عنه إعراضا مع كافة الأغراض.

٣٣ / ٧٥

٣٣- ﴿ثُمَّ﴾ بعدهما ﴿ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ﴾ الأهلين له ﴿يَتَمَطَّى﴾ يمد مطاه و ظهره كالمطى الحمار، تطلبا لحرمة الحياة مع أهله.

٣٤ / ٧٥

٣٤- ﴿أُولَىٰ لَكَ﴾ هذا هنا ﴿فَأُولَىٰ﴾ لك.

٣٥ / ٧٤

٣٥- ﴿ثُمَّ﴾ فى الأخرى ﴿أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ﴾.

٣٦ / ٧٥

٣٦- ﴿أَ يَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ هملا دون غاية من خلقه: "أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ" (٣٣: ١١٥).

٣٧/٧٥

٣٧- ﴿أَلَمْ يَكُنْ نُطْقَةً﴾ خلية واحدة ﴿مِنْ مَنَى يَمْنَى﴾.

٣٨/٧٥

٣٨- ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ فَخْلَقَ﴾ الجنين منها بأطوارها ﴿فَسَوَّى﴾ إياها إنسانا.

٣٩/٧٥

٣٩- ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾.

٤٠/٧٥

٤٠- ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ﴾ الخلاق العظيم ﴿بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْيِيَ الْمَوْتَى﴾ مرة أخرى و هو أهون عليه من الأولى.

سورة الإنسان

١/٧٦

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ﴾ الزمان ﴿لَمْ يَكُنْ﴾ فيه ﴿شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ فقد كان شيئا و لكنه غير مذكور لدناءته كالمنى، أو لرخاسته كالتراب، أو لم يكن شيئا أصلا كما قبل أصل الخلق.

٢/٧٦

٢- ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ بعد آدم و زوجه ﴿مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ أخلاط، ألقها خلطا من مشج نطقتى الذكر و الأنثى ﴿نَبْتَلِيهِ﴾ الإنسان فى أمشاجه ﴿فَجَعَلْنَاهُ﴾ بتكامل أمشاجه ﴿سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ بعين و أذن ظاهرتين و باطنيتين.

٣/٧٦

٣- ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾ إلينا ف ﴿إِمَّا شَاكِرًا﴾ لنا ﴿وَأِمَّا كَفُورًا﴾ بنا.

٤/٧٦

٤- ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَ سَعِيرًا﴾ نارا شديدة التأجج معهم.

٥/٧٦

٥- ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٥٧٩

٦/٧٦

٦- ذلك كأسهم بمزاج الكافور، ثم شرابهم ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا﴾ ماء ﴿عِبَادُ اللَّهِ﴾ الخصوص، هم ﴿يَفْجَرُونَهَا﴾ من أرضها ﴿تَفْجِيرًا﴾ نورا على نور.

٧/٧٦

٧- ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ الذى نذروا الله عليهم، كما روى بحق على و فاطمة و الحسين ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا﴾ بعد الموت ﴿كَانَ﴾ منذ الدنيا ﴿شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ نفسه، فإن شر الدنيا يستطير إلى الأخرى، فشر الآخرة مستطار من شر الدنيا، تيارات الشر هى طيارات من الدنيا إلى الأخرى "و كل إنسان الزمان طائرته فى عنقه و نخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا" (١٧: ١٣).

٨/٧٦

٨- ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾: الله، وحب الطعام ﴿مُسْكِينًا وَيَتِيمًا وَآسِيرًا﴾ كما يروى انهم عليهم السلام أطعموهم في الله ثلاث ليال و هم صائمون نذرا لله.

٩ / ٧٦

٩- و ليس قالهم و حالهم إلا ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾ اتجاها إلى الله ﴿لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ﴾ إذا ﴿جَزَاءً وَ لَا﴾ حتى ﴿شُكْرًا﴾ تشكرونا.

١٠ / ٧٦

١٠- ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبَّنَا يَوْمًا عَبُوسًا﴾ عابسا في الوجوه ﴿قَمَطِيرًا﴾ شديدا ضره، طويلا شره.

١١ / ٧٦

١١- ﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ﴾ بما قدموه ﴿وَلَقَاهُمْ نَصْرَةٌ﴾ طراوة في وجوهم ﴿وَسُرُورًا﴾ في قلوبهم.

١٢ / ٧٦

١٢- ﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا﴾ في الله ﴿جَنَّةً وَ حَرِيرًا﴾ فيه، يحررهم عما لقوا من ضر و شر يوم الدنيا، فلا يختص الحرير بما نعرفه من ثوب، طالما يحرر لابسه عن أتعاب و لباسهم فيها حرير (٢٣: ٢٢) و لكنه حرير طليق في كل شيء.

١٣ / ٧٦

١٣- حالكونهم ﴿مُتَكَبِّينَ فِيهَا﴾ الجنة و الحرير ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ العروش ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا﴾ خلقت بعد تكويرها ﴿وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ بردا قارصا، هما لأهل النار.

١٤ / ٧٦

١٤- ﴿وَلَا﴾ حال أنهم ﴿دَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا﴾ عن الشمس ﴿وَذَلَّلَتْ قُطُوفُهَا﴾ فواكه ﴿تَذَلِيلًا﴾ لهم من الله ذلًا لهم دون شماس، خلاف فواكه يوم الدنيا.

١٥ / ٧٦

١٥- ﴿وَلَا يَطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ﴾ ظرف ﴿مِنْ فِضَّةٍ وَ أَكْوَابٍ﴾ جمع كوب: كوز ﴿كَانَتْ قَوَارِيرًا﴾ زجاجية و يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وَلَدَانُ مُخَلَّدُونَ (١٥: ٥٦).

١٦ / ٧٦

١٦- ﴿قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ﴾ و يا لها من صفاء و نقاء ﴿قَدَرُوهَا﴾ لأنفسهم ﴿تَقْدِيرًا﴾ عاليًا، كما يشتهون، ف "لَهُمْ مَا يَشَاؤُنَ فِيهَا وَ لَدَيْنَا مَزِيدٌ" يطاف عليهم بصحافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَ أَكْوَابٍ (٧١: ٤٣).

١٧ / ٧٦

١٧- ﴿وَيَسْقُونَ فِيهَا كَأْسًا﴾ من شرابها ﴿كَانَ مِزَاجُهَا﴾ الكأس ﴿زَنْجَبِيلًا﴾ كما كان كافورا، وقاية لها عما يتقى.

١٨ / ٧٦

١٨- "يَسْقُونَ" شرابا، أعنى ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا﴾ عليها سل سبيلا إلى مرضات الله، نفسا و جسما.

١٩ / ٧٦

١٩- ﴿وَلَا يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وَلَدَانُ﴾ غلمان من الدنيا ماتوا قبل تكليفهم، أم خلقوا في الجنة ﴿مُخَلَّدُونَ﴾ معهم فيها ﴿إِذَا رَأَوْهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنثورًا﴾ لكثرة نقاوتهم.

٢٠ / ٧٦

٢٠- ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ﴾ فى الجنة ﴿رَأَيْتَ نَعِيمًا﴾ عالياً غالياً ﴿وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ لله و لأهل الله من الله.

٢١ / ٧٦

٢١- رَأَيْتَ ﴿عَالِيَهُمْ﴾ حيث يعلوهم، أنه ﴿ثِيَابٌ سُندُسٍ﴾ رقيق الحرير ﴿خُضْرٌ﴾ كأفضل الألوان ﴿وَإِسْتَبْرَقُ﴾ سميكة خضرا و سواهما ﴿وَحُلُوءٌ﴾ تحلية ﴿أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ﴾ جمع دستواره: زينة اليد ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ يطهرهم.

٢٢ / ٧٦

٢٢- ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ﴾ الأبرار ﴿جَزَاءً﴾ لا الجزاء كله، فهناك "رضوانٌ من الله أكبر" (٩: ٧٢) ﴿وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا﴾.

٢٣ / ٧٦

٢٣- ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾ تدريجيا فى تفصيله، حكما من الله.

٢٤ / ٧٦

٢٤- ﴿فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ دون أن تحكم أنت، إلا رسولا من الله ﴿وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾ كفرا أو كفرانا.

٢٥ / ٧٦

٢٥- ﴿وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ صلاة الصبح و الظهرين: "وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَى النَّهَارِ وَ زُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ" (١١: ١١٤) بإضافة العشاءين.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٥٨٠

٢٦ / ٧٦

٢٦- ﴿وَبَعْضًا﴾ من الليل فأسجد له ﴿عِشَاءً﴾ عشاءين ككل ﴿وَسَبَّحَهُ﴾ أنت الرسول ﴿لَيْلًا طَوِيلًا﴾ نصفه أو انقص منه قليلا. أو زد عليه و رتل القرآن ترتيلا" (٧٣: ٤).

٢٧ / ٧٦

٢٧- ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ﴾ العاجلون المتجاهلون ﴿يَجِبُونَ﴾ الحياة ﴿الْعَاجِلَةَ﴾ يذرون وراءهم ﴿مُدْبِرِينَ﴾ يوما ثقيلا ﴿وَبَيَّلا﴾ يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا و هم عن الآخرة هم غافلون" (٣٠: ٧).

٢٨ / ٧٦

٢٨- ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَ شَدَدْنَا أَسْرَهُمْ﴾ ربطهم، فى كل من الجسم و الروح، و مع بعضهما البعض، و فطرة و عقلية مع الخالق و .. ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا﴾ هم ﴿أَمْثَالَهُمْ﴾ فى أبدانهم، و المادة هى المادة ﴿تَبْدِيلًا﴾ عظيما، و الروح هو الروح.

٢٩ / ٧٦

٢٩- ﴿إِنَّ هَذِهِ﴾ التذكريات الربانية ﴿تَذَكُّرٌ﴾ واحدة لوحدة التذكير ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ﴾ بها ﴿إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾.

٣٠ / ٧٦

٣٠- ﴿وَمَا تَشَاؤُنَ﴾ شيئا، لا سيما اعتداء ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ﴾ هـ ﴿اللَّهُ﴾ دون استقلال لكم ككل، كما "ما تشاؤون" أنتم الأبرار المعصومون، إلا ما يشاؤه الله، اتباعا لمشيئته ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ﴾ أزليا ﴿عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ فى مشيات عباده، دون جبر و لا تفويض بل أمر بين الأمرين.

٣١ / ٧٦

٣١- ﴿يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ﴾ الله بما يشاء العبد ﴿فِي رَحْمَتِهِ وَ الظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ فلكل ما سعا، و للمرحومين زيادة على سعيهم.

سورة المرسلات

١ / ٧٧

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قسما ﴿و﴾ القوات ﴿الْمُرْسَلَاتِ﴾ من الله ﴿عُرْفًا﴾ معروفا و منهم الرسل.

٢ / ٧٧

٢- ﴿ف﴾ و ﴿العاصفات﴾ منها ﴿عَصْفًا﴾ بشدة مرورها فى رسالاتها.

٣ / ٧٧

٣- ﴿و﴾ قسما بـ ﴿النَّاشِرَاتِ﴾ رسالات الله ﴿نَشْرًا﴾ بليغا رفيقا.

٤ / ٧٧

٤- ﴿ف﴾ قسما بـ ﴿الفارقات فَرَقًا﴾ بين الحق و الباطل.

٥ / ٧٧

٥- ﴿ف﴾ قسما بـ ﴿الملقيات ذِكْرًا﴾ على أهليه.

٦ / ٧٧

٦- ﴿عُذْرًا﴾ عند ربهم حين لا يؤثر ﴿أَوْ نُذْرًا﴾ حيث يؤثر، مما يدل على عدم اشتراط تأثير فى إلقاء الذكر و منه الأمر و النهى.

٧ / ٧٧

٧- قسما بكل هذه ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾ و إلا فلما ذا المرسلات العاصفات الناشرات الفارقات الملقيات ذكرا بثابت البراهين.

٨ / ٧٧

٨- ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ محوا لا ثارها و إِذَا الْكَوَاكِبُ ائْتَشَرَتْ (٨٢: ٢) عن مواضعها و مواضيعها.

٩ / ٧٧

٩- ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾ أ فَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَ زَيَّنَّاهَا وَ مَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ (٥٠: ٦) وَ بَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا (٧٨: ١٢).

١٠ / ٧٧

١٠- ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾ أن اقتلعت و أزيلت بمفجرات الزلازل الدكداك و يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا. فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا. لا تَرى فِيهَا عِوَجًا وَ لا أَمْتًا (٢٠: ١٠٧) فإلى هنا قيامة التدمير، ثم إلى قيامة التعمير.

١١ / ٧٧

١١- ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أَقْنَتْ﴾ تأجيلا لقيامه الإحياء فإنهم أحياء إليها و نَفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ .. (٣٩: ٦٨) فهم ممن شاء الله، مؤجلين إلى الحياء الأخرى.

١٢ / ٧٧

١٢- ﴿لَأَى يَوْمٍ أُجِّلَتْ﴾.

١٣ / ٧٦

١٣- ﴿لِيَوْمِ الْفَصْلِ﴾ بين المتخلفين، و المتصلين بالقربات، و بين الحق و الباطل، و عن أعمال الدنيا و آمالها و ..

١٤ / ٧٧

١٤- ﴿وَ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ إلا وحى من ربك.

١٥ / ٧٧

١٥- ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.

١٦ / ٧٧

١٦- ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ﴾ هنا كما هو معروض فى عشرات من الآيات.

١٧ / ٧٧

١٧- ﴿ثُمَّ﴾ بعدهم منذ الرسالة الأخيرة ﴿تَتَّبِعُهُمُ الْآخَرِينَ﴾ إلى يوم الدين.

١٨ / ٧٧

١٨- ﴿كَذَلِكَ﴾ الإهلاك أولا و أخيرا ﴿نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ دونما استثناء.

١٩ / ٧٧

١٩- ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ بالدين، مهما كان لهم ويلات قبله برزخا و رجعة و يوم التكليف.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٥٨١

٢٠ / ٧٧

٢٠- ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ﴾ "مِنْ سُلَالَةٍ" (٣٢: ٨) ﴿مِنْ مَاءٍ مَّهِينٍ﴾ موهون.

٢١ / ٧٧

٢١- ﴿فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ رحم فيه كل رحم و رحمة.

٢٢ / ٧٧

٢٢- ﴿إِلَى قَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ عندنا من ستة أشهر إلى تسعة.

٢٣ / ٧٧

٢٣- ﴿فَقَدَرْنَا﴾ ه قدرا و قدرة ﴿فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ نحن قدرة و قدرا.

٢٤ / ٧٧

٢٤- ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ بالدين.

٢٥ / ٧٧

٢٥- ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا﴾ طائرة مسرعة فى طيرانها، متقبضة ما على ظهرها.

٢٦ / ٧٧

٢٦- ﴿أَحْيَاءَ﴾ عليها ﴿وَأَمْوَاتًا﴾ مما يدل صريحا على أن أرضنا هذه طائرة مسرعة متقبضة ما عليها من ركبها الأحياء و الأموات، و من تقبصها القوة الجاذبية، التى تحافظ على ركبها سدا على قانون الفرار عن المركز.

٢٧ / ٧٧

٢٧- ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا﴾ بأعماقها ﴿رَوَاسِيَ﴾ جبالا راسية راکزة فيها ﴿شَامِخَاتٍ﴾ عاليات فى فضاءها" و الْجِبَالُ أَوْتَادًا" (٧٨: ٧) لهذه السفينة الفضائية حتى لا تنفسخ ﴿وَأَسْقَيْنَاكُمْ﴾ منها و من رواسيها ﴿مَاءً فُرَاتًا﴾ صافيا ضافيا.

٢٨ / ٧٧

٢٨- ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ بالدين.

٢٩ / ٧٧

٢٩- يقال لهم هناك ﴿انْطَلِقُوا﴾ تحلّلوا عن وثاق التكذيب إلى حرية التصديق بواقع العذاب ﴿إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ سرادقات ثلاث تحيط بهم "إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا".

٣٠ / ٧٧

٣٠- ﴿انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ﴾ من يحموم ﴿ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾.

٣١ / ٧٧

٣١- ﴿لَا ظَلِيلٍ﴾ يبرد ﴿وَلَا يَغْنَى مِنَ اللَّهَبِ﴾ فإنه من نفس اللهب.

٣٢ / ٧٧

٣٢- ﴿إِنَّهَا تَرْمِي﴾ المكذبين ﴿بِشَرَرٍ﴾ نارية ﴿كَالْقَصْرِ﴾ بناية مرتفعة.

٣٣ / ٧٧

٣٣- ﴿كَأَنَّهُ﴾ القصر الشرر ﴿جِمَالَةٍ﴾ مبالغة الجمال ﴿صَفْرُ﴾ جمع أصفر.

٣٤ / ٧٧

٣٤- ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.

٣٥ / ٧٧

٣٥- ﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾ فيه كما يشاءون "وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ" (٢٧: ٨٥) حتى اعتذارا لا استنكارا:

٣٦ / ٧٧

٣٦- ﴿وَلَا يُوْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ "قَالَ اخْسَوْا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ" (٢٣: ١٠٨) اللهم إلا تكلمنا صارعا مع غير الله "يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَا كُنْتُمْ" (٤٣: ٧٧) أو مع بعضهم البعض "إِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ" (٤٠: ٤٧).

٣٧ / ٧٧

٣٧- ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ بالدين.

٣٨ / ٧٧

٣٨- ﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ الحق، بعد باطل الوصل و عاطله ﴿جَمَعْنَاكُمْ﴾ أنتم الحضور و من يأتي ﴿وَالْأَوَّلِينَ﴾ دونما استثناء.

٣٩ / ٧٧

٣٩- ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ﴾ هناك ﴿فَكِيدُونِ﴾ إياي، كما كنتم تكيدون يوم الدنيا.

٤٠ / ٧٧

٤٠- ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ بالدين.

٤١ / ٧٧

٤١- ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ﴾ لأبدانهم عن الشمس "لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا" (٧٦: ١٣) ﴿وَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ صافية.

٤٢ / ٧٧

٤٢- ﴿وَفَوَاحِشَ مِمَّا يَشْتَهُونَ﴾ دون انحصار و انحسار.

٤٣ / ٧٧

٤٣- يقال لهم هناك: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا﴾ بكل هناء ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ "وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ".

٤٤ / ٧٧

٤٤- ﴿إِنَّا كَذَلِكَ﴾ العظيم ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ في حياتهم الدنيا.

٤٥ / ٧٧

٤٥- ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ بالدين.

٤٦ / ٧٧

٤٦- يقال لهم هناك أمرا أمر من نهى ﴿كُلُوا﴾ من رزق الله ﴿وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُّجْرِمُونَ﴾: "الَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَ يَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَ النَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ" (٤٧: ١٢).

٤٧ / ٧٧

٤٧- ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ بالدين.

٤٨ / ٧٧

٤٨- ﴿وَ إِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا﴾ لله ﴿لَا يَرْكَعُونَ﴾ يأمرهم الرسول عن الله بالصلاة فيقولون: لا ننحنى.

٤٩ / ٧٧

٤٩- ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ بالدين.

٥٠ / ٧٧

٥٠- ﴿فَبَأَىٰ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ "فَبَأَىٰ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَ آيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ" (٤٥: ٦) وَ مَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا" (٥٩: ٢١) فكل أمر هو حادث ضد الشهوة و الحيونة، هو لهم حديث، رباً و ربانيات و كل ما هو آت من رب العالمين، فكيف خصصوه بحديث الرواية.

سورة النبأ

١ / ٧٨

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. عَمَّا ذَا ﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾ منذ المضى حتى الحال و الاستقبال.

٢ / ٧٨

٢- ﴿عَنِ النَّبِإِ الْعَظِيمِ﴾ نبي التوحيد: " قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ " (٣٨: ٨٧) و نبي المعاد " وَ يَسْتَنْبِئُونَكَ أَمْ حَقُّ هُوَ " (١٠: ٥٣) و نبي النبوة، و يعم الكل نبي القرآن: " تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ " (١١: ٤٩) و على حوامشها أنباء أخرى، كخلافة الرسالة، المعصومة، فإنها نبي عظيم بعد نبي الرسالة، و السنة القطعية فإنها بعد نبي القرآن.

٣ / ٧٨

٣- ﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ أصلا و كيفية.

٤ / ٧٨

٤- ﴿كَلَّا﴾ ليس كما يزعمون ناكرين ﴿سَيَعْلَمُونَ﴾ برزخا.

٥ / ٧٨

٥- ﴿ثُمَّ﴾ بعد بفصل فصيل ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ في الآخرة، و هما عين اليقين بعد أن كانوا يوم الدنيا ناكرين.

٦ / ٧٨

٦- ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا﴾ لكم كالأطفال، حيث تتحرك بكم كالمهد: "الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا" (٢٠: ٥٤).

٧ / ٧٨

٧- ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ توتدها في حراكها المهد المهاد.

٨ / ٧٨

٨- ﴿وَوَخَّلْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾ ذكورا و إناثا، و على الجملة، "أَزْوَاجًا" ككل، مع الأرض المهاد مسانخة، و مع بعض البعض مناسبة.

٩ / ٧٨

٩- ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ و قطعنا عن حركات التعب و نهضات النصب.

١٠ / ٧٨

١٠- ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾ تلبسونه سترا عن الأتعب و الأشغاب.

١١ / ٧٨

١١- ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ لكلا الروح و الجسم، مما يدل على فضل النهار للمعاش، و فضل الليل لباس السبات.

١٢ / ٧٨

١٢- ﴿وَوَبَّيْنَا فَوْقَكُمْ﴾ على أرضكم، سماوات ﴿سَبْعًا شِدَادًا﴾ "طَبَاقًا" (٦٧: ٣) و من شدادها عدم تساقطها إلا بما يفطرها الله فتفطر.

١٣ / ٧٨

١٣- ﴿وَجَعَلْنَا فَوْقَكُمْ﴾ سراجا وهاجا: حارا مضيئا بشدة.

١٤ / ٧٨

١٤- ﴿وَ أَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾ ضغطاً، رياحية و سحابية و تفریغات كهربائية، و مع الكل و فوقها إعصار ربانى ﴿مَاءً ثَجَّاجاً﴾ غزيراً مصيوباً "أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا" (٨٠: ٢٥).

١٥ / ٧٨

١٥- ﴿لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا﴾ تشمل كافة الحبوب ﴿وَنَبَاتًا﴾ تشمل كل نبات و حتى الإنسان: "وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا" (٧١: ١٧).

١٦ / ٧٨

١٦- ﴿وَجَنَّاتٍ﴾ بساتين تجن الأرض شجرها ﴿أَلْفَافًا﴾ تلف بعضها البعض لى تجن الأرض.

١٧ / ٧٨

١٧- ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ﴾ كنموذج بارع من "النَّبَا الْعَظِيمِ" ﴿كَانَ مِيقَاتًا﴾ لأهليه حساباً و جزاء "إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ" (٤٤: ٤٠) حيث يفصل فيه بين المحق و المبطّل.

١٨ / ٧٨

١٨- ﴿يَوْمَ نُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ نفخة إحياء ﴿فَتَأْتُونَ﴾ إلى المحشر ﴿أَفْوَاجًا﴾ "وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ" (٣٩: ٦٨) "وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ" (٣٦: ٥١).

١٩ / ٧٨

١٩- ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ "إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ" (٨٢: ١).

٢٠ / ٧٨

٢٠- ﴿وَسِيرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾.

٢١ / ٧٨

٢١- ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ ترصد مترقبة أهلها منذ الدنيا، فإن أعمالهم بنفسها جهنم.

٢٢ / ٧٨

٢٢- ﴿لِلطَّاغِينَ﴾ هنا ﴿مَابًا﴾ و مرجعاً هناك.

٢٣ / ٧٨

٢٣- فتراهم ﴿لَا يَتَيْنِ فِيهَا أَحْقَابًا﴾ جمع حقب، مدة من الزمن، مما يدل على أن لها حداً و نهاية كما لكل طغيان.

٢٤ / ٧٨

٢٤- ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾.

٢٥ / ٧٨

٢٥- ﴿إِلَّا حَمِيمًا﴾ حاراً حارقاً ﴿وَوَسَّاسًا﴾ يغسق على الحياة كغسق الليل مظلماً.

٢٦ / ٧٨

٢٦- ﴿جَزَاءً وَفَاقًا﴾ يدل على محدودية الجزاء بمحدودية الطغيان.

٢٧ / ٧٨

٢٧- ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾.

٢٨ / ٧٨

٢٨- ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا﴾.

٢٩ / ٧٨

٢٩- ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾ .. إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٤٥: ٢٩).

٣٠ / ٧٨

٣٠- ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٥٨٣

٣١ / ٧٨

٣١- ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ﴾ هنا ﴿مَفَازًا﴾ هناك، ظفرا بالخير.

٣٢ / ٧٨

٣٢- ﴿حَدَائِقَ﴾ "ذَاتَ بَهْجَةٍ" ﴿وَأَعْنَابًا﴾ مما يدل على ميزة خاصة لها بين الفواكه، تذكر مرات عشر دون سائر الفواكه.

٣٣ / ٧٨

٣٣- ﴿وَكَوَاعِبَ﴾ نواهد، مستدارة ثديهن مع ارتفاع يسير ﴿أُتْرَابًا﴾ مماثلات موافيات مع أزواجهن، فى كافة الجواذب الأنثوية و الزوجية.

٣٤ / ٧٨

٣٤- ﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ ممتلئة مترعة متتابعة من أى شراب بأيديهن و أيدي الغلمان.

٣٥ / ٧٨

٣٥- ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا﴾ يلغى الإنسان عما يهيمه هناك ﴿وَلَا كِذَابًا﴾ فالمحرمات الأصلية هناك مطردة كما هنا.

٣٦ / ٧٨

٣٦- ﴿جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا﴾ دون فوضى جزاف، مهما كان عطاء فوق الأجر.

٣٧ / ٧٨

٣٧- ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ﴾ الخالق لكل بما هدى ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ يخاطبونه سؤالا لا يسئل عما يفعل و هم يسئلون (٢١: ٢٣) أو شفاعة، أو اعتذارا.

٣٨ / ٧٨

٣٨- ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ﴾ الأصيل بين الأرواح و عله الروح المحمدى، أو دونه روح هو زعيم الملائكة "تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ" (٩٨: ٨) كان منهم و ليس منهم لمقابلة ﴿وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾ أمام الرب ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ﴾ أى كلام ﴿إِلَّا مَنْ أَمَرَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ وقال صواباً عند الله.

٣٩ / ٧٨

٣٩- ﴿ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ﴾ كله لبروزه فيه كله، لا حق ﴿فَمَنْ شَاءَ﴾ هنا ﴿اتَّخَذَ﴾ فيه ﴿إِلَىٰ رَبِّهِ مَابًا﴾ و مرجعا حسنا.

٤٠ / ٧٨

٤٠- ﴿إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ و كل آت قريب، كما و أن القيامة قريب ﴿يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ من خير أو شر ﴿وَقَالَ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا﴾ منذ الأول، أو بعد الموت "يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَ مَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَ بَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَ يَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَ اللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبَادِ" (٣٠: ٣).

سورة النازعات

١ / ٧٩

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قسما ﴿وَالْقَوَاتِ﴾ النّازعات ﴿حَالِكُونَهَا﴾ غَرْفًا ﴿فِيمَا تَنْزَعُ، وَ تَنْزَعُ غَرْفًا﴾ فى نزعتها، أى غرق لأى نازع و منزوع.

٢ / ٧٩

٢- ﴿وَالْقَوَاتِ﴾ قسما بالقوات ﴿النَّاشِطَاتِ﴾ عقدا يسهل حلّه ﴿نَشْطًا﴾ تنقلا لحل العقد.

٣ / ٧٩

٣- ﴿وَالْقَوَاتِ﴾ قسما بالقوات ﴿السَّابِحَاتِ﴾ فى أى مسبح ﴿سَبْحًا﴾ مرا سريعا فى ماء أو هواء، كما "وَكُلُّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونُ" (٢١: ٣٣).

٤ / ٧٩

٤- ﴿فَالْمُدْبِرَاتِ أَمْرًا﴾ من النازعات الناشطات السابحات ﴿السَّابِقَاتِ سَبْقًا﴾ فى ميادين السباق مع الرفاق.

٥ / ٧٩

٥- ﴿فَالْمُدْبِرَاتِ أَمْرًا﴾ ربانيا فى سباقها بأمر الله "يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ" قيومية "وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ" * (١٦: ٥٠) قسما بهذه القوات.

٦ / ٧٩

٦- ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ الرَّاجِفَةَ﴾ قبل هذه الرجفة، رجفة أولى عند شماسها، و أخرى ذلها "هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا" (٦٧: ١٥) ثم "تَرْجُفُ" هذه الثالثة تدميرا.

٧ / ٧٩

٧- ﴿تَتَّبِعُهَا﴾ الرجفة ﴿الرَّادِفَةُ﴾ رابعة بعدها تعميرا.

٨ / ٧٩

٨- ﴿قُلُوبٌ﴾ مكلفة ﴿يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ مقلوبة مغلوبة.

٩ / ٧٩

٩- ﴿أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ﴾ هى أبصار القلوب "يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَ الْأَبْصَارُ" (٣٧: ٣٤).

١٠ / ٧٩

١٠- ﴿يَقُولُونَ أَيْنَا لِمَرَدُّدُونِ فِي الْحَيَاةِ﴾ الحافرة ﴿إِذْ تَجْفَرْنَا وَ تَخْفَرْنَا بَعْدَ مَوْتِنَا﴾.

١١ / ٧٩

١١- ﴿إِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً﴾ بالية رخية، و هم بين موت برزخى و حياة أخرى.

١٢ / ٧٩

١٢- ﴿قَالُوا تِلْكَ إِذْ كَرَّةٌ﴾ رجعة إلى حياة ﴿خَاسِرَةٌ﴾ إذ عرفوا خسرانها فى البرزخ.

١٣ / ٧٩

١٣- ﴿فَإِنَّمَا﴾ الزجرة المحيية ﴿هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ "وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ" (٣٦: ٥١).

١٤ / ٧٩

١٤- ﴿فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ﴾ أرضا يوم القيامة، سهرا و خلوا لهم.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٥٨٤

١٥ / ٧٩

١٥- ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى﴾.

١٦ / ٧٩

١٦- ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ﴾ رسوليا لأول مرة ﴿بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ إذ طوى أهله- إذا- متناسيا، فطواه ربه بوجيه، فمند بزوجه أوحى إليه أن.

١٧ / ٧٩

١٧- ﴿ادْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ إذ ﴿إِنَّهُ طَغَى﴾ على الله و أهل الله.

١٨ / ٧٩

١٨- ﴿فَقُلْ﴾ له ﴿هَلْ لَّكَ سَبِيلٌ﴾ إلى أن تزكى ﴿إِذْ يَعْرِفُ كُلُّ أَنَّهُ غَيْرُ مَزْكَى﴾.

١٩ / ٧٩

١٩- ﴿وَ﴾ فى هذه السبيل "هَلْ لَّكَ" أن ﴿أَهْدِيكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَى﴾ إياه، فما أطفه و ألينه دعوة، كما أمرا: "فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيْنًا. لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى" (٢٠: ٤٣) و فى سبيله إلى تزكيه.

٢٠ / ٧٩

٢٠- ﴿فَأَرَاهُ الْآيَةَ﴾ الربانية ﴿الْكُبْرَى﴾ بين ما أراه إياها: "لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى" (٢٠: ٢٣) و هى ثعبان العصاء و آية القرآن هى الكبرى القمة.

٢١ / ٧٩

٢١- ﴿فَكَذَّبَ﴾ إياها ﴿وَوَعَصَى﴾ إياه.

٢٢ / ٧٩

٢٢- ﴿ثُمَّ﴾ بفاصل زمن يفكر و يدبر ﴿أَدْبَرَ﴾ عنه ﴿يَسْعَى﴾ علاجا لهذه المشكلة الشائكة.

٢٣ / ٧٩

٢٣- ﴿فَحَشَرَ﴾ جمعا لجمعه ﴿فَنَادَى﴾ فى حشره.

٢٤ / ٧٩

٢٤- ﴿فَقَالَ﴾ تثبिता لدعواه بعد فشلها بالآية الكبرى ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ و حتى ممن يدعيه موسى أن كان ربا أعلى.

٢٥ / ٧٩

٢٥- ﴿فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَ﴾ قبلها نكال ﴿الْأُولَى﴾ "فَغَشِيَهُمْ مِّنَ اللَّيْلِ مَا غَشِيَهُمْ" (٢٠: ٧٨).

٢٦ / ٧٩

٢٦- ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ الأخذ الوز هنا و فى الأخرى ﴿لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى﴾ الله، دون من لا يخشاه.

٢٧ / ٧٩

٢٧- ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا﴾ خلقيا ﴿أَمْ السَّمَاءُ﴾ التى ﴿بَنَاهَا﴾ الله.

٢٨ / ٧٩

٢٨- ﴿رَفَعَ سَمَكَهَا﴾ سقفها ﴿فَسَوَّاهَا﴾ سماء ثم سماوات.

٢٩ / ٧٩

٢٩- ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾ ظلاما ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾ منها، قبل تسبيعها.

٣٠ / ٧٩

٣٠- ﴿وَ﴾ هذه ﴿الْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ البناء و التسوية و إغطاش و إضحاء ﴿دَحَاهَا﴾ تحريكا و "طَحَاهَا" (٩١: ٦) و هما الرمى بقهر، دليلا على حركاتها، و قد خلقت فى يومين، و كملت شيئا ما يومين آخرين قبل تسبيع السماء كما فصلت فى "فصلت".

٣١ / ٧٩

٣١- ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَ مَرْعَاهَا﴾ مما قد يدل على أنها كان لها ماء غير كاف إذ "وَ أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ" (٢٣: ١٨) و ذلك بعد تسبيع السماء.

٣٢ / ٧٩

٣٢- ﴿وَالْجِبَالِ﴾ المخلوقة عليها ﴿أَرْسَاهَا﴾ فيها.

٣٣ / ٧٩

٣٣- ﴿مَتَاعًا لَكُمْ وَ لِنِعَامِكُمْ﴾.

٣٤ / ٧٩

٣٤- ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الْقِيَامَةُ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى﴾ بين كل طمّ عمّ، داهية تطم الكون كله تدميرا، ثم تعميرا.

٣٥ / ٧٩

٣٥- ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى﴾ إياه حيث يراه، و قد كان يتناساه.

٣٦ / ٧٩

٣٦- ﴿وَبُرُزَّتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى﴾ أعماله و الجحيم، و هو لكافة الغاوين "وَبُرُزَّتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ" (٨١: ١٢) و الجحيم بنارها هى أعمال أهلها نفسها، فقد كانت كائنة كامنة قبل الأخرى، ثم برزت.

٣٧ / ٧٩

٣٧- ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَى﴾ فى الدنيا.

٣٨ / ٧٩

٣٨- ﴿وَأَثَرَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ الدانية الدنية، على الأخرى.

٣٩ / ٧٩

٣٩- ﴿فَإِنَّ﴾ هذه ﴿الْجَحِيمَ هِيَ﴾ له ﴿الْمَأْوَى﴾ كما كانت مأواه يوم الدنيا.

٤٠ / ٧٩

٤٠- ﴿وَ أَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ قياما بربوبيته بزمانه و مكانه ﴿وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾ الغاوية خلاف مقام ربه.

٤١ / ٧٩

٤١- ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ﴾ لكلا روحه و جسمه ﴿هِيَ﴾ له ﴿الْمَأْوَى﴾ كما كانت مأواه يوم الدنيا بتقواه فيها "وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ" (٤٦: ٥٥).

٤٢ / ٧٩

٤٢- ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ﴾ القيامة، من السَّوع: التغير و الزوال و الضياع، فإنها تغاير ساعة الدنيا ﴿أَيَّانَ﴾ متى ﴿مُرْسَاهَا﴾ مثبتها بواقعها، قبل الإنباء بها.

٤٣ / ٧٩

٤٣- ﴿فِيمَ﴾ علميا ﴿أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا﴾ بمرساها.

٤٤ / ٧٩

٤٤- ﴿إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا﴾ بعد البرزخ و الدنيا.

٤٥ / ٧٩

٤٥- ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مَنْ يَخْشَاهَا﴾ "إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنْ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ" (٣٦: ١١).

٤٦ / ٧٩

٤٦- ﴿كَانَهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا﴾ قبلها برزخيا ﴿إِلَّا عَشِيَّةً﴾ فقط ﴿أَوْ ضُحَاهَا﴾.

سورة عبس

١ / ٨٠

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. عَبَسَ﴾ و العيوس هو قطوب الوجه من ضيق الصدر، و العبس هو ما يعلق على هلب الذنب من البعر و البول، وصف به عدو الله وحيد "ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ" في حين وصف النبي بـ "إِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ" (٦٥: ٤) "وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظًا لَّانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ" (٣: ١٩٥) ثم أمر بحسن الخلق مع الأعداء فضلا عن المؤمن الأعمى، و كما ابتدأ بالغيبة "عَبَسَ" و مخاطب القرآن هنا بنكاية الشكاية هو الرسول، ثم هو موصوف بعد ضمن السفرة، فالعابس هو ضم الكفرة، فهل العابس هنا هو الرسول (ص)! ﴿وَتَوَلَّى﴾ إعراضا.

٢ / ٨٠

٢- ﴿أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ ليجلس بأمر الرسول مكانه.

٣ / ٨٠

٣- ﴿وَمَا يَدْرِيكَ﴾ أيها العابس ﴿لَعَلَّهُ﴾ الأعمى ﴿يَزَكَّى﴾.

٤ / ٨٠

٤- ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ﴾ بالرسول ﴿فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى﴾.

٥ / ٨٠

٥- ﴿أَمَّا مَنْ اسْتَغْنَى﴾ "إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَإِطْمَأْنَيْنٍ" (٩٦: ٧).

٦ / ٨٠

٦- ﴿فَأَنْتَ﴾ العابس هنا ﴿لَهُ﴾ لا لسواه ﴿تَصَدَّى﴾ تتصوت له كالبوبق متعريدا.

٧ / ٨٠

٧- ﴿وَمَا﴾ ذا ﴿عَلَيْكَ﴾ استفهما ﴿أَلَا يَزَكَّى﴾ أو ليس عليك- خبرا- ألا يزكى.

٨ / ٨٠

٨- ﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ﴾ ليحل محللك عند الرسول ﴿يَسْعَى﴾ إليه تركيا.

٩ / ٨٠

٩- ﴿وَهُوَ يَخْشَى﴾ الله.

١٠ / ٨٠

١٠- ﴿فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾ عابسا معرضا.

١١ / ٨٠

١١- ﴿كَلَّا﴾ ليس كما تزعم ﴿إِنَّهَا﴾ رسالات السماء و أفضلها محمد (ص) ﴿تَذَكَّرُ﴾.

١٢ / ٨٠

١٢- ﴿فَمَنْ شَاءَ﴾ الله بما شاء هو ﴿ذَكَرَهُ﴾ ما تذكره آياته الربانية.

١٣ / ٨٠

١٣- ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ﴾ أصفها القرآن.

١٤ / ٨٠

١٤- ﴿مَرْفُوعَةً﴾ عمن سوى الله، مرفوفة على عقول المكلفين ﴿مُطَهَّرَةً﴾ عن أية دناسة تقضى عليها.

١٥ / ٨٠

١٥- ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾ ربانية أسفرهم محمد.

١٦ / ٨٠

١٦- ﴿كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ أبر من غيرهم، و الرسول محمد صلى الله عليه و آله أجمع و أبر من هؤلاء الكرام البررة، فهل هو بعد عابس بمواصفات قبل، ثم بعد:

١٧ / ٨٠

١٧- ﴿قَتَلَ الْإِنْسَانَ مَا اكْفَرَهُ﴾ كفرا أو كفرانا بالتذكرة من البررة، فهل الرسول هنا كفر برسالاته نفسه أمام الضيرير الفقير.

١٨ / ٨٠

١٨- ﴿مِنْ أَى شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ الله.

١٩ / ٨٠

١٩- ﴿مِنْ نُّطْقَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ﴾ إنسانا فى أحسن تقويم.

٢٠ / ٨٠

٢٠- ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ﴾ إليه ﴿يَسْرَهُ﴾.

٢١ / ٨٠

٢١- ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾ برزخا.

٢٢ / ٨٠

٢٢- ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ﴾ يوم الأخرى ﴿أَنْشَرَهُ﴾.

٢٣ / ٨٠

٢٣- ﴿كُلًّا لَّمَّا يَفْضُ مَا أَمَرَهُ﴾ يوم الدنيا.

٢٤ / ٨٠

٢٤- ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ نفسيا و بدنيا، بصرا و بصيرة، و أهمها هو علمه الذى يأخذه عمن يأخذه.

٢٥ / ٨٠

٢٥- ﴿أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴾ و منه ماء الوحى.

٢٦ / ٨٠

٢٦- ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا﴾ و منها أرض القلب.

٢٧ / ٨٠

٢٧- ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا﴾ لا سيما حب الإيمان.

٢٨ / ٨٠

٢٨- ﴿وَعَنَبًا وَقَضْبًا﴾.

٢٩ / ٨٠

٢٩- ﴿وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا﴾.

٣٠ / ٨٠

٣٠- ﴿وَحَدائقَ غُلْبًا﴾ غالبية بأشجارها.

٣١ / ٨٠

٣١- ﴿وَفَاكِهَةً﴾ للإنسان ﴿وَأَبًا﴾ للحيوان.

٣٢ / ٨٠

٣٢- ﴿مَتَاعًا لَكُمْ وَلِإِنْعَامِكُمْ﴾

٣٣ / ٨٠

٣٣- ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَةُ﴾ الصاكة الخارقة بشدة صوتها.

٣٤ / ٨٠

٣٤- ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ و قد كان أزره.

٣٥ / ٨٠

٣٥- ﴿وَأُمُّهُ وَآبِيهِ﴾ و قد كان ملجأه.

٣٦ / ٨٠

٣٦- ﴿وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾ و قد كانتا أنسه و حرزه.

٣٧ / ٨٠

٣٧- ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ﴾ هناك ﴿يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ يكفيه في نفسه عن غيره، فلا تدعه نفسه اتّجّاهها إلى غيره، بل فرار عنه حتى يفكر في حسابه و عتابه.

٣٨ / ٨٠

٣٨- ﴿وَجُوهٌ﴾ ظاهرة و باطنة ﴿يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾ إشراقا بعد ظلام.

٣٩ / ٨٠

٣٩- ﴿ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾.

٤٠ / ٨٠

٤٠- ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ﴾ جمع غبار "خَاشِعَةٌ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ".

٤١ / ٨٠

٤١- ﴿تَرْهَقُهَا﴾ حِيطة ﴿قَتَرَةٌ﴾ ضيقة.

٤٢ / ٨٠

٤٢- ﴿أُولَئِكَ﴾ الأشراس الأنجاس ﴿هُمْ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾ لهم "نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ. الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْآفْتِدَةِ" (١٠٤: ٧).

سورة التكوير

١ / ٨١

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ إِذَا الشَّمْسُ ﴿كُورَتْ﴾ هذه ﴿كُورَتْ﴾ أحيط عليها كما "يَكُورُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ" (٧: ٣٩) و على أخيها القمر "وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ" (٨: ٧٥) و كذلك تدميرا لها عن أصلها عند احتضارها، جمعا لكيانها و صرعها بمصرعها عند قيامتها، و قد يؤكد العلم أنها ستنتظمس.

٢ / ٨١

٢- ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ ظلمة، و انكدارا بانتثارها "وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ" (٨٢: ٣) جمعا لانكدار و انتثار، مهما خست النجوم بأنها طالعة "فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ" (٨: ٧٧) عن كيانها النجومى بذلك الجمع الجميع.

٣ / ٨١

٣- ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ﴾ كلها ﴿سِيرَتْ﴾ "وَسِيرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا" بحملها سراعا "وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً" (٦٩: ١٤) "وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ" (٨٨: ٢٧).

٤ / ٨١

٤- ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ﴾ جمع العشاء، النوق الجبالى فى شهرها العاشر ﴿عُطِّلَتْ﴾ عن وضعها.

٥ / ٨١

٥- ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ﴾ ككل ﴿حُشِرَتْ﴾ جمعت ليوم الجمع، إلى قيامة التعمير بعد قيامة التدمير.

٦ / ٨١

٦- ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ إحراقا فى قيامة التدمير "وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ" (٨٢: ٣).

٧ / ٨١

٧- ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ﴾ من أى ذى نفس، إنسى و جنى و من أشبه ﴿زُوجَتْ﴾ قرنا مع بعض البعض، بعد قرننها بأبدانها، و بأعمالها.

٨ / ٨١

٨- ﴿وَإِذَا الْمَوْؤَدَّةُ سُئِلَتْ﴾ نفسها و عن و أدها، و هى الثقل، اشتقاقا من بنات كنّ يدفنّ فى التراب "يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيْمَسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ" (١٦: ٥٨) أم إثقالا فى شئون الحياة، تكليفا عليهن كحيوان، دون قدر لهن كإنسان.

٩ / ٨١

٩- ﴿بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ و أدا فى التراب، أم قتل إنسانيتها.

١٠ / ٨١

١٠- ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ﴾ صحف الشرايع و الأعمال ﴿نُشِرَتْ﴾ بعد استئثارها.

١١ / ٨١

١١- ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ تحللت عن كيانها إلى ما كانت "يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ" (٤٤: ١٠).

١٢ / ٨١

١٢- ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾ تشعيلًا بوقودها من أهلها و لم تكن مسعرة قبل.

١٣ / ٨١

١٣- ﴿وَإِذَا الْجَنَّةُ أُنزِلَتْ﴾ قربت إلى أهلها و كانت جنة من ذى قبل " وَأُنزِلَتْ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ " (٥٠: ٣١).

١٤ / ٨١

١٤- ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أُخْضِرَتْ﴾ "يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَ مَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ" (٣: ٣٠).

١٥ / ٨١

١٥- ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنُوسِ﴾ نفيا لإقسام بالأنجم التى تخنس و تستتر.

١٦ / ٨١

١٦- ﴿الْجَوَارِ﴾ جريانا ﴿الْكُنُوسِ﴾ المتوارية.

١٧ / ٨١

١٧- ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ إقبالا و إدبارا لظلام الضلال فى فترات رسولية.

١٨ / ٨١

١٨- ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ بالنور كصبح الإشراقة المحمدية بوحي القرآن دون خنس و لا كنس و لا عسعس.

١٩ / ٨١

١٩- ﴿إِنَّهُ﴾ القرآن ﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ رسالة من الله محمدا.

٢٠ / ٨١

٢٠- ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ أقوى و أمكن من غيره.

٢١ / ٨١

٢١- ﴿مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ محمد الأمين.

٢٢ / ٨١

٢٢- ﴿وَ مَا صَاحِبُكُمْ﴾ صاحب الوحي ﴿بِمَجْنُونٍ﴾ "فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أ فَلَا تَعْقِلُونَ" (١٠: ١٦)

٢٣ / ٨١

٢٣- ﴿وَلَقَدْ رَآهُ﴾ الله معرفيا بفؤاده ﴿بِالْأَفْقِ﴾ الأعلى ﴿الْمُبِينِ﴾ الكون كله " وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى. عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى " (٥٣: ١٣).

٢٤ / ٨١

٢٤- ﴿وَ مَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ﴾ الرسالى ﴿بِضَنِينٍ﴾ بخيل.

٢٥ / ٨١

٢٥- ﴿وَ مَا هُوَ﴾ القرآن ﴿يَقُولُ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾.

٢٦ / ٨١

٢٦- ﴿فَإَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ عنه و أنى توفكون.

٢٧ / ٨١

٢٧- ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾.

٢٨ / ٨١

٢٨- ﴿لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ باستقامة الوحي عن اعوجاجه المتحلل عن الوحي.

٢٩ / ٨١

٢٩- ﴿وَمَا تَشَاؤُنَ﴾ شيئاً ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ﴾ هـ ﴿اللَّهُ﴾ أمراً بين الأمرين، دون جبر و لا تفويض، لأنه ﴿رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ برانيته العلمية الحكمية الكريمة.

سورة الإنفطار

١ / ٨٢

١- بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. إِذَا السَّمَاءُ ﴿١﴾ انْفَطَرَتْ ﴿٢﴾ بِمَا فطَرها اللَّهُ "السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا" (٧٣: ١٨).

٢ / ٨٢

٢- ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ﴾ متفرقة متساقطة بعد انسماكها.

٣ / ٨٢

٣- ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ﴾ الأرضية و السماوية ﴿فُجِّرَتْ﴾ بما يفجرها الله، بعد ما "سُجِّرَتْ" حرقا بعده تفجير.

٤ / ٨٢

٤- ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ بعثت و أثيرت: "يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ" (٥٤: ٧) و القبور هي مخابئ الأبدان كيفما كانت، حيث القبر هو الستر، و هاتان قيامتا التدمير و التعمير وراء بعض البعض، ثم.

٥ / ٨٢

٥- ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ﴾ مكلفة ﴿مَا قَدَمَتْ﴾ لنفسها ﴿و﴾ ما ﴿أَخَرَتْ﴾: "يَنْبِؤُا الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَ أَخَّرَ" (٧٥: ١٤) "عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ" (٨١: ١٤).

٦ / ٨٢

٦- ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ﴾ النسيان ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ بواسع رحمته عليك "و لَكِنِّكُمْ فَتَنَّاكُمْ أَنفُسَكُمْ وَ تَرَبَّصُّمْ وَ ارْتَبْتُمْ وَ غَرَّكُمْ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَ غَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ" (٥٧: ١٤).

٧ / ٨٢

٧- ﴿الَّذِي خَلَقَكَ﴾ "فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ" ﴿فَسَوَّكَ﴾ في خلقك ﴿فَعَدَّلَكَ﴾ عدلا مع سائر الخلق، و عدلا فطريا بما فطرك.

٨ / ٨٢

٨- ﴿فِي أَى صُورَةٍ﴾ ذكرا و أنثى و غيرهما من صور الإنسانية ﴿مَا شَاءَ﴾ هو لا سواه ﴿رَكَّبَكَ﴾ تركيبا عادلا عدلا.

٩ / ٨٢

٩- ﴿كَلَّا﴾ "لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرُهُ" ﴿بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ﴾ الطاعة هنا و بروزها جزاء في الأخرى.

١٠ / ٨٢

١٠- ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ﴾ هنا ﴿لِحَافِظِينَ﴾ حيث "يُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً" (٦: ٦١).

١١ / ٨٢

١١- ﴿كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾ أعمالكم و أحوالكم، من ملائكة و سائر المقربين.

١٢ / ٨٢

١٢- ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ و الكتابة هي تثبيت أثبته نفس العمل بصورته "إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ".

١٣ / ٨٢

١٣- ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ بما أحسنوا يوم الدنيا.

١٤ / ٨٢

١٤- ﴿وَإِنَّ الْفُجَارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ غارقين.

١٥ / ٨٢

١٥- ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ إيقادا إياها ﴿يَوْمَ الدِّينِ﴾ و هو بروز الطاعة خيرا أو شرا بملكوتهما.

١٦ / ٨٢

١٦- ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا﴾ منذ الدنيا ﴿يَغَائِبِينَ﴾ فإن أعمالهم هي الجحيم هنا، ثم تبرز يوم الأخرى.

١٧ / ٨٢

١٧- ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾.

١٨ / ٨٢

١٨- ﴿ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ﴾.

١٩ / ٨٢

١٩- ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا﴾ من عذاب أو رحمة، مهما كانت من المقربين ﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ "وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا" (٢: ١٦٥) "لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ" (٤٠: ١٦).

سورة المطففين

١ / ٨٣

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. وَيْلٌ﴾ هلاك بأشده ﴿لِلْمُطَفِّفِينَ﴾ تقليلا بتخسير عن كثير، نفسا و نفسيا و لا تَبَخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ* (٧: ٨٥) و أصلها أنفسهم.

٢ / ٨٣

٢- و هم ﴿الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا﴾ وزنا و وزانا ﴿عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ لأنفسهم، تطفيفا لكثيرهم، مالا أو حالا.

٣ / ٨٣

٣- ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ﴾ أنفسهم قياسا ﴿أَوْ وَزَنُوهُمْ﴾ كذلك و فى نفائسهم ﴿يَخْسِرُونَ﴾ إياهم، فالموازين عندهم محتلة مختلة، تتقيلا لأنفسهم و نفائسهم و تخفيفا تطفيفا لمن سواهم، و لا سيما نفسيا فى علم و عقيدة و ما أشبه.

٤ / ٨٣

٤- ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ﴾ المطففون ﴿أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾.

٥ / ٨٣

٥- ﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

٦ / ٨٣

٦- ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ﴾ و سواهم من المكلفين ﴿لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يوم القيامة، قياما لهم بأجسادهم عن أجدائهم لرب العالمين، و قيام الشهداء، فإنه "يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ" (٤٠: ٥١) و كذلك "يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا" (٧٨: ٣٨).

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٥٨٨

٧ / ٨٣

٧- ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ﴾ حيث فجرُوا ستر العبودية ﴿لَفِي سِجِّينٍ﴾ سجن عميق، و كتابهم هنا هو أعمالهم و أصواتهم المسجلة فى أعناقهم.

٨- ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ﴾ أهو جحيم وراء أنفس الفجار؟.

٩- هو ﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾ رقمه الله و استنسخه " إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ " (٢٩: ٤٥) إذا فجزاؤهم هو في نفس أعمالهم، دون جزاء آخر، بل هي هي جزاءهم " هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ " (٩٠: ٣٧) " إِنكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ " (٢١: ٩٨).

١٠- ﴿وَبِلْ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ من أنفسهم النحيسة بمرقوم كتابهم الظاهر يوم الدين مهما خفى يوم الدنيا.

١١- ﴿الَّذِينَ يَكْذِبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ﴾.

١٢- ﴿وَمَا يَكْذِبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ﴾ على الله و على أهل الله ﴿أُثِيمٍ﴾ فعيل ما يمنع عن المفروض، فتكذيبه بيوم الذين ستر باعتدائه و إثمه.

١٣- ﴿إِذَا تَتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا﴾ بينات ﴿قَالَ﴾ هذه ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ "اكتتبها فهي تُملى عليه بُكْرَةً وَ أَصِيلًا" (٢٥: ٥) فليست هي خرافته الأسطورية من نفسه.

١٤- ﴿كَلَّا﴾ ليس كما يزعمون ﴿بَلْ رَانَ﴾ درنا ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ المقلوبة ﴿مَا كَانُوا﴾ دوما ﴿يَكْسِبُونَ﴾ من اعتداء و إثم "فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ" (٢٢: ٤٦) "كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُّتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ" (٣٥: ٤٠).

١٥- ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَّحْجُوبُونَ﴾ قربا، كما حجبوا عنه أنفسهم يوم الدنيا.

١٦- ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا﴾ موقدوا و مؤججوا ﴿الْجَحِيمِ﴾ فإنها هي أعمالهم نفسها.

١٧- ﴿ثُمَّ يُقَالُ﴾ لهم ﴿هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ﴾.

١٨- ﴿كَلَّا﴾ ليس كما يزعمون ﴿إِنَّ كِتَابَ﴾ أعمال ﴿الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ علو عال للأعلى.

١٩- ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُونَ﴾.

٢٠- هو ﴿كِتَابٌ مَرْقُومٌ﴾ رقمه الله استنساخا عن الأبرار.

٢١- ﴿يَشْهَدُهُ﴾ الكتاب ﴿الْمُقَرَّبُونَ﴾ فكلما الكتابين للفجار و الأبرار، هما رقيما رب العالمين، و هما بأنفسهما العقاب و الثواب بملكوتهما، فهما الجنة و النار، و فى الجنة مزيد بفضل الله، و كينونة قبل القيامة، دون الجحيم، إذ لا واقع لها قبل، إلا أعمال أهلها اللهم إلا موضعها.

٢٢ / ٨٣

٢٢- ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ﴾ غارقون ﴿لَفِي نَعِيمٍ﴾ فى الجنة، برزخا و أخرى.

٢٣ / ٨٣

٢٣- ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ العروش هناك ﴿يَنْظُرُونَ﴾ إلى بعضهم البعض، و إلى ربهم "وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ. إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ" (٧٥: ٢٣).

٢٤ / ٨٣

٢٤- ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ﴾ ظاهرة و باطنة ﴿نَضْرَةً﴾ طراوة و طلاوة ﴿النَّعِيمِ﴾.

٢٥ / ٨٣

٢٥- ﴿يَسْقُونَ مِنْ رَحِيقٍ﴾ خمرة خالصة عن كل غش و حش ﴿مَخْتُومٍ﴾ باكر.

٢٦ / ٨٣

٢٦- ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾ و هى أمسك من مسك "لا لَعُوْ فِيهَا وَ لَا تَأْتِيْمُ" (٥٢: ٢٣) ﴿وَ فِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ المتسابقون فى سباق الخيرات النفسيات النفيسات.

٢٧ / ٨٣

٢٧- ﴿وَ مِزَاجُهُ﴾ ذلك الرحيق المختوم ﴿مِنْ تَسْنِيمٍ﴾ و هو عين المقربين متسمة من الأعلى.

٢٨ / ٨٣

٢٨- ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾.

٢٩ / ٨٣

٢٩- ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ قطعاً لثمرات الحياة قبل إيناعها ﴿كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ﴾ سخرية منهم.

٣٠ / ٨٣

٣٠- ﴿وَ إِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾ فيما بينهم همزا و لمزا متفكهين.

٣١ / ٨٣

٣١- ﴿وَ إِذَا انْقَلَبُوا﴾ عنهم و ما تهوى أنفسهم ﴿إِلَى أَهْلِهِمْ﴾ الأهلين معهم ﴿انْقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾ فكاهة من فعلة المؤمنين.

٣٢ / ٨٣

٣٢- ﴿وَ إِذَا رَأَوْهُمْ﴾ هم أو أهلهم ﴿قَالُوا﴾ بينهم أنفسهم و لأهلهم ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُونَ﴾ سبيل الحياة المريحة.

٣٣ / ٨٣

٣٣- ﴿وَ مَا أَرْسَلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ﴾ حياتهم.

٣٤ / ٨٣

٣٤- ﴿قَالِیَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ هم ﴿مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾ "جَزَاءً وَفَاقًا".

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٥٨٩

٣٥ / ٨٣

٣٥- ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾ نظراتهم الناضرة.

٣٦ / ٨٣

٣٦- ﴿هَلْ تُؤَبُّ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ من هزء و كفر، إلا فكاهاه هناك.

سورة الإنشقاق

١ / ٨٤

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾ افتراقا عن التأمها" و انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ" (١٦: ٦٩) "فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ" (٣٧: ٥٥).

٢ / ٨٤

٢- ﴿وَأَذْنَتْ﴾ سمعت ﴿لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ إذ جعل حق السماع في السماء كما خلقت.

٣ / ٨٤

٣- ﴿وَأِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ تدميرا بعد ما مدت تعميرا" هُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَ جَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَ أَنْهَاراً" (١٩: ١٥).

٤ / ٨٤

٤- ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَ تَخَلَّتْ﴾ عما في بطنها من إنسان و سواه بما زلزلت و دكَّت.

٥ / ٨٤

٥- ﴿وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَ حُقَّتْ﴾ كالسما.

٦ / ٨٤

٦- ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ﴾ سعيًا في عناء ﴿إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ "إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى" (٩٦: ٨) شئت أم أبيت، فليكن رجوعا ربانيا صالحا لا كالحا، فأحسن السير تحسن المصير، كدحا في نفسك و كدحا في جسمك، كدحا لشخصك و كدحا في مجتمعك، فأنت لا محالة كادح، فليكن صالحا إلى ربك، ثم شرعنا شرعة الكادحين الساعين.

٧ / ٨٤

٧- ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ﴾ أعماله ﴿بِيَمِينِهِ﴾ علامة النجاح.

٨ / ٨٤

٨- ﴿فَسَوْفَ يَحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ غير عسير.

٩ / ٨٤

٩- ﴿وَيُنْقَلَبُ إِلَى أَهْلِهِ﴾ الأهلين معه ﴿مَسْرُورًا﴾ إذ "إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ". (١١: ١١٤) و "إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَ نُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا" (٣١: ٤).

١٠ / ٨٤

١٠- ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ﴾ أعماله ﴿وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ علامة السقوط" ما لهذا الكتاب لا يغادرُ صَغِيرَةً وَ لَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا. وَ وَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَ لَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا" (١٨: ٤٩).

١١ / ٨٤

١١- ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا﴾ هلاكًا مواظبا على إتيانه.

١٢ / ٨٤

١٢- ﴿وَيُصَلِّ﴾ يوقد ﴿سَعِيرًا﴾ نارا شديدة التاجج.

١٢ / ٨٤

١٣- ﴿إِنَّهُ كَانَ﴾ يوم الدنيا ﴿فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ بكفره.

١٤ / ٨٤

١٤- ﴿إِنَّهُ ظَنَّ﴾ زعما خاويا ﴿أَنْ لَّنْ يَحُورَ﴾ لن يرجع إلى عمله و إلى ربه.

١٥ / ٨٤

١٥- ﴿بَلَى﴾ يحور ﴿إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾ "لا تخفى منكم خافية".

١٦ / ٨٤

١٦- ﴿فَلَا أُقْسِمُ﴾ سلب الإقسام ﴿بِالشَّفَقِ﴾ غروب الشمس.

١٧ / ٨٤

١٧- ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ جمعا بين متفرقين.

١٨ / ٨٤

١٨- ﴿وَالْقَمَرَ إِذَا اتَّسَقَ﴾ اجتمع نوره و تبدّر و تبلور، و الكل لائح عند من له بصر، فالإقسام هو بالليل و القمر دون الشفق المختلط.

١٩ / ٨٤

١٩- ﴿تَرْكَبْنِ﴾ فى حياتكم ﴿طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ طبق البرزخ المطابق لطبق الدنيا، و طبق الأخرى عنه و الأولى، تطابقا مثلا دون فوضى جزاف، تطابقا فى المساعى، على قدر السعى و الساعى، فكل لاحقة من حياة هى مطية لسابقتها دون تخلف و تكلف، كما تطابق الشفق و الليل و ما وسق و القمر إذا اتسق.

٢٠ / ٨٤

٢٠- ﴿فَمَا لَهُمْ﴾ ما داءهم ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

٢١ / ٨٤

٢١- ﴿وَ إِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ﴾ خضوعا أقله استماعه، مما يفرضه كأحرى و أوجب على المؤمنين "وَ إِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَ أُنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ" (٢٠١: ٧) فخلافه أنكم ترجمون، و هل الكافر يؤمر باستماعه خضوعا كأقل تقدير و لا يؤمر به المؤمن.

٢٢ / ٨٤

٢٢- ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالله ﴿يَكْذِبُونَ﴾ بالقرآن و رسوله.

٢٣ / ٨٤

٢٣- ﴿وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوْعُونَ﴾ إخفاء لكفرهم، و إيعاء له فى غيرهم.

٢٤ / ٨٤

٢٤- ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

٢٥ / ٨٤

٢٥- ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ لِيُؤْتِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ مَحْصُونٍ ﴿عَلَيْهِمْ إِتْقَانًا، وَ لَا مَقْطُوعَ عَنْهُمْ إِدْغَالًا وَ إِهْمَالًا﴾.

سورة البروج

١ / ٨٥

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ القصور العالية المتبرجة بالزينة: "وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزِينًا لِلنَّاطِرِينَ. وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ" (٧: ١٥) "تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا" (٢٥: ٦٠) ففى السماء قصور مزينة كما فى الأرض، بناها إنسانها كإنسان الأرض "وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ" (٤٢: ٢٩) ف"هم" راجعا إلى ذوى عقول من الدواب المنبثة، تبث منهم فى السماء كالأرض، مهما كان فى السماء بروج ربانية للملا الأعلى، كإنسانية لإنسانها و ما أشبه.

٢ / ٨٥

٢- ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾ القيامة.

٣ / ٨٥

٣- ﴿وَالْشَّاهِدِ وَالشَّاهِدِ﴾ شاهد ربانى فى الأولى والأخرى، و مشهود له أو عليه فيهما، تلقيا وإلقاء لما يشهد به "ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ" (١١: ١٠٣). قسما بهذه الأربعة.

٤ / ٨٥

٤- ﴿قَتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ﴾ الأرض المشقوقة، إخبارا أن قتلت إنسانيتهم و عطفهم الحيوانى.

٥ / ٨٥

٥- و الأخدود هو ﴿النَّارِ ذَاتِ الْوُقُودِ﴾ إذ أصبح نارا كله.

٦ / ٨٥

٦- ﴿إِذْ هُمْ﴾ أصحاب الأخدود ﴿عَلَيْهَا﴾ مشارفها العالية ﴿فَعُودٌ﴾ ينظرون.

٧ / ٨٥

٧- ﴿وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ الملقون فى الأخدود ﴿شُهُودٌ﴾ حضور يسمعون صرخاتهم، و يرون حركاتهم.

٨ / ٨٥

٨- ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ﴾ انتقاما ﴿إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾.

٩ / ٨٥

٩- ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ هما الكون كله ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ فالله شاهد نقمتهم و حرقة المؤمنين.

١٠ / ٨٥

١٠- و كضابطة ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ كالذهب تحرق بالنار، و هم عذبوهم بنار و غير نار ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾ قبل موتهم، مما يدل على أن التوبة تمحى العذاب ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ فى البرزخ والأخرى.

١١ / ٨٥

١١- ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ لإيمانهم ﴿لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ أمام الخوض الكبير للكافرين.

١٢ / ٨٥

١٢- ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ أكثر من بطشهم أولاء و أين بطش من بطش.

١٣ / ٨٥

١٣- ﴿إِنَّهُ هُوَ يَبْدِئُ الْخَلْقَ﴾ و ﴿وَيَعِيدُ﴾ إياه "وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ".

١٤ / ٨٥

١٤- ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ﴾ فى غفره فى موضع العفو و الرحمة، و أشد المعاقبين فى موضع النكال و النعمة.

١٥ / ٨٥

١٥- ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾ قيومية ﴿الْمَجِيدُ﴾ عامة و فى عرشه، فليس عرشا يتكىء عليه لأنه غير مجيد، فعرشه هو ما يناسب كيانه الربوبى كقيوميته.

١٦ / ٨٥

١٦- فهو ﴿فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ بكل استقلال بلا إدغال دون حاجة إلى سواه، أم إلى مقدمات.

١٧ / ٨٥

١٧- ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ﴾ الشيطانية.

١٨ / ٨٥

١٨- ك ﴿فِرْعَوْنَ وَ ثَمُودَ﴾ بأتباعهم الصامدين الثامدين.

١٩ / ٨٥

١٩- ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ هم غارقون ﴿فِي تَكْذِيبٍ﴾.

٢٠ / ٨٥

٢٠- ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾ قدرة و علما و حسابا فجزاء.

٢١ / ٨٥

٢١- ليس كما يزعم أن القرآن هو من غير الله ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ﴾ كما الله مجيد، قرآن مجيد من رب مجيد، فكما لا يحرف ربنا كذلك قرآنه.

٢٢ / ٨٥

٢٢- لأنه ﴿فِي لَوْحٍ﴾ صفحة لائحة ﴿مَحْفُوظٍ﴾ عما ينافى مجده، من تحريف و تجديف "وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ. لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ" (٤١: ٤٢) ف "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ" (٩٥: ٩٠).

سورة الطارق

١ / ٨٦

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قسما ﴿وَالسَّمَاءِ﴾ قسما بـ ﴿الطَّارِقِ﴾ منها حيث يطرق ليلا.

٢ / ٨٦

٢- ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا﴾ هو ﴿الطَّارِقُ﴾ منها.

٣ / ٨٦

٣- هو ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ نجم ينجم من كوكب، نيزكا ناريا يثقب بنوره و وقعته كل شيطان مارد" إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ" (٣٧: ١٠) و كما يطرق من سماء الوحي نجم ثاقب ثقبا فى ظلام ليل الضلالة، ظلم الردى لمن يستهدى، و يثقب من لا يستهدى، قسما بكل ذلك.

٤ / ٨٦

٤- ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ﴾ خيرة أو شريفة أمام "النجم الثاقب" ﴿لَمَّا﴾ إِلَّا وَ حَتَّى يَأْتِيَ يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ من الله "وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً" (٦: ٦١) "حافظ" يوم الدنيا من طوارق الحدثنان، و "حافظا" أعمالهم عن الضياع، حفاظا عليها لما عبد الموت، و "حافظا" أرواحهم و أبدانهم بعد موتهم" وَقَالُوا إِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ .. قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي ذِي بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ" (٣٢: ١٠).

٥ / ٨٦

٥- إِذَا ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ﴾ نظر البصر و البصيرة، علما و اعتبارا ﴿مِمَّ خُلِقَ﴾ "أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ" (٥٢: ٣٥).

٦ / ٨٦

٦- ﴿خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ﴾ يدفق عند شهوة دونما إختيار، اللهم إلا بمقدماته.

٧ / ٨٦

٧- ﴿يَخْرُجُ﴾ من مخرجه ﴿مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ﴾ والدا ﴿وَالْتَرَائِبِ﴾ أضلاع صدر والدة، إذ يحس الوالد برخوة من صلبه، و والدة فى مقادير بدنهما، مهما كان له خزينة الاحتياط بيضة، و لها أيضا بيضا، مما يقضى على الجاهلية، الزاعمة أن الأنثى من الأنثى و الذكر من الذكر.

٨ / ٨٦

٨- ﴿إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ﴾ الإنسان كما بدء ﴿لَقَادِرٌ﴾ "و هو أهون عليه" رجعا.

٩ / ٨٦

٩- ﴿يَوْمَ تَبْلَى﴾ بلاء ﴿السَّرَائِرُ﴾ الأبدان بأرواحها و أعمالها التى أصبحت سرا و حتى من عاملها، تحيى رجعا فتبلى بلاء "جَزَاءً وَفَاقًا" فبالبلاء يظهر الخفاء، و أى بلاء أبلى من ذلك الإحياء.

١٠ / ٨٦

١٠- ﴿فَمَا لَهُ﴾ إِذَا ﴿مِنْ قُوَّةٍ وَ لَا نَاصِرٍ﴾.

١١ / ٨٦

١١- ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ إرجاعا لما يصعد إليها من أبخرة أرضية، و رجوعا إلى ما كانت دخانا.

١٢ / ٨٦

١٢- ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ انشقاقا بنبات برجع ماء السماء، و انشقاقا آخر بتدمرها.

١٣ / ٨٦

١٣- ﴿إِنَّهُ﴾ القرآن ﴿لَقَوْلُ فَصْلٍ﴾ يفصل بين الحق و الباطل.

١٤ / ٨٦

١٤- ﴿وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾ دون جدّ صائب، فسماء الوحي الصارم يرجع أمانات وحيها إلى قلوب تتصدع بها دون خيانة، كسماء قلب محمد (ص) استداعة لوى الله، فإذا عة دون إضاعة، إلى أراضى القلوب المنصدعة به.

١٥ / ٨٦

١٥- ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾.

١٦ / ٨٦

١٦- ﴿وَأَكِيدُ﴾ عليهم "جزاءً وفاقاً" ﴿كَيْدًا﴾ هنا و فى الأخرى.

١٧ / ٨٦

١٧- ﴿فَمَهْلِ الْكَافِرِينَ﴾ هنا ﴿أَمْهَلُهُمْ رُيْدًا﴾ قليلا فيهما.

سورة الأعلى

١ / ٨٧

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ سَبَّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿على الكون كله.

٢ / ٨٧

٢- ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى﴾ ما خلقه.

٣ / ٨٧

٣- ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ﴾ ما سواه ﴿فَهَدَى﴾ هـ.

٤ / ٨٧

٤- ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى﴾ فرعاها.

٥ / ٨٧

٥- ﴿فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾ شدة السواد فحما عاديا أو حجريا.

٦ / ٨٧

٦- ﴿سَنُقَرِّئُكَ﴾ القرآن على طول وحيه ﴿فَلَا تَنْسَى﴾ إياه بما نقرؤه، دون "لا تنس" مما يدل على استحالة نسيانه بما أقرأه الله.

٧ / ٨٧

٧- "سَنُقَرِّئُكَ" ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ ألا يقرئك ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَ مَا يَخْفَى﴾ كلا.

٨ / ٨٧

٨- ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى﴾.

٩ / ٨٧

٩- ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى﴾.

١٠ / ٨٧

١٠- ﴿سَيَذَكَّرُ مَنْ يَخْشَى﴾ الله.

١١ / ٨٧

١١- ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى﴾ فالشقى عوان بينهما.

١٢ / ٨٧

١٢- ﴿الَّذِي يَصَلَّى النَّارَ الْكُبْرَى﴾.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٥٩٢

١٣ / ٨٧

١٣- ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ فوتا قبل كمال الجزاء ﴿وَلَا يَحْيَى﴾ حياة أريحية، فهو- إذا- بين الموت و الحياة حتى يفنى أخيرا بعد ما ذاق " جزاءً وفاقاً".

١٤ / ٨٧

١٤- ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ هنا.

١٥ / ٨٧

١٥- ﴿وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾ فيها.

١٦ / ٨٧

١٦- ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ﴾ على الأخرى ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ "وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا" (١٠: ٧)

١٧ / ٨٧

١٧- ﴿وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ﴾ منها ﴿وَأَبْقَى﴾ منها.

١٨ / ٨٧

١٨- ﴿إِنَّ هَذَا﴾ المذكور هنا، أو فى القرآن كله ﴿لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾ الوحي كلها.

١٩ / ٨٧

١٩- ﴿صُحُفٍ إِبْرَاهِيمَ وَ مُوسَى﴾ فإنهما القمة العليا بينهما، و لا يعنى أن القرآن كله هو كما هو فى الصحف الأولى، بل أصل دعوته الصالحة، حيث الرسالة واحدة، مهما تبلورت و أخلدت فى القرآن.

سورة الغاشية

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

١ / ٨٨

١- ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ﴾ حادثة، القيامة ﴿الْغَاشِيَةِ﴾ الساترة متأكدة لمبالغة التاء مهما و كانت للتأنيث "غاشية" فى التدمير "يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ" (٤٤: ١١) و "غاشية" فى التعمير "لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَ مِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ" (٤١: ٧).

٢ / ٨٨

٢- ﴿وُجُوهٌ﴾ ذوات بكل وجوهها و واجهاتها ﴿يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾ مما يدل على الوجوه الباطنة إضافة إلى الظاهرة حيث الخشية هى للباطنة.

٣ / ٨٨

٣- ﴿عَامِلَةٌ﴾ عملها الخاشع الذليل ﴿ناصِبَةٌ﴾ بكل نصب و تعب.

٤ / ٨٨

٤- ﴿تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً﴾ حمى و حرارة بأشدها، كما حمت يوم الدنيا.

٥ / ٨٨

٥- ﴿تُسْقَى مِنْ عَيْنِ آيَةٍ﴾ بلغت إنها لشدة حماها " وَ سَقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ " (٤٧: ١٥).

٦ / ٨٨

٦- ﴿لَيْسَ لَهُمْ﴾ دلالة أخرى على أن الوجوه هم أنفسهم ﴿طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ﴾ يذلهم و يبكيهم و يخنقهم أيا كان.

٧ / ٨٨

٧- ﴿لَا يَسْمِنُ وَلَا يَغْنَى مِنْ جُوعٍ﴾ زقوما كالمهل و غسلين ذا غصة حميما و غساقا.

٨ / ٨٨

٨- و ﴿وُجُوهٌ﴾ ذوات بكل وجوهها و واجهاتها ﴿يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ﴾ ناضرة ضاحكة مستبشرة.

٩ / ٨٨

٩- ﴿لَسَعِيهَا رَاضِيَةٌ﴾.

١٠ / ٨٨

١٠- ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ على العالم كله " عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى. عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى " (٥٣: ١٥).

١١ / ٨٨

١١- ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً﴾ تلغى عن الله و عما لله.

١٢ / ٨٨

١٢- ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ جنسا أو هى الكوثر.

١٣ / ٨٨

١٣- ﴿فِيهَا سُرُرٌ﴾ عروش ﴿مَرْفُوعَةٌ﴾ رفع المكان و الكيان.

١٤ / ٨٨

١٤- ﴿وَأَكْوَابُ﴾ أقداح دون عرى ﴿مَوْضُوعَةٌ﴾ بمتناولهم.

١٥ / ٨٨

١٥- ﴿وَتَمَارِقُ﴾ مساند ﴿مَصْفُوفَةٌ﴾ صفا بعضها إلى بعض متقابلة " عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ *.

١٦ / ٨٨

١٦- ﴿وَزَرَائِبُ﴾ بسط فاخرة ﴿مَبْنُوتَةٌ﴾ منتشرة على أرض الجنة بين أهلها.

١٧ / ٨٨

١٧- ألا ينظرون إلى ما بين أيديهم من السماء و الأرض، ثم أقرب شيء عندهم كزاوية أولى للدعوة ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ بداية و بحالتها الفعلية، مما يدل على يراعتهما بين خلق الحيوان كما عرف الآن.

١٨ / ٨٨

١٨- ﴿وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ "رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا" فثُمَّ عَمَدٌ وَلَكِنْ لَا تَرَوْنَهَا.

١٩ / ٨٨

١٩- ﴿وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾.

٢٠ / ٨٨

٢٠- كَذَلِكَ ﴿وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ وَ لَمْ تَكُنْ مَسْطُوحَةً تَمَكَّنَ الْحَيَاةَ عَلَيْهَا إِذْ كَانَتْ شَمَاسًا فِي جَرْمِهَا وَ حَرَكَهَا "هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا" (٦٨: ١٥).

٢١ / ٨٨

٢١- ﴿فَذَكِّرْ﴾ مَنْ يَتَذَكَّرْ أَوْ لَا ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ "مُنْذِرٌ مَنْ يَخْشَاهَا" (٧٩: ٤٥) "عُذْرًا أَوْ نُذْرًا" (٧٧: ٦).

٢٢ / ٨٨

٢٢- ﴿لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُصِيطِرٍ﴾ تَجْبِرُهُمْ بِسَيْطَرَةٍ "وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ" (٥٠: ٤٥) كَمَا "لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ" (٢: ٢٧٢).

٢٣ / ٨٨

٢٣- ﴿إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ﴾ فَهَنَالِكُ سَيْطَرَةُ الْجِهَادِ وَ الدِّفَاعِ.

٢٤ / ٨٨

٢٤- ﴿فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾.

٢٥ / ٨٨

٢٥- ﴿إِنَّ إِلَيْنَا﴾ فَقَطْ ﴿إِيَابَهُمْ﴾ رَجُوعُهُمْ.

٢٦ / ٨٨

٢٦- ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾.

سورة الفجر

١ / ٨٩

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قسما ﴿وَالْفَجْرِ﴾ قسما بالشق الواسع إلى نور أو ظلام، و أولى الأول هو فجر الرسالة المحمدية و الحكومة المهدوية ثم ساير الفجر.

٢ / ٨٩

٢- ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ بعد الفجر، علها العشر الأولى من ذى حجة الحرام و ما أشبه من فجر إلى نور

٣ / ٨٩

٣- ﴿وَالشَّفْعِ﴾ كالكائنات المخلوقة كلها ﴿وَالْوَتْرِ﴾ الله الوتر، و كذلك و الخلق " الشفع " فى الكيان الكروبي هم الكروبيون أجمع، فلكل نظير يشفع به " و الوتر " هو الرسول محمد (ص) إذ لا نظير له يشفع به، أو هم يشفعون به و هو لا يشفع بهم، و ما أشبه من شفع و وتر.

٤ / ٨٩

٤- ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ ى إلى الفجر و النهار.

٥ / ٨٩

٥- ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ﴾ القسم بالكون كله ﴿قَسَمٌ لِذِي حِجْرِ﴾ و عقل، إنه كله دليل قاطع لا مرد له على التوحيد: " سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَ فِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ " (٤١: ٥٣).

٦ / ٨٩

٦- ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ﴾ بتمام التربية و كمالها ﴿بِعَادٍ﴾ الأولى "وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى" (٥٣: ٥٠)

٧ / ٨٩

٧- ب ﴿إِرمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾ كجنة شداد، و لعله قلعة بعلبك بلبنان.

٨ / ٨٩

٨- ﴿الَّتِي لَمْ يَخْلُقْ مِثْلَهَا فِي الْبِلَادِ﴾ بين خلق الله كأصل و صناعة الخلق كفرع.

٩ / ٨٩

٩- ﴿وَتُمُودَ الَّذِينَ جَابُوا﴾ قطعوا ﴿الصَّخْرَ بِالْوَادِ﴾: "وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ" (٣٦: ١٤٩).

١٠ / ٨٩

١٠- ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾ إذ كان يوتد بها أوتاد الإيمان كزوجته.

١١ / ٨٩

١١- ﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ﴾ كل الطغى.

١٢ / ٨٩

١٢- ﴿فَاكْتَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ﴾ فى كافة النواميس الخمسة أصلا و فرعاً.

١٣ / ٨٩

١٣- ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ هنا و فى الأخرى.

١٤ / ٨٩

١٤- ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ يرصدهم دون تغافل.

١٥ / ٨٩

١٥- ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ﴾ النسيان ﴿إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ﴾ ظاهريا فيما يطلبه ﴿فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِي﴾ بما أستحقه.

١٦ / ٨٩

١٦- ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ﴾ ضيق ﴿عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾ فى كرامة و نعمة ﴿فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِي﴾ بما لا أستحقه.

١٧ / ٨٩

١٧- ﴿كَلَّا﴾ هما إبتلاء و إبتلاء دون احترام و لا اخترام " وَ نَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَ الْخَيْرِ فِتْنَةً وَ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ " (٣٥: ٢١) و قد تربوا فتنة الخير على فتنة الشر " إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيطْغَى. أَنْ رَأَاهُ اسْتَعْنَى " " كَلَّا " كما يزعمون ﴿بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ المنقطع عمن يكرمه، فلا ناصر له إلا الله.

١٨ / ٨٩

١٨- ﴿وَلَا تَحَاضُّونَ﴾ محادثة بينكم ﴿عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ حيث أسكنه العدم عن حركات الحياة.

١٩ / ٨٩

١٩- ﴿وَلَا تَأْكُلُونَ الْتَرَاتِ﴾ من المورثين ﴿أَكْلًا لَمًّا﴾ يلم كله، تركا لضعفاء الورثة، و الديون، و الوصايا، و أولى القربى و اليتامى و المساكين " وَ إِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةُ أُولُوا الْقُرْبَى وَ الْيَتَامَى وَ الْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ " (٤: ٨).

٢٠ / ٨٩

٢٠- ﴿وَلَا تُحِبُّونَ أَمْوَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ كثيرا لا يقف لحد.

٢١ / ٨٩

٢١- ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ دكدكا مضاعفا " وَ حُمِلَتِ الْأَرْضُ وَ الْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً " (٦٩: ١٥).

٢٢ / ٨٩

٢٢- ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ مجيئ ربوبية الجزاء يومه، و قد جاء قبل ربوبية التكليف، فليس " جاء الله " بل " ربك " و الربوبية صفة فعل، حادثة من الأفعال الربانية ﴿وَجَاءَ﴾ المَلَكُ العمال يوم الجزاء ﴿صَفًّا صَفًّا﴾ مع بعض البعض أمام ربوبية الجزاء.

٢٣ / ٨٩

٢٣- ﴿وَجِئَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ أصلها، لأن أهلها هم وقودها، دون الجنة الجاهزة لأهلها، مهما كانت بأعمالهم نعماء فيها " وَ لَدَيْنَا مَزِيدٌ " من قبل و من بعد، و أعمال عوان بينهما ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ﴾ تماما، بعد تغافل يوم الدنيا، و تذكر ما يوم البرزخ ﴿وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾ و قد فات يوم خلاص و لات حين مناص.

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٥٩٤

٢٤ / ٨٩

٢٤- ﴿يَقُولُ﴾ إذا متحسرا أسفا ﴿يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ﴾ يوم الدنيا ﴿لِحَيَاتِي﴾ يوم الأخرى، كأن الحياة الدنيا ما كانت حياتا، أجل " وَ إِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ " (٢٩: ٦٤) " يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ هُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ " (٣٠: ٧).

٢٥ / ٨٩

٢٥- ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ﴾ الله ﴿أَحَدٌ﴾ فإنه المعذب لا سواه.

٢٦ / ٨٩

٢٦- ﴿وَلَا يُوْتِقُ﴾ فِي سَجِينٍ ﴿وَتَأَقَهُ أَحَدُ﴾ فَإِنَّهُ هُوَ الْمُوْتِقُ لَا سِوَاهُ.

٢٧ / ٨٩

٢٧- ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ إِلَى اللَّهِ.

٢٨ / ٨٩

٢٨- ﴿ارْجِعِي إِلَى رَبِّكَ﴾ كَمَا بَدَأَتْ مِنْهُ، حَالِكُونَكَ ﴿رَاضِيَةً﴾ عَنْهُ ﴿مَرْضِيَةً﴾ عِنْدَهُ.

٢٩ / ٨٩

٢٩- ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي﴾ الْخُصُوصُ.

٣٠ / ٨٩

٣٠- ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ الْخَاصَّةُ، كَمَا الْمُطْمَئِنَّةُ إِلَى اللَّهِ هُوَ "وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأْنَنُوا بِهَا" (٧: ١٠) تَخَاطَبَ هُنَا أَنْ ارْجِعِي عَنْ شَيْطَانِكَ إِلَى رَبِّكَ.

سورة البلد

١ / ٩٠

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿مَكَّةَ الْمَكْرَمَةِ﴾، احْتِرَامًا.

٢ / ٩٠

٢- ﴿وَالْحَالُ أَنْكَ﴾ ﴿أَنْتَ حِلٌّ﴾ حَرَمَتِكَ ﴿بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ فَإِنَّمَا حَرَمْتَهُ مِنْ حَرَمَتِكَ، وَكَذَلِكَ "لَا أَقْسِمُ" وَأَنْتَ حِلٌّ حَالٌ بِهَذَا الْبَلَدِ "بَلْ أَنْتَ أَنْتَ الْمَقْسَمُ بِهِ.

٣ / ٩٠

٣- لَذَلِكَ فَقَسَمَا بِكَ: ﴿وَوَالِدٍ﴾ أَنْتَ ﴿وَمَا وَلَدٌ﴾ جَسْمِيَا وَرُوحِيَا كِفَاطْمَةً، وَرُوحِيَا كَعَلَى وَ مِنْ أَشْبِهِ، قَسَمَا بِهِمَا وَ كَمَا "لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ" (١٥: ٧٣).

٤ / ٩٠

٤- ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ غَارِقًا ﴿فِي كَبَدٍ﴾ مُشَقَّةً، حَمَلًا وَ وَلَادَةً وَ رِضَاعَةً وَ إِلَى خَتَامِ الْحَيَاةِ، كَمَا "يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ" (٨٤: ٦).

٥ / ٩٠

٥- فِي ذَلِكَ الْكَبْدِ الْعَجْزِ ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدَرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ حَتَّى الْأَحَدِ، وَ قَدْ "خُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا" (٤: ٢٨) ثُمَّ فِيهِ مَعَ كَبْدِ التَّعَبِ كَبْدُ الْعِظْمَةِ! لِحَدِّ "يَحْسَبُ ..".

٦ / ٩٠

٦- وَ ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا لُبْدًا﴾ كَثِيرًا مُتْرَاكِبًا، فِي شَرِّ أَوْ خَيْرٍ.

٧ / ٩٠

٧- ﴿أَيَحْسَبُ﴾ حِسَابَنَا ﴿أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ حِينَ أَهْلَكَ مَا أَهْلَكَ وَ مَلِكٌ مَا مَلِكٌ أَوْ صَدٌّ مَا صَدٌّ وَ مَا أَشْبَهُ.

٨ / ٩٠

٨- ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ﴾ بِهِمَا يَنْظُرُ، أَوْ هُمَا الْبَصَرُ وَ الْبَصِيرَةُ.

٩ / ٩٠

٩- ﴿وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾ تكلما.

١٠ / ٩٠

١٠- ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ المرتفعين الخير والشر، فطرية وعقلية وحسية "فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ" (١٨: ٢٩)

١١ / ٩٠

١١- ﴿فَلَا اقْتَحَمَ﴾ بكبد و تعب ﴿الْعُقْبَةَ﴾ العاقبة لكل إنسان، و عليه اقتحامها للحصول على نتائجها.

١٢ / ٩٠

١٢- ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعُقْبَةُ﴾ الحياة العاقبة في مسيره، شاء أم أبى.

١٣ / ٩٠

١٣- إنها ﴿فَكُ رَقَبَةً﴾ أن تفك رقبتك من احتناك الشيطان، ثم سائر الرقاب عن كل أسر و حصر مالا و حالا على أية حال.

١٤ / ٩٠

١٤- ﴿أَوْ﴾ لأقل تقدير فكا ماليا ﴿إِطْعَامُ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾ شدة الحاجة و الرغبة إلى طعام.

١٥ / ٩٠

١٥- ﴿يَتِيمًا ذَا مَقَرَّةٍ﴾ بأية قرابة.

١٦ / ٩٠

١٦- ﴿أَوْ مُسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ ساكن التراب.

١٧ / ٩٠

١٧- ﴿ثُمَّ﴾ قبل الكل و بعده ﴿كَانَ﴾ منذ اقتحامه و فكه و إطعامه ﴿مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ شخصا ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ عن تقحم الباطل ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ المحافظة على الحق فرديا جماعيا.

١٨ / ٩٠

١٨- ﴿أُولَئِكَ﴾ الأكارم هم ﴿أَصْحَابُ الْمِيمَنَةِ﴾ يوم الدنيا إلى يوم القيامة، إذ عاشوا يمين الحياة و يمينها.

١٩ / ٩٠

١٩- ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا﴾ آفاقية و أنفسية ﴿هُمْ أَصْحَابُ﴾ الحياة ﴿الْمَشْأَمَةِ﴾ هنا و هناك.

٢٠ / ٩٠

٢٠- ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أنفسهم ﴿نَارُ﴾ أو أوقدوها ﴿مُؤَصَّدَةٌ﴾ تقصدهم و تحصدهم هنا و هناك، فى الآخرة و الأولى، و أين الآخرة من الأولى.

سورة و الشمس

١ / ٩١

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ وَ الشَّمْسُ ﴿هذه أو جنسها﴾ وَ ضُحَاهَا ﴿قرصا فضوء﴾.

٢ / ٩١

٢- ﴿وَالْقَمَرِ﴾ كَذَلِكَ ﴿إِذَا تَلَّاهَا﴾ اتبعا إياها كما "وَ أَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ" (٢٧: ٩٢) تعنى إتباعه فيما أتى به بكافة الشئون.

٣ / ٩١

٣- ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾ الشمس، تجلية لضوءها.

٤ / ٩١

٤- ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ الشمس.

٥ / ٩١

٥- ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾ وَ هو قدرة الله وَ حكمته البانية إياها.

٦ / ٩١

٦- ﴿وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا﴾ "وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا" دحرجة إياها.

٧ / ٩١

٧- ﴿وَنَفْسٍ﴾ أيا كانت ﴿وَمَا سَوَّاهَا﴾ فطرية و عقلية.

٨ / ٩١

٨- ﴿فَاللَّهُمَّ فَجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ تركا لبطغواها، قسما بهذه الكائنات و الأحوال و المحاولات.

٩ / ٩١

٩- ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ عقبات الحياة الوعرة ﴿مَنْ زَكَّاهَا﴾ بتقواها.

١٠ / ٩١

١٠- ﴿وَقَدْ خَابَ﴾ خسرانا ﴿مَنْ دَسَّاهَا﴾ إدغالا و إضلالا بطغواها.

١١ / ٩١

١١- ﴿كَذَبَتْ ثُمُودُ بِطَغْوَاهَا﴾ إذ تركت تقواها.

١٢ / ٩١

١٢- ﴿إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾ وَ هو أحيمرهم "فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ" (٥٤: ٢٩) وَ قد نسبت فى أخرى إلى كلهم "فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَ عَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ" (٧: ٧٧) إذ نادوه.

١٣ / ٩١

١٣- ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾ راعوا ﴿نَاقَةَ اللَّهِ﴾ آية ﴿وَسُقْيَاهَا﴾.

١٤ / ٩١

١٤- ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا﴾ وَ قد عقرها صاحبهم ﴿فَدَمَدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ﴾ "فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ" (٥٤: ٣١) ﴿فَسَوَّاهَا﴾ أن أحيائها.

١٥ / ٩١

١٥- ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾ الدمدمة.

سورة الليل

١ / ٩٢

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قسما ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى﴾ النهار و سواه.

٢ / ٩٢

٢- ﴿وَقَسَمًا بِنَهَارٍ إِذَا تَجَلَّى﴾ فجلى ما تغشى بالليل.

٣ / ٩٢

٣- ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ من إنسان و جان و غيرهما من زوجين هكذا، مما يدل على الاختصاص فيهما، و إذا فهناك ذكر أو أنثى و لا خنثى، قسما بهذه الشتات الحكيمة المكيمة من خالقها.

٤ / ٩٢

٤- ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾ خيرا أو شرا، كما هو شتى فى كل منهما، درجات شتى و دركات شتى.

٥ / ٩٢

٥- ﴿فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ﴾ فى الله ما يعطى ﴿وَأَتَّقَى﴾ الله فيما يتقى.

٦ / ٩٢

٦- ﴿وَصَدَقَ بِلِحْيَةِ الْحَسَنِ﴾ و هى الأخرى "وإن الدار الآخرة لى الحيوان لو كانوا يعلمون" (٢٩: ٦٤) كما يقول يا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي" (٨٩: ٢٤).

٧ / ٩٢

٧- ﴿فَسَنِّيئِرُهُ﴾ لا فقط له، بل إياه نفسه بكل قواته الحسنى ﴿لِلْحَيَاةِ الْيُسْرَى﴾ "فإن مع العسر يسراً" (٩٤: ٥). هنا و فى الأخرى "من عمل صالحاً من ذكرٍ أو أنثى و هو مؤمن فلنخيننه حياة طيبة و لنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون" (١٦: ٩٧).

٨ / ٩٢

٨- ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ﴾ عن ذلك الإعطاء ﴿وَأَسْتَغْنَى﴾ فى زعمه و علمه عن الله، عن تقواه إلى طغواه.

٩ / ٩٢

٩- ﴿وَكَذَّبَ بِلِحْيَةِ الْحَسَنِ﴾.

١٠ / ٩٢

١٠- ﴿فَسَنِّيئِرُهُ﴾ ذاتيا بصفاته و أفعاله ﴿لِلْحَيَاةِ الْعُسْرَى﴾ مما يدل على أن العسر ليس فقط تعباً فضلاً عما دون الحرج، بل هو فوقه.

١١ / ٩٢

١١- ﴿وَمَا يَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ﴾ بماله ﴿إِذَا تَرَدَّى﴾ ساقطاً هنا أو هناك.

١٢ / ٩٢

١٢- ﴿إِنَّ عَلَيْنَا﴾ بما فرضنا على أنفسنا ﴿لِلْهُدَى﴾ بأنفسنا الآيات و آفاقيتها.

١٣ / ٩٢

١٣- ﴿وَإِن لَّنَا لِحَيَاتِهِ﴾ الآية الأولى ﴿قِيَوْمَ رَبَّانِيَّةٍ لَا حَوْلَ عَنْهَا﴾ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (٢٠: ٥٠) إلا من عارض هداه إلى هواه و" خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ (٢: ٧).

١٤ / ٩٢

١٤- ﴿فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى﴾ وقودا من الطغوى، كما التقوى وقود نور لأهلها " جزاءً وفاً".

البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٥٩٦

١٥ / ٩٢

١٥- ﴿لَا يَصْلَاهَا﴾ إيقادا، لا فقط دخولا فيها ﴿إِلَّا الْأَشْقَى﴾.

١٦ / ٩٢

١٦- ﴿الَّذِي كَذَّبَ﴾ بالحق ﴿وَتَوَلَّى﴾ عنه، و لو كان صليها دخولها لم يدخلها الأتقياء إلا الأتقى.

١٧ / ٩٢

١٧- ﴿وَسَجَّيْنَهَا الْأَتَقَى﴾ كلا، مهما دخلها بعض الأتقياء.

١٨ / ٩٢

١٨- ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ﴾ و ما- له، حال أنه ﴿يَتَزَكَّى﴾ فى إيتاءه لله، و تجنب الأتقى يشمل ما هنا إلى الأخرى.

ف" إِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا. ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَ نَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا (١٩: ٧٢).

١٩ / ٩٢

١٩- ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾ لمكان التقوى " إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (٧٦: ٩).

٢٠ / ٩٢

٢٠- ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾ وجهها و ربوبية.

٢١ / ٩٢

٢١- ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ رضاه الأعلى، هو من ربه و ربه منه " يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً .. (٨٩: ٢٠).

سورة الضحى

١ / ٩٣

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قسما ﴿وَالضُّحَى﴾ نورا ساطعا.

٢ / ٩٣

٢- ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾ غسق، قسما بهما و هما على اختلافهما نورا و ظلاما حكيمان لصالح الحياة، كذلك تواتر الوحي ضحى و انقطاعه سحى كلاهما حكمة فى رسالتك، فقد احتبس عنه الوحي لفترة، و ليدل على أنه ليس منه نفسه و إلا لما انقطع.

٣ / ٩٣

٣- ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾ توديع الوحي، انقطاعا لرسالتك ﴿وَمَا قَلَىٰ﴾ إياك، بغضا.

٤ / ٩٣

٤- ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى﴾ إذ ليس فيها ابتلاء " قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ (٧: ٣٢).

٥ / ٩٣

٥- ﴿وَلَسَوْفَ﴾ هنا وهناك ﴿يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرَضَى﴾ أكثر مما هنا، وقد كان في خالص الرضا عن حاله الرسول، إلا ما شابه من احتمال ودع أو قلى على تقصير منه! أو قصور.

٦ / ٩٣

٦- ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا﴾ عن والديك ﴿فَأَوَى﴾ ك إلى غيرهما، و"يَتِيمًا" عن الوحي فأواك إليه، و بين الناس فأواهم إليك.

٧ / ٩٣

٧- ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا﴾ عن الوحي ﴿فَهَدَى﴾ ك إليه "وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ" (٤: ١١٣) و"ضَالًّا" لا تعرف بين الناس، فهداهم إليك.

٨ / ٩٣

٨- ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا﴾ من حيث المال و الحال ﴿فَأَغْنَى﴾ ك بهما، و لا سيما عيلولة الهدى فأغناك بوحى القرآن حتى تهتدى به و تهديهم، فالذى أوى و هدى و أغنى قبل، فبأحرى بعدها و بعد احتباس الوحي قليلا، يؤويك و يهديك و يغنيك مرة أخرى.

٩ / ٩٣

٩- ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ﴾ أيا كان، مالا أو حالا ﴿فَلَا تَقْهَرْ﴾ كما لم تقهر.

١٠ / ٩٣

١٠- ﴿وَأَمَّا السَّائِلَ﴾ أيا كان ﴿فَلَا تَنْهَرْ﴾ كما لم تنهر.

١١ / ٩٣

١١- ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ﴾ وحيًا ﴿فَحَدِّثْ﴾ تحديثًا ككل، ففش حديثًا لنعمة ربك دون إخفاء مهما كنت في عناء، مما يفرض على المنعمين تحديثًا قوليا و عمليا، فرديا و جماعيا، و لا سيما نعمة الهدى، حيث تفرض الدعوة على حاملها.

سورة الإنشراح

١ / ٩٤

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ "وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ" (١٦: ١٢٧).

٢ / ٩٤

٢- ﴿وَوَضَعْنَا﴾ تخفيها ﴿عَنكَ وَزَرَك﴾ الرسول "إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا" (٧٣: ٥) وضعا بوزير لك يوازرك في حمل رسالتك كعلى (ع) مثل ما كان هارون لموسى "وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي. هَارُونُ أَخِي" (٢٠: ٣٠).

٣ / ٩٤

٣- ﴿الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾ الرسول بثقل الرسالة.

٤ / ٩٤

٤- ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ بين العالمين، حتى قرنتك بى فى الأذان.

٥ / ٩٤

٥- ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ﴾ الوزير ﴿يُسْرًا﴾ بوزير.

٦ / ٩٤

٦- ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ فهما يسران مع العسر.

٧ / ٩٤

٧- ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ﴾ عن رسالتك ﴿فَأَنْصَبْ﴾ نصبا في نصب من يخلقك بعدك.

٨ / ٩٤

٨- ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ﴾ الذي ربك بهذه الرسالة القمة ﴿فَارْغَبْ﴾ فإنها رغبة خاصة له بارتحاله، بعد الرغبة الرسولية طول حياته.

سورة التين

١ / ٩٥

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قسما ﴿وَالْتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ﴾ كأفضل الفاكهة الإدام، مثلا عاليا لعالي جسم الإنسان.

٢ / ٩٥

٢- ﴿و﴾ قسما بـ ﴿طُورِ سِينِينَ﴾ محطاً لأهم وحى في الأولين.

٣ / ٩٥

٣- ثم ﴿وَهَذَا الْبَلَدِ﴾ مكة المكرمة ﴿الْأَمِينِ﴾ كأهم وحى على كافة المرسلين، فقد جمعت هذه الأقسام الأربعة بين مثل الروح والجسم عاليا في الأولين و في الآخرين.

٤ / ٩٥

٤- ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا﴾ بجمعية الصفات الربانية ﴿الْإِنْسَانَ﴾ ككل ﴿فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ نسبيا بجزئيه روحا و جسما، كأصل في خلقه، ثم عليه التكامل على أضواء الوحي.

٥ / ٩٥

٥- ﴿ثُمَّ﴾ بعد خلقه هكذا، إذا تردى عنه ﴿رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ﴾ من الخلق أجمعين، حتى من الأنعام "أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ" (٧: ١٧١) لمكان "كثير" دون "كل" في "وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا".

٦ / ٩٥

٦- ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ لإيمانهم، تبلورا لخلقهم "فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ" ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ عليهم و لا مقطوع عنهم، رفعا قبال سفلى لمن سواهم: "وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ" (٣٥: ١٠) "يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ" (٥٨: ١١).

٧ / ٩٥

٧- ﴿فَمَا يَكْذِبُكَ﴾ يحملك على تكذيب ﴿بَعْدُ﴾ ذلك ﴿بِالَّذِينَ﴾ الطاعة هنا و جزاءه هناك.

٨ / ٩٥

٨- ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾ و لذلك يدين هنا و يوم الدين.

سورة العلق

١ / ٩٦

١- بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. اِقْرَأْ^{٢٧} أَبْدَى بِدَايَةِ لَوْحِ الْقُرْآنِ بِاسْمِ رَبِّكَ بِخَاصَّةِ رَبوبيته إِيَّاكَ الَّذِي خَلَقَ الْخَلْقَ كُلَّهُ، يَعْنِي اِقْرَأْ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ" رَحْمَةً عَامَةً.

٢ / ٩٦

٢- خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ رَحِيمَةٍ بِرَحْمَةٍ خَاصَّةٍ وَ" الْعَلَقُ" هِيَ مَلَابِيْن الدُّوْدَاتِ الْجَرْتُومِيَّةِ فِي الْمَنَى، وَ أَنْتَ مِنْهَا كَوَاحِدَةٌ، مِمَّا كَشَفَ الْعِلْمُ عَنْهُ شَطْرًا.

٣ / ٩٦

٣- اِقْرَأْ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ" وَ رَبُّكَ هُوَ الْأَكْرَمُ بِرَحْمَانِيَّةِ أَهْمٍ.

٤ / ٩٦

٤- الَّذِي عَلَّمَ مَنْ عَلَّمَهُ بِالْقَلَمِ وَحَيَا بِقَلَمِهِ وَ سِوَاهُ.

٥ / ٩٦

٥- عَلَّمَ الْإِنْسَانَ كُلَّ مَا لَمْ يَعْلَمْ أَنْفُسِيَا وَ أَفَاقِيَا.

٦ / ٩٦

٦- كَلَّا لَا يَنْتَبِهَ الْإِنْسَانُ النَّسِيَانَ خَلَقَهُ مِنْ عَلَقٍ وَ تَعَلَّمَهُ مَا لَمْ يَعْلَمْ، بَلْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى عَلَى رَبِّهِ وَ أَهْلِيهِ.

٧ / ٩٦

٧- أَنْ رَأَى نَفْسَهُ اسْتَغْنَى عَنْ رَبِّهِ فِي رُؤْيَيْهِ الْخَاطِئَةِ وَ لَيْسَتْ لَهُ أَيْةٌ غَنَى.

٨ / ٩٦

٨- إِنَّ إِلَى رَبِّكَ بِكَامِلِ رَبوبيَّةِ الْجَزَاءِ، الْحَيَاةُ الرَّجْعِيَّةُ يَوْمَ الْآخِرَى.

٩ / ٩٦

٩- أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى.

١٠ / ٩٦

١٠- عَبْدًا إِذَا صَلَّى كَرَسُولَ الْهُدَى إِذْ نَهَى عَنْهَا، وَ هِيَ كَصُورَةٍ عَامَةٍ تَدُلُّ عَلَى حُرْمَةِ النَّهْيِ عَنْهَا حَالِهَا مِمَّا كَانَتْ خَطَاً.

١١ / ٩٦

١١- أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ الْمُصَلِّي عَلَى الْهُدَى فِي نَفْسِهِ.

١٢ / ٩٦

١٢- أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى الرَّبَّانِيَّةِ إِضَافَةً إِلَى نَفْسِهِ، هُوَ مَعَ ذَلِكَ يَنْهَى عَنْ الْهُدَى.

١٣ / ٩٦

١٣- أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ النَّاهِي عَنْهَا وَ تَوَلَّى عَنْ الْحَقِّ.

١٤ / ٩٦

١٤- أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى إِيَّاهُ.

١٥ / ٩٦

^{٢٧} . بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. اِقْرَأْ أَبْدَى بِدَايَةِ لَوْحِ الْقُرْآنِ: انْطَقَ تَنَسَّكَ وَ تَسَلَّ بِالْقُرْآنِ، أَعْلَ بِالْقُرْآنِ نَفْسَكَ وَ الْآخِرِينَ، وَقْتُ أَوْقَاتِكَ وَ وَلَدَ مَفَاهِيمَ رَبَّانِيَّةً بِالْقُرْآنِ، أَحْفَظَ الْقُرْآنَ بِكُلِّ مَرَاوَحَةٍ، اتَّقِنِ الْقُرْآنَ فِي نَفْسِكَ، ابْلُغِ الْقُرْآنَ تَفْقَهُ فِي الْقُرْآنِ: اجْمَعْ الْقُرْآنَ: مَجْمُوعَةُ الْمَعَارِفِ الرَّبَّانِيَّةِ إِلَى نَفْسِكَ وَ نَفْسِكَ إِلَى الْقُرْآنِ، ارْجِعْ إِلَى الْقُرْآنِ، وَ الْقُرْآنُ: يَعْنِي كَ اِقْرَأْ كُلَّ هَذِهِ الْمَعَانِي.

١٥- كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ عَمَّا يَنْهَى وَ كَذَبَ وَ تَوَلَّى لَسْفَعًا أَخَذَا بِالنَّاصِيَةِ النَّاسِيَةِ النَّاصِبَةِ.

١٦ / ٩٦

١٦- نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ فَإِنَّهَا مَرَكَزُ الْإِنْسَانِيَةِ مَخَا.

١٧ / ٩٦

١٧- فَلْيَدْعُ إِذَا نَادِيَهُ مُحَفَلُهُ، اسْتَنْصَارًا.

١٨ / ٩٦

١٨- سَدَّعُ عَلَيْهِ الزَّبَانِيَةَ التَّسْعَةَ عَشَرَ.

١٩ / ٩٦

١٩- كَلَّا لَا تُطْعُهُ وَ اسْجُدْ لِلَّهِ وَ اقْتَرِبْ إِلَى اللَّهِ.

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. إِنَّا﴾ بجمعية التريبات الربانية ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ القرآن كله محكما ﴿فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ و هي ليلة واحدة لمكان التاء: إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ (٣٨: ٤٤) فليس المنزل هنا مفصّله إذ لم يكن جملة واحدة: "وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً" (٣٢: ٢٥) فالقرآن بين محكم و مفصل: "كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ" (١: ١١) ثم و هي من رمضان: "شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ" (٢: ١٨٥) فقد سبق علمه (ص) بمحكم القرآن قبل مفصله في ليلة القدر الأولى، و هي زهاء خمسين ليلة بعد مبعثه، لذلك كان يستعجل بمفصله قبل أن يقرأه عليه روح الأمين: "وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا" (١١٤: ٢٠) و "لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ" (١٦: ٧٥) قصدا إلى ضم الوحي المفصل لفظيا و معنويا إلى المحكم، حتى يصبح القرآن بتمامه من الرحيم الرحمان "فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ".

٢- ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ فقد أدراه الله متى هيه ما هي قدرا و منه.

٣- ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ كحكم أمية و هو ألف شهر، فإنها "لَيْلَةُ الْقَدْرِ" قدرا لمحكم القرآن أولا، و قدرا لأمر العباد مستمرا، و من الثاني:

٤- ﴿تَنَزَّلُ﴾ منذ الآن إلى يوم الدين ﴿الْمَلَائِكَةُ﴾ كلهم للجمع المحلى باللام ﴿وَالرُّوحُ﴾ و هو ليس من الملائكة بدليل المقابلة، أو هو أعظم من الكل خاصا بعد عام ﴿فِيهَا﴾ على منزل الوحي المحمدي، ثم سائر منازل الوحي غير الرسولية و هم المعصومون المحمديون ﴿يَأْذِنُ رَبَّهُمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ بعض من الأمور و الأوامر، و منها "فِيهَا يَفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ. أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ" (٥: ٤٤).

٥- ﴿سَلَامٌ هِيَ﴾ "ليلة القدر" ﴿حَتَّى مَطَلَعِ الْفَجْرِ﴾ اعتبارا بنزول القرآن السلام في ليلة حتى ينير الدرب على السالكين إلى النور.

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالحق ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ كالثوئين ﴿وَكَذَلِكَ﴾ ﴿الْمُشْرِكِينَ﴾ مما يدل على أن القصد من المشرك هو الرسمى دون سائر الإشراف حتى التثليث لمكان المقابلة بينهما ﴿مُنْكَفِينَ﴾ عن الكفر الكتابي و الإشراف الرسمى ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ﴾ الآية ﴿الْبَيِّنَةُ﴾ قرآنا مع رسوله، فإنهما "الْبَيِّنَةُ".

٢- ﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ﴾ محمد(ص) ﴿يَتْلُوا﴾ نفسه اتباعا، و عليهم تعليم و تزكية ﴿صُحُفًا﴾ قرآنية ﴿مُطَهَّرَةً﴾ عن كل تحريف أو تخريف.

٣- ﴿فِيهَا كُتِبَ﴾ ربانية بقلم الوحي ﴿الْقِيَمَةُ﴾ قواما و قياما و دواما حتى آخر زمن التكليف، فإن الكتب السالفة على قيمة الوحي لها محرفة و غير ثابتة.

٤- ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ عن الكتاب و فيه، و لا سيما فى ذلك الكتاب ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ﴾ الآية ﴿الْبَيِّنَةُ﴾ قرآن محمد و محمد القرآن، إذ كانوا مصدقين لها قبل: "وَ كَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ" (٢: ٨٩).

٥- ﴿وَمَا أُمِرُوا﴾ فى الشرايع الربانية، و كما فى فطهرهم و عقولهم ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ معرضين عما يخالف الدين ﴿وَيَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ﴾ لله كما أمر ﴿وَذَلِكَ دِينُ﴾ العبودية و الطاعة ﴿الْقِيَمَةِ﴾ الثابتة فى كافة الشرائع دون تغير إلا فى بعض الطقوس الصورية.

٦- ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ بهذه القيمة ﴿وَالْمُشْرِكِينَ﴾ هما ﴿فِي نَارٍ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾.
البلاغ فى تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٥٩٩

٧- ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾.

٨- ﴿جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ حالكونهم ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ عطاء غير مجذوذ، و لم يكن لخلود أهل الجحيم هناك أبد، لأنهم بين أبد و غير أبد، و كما أن أبدهم ينتهى إلى فناء، دون أهل الجنة ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَ﴾ ذلك بما ﴿رَضُوا عَنْهُ﴾ و ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ بقلبه فخشع له بقلبه، مهما كانت الخشية و الخشوع درجات.
سورة الزلزلة

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾. إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زُلْزَالَهَا ﴿الشاملة﴾ إِنَّ زُلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (٢٢: ١) و هذه بدكداكها إذا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا (٨٩: ٢١) يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا (٥٠: ٤٤) "يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَ السَّمَاوَاتُ" (١٤: ٤٨).

٢- ﴿وَ أَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ المدفونة فيها من إنسانها و جواهرها "وَ إِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ. وَ أَلْقَتْ مَا فِيهَا وَ تَخَلَّتْ" (٨٤: ٤) و ذلك من دمج قيامة الإحياء فى قيامة الإماتة و عكسها، و لأنهما تعنيان أمرا واحدا لا مرد له.

٣- ﴿وَ قَالَ الْإِنْسَانُ﴾ ككل ﴿مَا لَهَا﴾ و قد رأوا زلازل و براكين لها طول حياتهم.

٤- ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ و قد زلزلت فدمرت، مرة أخرى إحياء لإنسانها ﴿تُحَدَّثُ﴾ هذه الإذاعة ﴿أَخْبَارَهَا﴾ التى مضت عليها بأن استذاعتها من إنسانها، و كيف تحدث أخبارها:

٥- ﴿بَانَ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ رمزا في كيانها، وحيا لاستذاعتها يوم الدنيا، ثم لإذاعتها أخبارها، صوتية و صورية يوم الأخرى. إضافة إلى سائر الأشهاد، و كل إذاعة تذيع عند سلامتها و عمارها، فما للأرض تذيع عند دمارها؟ ﴿بَانَ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾!

٦ / ٩٩

٦- ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ﴾ من أجدانهم ﴿أَشْتَاتًا﴾ بشتات أعمالهم "يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أَنَسٍ بِإِمَامِهِمْ" (١٧: ٧١) ﴿لِيرَوُوا أَعْمَالَهُمْ﴾ ككل، رؤية بصرية و أخرى "جَزَاءً وَفَاقًا" فإنها تصبح بنفسها جزاء "يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَ مَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَ بَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا" (٣: ٣٠) "إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ" (٤٥: ٢٩).

٧ / ٩٩

٧- ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ هناك.

٨ / ٩٩

٨- ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ رؤية و رؤية شرط بقاء هما، فقد يمحي شر بتوبة سالحة، أو يمحي خير بحبط صالح، ثم ما تبقى سوف يرى، فجزاه الجزاء الأوفى بنفس ما يرى.

سورة العاديات

١ / ١٠٠

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قسما ﴿وَالْقَوَاتِ﴾ العاديات ﴿مرا سريعا في سبيل الله، برا و بحرا و جوا﴾ ﴿صَبْحًا﴾ كصوت أنفاس الفرس عند هياجها.

٢ / ١٠٠

٢- ﴿فَالْمُورِيَاتِ﴾ منها، إخراجا لنار نتيجة سرعة الحراك ﴿قَدْحًا﴾ صكًا بصدام السير و سرعته.

٣ / ١٠٠

٣- ﴿فَالْمُغِيرَاتِ﴾ منها إغارة على العدو ﴿صُبْحًا﴾ لمفاجئة العدو الغادر.

٤ / ١٠٠

٤- ﴿فَآثَرْنَ﴾ إثارة الغبار أيا كان ﴿بِهِ نَقْعًا﴾ من غبار، على كيان المغبرين الكافرين.

٥ / ١٠٠

٥- ﴿فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾ منهم دون هواده و لا إمهال، خطوات جبارة في مسيرهم إلى مصيرهم.

٦ / ١٠٠

٦- ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ﴾ بطبيعة حاله ﴿لِرَبِّهِ﴾ في سبيله، دون سبل أخرى ﴿لَكَئُودٌ﴾ كفور، كفرا و كفرانا.

٨ / ١٠٠

٧- ﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ﴾ الكنيد البعيد ﴿لَشَهِيدٌ﴾ يشهده على كل حال، في كل حل و ترحال.

٨ / ١٠٠

٨- ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ﴾ ما تهواه نفسه ﴿لَشَدِيدٌ﴾

٩ / ١٠٠

٩- ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ﴾ بعث و أثير ﴿مَا فِي الْقُبُورِ﴾ أجساد في أجدان: "وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ. عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَ أَخَّرَتْ" (٨٢: ٤).

١٠ / ١٠٠

١٠- ﴿وَحُصِّلَ﴾ تحضيرا ﴿مَا فِى الصُّدُورِ﴾ و منه ما فى "القلوب التى فى الصدور" فإذا "عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ" (٨١: ١٤).

١١ / ١٠٠

١١- ﴿إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ﴾ ربوبية التكليف و الجزاء ﴿يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ بخبرتهم أنه خير، مهما كانوا عنها قبل غافلين.

سورة القارعة

١ / ١٠١

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. الْقَارِعَةُ﴾ مبالغة القرع، ضرب شىء على شىء بشدة، و هى فى القيامة الكبرى أقرع، لتضارب عام

لا يبقى و لا يذر.

٢ / ١٠١

٢- ﴿مَا﴾ هى ﴿الْقَارِعَةُ﴾ و قد "كَذَبَتْ ثُمُودٌ وَ عَادُ بِالْقَارِعَةِ" (٦٩: ٤).

٣ / ١٠١

٣- ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾ إلا وحى من صاحب القارعة، و من قوارعها أنها:

٤ / ١٠١

٤- ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ﴾ و سواهم من المكلفين ﴿كَالْفَرَّاشِ الْمُبْتُوثِ﴾ عند خروجهم من أجدانهم: "خُشَعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنْ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ" (٥٤: ٧).

٥ / ١٠١

٥- ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ﴾ برجة الإمامة ﴿كَالْعِهْنِ﴾ الصوف ﴿الْمَنْفُوشِ﴾ تندف بنداى القارعة و تَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ* (٧٠: ٧٠).

(٩) و هذا من دمج قيامتى التدمير و التعمير حيث الحصىلة واحدة غير واهدة.

٦ / ١٠١

٦- ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ على ضوء شرعة الله، معرفة و عقيدة و عملا و "وَالْوِزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ" (٩: ٧).

٧ / ١٠١

٧- ﴿فَهُوَ﴾ غارق ﴿فِى عَيْشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ مرضية بليغة كأنها راضية بنفسها.

٨ / ١٠١

٨- ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ هذه، ك "أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَ لِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا" (١٨: ١٠٥) إِذْ حَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَ بَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ" (١١: ١٦).

٩ / ١٠١

٩- إِذَا ﴿فَأَمَّهُ﴾ أصل كيانه و مرجعه و ملجئه ﴿هَاطِيَةً﴾ كما كانت هى أمه و مقصده فى حياته الفانية.

١٠ / ١٠١

١٠- ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَةٌ﴾.

١١ / ١٠١

١١- ﴿نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ حامية بحامية، إذ تَصْلَى ناراً حَامِيَةً (٨٨: ٤) فيها كل حميم و غساق.

سورة التكاثر

١ / ١٠٢

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. أَلْهَاكُمْ﴾ عن الله إعراضاً ﴿التَّكَاثُرُ﴾ بالأموال و الأولاد و الأمجاد "اعْلَمُوا أَنَّهَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَبِئْسَ وَ لَهِوٌ وَ زِينَةٌ وَ تَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَ تَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَ الْأَوْلَادِ" (٥٧: ٢) و من ألهى الله هو لهو التكاثر.

٢ / ١٠٢

٢- ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ تكاثراً بأهل المقابر. أ فبمصارع آباءهم يفتخرون، أم بعديد الهلكى يتكاثرون، يرتجعون منهم أجسادا خلت، و حركات سكنت، و لأن يكونوا عبداً أحق من أن يكونوا مفخراً، فقد تكاثروا بما تكاثروا حتى زاروا المقابر لإستمرارية التكاثر.

٣ / ١٠٢

٣- ﴿كَلَّا﴾ ليس كما تزعمون ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ عند الموت و فى البرزخ.

٤ / ١٠٢

٤- ﴿ثُمَّ﴾ بعده بفاصل ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ فى الآخرة، و بينهما يوم الرجعة، تعلمون أنكم خاطئون "لَقَدْ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكُمْ غِطَاءَك فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ" (٥٠: ٢٢).

٥ / ١٠٢

٥- ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ﴾ الآن ﴿عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ يقين العلم، دون ظنه.

٦ / ١٠٢

٦- ﴿لَتَرَوُنَّ﴾ هنا ﴿الْجَحِيمَ﴾ رؤية البصيرة.

٧ / ١٠٢

٧- ﴿ثُمَّ﴾ بعد الموت، و لا سيما بعد البرزخ ﴿لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ إذ تصلونها داخلين خالدين.

٨ / ١٠٢

٨- ﴿ثُمَّ﴾ بعد تلك الرؤية العينية ﴿لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ نعيم الفطرة و العقلية الإنسانية و نعيم الشرعة الربانية و سائر النعيم التى أنعمتم بها لتشكروا الله و لا تكفروه، و هو سؤال تبيكيت و استفحام، لا سؤال استعلام و استفهام.

سورة العصر

١ / ١٠٣

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ﴿وَالْعَصْرِ﴾ ﴿خَيْرًا: "وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا" (٧٨: ١٤) أو شرا كالنفس الأمارة و سواعدها، إذ تعصر الإنسان حتى تخسره حصرا لما يخالفها، أو ضغطا: "فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ" (٢: ٦٦) و من أفضل خيره عصور الرسالات لا سيما محمد (ص) و المحمديين، و عصر ولى العصر، ثم و سائر العصر صالحا و طالحا.

٢ / ١٠٣

٢- ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ﴾ بطبعه و مجتمعه، غارق ﴿لَفِي خُسْرٍ﴾ فى كل عصر.

٣ / ١٠٣

٣- ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أنفسهم و نفائسهم بالله ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ لإيمانهم بالله، تكليفا فرديا، و آخر جماعيا: ﴿وَتَوَّصَّوْا﴾ بينهم ﴿بِالْحَقِّ﴾ تحقيقا بمراحله تأمرا أو أمرا ﴿وَتَوَّصَّوْا بِالصَّبْرِ﴾ للحفاظ على الحق و مواصاته، و أمام الباطل تركا له تناهيا أو نهيا، أركان أربعة هى قواعد عرش الفلاح على أية حال.

سورة الهمزة

١ / ١٠٤

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. وَيْلٌ﴾ هنا و فى الأخرى ﴿لِكُلِّ هُمَزَةٍ﴾ غياب ﴿لُمَزَةٍ﴾ عياب، مخسرا فى الحضور و الغياب: "وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ. وَأَعُوذُ بِكَ رَبَّ أَنْ يَحْضُرُونِ" (٣٣: ١٠١).

٢ / ١٠٤

٢- لا سيما ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا﴾ على أية حال دون إبدال ﴿وَعَدَدَهُ﴾ دون أن يعده لأخراه.

٣ / ١٠٤

٣- ﴿يَحْسَبُ﴾ زعما باطلا ﴿أَنَّ مَالَهُ﴾ و ما، له ﴿أَخْلَدَهُ﴾ فى حيوة الحياة، مما يدل على أن الخلود بنفسه ليس أبديا فضلا عن اللانهاية، إذ لا يحسبها أى ذى جنة فضلا عن عاقل.

٤ / ١٠٤

٤- ﴿كَلَّا﴾ لا يفيد ماله و ما له خلودا دون حتمى الأجل و معلقه بل ﴿لَيَنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ﴾ التى تحطم الإنسان عن كيانه.

١٠٤ / ٥

٥- ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ﴾:

٦ / ١٠٤

٦- ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ﴾ حيث توقد بصليهم الجحيم.

٧ / ١٠٤

٧- ﴿الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْفُتُودَةِ﴾ لا- فقط- البشرية، و الفؤاد هنا هو القلب المتفند بالنار، فالحطمة- إذا- نار على نار فى دار القرار، نشأة من دار الفرار.

٨ / ١٠٤

٨- ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُّوَصَّدَةٌ﴾ مطبوعة لا مخرج لهم منها.

٩- ﴿فِي عَمَدٍ﴾ أسطوانات نارية ﴿مُمَدَّدَةٍ﴾ من الدنيا إلى الأخرى، و من الأفئدة إلى الظواهر، و من سائر البدن و الروح إلى الأفئدة، فإنها منها و إليها "إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ".

سورة الفيل

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. أَلَمْ تَرَ﴾ رؤية الوحي ﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ﴾ بربوبية خاصة راصّة ﴿بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ المهاجمين على البيت العتيق، تحطيمًا لحرم المجد و عاصمة التوحيد، استفهامًا تقريريًا، ثم "أَلَمْ تَرَ" علم اليقين تأريخيًا سؤال توبيخ و استنكار لمن ينكر هذا الحدث التاريخي العظيم.

٢- ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ﴾ ربك ﴿كَيْدَهُمْ﴾ في هجمتهم على البيت، غارقا ﴿فِي تَضَلُّيلٍ﴾ أن ضلوا عنه بما ضلوا عن حياتهم.

٣- ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا﴾ حالكونها ﴿أَبَابِيلَ﴾ جماعات مصطفة و متشتتة جنودا ربانية "وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ" * (٤٨: ٤).

٤- ﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ﴾: كما "فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَ آمَطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ .." (٨٣: ١١)
٥- ﴿فَجَعَلَهُمْ﴾ الله برمي السجيل ﴿كَعَصْفٍ﴾ ورق زرع ﴿مَأْكُولٍ﴾ و هو عذرة إنسان، أو رجيع حيوان أم سفلته الخارجة من دبره، إشارة إلى تحوّلهم بذلك الرمي إلى أنحس شيء و أركسه، مهما كان ذلك في شكله منقطع النظير.

سورة قريش

١ / ١٠٦

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ "فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّاكُولٍ" ﴿لَا يَلَافُ قُرَيْشٍ﴾ على مدار التوحيد فى عاصمة التوحيد كزاوية أولى للدعوة التوحيدية، و قد كانوا متفرقين عن بعضهم البعض و عن التوحيد.

٢ / ١٠٦

٢- ﴿يَلَا فِيهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾ بين أم القرى و ما حولها، لذلك:

٣ / ١٠٦

٣- ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ إذ حافظ عليها رميا إلى أصحاب الفيل، فهم أخرى ممن سواهم فى العبادة التوحيدية، إذ حفظ الله بيت مجدهم و عزهم.

٤ / ١٠٦

٤- كما أنه ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ﴾ و كانوا جائعين برحلاتهم ﴿وَأَمَّنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ فى مضاداتهم و أمام الآخرين، فـ" ترميهم" "لَا يَلَافُ قُرَيْشٍ" وَلْيَعْبُدُوا" "لَا يَلَافُ قُرَيْشٍ" و حيث "أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ" وَأَمَّنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ"

سورة الماعون

١ / ١٠٧

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. أَرَأَيْتَ الَّذِي يَكْذِبُ بِالْدينِ﴾ الحق طاعة و عبادة و جزاء هو ملكوت الطاعة يوم الجزاء" و مَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَ هُوَ مُحْسِنٌ" (١٢٥: ٤).

٢ / ١٠٧

٢- ﴿فَذَلِكِ﴾ البعيد البعيد هو ﴿الَّذِي يَدْعُ﴾ دفعا قويا ﴿الْيَتِيمِ﴾ مالا أو حالا، صدا عن حاجاته الحاصلة ليتمه، رغم واجب الإحسان إلى اليتيم، فضلا عن دَعَا و دفعه عن صالحه.

٣ / ١٠٧

٣- ثم ﴿وَلَا يَحْضُ﴾ حثا و تحريضا ﴿عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ نفسه و أنفـس الآخرين، بل يدعهم عنه "إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ. وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ" (٦٩: ٣٤) "كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ. وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ" (٨٩: ١٨) و حياة الحـض، و أقلها عدم الدع، هى حياة إيمانية- إنسانية.

٤ / ١٠٧

٤- ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ المسلمين رغم صلاة لهم، حيث لا يؤصلونها فى حياتهم و قد يستأصلونها.

٥ / ١٠٧

٥- ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ﴾ المفروضة عليهم، أو التى يصلونها ﴿سَاهُونَ﴾ لا فيها، فإنه يعم غير المعصومين، بل عنها، فقد لا يصلون، أو يصلون و لكنهم لا يأتون بما يجب فيها، أو "لا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَ هُمْ كُسَالَى" (٩: ٥٤) "و إِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يَرَاؤُنَ النَّاسَ وَ لَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا" (٤: ١٤٢) فهم ساهون عن أصلها أو عن فرائض فيها، أو عن وقتها و ما أشبهه، مهما كانت دركات، كما الصلاة الصالحة درجات.

٦ / ١٠٧

٦- ﴿الَّذِينَ هُمْ يَرَاؤْنَ﴾ الناس "فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا" (١٨: ١١٠) و هو الرثاء.

٧ / ١٠٧

٧- ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ الحاجة القليلة جدا، نفسيا أو بدنيا، أمام الخلق و الخالق، فضلا عما يزيد، و ما ألغنه و أبخله من يمنع الماعون.

سورة الكوثر

١ / ١٠٨

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. إِنَّا﴾ بجمعية العطيات العليا ﴿أَعْطَيْنَاكَ﴾ يا محمد ﴿الْكَوْثَرَ﴾ مبالغة الكثير من العطيات، رسالة- نبوة- قرآنا- صهرا و ذرية منتشرة من فاطمتك، و ما أشبهه، كوثرنا منقطع النظير لهذا البشير النذير.

٢ / ١٠٨

٢- ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ صلاة خاصة تناسب كوثر العطيات، استمرارية متعالية معرفة و عملا "وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا" ﴿وَأَنْحَرْ﴾ نحرا كفدية، و نحرك في تكبيرة صلاتك، رمزا عمليا لما تنويه، طردا وراءك غير الله، اتجاها كاملا شاملا إلى الله.

٣ / ١٠٨

٣- ﴿إِنَّ شَانِئَكَ﴾ بتر مزعوم بموتك ﴿هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ كما كان هو الأبتر ككل مع ولد له كثير، و ثم كل بتر لكل شائنك.

البلاغ في تفسير القرآن بالقرآن، ص: ٦٠٣

سورة الكافرون

١ / ١٠٩

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ المخصوصون "سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنْذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ" * (٢: ٦).

٢ / ١٠٩

٢- ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ إياه أبدا.

٣ / ١٠٩

٣- ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ ه و هو الله، فلا أنصاف حلول مساومة في العبودية، أن أعبد ما تعبدون سنة لكي تعبدوا ما أعبد سنة أخرى، و لا سيما تقديم عبادتي الإشراكية، كما تطلبون.

٤ / ١٠٩

٤- كما ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ﴾ على أية حال ﴿مَا عَبَدْتُمْ﴾ عبادتكم الشريكية هكذا، أو آلهة مع بعض البعض.

٥ / ١٠٩

٥- ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ﴾ أبدا ﴿مَا أَعْبُدُ﴾ عبادتي التوحيدية على أية حال.

٦ / ١٠٩

٦- إذا ف ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ إشراكا ﴿وَلِيَ دِينِ﴾ توحيداً، دون أخذ العصا بطرفيها، فلا تكرار هنا، لموصولية "ما" أولا و موصوفيتها ثانيا، فهما معنيان اثنتان، ذلك و قد سبق السورة اقتراح من قريش إليه (ص) أن تعبد آلهمتنا سنة و نعبد إلهك سنة، فلتعبد ما نعبد و نعبد ما تعبد، فجاء الجواب ردا على الاقتراحين، فلا أنصاف حلول و جعل البلد شطرين، حيث الدعوة التوحيدية خالصة غير مازجة و لا مازجة مع سواها، فلا مساومة في الدين، و لا مصالح على عوان بينه و بين اللادين.

سورة النصر

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ إذا جاء نصرُ اللهِ ﴿وَالْفَتْحُ﴾ وهو فتح الفتوح بمكة المكرمة، إذ كان منقطع النظير عن كل بشير و نذير، و هذه بشارة لرسول الهدى (ص) و لما تفتح ام القرى، فهى من الملاحم الغيبية، التى تخالف ظاهر الأمر بين المسلمين القلة، و المشركين الثلة بتلك الهزيمة فيهم" و اللهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ" ذلك، و كما تلاحقت هذه البشارة أحيانا بصورة حتمية كأنها مضت: "إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا" (٤٨: ١) "فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا" (٤٨: ٢٨) "إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ" (٢٨: ٨٥) و أخرى تُحْيُونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَ فَتْحٌ قَرِيبٌ وَ بَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ" (٦١: ١٣).

٢- ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ طوعا أو كرها، و كما يأتى ثانيا فى دولة المهدي عليه السلام.

٣- ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ على ذلك الفتح العظيم بهزيمتهم العظيمة ﴿وَاسْتَغْفِرْهُ﴾ دفعا عنك هزاهز الفتح و رعونته، و رفعا عن سواك حيث يأخذهم زهو الغلبة حيث يساور النفس ﴿إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ على المستغفرين دفعا أو رفعا، أو ترفيعا، عفرا و سترا عما لا يحمد، ثم عفرا عن الركون و السكون.

سورة المسد

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ ﴿خَسِرَانَا دَائِبًا لَا يُوْبُّ إِلَىٰ نَجَاحٍ﴾ و يدها تعنى كافة طاقاته و محاولاته ضد الرسول صلى الله عليه و آله رغم كونه عمه و عظيم قريش ﴿وَتَبَّتْ﴾ هو فى ذاته، تبابان اثنان، خبرا ربانيا دون دعاء، مهما ضمن دعاء للمؤمنين برسالات الله.

٢- ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَ مَا كَسَبَ﴾ فى ماله و ولده و سواهما و هما يدها، كما ما أغنى عنه نفسه و ماله.

٣- ﴿سَيَصْلَىٰ﴾ فى الجحيم ﴿نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ يوقدها، كما كان لها فى دنياه.

٤- ﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾ تبت هى و تبت يدها، بحمل حطب النميمة عليه (ص) و حطب العشب و الخشب إذ كانت تلقيها فى طريقه (ص) ليتأذى.

٥- ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّنْ مَّسَدٍ﴾ ليف، تلف به نمائمها، و سائر ما لفت على رسول الهدى، كما أن عقدها الذهبى "حَبْلٌ مِّنْ مَّسَدٍ" حبال شيطانية، قبال دعوة رحمانية.

سورة الإخلاص

١ / ١١٢

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. قُلْ﴾ لقادة الأحزاب الخمس، غير الموحدين، و من أشبههم ﴿هُوَ﴾ الذات الغائبة عن الأبصار و البصائر أبداً لا تدركه الأبصار و هو يدرك الأبصار و هو اللطيف الخبير ﴿٦: ١٠٣﴾ ﴿اللَّهُ﴾ "هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا" (١٩: ٦٥) إذ لم تسم الآلهة باسمه و لا إله الماديين المادة و هما الاسمان الأعظمان، فـ "هو" هو الاسم الباطن و "الله" هو الظاهر، ثم "لا إله إلا الله" مصوغة من "الله" حرفياً و معنوياً كما "الله" مصوغة من "هو" فيهما، و "الله" تفسير لـ "هو" كما ﴿أَحَدٌ﴾ تفسير لها، أحداً في ذاته و صفاته و أفعاله - واحد لا بعدد و لا عن عدد و لا بتأويل عدد - فـ "هُوَ اللَّهُ" لن يتعدد "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ" (٤٢: ١١).

٢ / ١١٢

٢- ﴿اللَّهُ﴾ هو ﴿الصَّمَدُ﴾ صموداً في ألوهيته، لا جوف له مادياً إذ ليس مادياً، و كل مادة أو مادي أجوف، و لا سواها إذ هو الغنى المطلق، مما يدل على أن ما سواه أجوف مفتقر إليه.

٣ / ١١٢

٣- ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ من الخلق وليداً، بل خلق أول ما خلق لا من شيء، ثم خلق سائر الخلق منه، فلا مجانسة و مسانحة بينه و بين خلقه، لا هو في خلقه و لا خلقه فيه ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾ هو من شيء سواه، إذ كان إذ لا كان، أزلياً أبدياً.

٤ / ١١٢

٤- لذلك ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا﴾ شريكاً، مساوياً، مسامياً ﴿أَحَدٌ﴾ سواه، فهذه السورة هي حق التوحيد و حقيقته، ثورة على كل إشراك.

سورة الفلق

١ / ١١٣

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. قُلْ أَعُوذُ﴾ في كل عوذ عن كل ما يعاذ منه ﴿بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ الفالق الذي يشق كل مغلق شرير، كـ "فَالِقُ الْإِصْبَاحِ" (٦: ٩٥).

٢ / ١١٣

٢- ﴿مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ إياه، لا خلقه نفسه فإنه كله خير، فـ "ما" هنا موصولة لا موصوفة، فالخير كله بيديه و الشر ليس إليه.

٣ / ١١٣

٣- ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ﴾ داخل في عمق الظلام ليسترق مالا أو حالاً ﴿إِذَا وَقَبَ﴾ و ثقب.

٤ / ١١٣

٤- ﴿وَمِنْ شَرِّ الْقَوَاتِ﴾ النِّفَّاتِ مبالغة النفاث كما هي مبالغة النافث ﴿فِي الْعُقَدِ﴾ نفثاً و نفخاً بوسائله في عقد الشر تحكيماً، و في عقد الخير تفتيتاً، و من الأولى الطائرات النفاثة حيث تحكّم عقد الشر حربياً.

٥ / ١١٣

٥- ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ فما لم يحسد فشره راجع إلى نفسه، و إذا حسد رجع منه إلى غيره.

سورة الناس

١ / ١١٤

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ رب العالمين، فاختصاص الناس لأنهم أحسن المخلوقين، و أن الموقف الاستعاذة من شرهم أنفسهم و الجنة دونهم.

٢ / ١١٤

٢- ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ فالربوبية دون الملكية المسيطرة فاشلة.

٣ / ١١٤

٣- ﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾ حيث الربوبية و الملكية فاشلتان دون الألوهية، فالمستعاذ به هو الرب الملك الإله.

٤ / ١١٤

٤- ﴿مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾ حيث يرجع دوما في وسوسته.

٥ / ١١٤

٥- ﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ و هي مخابئ القلوب و قبلها الفطر و العقول، فالصدر هي وسيطة بينها كلها، إذا فسدت فسدت.

٦ / ١١٤

٦- و "الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ" هو ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ شيطانان خارجيان يساعدان شيطان النفس الأمارة بالسوء داخليا. تم بإذن الله و حسن توفيقه في شهر ذى قعدة الحرام ١٤١٤ هجرية قمرية- قم المقدسة: محمد الصادق الطهراني- تليفون

٢٩٣٤٤٢٥